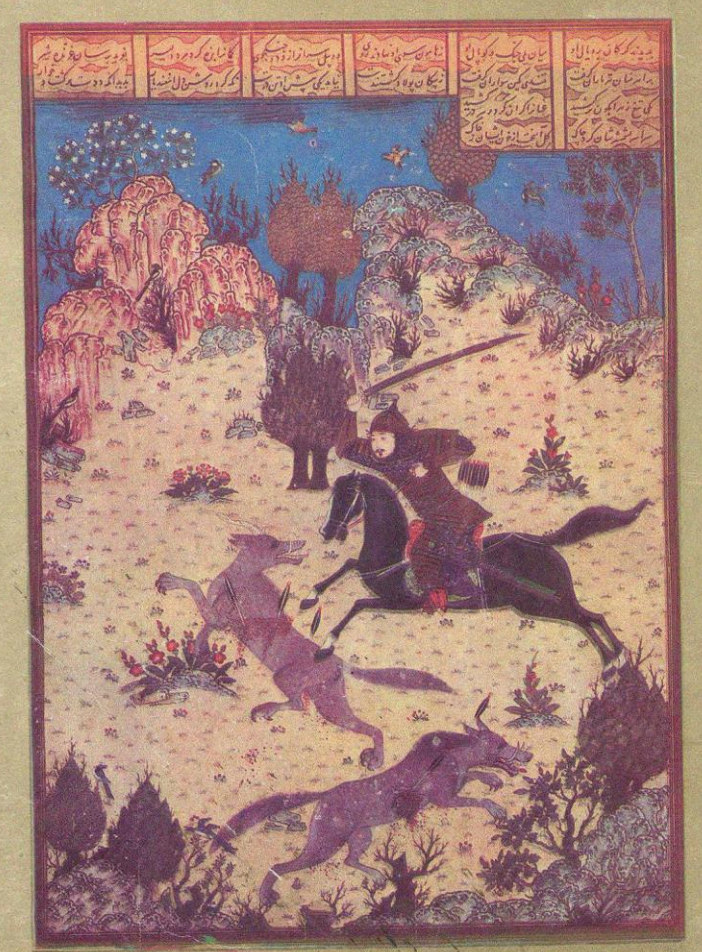
الألف كتاب
الثاني
١١٥

الفردوسي

الشاهنامة



THE BOOK WAS DRENCHED

لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤م

الشاهنامة

نظمها بالفارسية
أبو القاسم الفردوسي

و

ترجمها نثرا
الفتح بن علي البنداري

و

قارنها بالأصل الفارسيّ، وأكمل ترجمتها في مواضع، وصححها وعلّق عليها، وقدّم لها
الدكتور
عبد الوهاب عزام
المدرّس بالجامعة المصرية

الجزء الأول
مع المقدمة والمدخل

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٣٥٠هـ — ١٩٣٢م

* * *

بنا هاى آباد كردد خراب　　زباران وأزتابش آفتاب

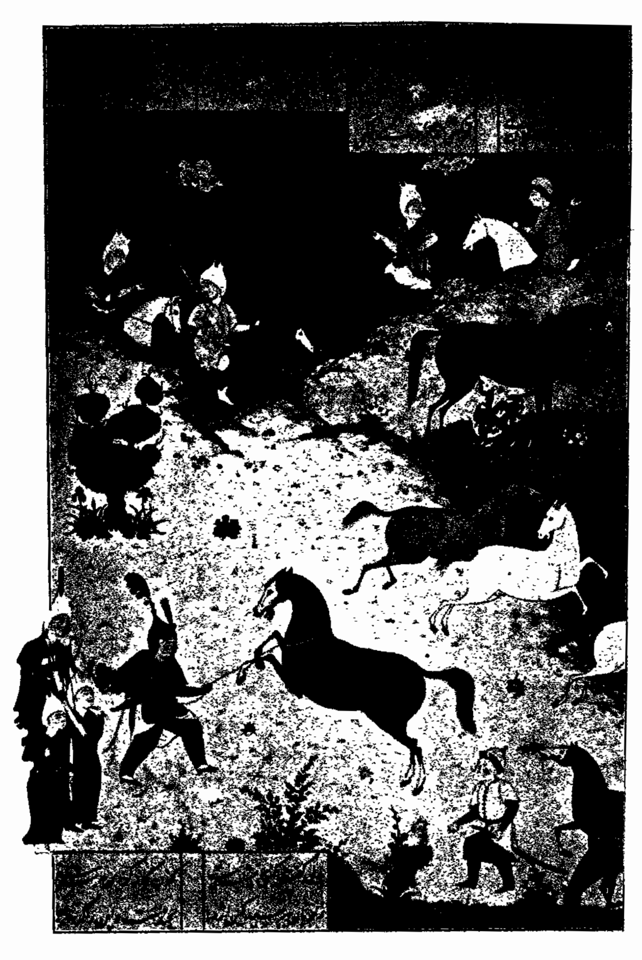
پى افكندم أزنظم كاخ بلند　　كه أزباد وباران نيابد گزند

* * *

"يخرّ على الدهر كل بناءٍ　　بقَطر السحاب وحرّ ذُكاءْ

بنيتُ من الشّعر صَرحا أغرّ　　يُمِلّ الرياحَ ويُعيي المطر"

[من الشاهنامه]



رستم يمسك فرسه (الرخش) بالوهق

[منقولة من كتاب مارتين (Martin) ص ١٢٣ ج ٢ — عن نسخة كتبت للشاه طهماسب فى القرن العاشر الهجرى]

لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤

الشاهنامه

نظمها بالفارسية
أبو القاسم الفردوسى

و

ترجمها نثرا
الفتح بن على البندارى

و

قارنها بالأصل الفارسى، وأكمل ترجمتها فى مواضع، وصححها وعلق عليها، وقدم لها

الدكتور
عبد الوهاب عزام
المدرس بالجامعة المصرية

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم
عزيز

مقدمة

١

كنت أسمع عن الشاهنامه كما أسمع عن القصص الكبيرة الأخرى . وكنت أمنّى نفسى قراءة الكتاب، وأشتط فى التأميل أحيانا فأمنيها ترجمته حين يتاح لى علم اللغة الفارسية . وكنت أتمنى درس الفارسية فى حداثتى، أمنية نشأت فى نفسى بعد أن مضيت سنين فى درس التركية أو محاولة درسها . وأحسبنى شرعت ألتقط بعض الألفاظ التركية من الأفواه ومن الكتب وأنا فى سن الرابعة عشرة .

ثم عرفت بعد أعوام طوال، ولا أدرى كيف ومتى، أن الشاهنامه ترجمت الى العربية . وكنت أحسب ترجمتها من الآثار التى نذ بها الزمان، وطوتها ظلمات القرون . وكان هذا ظن من يعرف الشاهنامه ويعرف أنها ترجمت الى لغتنا من الأدباء حتى البستانى مترجم الالياذة . فهو يقول فى مقدّمة إلياذته :

" ثم إنه لا يخفى أن الشعر إذا ترجم نثرا ذهب رونقه، وبهت رواؤه. والظاهر أن هذا الحكم انطبق على تعريب الشاهنامه فأهملها الناس . وإلا فما ذهبت ضياعا، وبقيت أثرا بعد عين، نقرأ عنها فى كتب التاريخ وليس فى الأدباء من روى لنا منها حديثا مذكورا [1] " .

٢

وبينا أقرأ فى كتاب الأستاذ براون " تاريخ الآداب الفارسية " وكان هذا منذ ستة اعوام فيما أظن، عرفت أن نسخة من الترجمة العربية فى مكتبة كمبردج فسرت فى نفسى هزة الفرح والظفر وقلت : " لقد كُفيتُ ترجمة الشاهنامه وإنها لعبء فادح " . وصح العزم حينئذ أن أحصّل الكتاب ثم أنشره .

---

(١) الالياذة ص ٦٧

سافرت الى لندره سـنة ١٩٢٧ م معتزما الذهاب الى كبردج للاطلاع على الكتاب ، بعـد الفراغ من العمل الذى سافرت من أجله . فلما كان يوم ٧ ديسمبر، وهو آخر أيام العمل ، قابلت الأستاذ نكلسون فى مدرسة الدراسات الشرقية ،وكان جاء اليها يومئذ لامتحانى. وجمعتنا بعد الامتحان حفلة مدرسية فقلت للأستاذ الصـديق المأسوف عليه السير توماس أرنولد : إنى أريد أن أذهب الى كبردج للاطلاع على كتاب الشاهنامه المعرّب . فكلّم الأستاذَ نكلسون فى هذا وسأله أن يسنّى لى الاطلاع على الكتاب فواعدنى الأستاذ أن أقابله فى داره بكبردج .

ذهبت الى كبردج يوم الاثنين تاسع ديسمبر وأممت الدار المعمورة حيث شرفت بلقاء الأستاذ . ثم واعدنى اللقاء صباح الغد للذهاب الى المكتبة . فلمـا جئته فى الموعد سرنا الى المكتبة العظيمة وتوغلنا فى أروقة كبيرة حافلة بالكتب حتى وقف الأستاذ على أحدعمال المكتبة فكلمه فجاء بالكتاب بعد قليل . فوضعه الأستاذ بين يدىّ وسلم وانصرف . فله الشكر مضاعفا مكررا .

تصفحت الكتاب فاذا آخره : " وهـذا ما انتهى الينا من أخبار رستم . والحمد لله على التمـام والكمال والله تعالى أعلم الخ". فعرفت أن الكتاب ناقص،وأوجست خيفة أن يكون المترجم قد وقف عند هذا الحدّ . وقد ظن الأستاذ براون من هذه الخاتمة أن الكتاب لم يترجم كله[1] . وسيأتى وصف هذه النسخة

مررت بباريس فى طريق الى مصر فقابلت العالم الفاضل محمد بن عبد الوهاب القزوينى فأخبرنى أنه رأى فى مكتبة برلين نسخة من الكتاب وأنه عسى أن تكون نسخة أخرى فى مكتبة باريس .

عدت الى القاهرة فسارعت فعرضت الأمر على " لجنة التأليف والترجمة والنشر" فاتفقنا على أخذ الأهبة لطبع الكتاب . وطلبت من مكتبة الجامعة المصرية تحصيل نسختى كبردج و برلين . وسيأتى وصفهما .

و بينا أنتظر تصوير النسختين و إرسالها عثرت بدار الكتب المصرية على نسـخة من الكتاب منقولة بالتصوير عن نسخة فى مكتبة كوپريلى فى الآستانة . فتصفحتها فاذا الترجمة تستوعب الشاهنامه كلها فسررت كل السرور بما علمت أن الترجمة العربية كاملة . واستمرت الكتاب وقرأته فرأيت فيه من الغلط والتحريف والسقط ما أبينه حين أصف هذه النسخة بعد .

---

(١) انظر فهرس المخطوطات الاسلامية بمكتبة جامعة كبردج ، لبراون .

ثم جاءت مصورات كبردج و برلين فاذا نسـخة برلين كاملة متقنة ذات فهرس ، لا تقاس بهـا نسخة كبردج الناقصة ولا نسخة كو پريلى السقيمة. فاتخذتها أصلا وشرعت فى نسخها تمهيدا للطبع .

ولـما سافر الأستاذان الفاضلان أحمد أمين وعبـد الحميد العبادى الى الآستانة سنة ١٩٢٨ م . وتقبا فى مكاتبها عن نفائس الكتب العربيـة اطلعا على نسخة من الكتاب كاملة والجزء الثـالث من نسخة أخرى فى مكاتب "طوب قپو سراى" – وهى مكاتب السلاطين التى لـمّا تفتح للطالعين حتى اليوم، و يرجى فتحها عما قليل بعـد الفراغ من ترتيب فهارسها وكتبها – فلما رجع الأستاذان وعرفانى بمـا عثرا عليه أرجأت طبع الكتاب حتى أحصل على هاتين النسختين .

سافرت الى الآسـتانة صيف ١٩٢٩ م وسعيت للاطلاع على النسختين وتصو يرهما فتسنى لى ما أردت باذن العالم الفاضل خليل أدهم بك مدير متاحف " طوب قپو سراى" فله الشكر الجزيل .

اجتمع لى إذًا ثلاث نسخ كاملات : نسخ برلين، وكو پريلى، وطوب قپو سراى (السلطان أحمد)، ونسختان ناقصتان : نسخة كبردج التى تحتوى نحو نصف الكتاب الأول، ونسخة طوب قپو سراى (قصر روان) وفيها الثلث الأخير من الكتاب .

٣

وهذا وصف النسخ على ترتيب كمالهـا وجودتها :

(١) نسخة برلين . وهى التى اتخذت أصلا . و يرمز اليها هكذا : صل .

وهى حسنة الخط متقنه . وسقطها قليل إلا فى النصف الثانى حيث يكثر السقط الناشئ من تشابه النهايتين [(١)] .

ومن سننها فى الرسم أنها لا ترسم الألف بعد واو الجماعة إلا فى مواضع قليلة تشبه أن تكون سهوا من الناسخ . وأن الهمزة التى بعـد مد لا ترسم إلا نادرا مثل سمآ وصحرآ . والهمزة المكسورة ترسم ياء منقوطة، والهمزة التى يليها مد تكتب ألفين مثل شآ ايب ومآ ارب . و يظهر أنها ترسم الهمزة بحسب حركتها فى مثل هياة وجاؤوا وملجاؤنا ، وملجاء . ولا تطرد فيها قاعدة لرسم الهمزة اضطرادا تاما .

كتبت هـذه النسخة سنة ٦٧٥ هـ عن نسخة المؤلف – كما يرى القارئ فى نهاية الكتاب – فى٥٣٤صفحة مرقمة بعدد الأوراق لا الصفحات . فآخر رقم فيها ٢٢٧ . وتسطيرها ٢٧ . وقدكتب

(١) أى تشابه نهايتى جملتين . وذلك يؤدى أحيانا الى ترك الناسخ نهاية الأولى الى نهاية الثانية .

فى الحاشية العليا من الصفحة العاشرة : " الثـانى من معرب شاه ناماه " وعلى الصفحة العشرين : " الثالث من معرب شاه ناماه " وهكذا كل عشر صفحات. وعلى حواشى بعض الصفحات : " بلغت المقابلة بالأصل المكتوب بخط المترجم " . وفى حاشية الصفحة الأخيرة : " بلغت المقابلة بالأصل المكتوب بخط معرّبه" .

وفى صفحة العنوان بخط يشبه خط الكتّاب :

كتاب شاه ناما للفردوسى نقله — فتح الأصفهانى من لسان الفارسى الى العربى — رحمهم الله جميعا وغفر لكاتب هذه — الأحرف ونوّله مراده — وهو الحسين بن ابراهيم الخالدى سنة — ٧٧١ — هجرية[(١)] .

ويظهر أن التاريخ كتب ٨٧١ ثم أصلح فصار ٧٧١

والذى يقرأ هذه الديباجة ويقرأ الخاتمة يرى اختلاف الكاتبين والتاريخين ؛ فالكاتب فى الأولى الحسين بن ابراهيم الخالدى، والتاريخ ٧٧١ ، والكاتب فى الثانية يوسف بن سعيد الهروى والتاريخ سنة ٦٧٥ . وهنا احتمالان : أن يكون الحسين بن ابراهيم كتب النسخة التى بأيدينا، ويوسف ابن سعيد كتب نسخة نقلت عنها هذه النسخة، ويكون الحسين نسخ اسم الكاتب الأول والتاريخ كما وجدهما .

والثانى أن يكون الحسين بن ابراهيم إنما كتب كلمات فى صفحة العنوان ومن أجل هذا سمى نفسه "كاتب هذه الأحرف" . وأرجّح أن السطرين الأوّلين من العنوان كتبهما يوسف بن سعيد ؛ وأن "رحمهم الله جميعا الخ" زادها هـذا الحسين بن ابراهيم بخط قريب من الأوّل . ولذلك نجـد سياق العنوان مضطربا؛ فبعـد ذكر الفردوسى والأصـفهانى فى السطرين الأوّلين نجد صيغة الجمع "رحمهم الله" . ويؤيد هذا أن النساخ لم يتعوّدوا أن يكتبوا أسماءهم فى صفحة العنوان بل فى آخر الكتاب . فيوسف بن سعيد اذًا هو كاتب هذه النسخة سنة ٦٧٥ هـ .

ويظهر أن هـذه النسخة هى التى رآها كاتب چلبى حينما كتب "كشف الظنون" فقـد ذكر فى كتابه أن تعريب الشاهنامه انتهى سنة ٦٧٥ . وهـذا غلط كما يعرف من تاريخ المترجم والسلطان الذى ترجم له الكتاب . وانما هـذا تاريخ نسختنا . فكأن صاحب كشف الظنون ظن أن تاريخ النسخة التى بيدنا هو تاريخ تعريب الكتاب . ويؤيد هذا أن النسخة، كما يفهم من أسماء مالكيها،

(١) الخطوط القصيرة التى يراها القارئ، تدل على نهاية السطور فى الأصل .

كانت فى استانبول فى حياة كاتب چلبى المتوفى سنة ١٠٦٨ هـ . وسيأتى بيان هذا. وقد لفت نظرى الى هذا الفاضل العلامة محمد بن عبد الوهاب القزوينى فى رسالة من باريس عام ١٩٢٨ م :

وفى يمين صفحة العنوان بجانب السطر الثانى من العنوان هذه الجملة : " الله حسبى . من كتب أبى بكر بن رستم بن أحمد الشروانى". وبعده، فى ثمانية سطور قصيرة مائلة مشطوبة، هذه الكلمات : ملكه من فضل الله العبد الفقير المعترف ـ بالذنوب والتقصير أقل عباد ـ الله، وأحوجهم الى رحمة الله الحاج أحمد ـ بن الحاج محمد بن الحاج أحمد بن الحاج ـ على بن الحاج حسن الشهير بابن الزينبيه (؟)ـ الشراباتى بحلب المحروسة بسوق الصابون ـ . غفر الله لمن نظر فيه وقرأ له ـ الفاتحة .

وأسفل من هذا الى اليسار بخط جميـل فى خمسة سطور : "هو ـ استصحبه العبد الآثم ـ چلبى زاده اسمـاعيل عاصم ـ جعـل الله سـبحانه التقى زاده ـ ووفـر سره وزاده ـ خلال سنة ١١٣٨" .

وتحت هـذا فى أربعة سطور : "ثم استصحبه العبـد الكثيب السـيد محمد منيب ـ جعل الله تعالى التقوى زاده ـ وعامله بالحسنى وزيادة ـ آمين " .

ويهمنا هنا اسمان : أبو بكر بن رستم بن أحمد الشروانى . وچلبى زاده اسماعيل عاصم .

اسماعيل عاصم هو شيخ الاسلام المؤرخ الشاعر المتوفى سنة ١١٧٣هـ . وأبو بكر بن رستم مشهور باقتناء الكتب النفيسة النادرة . توفى فى استانبول سـنة ١١٣٩ ودفن فى حظيرة جامع السليمانيـة . ويظهر لى أنه ملك الكتاب قبل اسمـاعيل عاصم ثم ملكه اسمـاعيل عاصم سـنة ١١٣٨ كما ذكر . وأما السيد محمد منيب فأظنه مترجم السير الكبير المتوفى فى آيدين سنة ١٢٣٨ ، والشراباتى اسم أسرة معروفة فى حلب .

ثم الصفحة الأخيرة من الكتاب مكتوبة الى نحو نصفها فقط . وفى ظهرها أبيات عربية وفارسية كتبها أحد القراء . ثم ورقة مكتوب فى صفحتيها فهرس للكتاب، وفى أعلى الصفحة الأولى منها الى اليمين اسم أبى بكر بن رستم ، كما فى صفحة العنوان، والى اليسار اسمان كتبا قبل كتابة الفهرس : "صاحبه العبد الفقير ـ مصطفى عفى الله عنه ـ بعونه" . وتحت هذا هذه الجملة فى خمسة أسطر : ثم دخل فى سلك ملك الفقير ـ الى الغنى القدير عطاء الله الشهير ـ بنوعى زاده القاضى ـ سابقا غفر لهما ـ فى سنة ١٠٣٣ ـ وثمنه ١٥٠٠" .

وبعد ذلك صفحة فيها أبيات من الشاهنامه فى ثلاثة أسطر .

ونوعى زاده هو أحد علماء القرن الحادى عشر الهجرى ومؤلف ذيل الشقائق النعمانية .

و يظهر مما تقدّم أن نوعى زاده أقدم الملاك الذين كتبوا أسماءهم على الكتاب بعد مصطفى الذى لا نعرفه . وهذه الأسماء لا ترجع بالنسخة الى ما قبل القرن الحادى عشر .

(٢) نسخة كبردج[1] . وهى التى يرمز اليها بالحرف ك .

وهى نسخة ناقصة فيها من أوّل الكتاب الى مقتل رستم ، مكتوبة فى ٢٩٧ صفحة . كل صفحة ٢٥ سطرا . وخطها واضح ولكنه ليس جميلا . ويرى ملدكه ورِيو أنها كتبت فى القرن الثامن الهجرى[2] . ومن سنتها فى الرسم أنها ، كنسخة برلين ، لا ترسم الهمزة بعد الألف الممدودة فى مثل السمآ وتضع علامة على الراء والسين ، وهى مضطربة فى رسم الهمزة .

وعنوانها مكتوب فى حلية جميلة ، فى أعلاها مستطيل فيه : " كتاب امتثال أمر الملك المعظم فى أخبار ملوك العجم " . ولكن المستطيل لم يتسع لكلمة "العجم" فكتبت وحدها فى دائرة منقوشة الى اليسار .

وفى أسفل الحلية دائرة فيها الأسطر الآتية :

وهو تعريب كتاب شاه نامه — مما ارتجزه باللسان الفارسى الأمير الكبير الأديب — الحكيم المطلع البليغ المفتّن أبو منصور بن الحسن الفردوسى — رحمه الله وعفا عنه بكرمه — للسلطان الأعظم السعيد الشهيد محمود بن سبكتكين — رحمه الله تعالى وأثابه الجنة بمنه — واعتنى بسجع تعريبه الشيخ الإمام الجليل البليغ الفاضل — الفتح بن على بن محمد بن الفتح البندارى الأصبهانى — رحمه الله تعالى وتجاوز عنه بفضله .

وآخر النسخة : " وهذا ما انتهى الينا من حديث رستم ، على التمام والكمال . والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . والحمد لله رب العالمين " .

وفى حواشى صفحة العنوان أسماء سبعة مالكين . يظهر أن أقدمها اسمان ، على يسار الديباجة : "دخل فى نوبة العبد الفقير محمد الخفاجى المصرى عفى عنه سنة ١٠٢٩" . ومحمد الخفاجى هذا أظنه أبا شهاب الدين الخفاجى المصرى الشاعر العالم المعروف المتوفى سنة ١٠٦٩ ، وفوق الديباجة فى سبعة أسطر قصيرة " مما ساقه سائق التقدير الى نوبة — عبد الرحمن الفقير الى رحمة ربه الخطير — الشهير

(١) (Cambridge, Ms. QQ. 46) (٢) الحماسة الايرانية ص ٧٧ ، وفهرس المخطوطات الاسلامية لبراون

بقاضي زاده بلغ فى — الدار بن مراده — فى سنة خمسين بعـد الألف — من الهجرة بقسطنطينية العظمى — بثمن قدره ٩٥٠ عثمانى " .

ويقابل صفحة العنوان صفحة بيضاء، قبلها صفحة كتب فى أعلاها فى الوسط : " من كتب العبد الفقير اليه سبحانه — محمد أمين بن صنعى عفى عنهما" . وفى زاويتها العليا اليسرى فى سطرين: "ترجمه شاه نامه فردوسى بزبان عربى" وتحت هذه الجملة خمسة أسطر مائلة الى اليمين فيها: "تاريخ صلاح الدين يوسف بن — أيوب ونور الدين الشهيد يعرف — بكتاب زهر الروضتين فى أخبار — الدولتين لمولانا أبو شامه وهى — فى الخزانة المحمودية يطالب إنشاء الله" وتحت الأسطر ختم

ويقابل هذه الصفحة صفحة بيضاء . وقبل الصفحة البيضاء صفحة كتب فى زاويتها اليسرى العليا : " مما من الله به على العبد الفقير — مصطفى بن محمد — ابن ؟

وفى أعلى الصفحة المقابلة لهـا الى اليمين : قيمت باره غروش
١٠ ١

(٣) نسخة طوب قپوسراى (كتب السلطان أحمد — تاريخ ٢٠٧ — ٢٩٩٦) . وهى المرموز اليها بالحرف طا . وهى فى ٣٧٤ ورقة . وتسطيرها ٢٥، حسنة الخط مشكولة شكلا كاملا لا يخلو من الغلط والاضطراب . ومن خصائصها رسم الألف بعـد واو الفعل فى مثل يدعو، ويرجو، ونقط الياء المتطرفة فى مثل الذى ووضع نقطة تحت الدال وثلاث تحت السين .

وفى صفحة الديباجة ثلاثة نقوش جميلة متوالية من أعلى الصحيفة الى أسفلها : مستطيل فدائرة فمستطيل . وعلى يسار المستطيل الأعلى حلية تشبه الخاتم . وبين نقوش المستطيل الأول فى سطرين : " امتثال أمر الملك المعظم — فى ترجمة أخبار ملوك العجم " . وفى الدائرة : " صنعه المملوك الأصغر الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى" .

وفى المستطيل الأسفل أربعـة أسطر : " برسم خزانة الصاحب المخدوم — المعظم نجم الحق والملة والدين — افتخار الملوك والسلاطين — أعز الله أنصاره بمحمد وآله " .

والكتابة فى المستطيل الأخير تلوح كأنها نقش فلا تقرأ إلا بتأمل . وتحت الزاوية اليسرى السفلى من المستطيل الأعلى إمضاء يشبه الطغراء تبينت فيه : "أحمد مصطفى" أو "أحمد مصطفى خان" .

وتحت المستطيل الأسفل ختم . وفى أعلى الصفحة بخط أحد المطالعين أو الملاك : " كتاب تواريخ ملوك العجم بالعربية" .

وفى الزاوية اليسرى العليا : "نظر فى هذا الكتاب محمود بن محمد الاقصرائى الحنفى عامله الله تعالى بلطفه الخفى .

وفى أســفل الصفحة بيــان المكتبة فى ثلاثة أسطر : "تاريخ – ٢٠٧ – ٢٩٩٦" ثم : "عدد الأوراق ٣٧٤" .

وفى الصفحة الأولى من الكتاب، فى الزاوية العليا اليمنى خاتم فيــه " الحمد لله الذى هــدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله". ثم طغراء فيه : "وقف السلطان أحمد بن محمد خان الثالث . وفى الصفحة التى قبل صفحة العنوان الكلمات التى فى العنوان نفسه بقلم رصاص . وتحتها : هو ترجمة الشاهنامه للفردوسى الى العربية بأمر السلطان أبى الفتح عيسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب . ثم إمضاء " أحمد زكى " . وأظنه صاحب السعادة أحمد زكى باشا .

وفى آخر الكتاب :

وهــذا آخر الكتاب . قال معرّب الكتاب رضى الله عنه فى نسخته المنقول منهــا هذه النسخة المباركة : وقع الفراغ من تعريبــه وتحريره فى عاشر شوّال ســنة إحدى وعشرين وستمائة . وكان الافتتاح به فى أوائل جمــادى الأولى من سنة عشرين وستمائة بدمشق المحروسة . والحمــد لله تعــالى .

نجزت فى سابع المحرم ســنة اثنتين وتسعين وستمائة الهلالية على يد العبد الفقير الى رحمة الله تعالى على بن أحمد الموصلى معيد المدرسة النظامية المعروف بابن الشهرستانى تغمدهم الله جميعا برحمته وغفرانه وتعمدهم بلطفه واحسانه .

والحمد لله رب العالمين وصلواته – على سيدنا محمد النبى الأمى وآله وصحبه – وسلامه وتحياته وإكرامه " .

وتحت هذا مستطيل فيه :

"بلغت المقابلة بنسخة المعرّب المنقول منها رحمه الله تعالى – ووافق الفراغ منها آخر نهار الثلثاء سابع عشر صفر ختم – بالخير من السنة المؤرخة ولله الحمد على نعمه وإحسانه" .

ويرى القارئ عناية الناسخ بنقل خاتمة المعرّب، وبتأريخ النسخة، وتاريخ مقابلتها بنسخة المعرّب عناية لا تدع مجالا للشك والبحث .

ويتبين مما تقدم أن هذه النسخة أخذت عن نسخة المترجم بعد إحدى وسبعين سنة من تعريب الكتاب، وأنها كتبت بعد النسخة الأولى نسخة برلين بسبع عشرة سنة . فليس يبعد اذًا أن كلا الناسخين قد نقل من نسخة المعرّب كما يدعيان .

ويتبين كذلك أن هـــذه النسخة لم تكتب لخزانة الملك المعظم ، وأن الناسخ نقل العنوان الذى وجده على نسخة المعرّب فكتب "صنعه الملوك الأصفر الخ" .

(٤) نسخة طوب قپو سراى (قصر روان ١٦٠٨) . وهى المرموز اليها بالحرف طر . مكتوبة بخط جيـــل مشكول . ولكنها كثيرة الســـقط . والذى فى يدنا منها هو الجزء الثالث فقط . وهى فى ٣٧٦ صفحة . وتسطيرها ١٥ ، ورسمها كرسم طا ، وكأنها مأخوذة عنها .

وصفحة الديباجة تشبه ديباجة كمبردج شبها قريبا ؛ كتب فى مستطيل أعلى الديباجة : "الجزء الثالث من امتثال أمر الملك المعظم فى أخبار ملوك العجم" ســطرا واحدا . وفى دائرة كبيرة فى بقية الديباجة صيغة العنوان الذى على نسخة كمبردج مع تغيير قليل، فى تسعة أسطر : "وهو تعريب — كتاب شاه نامه . مما ارتجزه باللسان الفارسى — الأمير الكبير الأديب الحكيم المطلع البليغ المتقن — المفنن، أبو القاسم منصور بن الحسن الفردوسى رحمه الله تعالى — وعفا عنه بمنه وكرمه . للسلطان الأعظم السعيد الشهيد — محمود بن سبكتكين رحمه الله تعالى .واعتنى بسجع — تعريبه الشيخ الامام الجليل البليغ المتقن الفاضل على — ابن الفتح البندارى الأصفهانى رحمه الله تعالى — وتجاوز عنه بفضله".

وفوق الديباجة سطر مشطوب فيه : " المجلد أخير من كتاب ترجمة كتاب الفردوسى بالعربية فى التواريخ" ! ! . وتحته : "نسخ ١٥" .

والى يسار الزاوية العليا اليسرى من الديباجة الخاتم السلطانى الذى تقدم وصفه فى الكلام عن النسخة الثالثة (طا) . وتحت الخاتم سطران : "جلد ثالث من ترجمة شاه نامه — فردوسى بالعربية بخط نسخ" . وتحته : "سطر ١٥" . وتحت ذلك : "ورق ١٨٨" و"صحيفة ٣٧٦" .

وفى آخر الكتاب : "وهذا آخر الكتاب . قال معرّب الكتاب رحمه الله فى نسخته المنقول منها نسخة هـــذه النسخة المباركة : وقع الفراغ الخ العبارة التى فى آخر نســخة طا" . ثم تاريخ النسخة فى أربعة أسطر : "وافق الفراغ منه فى يوم الخميس ثانى عشرى شهر الله المحرم سنة اثنين وسبعين وســبعمائة بدمشق المحروسة . الحمد لله رب العالمين . وصلى على سـيدنا محمد وآله وصحبه وسـلم . وحسبنا الله ونعم الوكيل" .

وبعد الصفحة الأخيرة أربع صفحات فيها أبيات تركية على غير نظام .

فهذه النسخة مكتوبة بعد النسخة الثالثة (طا) بثمانين سنة .

ورسم هذه النسخة يشبه رسم (طا) . وهى توافقها حين تختلف النسخ بل توافقها فى الغلط والسقط . فاذا نظرنا الى هذا والى الخاتمة التى نقلت فيها خاتمة المعرّب فى النسختين ، ونظرنا الى أن كاتب طا يقول أن نسخته نقلت من نسخة المعرب ، وكاتب هذه النسخة يقول أنها نقلت من نسخة منقولة عن نسخة المعرب ، ونظرنا الى أن النسختين كلتيهما مكتوبتان فى دمشق رجحنا أن تكون هذه النسخة (طر) منقولة من طا . ولكن ديباجتها لا تشبه ديباجة طا التى نقلت فيها ديباجة المعرّب نفسه ، بل تشبه ديباجة ك كما تقدّم . و (ك) ليست كاملة فليس عندنا تاريخها ولا خاتمتها . والجزء الذى فى يدنا من ك لا يشارك الجزء الذى عندنا من هذه النسخة فلا نستطيع أن نبين الصلة التى بينهما إلا هذا التشابه بين الديباجتين والعنوانين .

(٥) النسخة الخامسة نسخة كوپريلى (مكتبة كوپريلى باستانبول رقم ١٠٦٤) وهى المرموز اليها بالحرف كو .

اجتمع فيها رداءة الخط والسقط الكثير الذى يتناول أحيانا أسطرا كثيرة ، والتحريف الشنيع ثم التصرف فى عبارة المترجم للسجع أو التفصيل أو اختيار كلمة مكان أخرى ، أو التمثل بأبيات .

فمن أمثلة الزيادة ما جاء فى فصل قباذ الأول ، فالنسخ تتفق على هذه العبارة : "إن خلصتنى من هذا الحبس اتخذتك صاحبا ووزيرا " وهذه النسخة تزيد : " وكنت لك ما عشت ناصرا وظهيرا[1] " . وفى فصل مزدك : "الذى يمنع الناس عن سلوك طريق السداد " تزيد بعدها : " فيردّهم عن الاستقامة على منهج الرشاد[2] " وأمثال هذا كثير جدا . ويقول المترجم فى بعض المواضع : " قلت " فتضع مكانها : " قال الفتح بن على بن محمد البندارى مترجم الكتاب[3] " .

وأما التحريف فكان يخيل إلى وأنا أطالعها أن كاتبا كليل البصر سريع النسيان يجهل اللغة العربية كُلّف نسخ الكتاب . فهو لا يرى الكلمات على حقيقتها ، ولا يقرأ ما يراه على حقيقته . ثم ينسى ما قرأه حين يكتب . وهذه أمثلة من التحريف الشائع فى كل صفحة من الكتاب :

(١) ص ٢٩٠ كو ج ٢ . (٢) ص ٢٩٣ كو ج ٢ و ١١٩ ج ٢ من هذا الكتاب . (٣) ص ٢٩٠ ج ٢ كو .
(٤) انظر ٢٤٩ و ٢٢٨ و ٢٨٤ ج ١ كو ، الخ .

" وكان ذا عناية بمن يكون " تحرف الى " وكان داعيا به نحن يكون" . " ووراء سترى أربع صفار" تحرف الى " وقد اشترى أربع صفار" . "واحتفال أهلها" تحرف الى "واستئصال أهلها". " وأن نعطيه ترمذ وواشجرد " تحرف الى " يعطيه ما يريد وأشجر " . وبيت المترجم :

جحافل قد سدّوا السكاك بعثير تلبد حتى باض فيــه قشاعمه

يحرّف الى :

جحافل قــد شدوا الشكال بعنتر ملبد حــتى فاض فيــه قشاعمه

وكان من سوء الحظ أنى حصلت على هذه النسخه قبل غيرها فقرأت معظمها متلمسا معانيها من وراء أغلاطها .

وفى صفحة الديباجة أعلاها سطر واحــد : " كتاب تاريخ مولانا شاهنامه" !!! وفى أسفلها سطر آخر : "للعلامة الفردوسى كان بالعجمى" . وفى الوسط : "عربه علامة الزمان وترجمان الأوان شرف الدين الفتح بن على بن محمد بن الفتح البندارى الأصفهانى رحمهما الله تعالى" .

والى يسار الديباجة من أعلاها خاتم فيه : " هــذا ما وقف الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبى عبد الله محمد . عرف بكوپريلى أقال الله عثارهما" . وتحت هذا رقم ١٠٦٤

وفى الصفحة الأخيرة :

وهــذا آخر الكتاب . والحمد لله حق حمده . وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين آمين آمين آمين .

وكتبه العبد الفقير الحقير الراجى عفو ربه القدير نجم الدين الأزهرى الشافعى مذهبا والشعراوى عقيدة غفر الله تعالى له ولوالديه ولمن دعا له بالرحمة آمين آمين آمين . سنة ٩٦٧

ثم صفحة بها أسطر قصيرة فيها هذه الجمل المضطربة المتناقضة :

"يقول محرر هذه الأحرف الضعيفة وسطر هــذه الكلمات الظريفة محمد بن أحمد بن محمد الشهير بسكيكو بين البرية، الخطيب :

يوم تاريخه بالعادلية بمحروسة حلب المحمية طالعت هــذا الكتاب معتبرا بقصصه مسليا النفس بما رأيت من أخبار ما لقى الأكابر فى الدهر من جوره وغصصه .

وأنا يومئذ بمحروسة القسطنطينية أتجرع الغصص لأمور دنية دنياوية . وكان إتمامى لجنى ثماره بعــد اقتطاف أزهاره عشية السبت رابع رمضان من شهور ســنة اثنين وثمانين وتسعمائة أحسن الله ختامها . وكنت قــد طالعته مرة أخرى قبلها . وهو عارية عندى لشمس الفضائل وبدر الأماثل محمــد چلبى الشهير نسبه الكريم بابن پير محمــد افندى القــاضى يوم تاريخه بمحروسة شيزر من أعمال حلب . فان قضى الله بالموت وآذن بالفوت قبل إيصاله اليه لجزى الله خيرا من ردّه عليه . قال ذلك بفمه ورقمه بقلمه العبد المذكور أعلاه بلغه الله مناه، وهو يومئــذ بخان پرتو باشا الواقع بوفا ميدان من محروسة إسلام بول .

٤ رمضان سنة ٩٩٤"

وبعد هذا : "طالع ما فيه الخطيب محمد سنة ٩٩٠"

وقد فهمت من هــذه الجمل المضطربة أن الرجل كتب هذه الكلمات باستانبول ووضع تحتها تاريخ ختمه الكتاب فى حلب، وعنى هذا التاريخ بقوله : يوم تاريخه الخ .

مقارنة النسخ الخمس إجمالا :

تبين ممــا تقدّم صفات كل نســخة وعلاقة بعض النسخ ببعض . والخلاصــة أن نسخة برلين تخالف النسخ الأخرى فى أكثر مواضع الخلاف . وما عدا برلين تتشابه رواياتها، وأحسب النسخ الثلاث — نسخة كبردج ونسختا طوب قپو سراى مأخوذة بعضها من بعض أو مأخوذة من أصل واحد .

ثم النسخ كلها ماعدا كوپريلى المحرّفة المضطربة متقاربة جدا، حافظ نساخها على الأصل على قدر طاقتهــم، ولكنهم لم يسلموا من الغلط والسهو . والنسخ يصحح بعضها بعضا ويكمل بعضها بعضا وأكثر خلافاتها فى ألفاظ لا يختلف المعنى باختلافها .

٤

جعلت نسخة برلين أصلا للكتاب إذ رأيتها أقدم النسخ وأجدها تاريخا، ولمــا يبدو من الاتقان فى كتابتها ومقابلتها بالأصل .

وأثبتّ اختلاف النسخ الأخرى فى الحاشية إلا أن تكون رواية أصح من رواية النسخة التى جعلتها أصلا، فأدخلها فى سياق الكتاب وأبين هذا فى الحاشية ذاكرا النسخة التى صححت منها دون النسخة التى توافق الأصل .

٥

وكنت أريد أن أقابل الترجمة كلها بأصلها الفارسي ولكن وجدت هذا متعذرا أو مســتحيلا . فاكتفيت بمراجعة الأصل حين يضطرب سـياق الترجمة ، أو يغمض الكلام ، وحين أجد معنى لا يشبه أن يكون من معانى الشاهنامه ،وحين أعرف أن المترجم قد اختصر أو حذف.وقد اهتديت فى هذا بعناوين الشاهنامه التى أثبتها كلها فى الحواشى ، وبالفهارس المفصلة فى ترجمتى ورنر، ومول، وبمـا أعرف عن الكتاب من قبل .

وقد أكملت الترجمـة فى مواضع كثيرة فأثبتّ فصولا أو نبـذا حذفها المترجم كلما رأيت فائدة فى إثباتها . وأثبتّ ما ترجمتُه فى الحاشية إلا أن يكون فصلا كاملا فأثبته فى متن الكتاب بين قوسين كبيرين مبينا هذا فى الحاشية أيضا . وقد نظمت ممـا ترجمت فصولا أردت أن تكون نموذجا من شعر الشاهنامه[1] .

٦

ورأيت الكتاب فى حاجة الى التعليق لشرح غامضه أو لمقارنته بالأصل الفارسى، أو لرد بعض أساطيره إلى أصلها، أو تبيين ما بين تاريخه والتواريخ الأخرى من اتفاق واختلاف . وقد اسـتلزم هذا مراجعة كتاب زردشت (الأبستاق) وكثير من المصادر العربية والفارسية والأوربية .

٧

وأردت أن يطبع التعليق بحرف صغير ولكن صعوبة شكل الكلمات بهـذا الحرف ، وإرادة التيسير للقارئ أوجبتا طبعـه بحرف كبير .

وجعلت التعليق الطويل فى الحاشـية الأولى معلما بهذه العلامة § والتعليقات القصيرة ، وهى شرح كلمة أو جملة أو بيان لخلاف صغير بين الترجمة والأصل، كتبت مع اختلاف النسخ فى الحاشية السفلى بحرف صغير .

وأردت أن يميز القارئ بين علامات التعليقات الصغيرة وعلامات اختلاف النسخ فجعلت علامات التعليق حروفا وجعلت علامات اختلاف النسخ أرقاما . فان كثيرا من القراء لا يبالى باختلاف النسخ على حين يعنى بقـراءة التعليقات فلو كانت العلامات نمطا واحدا اوجب على القـارئ أن ينظر كل

(١) انظر ص ١٤٧ ج ١ الآتية، وص ٢٩ ج ٢ الخ .

علامة فى الحاشية ليرى أهى للتعليق أم لبيان الاختلاف . على أن هذا لايكون إلا فى متن الكتاب. وأما الحواشى فلها علامات متجانسة، وهى الأرقام فقط لأنه ليس فيها اختلاف نسخ .

٨

كتابة الأعلام الفارسية وشكلها :

حيثما ير القارئ فى الكلمات الأجنبية هـذه الكاف ڪ فلفظها كالجيم فى لغـة أهل القاهرة أى مثل الكاف الفارسية والتركية فى مثل ڪُل (الورد) وكحرف G فى مثل (Garde) فى الفرنسية والانكليزية .

ووضعت لشكل الأعلام الأجنبية قواعد يسيرة نافعة أود أن يشيع الاصطلاح عليها وهى :

(١) الحرف الذى يليه حرف مدّ لا يحتاج إلى شكل .

(٢) والحرف فى أوّل الكلمة إذا لم يشكل فهو مفتوح لأن الفتح أكثر الحركات وأخفها .

(٣) والحرف الذى ليس أوّل إذا كان ساكنا لا يشكل .

(٤) والرابعة، وهى قاعدة لم أعتمد عليها كثيرا تخفيفا على القارئ، أن الحرف الذى يقع بعد حرف ساكن، لا يشكل إذا كان مفتوحا . ومعنى هذا أن الحرف فى أوّل المقطع كالحرف فى أوّل الكلمة، فان لم يشكل فهو مفتوح .

(٥) الهمزة تكتب تحت الألف إن كانت مكسورة، وفوقها إن كانت مفتوحة .

بهذه القواعد اليسيرة الطبيعية يستغنى عن ضبط معظم الحروف . كما يتبين من هذه الأمثلة :

أفـريدون : لا يحتاج إلى شكل مّا، ولا تقرأ بهذه القواعد إلا أَفْرِيدُون ؛ الألف مفتوحة لأنها أوّل الحروف، والراء والدال بعدهما مدّ، والفاء غير مشكولة فى الوسط فهى ساكنة .

سِياوخش : تشكل فيها السين فقط : الياء بعدها مدّ، والواو مفتوحة لأنها فى الوسط بعد ساكن أى لأنها أوّل مقطع، والخاء ساكنة لأنها فى الوسط وليست بعد ساكن .

أفراسِياب : تشكل فيه السين فقط؛ الهمزة مفتوحة لأنها أوّل الحروف ولأنها فوق الألف . والفاء ساكنة لأنها وسط وليست بعد ساكن، والراء والياء بعدهما مدّ .

روذابــه : لا تحتاج إلى شكل ولا تقرأ إلا رُوذَابه .

جمشــيد : » » إلا جَمْشِيد .

أنوشِروان : تشكل فيه الشين فقط .
بهــــرام : لا يحتاج إلى شكل و يقرأ بَهْـرَام .
جــودرز : « » جُودَرْز .
كِشـــــواذ : تشكل فيه الكاف فقط و يقرأ كِشْوَاذ . وهلم جرا .

و إذا طبقت هذه القواعد فى اللغة العربيـــة استغنينا عن شكلٍ كثير جدا . مثلا فى قوله تعالى : ﴿ربِّ اشرح لى صدرى، ويسِّر لى أمرى، واحلُل عُقدة مِن لِسانى يفقهوا قولى﴾ لا نحتاج إلا الى الشكلات التى يراها القارئ . و إذا راعينا اللغة والنحو استغنينا عن أكثرها كذلك .

ثم إذا تكررت الكلمة فى الصفحة تضبط مرة واحدة .

٩

و رمــــوز الحـــاشـــــية كما يأتى :

صل = الأصل أى نسخة برلين التى اتخذت أصلا .	كو = نسخة كو پريلى [١] .
طا = نسخة طوپ قپو سراى — السلطان أحمد .	ز = زيادة بعض النسخ كلمة أو جملة .
طر = « « « « قصر روان .	لا = نقص « « « « « .
ك = « كمــــبردج .	حا = حاشية الكتّاب .

= توضع بعد رقم من أرقام المراجع للدلالة على أن المرجع هو ما تقدّم فى الرقم السابق .
ثم كلمات "المتن والحاشية، والسابقة، والآتية" تدل على أن المرجع هو هذا الكتاب نفسه .
وأما فهرس المراجع فينظر فى آخر الكتاب .

⁂

ولا يسعنى أن أختم هذه المقدمة دون أن أوجه الثناء والشكر الى حضرة محمد مصطفى نديم افندى ملاحظ مطبعة دار الكتب المصرية، والى مساعديه . فقد شققت عليهم، وسلكت بهم فى ترتيب الكتاب مسلكا غير مألوف فلم يدخروا جهدا فى العناية والاتقان . وانى لراج أن تبلغ الطباعة العربية بهم وبأمثالهم الغاية المرجوة .

(١) انظر ص ٥ و ٨ و ٩ و ١١ و ١٢ السابقة .

فهـــرس مدخل الكتاب

تنبيـــه — أعداد صحف المدخل موضوعة فى الذيل .

مدخل

الفصل الأول ـ الملاحـــم

١ ـ نشــوء المـــلاحـــم :

لكل أمة ذات أدب نصيب من القصص منظومة ومنثورة . وإنما تختلف الأمم فى الاكثار والاقلال ، والإجادة والتقصير . وليس يواتى الشعر القصصى أمة إلا بعدتجاريب ووقائع تهيج حميتها، وتثير فيها الاعجاب بمآثرها، والفخر بأحسابها فتتغنى بمناقبها وأفاعيل أبطالها ، وتنسج حول الحادثات كثيرا من الخرافات يجـد فيها كبرياء الأمة وخيالها مجالا أرحب من مجال الحقيقة المحـدود . فتنشأ قصص شتى منثورة ومنظومة . وقد يتاح لهذه الحادثات الشتيتة، والأساطير المتفرقة شاعر يؤلف أشتاتها، ويسلكها كلها فى نظام واحد فيجد الناس شـعره ترجمان مشاعرهم ، وجماع أقاصيصهم الموروثة قد أعطيت من النظام والجمـال مالم يعهدوه من قبل . فيكلفون بهذه القصص ويتخذونها سمرهم وأغانيهم فى محافل لهوهم وفخرهم . فتخلد على الزمان حديث الخاصة والدهماء، وذخر الآباء للأبناء.

وللأستاذ مول مترجم الشاهنامه إلى الفرنسية كلام فى نشوء الملاحم أعرض على القارئ خلاصته :

إن البحث فى أصل الملاحم من أشوق المباحث الأدبية وأصعبها . كل الأمم لها قصص ؛ فإن أمة لا تنشأ وتشبّ دون أن تجتاز مراحل من المخاوف تجلى فيهـا أعمال الأبطال ، ودون أن تنشئ رجالا يثيرون إعجابها وخيالها ؛ وُجدت هذه الملاحم فى جزائر بحر الجنوب حكايات مسجوعة تسجل الوقائع وزمانها، وعرفت عند الايقوسيين والاغريق الحديثين فى صورة أغانى تاريخية أنشئت ذكرى لمآثر متفرقة من مآثر الأبطال . وعند الجركس تراجم منظومة لبعض العظماء أنشدت رثاء لهم ثم حفظت فى أُسَرهم وقبائلهم ، وإذا جمعت فهى تاريخ الأمة كلها . وعنـد الأسبانيين والصرب تتقارب هذه الأغانى حتى لا يعوزها إلا أواصر قليلة لتصير ملاحم .

وكذلك نشأ تاريخ الأمم كلها : فالناس يقصون ويتغنون قبل أن يكتبوا . وعلى هذه القصص اعتمد المؤرّخون الأوّلون . ونحن نرى طابع الملاحم فى أخبار هِرُدوت المأثورة عن العصور الأولى. لا يلجأ المؤرّخ إلى هذه القصص إلا حين يملق وتعوزه الأنباء . ولكن القاصّ يجد فيها كل ما يريد فيؤلفها آثارة أدبية حافظا مادتها وصورتها جهد طاقته . فان مكنته مواهبه من الإبانة عن مشاعر

(١) مول مقدمة الشاهنامه ص III وما بعدها .

الناس وحماستهم تلقف الناس قصته الجديدة، وغنّوا بها عن الأقاصيص التى انطوت فيها . فتضيع هذه الأقاصيص حتى يتعذر على مر الزمان المقارنة بين الروايات والملاحم التى نسجت منها . ولكن تغلّب الملاحم عليها وسرعة نسخها دليل على أنها صورتها .

وكثيرا ما رأينـا شاعرا اخترع ملحمة لم يأخذ مادتها من أقاصيص أمتـه فصدّ عنهـا الجمهور وأعرض . قد أعجب الأدباء بمعانيها وعباراتها ولكن جمالها لم يغن عند العامة شيئا . ذلك هو المحكّ الوحيد للملاحم كلها ؛ إذا أقبل الناس على ملحمة وتلقفوها وأنشدوها فى محافلهم فهى ، ولا ريب ، مؤلفة من عنعنات[1] صحيحة وليس فيها للشاعر إلا حسن التصوير والتصرف فيما عرفه الناس من قبل.

وخير مثال لمـا أسميه الملحمة الصحيحة والملحمة الزائفة منظومتا هومير، ومنظومة ڤرجيـل ؛ فقد أراد ڤرجيل أن يكمل من خياله نقص العنعنات التى وجدها ولكن بلاغته كلها وجمال أسـلوبه لم يجعلا الانياد (L'Énéide) كتابا وطنيا ذائعا .

وقـد يعجب الانسـان أن قليلا من الأمم أنشأت ملاحم على حين كل أمة عندها عناصر الملاحم . ولكن تفسير ذلك بيّن : يكثر عند الأمم فى بداوتها عناصر الملاحم ولكن لا يتاح لها شاعر مطبوع قدير على أن يلحم القطع المتفرقة ويصوغها قصـة شعرية . فاذا ترعرعت آدابها فقـد ينبغ فيها شاعر يدرك الأقاصيص قبل أن تنسخها الآداب الخاصة فيخلق منها ملحمة قومية . وعلى قدر تقدم الآداب وتمكنها فى نفوس الجماهير يمّحى من نفوسهم الكلف بالملاحم، وتحل الآداب المدرسية والكتب محل القصاص . فتضيع الأغانى العامة ويغيض ينبوع الشعر القصصى . حتى اذا ملّ الناس الصنعة، كما فى زماننا، والتفتوا الى الأقاصيص القديمة لايجدون فيها مر الحياة، ايؤهلها العمل جديد... الخ . اهـ

هذه آراء قيمة، كما يرى القارئ . ولكنى أحسبها لا تطابق آداب الأمم كلها ، فالقصص العربية الجاهلية مثلا ، لم تؤلف منها ملحمة ، ولم تضع بل حفظها التدوين . ولا تزال فى بطون الكتب كافية لتأليف قصص طويلة . والشاهنامه مثل آخر، حُفظت لها الأساطير الفارسية قرونا عديدة حتى جاء الفردوسى فنظمها .

٢ — الملاحم الكبيرة :

عرفت القصص المنظومة عند كثير من الأمم القـديمة والحديثة : فى الآثار المصرية قطع من الشعر تدل على قصص واسع منها شعر بنتاهور . وللعبران ملاحم حفظت التوراة بعضها . وعند الهند

(١) يستعمل كتاب الترك كلمة عنعنات فى ترجمة الكلمة الأوروبيـة (tradition) . وهى مأخوذة من اصطلاح المحدثين فهم يسمون الحديث الذى فى سنده : عن فلان عن فلان الخ الحديث المعنعن .

القـدماء قصتا مها بْهارَتا و رامايَنا . ولليونان ملاحم قبـل الالياذة حتى قيل إن الإلياذة والأُذيسية وغيرهما مما عرف من ملاحم اليونان ليست الصورة الأولى ولا الثانية ولا الثانية عشرة من نوعها.[1] وقيل إنه قد عدّ لقدماء شعراء اليونان سبعون منظومة كالالياذة والأُذيسيةِ.[2]

ولقـدماء الجرمان والسكندنافيين ملاحم كانت ذا خطر عندهم . وللرومان ملاحم كبيرة بدءوها بترجمة الأوذيسية ثم تتابعوا فيها حتى كان ڤرجيل فنظم قصته المعروفة بالانيادة (L'Énéide) . بدأ نظمها سنة ٣٠ ق م . ومات بعد تسع سنين . وقد أوصى أن تحرق مسوّدات الانيادة إذ كان يعوزها نظم ثلاث سنين حتى تتم.[3] ولأمم أوربا الحديثـة ملاحم كثيرة جدا منها أغانى رولان عنـد الفرنسيين، وقصة هِلدِبرَند الجرمانية . ثم مهزلة دنتى الطليانى، وفردوس مِلتُن الانكليزى . وللفنلنديين منظومات كثيرة جمعها الياس لِنرُت سنة ١٨٣٥ م فصارت ملحمة كبيرة . واسمها كالَوالا .

وللعرب قصص فى جاهليتهم و إسلامهم ولكن ليس فيها قصة يسوغ أن تسمى ملحمة، ولو أُتيح لأيام العرب الجاهلية شاعر كالفردوسى لنظم منها ملحمة رائعة . هذا الى ما يقوله بعض الباحثين عن سفر أيوب فى التوراة أن أصله عربى.[4]

وللفرس قصص كثيرة أعظمها الشاهنامه، وقد نسج الترك العثمانيـون على منوال القصص الفارسية فنظموا كثيرا .

والشاهنامه ليست، كهذه القصص، تدور على بطل واحد أو أسرة واحدة أو حرب واحدة بل هى، كما سيأتى، تاريخ أمة من أقدم ما وعت أساطيرها حتى الفتح الاسلامى. و يقول نلدكه عنها أنها ملحمة لا نظير لها عند أمة أخرى . فاذا قسنا الشاهنامه بأعظم الملاحم الأخرى وأبعدها صيتا تبـين الفرق بينها. واليك الأمثلة :

(١) الالياذة والأُذيسية .

محور الالياذة غضبة أخيل بطل اليونان على قومه ثم حميته لهم . وكان قد اعتزلهم فى حرب طرواد نقمة على أغا ممنون زعيم اليونان الذى غصبـه فتاة أسيرة . فالقصة لا تتناول، على سعتها، إلا وقائع الأيام الأخيرة من عشر السنين التى حاصر فيها اليونان مدينة طرواد . وطرواد تسمى اليون واليها نسبت القصة إذ سميت (الياس).[5]

(١ ، ٣) دائرة المعارف الانكليزية (Epic) . (٢ ، ٤) الياذة البستانى ص ٦١ ، ١٦٧

(٥) انظر فى إجمال القصة الياذة البستانى ص ٣٢ — ٣٤

وموضوع الأذيسية تيه أوذيس ملك جزر ايثاكة، وداهية الاغريق، عشر سنين على لجة الماء اذ هاجت العواصف على سفنه راجعا من حرب طرواد .

(ب) المها بهارته والرامايانا .

فأما المها بهارته فهى زهاء مائة ألف بيت، وهى قصص موصّلة . والقطب الذى تدور عليه تنافس بنى العم من بنى بهارته . وهما بيتا كورَڤا و پاندَڤا ؛ تنافسوا على الملك، وبعد غِيَر شتّى تحاربوا ثمانية عشر يوما على أرض كُركشترا فى مملكة متسيا . وانتهى الجلاد بفناء بيت كورَڤا . وتنتهى القصة بزهد الأمراء الباقين أمراء پاندڤا، واعتزالهم العالم، ورحلتهم الى جنة إندَرا الخ .

فهى قصة واحدة وقائعها متصلة وزمنها قصير .

وفى الرامايانا زهاء ثمانية وأربعين ألف بيت، ومعظمها لشاعر واحد . وبطلها راما بن ملك أوده؛ ولّاه أبوه العهد فسعت أم أخيه بهراتا حتى عزم الملك على أن ينفيه أربعة عشر عاما . فانصاع راما وعاش فى البرّية وأبى أن يرجع حين دعى ليتولى الملك . ثم إن ملك الجن فى جزيرة سيلان، واسمه راڤنا، أحب سيتا زوج الأمير راما فخطفها . فذهب راما لاستخلاصها . وأعانه ملك القردة على عبور مضيق سيلان . وكذلك ناصره أخو ملك الجن . وانتهى القتال بأن قتل راما ملكَ الجن، واستولى على مدينته، وأجلس أخا ملك الجن على عرشها . ثم رجع راما وزوجه سيتا ظافرين الى أوده . وكانت بعدُ حوادث أخرى . . وفى هذه القصة شبه بقصة كيكاوس وملك الجن فى مازندران التى فى الشاهنامه[1] .

فهذه القصة، كما يؤخذ من اسمها، قصة رجل واحد هو الأمير راما .

(حـ) الانياذة، وهى قصة ڤرجيلوس الشاعر الرومانى، موضوعها متصل بموضوع الالياذة . وبطلها أنياس أحد حلفاء الطرواد : رحل فى جماعة من قومه يرتاد أرضا حتى بلغ قرطاجه ثم ايطاليا حيث أكرمه الملك لاتينوس وزوجه ابنته ثم استخلفه على الملك . وكان من أعقابه، فيما يقال، روملوس مؤسس رومية .

فموضوع هذه القصص وغيرها من الملاحم الكبيرة حوادث متتابعة فى سنين قليلة، كقصة واحدة من قصص الشاهنامه — كالحرب بين بنى أفريدون، أو حرب كيكاوس والجن فى مازندران، أوقصة سهراب ورستم، أو قصة سياوخش بن كَيكاوُس . ولعل ملحمة الشاعر الرومانى إنيوس التى نظم فيها حوادث روما كلها تشبه الشاهنامه فى عموم موضوعها[2] .

---

(١) انظر ص ١٠٥ وما بعدها ج ١ — الآتية . (٢) دائرة المعارف البريطانية (Epic) .

الفصل الثـانى ـ القصص الفارسى

الفرس مولعون بالإطناب فى شعرهم، كلفون بالقَصص والإسهاب فيه . يقول الشاعر العربى:

ولا يقـــيم على ضـــيم يراد به　　　إلا الأذلان : عير الحىّ والوتد
هذا على الخسف مربوط برمّته　　　وذا يشج فـلا يرثى له أحـــد

لا يجد فى ذلة الوتد إلا أنه يشج . ويقول الشاعر الفارسى :

دشمنـانت همچو ميخ خيمه ميخواهم مـدام　　　تن بخاك وسر بسنـك و ريسمان بركردنش

أى "أود أن يكون أعداؤك كوتد الخيمة أبدا : جسمه فى التراب، ورأسه للحجر، والحبل فى عنقه " . فقد أدرك ثلاثة أشياء فى مذلة الوتد . وهذا يصلح مثلا للفرق بين الأدبين الفارسى والعربى فى التفصيل والإسهاب .

ومن آيات هذا أن قصة يوسف التى قصها القرآن، وقصة ليلى والمجنون المعروفة فى الأدب العربى لم يتصدّ لنظم إحداهما شاعر عربى على حين نظمهما شعراء الفرس مرارا، وافتنّوا فيهما افتنانا . واقتدى بهم شعراء الترك. وأنوار سهيلى، وهو ترجمة كليلة ودمنة الى الفارسية، يبلغ زهاء أربعة أمثال الأصل العربى بما فُصّل فيه الوصف، وكررت العبارات .

يقول ابن الأثير فى خاتمة المثل السائر فى تعديد الفروق بين الكتابة والشعر :

« والثالث أن الشاعر اذا أراد أن يشرح أمورا متعددة ذوات معان مختلفة فى شـعره، واحتاج الى الإطالة بأن ينظم مائتى بيت أو ثلاثمائة أو أكثر من ذلك فانه لايجيد فى الجميع ولا فى الكثيرمنه بل يجيد فى جزء قليل، والكثير من ذلك ردىء غير مرضىّ . والكاتب لا يؤتى من ذلك بل يطيل فى الكتاب الواحد إطالة واسعة تبلغ عشر طبقات من القراطيس أو أكثر وتكون مشتملة على ثلاثمائة سطر أو أربعمائة أو خمسمائة . وهو مجيد فى ذلك كله . وهذا لا نزاع فيه لأننا رأيناه وسمعناه وقلناه.

وعلى هذا فانى وجدت العجم يفضلون العرب فى هذه النكتة المشار اليها . فان شاعرهم يذكر كتابا مصنفا من أوله إلى آخره شعرا،وهو شرح قصص وأحوال . ويكون مع ذلك فى غاية الفصاحة والبلاغة فى لغة القوم، كما فعل الفردوسى فى نظم الكتاب المعروف بشاه نامه . وهو ســتون الف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس . وهو قرآن القوم . وقد أجمع فصحاؤهم على أنه ليس فى لغتهم أفصح منـه . وهذا لايوجد فى اللغة العربية على اتساعها، وتشعب فنونها وأغراضها، وعلى أن لغة العجم بالنسبة إليها كقطرة من بحر » .

وقد عرف القصص فى الأدب الفارسى الحديث منذ نشأ :

(١) فأبو جعفر الرودكى أقدم شعراء الفرس العظام المتوفى سنة ٣٢٩ نظم كليلة ودمنة بالفارسية.

(٢) والعنصرى المتوفى سنة ٤٣١، شاعر السلطان محمود الغزنوى نظم قصة وامق وعذراء وأربع منظومات أخرى . ولا ندرى أأخذ عن كتاب سهل بن هارون الذى سماه الوامق والعذراء أم لا . وقد نظمها فى البحر المتقارب كالشاهنامه[1] .

(٣) وأبوعبدالله الأنصارى الشاعر الصوفى المتوفى فى هراة سنة ٤٨١ كتب قصة يوسف وزليخا نثرا .

(٤) وفخرى الجرجانى شاعر السلطان طغرل بك السلجوقى نظم قصة ويس ورامين .

(٥) ونظامى الگنجوى المتوفى فى حدود سنة ٦٠٠ نظم خمس قصص عرفت باسم خمسة نظامى منها ليلى والمجنون . واقتدى به من بعدُ بعض شعراء الفرس والترك فحرصوا على أن يكونوا أصحاب "خمسة" .

(٦) والأميرخسرو الدهلوى المتوفى سنة ٧٢٥ نظم خمسة منها ليلى والمجنون أيضا ، وزاد قصصا أخرى .

(٧) وآذرى أحد شعراء السلطان شاهرُخ بن تيمورلنك، نظم يوسف وزليخا .

(٨) وعبد الرحمن الجامى الشاعر الصوفى الكبير المتوفى سنة ٨٩٨ نظم أكثر من ست قصص منها يوسف وزليخا وليلى والمجنون .

(٩) ومكتبى الشيرازى المتوفى سنة ٨٩٥ نظم قصة ليلى والمجنون .

(١٠) وهاتفى الجامى المتوفى سنة ٩١٨، ابن أخت عبد الرحمن الجامى، نظم "خمسة" أيضا منها ليلى والمجنون، وزاد قصصا أخرى .

(١١) ووحشى الكرمانى اليزدى المتوفى سنة ٩٩٢ نظم قصة خسرو وشيرين وغيرها .

(١٢) وناظم الهروى المتوفى سنة ١٠٥٨ نظم قصة يوسف وزليخا .

(١٣) ونامى من شعراء القرن الثانى عشر، فى عهد الملك نادر شاه، نظم ليلى والمجنون، ووامق وعذراء، وخسرو وشيرين .

والصوفية من شعراء الفرس كثيرا ما يتخذون القصص وسائل لبيان طريقتهم ، وشرح ما دق من إدراكهم وإحساسهم ؛ فالعطار كتب منطق الطير وقصصا أخرى ، وجلال الدين الرومى مولع بضرب الأمثال من القصص ينتقل من واحدة الى أخرى حتى يوفى بالقارئ على الغاية مما يريد .

وفى هذا برهان ما فى طباع الفرس من الولوع بالقصص، وقد صار هذا سنة فيهم جرى عليها المطبوع وغير المطبوع منهم .

هذا عدا الشاهنامه والملاحم التى نظمت محاكاة لها كما يأتى .

---

(١) الحماسة الايرانية، ص ٤٣ حا . ولباب الألباب ج ٢ ص ٣٢

الفصل الثالث ـ اصول الشاهنامه[1]

١ — فى الشاهنامه قسم تاريخى، هو تاريخ الساسانيين ، وبعض قصة دارا واسكندر المقدونى، وفيها قسم خرافى ليس فيه أثارة مما عرفه التاريخ فى آثار الفرس وكتب اليونان إلا حدسا وتخمينا. ويرى القارئ فى التعليقات على ملوك البيشداديين والكيانيين فى هذا الكتاب أن معظم هؤلاء الملوك يذكرون فى كتاب الأبستاق محاطين بكثير من الأساطير الدينية. ويرى القارئ كذلك أن معظم الملوك من كيومرث الى كيخسرو يذكرون فى الأساطير الهندية أيضا فهم بقايا من الأساطير الارية حفظها الهند والفرس على خلاف فيها .

حفظت الأبستاق، كالتوراة، روايات أمة قديمة نُسجت حول أبطال تدل أسماؤهم أنهم كانوا من قوى الخير والشر فى الدين الآرى القديم الذى قام على عبادة الطبيعة . طال الأمد على الايرانيين بعد زوال ملك الكيانيين بحروب اسكندر، وامّحى من ذكرياتهم تاريخ ملوكهم القدماء فى خمسة القرون التى مضت بين اسكندر وأردشير مقيم الدولة الساسانية. فلما نهض بهم أردشير، وجمعهم تحت لواء واحد، وأحيا دين زردشت كذلك، وترجمت الأبستاق الى الفهلوية — خلطوا بالبقية القليلة التى وعوها عن ملوكهم الأقدمين، وبما عرفوا من تاريخ الأشكانيين ما رواه لهم كتاب دينهم . فانقلب الأبطال وأشباه الآلهة فى الأبستاق ملوكا قدماء سيطروا على إيران. وأضيف الى هذا ما عرفه الفرس عن عداء الأشوريين والعرب والتورانيين من أساطير قديمة أو وقائع حديثة ردّوها الى عهد قديم . وزيد على هذا وذاك ما اخترعته خيالات الجماهير. فصار هذا كله قِصصا حماسية احتفظ بها الدهاقين وحدّثوا بها، وأنشدها الناس فى محافلهم وأعيادهم[2] .

أضيف الى هذا تاريخ الساسانيين، ودوّن هذا كله فى كتاب سمى باستان نامه (كتاب القدماء) أو خداى نامه (كتاب الأمراء) .

---

(١) أعظم مصادر هذا الفصل نلدكه : الحماسة الايرانية ، ومقدمة بايسقر ، والآثار الباقية للبيرونى .

(٢) مول ج ١ : مقدّمة ص ٦٠ وما بعدها .

٢ – مقدّمة بايسنقر :

وخلاصة ماترويه مقدّمة بايسنقر[1] على علاتها ، أن الساسانيين كانوا مولعين بجمع أخبار أسلافهم وترتيبها . وكان أنو شروان أكثرهم اهتماما فكان يرسل الى الأطراف لجمع الأخبار وحفظها فى مكتبته . واستمر هـذا فى عهد الملوك بعـده حتى أيام يزدجرد الأخير . فأمر الدهقانَ دانِشَور أحدَ أكابر المدائن أن يرتب الأخبار المجموعة ويضع لها فهرسا ويكملها، من كيومرث الى آخر عهد پرويز (جد يزدجرد) . فرتب الدهقان ما وجده وسأل الموابذة عما لم يجده وجمع تاريخا كاملا .

فلما غنم سعد بن أبى وقاص خزائن يزدجرد أخذ الكتاب فيما أخذ . فلما أرسل الى عمر أمر مترجما أن يخبره بما فيه . فاستحسن القصص التى تروى عن عدل الملوك وحسن سياستهم فأمر أن يترجم الى العربيـة . ولما سمع غير هذا من عقائد عبدة الشمس والنار والصابئين، وخرافات زال والعنقاء قال : إنه كتاب غير جدير بالقراءة لأنه يشبه الدنيا . فسئل كيف يشبه الدنيا؟ فقال : سمعت الرسول يقول : إن الدنيا هانت على ربها فخلط حلالها وحرامها . يعنى أن هذا الكتاب خليط من جد وهزل وحق وباطل .

قسمت الغنائم وانتهى الكتاب الى الحبش فقـدّم الى ملكهم مع نفائس من خزائن يزدجرد فأمر فتُرجِم وسكن اليه الملك، وتداولته الأيدى فى بلاد الحبش والهند حتى كانت دولة يعقوب بن الليث الصفّار فى خراسان .

استحضر يعقوب الكتاب، وأمر أبا منصور عبـد الرزاق بن عبد الله فرُّخ الذى كان معتمد الملك، أن ينقل الى الفارسية ماكتبه دانِشَور بالفهلوية، وأن يلحق به الأحداث من بعـد پرويز . فأمر أبو منصور وكيل أبيه، مسعود بن المنصور المعمرى، وأربعة آخرين فترجموا الكتاب سنة ٣٦٠هـ وانتشرت نسخه فى خراسان والعراق .

والأربعة الذين شاركوا المعمرى فى الكتاب هم، على كثرة التحريف فى أسمائهم[2] :

(ا) تاج بن خُراسانى، من هراة .

(ب) يزدان داذ بن شابور، من سيستان .

---

(١) مقدّمة كتبت للشاهنامه بأمر بايسنقر حفيد تيمورلنك . وهى فى كثير من النسخ المخطوطة وفى طبعة مكن (Macan) وطبعة تبريز .

(٢) صيغ الأسماء هنا مأخوذة من مقدّمة الشاهنامه طبع تبريز سنة ١٢٧٥ هـ . ومن ذلك : الحماسة الايرانية ص ١٢ نقلا عن مقدمة أخرى للشاهنامه غير مقدّمة بايسنقر . وقد رجحت بعض الصيغ على بعض .

(ﺣ) ماهوى خورشيد بن بهرام، من نيشابور .

(ء) شاذان بن بُرزين، من طوس .

ولما كان عهد السامانيين أمروا الدقيقى أن ينظمه فنظم ألف بيت ثم قتل. وكان السلطان محمود الغزنوى يتقيّل الساسانيين ، ويعنى بالعلوم، ويعجب بأخبار ملوك العجم . وأراد أن يعمل عملا لم يسبق اليه فأمر بنظم الكتاب .

ويقال إن أحد أبناء الملوك من ذرّية أنو شروان، واسمه خورفيروز، هاجر من موطنه فارس، وساقته غير الزمان الى مدينة غزنى، وودّ أن يعلم السلطان بحاله فطاف بالقصر فقابل رجلا حسن السمت، وكان إمام السلطان، فعرض عليه حاله فتقبل أن يرفع الى السلطان أمره. ثم تسنى لخورفيروز أن يدخل على السلطان فرأى الشعراء مجتمعين، ثم رآهم أخذوا طومارا من العنصرى الشاعر وعرضوه على السلطان فاستحسنه وأكرم الشاعر وأمره بنظم الكتاب . قال خورفيروز : أى كتاب؟ قال الامام : إن السلطان مولع بالشعر ، وقد جلب اليه كتاب من سجستان فيه سير بعض الملوك، وأراد الملك أن يُنظم، ومن أجل هذا ازدحم الشعراء هنا . وقد بذّهم العُنصرى . فقال : لو أسعدنى الجد لأحضرت الكتاب معى . فأُنهى قوله الى السلطان فأرسل رسول الى موطن الرجل وعشيرته فأتى بالكتاب، فحظى خور فيروز عند السلطان .

ويقال إن ملك كرمان سمع بتصدّى محمود لجمع الكتاب ، وكان يخطب مودّته . وكان فى كرمان رجل من نسل شابور ذى الأكتاف، حريص على جمع أخبار العجم . فأرسله ملك كرمان الى السلطان محمود. وكان بمرو رجل اسمه كُرد آزاد من نسل زال ، يعرف أخبار زال وسام ورستم فحمل ما عنده الى محمود أيضا " .

هذه خلاصة ما فى مقدّمة بايسنقر . وهى، كما يرى القارئ ، مليئة بالغلط والخرافات . ولكن فيها أخبارا ينبغى ألا يغفلها الباحث :

٣ — نقد هذه الأخبار :

فأما جمع الساسانيين أخبارهم وأخبار أسلافهم فالتاريخ يؤيده . فالمؤرّخ الشاعر اليونانى أكثياس[1] ، وهو معاصر أنوشروان، يروى أنه كان عند الفرس أيام خسرو الأوّل سجلات يعتنى بحفظها، تتضمن أسماء الملوك الساسانيين وتاريخهم . ولا ريب أن هذه السجلات حوت أسماء الملوك قبل الساسانيين من لدن كيومرث. ولولا هذا ما اتفقت الروايات على نسق الملوك وكثير من

(١) ٥٣٦—٥٨٢ م .

حوادثهم . ولم يكن الفرس إذ ذاك يفرّقون بين الخرافة والتاريخي من هـذه الأخبار ، كما كان الأثينيون فى القرن الرابع ق . م . يصدّقون بوقائع الأمازون تصديقهم بوقائع سلاميس ومراثون . وما كانت روايات الفرس عن القدماء اختراعا محضا بل كانت تطوّر أساطير وعنعنات قديمة . ومن أجل ذلك نجد فى الشاهنامه الاكثار فى تاريخ بعض الملوك والاقلال فى تاريخ بعضهم إقلالا يخل بالتناسب بين العصور[1] . ثم يروى الفردوسى وغيره أن هُرمزد أبا پرويز حينما خلع وسملت عيناه طلب من ابنه أن يحضره رجلا يقص عليـه من أنبـاء الوقائع السالفة ، وآخر عالمـا بأخبار الملوك يقرأ عليـه كتابا فى أخبارهم[2] . وكان خلع هرمزد سنة ٥٩٠ م .

وكتب أخرى تتضمن بعض قصص الشاهنامه كتبت بين القرن الثانى والقرن الثامن الميلادى . وفى هذا دليل على قدم هــذه الأساطير؛ فقصة كُشتاسب وكتايون لهـا نظير فى كتاب المؤرّخ اليونانى أثنيوس (Athenaeus) الذى عاش فى أواخر القرن الثانى الميلادى وأوائل الثالث[3] ، والكتاب الفهلوى "ياتكار زريران" فيه قصة زرير أطول مما فى الشاهنامه ، وقد كتب حوالى سنة ٥٠٠ م[4] . والكتاب الفهلوى الآخر "كارنامك أردشير" الذى كتب حوالى ٦٠٠ م يعتبر أصلا لمـا فى الشاهنامه والكتب العربية عن أردشـير مقيم الدولة الساسانيـة[5] . وبعض أخبار رستم عرفت فيما كتبه موسى القورنى الأرمنى الذى كتب فى القرن السابع الميـلادى أو الثامن[6] . وأخبار رستم واسفنديار كانت معروفة عند العرب قبل الاسلام .

على أن قصة دارا والاسكندر فى الشاهنامه تلاقى ما عرفه التاريخ فى القرن الرابع قبل الميلاد . وهناك أبطال فى الشاهنامه مثل كودرز وابنه جيو تشبه أسماؤهم وأفعالهم أسمـاء بعض الأمراء الأشكانيين وأفعالهم . فان يكن بعض ما تقصه الشاهنامه عن دارا وهؤلاء الأبطال ذكرى وعاها الفرس بالرواية الشفوية أو المكتوبة من عهـد الاسكندر أو الأشكانيين فليس بعيدا بالقياس على هـذا ، أن تكون أساطير كيكاوُس وكيخسرَو ومن قبلهما ومن بعدهما قديمة جدا أو بقايا محرّفة من حقائق بعيدة العهد أفلتت من قيود التاريخ .

والخلاصة أن هناك دلائل تثبت قدم القصص التى فى الشاهنامه ، ولا يسع الباحث إلا أن يظن أن هذه القصص دوّنت قبل زوال الدولة الساسانية .

---

(١) نلدكه : الحماسه الايرانية ص ١٢ (٢) أنظر فيا يأتى ص ١٩٧ و ١٩٨ ج ٢ ، والشاهنامه أول عهد پرويز : مول ج ٧ ص ٨ ، ٩ (٣) ص ٢١٣ ج ١ الآتية . (٤) ص ٣٢٧ ج ١ الآتية . (٥) ص ٥٠ ج ٢ الآتية .
(٦) الحماسة الايرانية ص ٢٠

وأما أمر يزدجرد بكتابة أخبار الملوك من كيومرث الى پرويز، كما تقدّم، فتذكره كذلك المقدّمة الأخرى التى تصدّر بها بعض مخطوطات الشاهنامه، وتزيد على دانشور رجلين آخرين : فرخان الموبذ الكبير فى عهد يزدجرد، ورامين خادم الملوك . ويقول نلدكه فى تأييد هذا أن اتفاق الكتب العربية والشاهنامه ظاهر الى آخر عهد پرويز، وهذا دليل على أن المصدر الذى أخذ عنه كتب بعد هـذا العهد بقليل ، وأن ما فى الكتاب من عصبية للفرس ، وانتصار للملوك يشعر بأنه كتب فى رعاية المُلك قبل زوال الدولة . ثم تعظيم پرويز ولعن ابنه شيرويه الذى قتل أباه وأخوته، وفيهم شهريار أبو يزدجرد ، يؤيد أن الكتاب جمع فى عهد يزدجرد . وكأن تتويج هـذا الملك فى اصطخر العتيقة المقدّسة فى حماية رستم كان إيذانا بانتهاء الفوضى وإقبال عهد سعيد . وهذا يلائم جمع تاريخ رسمى لايران . وليس يمكن أن يكون هذا الجمع وقع بعد حرب القادسية .

ولا ريب أن هذا الكتاب جمع باللغة الفهلوية اذ لم يكن غيرها يكتب فى ذلك العصر . والظاهر أنه عرف عند الفرس باسم خداى نامه (خوتاى نامك) أى كتاب السادة، فان الكتب العربية كثيرا ما تذكر هذا الاسم فى الكلام على كتب أخبار الفرس التى ترجمت الى العربية .

وأما أخذ سـعد بن أبى وقاص الكتاب وإرساله الى عمر فخرافة مبينة ، وكأنها متصـلة بالخرافات الأخرى التى اخترعها بعض الناس بغضا لعمر . أريدَ بها أن يكون عمر قد أخذ كتابهم كما فتح بلادهم . كما اتهموا اسكندر المقدونى أنه أحرق كتاب الأبستاق حينما فتح إيران . ولكن الأسطورة وقفت بعمر موقفا وسطا، فما أمر باحراق الكتاب ولا قال : إنه كذب كله . بل جعله شبيه الدنيا يختلط حلالها بحرامها . وهى شهادة للكتاب لا عليـه . وكأن مخترعى الأسـطورة أو رواتها أرادوا ألا ينفر من الكتاب بايسنقر حفيد تيمورلنك، الذى جمعت له مقدّمة الشاهنامه .

ونقل الكتاب الى الحبشة من عجائب الخرافات، ولكن قول الراوى بعد هذا : وتداولته الأيدى فى بلاد الحبش والهند يفسر هذه الخرافة . فاتصال الأساطير الايرانية بالأساطير الهندية بيّن وقديما خلط اليونان ومن أخذ عنهم، بين الحبشة والهند، كما يرى فى فصل اسكندر الآتى فى الشاهنامه[2] .

وانظر كيف أجاب أنو شروان سيف بن ذى يزن حين قال له : غلبتنا على بلادنا الأغربة » . قال أنو شروان : أى الأغربة ؟ الحبشة أم السند[3] .

(١) نلدكه : الحماسة الايرانية ص ٢٢ ، ومقـدّمة ترجمة الطبرى ، انظر ترجمة هذا بحثى لكتاب The Iranian Influence on Moslem Literature. ص ١٤٥ .

(٢) ج ٢ ص ١٩ حا ، الآتية . (٣) ابن هشام ج ١ ص ٦٢

٤ — تاريخ الفرس القدماء، فى العهد الاسلامى :

(١) فى اللغة الفارسية :

استمر الفرس، بعد الفتح الإسلامى، على رواية تاريخهم القديم، واحتفظ به المجوس وغيرهم، وتقلبت به الأطوار حتى انتهى الى الفردوسى. يقول الاصطخرى: "وقلعة الجص بناحية أرّجان فيها مجوس وبادكارات الفرس. وأيامهم تتدارس فيها [١]". ونحو ذلك فى ابن حوقل [٢]. ويقول الاصطخرى فى موضع آخر [٣]: "وبناحية سابور جبل قد صوّر فيه صورة كل ملك، وكل مرزبان معروف للعجم، وكل مذكور من سدنة النيران وعظيم من موبذ وغيره، وتابع صور هؤلاء وأيامهم وقصصهم فى أدراج. وقد خص بحفظ ذلك قوم سكان بموضع بناحية أرّجان يعرف بحصن الجص".

ويقول المسعودى عن كتاب آئين ناماه (كتاب الرسوم): "وهو عظيم فى الألوف من الأوراق لا يكاد يوجد كاملا إلا عند الموابذة وغيرهم من ذوى الرياسات. والموبذ لهم فى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا، وهو سنة ٣٤٥، بأرض الجبال والعراق وسائر بلاد الأعاجم، أناذ بن أشرهشت [٤]".

ويقول فى موضع آخر [٥]: "ورأيت بمدينة اصطخر من أرض فارس، فى سنة ٣٠٣ عند بعض أهل البيوتات المشرفة من الفرس، كتابا عظيما يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياساتهم لم أجدها فى شىء من كتب الفرس كخداى ناماه وآئين ناماه وكهناماه وغيرها، مصوّر فيه ملوك فارس من آل ساسان، سبعة وعشرون ملكا منهم خمسة وعشرون رجلا وامرأتان. قد صوّر الواحد منهم يوم مات شيخا كان أو شابا، وحليته وتاجه ومخط لحيته وصورة وجهه، وأنهم ملكوا الأرض أربعمائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة وشهرا وسبعة أيام، وأنهم كانوا اذا مات ملك من ملوكهم صوّروه على هيئته و رفعوه الى الخزائن كيلا يخفى على الحى منهم صفة الميت، وصورة كل ملك كان فى حرب قائما، وكل من كان فى أمر جالسا، وسيرة كل واحد منهم فى خواصه وعوامه، وماحدث فى ملكه من الكوائن العظيمة والأحداث الجليلة الخ".

وقد كان عند الفرس كثير من كتب التاريخ تختلف فيها الروايات. وعرف بحذق تواريخهم بعض الموابذة مثل بهرام بن مردانشاه موبذ كورة سابور من فارس الذى روى عنه حمزة الأصفهانى أنه قال: "إنى جمعت نيفا وعشرين نسخة من الكتاب المسمى خداى نامه حتى أصلحت منها

---

(١) ص ١١٨ (٢) ص ١٨٩ (٣) ص ١٥٠ (٤) التنبيه والاشراف ص ١٠٤

(٥) ص ١٠٦

تواريخ ملوك الفرس من لدن كيومرث والد البشر الى آخر أيامهم بانتقال الملك عنهم الى العرب[1] .
وقد ذكره ابن النديم فيمن ترجموا من الفارسية .

وقد بقيت كتب فهلوية الى وقتنا هذا منها "يادكار زريران" و"كارنامك أردشير بابكان" .

ثم كتبت بالفارسية الحديثة شاهنامات منها شاهنامة المؤيدى[2] . وشاهنامة أبى على البلخى التى ذكرها البيرونى فى الآثار الباقية[3]، والشاهنامه التى كتبت بأمر أبى منصور بن عبد الرزاق الطوسى حوالى سنة ٣٤٦ ه . وهى أصل شاهنامة الفردوسى فيما يظن .

(ب) فى اللغة العربية :

عنى العرب بنقل أخبار الفرس منذ أوّل عهدهم بالترجمة؛ يقول المسعودى فى التنبيه والاشراف[4] عن الكتاب الذى رآه فى أصطخر مشتملا على تاريخ ملوك الفرس وصورهم : "وكان تاريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد فى خزائن ملوك فارس، للنصف من جمادى الآخرة سنة ١١٣، ونقل لهشام ابن عبد الملك بن مروان عن الفارسية الى العربية". ويروى صاحب الفهرست أن جبلة بن سالم، وهو كاتب هشام، ترجم كتاب إسفنديار ورستم . وترجم ابن المقفع كتاب خُداى نامه، وليس بعيدا أن يكون هو الكتاب الذى جمع فى عهد يزدجرد، وترجم كتبا أخرى منها كتاب مزدك، وكتاب التاج فى أخبار أنو شروان، وكتاب آئين نامه[5] . ويقول المسعودى عن آئين نامه، وأحسبه يصف الأصل الفارسى لا ترجمته : "وهو عظيم فى الألوف من الأوراق، لا يكاد يوجد كاملا إلا عند الموابذة وغيرهم من ذوى الرياسات"[6] . وترجم محمد بن الجهم البرمكى كتاب سير الملوك كذلك . ويظهر من كلام صاحب الفهرست أن أبان بن عبدالحميد اللاحق نظم سيرة أردشير، وسيرة أنو شروان. ولعلّ ابن عبيدة الريحانى، وهو من أصحاب المأمون، كتاب كُلهراسف الملك . وإسحاق بن يزيد نقل من الفارسية كتابا آخر فى تاريخ الفرس[7] . ويقول حمزة الأصفهانى فى كتابه تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء[8] : "وتواريخهم (يعنى تواريخ الفرس) كلها مدخولة غير صحيحة لأنها نقلت بعد مائة وخمسين سنة من لسان إلى لسان . ومن خط متشابه رقوم الأعداد الى خط متشابه رقوم العقود، فلم يكن لى فى حكاية ما يقتضى هذا الباب ملجأ إلا الى جمع النسخ المختلفة النقل. فاتفق لى ثمانى نسخ وهى: كتاب سير ملوك الفرس من نقل ابن المقفع، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل محمد بن الجهم البرمكى،

(١) حمزة ص ١٩ (٢) تاريخ طبرستان : الترجمة الانجليزية ص ١٨ (٣) ص ٩٩ (٤) ص ١٠٦
(٥) الفهرست : ابن المقفع . (٦) التنبيه ص ١٠٤ (٧) الفهرست فصل النقلة من الفارسية (٨) ص ٩

وكتاب تاريخ ملوك الفرس المستخرج من خزانة المأمون ، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل أو جمع محمد بن بهرام بن مطيار الأصبهانى ، وكتاب تاريخ ملوك بنى ساسان من نقل أو جمع هشام بن قاسم الأصبهانى، وكتاب تاريخ ملوك بنى ساسان من إصلاح بهرام بن مردانشاه موبذ كورة شابور من بلاد فارس . فلما اجتمعت لى هذه النسخ ضربت بعضها ببعض حتى استوفيت منها حق هذا الباب" وقد روى حمزة الأصفهانى عن موسى بن عيسى الكسروى قوله : " إنى نظرت فى الكتاب المسمى خداى نامه، وهو الكتاب الذى لما نقل من الفارسية الى العربية سمى« كتاب تاريخ ملوك الفرس» فكررت النظر فى نسخ هذا الكتاب و بحثتها بحث استقصاء فوجدتها مختلفة حتى لم أظفر منها بنسختين متفقتين . وذلك كان لاشتباه الأمر كان على الناقلين لهذا الكتاب من لسان الى لسان[1] " .

ويذكر البيرونى عن البلخى الشاعر أنه صحح كتاب الشاهنامه من خمسة كتب . منها أربعة من التى ذكرها حمزة، والخامس كتاب سير الملوك لبهرام بن مهران الأصبهانى، وأنه قابل ذلك بما أورده بهرام الهروى المجوسى[2] .

ومن هذا كله يتبين أن المترجمين الى العربية لم يترجموا من كتاب واحد، بل وجدوا كتبا عديدة فى أخبار ملوك الفرس كلهم أو سير بعضهم . ولو كان أمامهم كتاب واحد ما احتاجوا أن ينقلوه الى العربية ثمانى مرات ، وما كان بين التراجم هذا الاختلاف الذى يصفه حمزة الأصفهانى وتشهد به الكتب العربية . هذا الى اختلاف الترجمة عن الكتاب الواحد . يؤيد هذا قول هذا المؤرخ فى أوّل الفصل الخامس من الباب الأوّل : " وهو فى حكاية جمل مما فى خداى نامه لم يحكها ابن المقفع ولا ابن الجهم بخئت بها فى آخر هذا الباب ليجريها من يقرأها مجرى أحاديث لقمان بن عاد[3]". وكأن ابن المقفع وابن الجهم حذفا ما لا يلائم الدين والعقل فهذه الجمل التى ذكرها حمزة أساطير دينية منقولة من كتاب الأبستاق وغيره .

وقدعرفت هذه الكتب بين قراء العربية وذاعت ولا سيما ترجمة ابن المقفع . ويذكر الجاحظ حكاية عن الشعوبية ما يبين عن هذا الكتاب بعض الإبانة إذ قالوا : " ومن احتاج الى العقل والأدب ، والعلم بالمراتب والعبر والمثلات، والألفاظ الكريمة ، والمعانى الشريفة فلينظر الى سير الملوك[4]" . وفى كتاب عيون الأخبار وكتاب المعارف لابن قتيبة وغيرهما نبذ من كتاب ابن المقفع .

(١) حمزة ص ١٥ (٢) الآثار الباقية ص ٩٩ (٣) حمزة ص ٤٣

(٤) البيان والتبيين ط القاهرة سنة ١٣٤٥ ج ٣ ص ٧

٥ — الشاهنامه التى أمر بجمعها أبو منصور بن عبد الرزاق الطوسى :

تقدّم، فى خلاصـــة مقدّمة بايسنقر، أن يعقوب بن الليث الصفار حصل كتاب ملوك الفرس وأمر أبا منصور عبـــد الرزاق بن عبد الله بن فرّخ الذى كان معتمد الملك أن ينقله من الفهلوية الى الفارسية سنة ٣٦٠ هـ .

و ينبغى قبل بحث هذا الموضوع أن نبعد اسم يعقوب بن الليث . فذكره هنا غلط بيّن . بعض العنعنات الفارســية تجعل يعقوب بطلا إذ كان أوّل أمير فارسى اســتقل عن الخلافة العباســية، ويروى أن أوّل ما عرف من الشعر الفارسى الحديث شطر بيت همهم به ابن رضيع ليعقوب. فمكانة يعقوب هذه زيّنت لرواة مقدّمة بايسنقر المليئة بالخرافات أن يقرنوا اسم يعقوب بالشاهنامه المنثورة التى كتبت فى القرن الرابع . يعقوب توفى سنة ٢٦٥ فلا يمكن أن يكون قد أمر بجمع الشاهنامه التى كتبت سنة ٣٦٠ . واذا أخذنا برواية للنسخة التى نقل عنها مول ، وصححنا التـــاريخ فجعلناه ٢٦٠ فأبو منصور بن عبـــد الرزاق عاش فى القرن الرابع ولم يدرك يعقوب . بقى أن يقال أن هـــذا "أبا منصور عبد الرزاق بن عبـــد الله فرخ" الذى يذكر فى مقدّمة بايسنقر ليس هو أبا منصور بن عبدالرزاق والى طوس المعروف. فشاهنامة يعقوب بن الليث غير الشاهنامه التى جمعها أبو منصور بن عبـــد الرزاق وذكرها البيرونى كما يأتى. ومهما يقل فبعيد أن يعنى رجل كيعقوب بن الليث بجمع تاريخ الفرس القديم فى عهده القصير المضطرب. ولم يخبر بهذا أحد من الثقات. وليس يلزم المؤرّخ التعويل على رواية عجيبة تنفرد بها مقدّمة بايسنقر المملوءة بالأغلاط والخزعبلات ، على أن المقدّمة الأخرى تسمى جامع الكتاب "أبا منصور بن عبد الرزاق"[1] أيضا .

يقول البيرونى فى الآثار الباقية أثنـــاء الكلام عن الملوك الأشكانيين : "ووجدنا تواريخ هـــذا القسم الثانى فى كتاب شاهنامه المعمول لأبى منصور بن عبـــد الرزاق على ما أودعناه أيضا فى هـــذا الجـــدول"[2] .

و يقول فى موضع آخر : "كما فعل لابن عبد الرزاق الطوسى من افتعال نسب له فى الشاهنامه ينتمى به الى منوشجهر"[3] .

فلا ريب إذًا أن شاهنامةً جمعت لرجل اسمه أبو منصور بن عبدالرزاق الطوسى . فمن أبو منصور هذا ؟ هو محمد بن عبد الرزاق الذى ولى خراسان من قبـــل السامانيين، وجعله منصور بن نوح قائد

(١) الحماسة الإيرانية ص ٢٦ (٢) الآثار ص ١١٦ (٣) الآثار ص ٣٨

خراسان سنة ٣٥١ هـ، ومات بعد هذا بقليل . وأظنه لم يدرك سنة ٣٦٠، وهو تاريخ جمع الشاهنامه فى مقدّمة بايسنقر، كما تقدّم . وفى المقدمة الأخرى أنه أمر بجمع الكتاب سنة ٣٤٦ [١] فهذا يلائم تاريخ أبى منصور .

ويمكن أن يقال أن هذا الكتاب حوى ما فى خداى نامه وأشباهها من كتب سير الفرس، وأن معظمه نقل من كتب فارسية قديمة كتبت فى عهد الساسانيين، وأن جامعى الكتاب ومترجميه أضافوا الى ذلك كثيرا من القصص والأمثال والخطب . فما كانوا ليتركوا أثارة من سير آبائهم الأولين . ومن ذلك، فى رأى الأستاذ نلدكه، اكثر الحكايات القصيرة التى تروى عن بهرام كور والتى لا تلفى فى الكتب العربية التى أخذت عن خداى نامه . وكذلك أدخل فى الكتاب قصص أجنبية لم تكن فى خداى نامه كقصة اسكندر التى فى الشاهنامه . فان تعظيم اسكندر و إدخاله فى عداد الإيرانيين حدث فى العصر الإسلامى [٢] .

ونحن نجد اليوم بعض قصص الشاهنامه فى كتب فهلوية وفارسية متأخرة مثل قصة نقل الشطرنج الى إيران التى يظن أنها كتبت فى العصر الإسلامى . فلا يبعد أن تكون مثل هذه القصص زيدت عند جمع الكتاب، على ما كان فى خداى نامه .

والخلاصة أن هذا الكتاب، فيما يظن، جمع ما وعاه علماء المجوس بالحديث أو الكتابة، من تاريخ الفرس القدماء .

الفصل الرابع – نظم الشاهنامه المنثورة

١ – يقول الفردوسى فى مقدّمة الشاهنامه [٣] :

"كان من آثار الغابرين كتاب مملوء بالقصص تقسمته أيدى الموابذة، وحرص كل عاقل على قطعة منه . وكان من نسل الدهاقين بطل عاقل ذكى جواد يتحرّى آثار الأولين، ويتتبع قصص الماضين . فدعا اليه كل موبذ قد وعى أثارة من هذا الكتاب، وسألهم عن أنساب الملوك والأبطال النابهين ... ... فلما سمع منهم شرع يؤلف من ذلك كتابا عظيما الخ " .

ليس يبعد أن يكون هذا « البطل العاقل الذكى الجواد » هو أبا منصور بن عبد الرزاق الذى ذكر آنفا . وكان جمعه الشاهنامه فى حياة الفردوسى . ثم هو يمدح فى المقدمة صديقا أغدق

(١) الحماسة الإيرانية ص ٢٦ (٢) الحماسة الايرانية ص ٢٧ وما بعدها . (٣) ص ٦ ج ١، الآتية .

عليـه من ماله حتى يفرغ لنظم الشاهنامه . وهذا المدح تحت عنوان "مدح أبى منصور بن محمد" فى بعض النسخ . وفى بعضها "أبو منصور محمد" . ولكنى أحسب هذا أبا منصور غير أبى منصور ابن عبدالرزاق، وأظن ابن عبدالرزاق مات قبل أن يشرع الفردوسى فى نظم الكتاب . على أن الفردوسى لم يسمه جامع الكتاب .

ثم الأربعة الذين ترجموا الكتاب، وقد ذكرت أسماؤهم آنفا، كانوا مجوسا كما يتبين من أسمائهم. ولم يكن غير المجوس إذ ذاك يُعنى بالفهلوية ويجيـد قراءتها . والفردوسى يذكر اسم واحد منهـم : شاذان بن بُرزين فى أوّل قصة كليلة ودمنة كأنه الذى حدثه بهذه القصـة[1] . ويرى الأستاذ نلدكه أن شاهوى الذى يذكره الفردوسى راويا فى مفتتح قصة وضع الشطرنج[2] قد يكون تحريف ما هوى أحد الأربعة المترجمين، وأن ماخًا مرزبان هراة الذى يروى الفردوسى عنـه سيرة هرمزد بن أنوشروان[3] يمكن أن يكون هو تاجا أحد هؤلاء الأربعة، وفى اسمه اختلاف كثير[4] .

فان صح هذا فهو، الى ما يذكره الفردوسى فى المقـدّمة، يرجح أن الفردوسى نظم الشاهنامه التى جمعت لأبى منصور بن عبد الرزاق .

٢ — الدقيق ونظم الشاهنامه :

ترعرعت الاداب الفارسـية فى القرن الرابع وأعان على نمائها وازدهارها الملوك السامانيـون فنظم الشعر فى موضوعات شتى، وأمر السامانيون بترجمة تاريخ الطبرى وتفسيره، وترجمـة أخبار الفرس من الفهلوية الى الفارسية الحديثـة . والسامانيون ينتسبون الى بهرام جو بين القائد الفارسى الذى ثار على كسرى پرويز .

شرع الدقيق الشاعر بنظم الشاهنامه فبـدأ بتاريخ كُشتاسب (كُشتاسپ نامه) ويقال أنه نظم امتثالا لأمر الملك نوح بن منصور السامانى . فهو إذا لم ينظم قبل سنة ٣٦٥

وينبغى أن نذكر هنا طرفا من أخبار هذا الشاعر :

أبو منصـور محمد بن أحمد الدقيق[5] من شعراء القرن الرابع الهجرى . يقول عوفى فى لبـاب الألباب[6] أنه كان فى خدمة الأمراء الجغانيين ويروى أبياتا له فى مدح الأمير أبى سعيد محمد بن المظفر

(١) الشاهنامه : مول ج ٦ ص ٤٤٤ (٢) = ص ٤٠٠ (٣) ص ١٧٠ ج ٢، الآتية .

(٤) الحماسة الايرانية ص ٢٨ (٥) يختلف فى اسمه واسم أبيه، ويرى نلدكه أن هذا الاسم الاسلامى اختراع من يكرون أنه زردشتى . (٦) ج ٢ ص ١١ و ١٢

ابن محتاج الجغانى (المتوفى سنة ٣٢٩) . وكذلك يروى من مدائحه فى الأمير السعيد منصور بن نوح السامانى (٣٥٠ – ٣٦٥) والأمير الرضى نوح بن منصور (٣٦٥ – ٣٨٧) . ويقول صاحب تاريخ گزيده أنه كان معاصرا للأمير نوح بن منصور[1] . و يؤخذ من ذلك أنه عاش الى سنة ٣٦٥ ، ويرى بعض المؤلفين أنه توفى ما بين ٣٦٧ و ٣٧٠

ويختلف الرواة فى مولده بين طوس و بلخ و بخارى وسمرقند . ولو كان طوسيا لذكر الفردوسى فى مقدّمته أنه من بلده .

وقد اغتاله أحد عبيده ليلا ، و يقول الفردوسى فى مقدّمة الشاهنامه :

"ولكن سوء الخلق كان خدن شبابه فكان يقطع أوقاته بالبطالة وصحبة الأشرار حتى بغته الموت فتوجه بتاجه الأسود[2] " .

ويرى بعض الكتّاب ، ومنهم الأستاذ نلدكه ، أن الدقيق كان على دين زردشت ويستدلون ببيتين رويا عنه ، ويقول نلدكه أن بدءه بقصة زردشت حينما شرع ينظم أخبار الفرس ، وتعظيمه دين زردشت فيما نظم يؤيد ما يفهم من هذين البيتين . وهما :

دقيق چار خصلت برگزيده است   بگيتى أزهمه خوبى وزشتى
لب يا قوت رنگ ونالهٔ چنگ   مى خون رنگ ودين زردهشتى[3]

أى "الدقيق اختار أربعة أشياء من كل الخير والشر فى الدنيا : الشفة فى لون الياقوت ، وزمزمة العود ، والخمر القانية ، ودين زردهشت " .

ويرى الأستاذ براون ، ورأيه أشبه بالصواب ، أنه لا ينبغى التعويل على هذين البيتين كثيرا فلعل الشاعر اختار دين زردهشت لأنه يبيح شرب الخمر لا لأنه يدين به[4] .

على أنى أخذتنى الريبة فى الدقيق حين قرأت قوله عن نوبهار بلخ فى مفتتح ما نظمه :

كه آتش پرستان بدان روزگار   مر آن خانه راداشتندى چنان   كه مرمكه راتازيان اين زمان

أى "الذى كان عند عباد النار فى ذلك العهد كمكة عند العرب فى هذا الزمان " . وشتان بين هذا وبين كلام الفردوسى عن الكعبة فى قصة اسكندر .

---

(١) تاريخ گزيده ص ٨١٨   (٢) ص ٩ ج ١ السابقة .   (٣) مول ج ١ ، XVIII
(٤) تاريخ آداب الفرس لبراون ج ١ ص ٤٥٩

كان للدقيق صيت فى الشعر ذائع بين القدماء، فالعتبي يقول فى كتابه اليمينى،عن شعراء السلطان محمود الغزنوى: " لازدحام شعرائها (شعراء الفارسـية) على بابه الرفيع بقصائدهم التى قد غبّروا بهـا فى ديباجة الروذكى، وصـنعة الخسروى والدقيق"[1] . ويروى نظامى العروضى فى كتابه چهار مقاله أن العميد أسعد وزير الأمير أبى المظفر الجغانى حينما قدم اليه الفرّخى الشاعر قال له : لقد جئتك بشاعر لم ير أحد مثله منذ وارت الأرض الدقيق[2] .

وقـد اقترن اسم الدقيق باسم الفردوسى إذ كان السـابق الى نظم الشاهنامه فنظم ألف بيت ثم حالت المنية دون أمنيته . وقد أدرج الفردوسى ما نظمه الدقيق فى الشاهنامه إجابة لرجاء الدقيق فى الرؤيا[3] .

وينبـغى ألا يلتفت الى قول عوفى فى لباب الألباب أن الدقيـق نظم عشرين ألف بيت وزاد الفردوسى ستين ألفا ، وقول صـاحب تاريخ گزيده أنه نظم ثلاثة آلاف بيت ، فهما روايتان تكذبهما الشاهنامه، ورواية ثقات المؤرخين .

٣ — الفردوسى والشاهنامه :

يقول الفردوسى فى مقدّمة الشاهنامه، عن الدقيق الشاعر « فلمـا قرئت هـذه القصص على الناس أعارتها الدنيا سمعها وقلبها ، وأولع بها العقلاء والحكماء . حتى ظهر فتى فصيح اللسان ، حسن البيان، ذكى الفؤاد فقال : سأنظم هذا الكتاب ففرح الناس به أى فرح ... ... ثم انقلب به جدّه فقتله أحد عبيـده ؛ نظم ألف بيت عن گشتاسب وأرجاسپ ثم انتهى عمره فذهب والكتاب لم ينظم» . ثم يقول: «فلما يئس قلبي منه (الدقيق) توجهت تلقاء ملك العالم لعلى أظفر بهذا الكتاب فأنظمه . سألت أناسا لا يحصيهم العدّ وأنا أوجس خيفة من غِيَر الزمان، وأخشى ألا تمتدّ بى الحياة فأتركه لغيرى ... ... وكـان فى المدينة صديق لى كأنى و إياه نفس واحدة فقال : لقـد هديت للرشاد، وسارت قدمك فى سبيل السداد. أنا كفيل بهذا الكتاب الفهلوى فلعلك لاتنام عنه ... ... فلما أحضر إلىّ هذا الكتاب أضاءت روحى المظلمة الجناب ... ... لمـاظفرت بهذا الكتاب أتيح لى أحد الكبراء فتى من ذرية الأبطال عاقل حازم ذكى سديد الرأى ، شديد الحياء، فصيح المنطق ، حلو الحديث . قال : ما ذا أفعل ليفرغ بالك للنظم ؟ سأواسيك بمـا تملك يداى ، ولا أفضى الى أحد بحاجتك . فلبثت فى كنفه كالتفاحة الغضـة يحاذر أن يمسنى من الرياح ضر » . ثم يذكر أن

(١) ج ١ ص ٥٢ (٢) ص ٣٩ (٣) ص ٣٢٢ ج ١ الآتية .

هذا الصديق قتل . ويقول إنه كان نصحني فقال : « اذا يسر الله لك هذا كتاب الملوك فأهده الى الملوك »[1] .

فهذا برهان أن الفردوسي نظم من كتاب — كتاب أخبار ملوك الفرس الذى بدأ الدقيق نظمه قبل . والفردوسي يعلن أثناء الكتاب ، فى أوائل بعض القصص وخواتمها ، أنه نظم ما سمعه من الدهقان أو من فلان، وأنه يستقصي ما يروى له فلا يدع منه شيئا . وفيما يأتى أمثلة :

يبدأ فصل كيومرث، وهو فاتحة القصص ، بقوله : « ما ذا يقول الدهقان الفصيح » ثم يقول : «كذلك قال الذى عنده كتاب الماضين، المحدث عن سير الأبطال »[2] .

ويقول فى مقدّمة قصة سياوخش :

زكفتار دهقان چنين داستان   تو برخوان و بركوى أزباستان

" اقرأ من قول الدهقان قصة كهذه ، وحدث عن الماضين " . ويبدأ القصة بقوله : " كذلك قال الموبذ "[3] .

وفى مقدّمة قصة كاموس الكاشانى يقول :

كنون رزم كاموس پيش آوريم   زدفتر بكفتار خويش آوريم

بكفتار دهقان كنون باز كرد   نكر تاچه كويدجهانديده مرد

" الآن نشرع فى حرب كاموس وننقلها من الدفتر الى كلامنا ، فارجع الان الى قول الدهقان لتنظر ما ذا يقول الرجل المجرب " . ويقول فى آخر هذه القصة :

سرآوردم اين رزم كاموس نيز   درازست ونفتاد زويك پشيز

كر ازداستان يك سخن كم بدى   روان مرا جاى ماتم بدى

" ختمت هذه الحرب حرب كاموس أيضا، وما سقط منها، على طولها ، قطمير . ولو ضاع من هذه القصة كلمة واحدة، لقام عليها بنفسي مأتم "[4] .

وهو يحدثنا فى أوّل قصة بيژن ومنيژه أنه أرق ليلة فصاح بالغلام فجاء بالشراب والرباب وشرع يسقيه ويغنى ثم قال له : " إن كنت لا تنام فأصغ إلىّ حتى أقرأ عليك من الكتاب

(١) انظر ص ١٠ ، ١١ ح ١ — الآتية .

(٢) انظر ١٦ ح١، ج ١ الآتية .

(٣) شاهنامه : مول ج ٢ ص ١٩٤ و ١٩٦

(٤) مول ج ٣ ص ٢٦٨

الفهلوى قصة لتنظمها . وكان يقرأ وأنا أنظم . ولمـا نظمت الحكاية قلت: أرع سمعك الى الخ"[1]
ويقول فى آخر هذه القصة :

تمـامى بگفتم من اين داستان بدينسان كه بشنيدم از باسـتان[2]

« أتممت هذه القصة كما سمعتها عن الغابرين »

وكذلك يقول فى قصة مقتـل رستم : « كان عنـد أحمد بن سهل بمرو رجل طاعن فى السن يسـمى سروا ، وكان ينتسب الى سام بن نيرم . وكان حُفَظَة لأحوال آبائه وأخبار أسلافه فحكى الخ"[3] . وقد اختصر البندارى فى ترجمة هذه العبارة، والأصل الفارسى يبين أن سروا هذا كان عنده كتاب الملوك وأن الفردوسى نظم عنه ما وجد[4] .

وأمثال هـذا فى الشاهنامه كثير . وليس يحتاج الباحث الى دليل آخر ليعرف أن الفردوسى كان ينظم قصصا مكتوبة لا يحيد عنها .

وأما ذكر الفـردوسى هؤلاء الرواة كأنهـم حدّثوه أو حُدّث عنهم فلا يدل على شىء أكثر من أن القصص التى أمامه أسندت فى الكتاب الى هؤلاء . ومن أجل هذا نجده يقول فيما تقدّم أنه ينقل من الدفتر ثم يقول: فارجع الآن الى قول الدهقان . وكذلك نجده يروى عن سرو الذى كان عند أحمد ابن سهل . وأحمد هذا مات سنة ٣٠٧ هـ[5] . أى قبل مولد الفردوسى .

الفصل الخامس – تاريخ الفردوسى

أعرض على القارئ خلاصة ما روى عن الفردوسى فى مقدّمة بايسنقر التى ذكرت آنفا، ثم أبين جوده من زائفه، آخذا، ما استطعت، تاريخ الشاعر من كلامه، وأنا أفصّل هذه الروايات بالأعداد ثم أنقدها على ترتيبها :

(١) هو أبو القاسم منصور بن مولانا فخر الدين أحمد بن مولانا فرُّخ الفردوسى .

لمـا ولد الفردوسى رآه أبوه فى المنام على سطح عال متجها تلقاء القبلة يصيح فيُسمع رجع صوته من كل جانب. فذهب الى الشيخ نجيب الدين، وقص عليه الرؤيا فعبرها بأن الفردوسى سيكون فصيحا يسمع صوته فى أربعة أركان العالم فيتلقاه الناس بالقبول . ولمـا بلغ الفردوسى سن التعلم شغل بالعلم وفاق أقرانه، وعكف على قراءة الكتب .

(١) ص ٢٣٨ ج ١ الآتية . (٢) مول ج ٣ ص ٤١٠ (٣) ص ٣٦٥ ج ١ الآتية .
(٤) مول ج ٤ ص ٧٠٠ (٥) ابن الأثير حوادث سنة ٣٠٧

وكان يحبب اليه الجلوس على جدول يرفده نهر طوس، ويأنس بالمـاء الجارى ، ويغتم كلما طغا السـيل بجرف السّد فانقطع المـاء . وكان يتمنى أن يبنى سدّ المـاء بالحجارة والآجر والحديد ، ونذر أن ينفق فى هذه السبيل ما يحصله من مال .

(٢) ويقال إنه سمع أن الدقيق الشاعر كان ينظم الشاهنامه وقتل ، وأن السلطان محمودا يود أن يُنظم الكتاب . وكان الفردوسى يتطلع الى نظمه ويطمح الى بلوغ أمله من بناء مجرى المـاء . فصحح عزمه حينئذ على الاضطلاع بالعبء الباهظ .

ولم يكن لديه كتاب الملوك كله فاستشار صديقا له اسمه محمد لشكرى فرغبه وحرضه على ماتصدّى له ، وأخبره أن لديه الكتاب كاملا . فذهب الشاعر يستمدّ الشيخ محمـدا معشوقا أحد أوليـاء طوس فبشره بأنه سيبلغ ما يريد . ووثق الفردوسى ببشارة الشيخ .

(٣) بدأ الفردوسى فنظم حرب أفريدون والضحاك فأولع الناس بنظمه . وكان أبو منصـور والى طوس من قبَل السلطان . فلما سمع شعر الفردوسى أعجب به وأحسن اليه وأمره بالمضى فى عمله ، والترم له بحاجاته . ثم مات أبو منصور فوهن الفردوسى . ومرثية أبى منصور فى مقدمة الشاهنامه ، بعد ذكر محمد لشكرى .

(٤) أرسل السلطان بعد أبى منصور أرسلان خان واليا على طوس . وكان السلطان قد سمع بالفردوسى فأمر أرسلان خان بإشخاصه الى غزنة ، فاعتذر الفردوسى ، واستعفى فلم يجده ذلك . ثم تذكر قصة الشيخ معشوق فعزم على الاجابة . حتى اذا بلغ هراة أتاه من غزنين خبر ساءه فتوقف هنالك ؛ ذلك أن بديع الدين صاحب ديوان الرسائل قال للعنصرى والرودكى[1] ! ! أن قدوم الفردوسى واضطلاعه بنظم الكتاب يغضّ من شعراء السلطان .

فأرسلا الى الفردوسى أنه لا فائدة فى قدومه ، فان السلطان لا يذكره قط . فتردّد الفردوسى ثم خاف أن تكون خدعة فتلبث أياما فى دار أبى بكر الوراق . ثم كان بين العنصرى وبديع الدين مشاقة فقال العنصرى لصاحبه : أنت رددت الفردوسى عن غزنة . وخشى بديع الدين مؤاخذة السلطان فأرسل الى الفردوسى أن الرسالة الأولى كانت من حسـد العنصرى والرودكى . فان كان يستطيع أن يجاريهما فى مضمار البلاغة فليحضر . فكتب فى الرسالة أبياتا يعتـد فيها بنفسه ويذكر أن العنصرى والرودكى لاخطر لها عنده . ثم سار من هراة الى غزنة .

(١) ذكر الرودكى هنا غلط . فالرودكى توفى سنة ٣٢٩ ، ولم يدرك الدولة الغزنوية .

وتروى فى قدومه الى غزنة رواية أخرى : ذلك أن الفردوسى سار الى غزنة متظلما من عامل طوس. فلما بلغها نزل فى بستان ليصلى . وكان السلطان قد فرق سبع قصص من كتاب تاريخ الفرس على سبعة شعراء ليرى أيهم أجود نظما فيكل اليـه نظم الكتاب . فاتفق أن العنصرى والفرخى والعسجدى نزلوا فى ذلك البستان وخلوا فى ناحية منه. فلما رآهم الفردوسى قصد قصدهم فكرهوا أن يجلس معهم، وحسبوه زاهدا ثقيلا، وأرادوا أن يدفعوه عنهم بأية وسيلة . فاتفقوا أن ينظم كل منهم شطرا على قافية نادرة ثم يكلفوه بالشطر الرابع . فنظموا أشطرا ثلاثة فى الغزل تنتهى بالكلمات "روشن، گلشن وجوشن" فأجاز الفردوسى: "مانندسنان گيودر جنگ پشن" (أى مثل سنان گيو فى موقعة پشن) يشير الى قصة من قصص الشاهنامه . فلما عرفوا فضله سدّوا عليه السبيل الى السلطان محمود . وكان للسلطان نديم اسمه ماهك لقى الفردوسى فى هذا البستان وحادثه فأعجب بعلمه وفصاحته فدعاه الى داره . ثم سأله عن موطنه ومقصده فأخبره الفردوسى خبره كله . وأخبره النديم باهتمام السلطان بنظم كتاب الملوك . فسر الفردوسى وأخبره أنه شاعر، وسأله أن ينهى أمره الى السلطان . وظل ماهك سبعة أيام لا يجـد الوسيلة الى إخبار السلطان خبر الفردوسى . فسأله الفردوسى أن يبلغه حضرة السلطان . وأخبره ماهك أن الشعراء اجتمعوا وعرضوا شعرهم على السلطان فبذّهم العنصرى ببيتين من قصة رستم وسهراب . فنظم الفردوسى القصة خفية ثم قال لماهك : إنى نظمت كتاب الملوك من قبل، وعندى قطعة منه هى أبلغ من شعر العنصرى . وأعطاه القصة فأبلغها السلطان، وأخبره بكل ماعلم من أمر الفردوسى . فأمر باحضاره فسأله : أنظمت كتاب الملوك . قال الفردوسى ، بعد الدعاء للسلطان : إنى رجل غريب من طـوس ، فزعت الى عدل السلطان . فلما سمعت قصة كتاب الملوك نظمت هـذه الحكاية . ففرح السلطان وسأله عن طوس وأهلها . ثم سأله عن بنى طوس. فقال : طوس بن نوذر . وذكر خبر فرود بن سياوخش كما فى الشاهنامه[1] . فلما عرف السلطان أنه عالم بسير ملوك العجم أمر باحضار الشعراء السبعة وقال لهم : هذا رجل شاعر قد نظم قصة رستم وسهراب . فتحير الحاضرون من بلاغة نظمه . وخلع عليه السلطان . وقبل العنصرى يد الفردوسى . ثم اقترح السلطان على الفردوسى أن يرتجل بيتين فى طرة أياز خادمه ففعل وأعجب بهما السلطان وعهد اليه أن ينظم كتاب الملوك .

هيئ للشاعر مكان فى قصر السلطان، وعلقت فيه آلات الحرب، وصور الأبطال وملوك إيران وتوران . ولم يؤذن لأحد أن يدخل عليه غير غلام وأياز " وكان السلطان يثنى على شعره، ويقول:

(١) ص ٢٠٥ ج ١ الآتية .

سمعت هذه القصص مرارا ولكن نظم الفردوسی شیء آخر. وقال له : إنك صيرت مجلسنا فردوسا . ولقبه الفردوسی .

وأمر السلطان الميمندی الوزير أن يعطيه ألف مثقال ذهب كلما نظم ألف بيت . وكان الفردوسی لا يأخذ المال، يبغی أن يدخره لبناء سد طوس، كما تقدم .

(٥) أكمل الفردوسی الشاهنامه، وسلمها الی أياز فعرضها على السلطان فاستحسنها وأمر أن يعطى حمل فيل ذهبا . فقال الميمندی للسلطان : إنی أخشى أن يقتله الفـرح إذا مُنح هذا المقــدار . وقال آخر : حرام أن يعطى شاعر فرد ستون ألف مثقال ذهب . حسبه مثلها فضة . فأمر السلطان أن يعطى ٦٠ ألف مثقال فضة . وأرسلها الميمندی مع أياز . وكان الفردوسی إذ ذاك فی الحمام . فلما رأى الفضة قال : ما بهذا أمر السلطان . فأخبره أياز بما كان بين السلطان والميمندی . فغضب الفردوسی وقسم المال أثلاثا بين أياز والحمامیّ وفقاعیّ شرب من عنده شربة فُقّاع . ثم قال لأياز: أبلغ السلطان أنی ما تحملت هذا العناء للدرهم والدينار ولكن للثناء الحسن والذكر الخالد .

غضب السلطان على الميمندی وقال : عرّضت عِرضی لألسنة الشعراء . قال الميمندی : إن منحة السلطان تشريف كثرت أم قلت . ولو أرسلت اليه قبضة من تراب لوجب أن يقبلها ويكتحل بها . فثارت ثورة السلطان وقال : لأرمينّ هذا القرمطی تحت أرجل الفيلة غدا . وأجعله عظة لسیئ الأدب .

خاف الفردوسی وتحير . فلما خرج السلطان فی الصباح الی المتوضأ ارتمى على قدميــه وقال : إن الحاسدين قرفونی عنــد السلطان بمـا أنا منه براء . وأعتــذر عما فعل بعطية السلطان . وقال : هبنی واحدا من المجوس أو اليهود والنصارى الذين فی مملكتك .

رضی السلطان وعاد الفردوسی الی مسكنه فأحرق بضعة آلاف بيت فی مســوداته . ثم ذهب الی المسجد الجامع وكتب على الجدار عند مجلس السلطان بيتين معناهما أن حضرة السلطان كالبحر الذی لا قرار له . فان غصت فيه فلم أظفر باللآلئ فذاك ذنبی لا ذنب البحر .

وأعطى أيازا كتابا وأوصاه أن يسلمه للسلطان بعــد ٢٠ يوما ثم ودّع أيازا وخرج راجلا ليس معه من زاد السفر ومتاعه شیء . وخاف النـاس أن يزودوه للســفر ولكن أيازا أرسل وراءه الزاد خفية . وبعد عشرين يوما قدم أياز الكتاب للسلطان فاذا فيــه الهجاء المشهور (فغضب السلطان وأمر بتعقبه، وجعل ٥٠ ألف درهم لمن يأتيه به . ولكنه فات جهد الطالبين)[1] .

(١) ما بين القوسين من المقدمة الثانية، مول ج ١ XL

(٦) شاع أمر الفردوسى، وألم الناس لما أصابه. وبلغ الخبر قُهستان. وكان واليها ناصر لك معجبا بالفردوسى فأرسل جماعة من خواصه فجاءوا به الى قهستان فأكرمه. وكان الفردوسى يريد أن يهجو السلطان فاحتال ناصر حتى عدل به عن الهجاء، وأعطاه مائة ألف درهم. وسكنت ثائرة الفردوسى فندم على الأبيات التى أنشأها.

ثم كتب ناصر الى السلطان يعجب من حرمان شاعر كالفردوسى بعد تحمله هذا العناء. ويبين للسلطان فقر الشاعر واحتياجه.

بلغ كتاب ناصر يوم الجمعة. وكان السلطان لم يذهب الى الجامع منذ خرج الفردوسى من غزنة الا ذلك اليوم فقرأ على جدار المسجد البيتين اللذين كتبهما الفردوسى ثم رجع الى قصره فاذا كتاب ناصر. واغتنم الفرصة جماعة من مقربى السلطان، المعجبين بالشاعر فندم السلطان وغضب على من أشار عليه بالذى فعل، وعنف الميمندى وقتله.

⁂

(٧) هرب الفردوسى الى مازندران، وأصلح الشاهنامه وألحق بها مديح والى مازندران[1]. وكان إذ ذاك من أبناء شمس المعالى قابوس بن وشمكير بن منوچهر بن شمس المعالى[2] (؟) وابنه صهر السلطان، وهو ابن بنت مرزبان بن رستم بن شروين مؤلف مرزبان نامه. وكان من غلاة الشيعة. فسرّ الوالى به وبالغ فى إكرامه، وأراد أن يمسكه عنده لولا خوف السلطان محمود. فوصله واعتذر اليه وأمره بالرحيل.

(٨) فتوجه تلقاء بغداد وبقى فيها أياما حتى لقيه بعض أصدقائه من التجار فوعده أن يبلغه حضرة الخليفة. ثم اتصل الفردوسى بالوزير ومدحه بقصيدة عربية بليغة فأعجب به الوزير وأنزله فى داره، ومنّاه مكانة عند الخليفة. ثم رفع أمره الى الخليفة فأمر باحضاره وأكرمه فنظم فى مدحه ألف بيت.

⁂

(٩) فلما أقام ببغداد وعلم أن الخليفة والناس لم يستحسنوا كتابه فى ملوك المجوس نظم قصة يوسف وزليخا فأعجب بها الخليفة وأهل بغداد وزادوه إكراما.

---

(١) ليس فى الشاهنامه أثر من هذا المدح. (٢) لعله يريد فلك المعالى منوچهر بن شمس المعالى قابوس.

(١٠) تحسس السلطان محمود حتى عرف مستقر الفردوسى فأرسل الى الخليفة يهدده أن يطأ بغداد بالفيلة إن لم يرسل اليـه القرمطى . فكتب الخليفة على ظهر كتاب محمود : "ألم والسلام" . تحير السلطان فى رسالة الخليفة حتى فسرت له بأن الخليفة أراد أن يجيب تهديد السلطان إياه بالرمز الى سورة الفيل : ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الخ .

(١١) ثم كان شقاق بين محمود وبعض الأمراء فأراد أن يكتب اليه مهددا بالحرب . فاستشار وزيره فيما يكتب اليه فكتب بيت الفردوسى :

أكر جزبكام من آيد جواب ... من وكرز وميدان وأفراسياب

(إن لم يأت الجواب كما أريد فأنا والدبوس والميدان وأفراسياب) .

فقال السلطان، وتذكر الفردوسى : إن هـذا المسكين لم يظفر منا بشىء ثم أمر أن يعطى ستين ألف دينار وخلعة، ويعتذر اليه . وسمع الفردوسى بعطف محمود فسار من بغداد الى طوس .

(١٢) وكان يسير يوما فى سوق طوس فسمع صبيا ينشد بيتا من هجائه :

أكر شاه را شاه بودى پدر ... بسر بر نهادى مرا تاج زر

(لو كان للملك أب فى الملوك لوضع على رأسى تاجا من الذهب) .

فتحسر الفردوسى وغشى عليـه فحمل الى داره فاذا هو ميت . وبينا يسار بالشاعر الى قبره جاءت صلة السلطان محمود .

(١٣) عرضت العطية على ابنته فلم تقبلها، وقالت أخته : إن أخى كان يود أن يبنى سد طوس بالحجر والحديد ليبقى ذكرا له فانفقوا المـال فى هذا . ففعلوا . ويسمى هذا السد سد عائشة فرخ، وآثاره باقيـة . وذكر ناصر خسرو فى كتابه سفرنامه أنه فى سنة ٤٣٨ مر بطوس فرأى رباطا كبيرا حديث البناء فسأل فقيل : إنه بنى من صلة السلطان محمود للفردوسى . وقيل: إن السلطان لمـا علم أن الفردوسى مات، وأن وارثه لم يقبل المـال أمر أن يبنى به عمارة .

(١٤) دفن الفردوسى فى بستان له . وأبى الشيخ أبو القاسم الجرجانى أن يصلى عليه بما أضاع عمره فى سـيرة عبدة النار . ورأى الشيخ فى منامه الجنة، وبصر فيها بقصر عظيم فدخل فاذا سرير من الياقوت . فسأل لمن هذا السرير؟ فأجاب رضوان : للفردوسى . وتبدى الفردوسى حينئذ فى لباس من سندس وتاج كالزمرد . فسأل الشيخ : يا فردوسى من أين هذه العظمة ؟ قال : بيتين قلتهما فى توحيد الله . وذكر بيتين من الشاهنامه . فلما استيقظ الشيخ ذهب فصلى على قبر الفردوسى وأخبر الناس برؤياه . اهـ .

*
* *

هذه خلاصــة مقدّمة بايسنقركما فى نسخة تبريز . وهى، بغضّ النظر عن خرافاتها، مضطربة بعض الاضطراب . فبعد أن تقص علينا شـفاعة ناصر لك عند السلطان محمود وندم السلطان على ما فعل بالفردوسى ، وقتله الميمندى من أجل ذلك[1] تصف لنا الشاعر مذعورا هاربا الى مازندران ثم بغـداد ، وتصف محمودا منقبا عنه مهددا الخليفــة من أجله . ثم تصف موت الفردوسى حسرة حينما سمع الصبي ينشد بيتا ممـا قاله فى هجاء السلطان بعد أن تذكر أنه رجع الى طوس عالمـا أن السلطان أمر له بالعطاء . فان كان السلطان قبل شــفاعة ناصرلك وقتل الوزير الميمندى من أجل الفردوسى ثم أمر بعدُ بأن يعطى ســتين ألف دينار ففيم هربُ الفردوسى وموته حسرة ؟ فى ثنايا المقدّمة أبيــات متفرّقة تساير القصـــة ويظهر أنها سيرة منظومة تقص عن الشاهنامه والفردوسى . ومن هــذه الأبيات يظهر أن الفردوسى سافر من غزنه الى مازندران لا الى قهستان . وهذا يوافق ما فى الروايات الأخرى : أن مسيره الى قهستان وشفاعة ناصر لك كانتا بعد مفارقة بغداد[2] . بهــذا يستقيم سياق القصة بعض الاستقامة .

وفيما يلى نقد هذه الأخبار، والاستشهاد بكلام الفردوسى نفسه فى تبيين سيرته ونظمه الشاهنامه وعلاقته بالسلطان محمود الغزنوى وغير ذلك .

وسأسير فى النقد على نسق الأعداد، التى تقسمت الأخبار المتقدّمة .

نقد هذه الأخبار وتحقيق سيرة الفردوسى :

لا بدّ قبــل نقد هذه الروايات أن نتحرّى مولد الفردوسى حتى اذا جزمنا فيــه برأى اهتدينا به فى تحقيق كثير من أخباره :

إذا اتخذنا خاتمة الشاهنامه مبدأ البحث، كما فعل مول ونلدكه ، فالخاتمة فى نسختى مول وتبريز وترجمة ورنر تتضمن هذه الأقوال: "حينما أتى علىّ خمس وستون سنة زدت همى ونصبى، واحتجت الى تاريخ الملوك وتأخركوكبى" ثم " ولمـا بلغتْ السنون إحدى وسبعين علا على الفلك شـعرى . لبثت خمسا وثلاثين ســنة فى هذه الدار الحائلة أحمل النصب من أجل الذهب . فلما ذروا نصبى مع الريح ذهبت الخمس والستون سدى . والآن يقارب عمرى الثمـانين وقد ذهبت كل آمالى أدراج

(١) لم يقتل السلطان الوزير الميمندى ولكن حبسه سنة ٤١٢، لأمر آخر .

(٢) مول ج ١ ص XLII وما بعدها .

الرماح . انتهت الآن قصة يزدجرد فى يوم أرد من شهر سـفندارمذ . وختمت هذا الكتاب الملكى حين مضى من الهجرة أربعمائة عام"[1] .

ظاهر هـذا الكلام أنه زاد اهتمامه بنظم الكتاب وهو فى سن خمس وسـتين، وأنه حينما بلغ الاحدى والسبعين كان قد أمضى خمسا وثلاثين سـنة فى نظم الكتاب، وأن سـنه حين ختم الكتاب سـنة ٤٠٠ كانت تقارب الثمـانين . ولكن القارئ يعجب من ذكر هذه الأعمار المختلفـة على هذا النسق فى خاتمة الكتـاب، ويرى فى الخاتمة بعض الاضطراب . ويتبين هذا الاضطراب والتناقض بمطالعة خاتمة الكتاب فى مخطوطات مختلفـة : فى بعض المخطوطات أن ختم تاريخ يزدجرد، وأظن المراد ختم الشاهنامه كلها ، كان سـنة ٣٨٤ . وهـذا التاريخ نفسه يذكر وحده فى خاتمة الترجمـة العربية فى النسخ التى رأيتها كلها . ثم خاتمة أخرى قدّم بها الكتاب إلى أحـمد بن محمد بن أبى بكر الخالَنجانى تبين أن ختم الكتاب كان سنة ٣٨٩ . فهل الأعمار الثلاثة المبينة فيما تقدّم بقايا ملفقـة من خواتم للكتاب مختلفة، فى التواريخ الثلاثة : سـنة ٣٨٤، ٣٨٩، ٤٠٠؟ هذا يظهر عند النظرة الأولى رأيا سـديدا، فان تكن سن الشاعر كانت ثمانين سنة ٤٠٠ فقد كانت سنه قريبا من إحدى وسبعين سـنة ٣٨٩ ، وقريبا من خمس وستين سـنة ٣٨٤ . ولكن إن استقامت هـذه الأعمار المختلفة فى قياسها الى السنين المختلفة فليست تلتئم مع أخبار أخرى يحدث بها الشاعر نفسه فى ثنايا كتابه :

فأما سنّ الثمانين فلا تلائم ما يذكره الشاعر عن عمره فى مواضع أخرى ، وقد سبق الى إدراك هـذا مول فى مقدمته للشاهنامـه[2] : ذلك بأن الشاعر يقول فى فاتحة حرب كيخسرو وأفراسـياب أبياتا فى مدح السلطان محمود يفهم منها أنه كان فى سن ثمان وخمسين حينما ولى محمود الملك . ومحمود تولى سنة ٣٨٧ . فان يكن قد كان فى سن ٥٨ سنه ٣٨٧ فكيف بلغ سن الثمانين سـنة أربعمائة؟ ثم هو يقـول فى بعض المواضع أن سنه ثلاث وسـتون[3] ثم يتبع هـذا بمدح السلطان محمود . ولو كانت سنه ثمانين، سنة ٤٠٠ لكان فى السابعة والستين عام تملك السـلطان ، فكيف مدحه سـلطانا وهو فى سن ٦٣ ؟ لا يمكن اذا أن نقبل أن سنه كانت ثمانين عام ٤٠٠ إلا بتأويل : محمود ولى خراسان من قبَل السامانيين عام ٣٨٤ . فاذا فرضنا أن هذه الولاية هى التى عناها الشاعر حين قال أنه سمع بولايته وهو فى سن الثامنة والخمسين فعمره سنة ٤٠٠ كان زهاء أربع وسبعين . وهذا يسوغ للشاعر

---

(١) هذا يوافق ٢٥ فبراير سنة ١٠١٠ م (٢) مول ج ١ ص XXII وما بعدها .

(٣) آخر قصة بهرام بهراميان و بهرام بن شابورص ٧٣ ج ٢ الآتية . مول ج ٥ ص ٤١٤ و ٤٩٠

أن يقول أنه قارب الثمانين . فقــد انتهينا اذًا الى أن سن الشاعر لم تكن ثمانين على أى فرض، على خلاف ما ذهب اليه نلدكه، وأن أقصى الفروض لا يزيد بهـا على أربع وسبعين . وهذا يقربنا من العمر الثانى . ويحتمل أن الأبيات التى يذكر فيها الثمانين ألحقت بالخاتمة بعد سنين من ختم الكتاب ومغاضبة السلطان . وبهذا يفهم قول الشاعر أن كل آماله ذهبت أدراج الرياح . فما كان ليقول هذا فى خاتمة يقدّم بها كتابه الى السلطان آملا فى عطائه أكبر الآمال .

ننظر فى السن الأخرى المذكورة فى الخاتمة وهى إحدى وسبعون . هل تلائم إخبار الشاعر عن نفسه وتلائم ما نعرف من أحواله؟ إن يكن الفردوسى كان فى سن ٧١، سنة ٤٠٠ فقد كان فى سن ثمان وخمسين، سنة ٣٨٧ ؛ وهى سنة تملك السلطان محمود . وقد صرح هو بذلك، كما تقدّم .

ويؤيد هــذا أن الشاعر يقول أنه كدّ فى نظم الكتاب ٣٥ ســنة . فان تكن سنه كانت ٧١، سنة ٤٠٠ هـ فقد بدأ النظم وسنّه ٣٦ سنة . ولو كانت سنّه ٨٠ فى السنة نفسها لكان بدؤه فى سنّ ٤٥ ؛ والأوّل أجدر بما عرف عن الشاعر من كلف بنظم تاريخ الفرس .

هذا، فيما يظهر، أرجح الآراء وأجدرها بالثقة . فيمكن أن يقال أن الشاعر ولد سنة ٣٢٩ هـ . وهــذا يقارب ما يروى أنه مات ســنة ٤١١ وهو فى سن الثمانين أو الثلاث والثمانين[١] . وعلى هــذا الرأى أسير فى تحقيق سيرة الفردوسى .

(١) تتفق الروايات على أن شاعرنا لقبه الفردوسى، وكنيته أبو القاسم . ثم تختلف فى اسمه بين منصور وحسن وأحمد، وفى اسم أبيه بين على وفخر الدين أحمد وإسحاق . وبعضها يسمى جدّه فرُّخ وبعضها يسميه شَرَفشاه . وليس فى الشاهنامه ذكر اسمه ولا اسم أبيه . و"الفردوسى" لقبه الشعرى كدأب شــعراء الفرس . ويقال أنه نســبة الى بستان فى طوس اسمه الفردوس كان لعميد خراسان سورى بن المغيرة، وكان أبو الفردوسى خادمه[٢] . وليس حقا أن السلطان محمودا لقبه بهذا حين أعجب بشعره فأسطورة محمود واهية كلها كما يأتى :

ولا شــك أنه طوسى . يقول نظامى العروضى فى چهار مقاله : "من قرية اسمها باژ من ناحية طبران . وهى قرية كبيرة تخرج ألف رجل" . ويقول ياقوت عن طبران: "إحدى مدينتى طوس .

(١) مول حـ ١ ص XLIV ، وورنر ج ١ ص ٤٦ (٢) براون ج ٢ ص ١٣٢ و ١٣٩ ، نلدكه : الحماسة الايرانية ص ٢٩ ، چهار مقالة ، تاريخ كزيده ، بهارستان جامى الخ .

لأن طوس عبارة عن مدينتين أكبرهما طابران والأخرى نوقان" . ومثل ذلك ما يقوله عن نوقان : "إحدى قصبتى طوس . لأن طوس ولاية ولها مدينتان إحداهما طابران والأخرى نوقان" .

وفى بعض الروايات أن الفردوسى من شاداب[1] . وفى دولتشاه أنه من قرية رزان قرب طوس .

ويقول العـروضى أن الفردوسى كان من دهاقين طوس، وكان له شوكة عظيمة فى قريتـه . وكان فى غنى بمـا تغله ضياعه[2] . ويظهر من الشاهنامه أنه كان صاحب زرع ؛ فهو يشكو من البرَد الذى أتلف الزرع وأهلك الغنم ولم يدع له شيئا ، وجعل الأرض كقطعة من العاج، إبان الخراج[3] . ويظهر فرحه فى موضع آخر بأن السلطان أسقط خراج سـنة[4] . ويؤيد هـذا قول العروضى أنه دفن فى حديقة له فى طبران[5] . ولكنا نجد الشاعر يقول فى المقدمة أن ماله لم يكن كثيرا، وأن صديقا له تكفل بحاجاته ليفرغ لنظم الشاهنامه، ونجده يردد شكاته من الفقر أثناء الكتاب: يقول، وهو يمدح السلطان محمودا : أمضيت خمسا وستين سنة (وذلك عمره حينئذ) فى الفقر والبؤس والنصب[6] .

"چنين سال بكذا شتم شصت وپنج بدرويشى وزندكانى ورنج"

ويقول دولتشاه أنه كان فقيرا وأنه فر الى غزنة من ظلم والى طوس ولبث يرتزق بانشاد الشعر حتى عرفه العنصرى فقـدّمه الى السلطان[7] . فان يكن الفردوسى كان دهقانا، كما يقول العروضى، فكلامه لا يدل على أنه كان غنيا. وليس بعيدا أن يكون بعض الرواة قد لبس الأمر، فكلمة "دهقان" تدل على صاحب الأرض وتدل على القاصّ أيضا .

وأما نشأة الفردوسى وتعلمـه فليس لدينا عنهما خبر . ولكن الشاهنامه تبين أنه درس ما كان يدرسـه أمثاله من أدباء ذلك العصر . ويظهر أن تاريخ الفرس شـغله منذ صباه . ويدرك قارئ كتابه أنه لم يكن واسع الاطلاع على التاريخ والجغرافيا . وسيأتى بيان هذا فى مبحث أغلاط الشاهنامه .

(٢ و ٣ و ٤ و ٥) علاقته بالسلطان محمود، ونظم الشاهنامه الخ .

محور هذه الأخبار صـلة الفردوسى بالسلطان محمود ، ونظمه الشاهنامه بأمره ثم حرمانه ممـا أمّله ، وسخطه على السلطان وهجاؤه إياه وهربه . ومعظم هـذه الأخبار خرافات ملفقة . وحسب

(١) تذكره، ص ٤٠ (٢) چهار مقالة ص ٤٧ (٣) وورنر ج ١ ص ٢٥
(٤) أول قصة الأشكانيين، مول ج ٥ ص ٢٦٦ (٥) چهار مقالة ص ٥١ (٦) مول ج ٤ ص ٤
(٧) براون ج ٢ ص ١٣٩

القارئ أن يعلم أن الفردوسى أمضى زهاء عشرين سنة فى نظم الشاهنامة قبل تملك السلطان محمود . وبراهين ذلك كثيرة؛ فهو يقول فى كتابه أنه نظم خمسا وثلاثين سنة . وقد ختم كتابه سنة ٤٠٠ هـ . فقد شرع فى نظمه إذًا حوالى سـنة خمس وستين وثلاثمـائة وذلك اثنتان وعشرون سنة قبل وفاة سبكتكين وولاية محمود، على أن محمودا لم يستقل بالملك إلا بعد سنتين من ولايته حينما زالت دولة السامانيين سنة ٣٨٩ . والفردوسى نفسه يقول فى مدائح السلطان أنه لبث عشرين سنة ينتظر ملكا كفؤا لكتابه[1] . ويقول فى موضع آخر أنه انتظر كثيرا ، وفى آخر أنه كان ينظم خفيـة لا يعلم به أحـــد[2] .

ودليل آخر: أن الفردوسى شرع ينظم الكتاب بعد وفاة الدقيقى.وكانت وفاته حوالى سنة ٣٦٥.

ينبغى إذا ألا نبـالى بكل ما يروى ، فيما تقـدم ، عن شروع الفردوسى فى نظم الكتاب بأمر السلطان، وبقائه فى قصره أمدا طويلا مكبا على عمله .

وينبغى هنا أن نفرغ من هذه المسألة : متى بدأت صلة السلطان والشاعر ؟

بينت، فيما تقدم، أن الفردوسى كان فى سن الثامنة والخمسين حين تولى محمود، والشاعر يذكر سنه فى مواضع مختلفة من الكتاب، ويمدح السلطان محمودا فى قطع كثيرة .

وأول قطعة يمر بها قارئ الكتاب ، بعـد المقدمة ، تتضمن أبياتا يقول فيها الشاعر أن سـنه خمس وستون[3] ، وأنه لمـا كان فى سن الثامنـة والخمسين سمع بحادثة عظيمة يفهم القارئ أنهـا تملك السلطان. ولكنا نجده يقول بعد ذلك فى آخر فصل بهرام بهراميان وآخر فصل بهرام بن شابور[4] أن سنه ثلاث وستون ، ويتبع هـذا فى فصل بهرام بن شابور بمدح محمود . فهذا ينبئنا أنه كان ينظم لمحمود وسنه ثلاث وستون. وليس عندنا دليل صريح يبين اتصاله بمحمود فى سن قبل هذه . ولكن يستطيع الباحث أن يقول إن الفردوسى أمل فى عطاء محمود، وعزم على أن يرسل اليه كتابه حينما فتح محمود خراسان واسـتولى على طوس . وكان ذلك سـنة ٣٨٩، ويؤيد هـذا ما تقدم عن مقدمة بايسنقر أن السلطان أمر أرسلان خان والى طوس أن يشخص اليه الفردوسى ويقول ابن الأثير فى حوادث سنة ٣٨٩ أن السلطان ولى أرسلان الجاذب على طوس . فأغلب الظن أن الفردوسى لم يتوجه شطر محمود إلا بعد أن جاوز الستين .

---

(١) ص ٣٣٦ ج ١ — الآتية . (٢) ص ٢٧٤ ج الآتية، مول ج ٦ ص ٤٨٤
(٣) مول ج ٤ ص ٥ — ١٣ (٤) = ج ٥ ص ٤١٤، ٤٩٠

تاريخ نظم الشاهنامه :

عرفنا فيما تقدّم أن الشاعر نظم كتابه فى خمس وثلاثين سنة آخرها سنة ٤٠٠ أو قبلها بقليل . فهل يؤخذ من الشاهنامه ما يدل على تاريخ نظم القصص المختلفة أو يبين فى أى السنين نظم الشاعر معظم كتابه؟ لا يجد القارئ ذكر السلطان محمود بعد المقدّمة، وقد كتبت بعد انتهاء الكتاب، إلا فى مفتتح حرب كيخسرو وأفراسياب. وذلك قرب منتصف الكتاب. ثم تتخلل الكتاب بعد هذا مدائح محمود مسهبة وموجزة، حتى تبلغ عند الخاتمة خمس عشرة . والشاعر يتحدّث عن عمره فى مواضع . ففى القسم الأوّل الذى لا يذكر فيه اسم محمود يذكر أن عمره ٥٨ سنة، يذكر هذا فى موضعين : فى أوّل قصة سياوخش، وأوّل القصة التى تليها[1] . وفى آخر القصة الأولى ما يشعر أن الثانية نظمت بعدها فورا . ولكن فى أثناء هذه القصة، فى فاتحة بناء سياوخش قلعة كنك، يذكر الشاعر أن سنه ٦٥؛ وهذا عجيب . فاما أن تكون هذه السن غلطا من النساخ . وإما أن يكون الفصل قد نظم بعد سنين وألحق بموضعه من القصة . ثم لا نجد حديثا عن عمره حتى القسم الثانى الذى تكثر فيه مدائح محمود. فيُظن اذًا أن الشاعر نظم هذا القسم، أى من كيومرث الى حرب كيخسرو وأفراسياب، قبل استيلاء محمود على خراسان، وقبل أن يفكر الشاعر فيه .

وفى القسم الثانى يكثر مدح محمود وهو مفرق فى المواضع الآتية :

(١) فاتحة حرب كيخسرو وأفراسياب ويذكر فيه أن سنه خمس وستون[2] .

(٢) وفى أوّل القصة التى نظمها الدقيق وهى التى تلى القصة السابقة، وبعدها حيث ينقد شعر الدقيق ويصفه بالركاكة[3] .

(٣) وفى فاتحة قصة هفتخوان، وهى تلى نظم الدقيق[4] .

(٤) وفى قصة رستم وأخيه شغاذ . وهى كالمتصلة بما قبلها . وفى ذلك يشكو الضعف والكبر والحرمان ويسأل السلطان مالاً[5] .

(٥) وفى أوّل تاريخ داراب، ولا يفصله عن القصة السابقة إلا عهد بهمن وابنته خمانى، وليسا طويلين (١٦٧ بيتا و ٣٢٠) .

---

(١) مقدّمة قصة سياوخش، ومقدّمة رجوع كيخسرو الى ايران، مول ج ٢ ص ١٩٠ و ٤٣٢

(٢) مول ج ٤ ص ٥ – ١٣ (٣) = ص ٣٥٨، ٤٤٨ (٤) = ص ٤٨٨ (٥) = ص ٧٠٣

(٦) وفى أوّل قصـــة اسكندر، وهى كالمتصلة بالسابقة لا يفصلهما إلا أبيات عن دارا . وفى آخر قصة الاسكندر يشكو الكبر .

(٧) وفى فاتحة القصة التى تلى قصـــة اسكندر ، وهى تاريخ الأشكانيين . وهنا يمدح محمودا وأخاه نصرا القائد[1] .

(٨) وفى آخر عهد أردشير، وهو الذى يلى عهد الأشكانيين[2] .

(٩) وفى آخر قصـــة بهرام بهراميان و بهرام بن شابور . و يذكر فيهما أن عمره ٦٣ ســـنة[3] . وكذلك يذكر هذه السن فى آخر قصة شابور ذى الأكتاف .

(١٠) وفى آخر قصة نوشزاد بن أنو شروان أبيات قليلة فى مدح السلطان يختمها رجاء الشاعر أن ينعم عليه السلطان حين يسمع كلامه[4] .

(١١) وفى آخر قصة كليلة ودمنة فى عهـــد أنو شروان بيت واحد معناه لولا رجال السوء لسرّ قلبى من السلطان محمود .

(١٢) وفى آخر توقيعات أنو شروان يمدح السلطان و يقول أنه أخفى نظمه زمنا طو يلا و يذكر فتح الهند . ومثل هذا فى آخر نصيحة أنو شروان ابنه هُرمزد[5] .

(١٣) وفى أوّل قصة خسرو وشيرين يمدح السلطان و يقول أنه لم ينظر فى كتابه[6] .

(١٤) ثم المدح فى خاتمة الشاهنامه كما يرى القارئ فى الحاشية آخر هذا الكتاب .

و يذكر الفردوسى ســـنه فى موضعين آخرين ليس فيهما مدح السلطان : فى آخر عهد قباد الأوّل يقول أنه جاوز الستين، وفى رثاء ابنه يذكر أن سنه ٦٥ ؛ وهذا الرثاء فى فصل كسرى پرويز، قبيل نهاية الكتاب[7] .

فيظهر من هذا كله أن الشاعر نظم ما بين حرب كيخسرو، التى يُذكر فيها محمود لأوّل مرة بعـــد المقدمة، الى آخر الكتاب فى عهد محمود، وفى العقد السابع من عمره .

وهو، فيما يظهر، لم ينظم الكتاب على ترتيبه الحاضر . وروايات بايسنقر تدل على هذا . فقد تقدم أنه نظم أول ما نظم، حرب أفريدون والضحاك، وأنه نظم فى غزنة قصة سهراب و رستم . و بعض

(١) مول ج ٥ ص ٢٦٦ (٢) ص ١٩١ ج ٦ (٣) مول ج ٥ ص ٤١٤، ٤٩٠ (٤) مول ج ٦ ص ٤٥٦ (٥) = ٤٨٤، ٤٩٠ (٦) ص ٢٣٨، ٢ ج ٢ الآتية، مول ج ٧ ص ٢٩٤ (٧) ص ٢٢٠ ، ٢ ج ٢ الآتية، مول ج ٧ ص ١٩٠

التواريخ التى فى أثناء الكتاب تدل على هـذا؛ فنحن نجد سـنّه ٦٦ وهو ينظم بناء قلعة كنك وهى فى ثلث الكتاب الأول ، ونجـدها ٦٥ فى حرب كيخسرو وأفراسـياب ، ثم نجـده فى عهد الساسانيين يذكر ٦٣ . ولكنى أظن معظم الكتاب نظم على ترتيبـه المعروف الآن ، وهو الترتيب التـاريخى .

ويرى مما تقدم أن الفردوسى نظم معظم كتابه بين الثامنة والخمسين والحادية والسبعين من عمره أى بين سنتى ٣٨٧ و ٤٠٠ من الهجرة، وإن كان قد شرع فى النظم قبـل ذلك بعشرين سـنة . وهو يصرح فى الخاتمـة بأنه زاد كده واحتياجه الى كتاب الملوك حين بلغ الخامسـة والستين . وكان الشاعر حريصا على إتمـام الكتاب يخشى أن يموت قبل أن يتمه ، وقد أعرب عن هذا فى المقدّمة ومواضع أخرى، وأنه لا يبالى بالموت بعد ذلك[1]. ووصف فى مواضع عدة حاله بعد الستين، ومقاربة الموت بل قال أنه بعد أن جاوز ثمانيا وخمسين لا يفكر إلا فى الموت[2] . فليس عجيبا من شاعرنا جدّه وكده بعد الستين من عمره لاكمال الكتاب الذى اتخذه عدّة لأيام الشيخوخة[3] . ثم هو يقول فى حكاية رؤيا الدقيقى فى المنام أن الدقيقى قال له : ما أسرع ما تنظم هذا الكتاب . ولا ريب أنه كان سريعا فى نظم بعض القصص إن لم يكن فى القصص كلها . ولو أرخ القصص كلها لأمكن أن نعرف مقدار نظمه كل سنة . ولكنا نستطيع أن نعرف بالتواريخ القليلة التى نجدها أثناء الكتاب أنه نظم قصة سياوخش فى أثناء سنة واحدة، حينما كانت سنه ٥٨ ، وهى زهاء ٢٨٠٠ بيت . ويحتمل أنه نظم غيرها فى السـنة نفسها . وكذلك نعـرف أنه نظم تاريخ شابور ذى الأكتاف وبهـرام بن شابور وبهرام بهراميان أثناء سنة، حينما كانت سنه ثلاثا وستين، كما تقدّم فى هذا الفصل . وهذه القصص لا تقل عن ألفى بيت .

هذا ولعل درسا آخر للشاهنامه ، والاهتداء الى مصادر أخرى لتاريخه تعين على تأريخ الكتاب تاريخا أدق وأوضح .

كيف قدّم الفردوسى كتابه الى السلطان :

لا يجـوز أن نفرض أن الفردوسى أرسل الشاهنامه الى السلطان محمود جملة واحدة . فما كان الفردوسى ليلبث أكثر من عشر سنين ينظم للسلطان ويمدحه فى أثنـاء النظم دون أن يلفت

(١) ص ٨ ج ١ الآتية، مول ج ٤ ص ٨ و ٣٥٦ و ٧٠٠ (٢) مول ج ٢ ص ٤٣٢

(٣) مول ج ٤ ص ٨

السلطان اليه، ويتعجل بعض عطائه. فلا ريب أن الشاعر كان كلما فرغ من قصة كبيرة أو عدة قصص بعث بها الى السلطان. ويحتمل أنه سار إلى غزنة بنفسه أحيانا وان لم نجد فى مدحه ما يدل على ذلك. كما يحتمل أنه قدم بعض الكتاب الى السلطان حينما دخل طوس سنة ٣٨٩، أو فى أوقات أخرى. وفى الشاهنامه ما يدل على أن الشاعر أرسل إلى السلطان بعض كتابه قبل أن يتمه؛ فهو يقول، أول قصة خسرو وشيرين، أن السلطان أعرض عن كتابه بسعاية المفسدين ولم ينظر فيه[(١)]. وقريب من هذا ما ذكره فى ختام قصة كليلة ودمنة[(٢)].

ويمكن أن نفرض أن المدائح الطويلة التى تصدر بها بعض القصص كانت فواتح قطع من الكتاب أرسلها الشاعر الى السلطان. ومن ذلك مقدمات حرب كيخسرو وأفراسياب، وقصة الدقيق وهفتخوان واسكندر والأشكانيين[(٣)].

ختم الكتاب وسفر الفردوسى إلى غزنه :

يقول نظامى العروضى فى كتابه چهار مقالة، وهو أقدم كتاب يروى من أنباء الفردوسى، أن الشاعر كان له نساخ اسمه على الديلمى، وراوية اسمه أبو دلف، وكان عامل طوس حيىّ ابن قتيبة حفيا به فاسقط عنه الخراج. ويروى العروضى أبياتا نجدها فى خاتمة الشاهنامه، تتضمن هذه الأسماء الثلاثة. ولكن الفردوسى يقرن هذه الأسماء بعضها ببعض فى نسق واحد، ويعدها من كبراء المدينة. فما أظن النساخ والراوية إلا كانا من الأدباء تطوعا لمعونة الفردوسى إعجابا به، وعصبية لأدب الفرس وتاريخهم القديم. ولو كانا مأجورين ما عدهما من الكبراء وذكرهما قبل عامل طوس الذى أراحه من تكاليف الخراج.

يقول العروضى : «كتب على الديلمى الشاهنامه فى سبعة مجلدات. وأخذ الفردوسى أبا دلف وتوجه تلقاء غزنه، وتوسل بالرئيس الكبير أحمد بن الحسن الكاتب. وكان السلطان محمود يعرف له أياديه، ولكن الرئيس الكبير كان له منافسون يدأبون على الايقاع به والغض من قدره. فسأل محمود هذه الجماعة ماذا نعطى الفردوسى؟ قالوا : خمسين ألف درهم، بل هذا كثير. لأنه رجل رافضى ومعتزلى». وروى العروضى الأبيات التى اتخذوها دليلا على اعتزاله ورفضه، وهى مثبتة فى مقدمة الشاهنامه. «وكان السلطان محمود رجلا متعصبا فعملت فيه هذه السعاية، وأصغى اليها. فأرسل الى

(١) مول ج ٧ ص ٢٩٤، ص ٢٣٨ الآتية الجزء الثانى.   (٢) مول ج ٦ ص ٤٥٦

(٣) مول ج ٢ ص ٥ و٣٥٨ و٤٨٨، ج ٥ ص ١٠٠ و٢٦٦

الفردوسى عشرين ألف درهم. فاغتم جدا وذهب إلى الحمام ثم خرج وشرب فُقّاعا، وقسم هذه الفضة بين الحامى والفقاعى. وكان يعلم سطوة محمود ففارق غزنه بليل، ونزل بهراة فى دكان اسماعيل الوراق والد الأزرق (الشاعر)، وتوارى فى داره ستة أشهر حتى بلغ طلاب السلطان طوسا وعادوا .

رواية العروضى هذه تشـبه أن تكون منشأ الروايات المبهمة التى قدّمتُ خلاصتها عن مقدّمة بايسنقر . والعروضى، لاريب، أجدر بالثقـة، وأقرب الرواة الى عهـد الفردوسى، وقد زار قبره فى طوس بعد قرن من وفاته، سنة ٥١٠ ﻫ . فكأنه يروى ما عرف عن الشاعر فى بلده بعد مائة سنة من وفاته .

وأوّل خلاف يعنينا بين العروضى وبين رواة بايسنقر يدور حـول الوزير الميمندى ؛ العروضى يجعل الميمندى وسـيلة الشاعر الى السلطان، ويروى بعدُ أنه كان شفيع الشاعر الى السلطان بعد أن وقعت بينهما النفرة، وكذلك فى دولتشاه أن الميمندى كان محسنا الى الفردوسى . ومقدّمة بايسنقر تجعل الميمندى عدوّ الشاعر وحاسده الذى أفسـد قلب السلطان عليـه . وتتفق الروايتان على أن الميمندى لم يبلغ الشاعر ما أمّله .

والذى نعرفه من أخبار الوزير الميمندى والوزير الذى كان قبله — أبى العباس الفضل بن أحمد يمنعنا أن نقبل رواية العروضى فى عطف الميمندى على الشاعر، ويرجح رواية بايسنقر أن الميمندى سعى فى حرمان الشاعر من نوال السلطان أو لم يبال به :

كان وزير محمود سنة أربعمائة من الهجرة، وهى سنة ختم الشاهنامه، أبا العباس الفضل بن أحمد، والفردوسى يمدحه مع السلطان فى أوّل مدح يصادف قارئ الشاهنامه بعد المقدّمة، وفى أثناء هذا المدح يذكر الفردوسى أن سنه ٦٥ ؛ فهو قد مدح الفضل قبل ختم الشاهنامه . ولما ختم كتابه كان الفضل لا يزال وزيرا . فكيف توسل الشاعر بالميمندى الذى لم يمدحه دون الوزير الذى مدحه ؟ نعرف من تاريخ العتبى أن النفرة وقعت بين السلطان ووزيره حوالى سنة ٤٠١ إذ قلّ الخراج وطالب السلطان وزيره بالمـال وانتهى الأمر الى أن حبسه وغرّمه مائة ألف دينار . وبقى محبوسا حتى قتله النـاس فى غيبة السلطان فى غزوة ناردين بالهند سـنة ٤٠٤ . والميمندى إذ ذاك صاحب الحول والطول ، وقد استخلفه السلطان على أمور الدولة وإمداده بالمـال فى غزواته، ثم ولاه الوزارة مكان أبى العباس . فلا ريب أن الميمندى كان من الشامتين فى الوزير، وقد قُتل الفضل وهو يعذب من أجل المـال، والأمر كله فى يد الميمندى . فان كان الفردوسى بلغ غزنه بعد أن فسد الأمر بين السلطان والفضل

فتوسل بالميمندى فما كان أحراه ان يخيب. فالميمندى كان إذ ذاك فى شغل بتزيين عمله عند السلطان والحط من الفضل ومن تقرّب اليه . ثم الميمندى لم يكن يعنى باللغة الفارسية عناية الفضل . يقول العتبي : "وكان الوزير أبو العباس قليل البضاعة فى الصناعة ؛ لم يعتن بها فى سالف الأيام، ولم يرُض بنانه بخدمة الأقلام . فانتقلت المخاطبات مدّة أيامه من العربية الى الفارسية . حتى كسدت سوق البيان ، و بارت بضاعة الاجادة والاحسان ، واستوت درجاة المجزة والكفاة ، والتق الفاضل والمفضول على خطى الموازاة . ولما سعدت الوزارة بالشيخ الجليل أسعد الله به جدود الأفاضل ، وورّد بمكانه خدود الفضائل ، ورفع ألوية الكتّاب ، وعمر أفنية الآداب . بجزم على أوشحة ديوانه أن يتنكبوا و يتحاشوا الفارسية إلا عن ضرورة من جهل من يكتب اليه ، وعجزه عن فهم ما يتعرّب به عليه . فطارت توقيعاته فى البلاد ولا شوارد الأمثال، وأبيات المعانى من القصائد الطوال" .

وأحسب اضطراب أمر الفضل كان من أسباب حرمان الشاعر . وخلو الكتّاب من ذكر الميمندى، و إبقاء الفردوسى على اسم الفضل فى كتابه يدل على أن الشاعر بلغ غزنه فى عهد الفضل وتوسل به الى السلطان لا بالميمندى، ولكن حاجة السلطان الى المال إذ ذاك ، وشدّة محاسبته الوزير لم تكن ملائمة إجزال العطاء للشعراء . والسلطان محمود كان حريصا على المال ؛ يقول ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٢١ عن محمود : « ولم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان يتوصل الى أخذ الأموال بكل طريق . فمن ذلك أنه بلغه أن إنسانا من نيسابور كثير المال عظيم الغنى فأحضره الى غزنة وقال له : بلغنا أنك قرمطى . فقال : لست بقرمطى ، ولى مال يؤخذ منه ما يراد ، وأُعفَى من الاسم . فأخذ منه مالا وكتب معه كتابا بصحة اعتقاده » [1] .

وليس بعيدا، مع هذا، أن يكون الناس اتهموا الفردوسى بالتشيع والاعتزال كما يقول العروضى. وفى الشاهنامه أبيات كثيرة تبين عن كلف الشاعر بحب آل البيت بل فى مقدّمة الكتّاب يسمى عليا « الوصى » وفى بعض مدائح محمود يذكر عليا بعد الرسول، ولا يذكر غيره من الصحابة [2] . والأبيات التى روى العروضى أنه اتهم من أجلها بالرفض والاعتزال نجدها فى مقدّمة الشاهنامه [3] . فايثار على بالمدح، والمغالاة فى الثناء عليه كانا جديرين أن يتخذهما الحساد وسيلة الى سخط السلطان، و إن كان الشاعر قد مدح الخلفاء الأربعة فى المقدّمة . وأحسب أن السلطان لو ترك لرأيه ما آخذ الفردوسى بالإطناب فى مدح آل البيت . فابن الأثير يخبرنا أن السلطان «جدد عمارة المشهد بطوس الذى فيه

(١) كتاب اليمنى ص ١٧٠ ج ٢ (٢) مول ج ٦ ص ٢٤٢ (٣) ص ٨ ج ١ الآتية .

قبر على بن موسى الرضا والرشيد ، وأحسن عمـارته . وكان أبوه سبكتكين قد أخربه . وكان أهل طوس يؤذون من يزوره »[1] .

وينبغى ألا ننسى رواية بايسنقر فيما تقدّم أن الشاعر كان يرسل قصصه الى الأمراء والكبراء، وأنه أرسـل الى فخر الدولة البويهى قصـة رستم واسفنديار فأرسل اليـه جائزة ، ووعده الاكرام إن قدم اليه . فهذا، إن صح، كان سببا الى سخط السلطان وسعى المفسدين لحرمان الشاعر .

ما أعطاه السلطان للفردوسى :

فى ثنـايا الشاهنامه مدائح كثيرة يوصف فيهـا السلطان محـمـود بالجود والسخاء ، وأن الذهب والتراب سيان عنـده . ويصرح الشاعر فى المدائح أنه يرجونوال السلطان، وأنه أعدّ الكتاب ليدرّ عليه المـال فى شيخوخته . ولكنا لا نقرأ للشاعر بيتا واحدا يشكر فيه السلطان على منحة، أو يحدث فيـه بأنه ظفر بعطائه . فأحسب اذًا أن السلطان لم يمنح الفردوسى شيئا أثنـاء نظم الكتاب، وأن الشاعر صبر، وادخر كل آماله فذهب بهـا الى غزنة بعـد أن ختم كتابه . ولا شك أن الفردوسى لم ينل ما رجاه؛ اتفقت على هذا الروايات ، وسار فى الأدب الفارسى مسير الأمثال . وفى مقدّمة بايسنقر، كما تقدّم ، أنه أمر للشاعر بستين ألف دينار فأشار الميمندى أن يعطى ستين ألف مثقال من الفضة . والعروضى يقول أعطاه عشرين ألف درهم .

وفى الهجاء المروى عن الفردوسى بيت غامض يروى فى نسخة تبريز هكذا :

كف شاه محـمـود عالى تبـار   نه اندر نه آمد سه اندر چهار

ومعناه فيما يظهر لى : إن فى كف الملك محمود، علىّ النسب "تسعة فى تسعة" صارت "أربعة فى ثلاثة" فهل يؤخذ من هذا البيت أنه كان يرجو دنانير قيمتها واحد وثمانون ألف درهم فأعطاه السلطان اثنى عشر ألفا ؟ وقد تكون الإحدى والثمانون رمزا الى الخطوط التى فى الكف اليسرى . ومهما يكن فعطية السلطان كانت أقل من التى رجاها الفردوسى فخاب رجاؤه وثارت ثائرته .

تتفق الروايات على أن الشاعر قسم المـال بين بعض النـاس ازدراء ، وغضبا على السلطان . وأحسب قصـة الحمامى والفقاعى أوحت بهـا أبيات فى الهجاء المنسـوب الى الشاعر كما يأتى ؛ فهو يقول : "إن الملك فتح لى كنزه ليكافئنى فـما أعطانى إلا ثمن شربة فُقّاع . استحققت من كنز الملك فقاعا فاشتريته على الطريق" . وانمـا يقول الفردوسى هـذا استهزاء بمنحة السلطان . وأظن الفردوسى أخذ ما نال من السلطان ثم خرج مغاضبا .

(١) حوادث سنة ٤٢١

٦ و ٧ — هرب الفردوسي، ومسيره الى مازندران :

يقول العروضي بعـد الذى ترجمته آنفا : "فلمـا أمن الفردوسيّ توجه من هراة الى طوس، وحمل الشاهنامه وسار الى طبرستان، الى الأصبهبذ شهريار الذى كان ملك طبرستان، من آل باوند . وهى أسرة عظيمة يتصل نسبها بيزدجرد بن شهريار . فكتب فى الديباجة مائة بيت فى هجاء محمود . وقرأها على شهريار وقال : "سأحول هذا الكتاب من اسم محمود الى اسمك . فان هذا الكتاب كله أخبار أجدادك ومآثرهم" . فتلطف شهريار وأكرمه وقال : "يا أستاذ إن محمودا قد حُمل على هذا، ولم يُعرض عليه كتابك كما ينبغى وسُعى بك . ثم أنت رجل شيعى . وكل من تولى آل النبى لم تستقم له أمور الدنيا اذ لم تستقم لهم أنفسهم . ومحمود مَلِكى . فدع الشاهنامه باسمه، وأعطنى الهجاء لأغسله، وأعطيك شيئا يسيرا . سيدعوك محمود ويسترضيك . ولا يضيع جهد كتاب مثل هذا" . وفى اليوم الثـانى أرسل اليه مائة ألف درهم وقال : اشتريت كل بيت بألف درهم، فأعطنى مائة البيت هذه، وارض عن محمود . فأرسل الفردوسيّ الأبيات فأمر (شهريار) بغسلها، وغسل الفردوسيّ مسودتها أيضا . وضاع الهجاء وبقيت منه هـذه الأبيات الستة . (يثبت العروضى هنا ستة أبيات سيأتى الكلام فيهـا) . والحق أن شهريار قدم الى محمود يدا عظيمة وقد عرف له محمود حقه" .

هذا يوافق فى جوهره ما نقلته عن بايسنقر فيما تقدّم ؛ فالروايتان تتفقان على أن الفردوسى لجأ إلى أحد الامراء، وأراد أن يقدّم إليه الشاهنامه، ويمحو اسم محمود ويهجوه فعدل به الأمير عما أراد تقربا إلى السلطان . فلننظر أى الروايتين تلائم التـاريخ : روايات بايسنقر تذكر أميرين : الأول ناصرلك والى قهستان الذى شفع للفردوسى عند السلطان حتى أرضاه عنه وعدل بالفردوسى عن هجائه كما فعـل شهريار فى رواية العروضى . والثانى أمير مازندران الذى أكرم الفردوسى وأمره بالرحيـل من بلاده خيفـة من محمود . وظاهر أنهما روايتان متناقضتان . فلو أن السلطان قبـل شفاعة ناصرلك ما احتاج الشاعر أن يهرب من مازندران، وما خاف أميرُ مازندران من إقامتـه فى بلاده . نترك إذًا قصة ناصرلك الذى لانعرفه ونأخذ الرواية الثانية لنقرنها برواية العروضى؛ هذه الرواية تجعل أمير مازندران إذ ذاك من أبناء قابوس بن وشمكير على اضطراب فى ذكر الاسم ، وتجعـل ابنه صهر السلطان وابن بنت مرزبان بن رستم بن شروين مؤلف كتاب مرزبان نامه . ونحن نعرف من تاريخ آل زيار أن ابن بنت مرزبان بن رستم منهم هو اسكندر بن قابوس والد كيكاوس الملقب عنصر المعالى، مؤلف كتاب قابوس نامه . وأن صهر السلطان محمود منهم هو كيكاوس بن اسكندر، وعمه منوچهر

فلك المعالى . فالذى ابنه صهر السلطان هو قابوس أو اسكندر [1] . والذى ابنه صهر السلطان وابن بنت مرزبان هو قابوس فقط . واذا نظرنا الى أن الفردوسى ختم كتابه سنة ٤٠٠، والى أن هربه ينبغى أن يكون فى السنة نفسها أو التى تليها فأمير مازندران اذ ذاك هو قابوس بن وشمكير نفسه . واذا فرضنا أنه تأخر الى سنة ٤٠٣ فالأمير منوچهر .

وأما رواية العروضى ففيها أن الشاعر ذهب الى مازندران عند شهريار. وليس فى چهار مقالة التى بيدى ذكر اسم أبيه . ولكن براون فى ترجمة أخبار الفردوسى عن چهار مقالة يذكر شهريار بن شروين [2]. وكذلك ابن اسفنديار فى تاريخ طبرستان، عدّد ملوك آل باوند حتى شهريار بن شروين ثم قال: وكان شهريار معاصرا للسلطان محمود الغزنوى وقابوس بن وشمكير، ونقل رواية العروضى عن ذهاب الفردوسى الى مازندران [3] . ومحمد بن عبد الوهاب القزوينى فى حواشى چهار مقالة يقول أنه وجد فى أصل الكتاب شهرزاد أو شيرزاد مكان شهريار، ويجزم بأن هذا خطأ، وأن الحاكم اذ ذاك كان شهريار بن شروين بن رستم الخ [4] . ويظهر لى أن كل هذا نشأ من تشابه الأسماء فى آل باوند . فالمعاصر لمحمود وقابوس ليس شهريار بن شروين بل شهريار بن دارا بن رستم بن شروين (٣٥٨ – ٣٩٦) [5] . وهو الذى عناه العروضى، فيما يظهر . ولكن هذا لا ينهى المسألة . فشهريار هذا حكم الى سنة ٣٩٦، وهرب الفردوسى كان بعد سنة ٤٠٠، وحاكم مازندران اذ ذاك من آل باوند هو رستم بن شهريار (٣٩٦ – ٤١٩) فقد وضع العروضى شهريار مكان ابنه رستم . والذى يعنينا من هذه الروايات المختلفة أن الفردوسى ذهب الى مازندران، وليس لدينا مايدعو الى التكذيب به . وليس يعنينا كثيرا أنه قصد أميرا من آل زيار أو من آل باوند . ولا يبعد أن يكون الشاعر ذهب الى الأميرين كليهما، . ومهما يكن فبنو زيار كانوا فى حماية محمود، وكانوا أصهاره؛ وكان بنو باوند أصهار بنى زيار، وخاضعين لسلطان محمود أيضا . فلا غرابة أن يجهد أمير زيارى أو باوندى ليعدل بالفردوسى عن هجاء محمود إن كان الفردوسى قد هجاه أو عزم على هجائه .

هجاء السلطان :

ما يفتح أحد نسخة من الشاهنامه إلا يجدها مصدّرة بهجاء السلطان محمود، وقد صدق الشاعر الذى قال :

(١) انظر مقدّمة قابوس نامه، براون ج ٢ ص ٢٧٧، الشبى ج ٢ ص ١٨٤ (٢) براون ج ٢ ص ١٣٥
(٣) تاريخ طبرستان ص ٢٣٨ الترجمة الانكليزية . (٤) چهار مقالة ص ١٩٠ (٥) الدول الاسلامية لخليل أدهم ترجمة كتاب لين پول .

گذشت شوكت محمود ودرزمانه نماند　　　جزاين قدركه ندانســت قدر فردوسى

"ذهبت شوكة محمود ولم يبق على الزمان إلا شيء واحد : أنه لم يقدر الفردوسى قدره" . فهل هجا الفردوسى السلطان محمودا ؟ وإن يكن هجاه فما الذى بقى لنا من هذا الهجاء ؟

يؤخذ من روايات بايسنقر والعروضي أن الشاعر عدل عما أراده من هجو محمود، أو رضى بمحوه وإخفائه . ويقول العروضى : "وقد بقى من الهجاء هذه الأبيات الستة" :

مرا غمــزه كردند كان پرسخن　　　بمهــر نبى وعلى شــد كهن

اگر مهرشان من حكايت كنم　　　چو محمودرا صــدحمايت كنم

پرســتار زاده نيـايد بكار　　　وگرچند باشــد پدر شهريار

ازين در سخن چند رانم همى　　　چو دريا كرانه ندانم همى

به نيكى نبد شاه را دستگاه　　　وگرنه مرا برنشاندى بگاه

چو اندر تبارش بزرگى نبود　　　ندانست نام بزرگان شنود

وترجمتها :

"لقد قالوا طاعنين : إن هذا المنطيق شابَ على حب النبي وعليّ . ولئن حكيت حبهم لأحمين مائة مثــل محمود . ان ابن الأمة لا يرجى خيره ولو كان أبوه ملكا . حتام أطيل الكلام فى هــذا، وهو كالبحر لا أعرف له قرارا ؟ لم يكن للملك مقدرة على الخير، وإلا لرفعنى على العرش . ولم يكن عظيم الأصل فلم يحسن أن يستمع أسماء العظماء .

هــذا كل ما رواه العروضى، وهو أقدم الرواة . ولكنا نجد الآن فى نسخ الشاهنامه هجاء محمود يختلف من ٣٠ بيتا الى ١٦٠؛ فى نسخة مول ٩٣، وفى نسخة تبريز ١٠٥، وفى مكن ١٠١ الخ [1] . ويقول مرزا محمد بن عبد الوهاب القزوينى فى حواشى چهار مقالة، تعليقا على قول العروضى أن الهجاء قد ضاع وبقى منه ستة أبيات : "هذا ادعاء غريب جدا . لأنه يقتضى أن الهجاء المعروف المثبت فى أول الشاهنامه ليس للفردوسى منه غير ستة أبيات على حين أن نسبة هذا الهجاء الى الفردوسى يمكن أن تعد من المتواترات . ثم طرز هــذه الأشعار وأسلوبها على نمط سائر أشــعار الفردوسى فى الجزالة ومتانة الألفاظ . وقوة المعــانى واستحكامها" [2] . ويقول نلدكه، بعــد تبيين اختلاف النسخ فى عدد

(١) الحماسة الإيرانية ص ٤٧ حا .　　(٢) چهار مقاله ص ١٩١

أبيات الهجاء : " ومهما يكن فيرزا محمد القزوينى ناشر چهار مقالة له الحق فى الاعتراض على قول العروضى أنه لم يبق من الهجاء إلا ستة أبيات" .

هـذه الأبيات الستة متفرقة فى أثناء الهجاء فى نسخة مكّن . وفى مول وتبريز ثلاثة منها . ونحن اذا نظرنا الى الهجاء فى مول وتبريز نجد بعض أبيـاته مثبتا فى أثناء الشاهنامـه ، وليس فيها هجاء . بل نجد بعض الأبيات مثبتا فى مدائح محمود ، وهى أبيات يذكر فيها الشاعر نفسه وكتابه الخـالد، وما يرجوه من السلطان[1]، ونجد أبياتا منه فى مقدّمة الشاهنامه كالأبيات التى يذكر فيها حبه آل البيت، ويسب فيها مبغض على . فلاشك أن هذه الأبيات ليست كلها من هجاء الفردوسى إن كان الفردوسى قد هجا . وأحسب رواية العروضى أن الهجاء كان مائة بيت دعا بعض الناس أن يبلغوه مائة . وهو يقرب من المـائة فى أكثر النسخ الموثوق بها . فليست مطابقـة قول العروضى دليـلا على الصحة بل على المحاكاة .

وأنا أرتاب فى أن الفردوسى هجا محمودا لأن الرجل كان يعرف سطوة السلطان ، ولأننا لا نجـد فى مقدّمة قصة يوسف وزليخا التى أعرب فيها عن ندمه بما أضاع عمره فى نظم الأساطير، وقصص الملوك القدماء، والتى هى أجدر مكان باعراب الفردوسى عن خيبة أمـله فى السلطان — لا نجـد فى هذه المقدمة بيتا واحدا عن السلطان محمود، ولا عن تحسر الشاعر على مافاته من ثمرة كتابه . إلا أن يكون هذا البيت :

نكـويم دكـرداستان ملوك   دلم سيرشد زآســتانـ ملوك

«لا أقص من بعدُ قصص الملوك، فقد مل قلبى عتبات الملوك » .

وهو إن كان تعريضا بمحمود لا يعرب عن هجاء رجل محنق . فالذى منع الشاعر أن يقول كلمة عن محمود فى مقدّمة كتابه الثانى الذى كتبه وهو فى غير مملكته — منعـه ، فيما أظن ، أن يهجوه من قبـل . وإن صدقت رواية العروضى فقـد ضاع الهجاء فكيف بقيت هذه الأبيات كلها ؟ وآية الاضطراب فى روايات الهجاء الاختلاف الكبير فى عدد أبياته كما تقدم .

وما أظن الشاعر هرب من محمـود . وإنمـا كان ذهابه الى مازندران وغيرها التماسا لمـا فاته فى الشرق . ولمـا أراد الرجوع الى بلاده رجع غير هائب أحدا .

---

(١) الأبيات ٧ — ١١ ص X C ج ١ والأبيات ٦٦ — ٦٩ ص ١٠ ج ٤ ، مول .

بل يمكن أن يقال: إن السلطان ما حسب أنه أساء الى الشاعر، ولا علم أنه أتى أمرا نكرا بحرمانه الفردوسى، وأن الناس تحدثوا به حتى صار ذكر الشاهنامه سبة للسلطان . ولكنه أعطى عطاء ظنه وافيا بمكافأة شاعر . ومن آيات ذلك ما رواه ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٢٠ أن مجد الدولة البويهى استنجد السلطان محمودا حين فسد عليه جنده فسير اليه جيشا وأمرهم بالقبض عليه "فلما وصل العسكر الى الرى ركب مجد الدولة يلتقيهم فقبضوا عليه وعلى أبى دلف ولده . فلما انتهى الخبر الى يمين الدولة (محمود) بالقبض عليه سار الى الرى فوصلها فى ربيع الآخر، وأخذ من الأموال ألف ألف دينار، ومن الجواهر ما قيمته خمسمائة ألف دينار، ومن الثياب ستة آلاف ثوب، ومن الآلات وغيرها ما لا يحصى . وأحضر مجد الدولة وقال له : أما قرأت كتاب شاهنامه وهو تاريخ الفرس، وتاريخ الطبرى وهو تاريخ المسلمين؟ قال بلى! قال: ما حالك حال من قرأها. أما لعبت بالشطرنج؟ قال بلى! قال : فهل رأيت شاها يدخل على شاه ؟ قال لا . قال : فما حملك على أن سلمت نفسك الى من هو أقوى منك ؟ ثم سيره الى خراسان مقبوضا" .

فلو كان ذكر الشاهنامه سبة للسلطان ما سأل عنها خصمه .

٨ و ١٠ — الفردوسى ببغداد

وأما حديث الفردوسى ببغداد فحديث خرافة . ليس عجيبا أن يكون الشاعر ذهب الى بغداد، ولكن لا ريب أنه لم ينظم شعرا عربيا قط. فمدحه وزير الخليفة بقصيدة عربية بليغة، ومدحه الخليفة بألف بيت من الشعر العربى كذب صريح . وكذلك نظمه قصة يوسف وزليخا بأمر الخليفة أو إرضاء له، واستحسان الخليفة وأهل بغداد هذه القصة . فليس فى مقدمة يوسف وزليخا ذكر الخليفة صريحا أو كناية، ولا فيه ذكر بغداد أو أهلها . بل يصرح أنه نظم الكتاب لأمير العراق، كما يأتى . وكذلك تحسس السلطان أخبار الفردوسى، وتهديده الخليفة من أجله، ورد الخليفة . كل هذا أساطير بعيدة من الحقيقة؛ فما كان محمود ليهتم بأمر الفردوسى هذا الاهتمام، ولو أهمه أمره ما استباح، وهو السلطان السنّى المتشدد، أن يهدد الخليفة بأن يطأ بغداد بالفيلة إن لم يرسل اليه القرمطى (الفردوسى) . هذه أحاديث اخترعها الذين أرادوا أن يخلقوا للفردوسى قصة كقصص الشاهنامه .

(٩) يوسف وزليخا :

يقول الشاعر فى مقدمة القصة إن شاعرين نظماها من قبل : أبو المؤيد البلخى ثم البختيارى الذى نظمها لأمير العراق . وذلك أن البختيارى قصد حضرة الأمير بالأهواز يوم النيروز ، ودخل

فى زمرة الشعراء المـادحين فى ذلك اليوم . و بعد أيام جلس الأمير يستمع ترتيل سورة يوسف، فودّ أن تنظم السورة بلفظ فارسى فصيح نظما يغنى عن التفسير . و بينما الأمير يفكر فى هـذا اذ أقبل البختيارى فأسرع الأمير الى دعائه، واقترح عليه أن ينظم القصة . فقبل الأرض والتزم أن ينظمها . ودأب فى عمـله مكلفا نفسه كل نصب . يقول الفردوسى : وسمعت القصة كلها وعرفت جودها ورديئهـا . وكنت أتحدث عنهـا يوما عنـد "الأجلّ تاج الزمان ، فلك الوفاء والرفعـة، الموفق" فاستمع لحديثى ثم نظر الىّ وقال: أريد أن تبادر الى نظمها مرة أخرى نظما لا يستطيع أن يعيبه شاعر . فإن وفقت فى نظمها وواتتك الاجادة فى ألفاظها ومعانيها حملتها الى أمـير العراق فتقرأ عنده فتكون وسيلة الى تعريفه مكانتك فى الشعر فيلتفت اليك . فقلت له : سأمتثل الأمر وأنظم القصة حتى اذا صادفتْ قبولا من الملك جذب بضبعى، وسعدت بخدمته . الخ" .

فالشاعر يحدّثنا أن نظم القصة اقتُرح عليه، وأنه لم ينظمها، كما يقال، تكفيرا عن نظم الشاهنامه.

ولكن الشاعر، وقد تصدّى لنظم قصة قرآنية فى شيخوخته ، بعد أن أمضى عمره فى نظم سير الملوك وأساطير الأبطال ثم لم يظفر بما يعزيه عن عمره الفائت وكده خمسا وثلاثين سنة — اتخذ نظمها توبة مما اقترف إذ أضاع عمره فى نظم الأساطير . والشاعر يعرب هنا عن أسفه وندمه، مبينا الفرق بين أساطير الملوك وقصص الأنبياء التى أوحاها الله الى نبيه؛ يقول : «نظمت فى كل باب ، وسمع قولى كل إنسان . فان أكن قد وجدت فى هذا لذة فما بذرت إلا بذر النصَب والآثام . وقد ندمت على ما بذرت، وختمت على قلبى ولسانى . فلن أنطق من بعدُ بأحاديث الكذب، ولن أبذر الآثام بعد أن اشتعل رأسى شيبا . لقد انقبض قلبى من أفريدون البطل . ماذا يعنينى من أنه استولى على عرش الضحاك ؟ ومللت من ملك كيقباد . وذهب تخت كيكاوس أدراج الرياح . ولست أدرى ما الذى يكون غير العذاب من كيخسرو وحرب أفراسياب؟ إن العقل ليسخر من الكلف بمثل هذا. أنّى يرضى العقل منى أن أضيع نصف حياتى لأملأ العالم باسم رستم» ؟ إلى أن يقول : «أضعت العمر وأصبت الغم. فان يتح لى البقاء أياما فلن أسلك إلا سبيل الصدق. لا أقص من بعدُ قصص الملوك، لقد انقبض صـدرى من عتبات الملوك ... إن هذه القصص كذب صراح ، لا يقوم مائتان منهـا بذرة من التراب" . ثم يقول : يجب أن يحدّث عن الأنبياء الذين لم يتخـذوا غير الصدق سبيلا ... سأقص عليك قصة . ولكنها ليست من كلام القدماء بل من كلام رب الصادقين الخ» .

فهذا كان رأى الشاعر حين نظم قصة يوسف و زليخا . وشتان بين هذا و بين إعجابه بنفسه، واغتباطه بذكره الخالد، حين كان ينظم الشاهنامه . ولعل الشيخوخة اليائسة، والأمل الخائب أوحيا إليه هذا.

لا يذكر الفردوسى اسم الأمير الذى نظم من أجله الكتاب ولكنه يسميه "أمير العـراق" . فمن كان أمير العراق حينئذ ؟

أمير العراق العربى ما بين سنتى ٣٧٩ و ٤٠٥ كان بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهى ، وأمير العراق العجمى ما بين سنتى ٣٨٧ و ٤٢٠ كان مجد الدولة أبا طالب رستم ، حفيد ركن الدولة بن بويه . وكان معروفا بالعكوف على مطالعة الكتب[1] . فأى العراقين عنى الفردوسى حين قال : "أمير العراق" ؟ أظنه العراق العربى . لأنه يقول فى مقدمة يوسف وزليخا عن البختيارى الشاعر الذى نظم القصة من قبل — أنه مدح الأمير يوم النوروز فى الأهواز . فأغلب الظن أن أمير العراق الذى كتبت له القصة هو بهاء الدولة الذى ذكر آنفا .

١١ و ١٣ — رضاء السلطان عن الفردوسى :

قدمت فى الكلام عن روايات مقدمة بايسنقر أن شـفاعة ناصرلك للفردوسى ، ورضاء السلطان عنه يناقض هربه بعـد إلى مازندران والعراق ، وقلت : إن هذا التناقض يزول فى رواية أخرى تجعل شفاعة ناصرلك بعد ذهاب الفردوسى إلى العراق ، وقبيل رجوعه إلى وطنه .

والعروضى يقول فى هذا : "سمعت سنة ٥١٤ فى نيسابور من الأمير المعزى أنه سمع من الأمير عبـد الرازق بطوس أن محمودا كان فى الهنـد مرة ، وبينا هو عائد منها إلى غزنة عرض له ثائر فى قلعة حصينة . وكان منزل محمود فى اليوم الثـانى عند باب هـذه القلعة . فأرسل إليـه رسولا أن ائت غدا ، وقدم الطاعة ، واخدم حضرتنا ، والبس التشريف ، وارجع . فلمـا كان الغد ركب محمود . وبينا الرئيس الكبير (الميمندى) يسـير عن يمينه إذ عاد الرسـول وأقبل شطر السلطان . فقال السلطان للرئيس الكبير : ماذا يكون الجواب ؟ فأنشد الرئيس بيت الفردوسى :

أكرجز بكام من آيد جواب   من وكرز وميدان وأفراسياب

" إن لم يأت الجواب كما أريد فأنا والجرز والميدان وأفراسياب"

قال محمود : لمن هذا البيت الذى تنبعث الشجاعة منه ؟ قال : لمسكين أبى القاسم الفردوسى الذى احتمل العناء خمسا وعشرين سنة وأتم مثل هـذا الكتاب ، وما جنى أية ثمرة . قال محمود : أحسنت بمـا ذكرتنى ، فقد آسفنى أن يحرم عطائى هذا الرجل الحر . ذكرنى فى غزنة لأرسل اليه شيئا . فلما جاء الرئيس غزنة ذكر محمودا . فقال السلطان : مر لأبى القاسم الفردوسى بستين ألف دينار ، يعطاها نيليا ، وتحمل على الابل السلطانية ، ويعتذر اليه .

(١) ابن الأثير حوادث سنة ٤٢٠

ومضت سنون والرئيس فى شغل بهذا . ثم أنجز الأمر وحمّل الابل . وحمل النيلج الى طبران . وبينا الابل تدخل من باب رودبار كانت جنازة الفردوسى تخرج من باب رزان[1] ... ... ويقولون : إن الفردوسى خلّف بنتا عظيمة النفس أرادوا أن يسلموا اليها هبة السلطان فأبت، وقالت : لاحاجة بى اليها . فكتب صاحب البريد الى السلطان . فأمر أن يعطى المـال الى الشيخ أبى بكر بن اسحاق الكرامى ليعمر به رباط چاهه فى حدود طوس، على طريق مرو ونيسابور . فلما بلغ الأمر طوسا امتثلوه. وبناء رباط چاهه من هذا المـال" .

رواية ابن اسفنديار، مؤلف تاريخ طبرستان الذى نقل هـذه القطعة عن چهار مقالة، تذكر أنها كانت سـتين ألف درهم لا دينـار ، وأنه حين جمعت الدراهم أرسلت على الابل الى طوس[2] . ومثل هذا فى رواية بايسنقر المتقدمة . وأحسب رواية العروضى أصـل الروايات الأخرى . وتتفق الروايات على أن الهبة جاءت بعد موت الشاعر، وأن ورثته لم يقبلوها، وأنه بُنى بها بنيّة — سدّ، أو رباط .

ليس بعيدا أن يكون السلطان أُعجب بأبيات من الشاهنامه أو ببيت كما روى العروضى، ولا يبعد كذلك أن الســلطان رأى صيت الفــردوسى يذيع، والشاهنامه تقـرأ فى كل مكان، ومدحه مكرر فى صفحاتها، وأشار عليه وزير أو غيره أن يحسن الى الشاعر والى نفسه بهبة تكافئ كتابا كالشاهنامه. ولكن ليس عندنا ما يثبته . وكل ما يروى فى هذا أشـبه بالخرافات . فرواية العروضى، وهى أقدم الروايات وأصلها فيما أحسب، تقول : إن السلطان أمر أن يحمل الى الشاعر من النيلج ماقيمته ٦٠ ألف دينار، وأن الوزير لبث سنين مشغولا بهذا الخ . وليس يعقل أن تكون هبة السلطان من هذا النوع، ولا أن يحتاج الوزير الى سنين حتى يهيئها ويرسلها . ولو كان هذا، وهو عجيب، ما أبت قبوله بنت الفردوسى أو أخته . وأكبر الظن أن السلطان جاءه من غنائم الهند أو جزيتها مقدار كبير من النيلج فأمر بارساله الى المدن الكبيرة ليباع . فأرسل بعضه أوكله الى طوس . وكان ذلك عقب وفاة الفــردوسى . ثم أمر السلطان أن يبنى سد المـاء أو رباط من ثمن النيلج . فنشأت الخرافة ؛ جعل النيلج صلة للشاعر جاءت بعد وفاته . ولمـا لم يعط شىء لورثة الفردوسى قيـل إنهم أبوا أن يأخذوا الخ . ويجوز أن البناء على مر الزمن سمى باسم الفردوسى، أو باسم آخر جعـل اسما لاحدى قرابات الفردوسى، كما تقدّم عن بايسنقر أن سدّ طوس يسمى سدّ عائشة فرُخ، وأنها أخت الفردوسى.

(١) چهار مقالة ص ٥٠ و ٥١ (٢) براون ج ٢ ص ١٣٧

وأما الرواية عن ناصر خسرو فى كتاب سفر نامه ، أنه مر بطوس سنه ٤٣٨ فرأى رباطا كبيرا حديث البناء فسأل فقيل له : إنه بنى من صلة السلطان للفردوسى، فلا نجدها فى سفرنامه . والمعروف من أخبار ناصر خسرو أنه لم يذهب الى طوس، وأنه فى سنة ٤٣٨ كان فى جهات الرى وسار منها صوب الغرب والجنوب، ولم يعاود خراسان إلا سنة ٤٤٤ [١]

١٢ و ١٤ — وفاة الفردوسى :

يقول دولتشاه : إن الفردوسى توفى سنة ٤١١، ويروى غيره أن وفاته كانت سنة [٢] ٤١٦؛ وقد تقدّم أن الشاعر ولد حوالى سنة ٣٢٩، فقد توفى اذا بعد الثمانين . وهذا يلائم ما يروى فى خاتمة الشاهنامه، وفى الهجاء المنسوب اليه — أنه كان يناهز الثمانين قبل ذهابه الى العراق .

وقد تقدّم ما ترويه مقدّمة بايسنقر عن الشيخ أبى القاسم الجرجانى أنه أبى أن يصلى عليه حتى رأى فى المنام ما غيّر ظنه بالفردوسى . ويقول نظامى العروضى : "وكان فى طبران واعظ فتعصب وقال: لا أجيز أن يدفن فى مقبرة المسلمين إذ كان رافضيا، وأصر على ذلك . وكان للفردوسى بستان داخل باب المدينة فدفن فيه . وقبره باق اليوم وقد زرته سنة ٥١٠" ويقول ابن اسفنديار إن هـذا البستان كان يسمى "باغ فردوس" أى حديقة الفردوس . ويقول دولتشاه أن قبره كان الى أيامه (القرن الثامن) معروفا يزوره المعجبون به، وأنه كان بجانب المقبرة العباسيّة [٣] .

وقد زار سيكس ساحة القبر وصورها فى كتابه تاريخ ايران [٤] . ولا يتبين فى الصورة إلا أحجار منثورة فى العراء على مقربة من شجيرات .

وفى مجلة ايرانشهر (العدد العاشر من السنة الثالثة ، المنشور ٣ ربيع الأول لسنة ١٣٤٤ هـ ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٥ م) أخبار عن تأليف جمعية لتشييد قبر الفردوسى ، وصورة جميلة لخمة للقبر الذى يراد إنشاؤه .

ذرية الفردوسى :

لا نعرف من أولاد الفردوسى إلا ابنا رثاه فى الشاهنامه، مات فى سن السابعة والثلاثين بينما كان الأب فى سن خمس وستين [٥]، وإلا بنتا ذكرت فى روايات بايسنقر والعروضى كما تقدّم . ولا نعرف من أخبار أسرته شيئا وراء ذلك .

(١) نلدكه ص ٥٠ (٢) نلدكه ص ٥١ (٣) براون ج ٢ ص ١٣٨ حا . (٤) ج ٢ ص ٦٠
(٥) ص ٢٢٠ ج ٢ — الآتية .

هل كان الفردوسى يعرف الفهلوية والعربية ؟

يظن الباحثون فى عصرنا أن كلمة پهلوى معناها پرتى. وكان إقليم پرتيا يسمى فى الفارسية القديمة پرتفا فحرف الى پهلَو وقيل فى النسبة اليه پهلوى . ويوافقه ما فى الكتب العربية؛ فقد أطلق جغرافيو العرب كلمة فهله على إقليم فى وسط ايران وغربيها يشتمل على أصفهان والرى وهمذان ونهاوند وقسم من آذربيجان . كما يقول البيرونى عن بعض الأعياد : "وقد بقى هذا الرسم بأصفهان والرى وسائر بلدان فهله"[1] ويقول ياقوت أن فهلو أو فهله اسم يقع على خمسة بلدان : أصبهان والرى وهمذان وماه نهاوند وآذربيجان . وينقل عن حمزة الأصبهانى فى كتاب التنبيه : "فأما الفهلوية فكان يجرى بها كلام الملوك فى مجالسهم . وهى لغة منسوبة الى فهله" .

وكلمة "پهلوى" غير محدودة المعنى فى الآداب الفارسية . فالفردوسى يسمى لغة أبطاله القدماء پهلوية، وكذلك يقول البيرونى عن كيومرث أول ملوك الشاهنامه أنه كان يلقب كرشاه لأنه كان فى الجبال، و "كر" هو الجبل بالفهلوية[2] . ويقول القزوينى : إن الفهلوية كانت لغة جهات مختلفة فى بلاد الفرس . وفى الأدب الفارسى الحديث قطع شعرية لها لهجة خاصة تسمى الفهلويات .

والذى يعنينا هو استعمال الفردوسى هذه الكلمة : هو يعنى بها اللغة القديمة . ويفرق بينها وبين الفارسية أو الدرية؛ فهو فى فصل طهمورث يعدّد اللغات التى علمها الجن هذا الملك فيذكر "پهلوى" و "پارسى"[3]. وفى قصة كليلة ودمنة يقول: إن الكتاب كتب فى عهد أنو شروان ، ولم يكن إذ ذاك خط إلا الفهلوية[4] ، وبقى فى الفهلوية حتى عصر المنصور العباسى فترجم الى العربية . ثم ترجم الى الفارسية بأمر الملك السامانى نصر بن نوح[5] .

هل كان الفردوسى يعرف الفهلوية ؟ ينبغى قبل إجابة هذا السؤال أن نتذكر أن الفرق بين الفارسية والفهلوية يكاد ينحصر فى الخط . فاذا تُكلم بالفهلوية أو كتبت بالحروف العربية فهم الفارسى المسلم معظمها . والخط الفهلوى معقد . ويندر أن يكون أحد من المسلمين عنى بدرسه إلا أن يكون من علماء اللغات .

يقول نلدكه أن الفردوسى لم يعرف الفهلوية قط[6] . ولا أدرى علام بنى رأيه هذا . ولكن قارىء الشاهنامه يحس أن الشاعر كان له إلمام بالفهلوية على الأقل : يشرح الفردوسى فى أثناء

(١) براون ج ١ ص ٨٠ والآثار الباقية ص ٢٢٩ (٢) الآثار الباقية ص ١٢ (٣) مول ج ١ ص ٤٦
(٤ و ٥) ص ٤٥٤ ج ١ وما بعدها . (٦) مقدمة الطبرى لنلدكه .

الشاهنامه كلمات فهلوية ؛ يقول فى تفسير "بيوراسب" وهو لقب الضحاك، أن بيور فى الحساب الفارسى معناه "ده هزار" (عشرة آلاف) باللغة الدرية (الفارسية) :

بگـا پيـــور أزپهلوانى شمـــار بود درزبانـــ درى ده هزار

ويقول عن دجلة: إنها تسمى بالفهلوية أروند . فان كنت لا تعرف الفهلوية فسمها دجلة بالعربيـــة .

أكـــر پهلوانى ندانى زبانـــ بتازى تو أروندرا دجله خوان(1)

وقال : إن بيت المقدس يسمى بالفهلوية كنككـ دِژ هوخت الخ(2) .

ثم هو يقول فى المقدمة أن صاحبه الذى حرضه على نظم الشاهنامه قال له أنت فصيح وشاب ، وتتكلم البهلوانية :

كشاده زبان وجوانيت هست سخن كـفتنـــ پهلوانيت هست

وقد فسر مول وورنر الجملة الأخيرة بأنه قدير على وصف أعمال الأبطال (پهلوان) . وليس لهما على هــذا دليل . ثم للفردوسى شــعر رواه صاحب لباب الألباب يصرح فيــه بأنه قرأ كثيرا من الفهلوية والعربية :

بسى رنج ديدم بسى كـفته خواندم زكـفتـــار تازى وأزپهـــلوانى

"كم حملت نصبا، وكم قرأت من العربية والبهلوانية" .

وهنا تعرض للباحث مسألة أخرى :

الفردوسى يسمى الكتاب الذى نظم عنه الكتاب الفهلوى : يقول فى المقدمة على لسان صديقه الذى تقدّم ذكره الآن : "قد كتبت الكتاب الفهلوى، وسآتيك به لعلك لا تنام عنه" .

نبشـــتم من اين نامهٔ پهلوى به پيش توآرم مكـر نغنوى(3)

ويقول فى أوّل قصة بيژن ومنيژه أنه أرق ليلة فصاح بغلامه فهيأ له مجلس الشراب ثم قال له : "إن كنت لا تنام فأصغ الى حتى أقرأ عليك من الكتاب الفهلوى قصة لتنظمها" . وكان يقرأ وهو ينظم الخ(4) . فهل نظم الفردوسى من كتاب فهلوى ؟

(1) مول ج ١ ص ٩٤ (٢) = ص ٩٦ (٢) لباب ج ٢ ص ٣٣ (٣) مول ج ١ ص ٢٠

(٤) ص ٢٣٨ ج ١ الآتية .

أظن الفردوسى، حين يصف الكتاب الذى نقل عنه بأنه فهلوى، لا يعنى إلا أنه كتاب الملوك القدماء والأبطال.وفى الهند، وإيران حتى اليوم يوصف كل مايتعلق بأعمال الأبطال القدماء وأقوالهم بأنه فهلوى[1] . وقد تقدّم أن أبا منصور بن عبد الرزاق أمر بترجمة الكتاب القديم من الفهلوية إلى الفارسية، وأن هذا الكتاب هو أصل الشاهنامه .

ثم الفردوسى له بيت يحتمل أنه يصف الشاهنامه بأنها كتاب فهلوى أيضا .

زمن گشت دست فصاحت قوى بپرداختم دفتر پهلوى[2]

"قد قويت بى يد الفصاحة، وأنهيت الكتاب الفهلوى .

ومهما يكن فالمصادر التى نظم عنها الفردوسى فارسية حديثة .

وأما معرفة الشاعر بالعربية فتظهر من البيت المتقدّم ومن بعض كلامه فى مقدّمة يوسف وزليخا . والظن بأدباء عصره أنهم كانوا يعرفون العربية قراءة على الأقل .

الفصل السادس ــ الشاهنامه

١ ــ عدد أبياتها :

يقول الفردوسى فى فاتحة قصة شيرين، فى عهد كسرى پرويز، قبيل آخر الكتاب : إن أبيات الكتاب تكون ستين ألفا[3] . وكذلك فى الهجاء المنسوب اليه .

وهذا هو الذائع بين الفرس، وقد ذكره ابن الأثير فى خاتمة المثل السائر . ويمكن أن يقال : إن الشاعر سوّغ لنفسه أن يقول: "٦٠ ألفا" بعد أن جاوز فى النظم ٥٠ ألفا، تعظيما لكتابه . فالكتاب بين خمسين ألفا وستين .

ونسخ الشاهنامه، وهى كثيرة جدا، تختلف فى العدد اختلافا كبيرا . ولا ريب أن بعض النسخ أُدخل فيها قطع من قصص أخرى نظمت بعد الشاهنامه على مثالها وفى حوادث متصلة بحوادثها . وقد ألحق ببعض الطبعات أبيات ميزت من متن الكتاب إذ تبين للنقاد أنها ليست منه . وفى طبعة تبريز زهاء ١٧٠٠ بيت ميّزت عن المتن لذلك .

---

(١) بروان ج ٢ ص ٧٩ (٢) فرهنگ شعورى : پهلوى . (٣) ج ٢ ص ٢٢٨ حا ــ الآتية .

واذا نظرنا الى مقدّمة طبعة تبريز، مثلا ، وهى تُعتبر إعادة طبعة مكن، وجدنا المخطوطات التى صُحح عليها تختلف عدد أبيات. وهذا تعداد ثمانية منها: ٥١٢٤٣، ٤٧٥٢٠، ٥٠٠٥٢٠، ٥٦٦٨٥، ٥٢١٣٥، ٤٦٩٨٢، ٥٥١٩٢، ٥١١٣٣، . وقـد تكلم نلدكه عن ٤٠ نسخة مخطوطة أكبرها تحتوى ٦١٢٦٦ وهى فى المتحف البريطانى . وأكثرها يشتمل على ما بين ٤٨ ألفا الى ٥٢ ألفـا . وأصغرها نسخة تحتوى ٣٩٨٥١

ولو أنى أنشر الأصل الفارسى لكان هنا مجال للنقد والمقارنة فسيح . وقد قارن أعداد الأبيات فى نسخ كثيرة، واختلاف النسخ فى قصص معينة، واختلاف الروايات فى الأبيات نلدكه . فليرجع اليه.[1]

٢ — مكانتها عند الفرس وغيرهم :

وللكتاب عنـد الفرس مكانة عظيمة؛ هو سجل تاريخهـم، وأناشيد مجدهم، وديوان لغتهم ، ينشدونه فى المحافل، ويهيم به العالم والجاهل . وقد سماه ابن الأثير قرآن القوم كما سبق .

ويقول سيكس: وقد استمعت الى أبيات منها ينشدها بدوى غاضب لايستطيع أن يقرأ ولا أن يكتب فعرفت كيف يبذل الفارسى روحه فى مثل هذه المواقف .

ولا ريب أن لموضوع الكتاب ، ولعصبية الفرس أثرا فى ولوع القوم به كما أن لجمـال الشعر وحسن التصوير، وروعة الأسلوب، وجلجلة الوزن أثرا . ولست أجد المجال متسعا هنا للكلام عن شعر الشاهنامه . فانما هى مقدمة لترجمة عربية منثورة لا يتجلى فيها روعة الشعر وتصوير الواقعات . وحسبى أن أنقل نبذتين عن أستاذين كان كلاهما حجة فى الأدب الفارسى : نلدكه و براون . وسيرى القارئ أن براون كان أول من استطاع أن يجهر بعيب الشاهنامه :

يقول نلدكه[2] : إن الفردوسى شاعر مطبوع يستولى على فكر القارئ، ويحيي القصة التافهة بانطاق الممثلين أمامنا، بل كثيرا ما تضيع الحركات فى جلال الأقوال . وهو يفصل الحادثات فيبين أحسن إبانة عن حادثة لم يكتب عنها فى الأصـل الذى نظم عنه أكثر من أنهـا وقعت . ويبيح لنفسه أن يخلق حادثات صـغيرة ليتم الوصف . وهو يعرف كيف يحيي أبطاله ، بل يخرج أحيانا البطل فى صورة جديدة غير التى عرفته بها الروايات . وماأقدره على تبيان ماوراء أعمال الأبطال من أسباب، وأفكار . والوصف النفسانى رائع جدا . ونغمة البطولة مسموعة فى الكتاب كله . وعظمة الزمان القديم ، وأبهته ، وفرحه وترحه ، وجلاده مصوَّرة فى أسلوب معجب ، حتى ليسمع الانسان صليل

(١) نلدكه ص ٩٠١ وما بعدها . (٢) ملخص من الحماسة الايرانية ص ٨١ وما بعدها .

السيوف وصدى المآدب . هو لايبلغ فى التفصيل مبلغ هومير، ولا يستطيع أن يجمل حادثة فى كلمات قليلة مثله . ولكنه، مع هذا، يمضى قدما الى غايته حين يصف الوقائع وإن يكن فى الخطب والرسائل مكثارا ككل فارسى .

مشاهد الحرب تستقبل القارئ فى كل مكان . ولكن هناك ميادين للحب، والعواطف الدقيقة؛ هناك قصص عظيمة فى الحب كقصة زال، وروذابه، وبيژن ومنيژه[1] . وهى أجمل أقسام الكتاب .

والشاعر فى هذا ، بل فى كتابه كله، يملك القارئ ببساطة الوصف . وعاطفة الأمومة والأبوة والقرابة واضحة فى الكتاب كذلك . ولكن يصحبها التعطش للدماء ثأرا للأقارب؛ فقصة الانتقام لسياوخش، مثلا ، تملأ صفحات من الكتاب كثيرة جدا . وهـذا التعطش للثأر يتمكن حتى نجد الرجل العاقل كودرز يشرب دم أطيب الأعداء نفسا : پيران الخ .

ويتجلى فى الكتاب كذلك ندب حظوظ الانسان فى هذا العالم الحائل، والاعتبار بغير الزمان . اهـ

إعجاب نلدكه بالشاهنامه يشاركه فيه أدباء الشرق والغرب، فيما أعلم، إلا الأستاذ براون :

يقول : يجمع نقاد الشرق والغرب على الإعجاب بالشاهنامه . فأنا أتهيب كثيرا أن أصارحهم أنى لم أستطع مشاركتهم إعجابهم . وعنـدى أن الشاهنامه لا يجوز أن توضع لحظة واحدة فى مستوى المعلقات العربية ، ولا أن تقاس فى جمالها وعاطفتها بمـا يتجلى فى المنظومات الرائعة الفارسـية — المنظومات الخلقية والغرامية والوجدانية . حق أنه لانسوغ المجادلة فى أمور الذوق ولاسيما فى الأدب . وجائز أن يكون عجزى عن إعظام الكتاب قصورا فى طبعى عن تقدير الشعر القصصى كله . ولكنى على ذلك أستطيع أن أقول : إنى أجد فى الشاهنامه عيوبا معينة محققة؛ اذا أغضينا عن طولها الذى اقتضاه موضوعها ، وعن الاطـراد الممل فى الوزن الذى تشارك فيه الملاحم الأخرى ، فهناك تشبيهات مكررة مملة : كل بطل فيها أسد مفترس ، أو تمساح ، أو فيل هائج . واذا كرّ مسرعا فهو دخان أو نقع أو ريح .

إن جمال الأسلوب الأدبى يضيع بالترجمة . ولكن جمال المعانى، وروعة الفكر يستطاع حفظهما . كما حفظت معانى الخيام فى ترجمة فتزجرلد . ولكن الشاهنامه، فى ظنى، تمتنع على كل ترجمة معجبة . لأن جلجلة ألفاظها، وروعة وزنها اللذين لا يستطيع إنكارهما من استمع لهـا فى محافل ايران تضيعان بالترجمة فتبقى المعانى التى وراءها عارية . أنا لا أزعم أنى ناظم مجيد، ولكنى نظمت كثيرا من ترجمة

---

(۱) ج ۱ ص ۲۳۸ الآتية .

الشعر العربي والفارسي في هذا الكتاب . وأحسب أن قليلا من قراء الانكليزية يضع ما ترجمته من الشاهنامه في مستوى ما ترجمته من المنظومات الأخرى . اه

يعترف الأستاذ براون في مواضع من كتابه أن ذوق أهل اللغة في تقدير آدابهم مقدم على أذواق غيرهم، ويعترف بأن الفرس منذ نظمت الشاهنامه حتى اليوم لا يعدلون بالفردوسي شاعرا آخر .

وأذكر أني كلمت العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني في باريس سنة ١٩٢٨م عن رأي براون في الشاهنامه فأنكره أشدّ الانكار .

وأما أنا فعهدي بالأدب الفارسي أحدث من أن أدلي برأي قاطع في موضوع كهذا . ولكن على ذلك أستطيع أن أقول : إني أجد في الشاهنامه ما يصدّق قول نلدكه وبعض قول براون؛ فالشاعر فيّاض يحمل القارئ من معمعة الى أخرى معجّبا مرتاحا. وهو يطيل ويسهب حين يحسب القارئ ان ليس للقول مجال . ولكن العيوب المعينة التي ذكرها براون لا مراء فيها. وأما حكمه على الكتاب كله فجدير بالردّ .

٣ — موضوع الشاهنامه :

الشاهنامه تجمع معظم ماوعى الفرس من أساطيرهم وتاريخهم من أقدم عهودهم حتى الفتح الاسلامي. وهي مرتبة ترتيبا تاريخيا : تذكر الأسرة فتبدأ بأول ملوكها تبين تاريخه، وما كان في عهده من الحادثات ثم تذكر الملك الثاني وهلم جرا . وبهذا تخالف الملاحم الأخرى، كما تقدّم .

ويستمر القصص فيها ٣٨٧٤ سنة يحكم فيها أربع دول :

(١) الدول البيشدادية . وملوكها ١٠ ومدّتهم ٢٤٤١؛ وهذا هو العهد الخرافي الخالص، تختلط فيها أساطير الهند وايران. ويلتبس فيها الآلهة بالملوك . وفي مآثرهم ذكرى الحضارة الفارسية الأولى . وكانت دار ملكهم طبرستان واصطخر. ويجد القارئ تفصيل هذا في التعليق على فصولهم أثناء الكتاب[1] .

(٢) الدولة الكيانية . وملوكها ١٠ مدتهم ٧٣٢ سنة . وهي في ملوكها ووقائعها موصولة بالدولة التي قبلها، الى عهد لهراسب . ومع لهراسب تنقطع الصلة بالأساطير الهندية ويبدأ عهد أظنه مجالا للبحث التاريخي؛ نجد فيه گشتاسب وزردُشت ثم عدة ملوك ينتهون بدارا ووقائعه مع اسكندر . ومن المؤلفين القدماء والمحدثين من يرى في بعض الملوك الكيانيين ملوكا من الدولة الأكمينية التي حكمت إيران من سنة ٥٥٠ ق م. حين استقل كورش بالملك الى فتح اسكندر المقدوني .

(١) انظر الحاشية ص ١٣ — ٣١ و٣٧ — ٤١ و٥٠ — ٥٨ و٧٩ — ٨٥ و٩١ — ٩٩

فالبيرونى مثلا يجعل كورش هو كيخسرو، و بهمن هو أرتكزكس (اخشويرش) و يخلط بين أسماء الكيانيين والأكيينيين تارة، و بين الكيانيين وملوك بابل تارة أخرى[١] .

وفى مروج الذهب وصبح الأعشى أن كورش هو بهمن أو والى العراق من قبل بهمن[٢] . وقديما ظُن أن قبر دارا فى سوسه هو قبر كيخسرو .

والسير وليم جونس فى القرن الثامن عشر الميلادى، وتبعه آخرون، كان يرى، كما رأى البيرونى، أن كورش هو كيخسرو ، و يحاول التوحيد بين الكيانين والأكيينين[٣] . ومؤرخو الفرس والترك فى هذا العصر يسمون كورش كيخسرو، وقبيز كيكاوس ، الخ .

وأرى أن هناك شبها بين أساطير الكيانيين وتاريخ الأكيينيين (هخامنشى)، وليس يعاب على باحث أن يحاول تمحيص المسألة . ولكن ليس هـذا مكانها . وقد بينت بعض هذا فى التعليق على فصول الكيانيين فى الكتاب[٤] .

وآخر هـذه الدولة اسكندر المقدونى الذى اغتصبته الأساطير فزعمتـه ابن داراب، وأخا دارا الأخير، وجعلت أمه بنت فيلفوس (فيليب) ملك الروم .

(٣) الدولة الأشكانيـة . ومدّتهم ٢٠٠ سـنة ، ولا يذكر الفردوسى منهم إلا أسمـاء قليلة ولا تعنى بهم الأساطير الفارسـية بل تعدّهم أجانب لم يؤثروا أثرا فى آداب الفرس . وغير الشاهنامه من كتب التاريخ الفارسى يعدّ منهم زهاء ٣٠ ملكا. وهذه دولة تاريخية لم يكشف التاريخ بعد عن أصلها أكانت ايرانية أم تورانية . وآثارهم وصورهم تدل على اصطباغ حضارتهم بالصبغة اليونانية[٥] .

(٤) الدولة الساسانية. ومدّتها فى الشاهنامه ٥٠١ سنة، وعدد ملوكها ٢٩ . وهى دولة موصولة النسب والمآثر بالدولة الكيانية، وتعد محيية المجد الفارسى والدين الزردشتى بعد كارثة اسكندر .

وهى دولة تاريخيـة . ونسق ملوكها فى الشاهنامه، وأعمالهم تاريخيـة إلا قليلا من القصص . ولكن الشاهنامه وغيرها من الكتب الفارسية والعربية تخطئ فى مدّتهم ، وقد بين المسعودى سبب الخطأ. و بيان هذا فى التعليقات على فصول الساسانيين، فقد حاولت أن أقيس تاريخهم فى الشاهنامه بما يعرف من تاريخهم عند اليونان والرومان والعرب، جهد الطاقة والوقت .

---

(١) الآثار الباقيـة ص ١١١ و ٨٨ (٢) مروج الذهب ص ١٤٣ ج ١ (٣) براون ج ١ ص ٥ د
(٤) انظر الحاشية ص ٩٩ — ١٠٩ و ١٩٩ — ٢٠٤ و ٢٠٨ — ٢٠٩ و ٢٢٣ — ٢٣١ و ٢٦٩ — ٢٧٥ و ٢٧٩ — ٢٨٠ (٥) انظر الحاشية؛ ص ٢٣ — ٢٧

يتخلل أخبار هؤلاء الملوك قصص كثيرة محتمة بعضها متصل بنسق الحوادث إذا فصل منها اختل سياق القصص، وبعضها مستقل لا يحتاج اليه فى ربط الحادثات بعضها ببعض. والى هذا خُطب الملوك والقوّاد، ووصاياهم. والفردوسى لا يمل الاطالة فيها. ثم الشاعر يظهر فى أثناء الكتاب، ولا سيما فى أوائل الفصول وأواخرها، معجبا بشعره، أو ذاكرا الراوى الذى روى القصة، أو شاكيا النصب والشيخوخة، أو مادحا السلطان محمودا، أو واعظا مذكرا بغيرَ الزمان، وتقلب الحظوظ. وهو لا يكاد يترك فرصة للاعتبار والوعظ.

٤ — أشخاص الشاهنامه :

(ا) الملوك لهم المكانة الأولى فى تصريف الأمور، ولهم الأمر النافذ والطاعة المخلَصة. وهم مميزون حتى فى خلقتهم، فالملوك الكيانيون كان فى أجسامهم شامة يُعرفون بها. وبها عرف فرود بن سياوخش حينما مر الجيش الايرانى بمعقله فى طريقة الى حرب التورانيين، وعرف كيخسرو حينما ذهب كيو يفتش عنه فى أرجاء توران ليرجع به الى وطنه[1].

و يصحب الملوك المجد الآلهى (فر ايزدى) أو شعاع السعادة الآلهية، كما يسميه الثعالبى فى الغرر. ولما فر أردشير من قصر أردوان آخر الملوك الأشكانيين، ليقيم الدولة الساسانية تبعه هذا المجد فى صورة أيل[2].

وقد يخبر الملك بالغيب كما أخبر منوچهر ابنه نوذر باغارة التورانيين، وأخبر سياوخش أمه بأنه سيقتل. وقد يوحَى الى الملك كما نزل الملَك سُروش على كيومرت، وعلى كيخسرو. وقد ارتفع كيخسرو الى السماء حيا.

واذا استقام الملك استقامت الأمور، ونعمت الرعية، وأخصبت الأرض، "ومهما كان الملك ظالما كان محروما من الخيرات، مدفوعا من الحسنات. ومتى كان ظالما انقطع التناسل بين الوحوش والطيور، وقلت الألبان فى الأخلاف والضروع، ونشت المياه فى المنابع والعيون، ولم تسمح نوافج المسك بالأرج، ولا مثمرات الأشجار بالثمر[3]". وقد نزل بهرام كور متنكرا فى بيت فلاح، وعزم أن يزيد فى الخراج فقامت امرأة الفلاح الى بقرة لتحلبها وتهيئ للضيف طعاما فلم تجد لبنا فأخبرت زوجها أن قلب الملك تغير وقالت : "أما تعلم أن الملك إذا صار ظالما جفت الألبان فى الضروع، ولم يأرج المسك فى النوافج، وشاع الزنا والربا فى الخلق، وصارت

(١) ص ١٩٢ ، ٢٠٦ ج ١ الآتية. (٢) ص ٤١ ج ٢ الآتية. (٣) ص ١٦٥ ج ١ الآتية.

القلوب قاسية كالحجر الصلد، وعاثت الذئاب ، وضريت بالإنس ، وتخوّف ذو و العقول من ذوى الغواية والجهل . ولولا حدث "حدث لما تغير لبن هذه البقرة الحلوبة". فلما سمع بهرام ذلك ندم على ما أضمر وتاب عما عزم عليه فعاد اللبن الى ضرع البقرة (١) .

ولكن الملوك على علو قدرهم ليسوا معصومين؛ فقد ضل جمشيد، وكان طيش نوذر سببا فى هزيمة الجيش الإيرانى واستيلاء التورانيين على إيران . وكان كيكاوس نزقا أحمق ، عرّض نفسه وملكه للهلكة مرارا (٢) . والملوك ليسوا أعظم من أن يوبخوا على مثل هذه الأفعال . كما وبخ كودرز كيكاوس حينما حاول أن يطير الى السماء فسقط، وحينما أغضب رستم (٣) . وقد سخط الناس على نوذر فأرادوا أن يخلعوه وعرضوا المملكة على سام . ووبخ سام كيخسرو حينما زهد واحتجب عن الناس ، وتمنى الخلاص من الدنيا (٤) .

وليس عظيما أن يقوم الملك للسلام على البطل أو القائد أو يخرج لاستقباله كما خرج كيخسرو لاستقبال رستم حينما خلص بيژن من سجن أفراسياب (٥) . وكثيرا ماينادم الملك أمراءه وقواده ويحتفى بهم . وقد نادم الملك منوچهر الشابّ زال بن سام، ومازحه، وأمر الفرسان أن يركبوا احتفاء به (٦) ، فالملوك معظمون مقدّسون، ولكنهم ليسوا بمعزل من الناس، ولا بنجوة من الحادثات .

(ب) الأبطال :

للأبطال المكانة الثانية فى السلم، والمكانة الأولى فى الحرب . و بعضهم من نسل الملوك مثل طوس ابن نوذر، واسفنديار بن كُشتاسب، و بعضهم من أسر أخرى . وأعظم الأبطال أسرتا قارن وسام . عرفت الأسرة الأولى منذ أفريدون و بقيت تنشّئ القواد والمحاربين والأبطال حتى آخر عهد كيخسرو . وشيخهم كودرز، ومن أبنائه كيو، و بيژن، وبهرام . وعرفت الأسرة الثانية منذ أفريدون أيضا، و بقى لأبطالها الثلاثة : سام وزال ورستم الذى هو بطل أبطال الشاهنامه، المكانة الأولى بين أبطال إيران الى آخر عهد كيخسرو. ثم تغيرت الأحوال و بقى زال ورستم فى معزل بزابلستان موطنهما حتى كانت الفتنة بين رستم وكشتاسب ، وقتل رستمُ اسفنديار بطل الأبطال زمن الكيانيين من بعد كيخسرو. ثم اغتيل رستم بحيلة أخيه وصهره . واسفنديار هو بطل دين زردشت وأعظم بطل فى عصره (٧) . وأعظم أبطال الساسانيين الملك بهرام كور والقائد بهرام چوبين .

---

(١) ص ٨٧ ج ٢ الآتية . (٢) ص ١٢٨ و ١٢٩ ج ١ الآتية . (٣) = ص ١٢٩ و ١٢٧

(٤) = ص ٨٠ و ١٠٣ (٥) = ص ٢٤٩ (٦) = ص ٧٢ (٧) انظر حا ص ٥٢ — ٥٧ و ٢٠٣ و ٢٢٨ ج ١ الآتية .

وكان فى عهد الكيانيين جماعة عرفوا باسم " الأبطال السبعة " . وكأنهـم ذكرى الأسر السبعة التى كان لها الشرف فى دولة الأكيمنيين . والأبطال الذين يذكرون كثيرا فى عهد كيخسرو، وهو آخر عهد البطولة، اثنا عشر[1] .

ولا ريب أن بين أبطال الكيانيين جماعة من أمراء زمن الأشكانيين ردتهم الأساطير الى الزمن القديم، كما أرجعت حوادث متأخرة الى زمن متقدم. فأسماء كودرز، وكيو، وبيرن، وبهرام معروفة فى العهد الأشكانى، على اختلاف فى الصيغ: كودرز يسمى كوترزس، وكيو يسمى كيو بِتراس، كما تحول اسم مِهرداتِس الأشكانى الى ميلاد أحد أبطال الكيابيين، واسم فراتِس الى فرهاد[2] .

وكما نجد أيام البيشداديين والكيانيين والساسانيين قارن وأسرته، نجد فى تاريخ الأشكانيين أسرة نابهة جدا تحمل هذا الاسم .

(ج) المــوابذة :

والموابذة لهم شأن عظيم فى عهد الساسانيين. ولكن الشاهنامه تتوسع جدا فى معنى «موبذ»؛ فهو مستشار الملوك والأمراء، ومعبر الأحلام؛ عبر رؤيا أفراسياب[3]، وغيره. وهو العالم بالتاريخ والأنساب الذى أخبر زالا أن من نسل أفريدون رجلا فى جبال ألبرز اسمه كيقباد. بل نجد الموبذ طبيبا يشق خاصرة أم رستم ليخرج الجنين[4] . ونجده يتولى تجهيز الملك يزدجرد الأثيم حين مات فيشق صـدره وخاصرته وبطنه . ونجد الموبذ يفرغ النفط على الحطب لإشعال النار فى قضية سياوخش[5] . وقد أُرسل أربعة موابذة الى الحيرة ليعلموا بهرام كور الكتابة والتاريخ والفروسية والصيد واللعب بالكرة[6] .

٥ — القضاء، والقدر، والسحر، والأحلام، والتنجيم .

حوادث الشاهنامه تسير فى تصرف قضاء قاهر لا حيلة فيه . والفردوسى يعرب عن هذا فى مواضع كثيرة . فالفلك مسيطر جبار لا مناص من حكمه :

أزين برشـده تيزچنـك أژدها ... بمردى ودانش كه يابد رها ؟
بباشد همى بود نى بى كمان ... نجويد أزو مرد دانا زمان

"من يستطيع النجاة بالشجاعة والمعرفة من هـذا التنين المحلق، حديد المخالب؟ إن المقدر كائن لا ريب . لا يحاول الرجل العاقل تأخيره[7] .

(١) = ص ٢٠٤ و ٢٥١ (٢) وورج ٣، مقدمة . (٣) ص ١٦٤ ج ١ الآتية . (٤) = ص ٧٦ و ٩٧
(٥) ص ٧٩ ج ٢ و ١٧١ ج ١ الآتية . (٦) ص ٧٥ ج ٢ الآتية . (٧) مول ج ٢ ص ٥٩٠ .

وكان أفراسياب يعلم أنه سيولد بينه وبين ملك إيران ولد يقتله فأراد ألا يزوج ابنته من سياوخش بن كيكاوس . ثم كان الزواج وولد كيخسرو فهم بقتله فصرفه عنه پيران حتى نجز المقدور فقتل أفراسياب بيد كيخسرو بعد خطوب عظيمة . وكذلك كان سياوخش يعلم أن أفراسياب سيقتله ، و پرويز يعلم أن ابنه قباذ سيقتله ، وأن زوال ملك الساسانيين سيكون على يد يزدجرد حفيده . فحاولوا محاولات خائبة ثم نفذ عليهم القضاء[1] . وانظر ما تكهن به رستم قائد الفرس فى القادسية .

والأحلام والتنجيم تكشف من أسرار القضاء المقبل وعما خفى من الواقعات الراهنة . فسام عرف بالرؤيا أن ابنه زالا حىّ على بعض الجبال ، وأفراسياب رأى أن كيخسرو هزمه وضربه ضربة قاتلة ، وكودرز رأى أن كيخسرو فى بلاد توران فأرسل جيوا فأحضره ، وطوس يعرف بالرؤيا قدوم جيش إيران . وأمثال هذا كثير[2] .

وقل أن يقضى فى أمر دون استنباء النجوم عن عاقبته ؛ سام يسأل المنجمين عن عاقبة زواج ابنه ببنت مهراب ملك كابل ، وكذلك يسألهم الملك منوچهر ، وكيكاوس حين خفى عليه أمر ابنه سياوخش وزوجه سوذابه سأل المنجمين ، وكودرز ينتظر للقتال ساعة سعد فى حرب يازده رخ . وكيخسرو وأفراسياب فى موقعة آمل يعدّان للحرب ثم ينتظران أنباء النجوم[3] ، وكشتاسب يتعرف طالع ابنه اسفنديار . وقيصر الروم يسأل المنجمين عن إنجاده پرويز حين استعان به[4] .

وأما السحر ففى قصة هفتخوان الأولى والثانية حديث رستم واسفنديار مع الساحرتين وبيان ما تستطيعه السحرة من العجائب . وكان فى بيت كيكاوس ساحرة واطأت سوذابه على الكيد لسياوخش . والتورانيون يهزمون الايرانيين بالسحر[5] .

٦ — الأمم فى الشاهنامه :

الأمم التى تذكر كثيرا فى الشاهنامه ، عدا الإيرانيين ، هم التورانيون ، والروم والهند والصين والعرب . وهى الأمم المجاورة إيران والقريبة منها .

وملوك التورانيين والروم أقارب ملوك إيران ؛ كلهم من ذرية أفريدون ؛ ملوك إيران من نسل ايرج ، وملوك توران من نسل تور ، وملوك الروم من نسل سلم . هذا الى صهر بينهم فى عصور مختلفة ، كتزوج سياوخش بن كيكاوس فرنكيس بنت أفراسياب ، فى الزمن القديم ، وتزوج

---

(١) ص ١٧٥ و ١٨٠ ج ١ ، ص ٢٥٣ ج ٢ — الآتية . (٢) ص ٥٥ و ١٦٣ و ١٩١ و ٢١٩ ، ج ١

(٣) = ص ٦٣ و ٧٠ و ١٥٩ و ٢٧٦ و ٣٠٥ (٤) ص ٢٠٩ ج ٢ الآتية . (٥) ص ١١٢ و ٣٤٥ و ١٥٩ ج ١

أنو شروان بنت الخاقان فى العهد الساسانى . وكتزوج كُشتاسپ بن لهراسپ كتايون بنت ملك الروم فى عصر الكيانيين ، وتزوج كسرى پرويز مريم بنت قيصر فى العهد الساسانى .

وأما الهند فليسوا أقرباء ولكنهم ليسوا أعداء . وقد كانت مصاهرة بين بهرام كور الساسانى وملك الهند .

والصينيون يذكرون فى التجارة . والوقائع بينهم و بين الإيرانيين نادرة، ولكنهم يلبسون بالتورانيين كثيرا كما يأتى . وأما العرب فأجانب أعداء يمثلهم الضحاك أحد الأرواح الشريرة الثلاثة التى دمرت إيران . ولكن لهم، مع هذا، صلات صهر ومودّة . وهذا يتجلى، فى العهد القديم، فى تزوج ثلاثة أبناء أفريدون بثلاث بنات لملك اليمن . زواج يجعل الدم العربى فى ذرّية ايرج وسلم وتور أى فى ملوك إيران وتوران والروم . وكذلك تزوج زال بن سام من بنت مهراب ملك كابل العربى الأصل جعل العرب أخوال رستم بطل الأبطال . ثم فى العهد الساسانى نجد المودّة بين الإيرانيين وملوك الحيرة .

وفى الصفحات الآتية تفصيل هذا بعض التفصيل :

(١) الإيرانيون :

الايرانيون لهم المكانة الأولى بين الأمم، وهم أحسن دينا، وأعظم حضارة، وأشجع أبطالا؛ بطلهم رستم لا ثانى له بين الأمم، وكيو بن كودرز غلب وحده جيشا تورانيا وخلص كيخسرو وأمه من توران . وكشتاسب فى بلاد الروم قتل التنين والذئب اللذين ملأا بلاد الروم فزعا . وبهرام كور فى الهند قتل التنين، وصرع أكبر المصارعين . وهلم جرا .

وكذلك علماء إيران يحلون المعضلات التى يسألهم عنها الروم والهند و يُعجزون هؤلاء العلماء اذا سألوهم . كما كان بين رسول الروم وعلماء إيران فى حضرة بهرام كور، و بين رسول الروم أيضا و بزرجمهر فى حضرة أنو شروان (١) . وقد فهم بزر جمهر الشطرنج بفطنته ، ووضع النرد فعجز الهند عن فهمه . ولما ذهب رسل كسرى پرويز الى القسطنطينية، وأراهم الروم بعض (٢) التماثيل العجيبة التى يخيل الى الرائى أنها ذات حياة عرف كنهها خراد بن برزين وقال : إنها كصناعة الهند، ثم كلم قيصر عن دين الهند، وفضّل دين الفرس، وعاب دين المسيح، وظهر بعلمه على قيصر .

والخلاصة أن الشاهنامه تضع الايرانيين فوق الأمم الأخرى . ولكنها تنصف غير الايرانيين فى مواضع كثيرة . فهى تعترف بانهزام الايرانيين أمام التورانيين فى مواقع، وأمام العرب فى هاماوران (حمير) .

(١) ص ٩٦ و ١٥٨ ج ٢، الآتية . (٢) ص ٢١١ ج ٢ الآتية .

ويرى القارئ الفرق بين العصور القديمة التى تغلب فى قصصها الخرافات التى تخترعها خيالات الأمة إجابة لكبريائها وزهوها ، وبين العصر الساسانى الذى تغلب فيه الحقائق التاريخية . ففى العصر الثانى نجد تاريخا يحدث بما للايرانيين وما عليهم .

وحديث الايرانيين قصص الشاهنامه كلها فلا يمكن ولا يفيد التوسع فيه هنا .

(ب) التورانيون :

جلاد الايرانيين والتورانيين أعظم وقائع الشاهنامه، وأطولها، ومظهر البطولة فيها. لذلك أرى أن أفصل الكلام هنا قليلا، وأن أقدم كلمة تبين بعض ما يعرفه التاريخ من صلات الأمتين :

أمم الشمال الهمجية كانت ، منذ أقدم الأزمنة، وبالا على إقليم إيران المتحضر، وكان دفعهم من أعظم ما يعنى به ملوك إيران فى العصور كلها .

أول غارة يسجلها التاريخ غارة جماعة يسميهم هومير وهردوت الكِمَّريين ، وتسميهم التوراة كومر، والآثار الأسورية كِمِرّا . كانوا، فيما يظهر ، نازلين على نهر الدنستر وبحر أزوف فاضطرتهم إلى الرحيل قبائل أخرى من جنسهم يسميهم الأشوريون "مندا" . فاجتازوا ممر دربند، ونزلوا شمالى نهر أرَس. ثم حاولوا الاغارة على أشور سنة ٦٧٧ ق . م. فردهم الأشوريون فتحولوا إلى آسيا الصغرى .

ثم جاء على آثارهم جماعة أخرى تسمى سكا فاجتازوا نهر أرس وجاسوا أرض الميد واتخذوا دار ملكهم إكبتانا (همذان) . ويظهر أنهم هم الذين عرفوا فى التاريخ باسم الدولة الميدية . وهى الدولة التى ثار عليها كورش أمير عِلام فأسقطها وأقام الدولة الايرانية الأولى .

ويقال أن كورش مدّ فتوحه إلى سيحون، وأقام على حدود بلاده قلاعا لحمايتها من غارات أمم الشمال ويروى مؤرخو اليونان أنه هلك فى حرب الاسكيت . وفى هردوت قصة كورش وتومِريس ملكة المسّكيتا[1] . ثم خلفه دارا فاجتاز الدانوب سنة ٥١٣ ق . م ليقتص من الاسكيت بغاراتهم[2] .

ثم قامت دولة الأشكانيين فى القرن الثالث ق . م . وهم تورانيون ، فيما يظن . وسيطروا على ايران الى القرن الثالث الميلادى حين قامت الدولة الساسانية . وقد سالت عليهم هجمات إخوانهم التورانيين من الشمال أيضا . وكان نشاط التورانيين عظيما فى القرن الثانى ق . م .

---

(١) ورنر ج ١ ص ١٧ (٢) = ص ١٨

وكانت حدود المملكة الأشكانيــة كلها من هندكوش الى بحر قزوين مجال غاراتهم . وقد قتل فى حربهم ملكان متتابعان من الأشكانيين . حتى هزمهم مِثر داتِس الثانى فيمموا الشرق، واستقروا شرق إيران فى الأرض التى سميت منذ ذلك الزمن باسم إحدى قبائلهم "سكستان" أى أرض سكا (سجستان أو سيستان) حوالى سنة ١٠٠ ق . م . ثم انتشروا فى شمال الهند الغربى .

وكان الألان أو اللان على نهر فلجا فى القــرن الأول الميلادى فدفعهم الهون فساروا الى ميديا وأرمينية ، ونزل بعضهم فى القوقاز . وكانت لهم وقائع فى هذه الجهات فى القرن الثانى [١] .

والهون الذين دفعــوا اللان أمامهم كانوا مدفوعين أمام قبيل آخر . وقد نزلت جمـاعة منهم فى واحات سمرقند والسغد ، وتحضروا على مر الزمان . وهم الذين سموا الهون البيض، وقد حاربهم الساسانيون وسموهم الهياطلة . وبهذا الاسم يعرفون فى الكتب العربية [٢] .

وفى منتصف القرن السادس الميلادى عرف اسم الترك (توكيو) فى التاريخ وامتد سلطانهم على أواسط آسـيا ، وغلبوا الهياطلة وغيرهم من الأمم التورانية . وقد انقسموا الى شرقيين وغربيين . وكان للغربيين صــلات بالصين و إيران والروم . وكانوا وسطاء لنقل التجارة والحضارة والدين بين الأمم التى تجاورهم . وحروبهم مع أنو شروان معروفة [٣] .

وفى العصر الاسلامى ، وليس هــذا من موضوع الكتاب ، قامت منهــم الدولة الغزنوية التى قدّمت اليها الشاهنامه ، ودولة الســلاجقة . ثم دالتا ورجعت إيران تقاسى غارات الترك فى الشمال ولا سيما الأزبك ، والترك العثمانيون فى الغرب لم يقصروا فى الاحتفاظ بميراث أجدادهم من عداوة الايرانييــن .

هذه الوقائع التى سجلها التاريخ ، كانت لا ريب ، أصل ما تقصه الشاهنامه من التناحر الطويل بين إيران وتوران .

نزاع ايران وتوران يتخلل عصرين من تاريخ الشاهنامه ينقطع بينهما ذكر التورانيين زهاء ثمانية قرون ونصف يدخل فيها الفترة الطويلة بين غارة اسكندر وقيام الدولة الساسانية . وهى فترة لا تنال من الشاهنامه عناية ما ، اذ كانت فترة صغار واضمحلال .

العصر الأول من عصرى النزاع يمتــد من أواخر عهــد أفريدون سادس الملوك البيشدادية الى عهد كُشتاسب خامس الملوك الكيانية . وذلك قراب ثمانمائة عام . وفيه من الملوك البيشدادية

(١) ولز ج ١ ص ١٩ (٢) ص ١٤١ ج ٢ الآتية (٣) = ص ١٣٩ و ١٤٠ حا .

أفريدون ومنوچهر وزو بن طهماسب ، ومن الكيانية كيقباذ وكيكاوس وكيخسرو ولهراسب وكشتاسب . وهذا العصر طوران : طور الثأر وهو أكثرهما وقائع وأطولها مدّة، وطور الحرب الدينية وهو قصير المدّة لا يعدو عهد كشتاسب . وملوك توران فى الطور الأوّل پشنك وابنه أفراسياب وفى الطور الثانى أرجاسب .

وبطل الإيرانيين فى الطور الأوّل سام بن نريمان ثم ابنه زال ثم حفيده رستم . وبطل التورانيين أفراسياب . وأعظم قوّاد إيران طوس وكودرز وأبناؤه وقارن . واعظم قوّاد توران پيران وبارمان وهومان .

وبطل الإيرانيين فى الطور الثانى اسفنديار بن الملك كشتاسب .

وأما العصر الثانى فيتخلل ما بين بهرام جور من الساسانيين الى آخر هذه الدولة . ومدّته تقارب مائة وخمسين سنة . ويذكر فيه من ملوك إيران بهرام جور وحفيده هرمز وكسرى أنو شروان وابنه هرمز . ويذكر ملوك الترك باسم الخاقان؛ لا يذكر باسمه إلا ساوه شاه وابنه برموذه. وليس فى هذا العصر بطولة ظاهرة إلا أن يكون بهرام چوبين قائد الفرس أيام هرمز بن أنو شروان .

وتفصيل هذا فيما يأتى :

العصر الأوّل — الطور الأوّل :

أفريدون الذى هزم الضحاك وأسره فأراح الناس منه وتمكن فى الأرض خمسمائة عام كان له أبناء ثلاثة : سلم وتور وإيرج . وقد قسم الأرض بينهم بجعل لسلم، وهو الأكبر، أرض الروم والمغرب وما تاخمهما . ولتور بلاد الصين والترك وما يضاف اليهما . ولإيرج، وهو الأصغر، ممالك العراق مع أرض بابل الى آخر الهند وجعله ولى عهده .

توجه سلم وطور الى مملكتيهما ثم أخذت سلما الغيرة والعزة فكتب الى تور أن أفريدون ظلمنا وزحزحنا الى الأطراف، واختص إيرج بولاية العهد، وأنى أجمع الى كبر السن خلالا تجعلنى أجدر بالملك. فان كان لا بد أن أنحى عنه فأنت أحق به وأهله . ثم تواعدا مكانا فتقابلا وبث كل ما فى نفسه. ثم أرسلا الى أفريدون أبيهما يعلمانه رأيهما فى قسمته، ويذكران ما يطلبان لأنفسهما. فاهتاج الملك ولكن إيرج استأذنه أن يسير الى أخويه ليرضيهما ويتخلى لهما عن ولاية العهد ثم سار اليهما فلقياه محتفلين، ورجعا به الى مضاربهما فقام إيرج يعتذر ويسترضى حتى استلّ الضغينة من أخويه. ولكن الناس أعجبوا بإيرج إعجابا وتحدّثوا أنه أجدر بما رشحه له أبوه فثارت حفيظة سلم

وأتمر مع تور على قتل ايرج.فذهبا الى سرادقه وتحدثا عن ظلم أبيهما، وتمادى تور فى الطعن على أبيه، وإيرج يتلطف فلا يزيده إلا غضبا حتى أخذ كرسيا كان يجلس عليه، ورمى به إيرج فشجه ثم تقدم فشق صدره بخنجره . فكان هــذا ، كدم هابيل ، أول دم بين أبناء أفريدون. وكم سالت من بعدُ بينهم دماء .

بلغ أفريدون نبأ إيرج فذهب به الحزن كل مذهب حتى كف بصره ولبث يرتقب أن ينتقم لابنه المظلوم . وقد ترك إيرج أمة حبـلى ولدت من بعد بنتا . فلما كبرت زوجها جدها أفريدون من ابن أخيه بشنج فكان بينهما ابن سماه منوچهر ، ورباه حتى شب فأعد له جيشا لينتقم من سلم وتور . ويبلغهما الخبر فيرسلان الى أبيهما يستغفران . ويصر هو على الانتقام . ثم يسـير منوچهر بجيشه فيقتل سلما وتورا ، ويرجع فيتخلى له جده عن عرش إيران .

مات منوچهر بعد أن حكم مائة وعشرين سنة وخلفه ابنه نوذر فاختلت أمور إيران وطمع فيها بشنك ملك الترك فجمع ملأه وقال: هذا حين ننتقم لتور . فاذا جاء الربيع فدوخوا بخيلكم دهستان وجرجان وسيروا الى آمل فان فى هذه البلاد قتل تور .

يزحف أفراسياب بجيشه وقت الربيع ، وزال بطل إيران فى زابلستان مشغول بموت أبيــه ، فيوجه أفراســياب جيشا الى زابلستان ويقصد هو دهستان فى أربعمائة ألف . وتقع الوقائع فيهزم الايرانيون ويرسل الملك نوذر حُرمه وذخائره الى فارس فى خفارة ولديه طوس وكستهم فيبعث أفراسياب وراءهم فيضطر قارن قائد إيران أن يترك الجيش ويتعقب التورانيين الذين يتعقبون ابني الملك ومن معهما . وتدور الدائرة على جيش إيران ويأسر أفراســياب نوذر الملك ، ولكن يتاح الظفر للايرانيين على جيشى أفراسياب فى زابلستان وطريق فارس فيغضب أفراسياب ويقتل الملك الأسير. ثم يُسـيّر الأسارى الى مدينة سارى مع أخيه إغريرث، ويقصد هو الرى فيتبوأ عرش إيران حينا .

ويقتل نوذر يزيد فى حساب الثأر بين الأمتين ملك آخر،وتستحكم العداوة التى توقد نار الحرب من حين الى حين .

ثم يزيد دم آخر حين تصل القصة الرحم بين بنى ايرج وبنى تور، بتزويج سياوخش بن كيكاوس من بنت أفراســياب ، لتقطعها حين يقتل أفراسيابُ سياوخش فى توران . ويؤذن هذا بأشد أطوار التناحر بين الأمتين فى عهد الملك كيخسرو بن سياوخش وابن بنت أفراسياب . تكون الوقائع سجالا حتى تنتهى بموقعة "يازده رخ" التى قتـل فيها القائد التورانى العظيم پيران، ومعظم أبطاله . ثم يتولى

الحرب كيخسرو نفسه ويهزم جدّه مرة بعد أخرى ثم يتعقبه سائرا الى ختن ثم بلاد التيز ومكران . ثم يركب بحرا تقطعه السفن فى ستة أشهر ثم يخلص الى البر فاذا قوم لغتهم تقارب لغة مكران ونظامهم كنظام الصين، ويسير مائة فرسخ الى قلعة كنك . وكان أفراسياب قد هرب حين بلغه أن كيخسرو قد عبر بحر كياك . رجع الملك لم يظفر بطلبته فعبر البحر فى سبعة أشهر وسار الى مكران فالصين فسياوخش كرد بجنة كنك حيث أقام سنة ثم ولّى كستهم من بخفار الى حدود الصين، وأمره بالجدّ فى طلب أفراسياب . ثم قفل الى ايران مارا على السغد فبخارى فبلخ حيث رتب جيشا وترك قائدا ثم واصل السير الى الطالقان فمرو الروز فنيسابور فالرى فبغداد. لم يرض كيخسرو أن يقفل غير ظافر بأفراسياب . وقد فعل كل ما يستطيع فلم يلحقه، فلم يبق إلا الالتجاء الى الله . وكذلك سار الملك وجده كيكاوس الى بيت نار فى آذر بيجان اسمه آذركشسب ضارعين الى الله أن يظفرهما بعدوهما . وبينا هما هنالك سمع بعض النساك صوت رجل فى غار يندب حظه ويبكى على سالف مجده فعرف أنه أفراسياب طلبة الملك . فيمسكه ويأتى به الى الملك فيقتله غير سامع لضراعته ولا مبق على رحمه . وبهذا ينتهى ذلك الطور من الجلاد الطويل الذى يقترن فى كل وقعاته بذكر أفراسياب .

الطــور الثــانى :

خلف كيخسرو لُهراسب ثم تنسك وترك الملك لابنه كشتاسب . وفى عهد كشتاسب هذا يظهر زردُشت فيعود التناحر بين ايران وتوران ولكن باسم الدين . والحرب فى هذا الطور بين كشتاسب وأرجاسب ملك الترك المقيم بمدينة روئين دِز. وهى القصة التى بدأ نظمها الدقيق الشاعر ونظم منها ألف بيت ثم أتمها الفردوسى وأدخلها فى الشاهنامه. ويؤخذ من القصة أن الايرانيين غلبوا بعد ما رأينا من ظفرهم. فان كشتاسب يقول لزردشت إنه لا يحسن فى ديننا أن نذل لملك الترك ونؤدّى الجزية. فيقابل فعلهم ملك الصين (أرجاسب) بتسفيه رأيهم فى ترك دينهم القديم ويدعوهم الى نبذ الدين الجديد مهدّدا بالحرب . ثم يتحاربون عند بلخ ويهزم التورانيون بعد أن قتل من الايرانيين ثلاثون ألفا منهم ثلاث وستون ومائة وألف من الكبراء، وجرح مائتان وأربعة آلاف .

انصرف الملك الى زابلستان وحبس ابنه إسفنديار. فلما رأى أرجاسب غفلة الإيرانيين واشتغالهم بأنفسهم هجم على بلخ وهى خلو من الجند، وبها لهراسب الملك الناسك، فقتلوا لهراسب وأسروا بنتى كشتاسب، وخربوا بيوت النار، وحرقوا كتب الزند .

جاء كشتاسب فى جيشه ونازل التورانيين فى جهات بلخ و باميان فوقعت الدبرة على الايرانيين واعتصموا ببعض الجبال وأحاط بهم العدو فأرسل الملك الى ابنه اسفنديار المحبوس يستنجده و يعده الملك إن نفّس عن قومه هذا الكرب الشديد . فجاء اسفنديار وهزم التورانيين وسار الى مقر الملك مدينة روئين دِژ فاجتاز سبع عقبات من ظلمات و بحار وغيرها — كالعقبات السبع التى اقتحمها رستم فى سيره الى مازندران من قبل . ثم يدخل المدينة دخول جذيمة الأبرش مدينة الزباء ويصيح فى أصحابه فيقتلون أرجاسب و يهزمون جنده .

هذه آخر المواقع فى العصر الأول ، لانسمع بعدها بالتورانيين الى أن يدال من الكيانيين لاسكندر المقدونى . والفترة بين الكيانية والساسانية على طولها لا تشغل كثيرا من القصص الايرانى ولا ذكر فيها للتورانيين . ثم لا يذكرون فى عهد الساسانية قبل أيام الملك بهرام جور . ومعنى هذا أن الشاهنامه سكتت عن التورانيين زهاء ثلاثين وثمانمائة سنة .

وأما العصر الثانى فيبدأ أيام بهرام كور (٤٢٠ — ٤٣٨ م) اذ يغير خاقان الترك على إيران . ثم تتمادى الوقائع فى عهد الملوك من بعده الى كسرى أنو شروان (٥٣١ — ٥٧٨ م[١]) الذى بنى سدّا غربى بحر قزوين ليصدّ غارات التورانيين (الخزر) على بلاده . ثم صاهر الخاقان فتزوج ابنتـه ، وتخلى له الخاقان عن سمرقند والسغد والشاش[٢] . ثم تعود الحرب أيام ابنه هرمزد فيحطم البطل بهرام چوبين جيش توران و يقتل ملكهم الخ .

وآخر حديث عن التورانيين فى الشاهنامه ما كان بين يزدجرد الثالث والخاقان[٣] إبان الفتح الاسلامى .

(ج) الـــروم :

ملوكهم من أبناء سلم بن أفريدون . وهى نسبة ظاهرة فى الكتاب حتى فى العهد الساسانى التاريخى . فقد أوصى هُرمزد ابنه پرويز ، حينما ثار عليه بهرام چوبين ، أن يستنجد ملك الروم لأنه من أبنـاء أفريدون[٤] . وصـلاتهم بالإيرانيين فى الشاهنامه قليـلة قبل الساسانيين . ومنهـا قصة كشتاسب فى القسطنطينية (التى لا تذكر باسمها) وتزوجه كتايون بنت ملك الروم[٥] .

وأما العهـد الساسانى فتسجل فيـه ذكرى الوقائع العظيمـة المتمادية بين دولة الروم الشرقية والساسانيين .

(١) ص ٨٠ و ٩٢ ج ٢ الآتية . (٢) = ص ١٣٩ وما بعدها . (٣) = ص ٢٦٩ وما بعدها : المتن والحاشية . (٤) ص ٢٠١ ج ٢ ، الآتية . (٥) ص ٣١١ وما بعدها ، وص ٣١٢ و ٣١٤ حا ، ج ١ — الآتية .

وأما الرومان فكان جلادهم مع الدولة الأشكانية . وهذه لا خطر لهـا فى الشاهنامه . ومن أجل ذلك ضاعت ذكرى الرومان كذلك .

وليس عن اليونان خبر إلا حروب اسكندر وسيرته . وعجيب أن تضيع ذكرى حروب دارا وخلفه ـــ الحروب التى شنها الفرس على بلاد اليونان، وكان لها فى التاريخ أثر بليغ، وصدى تجاوبت به الأجيال بعد الأجيال .

(د) الهنـــــد :

الهند فى الشاهنامه، كما فى الكتب العربية[1]، تشمل إقليم كابل و زابل من أفغانستان الحاليـة . ففى قصة زال و بنت مهراب يقال عن زال "ابن ملك الهند" ، وهو من زابلستان . ومنوچهر يولى ساما السند والهند . و إنمـا كانت ولايته فى جهات سجستان و زابل[2] . والهند الحقيقية تذكر فى سيرة اسكندر وحروبه، وفى ذهاب بهرام گور اليها ومصاهرة ملكها[3] .

ولا نجـد عداوة بين الهند والايرانيين، إلا اختلاف الدين، ولكنه يذكر فى كلمات متسامحة . ونحن نعرف أن البوذية انتشرت فى الهند وما صاقبها من الغرب منذ دخل فيها الملك الهندى أسوكا سنة ٢٥٠ م، وأنها تمكنت فى كابلستان الى عهد العباسيين[4] . وفى الأبستاق وصف كابل بأنها ذات الظلال الشريرة، والوثنية . وأثر هـذا بيّن فى الشاهنامه : ففى قصة زال و بنت مهراب يأبى زال أن يجيب دعوة مهراب لأن الكابليين عباد أصنام، وتقول امرأة مهراب لسـام : "و إن كان قصـد الملك لبـلاده (مهراب) من أجل الدين فان إلاهنا و إلاهكم واحد لا خلاف بين الطائفتين فيـه غير أن قبلتنا التماثيل والأصنام ، وقبلتكم الشمس والنيران[5]" . وحينما غاضب گشتاسپ أباه وأراد أن يذهب الى الهنـد قال له أخوه : " واذا دخلت الى بلاد الهنـد احتجت الى خدمة ملكها الذى لا يعبد إلاهك، وليس على دينك[6]" .

وقد غفل رواة الشاهنامه عن الصـلات القديمة بين الايرانيين والهند ـــ هذه الصلات التى تظهر فى كثير من الأساطير التى فى الكتاب نفسه .

---

(١) انظر معجم ياقوت : كابل، زابل . (٢) ص ٥٩، ٦١ ج ١، الآتية .
(٣) ص ٩٨ ج ٢، الآتية . (٤) وورنر ج ١ ص ١٥ (٥) ص ٦٩، ج ١، الآتية
(٦) = ص ٣١٠

(هـ) الصين :

والصين فى الشاهنامه، وفى الكتب العربية، تقال على تركستان أيضا. يقول عبد الرحمن الباهلى :

و إن لنا قبرين قبر بلنجر وقبر بصين استان يا لك من قبر
فأما الذى فى الصين عمت فتوحه وهذا الذى يسقى به سبل القطر[1]

يذكر قبر قتيبة بن مسلم الباهلى فى تركستان، وقبر سليمان بن ربيعة وراء نهر بلنجر فى جهة الباب والأبواب .

ومن أجل هذا نجد الشأهنامه تسمى خاقان الترك خاقان الصين .

والصين الحقيقية تذكر أحيانا بما يجلب منها من الحرير وغيره، وفى قصة اسكندر ومواضع أخرى. و إذا استثنينا تركستان فصلات ايران بالصين قليلة جدا فى الشاهنامه و إن يكن التاريخ يحدث بسفارات بين الصين والساسانيين .

(و) العرب :

هم فى الشاهنامه يمثلون الساميين كلهم ؛ ففى أخبارهم ذكرى الدول السامية القديمة ، وذكرى ما كان بين الفرس والعرب من بعد الى عصر الاسلام .

فى الكتب العربية والفارسية كثير من لبس تاريخ الإيرانيين وأساطيرهم بأساطير الساميين وتاريخهم . كالذى يروى فى نسب آدم وأبنائه ، ونسب كيومرت أبى البشر عند الفرس ، وأبنائه. وكما يرى من الشبه بين نوح وأولاده ، وأفريدون وأبنائه ،وكما يروى أن ابراهيم هوزردشت ، وأن الأبستاق هى صحف ابراهيم ، وأن صخرا الجنى الذى سرق خاتم سليمان هو الضحاك المحبوس فى نهاوند . وأمثال هذا كثير فى الكتب العربية كالطبرى ، وكتاب البلدان للهمذانى ، ومروج الذهب والكتب الفارسية كفارس نامه . وهذه روايات نشأت بعد الإسلام فيما أظن .

وانما يعنينا ما فى الشاهنامه ؛ فيها قصة حزن أفريدون على ابنه منوچهر وذهاب بصره ، كقصة يعقوب . وفيها نسل الايرانيين والتورانيين والروم من أبناء أفريدون الثلاثة كما نسلت الأمم من أبناء نوح . وفيها محاولة كيكاوس الطيران الى السماء كما سخرت الريح لسليمان . وقد أضل الشياطين كيكاوس ليخلصوا من عذابه حين سخرهم فى البناء فزينوا له صعود السماء كما تمنى الشياطين الخلاص من تسخير سليمان[2] .

(١) البلدان ص ٢٨٧ . (٢) انظر حواشى فصول البيشداديين والكيانيين من هذا الكتاب .

واما العرب فقد ورثوا فى الضحاك عداوة الإيرانيين والساميين ، العداوة التى بقيت ذكرى الحادثات القديمة بين الأمتين ،والتى سجل بعضها تاريخ الأشوريين . و يظن أن حدود إيران الغربية كلها كانت عرضة لغارات الساميين أيام الأشوريين ،وقد حارب هنالك سلمناصر الثانى (٨٥٨ — ٨٢٣ ق م) وملوك بعده الى أسر حدون الأول (٦٨١ — ٦٦٨ ق م) الذى حاول فتح ايران . ولم تخف وطأة الأشوريين على ايران إلا بعد سقوط نينوى (٦٠٦ ق م) .

فهذه الحادثات ، وما كان بعدها من العرب وغيرهم من الأمم المصاقبة ايران من الغرب تركت أثرا فى أساطير ايران . وكان منها أسطورة الضحاك :

وهو ابن ملك عربى اسمه مرداس . أغراه ابليس بقتل أبيه فقتله واستبد بالأمر وعظم شأنه . ثم استنجد به الايرانيون ليدفع عنهم عتو جمشيد . فاستولى على ايران وحكم ١٠٠٠ سنة يسوم الناس ألوانا من العذاب ، ويقتل منهم كل يوم رجلين يطعم بدماغهما الحيتين النابتتين على كتفيه . والأبستاق تجعل مستقر الضحاك بورى ، وهى بابل . والشاهنامه جعلت مستقره بيت المقدس . وفى هذا دليل على أنه ذكرى الساميين لا العرب وحدهم[1] .

على أن نسبة الضحاك الى العرب أدت الى نتيجة بينة فى الكتاب . ولكن لا يبين اهتمام الرواة بها كثيرا ، و إشادتهم بها : ذلك أن مهراب ملك كابل يُجعل من نسل الضحاك ، و بنته روذابه تسمى المخدّرة العربية . وروذابه هى أم رستم بطل الأبطال . فالعرب أخوال رستم .

ومثل هذا تزويج أبناء أفريدون الثلاثة من ثلاث بنات لملك اليمن سرو . فقد جعل العرب أخوال بنى أفريدون جميعا . وهم ملوك ايران وتوران والروم . ولكن قصص الشاهنامه تذكر هذا الزواج ثم تغفل نتائجه فلا تذكرها مرة واحدة .

ومن الحوادث العظيمة بين الايرانيين والعرب غزو كيكاوس بلاد اليمن ووقوعه فى أسر ملكها ، وتسمى اليمن فى هذه القصة "هاماوران" وقد بينت فى التعليق عليها أنها "حمير" . وهى الوقعة التى يفخر بها أبو نواس فى قصيدته القحطانية المعروفة :

وقاظ قابوس فى سلاسلنا　　　سنين سبعا وفت لحاسبها[2]

وكان من آثار هذه الغزوة أن تزوج كيكاوس بنت ملك اليمن سوذابه . ولسوذابه أثر سيء على زوجها ، وسيرة خبيثة فى قصة سياوخش . وقد اضطر هذا الى أن يغاضب أباه و يلجأ الى العدو

---

(١) ص ٢٥ وما بعدها ، وحا . ج ١ — الآتية :　　(٢) ص ٢٧ حا ، ج ١ الآتية .

الألد أفراسياب ملك توران ، فرارا من مكائدها . وقد انتهى أمرها بأن قتلها رستم انتقاما لربيبه سياوخش الذى قتل فى أرض توران[1]،وآخر ذكر للعرب فى العهد الذى قبل الساسانيين حرب داراب وشعيب بن قتيب الذى صمد لحرب الفرس فى مائة ألف من أولى النجدة فهزمهم داراب "وأطاعه سائر ملوك العرب، والتزموا أداء الخراج اليه . فنفذ داراب الى بلادهم من يأخذ منهم خراج السنة الماضية مع خراج السنة الحاضرة[2]" .

وفى العهد الساسانى نجد صلات العرب والايرانيين أقرب الى التاريخ بل بعضها تاريخى صحيح. ومنها إغارة الملك الغسانى واستيلاؤه على مدينة طيسفون (المدائن) فى عهد سابور ذى الأكتاف (٣٠٩ — ٣٧٠ م) . وفى هذه القصة بقايا محرفة من حرب أذينة ملك تدمر وسابور الأول ابن أردشير، ومن قصة ملك الحضر وسابور بن أردشير أيضا[3] .

ثم نجد المودّة بين أمراء الحيرة وملوك الفرس منذ عهد يزدكرد الأثيم (٣٩٩— ٤٢٠ م) وابنه بهرام كور، يرسل يزدكرد ابنه الى الحيرة فينشأ على الفروسية هنالك. ثم يموت الملك فيختار الفرس للملك رجلا غير بهرام. فيأبى بهرام والمنذر بن النعمان، والنعمان ابنه، فيكرهون الفرس على الرجوع عما عزموا عليه وينتهى النزاع بتملك بهرام[4] .

ثم يذكر العرب فى أمور غير ذات خطر، حتى تذكر وقعة القادسية . وهنا يرى القارئ سخط القصة على العرب ، وتحقيرهم، والمبالغة فى وصف فقرهم ، وهمجيتهم . ويرى رستم القائد المنجم يصف العهد المقبل بآثامه ومصائبه . وفى هذا يتجلى ما ورثته العنعنات الفارسية من وقائع الفتح الاسلامى من النفور والبغضاء . ويكفى أن أثبت بيتين مما قيل على لسان رستم .

زشير شتر خوردن وسوسمار عرب را بجائى رسيداست كار

كه تاج كيانرا كنـد آرزو تفو باد برچرخ كردون تفـو

"قد بلغ الأمر بالعربى من شرب لبن الابل، وأكل الضباب، الى الطموح الى تاج الكيانيين . فأف لك يافلك السماء ! " .

ولا نجد فى الشاهنامه أثرا من الأساطير التى اخترعت فى العهد الاسلامى للتقريب بين العرب والفرس، وخلط أساطيرهم القديمة بعضها ببعض ، كالذى قيل من أن الفرس أبناء إسحاق فهم أبناء

(١) قصة سياوخش ص ١٥٥ وما بعدها ج١ ، الآتية . (٢) = ص ٣٨٠ (٣) ص ٦٥ ج ٢، الآتية . (٤) ص ٧٩ ج ٢، الآتية .

عم العرب الاسماعيليين وأقرب اليهم من القحطانيين : ويروى الطبرى والمسعودى شعرا فى هذا منها أبيات منسوبة لجرير :

وأبناء إسحاق الليوث اذا ارتدوا حمائل موت لا بسين السنورا
اذا انتسبوا عدّوا الصبهبذ منهم وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب فيهم ونبوة وكانوا باصطخر الملوك وتسترا
فيجمعنا والفر أبناء سارة أب لا نبالى بعده من تأخرا
أبونا خليل الله والله ربنا رضينا بما أعطى الاله وقدرا (١)

وكذلك افتخر بعض الشعراء من الفرس بانتسابهم الى اسحاق، وفضّل أمهم سارة على هاجر :

قل لبنى هاجر : ما بنت لكم(؟) ما هذه الكبرياء والعظمة الخ

وكما روى أن الفرس كانت تأتى مكة وتطوف بالبيت تعظيما لجدها إبراهيم وأن آخر من حج منهم ساسان جد أردشير بن بابك، وأن بئر زمزم سميت بزمزمتهم عليها :

زمزمت الفرس على زمزم وذاك من سالفها الأقدم الخ (٢)

لا نجد فى الشاهنامة أثرا من هذا التقريب الإسلامى. وهذا برهان أن الكتاب احتفظ بالعنعنات القديمة . ولم يشُبها بما اخترع بعد الاسلام إلا قليلا .

٧ — القصة، واتصال حوادثها، وأغلاطها :

يحس قارئ الشاهنامه اتصال الحوادث بعضها ببعض ، وتذكُّر الوقائع المتقدمة فى العصور المتأخرة، ورجوع القاصّ الى ما قدّمه ليحتج به كلما أراد .

ومن ذلك أننا نرى، فى آخر فصل منوچهر، ساما جدّ رستم يخبر ابنه زالا أنه يحس دنو أجله فلا ينسى الراوى أن يخبرنا بموت سام فى أوّل فصل نوذر (٣) . ونقرأ فى قصة سياوخش عن تزوجه من جريرة بنت پيران قائد التورانيين فلا يفوت القاص أن يخبرنا بأنه ولد من هذا الزواج ابن، فى الفصل الذى يقص فيه عن زيارة كرسيوز أخى أفراسياب لسياوخش فى المدينة الجديدة التى بناها، مع أن السياق لا يجعل القارئ ينتظر خبرا من هذا القبيل . ثم لا ينسى أن يخبرنا بقتل هذا الابن على يد الايرانيين أنفسهم وهم ذاهبون لحرب التورانيين فى مكان لا ينتظر القارئ أن يصادف فيه ابن

(١) الطبرى ص ١٩٥ ج ١ ٠ (٢) مروج الذهب ج ١ ص١٤٩ ، ١٥٠ (٣) ص٧٨ ، ٨٤ ج١ الآتية

سـياوخش[1] . وقد وصف كيكاوس بالحمق فما زال حمقه يتجلى فى تاريخـه كله . وكذلك صداقة كستهم وبيژن يذكرها الشاعر مرة فلا ينسى بعـدُ أن يجعل أحدهما يجد الاخر وقت الشـدة حينا هزم الايرانيون أيام كيخسرو ، وحينا انتـدب كستهم لمطاردة اثنين من شجعان توران بعـد موقعة يازده رخ[2] . وحينا أراد كيكاوس أن يعهد الى من يخلفه تعصب كودرز لكيخسرو، على فريبرز ابن كيكاوس. فنجد أثر هذا الخلاف حينا هزم الايرانيون، وهرب فريبرز بالعلم فأمر كودرز حفيده بيژن أن يأخذ العلم من فريبرز قهرا[3] . ومثل هذا كثير .

ولكن القارئ يجد فى مواضع قليلة خلاف هـذا ؛ يجد ما يدل على نسيان الشاعر أو الراوى، أو ما يدل على أن روايتين عن واقعة واحدة جعلتا واقعتين يشـعر القارئ حين يقرأ الثانية أنه يعيد قراءة الأولى .

و يظهر هذا التكرار فى ذهاب طوس بالايرانيين لحرب التورانيين، وانهزام طوس وغضب الملك عليه وحبسه ، ثم ذهابه قائدا مرة أخرى ليلقى هزيمة كالهزيمة الأولى . الراوى أظهر أنهما قصتان مختلفتان إذ ذكر رضاء الملك على القائد و إرساله ليغسـل الهزيمة الأولى[4] . ولكن حوادث الحربين تشعر القارئ أنهما حرب واحدة . وقريب من هذا قصـة هفتخوان المروية عن إسفنديار، فهى، لا محالة محاكاة لقصة هفتخوان المروية عن رستم[5] .

ومن الغفلة أن الشاعر يقص أن بنى كودرز قتل منهم سبعون فى وقعة بين ايران وتوران أيام كيخسرو ثم يقص فى أخبار بيژن ومنيژه، وهى قصـة عشق، أن بنى كودرز لم يصابوا قط بمثل ما أصيبوا به من وقوع بيژن فى أسر التورانيين . ولا شك أن أسر رجل أهون من قتل سبعين. وهذا دليل على أن قصة العشق هذه قصة مفردة جمعت الى قصص الشاهنامه ولم يحكم وصلها بها[6] . ومن ذلك أن الشاعر يذكر فى أول قصة سياوخش أن أمه بنت كرسيوز أخى أفراسياب أو من قرابتـه . ثم يجعل كرسيوز من بعد ألد حساد سياوخش والساعى فى دمه دون أن يذكر هـذه القرابة طول القصة . ومما يقطع على القارئ قراءته أن يقرأ وصف المغارة المظلمة التى فيها ملك الجن ثم يقرأ أن رستم رأى هذا الملك وتبين صورته القبيحة فى ظلام الغار، وأن ملك مازندران لم يسمع بما أصاب ملك الجن على يد رستم ، و بما فعله الايرانيون فى بلاده إلا من كتاب أرسله اليه كيكاوس على

---

(١) ١٧٤ حا، ٢٠٥ ج ١، الآتية (٢) = ص ٢٦٦ (٣) = ص ٢١٣ (٤) ص ٢١٥ حا، ٢١١، ٢١٦، ج ١، الآتية . (٥) = ص ١١٠، ٣٤١ (٦) = ص ٢١٣، ٢٤٧

حين أن كيكاوس كان محبوسا فى ظلمات مازندان ، حبسه ملك الجن بتحريض ملك مازندران نفسه فلا يعقل أن يخلص الملك وجيشه من الأسر، و يفعل رستم أفاعيله فى البلاد والملك فى غفلة من هذا .

ومن غفلات الراوى أو جامع القصص أن بعض الأبطال يموتون ثم يظهرون فى القصص من بعد . فكلباد التورانى قتله قارن أيام كيقباد ثم ظهر فى لعب الكرة فى قصة سياوخش . وكهرم التورانى قتل فى موقعة يازده رخ ثم ظهر فى حرب أرجاسب وكشتاسب . و بارمان قتله قارن ثم وجدناه فى حوادث أخرى . وألوا حامل رمح رستم قتله كاموس الكاشانى ثم ظهر فى حرب رستم واسفنديار . وكذلك قارن واغريرث قتلا ثم ظهرا[1] . ولكن يمكن أن يقال فى بعض هذه الأسماء إنها أسماء أشخاص آخرين .

أغلاط القصة :

يجد القارئ فى الشاهنامه ، غير الزلات القصصية التى قدمت أمثلة منها، أغلاطا تاريخية وجغرافية لا سبيل للمجادلة فيها :

وحسب القارئ أن يقرأ قصة طواف كيكاوس فى مملكته،وذهابه الى هاماوران،وقصة تعقب كيخسرو أفراسياب ليرى خلطا عجيبا فى الجغرافيا[2] .

وفى قصة ذهاب رستم الى ما زندران يسأل رستم الأسير أولاذ عن المسافة بينه و بين كيكاوس الملك الذى كان محبوسا فى الظلمات فيقول أولاذ: " إن بينك و بين الموضع الذى حبس فيه كيكاوس مائة فرسخ،ومن عنده الى مستقر ملك الجن مائة فرسخ أخرى"[3]. و يعلم القارئ أن مازندران لا تتسع لهذه المسافات .

ثم العربى الغسانى الذى حاربه سابور ينهزم أمامه الى قلعة باليمن فيحاصره فيها سابور . وقدبينت أنها قصة ملك الحضر المروية فى الكتب العربية ، وقصة أذينة ملك تدمر[4] . وأشنع من هذا أن المنذر أخذ بهرام كور ليربيه فحمله الى اليمن . ولست أظن الفردوسى يجهل الجغرافيا الى هذا الحد . وأحسب مثل هذا الغلط الأخير تحريفا من النساخ .

(١) مول جـ ٤ ص ٥٢ (٢) ص ١١٩ ، ٢٩٠ ج ١ الآتية. (٣) = ص ١١٣ .

(٤) ص ٦٤ ، حا، ص ٧٥ ج ٢ ، الآتية .

ومن الأغلاط التاريخية أن أفريدون نقش زندواستا على جدران مدينة كُنْدز التى سميت من بعد بيكَنْد[1] . وكتاب زندواستا جاء به زردُشت الذى بعث أيام كُشتاسب، بعد أفريدون بقرون عدة . وكذلك تعبُّد كيخسرو بقراءة هذا الكتاب . ومثل هذا ذكر المسيحية والصليب فى حروب اسكندر ودارا، وجعل رسول الروم الى بهرام كور تلميذ أفلاطون[2] .

أثر الشاهنامه فى القصص الفارسى :

تبين من تاريخ الشاهنامه أنها حوت أساطير الفرس وتاريخهم على ما كانا عليه فى القرن الرابع الهجرى . ويؤيد هذا كتاب "غرر أخبار ملوك الفرس وسيَرهم" الذى ألفه الثعالبى فى القرن الرابع وقدّمه الى الأمير نصر أخى السلطان محمود الغزنوى الذى قدّمت اليه الشاهنامه . هذا الكتاب أقرب الكتب الى الشاهنامه فى موضوعه وترتيبه . وفى هذا دليل على أن الشاهنامه تضمنت معظم ما كان معروفا فى ذلك العصر .

وقد صارت الشاهنامه، منذ نظمت وشاعت بين الناس، عمدة التاريخ الفارسى القديم، ووسيلة الى نشره وبثه بين الخاصة والدهماء بما أُنشدت قصصها فى المحافل، وكلف بها الفرس فى كل جيل. ولكنها لم تستوعب الروايات الفارسية كلها؛ فهناك قصص فارسية فى كتب أقدم من الشاهنامه كالطبرى والأخبار الطوال لم تذكر فيها .

فلما كلف الناس بالقَصص المنظوم، وسارت الشاهنامه وناظمها مثلا بين الفرس حاول بعض الشعراء أن يعارضوا الكتاب أو يقاربوه فرجعوا الى الروايات القديمة ينظمون منها ما لم تحوه الشاهنامه، ويتوسعون فيما حوته ليأتوا بجديد يلفت الناس اليهم . فنظموا قصصا تدور حول أبطال الشاهنامه أو ذوى قرابتهم بعضها يكمل نقصا فى سياق الكتاب، ويصل ما انقطع من نسقه، وبعضها لا يحتاج اليه سياق الحوادث .

ومحاكاة الشاهنامه بادية فى وزن هذه القصص وقافيتها وفى موضوعات بعض القصص التى تبدو للقارئ صورة أخرى من قصص الشاهنامه . كقصتى جهانكير أخى سهراب، وبرزو بن سهراب . فهما تشبهان قصة سهراب التى فى الكتاب كما يظهر مما يأتى . بل بعض هذه القصص تتحدّى الشاهنامه وتغض من أبطالها لترفع فوقهم أبطالا آخرين تقصّ من أنبائهم ، كقصة كرشاسب نامه .

---

(1) مول ج ٤ ص ٢٢ . (2) ص ٩٥ ج ٢ الآتية .

وأكثر المؤلفين لا يذكرون أسماءهم ولا يعرف شيء عنهم إلا حدسا .

وقد بدأت محاكاة الشاهنامه، فيما يظهر، بعد نصف قرن من ختمها. فقصة كرشاسب نامه نظمت، كما يقول ناظمها، بين سنتى ٤٥٦ و٤٥٨ هـ . ويظهر أن القصص الأخرى نظمت فى القرن الخامس أيضا . وقد ظهر فى القرن السادس ضرب آخر من القَصص أعظم موضوعاته العشق ، وأكثر قصصه لا يستمد التاريخ الفارسى القديم . ووزنها يخالف وزن الشاهنامه . وقد عددت معظمها فى فصل القَصص الفارسى المتقدّم . وفارط هذا الضرب من القصص الشاعر الكبير نظامى الكنجوى المتوفى فى حدود سنة ٦٠٠ هـ . أخذ هذا النوع المكانة الأولى فى القصص الفارسى منذ القرن السادس ولكن محاكاة الشاهنامه لم تنقطع . فقد نظمت بعدُ قصص منها كتاب شاهنشاه نامه الذى نظمت فيه سيرة فتح على شاه فى القرن الثالث عشر الهجرى .

وفيما يلى بيان موجز عن القصص التى حاكت الشاهنامه[1] :

١ — كرشاسب نامه :

بطلها كرشاسب أبو أسرة سام . وهى أكثر هذه القصص شيوعا وأقدمها فيما يظهر . نظمت بين سنتى ٤٥٦ و ٤٥٨ هـ . ويقول ناظمها فى المقدّمة أن بعض الكبراء قال له إن الفردوسى بلديّك حاز صيتا رفيعا، واقترح عليه أن يجاريه فى نظم بعض التواريخ القديمة . ثم يذكر أن أمامه كتابا فيها سِيَر وعِبَر وأنه ينظم عنه ، ثم يعدّد هزائم رستم بطل أبطال الشاهنامه، ويفضّل عليه جدّه كرشاسب الذى فعل فى الهند والصين والروم ما لم يستطعه رستم . ثم يتناول أسرة رستم من أوّليتها فيذكر جمشيد الى كرشاسب بطل قصته فيفيض فى تبيين مآثره .

ويقول المؤلف إن قصته سبعة آلاف بيت . وكثيرا ما يخلط النساخ أبياتا من هذه القصة بالشاهنامه .

٢ — سام نامه :

بطلها سام جدّ رستم . ويبدؤها الناظم بأبيات من الشاهنامه فى أول عهد الملك منوچهر يقول فيها سام إنه سيطوف فى أقطار الأرض ليقهر أعداء الملك ، وتنتقل الشاهنامه بعدها الى مولد زال ابن سام ولا تقص عن طواف سام فى الأرض . فيذكر ناظم سام نامه وقائع سام فى الصين والمغرب

(١) لم أظفر بمخطوطات هذه القصص فى مصر فاعتمدت على مقدّمة مول للترجمة الفرنسية للشاهنامه

و بلاد الصقالبة . ثم يصل قصته بالشاهنامه عند مولد زال . فغرض المؤلف أن يسدّ هذا النقص الذى بدا له فى قصة الفردوسى .

وفى هذه القصة زهاء ستة آلاف بيت .

٣ — جهانكيرنامه :

بطلها جهانكير بن رستم وأخو سهراب . تقص عن موت سهراب ثم تحدثت عن بطلها حديثا كحديث قصة سهراب فى الشاهنامه . فجهانكير ينشأ بعيدا عن أبيه رستم ثم يأتى من قبل أفراسياب لحرب الإيرانيين، و يقاتل أباه رستم وهو لا يعرفه . ثم يتعارفان و ينحاز جهانكير الى قوم أبيه و يقاتل مع الملك كيكاوس فى أقطار كثيرة . ثم يقتله جنّى فى الصيد .

و فى هذه القصة نحو ثلاثة آلاف بيت . و يذكر مؤلفها أنه من هراة . ولا يعرف اسمه .

٤ — فرامُرز نامـــه :

وهى قصة صغيرة عن فرامرز بن رستم، تصف حربه دفاعا عن ملك الهند الذى كان تابعا للايرانيين واستنجد الملك كيكاوس ليردّ عنه عدوّه . وتنتهى القصة بدخول ملك الهند نوشاد و جماعته فى دين الفرس .

وفى القصة نحو ثمانمائة بيت .

٥ — بانوكُشاسپ نامه :

وهى قصـــة فذّة بطلها امرأة هى بانوكُشاسپ بنت رستم وامرأة كيو بن كودرز . تزوّجته بعد تزاحم الأبطال عليها . وقد غضبت مرة على زوجها فربطته وسجنته حتى جاء أبوها رستم فخلصه . ولها وقائع فى البطولة تضعها فى عداد الأبطال المغاليه .

وفى القصة نحو خمسة آلاف بيت .

٦ — برزو نامـــه :

بطلها برزو بن سهراب وحفيـــد رستم . وهى تحوى مآثر آل سام التى أغفلتهـــا الشاهنامه . وتبتدئ بأبيات من الشاهنامه فى قصـــة سهراب ثم تشرع فى الحديث عن برزو . وتجعله كسهراب وجهانكير، يربّى بعيدا من أبيـــه ثم يحارب به غير عارف به . ثم يأسره الايرانيون فيعرف نسبه

ويبق فى قومه الايرانيين . وقد تجنب صاحب هــذه القصة كصاحب قصة جهانكير أن ينهى قصته بالمنتهى الفاجع الذى ختمت به قصة سهراب .

وفى القصة نحو ثلاثين ألف بيت . وناظمها يزعم أنه ينقل قصته عن كتاب قديم .

٧ — بهمن نامــه :

بطلها الملك بهمن بن اسفنديار . يرى القارئ فى الشاهنامه أن رستم قتل اسفنديار الذى أكره على محاربته . فهذه القصــة فى معظم حوادثها تصف انتقــام بهمن لأبيه من أسرة رستم، ومطاردة أبطالها فى الهند وغيرها ثم نبش مقابرهم فى سيستان .

وأبياتهــا نحو خمســة آلاف . وقد كتبت للسلطان محمود بن ملكشاه الســلجوقى الذى ملك سنة ٤٩٨ هـ .

يتبين من هذا البيان الوجيز أن ستًا من هــذه القصص تدور حول أبطال من أسرة رستم، وأن القصة السابعة معظم حوادثها متصــل بهذه الأسرة . ولو عرف شيء عن أصحاب هــذه القصص لأمكن أن يعرف أكان لتعصب أهل إيران الشرقية لأسرة الأبطال الزابلية — أسرة رستم أثر فى الاكثار من هــذه القصص . والقصة السابعــة كتبت لإعظام الملوك الكيانيين، والحط من أسرة رستم، والانتقام لاسفنديار بطل الدين الزردشتى . وقد رأينا فى أثنــاء الشاهنامه و فى التعليق عليهــا كيف قابلت القصة رستم باسفنديار ثم تذبذبت فى تفضيل أحدهما على الآخر .

الفصل السابع — المترجم والترجمة

١ — البُنــــدارى :

ترجم الشاهنامه الى العربية قوام الدين الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى، واسمه ولقبه يذكران مرارا فى أثنــاء الترجمة ، ولا سيما نسخة كوبريلى التى قدّمت الكلام عنها . ولا نعرف من تاريخه الا نبذا متفرّقة فى ترجمة الشاهنامه ومقدّمتها، ونتفا تذكر عرضا فى بعض الكتب [١] .

(١) براون ج ٢ ص ١٦٦ ، ٣٠٤ ، ٤٧٢ الخ، دائرة المعارف الاسلامية : البندارى .

ويؤخذ من أقواله فى أثناء الترجمة أنه نشأ فى أصفهان وتربى بها، وأنه قدم الشام ولحق بالملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب، وأنه لم يتخذ الشام دار إقامة بل كان يترقب الرجوع الى بلده بعد الحظوة بمكافأة السلطان على ترجمة الشاهنامه :

فهو فى أثناء ترجمة أخبار قباذ ينقل عن حمزة الأصفهانى أن قباذ تزوج بنت دهقان من قرية اسمها أردستان على ثلاث مراحل من أصبهان[1] . ونجد بعد هذا النقل هذه الجملة : « قال الفتح ابن على : وحدّثنى بهذه الحكاية عن مشايخ أهل هذه الضيعة شيخى تاج الدين محفوظ بن الطيب الطرفى . وكان، رحمه الله، ينتهى نسبه الى هذا الدهقان، وكان يباهى بذلك بين الأقران الخ[2] » .

وهذا يدل على أنه تعلم فى أصفهان ونواحيها . وفى ترجمة قصة ذهاب كيو بن كودرز الأصفهانى الى تركستان مفتشا عن كيخسرو يقول : "ومكث كذلك يدور فى بلاد توران راجيا للوقوع على أثر كيخسرو حتى أتت عليه سبع سنين لم يضع فيها ساعةً سلاحه، ولا أراح يوما فرسه، ولا يأكل غير لحوم الوحش، ولا يلبس غير جلودها، يسير بين الجبال والشعاب بعيدا عن الأحباب والأصحاب، حليفا للوجوم أسيرا للهموم . وكأنما تكلم على لسانه مترجم الكتاب الفتح بن على حيث باح بشكوى الاغتراب حين شطّت داره، وامتدت أسفاره حيث قال فى كلمة له (كتبها إلى والده أبى الحسن البندارى رحمه الله بأصبهان)[3] .

فيا صاح استمع أبثك شكوى	نزيع لا يرى يوما قرارا
بعيد الدار من أعلام جىّ	تغرّب يركب الخطط الغبارا
فيوما بين وحش الريف ضيفا	ويوما عند ذئب القاع جارا
تكالفه خطوب الدهر حتى	كأن لديه للأيام ثارا
وتغزوه بجيش بعد جيش	وها هو يوسع الكل انكسارا
بصولة نافض عن لبدتيه	حكت أظفاره الأسل الحرارا
وسطوة رابض فى ظل بأس	يشق به على الفلك الصدارا

(١) ص ١١٧ ج ٢ الآتية . (٢) هذه العبارة فى نسخة كوبريلى فقط، كوبريلى ص ٢٩١ ج ٢ (دار الكتب المصرية ١٤٩٣ تاريخ) . (٣) ما بين القوسين من نسخة كوبريلى .

وكما عاود جيو بلدى هذا العبد أصبهان، بعد أن طالت سفرته، وتمادت غربته، مقرون السعى بالنجاح، فائزا فوز المعلّى من القداح، فكذلك هو يرجو أن يثنى عنانه و يعاود أوطانه، صاعد الجد، وارى الزند بسعادة مولانا السلطان الملك المعظم الخ[1]" .

وقد ترجم للمعظم كتاب الشاهنامه ما بين جمادى الأولى سنة ٦٢٠ وشوال سنة ٦٢١ فى مدينة دمشق[2]، و يظهر أنه جاء الى الشام سنة ٦٢٠ ، فهو يقول فى المقدمة أنه لما قدم حضرة السلطان أهدى اليه كتاب الشاهنامه فأمره بترجمته "فتصدّى المملوك لما ندب له امتثالا للأوامر العالية[3]" .
ولا ندرى كم أقام بالشام بعد هذا التاريخ . ولكن السلطان للملك المعظم توفى سنة ٦٢٤ ، فيحتمل أنه رجع الى بلده عقب وفاة السلطان إن لم يكن رجع قبلها .

والبندارى أديب شاعر، كما يتبين لقارئ هذ الكتاب[4]. ثم هو فقيه؛ يدل على ذلك تلقيبه بالفقيه الأجل فى أثناء الكتاب[5] . وهو مؤرخ ، اختصر تاريخ السلاجقة الذى ترجمه عماد الدين الأصفهانى عن الفارسية . ألفه الوزير أنوشروان بن خالد، وزير السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى، ووزير المسترشد بالله، المتوفى سنة ٥٣٢ . وهو الوزير الذى قدّمت اليه مقامات الحريرى . وقد طبع كتاب البندارى فى ليدن والقاهرة[6] . ويقال أنه اختصر كتابا آخر لعماد الدين نفسه اسمه البرق الشامى[7].

٢ — الترجمة :

اذا أخذنا نسخة من نسخ الترجمة لنقيسها بالأصل فنسخة (طا) فيها زها ١٨٥٠٠ سطر، ومعدّل كلمات السطر عشرة . فاذا فرضنا أن كل سطر منثور يترجم بيتين من الشعر دون إجحاف بالمعنى ففى ترجمة البندارى ٣٧٠٠٠ ألف بيت من الشاهنامه . وقد تقدّم أن الكتاب بين خمسين ألفا وستين . فاذا فرضناه خمسة وخمسين ألفا فقد اختصر المترجم زهاء ثلث الكتاب .

وذلك أنه أراد أن ينقل الى قراء العربية حوادث الشاهنامه مجملة مجرّدة من أوصاف الشاعر المسهبة، ومما يتصل بها من تفصيل دقيق :

وفيما يلى بيان تصرف المترجم فى الكتاب موجزا :

---

(١) ص ١٩١ ، ١٩٢ ج ١ — الآتية . (٢) ص ١٠ السابقة . (٣) ص ٣ ج ١ — الآتية .
(٤) نظر ص ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٧١ الخ ج ١ — الآتية . (٥) كوص ٢٩٤ ج ٢ .
(٦) براون ج٢ ص ١٦٦ ، ٤٧٢ (٧) دائرة المعارف الاسلامية : البندارى .

(أ) يحذف المترجم بعض الفصول الصغيرة كما حذف فصل تجريب أفريدون أولاده، ومحاولة ملك اليمن سحر أبناء أفريدون[1]، وحذف، فى قصة منوچهر، قتل رستم الفيل الأبيض، وذهابه إلى الجبل الأبيض[2]، وحذف فى قصة كاموس الكاشانى مقاتلة رستم وجنكش[3]. وحذف من قصة اسفنديار ورستم نصح زال ابنــه رستم . وهكذا . ويستطيع القارئ أن يتتبـع الفصول المحـذوفة بالرجوع الى عنوانات الشاهنامه التى ألحقتها بفصول الكتاب، وميزت فيها ما حذفه المترجم بوضعه بين قوسين.

(ب) ويحـذف بعض حوادث الفصول ، كما حذف ما كان بين رستم والتركمان حينما ذهب لإحضار كيقباد من جبـل ألبرز، وحذف بيان أن زوج گيو هى بنت رستم، وأنها ذهبت إلى أبيهـا حينما سار زوجها الى توران باحثا عن كيخسرو[4]. وقد بينت فى التعليقات بعض المحذوفات من هذا الضرب .

(حـ) ويحذف أكثر مقدمات الفصول التى يتكلم فيها الشاعر عن نفسه، أو يعظ ويبين العبر من تقلب الأحداث . وقد بينت بعض هذا فى موضعه . كما حذف مقدمة قصة سهراب التى يتكلم فيها الشاعر عن موت الشبان والحكمة فيه . ومقدمة قصة سياوخش التى يتكلم فيها الفردوسى عن الشعر والكلام البليغ .

(د) وحذف مدائح السلطان محمود . وقد أثبتُّ بعضها بنصــه، واختصرت بعضها، ونبهت الى بعضها فى التعليق .

(هـ) واختصر الرسائل الطويلة، والخطب، والوصايا . وهذا مطرد فى الكتاب .

(و) واختصر كذلك الأوصاف فى الحروب، والأســفار، والمآدب، ووصْف آلات الحرب أو الخيل، أو الوحوش الخ . فهو يقول بعد وصف الذئب الذى قتله گُشتاسب ببلاد الروم : «فى أوصاف كثيرة ذكرها صاحب الكتاب[5]» . ويقول فى الحرب بين أرجاسپ وگشتاسپ: "فزعم الدقيق أن الأمر جرى على ما ذكره جاماسب الحكيم على التفصيل الذى سبقت الاشارة اليه فلم تطوّل نحن باعادته[6]" .

(ز) وينقــل عن كتب أخرى كالطبرى وحمزة الاصــفهانى والمسعودى لبيان رواية غير التى ذكرها الفردوسى أو ذكر حادثة تركها . كما نقل عن الطبرى انتساب الملك بهمن الى بنيامين[7]، وكما

(١) ص ٤١ حا، ج ١ الآتية . (٢) = ص ٥٨ حا . (٣) = ص ٢٢٥ حا .
(٤) = ص ٩٧، ١٩١ (٥) ص ٣١٤ ج ١ الآتية . (٦) = ص ٣٣٠ (٧) = ٣٩٦

روى قصة ملك الحضر فى عهد سابور بن أردشير، ونقل عن غير صاحب الكتاب ما كان بين هرمز ابن نرسى ورعيته[1] . ومثل هذا كثير .

والمترجم أمين فى هذا كل الأمانة، لا يذكر كلمة واحدة من غير الكتاب إلا نبه الى ذلك .

(ع) و يكذّب ببعض الأساطير أثناء الترجمة. كما قال فى قصة زال و بنت مهراب عن الفردوسى: «قال، والعهدة عليه: فدلت قرونها وأشارت إلى أن يتعلق بها و يصعد»[2] . وكثيرا ما يقول: «فزعم صاحب الكتاب» .

(ط) ويغيّر الكلمات غير المألوفة أو التى لا تلائم الدين كما حذف كلمة «أهرمن» فى الكتاب كله، ووضع مكانها كلمة « إبليس » أو «جنى» . وكذلك حذف بعض ما وصف به المسيح مما لا يلائم العقيدة الاسلامية فى حرب رام بن برزين ونوشزاد الثائر على أبيه كسرى أنو شروان، وفى سفارة خرّاد بن برزين فى القسطنطينية أثناء كلامه عن المجوسية والمسيحية[3] .

لغـــة الترجمـــة :

يقول المترجم فى المقدمة : « لأن هـذه الحضرة — لا زالت بسطة جلالها محمية من دواعى الانقباض، ومعاقد دولتها محروسة عن يد الانتقاض — مجتمع قروم الفصاحة ومعرس فحول البلاغة ... ... فكيف يضم دهمته الكالحة الى غررهم اللائحة، وحجوله الواضحة، من يرتضخ لكنـة أعجمية تنبو عنها الطباع، وتمجها الأسماع . » ثم يقول : «فلذلك ما أقـدم الملوك على نقل الكتاب غير نازل فى عبارته الى حضيض الإسفاف، ولا صاعد الى ذروة التكلف والاعتساف ، متنكبا عن تلفيق الأسجاع التى تستهجنها القرائح الصافية، والأذهان الزاكية»[4] .

وقد صدق . فأسلوبه غير متكلف، وبيانه فى جملته، ليس مُسِفا ولا عاليا . إلا جملا يتبين فيها القارئ أثرا من العجمة فى كتابه كما كان يرتضخ لكنة أعجمية فى منطقه . وأدع للقارئ إدراك العبارات الركيكة، والجمل النابية عن الأساليب الفصيحة، كما أدع له تقدير بلاغته فى نظمه ونثره .

(١) ص ٥٨ و ٦٢ ج ٢ الآتية . (٢) ص ٦٢ ج ١ الآتية . (٣) ص ١٢٩، ٢١١ ج ٢ الآتية .
(٤) ص ٣، ٤ ج ١ الآتية .

قيمة هذه الترجمـــة :

وبعد فقد ترجم كتاب الشاهنامه الى لغات كثيرة . وهذه هي الترجمة العربية الفذة . وقد يسّرها المترجم للقارئ وأوجزها فقرّب له حوادث الكتاب، ومكّنه من استيعابه في زمن قصير، وإن فوّت عليه جمال الشعر وتفصيل الحادثات . وأحسب أن القارئ العربي ، بهـذه الترجمة، أقدر على الإحاطة بقصص الشاهنامه من القارىء الفارسي . فهي كافية من يريد الالمـام بالملحمة الفارسية الكبيرة، وهي وسـيلة الى درس الأصل الفارسي لمن يريد . وقـد ربحت بها اللغة العربيـة قصصا جديدة وأسلوبا في القصص طريفا .

ثم لهذه الترجمة خطر آخر . فقد ترجمت في أوائل القرن السابع الهجري، ولست أعرف نسخة من الشاهنامه تبلغ هذا القرن قِدَما . فيمكن الاستعانة بها على نقد الكتاب الفارسي ، وتحكيمها بين النسخ المختلفة التي تتفاوت أبياتها من أربعين ألفا إلى ستين، كما تقدّم . وعسى أن تكون فاتحة لدرس واسع، وبحث مستفيض في الشاهنامه، والقصصي الفارسي، والآداب الفارسية كلها .

نسأل الله أن يهدينا للتي هي أقوم، ويعصمنا من خدعة النفس، وضلال الرأي، وافتراء القول . وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

عبد الوهاب عزام

شعبان سـنة ١٣٥٠ هـ .

الشاهنامة

الجزء الأول

البيشداديون والكيانيون

فهـــرس الجـــزء الأول[1]

صفحة

القســـم الأول — البيشداديون

(١) العنوانات التى فى الفهرس هى العنوانات التى وضعها المترجم لفصول الكتاب . وبعضها أضيق مما يذكر بعدها من الحوادث ولكنى لم أستحسن تغييرها . وما يرى فى الفهرس بين هذين القوسين [ ] عنوانات الفصول التى ترجمتها وأثبتها فى متن الكتاب .

القسم الثاني — الكيانيون

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

(1)

رَبّ أعِنْ وأعِنْ

الحمد لله الذى تعطف رداء الكبرياء، واتصف بقيومية [2] الملك فى الأرض والسماء. تنكص على أعقابها دون إدراك مبادى جلاله ثواقب [3] الأفهام، وتتعثر فى أذيال [4] الحيرة فى مضامير كماله سوابق [5] الأوهام. الجبار الذى خفضت الملوك لعظمته [6] طوامح الأحداق، وطأطأت الصناديد لعزته سوالف الأعناق. القهار الذى ترتد لدى أمره هواجم السيول فى صبب البطحاء، وتنزوى لهيبته متضايقة أرجاء البسيطة الفيحاء. سرادقات آلائه ممتدة الأطناب على الدوام، لايقوضها تناسخ الليالى والأيام. فسبحانه من سلطان [7] لاتخلخل [8] هضبات اعتلائه، ولا تتزلزل قواعد كبريائه. مالك الملك يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء. خلق السبع الشداد [9]، وشحن أطباقها بأرصاد النجوم، وأشرع دون حماها فى نحور الشياطين أسنة الرجوم. وخلق الأرض مهادا للدهماء، وفراشا للعالم المعرّض للسعادة والشقاء. وبرأ البرايا صنوفا وضروبا، وجعلهم قبائل وشعوبا، ورفع بعضهم فوق بعض درجات. ولم يزل يستخلف فى كل قرن من القرون الماضية، وكل أمة من الأمم السالفة، رعاية للأمور، وسياسة للجمهور، من ينتخبه من خلقه، ويختصه بإلهامه، فيبسط يده فى ممالكه، ويجعله ظله فى أرضه على خلائقه. فاذا قضى على أيامه بالانقضاء، وعلى أمده بالانتهاء، ورّث آخر أرضه ودياره، واستخدم له أشياعه وأنصاره. وابتعث فيهم الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين بالدلالات الواضحة، والعلامات اللائحة، والمعجزات الساطعة، والبينات اللامعة. ليهدوهم الى المنهج القويم، والصراط المستقيم، ويدلوهم على مافيه صلاحهم ونجاتهم، وبه يطيب محياهم ومماتهم. حتى انتهت

(١) ك طا : وبه نستعين. (٢) ك طا : قيومة. (٣) كو : سوابق. (٤) كو : ذلاذل.
(٥) كو : ثواقب. (٦) كو : لهيبته. (٧) كو : ملك. (٨) طا : يخلخل.
(٩) كو : الطباق.

نوبة الرسالة الى سيدنا محمد النبي العاقب ، المختص بأفضل المناقب ، الفارع هضبات المآثر ، الناشر رايات المفاخر ، سليل الذبيحين ونجل العواتك ، الذى استخرجه من أشرف العناصر وأكرم المحاتد ، وغذاه بلبان التنزيل ، وأيده بعصمة الوحى الجليل ؛ فنسخ جميع الشرائع بشريعته الطاهرة[١] ، ورفع سائر الملل بملته الزاهرة . ولم تزل تباشير صبح جلالته طالعة ، وأشعة شمس رسالته لامعة ، حتى ملأت طِلاعَ[٢] البسيطة باهرة الأنوار ، وطبقت أكناف العالم ساطعة الآثار . فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه مصابيح الدين ، ومفاتيح اليقين ، ودرارى أفلاك السيادة ، وجرائم أشجار السعادة ، صلاة تكون أمدادها بآماد الأبد معقودة ، وظلالها على أرواحهم المطهرة ممدودة .

ثم إنا نحمد الله الذى شيد مبانى الشريعة ، ومهد قواعد الاسلام ، بمكان مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين مَلِك[٣] الملوك والسلاطين أبى الفتح عيسى بن[٤] الملك العادل أبى بكر بن أيوب . حين ذلل له نواصى العباد ، وملكه سرة العالم وصفوة البلاد . وقضى لأوليائه بالعز الأقعس ، والطرف الأشوس . وحكم لأعدائه بالذل اللازم ، والمعطس الراغم . وأيد عزائمه بأمداد الفتح المبين ، وشيع ألويته بجنود النصر والتمكين . فهو بأمر الله قائم آناء الليل وأطراف النهار ، ملظ بالمرابطة والمجاهدة فى ثغور الاسلام . متجرد كالسيف الجراز فى حز مفاصل الشرك ، متبلج كالصباح الباهر فى رفع ظلام نحل الإفك . لم يسمع براية للكفر مرفوعة إلا بادرها بالتنكيس والتعفير فى تراب الإتعاس والتحقير . ولم يحس بنار موقدة للظلم إلا أطال عليها باع الإطفاء ، وسلط عليها يد الإخماد . هذا مع ماخصصه الله[٥] به من الفضائل الباهرة ، والعلوم الزاهرة ، التى تبحر فى فنونها وأنواعها ، وتملك أعنتها رافعا منارها كالنار على يفاعها . فهو ابن جلاها وطلاع ثناياها ، والمستبد من أقسامها بمرباعها وصفاياها . حتى صارت أيامه مواسم تجلب اليها بضائع العلوم والآداب من كل مرمى سحيق ، وتضرب اليها أكباد المطىّ من كل فج عميق . فلا زالت أنوار دولته ساطعة ، ومجاديح كرمه هامعة ، ووجوه مواليه بنضارة الإقبال موردة ، وخدود أعاديه بقتر الإدبار مربدة ، ما كان الخير معقودا بنواصى الخيل ، وتعاقب شقراء النهار ودهماء الليل .

(١) كو : الطاهرة . (٢) كو : تلاع . (٣) كو : « ملك ملوك العرب والعجم » بدل « ملك الملوك والسلاطين » . (٤) كو : السلطان الملك . (٥) طا : الله تعالى .

نعم ولما جذبت السعادة بضبعي، وطمحت بطرفي، ووطئت بساط مملكته الفسيحة، وأدنيت من سدّته العالية مكتحلا بترابها الذى هو ذرور أعين الإقبال، وعبير مفرق الجلال، وتشرفت بالمثول فى حضرة مالك الرق — خلد الله سلطانه — منخرطا فى سلك زمرة الإخلاص، ومنضما الى جملة المنادين بصدق الدعاء فى تلك العراص، قدّمت برسم الخدمة لخزانة آدابه — لا زالت معمورة ببقائه — الكتاب الموسوم بشاه نامه الذى عنى بنظامه الأمير الحكيم أبو القسم منصور بن الحسن الفردوسي الطوسي، مطرزا ديباجته بذكر السلطان السعيد أبى القسم محمود بن سبكتكين — رضى الله عنه — ذاكرا فيه ملوك الفرس وتواريخ أيامهم، وشارحا فيه مقاماتهم المأثورة، ووقائعهم المشهورة، مع وصف سيرهم الحميدة، وخلالهم السديدة، فى إفاضة العدل والإحسان، وإشاعة الأمن والأمان، وصرف العناية الى عمارة العالم، وإسباغ ظلال الرأفة والرحمة على كافة الأنام. فوقع من همته العالية موقع القبول. لكنه رأى الكتاب مع[1] ماتضمنته أطباقه من عجائب تصاريف الأدوار، وبدائع تأثيرات الأطوار، والحكم التى تتفتح بها عيون البصائر، والعبر التى تتقوى بها أعضاد التجارب، قد استبدت العجم بفوائده، وتوشحوا بقلائده، وتخصصوا باستماع حكاياته وأقاصيصه، واستأثروا بالاستمتاع بحكمه وأعاجيبه. فاشرأبت همته الجوالة فى سماء المكارم وعزمته الوقادة فى انتهاز فرص المآثر الى أن تعمم فوائده، وتكثر منافعه وعوائده. فأمر مملوكه وضيعته الفتح بن على بن محمد[2] بن الفتح البندارى الأصبهانى أن يترجمه فيحل حكاياته المنظومة وينزع عن معاطفها أطمار اللغات العجمية، ويفيض عليها فضفاض وشائع الألفاظ العربية، ويكسوها رونق اللسان الذى هو أشرف الألسن، المنزل به أفضل الكتب، والمتناطق به خير البشر وخلصان الأمم، والمتخاطب به أهل السعادة فى قرارة المنن. فتصدّى المملوك لما ندب له امتثالا للأوامر العالية ترتعد فرائص بيانه وبنانه، وترجف أحشاء يراعه ولسانه. لأن هذه الحضرة — لا زالت بسطة جلالها محمية من دواعى الانقباض، ومعاقد دولتها محروسة عن يد الانتقاض — مجتمع قروم البراعة ومعرّس فحول الصناعة، الذين اذا هدرت شقاشق أقلامهم، وجاشت بحار خواطرهم وأفهامهم، تلفعت فصحاء العرب بجلابيب الحياء، وتسربلوا لباس الخجل منقمعين بين القبائل والأحياء. فكيف يضم دهمته

(١) ص : معا . (٢) طا : محمد (لا) .

الكالحة الى غررهم اللائحة، وحجولهم الواضحة، من يرتضخ لكنة عجمية، تنبو عنها الطباع، وتمجها الأسماع ؟ وكيف يستطيع ابن اللبون صولة البزل القناعيس، وأنى يبغم الخشف الغرير عنـد زئير الأسد وسط الخيس؟ لكنه أمل من أنوار السعادة السلطانية التى اذا التفتت بعين العناية الى الهباءة الخافيـة كستها بهور الشمس البازغة . وتوقع من العواطف الشاملة التى اذا اشتملت على القـذاة الخاسئة أطالت باعها على مناكب الجبال الشامخة — أن يكسو معاطف هذه الترجمة خلع الارتضاء، وينوه بذكرها بحسن الإصغاء . ويورد صفحات صحائفها بأنوار القبول والإقبال، ويعـديها[1] شرف الكمال وبهاء الجلال . فلذلك ما أقـدم المملوك على نقـل الكتاب غير نازل فى عبارته الى حضيض الإسـفاف ، ولا صاعد الى ذروة التكلف والاعتساف ، متنكبا عن تلفيـق الأسجاع التى تستهجنها القرائح الصافيـة والأذهان الزاكية . مستعينا بالله عز وجل ومبتهلا اليـه أن يمده بالتوفيق ويؤيده بالتسديد . وهو على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

(١) ك : يغذيها .

فاتحة الكتاب [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم رب الروح والعقل الذى لا مجال للفكر فوق علائه، رب الاسم والمكان،[2] المقيت ومرسل الهداة بنعمائه. رب كيوان والفلك الدوار، ومنير الشمس والزهرة والقمر السيار. المتعالى عن الأسماء والسمات والأوهام، الخالق فى السماء عوالى الاجرام. لا تدركه الأبصار فلا تجهد عينيك،[3] ولا يحده الاسم والمكان فماذا يجدى الفكر عليك؟ إن يعد الروح والعقل هذه الجواهر، فكلاهما فى الطريق اليه حائر. وإن تخير الفكر الكلام فقصاراه أن يصف ما يراه. لا سبيل الى الثناء عليه فى حقيقته، وانما واجبك أن تشمر لعبادته. هو للعقل والروح قائد، فكيف يحيط به الفكر الجاهد؟ لن تدركه برأيك هذا وعدتك، وإن شققت على روحك وعقلك. حسبك أن تقر بوجود الديان، وأن تكف عن هذا الهذيان، وأن تعبده وتستهديه، وتطيع أوامره ونواهيه. من عرف فقد قدر، وبالمعرفة يشب القلب اذا هتر. ليس للكلام وراء هذا الحجاب مجال، وسعى الفكر لإدراكه خيال محال.

مقال فى مدح العقل

هنا أيها العاقل يتسع فى وصف العقل مجال الواصفين، فحدث بما تعرف واشرح صدور السامعين. العقل أحسن نعم الله عليك، فخير أعمالك أن تحدث بما يسدى اليك. العقل يهديك ويشرح صدرك، ويأخذ بيدك فى الدارين فيسددك. منه لذتك وألمك، وربحك وخسارتك. واذا حرم العقل النور حرم العاقل كل سرور. كذلك قال الكيس العاقل الذى يتزود من نصائحه العالم: "من لم يجعل العقل إمامه، كانت أعماله آلامه. وهو مجنون عند العقلاء، وغريب بين الأقرباء". بالعقل تسعد كل حين، ومن حرم العقل فهو فى الإسار رهين. العقل عين الروح حين

(١) مقدمة نظمها الفردوسى لكتابه وحذفها المترجم فترجمتها وأثبتها هنا. وقد حرصت على أن تكون الترجمة صورة الأصل مقتربا على قدر الطاقة من الأسلوب العربى. (٢) هكذا فى الأصل. وقد ترجمها ورنر (warner) «رب كل مسمى وكل ما حل فى مكان». وترجمها مول (mohl) «رب المجد والعالم». (٣) أنظر المقدمة فى تهمة الفردوسى بالاعتزال.

تنظر، فكيف بدونه تورد فى الحياة وتصدر؟ العقل فاعلم أول الخلق، وهو المهيمن على الروح بالحق. فاحمد العقل بلسانك وأذنك وعينيك، فهو[١] سبيل الخير والشر اليك. من ذا الذى يوفى الروح والعقل الثناء؟ وان أنا أثنيت فمن يستطيع الإصغاء؟ ما جدوى الكلام ولا انسان أيها الحكيم؟ أقصر وخبرنا كيف كان الخلق القديم: أنت صنع خالق العالم، تعرف ما خفى وما علن. اجعل العقل مشيرك على الدهور، وتجنب به سفاسف الأمور. وتتبع فى كل مكان أقوال العلماء، ثم طوف الآفاق وبثها للخاصة والدهماء[٢]. واذا سقط اليك حديث من العرفان، فلا تنم عنه ساعة من الزمان. واذا أبصرت «فرعا» من البيان، فاعلم أن «جذر» المعرفة لا يناله[٣] انسان.

مقال فى خلق العالم

لا بد أن تعرف بادئ بدء أصل الجواهر: قد خلق الله شيئا من غير شيء لتتجلى قدرته. ثم خلق منه أربعة عناصر لم يمسه نصب ولم يحتج إلى زمن. بدأ بالنار المضيئة العالية، ثم جعل الماء والهواء وسطا بينها وبين التراب المظلم. اضطرمت النار فظهر اليبس من حرها، وفتأت الحرارة فكان البرد، ومن البرد نشأت الرطوبة. فلما خلقت عناصر هذا العالم الفانى عمل بعضها فى بعض فظهرت الأنواع كلها: ظهرت هذه القبة سريعة الدوران تبدى كل يوم من عجائبها، ووكلت السبعة بالاثنى عشر[٤]. وأخذ كل مكانه المقدر. وبدت القسمة والعطاء فأعطى (الخالق) كما يجدر بالعالم[٥]. وخلقت الأفلاك طباقا، وتحركت حين اتسقت. وظهرت الأرض وبحارها وأوديتها ورباها كالمصباح المضيء. وارتفعت الجبال، وسالت المياه، ونما النبات. ولم تقدر الرفعة لهذه الأرض فكانت مركزا أسود مظلما. وظهرت النجوم فوق فى عجائبها، وانتشر الضياء على الأرض. وصعدت النار، وهبط الماء. ودارت الشمس حول الأرض. ونبت العشب وأنواع الشجر، وقدر لها أن تنمو صاعدة ليس فى طبعها إلا النمو، لا تستطيع أن تنتشر على الأرض كالحيوان. ثم ظهر الحيوان فسيطر على النبات كله، ودأب يطلب الطعام والسلامة والنوم. يتمتع بهذه الحياة، ليس له لسان

---

(١) ويحتمل «فهى». (٢) يحتمل أن يكون المعنى «وتلمس طريقك بأقوال العلماء، وطوف الآفاق وحادث كل انسان». (٣) فى الأصل أن المعرفة لا تبلغ الجذر يعنى أنها لا تنتهى. (٤) سبعة الكواكب السيارة والاثنى عشر برجا. يقول المعرى فى اللزوميات جسد من أربع تلحظها سبعة راتبة فى اثنى عشر. (٥) فى الأصل درو بخشش ودادآمد پديد به بخشيد دانند راجون سزيد. ترجمها ورنر (warner) «مقدرة الخير والشر ومعطية أنصبة عادلة لكل من قدر على القراءة» ولا أدرى من أى أصل ترجمها. وترجمها مول (mohl) «وظهر الحظ والقضاء ومنحا السعادة لمن يفهمهما».

ناطق ولا عقل مفكر، وإنما همه أن يربى جسمه بما وجد، لا يعرف الخير ولا الشر فى العواقب، ولا يكلفه الخالق عبادة . إنه العالم القادر العادل فما أخفى فضلا . ذلك ولا يعلم أحد عقبى العالم سرا أو علانية .

مقال فى خلق الانسان

ثم ظهر الانسان فكان مفتاحا لهذه الأغلاق . خلق عالى الرأس غير ذى عوج كأنه سرو سامق، ذا منطق حسن وعقل يصرف الأمور، مزوّدا بالحكمة والرأى السديد والذكاء فخضعت لأمره البهائم . فكر قليلا ! كيف يكون الانسان ذا معنى واحد ؟ كأنك تظن الانسان هذه الصورة الحقيرة ولا تعرف فيه أثرا وراء هذا! إنك أنشئت من العالمين فكنت وسطا بينهما . أنت الأوّل فى الخلق وان جئت آخرا . فلا تستهتر باللهو واللعب . وقد سمعت من بعض العلماء غير هذا، وماذا نعرف نحن من أسرار خالق العالم ؟

انظر فى عاقبة أمرك : "وان تنازع فى نفسك أمران فاختر أحسنهما . ورض نفسك على المشاق بجدير حمل المشاق فى سبيل العلم . وإن ترد السلامة من كل شر وأن تنجو بنفسك من حبالة البلاء، وأن تخلص من السوء فى الدارين، وأن يرضى الخالق أعمالك"[1] . فتأمل هذا الفلك الدوّار الذى هو مصدر الداء والدواء، ذلك الفلك الذى لا يبليه تعاقب الزمان، ولا ينال منه التعب والنصب، ولا تعييه الحركة ولا يمسه كما يمسنا العطب . فمنه الزيادة والكثرة، وعنده يظهر الخير[2] والشر .

مقال فى خلق الشمس

الفلك من ياقوت أحمر ليس من الهواء والماء والتراب والدخان . وقد تبدّى فى زينته ونوره كبستان يوم النوروز . يجرى فيه جوهر يملأ الصدور سرورا، يمدّ النهار بالضياء، يرفع رأسه المضىء كل صباح من المشرق كأنه ترس من ذهب، فيكسو الأرض أثوابا من النور، ويبدل العالم من ظلامه ضياء . فاذا مال للغروب بدت رأس الليل المظلم فى الشرق . هكذا دواليك لا يدرك أحدهما الآخر، وذلك أقوم نظام . أيها الذى هو شمس كل حين ما بالك لا تشرق على قط[3] ؟

---

(١) ما بين القوسين ليس فى نسخة تبريز فى هذا الموضع . (٢) يكثر فى شعر الفرس ذكر السماء وأقدارها وقد أفتنوا فى نعتها وأكثروا من أسمائها، ولعل هذا أثر الدين الآرى القديم . (٣) هذا البيت الأخير فى النسخ التى بيدى وفى التراجم ولست أدرى من يخاطب به .

مقـال فى خلق القمر

مصباح أعدّ لليـل المظلم — احذر ما استطعت أن تضل فى ظلمـات الشر — يختفى يومين وليلتين كأن الدوران قد أبلاه . ثم يتراءى محنوقفا مصفرّا كالإنسان ولهه العشق . ولا يكاد البصر يدركه من بعيد حتى يحتجب . وفى الليلة التالية يزداد ظهورا فيزيدك نورا . حتى يكمل فى أسبوعين فيعود سيرته الأولى ؛ يزيد نحولا على مر الأيام، واقترابا من الشمس المنـيرة . كذلك أعطاه الخالق خلقه، فطرة لا يزايلها ما بقى .

مدح النبى صلى الله عليه وسلم

لا ريب أن فى العلم والدين نجاتك، فتحر ما استطعت سبيل النجاة . وان ترد ألا يمرض قلبك، وألا تتمـادى فى سكرتك . فاهتد بقول الرسول الى سبيل الرشاد ، وطهر من الأرجاس قلبك بهـذا المـاء . قال صاحب التـنزيل والوحى ، ورب الأمر والنهى : " ان الشمس لم تطلع على خير من أبى بكر بعد الرسـل الكرام " . وقد أظهر الاسلام عمر ، وصير العـالم كجنات الربيع . والمختار بعد هذين عثمان الحيى التقى[1] . والرابع على زوج البتول ، الذى أحسن الثناء عليـه الرسول . إذ قال : " أنا مدينة العلم وعلىّ بابهـا " . وحق انه لقول الرسول . أشهد بهـذا كأنما تسمعه الآن أذناى . كذلك علىّ والآخرون الذين اشتد بهم أزر الدين . ولقد كان الأصحاب أقمـارا اذ كان الشمس سيد المرسلين، إنما الطريقة المثلى ألا تفرق بينهم أجمعين .

إنى عبـد أهل بيت النبى، ومادح تراب قدم الوصى . لست أبالى ما يقول الآخرون، وليس لى فى القول مذهب غير هذا . إن الحكيم يرى هذه الدنيا بحرا ثارت بموجه ريح عاصف، فيه سبعون سفينة قـد نشرت شرعها ، بينهن سفينة كالعروس، مجلوة فى زينتهـا كعين الديك . وفيها محمد وعلىّ وأهـل بيت النبى والوصى . والعاقل حين يبصر على بعـد هذا البحر الذى لا يدرك غوره، ولا يرى شاطئه، يوقن أنه سيموج فلا ينجـو من الغرق أحد، فيقـول فى نفسه ان غرقت مع النبى والوصى فقـد ظفرت بصاحبين وفيـين، وكان لى نصيرا صاحب اللواء والتاج والسرير ، صاحب الأنهـار من الخمر والشهد، والينابيع من اللبن والمـاء المعين . فان كنت ترجو الدار الآخرة فتبوأ مكانك عند النبى والوصى . فان أصابك من هذا شر فإثمه علىّ . ذلك مذهبى وطريقتى . عليه ولدت وعليه أموت، وما أنا إلا تراب قدم حيدر[2] . اذا ابتغى قلبك الإثم فهو عدوّك ولن يعادى عليا إلا زنيم أعدّ

---

(١) مدح الخلفاء الثلاثة غير مذكور فى ترجمة ورنر (Warner) (٢) حيدر على بن أبى طالب .

الخالق له عذاب الجحيم . ومن أظلم ممن يسر بغض على؟ حذار أن تتخذ الدنيا لعبا وأن تنقلب عن الرفقة الميامين . ان السعادة تواتيك حين تصحب الذين سعدوا . حتام أرسل القول فى هذا الباب ولست أعرف للقول منتهى ؟

مقال فى جمع "شاهنامه"

لم يذر المتقدمون لمتأخر ما يقول . فقصاراى أن أعيد بعض الحديث . مهما أقل فقد قيل من قبل، ما تركت ثمرة فى حديقة المعرفة . ولكن إن تقعد بى همتى دون أن أتبوأ مكانا على الشجرة الفينانة فن يأوى الى دوحة عظيمة لا يعدم فى ظلالها مأوى . ولعلى أنال مكانا فى أفنان هذا السرو المظل حين أترك ذكرا على الدهر بهذا الكتاب "كتاب عظماء الملوك" . لا تحسبنه حديث كذب وخرافة، ولا تحسبن الزمان يسير على نسق واحد . ان العاقل ينتفع بما فيه كله ولو حسبه رمزا وتمثيلا .

كان من آثار الغابرين كتاب مملوء بالقصص ، تقسمته أيدى الموابذة (١) ، وحرص كل عاقل على قطعة منه . وكان من نسل الدهاقين (٢) بطل عاقل ذكى جواد، يتحرى آثار الأولين، ويتتبع قصص الماضين . فدعا اليه كل موبذ حنكته السنين، قد وعى أثارة من هذا الكتاب، وسألهم عن أنساب الملوك والأبطال النابهين ، وكيف صرفوا أمور العالم من قبل ثم خلوه لنا صاغرين (٣) ؟ وكيف مهد لهم الجد فلثوا الأيام بمآثرهم ؟ فقص عليه هؤلاء الكبراء قصص الملوك، وأخبروه عن غير الزمان . فلما سمع منهم شرع يؤلف من ذلك كتابا عظيما، فترك ذكرا ذائعا فى الآخرين، وأثنى عليه الأكابر والأصاغر أجمعين .

قصة الدقيقى الشاعر

فلما قرئت هذه القصص على الناس أعارتها الدنيا سمعها وقلبها، وأولع بها العقلاء والحكماء؛ حتى ظهر فتى فصيح اللسان، حسن البيان، ذكى الفؤاد . فقال سأنظم هذا الكتاب ففرح الناس به أى فرح . ولكن سوء الخلق كان خدن شبابه . فكان يقطع أوقاته بالبطالة وصحبة الأشرار، حتى بغته الموت فتوجه بتاجه الأسود . لقد سلط الخلق الدميم على الروح الجميل، وما نعم يوما بالحياة . ثم انقلب به جده فقتله أحد عبيده . نظم ألف بيت عن كشتاسب وأرجاسب ثم انتهى عمره (٤) فذهب والكتاب لم ينظم . وكذلك أفل نجمه السعيد (٥) . اغفر اللهم ذنبه ؛ وارفع يوم الحشر درجته .

(١) جمع موبذ وهو القيم على الدين . أنظر المقدمة . (٢) جمع دهقان، وهو معرب دهكان أعنى صاحب مزرعة . أنظر المقدمة . (٣) ويحتمل أن يكون المعنى خلفوه لنا حقيرا . (٤) هذه الجملة فى نسخة تبريز وليست فى ترجمة وزن ولامول ؛ (٥) فى الأصل : نام بخته اليقظان . وهى عبارة فارسية شائعة .

مقال فى بدء الكتاب[١]

فلما يئس قلبي منه (الدقيق) توجه تلقاء ملك العالم[٢] لعلى أظفر بهذا الكتاب فأنظمه . ساءلت أناسا لا يحصيهم العدّ وأنا أوجس خيفة من غير الزمان ، وأخشى ألا تمتد بى الحياة فأتركه لغيرى . ثم مالى لم يكن ذا وفاء . ولا أحد من يشترى منى هذا العناء . وكان الزمان يرجف بالطعن والضراب ، والعالم ضيق المجال على الطلاب . غبرت على هذا برهة أكتم منيتى فى نفسى ، ولا أرى من أفضى اليه بذات صدرى . ماذا فى العالم خير من الكلام البديع الذى يهوى اليه فؤاد الرفيع والوضيع ؟ لولا الكلم الطيب من رب العالمين ، ما كان هادينا سيد المرسلين . وكان فى المدينة صديق لى كأنى و إياه نفس واحدة . فقال : "لقد هديت للرشاد ، وسارت قدمك فى سبيل السداد . أنا كفيل بهذا الكتاب الفهلوى فلعلك لا تنام عنه . فأنت فصيح اللسان غض العمر جدير أن تقص من أنباء الأبطال . فاقصص كتاب الملوك كرة أخرى . وابغ المكانة عند العظماء بهذه الذكرى" . فلما أحضر الى هذا الكتاب ، أضاءت روحى المظلمة الجناب[٣] .

فى مدح أبى منصور محمد[٤]

فلما ظفرت بهذا الكتاب أتيح لى أحد الكبراء : فتى من ذرّية الأبطال ، عاقل حازم ذكى سديد الرأى ، شديد الحياء ، فصيح المنطق ، حلو الحديث . قال : ماذا أفعل ليفرغ بالك للنظم ؟ سأواسيك بما تملك يداى ، ولا أفضى الى أحد بحاجتك . فلبثت فى كنفه كالتفاحة الغضة يحاذر أن يمسنى من الرياح ضر . وسموت من التراب الى كيوان بسعى هذا الفاضل الخير النابه ، الذى يستوى فى يده الذهب والفضة والتراب . وقد أصاب فيه المجد أحسن زينة ورواء . جواد وفىّ يحتقر الدنيا وما فيها . فواحسرتا أن يفتقد مثل هذا الرجل النابه كما يفتقد فى الحديقة السرو[٥] الباسق . لست أجد أثرا منه حيا أو ميتا . اغتالته أيدى التماسيح السفاكة الدماء . فوا أسفا على هذا الشطاط العالى ووا أسفا على هذه الطلعة الملوكية . لقد انقبض قلبي وملكه اليأس ، ورجفت روحى كالقصبة فى مهب الريح .

---

(١) هذا العنوان ليس فى نسخة تبريز . (٢) العبارة مبهمة ولست أدرى من يريد . (٣) يكثر فى الشاه . التعبير بظلام القلب والروح ونورهما وكأنه من آثار دين زردشت . (٤) أنظر المقدمة . (٥) السرو عند الفرس مثال حسن القد واستقامته وطوله .

أذكر نصيحة منه تعدل بي الى سواء الطريق . قال لى إذا يسر الله لك هذا كتاب الملوك فاهده الى الملوك . قد اطمأن قلبي الى قوله وآنشرح صـدرى لرأيه . فقدّمت هـذا الكتاب لملك الملوك الأصيد، رب التاج ورب التخت، ملك العالم المظفر السعيد .

فى مـدح السلطان محمـود [١]

ما عرف الناس مثل هذا الملك مذ خلق الله العالم . لقد لاح تاجه على العرش فازدانت الأرض كأنها قطعة من العـاج وضاءة . كلا لاتجعـل الشمس المضيئة مثـلا له، فأبو القاسم الملك المظفر قد وضع على تاج الشمس عرشه، فأشرقت الأرض من المشرق الى المغرب، وفتحت كنوزها لمجده . وقد طلع نجمى به وكان غاربا، وفاض معين الفكر وكان ناضبا . وقد علمت أن وقت القول قد حان، وأن قد تجدد بعد أن بلى الزمان .

رقدت ليلة وقلبي بملك الأرض مشغول، وفمى بالثناء عليه معسول . وكان قلبي نور الليل البهيم، قد انطبقت الشفتان وهو مفتوح سليم . فرأت روحى المنيرة فى المنـام أن شمعـة لألاءة ظهرت من المـاء، فانجابت الظلماء، وصارت الأرض بضوئها كالياقوتة الصفراء . و برزت الصحراء كالديباج . ونصب عرش من الفيروزج لملك كالقمر يزينه التاج . اصطف الجند ميلين عن يمينه، وسبعمائة فيل هائل عن يساره . ووقف أمامه وزير تقى [٢] يرشده إلى الدين والعدل . فشدهنى جلال الملك وهول هذا الجيش وهذه الأفيال . ولمـا ملأ عينى ذلك الوجه الملكى سألت هؤلاء الكبراء : أفلك وقمر منير أم تاج وسرير ؟ ونجوم ما أمامه أم جنود ؟ قال قائل : "هذا ملك الروم والهند، وما بين قنوج الى بحر السند . كل من فى ايران وتوران له عبيد، يحيون بأمره ورأيه السديد . قـد زين الأرض بعدله، فحق له أن يضع التـاج على رأسه . ملك العـالم « محمود » ذو العزة القعساء الذى جمع بين الذئب والحمل على موارد المـاء . وأجمعت على إعظامه الملوك من كشمير الى بحر الصين. وأول ما ينطق به الطفل الرضيع « محمود » ذلك الاسم الرفيع . فاشد كذلك بذكره فأنت مبيـن ، تطلب به الذكر الخالد فى الآخرين . لا يستطيع أحد أن يخالف أمره، أو يفوت قهره" .

فلمـا استيقظت وثبت من مرقدى غير حافل بظلام الليـل، فأثنيت على هذا الملك الجليـل . وأعوزنى من المـال نثار، فنثرت روحى بدل الدرهم والدينار . وقلت لنفسى : "هذه رؤيا لها تعبيرها على الأيام، فان صيته ذائع فى الأنام" فسلام على من يثنى على هـذا الجدّ السعيد، والخاتم والتـاج

(١) محمود بن سبكتكين الغزنوى (أنظر المقدمة) . (٢) فى الأصل دستور (أنظر المقدمة) .

المجيد . لقد صارت الدنيا بجلاله كجنات الربيع، فهواؤها سحاب وأرضها من الأزهار فى ترصيع . نزل الغيث فى حينه من السماء، فأضحت الأرض كجنة إرم الغناء . كل خير فى إيران فقد أفاضته يده، وحيثما رأيت انسانا فهو مؤيده . هو سماء مغيثة فى المآدب، وفى الهيجاء تنين حديد المخالب[١] . تمثل فى جسمه صولة الفيل، وفى روحه علم جبريل، وفى كفه مطر الربيع ، وفى قلبه نهر النيل . يذل عداته لسطوته، كما يذل الدينار فى همته . لا يغزه السلطان والنشب ، ولا يضيق صدره بالحرب والنصب . وكل من ربتهم نعمته من الأحرار ، أو عبيده الأخيار ، قد أخلصوا له القلوب، وشمروا فى طاعته لقراع الخطوب . أملاك على الأمصار، مخلدة أسماؤهم فى الأسفار . وأول أولئك أخوه الصغير ، الذى ليس له فى الرجولة نظير. من يخلص العبودية «لنصر»[٢] ، يعش سعيدا فى ظل ملك العصر . ومن نماه « ناصر الدين[٣] » الى العلياء ، يضع عرشه على مفرق الجوزاء . هو رب الفضل والشجاعة والرأى المتين ، وقرة عين الكبراء أجمعين . ثم أمير طوس الباسل، الذى يهزأ فى الهيجاء بالأسد الصائل. والذى يهب كل ما يصيب من الزمان، ولا يبغى إلا الحمد على الأيام. والذى يهدى الخلق الى الديان، ويجهد ليسلم الملك من الحدثان . لا أخلى الله العالم من الملك وتاجه، والله يخلده فى سروره وابتهاجه . سالما فى بدنه، ممتعا بتاجه وعرشه، آمنا من الغم والحزن، مظفرا على مر الزمن .

الآن أرجع الى فاتحة العمل — الى كتاب الملوك العظام .

---

(١) فى الشعر الفارسى يكثر الجمع بين المأدبة (بزم) والهيجاء (رزم) وأحسب ذلك من تقارب اللفظين. (٢) نصر أخو السلطان محمود . (٣) ناصر الدين سبكتكين والد محمود .

القسم الأول

الپيشداديون

١ — ذكر جيومرت وشرح نبذ من أحواله

قال صاحب الكتاب أوّل من ملك العالم جيومرت . وكان قد سخر الله له جميع الجن والانس، وخصه من عنايته بمزيد القوّة والشهامة، وروعة الجلالة وبهاء المنظر . وهو أوّل من لبس جلود السباع . وكان كل يوم يحضر الجن والانس ببابه ويصطفون صفوفا على رسم الخدمة له .

---

١ — القسم الأوّل

البيشدادية[1]

لقب للأسرة الأولى من ملوك الشاهنامه . وأوّل من لقب به ثانيهم " هُوشَنْك " ويلقب في الأبستاق " پَرَذْهاته " أي " پيشداد "[2] .

وهم أوّل من تعرفهم الأساطير الفارسية . ويتبين في أسمائهم وقصصهم بقايا الأساطير الآرية، وآثار الدين الهندي والدين الايراني القديم . وفي الڤيدا والأبستاق كثير من أسمائهم ومآثرهم على خلاف فيها .

وهم في الشاهنامه عشرة ملوك أسقط المترجم عاشرهم " كرشاسب " . ومدّة ملكهم فيها إحدى وأربعون وأربعمائة وألف سنة ، تستغرق واحدا وأربعين وخمسة آلاف بيت[3] .

وهذا نسبهم ونسقهم كما في الشاهنامه .

الملوك البيشدادية

١ - كَيُومَرث

٢ - سِيامَك

٣ - هُوشَنْك

٤ - جَمْشيد (ابن أخته) ٥ - الضحاك

٦ - أفريدون

سَلْم — تُور — إيرَج

بنت = پَشَنْك (ابن أخ فريدون)

٧ - منوچهر

٨ - نُوذَر

طُوس — كَسْتَهَم — طهماسب

٩ - زَو

١٠ - كَرْشاسب

(١) يعرّب فيشداذية (طبرى، ج ١ ص ٨٤ ط القاهرة) . و پيش معناه أمام أو أوّل . وداد معناه العدل . فيشدادى اذا معناه صاحب العدل أو القانون الأوّل . والياء في آخر الكلمة للنسبة . (٢) فارس نامه وطبرى وأفستا، ج ٢ ص ٥٨

(٣) أنظر المقدّمة لتفصيل الكلام على هذه الطبقة .

ورزقه الله تعالى ابنا كان يسمى سِيامك يرى الدنيا بعينه، ويربيه بين سحره ونحره . فلما ترعرع
واستكمل أسباب السلطنة ظهر له عدوّ من الجن يرصده بالغوائل قاصدا إهلاكه . فأرسل الله تعالى

= ١ – كَيومَرت

وهو فى الأبستاق "كيا" أو "كيامَرِتَن" وهو الانسان الأوّل، أوّل من عبد أهُرَمزدا والذى نسلت منه الأمم الآرية . "نعبد روح كيامرِتن أوّل من أصغى لفكر أهرمَزدا وتعليمه الذى صوّر منه أهرمزدا أصل الأمم الآرية — بذر الأمم الآرية"(١) .

وفى بُنْدَهِش(٢)، أن هرمزد خلق شيئين هما أصل الانسان وأصل الحيوان والنبات . وذانك كيومرت والثور الأوّل . عاشا سعيدين فى ملك هرمزد ثلاثة آلاف سنة . ثم ظهر أهرِمَن فقتلهما، بدأ بالثور وبعد ثلاثين سنة قتل كيومرت (وينبغى أن نذكر هنا أن مدّة ملك كيومَرت فى الشاهنامه ثلاثون سنة) . نتج من الثور حين موته أصل الحيوان والنبات، ومن كيومرت حين موته الزوجان الأوّلان : "مشيا ومشيانه" ومعنى مشيا رجل (مثل آدم) . فنسلا نسلا كان منه سيامك (ابن كيومرت فى الشاهنامه(٣)) .

وتفصيل هذا فى "الآثار الباقية" فى روايتين(٤) :

خلاصة الأولى أن الله أعجب بالعالم فتولد من هذه الفكرة أهرمن . ثم تحير فى أهرمن فعرق جبينه ومسح ذلك ورمى به فكان كيومرت وأرسله الى أهرمن فقهره وركبه وطاف به فى العالم. ثم سأل أهرمن كيومرت ما أبغض الأشياء اليه وأفظعها؟ فأجابه أنه يخاف من جهنم خوفا شديدا . فلما بلغ به جهنم جمح واحتال حتى رماه ثم علاه وسأله من أين يبدأ أكله؟ فقال كيومرت — وهو يعلم أن أهرمن سيخالف قوله — : ابدأ بالرجلين لأتمتع بالنظر الى العالم فبدأ أهرمَن بالرأس. فلما بلغ الصلب قطرت منه قطرتا نطفة على الأرض فنبت منها ريباستان تولد منهما "ميشى" و"ميشانه" ويقال لهما أيضا "ملهى" و"ملهيانه" ويسميهما مجوس خوارزم "مرد" و"مردانه".

وخلاصة الرواية الثانية — وهى منقولة من الشاهنامه التى كتبها البلخى الشاعر بعد أن صحح أخباره من ست مؤلفات — أن كيومرت مكث فى الجنة ثلاثة آلاف سنة هى آلاف الحمل =

---

(١) يست ٢٤ زندافستا لدرمستتر (Darmesteter) ج ٢ ص ٢٠٠ و ٣٥٠ (٢) كتاب فهلوى دينى ومعنى بندهش "الخلق الأوّل". (٣) أنظر أفستا، ج ١ — VIII وترجمة ورنر (Warner) ج ١ — ١٢٧ (٤) ص ٩٩ ط . ليبزك (Leipzig).

ملكا الى أبيه فأخبره بذلك . فلما أحس سيامك بذلك اغتاظ واستشاط واحتشد لمحاربة عدوه الجنى، ولبس جلد النمر، وأصحر للقابلة[١] والملاقاة. فلما قرب منه أنشب الجنى فى صدره مخالبه، وشق عن مقر

= والثور والجوزاء . ثم هبط الى الأرض وعاش آمنا مطمئنا ثلاثة آلاف أخرى — آلاف السرطان والأسد والسنبلة . وكان يعيش فى الجبال وقد رزق جمالا لم يره حيوان إلا بهت وغشى عليه . ثم ظهر الشر مع أهرمن وكان له ابن يسمى خزورة[٢] فتعرض لكيومرت فقتله كيومرت. فتظلم أهرمن الى الله وأراد الله أن يقاصه به حفظا للعهود التى بينهما . فأرى كيومرت عواقب الدنيا والقيامة حتى اشتاق للموت ثم قتله فقطرت من صلبه قطرتان فى جبل دامداذ باصطخر ونبت منهما شجرتا ريباس ظهر عليهما الأعضاء فى أوّل الشهر التاسع وتمت فى آخره وتأنستا وهما " ميشى " و "ميشانه". ولبثا خمسين سنة ناعمين مستغنيين عن الطعام والشراب . ثم ظهر لهما أهرمن فى صورة شيخ فحملهما على تناول فواكه الأشجار . فأكلا و وقعا فى الشرور والبلايا . وظهر فيهما الحرص حتى أكلا ولدهما . ثم ألقى الله فى قلوبهما رأفة . ثم ولدا ستة أبطن . وكان السابع "سيامك" و "فراوك"، وقد تزاوجا فولد لهما أوشهنج .

وفى الإشراف والتنبيه للمسعودى[٣] "ميشا" و "ميشانى" و "مهلا" و "مهلينه"[٤] .

وكيومرت عند جمهور مؤرخى الفرس كآدم عند الساميين ، و بعضهم ينميه الى نوح أو آدم[٥] . ولا يختلف الفرس أنه أوّل انسان ملك على الناس . ويلقب "كل شاه" ومعناه ملك الطين أو الملك العظيم . ويلقب كذلك "كرشاه" أى ملك الجبل[٦] . ويقال أنه أوّل من تكلم الفارسية ، وأنه هو ايران الذى ينسب اليه الايرانيون[٧] ، وأن مقر ملكه كان اصطخر أو دباوند[٨] . وينسب اليه بناء مدائن اصطخر و بلخ ودماوند وفيروزان[٩]. وقد عاش ألف سنة ملك منها أربعين أو ثلاثين[١٠] . =

---

(١) طا : للقاتبة . (٢) قارن هذا الاسم باسم حزورة بنت آدم التى تزوجها شيث . انظر الطبرى ج ١ ص ٨١
(٣) ص ٩٣ ط ليدن ١٨٩٤ م (٤) قارن هذا الاسم بمهلائيل أحد أحفاد آدم . طبرى ج ١ — ٧٧
(٥) طبرى ج ١ ص ٧٦ ، وفارس نامه . التنبيه والاشراف ٩٣ والآثار الباقية ص ٢٤ و ٩٩ (٦) فارس نامه ص ٩ والفهرست لابن النديم ص ١٢ والتنبيه ص ٨٥ والآثار الباقية ص ٩٩ (٧) الفهرست ص ١٢ ونزهة القلوب للقزوينى ، المقالة الثالثة ص ١٩ ط ليدن . (٨) التنبيه ص ٨٥ وفارس نامه . (٩) نزهة القلوب للقزوينى ، المقالة الثالثة ص ٥٢ و ١٢٠ و ١٥٥ و ١٦٢ ، وفارس نامه ص ٢٨ (١٠) فارس نامه ص ٩ والتنبيه ص ٨٥

روحه ترائبه، وجدّ له فى الأرض قتيلا، فلم يغن عنه ملكه ولا ملك أبيه فتيلا . فلما علم جيومرت بذلك خرعن سرير الملك متململا يتقلب فى التراب، يضرب صدره، وينتف شعره ، ويفجر ينابيع الدماء من محاجره، ويصعد نيران الزفير عن حناجره . وقامت القيامة على الخلق فانثالوا على حضرته للعزاء وعقد المأتم . فبقى على تلك الحالة من الجزع حتى انقضت سنة كاملة . فجاء الملك وعزاه وأمره أن يقصر من جزعه، ويتأهب للانتقام والطلب بثار ابنه .

وكان للمقتول ابن يسمى أوشهنج يتفرّس فيه مخايل الملك . فدعاه وجعله ولى عهده ، وأوصى اليه فى جميع أموره، وولاه زعامة جيشه . ونهض نحو العدوّ فأظفره الله تعالى به، ومكنه منه، حتى أدرك الثار المنيم بسفك دمه، والاقتصاص منه لقرّة عينه . وحين استشفى جيومرت أشفى على الموت فاخترم بعد استيفاء ثلاثين سنة من ملكه . ولكل أمد محدود وأجل معلوم، ولا يبقى إلا ملك الواحد القيوم .

= ومدّة ملكه فى الشاهنامه ثلاثون سنة تستغرق أربعة وسبعين بيتا مقسمة الى هذه الفصول :

ملك كيومرت أوّل ملوك العجم ثلاثون سنة .

قتل سيامك بيد الشيطان .

ذهاب هوشنك وكيومرت لحرب الشيطان الأسود .

ويبدأ الفردوسى الكلام عن كيومرت بقوله : ماذا يقص الدهقان الفصيح عمن كان أوّل طالب تاج العظمة فى الناس ، والذى وضع على رأسه التاج ؟ ليس لأحد بذلك علم إلا أن يروى ولد عن والده ما سمع من أنباء صاحب الصيت الذائع، الذى بذ الأماجد . كذلك قال الذى عنده كتاب الماضين، المحدّث عن سير الأبطال : الخ .

وقد حذف المترجم فى هذا الفصل وفى سائر الكتاب « أهرمن » واستبدل به « جنى » .

وحذف اسم « سروش » وهو الملك الذى كان ينزل بالوحى والذى عزى كيومرت عن قتل ابنه، وأمره بالتأهب للثار . ثم الجنى الذى قتل سيامك وصف فى الشاهنامه بأنه ابن « أهرمن » . وكذلك أغفل المترجم اجتماع الوحش على باب كيومرت حينما قتل ابنه[1] .

---

(١) انظر المقدّمة فى بحث الترجمة .

٢ — ذكر أوشهنج[(١)] ووصف بعض أحواله ومانجرى فى عهده

قال صاحب الكتاب : ثم ملك أوشهنج وتسنم سرير المملكة تبهر من أمرّة وجهه علامات الشهامة والصرامة، وآثار المهابة والجلالة . وكان ذا رأى رصين ، وعقل رزين . وهو أوّل من استخرج النار والحديد من الحجر . وكان سبب إخراجه النار أنه رأى يوما فى بعض مخارم الجبال حية تتوقد حدقته فى محجره بجذوة نار تشتعل فى غار و يتنفس فيكاد يذيب أفلاذ الحزة الرجلاء بأنفاسه . وكأنه ينفخ عن كير، ويحرق الأرم عن تغيظ وزفير . فأخذ حجرا ورماه به فأخطأه ، ووقع الحجر على أنف الجبل فتشعشع منه شعلة نار أعجبته . فأفلت الحية، وظهر هذا السر اللطيف المودع فى صميم تلك الصخرة الصماء . فخر لله تعالى ساجدا يشكره على ما وهب له من تلك النعمة، وحباه من تلك الكرامة . فاتخذ النار قبلة . وذلك مبدأ[(٢)] تعظيم النار عند الفرس . وقال هذه لطيفة إلهية ، وأنوار روحانية . فلا بد من تعظيم شأنها وتفخيم قدرها . فلما جنه الليل أمر فأشعلت نار ملأت طلاع الأرض بالأشعة . حتى خيلت للألحاظ أن الشمس غير غاربة، وان أضواء النهار الساطع غير غائبة . فاتخذ[(٣)] تلك الليلة عيدا يعرف بالسدق[(٤)] . فبقى من ذلك الزمان آثارها بين الأنام . يتوارثها من ملوك

---

٢ — أوشهنك

هو فى الشاهنامه أوشهنك . و يكتب فى بعض الكتب هوشهنك وهوشنك . و يعرّب بإبدال الكاف جيما[(٥)] .

وهو فى الأبستاق «هوشينكها» ال «پَردهانه» أى البيشدادى[(٦)]، وهو أوّل من لقب « پشداد»[(٧)] .

وهو فى الشاهنامه ابن سيامك بن كيومرت . وفى المصادر القديمة أن سيامك وآمرأته نشاك ولدا فرواك وفرواكين . وولد هذان خمسة عشر زوجين ركب تسعة منهم الثور « سرسوك » فعبر بهم البحر الى الأقاليم الستة فأقاموا هنالك . و بقى الستة الآخرون وفيهم هوشنك وزوجه كوزهك فعمر الأقليم الوسط الذى فيه إيران[(٨)] . وفى فارس نامه : أن فى نسب أوشهنك ثلاث روايات : أصحها أنه هوشنك بن فرواك بن سيامك بن ميشى بن كيومرت، وأن من المؤرخين من يقول =

---

(١) ك : أوشهنك . (٢) ك طا : مبداء . (٣) طا : فاتخذت . (٤) ك : السذق .

(٥) فارس نامه . (٦) أفستا، ج ٢ ص ٥٨ (٧) فارس نامه . طبرى ج ١ ص ٨٤

(٨) مروج، ج ١ ص ١٢٢

الفرس كابر عن كابر، وغابر عن غابر. ثم انه اتخذ آلات الحديد من الفوس والمناشير وغيرها، وأخذ فى شق الجداول الى الصحارى، و بذر البذور فيها، وتميتها بالمياه. فسهل الله تعالى له ذلك حتى حد الحدود، ونثر الحبوب، وزرع الزروع، وأقام بالخلق على طريق لاحب للمعايش واكتساب الأقوات. واتخذ من جميع البهائم كل نوع يصلح للعمل من البقر والحمر وغيرهما[1]. وسخرها الله له فاستعمل كل جنس فيما يصلح له. واستلان جلود الثعالب والسنجاب والقاقم والسمور. فلم يزل يشتغل بالاصطياد منها، و يأمر بسلخ جلودها للملابس والمفارش. فانعمر فى عهده العالم، واستراحت الخلائق بميامن عدله فى ظل الأمن والأمان، وخفض العيش وطيب الزمان. فلما بلغ غاية الكمال حان له حين الارتحال. فلم ينشب أن سل[2] عليه سيف الفناء شعوب، ولم يقدر أن يفل حدّه عنه القبائل والشعوب. فمات حميد الأثر، مرضى السير. وكانت مدّة ملكه أربعين سنة.

= أنه أبو «خنوخ» وخنوخ هو إدريس. وفى الطبرى أن بعض نسابة الفرس يقول: "إن هوشنك هو مهلائيل، وأن أباه فرواك هوقينان أبو مهلائيل، وأن سيامك هو أنوش أبو قينان، وأن مشا هو شيث أبو أنوش، وأن جيومرت هو آدم"[3]. ويقال إن هوشنك هو إيران[4]. وفى الآثار الباقية أنه جعل لنفسه الملك والقيام بسياسة العالم وذلك هو الدهوفذيّة، وجعل الدهقنة لأخيه "ويكرد" واحتفل الناس بهذه القسمة، وبقيت ذكراها فى عيد "روزتير"[5]. ويقال أنه وأخاه ويكرد من الأنبياء[6]. وقد بويع بالملك فى اصطخر[7]، وفى مروج الذهب أنه كان ينزل الهند.

و ينسب اليه بناء الكوفة لأول مرة، وتُستر ودامغان، ومسلة عين شمس. وزاد فى عمارة السوس واصطخر[8].

وتاريخه فى الشاهنامه ستة وأربعون بيتا، فيها هذه الأقسام:

مُلك هوشنك أربعين سنة — سَن عيد السذق (سده).

---

(١) طا: وغيرها. (٢) طا: سلت. (٣) طبرى، ج ١ ص ٧٧ و ٨٤ و ٨٥، وانظر المقدمة فى اختلاط الأساطير السامية والايرانية. (٤) نزهة القلوب ص ١٩ (٥) ص ٢٢٠

(٦) فارس نامه. (٧) فارس نامه. (٨) نزهة القلوب ص ٣٠ و ٥٣ و ١٠٩ و ١١١ و ١٢٠ و ١٦١ و ٢٩١ والبلدان ص ٧٣

٣ — ذكر طهمورَث وما جرى فى عهده

قال صاحب الكتاب ثم ورث مكان أوشهنج ابنــه طهمورث . فسلك منهج أبيــه فى تمهيد قواعد العدل ، وإحياء محامد السير ، وإخراج دقائق الصناعات، بجودة الذكاء ، وفخامــة الرأى . وهو أوّل من أمر بجز الأصواف وغزلها ، واتخاذ البسط منها . وكذلك هو أوّل من علق الشعير . وفى زمانه ظهر تعليم الجوارح الصيد، مثــل الباز والشاهين وغيرهما من ذوات المناسر والمخــالب . وكذلك هو أوّل من اتخــذ الفهود وكلّبها لمــا أعجبه لونها وذكاؤها ووثوبها . فسخرها الله تعالى له

---

٣ — طَهمــــورَث

ويقال طَهمورَث بالثــاء ، وفى مروج الذهب : طخمورث . ويلقب "زيناوَند" أى الكَمِىّ[1] و" ديوبَند " أى مقيد الشياطين[2] .

وهو فى الأبستاق "طخما أُربا" وذكر فيا بعدها من الكتب باسم طهموراف .

وهو ابن هوشنــك فى الشاهنامه ، ولكن كتبا أخرى تجعل بينــه وبين هوشــنك ثلاثة آباء أو أربعة على خلاف فى أسمائهم . وفى رواية أنه أخو يمــا (جمشيد) . وقد سخر له أهرمن حصانا فركبه حتى خدع أهرمن زوج طهمورث فأفشت اليه سرّ قوة زوجها فقهره وابتلعه حتى جاء يمــا فخلص جثته من جسم أهرمن ، وخلص الفنون والحضارة التى اختفت باختفائه[3] .

وفى الأبِستاق عن طهمورث نصوص منهــا : " نقرّب للمجد الملكىّ الرائع ، صنع أُهرَمَزدا ، القهار علىّ الفعال ، الذى يملك الصحة والعقل والسعادة ، والذى هو أقدر الخلق على الإهلاك ، والذى تجسد فى " طخما أُربا " الكمى حينما حكم أقاليم الأرض السبعة على الجن والإنس . . . والظالمين ، والأعمى والأصم ، حين قهر الجن والإنس . . . وركب أنكــرَمينيو ممسوخا فرسا ، حول الأرض من طرف الى طرف ثلاثين عاما[4] " .

وقد بقى هــذا على مر الزمان فى أساطير الفرس . فالثعالبى يقول بعــد ذكــر طهمورث : "وقد صوّرته الفرس فى كتبها وقصورها ومصانعها راكبا ابليس . وتمثل بعض الشعراء فى بعض من ركب الفيل من الملوك :

---

(١) الآثار الباقية ص ١٠٣ (٢) فارس نامه وغيرها . (٣) أفستا ، ج ٢ ص ٢٥٢ : حاشية (١) .
(٤) أفستا يست زمياد ، ج ٢ — ص ٢٩٢ — أنظر بقية الأسطورة فى الطبرى ، ج ١ ص ٨٦

وكان له وزير(أ) موصوف بحسن السيرة وسداد الطريقة فلم يزل يرشده الى معالى الأمور، ومكارم الأخلاق، وبث المعدلة بين كافة الرعية، وملاحظة أحوالهم بنظر الرأفة والرحمة . ثم أنه سجن (ب) عفريتا من الجن فاجتمعت الجن كلهم على مخالفته، وخلع ربقة طاعته، واحتشدوا لمحاربته . فلما أحس بذلك ناجزهم الحرب فنصر عليهم، وأوثق بعضهم بالرق والسحر، واستذل البعض تحت وطأة القهر . فطلبوا الأمان، وقالوا ان كففت عنا يد القتل، ووطأت لنا جانب العفو أطلعناك على سر من الرموز التى لا بد للملوك منها . فآمنهم على ذلك فعلموه الخط والكتابة على ثلاثين نوعا من

= يا ليث ملك أصبحت * له المعالى خيسا
وراكبا من فيله * مستشرفا نفيسا
كأنه طهمورث * لما امتطى إبليسا
لا زلت للدين وللد * نيا معا أنيسا[1] "

ولعل بديع الزمان الهمذانى أشار الى هذا حين قال فى مدح السلطان محمود الغزنوى :

اذا ما ركب الفيل * لحرب أو لميدان
رأت عيناك سلطانا * على كاهل شيطان[2]

ويقال أن طهمورث هو أبو فارس الذى ينسب اليه الفرس[3] .

وقد ملك طهمورث بعد هوشنك . وفى الشاهنامه أنه ملك ثلاثين سنة ، وفى بُنْدَهِش أربعين[4] .ويقال انه أول من ركب الخيل ووضع الأحمال على الدواب[5]، وأن فى عهده ظهرت عبادة الأوثان . وذلك أن وباء عظيما اجتاح الناس فصوروا من هلكوا ثم عبدوا الصور[6] . وينسب اليه أنه بنى مكتبة لحفظ الكتب من الأحداث فى مدينة أصفهان حينما أنذر بالطوفان قبل حدوثه باحدى وثلاثين ومائتى سنة[7] . وأنه بنى المدائن وسماها كرداباد ثم أتمها جمشيد وسماها طيسفون، وبنى إصفهان وقُم، وفراهان، وبشاور، وكازرون، ونيسابور، وآمل، وسمنان، وكُهُندز (قلعة)=

(أ) اسمه شيداسب فى الشاهنامه . (ب) الذى فى الشاهنامه أنه سحر أهرمن وسلسله ثم اتخذ له سرجا وركبه وطاف به حول الأرض فثارت العفاريت .

(١) أنظر الغرر ص ٩ (٢) يتيمة الدهر : (بديع الزمان) .

(٣) كتاب البلدان ص ١٩٥ (٤) أفستا، ج ٢ ص ٢٥٢ حاشية (١) . (٥) فارس نامه .

(٦) فارس نامه . (٧) الآثار الباقية ص ٢٤

الألسنة المختلفة ، من الرومية والعربية والفهلوية وغيرها من أنواع الألسنة . وذلك مبدأ ظهور الخط بين الخلق . ثم انه هجم عليه الموت وثل عرشه، وجعل تراب الأرض فرشه . وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة .

٤ — ذكر جَمشيذ ونوبة ملكه وما جرى فى عهده

هو جمشيذ بن طهمورت . وشيذ فى لغتهم هى الشمس . وانما سمى بذلك لأنه كان موصوفا بالجمال الرائق، والحسن الكامل . قال : فلما مات طهمورت جلس ابنه جمشيذ على سرير أبيه، وعقد على رأسه تاج السلطنة، وشدّ على خصره منطقة الملك، ونفذ أمره فى جميع الخافقين، وأذعن لطاعته جميع الثقلين . وكان متوفرا على عمارة العالم وتفقد أحوال الرعية بإفاضة العدل والإحسان . يبسط لهم ظلال الرحمة ، ويرفرف عليهم بجناح الرأفة . فأول شئ اشتغل به فى نوبة ملكه إعداد آلات الحرب . فانه هو الذى أعدّ السيوف الفواصل[1]، والرماح العواسل[1]، وآلات الحديد، ونسج الدروع

= مرو، وابتنى مثله فى فارس . وزاد فى عمارة اصطخر، وأتم بلخ التى بدأ عمارتها كيومرث ، وبنى سابور فى فارس . وجدّد عمارة بابل[2] .

وقصته فى الشاهنامه ٥٠ بيتا تحت عنوان واحد : ملك طهمورث مقيد الشياطين ٣٠ سنة .

٤ — جمشيذ

جمشيذ كلمة مختصرة من "يما خشَيتا" . أى "يما الملك" فلفظ "شيذ" لقب، ومعناه "المتلألئ" . ولذلك يذكر جمشيذ فى بعض الكتب العربية كالطبرى باسم جم الشيذ .

ويقال أيضا "جمشيدون" (أ) . وذكر فى الأبستاق باسم "يما" . وهو فى الشاهنامه ابن طهمورث . وفى غيرها أخوه أو ابن أخيه[3] .

وفى "جَم" هذا أو "يما" تلتقى أساطير إيرانية وهندية وسامية . ففى الأبستاق[4] أن زرتُشترا (زردشت) سأل أهرمزدا : من أول انسان كلمته وعلمته الدين؟ فأجاب أن ذلك "يما" الأبيض =

(أ) يقول قطران أرموى :

حداش أزازو مسعود كردوكر حواهد . در آنچه خواهد نكند چوكرد جمشيدون (فرهنگ شعورى) .

(١) ك طا : فواصل . العوامل . (٢) فارس نامه ص ٢٩ — ٦٣ — ١٢٥ — ١٤٥ — ونزهة القلوب ص ٣٧ — ٤٨ — ٦٧ — ٦٩ — ١٢٥ الخ، وطبرى، ج ١ ص ٨٦ (٣) فارس نامه، طبرى .

(٤) أفستا، ج ١ ص ١٠ — ٢٠

الفضفاضة، والجواشن الرائعة، والتجافيف السابغة، الى غير ذلك من أنواع الأسلحة . فلم يزل على ذلك حتى بلغ قصارى أمنيته، ونهاية أمله فى تحصيل تلك العدد، والاستظهار بها لليوم والغد. ثم ألهمه الله اتخاذ الملابس فاستعمل ثياب الكتان والإبريسم، وعلم الناس كيف يغزل الغزل وينسج، فبقى على ذلك مدة حتى انتشر جميع تلك الصناعات فى أقطار الأرض، وتوفر الناس على المكاسب والاشتغال بأمور المعاش . ثم أمر الجن بنحت الأحجار، وتخمير الأطيان، وضرب اللبن الكبار . وكان كل حين

= الراعى الصالح ، وأنه عرض عليه رسالته فقال إنه ليس أهلا لها . فأمره بتعمير العالم وحكمه وحراسته . فامتثل وقال سأنمى العالم ، ولن يكون فى عهدى ريح باردة ولا حارة ، ولا مرض ولا موت . ومر على حكمه ثلاثمائة شتاء وضاقت الأرض بالناس والبهائم . فأنذره أهرامزدا فطبع "يما" على الأرض بخاتمه وضربها بخنجره وسألها أن تتسع فزادت ثلث سعتها الأولى . فمضى ستمائة شتاء فى حكم "يما" وضاقت الأرض ففعل "يما" مافعل قبل فزادت ثلثين، فمضى تسعمائة شتاء فى حكم "يما" ثم ضاقت وزادت بفعل "يما" ثلاثة أثلاث .

جمع أهرامزدا الملائكة فى أيرينا فئكو[1]، وجمع " يما " أخيار الناس الى المكان نفسه، وأنذر أهرا " يما " باقتراب الأشتية القارسة التى يتراكم فيها البرد فيهرب الوحش فى السهل والجبل الى أمكنة تحت الأرض . فاذا ذاب الثلج لا يرى على الأرض أثر شاة . وأمره أن يصنع لنفسه "ڤرا" وبين له طوله وعرضه وتخطيطه . وأمره بأن يجمع الى هذا البناء من خيار الرجال، والنساء، ومن أحسن الحيوان، وأعظم الأشجار — اثنين من كل نوع . وأخبره أنه لن يكون هناك ذو عاهة، ولا مريض ولا حاسد ولا كذاب الخ . وعلمه كيف يبنى البناء وكيف ينزل فيه الناس وغيرهم . ثم يسأل زرتشترا عن النور فى هذه البنية فيجيب أهرا: هناك أنوار مخلوقة وأخرى غير مخلوقة (طبيعية ومصنوعة)، ولم يفتقد هناك إلا مرأى النجوم والشمس والقمر، والسنة تمر كأنها يوم .

ويولد لكل زوجين ولدان ذكر وأنثى كل أربعين عاما . وكذلك البهائم . ويعيش الناس سعداء فى بناء "يما" . وفى مواضع أخرى من الأبستاق ما يدل على أن " يما " ملك الأقطار كلها وقهر الجن وأذلهم . وأن حكمه كان سعادة ونعيما كاملا لا آفة تصيب الأبدان أو الأموال . ولا حر ولا برد ولا هرم ولا موت[2] . =

(١) هى ايران فئكو ، وهى الأرض المقدسة فى دين زردشت ، التى ولد فيها زردشت وبدأ فيه دعوته : أفستا ، ج ١ ص ٣، حاشية ٣ (٢) أفستا ، ج ٢ ص ١١٢ و ٢٥٢

يستحدث بناء[1] ويستجد مدينــة ويؤثر أثرا حتى طالت على ذلك المدة . ثم تتبع المعادن فاستخرج منها بدقائق فطنته الذهب والفضــة والياقوت والفيروزج وسائر الأعلاق النفيسة من أصــناف الجواهر، فرصع بهــا المناطق، ووشح منها الأسورة والعصائب، واقتنى منها الذخائر، وكنز الكنوز وملأ الخزائن . ثم أخرج أنواع الطيب من مستودعاتها كالمسك والكافور والعنبر . ثم صعّد أنوار الورد والأزاهير حتى حصل منها أمواها تتنفس عن روائح تفغم[2] الخياشيم، وتنعش الأرواح والنفوس . وأظهر علوم الصناعة الطبية وتصرف فى أفانينها، وتقلب فى أساليبها، ووقف على أسرارها الغامضة، ودقائقها الخفية . وتعرف خواص الأدوية فشاعت هــذه الصناعة بين الناس من ذلك الزمان . ثم تفكر فى اتخاذ المراكب وإجرائها على وجه المــاء، طائرة بأجنحة الهــواء . فعمل السفن وأطلقها فى مضامير البحار كرواكض الخيول، وهواجم الســيول . فلم يزل يتنقل من إقليم الى إقليم، ومن صــوب الى صوب، حتى جاس جميع أطراف البر والبحر . ثم عمل تختا مرصعا بألوان الجواهر، ورتب له حملة من الجن . فكان يجلس عليه ويرفعونه فى الهواء ويحملونه الى حيثما[3] أراد من الممالك . وكان ذلك أول يوم من السنة وقت حلول الشمس فى برج الحمل فسمى ذلك اليوم بالنيروز[4] . فجلس فى مجلس الأنس للطرب يحيا[5] بريحان السرور، وتدار عليهم أقداح الراح فى رياض الحبور. فبقى النوروز سنّة مشهورة عند الفرس يعظمون شعارها، ويتبعون آثارها .

= ولكن جمشيد طغى وشرع يستروح الى الكذب والباطل، ففارقه المجد الملكى؛ رئى ذاهبا عنــه فى صــورة طائر . فزلزل ملكه وأذله أعداؤه[6] . وأول من خرج عليــه أخوه أســفور[7] (سپتورا) . وستأتى بعض أخباره فى الفصل الآتى .

وكذلك نجد عند الهندى " الفيدا " أسطورة يمــا ومنو : وهما توأمان أبوهما ڤڤسفات المتلألئ أى الشمس، والمتلألئ هو معنى شــيد بالفارسية فى مثل جمشيد وخورشــيد (الشمس)، ومنو هو المشرع للآريين، و" يمــا " إله، وهو أول بشر عظم اجتــاز الى عالم الآخرة فهــو ملك الموتى . وله كلبان أسمران لكل أربعة أعين الخ يذهبان كل يوم ليشما الموتى ويحشراهم الى ملكهما . وكذلك نجد فى الأبستاق الأمر بإحضار كلب موصوف الى جانب الميت يطارد عنه الشيطان[8]. فانظر كيف =

(١) أصل : بناءا . (٢) ك، طا : والأصل تنغم . (٣) أصل : حيث ما . (٤) طا : نوروز .
(٥) أصل : يحى . (٦) أفستا، ج ٢ ص ٢٩٣ (٧) فارس نامه وأفستا، ج ٢ ص ٢٩٧
(٨) أنظر تاريخ الآداب الفارسية لبراون، ج ١ ص ١١٤ ؛ وانظر تاريخ الفرس لسيكس، ج ١ ص ١٠٣

ثم فاستكمل جمشيذ جميع أسباب السلطنة، وأطاعه جميع الخلائق، وبقى على ذلك ثلثمائة سنة لا يمس جانبه محذور، ولا يطرق بابه مكروه، ولا يغشى ألم وساده، ولا يعترى وجع فؤاده، قد وطأت الدنيا له أكنافها، وأدرت عليه أخلافها . فنسى المنون، وظن الظنون، وباض الشيطان فى رأسه وفرخ، ولوى جيده عن طاعة ملاّك الرقاب، متعرضا بغمط نعمه لقاصمة العقاب . فأنكر عليه العلماء والحكماء، وارتجت بذلك الأرض والسماء . فأدركته غيرة القهارية فأطارت واقعه، وهاجت وادعه، وأقلقته بعد السكون،وأذعرته غب الركون . وسيأتى تمام ذكره وهلاكه على يد الضحاك بعد إن شاء الله تعالى .

= تشابه مايروى عن نوح وسليمان وما يروى عن جمشيد، وكيف اشتركت الفيدا والأبستاق فى بعض أسطورة يما[1] .

ثم تقسيم جمشيد الناس أصنافا فى الشاهنامه يشبه فى الأبستاق تقسيم زردشت الناس الى رجال الدين والمحاربين والزراع ، وكان زردشت أول كاهن وأول جندى وأول زارع وجعل أبناءه الثلاثة على رأس هذه الطبقات[2] .

ويقال إن جمشيد أتم بناء المدائن وسماها طيسفون، وبنى أصفهان، ونيسوز فى العراق العجمى وشيد قصره بها . ويقول القزوينى أن أطلاله بقيت الى زمانه . وبنى همذان ونيشابور فى فارس واصطخر، واليه تنسب أعظم نيران الفرس . وهى آذَرخُره التى كانت بخوارزم ونقلها أنوشروان الى الكاريان[3] . فلما ملك العرب خافت المجوس عليها فنقلوا بعضها الى فسا[4] .

وقصة جمشيد فى الشاهنامه ٢١٦ بيتا فيها هذه العناوين :

(١) ملك جمشيد سبعمائة سنة . (٢) قصة الضحاك مع أبيه . (٣) إبليس فى زى طباخ . (٤) هلاك جمشيد .

---

(١) أنظر المقدّمة فى علاقة الايرانيين والساميين والهند فى الشاهنامه . (٢) أفستا، ج ٢ ص ٢٠١

(٣) نزهة القلوب للقزوينى وفارس نامه . (٤) البلدان ص ٢٤٦

٥ — ذكر ظهور الضحاك

قال صاحب الكتاب كان فى ذلك الزمان أمير كبير يسمى بمرداس . وكان ملك العرب . ويوصف بصلاح السيرة ، وسداد الطريقة . وكانت له أموال كثيرة من الخيل العراب والإبل والبقر والغنم . وكان له ابن يسمى بيوراسب ، ويلقب بالضحاك . وبيور فى لغتهم معناه عشرة آلاف، واسب هو الفرس . وكان له من الخيل المسرجة بسروج الذهب والفضة ، المرصعة بأنواع الجواهر الفاخرة مالا يحيط به الحصر والعدّ . وكان مشغوفا باللهو والطرب، والصيد والطرد . فظهر له إبليس فى زى شاب صبيح، وعرض عليه نفسه ليخدمه . فاتصل به . وكان يظهر كل يوم فى الخدمة آثارا مرضية، ويبدى فى المناصحة والمخالصة أفعالا حميدة . فكان يورد عن رأيه، ويصدر عن أمره . فخلا به يوما وقال له إنى ناصح لك، ومشير عليك برأى إن قبلته ملكت رقاب العرب، واستتبت لك أسباب الأمر والنهى، وانتظمت لك أحوال المملكة . فقال الضحاك إنا خبرنا رأيك، وجربنا عقلك فما رأيناك إلا جاريا على سنن الصواب، وطريقة السداد . وإنك أثبت علينا بصدق خلوصك، ونصوع طويتك فى موالاة أيامنا ، ومشايعة دولتنا حقوقا كثيرة . وكل ما تشير به علينا يتضمن مصالح أمورنا، ومناجح أوطارنا . وما خالفناك فيما أشرت به مدة مقامك فى هذه الحضرة.

---

٥ — الضحاك

يذكر فى الأبستاق باسم "أزى دهاكه" وفى الكتب الفارسية والعربية باسم أزدهاق أو أژدهاق . وذلك أصل كلمة "ضحّاك" التى تذكر فى الشاهنامه وغيرها . ويلقب "بيوراسب" ويقول الفردوسى أنها كلمة مركبة من "بيور" ومعناها عشرة آلاف ومن "اسب" أى الفرس . وتعرّب "بيوراسف".

وأصل "أزى دهاكه" روح شريرة فى الأساطير الآرية . وفى الأبستاق نجده شيطانا يمنع ماء السحاب أن ينزل الى الأرض . ثم نجده ملكا جبارا ظالما يتمثل فيه الشر كله .

سأل زرتشترا " أردفى سورا أناهيتا " روح الماء : كيف أعبدك وكيف أتقرب اليك لينزلك "مزدا" الى الأرض، ولا يسوقك الى السماء، وليبعد عنك هذا الثعبان (أزى) فلا يؤذيك بسمومه[1]". وفى موضع آخر : "قرّب اليها (الى أناهِتا) "أزى دهاكه" ذو الأفواه الثلاثة فى أرض "بورى" مائة حصان، وألف ثور، وعشرة آلاف حمل . تضرع اليها قائلا اكفلى لى هذه النعمة أيتها الطيبة، =

(١) أفستا ، ج ٢ ص ٧٤

فهات ما فى ضميرك ، وفاوضنا فيا بدا لك . فقال لا يمكن إفشاء هـذا السر إلا بعد الاستظهار من الأمير بأيمان مغلظة، ومواثيق مبرمة، وعهود مؤكدة على أنه إن لم يقبل الرأى، ولم يصغ للنصيحة، جعلها دبر أذنه ، ثم يضرب عنها صفحا ، ويطوى دونهـا كشحا ، ويسـترها فى أحشاء الكتمان ، ويطويها فى تضاعيف النسيان . فوافقه على ذلك، وحالفه على ما أراد، وأخلى له المكان، وخلا به الناصح الفاضح، وزخرف لديه أباطيله ، وموه عليه أكاذيبه، ومهد له مقدمة كانت نتيجتها أن يستبد بالإمارة، وتولى أمور الخاصة والعامة، وأن ذلك لا يمكن الا بقتل أبيه، والاستراحة من تكاليفـه الباهظة، وأحكامه الفادحة . وأنه إن فعل ذلك ملك مقاليد الخزائن ، وتمكن من خبايا الذخائر . فلما سمع ذلك صعب عليه، وأكبر أن يجـازى أباه ومن رباه بإراقة دمه، وقطع رحمـه . فلم يزل الملعون يفتل منـه فى الذروة والغارب حتى لانت عريكته، وتمكنت منه خديعتـه . فقال تدبر فى الأمر واحتل فى قتله .

= الخيرى "أردفى سورا أنا هنا" لعـلى أخل الأقاليم السبعة من الناس" . ثم يقترب اليها "ثرَيْتَونا" (أفريدون) لينتصر على "أزى دهاكه، ذى الأفواه الثلاثة، والرءوس الثلاثة، والأعين الستة، الذى له ألف حاسة... كارثة العالم، أقوى دروك[1] الذى خلقه أنكرا مَيْنِيُوما[2] وسلطه على العالم المـادى ليدمر عالم الخير[3]" .

"بورى" المذكورة هنـا هى بابل . فالضحاك تمثال العـداوة بين الايرانيـين والأشوريين ثم الكلدانيين . ويوافق هـذا ما يذكر فى الكتب العربية من أن الضحاك كان من ملوك الكلدانيين النبط[4] . وما فى نزهة الأمم[5] من أن بابل كانت دار ملك نمرود والضحاك وبنى فيها الضحاك قلعة . ومن المؤرخين من يقول أن نمرود هو الضحاك . والطبرى يرد هذا وينكر أن يكون للنبط ملك، ويروى عن "ذوى العلم بأخبار المـاضين، والمعرفة بأمور السالفين" أن نمرود كان واليا من قبل الضحاك[6] .

ثم ينقلب الضحاك عربيا فى الشاهنامه وينسـب الى اليمن — كما يرى القارئ — ويجعل مستقره بيت المقدس، ولعل هذا بقية محرفة من تاريخ قورش مع ملك بابل واليهود . وتداول جمهور المؤرخين من العرب والفرس هـذه الأسطورة وساقوا نسبه فى العرب . ووضع بعض مؤلفى الفرس بين آباء الضحاك "تاجا" وهو أبو العرب، ومنهم من يقول (تاز) بدل (تاج) ويدعى أنه من أجل هذا سميت =

---

(١) روح شريرة وهى الكذب : دروغ، فى الفارسية الحديثة . (٢) أهرمن . (٣) أفستا، ج ٢ ص ٦٠ — ٦٢ (٤) التنبيه والأشراف ص ٨٨ (٥) المقالة الثالثة ص ٣٧ (٦) ج ١ ص ١٤٩

وكان للملك بستان اتخذه لخلواته . فيه حوض تنصب اليه الأمواه . وكان كل ليلة يدخل البستان و يتطهر من ذلك الحوض ويشتغل طول الليل بعبادة الله تعالى . فحفر الملعون فى طريقه بئرا وغطاها بحشيش . فقام الملك من الليل ودخل البستان على عادته المعهودة، وتوجه نحو الحوض على ذلك الطريق فتردى فى قعر الحفيرة . فلما رأى العدو ذلك بادر اليه وطمها بالتراب ، وسواها بالأرض . فاستولى الضحاك على ملك العرب، وأطاعه جميع الأمراء، وأخذ أمره فى الاعتلاء .

= اللغة العربية "تازى" وسمى العرب "تازيان" باللسان الفارسى.[1] وكأن بعض الرواة حاول أن يفسر اختلاف الروايتين فى نسبة الضحاك الى العرب أو الى الفرس فقال ان جمشيد زوج أخته من بعض أشراف أهل بيته وملكه اليمن فولد الضحاك هناك وولاه جمشيد اليمن[2] . وقد جعل بعض العرب الضحاك من تبابعة اليمن[3] ، فافتخر به أبو نواس فى قصيدته المعروفة التى فخر فيها بقحطان على نزار :

فنحن أرباب ناعط م ولنا صنعاء والمسك فى محاربها
وكان منا الضحاك يعبده م الخابل والطير فى مساربها

وقد أشار أبو تمام الى قصته مع أفريدون غير متعرض لنسبه اذ قال يمدح الأفشين بعد هزيمة بابك :

ما نال ما قد نال فرعون ولا * هامان فى الدنيا ولا قارون
بل كان كالضحاك فى سطواته * بالعالمين وأنت أفريدون

و يقول المسعودى فى مروج الذهب : وقد ذكرته شعراء العرب ممن تقدم وتأخر .

وقصة تقييد الضحاك فى مغارة على جبل دماوند تذكر القارئ بقصة " برومثوس " البطل اليونانى الذى نفاه هرقل الى القوقاز . وقد بقيت هذه الخرافة على مر الزمن حتى روى فيها الرواة أحاديث عجيبة أنقل منها هذه الرواية الغريبة عن كتاب البلدان للهمذانى[4] : "وقال محمد بن ابراهيم : كنت مقيما بطبرستان فى خدمة موسى بن حفص الطبرى فى أيام المأمون اذ ورد عليه قائد من قواد المأمون يأمره بالشخوص مع موسى بن حفص الى موضع البيوراسف بقرية الحدادة — فى سنة ٢١٧ والوقوف على أمره ، وتعريف صحة الخبر . قال فوافينا قرية الحدادة فلما قربنا من الجبل الذى فيه البيوراسف اذا نحن بذنبة فى عظم البغل ، وطيور أمثال النعام فى خلق الفصلان . واذا قلة الجبل مغشاة بالثلج ودود عظام كأنها جذوع تنحط عن هذا الثلج الى القرار فتعدو عليها تلك الطيور فتبتلعها . فلم نهتد الى قلة الجبل ولم نعرفه . فبينا نحن كذلك اذا شيخ قد أتانا فسألنا عما قدمنا له ، =

---

(١) فارس نامه . (٢) طبرى ، ج ١ ص ١٠٠ (٣) طبرى . (٤) ص ٢٧٦ وما بعدها .

ثم تبدّى له[1] إبليس بعد ذلك فى زى شاب رشيق يخلب القلوب بلطفه، و يسحر العيون بحسنه. وجاء الى باب داره، وعرض نفسه عليه . وقال : أنا صانع حاذق أطبخ ألوان الأطعمة، وأحسن خدمة الملوك . فقبله وقلده المطبخ الخاص . فلم يزل يبـدع فى اتخاذ ألوان الأطعمة، و يخترع كل يوم شيئا لا يشبه الآخر. وكان أكلهم فى أوّل الأمر من نوع واحد . فلما رأى الملك ذلك أعجبه، واستصفاه، ومال اليه كل الميل . فطالت مدّته فى خدمته ، والقيام بفرائض طاعته ، وأخذ بمجامع قلب الملك حتى صار بحيث لا يصبر عنه ساعة . فدخل عليه يوما فقال له اقترح على حاجة أقضيها لك فان من الواجب مراعاة مثلك، والإحسان اليك . فأطلق لسانه بالدعاء للملك . وقال مالى حاجة غير بقائك، ودوام ملكك، وثبات دولتك . فان كان ولا بد من سـؤال فأرجو أن يمكننى الملك حتى أقبل منكبيه، وأتشرف بذلك . فأذن له فيه . فتقدّم وقبل منكبيه، وساخ فى الأرض، واستتر عن العيون . فأخرج الله تعالى من كل واحد من منكبيه حية سوداء فهاله ذلك وأزعجه . وأحضر

= فعرفناه الخبر . واذا على الجبل حوانيت كثيرة فيها قوم من الحدّادين حول تلك القلعة عليهم نوائب يضربون مطارقهم على سنداناتهـم ساعة بعد ساعة، و يتكلمون بكلام يهجسون به موزون عند ضربهم لايفترون لحظة . فسألنا الشيخ عن هذه الحوانيت فقال هؤلاء الحدّادون طلسم على البيوراسف لئلا يحل من وثاقه، و إنه لدائبا يلحس وثاقه وسلاسله، فاذا ضربت هـذه المطارق عادت الى ما كانت عليـه من الغلظ . فان أحببتم الوقوف عليه وعلى هـذا الحيوان المحبوس أريتكم برهان ذلك . فقال له القائد : ما جئت لغير هـذا الذى وصفت . فأخرج لهم الشـيخ سلما مخروزا من الصرم[2] وسكك حديد . وجمع شـبان القرية حتى صعد منهـم من صعد ذلك السلم من قرار القـلة الى مقدار مائة ذراع فى الجبل. ثم أرانا من الناحية الشرقية فى القلة عند مطلع الشمس جوبة عظيمة وعليها أسكفة باب حديد عليه مسامير من حديد مذهبة مكتوب عليها بالفارسية ؛ على كل مسمار ما أنفق عليه، وفوق الأسكفة كتابة تخبر أن على القـلة سبعة أبواب من حديد مصاريع على كل مصراع أربعة أقفال . قـد كتب على كل عضادة منهـا : " له أمـد يجرى الى غايتـه ونهاية لا يعدوها فلا يعرض خلق لفتح شىء منها فيهجم من هـذا الحيوان على الإقليم آفة لا مدفع لكم منها ولا حيلة لكم فى صرفها" . "فقال موسى بن حفص : ويحكم! لحيوان منذ آلاف سنين يبقى بغير قوت؟ فقال الشيخ : طعامه القديم الذى تغذى به مطسلم فى جوفه . فهو يتغلغل فى صـدره، و يرتفع الى لهواته حتى يمتلئ منه، قد منع من إخراجه . فذلك غذاؤه . فانصرفوا ولم يحدثوا شيئا. وكتب بخبره الى =

(١) لك، طا : « بعد ذلك له إبليس» . (٢) الصرم : الجلد .

الأطباء والحكماء(١) فأمروه بقطعهما . فلما قطعتا نبتتا فى الحال مثل الأوّل . ففرق أصحابه فى الأطراف فى طلب الأطباء حتى جمعوا منهم خلقا كثيرا . فعجزوا عن معالجة ذلك الداء، وحسم مادته . فجاء إبليس فى زى طبيب الى باب الملك فأدخل عليه، وقال هذا قضاء أجراه الله(٢) عليك . لا بد من تربية

= المأمون ، فكتب ألا يعرض له..." وفى البلدان أيضا : "وعن القاسم بن سليمان قال : أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت كانوا ملوكا جبابرة . ففكر قرشت يوما فقال تبارك الله أحسن الخالقين فخلقه أزدها(٣) فله سبعة رءوس وهو بدنباوند محبوس . وزعم بعض المحدثين أن المحبوس بدنباوند صخر الجنىّ الذى أخذ خاتم سليمان بن داود . فلما ردّ الله جل وعز على سليمان ملكه حبسه فى جبل دنباوند(٤)" .

وأعجب من هذا ما رواه بعض المؤلفين من أن سكان بلدة دماوند على السفح الجنوبى من جبل دماوند يحتفلون بعيد يسمونه "عيد كردى" إحياء لذكرى موت الضحاك، وأن قرب البلدة مصطبة عظيمة يقال إن طبل الضحاك كان يضرب عليها عند الصباح(٥) .

فانظر كيف تقلبت على مر الزمن وشاعت أسطورة الضحاك . وهو فى كل الأطوار ثعبان أو قرين ثعبان . ويقول بعض المؤلفين أن عبادة الثعبان التى يظن أن أصلها تورانية كانت مقترنة بتقريب القرابين البشرية . وفى نقش رستم يرى أرمزد على فرس يقدّم التاج لأردشير بابكان أوّل الساسانيين وتحت قدميه أردوان آخر ملوك البارثيين يحيط برأسه ثعبانان(٦) .

ثم الضحاك لم يقتل على يد أفريدون بل قيد ، وسيأتى الكلام عن قتله فى أسطورة "كرشاسب" العجيبة(٧) .

ومن المسائل المهمة التى أهملها المترجم : أن الضحاك أوّل من أكل اللحم وكان الناس يقتاتون بالنبات . وهذا ينسب الى نمرود أيضا . وقصة أرمايل وكرمايل اللذين كانا يكلفان بقتل الناس لإطعام حيتى الضحاك فكانا ينقذان كل يوم رجلا حتى اجتمع مائتان فأعطياهم من الضأن والمعز فكثروا ونسلوا وكان منهم الكرد . =

(١) طا : والأمراء . (٢) طا : الله تعالى . (٣) أزدها : تنين . (٤) بلدان ص ٢٧٤ وما بعدها . (٥) ورنر، ج ١ ص ١٤٢ نقلا عن «رحلة ثانية فى فارس» لمريير (Morier) (٦) أنظر (Warner، ج ١ ص ١٤٣ (٧) أنظر مقدّمة فصل كرشاسب الآتى .

كلى الحيتين و إطعامهما حتى يستريح الملك . ولا يصلح طعامهما إلا من أدمغة النّاس . فانه ان فعل ذلك يقل اضطرابهما ، ولا نتأذى بهما . وكان مراد الملعون أن يبسط الملك يده فى قتل خلق الله تعالى وسفك دمائهم . فكان يحرضه على ذلك حتى قبل مقالته ، واستباح دماء الخلق على ما سيأتى ذكره .

ذكر هلاك جمشيذ وانتهاء أمره

قال ثم إن الملوك لما رأوا أن جمشيذ مرق عن الدين ، وأطلق يده فى الظلم خرجوا عليه وخلعوا ربقة طاعته ، واستبد كل واحد منهم برأيه وملكه . فكثرت الملوك ، وكثر الفساد ، وعمّ الهرج والمرج ، حتى اجتمع ملوك الفرس الى باب الضحاك ، وأذعنوا له بالطاعة . فقدم أرضهم ، وجلس على تخت السلطنة ، ووضع على رأسه تاج الملك ، وجمع عساكر البر والبحر ، ونهض نحو جمشيذ قاصدا قصده . فلم يطق الثبات قدامه . فولاه ظهره وهرب الى أرض الهند . ولم ير له أثر مدّة مائة سنة . وبعد ذلك ظهر وخرج من تلك البلاد فلما سمع به الضحاك طار اليه بجناح الركض ، وانقض عليه ، وجعل الأرض عليه ككفة حابل[1] ثم أخذه[2] وأمر به فنشر بالمنشار[3] فانتهت نوبته بعد سبعمائة سنة ، وانقرضت أيامه وملك مكانه الضحاك . وكذلك سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ذكر الضحاك وما جرى من الوقائع فى عهده وكانت مدّة ملكه ألف سنة[4]

قال صاحب الكتاب ثم ملك الضحاك ، وعم ملكه طلاع الأرض شرقا وغربا ، وبرا وبحرا . وكان ظلوما غشوما ، محيت فى زمانه آثار العدل والإنصاف ، وطالت على الخلق منه أيدى الجنف[5]

= ثم قصة الضحاك فى الشاهنامه ٥٤٢ بيتا مقسمة الى العناوين الآتية :

(١) حكم الضحاك ألف سنة . (٢) رؤية الضحاك فريدون فى المنام . (٣) ولادة فريدون . (٤) سؤال فريدون أمه عن نسبه . (٥) قصة الضحاك وكاوه الحدّاد . (٦) ذهاب فريدون لحرب الضحاك . (٧) رؤية فريدون ابنتى جمشيد . (٨) قصة فريدون مع وكيل الضحاك . (٩) تقييد فريدون الضحاك .

---

(١) فى الشاه : أن جمشيذ اختفى مائة سنة ، ثم ظهر على بحر الصين فأمسكه الضحاك . (٢) كو : «فما خلص عن مخالب قهره وقبض عليه» بدل « ثم أخذه » . (٣) كو : تزيد «وقد قال بعض الحكماء اذا أراد الملك أن يدوم سلطانه وتثبت قواعد ملكه وأركانه فليجتهد فى عبودية الخالق» ثم فانقرضت نوبة جم وانقرضت أيامه وملك مكانه الخ .

(٤) كو : ذكر نوبة الضحاك ومدّة ملكه ومآل أمره . (٥) ك : حيف ، كو : الظلم .

والإجحاف . وكان كل ليلة يأمر برجلين يقتلان ويستخرج دماغهما طعمة للحيتين[١] . حتى غبر[٢] على ذلك ألف سنة . فضجت الخلائق ، وارتجت لفظاظة[٣] أمره المشارق والمغارب[٤] . وكان نائما في طارمه[٥] ليلة من الليالى ، فرأى رؤيا هائلة(أ)تدل على زوال ملكه ، وقرب أجله فأصبح مهموما قد نعاه[٦] اليه شؤم فعله ، وقبح عمله . فجمع العلماء والمنجمين[٧] والكهنة والسحرة[٨] وقد أخذه من ذلك المقيم المقعد . فقال لهم إنى سائلكم[٩] عن أحوال المملكة على ما أدركتموه من أحكام[١٠] النجوم، وألقى الى[١١] أنفسكم من أسرار الملكوت . فسكتوا ولم يستطيعوا أن يردوا جوابا ، أو يحيروا خطابا . فأحضرهم[١٢] فى اليوم الثانى واستنطقهم فى السر والإعلان، وذكر[١٣] لهم ما رآه من المنام ، وألح عليهم فى السؤال عن ملكه، وما بقى من مدته ؛ ومن يرثه التاج والتخت[١٤] ومتى يكون زوال دولته[١٥] فما أجابوا عن شيء مما سألهم بغير السكوت . وعلموا أن مدته شارفت الانقضاء، ودولته قد ناهزت الانتهاء، وأنهم لو أطلعوه على ذلك لبطش بهم، ومزقهم كل ممزق، وأوسعهم عقوبة ونكالا[١٦] . فأحضرهم فى اليوم الثالث وأعاد عليهم السؤال فأطرقوا واجمين، ترتعد فرائصهم، وتضطرب أفئدتهم . وكان فى جملة الحكماء[١٧] حكيم(ب)طاعن فى السن . قد مارس العلوم، وعرف الأحكام، وعبد الله تعالى فأورثه[١٨] علما كاملا وأدبا بارعا . فقام وقبل الأرض، وقال ما ولد مولود إلا للفناء، ولا بقاء إلا لرب العزة والكبرياء . فاستعد للأمر[١٩] فإنه قد حضر أو كاد . وسيجرى[٢٠] الله فى الانتقام من الظالمين الميعاد . واعلم أن زوال ملكك يكون على يد ملك اسمه أفريدون . وهو لم يولد بعد . وأنه اذا وضعته أمه قتل أبوه على يدك . ثم أنه اذا ترعرع ونشأ طلب بثأر أبيه، وانتقم منك . فيكون هو وارث الملك بعدك ، وصاحب تاجك وتختك . فلما سمع الضحاك ذلك خر من السرير صعقا . ولما أفاق عاد الى مكانه، وبث الرسل فى أطراف البلاد فى طلب أفريدون[٢١]، وتتبع آثاره، طلبا للفتك به .

(أ) خلاصة الرؤيا التى فى الشاه : أنه رأى ثلاثة رجال من نسل الملوك ظهروا بغتة يتوسطهم أصغرهم . وتقدم الأصغر فى زى الملوك وضرب الضحاك بجرز على رأسه ثم ربطه وجر عليه التراب، وقاده دليلا على أعين الناس الى جبال دماوند .

(ب) اسم سه فى الشاه : زيرك ومعناه (ذكى) .

(١) كو : ز «الناتبتين على منكبيه ولم يزل ذلك دأبه» . (٢) ك ، كو : عبر . (٣) ك : فظاعة .

(٤) ك : المغارب والمشارق . (٥) كو : ايوانه . (٦) كو : نعى . (٧) كو : المعبرين .

(٨) كو : المتجمين . (٩) كو : استخبركم . (١٠) ك : أحوال . (١١) ك طا : فى .

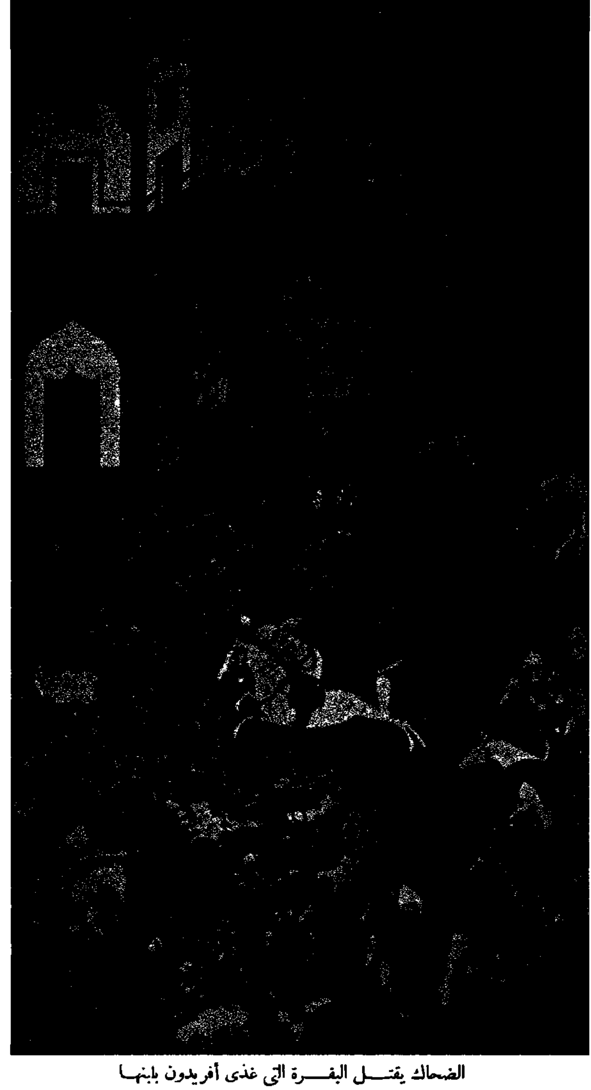
(١٢) كو : ثم . (١٣) كو : وقص عليهم . (١٤) كو : ومن يتولى التاج والتخت من بعده .

(١٥) كو : زوال أمره وانتهاء عمره . (١٦) كو : وعاقبهم بأشد عقوبة . (١٧) ك ، طا : العلماء . كو : الحاضرين . (١٨) كو : فأورثه ذلك . (١٩) كو : للرحيل قد قرب أو كاد . (٢٠) ك ، كو طا : سيجز . وهذه الجملة ليست فى الشاه . (٢١) طا : أفريذون بالمعجمة .

وولد أفريدون فى تلك السنة . ولما[1] وضعته أمه نظرت اليه فرأت فى وجهه مخايل السعادة واضحة، وأمارات الملك فيه لائحة . فكانت تربيه أحسن تربية، وتؤدّبه أحسن تأديب وهو ينمو نمو الهلال، متسربلا بفضفاض الجمال . فاتفق أن أباه أخذ وقتل فى جملة من قتل بأمر الضحاك . ففزعت أمه عليه، وأوجست فى نفسها خيفة من الملك وشره . وكانت تسمى مانَك[2] وهى موصوفة بالعقل[3] . فحملت أفريدون وهربت به الى بعض المروج التى ترعى فيها البقر والنعم . وكان راعى المواشى فى ذلك المرج رجلا صالحا . فسلمت ابنها اليه، وقالت هذا صبى يتيم، ولا آمن عليه من شر هذا الملك[4] . وانى آويت به الى ظل أمانك حتى تكفله وتربيه الى أن يراهق . وتغذوه بلبن هذه البقرة(أ) . وكانت بقرة خلقها الله[5] على[6] لون يسر الناظرين، ويعجب الخلائق أجمعين . فكفله الراعى واتخذه ولدا، ولم يزل يغذوه بلبن تلك البقرة ويشفق عليه، ويميل اليه . فجاءت أمه بعد ثلاث سنين الى ذلك المرج، واعتذرت الى الشيخ الصالح، وقالت له[7] ان شر هذا الظالم قد تفاقم، ولا آمن على هذا الصبى من بأسه[8] . وقد عزمت على أن أحمله الى بلاد الهند، وآوى به[9] بعض الجبال(ب)، فلعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، ويريح من هذه الدولة . فأخذت أفريدون وتوجهت نحو بلاد الهند[10] . فبلغ الخبر الى الضحاك . وجاء الى ذلك المرج، وقتل الراعى . ونهب المواشى، وأحرق أيضا دار أفريدون وقصر أبيه . ثم ان أمه مانَك لما قربت من أرض الهند صعدت الى جبل عظيم[11] . وكان عليه راهب يعبد الله فسلمت عليه، وأجهشت بالبكاء اليه[12] . وأطلعته على أنها أرملة قتل[13] زوجها الضحاك . وما لها من الدنيا غير هذا الولد . وقد خرجت به من بلد الظلم هاربة اليه، وأن الضحاك يرصده بالغوائل، ويطلبه بين سمع الأرض وبصرها . وقد فرّق أصحابه فى طلبه[14] . وقالت أنى قد تمسكت بذيل أمانك، وجئت به اليك . وأرجو أن تحنو عليه بعاطفتك، وتتخذه ولدا يكون قوة لظهرك، وقرة لعينك . فان له شأنا عظيما، وخطبا جسيما . ولا يكون زوال ملك الضحاك إلا على يده . وسيظهر ذلك فى أقرب مدة . فتفرس الراهب فيه ذلك وقبله[15] . ولم يزل يربيه ويعلمه مكارم الأخلاق ويهديه الى مناهج الخيرات الى أن نشأ وترعرع .

(أ) اسمها برمايه (الجليلة) وفى وولز : برمايه . وفى فرهنك شعورى برمايه ويقال أيضا برمايون .
(ب) فى الشاه : جبال البرز .

(١) كو . فلما . (٢) فى الشاه . فرانك — مول، ج ١ ص ٧٨ (٣) كو . محصوصة بالعقل الوافر .
(٤) ك : شر الملك . (٥) ك كو طا : الله تعالى . (٦) ك : فى لون . (٧) كو، ك طا : قالت أن . (٨) كو، ك طا : بائقته . (٩) كو، طا، ك : الى بعض . (١٠) كو، طا، ك : نحو الهند . (١١) كو : عظيم هناك . (١٢) ك كو . طا : لديه . (١٣) كو : قد قتل زوجها فى محنة الضحاك . (١٤) كو : فى طلبه وطلبها . (١٥) كو : وقبله أحسن قبول .



الضحاك يقتل البقرة التي غذى أفريدون بلبنها

[منقولة من كتاب مارتين (Martin) ص ١٢٦ ج ٢ — عن نسخة كتبت للشاه طهماسب في القرن العاشر الهجري]

فلما راهق انقض من حالق ذلك الجبل كالعقاب الخاطف . وجاء الى[1] أمه كالقمر الزاهر واستخبرها[2] عن أحواله وآبائه وأجداده . فأعلمته أن أباه كان يسمى أبتين[3] من الفرس[4] ينتسب الى طهمورث الملك . وأن الضحاك قد قتله ، وأطعم دماغه الحيتين النابتتين على كاهليه[5] . وسردت عليه حكايته من أول خروجها[6] الى المرج ، وتربيتها إياه بلبن البقرة الى أن حملته الى أرض الهند هاربة به . فلما سمع ذلك منها التهب غيظا ، واستشاط غضبا . فأطرق مليا ثم تنفس الصعداء ، وفض ختام سره ، وقال لا بد من إعمال السيف فى هذه القضية ، وصب أسواط القهر على هذا الظالم ، وسيجرى بينى وبينه يوم تنفصم فيه متون الصفاح ، وتتقصد أصلاب الرماح . فقالت له أمه خفض عليك ، ولا تنظر الى الدنيا بعين شبابك ، ولا تغتر بقوة بأسك . فان كل من سكر من جام الغرور فى مقتبل العمر وريعان الشبيبة لا يفيق إلا عن ندامة . والحازم من نحر الرأى وأتقن التدبير ، وشاور فى أموره الصغير والكبير . فكفكفت من غلوائه ، وخفضت من طغيانه .

قال وكان الضحاك لا يفتر لسانه عن ذكر أفريدون ، وقد وقع فى قلبه من الذعر منه ما سلبه الرقاد ، وحرمه القرار . وكان يتجلد ، وبكل شىء كالغريق يتعلق . فأمر يوما أن ينادى فى المملكة بجمع كل موبذ كان موصوفا بكمال العلم ، ورزانة الحلم ، وثقوب الرأى ، ووفور العقل . فلما جمعهم قال لهم إن ورائى عدوا لا يخفى ظهوره عليكم . وإن الملك الحازم لا يكون غافلا عن عدوه وإن كان صغيرا . فإن شره عن قريب يصير مستطيرا . وانى عزمت على أن أجمع عساكر الجن والانس ، وأنهض فى طلب هذا العدو . فلعل السعادة تظفرنى به ، وتمكننى منه . فأمرهم أن يكتبوا محضرا ينطق بأن الملك لم يزل مثابرا على بث المعدلة بين الرعية ، كافا يد الظلم عن العالم ، لا يقدم إلا على ما فيه مصالح[7] الخلائق ومناجح أوطارهم[8] فبيناهم[9] فى ذلك المحفل يكتبون شهاداتهم فى ذلك المحضر إذ بخمتهم صياح عظيم ملأ الأسماع من باب الإيوان . فسأل الضحاك عن ذلك فقالوا متظلم مستغيث . فأمر به فأدخل عليه . ولما مثل بين يديه شبك أصابعه على أم رأسه ، ورفع صوته بالبكاء والعويل . وقال أيها الملك : إنك قد ملكت أقاليم الأرض ، ونفذت أوامرك فى الشرق والغرب . لكن[10] نكايتك منحصرة فى هذه الخطة . وبالأمس قتل[11] ولدى ، وقرة عينى لإطعام دماغه للحيتين[12] ، ولم يبق لى غير هذا الولد ، وقد أخذ[13] اليوم . فكيف انتهت النوبة إلى من بين جميع الخلق فى هذه المدة

(١) كو : وطلع على أمه . (٢) كو : فاستخبر . (٣) لـ طا : آبتين . (٤) لـ طا : أهل الفرس .
(٥) كو : منكبيه . (٦) كو : خروجها به . (٧) لـ طا : صلاح . (٨) كو : أوطارهم ومناظم أحوالهم .
(٩) لـ كو : بينا . (١٠) كو لـ طا : لكن بكايتك . (١١) لـ ، كو طا : قتلوا . (١٢) لـ ، كو . طا : الحيتين . (١٣) لـ ، كو ، طا : أخذوه .

القربية ؟ فأمر الملك برد ولده عليه، واستعطافه بالإحسان اليه . ثم قدم ذلك المحضر اليـه، فأمر[١] أن يكتب شهادة[٢] فيه . فلما قرأه ورأى خطوط العلماء والزهاد والعباد مثبتة فيه أقبل على الحاضرين، وقال ياعلماء السوء، ويا أعداء الحق، ويأهل[٣] النار أتشهدون بالزور لهذا الظالم الفاجر؟ ومزق المحضر، ورماه فى وجوه القوم، ورفع صوته، وخرج من الإيوان يستغيث ويصيح، وتبعه[٤] من أوباش البلد والمظلومين خلق كثير . وكان هذا الرجل يسمى جاوه[٥] وكان حدّادا فجاء الى الدكان وأخذ قطعة جلد يغطى بها الحدّاد قدمه عند تطريق الحديدة المحماة، ورفعه[٦] على رأس عصا شبه العلم . فاجتمع تحت رايته خلق كثير، وسواد عظيم . ونادوا بشعار أفريدون . نعم فلما أخبر الضحاك بذلك قال: لمـا دخل علىّ هذا المتظلم رأيت كأن جبـلا من الحديد حال بينى وبينه . وقد أوجست فى نفسى منـه خيفة قلقلت أحشائى، وشغلت خاطرى . وما أرى ذلك إلا من علامات زوال ملكى، وانقلاب حالى . ولعل شمس دولتى قد آذنت بالغروب، ووجه حظى علته يد الشحوب .

قال فخرج جاوه بمن معه من المنادين بطاعة أفريدون يطلبون مقرّه، ويتبعون أثره . فلما قرب من أفريدون فى ذلك الجم الغفير والعـدد الكبير تهلل وجهه فرحا وبشرته السـعادة أن تباشير صبح دولتـه همت بالطلوع ، وتيمن بتلك الراية المنصورة . وكانت تسـمى دِرَفش جاوِيان[٧] وكان[٨] ملوك الفرس يتوارثونها ويتيمنون بها، ورصعوا[٩] ذلك الجلد باللآلئ واليواقيت، وعلقوا عليه علائق الديباج والحرير . وصارت تلك الراية آية بين ملوك الفرس كأنما أنزلت فى شأنها آيات الظفر والفتح . فما رفعت فى معركة الا والسعادة ترفرف عليها بالأجنحة ، والإقبال يضرب تحت ظلالهـا بالجران . وسـيأتى ذكرها فى مواضعها[١٠] من الكتاب .

قال ثم إن أفريدون جاء بعد مدّة من الزمان الى أمه كالليث الكاشر، والعقاب الكاسر . وقال الهمة صاعدة[١١]، والعزيمة مصممة على النهوض الى مخيم هذا الثعبان للانتقام، وكف عاديته عن سائر الأنام . وكان له رفيقان من أولاد المرازبة مخصوصان برزانة الرأى ، ورصانة العقـل . فشاورهما فى أمر القتال ، وأمرهما بإحضار الحدّادين لاتخاذ عدّة اخترعها بعقله ، واستحدثها بفكره . فجاءوا[١٢] بأحذق الصناع وأذكاهم فى صنعة آلات الحرب ، فنقش على الأرض صورة بقرة[١٣] وأمره أن يعمل

(١) ك، كو، طا : وأمر . (٢) ك، كو . طا : شهادته . (٣) ك، كو . طا : يأهل .
(٤) ك، كو طا : فتبعه . (٥) تعريب كاوه . (٦) كو . فرفعه . (٧) كو : ز : ويقال كابيان . (٨) طا : وكانت . (٩) ك ، طا : وقد رصعوها باله رانج . (١٠) ك : فى موضعه .
(١١) كو، طا : صادقة . (١٢) ك : فجاآ . (١٣) كو : نور .

على مثالها جرزا من الحديد . فعمله وجاء به الى حضرته ، فهزه بتلك الأعضاد الشديدة[(١)] ونهض فيمن معه من بهم الرجال ، وأبناء القتال . يقطعون المراحل كالرياح العواصف ، وخلايا السفين بالنواصف . ولم يزل يصل التأويب بالإسآد ، ويجمع بين الإغوار والإنجاد . حتى خيم على شاطئ دجلة الزوراء فتقدم الى الملاحين بإحضار المراكب والزواريق للعبور . فامتنعوا وقالوا لابد من جواز من الملك . فاحتدم غيظا وأمر العسكر بالعبور على حوارك الخيول . وتقدمهم كالفحل القطم ، وسيل العرم ، حتى عبر . ولم يزل يطير على قوادم الركض الى أن قرب من بيت المقدس . فرأى قصرا منيعا ، وطارما مشيدا ، وإيوانا عاليا كادت شرفاته تناطح الجوزاء ، وتمس السماء . فعلم أنها للضحاك . فنادى بالعسكر[(٢)] وأمرهم بالهجوم على تلك القصور قبل احتشاد مستحفظيها والموكلين بها للمدافعة والممانعة . فلم يحس القوم إلا بالملك الهمام ، مطلا عليهم كالغمام ، وبجحافل محيطة بالمدينة إحاطة الأطواق بالأعناق . فتوغل تلك الديار ، وتوقل القلاع ، وقصد الإيوان الرفيع ، والقصر المنيع . فدخله قسرا وأطل على سرير السلطنة قهرا ، وأدرج كل من فيها من العفاريت الذين وكلوا بحفظها وحفظ خزائنها تحت وطأة البأس . وملك كل ما فيها من الذخائر والجواهر . وأحصر حظايا الضحاك وأقمار سجفه ، وشموس حجبه . وكانت فيهن شقيقتان[(٣)] لجمشيد قد أخذهما الضحاك عند استيلائه على الملك . فلما وقعت أعينهما على أفريدون حركتهما العروق النوازع ، وتفجرت من محاجرهما الدموع الهوامع . فاستخبرهما عن الضحاك ، وذاكرهما سوء آثاره وقبح أفعاله . فأعلمتاه أنه توجه نحو بلاد الهند(أ) فى عساكره ، وجماهير جحافله . لسفك دمائهم ، واستباحة ذخائرهم وأموالهم ، على عادته الذميمة ، وسيرته القبيحة .

(٧)

قال فبينا الملك أفريدون على تخت الضحاك بين حظاياه وجواريه إذ دخل وزير(ب) الضحاك عليه . فلما رآه خر ساجدا بين يديه . ولما رفع رأسه أطلق لسانه بالدعاء ، لاستدامة دولته العلياء[(٤)] . فقبله أفريدون ، واستدناه الى بساطه ، واستخبره عن أحوال صاحبه ، وما قاساه الناس من فعله الفظيع ، وظلمه الشنيع . ففتح عليه خزائن الأسرار ، وسرد عليه جميع الأخبار . فخرج[(٥)] على غرة من القوم وتشذر

(أ) فى الشاه : ليتعلم من السحر ولأنه لا يستطيع القرار لما أخبره به بعض المنجمين ، ولأن الحيتين يقلقانه الخ .

(ب) اسم الوزير فى الشاه : كندراف وهو ممن تشترك فيهم الأساطير الهندية والايرانية . فهو فى فيدا "كندهاقا" الحارس الإلهى لشراب المقدس "سوما" وهو فى أبستاق "كندروا" : شيطان كان قتله من أعظم مآثر البطل الآرى القديم "كرشاسب" انظر أفستا : ج ٢ ص ٦٣ ، وولز : ج ١ ص ١٤٣

(١) كو ، ز : والمرافق المفتولة واستصحبه . (٢) ك ، كو ، طا : فى العسكر . (٣) كو ... من بنات .

(٤) ك ، طا : العلياء . (٥) كو : ثم أنه خرج واعرورى جهرة عربية الخ .

جوادا كالريح المرسلة وطار الى حضرة الضحاك . فلما وصل الى مخيمه استأذن فدخل عليه . فأنكر قدومه . فأخبره بصورة الحال، وأعلمه أن أفريدون هجم على إيوانه فتوغله، وقتل حشمه وخوله، واستبد بتلك الذخائر والرغائب، واستمتع بالحظايا الخرد الكواعب، وأطاعه أهل المدينة، وصفت له المملكة بلا منازع ولا مدافع .

فلما سمع الضحاك ذلك احترق تغيظا، وتنفس مستشيطا، وأمر فنودى فى عسكره بالارتحال، ونهض متوجها نحو بيت المقدس كالسيل المتلاطم، والليل المتراكم . فلم يحس القوم إلا بطلائع الخيل[1] متتابعين، وسرعان الجيش متواصلين، تقدم مواكب تسد السكاك بالعجاج، وتموج كالبحر المتدافع الأمواج . وأمامهم الضحاك كالتنين الصائل، والأفعوان الهائل. فلما قربوا من سور المدينة قام أهلها فى وجوههم، ودفعوا فى نحورهم، وأمطروا عليهم عن اليمين والشمال شآبيب النبال، ينادون بشعار أفريدون، و بظل أمانه يستعيذون . فأخذه[2] الداء العضال لاستعصائهم وممالأتهم عدوه عليه . و بات يتلوى حنقا، و يتقلقل أرقا، و يحترق بنار الغيرة، غريقا[3] بين أمواج الحيرة . حيث رأى بعينيه تلك الخرائد الأبكار، والعرائس الأتراب، فى طارمه المنضد بالوشائع والدبابيج، وعلى سريره المرصع بالجواهر واليواقيت، بين يدى عدوه أفريدون وهو الهادم مبانى ملكه، والمنكس راية دولته . فحملته الحمية الجاهلية على أن خرج مدججا شاكى السلاح لا يعرف، وأخذ وهقا فى طول ستين ذراعا، فجاء الى عقر قصره وعلق الوهق على بعض الشرفات، وتوقل حتى صعد القصر على غفلة من الحراس . وأطلع من أعلى الإيوان على أفريدون قاعدا على بعض الأرائك مع إحدى زوجتيه . فلما رأى ذلك علق الوهق، وانحط كالقضاء من السماء، والعُقاب من العِقاب، و فى يده حربة كشواظ من نار فلما رآه أفريدون أهوى بيده الى الجرز فرفعه، ثم صبه مثل الصاعقة على رأسه، فتشظت البيضة عليه، وهم أفريدون بقطع وريديه . فتمثل ملك(أ) بين يديه وقال إن الله[4]، قد أنسأ فى أجل هذا الثعبان، وأمر بتعذيبه طوال الزمان . فشد وثاقه، وضيق عليه خناقه . فاذا وصلت الى جبل دُنباوَند(ب) فاحبسه فيه . فأخذ سيرا من جلد الأسد مريرا قويا، وجمع[5] به أطرافه فى عقدة لا يذكر عاقدها

(أ) هو سروش فى الشاهنامه . (ب) الذى فى الشاه أن الملك أمره بأن يحمله حتى يجد جبلين متقاربين فيربطه هناك . فلما بلغ أفريدون "شير خوان" عمد الى الجبل وأراد أن يلق الضحاك على رأسه ، فجاءه سروش وأمره بالمسير به الى جبل " دماوند "الخ .

(١) ك : بطلائع القوم . (٢) كو : فأخذ الضحاك . (٣) من هنا الى حرب منوچهر وتور وسلم ، ساقط من نسخة كو . (٤) ك طا : الله تعالى . (٥) ك طا : بجمع .

الحل . وغادره تحت تخته طريحا يطيف به الخذلان ، ويبكى عليه الكفران . قال فأمر[1] أفريدون فنودى من أعلى ذلك الإيوان بصوت يطن[2] به الخافقان : ألا إن جناح الشر قد كسر ، وموقد ناره أسر . فيا أسود النزال ، ويا فرسان النضال ، ردوا الى المراكز الرماح ، وحطوا عن العواتق الصفاح ، وبادروا الى مخيم سلطان الزمان ، واستعيذوا بظل العدل والأمان . فأخمدت الحروب نارها ، وحطت أوزارها . وانثالت قواد الضحاك وأمراؤه على جناب أفريدون مطاوعين ومبايعين . ففتح الخزائن ، وأخرج الدفائن ، وفرق فيهم الرغائب ، وأفاض عليهم الخلع والمواهب . قال ثم رتب أفريدون نوابه بالمدينة[3] ، وأمرهم ببسط ظلال الرأفة على كافة الرعية . وعزم على النهوض فخرج فى مواكب النصر ، وجحافل الظفر ، وأمر بالضحاك فأخرج على قتب عار ، بين شنار وعار ، عبرة للناظرين ، وموعظة للظالمين . فلم يزل يخيم ويقوض ، ويحل ويرحل . حتى قرب من دُنباوند وهى من نواحى الرى فسار فى مخارم شِعاب[4] ، حتى حصل بين جبلين متناطحين . فوجد هنالك مغارة محشوة بالظلمات ترى فى النهار الشامس ، كالليل الدامس . فدعا بمسامير الحديد ، وقيد الضحاك ، وأودعه تلك[5] فهو يعذب فيها الى يوم القيامة بسوء عمله ، وقبح أثره .

٦ — ذكر نوبة أفريدون ، وما جرى فى عهده من الوقائع

قال صاحب الكتاب : ثم انتهت نوبة الملك الى أفريدون . فاعتصب بالتاج وتجلى على سرير الملك أول يوم من ماه مِهر . فاتخذ مجلسا عظيما حضرته الخاصة والعامة ، يهنونه بالملك الجديد ، ويدعون لأيامه بالتأبيد والتخليد ، ويشكرون الله[6] على ما أفاض عليهم من ملابس عدله ، وأزل اليهم من عوارف

---

٦ — أفريدون[7]

بطل تشترك فيه أساطير إيران والهند كذلك . وهو هرقل الإيرانيين الذى غلب "أزى دهاكه" وقيده على جبل دماوند ، كما تقدم .

وفى الأبستاق[8] : "والرابعة عشرة من الأرضين والأقاليم الطيبة التى خلقتها أنا أُهرامَزدا كانت فِرِنا[9] ذات الزوايا الأربع التى ولد لها ثرِيتُونا الذى حطم أزى دهاكه" . وفى موضع آخر أن المجد الإلهى =

(١) لـ : وأمر . (٢) لـ طا : يطلق . (٣) لـ طا : فى المدينة . (٤) لـ طا : وشعاب .

(٥) لـ : تلك المغارة . (٦) لـ طا : تعالى . (٧) ويقال فريدون بحذف الالف . وفى الآثار الباقية أن لقبه (الموبذ) . (٨) ج ١ ص ٩ (٩) يقول بعض شراح الأبستاق إنها طبرستان أو الديلم . ويقول آخر هى جبل دماوند الذى قيد عليه الضحاك : أفستا ج ١ ص ٩ حاشية ٢

فضله . ثم أمر فبسطوا سماطا عظيما يعجب الحاضرين ، ويروع الناظرين بالآلات الرائقة من الأوانى المخروطة من قطع البلخش فضلا عن الذهبيات المكللة باللآلئ ، والفضيات الموشحة بالجواهر ، فلما رفع السماط جلس للشراب فأحضروا الكراين المحسنات ، والجوارى المسمعات . واصطف على رأسه روقة الغلمان بمناطق الذهب المرصعة باليواقيت الحمر ، واللآلئ الزهر . فتشمرت

= حينما فارق جمشيد المرة الثانية أخذه ثرئتونا وارث قبيلة أثويا الباسلة الذى كان أعظم مظفر فى الناس بعد زرتشترا .

ثم نجد أفريدون فى الأبستاق طبيبا . وكانت الأمراض تعزى إلى سموم الثعبان ، فليس عجيبا أن يكون هازم الثعبان طبيبا . وهو فى الطب ينسبه ترِيتا أول طبيب الذى أنزل اليه أهرامزدا عشرة آلاف من الأعشاب الشافية كانت نابتة حول شجرة الخلد (هوم) البيضاء[1] . وقد نجد فى الكتب الفارسية والعربية المتأخرة أن أفريدون أول من نظر فى الطب وأول من استخرج الأدوية من النبات وأول من رقى المرضى[2] .

وأسطورة أفريدون فى الأبستاق تشبه أسطورة فى الڤيدا الهندية . وأكبر الظن أنهما تمتان الى أصل واحد : يذكر فى الڤيدا ترِيتا أپتيا الذى أعطته الآلهة موهبة شفاء المرضى . ويذكر بطل اسمه ترِيتانا قتل ماردا . وينسب الى أحدهما ما ينسب الى الآخر . مثل ثرِئتونا وثريتا فى الأبستاق . وأپتيا الذى يلقب به تريتا فى الڤيدا هو أثويا اسم قبيلة ثرئتونا فى الأبستاق . وهو أبتين أو أثفيا الذى هو اسم أبى أفريدون فى الشاهنامه وغيرها من الكتب المتأخرة .

ويختلف النسابون فى نسب أفريدون . ويرى ابن البلخى أن سبب الاختلاف أن أولاد جمشيد هربوا بعد الذى أصاب أباهم على يد الضحاك ، وعاشوا بين رعاة البقر والغنم ألف سنة — زمان ملك الضحاك . ويذكر بين أفريدون وجمشيد أحد عشر أبا كلهم يلقب أثفيان . وكلهم إلا آخرهم يسمى باسم يدل على بقرة وصفتها مثل " اسپيدكاو " أى البقرة البيضاء . ويقول إن اثفيان لقب مثل " كى " التى توصل بأسماء الملوك الكيانين مثل كيخسرو وكيكاوس ، وإنهم سموا بهذه الأسماء الدالة على البقر إذ كانوا رعاة ، وإنه من أجل هذا اتخذ أفريدون المقمعة ، وهى سلاح الرعاة ، وصوّر طرفها كرأس بقرة ، وإنه حينما خرج على جمشيد ركب بقرة حتى استتب له الأمر[3] . =

(١) أفستا ج ١ ص ٢٢٦ و ٢٤٦ (٢) صبح الأعشى ، ج ١ ص ٤٢٠ وفارس نامه ص ٣٦

(٣) فارس نامه ص ١٢ و ٣٦

السقاة لادارة الأقداح، واستجلاب الأفراح، بسلاف الراح. فصار المجلس يفتر كالفردوس نضارة، ويتهلل كرياض الجنان غضارة. ثم أمر بضرب[1] الدنانير وإفراغها على الحاضرين على اختلاف المقادير. فصار ذلك اليوم غرة فى جبهة الزمان. وهو اليوم المعروف بعيد "المهرجان".

= وفى مجمل التواريخ أن أفريدون هو ابن أبتين أو أتفيال بن همايون بن جمشيد وأن أمه فرانك أو فرنك بنت طهور ملك جزيرة بسلا فى بحر مجدين[2].

وفى الشاهنامه أن أفريدون ربى بلبن البقرة العجيبة "برمايه".

وفى تاريخ طبرستان لابن اسفنديار[3] أن أفريدون ولد فى طبرستان بقرية وركه فى حضيض جبل دماوند، وإلى هذه القرية لجأت أم أفريدون وخدمها حين تفرقت أسرة جمشيد فرقا من الضحاك. فلما ولد أفريدون هاجروا الى قرية جلاب، ولما بلغ السابعة من سنه كان يرسن الأبقار فى أنوفها ويركبها فكأن شمسا ثانية تطلع من "الثور" (يعنى برج الثور). وكان الصبيان يحتمون به ويهتدون برأيه. ثم هاجروا الى قرية ما وحكوه. ولحق بهم أهل "أميد واركوه" "وكوه قارن" الذين صنعوا للأمير الصغير المقمعة المشهورة التى رأسها كرأس البقرة. ثم تكاثر أتباعه فأغار على العراق، فلما بلغ إصفهان اتبعه كاوه الحداد حتى أسر الضحاك وقيده فى مغارة على جبل دماوند لا تزال معروفة. فلما استقر له الأمر فى الأقاليم السبعة سكن تميشه حيث ترى اليوم آثار قصوره فى مكان اسمه بانصران الخ.

فانظر كيف ترتبط أسطورة أفريدون بالبقر فى رواياتها كلها. وكذلك أساطير أعياد الفرس التى تقترن بذكرى أفريدون[4].

* * *

وأفريدون هو نوح الإيرانيين كما يتبين من قصته وقصة أبنائه الثلاثة. وقد قسم نوح الأرض بين أبنائه كما قسمها أفريدون[5].

وأسماء أبناء أفريدون فى الأبستاق: سيرما وتور وأيريو. واللام والراء فى الفهلوية تلتبس إحداهما بالأخرى فليس بعيدا أن يحول سيرما الى سلم. وقد ذكره الطبرى باسم "سرم". والبيرونى باسم "شرم". =

(١) ك طا: يصب. (٢) أنظر مول (mohl) ج ١ ص ٧٩ (٣) ص ١٥ وما بعدها. (٤) الآثار الباقية ص ٢١٦ (٥) نزهة ص ١٩

قال فوردت البشائر على أمه مانَك بأن ذاك الهلال صار بدرا كاملا، وتلك المخايل فيه صرن شمائلا، وأن ابنها طاول الأفلاك، وقطّر على أرض المهانة الضحاك. وأخرس أصداء أبيه بإدراك الثار المنيم، وأنطق ألسنة المحامد بفضله العميم، وطوله الجسيم. فخرت ساجدة لله[1] تعفر خدّها فى التراب،

=

* * *

وقد ذكر فى الشعر العربى أفريدون وأبناؤه وقَسم الملك بينهم. وتقدّم بعض هذا فى فصل الضحاك. ومنه قول بديع الزمان الهمذانى فى مدح السلطان محمود الغزنوى[2].

أأفريدون فى التاج   أم الاسكندر الثانى ؟

وقول بعض الشعراء[3] :

وقسمنا ملكنا فى دهرنا   قسمة اللحم على ظهر وضم
فجعلنا الشام والروم إلى   مغرب الشمس إلى الغطريف سلم
ولطوج جعل الترك له   فبلاد الترك يحويها ابن عم
ولإيران جعلنا عنوة   فارس الملك، وفزنا بالنعم

* * *

وفى عهد فريدون يتسع القصص فى الشاهنامه، ويبدأ الجلاد الشديد بين الإيرانيين والتورانيين.

ومن الحوادث التى حذفها المترجم أن أخوى فريدون : كيانوش وبُرمايه ائتمرا على قتله، فأخبره الملَك سُروش، وعلّمه كيف يرد كيدهما بالسحر. فلما ذهب أفريدون لحرب الضحاك نزل فى حضيض جبل ألبُرز فنام، فدحرج أخواه صخرة من قمة الجبل، فاستيقظ والصخرة تتدهدى إليه فوقفها بالسحر. وهى قصة جديرة بالعناية لكثرة ما يذكر فى الشاهنامه وغيرها من العداء بين الإخوة فى هذا العهد الخرافى. فاسبتور أخو جمشيد كان عونا للضحاك على أخيه وهو الذى نشره بالمنشار، كما تذكر الأبستاق. والقتال بين أبناء أفريدون وذريتهم معروف. ثم رستم بطل الأبطال لا يقتل إلا بمكيدة أخيه شغاد، كما يجىء.

ثم قصة أفريدون فى الشاهنامه واحد وخمسون ومائة وألف بيت مقسمة إلى هذه الفصول، وما بين الأقواس محذوف من الترجمة.

=

(١) لك طا : تعالى. (٢) يتيمة الدهر : ترجمة بديع الزمان. (٣) البلدان ص ٣٧، والآثار الباقية ص ١٠٤، ومروج الذهب، ونزهة الأمم ص ١٩ على خلاف قليل فى الرواية.

وتفض من أجفانها عقود اللؤلؤ المذاب . ثم أمرت بنثر الجواهر على الواردين بتلك البشائر ، و إفاضة الصدقات على الفقراء والمساكين شكرا لله تعالى على ما خصص به قرة عينها وثمرة قلبها . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

قال ثم عزم أفريدون على الرحيل فسار فى عساكره، وطاف فى المشارق والمغارب يمهد أساس العدل، ويهدم قواعد الظلم . حتى عمر جميع الأرض بحسن السياسة، ووفور الرحمة والرأفة .

قال فرزق بعد أن بلغ خمسين سنة من عمره ثلاثة أشبال من بنتى جمشيذ(ا) فرباهم بين سحره ونحره حتى ترعرعوا وراهقوا البلوغ . وكان له فى المملكة رجل(ب) موسوم بالعقل الكامل، والرأى الثاقب . فدعاه وتقدّم اليه بأن يطوف فى البلاد مفتشا عن أخواتٍ ثلاث من البيوت الكبار ، والقبائل الشريفة، يصلحن للاتصال بهؤلاء الأشبال . فتجرّد لذلك وطاف فى جميع الأقطار ينقب ويبحث حتى علم بأن سروا ملك اليمن قد رزق ثلاث بنات مقابلات موصوفات بالجمال الكامل، والعقل الوافر . فسار حتى قدم اليمن فتلق الملك مورده بالإعظام والإجلال، وأنزله فى طارم (ج) رفيع مشيد[1]، وأدر عليه الأنزال، ووفر عليه الوظائف . ثم استحضره[2] بعد ثلاثة أيام واستخبره[3] عما وراءه،

= (١) ملك فريدون ٥٠٠ سنة . جلوس فريدون على التخت . (٢) إرسال فريدون جندل إلى اليمن . (٣) إجابة ملك اليمن جندل . (٤) ذهاب أبناء فريدون إلى ملك اليمن . (٥) (محاولة سرو (ملك اليمن) أن يسحر أبناء فريدون . (٦) تجريب فريدون أبناءه) . (٧) تقسيم فريدون العالم بين أبنائه . (٨) حسد سلم إيرج . (٩) رسالة سلم وتور الى فريدون . (١٠) إجابة فريدون ابنيه . (١١) ذهاب إيرج الى أخويه . (١٢) قتل إيرج بيد أخويه . (١٣) علم فريدون بقتل إيرج . (١٤) ولادة بنت إيرج . (١٥) ولادة منوچهر . (١٦) سماع سلم وتور بمنوچهر . (١٧) إرسال الابنين رسالة إلى فريدون . (١٨) إجابة فريدون . (١٩) إرسال فريدون منوچهر لحرب تور وسلم . (٢٠) هجوم منوچهر على جيش تور . (٢١) قتل تور بيد منوچهر . (٢٢) كتاب الفتح من منوچهر إلى فريدون . (٢٣) استيلاء قارن على قلعة الألانيين . (٢٤) (هجوم كاكوى حفيد الضحاك) . (٢٥) هرب سلم وقتله بيد منوچهر . (٢٦) إرسال رأس سلم الى فريدون . (٢٧) موت فريدون .

(ا) هما شهر نازَ وأرنواز اللتان خلصهما من الضحاك . وفى الشاه أن الأولى أم تور وسلم، والثانية أم إيرج . وهذا يفسر بعض أسباب الخلاف بين إيرج وأخويه . (ب) اسمه جندل فى الشاه . (ج) قبة .

(١) ك طا : وقصر مشيد . (٢) ك : واستحضره (٣) ك : ثم استخبره .

فأعلمه أن أفريدون أرسله (١) الى حضرته خاطبا لمخدراته الثلاث لأشباله الثلاثة، وأنه راغب فى التحام أواصر الشجن من الجانبين . فلما سمع الرسالة قام وقبل الأرض على رسم الخدمة ، وأطلق لسانه بالثناء والدعاء، وردّ الرسول الى مخيمه، واستمهله ثلاثة أيام حتى يفكر (٢) فى الأمر . فخلا بوزرائه وأركان دولته، وشاورهم فى تلقى سؤال أفريدون بالإسعاف، أو مقابلتــه بالمنع والتشمر للخلاف . فمن مشير بالامتناع حسما لمـادة أطماع الأغيار عن مداخلته فى مملكته ، وآمرٍ بالانقياد إصلاحا لذات البين ، وليعتضــد البعض بالبعض من الجانبين . فكانت آراؤهم تتفق مرة وتختلف أخرى حتى استقرت على أن الإذعان لهـــذا الملك أولى من مخالفته، والملاينة معــه أعود من مخاشنته . فأحضر الرســول وأوسعه تطوّلا و إكراما، وتفضلا و إنعــاما . ثم افتتح الكلام بالدعاء للملك و بدوام أيامه الزاهرة، ودولته القاهرة. ثم قال: الأوامر العالية ممتثلة، والرغبة فى المواصلة الميمونة صادقة . ولكن المأمول أن ينعم الملك ويجشم أشباله النهوض الى هذه الخطة تحت رايات السعادة ، وظلال السيادة ، حتى تكتحل برؤيتهم العين ، و ينشرح بلقائهم الصــدر . ثم تأتلف الأقمـار بالشموس بالطائر الميمون ، والطالع المسعود . فاذا حصل الاتحاد والامتزاج ردّوا الأعنة فى مواكب الجلال ، وعاودوا الحضرة تحت ظلال الإقبال . فرجع الرسول على هــذه الجملة الى أفريدون . فلما مثل بين يديه قبل الأرض وعرض عليه ما شاهده من صورة الحال، وأخبره بصدق رغبة صاحب اليمن فى المصاهرة. فأحضر أبناءه وأمرهم بالنهوض الى اليمن فجهزهم اليها توخيا لرضاه . ولمـا وصلوا تلقاهم بأتم إكرام، وقابلهم بأحسن إنعام، وأبلغ إعظام . وانتظمت بينهم أسباب الاتصال على جملة الامتزاج والانتساج (ا) . وأقاموا هنالك مدّة من الزمان . ثم سرحهم بعد حصول الاستئناس والائتلاف الى حضرة أفريدون.

فلما قدموا عليه (ب) ورأى ثلاثة أقمار كللتهم السعود بأنوار الكمال، وكساهم العلو رفارف الجمال قسم الدنيا بينهم ثلاثة أقسام ، وعين لكل واحد صوبا معلوما، ليستقل على مقتضى أحكام السلطنة فى أرضه بالحل والعقــد ، والإبرام والنقض . فعين لســلم، وهو أكبر أولاده، أرض الروم و بلاد المغرب وما تاخمها من تلك الممالك، ولتور بلاد الصين والترك وسائر ماينضاف اليها من تلك الولايات،

(ا) فى الشاه أن ملك اليمن أراد أن يهلك أولاد أفريدون فأنزلهم ليلا فى بستان ثم أهب عليهم بالسحر ريحا باردة، ولكنهم تيقظوا وأبطلوا السحر . وأنه أعطى بناته كارها . (ب) فى الشاه أن أفريدون امتحن أولاده حين قدموا من اليمن فتمثل لهم تنينا هائلا يثير الغبار وينفث النار ، فخاف الأكبر وفرّ منه ، فعمد الى الأوسط فأخرج هذا قوسه ، فتركه الى الأصغر فلم يتزعزع وأمره بالانصراف وهدّده . ثم رجع أفريدون الى صورته ، وأخبر أولاده بما فعل . ووصف الأول بالحزم ، وسماه سلما ، والثانى بالشجاعة والتهوّر ، وسماه تورا ، والثالث بالشجاعة والتؤدة ، وسماه "إيرج" . وسمى امرأة سلم "آرزدى" . وامرأة تور "ماه" وامرأة إيرج "سهى" .

(١) لـ طا : أنفذه . (٢) لـ طا : يتفكر .

ولإيرج وهو أصغرهم ممالك العراق مع أرض بابل الى آخر بلاد الهند، وهى واسطة قلادة المملكة ، ومستقر سرير السلطنة. وجعله ولى عهده، ووهب له الإكليل الرائع، والتخت الباهر، والحرز الهائل.

فتوجه كلا[1] الأخوين الى ممالكهما فى عساكر كالجبال المائرة والبحار الزاخرة ، حتى استقرا على سرير[2] ملكهما ومبوأ عزهما . فمضت على ذلك مدة من الزمان ترق أمورهما، وتتصاعد جدودهما، الى أن بلغت رتبة الكمال، فآذنت بالزوال . ودب بين الاخوة عقارب الشحناء تجتذ العروق الشواجر، وتقطع الأرحام والأواصر[3] . وأول ذلك أن سلما عظم عليه إيثار أبيه أخاه الصغير عليه، وتخصيصه إياه بولاية العهد . فكتب الى تور يقول : إن الملك قد ظلمنا فى هذه القسمة . فإنه زحزح كل واحد منا الى طرف من نواحى الأرض ، وفضل علينا إيرج مع صغر سنه ، وخور عنان عقله . ويذكر أنه لا يخفى على العالمين أنه مع كبر السن أطول الأخوة باعا ، وأرحبهم ذراعا، وأروعهم سيفا وسنانا، وأثقبهم زنادا وأنداهم بنانا . وأنه إن لم يكن هو أهلا لولاية العهد، ووراثة التاج والتخت فالصواب أن يفوضها[4] الى تور . فان خلائق الأرض قاطبة، شارقة وغاربة اتفقوا على استحقاقه لذلك بمكارمه الباهرة، ومساعيه الزاهرة . وذكر أن الرضا بذلك سبة تبقى آثارها على وجوه الدهر لا يرحضها عنها يد الشهور والأعوام . فالرأى أن نجتمع ونتعاقد ثم نرسل الى حضرة الملك ونعرفه إنكارنا عليه ذلك. فلعله يستدرك الأمر، ويحسم الشر بتغيير هذه القسمة ، و بتنزيل كل واحد من الأولاد محله على مقتضى الاستحقاق، قبل توارى قمره المحتوم[5] المحاق . فوردت هذه الرسالة من أخيه على صدر موغر، وقلب بالغيظ مستعر . فرد اليه الجواب، مقابلا رأيه بالاستصواب . وتواعدا على الاجتماع ومناضلة الآراء . فنهض أحدهما من الروم والآخر من الترك، والتقيا فى بعض أطراف المملكة (ا) فاطلع كل واحد منهما الآخر على مستودع ضميره، ومخزون سره . فتعاهدا على الترافد والتظاهر، والتناصر والتظافر[6] . ثم أنهضا بعض الدهاة من أعيان الدولتين رسولا الى أفريدون، وحملاه رسائل توغر الصدور، وتثير الحقود . وأمراه أن ينهى الى ذلك الملك الباذخ، والطود الشامخ أن الله تعالى لما ملكه نواصى العباد، وأورثه الأدانى والأقاصى من البلاد أمره ببسط العدل والإنصاف ، والتنكب عن الحيف والإجحاف . وهو قد قابل نعمه بالكفران ، وأوامره بالعصيان ، فى تقسيط هذه المملكة . حيث قسط الممالك على مقتضى هوى النفس ، ورجح جانب الصغير على الكبير، من غير اختصاصه بمزية الشرف، ولا تميزه بمزيد فضيلة . وإنما الصواب

(ا) فى الغرر : أنهما اجتمعا فى أذربيجان ، ص ٤٤

(١) ك : كلى . (٢) ك طا : سريرى . (٣) ك : الأرحام الأواصر . (٤) ك طا : يسلها .

(٥) ك طا . بمحتوم . (٦) كذا فى النسخ كلها . وأحسبها "التضافر" .

أن يبعده الى بعض أطراف الممالك كما أبعد الآخرين ، ويباشر أمور السلطنة بنفسه ، ثم يتدبر بعد ذلك فى ترتيب ولاية العهد لمن هو أحرى بها وأجدر . وإن أبى ذلك فإنا سنجعل بلاده مرابط الجحافل، ومراكز القنا والقنابل، فنأخذ الأمر قسرا، ونملك التاج والتخت قهرا .

فنهض الرسول ولم يزل يطوى أطراف السباسب، ويمسح أكناف المهامه ، حتى قرب من سرادق الملك . فرأى من المهابة ما ملأ عينه وراع قلبه . وأخبر الملك بقدومه فأمر بإحضاره . فلما مثل بين يديه استخبره أولا عن قرتى عينه، وفلذتى كبده، واستقامة أمور مملكتهما،وانتظام أحوال دولتهما . فأعلمه أنها على جملة تسر قلوب الأولياء، وتسخن عيون الأعداء . ثم سأله بعد المؤانسة والملاطفة عما يحمله[1] من الرسالة . فخر الرسول ساجدا ثم رفع رأسه وقال : أيها الملك إنى عبد مأمور، ومعى رسالة ناطقة بلسان الحفيظة، تنطف دما، وتعقب صاحبها ندما . ولا بدّ من إذن الملك فى إبلاغها الى المسامع العالية. فأذن له حتى بلغه ما حمل من تلك الرسالة . فلما سمع ذلك أطرق ساعة ثم تنفس عن زفير قطع أحشاءه، ومزق أكباده[2]، وعض على يديه[3] حتى ضرّج[4] بنانه . وعلم أن طلائع الشر طالعة ، ونواجم الفتن لامعة . فأجاب عن تلك الرسالات بإبراق وإرعاد، وإعذار وإنذار . وأشار على الرسول بالرجوع . فعلم إيرج بصورة الحال وحضر بين يدى الملك وقال : إن اختلاف الكلمة يورث زوال الملك وتشتت[5] الأمر . والرأى أن أركب اليهما ، وأدخل عليهما ، وأخمد نائرة هذه الفتنة ، وأتفادى[6] مستعفيا عن السلطنة، وأسلم الأمر اليهما، وأوفر المملكة عليهما، وأستعطف جانبهما قبل أن يطرحا قناع الحياء،ويهتكا ستر الحشمة فيتفاقم الأمر ويعضل الداء،ولايمكن التلافى والتدارك . فكحل القضاء عين بصيرة أفريدون بميل الحيرة، وأنساه أن الملك عقيم،وأن داء الحسد قديم . فأذن له فى ذلك فنهض فى خف من المدد، وجماعة من خواص العسكر متوجها نحو أخويه للزيارة، وتطفية النائرة . فلما قرب منهما وأخبرا بقدومه لاصلاح ذات البين، وإزالة الوحشة من الجانبين، ركبا فى مواكبهما للاستقبال، وتلقيا موارده بالإجلال والإعظام . وأمرا بتنضيد الجواهر على الأطباق برسم النثار . فلما تدانت أشواط النواظر، وأحس كل واحد منهم بوجه الآخر ترجل إيرج إعظاما لقدرهما، وإكبارا لمحلهما . فتلاقوا وتعانقوا ورجعوا الى مضاربهم ، وجلسوا للأنس والطرب، يتراضعون صفو المدام ، ويتلاطفون بحلو الكلام . حتى قدحت فى عقولهم الأقداح، وتمكنت من نفوسهم الراح . قام إيرج معتذرا عن ذنب لم يقترفه، ومستغفرا عن جرم لم يجترحه .

---

(١) ك طا : بحمله . (٢) ك : كبده . (٣) طا : يده . (٤) ك : تضرج .

(٥) ك : شتات . (٦) ك : انقاد .

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

ولم يزل بهما حتى استعطفهما، وألان عريكتهما، ونزع الغل من صدورهما . وصفت بينهم شريعة الحال عن كدر التنافس والتحاسد . ولبثوا كذلك حينا .

ثم إن أهل تلك الممالك لما طلع عليهم إيرج رأوا منه ملكا قد ملأ عين الزمان بصباحة وجهه، ورجاحة عقله، مع ما اختص به من السجايا المعسولة، والشمائل المشمولة . فتفاوضوا فى ذكره، وما حباه الله تعالى[1] من مكارم الشيم، ولطائف الكرم . فكان لا يجتمع اثنان من أركان تلك الدولة وأعيانها إلا[2] وكان ذكره سبحة لسانهما، وراحة أرواحهما، ونزهة قلوبهما وأسماعهما . فبلغ ذلك الى سلم فتحرك ذلك الحقد الدفين، والحسد القديم . وخلا بتور وأعلمه إقبال قلوب جميع العسكر عليه . وميل أهوائهم اليه، وأنهم لا يشتغلون إلا بذكر أخلاقه، ووصف سيره، واستصواب رأى أبيه[3] فى ترشيحه للسلطنة . فحملهما فساد ضميرهما، ودغل قلوبهما، على الغدر به، وقطع رحمه . فلما أصبحا من الغد ركبا الى مخيمه . فلما رآهما من بعيد استقبلهما متلطفا، وتلقاهما متملقا . فدخلوا السرادق وأخلوا المكان، وقعدوا يتفاوضون فى أمور المملكة . فأفضى بهم الكلام الى ذكر أبيهم وظلمه إياهما فى إزاحتهما عن صميم المملكة الى بعض الأطراف . فرفع تور صوته بتسفيه أبيه فى ذلك، وأخذ إيرج يتلطف ويتملق فى الإجابة، ويذكر أنه قد خرج من تلك المملكة كراهة استيحاشهما، وتوخيا لرضاهما، فانجر الحديث حتى وثب تور من مكانه كالنار الموقدة، وأخذ كرسيا من ذهب كان تحته ورماه به . فتضرع اليه بالبكاء، وأجهش لديه بالعويل، وطلب الأمان . فاستمرت به القسوة وأخرج خنجرا كان معه فهتك به حجاب قلبه، ونقب خزانة روحه، وجمه بشبابه الناضر، وشطاطه الناعم . ولم يرع لله تعالى حرمة، ولا[4] راقب لأبيه إلا ولا ذمة، وغرقه كالشمس وقت الشفق فى نجيع دمائه، ولم يبق على حشاشته وذمائه :

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشقق

ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق

قال ثم أمر برأسه فرفع، وحشى بالمسك والكافور، ولف فى ثوب حرير، وأودع تابوتا معمولا من ألواح الذهب، ونفذه الى أبيه .

(١) ك : تعالى به . (٢) ك : إلا كان . (٣) فى الأصل : استصواب أبيه ، والصحيح من ك .

(٤) ك طا : ما راقب .

ثم وكان أفريدون ينتظر طلوع رايات ولده، ويعدّ الليالى والأيام دون أوبته . فلما قرب الوقت الذى عينوه لقدومه أمر العساكر بالركوب لاستقباله . وكانوا[١] كل صبيحة يركبون ويترقبون طلوع الهلال الزاهر، ويطمحون نحو الطريق بالنواظر . فطلع راكب على جمل يشق الأرض ويثير النقع، وبين يديه صندوق مغشى بالديباج والحرير . فلما قرب من موكب السلطان شق جيبه، ورفع بالعويل والنحيب صوته، ونعى اليه ولده الذى انتظر مقدمه . فلما سمع ذلك خر من مركوبه الى الأرض، وحثا التراب على مفرق كان يأنف من المسك السحيق، والعنبر الفتيق، ورفع صوته بالرنين والشهيق، يقبض أثناء الحشا كمدا باحدى يديه، ويمسح بالأخرى سيل الدماء عن عينيه . ولم يبق أحد من أعيان الأمراء وأركان الدولة إلا وهو حاف حاسر بين يديه . فرفعوا ذلك التابوت وأدخلوه الإيوان، وأمر[٢] بهدم دار إيرج، وإحراق بستانه، وجلس للعزاء على عادة الفرس، وبكى حتى نبت العشب حواليه من فيض دموعه . ثم كف بصره، وكان لا يزال يتضرع الى الله تعالى ويبتهل اليه ويسأله أن ينتقم له من الفاتكين بولده السافكين[٣] لدمه .

وكانت له جارية خلف الستر حاملة من إيرج . فولدت بنتا فكان يربيها حتى ترعرعت فزوجها من ابن أخيه بشنج . فولدت منوجهر . فلما أخبر بذلك أفريدون سُرّى عنه بعض همومه وسر به . فكان يربيه أحسن تربية ويعلمه آداب الملوك أحسن تعليم . فرد الله تعالى[٤] عليه بصره . فلما رأى وجه منوجهر بشرته أسارير وجهه، ومخايل سعادته، ببلوغ الأوطار، وإدراك الثار . فترعرع الشاب فى أقرب زمان وأسرع أوان . حتى كان يطاول الأرماح[٥] برشاقة قده، ويضارع[٦] الآساد بقوة بأسه . فأمر أفريدون بإفاضة الأموال عليه، وتمكينه من الخزائن العتيقة، والجواهر الدفينة، واجتمع عليه جميع العساكر . فحدثته نفسه بالنهوض والتشمر لطلب الثار والتشفى من الظلمة الفجار . فطن العالم بذلك، وقامت القيامة على سلم وأخيه . فأخذا فى ضرب الآراء، واستمالة الأهواء، والتشمر ليوم اللقاء . فأنهضا رسولا الى أفريدون وكتبا اليه متنصلين عما جرى على أيديهما من القضاء المقدور، والأمر المحتوم . فلما وصل الرسول أمر بإحضار العساكر والجحافل، وجلس[٧] فى صدر الإيوان، وأقعد منوجهر على سرير من العاج، واصطفت على رأسه الأمراء والقواد . فخرج سابور من السرادق وأخذ بيد الرسول وأدخله عليه . فلما رآه خر ساجدا يعفر خدّه فى التراب . ثم رفع رأسه، وافتتح كلامه بالاعتذار والاستغفار لصاحبيه حتى أدى الرسالة . فأجابه أفريدون بوعيد[٨] يتضعضع دونه الجبال

---

(١) ك طا : فكانوا . (٢) ك طا : فأمر . (٣) ك طا : والسافكين . (٤) ك : تعالى بصره .
(٥) ك : الرماح . (٦) طا : يصارع . (٧) طا : بجلس . (٨) ك : بكلام .

الشوامخ، وتفيض عنده البحار الزواخر . وذكر أنه على عزيمة الانتقام ، وطلب الثار، وتجهيز الجحافل تحت رايات منوجهر الى بلادهما ،وانتزاع تلك الممالك عن[(١)] أيديهما . فعاد الرسول طائرا بجناح الاستعجال حتى وصل الى المغرب . فرأى سرادقات سلم وأخيه مضروبة، وعساكرهما مجموعة . فدخل عليهما فى خيمة من الديباج،ورآهما مجتمعين على تدبير الأمر وتخير الرأى . فطفقا يستخبران عن منوجهر وعن الأمراء المرتبين معه ، والأجناد المجتمعين عنده . فتقدّم الرسول وافتتح كلامه مخبرا عما رآه فى تلك الحضرة ، فقال : قدمت فقربت من سرادق مضروب كقبة[(٢)] خضراء،وأدخلت على ملك يشق[(٣)] مرائر الأسود بهيبته، يلتهب على رأسه تاج من الياقوت،متجليا على سرير من الذهب ،يبص منه كافور شيب على صفحات وجه تتوقد تحت بشرته نيران الحفيظة ، و يترقرق من ظاهر أديمه ماء الأريحية . وكان على يمينه[(٤)] منوجهر كالنخل الباسق يكاد يبهر الشمس برونقه وبهاء منظره . وقدامه قارن، وهو صاحب حربه ، كالهزبر المصور . وعلى يساره وزيره ملك ايمن كالذكاء المجسم ، والدهاء المصوّر . وعلى رأسه سام (أ) بن نريمان حامل سيفه، وهو كالسحاب المبرق المرعد . وعلى بابه شيرويه وسابور كالثعبان الصائل والغضنفر الهائل . وأما الفيلة والخيل فعلى عدد الرمال، وكأمثال الجبال . اذا زحفوا غادروا الجبال سهولا ، والسهول جبالا . واذا ساروا حوّلوا النهار ظلاما ، والظلام نهارا . فلما سمعا من الرسول ماجاء به من الأخبار الهائلة أخذهما المقيم المقعد . فأجالا أفكارهما فيما بجنّهما من الأمر المهم، والخطب المدلهم . فأمرا العساكر بالتأهب للحرب، والاستعداد للطعن والضرب. فنهضا فى خيول يضيق عنها الفضاء، وفيول تغص بها البيداء .

فوصل الخبر بذلك الى أفريدون فأمر منوجهر بالبروز بعساكره، وتعبية[(٥)] مقانبه ومناسره . فضربت سرادقاته على ظاهر دار الملك، وأقام ثمانية أيام حتى اجتمعت العساكر، وتلاحقت الجحافل . فخرج أفريدون فودعه ، وأوصاه بالأخذ بالحزم فيما يورد و يصدر، ويأتى ويذر . وجهزه تحت رايات النصر، وأعلام الظفر . حتى قرب من أرض العدو . فلما تدانى الفريقان،وتراءى الجمعان، تناوشوا الحرب من طلوع الشمس، وداموا على ذلك سحابة نهارهم الى وقت الغروب . فلما غربت الشمس رجع كلا الفريقين الى مضاربهم . وكان هذا دأبهم ثلاثة أيام . وكانت آثار الفشل والضعف تظهر كل يوم فى عساكر الترك . فلما رأى تور ذلك رأى أن يصدم عساكر[(٦)] منوجهر

(أ) هو جد رستم . ولأسرته مكانة عظيمة فى قصص الشاه (انظر مقدمة الفصل الآتى) .

(١) طا : عن يدهما . (٢) ك طا : كقبة الخضراء . (٣) ك : تشق ... لهيبته . (٤) فى النسخ كلها "يساره" والتصحيح عن الشاه . (٥) كو : وترتيب ميامنه ومياسره . (٦) ك ، كو، طا : عسكر .

صـدمة واحدة، فبيتهم تحت رواق الليـل، وباغتهم بصواعق الطعن والضرب . فبلغ الخـبر الى منوجهر فكمن له فى بعض الطرق، وأمر عسكره بالتأهب للدافعة، والتيقظ للكافحة . فلما جنّ الليل ركب تور فى ثلاثين ألفا . فلما قرب من معسكر منوجهر رأى صفوفا كالجبال، وأعلاما تخفق برياح النصر والإقبـال . فاضطر الى المناجزة والمبادرة . فلم يحس إلا بمنوجهر قد طلع عليـه من ورائه، فى بُهَـم رجاله، وأعيان أبطاله . فأحاطت به السيوف والرماح، تأخذه يمنـة ويسرة، فجعل يعض على يديه ندامة وحسرة . وتطاعن هو ومنوجهر ففت فى عضده الخذلان، ودفع فى نحره الكفران . وساعدت السعادة منوجهر فطعنه طعنة اختطفه بها عن ظهر فرسه. ثم جدّ له فى الأرض وترجل عليه واحتز رأسه . فدب الخور فى عسكره، ولم تغرب الشمس إلا على شفق من دماء الأبطال، تسيل بها مخارم تلك الجبال . فشفى بذلك غلته، وأدرك نَهمته، ويأبى الله إلا أن ينتقم من الظالمين، ويقطع دابر المـارقين . فكتب الى أفريدون بما يسر الله تعالى على يده من الانتقام وإدراك الثار. وأرسل برأسه على رمحه[1] اليه . فلما بلغ الخبر اليه تحركت منه العروق النوازع، فتفجرت بالدماء منه المدامع، من حيث إن قلوب الآباء ترق على الأولاد، وقد تذهب الشدائد بالأحقاد . وكان هجيراه[2] قول الشاعر :

فان أك قد بردت بهم غليلى * فـلم أقطـع به[3] الابنـانى

قال : وجاء الخبر بذلك الى أخيه سلم فانكسر ظهره، ووهى أمره . وكان وراءه فى البحر على بعض الجزائر قلعة § حصينة أعدها ملاذا لنفسه إن اضطر الى الفـرار . (ا) وكان قد أمر بتعبيـة

---

§ اسم هذه القلعة فى الشاه ألانان دِز، أى قلعة اللان . و" ألان " قبيـل من البدو يقال أنهم خليط من الايرانيين والتورانيين ويذكرون فى الكتب العربيـة باسم اللان . ومساكنهم غربىّ بحر الخزر . وفى هذه الجهة جبل ألان . وفى كردستان مدينة اسمها ألانى . والجزيرة المذكورة هنا ينبغى أن تكون فى بحر الخزر .

ويذكر اللان فى الكتب الأوربية باسم (Alan) أو (Alain) وقد عرفوا منذ القرن التاسع الميلادى فى اللغة الروسية باسم (As) أو (Jasy) وفى لغة جرجيا باسم (Ossi)[4] .

(ا) فى الشاه هنا ذكر وقعة بين وقعة تور ووقعة سلم . وذلك أن « كاكوى » حفيد الضحاك ويسميه الثعالبى « كاكويه الشيطان » يأتى من قلعة « دژهوخت » مددا لسلم، فيبارزه منوجهر ويقتله . ومعنى هـذا وصل العراك بين إيرج وأخويه بالنزاع بين أفريدون والضحاك . وإخراج سلم وتور من صفوف الإيرانيين الى جند الأعداء .

(١) كو : على الرمح . (٢) كو : من «وكان هجيراه» الى آخر البيت (لا) . (٣) لـ : بهم .

(٤) بلدان ص ٢٩٧ ، ونزهة القلوب ص ١٠٧ و ١٧١ و ٢٣٩ وغيرها، ودائرة المعارف البريطانية .

المراكب على الساحل للاستظهار . فعلم بذلك منوجهر وأشار على قارَن بالاحتيال على مستحفظ تلك القلعة لأخذها . فركب فى جنح الليل مع طائفة من نخب الأجناد، وجماعة من أعيان القوّاد . ولما قرب من الساحل أمر العسكر بالنزول ، وأظهر أنه من أصحاب سَلم . فركب على[(١)] بعض المراكب وعبر الى القلعة، وقال للحراس: جئت فى أمر مهم من حضرة الملك . وكان معه علم جعله علامة بينه وبين أصحابه ، فمكن من الدخول فصعد . ولما وقعت[(٢)] عينه على[(٣)] أمير القلعة علاه بالسيف فأطار برأسه الى الأرض . ونصب ذلك العلم على بعض شرفات القلعة . فلما رآه أصحابه ركبوا تلك المراكب فى هجمة واحدة، وعبروا الى القلعة فدخلوها[(٤)] وانتهبوا جميع ما فيها، وأخذوا فى تخريبها ، فلم تغرب الشمس إلا وقد عفا أثرها، ولم يبق منها إلا خبرها . ورجعوا الى الساحل، وأحرقوا جميع المراكب، وعادوا الى معسكر منوجهر فاستعدوا لمحاربة سلم ومناجزته . فما كانت إلا ركضة واحدة تزلزلت دونها الأقدام، وتضعضعت لها من الصفوف الأركان، حتى هرب سلم طائرا بقوادم الانهزام الى الساحل ليعبر على المراكب، ويتحصن بالقلعة . فلما قرب من البحر لم يصادف إلا مركب الحمام . وذلك أن منوجهر انقض فى أثره كالشهاب المرسل على العفاريت، ولما قرب منه أهوى بصمصامه الى كاهله وعاتقه ، ففرّق بين هامه وجسده . وتفرّقت عساكر الترك بين المخارم والشعاب لا يلتفت بعضهم على بعض، ورفع الباقون أصواتهم بالإعوال والإرنان وطلب الأمان . فآمنهم منوجهر، وأحسن اليهم، وأبقى عليهم . فوضعت الحروب أوزارها، وخمدت نيرانها .

وعزم منوجهر على معاودة الحضرة فأمر شيرويه بجمع الغنائم ، وما أفاء الله عليه من الذخائر . فرتب الفيول وحلاها بالجواهر واليواقيت والوشائع والديابيج ، وأوقرها بأحمال الذهب والجواهر والنفائس[(٥)] والرغائب . ثم كرّ هو[(٦)] راجعا الى أفريدون منصور الأعلام . راكبا صهوة النجاح بعد أن كان صعب المرام . حتى قرب من طبرستان وهو[(٧)] دار الملك ومستقر سرير السلطنة . فركب أفريدون لاستقباله فى مواكبه ورجاله . فلما طلعت راياته ترجل منوجهر، وجعل يقبل الأرض حتى قرب من الملك . فأقر عينه منه بذاك المنظر البهيّ والقالب الشاهنشهيّ ، فانكب[(٨)] عليه أفريدون يقبله، ويمسح بيده غرته ووجهه . وأمر بتفريق تلك الغنائم على العساكر شكرا لله تعالى على ما خوّله . وتواصلت البشائر والتهانى فى تلك الأيام، ونثرت الجواهر على تلك الأعلام . ثم إن أفريدون لما قضى الله حوائجه، وأنجح مقاصده ومآربه ، ورأى أنه قد طعن فى السن سئم الحياة

(١) ك : فى . (٢) طا : وقع . (٣) كو : والى . (٤) ك : فأخذوها . (٥) كو : وسائر النفائس . (٦) ك : كرراجعا . (٧) ك : وهى . (٨) كو : فأكب .

فكان يسأل الله تعالى أن يخلصه من دار الفناء ، ويحوّله الى دار البقاء . فلما قرب وفاته أوصى الى منوجهر (أ) وأعطاه التخت ، وعصب بيده على رأسه التاج ، وأمره بأن يفرغ وسعه ويبذل جهده فى إفاضة العدل والاحسان ، و إشاعة الأمن والأمان . وأوصى الى الملوك والأمراء بمتابعته ومشايعته ، والإذعان لطاعته ، وأخذ المواثيق عليهم بذلك . فانتقل الى جوار الله الكريم مشكورا محمودا . وكانت[1] مدّة ملكه خمسمائة سنة (ب) .

٧ — ذكر نوبة منوجهر وما جرى فى عهده[2]

قال صاحب الكتاب : لما مات أفريدون استقر منوجهر على سرير الملك فتسارع الناس الى طاعته ، وأصفقوا على بيعته ، وتباهوا شكر الله تعالى على ما قيضه لهم من ميامن أيامه ، ومحاسن سيره . وأخلصوا الدعاء بثبات دولته (ج) ودوام مدّته[3] فكان يحذو حذو جدّه فى عمارة العالم ، ويتقيل

---

٧ — مِنوچهـــر

يسمى فى الأبستاق "مَنوش كيثَهر" . ويسمى كذلك مانوش كيَهر ومنو كِهر[4] واسمه فى الكتب العربية مَنوشِجهر ومنوشِهر[5] .

ومعنى منوچهر "سليل مانو"[6] . ومانو أخو يما الذى ذكر فى مقدّمة فصل جمشيد . وفى الكتب المتأخرة أن مانوش اسم الجبل الذى فرّت اليه أم منوچهر وهى حامل به فوضعته هناك ، وأنه لهذا سُمّى مانوش چهر ثم حرّف الى منوچهر . ويقال انه سمى منوچهر لجماله و "منو" الجنة و "چهر" الوجه[7] كما فى الفارسية الحديثة . ويقول الثعالبى فى الغرر إن أفريدون قال حين رآه : "منوچهر" أى يشبه صورتى . والفردوسى يقول إن أفريدون حين رأى حفيده "مناچهر" أى "ذا وجه متهلل سماه" منوچهر[8] . ولم يبين الفردوسى معناه . =

(أ) فى الشاه أن أفريدون أوصى سام بن نريمان بمنوجهر (انظر سام فى مقدمة الفصل الآتى) . (ب) فى الشاه أن منوجهر بنى لفريدون قبرا من الذهب واللازورد ، ووضعوا فيه سريرا من العاج ، وعلقوا فوقه التاج . ثم تقدّم الناس لوداع أفريدون ، دأبهم فى ذلك العهد . ثم سدّوا باب التربة . (ج) حذف المترجم ، خطبة منوجهر وإجابة سام التى تبين أن ساما كان أكبر رجل فى ذلك العهد .

(١) كو : وكانت الى آخر الفصل (لا) . (٢) كو ، ز : "من الوقائع . وكانت مدّة ملكه مائة وعشرين سنة وهو السابع من ملوك الفرس" . (٣) طا ، لـ : ذكر المسعودى فى تاريخه أنه قد قيل أن موسى بن عمران ويوشع بن نون كانا فى أيام منوجهر هذا . والله أعلم . (٤) أفستا ، ج ٢ ص ٢٢٢ و ٢٨٧ حاشية ٤ و ٥٩ حاشية ٢ و ١١٤ حاشية ٧ ، ورنر (Warner) ج ١ ص ٣٣٨ (٥) الآثار الباقية ص ٢٢٠ والإشراف ص ٨٨ والطبرى . (٦) ورنر (Warner) ج ١ ص ١٢٩ (٧) فرهنك شعورى : (منوچهر) . (٨) الشاهنامه : فصل ولادة منوچهر والغرر ص ٥٢

أثره فى بث المعدلة وتحريض الخلائق على عبادة الله تعالى والتنكب عن معاصيه ، واتباع[١] أوامره ونواهيه . وكان هو ثامن ملوك الفرس . وفى نوبته ولد زال الملقب بدستان الذى طن العالم بصيته، واستفاضت الأخبار عن رجوليته، وضربت الأمثال به وبابنه فى الآفاق ، وأصفق الخلائق على رجوليتهما بالاتفاق .

= ويلقب " المصطفى " كما فى الآثار الباقية[٢] .

وهو فى الشاهنامه ابن بنت إيرج بن أفريدون وأبوه بشنك ابن أخى أفريدون . وبعض الكتب العربية والفارسية تجعل بينه وبين إيرج عشرة بطون أو تسعة[٣] . ولا نعدم من ينسبه الى إسحاق بن ابراهيم يجعله ابن حفيده . ونسبة الفرس الى إسحاق معروفة فى الكتب العربية . ويروى لجرير وغيره فيها شعر[٤] . وكذلك يروى أن منوچهر كان فى زمن موسى وأن الخضر من أولاده[٥] .

ومن مآثره غرس البساتين وتسويرها، وحفر الخنادق، وصنع آلات الحرب، وحفر نهر الفرات وروافده، وتجديد عمارة مدينة الرى، وسن نظام الدهقانية[٦] .

ومن الحادثات العظيمة التى تغفلها الشاهنامه وترويها كتب أخرى فى هذا الموضع أو فى غيره الحرب[٧] بين منوچهر وأفراسياب ملك الترك واصطلاحهما على جعل نهر جيحون حدًّا بين مملكتيهما

وخلاصة القصة، على رواية الآثار الباقية[٨] : أن أفراسياب هزم منوچهر وحاصره فى طبرستان ثم اصطلحا على أن يكون الحدّ بين المملكتين غلوة سهم يرمى من طبرستان الى الشرق. فجاء ملَك اسمه اسفَندارمَذ وأمر باتخاذ قوس ونشابة على مقدار مثله . ثم أحضر أرِش[٩] ليرمى السهم . فأشهد أرش الناس أنه برىء من العلل، وأخبرهم أن جسمه سيتمزع لشدّة الرمية . ثم رمى فاختطفت الريح النشابة من جبل الرويان فى طبرستان الى أقصى خراسان . ووقع السهم على نهر بلخ وأصاب شجرة جوز كبيرة لم يكن لها نظير . ويقال أن السهم سار ألف فرسخ . وفى روايات أخرى أن السهم طار من الفجر الى الظهر أو الى المغرب وسقط عند مرو . وقيل على نهر جيحون . وقد بقيت ذكرى =

---

(١) كو : من «واتباع» الى «وفى نوبته» . ساقط . (٢) ص ١٠٤ . (٣) فارس نامه ص ١٢ والطبرى : منوشهر . (٤) الطبرى ، ج١ص١٩٥ ، والأشراف ص١٠٩ والآثار الباقية (انظر المقدمة فى علاقة الفرس والعرب) . (٥) الطبرى وفارس نامه والأشراف ص ٢٠٠ (٦) فارس نامه ونزهة ص ٤٦ و٥٣ (٧) يرويها الثعالبي فى الصلح بين أفرسياب وزوّ بن طهماسب الآتى ذكره . انظر الغرر ١٣٣ . (٨) ص ٢٢٠ و ١٠٤ وانظر الغرر للثعالبي ص ١٣٢ (٩) ويقال إيرش وأريش . وفى الطبرى ارشسباطين وهو فى الفهلوية : أريس شيفاتير (أى أريس ذى السهم السريع) أفستا ، ج ٢ص ٩٥

ذكر ولادة زال وابتداء أمره (أ)

قال كان سام بن نريمان بهلوان العالم فى عهد منوجهر. وكان يبتهل الى الله تعالى ويسأله أن يرزقه ولدا يكون قوة لظهره، وقرة لعينه. وكانت له جارية فحملت منه. فلما أخبر بذلك شكر الله تعالى، ولم يزل يعدّ الليالى والأيام، منتظرا طلوع صبح ما ارتجى، وحصول ما أراد وابتغى. فولدت ولدا ذكرا كأنه القمر إضاءة غير أن شعره كان أبيض يشتعل شيبا كرءوس المشايخ الطاعنين فى الأسنان.

= هذه الرمية فى عيد "روزتير" (يوم السهم) فى الثالث عشر من شهرماه. وهى إحدى الرميات التى يفخر بها الفرس. (والثانيـة) رمية وهرز قائد الفرس فى اليمن التى قتلت أمير الحبش هناك. (والثالثة) رمية بهرام كور التى قتلت ملك الترك[1].

أسرة سام بن نريمـان

يذكر فى هذا الفصل جماعة من أبطال الإيرانيين. أولهم فى الشاهنامه سام بن نريمـان، ومن أجل هذا سميتها "أسرة سام". ولهذه الأسرة المكانة الأولى فى أساطير الشاهنامه من لدن منوجهر الى كشتاسب. وذلك زهاء سبعة قرون. وموطنها زابلستان: الاقليم الشرقى من إيران القديمة. وقد نالت من عناية شـعراء الفرس وقصاصهم فى العهـد الاسلامى أوفر نصيب. فنظم فى سـير أبطالها ما لا يقل عن مائة ألف بيت[2]. وقد بلغ من مكانتهم أن سمّى الفرس قوس قزح قوس سام أو قوس رستم. وينتهى نسبهم فى الشاهنامه الى كَرشاسب، وفى "كرشاسب نامه" يذكر أبو كرشاسب واسمه إثرِت. وهو ثريتا المذكور فى الأبستاق والذى تقدّم ذكره فى فصل أفريدون.

وأعظم أبطال هذه الأسرة رستم. وهو ابن زال (دستان) بن سام بن نريمـان بن كرشاسب. ولرستم ثلاثة أبناء: سهراب، وجهانكير، وفرامُرز. وبنتان: بانوكُشاسب أعظم بطلات إيران، وزرْبانو. ولرستم أحفاد أعظمهم برزو الذى نظمت فى سيرته "برزونامه". ولا تعرف الشاهنامه من هؤلاء إلا كرشاسب ونريمان وسام وزال ورُستَم وسُهراب وبانوكُشاسب. =

(أ) يذكر كثيرا فى الشاهنامه وغيرها باسم "زال زر" أى زال الكبير. وفى الفرد: أن معناه الشيخ الكبير بلغة أهل سجستان وزابلستان. أنظر الفرد، ص ٧٠

(١) أنظر أفستا، ج ٢ ص ٩٥ حاشية ٢ (نقلا عن تاريخ ميرخوند) ص ١١٤، وتاريخ طبرستان ص ١٨ — ٢٠، والطبرى ص ٢٩٢ — ١ طبريل (Brill). وفارس نامه.

(٢) أنظر المقدّمة (القصص الفارسى).

فبشر سام بذلك . فلما رآه على تلك الهيئة استقبحه، ونفر عنه طبعه، ورفع رأسه الى السماء وجعل يدعو الله تعالى ويبتهل اليـه ، ويظن أنه لمعاصيه وذنوبه ابتلاه الله[1] فى ولده بتلك الهيئـة القبيحة . وأمر به فأخرج[2] إلى جبل ألبرز، وهو جبل عظيم من جبال[3] الهند . وأصـعد به الى ذلك الجبـل، وترك فى بعض شعفاته وحيدا . وكان على رأس الجبل معشش العنقاء . وكانت تطير فى طلب

= وهذه سلسلة نسبهم كما يؤخذ من الشاهنامه وغيرها[4] :

كَرشاسپ
نَريمان
سام
زال (دَسْتان)

رُسْتم زَوارَه شَغاد

سُهْراب فَرامُرز جِهانكير بانوكُشاسْپ زَرْبانو

بَرزو سام پَشَن

ويلتبس كرشاسب ونريمان وسام بعضهم ببعض فى الأساطير القديمة ، وذلك أننا نجد فى الأبستاق : "نعبد الأرواح الطيبة القوية الخيرة، أرواح المؤمن التى تحرس جثة كرساسپه بن ساما حامل المقمعة". وفى موضع آخر" نعبد روح كِرساسپه المقدس الساما حامل المقمعة"[5] . فكرساسپه هو ابن ساما، ويلقب كذلك ساما أى المنتسب الى ساما . وقد تقدّم أن ساما لقب ثريتا[6] . ويلقب كرساسـپه " نرمانو[7] " أيضا . فكأن هـذه الأسماء والألقاب التبست وعدّت أسماء أناس مختلفة . فكرساسپه صار ثلاثة : كرشاسب ونريمان وسام. ثم قيل سام بن نريمان بن كرشاسب . ويؤيد هذا أن كرساسپه يوصف فى الأبستاق بأنه حامل المقمعة . وهذا أبين أوصاف سام فى الشاهنامه . والمقمعة ميراث تحرص عليه أسرة سام فقد ورثه زال عن أبيه ثم أعطاه لابنه رستم حين رشحه لقيادة الجند=

---

(١) ك طا : تعالى . (٢) ك طا : حتى أخرج . (٣) كو : متصل بأرض الهند . (٤) أنظر مول (Mohl) : المقدمة ص (LVIII) وما بعدها ونولدكه (الحماسة الايرانية) (Das Iranische Nationalepos) : الترجمة الانكليزية ص ١٦ وما بعدها . (٥) أنظر أفستا ، ج ١ ص ١٩٥ و ٢٢٣ (٦) انظر مقدمة فصل أفريدون — (٧) ورنر (Warner) ج ١ ص ١٧٢

الرزق لأفراخها ، فرأت ذلك الصبي فى مثـل ذلك الموضع . فألقى الله تعالى فى قلبها محبة منه فجاءته ورفرفت بجناحها عليــه ، ثم حملته وحلقت به الى رأس الجبـل ، ووضعته بين أفراخها . فكانت[1] تربيه مع أولادها حتى طالت عليــه المدّة فى قلة ذلك الجبل، وترعرع بين أفراخ العنقاء . وكانت القوافل تعبر تحت ذلك الجبــل فوقعت أبصارهم على مولود إنسى بين أفراخ العنقاء فى شعفة الجبـل

= فى عهد الملك نوذر — كما يأتى — ودليل آخر : أن كرساسپه يفخر بقتل تنّين فظيع، وأنه الذى يقتل أزى دهاكه (التنين)[2] بعدُ . ونحن نجد فى الشاهنامه وغيرها[3] أن قتل تنّين نهر كشف من أعظم مآثر سام، فهذا يرجح أن كرساسپه وساما رجل واحد .

ولا يذكر زال ورستم فى الأبستاق . ويظن سبيجل أنهما كانا معروفين حين أُلّفت الأبستاق ولكن رجال الدين كرهوا ذكرهما . ويقول نولدكه : لو كان الأمر كذلك لذكرا فى عداد الأشرار . ولعل انتسابهما الى زابلستان البعيدة عن موطن الأبستاق جعلهما مجهولين فيها[4] .

وأما الشاهنامه فلا تعنى كثيرا بكرشاسب ونريمان . وسام يذكر فى عهد منوچهر ويموت فى عهد خلفه نوذر، ورستم يبقى الى أيام كشتاسب فيعيش زهاء أربعمائة سنة . ويبقى زال بعد موت ابنه رستم .

ورستم[5] أبعدهم صيتا وأبقاهم ذكرا . ومآثره ملء القصص الفـارسى ، واسمه مردّد فى الشــعر القــديم والحديث . ويفضل آباءه بمآثره العظيمة التى فى الشاهنامه، ومنهـا تخليص الملك كيكاوس من أسر ملك هاماوران — كما يأتى — وقد جزاه الملك بأن حرره من العبودية، وفى فارس نامه[6] التحرير الذى كتب لرستم : باسم الخالق العدل المقيت . هذا تحرير كيكاوس بن كيقباد لرستم بن دستان ، أنى حررتك من العبودية . ومنحتك مملكة سيستان وزاوُلستان . فلا تقرّ بالعبودية لأحد ، وأحسن رعاية هــذه الولاية التى ملكتك عليها . واجلس على تخت مذهب . وضع على رأسك قلنسوة مذهبة بدل التاج حين تكون فى ولايتك . حتى يعلم الناس كيف تحلو ثمرة الخدمة والوفاء، وكيف نعرف حق عبيدنا الأوفياء .

وقد عرف رستم فى الآداب العربية منذ الجاهلية . ففى سيرة ابن[7] هشام أن النضر بن الحـارث كان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسفَنديار . فكان اذا جلس =

(١) ك، كو طا : وكانت . (٢) ورنر (Warner) ج ١ ص ١٧٢ (٣) أنظر تاريخ طبرستان ص ٤١
(٤) نولدكه : (الحماسة الإيرانية) ص ١٦ وما بعدها . (٥) أصل اسمه روتَستَهم ، وحرف الى رستَم أو رستُم بفتح التاء وضمها . وقد عرفت هذه الصيغة فى القرن السابع الميلادى . وبقيت آثار الصيغة الأولى فى «روستم» و «رستهم» اللتين تذكران فى الشاهنامه أحيانا وفى غيرها (نولدكه ص ٢٠) . (٦) ص ٤٣ (٧) ص ٢٧٢ ط القاهرة سنة ١٣٢٩ ﻫ .

فقضوا العجب من ذلك وتحدثوا به . حتى بلغ الخبر إلى سام . ورأى هو أيضا فى منامه ليلة كأن رسولا جاء[1] على فرس كالبرق الخاطف فأعلمه أن ولده على بعض الجبال فانتبه وأحضر الحكماء والمعبرين وسألهم عن حال رؤياه . فعبروها على أن الله تعالى لما رأى جفاءك على ولدك حين أبعدته ونفيته وطرحته على بعض الجبال وحيدا فريدا تعطف برحمته عليه فرباه ووقاه، وهو حىّ يرزق . فتوجه

= رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا خلفه فى مجلسه . ثم قال: أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثا منه . فهلم إلىّ فأنا أحدثكم أحسن من حديثه . ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار .

ونجد طاهر بن الحسين قائد المأمون ينسب الى رستم بن دستان الشديد[2] . وقد أشار الى رستم بعض الشعراء كقول البحترى فى وصف فرس :

واف الضلوع يشدّ عقد حزامه ... يوم اللقاء على مُعِمٍّ مخول

أخواله للرستمين بفارس ... وجدوده للتبعين بموكل

وقد بقيت ذكرى رستم فى آثار وأساطير وأغانى متداولة فى إيران وغيرها . ففى سجستان آثار يزعم الناس أنها كانت مربط فرس رستم . وقد أخبر بهذا المؤرخون القدماء . فالهمذانى يقول أن آثار هذا المربط فى القرنين من أعمال سجستان . ويقول ياقوت فى مدينة روست[3] . وفى وادى شوشان حيث يجرى نهر قارون قلعتان: قلعة رستم وقلعة دختر أى قلعة البنت يتحدث الناس عنهما أحاديث مقرونة بذكرى رستم[4] . ويروى كذلك أن رستم بنى مدينتى كابل وغزنه، كما بنى أحد أمراء جدّه نريمان مدينة هراة . ويقال أن أهل كشمير يغنون فى أعراسهم أغنية يزعمون أن أم رستم تغنت بها حين ذهب ابنها الى مازندران لإنجاد الملك كيكاوس . ويروى فى كشمير كذلك قصة عجيبة عن رستم وعلى بن أبى طالب . خلاصتها أن الرسول عليه السلام قال لعلى يوما وقد أعجبه غناؤه فى الحرب : لقد قاتلت قتال رستم . فتشوف علىّ الى معرفة رستم فدعا الرسول — وعلىّ لايعلم — أن يبعث الله رستم . ثم تلاقى علىّ ورستم فى شعب ضيق لا يتسع لراكبين . فسلم رستم ولم يرد علىّ السلام . ولم يكن بد من رجوع واحد منهما القهقرى حتى يجتاز الآخر . ولكن رستم رفع عليا وفرسه ووضعهما خلفه ومضى كل فى طريقه . فلما لقى على الرسول صلوات الله عليه أخبره بما رأى . ثم مر علىّ بعد أيام قليلة برستم قاعدا وفرسه يرعى حوله . فسلم رستم ولم يجب علىّ . وسأله رستم أن يحضر اليه مخلاة فرسه وكانت على مقربة منه . فلم يستطع علىّ حملها إلا بجهد . فقال فى نفسه ماعسى أن تكون قوة الفرس =

(١) ك، طا : جاءه . (٢) الاشراف ص ٣٤٧ (٣) انظر كتاب البلدان ص ٢٠٨ ومعجم البلدان (سجستان) . (٤ و ٥) (Asiatic . Papers) ص ١٠ و ١٠٨

الى الجبل وتضرع الى الله وتب اليه فانه يردّ عليك ولدك . ففعل ذلك واقبل الى تلك الجبال يدور في مخارمها وشعابها وحيدا ، ويبكي[1] و يتضرع الى الله ويسأله أن يرد عليه ابنه . قال: فألهم الله العنقاء أنه إنما يدور فى هذه المخارم والشعاب لطلب ولده ذلك . فحلقت نحوه، وكانت سمته "دستان"، وقالت: ان أباك قد جاء. وهو يدور فى هذه الجبال محترق القلب، منسكب الدمع عليك. وقد ربيتك

= وفارسه ؟ فلما أخبر علىّ الرسول بما رأى قال الرسول : ذاك رستم . دعوت الله أن يبعثه لتراه . ولامه على أن لم يرد تحيته وقال: لو أحسنت لقاءه لسألت الله أن يطيل حياته ولكان لك في حربك عضدا.[2]

العنقــاء :

يرى القارئ فى هذا الفصل مافعلت العنقاء بزال بن سام . وسيرى بعدُ كيف تعين رستم فى حرب اسفنديار[3] . والعنقاء ترجمة " سيمرغ " فى الشاهنامه . وهو أحد الطير الخرافيــة التى يكثر ذكرها فى الأساطير الايرانية الدينية والتاريخية . وكلمة سيمرغ تجانس (سه مرغ) أى ثلاثة طيور و"سى مرغ" أى ثلاثين طائرا . وقد استعان فريد الدين العطار بهذا الجناس الأخير فى كتابه "منطق الطير" فأبدع أيما إبداع . و يرجح أن اللفظ مركب من " سه مرغ " أو متوهم فيه هــذا التركيب . فإنه يذكر فى بُندَهِش باسم الرخم ذى ثلاث الطبائع . وفى بندهش أن نوعين من الطير لهما لبن ترضع به فراخها : الرخم والخفاش الذى يطير بالليل، فالخفاش مخلوق من أجناس ثلاثة : الكلب والطير، وفأرة المسك لأنه يطير، وله أسنان كثيرة كالكلب، ويتخذ جحرا كفأرة المسك[4] .

وقد تطورت به الأساطير أطوارا وذكر بأسماء مختلفة . ففى الأبستاق يذكر باسم سئينا .

ومسكن السيمرغ على الشجرة التى تقى كل البذور وهى فى المحيط الواســع على مقربة من شجرة الخلد . تجتمع عليها البذور التى أنتجتها النباتات كلها طول الســنة . واذا طار السيمرغ نبت ألف عسلوج فى هذه الشجرة واذا وقع كسر هذه العساليج ونثر بذورها . فيأتى طائرا آخر اسمه "چمرُش" يعشش فى قمــة جبل ألبرز ويحمى إيران من غارات الأعداء . فيلتقط البذور ويحملها الى المــاء الذى يأخذه تِشتَر (ملَك المطر) فيقع البذر مواقع المطر فى الأرجاء كلها . =

(١) ك طا : يبكى . (٢) (Asi. Papers :) ص ١٠ و ١٠٨ (٣) أنظر فصل كتاب الآتى .

(٤) ورنر (Warner) ج ١ ص ٢٥٣

مثل أفراخى، وأنت أعز علىّ من روحى. وأرى لك أن أحملك بين جناحىّ الى أبيك. فانك ستصير ملكا من الملوك، و يعظم شأنك بين الخلق. وأنا أعطيك من جناحى ريشة. فاذا حزبك أمر مهم فأحرقها فإنى سأحضر للوقت وأقضى حاجتك. فحملته وحلقت به ثم رفرفت حوالى سام، ووضعته بين يديه. فرأى شخصا قد أفرغ فى قالب الجمال، رشيق القدّ كالغصن المـائل، صبيح الوجه كالبدر

= وقد صار السيمرغ بعدُ مثال الحكمة العليا. وقد اتخذه بعض الصوفية رمزا للحق تعالى.

وللطير فى دين الايرانيين وأساطيرهم مكانة. فالطائر كِرِسپتا الذى يقرأ الأبستاق بلغة الطير قد أدخل الدين الى البناء الذى أوى اليه جمشيد — كما تقدّم — و" هُما " عندهم طائر اذا وقع ظله على إنسان صار ملكا. وفى الأبستاق أوصاف عجيبة للطائر قارِنغنا. والسهم الذى رمى به أرش فطار من الفجر الى المغرب قد ريش بريش عقاب.

ثم تأثير ريشة العنقاء لها أصل فى الأبستاق. فهناك يسأل زرَتُشترا أهُرا مَزدا كيف يرد عن نفسه لعنة أعدائه، و يبطل سحرهم. فيجيبه أن خذ ريشة من قارِنغنا وادلك بها جسدك، ورد اللعنة الى أعدائك. و يعلمه أهُرا مَزدا أن الذى يحمل عظمة من عظام هذا الطائر القوى لا يقهره أحد. ومن يحمل ريشة منه يرعد لهيبته الناس جميعا الخ. وسيرى القارئ فيما يأتى أثر ريشة العنقاء فى حرب رستم واسفَنديار.

واعتبر هذا بما فى القاموس المحيط (مادة : رخم) من فوائد مرارة الرخم ولحمه وزبله، وأن وضع ريشة من أيمنها بين رجلى المرأة يسهل ولادها.

ثم عهد منوچهر فى الشاهنامه ألفان وثلاثون بيتا فيها الأقسام الآتية. وما بين القوسين محذوف من الترجمة :

(١) منوچهر : ملكه ١٢٠ سنة. (٢) مقال فى ولادة زال. (٣) رؤيا سام حال ابنه. (٤) اطلاع منوچهر على أمر سام وزال زر. (٥) رجوع سام الى زابلستان. (٦) إعطاء سام الملك لزال. (٧) مجىء زال الى مهراب الكابلى. (٨) مشاورة روذابه جواريها. (٩) ذهاب جوارى روذابه لرؤية زال زر. (١٠) رجوع الجوارى الى روذابه. (١١) ذهاب زال الى روذابه. (١٢) مشاورة زال الموبذان فى أمر روذابه. (١٣) كتابة زال الى سام والإبانة عن حاله. (١٤) مشاورة سام الموبذان فى أمر زال. (١٥) اطلاع سين دُخت على أمر روذابه. (١٦) اطلاع مهراب على أمر ابنته. (١٧) معرفة منوچهر حال زال وروذابه. (١٨) مجىء سام الى منوچهر. (١٩) ذهاب سام لحرب مهراب. (٢٠) ذهاب زال رسولا الى منوچهر. (٢١) غضب مهراب على سين دخت. (٢٢) سام يحسن الى سين دُخت. (٢٣) مجىء زال بكتاب سام الى منوچهر. =

الكامل. فخر ساجدا لله تعالى يعفر وجهه فى التراب، و يشكره على ما أكرمه به من ردّ ولده وقرة عينه عليه . وعاهد الله تعالى وأشهده على نفسه ألا يوحش بعد ذلك قلبه، ولا يضيق صدره . وأطلق لسانه بالثناء على العنقاء لحسن صنيعها مع ولده . ثم انحدر به من ذلك الجبل كالليث المشبل . وكساه قباء فكان ملأه رونقا وبهاء وعزا وسناء . فلما رأى العسكر ساما قد أسهل مع ابنه دستان رفعوا أصواتهم بالبشارات، وكاد الطرب يسلب عقولهم(١)، وأقبلوا راجعين الى المدينة بالدبادب والبشائر . فاستفاضت بذلك الأخبار حتى بلغ الخبر الى حضرة منوجهر . فأنفذ ابنه نوذر الى سام للتهنئة بما يسر الله له من رجوع ولده اليه . وأمره بالركوب مع دستان الى الحضرة فى أسرع زمان، وأقرب أوان . فلما وصل نوذر الى سام(٢) خرج مبادرا وخيم بظاهر البلد فنجز أموره، ورتب أسبابه، ونهض مع دستان متوجها نحو الحضرة . فلم يزل يصل السير بالسرى حتى وصل الى مستقر سرير السلطنة . فخرج منوجهر لاستقباله فى مواكب جنوده، تحت أعلامه وبنوده . فلما رأى سام دِرَفْشه الميمون، ولواءه المنصور ترجل إجلالا، وقبل الأرض إعظاما وإكبارا . فأوسعه الملك برا وإلطافا، وأمره بالركوب. فسارا الى دار المملكة، وجلس على سرير الذهب، وأجلسه عن يمينه، وأجلس قارن عن يساره . وأمر الحاجب الكبير بإحضار دستان. فخرج وأخذ بيد دستان وأدخله على الملك مشدود الخصر بمنطقة مرصعة باليواقيت، معصوب الرأس بإكليل من الذهب، على كاهله جرز كقطعة من الجبل . وكأنه يحكى بذلك(٣) الرأس الأبيض والوجه الأزهر، تحت إكليل الذهب الاحمر، صورة القمر بعد التسع والخمس، متوجا بعين الشمس . فملأ عين الملك بشكله وشمائله، وما لاح فيه من أمارات العز ومخايله . ففرح بلقائه وشكر الله تعالى على ما رزقه من الاكتحال بوجهه، والاستظهار به ليومه وغده، وقربه من بساطه ومسح عينه ووجهه بيده . ثم أقبل على سام واستخبره عن أحواله وكيفية استنزاله من معشش العنقاء وشعفات تلك الجبال . فسرد لديه حكايته

= (٢٤) امتحان الموبذان زالا . (٢٥) إجابة زال الموبذان. (٢٦) زال يظهر مزاياه أمام منوچهر. (٢٧) جواب منوچهر الى سام . (٢٨) وصول زال الى سام . (٢٩) مقال فى مولد رستم . (٣٠) مجىء سام لرؤية رستم . [(٣١) قتل رستم الفيل الأبيض . (٣٢) ذهاب رستم الى الجبل الأبيض . (٣٣) كتاب الفتح من رستم الى زال . (٣٤) كتاب زال الى سام] . (٣٥) نصح منوچهر أولاده .

(١) ك طا : و ينهب قلوبهم . (٢) كو : كان أول نظره فى الكتاب وآخره الى الركاب مركب وخرج . (٣) طا : بذاك .

من أول ميـلاده الى يومه ذلك . فلمـا سمع الملك ذلك أمر بإحضار المنجمين وسايلهم عن طالع دستان وما قدّر الله له من المقامات ، وكتب على يده من الوقائع . فنظروا فى ذلك وتدبروا ثم جاءوا الى الملك مبشرين بسعادة طالعه ، ويمن نقيبته . فسر الملك بذلك وأمر لهم بـ‍ـل عظيم . ثم قال اسام : هذا وديعتى عندك ، وهو علىّ أعز من إحدى عينى . وشرط عليه أن يعلمه بمكارم[١] الأخلاق وآداب الملوك ومراسمهم فى حالتى الحل والترحال ، والسلم والقتال . ثم أمر له بخلعـة راقت العيون وشرحت الصدور ، من الدبابيج[٢] المنسوجة بالذهب والمرصعة بالجواهر الثمينة ، بأطباق[٣] من اليواقيت واللآلئ ، وعدد من الخيول العتاق ، وجماعة من روقة الغلمان الرشاق . وعقـد له لواء عظيما ، ووقع له بجميع ممالك الهنـد والسند وما والاهما من المـالك . فتوجه الى تلك الولايات فى مواكب العز والإقبال ، وكواكب المجد والجلال . فاستقرّ[٤] بها على سرير الملك ينهى ويأمر حتى استنهضه الملك فى بعض المهمات السانحة ، وهو استخلاص مملكة مازندران التى استولى عليها بعض العتاة المعاندين ، والعداة المـارقين . فدعا بابنـه دستان واستنابه فى مملكته ، وأمر أركان دولتـه وأعيان حضرته ، بالتوفر على خدمته ، وإقامة مراسم طاعته . وأمر الوزراء والنصحاء ومن ندبهم لمنادمتـه ومجالسته من الكفاة الأذكياء ، والعلماء الأتقياء ، بتحريضه على مكارم السير ، وتأديبه بمحاسن الشيم . ثم أذن له فى الطرد والصيد متوجها حيثما[٥] أراد من أطراف المملكة . فودّعه وانحدر على مقتضى الامتثال الى أرض مازندران لمـا ندب له من استخلاص تلك الممالك وقتال من استولى عليها من المخالفين المعاندين .

قصة دستان وبنت مهراب

قال فقعد دستان مقعد أبيـه ينهى ويأمر ، ويورد ويصدر . ثم إنه نهض متصيدا الى قرب أراضى كابل . وكان لتلك البلاد ملك يسمى مهراب . فلما سمع بقرب دستان منه ركب الى حضرته للخدمة ، واستصحب من طرائف الجواهر ونفائس ما يليق أن يتحف به مثـله من الملوك . فقبله دستان أحسن قبول ، وقابله بأتم إحسان وإكرام . وكان مهراب ذا صورة عجيبة تستوقف الألحاظ وتستتبع الأحداق ، من شطاط قامة ، وحسن وجه ، ولين معطف ، وأبهـة جلالة ، وطراوة منظر ، وعذوبة منطق . فلما قام من حضرة دستان وخرج أقبل على أصحابه وندمائه ، وقال ما أحسن هـذا الشاب[٦] . وإنه قد ملأ قلبى بمحاسنه وشمائله ، وكأنه ما ولد قط مثله . فلم يزل يكرر هذا الكلام ونحوه

(١) ك ، كو ، طا : مكارم . (٢) أصل : " الديباج " والتصحيح من ك كو ، طا . (٣) ك : وباطباق .
(٤) ك : واستقر . (٥) فى الأصل : حيث ما . (٦) كو : و(لا) .

حتى قال له بعض الندماء إن له وراء حجابه بنتا كالشمس الطالعة . وقد[1] خلقت من طينة الجمال، وأفرغت فى قالب الكمال .

بيضاء تسحب من قيام فرعها ... وتغيب فيه وهو وحف أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع ... وكأنه ليل عليها مظلم

فاستهام بها دستان ، وشغفه حبها حتى ملك الغرام عنان قلبه، واستلبه زمام عقله . وجعل يتجلد ويخفى ما يجن ويضمر . فأبت لواعج همومه إلا الاشتعال، وسوابق عبراته إلا الانهمال . نعم ولما أصبح مهراب جاء الى باب سرادقه للخدمة . فبادر الحجاب ورفعوا دونه الحجب حتى دخل على دستان . فتهلل فى وجهه، وتلقاه بأريحيته، ولاطفه فى الكلام، وأمر برفع حوائجه، ووعده بإنجاح مطالبه، وإنجاز مآربه . فقال مهراب : إن حاجتى أن يتجشم الملك حضور منزلى لينوره بإشراق طلعته مشرفا عبده بذلك . فقال : أما هذا فلا سبيل اليه بدون أمر الملك سام . واعتذر اليه، وخلع عليه . ورده الى داره على جملة تسر قلوب مواليه، وتسخن عيون أعاديه . فلما عاد مهراب الى داره سايلته زوجته عن دستان وصورته وشكله وحاله بمحضر من ابنته ، وكانت تسمى روذابه (ا) فطفق مهراب يصفه ويذكر ما أعطاه الله[2] من الصورة الجميلة والشمائل المعسولة ، والمنظر البهى، والرواء الأنيق . وقال : غير أن رأسه أبيض كالكافور، يرف شعره واردا على عارضيه كأوراق الأقحوان ، على شقائق النعمان . فكأنه لا يصلح لحمرة وجهه، غير[3] بياض شعره ، ولا لبياض شعره غير حمرة خده . فجعلت روذابه تسمع ذلك بمجامع قلبها حتى أثرت تلك الصفة فيها فتغير وجهها، واصفر لونها . وما أحسن ما قال بعض الحكماء: لا تصفوا محاسن الرجال، لربات الحجال . فانها تعلق بقلوبهن، وتأخذ من نفوسهن، وتفتح عليها مكامن الشيطان ، فلا يكون للعقل بمقابلتها يدان . فعشقته روذابه ، وحالفتها الأشجان حتى ملك الهوى عنان اختيارها، وجمعها بنومها وقرارها . ولما عادت الى بيتها ضاقت ذرعا عن كتمان سرها . وكان لها خمس جوار يخدمنها ويحضنها مختصات بها . فأفضت اليهن بمكنون سرها ، ومخزون أمرها . وأخبرتهن بما تقاسيه من لواعج الحزن، ولوافح الحب . فانكرن ذلك عليها، وأطلقن ألسنتهن بالتوبيخ والتعنيف[4]، وأخذن يخوفنها سطوة مهراب ، ويذكرن لها شدة غيرته على الحرم . فخنقتها العبرات ، وتصعدت من صدرها الزفرات . ثم أقبلت عليهن وقالت قد فنى منى الاصطبار، وخرج من يدى الاختيار .

(ا) فى الغرر : "روذاوذ" .

(١) كو، طا : و(لا) . (٢) كو . طا، لك : تعالى . (٣) لك : إلا . (٤) لك : والتعنيف لها . كو : [بتوبيخها وتعنيفها .

لم يُبق لى الشوق لا صبرا ولا جلدا فليصبرن خلٌ يملك الجَلدا [1]

فصارت لا تستأنس إلا بوصفه ، ولا تستريح [2] إلا الى ذكره . فلما أبصرن ذلك طفقن يعللن قلبها ويقلن [3] : إنا سنتدبر [4] فى شأنك وسنجمع بينه وبينك . وكان معسكر دستان قريبا من قصرها . فلبسن وشائع الحلل ، وتبرجن للألحاظ والمقل . وأخذت كل واحدة منهن على يدها طبقا من ذهب ، وصرن الى بستان قريب منه على شط نهر، وجعلن يجتنين الورد والياسمين وأنواع الرياحين، وينضدن ما يجتنينه على الأطباق . وذلك بمرأى من دستان . فأبصرهن من تحت السرادق وسايل عنهن . فقيل وصائف خرجن من قصر مهراب الى هذا البستان، يجتنين الورد والريحان . فدعا بالقوس والنشاب وقام يتمشى بين تلك الرياض، ومعه جماعة من صغار الغلمان الحصارية (ا) فلما قرب من الماء أزعج طيرا ورماه بنشابة فوقع الطير الى ذلك الجانب من الماء، بين أشجار الورد والياسمين، عند الجوارى المذكورات . فأمر بعض الغلمان بالعبور الى ذلك الجانب وأخذ الطير . فلما عبر الغلام الى البستان سايلته إحداهن عن الشاب . فقال الوصيف : هذا [5] ابن ملك الهند، وهو كما ترين يروق العيون جمالا، ويملأ القلوب كمالا . وطالت مسارتهما . فضحكت الجارية وقالت للغلام : إن وراءنا فى الحجاب سيدة كالقمر [6] ليلة التمام . وأخذت تصف صاحبتها له وهو يصغى الى ذلك . ثم رجع بالطير الى صاحبه فسايله عن الجارية وعما حاورته فيه . فسرد عليه ما جرى بينهما . فسر بذلك حتى توردت صفحات وجنته، وتهللت أسارير جبهته . ثم رد الغلام الى الجارية وأمرها ألا تبرح من البستان إلا بإذن الملك . ودعا الخازن وأمره فأحضر قطعا من الجواهر النفيسة فأنفذها على يد ذلك الغلام الى الجارية، وأمرها أن تحملها [7] الى صاحبتها، وبأن لا تبرح من مكانها حتى يحملها رسالة اليها . فقالت الجارية : إن كان للملك رسالة فلا يسمعنها غيرى . فان السر اذا جاوز اثنين [8] لا يبقى مكتوما ، وكان بالإذاعة قمينا . فتجشم الملك النهوض الى البستان، وخلا بتلك الجارية وباح اليها بمكنون سره، وأخبرها بما انطوى عليه قلبه من حب صاحبتها . ثم رجعت الوصائف الخمس الى القصر، وبشرت تلك الجارية سيدتها بأن قلب الملك هائم بها، وأن وجده بها فوق وجدها به . وقدمن الجواهر التى أنفذها بين يديها . ففرحت بذلك وسرى عنها بعض همومها . ثم ترددت

(ا) فى الشاه . ومعه عبد .

(١) ك طا : الجلد . (٢) ك كو ، طا : وتستروح . (٣) ، كو ، ك طا : ويقلن لها . (٤) ك : ستدبر . (٥) كو . طا ، ك : هو . (٦) طا : كأنها القمر . (٧) ك طا : بحملها . (٨) ك ، كو ، طا : الاثنين .

الجارية بين المتعاشقين حتى تواعدا على الاجتماع . فلما جنّ الليل جاء دستان ووقف عند أصل القصر . وأشرفت عليه روذابه من بعض شرفاته . قال ، والعهدة عليه : فسدلت قرونها وأشارت الى أن يتعلق بها ويصعد . فامتنع من ذلك وقبل تلك الضفائر المسكة ، وعلق الوهق[1] ، وصعد فى أسرع من رجع الطرف . فاجتمعت الشمس والقمر ، وطال بينهما الحديث والسمر ، وباتا يتشاكيان حرّ الاشتياق ، ويتفاوضان ذكر الفراق ، فى مجلس فرش بالديباج والحرير ، ونضد بالمسك والعبير . فكانا كما قال الشاعر :

بتنا ضجيعين فى ثوبى هوى وتقى   يلفنا الشوق من فرع الى قدم
وبيننا عفة بايعتها بيدى   على الوفاء بها والرعى للذمم
وأكتم الصبح عنها وهى غافلة   حتى تكلم عصفور على علم

فلما نفحت نسايم السحر ، وتشعشعت تباشير الصبح ، وغردت سواجع الأطيار ، فى عذبات الغصون والأشجار ، قام دستان فودعها فتعانقا وتحالفا على ألا يقرب كل واحد منهما غير صاحبه حتى يجمع الله بينهما بالنكاح . فافترقا على ذلك وجاء[2] الى مخيمه . فلما طلعت الشمس جمع الوزراء والأمراء ، وشاورهم ، وأعلمهم بأنه يريد أن يتزوج بابنة مهراب . فقالوا إنه من أولاد الضحاك . ولا يخفى عليك ما بين البيتين من العداوة والشحناء . ولا يرضى أبوك سام ولا الملك منوجهر ، بأن يجرى بينكما امتزاج واتشاج . وإن سمعا بميلك الى هذه المصاهرة احتدما غيظا ، وصعب استرضاؤهما ، وتعذر استعطافهما . فلما سمع ذلك أطرق محزونا مكتئبا . ثم أقبل عليهم وقال : لا بد من إعمال الفكر فى ذلك بما يفضى الى حصول هذا المقصود . فأشاروا عليه بأن يكتب الى أبيه ويتضرع اليه ، ويعرض ما بلى به من العشق عليه . فلعله يرق قلبه ويتشفع الى الملك ويتوسل اليه بذرائع عبوديته ، وشوافع خدمته ، ويسأله إذنه فى مصاهرته تلك . فاستصوب هذا الرأى فأحضر الكاتب وأمره أن يضمخ كافور القرطاس بمسك الأنفاس ، ويكتب الى حضرة ذلك الهزبر المصور كتابا يفتتحه بالثناء على الله خالق الأمم ، وبارئ النسم . ثم يثنى بالدعاء بثبات دوحة الجلال ، وجرثومة الإقبال ، ليث الحفاظ ، وغيث النوال ، مفخر السيوف والأرماح ، وفاجع الأشباح بالأرواح . ثم يثلث[3] بما بلى به قرة عينه ، وفلذة كبده من شغفه بالمخدرة العربية . ثم يذكره[4] العهود التى أبرمها يوم استنزاله من معشش العنقاء فى إيثار ما يعود بطيب قلبه ، ويقضى بخفض عيشه . ثم يستأذنه ، بعد الإطناب والإسهاب فى معنى خلوص عبوديته ، ونصوع طاعته ، فى المصاهرة المذكورة ، والمواصلة

(١) كو : الوهق فى بعض الشرفات .   (٢) كو : جاء دستان .   (٣) ك ، كوطا : بدل ما بلى .
(٤) ك : يذكر .

المطلوبة . فكتب على تلك الجملة كتابا وختمه بالمسك ، وطير به راكبا الى مازندران الى حضرة سام[1] . فلما وصل الرسول أخبر سام بمقدمه فقربه من بساطه، فأوصل اليه الكتاب بعد تقبيل التراب ، وإقامة شرائط الخدمة . ففض ختامه وقرأه ، فأخذه الوجوم ، وتناوشته الهموم . ثم أخذ يفكر فى السبيل الموصل الى ما خامر قلب ابنه من مواصلة آل الضحاك ومصاهرتهم. ورأى أن ذلك مما لا يرتضيه الملك منوجهر . فأحضر المنجمين والحكماء وشاورهم فيما هجس فى ضمير ولده من ذلك، وأنه كيف يجوز الحزم التغافل والتغابى عن الحقود الدفينة، والحسائك القديمة . وقال لهم : تدبروا فى ذلك الأمر، واستدلوا بطالعيهما على ما فيه من الخير والشر، واستعينوا على ذلك ببصيرة العقل وقوة الفهم، واستشفوا ستر العواقب ، وطالعوا مرآة الغيب بالآراء الثواقب . ثم أعلمونى نتيجة ذلك . وأذن لهم فقاموا والتجئوا الى الزيجات والتقاويم ، وتشمروا للنظر السديد والرأى القويم . حتى وقفوا على الأمر المكنون، والسر المخزون . ثم جاءوا الى باب الملك مبشرين بسعادات دلت المخايل على ظهورها، وآذنت تباشيرها بطلوعها . وأخبروه أن الله[2] أجرى قلم التقدير فى اللوح المحفوظ باقتران السعدين ، واجتماع النيرين بتواصل البيتين ، وأنه يولد بينهما ولد يملأ الدنيا مهابة وقهرا، وشهامة وفخرا، ويرفع تاج السلطان، الى أوج الكيوان[3] . ويطهر بساط الأرض عن[4] أهل البغى والطغيان، وتشتعل به نار ملوك الفرس حتى تمد باعها الى ذروة السماك، ويضرب لهم رواق المجد على مفرق الأفلاك . فلما سمع سام ذلك من المنجمين أخذته أريحية الطرب ، وتمشت فى رأسه نشوة الفرح . فأفاض[5] على أعطافهم الخلع الرائقة وأجزل لهم الأعطية والمنح الوافرة . ثم دعا برسول ولده دستان وأمره[6] بالرجوع إليه . ورد اليه[7] ، أنا نتوصل الى قضاء حوائجك ، ونسعى فى إنجاح مطالبك . ونهض[8] الى حضرة السلطان لاستئذانه فى إنشاء هذه المصاهرة ، وتجيز هذه المواصلة . وأمر بأن ينادى فى العسكر بالرحيل والتوجه الى مستقر سرير الملك، بعد ما كفاه الله تعالى ما اهتم به من[9] العدو، وأنعم عليه بالظفر والنصر والنجاح والفوز .

ذكر انكشاف حال روذابه عند[10] أمها وأبيها واطلاعهما على ذلك

قال : فرجع الرسول الى حضرة دستان ، وأعلمه أن أباه[11] تقبل له بإنجاح المأمول ، وإطلاب[12] المقصود . فدعا بعجوز كانت تتردد بينه وبين روذابه ، وأنفذها اليها وأصحبها

(١) ك طا : الى حضرة سام الى ما زندران . (٢) ك، كو طا : تعالى . (٣) ك : كيوان .
(٤) ك : من . (٥) ك، كو طا : وأفاض . (٦) كو : وأمره بالانصراف وكان من جوابه اننا الخ .
(٧) ك : عليه . (٨) ك، كو طا : ونهض. (٩) ك، كو طا : من أمر . (١٠) كو : عند والديها وما يعقب ذلك من أمرها . (١١) ك : بأن . (١٢) ك : طلاب .

الرسالة التى عاد بها الرسول من عند أبيه . فدخلت عليها و بشرتها بذلك . فتخايلت من الفرح وتهللت من المرح، فأمرت[(١)] لها بخلعة من القصب منسوجة بالذهب . فلما خرجت من عندها رأتها « سين دُخت[(٢)] » أم روذابه . فاستترابت بها، وأمرت بالقبض عليها ، واستكشافها عما وراءها . ففزعت العجوز وتعلقت بأذيال الأكاذيب، وتمسكت بأهداب المخاريق . فما وقع ماذكرته عندها موقع القبول . وأمرت بتفتيش ما اشتمل عليه إزارها . فعثروا على تلك الخلعة الفاخرة . فشددت حينئذ على الخبيثة الفاجرة ، وأغلقت جميع الأبواب ، وطفقت تلطم الورد بالعناب ، وتفض من النرجسين[(٣)] عقود اللؤلؤ المذاب . ودخلت على بنتها وأخذت تخاطبها بلسان اللوم والتعنيف والعذل والتوبيخ على طرحها قناع الحياء، وتدرعها ملابس الفحشاء . وتؤاخذها بإلباس العجوز الشوهاء ملابس الخريدة العذراء . فما أجابتها إلا بالإطراق ورمى الأرض بالأحداق . فلما طالت مطالبتها لها باظهار حالها و إعلان سرها تنفست الصعداء، وأسبلت من محاجرها الدماء ، وفضت ختام سرها وذكرت لها شغفها بابن الملك ، واجتماعهما فى تلك الليلة، وما جرى بينهما من المعاهدة والمحالفة على الازدواج والامتزاج والأخذ فيما يفضى اليه من السعى البليغ والجهد الأكيد . وأخبرتها بأنه قد كتب فى المعنى الى أبيه سام ، وأنه رد اليه فى جواب كتابه أنى أنهض الى حضرة الملك منوجهر وأستأذنه فى ذلك توخيا لما يرتضيه ، وانقيادا لما يبتغيه . فلما سمعت ذلك سين دخت خفضت من غلوائها قليلا، وكفكفت من طغيانها حتى عاد حده كليلا لميلها الى مصاهرة ابن الملك والاتصال به رغبة فيه لمكانه وعلو شأنه . ثم اعتذرت الى تلك العجوز وطيبت قلبها ، وأمرتها بإسبال الستر على ما جرى من الإساءة . ودخلت الى قصر مهراب واضطجعت فى موضعها تتفكر فى الحادث الكارث، وتتفكر[(٤)] فى عاقبة الأمر ووخامته .

فدخل مهراب فرآها نائمة على غير العادة المعهودة، منزعجة قد توزست صفحات خدها بردع الألم، وترددت فى محاجرها عبرات الهم والحزن . فاستخبرها عن حالها فما أجابت إلا بما نبت عنه مسامعه، واستبعدته ألمعيته . فألح عليها فى إظهار ما انطوى عليه سرها، وبث ما استجنه ضميرها . واستمرت[(٥)] على المدافعة عن إطلاعه على حقيقة الحال ، والإفصاح عنها بصدق المقال . فلم يزل يعيد عليها السؤال حتى شرحت لديه الحال . فلما وقف على ذلك مهراب تضرمت نيران غيرته ، ووثب كالليث المحرج الى السيف متوجها نحو البيت . فنهضت زوجته وتعلقت به . ثم قالت : إنى

(١) كو : وأمرت . (٢) ك طا : شين دخت . (٣) ك : النرجستين . (٤) كو : وتخوف من عاقبه ووخامته . (٥) ك كو طا : فاستمرت .

أعرض عليك رأيا فان كان من الصواب قريبا قبلته وإلا مضيت على غلوائك، ومقتضى رأيك . فتوقف ساعة . فقالت : إن هذا الأمر قد شاع وإن دستان قد كتب بذلك الى أبيه سام، ورجع الرسول اليه مخبرا بأنه نهض من مازندران متوجها الى حضرة السلطان ليستأذنه فى الخطبة اليك . وسردت عليه جميع ما جرى من المراسلات والمكاتبات . فلما سمع مهراب ذلك خفض قليلا، ومال الى جريان الانصال بين الدولتين، اعتضادا للبعض بالبعض من الجانبين .

قال فاطلع منوجهر على الحال وأنهى اليه أن ابن سام يريد الاتصال ببنت مهراب، وأن أباه متابع[1] على ذلك، ومصمم على النهوض الى حضرته لاستئذانه . فاحتدم غيظا واستشاط غضبا، وجمع وزراءه وقواده، وفاوضهم فى ذلك . وقال : أخاف أن يكون تحت هذا الرماد جمر يثور منه دخان . وقد علمتم أن أفريدون كم تجرع غصص المكاره حتى استأصل شأفة الضحاك[2] . واذا حصل بين ابن سام وبنت مهراب التى هى شعبة من الدوحة الضحاكية تزاوج أمكن أن يحصل بينهما ولد يكون له صفو الى أمه ، فتحدثه نفسه بإحياء بعض سنن البيت ، فيتفاقم الأمر ويعضل الداء . والحزم ألا يفتح له طريق الى هذا ، ولا يمكن من السؤال فى ذلك المعنى . فاستصوبوا رأيه وأثنوا عليه . فلما قدم سام استقبله على العادة المعهودة، وتلقاه بالإعظام والإجلال، والبر والإكرام، وأنزله على جملة الاحترام . فلما كان من الغد جاء برسم الخدمة الى باب الملك فرفع دونه الحجب، وتلقاه الملك بالبشر والتهلل، وسايله عما قاساه من محاربة شياطين مازندران ومكافحة أسود كركساران (ا) وما لاقاه من مقاتلتهم ومعاركتهم . فأخبره بما جرى له من أول نهوضه الى أن فتح الله عليه تلك البلاد . وذكر له ما تيسر من قتل ملكهم(ب) الذى كان من أولاد سلم بن أفريدون. وأعلمه أنه قد صفت له تلك المملكة وانضمت الى جملة ممالكه . فلما أنهى حديثه أثنى الملك عليه وشكر سعيه . ثم دعا بآلات مجلس الأنس، واشتغلوا بالقصف والطرب، وتعاطوا أقداح اللهو والفرح . حتى استباحت عقولهم الكئوس، وثقلت من فضلات الراح الرءوس . استأذن[3] حينئذ سام للقيام، ورجع الى مضطجعه . فلما أصبح ركب الى خدمة الملك ليعرض بذكر ولده زال، ويستأذن له فى معنى الاتصال ببنت مهراب . فلما دخل على منوجهر رآه كالمغتاظ محتدما كالنار . فافتتح وقال لسام : إنا تدبرنا فى أمر

(ا) اسم قبيلة فى نواحى مازندران ويظهر أنه جمع « كركسار » ومعناه شبيه النسر ، أو « كركس سر » أى الذى رأسه كرأس النسر . وبين الرى وقم وكاشان جبل اسمه كركسكوه أى جبل النسر . وهو جبل وعر أجرد كان مأوى للصوص . (انظر معجم البلدان وقاموس الأعلام) . (ب) اسمه فى الشاه . كركوى .

(١) لك طا : متابع له . (٢) كو : وحسم مادة الشر . (٣) كو : فاستأذن .

مهراب وأنه شعبة من تلك الجرثومة الخبيثة ولا بدّ من قلعها واستئصالها . وقد اقتضت آراؤنا أن تنهض لكفاية أمره، واستصفاء مملكته، واستضافتها الى ما فى يدك من ممالك الهند . فلما رأى سام أن الملك قد سدّ عليه طريق ملتمسه كف لسان سؤاله، وسارع الى الانقياد، وتشمر لما جرد (١) فقبل الأرض فخرج متوجها نحو ممالك الهند . فتناهى الخبر بذلك الى زال ومهراب (٢)، وقامت القيامة (٣) على مهراب وأصحابه ويئسوا من الحياة . وضاقت الأرض على زال لأنه كان السبب فى إيقاد نائرة الفتنة. وتوقد من الغيظ متنمرا كالثعبان الصائل. حتى قال يوما : إن مهراب نسيبي وهو معتضد (٤) بقوة باسي وشدّة مراسي ، ولا يقدر العقاب أن يطير على ساحة مملكته ما دام هذا الرأس على جسدى ، واستقر هذا الصمصام فى يدى . ثم جاء الخبر بمقدم أبيه فخرج للاستقبال فى مواكبه . فلما طلعت رايات أبيه ترجل للخدمة، يتلق الأرض بيده، ويلثم التراب بفيه . فأركبه أبوه وعانقه ومسح بيده غرته . فسار تحت أعلامه حتى نزل فى إيوانه . فخلا به فى الوقت وأخذ يبث اليه (٥) شكوى الحال، وما قاساه مدّة مفارقته من الأشواق اليه، ثم ما أصابه من رسيس الوجد وحرقة الغرام. وأذكره معاهدته إياه على مواتاته فيما يطلب ويقترح، ومعاونته فيما يعرض من مآربه ويسنح، وتنكبه عما يعود بضيق صدره، ويفضى بشغل قلبه . وكأنك (٦) الآن لم تقدم من مازندران إلا على ما يوغر صدرى، ويوحش قلبي، ويفجع بروحى شخصى . لما أنت عليه مصمم (٧) من محاربة مهراب، وتخريب دياره، وانتهاب خزائنه (٨) ورغائبه. فان كان الأمر على هذه الجملة فهأنا واقف بين يديك، مسلم زمام قيادى اليك. فخذ رأسى أوّلا ثم خض فى محاربة مهراب ثانيا . فرق عند ذلك من سام قلبه، ولانت صفاته ، وطفق يعلل قلب ابنه بالأمانى . وقال له إنى أنفذك الى خدمة الملك، وأكتب اليه كتابا أستعطفه وأسأله الإنعام عليك بما يفضى الى إنجاح مآربك ، وقضاء حوائجك . فاستحضر الكاتب وأمره أن يكتب . مفتتحا بحمد الله خالق النجم والشجر ، ومنوّر الشمس والقمر ، المتصف بالقدم، المسلط على الوجود يد العدم . ومثنيا بالثناء على الملك الجليل ناعش التاج والتخت ، ومالك الشرق والغرب . ثم قال (٩) إنه لا يخفى على آرائه العالية أنى قد طعنت فى السن وتلفعت برداء الشيب، وضعف كاهلى عن حمل أثقال السلاح ، ووهت منى عن إعمال السيف عند الكفاح . ثم أخذ يُدل فى كتابه بحرماته السالفة، وحقوقه الثابتة، ومقاماته المشهورة ، ووقائعه المذكورة، ونكاياته فى أعادى دولته، ومخالفى

---

(١) كو : جرد له . (٢) ك : مهراب (لا) . (٣) ص القيمة . (٤) ك طا : يعتضد .
(٥) ك طا : اليه (لا) . (٦) كو : وقال كأنك . (٧) ك : مصمم عليه . (٨) ك ، كو طا . وفى الأصل : خزائنه . (٩) ك ، طا : له . كو : فيه .

كلمته، ويصف مالاقاه فى محاربة سعالى مازندران، وعفاريت كركساران (ا) ويذكر أنه جعل ولده دستان ولى عهده فى عبودية الملك وكفاية ما يحدث من مهم يحتاج فيه الى قوة باس، وشدة مراس، وأنه قد نفذه الى حضرة الملك حتى يكتحل بالطلعة الميمونة ويمثل فى زمرة العبيد . وبعد ذلك لايخفى على ألمعية الملك أنه وإن كان بقوة أعضاده يدمع فى نحور الآساد، ويضعضع أركان الأطواد، فهو ربيب الطير. ومن أجل ذلك هو رقيق القلب . وكأنه قد رأى بنت مهراب فملكت قلبه، وسلبته عقله . فهو أسير فى يد الغرام، منفجر الدمع مثل الغمام . نومه غرار، ودموعه غزار . وقد وفد الى حضرة الملك ملتجئا الى عاطفته، ومستعيدا بظل رأفته . راجيا أن ينعم عليه بالإذن فيما يروم . وختم الكتاب بالدعاء والثناء، ودعا بدستان ودفع اليه الكتاب . وأمره أن يتوجه الى خدمة الملك[1] منوجهر فركب يطوى الأرض كالبرق الخاطف، حتى وصل إلى مستقر الملك منوجهر على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر إرسال مهراب زوجته سين دُخت[2] والسبب فى ذلك

قال ولما شاع فى بلاد كابل أن منوجهر أمر ساما بالنهوض اليها لتخريبها واستصفاء حصونها وقلاعها، واستفاضت به الأخبار اهتاج مهراب وطار واقعه، وأقضت مضاجعه . فالتهب مستشيطا، ودعا بزوجته سين دخت، وشكا اليها ما ابتلى به من شؤم بنتها وقبح فعلها، وأنه بسببها قد ظهر الشر الكامن . وتحرك العرق الساكن . وأوعد بقتلها مع بنتها متوسلا بذلك الى استعطاف الملك منوجهر واسترضائه فلعله يكف عن[3] غلوائه، ويمسك عن محاربته، وانتزاع مملكته من يده . فالتجأت الى إعمال الحيلة، وإجالة الفكر فيما يقضى لها بالنجاة من تلك المصيبة . فنهضت خائفة ترجف أحشاؤها، وباتت بليلة أنقد، تأبى مزعجات الخوف أن تغفو وترقد . فلما أصبحت دخلت على زوجها وقالت إن هذا الأمر لا بد من تلافيه، ومقتضى الحزم التشمر فيه . فإنه ما عز أمر إلا هان، ولا تصعب ريض إلا استقاد ولان . وكذلك ظلام الليل وان أرخى سدوله، وسحب على النواظر ذيوله، فلا بد من انفراجه بطلوع الصبح وابتلاجه . والرأى أن أنهض رسولا إلى سام، وأستل هذا الحسام، وأستعطفه وأستلين عريكته، وأطفئ[4] هذه النائرة، وأسكن الفتن[5] الثائرة . وإذا[6] خاطرت أنا بالروح

(ا) أعظم مآثره التى تذكرها الشاه فى هذا المقام قتله تنين نهر كشف . كما ذكر فى مقدمة هذا الفصل .

(١) طا : الملك (لا) . (٢) لك طا : شين دخت . (٣) كو : من . (٤) كو : لعل أطفى .

(٥) لك : هذه الثائرة . (٦) لك طا : فاذا .

فلا بدّ لك من المساعدة بالمال . فاستصوب مهراب رأيها ورضى لها بالبروز، وسلمت[١] اليها مفاتيح الكنوز . وأطلق يدها فى جميع تلك الرغائب ، والذخائر والحرائب . فقالت لا[٢] آمن، اذا غبت، على روذابه من بائقة غضبك، و بادرة سطوتك . ولا يمكن خروجى إلا بعد الاستظهار منك بعقود محكمة ، ومواثيق مبرمة، على كف عاديتك عنها . ففعل ذلك . ثم تشمرت للنفود فى ذلك وفتحت أبواب الخزائن، وأخرجت ثلاثين ألف دينار برسم النثار، وعشرة من الخيول المذكورة، وثلاثين رأسا غيرها من العراب الجياد، وخمسين وصيفا كالأقمار الطالعة، مشدودى الأوساط بمناطق الجواهر الرائعة، وستين وصيفة كأنهن ضرائر الحور العين، على يد كل واحدة جام مملوء من المسك الفتيق، والعنبر السحيق، وأربعين رزمة من الوشائع الرومية والدبابيج التسترية، ومائة قطعة من السيوف الهندية ، والصوارم المشرفية، ومائة ناقة حمر الأوبار هدل الشفاه قوالص الأشفار، ومائة بغلة كأركان الجبال برسم الأحمال، وتاجا من الذهب محلى بزهر الجواهر ، كالشمس المقطة بالنجوم الزواهر، وتختا يشبه الفلك الدوار ركبت[٣] فيه يواقيت تخطف الأبصار، وأربعة من الفيلة الهائلة التى تضرب وسط الحروب بالأسداد، وتزاحم مناكب الأطواد . قال : فلما أعدت[٤] استعدت وركبت منطلقة نحو حضرة[٥] سام فلم يحس بها أحد حتى حلت بفنائه . فسألت الحجاب أن يعلموا ساما بوصول رسول من عند ملك كابل . فلما أخبر سام بذلك أمر أن ترفع دونها الحجب . فدخلت وقبلت الأرض، ومثلت بين يديه . وكانت قد أمرت أن تصف الهدايا صفوفا و بأن يقدم الواحد منها بعد الواحد بين يدى سام. ففعل ذلك وأعجبته[٦] تلك التحف بكثرتها ، و جميل هيئتها . وجعل يتعجب من إنفاد مهراب إياها على يدى امرأة و يقول فى نفسه : إن قبلت هذه التحف وعلم بذلك منوجهر لم آمن عواقب سخطه . وإن لم أقبلها وسمع بذلك دستان تمر فطار واقعه، وهاج وادعه . فوقع له أن يسلموا تلك الهدايا والتحف إلى خازن ابنه دستان . فلما رأت العقيلة الكابلية أن ساما أمر بقبول مستصحباتها تهللت فرحا. وكانت معها ثلاث وصائف على يد كل واحدة طبق مشحون من الياقوت والزبرجد[٧] فأمرتهن[٨] فنثرنها تحت قدم سام . ثم أخلى المجلس لأداء الرسالة . فتقدمت نحو بساطه، وأطلقت لسانها بالثناء . وقالت أيها الملك : إنه لا نتعلم مكارم الشيم إلا من أخلاقك ، ولا يهتدى الى طريق المحاسن والمآثر إلا بإشراق أنوارك . وأنت الذى يفرج[٩] برأيك رتاج كل أمر ، و يغلق

(١) كو : سلم . (٢) لـ طا : إنى . (٣) لـ : قد ركبت . (٤) لـ كو طا : واستعدت .
(٥) لـ : حضرة (لا) . (٦) لـ : فاعجبه . (٧) كو : البلخش . (٨) فى الأصل : أمرهن والتصحيح من لـ، كو، طا . (٩) كو . يفتح .

بعدلك باب كل شر . ولا يخفى عليك أن البرىء لا يؤاخذ بذنب المجرم، وأن المحسن لا يقابل بجزاء المسىء المذنب . و إذا أساء الضحاك الذى ذاق و بال ظلمه، واستوخم عاقبة فعله فأنّى تجوّز المعدلة الفائضة ، والرحمة الشاملة أن يعاقب لإساءته مهراب الذى هو غرس نعمتك، وتراب قدمك، ولم يسلك منذ تصدّى لسلطة كابل غير طريق طاعتك ، ومنهج عبوديتك . نعم وإن كان قصد الملك لبلاده من أجل الدين فإن إلهنا و إلهكم واحد، لاخلاف بين الطائفتين فيه . غير أن قبلتنا التماثيل والأصنام ، وقبلتكم الشمس والنيران . وعلى الجملة فأنت تعلم أن سفك الدماء[1] لايستحسن، وأن مؤاخذة غير المجرم عند الملوك تستهجن . فلما سمع سام[2] ذلك أقبل عليها وسايلها[3] عن حالها أهى زوجة مهراب أم مستخدمة له ؟ ثم سايلها عن حال روذابه وصفتها وعن مبدأ السبب فى هيمان ولده بها . فقالت إذا وثقت من الملك بمعاهدته إياها على ألا يرصد لها ولا[4] لصاحبها بالغوائل ، ولا يقصدهما قصد العدو المخاتل، أطلعته بصدق المقال على جميع الأحوال . فصفق بيده على يدها، وحالفها على ذلك . فقامت سين دخت وقبلت[5] الأرض، وقالت أما أنا فانى، مع انتسابى الى الدوحة الضحاكية، صاحبة مهراب ووالدة روذابه التى ملكت بجمالها وكمالها قلب ابنك دستان . ونحن كلنا عبيد حضرتك، والمنخرطون فى سلك خدمك . نسأل الله تعالى دوام ملكك وثبات دولتك . و إنما باشرت بنفسى هذه الرسالة لأعرف رأيك فى أهل كابل . فان كنا نحن من المجرمين، أو لا نليق بالملك فى تلك الأرضين جريت فينا على مقتضى رأيك . فسيفك محكم فى رقابنا . ولا ينبغى على ذلك أن تتعرض بمكروه لأهل كابل الذين لم يجترحوا ذنبا، ولم يقترفوا جرما . فلما علم سام صدق مقالتها، ونصوع طويتها فى الطاعة أقبل عليها وقال إن المعاهدة بيننا قد سبقت آنفا . ولست عن مقتضاها أحيد، ولو قطع منى الوريد . فاسرحوا آمنين فى مرابع عيشكم،واطمئنوا وادعين فى ظلال أمنكم . فانى مظاهر ولدى على هذه المصاهرة والمواصلة . وإن كنتم من أهل بيت آخر فإنكم من أهل الملك ، ومن أصحاب التاج والتخت، وولاة الأمر والنهى . ولكن جرت عادة الأيام بتقلب الأحوال . والعاقل يعلم أن لأدوار الدول أطوار، وأن فى مسالك الحظوظ أنجادا وأغوارا . فمن ناقص ينمو نمو الهلال، وكامل ينقص كالقمر بعد الكمال، ومصير الكل الى الزوال. وإنى قد كتبت الى الملك منوجهر كتاب تضرع وابتهال، وتفذته الى حضرته على يدى ولدى زال . وقد حلق نحوه طائرا بقوادم العجلة ، حتى كأنه حين ركب لم تحوه دفتا سرجه ، ولم تمسس التراب حوافر خيله .

(١٧)

---

(١) كو : زد فى جميع الملل» . (٢) ك كو : ذلك سام . (٣) ك كو : سألها . (٤) ك : إن .
(٥) ك طا : قبلت .

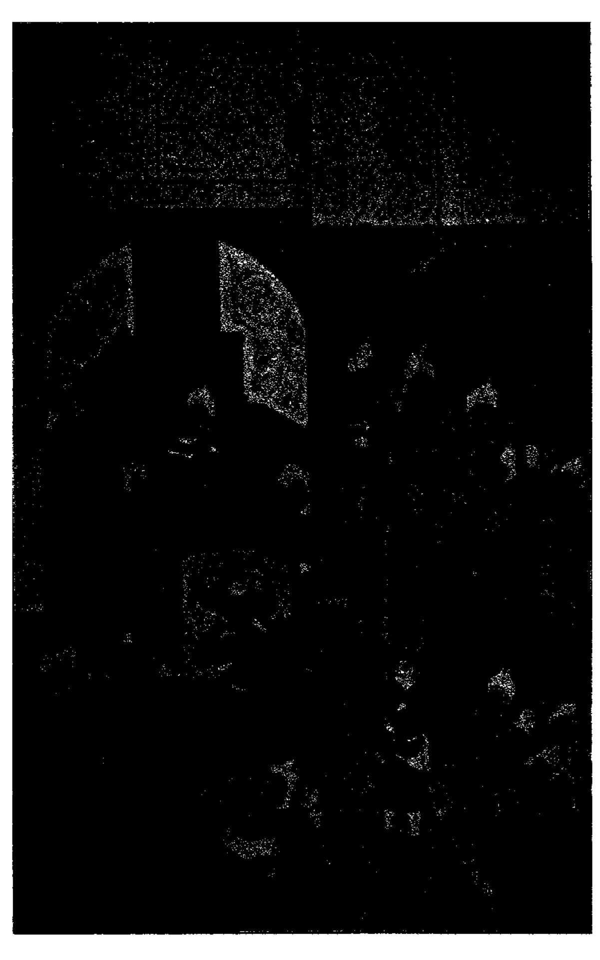
وسيردّ الملك، إن شاء الله ، عنانه[1] منعما علىّ بانجاح أمله ، وقضاء وطره . فرأت سين دخت حينئذ مباسم سام عن الرضا متبسمة ، وأسارير جبينه بالارتياح متهللة . فطيرت فارسا الى مهراب مبشرا بمـا حصل من استرضاء سام، ورجوعه الى خطة الموافقة، ومخبرا بمـا فى نفسه من المساعدة على المصاهرة . ثم جاءت صباح اليوم الثانى الى سام واستأذنته فى الرجوع الى دار ملكها، ومقرّ عزها، للاشتغال بإعداد أسباب العرس الميمون . فأذن لهـا فى المعاودة . وأمر لهـا بخلعة تليق بمكانتها وجلالتها . ووهب لهـا جميع ما كان له فى بلاد كابل من الدور والقصور والخيـل والنَعم، الى غير ذلك من أنواع النِعم. وتصافقا ثانيا متقبلا روذابه لولده دستان، قولا يصدّقه الوفاء، ووصلا يشايعه البنون والرفاء . وقال لها : لن تراعوا بعد يومكم هذا . فودعها وسرحها راجعة وأنفذ فى خدمتها أميرا كبيرا فى مائتى فارس، يصحبها الى أن تطأ عرصة مملكتها، وتعود الى معرّس[2] دولتها .

ذكر وصول زال الى حضرة منوجهر

قال فجاء الخبر الى منوجهر بوصول زال فاستقبله أعيان القوّاد ، وأمراء الأجناد . ولمـا قرب من السرادق رفعت دونه الستور حتى دخل . فلمـا وقعت عينه على[3] الملك قبل الأرض، ووضع جبهته على التراب، على رسمهم فى الخدمة . و بقى كذلك ساعة. فأشار الى من رفع رأسه من الأرض وقربه الى التخت فلاطفه فى خطابه، وسايله عن حاله، وما تحمله من وعثاء السفر فى حله وترحاله . فقال كل تعب يفضى الى لقائك فهو راحة وسرور، وكل عناء يقع فى الطريق اليك فهو مسرة وحبور . فتناول منه الكتاب فتبسم لمـا قـرأه مستبشرا متهللا . ثم أقبل عليه وقال حمات قلبك هما طويلا ، وألزمت نفسك عناء عظيما . ولكن العزم بسبب هذا الكتاب الذى كتبه ذلك الشيخ الكبير، وإن كان صدرى بما فيه يضيق، ألا تسدّدون مرادك الطريق . وسأقضى لك جميع حوائجك، وأحقق جميع مآربك . ومدّوا السماط . فلما طعموا ورفع مالوا الى مجلس الأنس والطرب، وتعاطوا كئوس الرحيق . ولمـا ثمل دستان نهض فأركب الى مخيمه . ولمـا أصبح عاود الخدمة فأثنى عليه الملك حين شاهده، وحين ثنى عنانه وفارقه . قال : فأمر بجمع العلماء والحكماء ومن تبحر من المنجمين، وأمرهم بالبحث فى طالع زال، والتنقيب عن سر الفلك فى أمره، وعما يؤول اليه حاله فى مصاهرته تلك . فلبثوا ثلاثة أيام يعملون دقائق النظر، وثواقب الفكر، فى تطلب علم ما وارته ستور الغيب . ثم جاءوا الى باب منوجهر وقالوا أيها الملك : إنه قد ظهر لنا على مقتضى الأحكام السماوية، وأسرار الأجرام العلوية أن يولد بين[4] ابن سام و بنت مهراب ولد كبير القدر، رحيب الصدر، طويل النجاد، طلاع

---

(١) ك : عنانه الى . (٢) كو : ظلال . (٣) ك طا : على عين . (٤) ك : من ابن .



الملك منوچهر يستشير المنجمين فى تزويج زال بن سام من رودابة بنت مهراب ملك كابل

[منقولة من كتاب مارتين (Martin) ص ١٢٤ ج ٢ — عن نسخة كتبت للشاه طهماسب فى القرن العاشر الهجرى]

الأمجاد، ويكون غمر الرداء، واسع العطاء، مخصوصا بشدّة القوّة، وضخامة الجثة، وطول المدّة. تكاد هيبته تمنع العقاب الكاسر أن يطير حواليه، والأسود السود أن تزأر بين يديه. اذا لمعت بوارق سيفه فى اللقاء تدفقت شآبيب الدماء. يشدّ وسطه فى هذه الممالك لخدمة الأملاك، ويرفع قواعد مجدهم على ذرى الأفلاك. فلما سمع الملك ذلك أمرهم بإخفاء السر، ودعا زال ليجرّب عقله وفهمه بمسايلته عن مسائل غامضة، وإشارات خفية. فأحضر كل موبذ كان بحضرته وعقد مجلسا عظيما، وأحضر زالا فأمرهم أن يباحثوه ويسايلوه :

المسائل التى سئل عنها زال وما ذكر فى جوابها

قال فتصدّى موبذ وسأله عن اثنتى عشرة شجرة جذب بأضباعها السموق، ومدّ من أعضادها البسوق. قد تشعب من كل واحدة ثلاثون غصنا لا يرى الفرس فيها زيادة ولا نقصا. وسأله آخر عن فرسين: أحدهما أشقر كالنار (ا) والآخر أدهم كالقار. لا يزالان يتراكضان، يتعاقبان ولا يتسابقان. وسأله آخر عن ثلاثين فارسا يعرضون على السلطان، اذا عبروا نقص منهم واحد، واذا رجعوا فلا ناقص ولا زائد. وسأله آخر عن روضة معشبة يرف نباتها فى رونق النضارة، وتروق العيون بالبهجة والنضارة. ثم يجى عليها ذو منجل يُنزل بساحتها مكروه الخطب، ويجمع فى حصدها بين اليابس والرطب. وسأله آخر وقال[(١)]: شجرتان من بواسق الأشجار، نابتتان[(٢)] فى البحر الزخار، على كل واحدة منهما وكر لطائر يصبح على إحداهما ويمسى على الأخرى. اذا طار من هذه تساقطت أوراقها، واذا وقع على الأخرى راق العيون إيراقها. فتكون الأولى ناضرة على الدوام، والثانية ذابلة مدى الأيام (ب) وسأله آخر عن بلدة طيبة حصينة فى ذروة جبل، تركها الناس وعمدوا الى أرض تنبت القتاد، فأرسوا بها الأوتاد. وبنوا بها الدور، وشيدوا فيها القصور. وتناسوا تلك البلدة الطيبة. فبيناهم كذلك إذ خسفت بهم أرضهم، وقامت عليهم القيامة، وحالفتهم الحسرة والندامة. فقيل لزال: إن أبرزت هذه الكنوز، وأوضحت هذه الرموز كنت العالم الخبير، وأثرت من التراب العبير(ج) فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وأعاد تلك المسائل. ثم قال: أما الشجرات الاثنتا عشرة فهى عدة الشهور مع الأيام، على تعاقب الأزمنة والأعوام. وأما الفرسان: فهما الملوان يتعاقبان ولا يتسابقان. وأما أعداد الفرسان،

(١٨)

(ا) فى الشاهنامه: أحدهما كبحر من القار، والآخر كالبلور الأبيض المتلألئ. (ب) عبارة الترجمة غير مستقيمة. والذى يقتضيه السياق ما فى الشاهنامه: وتكون أبدا إحداهما ناضرة، والأخرى ذابلة. يعنى أن تداول النضرة والذبول بينهما دائم لا أن إحداهما ذابلة أبدا، والأخرى ناضرة أبدا. (ج) ترجمة للعبارة الفارسية: "زخاك سيه مشك سارا كنى".

(١) ك: فقال. (٢) ك، كو: نابتتان.

وما يظهر فيها من النقصان، فذاك إشارة الى نقصان الشهر وأنه[(١)] تارة يكون تسعا وعشرين، وتارة ثلاثين . وأما الشجرتان اللتان عليهما معشش الطائر فإن العالم من وقت حلول الشمس فى برج الحمل الى أن تبلغ الى الميزان يتبرج كالخريدة المعطار، فى حلى الرياحين وحلل الأزهار . ومن حين حلولها العقرب الى أن تحل الحوت يقبع بين أسحاق[(٢)] الحداد، وأطمار السواد . فالشجرتان كنايتان عن عضدى الفلك الدوار، والطائر عبارة عن الشمس الباهرة الأنوار. وأما البلدة الطيبة فهى دار القرار، ومنزل الأبرار . والأرض التى آثروها عليها فهى الدنيا قرارة الأكدار، ومعرس الأخطار . تناهبك مدارج الأنفاس، وتضرب فى انصرام عمرك الأخماس فى الأسداس . بينا أنت الى نعيمها راكن، وفى ظلالها وادع ساكن، إذ تزلزلت من تحتك، وأمطرت مكارهها من فوقك، فسمعت الأفلاك تنشدك فى ذاك :

لا أنت أنت ولا الديار ديار خف الهوى وتولت الأوطار

إن هذا الإنسان، وإن طاول الكيوان[(٣)] ، فليس يصحبه منها غير ستره تحت حفرة . فإن اكتسب فيها الذكر الجميل ، أحرز هنالك الأجر الجزيل . وإن زرع العدل والإحسان، حصد الروح والريحان . ثم إن صاحب المنجل كناية عن الأجل يحصدنا كحصد النبات ، فيأتى على البنين والبنات. سواء فى مكروهه الشيب والشبان، والفروع والأغصان . قال : فلما رأى منوجهر استخراجه لتلك الرموز الخفية والأسرار[(٤)] المبهمة تهلل مستبشرا وارتاح مبتهجا، وجلس فى مجلس عظيم قد فرش بالديباج والحرير، وطيب بالمسك والعبير . ودعا بدستان وسائر القواد . وتعاطوا كئوس الرحيق . فلما توردت وجناتهم، وتمشت فى مفاصلهم نشواتهم ، قاموا متمايلين الى مضاربهم . ولما أصبح زال عاود الخدمة واستأذن الملك فى عوده الى أبيه. وذكر أنه قد برحت به اليه الأشواق، واستنفد صبره الفراق. فقال له الملك تلبث عندنا هذا اليوم. فمازحه وقال إن الذى يزعجك حب ابنة مهراب، والنار تأبى إلا الالتهاب . فأمر العسكر فلبسوا السلاح، وجردوا الصفاح، واعتقلوا الرماح . وبرزوا الى الميدان، يتلاعبون بالسيف والسنان، ويتساجلون فى الضراب والطعان. قد نصبوا الأغراض، وتعاطوا التوتير والإنباض . فسح زال معاطف قوسه وأطلق نشابة نحو شجرة عظيمة كانت بين يديه فمرقت منها . ثم أتبعها بأخرى راكضا[(٥)] فرسه فنفذت فيها[(٦)] كمثل الأولى . ثم اصطف العسكر من الجانبين وزحف بعضهم الى بعض يواترون بين طعن وضرب . وكان زال مطلا عليهم ينظر اليهم .

(١) طا : فانه . (٢) كو : أسجاف . (٣) ك : كيوان . (٤) ك، طا : الاشارات .
(٥) ك : راكبا . (٦) أصل : فيه . والتصحيح من ك .

فرأى فيهم فارسا يغلب الأقران، ولا يتهيب السيف والسنان . فصمد[1] صمده، وقصد قصده . وأنشب فى معاقد منطقته مخالبه وقطّره عفيرا . فرفع الناس صياحهم ، وقالوا ما من فارس مقدام تعرض هذا الغضنفر له إلا وأمه ثاكلة . وهيهات أن تلد الضراغم مثله أو يلاقى[2] الملاحم والوقائع شكله . فليهن ساما أن يخلفه هذا البطل الجسور والليث المصور . وأثنى عليه منوجهر فى جميع الأمراء والقوّاد . ورجع الى الإيوان فخلع عليه خلعة تليق بمثله مضافة الى التاج والتخت والسوار والطوق الى غير ذلك من الثياب الرفيعة، والخيول العتيقة، والغلمان الرشيقة . وأمر بأن يكتب جواب كتاب سام ، ويعلم فيه أنه قرّ عين الملك بطلعة زال ولقائه وانشرح صدره بمحاسن آدابه . وأنه تقدّم بإنجاح جميع مطالبه وقضاء مآربه . فخرج زال بالطائر الميمون ، والطالع المسعود . وقدّم فارسا الى حضرة أبيه ليعلمه بإقباله منصرفا من حضرة الملك منوجهر ، ويبشره بما قابله من الإنعام والإعظام ، وأفاض عليه من المنن الجسام . فلما بلغ الخبر بذلك الى سام دبت فى معاطفه دواعى الطرب حتى كأنما عاد شبابه النضير بعد أن جاله القتير . فأرسل فارسا الى مهراب ليعلمه بالحال ويبشره بما أنعم به الملك منوجهر ، ويعلمه بأنه منتظر قدوم ولده، وأنه اذا وصل بادرنا الى فنائك، واستسعدنا بلقائك . فلما بلغ الخبر بذلك الى مهراب كاد يخلع روحه على البشير ويطير من الفرح والسرور . ودعا بزوجته سين دخت وشكر سعيها وقال: إنك قد أعلقت يدك بشجرة من شجرات المجد، واتصلت بجرثومة من جراثيم الملك . فتأهبي للأضياف الكرام ، وأعدّى أسباب الإكرام والإعظام . وسلم اليها مفاتيح الخزائن، وأطلق يدها فى تلك الدفائن . فقامت ودخلت على بنتها روذابه ، وبشرتها بعلو جدّها وسعادة طالعها . فدعت لها بطول البقاء، ودوام المجد والسناء . وقالت: سأجعل تراب قدمك على مفرق رأسى إكليلا ، وأتخذ من رأيك الى جميع السعادات هاديا ودليلا . قال : فأقبلت سين دُخت تزين الدور، وتنجد القصور . فزينت[3] مجلسا مذهبا وفرشت فيه بساطا منسوجا من الذهب موشحا باللؤلؤ والزبرجد . ونصبت تختا من العقيان مخروط القوائم من حجر البهرمان . ثم جاءت الخريدة العزراء ، وجلتها على ذلك التخت كأنها الشمس فى كبد السماء ، موشحة بقلائد الجوزاء . وسدلت دونها الحجب وأرخت السجف . ثم أمرت فزينوا جميع البلد بموشيات المطارف، ومستحسنات الزفارف . وجللوا ظهور الفيلة بالحرير والديباج، ووضعوا على كواهلها أسرة العاج لتركبها القيان المحسنات ، والجوارى المسمعات . واشرأبوا لاستقبال الملكين ، وطلوع النيرين، مترصدين للانتظار ، طامحين نحو الطريق بالأبصار .

---

(١) ك : فاصمد . (٢) ك طا : تلاقى . (٣) ك : فرتبت .

ذكر رجوع زال الى أبيه ونهوضهما الى كابل للعرس

قال فانصرف زال من حضرة الملك منوجهر يسوق مستعجلا كالطير فى الهواء، والسفينة على وجه الماء . فلم يشعر به أحد حتى طلع على أبيه . فلما رآه وثب اليه فعانقه، ثم أهوى زال يقبل الأرض . وعاد سام الى تخته فتسنمه . وطفق ابنه يحكى لديه ما أنعم به الملك عليه، وأسدى من عوارفه اليه . وحكى له أبوه قدوم سين دُخت عليه فى طلب المصالحة والمسالمة، ومسارعته الى تحقيق مطالبها، ومبادرته الى مخالفتها ومصافقتها، ومواعدته العزم على النهوض الى كابل لاجتماع القمرين، واقتران السعدين . فلما سمع دستان ذلك توردت بشرته، وتهللت أسرته من فرط الفرح والسرور . فبيناهم فى ذلك اذ وصل رسول من كابل يذكر أن مهراب ينتظر قدوم سام ودستان . و يترقب[1] تجشمهما النهوض اليه . فأمر سام بالرحيل وقدم راكبا الى مهراب يعلمه بوصول دستان من حضرة الملك وأنهما آخذان فى الركوب اليه والقدوم عليه . فخرج مهراب لاستقبالهما وأمر بشد الكوسات والطبول على مناكب الفيول، وركوب العساكر فى موشعات الملابس، ونشر عذبات الرايات والأعلام، وخروج القيان والمغانى بالمزاهر والمعازف . قال : فلما طلعت رايات سام ترجل مهراب إعظاما لقدره و إجلالا لمحله . فعانقه سام وجعل يسأله ملاطفا و يسايره مفاكها، ومهراب يقابله بالثناء والدعاء . فركب يسايره، ودستان يسير قدامه كالهلال ليلة العيد يشار اليه بالأصابع، ويرمى نحوه بالنواظر . حتى انتهوا الى كابل فرأوا الأرض تطن بخفق الطبول ونقرات[2] السرور . واستقبلهم أهل البلد راكبين قد ضمخوا أعراف الخيول بالمسك الأذفر، وخلقوا سبائبها بالزعفران والعنبر . وخرجت سين دخت ومعها ثلثمائة وصيفة كدرارى الشهب، على يد كل واحدة جام من الذهب نضدت عليه قطع الياقوت وحبات اللآلئ . فلما رأت ساما وولده أمرتهن فنثرن تلك الجواهر تحت سنابك الخيل . وكثر نثر الدراهم والدنانير يمنة ويسرة حتى خيل للرائين أن السماء تمطر على تلك المواكب زهر الكواكب . وقال سام فى خلال ذلك لسين دخت : ألم يأن أن تقر ألحاظنا بالخريدة العربية، وتكتحل أحداقنا بالعقيلة الكابلية ؟ فأجابته ضاحكة وقالت : إن أحببت أن ترى الشمس المنيرة فأين التحفة والهدية ؟ فلاطفها سام وقال : كل ما أملكه من صامت وناطق نثار لقدمك وفداء لخدمك . فنزلوا ورفعت دونهم الأستار والكلل حتى دخلوا الايوان المذهب، والمجلس[3] المنجد . فرأى سام روذابه فوق تلك المنصة متجلية كالشمس البازغة . فبهت لرونق جمالها وقضى العجب من حسنها وكمالها . وأمر مهراب فتقدم وعقدوا العقد على عادتهم المألوفة وسنتهم المعهودة .

---

(١) ك طا : ويرتقب . (٢) ك طا : نعرات . (٣) ك : المنضد المنجد .

ثم أخذوا بيد زال وأقعدوه بجنب صاحبته، ونثروا على سريرهما المنجّد أطباق الياقوت والزبرجد. وكانت[١] تلك الليلة من الليالى الزهر، ومن حسنات الدهر. وكأنها التى عناها مترجم الكتاب بقوله :

فيا ليلة فيها السماء تبرجت * سرورا تكود فرعها فاحم جثل[٢]
وقد جلت الاكليل جبهتها لنا * بكف خضيب والهلال لها حجل
وقد أشعلت زهر النجوم أمامها * مشاعل منها أشرق الحزن والسهل
زفاف به السعد ان فى فلك العلى * قداجتمعا. لا فض بينهما الشمل

قال فجاءوا بنسخة تفصيل الجهاز للعرض، فأفصحت بذكر نفائس لم تر مثلها عين ولا سمعت بها أذن. وأقاموا بكابل ثلاثة أسابيع لا يفيقون من نشوات الأفراح، ولا يقصرون عن معاطاة الأكواب والأقداح. ثم عزم[٣] سام على الارتحال خارجا نحو سجستان. فتوجه اليها وأمر زال بإعداد العماريات وتهيئة المهود والهوادج، واتبعه مستصحبا صاحبته ومهراب وزوجته، وارتحلوا من سجستان جميعا قاصدين قصد نيم روز فقدموها. وأقام سام بضيافتهم ثلاثة أيام. ثم استأذن مهراب ورحل راجعا الى كابل خطة ملكه ومقر عزه. وأقامت سين دخت عند ابنتها. وأما سام فانه جعل تلك الممالك برسم ابنه دستان. وأقعده على سرير ملكه، وأقامه مقام نفسه. وترحل عنها نحو كركساران ونواحى مازندران ليتخذها دارا ويتبوأها قرارا.

ذكر ولادة رستم بن دستان

قال : فلم يمض إلا قليل حتى حملت روذابه وتناوش شخصها النحول، ومس ورد وجنتيها الذبول. وكانت أمها سين دخت تسايلها عما تقاسيه من الحبل ووصبه، وتعانيه من الوحم ونصبه. فكانت تخبرها بما تجده من الآلام ويزعجها من الأوجاع. وكانت لا تنام بالليل[٤] ولا تهدأ بالنهار. كأن جلدها حشى بالجندل والحديد أو بالصرفان الشديد. فلما انتهت مدة حملها، ودنت ساعة وضعها غشى عليها فشهقت سين دخت وخمشت خدها، ونتفت شعرها. ودب فى وصائفها الأنين والنحيب، وشملهن البكاء والعويل. وأعلم بالحال زال فجاء بقلب محترق، ودمع مندفق. فبيناهم كذلك متلددين بين اليأس والأمل، مترددين بين الرجاء والوجل إذ ذكر زال ريشة العنقاء التى أعطتها إياه على ما سبق ذكره. فبشر بذلك سين دخت، ودعا بمجمر فأحرق بعضها فاذا بالسماء كأنها قد تغيمت، وبالآفاق كأنها أظلمت، وبالعنقاء

(١) ك ط : فكانت. (٢) كو : الأبيات (لا). (٣) ك : وعزم. (٤) ك : الليل.

قد أقبلت بالطائر الميمون كسحابة شآبيبها قصب[1] المرجان، أو روضة شقائقها من العقيان. ولما دنت خرّ زال ساجدا يقبل الأرض ويذرى الدمع . فنادته العنقاء و بشرته بسلامة صاحبته، وأنكرت عليه الجزع، وقالت حاش لعيون الأسود أن تنضح برشاش المدامع ، ومعاذا لمناكب الأطواد أن تتزلزل بالرياح الزعازع . إنه سيصحر من أجمة هذه اللبؤة شبل أغلب، تقبل سود الأسود مواطئ قدميه، ولا يجترئ السحاب المكفهر أن يمرّ عليه . تنشقق جلود النمور دون غرار هيبته ، وتستل بأنيابها مخالبها مخافة سطوته . ثم قالت تأخذ بإذن الله تعالى حديدة حادة (أ) وتدفعها الى آس حاذق أحذ يد القميص (ب) و يعل الحاملة بأرطال من سلاف العقار حتى يملك السكر عنان حواسها . ثم يشق الحكيم بتلك الحديدة خاصرتها ويستخرج منها الولد . ثم يخيط الشق و يرتق الفتق . ثم يؤخذ[2] حشيشة كذا وكذا، وتدق بلبن ومسك، وتجفف فى الظل وتسحق . ثم تذر على موضع الشق . وتمرّ عليه ريشة من جناحى الميمون . فهنالك يسهل جميع الحزون . ولا تستهولن ذلك، وأطلق لسانك بشكر الله تعالى حيث آتاك شجرة ناضرة تثمر لك كل يوم ثمرة يانعة . ثم نزعت ريشة من جناحها ورمت بها اليه وطارت فى السماء ، وحلقت نحو تلك القلة الشماء . فبادر زال الى تلك الريشة وأخذها، وأعدّ جميع ما أشارت به العنقاء من الأدوية. والخلق مجتمعون يقضون العجب من تلك الحالة . ثم جاءوا بموبذ خفيف اليد أحذق أهل زمانه فى صناعته . فسقى روذابه من المدام الصرف أقداحا حتى سكرت وخرت صعقة لم تحس بشىء . فاستل تلك الحديدة وشق خاصرتها ثم استخرج منها بخفة وسرعة يد ولدا لم ير مثله قط. قد صوّره الله تعالى على خلقة تعجب العيون وتروق القلوب. وبقيت أمه على حالها مغشيا عليها يوما وليلة . ثم أفاقت بعد ذلك فنثروا عليها الذهب والجوهر ودعوا الله تعالى وحمدوه على ما أسدى اليهم . ثم قدّموا الطفل اليها كأنه ابن عشر سنين . فلما رأته تبسمت ضاحكة وقالت برستم[3] أى قد خلصت. فسمى الصبى "رُستَم" . قال: فخاطوا على قدّ ذلك الطفل العزيز[4] تمثالا من الحرير وحشوه بوبر السمور . وصوّروا وجهه كصورة الشمس . وركبوا عليه[5] أعضادا كأنها الثعابين . وجعلوا له أظافير كبراثن الأسود . وشغلوا إحدى يديه بالجرز مرفوعا الى كاهله، والأخرى بعنان فرس أركبوه عليه محفوفا بخدم مكنوفا[6] بخول وحشم . وأثاروا هجينا ونفذوا التمثال الى سام . قال : و بلغ الخبر الى مهراب فاستهز الطرب أعطافه، وكساه السرور أفوافه. واتخذ الناس من أول أراضى كابل الى آخر حدود زاول تلك الأيام أعيادا[7] ، مواسم سرور وفرح

(أ) الشاهنامه : خنجر . (ب) عبارة (أحذ يد القميص) زيادة من المترجم .

(١) كو: قضب . (٢) طا: تؤخذ . (٣) ك، كو: رستم . (٤) ك: الغرير . (٥) فى الأصل: عليها . والتصحيح من طا . (٦) ك، كو طا : ومكنوفا . (٧) كو : أعيادا للسرور ومواسم للفرح والحبور .

وحبور . يواصلون بين الصبوح والغبوق، ويفيضون[1] سيول الرحيق فى أودية العروق . لا يفيقون من قصف ، ولا ينفكون من عسف وعزف . ولما جاء المبشر بذلك التمثال الى سام ووقع بصره عليه قامت شعرات بدنه حين رآه[2] على صورته وشكله . وأمر بإفاضة الدراهم ونثرها على المبشر حتى كاد ينغمر فيها شخصه . ثم أمر بضرب البشائر وركوب العساكر للتطارد فى الميدان، والتلاعب بالسيف والسنان . وأمر الكاتب أن يجيب عن كتاب زال مفتتحا كتابه بحمد الله عز وجل قائلا فيه لزال : إنى كثيرا ما ابتهلت الى الله تعالى وتضرعت اليه أسأله أن يقر عينى بشبل يصحر عن غيلك، على صورتى التى جبلنى عليها. فالحمد لله على قضاء الحاجة وإنجاح الطلبة . ولا أسأله سبحانه إلا أن يطيل بقاءه، ويسهل الى معارج العلو ارتقاءه . قال: وكانت له عشر مرضعات يمتص نخب ألبانهن حتى ترعرع . ولما بلغ ثمانى سنين صار كالنخل الباسق ، والكوكب الدرى فى الظلام الغاسق ، يحكى فى بهاء المنظر ، ورشاقة القد، وأبهة الجلالة جده ساما . وكان لا يحمله مركوب غير الفيل لضخامة جثته وعبالة أكتافه . وجاء الخبر الى سام بأنه قد ترعرع وراهق . فاشتاق الى لقائه وأقبل نحو زابلستان . فلما أحس[3] بمقدمه زال ركب مع مهراب، وأمر بركوب العساكر للاستقبال. وشدت الكوسات على كواهل الأفيال . وقدموا فيلا عظيما، وشدوا على ظهره تختا من الذهب . وجلس عليه رستم مشرفا على الناس معصوب الرأس بالتاج مشدود الوسط بالمنطقة ، فى يده قوس ونشاب . فلما طلعت رايات سام من بعيد اصطفت العساكر سماطين . فترجل زال ومهراب والأمراء والقواد ووضعوا جباههم على الأرض برسم الخدمة . ثم أطلقوا ألسنة الإخلاص بالثناء والدعاء . وتهلل وجه سام حين وقع نظره على رستم . وأمر فقرب منه الفيل الذى هو راكبه فرآه على تلك الهيئة. فأثنى على الله تعالى، ودعا له بالبقاء . ففتح رستم لسانه بالثناء عليه وقال : إنما أنا فرع أنتمى الى جرثومة جلالك وأتقيل شمائلك فى جميع أحوالك . ولعل الله تعالى حين صورنى على صورتك يمد أعضادى بمثل قوتك . ثم نزل عن ظهر الفيل . وأكب عليه سام يقبل رأسه وعينه ، ويعوذه بالله عز وجل. ثم توجهوا جميعا نحو كوراباذ يتفاكهون فى الطريق بصدور منشرحة وقلوب مرتاحة وأقاموا بها شهرا كاملا لا شغل لهم غير اللهو والطرب، ولا نديم لهم سوى ابن الغمام وابنة العنب. وكان سام لا يقبض عنان طرفه عن رستم وشمائله ، ويقول لزال لو سايلت مائة من القرون لم تسمع بولد استخرج عن خاصرة أمه كما استخرج هذا . وطفق يشكر العنقاء ويحمد الله عز وجل إذ ألهمها صنيعها ذلك . فاندفعوا فى شرب المدام الى أن أفرغت الكئوس ، وشرقت بالخندريس

(١) ك : ويفيصون — العروف (لا) . (٢) ك، كوطا : وجده . (٣) ك طا : زال بمقدمه .

النفوس . وطفق مهراب فى غمار سكره يقول : لا أبالى بعد يومى هـذا بزال ، ولا أتفكر فى سام، ولا يهمنى هم الملك المتوج . اذا[1] برزت مع رستم الى الميدان وتطاردنا مع الفرسان اضطرب لمهابتنا الخافقان . وساحى دولة الضحاك ، وأضرب خيم العـز على الأفلاك . ثم عزم سام على الرحيـل فارتحل وخرج فى ركابه رسـتم وأبوه برسم الوداع مرحلتين . فأقبـل سام على زال وأوصاه بالعـدل والاحسان، وطاعة السلطان، ومتابعة الرأى والعقل ، ومخالفة النفس الأمارة بالسوء، وسلوك سبيل الحق ، والتنكب عن طريق الشر . ثم قال له : إياك والإخلال بشىء من هذه الوصية . واعلم أن نفسى تحدثنى بأن مقامى ليس يطول فى دار الدنيا ، وكأنى قد شارفت الارتحـال . ثم ودع ولديه وركب . فشيعاه مرحلتين أخريين و رجعا . وانطلق سام متوجها (نحو مستقره)[2] .

§ ذكر آخر أمر منوجهر

ثم إن منوچهر لما أناف على مائة وعشرين سـنة دنت وفاته ، وجاءه المنجمون ونعوا اليه نفسه ، وأنذروه بتقارب أجله ، وانتهاء عمره . فجمع الموابذة والهرابذة والأمراء والقواد ، ودعا بولده

---

§ حذف المترجم هنا فصلين : الأول قتل رستم الفيل الأبيض . وذلك أنه كان لزال فيل عظيم أبيض . فهاج ليلة وقطع سلاسله وانطلق صائلا . فلم يجرؤ أحد على التعرض له . واستيقظ رستم فأخذ مقمعة جدّه سام . وخرج الى الفيل وقمعه على رأسه فقضى عليه ثم رجع الى فراشه .

والثانى : فتح رستم الحصن الأبيض . وذلك أن زالا حين رأى من ابنه القوة والشجاعة أخبره أن على الجبـل الأبيض قلعة شاهقة علوها أربعة فراسخ . فيها من المياه والأشجار وكنوز الذهب ما لا يحصى . وأن جدّه نريمان ذهب اليها بأمر أفريدون فحاصرها أكثر من سـنة ولم ينل منها . ثم ألقى المحاصرون عليـه حجرا فقتلوه . وذهب اليها سام بن نريمان فحاصرها سـنين ثم رجع خائبا . وقال زال لرستم : ان الملح أندر شىء هناك ، وأشار عليـه أن يذهب اليهـا فى زى تاجر ملح ويحتال حتى يدخلها . فدخلها رستم فى نفر قليـل بهذه الحيلة . ولمـا جن الليل ثار فى القلعة فقتل أهلها . وعثر على كنز عظيم فكتب الى أبيه زال فأرسل اليه آلافا من الإبل فحملها رستم من الذهب والجواهر والملابس . ثم أضرم النار فى القلعة .

و يرى السير ملكولم (Sir Malcolm) أن هذا الحصن الموصوف فى الشاه هو الحصن الأبيض فى ولاية فارس على ستة وسبعين ميلا الى الشمال الغربى من شيراز[3] .

---

(١) طا : انى اذا . (٢) ما بين القوسين من ك ، طا . (٣) أنظر تاريخ إيران لملكولم (Malcolm) ج ١ ص ١٩

نوذر فوعظه ونصحه، وقال له : إن العاقل لا يغتر بالأمر والنهى، ولا يثق بهذا التاج والتخت . فإنى[1] قد نيفت على المائة والعشرين أعالج الخطوب، وأمارس الحروب . ونالتنى سعادة الملك أفريدون، وتوصلت إلى أن أدركت ثار إيرج وانتقمت له من سلم وتور، وطهرت العالم من العبث والفساد، وشيدت الدور والقصور، وعمرت المدن والبلاد . وهأنا الآن كأنى لم أكن من أهل الدنيا وقاطنيها . (٢١) وإنى مسلم إليك التاج والتخت كما سلمهما إلىّ أفريدون . وكأنى بك قد[2] خلعت ما تلبسه من ذلك . فاجهد[3] ألا يتبعك من بعدك سوى الذكر الجميل . وستتجدّد عن قليل نبوة فيبعث الله عز وجل موسى نبيا بناحية المغرب . فصدّقه وآمن به ولا تحيدن عن طاعته . وتنكب سبيل[4] مخالفته (ا) . وسيخرج من الترك عسكر عظيم يملكون هذه الديار . فعليك بالصبر فإن أمامك أمورا عظاما وخطوبا صعابا . وستلقى من ابن بشنك معضلة لا تبقى ولا تذر، وداهية يضيق بها عليك المورد والمصدر . فاذا أناخ عليك الزمان بكلكله فاستعن[5] بسام وولده . واعلم أن هذا الغصن الذى تفرع الآن من دوحة زال سيدوّخ بلاد الترك ويتوغل ديارهم، ويطلب بثارك وينتقم لك . فلما فرغ من مقالته هذه جرت دموعه على وجهه، ووقع البكاء والشهيق على ولده . فتنفس منوجهر وغمض عينيه، وفاضت نفسه من غير مرض ولا وصب . ومضى لسبيله حميد الأثر مرضى السير[6]، مشكور الورد والصدر[7] . وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة[8] .

٨ — ذكر نوبة نوذر والوقائع التى جرت فى عهده .

قال صاحب الكتاب : لما فرغ نوذر من عزاء أبيه ومأتمه تسنم سرير الملك، وأفاض الأرزاق على العسكر خاصة وعلى سائر الخول والخدم عامّة . ولم يكن يهتدى الى مسالك العدل والاحسان،

٨ — نوذر

هنا يضطرب نسق الأساطير، وتختلف الروايات فى سياق الملوك . فلا يذكر نوذر بين الملوك البيشداديين فى الطبرى والمسعودى وفارس نامه وتاريخ حمزة الأصفهانى؛ بعضهم يذكر زوبن=

(ا) الأبيات التى فيها البشارة بنبى ناقصة فى بعض النسخ . والنسخ التى تثبتها تختلف فى كلمة "موسى" فالنسخ التى كتبها البارسيون تضع "موبد" مكان "موسى" وأكثر النسخ التى كتبها المسلمون تثبت "موسى" مكان "موبد" وكذلك يثبت البارسيون هنا أبياتا كثيرة فيها إخبار عن محمد صلوات الله عليه . انظر مول (Mohl) ج ١ ص ٢٧٩، ووورنر (Warner) ج ١ ص ٣٣٦، والشاهنامه ط تبريز . آخر فصل منوجهر .

(١) ك، كوطا : وأنى . (٢) ك، كوطا : وقد . (٣) ك : فاجتهد . (٤) ك طا : سبل
(٥) طا : فاستغث . (٦) ك : الفعل والسير . (٧) كوـ ز : (وقال غير صاحب الكتاب : ومن آثار منوجهر فى الأرض نوبهار بلخ ومدينة الرى ووادى الفرات) . (٨) ك، كوطا : والله تعالى أعلم .

ولا يتوفر على تمهيد قواعد الأمن والأمان . فلم يمض إلا قليل حتى خالف سنة أبيه، وطوى بساط الرأفة والمعدلة، وأطال يد الظلم على الرعية . وصار لا يهمّ إلا بجمع النشب، ولا يشتغل إلا باللهو واللعب . وكان يخاشن الموابذة والقوّاد، ويجفو الأمراء والأجناد . فتزلزلت قواعد ملكه، وتبدّد نظام شمله، وتحزّبت جموعه، وخرجت عليه جنوده . فكتب الى سام، وكان بسكسار مازندران، كتابا يتضرع فيه اليه، ويستغيث به، ويعلمه أن السيل قد بلغ الزبى، وأن الملك آذن بالانصرام، وأنه إن لم يسل سيفه ويتلاف[١] الأمر ذهب التاج والتخت . فلما وصل الكتاب إليه رحل متوجها نحو دار الملك فى عساكر تملأ البر والبحر، وتطبق الحزن والسهل . فلما سمع بإقباله الإيرانية أقبلوا إليه مطاوعين، وتلقاه منهم الأمراء والأكابر مبادرين ومشايعين . وشكوا إليه سيرة الملك وسوء صنيعه بالرعية، وما حدث فى زمانه من خراب العالم . وسألوه أن يتقلد السلطنة بنفسه، ويتلافى الخلل . ووعدوه بالانقياد والاتباع، وموازرته على التقدّم بالاجتماع[٢] . فقال : أنّى يستحسن الرب تعالى وتقدّس أن يكون مثل نوذر الذى هو من هذا البيت الكريم قاعدا على سرير الملك وأنا أتعرّض للتاج والتخت؟ ومن يجترئ أن ينطق بهذا المحال، أو يسمع بهذا المقال ؟ ولو لم يخلف الملك منوجهر غير ابنة لكان من الواجب أن تجلس على التخت[٣] وتعتصب بالتاج، وألا يكون لى فى خدمتها مقرّ

= طهماسب الآتى ذكره - بعد منوجهر، ومنهم من يضع اسما مكان نوذر[٤] . وهكذا تختفى الصلة بين أساطير إيران وأساطير الهند فلا يمكن إرجاع نوذر الى ماقبل الأبستاق[٥] .

ونوذر كذلك أول ملك جائر من البيشداديين . ويرى القارئ أن ابنيه طوسا وكُستَهَم لا يصلحان لخلافة أبيهما فيعدل عنهما الى زو بن طهماسب .

والأبستاق تذكر نوذر (نُوتَرا) والنوذريين : ففى أبان يست أثناء الكلام عن " أردڤى سورا أناهِتا " أن أسرة نوذر عبدوها وسألوها أن تمنحهم الخيل السريعة . فصار ڤِستاسپه النوذرى صاحب أسرع الخيل فى هذه الأقاليم . وفى مواضع أخرى يذكر النوذريون أصحاب الخيل السريعة، والتورانيون يعدون خلف " أشى ڤنُجهى " (آلهة الغنى والسعادة[٦]) . ونجد أيضا أن هُتاوُسا، من أخوة كثيرة من بيت نوذر، تقرب قربانا لبعض الآلهة وتسأله أن تكون معززة محبوبة مقبولة فى بيت الملك ڤستاسپه[٧] . =

(١) صل : تلافى . (٢) طا : بالاجماع . (٣) ك، كو طا : على سرير الملك وتعتصب بتاج السلطنة .

(٤) هو فى فارس نامه "شهر يرامان" حفيد نوذر وفى مروج الذهب سهم بن أبان حفيد نوذر . (٥) ورنر (Warner) مقدمة فصل نوذر . (٦) ج ٢ ص ٧٦ و ٧٧ و ٢٨٠ و ٢٨١ (٧) ج ٢ ص ٢٥٧

غير تراب عتبتها. وهذا الملك، وإن مال قليلا عن منهج الصواب، وحاد عن سنن السداد فليس يصل طبع حتى يصعب صقاله . وقد يميـل الغصن الرطيب فيسرع اعتداله . وسوف أردّه الى الطريقة المرضية، والسيرة الحميدة . فعاودوا ما كنتم عليه من الطاعة، واستروا ما صدر منكم بالتوبة والندامة. فإن مخالفة الملوك نار فى الآجل ، وعار فى العاجل . فلمـا سمعوا ذلك منه ندموا على ما بدر منهم من المخالفة، ورجعوا الى مسلك الطواعية . فاستتبت الأمور بيمن نقيبته[1]، وعادت الى أحسن ما كانت عليه من قبـل . وبادرت الأمراء والقوّاد الى خدمة الملك نوذر، وأهووا الى الأرض وسألوه العفو والصفح[2] . ثم إن سام لما أصلح الفاسـد ، ولم الشعث استأذن الملك فى عوده الى مستقرّه . فسمح له بالإذن ، وأفاض عليـه خلعة رائقة تشتمل على التـاج والتخت والخاتم والطوق مشفوعة بالخيل العتاق والغلمـان الرشاق . فعاد الى مقرّ عزه ، ومبوّأ مجـده . ودارت أفلاك السعادة برهة لنوذر الى أن كشرت له[3] عن أنياب الشر، وأناخت عليـه بكلكل الإذلال والقهـر . على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

= وأما طوس فيذكر فى الأبستاق باسم طُسا ويوصف بأنه محارب مقـدام : " سالما بركة قائلا امنحينى هذه أيتها الطيبة الخيرى " أردفى سورا أناهتا " لعلى أقهر الشجعان أبناء فائسكا فى حصن خشثر — ساكا الذى يبـدو رفيعا على كنغا المقدس الشامخ ولعـلى أحطم من التورانيين خمسيناتهم ومئاتهم، مئاتهم وآلافهم، آلافهم وعشرات آلافهم، عشرات آلافهم وعشرات عشرات آلافهم"[4].

ويذكر آخر من أبناء نوذر اسمه فستورا . يقرب الى أردفى أيضا على شاطئ نهر ويسألها أن تمنحه طريقا يبسا، بما حطم من عباد الشيطان عداد شعر رأسه . فأسرعت إليه الإلهة وفرقت له النهر فاجتاز . فيظن أن ابن نوذر هذا هو الذى يذكر فى الشاهنامه باسم كُستَهم[5].

وفى هـذا الفصل من الشاهنامه تعود الحرب بين أبنـاء أفريدون : ملك الايرانيين نوذر بن منوچهر سـبط إيرج بن أفريدون ، وملك التورانيين پشنك الذى ينتهى نسـبه الى تور أو طوج ابن أفريدون . وبطل التورانيين فى هـذه الوقائع والتى تليها حتى آخر عهد كيكاوس هو أفراسياب ابن پشنك . وذلك زهاء مائتين وسبعين عاما فى تاريخ الشاهنامه . ويقـول بعض المؤرخين أن أفراسياب ملك ٢٠٠ سنة ، وبعضهم أنه ملك[6] قرابة ٤٠٠ سنة . =

(١) ك، كوطا : نقيبـة سام . (٢) كو : ز (عفا عنهم وعمـر لهم وأقال عثرتهم) . (٣) كو : له النوائب . (٤) ج ٢ ص ٦٦ و ٦٧ (٥) أفستا ج ٢ ص ٧١ و ٢٠٦ (٦) أفستا، ج ٢ ص ٦٤ حاشية ١، الفهرس ١٣٧

ذكر اطلاع بشنك (أ) على وفاة منوجهر وما حدث بعد ذلك

قال : وسارت الركبان بالخبر الى توران بموت منوجهر وتزلزل قواعد الملك فى تلك المملكة بسوء تدبير ابنه نوذر، وضعف رأيه، وخور عقله . فلما سمع بذلك[1] بشنك ملك الترك طمع فى الإيرانية، والاستيلاء على ملكهم . فأحضر أمراءه وقواده وأعيان دولته وخواصه ، مثل اخواست (ب) وكرسيوز و بارمان وكلباذ (ح) ، ودعا بزعيم عسكره وقائد جيشه و يسه . وأحضر ابنه أفراسياب، وكان بهلوان دولته . فأجرى ذكر آبائه وأعمامه كتور وسلم، وذكر ما جرى عليهم من الإيرانية من القتل والفتك . وقال إن هذا يوم الانتقام . فلا بد من توغل تلك الديار لإدراك الثار . فتضرم أفراسياب وأخذته الحمية . وقال : أنا أتقلد هذا الأمر . فأمر بشنك العساكر بالاجتماع والاستعداد . فأتاه ابنه أغريرث واجما متفكرا وقال : أيها الملك . لا تشرع فى هذا الأمر إلا عن حزم . واعلم أن منوجهر وإن مات فان بهلوان عسكره هو سام بن نريمان ومعه قارن وكشتاسب الى غيرهما من هؤلاء الأمراء الكبار، وأسود النضال، وفرسان القتال . وأنت تعلم ما جرى

= وأفراسياب هذا عند الايرانيين أحد الأرواح الشريرة الثلاثة التى أصابت إيران بأعظم الكوارث . والآخران الضحاك الذى تقدم ذكره، واسكندر المقدونى الذى يسمونه " اللعين " . ولأفراسياب أخ خير اسمه أغريرث يرى القارئ فى هذا الفصل ما أسداه الى الايرانيين . وأخ آخر شرير اسمه كرسيوز سيأتى ذكره .

ويقوم بجانب أفراسياب أسرة من الأبطال مكانها فى توران كمكان أسرة سام المتقدم ذكرها فى إيران . وهى أسرة و يسه أخى پشنك . وأعظمها وخيرها پيران، كما يتبين من الفصول الآتية .

وأفراسياب وأغريرث وأسرة و يسه يذكرون فى الأساطير الدينية :

ففى الأبستاق أن فرنگرسينا (أفراسياب) التورانى السفاح قرب الى بعض الآلهة (أردڤى سورا أناهيتا) فى مغارة تحت الأرض، بمائة حصان وألف ثور وعشرة آلاف حمل، سائلا أن تؤيده حتى يظفر بالمجد الذى يموج فى وسط بحر " ڤورو — كشا " والذى هو للأمة الإيرانية الخ . ولكن =

(أ) فى الشاهنامه پشنك بالباء الثقيلة والكاف الفارسية . و يعرب أحيانا بالجيم " بشنج " وأخرى بالكاف كما هنا . وقد تحول الباء فاء . فقد ذكر فى فارس نامه " فاشن " . (ب) اخواست غير مذكور فى الشاه . يذكر مكانه أغرير . (ح) بفتح الكاف كما فى فرهنگ شعورى وترجمة مول . وفى ورز بضم الكاف .

(١) طا : ذلك .

على تور وسلم من سـام وسطواته . ولا يخفى عليـك أن شم(أ) بن تور و إن كان(١) يزاحم بأعضاده الأطواد ، و يجدل بقوّة بأسه الآساد فإنه تغافل عن إيقاد هذه النار والسعى فى إدراك ذلك الثار . والرأى ألا تحرّك العرق الساكن، ولا تثـير الجمر الخامد . فقال بشنك : كل ولد ينام عن ثأر أبيـه وجدّه، ولم يشد وسطه للانتقام لهما فلا بد أن يكون نسبه مدخولا . وهأنا أنفذ أفراسياب إلى إيران وليس لك بد من الرواح معـه . فإذا طاب الهواء، وانحسر الشتاء ، واخضرت الأودية والشعاب فخيموا على الصحراء، وجروا العساكر الى الفضاء، وسيروا الى آمل، ودوّخوا بحوافر خيلكم دهستان وجرجان (ب) . فإن فى هـذه الخطة حارب منوجهر تورا وظفر به . فالقوهم أنتم فى ذلك الموضع، وأثيروا فى السماء العجاج ، وأفيضوا من دمائهم الفجاج . واجهـدوا أن تساعدكم السعادة فتظفركم بقارَن وكشتاسب . فإنكم إن نصرتم عليها فقد أدركتم المأمول وشفيتم الغليل . (٢٢)

قال فلمـا أقبل فصل الربيع وتيسرت المراعى فى الصحارى أقبل أفراسياب ، طالعا من الشرق فى عساكر الترك والصين . ولمـا قرب من جيحون بلغ الخبر بذلك الى نوذر . فتوجه نحو دهستان

= دعاءه لم يستجب(٢) . وفى موضع آخر(٣) تصف الأبستاق كيف حاول فرنكرسيَنا (أفراسياب) ثلاث مرات أن يظفر بمجد الايرانيين فى البحر . وكلما أخفق أو عد بإهلاك الحرث وتدنيس المياه .

وأغريرث يذكر فى الأبستاق باسم " أغرَيْرَثا " ويعدّ من الأبرار : "نعبد روح " أغريْرَثا " المقدس نصف الانسان"(٤) . وتفسير "نصف الانسان" فى كتاب بندهش . حيث يقال أن أغريرث حىّ خالد فى أرض سَوكَفَستان، واسمه هناك كوپَتشاه (ملك الثيران) . ونصفه الأسفل ثور والأعلى إنسان . وهو مقيم أبدا على شاطئ البحر دائبا فى العبادة، يصب المـاء المقدس الى البحر من فيه(٥) . وكأن منشأ هذه الخرافة أنه تورانى خيّر . فلم يستحسن كتّاب الأبستاق وغيرها عدّه خيّرا كاملا فجعلوه نصف إنسان طيب(٦) . و يرى القارئ فى هذا الفصل سبب قتل أفراسياب أخاه أغريرث . وفى بندهش أن أفراسـياب قتله لأنه أطلق منوچهر وجيشه وهم أسارى فى جبل پدَشخوار . والأبسـتاق تجعل الحرب بين كيخسرو وأفراسياب، كما سيأتى، لأجل الانتقام لسياوَخش وأغريرث(٧) . =

(أ) فى الشاه زادشم ملك الترك . وزادشم (بفتح الشين) اسم أبى پشنك . (ب) تعرب گرگان بالكاف الفارسية كما فى الشاه .

(١) فى الأصل "كان" بغير شرط والتصحيح من ك، طا . (٢) ج ٢ ص ٦٤ (٣) ج ٢ ص ٣٠٠

(٤) ج ٢ ص ٢٢٢ (٥) أفستا، ج ٢ ص ١١٤ نقلا عن بندهش ومينوخرد . (٦) أفستا، ج ٢ ص ١١٤ حاشيه ٢ (نقلا عن بندهش) . (٧) انظر فصل كيخسرو الآتى .

فى مائة ألف وأربعين ألف فارس . وقـدم بين يديه قارن صاحب جيشه ، وتبعه بنفسه . فلما وصل الى دهستان ضرب سرادق نوذر على ظاهر البـلد بين يدى الحصار، ودخل أفراسياب أرض إيران فبلغه الخبر بموت سام بن نريمان ، واشتغال ابنـه زال بعزائه . ففرح بذلك وأنهض شماساس وخزيران(ا) فى ثلثين ألفا من نخب الأتراك الى زاولستان للقاء زال ومقاتلته،واهتبال غرته . وقصد بنفسه دهستان فى أربعمائة ألف فارس . وحين وصل اليها ضرب سرادقه قبالة سرادق نوذر. وكان بين العسكرين مسافة فرسخين . وكتب الى أبيه يخبره بقلة عدد الإيرانية، و بموت سام، وأنه انتهز الفرصة ونفذ العسكر الى زاولستان، وكأنا بهم قد استولوا على أقطارها، وجاسوا خلال ديارها . وختم الكتاب وطير به راكبا الى أبيه بشنك . ولما[1] طلع النهار جاءت طلائع أفراسياب الى باب دهستان : وكان عليهم رجل من سعالى الأتراك يسمى بارمان . ثم رجع الى أفراسياب وأخبره بجميـع أحوال نوذر . فقال : أيها الملك ما هذا الإنظار فى الضرب وقد أمكن الهام سطوة العضب ؟ و إن[2] أذنت لى دنوت من ذلك الجمع وطلبت المبارزة فأريهم نكاية باسى، وأذيقهم شدة مراسى . فأذن له فركب كالليث

= والأخ الثانى من أخوى أفراسياب كرسيوز . وسيأتى ذكره فى الفصول الآتية. وفى الأبستاق أن كيخسرو قيد فرنكرسينا وكرسفزدا (كرسيوز) للانتقام لسياوخش وأغريرث[3] .

ينقطع ذكر أسرة پشنك فى الشاهنامه بعد انتهاء الحرب بين الايرانيين والتورانيين بقتل أفراسياب . و بهذا ينتهى طور من أطوار الحـرب فى الشاهنامه[4] . وفى فارس نامه[5] طرف من أخبار هذه الأسرة بعد قتل أفراسياب .

ويذكر ويسـه فى الأبستاق باسم ڤائسكا : " قرب اليها (أردڤى) الشجعانُ أبناء ڤائسكا قربانا فى حصن خشـترو ــ سوكا الذى يثبت عاليا على كنفا الشامخ المقدس، بمـائة حصان وألف ثور وعشرة آلاف حمل .

وسألوها بركة قائلين : امنحينا هذه أيتها الطيبة الخيرى أردڤى سورا أناهتا ! لعلنا نقهر المحارب المقدام تُسا . ولعلنا نحطم من الايرانيين خمسيناتهم ومئاتهم الخ " .

ولكن الآلهة لم تستجب دعاءهم[6] . =

(ا) كذا فى نسخ الترجمة التى عندى . وفى الشاهنامه نسخة مول : خروان . وفى نسخة تبريز : خرزوان بتقديم الراء . وفى كتاب الغرر (ص ١٢١) خزوزان، بزايين وضبطها مترجمه (زوتنبرج Zotenberg) خزوزان باسكان الزاى الأولى وفتح الواو .

(١) طا : قال ولما . (٢) طا ك : فأن . (٣) أفستا، ج ٢ ص ٣٠٤ (٤) أنظر المقدمة فى حرب ايران وتوران . (٥) ص ٤٧ (٦) ج ٢ ص ٦٨

الغضبان، ودنا ودعا الى المبارزة . فنظر قارن الى فرسان الخيل وآساد الجيش . وقال من يبرز الى هذا الأسد المقدام ؟ فما أجابه من بينهم أحد سوى أخيه قُباذ، وكان شيخا طاعنا فى السن. فغضب قارَن وتلهب وجهه، وقال : إنك قد بلغت من السن الى غاية توجب عليك أن تكف يدك عن القتال، وتقصر عن الكفاح. ومع ذلك فأنت خاصة الملك، وصاحب رأيه . فلو أصبت فى هذه المبارزة وضرجت شيبتك بالدم لانكسرت قلوب العسكر، ووقع فيهم الفشل، ودب فيهم الخور . فلم ينجع فيه ذلك ، و برز كالفحل القطم، وناوش بارمان المقاتلة من أول النهار الى وقت الزوال . يتضاربان و يتطاعنان. فوقعت[1] الدبرة على قباذ، وأصابته فى رأسه ضربة أذرته[2] عن الفرس منكوسا . فلما رأى قارن ذلك زحف بعسكره أجمع فالتقى[3] الجمعان، واستمر البأس بينهم الى أن غربت الشمس. فعطف قارن عنانه الى دهستان، وأتى حضرة الملك، وشرح لديه حال الحرب وما جرى فيها من قتل قباذ وغيره . فعزاه الملك وانكسر لذلك . فباتوا تلك الليلة . ولما أصبحوا ثار كلا الفريقين الى فضاء المعركة . فتناوشوا الحرب من أول النهار الى وقت الغروب ضربا بالصفاح وطعنا بالرماح، حتى تلاطمت أمواج الدماء، وتضايقت بجثث القتلى ساحة الغبراء . فزحف نوذر بنفسه من القلب

= وقارَن — الذى ذكر لأول مرة فى فصل أفريدون و يذكر فى هـذا الفصل وما بعـده الى آخر عهد كيخسرو — يسمى فى الشاهنامه قارنِ كاوه أى قارن بن كاوه . و يقول الثعالبى[4] إنه ابن كاوه الحدّاد الذى ثار على الضحاك .

وكِشواذ الذى يذكر فى هـذا الفصل أبو أسرة من أبطال إيران تلى أسرة سام المتقدّم ذكرها . وسأتكلم عنها فى مقدّمة فصل كيقُباذ الآتى . ثم أسماء أخرى لاتستحق التقديم لها هنا .

ثم قصة نوذر فى الشاهنامه ستمائة وأحد عشر بيتا تقسمها هذه العناوين :

(١) جلوس نوذر على العرش . (٢) سماع پشَنگ بموت منوچهر . (٣) مجىء أفراسياب الى أرض إيران. (٤) حرب بارمان وقباد وقتل قباد . (٥) حرب أفراسياب ونوذر مرة أخرى. (٦) حرب نوذر وأفراسياب المرة الثالثة . (٧) أسر أفراسياب نوذر . (٨) عثور ويسه على ابنه مقتولا . (٩) سرية شماساس وخزَروان الى زابلستان . (١٠) إنجاد زال مهرابَ . (١١) قتل نوذر بيد أفراسياب . (١٢) علم زال بموت نوذر . (١٣) قتل أغريرث بيد أخيه .

---

(١) ك، كو، طا : حتى وقعت . (٢) ك كو : أردته. (٣) ك : فلما التقى. (٤) انظر الغرر، ص ٣٨ و ٥٣

مع عساكره وجموعه، وتنازعوا الحرب مع الأتراك حتى التفت الرماح بالرماح . وكانت تلك الزحفة على غير مقتضى الحزم لما فيها من نزق لا يليق بحال الملوك فى مثل ذلك الموقف . وعظمت النكايات على الايرانية، وظهرت مبادئ الغلبة للتورانية . فرجع كل واحد من الفريقين الى مضاربهم بعد غروب الشمس . ولما هجم الليل دعا نوذر بولديه طوس وكُستَهم ففض عليهما ختام سره، وذكر ما[1] كان أبوه أخبره به عند موته من غلبة الترك إياه . وأمرهما أن يتوجها الى صوب فارس، وينطلقا على طريق إصبهان يستصحبان الحرم والنساء وما قدرا عليه من الخزائن ، ويصيران الى جبل راوه (أ) من جبال ألبرز . وقال لعله يجو من آل[2] أفريدون اثنان . فانى لم أسمع بمثل هذا العسكرالذى خرج الآن من الترك، وأعلم[3] أنه لا قبل لنا بهم . وأمرهما بالرحيل على وجه لا يحس به العسكر لئلا تضعف قلوبهم . ثم ودعهما وبكى حتى اخضلت محاسنه بالدموع . قال : ثم أقام الفريقان كلاهما يومين مستريحين من غير حرب وقتال . فلما كان وقت تبلج الإصباح من اليوم الثالث اضطربت الآفاق بخفق الطبول ، وصهيل الخيول . فاضطر نوذر الى الدفاع واللقاء . وكان أفراسياب قد بات ليلته تلك يعبى مقانبه ، ويرتب مياسره وميامنه . فبرزوا الى الفضاء كالبحار المتلاطمة والسيول المتراكمة. وجعل نوذر يعبى صفوفه : فجعل قارن معه فى القلب وتليان (ب) فى الميسرة وسابور فى الميمنة . فتدانت الصفوف وتزاحفت[4] الجموع ولم يزل القتال بينهم الى أن زالت الشمس مؤذنة بزوال دولة الايرانية . فوقعت كسرة عظيمة على الميمنة حتى تزلزلت أقدامهم ونبابهم مقامهم. وبقى سابور فى خف من أصحابه واقفا لا يبرح ، ويرد تلك الحملات الى أن قتل فى موقفه ذلك . فانكشفوا وأحجم نوذر فرد عنانه الى دهستان ، وتحصن بالبلد . فبقى كذلك أياما يقاتل من وراء الحصار . ثم إن أفراسياب نفذ كُروخان بن ويسه على طريق البرية الى فارس فى طلب نساء الايرانية وذراريهم وخزائنهم وأموالهم . ولما بلغ الخبر بذلك الى قارن تضرمت نيران غيرته وجاء الى نوذر وأعلمه بذلك ، وقال الرأى أن أنهض وراءهم فأفل حدهم ، وأذب عن الحريم . وليستقر الملك فى هذا الحصار . فإن عنده الخزائن والأموال والعساكر . فلم يستصوب نوذر ذلك، وقال لا بد لهذا الجمع من مرتب . وقد نفذنا طوسا وكستهم (ج) لكفاية هذا . وقد سبقاك الى فارس فلا حاجة الى

(أ) راوه بالراء فى نسخ الترجمة التى عندى. وفى الشاهنامه بالزاى . انظر مول (Mohl) ج ١ ص ٤٠٤ وتبريز (فصل نوذر) .

(ب) تليان ذكر فى الشاهنامه فى عهد أفريدون المتقدم باسم «شاه تليان» وكان أحد المحاربين فى صفوف منوچهر حين حارب سلما وتورا . (ج) هو فى الشاه بالكاف الفارسية . وقد ضبطه فى فرهنگ شعورى وترجمة مول بفتح الهاء ، ولكن مقتضى وزن الشعر فى الشاه تسكينها أحيانا .

(١) ك : وذكر لما . (٢) أصل : اال . (٣) ك : واعلما . (٤) ك : وتزاحمت .

نهوضـك . ثم مد السماط فلمـا طعموا وقاموا رجع قارن الى منزله وهو لا يستصوب المقـام . فركب (أ) فى عسكر عظيم وخرج من الحصـار . وكان بارمان من أصحاب أفراسياب آخذا بمخنق الطريق فى جمع عظيم . فتلاقيا وتقاتلا طول الليل، وانكشفت تلك الوقعة عن قتل بارمان قاتل قُباذ. فتفرّقت جموعه وانهزم أصحابه . ومضى قارن لسبيله نحو فارس .



ذكر أسر أفراسياب لنوذر

قال : فلما سمع نوذر بخروج قارن من الحصار اتخذ الليل جملا وركب فى أثره كالريح المرسلة يطلب النجاة من مخالب القضاء المبرم . فانتهى الخبر الى أفراسياب فركب فى عسكره، وطار خلفـه بجناح الركض كالثعبان الصائل حتى لحقه . فتناوشوا الحرب من أول الليل الى طلوع الشمس . وقبض بالآخرة على نوذر، وضمه الأسر مع ألف ومائتين من أعيان الايرانية ووجوه قوادهم المذكورين. فتنكست تلك الأعلام، وتشتت ذلك الجيش اللهام . وكذا[1] عادة الأيام: ما مدّت أطنـاب خيرها على أحد إلا قوضتها ، ولا أبرمت حبال العز لملك إلا نقضتها . ثم فرق أفراسياب طائفة من عسكره فى طلب قارن . فلما علم بمصيره الى فارس أقبل على ويسه وقال : وطن نفسك على أن ولدك هالك فانه لا يطيق مقاومة قارن، وانهض نحوه فلعلك تلحقه . فركب ويسه قائد جيوش الترك فى عسكر عظيم وجمع كبير[2] راكضا خلف قارن . فرأى قبل وصوله اليه ابنه كروخان طريحا فى الطريق مضرجا بالدم العبيط، مع جماعة من أمراء الأتراك مجدلين فى ذلك الفضاء . وبلغ الخبر الى قارن بقصد ويسه إياه فنفذ الحرم والضعفى الى نيم روز ، وركب فى عسكره . فلما خرج من نواحى فارس طلعت من يسار طريقه طلائع الخيل فاذا بأعلام ويسه قائد جيوش الترك خافقة . فاصطف الفريقان وزحف بعضهم الى بعض، وجرت بينهم ملحمة عظيمة . فانهزم ويسه وقتل من أصحابه خلق عظيم . فرجع الى أفراسياب ناكصا على عقبيه، يعض من الغيظ والنـدامة على يديه . قال : ولمـا ترجه شماساس وخزران من عنـد أفراسياب نحو زاوُلستان فى عساكرهما ساروا على طريق سجستان حتى وصلوا الى هيرمَند. وكان زال قد رحل منها الى كورابذ لعزاء أبيه سام. ولم يبق فى تلك المدينة غير مهراب . فنفذ رسولا الى شماساس وانتمى الى عبودية أفراسياب، وذكر أنه من بيت الضحاك وإنما اتصل بابن سام مخافة زوال الملك. وقال : إن هذه المدينة دار ملكى ومقر عزى. ولمـا توفى سام وخرج زال من هذه

(أ) فى الشاه أن كبراء الجيش اجتمعوا فى منزل قارن وتشاوروا وأجمعوا على إرسال جيش الى فارس وسار قارن . فلم تكن مخالفة قارن الملك إلا باتفاق القواد .

(١) طا : كذى . (٢) طا : كثير .

البلاد فرحت بذلك . وليس بيني و بينه بعد هذا اليوم إلا السيف . ولا أمكنه من أن يطأ هـذه الأرض. و إني أرجو الآن أن تمهلوني ريثما أنفذ رسولا الى خدمة تخت الملك أفراسياب، وأعرض عليه خلوص طويتي في صدق عبوديته، وأبعث نثارا الى حضرته، ثم اتبع أمره حتى لو أشار بالمبادرة الى خدمة التخت لسلمت اليكم هـذه الممالك ونهضت على رأسي مبادرا الى حضرته، ووقفت ماثلا عند سدّته . فكفهم بهذه الحيلة عن محاربته، ونفذ رسولا الى زال يعلمه بمجيء عساكر الترك الى هيرمَند وأنه احتال عليهم بما منعهم عن مناجزته، فإن توقفت ساعة عن التوجه الى هـذه الخطة لم يبق منها عين ولا أثر . قال : فلما وصل الرسول الى زال، ورأى رسوخ قدم مهراب في موافقته، وعلم صدق عزيمته على مساعدته عاود تلك البلاد كالنبل الصارد في رجال أحرجتهم[1] الحفيظة وأزهقتهم[2] الحمية . فلما اجتمع بمهراب أثنى عليه، وشكر سعيه، وحرضه على ملاقاة العدو . وقال : سأخرج هذه الليلة على هؤلاء الأتراك ليعلموا بمقدمي . فخرج في جنح الليل . فلما قرب من معسكر الأتراك رمى بثلاثة أسهم الى وسط خيامهم . فوقع فيهم الاضطراب، وعلت منهم الأصوات . فلما أصبحوا نظروا الى تلك السهام فعلموا بقدوم زال، وفطنوا لحيلة مهراب . وأمر زال فبرزت عساكره من المدينة، وخيموا بظاهر البلد، وتأهبوا للمدافعة والممانعة، ورفعت الكوسات على كواهل الفيول . واشتعلت[3] الأسود على حوارك الخيول . فازدلف الفريقان، والتقى الجمعان . وأقبل خزيران كالهزبر الكاسر على زال فعلاه بعمود كان في يده فمزق على أكتافه جواشنه . فتقدّمت الفرسان الزاولية . وثنى زال عنانه، ولبس خفتانا (ا) آخر، وأقبل على خزيران رافعا على كاهله جُرزا (ب) كقطعة جبل فلم يكن سوى أن ضربه ضربة واحدة خر منها صريعا لليدين وللفم، معفرا في التراب مضرجا بالدم . ولما فرغ من خزيران جال في العسكر يطلب شماساس فلم يظهر لمبارزته . فوقع تحت ظلام العجاج على كلباذ أحد أعيان التورانية . فرفع على رأسه الجرز ففر من بين يديه . فأخذ القوس ورماه بنشابة سمرته على سرجه . فلما رأى شماساس ذلك ولى هاربا ونكب عن المحاربة جانبا، وطار بقوادم العجل، يحفزه سائق الخوف والوجل، متوجها نحو أفراسياب في جماعة أفلتوا من مخالب المنون . وحين توسط البرية صادف قارَن راجعا من محاربة ويسه دامي الأظافر[4] خضيب البواتر . فعرفهم وعلم أنهم منهزمون من زاولستان فأمر بضرب الطبول وسل السيوف، وصدمهم صدمة لم ينج منها

(ا) الخفتان لباس من القطن يلبس في الحرب تحت الدرع أو فوقها (قفطان) . (ب) الجرز : معرب كرز بالكاف الفارسية وهو المقمعة .

(١) طا : أخرجهم الحفيظة وأرهقتهم الخ . (٢) أرهقتهم . (٣) كو طا : استعلت .

(٤) صل : أظفار . وطا : أظافر .

غير شماساس فى نفر قليل . فبلغ الخبر الى أفراسياب بقتل خزيران وكلباذ، وانهزام شماساس على تلك الهيئة الفظيعة، والكسرة الشنيعة . فتسعرت أحشاؤه حنقا ، وتقطعت كبده غيظا وحسرة، وقال : كيف أبقى نوذر حيا وقد قتل أعيان أمرائى ووجوه قوادى ؟ فأمر بإحضاره . فبادر جماعة الى الخيمة التى كان فيها محبوسا وأخرجوا ذلك الملك المتوج حاسرا حافيا يرسف فى أصفاده وقيوده . فضرب رقبته وأهوى برأسه الكريم الى الأرض . فكادت السماء هنالك تبكى دما، وهمت الأرض أن تنشق هما وحزنا . وخلت ممالك إيران عن صاحب التخت والتاج ، وأقبلت الفتن متلاطمة الأمواج . قال صاحب الكتاب : فياصاحب العقل والإنصاف انزع أردية الحرص عن الأكتاف . وقس على هذه الأحوال أحوالك ، فكم رأى التاج والتخت أمثالك . واعلم أنك وان أسرجت لك الأفلاك، وتطاطأ لعزك السماك، ودعيت ملاك الرقاب لم تتوسد بالآخرة غير التراب. قال : ثم جاءوا بالأسرى الى أفراسياب يجرّرون اليه . فخروا ساجدين بين يديه، وأطلقوا ألسنتهم بطلب الأمان . فجاء أغريرث فرققه عليهم، وتشفع اليه فى أمرهم. وقال: إن قتل هؤلاء الأسود صبرا يكون عارا يبقى أثره الى الأبد. ثم على الجملة قتل الأسرى غير مرضى عند الملوك. والأحرى أن تؤمنهم على أرواحهم، ثم تسلمهم كذلك فى القيود الى حتى أسجنهم، وأوكل بهم المستحفظين والحراس، وأنفذهم الى مدينة سارى، وأجعل محبسهم بها . فوهب لأغريرث دماءهم ، وحفظ عليهم ذماءهم . وأمر بهم فحملوا الى مدينة سارى فى الجوامع والأغلال . ولما فرغ أفراسياب من ذلك رحل من دهستان متوجها الى الرى . (٣٤)

ذكر سلطنة أفراسياب فى ممالك إيران وما جرى فى نوبته

قال[1] : ثم اعتصب أفراسياب بتاج الملك ، وفتح أبواب الخزائن ، وفرق الأموال على الأجناد والعساكر، واستقر على سرير الملك . ووصل الخبر الى طوس وأخيه كستهم بأن أفراسياب قتل نوذر . فقطعوا الشعور، وخمشوا الخدود . ووضع الأمراء على رءوسهم التراب، ومزقوا جيوبهم، وتوجهوا الى زاولستان قاصدين " زالا " يندبون الملك نوذر . وكأنهم بلسان حالهم يقولون :

ياصارم المجد الذى	ملئت مضاربه فلولا
يا كوكب الاحسان أعـ	ـجلك الدجى عنا أفولا
ياغارب النعم العظا	م غدوت معمودا جزيلا
لهفى على ماض قضى	ألا نرى منه بديلا
وزوال ملك لم نكن	يوما نقدر أن يزولا

(١) ك ، طا : قال صاحب الكتاب .

فقال دستان عند ذلك: حياء لسيفى عن مضاجعة القراب بعد هذا المصاب. ومعاذا أن[١] يكون مثواى غير صهوات الجياد، وأن أقيل إلا فى ظلال الرماح. ثم استعدوا للانتقام، وبرزوا من ذلك المقام. وتناهى الخبر بذلك الى الأمراء المأسورين فأخذهم المقيم المقعد، وأيسوا من الحياة. فأرسلوا الى أغريرث رسالة يثنون عليه بحفظ الذمام، ويشكرونه على ما أسدى اليهم من الإنعام. وقالوا: من المعلوم أن زال بن سام مستقر على سرير الملك بزاولستان فى جميع أمراء الإيرانية مثل برزين وقارن وكشواذ وخرّاد، وأنهم لا يدعون ممالكهم فى يدى أفراسياب، ولا بدّ لهم من الاجتماع والاحتشاد فى طلب المعاودة الى مساكنهم ومواطنهم. ومهما فعلوا ذلك وعلم به أفراسياب احتدم نار غضبه، وحمله ذلك على أن يأمر بضرب رقابنا وإراقة دمائنا. فإن رأيت أن تمن علينا معاشر الأسارى بالإطلاق، وتسترق رقابنا بالإعتاق فعلت. فقال أغريرث: أما إطلاقكم على هذا الوجه فلا سبيل اليه. فإن فيه إظهار[٢] معاداة أفراسياب والخروج عليه. ولكن اذا توجه زال فى عساكر إيران وقربوا من مدينة سارى لم أتعرض لمقاتلتهم، وخليت آمل وانحدرت الى الرى الى خدمة أفراسياب. فتخلصون[٣] حينئذ بغير اختيار منى، ولا يلحقنى بذلك تبعة عند أفراسياب. فلما فهم ذلك من قوله خرّوا على الأرض ساجدين يشكرون الله تعالى ويحمدونه، ويثنون على أغريرث ويمدحونه. فنفذوا راكبا الى زاولستان لإنهاء هذه الحال الى زال. وأمروه بالاستعجال والمسارعة الى إيصال هذه الرسالة حتى ينتهز الفرصة فى خلاصهم. فلما وصل الرسول أمر بإحضار الأمراء والقوّاد، وأخبرهم بالحال. وقال: من يتكفل بهذا المهم الخطير والأمر العظيم؟ فقام كشواد وقال: أنا أتولى هذا الأمر. فخرج فى عسكر عظيم من أعيان فرسان الايرانية، وتوجه راكضا الى مدينة سارى. فسمع بوصولهم أغريرث فترك الأسارى كلهم فى تلك المدينة، وركب فى جميع عساكره متوجها الى الرى الى أفراسياب. فنزل كشواذ على سارى وأخذها وأخرج جميع الأسارى. فساروا عائدين الى زاولستان. وبلغ الخبر بذلك الى زال فسرّبه وأمر بإفاضة الأموال على الفقراء والمساكين شكرا لله تعالى على ذلك. ولما قربوا استقبلهم زال. وجدّدوا للملك نوذر عزاء حثوا فيه الأتربة على رءوسهم، ومزقوا أثوابهم على نفوسهم. ثم أعدّ زال لكل واحد منهم منزلا ينزله، وأفاض عليهم خلعا فاخرة وأموالا وافرة.

قال: ولما فر أغريرث من آمل، وبلغ الرى، واجتمع بأفراسياب أنكر عليه فعله الذى فعل، وكان قد بلغه، فتنمر له وطفق يعنفه ويوبخه. وآخر ذلك أن سل عليه السيف وقدّه بنصفين. فانتهى الخبر بذلك الى زال فأجمع على قصده. وجمع الجموع، وحشد الجيوش، وتوجه نحو فارس فى جحافل

(١) ك، كو، طا: من أن. (٢) ك: اظهار (لا). (٣) ك: فتخلصون. وطا: فتخلصون.

جرارة . ولما علم بذلك أفراسياب نهض فى جموعه الى خوار(أ) الرى . ودنا زال منه فكانت طلائع العسكرين تتلاقى والقتال يجرى بينهما سحابة كل يوم مقدار أسبوعين . ثم ان زالا بات ليلة يتفكر فى أمر الملك . فلما أصبح قال: لابد لهذا الجمع العظيم من ملك يتسنم سرير الملك، ويعتصب بتاج السلطنة حتى ينظر فى الأمور، ويكون موئلا للجمهور . وطوس وأخوه كلاهما لا يصلحان لذلك . فنظروا فى المتصبين الى شجرة أفريدون فلم يجدوا فيهم من يصلح لذلك غير زو بن طهماسب . وكان ذا قدر وجلالة وشهامة وصرامة . فنفذ قارن وجماعة من الأمراء فى عسكر مجر ليستقدموه ويتوجوه.[1]

٩ — ذكر نوبة زو بن طهماسب وماجرى فى عهده

قال : فلما قدموا على زو أخبروه بأن زال بن سام وعساكر إيران كلهم اتفقوا على تقديمه وتتويجه . فأجاب وقدم فجلس على السرير واعتصب بالتاج . وكان كبير السن قد أناف على ثمانين سنة . فساس الرعية وأجرى الأمور على قانون العدل وطريقة السداد، وكف أيدى الظلمة وقلم أظفار الجورة . ووقع فى ذلك العهد قحط عظيم عز فيه الطعام حتى كان يقابل بالدراهم . وأمسكت السماء عنهم، وصوح النبات، وعدمت الأقوات . وبقيت عساكر الفريقين ثمانية أشهر متقاتلين ومتقابلين على حالة واحدة . فأضعفتهم الأزمة واستغاثوا وقالوا إن الله تعالى قد أبلانا بهذا البلاء والغلاء بشؤم فعلنا فى أرضه، وسوء صنيعنا بخلقه . فترددت الرسل بين الفريقين، فاصطلحوا

---

٩ — زو بن طهماسب

لم يكن فى ابنى نوذر من يصلح للخلافة، فاختار الايرانيون زو بن طهماسب. ويقول الفردوسى: لم يكن طوس وكستهم ابنا نوذر متحليين بالمجد (فر) الإلهى . ويعبر الثعالبى عن هذا بقوله : « لخلوهما من شعاع السعادة الإلهية »[2] . على أنه يؤخذ من كتاب بندهش أن زوا هو ابن نوذر لا ابن طهماسب[3] .

وهو فى الأبستاق أُزَوَه بن طوماسپه : "نعبد روح أزوه المقدس ابن طوماسپه"[4] وتختلف الروايات فى اسمه بين زو وزاب وزاغ وراسب . وفى اسم أبيه بين طهماسب وطهماسفان وسوماسب[5] . وينتهى نسب طهماسب الى نوذر المتقدم ذكره . وعجيب أن يجعل المؤرخون بينهما=

(أ) اسم مكان . ويلفظ «خار» .

(١) كو : ويتوجوه يليه ما كان يطلبه ويرجوه . (٢) الغرر، ص ١٣١ (٣ و ٤) أفستا، ج٢ ص ٢٢ و٩٠

(٥) أنظر تاريخ حمزة، ص ١٣ و٢٦ والغرر، ص ١٣٠ والطبرى، ج ١ ص ٢٣٥

وتهادنوا . واتفقوا على أن يقسموا بينهم الأرض (أ) . فاستقرت الحال على أن يكون من حدّ رُوزابد، وشير الى منتهى[1] أقصى الصين والختن لأفراسياب والتورانية، ومن هذا الجانب لزوّ والايرانية . فتعاقدوا على ذلك ، وتعاهدوا على أن لا يتجاوز كل واحد منهما حدّه المحدود . فرجع كلا الفريقين إلى ممالكهم ، وأخذ زوّ على طريق فارس، وعاد زال الى زاولستان . ففتح الله على[2] الخلق أبواب السماء وأدر عليهم شآبيب الأنداء . حتى أخصبت المراتع ، واعشوشبت المراتع . واستقر زوّ على سريره بفارس واجتمع عليه الايرانية . وبق على سيرة العدل والإحسان، وقاعدة الأمن والأمان، يقيم الميل ويزيل الأود على وتيرة[3] مرضية وشاكلة حميدة الى أن مضى لسبيله بعد خمس سنين من ملكه . فانتكست أمور الايرانية واختلت أحوالهم .

(٢٥)

[١٠ — كرشاسب

" وكان لنوزر ولد تقربه عينه اسمه كرشاسپ . فجلس على العرش، ولبس تاج الملك، فملأ العالم أبهة وجلالا . وبلغ الترك أن زوّا مات وأن عرش إيران شغر . فصاح أفراسياب فرحا ، وأقبل بجيوشه حتى بلغ خوار (خار) الريّ] .

= خمسة آباء أو ثمانية[4] على حين أن زوّا خلف نوذر بعد اثنى عشر عاما حكم فيها أفراسياب . ونوذر مات وهو ابن خمس وثمانين سنة . ويروى أن كرشاسب الآتى ذكره كان شريكا له فى الحكم[5] .

وينسب الى زوّ (زاب) حفر نهرى الزاب فى العراق[6] . وهو أوّل من اتخذ ألوان الطبيخ وأمر بها وبأصناف الأطعمة[7] .

وقصته فى الشاهنامه ثمانية وأربعون بيتا تحت عنوان واحد .

١٠ — كرشاسب

تختلف الروايات هنا كما اختلفت فى نوذر . فبعض المؤلفين لا يذكر كرشاسب وبعضهم يذكره وزيرا أو شريكا لزوّ بن طهماسپ الذى تقدّم ذكره : =

(أ) فى هذا الصلح يروى الثعالبى رمية السهم التى ذكرت فى مقدّمة فصل منوچهر .

(١) ك، طا : الى أن ينتهى الى . (٢) ك، طا : تعالى . (٣) ك : سيرة . (٤) فارس نامه ص ١٣ ، والطبرى، ج ١ ص ٢٣٥ (٥) أنظر مقدمة الفصل الآتى . (٦) فارس نامه والطبرى ونزهة القلوب ص ٢١٥ الخ . (٧) طبرى : ج ١ ، ص ٢٣٦ وفارس ٣٩

وكان أفراسياب لما ارتحل من خوار الرى وعبر جيحون قسم الممالك (ا) . وكان أبوه بشنك متغيرا عليه ومغتاظا من جهة إقدامه على قتل أخيه أغريرث . وكان لايجيب عن كتبه اليه، ولا يمكن رسله من الدخول عليه . وكانت رسله تبقى على بابه سنة كاملة لا يسمع لهم كلاما، ولا يرفع بهم رأسا . وكان يقول على سبيل التعنيف مخاطبا لابنه فى غيبته : لو كان الجد لك معاضدا ومساعدا لبقى لك أخوك عضدا وساعدا . أتفر عن ربيب طير (ب) ثم تحمى على أخيك بكل ضير؟ فمن الآن لاسبيل لك الى الحضور بين يدىّ، ولا طريق الى أن أنظر اليك أو تنظر الىّ . قال : فمضى على ذلك مدة من الزمان وتناهى الخبر بموت [كرشاسپ بن] زو الى بشنك فأرسل الى ولده أفراسياب يأمره بأن يعبر جيحون، ويعاود ثانيا قصد ممالك إيران، ويهتبل غرة أهلها وفرصة خلو عرصتها . فجمع عسكرا ترتج به الأرض، ويتضايق دون كثرته البر والبحر . وعبر بهم جيحون . فلما بلغ الايرانية ذلك وقع فيهم الاضطراب وجفلوا إلى زاولستان، وأقبلوا على زال يو بخونه ويعنفونه، وقالوا إنك منذ جلست موضع أبيك سام، وصرت بهلوان الدولة لم يطب عيش الناس يوما واحدا

= فى فارس نامه[1] أنه كان صديق زو أو شريكه أو ابنه أو حفيده . وفى الإشراف والتنبيه[2] أن زوا ملك ثلاث سنين وكرشاسب ملك ثلاثا . وفى الغرر للثعالبى[3] أن زابا (زو) كان منفردا بالعمارة وكرشاسب منفردا بالحرب . ويقول حمزة الأصفهانى[4] : " وفى أيام مملكة زو ملك كرشاسب " . ويقول الطبرى[5] : " وكان له (لزو) كرشاسب بن أثرط موازرا له على ملكه . ويقول بعضهم كان زو وكرشاسب مشتركين فى الملك . والمعروف من أمرهما أن الملك كان لزو بن طهماسب وأن كرشاسب كان له موازرا ومعينا . وكان كرشاسب عظيم الشأن فى أهل فارس غير أنه لم يملك " .

ويمكن تبين هذا الاضطراب فى الشاهنامه نفسها. فهى تصف فى أبيات قليلة تملك كرشاسب. ثم تقول إن افراسياب، حينما بلغه موت زو عاود الإغارة على إيران وجاء الى الرى . وكان أبوه پشنك ساخطا عليه منذ قتل أخاه أغريرث . فكان لا يقابل رسله ولا يجيب كتبه. وهنا تختلف النسخ . ففى بعضها أن پشنك بقى على هذه الحال حتى مات كرشاسب فأرسل الى أفراسياب يأمره أن ينتهز الفرصة فى إيران . وفى بعض النسخ يذكر البيت الدال على موت كرشاسب بعد=

(ا) قوله : "وكان أفراسياب" الى "الممالك" غير موافق للشاهنامه كما يرى القارئ من السطور التى ترجمتها فى مفتتح هذا الفصل . (ب) يعنى فراره من زال الذى ربته العنقاء كما تقدم فى فصل منوچهر .

(١) ص ٣٩ (٢) ص ٩٠ (٣) ص ١٣١ (٤) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ٢٦
(٥) ج ١ ص ٢٣٦

[حينما مات زو خلفه ابنه فقصرت يد الأشرار عن الفساد، والآن ذهب الملك كرشاسب العظيم فسارت المملكة والجيش بلا ملك] والآن قد نجم ناجم الشر فاستعد للأمر . فقال لهم زال : إنى منذ شددت وسطى بمنطقة البأس لم ير الناس مثلى فارسا مطلا على صهوات الخيل . وما وضعت رجلى فى مستنقع حرب ، ومعترك طعن وضرب إلا وصارت أعنة الفرسان أثفارا ، وصدور الشجعان أدبارا . والآن قد انحنى شطاطى القويم ، واستشن من ظاهر إهابى الأديم . ونفض الشيب على غباره ، وألبسنى شعاره . وضعف كاهلى عن حمل السلاح ، وتقاعدت همتى(١) عن هز الرماح . وقد أدرك ولدى رستم وأصبح كالنخل(٢) الباسق . وسأستنهضه فى هذا الأمر الفادح . فسر الايرانيون بذلك واشتد أزرهم . وجاء رستم أباه متعرضا لأمره . فقال : إن بين يديك أمرا باهظا وخطبا فادحا يهجر من أجله النوم والقرار . وأنت بعد رطيب العود، جدير بالدعة والقعود . فكيف أرمى بك فى أنياب المنون الفاغرة ، وأعرضك لمخالب الخطوب الفاقرة . فقال رستم عند ذلك : كيف يليق بهذه الأعضاد الشداد الاقامة تحت ظلال الترف والدلال؟ وسوف ترانى اذا اشتجرت الرماح ، وتصافحت الصفاح وفى يدى قطعة سحاب يتفجر من خلالها الدم ، وتسعر صواعقها وتتضرم ، أفلق هامات

— رسالة پشنك الى ابنه . ومعنى هذا أنه أمر أفراسياب بانتهاز الفرصة بعد موت زو . فعلى الرواية الأولى يبقى پشنك ساخطا على ابنه تسع سنين بعد إغارته على إيران حتى يموت كرشاسب فيأمره بسوق الجيش لحرب الايرانيين . فلماذا لم يأمر پشنك ابنه بالحرب بعد موت زو وقد أغار ابنه على إيران؟ ومقتضى الرواية الثانية أن الأب والابن اتفقا على غزو إيران بعد موت زو، والنسخ متفقة على أن وقائع الحرب لم تبدأ إلا بعد موت كرشاسب . ففيم مضت تسع السنين التى ملك فيها هذا الملك؟ تجيب النسخ التى تروى هذه الرواية بتغيير بيت من أبيات القصة تغييرا يدل على أن تعبئة الجيش استمرت تسع سنين . وهذا يخالف نسق القصص فى الشاهنامه الى تطوى الزمان والمكان للتعجيل بالوقائع . على أن النسخ كلها متفقة على أن ملك الترك أمر ابنه أفراسياب بالتعبئة وعبور جيحون . فأفراسياب اذا كان فى بلاد الترك وراء جيحون ، وقد عرفنا من قبل أنه أغار على إيران حتى قارب الرى . فكيف كانت عاقبة هذه الإغارة ؟ هذا خلل آخر فى السياق . إلا أن يقال أن الشاعر ذكر الإغارة ثم رجع يقص ما كان بين أفراسياب وأبيه حتى بلغ الموضع الذى بدأ منه نخيل الى القارئ أنهما إغارتان .

(١) ك، كو، طا : متى . (٢) كو: السرو .

الأبطال، وأهجم بها على هجمة الآجال . وما أريد الآن إلا حصانا كالبحر المائج والفيل الهائج وأريد جرزا — كأنه الذى عناه مترجم الكتاب بقوله[1] :

وأرعن عن ثغر الغضنفر كاشرا * شتيم المحيا فيه صولة جبار
كصاعقة لو[2] واجهت ركن يذبل * تشظى كرمل فى البطائح منهار

= على أنه سيذكر فى فصل كيقباد ما يدل على أن أفراسياب لم يلق أباه بعد قتل أخيه إلا بعد انهزامه أمام رستم وكيقباد . وهذا يستقيم فى الرواية التى تجعل غارة أفراسياب وأمر أبيه إياه بالغزو بعد موت زو لا على الرواية التى تجعل غارة أفراسياب بعد موت زو وأمر أبيه بالتعبئة بعد موت كرشاسب .

وقد سرى هذا الاضطراب الى الترجمة العربية . فقد حذف المترجم كرشاسب، وقص فى فصل زو السابق ما قصته الشاهنامه بعد عنوان كرشاسب . وأغفل الموضعين اللذين ذكر فيهما كرشاسب فى سياق القصة . على أنه يبعد أن يكون هذا تصرف المترجم . فأظنه ترجم نسخة لم يخصّص فيها فصل لكرشاسب . واذا نظرنا الى اختلاف كتب التاريخ الفارسى فى ذكر هذا الملك وأن غرر الثعالبي، وهى أقرب الكتب الى الشاهنامه، لم تذكره وذكرت فى عهد كيقباد الحوادث التى ذكرتها الشاهنامه فى أيام كرشاسب لم نستبعد أن الفردوسى لم يذكر كرشاسب بين الملوك، وأن تكون الأبيات القليلة التى ذكر فيها دخيلةً فى الكتاب زادها بعض الذين يريدون أن تكون الشاهنامه جامعة سير الملوك القدماء . وقد ترجمتُ الأبيات التى حذفها المترجم وأثبتها فى الترجمة بين أقواس لتكون موافقة نسخ الشاهنامه المتداولة .

ومهما تختلف الكتب فى أمر الملك كرشاسب ففى الأساطير القديمة بطل من أعظم أبطال إيران اسمه كرساسپه هو منبع أساطير كثيرة . وقد تقدّم الإلماع اليه فى مقدّمة فصل الضحاك ، وفى الكلام على أسرة سام فى مقدمة فصل منوچهر . وأجمل هنا مآثره وسيرته العجيبة :

فى الأبستاق : "نعبد روح كرساسپه السأما[3] المقدّس حامل المقمعة ذى الضفائر" . وفى موضع آخر أن المجد الإلهى حينما فارق جمشيد المرة الثالثة أخذه كرساسپه الجرىء أشدّ الرجال بعد زرتشترا الخ " . ويعدّ من مآثره فى الأبستاق قتل الثعبان سرورا الذى كان يبتلع الخيل والناس ، الثعبان الأصفر الذى يفيض السم الأصفر غزيرا فوقه . والذى كان كرساسپه يطبخ طعامه فوقه فى قدر=

(١) كو، ز : من قصيدة سلطانية . (٢) ك : إن . (٣) أى المنتسب الى سام .

قال : فلما سمع زال مقالة رستم هذه تمايل من الطرب بين أفوافه، وتمشت نشوة السرور فى أعطافه ، وأمر أن تعرض الخيل عليه (أ) . فجعلوا يعزون بها على رستم . فكان اذا وقع نظره على فرس قوى جره اليه بأعرافه، وغمز ظهره بكفه . فيلصق بالأرض من شدة قوته . فلم يجد فرسا يسلم من ذلك حتى جاءوا بخيل كثيرة من كابل ، فمروا بها عليه فرأى فى جملتها حجرة شهباء ضامرة كأنها لبؤة . وخلفها مهر جذع فى قد الأم ، طامح الطرف، مطهم الخلق، ململم الكفل ، ضاق الذنب، صافى اللون، فى أوصاف كثيرة ذكرها .

فرمى بالوهق فى عنقه § واستجره اليه ، وغمز ظهره بكفه ، فثبت ولم يتحرك . فسر بذلك وأسرجه وألجمه وآسترضاه[1] لنفسه مركوبا . وكان يسمى رخشا . وسر زال بذلك أيضا وأمر العساكر

[§ فى الشاه . أن رستم أراد أن يرمى الوهق على المهر فقال له الراعى : لاتأخذ فرس غيرك . فقال رستم : لمن الفرس ؟ إن فخذيه ليس عليهما سمة . قال الراعى : دع السمة فقد كثر القيل والقال فى هذا المهر . ونحن نسميه « رخشا » . وهو — كما ترى — مُدَنَّر فى صفاء الماء وحدة النار . ولسنا نعرف له صاحبا ولكنا نسميه رخش رستم . وقد أركب منذ ثلاث سنين ، ولكن أمه تدفع عنه الناس دفع الأسد . ولا ندرى أى سر فى هذا .

فرمى رستم الوهق فأقبلت أمه كالفيل الهائج . فزجرها رستم وضربها فوقعت على الأرض . ثم غمز ظهر المهر فلم يلن لغمزته . فسأل ماثمن الحصان ؟ فأجاب الراعى : إن كنت رستم فخذه واذهب فخلص إيران . فإنما ثمنه بلاد ايران .]

= من النحاس وقت الظهيرة، فأحس حر النار فقام على أرجله ووثب من تحت القدر وكفأ الماء .

وكذلك قتل كندَروا[2] ذى العقب الذهبي الذى كان يصول فاتحا براثنه ليدمر عالم الخير . وكان يعيش فى البحر والوادى وعلى الجبل، ورأسه يناطح السماء . ويبتلع اثنى عشر رجلا جملة واحدة .

قاتله كرساسپه تسعة أيام وليال حتى أخرجه من قعر البحر وحطم رأسه بالمقمعة . فلما سقط على الأرض فسدت بسقطته أقطار كثيرة.[3] وكذلك قتل أبناء بثانا التسعة قطاع الطريق الذين بلغوا من بسطة الجسم أنهم كانوا اذا مشوا حسب الناس أن تحتهم الكواكب والقمر، وأن الشمس تطلع =

(أ) فى الشاه : وأمر أن يحضر له مقمعة سام التى تتوارثها الأسرة ثم عرض عليه الخيل الخ .

(١) كذا فى النسخ كلها . والصواب ارتضاه . (٢) أفستا، ج ٢ ص ٢٩٥ (٣) = حاشية ١ . وورنر (Warner) ج ١ ص ١٧٢

بالخروج . فبرز فى جمع ضاق بهم الأرض ولم يأت عليهم العدّ والحصر . وفصل من زابلستان فى فصل الربيع . وبلغ خبره أفراسياب فسار فى عساكره وساقهم حتى وصل الى الرى . فنزل فى مرج كثير المـاء والقصب . ووصل عساكر إيران متظاهرين على طريق البرية . فتقارب الفريقان حتى كان بعد ما بينهما مقدار فرسخين . فدعا زال بأركان الدولة وأعيان الأمراء والموابذة . وقال لهم : إنى قد حشدت هذا الجمع الكثير والجم الغفير . ولا بد من ملك يتولى تدبيرهم، ويسوس صغيرهم وكبيرهم. فإنه لمـا جلس زَو على سرير الملك استتبت الأمور وانتظمت . وهكذا الآن لا بد من ملك يشـمل الكل أمره ونهيه، ويحوط الجملة رأيه وعقله . فأشار الموبذ عليه بكيقباذ . وكان منتسبا إلى شجرة أفريدون. فأنفذ زال آبنه رستم الى جبل ألبرز فى جماعة من أعيان الأمراء وفرسان القوّاد (ا) . وسار[1]

= فى الصباح أسفل منهم، ومياه البحار تبلغ ركبهم[2]. الى مآثر أخرى تعدّها الأبستاق وغيرها، منها قتل الطائر كَنك الذى ظلل الأرض، ومنع المطر حتى جفت الأنهار[3] .

وكان كرساسپه أعطى الخلود على الأرض ولكن أحد خلائق أهرمن أضله فأزدرى عبادة النار ومال الى الوثنية . فألقى فى النار الى أن شفع فيه زردُشت عند هُرمُزد فدعاه بجاء يتضرع متوسلا بمآثره التى تقدّم ذكرها، وبأنه سـيقتل الضحاك آخر الزمان، لا يستطيع غيره أن يقتله . فيعفو عنه هرمزد ويدخله الجنة .

ولعل أعظم مآثر كرساسپه أنه سيقتل الضحاك . وقد تقدّم أن أفريدون قيد الضحاك على جبل دماوَند ولم يقتله . وأرجأتُ الكلام عن عاقبة الضحاك الى هذا الموضع :

كرساسپه نائم فى وادى پشـين جنوبى كابل . ويحرسه هناك المجـد الإلهى وأرواح الأتقياء . حتى اذا اجتمعت قوى الشر لتحارب قوى الخير المحـاربة الأخيرة دعا أهرمن الضحاك من جبـل دماوند، فيخلص من قيوده ويصول فيبلع ثلث البشر والبقر والغنم وغيرها من مخلوقات أرمُزد. =

(ا) لم تذكر الشاه أن أحدا ذهب مع رستم . وقصة ذهاب رستم الى كيقباد ومصادفته إياه فى طائفة من الفرسان بين الأشجار والمياه وقد نصب له تخت، وتبشيره بالملك، وقص كيقباد رؤ ياه على رستم، والذهاب معه إلى حيث الأمراء والجيش — من طرائف قصص الشاه .

(١) ك : فسار. (٢) أفستا، ج ٢ ص ٢٩٥ حاشية ٤ (٣) = ٢٩٦ حاشية .

وطوى تلك المنازل البعيدة، والمراحل المتقاذفة فى أسبوعين حتى أتى كيقباذ وبشره بالملك ، وأقبل معه ودخل المعسكر ليلا . ومكثوا أسبوعا يتشاورون ويمخضون الآراء حتى ترتبت الأمور وانتظمت الأحوال .

= ويفسد المــاء والنار والنبات ويعيث فى الأرض . فتبكى النار والمــاء والنبات أمام هُرمُزد وتدعو أن يبعث أفريدون ليقتل الضحاك . وتقول النار أنها لن تحمى ، والمــاء أنه لن يفيض . فيأمر هرمزد سُروش وملَكا آخر ليوقظا كرساسپه . فيناديانه ثلاث مرات ، ويستيقظ بالنـداء الرابع . ويصمد للضحاك ، ويضربه على رأســه بالمقمعة المعروفة فيقتله ، ويزول الشر والإثم والفقر ويبدأ عهد السعادة الدائمة[1] .

ثم موطن هذه الأساطير، وهو كابلستان، يوافق ما ذكر آنفا عن الصــلة بين أسرة رستم وبين كرشاسپ، ويفسر جنوح كرساســپه الى عبادة الأصــنام . فإقليم كابل وما حوله كان أقرب الى الحضارة الهندية[2] .

واذا نظرنا الى تشابه الاسمين اسم الملك كرشاسپ واسم البطل كرساسپه، وعرفنا أن فى دينكَرد يذكر بعد الملك كيقباد الآتى ذكره ملِك اسمه كرساسپ يظن أنه هو البطل العظيم صاحب المآثر التى أسلفنا ذكرها فأكبر الظن أن الملك كرشاسپ الذى تجعله الشاهنامه آخر البيشداديين هو البطل كرساسپه . ومن أجل هذا ذكرت طرفا من أخبار البطل كرساسپه فى مقدّمة فصل الملك كرشاسپ .

ثم قصة كرشاسب فى الشاهنامه ٢٧٣ بيتا مقسمة الى هذه الأقسام :

(١) ملك كرشاسب تسع سنين . (٢) إمساك رستم رخشا . (٣) زال يقود الجيش الى أفراسياب . (٤) إحضار رستم كيقباد من جبل ألبُرز .

---

(١) أفستا، ج ٢ ص ٦٢ حاشية . وورنر (Warner) ج ١ ص ١٧٣

(٢) أنظر المقدمة فى العلاقة بين الايرانيين والهند .

القسم الثانى

الكيانيّون

١١ — ذكر نوبة كيقباذ وما جرى فى عهده [١]

قال صاحب الكتاب : ثم نصبوا تختا [٢] وتسنمه كيقباذ معتصبا بالتاج . واصطف حواليه الأمراء والقواد يهنئونه وينثرون النثارات عليه . فسايلهم عن أفراسياب وحاله . وركب فى اليوم الثانى للقتال وارتجت الآفاق بخفق الكوسات . وتدجج رستم مظاهرا بين لبوس الحرب، وتصدى كالليث الكاشر للطعن والضرب . واصطف الإيرانيون وتعبوا للحروب ميامن ومياسر، ومقانب ومناسر . فوقف مِهراب فى أحد الجانبين، ووقف كِرْدَهم فى الجانب الآخر، ووقف قارَن مع كِشواذ فى القلب، ووقف وراءهم الملك كيقباذ مع زال يخفق على رأسه درفشه الميمون ، ولواؤه المنصور . فصارت الأرض كأنها تمور، والجبال كأنها تسير . فركض قارن وبرز من الصف كالهزبر الصائل، وجعل يحمل على الميمنة تارة وعلى الميسرة أخرى . فلما رأى رستم تعطفه فى جولانه ، ومطاردته لأقرانه أتى أباه وسايله عن أفراسياب وعن مقامه الذى يقوم فيه، واستوصفه صفة ملبسه ورايته، وقال : إنى حامل عليه وآخذ له . فقال له أبوه : لا تخض اليوم هذه الغمرة، وكن على حذر منه . فانه لا طاقة لك بمقاومة الثعبان الثائر . ثم قال : إن شعاره هو السواد وله راية سوداء وعليه خفتان أسود، وعلى

(٣٦)

القسم الثانى

الملوك الكيانيون

طائفة من ملوك الشاهنامه تبتدئ أسماؤهم بكلمة "كى" و يظن أنها لقب معناه "ملك" ويقول المسعودى معناه "العزيز" . وجاءت فى كتاب الفيدا بلفظ "كفى" ومعناه فيها كاهن، لا سيما الكاهن الذى يوحى اليه حين يشرب شراب "سومه" المقدس . وكذلك جاءت كلمة "كفى" فى الابستاق بمعنى زنديق . وجاءت كذلك اسما لإنسان بعينه ولقبا لجماعة تنتمى اليه، بينهم بعض من ذكرتهم الشاهنامه باسم الكيانيين [٣] .

ولا يجد قارئ الشاهنامه ما يفصل بين البيشداديين والكيانيين فصلا تاما . فسياق القصة لم يتغير بالانتقال من هؤلاء الى هؤلاء . وكبار الأبطال والقادة الذين يحاربون فى جيش قباد أوّل الكيانيين هم بقية أبطال العهد الأوّل . والفارق الذى تضعه الشاهنامه بين العهدين أن كرشاسب =

(١) كو، ز : "وهو أوّل من ملك من الطبقة الثانية من ملوك الفرس وهم الكيانية وكانت مدة ملكه مائة سنة" .

(٢) ك كو : من العاج . (٣) وزنر (Warner) ج ١ : الكيانيين، وافستا، ج ٢ ص ٢٦ و ٢١٣ و ٢١٥ و ٢١٨

رأسه مغفر عليه علاقة سوداء . فقال رستم : لا بأس عليك فإن الله معاضدى ، والجد مساعدى . ثم حمل وبرز الى فضاء المعركة . فرآه أفراسياب فتعجب من شكله وقالبه ، وتشمره . وسأل عنه فأخبر بأنه ابن دستان بن سام . فقصد أفراسياب وتدانيا وتواقفا(١) . فوثب عليه رستم ، وأخذ بمعاقد منطقته ، واقتلعه من سرجه فانقطعت سيور منطقته ، ووقع إلى الأرض . فأحاطت به فرسان أصحابه وحموه منه . فبلغ(٢) الخبر بذلك الى كيقباد فحمل بصفوفه المرصوصة عليهم حملة ضعضعت أركانهم ، وأدحضت أقدامهم . فمنحوهم الأكتاف ، وولوا منهزمين ، وتفرقوا طرائق قددا أجمعين . وقتل ألف ومائة وستون من أعيان التورانية ووجوه قوادهم ، ورتوت أمرائهم . ونكص أفراسياب فى فله الى دامغان ومنها الى جيحون . ثم عبر وتوجه نحو أبيه بشنك . فلما مثل بين يديه سرد عليه جميع أحوال الوقعة ، ووصف قوة الإيرانية وقلة ثبات التورانية بين أيديهم . وقال : الصواب أن نغتنم السلامة منهم ، وننفذ الرسل إليهم جانحين الى السلم . ثم طفق يعتذر الى أبيه من سبق السيف العذل فى قتل إغريرث أخيه ، ويسأله العفو والصفح . ففعل ونفذ أحد دهاة حضرته وكفاة دولته رسولا الى كيقباد ، وكتب إليه كتابا افتتحه بحمد الله والثناء عليه . ثم أثنى

= عاشر البيشداديين مات عن غير خلف صالح للملك وقد أغار التورانيون على إيران . فجمع زال زعيم الأبطال الجيش وسار للحرب . ثم رأى أن الأمر لا يستقيم بغير ملك يجمع كلمتهم . فأعلمه الموبذ أن فى جبال ألبرز رجلا من ذرية أفريدون جديرا بالملك اسمه كيقباد . وقد تقدم أن أفريدون أحد الملوك البيشداديين . فأرسل زال ابنه رستم لإحضار كيقباد . فلما جاء بايعه الملا من الجيش وصمدوا لحرب العدو . فليس فى الأمر إذا إلا أن واحدا من ذرية البيشداديين ورث عرشهم . وقد تقدم أن نوذر بن منوچهر قتل وليس فى أبنائه أهل للملك ، فأحضر زال زو بن طهماسب فكان ملكا . وليس بين الحادثين فرق ، فيما يظهر ، إلا أن الشاهنامه والكتب الأخرى عدت كيقباد أول أسرة من الملوك عرفت باسم الكيانيين . وأكثر الكتب يجعل كيقباد من نسل نوذر — كما يأتى .

سيجد القارئ اختلافا كبيرا بين طائفة من الكيانيين وأخرى — اختلافا هو أجدر أن يكون فاصلا بين عهدين . فبعد كيخسرو ثالث الكيانيين تتغير أسباب الحرب ، وميادينها ، وأبطالها ، فى إيران وتوران . ويبدأ عهد جديد بولاية كشتاسب الذى عهد اليه كيخسرو فأنكر عليه الايرانيون وأبوا أن يبايعوا رجلا لا يعرفون له فى الملوك نسبا ، ولا يرون له عليهم فضلا . حتى أخبرهم =

---

(١) كو : تصاولا . (٢) ك ، طا : وبلغ .

على أفريدون وذكر أنه كان جرثومة الجلال ، ومتشعب أغصان المجد والإقبال . وذكر فيه أن تورا وإن كان ظلم إيرج فإن منوجهر انتقم له وأدرك ثاره . وقد كان أفريدون قبل ذلك قد قسم الممالك قسمة عادلة . والأحرى بنا أن نتبعه ونقتدى به فى ذلك ولا نحيد عن مقتضاه . فيكون جيحون حاجزا بين المملكتين ويكون ما وراءه للتورانية كما كان فى عهد إيرج ، وما هو من جانبه الآخر للإيرانية ، ومقتضى العقل أن نتراضى بهذه القسمة ، ولا نتعنى فى محاولة غيرها . إن اقتضى رأى الملك كيقباذ أن يغمد سيف الخلاف ، وتحسم مادة الشر ، ويصالحنا على ذلك حتى يأمن العالم وتنقطع الفتن فعل . فلما وصل الرسول الى كيقباذ وقرأ الكتاب قال : إنكم تعلمون أنا لم نسارع قط إلى الشر بادئين ، ولم نور زناد الحرب لا فى هذا الزمان ولا قبله ظالمين . أما فى عهد أفريدون فقد كان تور بادئا بقتل إيرج . وأما الآن فلا يخفى أن أفراسياب هجم[1] هذه البلاد ، وفعل ما فعل بنوذر ، وأقدم على قتل أخيه أغريرث . ثم إنكم إن ندمتم على ما قدمتم من سوء الصنيع ومستهجن الفعال ، وجنحتم الى السلم والمكافة رعاية لمصلحة الكافة أغضينا عما سلف ، وتجاوزنا عما فرط ، ووافقناكم على أن يكون ما وراء النهر لكم وما دونه لنا . وكتبوا بذلك عهدا ، وأبرموا أمره عقدا . فأتى رستم

= كيخسرَو — وهو فى حال جعلت الايرانيين يظنون به الجنون — أن لهراسپ هذا من ذرّية هوشنك ثانى الملوك البيشداديين .

ويُذكر كى فى الأبستاق بلفظ كفى . ويظهر أنه اسم رجل بعينه . ففيها : " نعبد روح المقدّس كفى " و " نعبد روح المقدّس يورُستى بن كفى " و " نعبد روح كرستا بن كفى " . وتذكر فيها أسماء أخرى يأتى بعضها فى الفصول الآتية[2] .

وينبغى التنبيه الى أن الأبستاق — فى زمياد يست الذى يسميه درمِستِتر شاهنامه مختصرة — لم تلقِّب بلقب كفى إلا طائفة أولهم كيقباذ وآخرهم كيخسرو . والملك لُهراسپ الذى خلف كيخسرو لم يلقب بهذا . وفى هذا تفريق بين الفئتين : كيخسرو ومن قبله ولهراسپ ومن بعده .

وتصف الأبستاق تجسد المجد الإلهى فى الكيانيين ، وما يكون فى عهدهم من السعادة والرغد ، واقتدارهم على محو التورانيين . وتجعل موطنهم عند بحيرة كاسَئا على نهر هئيتُمَنت حيث جبل أُشِدهَو الذى تحيط به المياه السائلة من الجبال . والبحيرة المذكورة بحيرة زِره فى سيستان . والنهر نهر =

---

(١) ك ، كو : هجم على .

(٢) أفستا ، ج ٢ ص ٢١٥ و ٢١٣ و ٢١٨

الملك كيقباذ وأنكر عليه الصلح . وقال : هلا كان ذلك منهم قبل هذه الوقعة! والآن فالرأى أن نجوس ديارهم، ونستبيح أموالهم ودماءهم . فقال الملك : إنا لم نر أحمد مغبة من العدل، ولا أحسن عاقبة من الإنصاف . فاذ طلب بشنك مصالحتنا وموادعتنا لخقيق بنا أن نجيبه الى ما طلب . وقد تقدّمنا بأن يكتب لك عهد على ممالك زابلستان الى بحر السند . فانهض اليها وتسنم سرير الملك بها ، وسلّم بلاد كابل الى مِهراب . وخلَع عليه خلعة عظيمة مشتملة على التاج والمنطقة وغير ذلك من الملابس الفاخرة، وولاه ذلك الإقليم . وذكر دستان وأثنى عليه وقال إنه بقية الملوك الماضين . وأمر فأعدّوا تاجا من الذهب ومنطقة مرصعة بالجواهر، وأحضروا خمسة من الفيلة العظام ، وأوقروها بالذهب والفضة . وأمر بحمل الكل اليه . وأمر لجميع الملوك والأمراء مثل قارنَ وكشواذ و برزين وخرّاذ بنفائس الخلع، وطرائف التحف، على اختلاف مراتبهم . ثم سار فى جحافله الى بلاد فارس، وكانت اصطخر دار الملك فى ذلك العهد . فصار اليها وألقى بها عصا التسيار، فقصده الخلائق من

= هلمند، والجبل جبل أُشى دارنا أى الجبل الذى يمنح الفهم، وهو فى سيستان كذلك[1]. فوطن الكيانيين اذا شرقى ايران . ولكن الشاهنامه تجعل موطن كيقُباد جبل ألبرُز. وقد تقدّم عن أفريدون[2]، أن أمه أخذته من الراعى وقالت أريد أن أقربه الى الهند، وأحمله الى جبل ألبرز . فليس بعيدا أن يكون الفردوسى أو من قبله تخيل ألبرز فى الشرق . على أنه، فى أساطير إيران، جبل محيط بالأرض. والكتب الأخرى تجعل مقامهم فى الشرق، بلخ وما حولها[3] . والشاهنامه تجعل حاضرة أوائلهم اصطخر .

ثم بعض سير الكيانيين فى الشاهنامه يوافق التاريخ الحق، وبعضها يقاربه، وبعضها خرافة . فهم وسط بين أساطير البيشداديين وتاريخ الساسانيين فى الشاهنامه وغيرها[4] .

وأعظم أبطال هذا العهد أسرة سام التى أسلفنا ذكرها ، وأسرة أخرى يأتى ذكرها هى أسرة كوذَرز بن كشواذ . ومن هاتين الأسرتين وغيرهما عصبة تعرف باسم "الأبطال السبعة" سيجدها القارئ فى ثنايا الفصول الآتية . ولكن هؤلاء الأبطال جميعا يختفون أو يتركون الميدان فى العصر الثانى من عصرى الكيانيين — عصر لهراسب وخلفه . وأعظم أبطال هذا العصر اسفنديار ابن الملك كُشتاسب . وسيرى القارئ أن رستم يقتله بمعونة العنقاء[5] . =

(١) أفستا، ج ٢ ص ٢٠٢ و ٢٢٥و٢٨٧ (٢) ص ٣١ متن . (٣) مروج الذهب وفارس نامه .
(٤) انظر المقدمة : الكيانين والأكيين . (٥) انظر المقدمة : أبطال الشاهنامه .

جميع الأقطار . وتوفر على تمهيد قواعد الأمن والأمان ، وتشييد مبانى العدل والاحسان . فطاب عيش الناس فى زمانه ، وأقاموا فى ظلال النعم[(١)] وادعين آمنين . وكان له أربع بنين كيكاوس وكى آرش

= ثم ملوك الكيانيين تسعة تتفق عليهم الكتب إلا الجدول الذى يقول البيرونى ، فى الآثار الباقيـة أنه نقله عن أهل المغرب ، ويخلط فيه الكيانيين وملوك بابل ويذكر فى سياق الكيانيين بعض الأسماء المعروفة فى تاريخ الأكيذيين . وهذا نسبهم مأخوذا من الشاهنامه :

١ ـ كيقُباد « من نسل افريدون »

٢ ـ كيكاوُس — كى پشين — كى أرش — كى أرمين

سياوُش « أمه أسيرة تورانية من ذرية كرسيوز »

فرود « أمه جريرة بنت پيران » — ٣ ـ كيخسرو « أمه فرنكيس بنت أفراسياب »

٤ ـ لهراسپ « من نسل پشنك »

٥ ـ كُشتاسپ = كتايون بنت قيصر الروم — زرير — نستود

ستة أولاد آخرون — اسفَنديار

٦ ـ بهمَن

ساسان — ٧ ـ هُماى « بنت » = بهمن « أبوها »

٧ ـ داراب

١٠ ـ اسكندر « أمه ناهيد بنت فيلقوس المقدونى » — ٩ ـ دارا

١١ ـ كيقُباد

هو أوّل الكيانيين . ولا تذكر الشاهنامه فى نسبه إلا أنه من ذرّية أفريدون . وكتب أخرى تجعل نوذر جدّه الثالث[(٢)] . وفى بُندَهِش أنه نُبذ بعد ولادته فعثر عليه أُزاف (زاب أو زو) وتبناه[(٣)] . واسمه فى الأبستاق كَڤى كَڤاته[(٤)] . =

---

(١) لك ، طا : ظل النعيم . (٢) فارس نامه ص ١٤ والآثار الباقيـة ص ١٠٤ ، والطبرى ، ج ١ ص ٢٣٦

(٣ و ٤) افسـتا ، ج ٢ ص ٢٢٢ حا ٣

وكى نشين وكى أرشش (ا) . فلما أتى عليه مائة سنة من ملكه تبدت له طلائع المنون ، فدعا بأكبر أولاده : كيكاوس ، وسلم اليه التاج والتخت واستخلفه ، وأمره باكتساب محامد السير والتحلى بمكارم الشيم ثم مضى لسبيله [١] .

١٢ — ذكر نوبة كيكاوس وما جرى فى عهده

قال صاحب الكتاب : ثم قام كيكاوس بالملك بعد أبيه ، واعتصب بتاج السلطنة . فصادف الدنيا عامرة ، وأموال الخزائن وافرة ، ووجوه الخلائق بدولته مسفرة ، وصدورهم بحسن سيرته منشرحة . فلم يبق أحد من أصحاب الأطراف إلا وقد ألقى زمام الانقياد اليه ، وتضاءل مذعنا بالطاعة بين يديه .

قال : وجلس يوما على سريره وحوله الإيرانية فأتاه الحاجب وقال [٢] له : إن على الباب رجلا يقول إنه مغنّ حاذق من أهل مازندران . وهو يلتمس الحضور بين يدى الملك . فأمر بإدخاله عليه .

= والشاهنامه تجعل مقامه اصطخر . وفى نزهة القلوب أنه اتخذ إصفهان دار ملكه [٣] . ومما يؤثر عنه بناء مدينة قواديان فى خراسان على جيحون ، وتقديره المسافات بالفراسخ والأميال [٤] .

وفى الطبرى أن زوج كيقُباد ، أم أبنائه الأربعة الآتى ذكرهم ، تركية . وهكذا تصل القصة نسب الايرانيين والتورانيين فى الحين بعد الحين ثم تقطع وشائج الأرحام بحدّ السيف فى المعارك الطاحنة [٥] .

١٢ — كيكاوس

الواو فى كاوس ممدودة . وقد تهمز . ويسمى فى الكتب العربية كيقاوُس . ويعرب قابوس . وهو الملك الثانى من الكيانيين . وهو ابن كيقُباد فى الشاهنامه ، وفى كتب أخرى أنه حفيده أو ابن أخيه [٦] . ولقبه " نمرد [٧] " .

ويذكر فى الأساطير الدينية الهندية والايرانية . وتختلط أساطيره بالأساطير السامية ؛ فهو فى الڤيدا "كايه أشَنا" أى أشنا بن كڤى . وقد تقدّم ذكر كڤى فى الفصل السابق . وينسب اليه فى الڤيدا =

(ا) فى الشاه : كى أرمين ، بدل كى أرشش . وفى الطبرى : كى أفنه ، كى كاوس ، كى أرش ، كيه أرش ، كيفاشين ، كييه . وفى الأبستاق : أن الأربعة بنو أيِفَنو بن كيقباد ، وهم : أُسَدمَن ، أرشَن ، بِسَه ، پارش ، أفستا ، ج ٢ ص ٢٢٢

(١) كو ، ز : " ويقال أنه كان ولد زو . ودفن فى أرض فارس وكان فى زمن سليمان " . (٢) طا : له (لا) .

(٣) ص ٢٨ (٤) نزهة ص ١٥٦ و ١٦٣ (٥) أنظر المقدمة : ايران وتوران . (٦) الآثار ، ص ١٠٤ والطبرى ، ج ١ ص ٢٦٢ ، وفارس نامه ص ١٤ (٧) الآثار ، ص ١١٤

فدخل وأجلس فى صف المغنين وأمر[١] بالغناء . فأخرج عودا وسوّاه، وجسّ أوتاره، وأخذ يغنى على طريقة أهل مازندران، ويصف فى غنائه طيب هواء بلاده ورياضها المونقة ، وأنه لا يكون بها شتاء ولا صيف ، بل هى أبدا فى مثل هواء الربيع واعتداله ، ولا تزال صحاريها متبرجة بين الحلى والحلل من الرياحين والأزهار والشقائق والنوّار ، وأنها كجنان الخلد فيها الخرائد الآنسات كأنهن الشموس الطالعات . فلما قرع ذلك سمع الملك ارتاح الى تلك البلاد ، واشتاقت نفسه اليها ، (٣٧) وتشوّف الى تملكها والاستيلاء عليها . فأقبل على أصحابه وقال : إنا قد اشتغلنا باللهو واللعب ، وألقينا قيادنا الى يد[٢] القصف والطرب ، وقبيح بالفارس البطل الإكباب على البطالة والكسل . وأنا الآن أطول الملوك باعا ، وأرحبهم ذراعا ، وأعظمهم مهابة وجلالة ، وأكملهم قوة وبسالة . فالواجب أن أكون أوسعهم مملكة وأبسطهم ولاية[٣] . فاصفرت وجوه أصحابه حين سمعوا مقالته ، وارتعدت فرائصهم . من حيث إن من مضى من الملوك كانوا لا يتيمنون بمحاربة أهل مازندران ، ويتشاءمون من ذلك . ولم يتجاسروا على مواجهة الملك بذلك . لكن[٤] قالوا : الأمر أمر السلطان ، ونحن كلنا لمراسمه

= أنه جعل "أكنى" أى النار الكاهن الأعظم بين البشر، وأنه كان قائد البقر السماوية (السُحُب) الى المرعى، وأنه صنع المقمعة التى قتل بها الإلٓه إندرا الشيطانَ فِرتَرَه[٥] .

وهو فى الأبستاق كثى أسا : " قرب اليها (الٓهة الماء) العظيمُ الحكيم كفى أُسا قربانا ... ... وسألها نعمة قائلا : امنحينى هذه أيتها الطيبة الخيرى "أردڤى سورا أناهتا"! لعلى أصير ملك الأقطار كلها : بلاد الجن والانس الخ " . فاستجابت له الالٓهة[٦] . وفيها عن طائر مقدّس أنه يحمل مراكب الملوك ، وأنه حمل مركبة "كثى أُسا" . وفى هذا إشارة الى قصة محاولة الصعود الى السماء — وستأتى فى هذا الفصل — وفى كتاب دينكَرد خلاصة أعمال كيكاوس ، وفيه أنه كان له ثور عجيب يرجع الى حكمه فيما يشجر بين الايرانيين والتورانيين من خلاف على الحدود . وكانت أحكامه أكثرها على التورانيين ، فخدعوا كيكاوس وأغروه فقتل الثور[٧] .

وفى الطبرى أن الجن كانت تسخر له بأمر سليمان بن داود . وفى بعض روايات الآثار الباقية أن كيكاوس هو بختنصر[٨] . =

---

(١) ك : فأمر . (٢) ك : يد (لا) . (٣) كوز : « ولا بد لنا من قصد بلاد مازندران والمسير اليها والاستيلاء عليها » . (٤) ك ، طا : ولكن . (٥) أنظر : ورنر (Warner) ج ٢ ص ٢٥ (٦) أفستا ، ج ٢ ص ٦٥ و ٢٤١ (٧) ورنر (Warner) ج ٢ ص ٢٦ نقلا عن « نصوص فهلوية » لوست (West) ص ٣١ ج ٥ (٨) الطبرى ، ج ١ ص ٦٠٢ والآثار ، ص ١١١

ممتثلون، ولاوامره مطيعون . وقاموا من عنـده واجتمعوا وتذاكروا ما علق بقلبه من قصـد تلك البلاد ، وذكروا أن جمشيد مع جلالة قدره ، وفخامة شأنه حين أطاعتـه الجن والإنس والوحش والطير لم يخطر بقلبه ذكر تلك البلاد، ولم يتعرّض لها بمكروه مدّة عمرة . وكذلك أفريدون، أضرب عنها ولم يتعرّض لهـا أصلا . ثم أطرقوا[1] واجمـين ، وسكتوا متفكرين . فقال لهم طوس : الرأى أن نرسل إلى زال بن سام، ونعلمـه بذلك، ونجشمه النهوض الى هاهنا . فلعله يقـدم فيثنى الملك عن هذا الرأى . فطيروا راكبا بذلك اليه واستقدموه الى دار الملك واستعجلوه . فلمـا وصل الرسول اليه وقرأ الكتاب، ووقف على الحال استعضل الأمر واستعظمه ، وركب فى الحال مبادرا الى بلاد فارس . ولمـا وصل الخبر الى أمراء إيران بطلوع رايات دستان بن سام ركبوا للاستقبال ، وتلقوه بالإعظام والإجلال، وترجلوا له اعترافا بقـدره وإعظاما لشأنه . ثم ركبوا وأقبلوا الى حضرة الملك ، وجعلوا يشكونه اليه فى الطريق، و يعيبون عليه ما عزم عليه من قصـد مازندران ، ومحاربة جنها وسعاليها، و يذكرون أنهم لا يستجيزون ترك النصيحة ويخافون أن تزل به القدم، فيقع فى بلية لاينفع بعدها الندم . ثم لمـا قربوا من باب الملك تقـدّم زال فدخل فتبعه[2] سائر الملوك والامراء . فحـين

(3) = ومن الاثار المنسوبة اليه تل عقرقوف فى العراق، وسمرقند، وأبهر، وستوريق فى العراق العجمى .

وفى عهد كيكاوس يتشعب القصص، وتدخل فيه أمم أخرى ، وميادين جديدة . كما يرى القارئ فى ثنايا هذا الفصل .

ثم سيرة كيكاوس فى الشاهنامه ٧٤٤٦ بيت . وأعظم أقسامها :

(١) حرب مازندران . (٢) وحرب هاماوران . (٣) وقصة سهراب . (٤) وقصـة سياوخش . وفى كل قسم من هذه عناوين كثيرة سأذكرها فى مواضعها .

مازندران

مازندران وطبرستان اسمان لاقليم واحد يقع بين جبال ألبرز و بحر قزوين من الجنوب والشمال ، و بين جرجان وجيلان من الشرق والغرب . وجبال ألبُرز شامخة يتجاوز بعضها خمسة آلاف متر علوا. وسفوحها الشمالية مغطاة بالغابات الكثيفة الى علوّ ألفى متر . وتكثر فيهـا أنواع الفاكهة . و يتعلق الكرم البرى بالأشجار، و يمتدّ من شجرة الى أخرى ناسجا عُرُشا طبيعية . =

(١) ك : أعرضوا . (٢) ك ، كو ، طا : وتبعه .

(٣) نزهة : ص ٣٩ و ٥٩ ، وفارس نامه ص ٤١ ، وأوراق آسيوية ص ١٥١ الخ .

شاهد الملك متربعا (ا) على سريره الباهر، مطرقا كالهزبر الصاخب[١] تكلم مفتتحا بالدعاء والثناء عليه . ثم قال أيها الملك: إنا رأينا قبلك الملوك، وبلغتنا أخبار الملوك[٢] فلم[٣] يبلغنا أن أحدا منهم تعرّض لبلاد مازندران . لكونها مأوى الشياطين، ومواطن السحرة، ولا سبيل الى فتحها بالسيف والسنان، ولا بكنوز الفضة والعقيان . ولعل الأصوب أن يرجع الملك عن هذا العزم ويضرب عنه صفحا، ويطوى دونه كشحا . فقال له الملك : إنه لا غناء بنا عن رأيك الصائب وفكرك الثاقب . ولكن لا يخفى أنا أكثر رجالا، وأوفر مالا ممن ذكرت من الملوك الذين لم يتجاسروا على قصد مازندران . وليس لنا بد من قصدها والتغلب عليها . وكأنك وقد[٤] بلغك تملكنا أقطارها، وتوغلنا ديارها . فكن أنت وولدك رستم جلسى[٥] ممالكنا متيقظين فى حراستها وحياطتها . والله تعالى ناصرنا وممكن من عدوّنا . فاذ لم نكلفك التجشم لمعاضدتنا ومعاونتنا فلا تشيرن علينا بالتثبط عن أمرنا. قال : فلما سمع زال مقالة الملك هذه علم أنه تائه فى غوايته ومتردّ فى مهاوى عمايته. فقال له : أنت الملك ونحن العبيد الناصحون لك. ولا بد لنا من امتثال أوامرك واتباع مراسمك. سواء كنت على حق أو[٦] على باطل . غير أنا أشرنا

= وهواء مازندران رطب ومطرها غزير . وهواؤها وخم لكثرة مستنقعاتها قرب الساحل . يقول ياقوت : "وهى كثيرة المياه، متهدّلة الأشجار، كثيرة الفواكه. إلا أنها مخيفة وخمة، قليلة الارتفاع، كثيرة الخلاف والنزاع" . ولهذا يصاب أهلها بالحمى والرثية وأمراض العين . وهواء البطائح يبيّض أجسامهم ولذلك سموا — فيما يقال — الجن البيض[٧] . وهم على هذا أقوياء شجعان . وهم خير الجند الايرانى . ويقول ياقوت : "إن أهل تلك الجبال كثيرو الحروب وأكثر أسلحتهم بل كلها الأطبار حتى إنك قل أن ترى صعلوكا أو غنيا إلا وبيده الطَّبَر صغيرهم وكبيرهم" .

وفيها كثير من السباع مثل النمر والفهد والدب والذئب .

والطريق من إيران الى مازندران شعاب قليلة وعرة ضيقة عالية. فالطريق السائرة الى مازندران شرقى طهران على مسيرة سبعين ميلا منها ليست إلا شعبا سعته أذرع قليلة، يسيل الماء على جوانبه، وينفسح أحيانا عن أودية ومغارات . وكان متصيد ملوك إيران الى عهد قريب . وهناك طريق أخرى قرب فيروزكوه وأخرى من استراباد[٨] . =

(ا) فى الشاهنامه « جالسا » وقد جرى المترجم على المعهود فى الكتابة العربية . ولست ترى فى الصور الفارسية الملوك أو غيرهم متربعين . بل يجلسون جلسة تشبه جلسة المتشهد فى الصلاة .

(١) ك، كو، طا : الماصر . (٢) ك : أخبارهم . (٣) ك، كو، طا : ولم . (٤) ك : و(لا) .
(٥) ك، كو، طا : حلى . (٦) كو : أم وهو الصحيح لغة . (٧) ورنر (Warner) ج ٢ ص ٢٧
(٨) = ص ٢٨

عليك بما علمنا، وأظهرنا عندك من النصيحة ما أضمرنا . والآن فلا زلت بك القدم، ولا اعتراك فيما[1] هممت به الندم. ثم ودعه وخرج. ولحقه الملوك والأمراء مثل بهرام وطوس وجوذرز[2] وجيو[3]. واعتذروا اليه مما ناله لأجلهم من وعثاء سفره. فودعوه وأخذ زال على طريق سجستان راجعا الى بلاد زابلستان.

ذكر مسير كيكاوس الى بلاد مازندران

قال : فأمر الملك كيكاوس جوذرز وطوسا بأن يجرّا العساكر الى مازندران . ثم سار اليها بعد أن استخلف ميلاذ فى أرض إيران وسلم اليه الخاتم والتخت . وقال له : إن نبغ لك عدو فاخترط سيف الانتقام، وكن معتضدا برستم وأبيه . ثم توجه فى جموعه يطوى المهامه والقفار حتى وصل الى موضع يأوى[4] إليه الشياطين . فنزل فيه وأمر جيو بن جوذرز ، وكان أحد الفرسان ، بأن يركب فى نخب الأجناد، وأسودها الأنجاد، ومن يستصلح لفتح البلاد . وعهد اليه بقتل كل من يراه من أهل تلك الديار، وألا يبقى على أحد منهم . فشد عليه منطقته وسار حتى نزل على باب مدينة مازندران وجعل يقتل كل من يرى[5] منهم من صغير وكبير، ويشن عليهم الغارات ويحرق الديار وينهب

= ومن أجل هذا امتنعت مازندران على الفاتحين ، ولم تخضع كلها لسلطان الخلفاء إلا بعد زهاء مائتى سنة من فتح إيران . وقد لقى المسلمون فى جبالها ودروبها شدائد . وقد سار اليها مصقلة بن هبيرة بأمر معاوية "ومعه عشرون ألف رجل فأوغل فى البلد يسبي ويقتل . فلما تجاوز المضيق والعقاب أخذها عليه وعلى جيشه العدوّ عند انصرافه للخروج، ودهدهوا عليه الحجارة والصخور من الجبال فهلك أكثر الجيش ، وهلك مصقلة[6]" .

وكأنه من أجل هذا سمى أهلها جنا فى الشاهنامه وفى الكتب الدينية من قبل. ففى الأبستاق يوصف الملك سروشا بأنه يحارب كل يوم وكل ليلة جن مازندران ، ويذكر الملك هوشنك مقربا الى بعض الآلهة سائلا أن يؤيد حتى يحطم ثلثى شياطين مازندران[7] . ولا تزال كلمة جنى (ديو) لقبا بين كبراء البلاد. ويظهر من" دينكرد " أنهم كانوا يسكنون الكهوف، وكانوا ذوى عادات قذرة[8] .

قد يجد القارئ فى طبيعة مازندران ومضايقها وغاباتها وطباع أهلها ما يفسر بعض الأساطير التى فى هذا الفصل؛ فحبس كيكاوس وجيشه فى الظلمات، وإمطار الحجارة عليهم من السماء يشبه =

---

(١) ك : مما . (٢) ك : وتبعه . (٣) ك : وجيو(لا) . (٤) ك، طا : تأوى . (٥) طا : يجد .
(٦) ياقوت : طبرستان. والبلدان ص ٣٠٧ (٧) أفستا، ج٢ ص ١٦١ و ٢٥١ (٨) ورنر(Warner) ج ٥ ص ٢٨ و ٢٩

الأموال . فرأى المدينة كأنها جنة الفردوس رونقا ونضارة وبهجة وطلاوة ؛ فيها من الوصائف الحسان، وملاح الغلمان ، والذخائر والأموال ما لا يضبطه ضابط ولا يحصره حاصر . ولما وقف الملك كيكاوس على ذلك استطاب المكان ، وقال : لقد صدق من قال : إن بلاد مازندران تضاهى الجنان . فأمسكوا عن الغارة بعد أسبوع.[1] وانتهى الخبر الى ملكهم بدخول عساكر إيران الى ممالكه وإفسادهم فيها . فأطرق واجما وحار فى أمره . وكان عنده جنى موصوف بالدهاء والذكاء ، يسمى سنجه . فأمره بأن يطير مبادرا الى ملك الجن الذى كان يسمى سبيذ ديو (أ) ويعلمه بصنيع كيكاوس ذلك، وبأن يقول له : إنك إن تواتيت عن إغاثتنا لم يبق من هذه الممالك عين ولا أثر . فوصل سنجه الى ملك الجن وشرح لديه الحال وأدى الرسالة . فقال قل لملك مازندران : لا بأس عليك . فها أنا مقبل كالليل البهيم اليهم، ومورد هجمة المنون عليهم . فلما دخل الليل قصدهم سبيذ ديو فى جنوده، وأطبق عليهم إطباق السحاب المطبق ، وملأ بالظلمات جميع تلك الأقطار حتى صارت الأرض عليهم كأنها بحر من القار (ب) فأصبح الإيرانيون وكأنهم لم يصبحوا لاستمرار ذلك الظلام الدجوجى عليهم . فصار بعضهم لا يرى البعض . وأظلمت عين الملك كيكاوس فكان لا يبصر شيئا . وكذلك

= ما أصاب القائد المسلم مصقلة بن هبيرة . والطريق التى سلكها رستم تشبه أن تكون أحد الشعاب المخيفة التى تؤدى الى مازندران مخترقة جبال ألبرز . وكذلك قتل الجنى الأبيض فى الكهف ، يحتمل أن يكون خرافة نشأت من مقاتلة جماعة لاجئين الى غار . وهلم جرا .

ثم قصة حرب مازندران فى الشاهنامه تتقسمها الفصول الآتية :

(١) قصد كاوس مازندران . (٢) نصح زال كاوس . (٣) ذهاب كاوس الى مازندران . (٤) رسالة كاوس الى زال ورستم . (٥) سبعة الخطوب التى لقيها رستم الأول : عراك رخش والأسد . (٦) الثانى : مصادفة رستم ينبوعا . (٧) الثالث : حرب رستم والتنين . (٨) الرابع : قتل رستم امرأة ساحرة . (٩) الخامس : وقوع أولاد فى أسر رستم . (١٠) السادس : حرب رستم وأرژنگ الجنى . (١١) السابع : قتل رستم الجنى الأبيض . (١٢) رسالة كاوس الى ملك مازندران . (١٣) مجىء رستم الى ملك مازندران برسالة . (١٤) حرب كاوس وملك مازندران . (١٥) رجوع كاوس الى إيران وتسريح رستم .

(أ) سبيذ ديو أى العفريت الأبيض . (ب) فى الشاه : وأمطر عليهم من السماء حجارة ونصالا فتفرقوا الخ .

(١) فى الأصل : فأمسكوا عن الغارة . وبعد أسبوع انتهى الخبر الخ . وقد غيرت العبارة اتباعا للشاه وللنسخ ك، كو، طا .

أكثر عسكره . ثم بسطت الجن فيهم يد الأسر والنهب حتى استولوا على جميع خزائنهم (أ). وتركهم سبيذ ديو فى ظلماتهم، ووكل بهم اثنى عشر ألفا من الشياطين ، وسلم تلك الخزائن والأموال والخيل والبغال الى أرژنك صاحب الجيش ، وأمره أن يحملها[1] الى ملك مازندران . وقال : أعلمه أنا[2] قد استأسرناهم، وتركناهم محبوسين حيث لا يرون قمرا ولا شمسا، وكأنما صارت الأرض عليهم رمسا . ولم نقتل منهم أحدا ليعرفوا مقدارهم، وليعتبر بهم من وراءهم فلا يتجاوزوا ديارهم . ففصل أرژنك الى حضرة الملك بالأسارى والغنائم والأموال والذخائر. قال: فنفذ كيكاوس نذيرا الى زابلستان ليعلم دستان بما جرى عليه، ويخبره أنه اذا ذكر موعظته ونصيحته تصاعدت زفراته، وتبادرت عبراته، وأنه راج أن يغيثه ، ويشد لخلاصه وسطه . قال : فلما أتى الرسول دستان وأخبره بذلك كاد أن يتمزق غيظا وينفطر أسفا ، فأقبل على ولده رستم وقال : لقد انقطع الوصال بين السيوف وأغمادها ، ولم يبق ركون الى نوم ولا قرار حيث وقع الملك كيكاوس بين أشداق الثعابين، وعم الإيرانية ما عم من مكائد أولئك الشياطين . فأسرج رخشك، وجرد سيفك، وأغث الصريخ . فأنت الفارس الذى إن حارب البحار صارت دماء، وإن كافح الجبال عادت فضاء . وليس ينبغى أن يطمع معك فى الحيوة أرژنك وذاك الجنى ولا ملك مازندران . فانهض اليهم ودق رقابهم بالجرز الثقيل ، والسيف الصقيل . وقدامك طريقان : أحدهما أبعد شقة وأطول مسافة وهو الذى سلكه كيكاوس . والآخر أكبر معرة وأوعر حرة وهو مسيرة أربعة عشر يوما . وهو مشحون بالشياطين والسباع والسراحين . فاسلك هذا الطريق فان الله معك . وسيقطعه رخشك ويطويه لك ، وسأقوم بعدك آناء الليل ساجدا لله تعالى ومبتهلا أسأله أن يقرّ عينى بعودك ولقائك ، ويمنّ علىّ بطول بقائك . فقال رستم سأشد وسطى للانتقام وأجعل نفسى فداء الملك الهمام ، وأكسر طلسمات أولئك السحرة ، ولا أبقى من أهل تلك الديار إنسيا ولا جنيا . ثم إنه لبس السلاح وركب كأنه فيل على فرس . فشيعه أبوه دستان الى وادى روذابه ثم ودعه متردّدا فى أمره بين اليأس والطمع .

ذكر مسير رستم هذا

قال : ففصل رستم عن حدود نيم روز يسير فى كل يوم مسيرة يومين، يحسب الليل نهارا ، ولا يعرف نوما ولا قرارا . قال : فاشتهت نفسه الطعام يوما فعرضت بين يديه صحراء مملوءة بأسراب اليعافير . فركض رخشه خلف عير منها ورمى بالوهق فى حلقه فبطحه ، وأخرج نشابة ،

(أ) حذف تقريع الشيطان الأبيض للملك كيكاوس على إقدامه على حرب مازندران .

(١) ك ، كو ، طا : يحملها . (٢) طا : أعلمه بأنا .

وقدح بنصلها نارا ، وشوى العير . ثم أتى على لحمه أجمع . وخلع لجام فرسه وأرسله يرعى فى أجمة كانت بين يديه . ثم نام تحت قصب هناك . فلما مضت طائفة من الليل خرج سبع فرأى رستم متمددا كأنه ركن جبل ، ورأى رخشه كأنه ثعبان . فأقبل نحو الفرس ليفترسه فوثب الفرس وضرب بيديه على أم رأسه ففلق هامته ، ومزق جلده ، وتركه طريحا كخباء مقوّض . فلما انتبه رستم رأى ذلك فعلم أنه من صنيع رخشه . فأقبل عليه ومسح بيده غرته ، وقال : لو انتبهت لكفيتك هذه المقاتلة . ثم لما طلعت الشمس قام وغمز ظهره وأسرجه وذكر[(1)] الله تعالى وركبه . وكان يسير فعرض دونه طريق قاتم الأرجاء فسلكه . فلما قام قائم الظهيرة ، واشتد الحر عطش هو وفرسه فغلبه الأمر حتى ترجل وجعل يمشى كأنه سكران . ثم رفع رأسه الى السماء ، وبسط يده بالدعاء ، وزاد به الأمر حتى وقع على رمضاء ذلك الفضاء يلهث من العطش . فبينا هو على ذلك إذ سنحت له غزالة فقام وأخذ السيف وتبع أثرها . فما سار إلا قليلا حتى وقع على عين خرارة . فكرع فيها وشرب وعادت نفسه اليه . فخر فى ذلك المكان ساجدا لله تعالى ثم أقبل على الغزالة يدعو لها ويقول : لا زلت يا غزالة الريف تفيئين أنى الظل الوريف ، وتكرعين فى الزلال المعين ، وتتقلبين بين الورد والياسمين . وأيما قوس راعك إنباضه فلا زالت متقطعة أوتاره . فانك سددت رمقى ، وشفيت غلتى . قال : ثم نحى السرج عن رخشه ورحض حواركه وأكتافه . ثم توجه يطلب الصيد فاصطاد حمار وحش ، وأوقد نارا وألقاه عليها حتى نضج ، فتناول لحمه . ثم رجع الى العين وشرب من مائها . وجنه الليل فتمدد ونام ، والفرس يسرح فى مرعاه . فلما توسط الليل جاء ثعبان هائل كان يأوى الى ذلك الموضع . فلما رآه الفرس عاد نحو رستم وأخذ يضرب بحوافره الأرض حتى انتبه . فقام ونظر يمينا وشمالا فلم ير شيئا . فزجر الفرس وطرده وعاد الى نومه . فلم ينشب أن عاد الفرس يضرب الأرض حتى إنها تنشق تحت سنابكه . فانتبه وقام وجعل ينظر أمامه ووراءه فلا يرى شيئا . فطرد الفرس بجفوة وعنف ونام . فما استغرق فى النوم حتى أتاه راكضا جريا . فقام فرأى ثعبانا يتنفس فيحرق جميع ما حوله من الحشيش . وأخذ[(2)] السيف وأقبل نحوه فتعلق أحدهما بالآخر وطال بينهما القتال . وكاد الثعبان يغلب رستم . فلما رأى رخشه ذلك حمل على الثعبان فعضه عضة انتزع بها كتفه (أ) ، وشق جلده . فانقلب الثعبان ، واستعلى عليه رستم فالقمه السيف . فخر صريعا وجعل دمه يجرى جريان السيل . فلما رأى ذلك دعا الله عز وجل وشكره . وجاء الى العين فاغتسل منها ،

(أ) لا يستغرب القارئ ذكر « الكتف » هنا . فالثعبان هنا تنين خرافى . ولذلك ذكرت فى الشاه محاورة بينه وبين رستم قبل المعركة .

(1) ك ، كو ، طا : فذكر . (2) ك : فأخذ .

وأسرج الرخش وركبه . وركب متن الطريق سائرا نحو مقصده . فلما زالت الشمس وصل الى أرض شجراء معشبة تتدفق مياهها على الرضراض، وتتسيب أنهارها بين الرياض . فوجد عندها جاما من الرحيق محمرا كذوب العقيق، وغزالا مشويا ، وأرغفة وملحا . وكان المكان للسحرة، فطلع رستم وقد جلسوا على طعامهم . فلما رأوه تركوه وفروا . فقعد وأكل من طعامهم حتى شبع. ورأى هنالك عودا فأخذه وجعل يضرب به ويغنى بما ترجمته نظما :

نصيبي من الأطراب قلّ وإنما[1] ندامای ما بين الحروب الضراغم

رحيق دماء الكاشحين أريقها وأقداحها وقت الصبوح الجماجم

فسمعت امرأة ساحرة غناءه . فتزينت له وتبرجت وجلست اليه تسايله عن حاله ، وتستخبره عن حله وترحاله . ثم إن رستم ذكر الله تعالى فتغير وجه الساحرة واسودّ . فلحظ ذلك منها رستم فرمى بالحبل فى حلقها، وأوثقها فباتت فى القيد عجوزا شوهاء . فاخترط السيف وقدّها بنصفين . وركب وسار فى طريقه حتى وصل الى طريق مظلم قد تراكم ظلماؤه، وتدانت أرضه وسماؤه . حتى ليس يرى فيه شمس ولاقمر، ولانجم ولاشجر. فأرخى عنان فرسه، وخاض لجة تلك الظلمة،وسار يخبط خبط عشواء حتى خرج الى الضوء . فرأى أرضا مخصبة مخضرة الأرجاء والأكناف[2] . فخلع لجام فرسه وأرسله يرعى فى قصيل هنالك . فألقى مغفره ، وخلع خفتانه لابتلاله بالعرق ، وبسطه فى الشمس، واتكأ يستريح . فجاء ناطور تلك الصحراء، وصاح على رستم، وضرب بعصا كانت معه على رجله . وأمره أن يمسك فرسه عن الزرع. فقام وأخذ بأذنيه واقتلعهما من أصولهما . وكان ملك تلك الناحية يسمى أولاذ . وكان قد خرج الى الصيد فى ذلك اليوم . فحمل الناطور أذنيه يعدو هاربا الى أولاذ ، وقص عليه القصة . فثنى عنانه وأقبل فيمن معه من أصحابه نحو رستم . فلما رآه رستم من بعيد ألجم رخشه، وعلاه، وانتضى صمصامه، وأنحى نحوه . فلما تقاربا ناداه أولاذ وقال: من أنت؟ ومن أين أقبلت ؟ وكيف تجاسرت أن تطأ هذه العرصة ؟ فقال له رستم : أنا الذى لو نقش اسمى على الأرض لأنبتت سيوفا وأسنة . وإن مر ذكرى بسمعك انقطع نفسك، وجمد فى قلبك دمك. وإن كل أم تلد مثلك فلست أسميها إلا نائحة ثكلى . أتعترض بين يدىّ فى أصحابك ، وتوعدنى ببأسك، وتدل بقوة مراسك ؟ ثم حمل عليهم ووقع فيهم كما يقع الأسد الهائج بين قطيع الغنم . فتساقطت رءوس أصحاب أولاذ تساقط ورق الشجر أيام الخريف إلا من تمزق منهم بين الأودية والشعاب . وهرب أولاذ فركض رستم خلفه حتى إذا دنا منه رمى بالوهق فى حلقه ، وقبض

(١) طا : قائما . (٢) كو : معشبة الأكناف .



عراك الرخش (فرس رستم) والأسد

[منقولة من كتاب مارتين (Martin) ص ١٢٩ ج ٢ — عن نسخة كتبت للشاه طهماسب فى القرن العاشر الهجرى

وقد حذف نصف الصفحة الأعلى المشتمل على الأبيات]

عليه، وشدّ وثاقه، وطرحه مقيدا بين يديه . فقال له إن صدقت فيما أسايلك[(١)] عنه، ودللتنى على مستقر "سبيذ ديو" يعنى ملك الجن، وعلى مواطن كولاذ، وبيذ وتقدمت بين يدىّ، وأوصلتنى الى الموضع الذى حبس فيه كيكاوس وليتك بلاد مازندران، وسلمت اليك ممالكها أجمع . فقال: إن أعطيتنى الأمان على روحى، وعاهدتنى على ذلك أطلعتك طلع هذه الأحوال، وأفضيت إليك بعجرها وبجرها، ودللتك على المواضع التى سايلتنى عنها . ففعل ذلك رستم . فقال له : إن بينك وبين الموضع الذى حبس فيه كيكاوس مائة فرسخ . ومن عنده الى مستقر ملك الجن مائة فرسخ أخرى . وفيه جبال شامخة وأودية غائرة . فقال : دلنى أوّلا على موضع كيكاوس . فتقدّمه وسار لايستريح ليلا ولا نهارا حتى وصل الى جبل أسفروز حيث كان معسكر كيكاوس، وحيث أحيط به وقبض عليه. فلما انتصف الليل سمع صياحا عظيما ولغطا كثيرا، ورأى نيرانا موقدة، وشموعا مشتعلة . فسايله عن ذلك الموضع . فقال : إن هذا باب مدينة مازندران . وعليها قوّاد ملك الجن فى عساكرهم، مثل كولاذ، وأرزنك، وبيذ . وهم لا ينامون ثلثى الليل . قال : فنام رستم . فلما طلعت الشمس شدّ وثاق أولاذ، وربطه بشجرة من تلك الأشجار، ولبس سلاحه وقصد أرزنك . فلما قرب من عسكره صاح صيحة ارتجت لها الأرض . فوثب أرزنك الجنىّ وخرج من خيمته . فحمل عليه رستم، وأنشب براثنه فى عنقه، واقتلع رأسه، وحلق به فوقع مضرجا بدمه بين أصحابه . فلما رأت الجن ذلك خافوا وتفرّقوا بعد أن وضع رستم فيهم السيف وقتل منهم خلقا كثيرا . ثم لما زالت الشمس ثنى عنانه وعاد الى سفح جبل أسفروز . فحل أولاذ وسايله عن الموضع الذى حبس فيه كيكاوس . فتقدّمه راجلا يدله على الطريق حتى دخل المدينة . فصهل رخشه كصوت الرعد فسمع كيكاوس صوته، وعرف بذلك قدوم رستم . فبشر بذلك أصحابه . فدخل رستم فى الحال عليه، وخر ساجدا بين يديه . فعانقه كيكاوس وأكرمه، وسايله عن أبيه دستان، ثم عما قاساه من التعب والمشقة فى طريقه ذلك . ثم قال له : اهتبل غرة سبيذ ديو واهجم عليه قبل أن ينتهى اليه الخبر بقتل أرزنك فيحشد جنوده، ويجمع جيوشه فلا تطيق مقاومته . وإن قدامك فى الطريق اليه سبع جبال شواهق، وعلى كل مرصد خلق من عساكره وجنوده . فإذا جاوزت الكل انتهيت الى مغارة عميقة هائلة مظلمة قد حفت مراصدها بالشياطين . وقعر هذه المغارة مستقر سرير سبيذ ديو . ولعل السعادة تظفرك به فتقتله وتشق خاصرته وتخرج كبده . فان الطبيب ذكر لى أنى إذا اكتحلت بدم كبده ردّ الله بصرى[(٢)] . فتأهب رستم لذلك وركب ومعه أولاذ يتقدّمه ويدله

(١) ك، و : أسالك . (٢) ك : علىّ بصرى .

على الطريق . فتجاوز الجبال السبعة ، ووصل الى قرب المغارة . فأقبل على أولاذ وقال : لقد صدقتنى فى جميع ما استخبرتك عنه . فالآن دلنى على هذا الجنى . فقال: إن الجن إذا حميت الشمس ناموا فلا يبقى على باب المغارة إلا قليل من الحراس فتهجم عليه فى ذلك الوقت وتأخذه . قال: فلبث قليلا حتى ارتفعت الشمس . ولما كان وقت الضحى شد وثاق أولاذ وربطه ببعض الأشجار ، وركب وتقحم غمرات أرصاد الشياطين يضرب رقابهم يمينا وشمالا حتى وصل الى باب المغارة فوجدها محشوة بالظلمات . فاقتحمها برخشه فحجبت الظلمة نظره . فمسح بالماء عينه ، وهبط فى المغارة يطلب مستقر سريره حتى وصل اليه . فرأى وجها كالليل البهيم يتلهب كالجحيم ، وشعرا أبيض قد تشعث على رأسه . فلما رأى رستم وثب اليه فرفع رستم سيفه وضربه ضربة طير بها رجله . فتعلق مع جرحه برستم يتقارعان ويتقاتلان . فغلبه رستم ورماه الى الأرض قتيلا ، وسل خنجرا من وسطه وشق عن خاصرته ، واستخرج كبده . قال : فامتلأت تلك المغارة بدمه ، وانسد الطريق لعظم قالبه وجثته . وخرج[1] رستم مظفرا منصورا وجاء إلى أولاذ ، وحل رباطه ودفع اليه كبد الجنى . وقدمه بين يديه وهو يسير وراءه . فقال له أولاذ : أيها الأسد المقدام إنك قد سخرت عالما من العوالم بسيفك ، وأدركت ماشئت ببأسك . وقد وعدتنى بشىء يتقاضاه رجائى . ولا يليق بمثلك نقض العهد و إخلاف الوعد . فانك المتوفر على رعاية الذمم والمنتمى الى شجرة الوفاء والكرم . فقال : سأسلم اليك جميع ممالك مازندران . ولكن بقى أن أملك ناصية ملكها وأفنى أصحابه وأبدد جمعه . ثم لا أحيد عما عاهدتك عليه إلا أن أموت فيوارينى التراب . قال : فلما عاد رستم الى حضرة الملك كيكاوس . قال : أبشر أيها الملك بهلاك عدوك . فانى قد قتلته واستخرجت من خاصرته كبده . فشكره الملك وأثنى عليه وعلى من نجله . ثم اكتحل الملك بقطرات من دم الكبد[2] فعاد بصره . وجىء بتخت من العاج وتاج من الذهب ، فاعتصب وجلس على التخت . ولبث مع رستم وسائر الملوك والأمراء مثل طوس وفريبرز وجوذرز وجيو و بهرام و جرجين أسبوعا يتراضعون[3] السرور والطرب . ثم ركبوا فى اليوم الثامن أجمعين ، واستلوا أسيافهم ، وانتشروا فى مدينة مازندران ، ووقعوا فيها وقوع النار فى القصباء ، يحرقون الديار ، و يقتلون الرجال ، و ينهبون الأموال . ثم قال كيكاوس لعسكره : لقد مكنا منهم يد الانتقام وجزيناهم بسوء صنيعهم صاعا بصاع . والآن نكف عنهم يد القتل ، ونرد عنهم عادية النهب ، ونرسل الى ملكهم ونوقظه من سنة غفلته ، ونخوفه وخامة عاقبة غرته . فوافقه رستم على ذلك .



(١) ك : نخرج .
(٢) ك ، طا : تلك الكبد .
(٣) كو : يتراضعون در السرور .

ذكر ما جرى بين كيكاوس وملك مازندران من المكاتبات وما أفضى اليه الأمر

قال : فدعا بالكاتب وأمره فكتب بالمسك على الحرير الأبيض كتابا صدّره بالحمد لله والثناء عليه، وذكر فيه طرفا من المواعظ والنصائح . وأعقب ذلك بأمره إياه بالمبادرة الى حضرته، وقبول الخراج والجزية، وأنه إن تقاعد عن ذلك لم ير إلا ما حل بالجنّ من التنكيل والقتل والأسر والنهب . وملأ الكتاب إعذارا و إنذارا . ودعا رجلا من أصحابه يسمى فرهاد، وكان من وجوه الملوك وأعيانهم، وأمره بحمل الكتاب الى ملك مازندران . فقبل الأرض وتناول الكتاب وركب حتى أتى على مدينة يقال لأهلها دُوال باى (أ) وكانت هذه المدينة مستقر سرير الملك . فلما أخبر بقدوم الرسول أمر أسود رجاله وأبطال عسكره بالركوب لاستقباله . وقال : لاتتركوا اليوم شيئا من آداب فروسيتكم ودلائل رجوليتكم إلا أظهرتموه . فتلقوه كذلك بوجوه مقطبة وشفاه مهدّلة، وقبض واحد منهم على يد الرسول، على الهيئة التى اعتادوها فى إظهار القوّة والإدلال بالشدّة ، وعصرها فما تغير وجهه ولا اصفرّ لونه . فجاءوا به الى خدمة الملك . فلما دخل عليه ساله عن الملك كيكاوس أوّلا ثم عما لقى من مشاق السفر ثانيا . فوضع الكتاب بين يدى الكاتب . فلما وقف الملك على الحال وما فيه امتلأ قلبه غيظا، وانكسر ظهره بقتل ملك الجن وأمرائه . فقال قل لكيكاوس : إنى أرفع منك شأنا وأعز سلطانا . و إن حوالى ألوف ألوف من العساكر الذين حيث توجهوا لم يبقوا حجرا ولا مدرا . و إن على بابى ألفا ومائتين من الفيلة التى ليس على بابك منها فيل واحد . وسأهجم بها عليك وأثل عرشك . فلما سمع فرهاد كلامه ، ورأى خشونته وطغيانه اجتهد فى تحصيل جواب الكتاب ، وانصرف راجعا الى صاحبه . ولما وصل الى حضرته أفضى اليه بجميع ما رآه وسمعه . فقال عند ذلك رستم : من الواجب أن أكون أنا الرسول اليه وأستصحب منك اليه كتابا كالسيف القاطع ورسالة كالسحاب الراعد ، أؤدّى (١) الرسالة فى ناديه، وأفيض بها سيول الدماء فى واديه . فاستصوب الملك هذا الرأى وأمر الكاتب أن يجيب ملك مازندران عن كتابه، ويكتب أن مثل هذا الخطاب يستهجن من ذوى الألباب . ففرّغ دماغك من الفضول، وبادر الى حضرتنا واقفا على قدم المثول، وأنك إن خالفت هذا المثال ملأت الأرض بالجيوش وجررتهم الى حربك . ولعل روح ملك الجن تبشر النسور والذئاب بأشلائك . ولما ختم الكتاب استعدّ رستم وسار حتى قرب من ملك مازندران .

(أ) فى الشاه : الى مدينة فيها « نرم پاى » . وكل انسان هناك له رجلان من الجلد فلذلك سموا بهذا الاسم . فقد وضع المترجم «دوال باى» ومعناه ذو الرجل الجلدية — مكان « نرم پاى » أى لين الرجل . وفى الشاه : أوّل هذا الفصل ما يدل على أن «نرم پاى» اسم قبيلة من قبائل مازندران .

(١) ك ، طا : وأودى .

فأخبر بأن رسولا جاء كالهزبر الغضبان . فأمر قواد الجن ونخب فرسانهم وأنجاد شجعانهم باستقباله وتلقيه . ولما وقعت عين رستم عليهم قلع شجرة كانت بين يديه ورفعها كما يرفع المزراق . فقضوا العجب من ذلك . ولما قرب منهم رماها . فتلاقوا وتسايلوا . ثم جاء واحد من فرسانهم وقبض على يد رستم . فتبسم رستم وعصر يده حتى تغير لونه ونخب قلبه . وأخبر الملك بذلك فدعا بجنى يسمى كلاهور، وكان أقوى عسكره وأشدّهم، وكان كالنمر فى خلقه لا يشتهى غير الهراش والحرب، فأمره[1] باستقبال الرسول وإظهار رجوليته له . فركب وتلق رستم وسايله مسايلة المتنمر . ثم مدّ يده الى يد رستم فعصرها حتى صارت فى لون النيل . ففتل رستم يده وعصرها حتى تساقطت أظفاره . فعاد ودخل على الملك وأراه يده، ولم يقدر أن يخفى ما يجد من الألم . وقال : السلم خير لك من الحرب . فلا تضيق على نفسك مسالك الطريق الرحب . فإنك لا تطيق مكاشرة كيكاوس ومقاومته . فإن لان لك فالأولى أن ترضى بقبول الخراج والجزية[2] وتقسمها على أهل مازندران صغيرهم وكبيرهم . ووصل رستم فى تلك الحالة ودخل على الملك كالليث الثائر . فأجلسه الملك فى موضع يليق به، وسايله عن كيكاوس وعسكره، وذاكره فى عناء سفره . ثم قال : أأنت رستم ذو البراثن الشديدة والأعضاد القوية؟ فقال : إنه السيد وأنا الغلام . وكيف يقاس بالصبح الظلام؟ ودفع اليه الكتاب، وبلغه الرسالة . فقرأه[3] ثم أقبل على رستم وقال : ما هذه المخاطبة الشنيعة والمطالبة الفظيعة؟ قل لكيكاوس : إن كنت مالك إيران وأنت اجرأ من ليث خفان فأنا ملك مازندران المعتصب بتاج سلطنتها والمستقر على سرير مملكتها . وليس من رسم الأكابر أن يستنهض مثلى الى خدمتك . فتفكر فى نفسك ، ولا تتعرض للاستيلاء على أسرّة الملوك . فانه ارتفاع يورث الانخفاض . فارجع الى مملكتك ، ولا تحدّث بغير ذلك نفسك . فانى اذا زحفت فى عساكرى نحوك لم تعرف رأسك من ذنبك . وإنى اذا واجهتك فى مأزق الحرب حسمت مادة حدتك بالصارم العضب . فنظر رستم الى الملك وأصحابه، ولم يوافقه ذلك الخطاب العنيف . فاضطرم غضبه، ولم يقبل منه لا خلعة ولا ذهبا . وركب وعاود حضرة كيكاوس تغلى مراجل بأسه، وتشتعل نائرة غيظه . فذكر له ما سمعه من الرسالات الموغرة والبلاغات الموحشة وقال : لا تستهوان ذلك وتقدّم وتأهب للقتال . واعلم أن أسودهم ورجالهم أحقر فى عينى من التراب . قال : ولما خرج رستم تأهب ملك السحرة صاحب مازندران للقتال، وأمر فضرب سرادقه على ظاهر المدينة . وبرزت عساكره وساروا فارتفع من مسيرهم عجاج كسف عين الشمس، وصار لا يرى بر ولا بحر ، ولا يبين حزن ولا سهل . وكأن الأرض تئن تحت مناسم

(٣١)

(١) ك ، طا : وأمره . (٢) ك : وأداء الجزية . (٣) ك : فقرأ الكتاب .

الفيول، وتضطرب تحت وقع سنابك الخيول . وساق عساكره كذلك ولم يتلبث[(١)] فواق ناقة . فانتهى الخبر الى كيكاوس بدنو عساكر الجنّ . فأمر رستم أوّلا بالتأهب والتشمير ، وأمر طوسا وجوذرز بإعداد العدد، وتعبئة العساكر . فضربوا سرادق الملك كيكاوس فى الصحراء . وجعلوا طوسا فى الميمنة، وجوذرز فى الميسرة، ووقف الملك فى القلب . وبرز رستم قدام العسكر . فتقدّم فارس من أصحاب ملك مازندران يسمى جو بان (ا) وكأنما يخرق الأرض بشدّة بأسه، ومر على صفوف الإيرانية كأنما يشقق السهل والجبل بزفيره وتغيظه . وجعل يطلب المبارزة فلم يجبه أحد منهم . فأشرع رستم رمحه واستأذن كيكاوس[(٢)] فبارزه ، وطال بينهما القتال، وتمكن منه رستم فدار من خلفه ووضع سنانه بين كتفيه فأخرجه من نحره، ورفعه على رمحه كالطير على السفود، ثم رماه مضرجا بالدم صريعا لليدين والفم . فتعجب أسود مازندران من ذلك، وانكسرت ظهورهم ، وأرعبت قلوبهم . فأمر ملك مازندران عساكره أجمعين بأن يشدّوا عليهم شدّ الليوث، ويقاتلوهم قتال النمور . فارتفعت من الجانبين أصوات الكوسات والطبول، وأظلمت الآفاق بالقساطل، وارتجت الأرض بالجحافل، وأضاءت السيوف فى سماء العثير إضاءة البرق فى السحاب المكدر، وصارت الأرض كبحر من القار تتراكض سوابح الخيول فيها كالسفن . فبقوا كذلك فى القتال على حالة واحدة مدّة أسبوع . فلما كان اليوم الثامن ألقى الملك كيكاوس مغفره، ووضع خدّه على التراب وعفره، وجعل يسأل الله تعالى أن ينصره . ثم لبس المغفر وحضر المعركة فارتفعت أصوات الكوسات، وتزاحفت الصفوف، وتكاثفت الجموع، وجعلت سيول الدماء تتدفق بين الأودية والشعاب من أول السحر (ب) الى مغيب الشفق . واجتمع فى المعترك من جثث القتلى ما يضاهى الهضاب العالية . فتوجه رستم نحو ملك مازندران، وقصد قصده فى جمع عظيم . وقد ثبت ملك مازندران فى مجال الحرب متصدّيا للطعن والضرب فى جموعه ورجاله وخيوله وأفياله . فلما وقع بصره على رمح رستم ارتعدت فرائصه واضطرب قلبه . فألقى رستم رمحه، وتناول الحرز، وذكر الله تعالى، وخاض غمار الملحمة فوهت قوى السحرة فتخاذلوا وتواكلوا، وأسرع فيهم القتل[(٣)] حتى طبق الأرض جثث القتلى وخراطيم الفيلة . ثم أخذ رستم رمحه فطعن الملك فى خاصرته طعنة رمته الى الأرض . فسحر أعين الناس وصار كأنه قطعة جبل . فوقف الإيرانيون ينظرون اليه . ثم نزل اليه فرسانهم فما رأوا سوى صخرة صماء لا يطاق قلبها وتحريكها . فترجل رستم وتناوله بأصابعه، وكانت كبرائن السباع، فرفعه على كاهله،

(ا) فى الشاه : جو يا . (ب) ترجم المترجم كلمة شبكير بالسحر، وهو صحيح . ولكن الكلمة تطلق على الصبح أيضا . وهو أقرب الى سياق القصة .

(١) ك : لم يلبث . (٢) ك : الملك كيكاوس . (٣) ك : الفشل .

وسار والخلق وراءه يقضون العجب من حاله ، وينثرون عليه الجوهر والذهب . حتى انتهى الى باب سرادق الملك كيكاوس . فألقاه وقال له : إن لم تخرج عن هذا السحر ، ولم تخلع هذه الصورة فلقتك بالمعاول، وقطعتك قطعا . فلما سمع ذلك بان مدججا فى السلاح كأنه قطعة سحاب . فضحك رستم وأخذ بيده وأتى به الى حضرة الملك كيكاوس . فلما رآه الملك أمر رجلا من أصحابه كان يسمى دُزخيم[١] أن يقتله (ا) ويمثل به . ثم نفذ الى معسكره من يجمع الغنائم ويحصى الجواهر والذخائر . فنضدوها فى تلك الصحراء بعضها فوق البعض حتى صارت كأنها الجبال . فركب وسار اليها فى عساكره، وفرقها عليهم جميعا . وأمر بقتل المردة من الجن المأسورين فقتلوهم . ثم أتى مكان العبادة واعتكف فيه ، وجعل يناجى ربه ويشكره على ما وهب له من الفتح المبين والنصر العزيز . وأقام كذلك أسبوعا من الزمان . ثم خرج فى اليوم الثامن وفتح أبواب الخزائن ، وفرّق الأموال على المحتاجين خاصة وعلى سائر الخلق عامة . ثم فى الأسبوع الثالث لما انتظمت الأحوال واستتبت الأمور جلس مع أصحابه فى مجلس الأنس يتعاطون كؤوس الشمول متنقلين باللهو واللعب . فمكث على هذا أسبوعا آخر من الزمان . قال : فقال رستم لكيكاوس : إن أولاذ هو مفتاح هذه الفتوح فإنه كان الهادى لى والدليل بين يدى . وهو يتوقع تفويض مازندران اليه . وقد وعدته أنا بذلك . فرجائى أن يخلع عليه، ويعقد له اللواء، وتكتب له عهدا بأنه ما عاش فى هذه الممالك ينقاد له الصغير والكبير ويطيعه المرءوس والرئيس . فدعا أكابر مازندران وسايلهم عن سيرة أولاذ وطريقته ، واستخبرهم عن سريرته وعلانيته ،وسلم اليه ذلك الإقليم .وثنى عنانه عائدا الى بلاد فارس . ولما انتهى الى ممالك إيران فرح بعوده الايرانيون وزينوا البلاد ، وأظهروا الأطراب والأفراح . فجلس الملك كيكاوس على تخته . وبادر الى خدمته الملوك والأمراء . ففتح الخزائن ووضع ديوان الأرزاق ،ورتب لها كتابا وعمالا . ثم وصل رستم وجلس فى خدمة الملك كيكاوس . فأمر أن[٢] تعدّ له خلعة رائقة ، وتخت من الفيروزج ، وتاج مرصع بالجواهر ، وثياب منسوجة من الذهب ، وطوق وسوار ، ومائة من روقة الغلمان بمناطق الذهب ، ومائة من الوصائف الصباح فى وشائع الحلى والحلل ، ومائة فرس بلجم الذهب ، ومائة ناقة من الجمال السود بأزمة الذهب محملة بالديباج الخسروانى والثياب الرومية ، ومائة بدرة من الذهب ، وجام مخروط من الياقوت مملوء بالمسك الأذفر ، وجام

(ا) فى الشاه : أنه أمر دِزخيم (بكسر الدال) أن يقتله . ومعنى دزخيم سيء الطبع . ويقال للجلاد أيضا . والمراد أن الملك أمر الجلاد بقتله . ولكن المترجم ظن أن « دزخيم » اسم رجل بعينه فترجم الجملة كما ترى .

(١) طا : درخيم . (٢) ك : بأن .

آخر من الفيروزج مملوء بالماورد[1]، ومنشور من الحرير مكتوب بالمسك السحيق بتقليده ممالك نيم روز . وقدّم جميع ذلك بين يدى رستم . وأثنى الملك عليه ودعا له . فأهوى الى الأرض فقبلها[2] وخرج فنادى فى عسكره بالرحيل، وانصرف متوجها نحو ممالكه . وأقام كيكاوس على سريره ينهى ويأمر[3]. وطاب عيش الناس، وعمهم الأمن والأمان،والعدل والاحسان . وأخصبت الأرض وصار العالم كأنه بعض الجنان المتهللة بالروح والريحان .

(٣٢)

ذكر مسير الملك كيكاوس الى هاماوران §

قال : ثم عرض للملك كيكاوس حركة ففارق سرير الملك وخرج من ممالك ايران قاصدا بلاد الترك والصين . فعطف الى نواحى مُكران، ومنها الى بحر زره الى أن وصل الى نواحى البربر(ا) طالبا للتغلب

---

§ هاماوران

يؤخذ من الشاهنامه أن الملك كيكاوس سار من سيستان حين بلغه أن ثائرا من العرب خرج فى مصر والشام . وآثر ركوب البحر لبعد الشقة فى البر فسار حتى توسط ثلاث ممالك : مصر عن يساره، و بربر عن يمينه وأمامه هاماوران ودونها البحر .

ظن بعض الكتّاب من أن الثورة ثارت فى مصر والشام أن هاماوران هى سورية، ولكن ليس هنا مجال للظن، ففى فارس نامه والطبرى والمسعودى أن كاوس أسر فى بلاد اليمن . وذكر ذلك أبو نواس فى قصيدته التى يفخر فيها بقحطان على نزار :

وقاظ قابوس فى سلاسلنا   سنين سبعا وفت لحاسبها

بل يذكرون اسم ملك اليمن الذى حاربه قابوس،وهو ذو الأذعار بن أبرهة ذى المنار بن الرائش . ويقول المسعودى :هو شمر بن أفريقش[4] . ويقول الثعالبى فى الغرر: إن هاماوران هى حمير . ويروى فى سبب ذهاب كاوس اليها ما ترويه الشاهنامه سببا لذهاب كاوس الى مازندران[5] . وفى فارس نامه أنه ذهب لتأديب ذى الأذعار لعدوان كان منه .

ثم وصف الشاهنامه المتقدّم يوافق بلاد اليمن . وبربر التى تذكر هنا هى بربرة على الساحل الغربى من خليج عدن . وهذا لا يزيل الخلط فى جغرافيا الشاهنامه فى هذا الفصل .

(ا) البربر هنا غير البربر الآتية . وينبغى أن تكون بعض الجهات فى أفغانستان أو تركستان .

(١) ك : بماء الورد .   (٢) ك : وقبلها .   (٣) ك : يأمر وينهى .

(٤) فارس نامه ص ٤٢ ، والطبرى ص ٢٦٤ ج ١ ، ومروج الذهب ص ١٤١ ج ١   (٥) الغرر : ص ١٥٥

عليها فمانعه ملك البربر، واستعدّ لحربه، ولقيه في عسكر عظيم وجمع يخيل الهواء لكثرة رماحهم كأنه بعض الآجام. وانسدلت ذيول القتام انسدال جنح الظلام حتى لم يكد أن[1] يرى الناظر يده، والفارس عنانه. فتقدّموا فوجا بعد فوج الى المصاع والقراع، وأقبلوا كالأمواج المتلاطمة للدفاع. فلما رأى ذلك جوذرز رفع عموده وحمل فى ألف فارس من الآساد المذكورين والأنجاد المشهورين على صفوف البربر، فشق قلبهم وبدّد شملهم. وكان الملك كيكاوس وراءه يضرب يمينا وشمالا، ويطردهم كالغضنفر يسوق آجالا. فتفرّقت جموع البربر وأضحوا كأن لم يكن منهم فارس ولا رامح. فخرج كل من كان فى مدينتهم من المشايخ والكهول وأطلقوا ألسنتهم بطلب الأمان مستعيذين بعفو السلطان، وجعلوا يعتذرون اليه، ويتضرعون بين يديه، ويبذلون له الطاعة ملتزمين أداء الخراج والجزية. فقبل الملك منهم ذلك، وفارق تلك الناحية، وسار حتى وصل الى نواحى المغرب وجانب جبل قاف، يتلقى الناس فى كل ذلك مواكبه مطيعين خاضعين. فلما رأى سلوكهم سبيل الطاعة

= وليس بعيد أن تكون هذه الغزوة البحرية بقية محرّفة من مسير دارا الأوّل فى البحر من الهند الى إيران أو مسير اسكندر المقدونى، ممزوجة ببقايا محرّفة من أعمال الفرس فى بلاد اليمن[2].

ومما يجدر بالعناية اختلاف مؤرّخى الفرس والعرب فى نهاية هذه الحرب. فالأوّلون — كما فى الشاهنامه — يروون أن رستم قهر ملك اليمن، وأطلق كاوس قسرا. والآخرون يقولون: إن الصلح كان بين رستم وملك اليمن على أن يطلق كاوس، ثم لا يتعرّض لليمن مرة أخرى[3].

ثم هذه القصة ذكرت فى بعض نسخ الشاهنامه بعد هذا العنوان: "أعمال كاوس بأرض البربر وقصص أخرى: حرب هاماوران". وفى بعض النسخ "طواف كاوس فى العالم، ومحاربته ملوك هاماوران ومصر والبربر". وفى أثناء القصة هذه العناوين:

(١) خطبة كاوس سودابه بنت ملك هاماوران. (٢) أسر ملك هاماوران كاوس. (٣) إغارة أفراسياب على بلاد إيران. (٤) رسالة رستم الى ملك هاماوران. (٥) محاربة رستم ثلاثة الملوك، وتخليص كاوس من الأسر. (٦) رسالة كاوس الى قيصر الروم وأفراسياب. (٧) تعمير كاوس العالم.

وقد ذكر المترجم بعد قصة هاماوران بغير فصل، قصة أخرى لها فى الشاهنامه عنوانان:

(١) إضلال إبليس كاوس، وصعود كاوس الى السماء. (٢) إرجاع رستم كاوس.

(١) ك: لم يكد يرى (٢) أنظر المقدّمة. (٣) فارس نامه ص ٤٢، والطبرى ج ١ ص ٢٦٤

وتوسلهم الى إرادته بالخضوع والضراعة صرف عنهم عنانه، وأقبل فى عساكره الى زابلستان قاصدا ضيافة رستم بن دستان. وأقام فيها شهرا من الزمان يشتغل يوما باللهو والطرب ويوما بالصيد والطرد. قال : ثم لم يمض إلا قليل حتى امتدت يد التزلزل الى قواعد ذلك العلم الفرد، ونبت القتاد على أرجاء حديقة الورد، وعاد جناح دولتــه مهيضا . وإن وراء كل يفاع حضيضا . واذا استوت الشمس جنحت للزوال ولا بد من النقصان بعــد الكمال (ا) وذلك أنه خرج رجل من العرب أصيل[١] يسمى دُربيس (ب) من نواحى الشام ومصر، ورفع راية وخلع ربقة الطاعة لكيكاوس، وأعرض عن خدمته، وادّعى الأمر لنفسه. فلما بلغ كيكاوس أنه ظهر له شريك ينازعه فى السلطنة أمر بضرب الكوسات، وارتحل عن نيم روز. فجاشت السيوف فى أغمادها، واستعدت الجيوش والعساكر واحتشدت. ثم قادها من البر الى البحر، وأعد من السفن والزواريق ما يفوت العــد والحصر. ثم ركب البحر فى جميع عساكره. وإنمــا حاد عن طريق البر لبعده. فإنه كان مسافة ألف فرسخ. فسار فى البحر حتى وصل الى مدينة من يسارها مصر، ومن يمينها البربر، وقدّامها البحر (حـ). وكانت هذه المدينة تسمى هاماوران. فى كل صوب منها عسكر عظيم. فحين بلغهم إقبال كيكاوس وخروجه عن البحر اجتمعوا وصاروا يدا واحدة فبلغوا عددا طبقوا[٢] الأرض حتى أثاروا السباع عن أخياسها، والظباء عن كناسها، وكادوا يضيقون مجال العقبان فى جو السماء، ومسبح الحيتان فى قعر المــاء. وأقبل كذلك كيكاوس بجنوده وجموعه فخيل أن طلاع الأرض مطبق بالجواشن والدروع، وأن السماء لكثرة الأسنة تنثر أجرام النجوم. فتزاحف الفريقان، وبرز جُرجين وفرهاذ وطوس من أحد جناحى عسكر كيكاوُس، وبرز شيذوش وجيوْ وفولاذ (د) من الجناح الآخر فأشرعوا الأسنة، وأرخوا الأعنــة، وطفقوا يقارعون بالدبابيس الحاطمة والعمد القاصمة. وتقدّم كيكاوس من القلب الى المعترك فاحمر البأس وحمى الوطيس. فلما رأى ملك هاماوران قوة الايرانية ألقى السلاح وطلب الأمان، وتقبل خراجا ثقيلا، والتزم أن ينفذ الى الملك كيكاوس أسلحته وخيله وتاجه وتخته، على أن يخلى كيكاوس

(ا) فى حاشية الأصل فى هذا الموضع : وما أحسن قول ابن نباتة فى هذا المعنى :

فطلاب الغايات لا تقصدوه * أوّل النقص آخر الازدياد

(ب) لا يذكر اسم الثائر فى الشاهنامه.

(حـ) فى الشاه : «حتى توسط ثلاث ممالك، فكانت مصر على يساره وبربر على يمينه، وأمامه هاماوران». ثم فى نسخة مول وترجمة ورنر : «والبحر فى الوسط الى الجهة التى يقصدها». وفى نسخة تبريز «وطريقه» بدل «والبحر».

(د) فى نسخ الشاه التى بيدى : بهرام، كركين، طوس. ثم فرهاد، شيذوش، جيو.

(١) ك، طا : أصيل من العرب. (٢) ك : طبق.

بينه و بين بلاده ولا يطأها بخيله . فقبل الملك ذلك منه وصالحه . فذكر ذاكر فى حضرته أن له خلف الستر بنتا أحسن قدا من السرو، ذات شعر كالمسك، تظهر كأنها جنة زاهرة، وتبدو كأنها شمس باهرة. وقيل له : إنها تصلح أن تكون قرينة للملك . فمالت اليها نفس كيكاوس . فأمر رجلا كافيا من أعيان حضرته أن يمضى الى ملك هاماوران، ويخطب اليه ابنته، ويقول له : إن أكابر الملوك يرغبون فى مصاهرتنا ويتوسلون الى مواصلتنا . وكل من لا يلتجئ الى ظلال دولتنا من الملوك فلن يمكنه الاستقرار على سرير الملك . وأنا الآن مريد مواصلتك من أجل أنه بلغنى أن وراء ستورك بنتا تليق بختنا ، لطهارة أصلها وتحليها بالخلال الحميدة والأخلاق المرضية . وعلى الجملة من وجد ختنا مثل ابن قباذ فقد اعتصم بخير ملجأ وملاذ . قال فمضى السفير الى حضرة ملك هاماوران . فلما دخل عليه افتتح الكلام وأقرأه من الملك السلام، وأدّى ما تحمله من الرسالة. فأطرق متفكرا وقال فيما بينه[1] وبين نفسه : إن كيكاوس وإن كان ملك البر والبحر فما لى على وجه الأرض غير هذه البنت . وهى أعز علىّ من روحى . وإن[2] امتنعت لم أطق مقاومته ومنازعته . ثم أقبل على الرسول وقال إن الملك يريد أن يأخذ منى شيئين ما لهما ثالث ؛ فإنى بالمال قوى الظهر، وبهذه المخدّرة منشرح الصدر. وما يبقى علىّ بعد هذين شىء . ولكن لا أخالف أمره، وسأنفذ ما يريد الى خدمة تخته . فدعا بابنته (أ) وكانت تسمى سوذابه، وذكر لها حال كيكاوس . ثم قال لها : إنه قد نفذ إلىّ رسولا، وكتب الىّ كتابا يخطبك فيه ، ويريد أن ينغص بذلك عيشى ، ويسلبنى نومى وقرارى . فماذا ترين وما رأيك فى هذا الأمر؟ فقالت له إن كان ولا بد فاعلم أنك لاترى خيرا منه ختنا. فلا تحرجن صدرك بالهم، ولا تقابل هذا السرور بالغم. فلما رأى ميلها الى ذلك اشتغل بتجهيزها ورتب ثلثمائة وصيفة وأربعين عمارية ، وألف بغل، وألف فرس[3] وحمل محملة ديباجا وذهبا وأنفذها الى حضرة الملك كيكاوس . فبهت حين رآها لما شاهد من كمالها وجمالها . ثم إن ملك هاماوران تمكن منه الهم لما جرى عليه من كيكاوس فشرع فى الاحتيال عليه، وأرسل اليه بعد أسبوع مضى من تجهيزه ابنته[4] يستضيفه ويقول له : إن رأى الملك أن يشرف عبده ، ويصير الى هاماوران، وينوّرها بجمال طلعته . وهو فى ذلك يضمر خلاف ما يظهر، ويريد أن يزيل احتكام[5] الغير عليه ويعود اليه الحكم فى بلده وولده.



ففطنت ابنته سوذابه لحيلة أبيها وقالت لزوجها كيكاوس : ليس من الرأى مصيرك اليه . فإنهم يريدون أن يتمكنوا منك بهذا الطريق فتصير المأدبة مندبة . فلم يصغ الى قولها وأجاب دعوة

(أ) فى الغرر : أن اسمها سعدى وتسمى بالفارسية سوذانه . انظر ص ١٥٨

(١) ك، طا : فى نفسه . (٢) فى الأصل فان امتنعت . والتصحيح من ك، طا . (٣) ك : وألف جمل.

(٤) ك : ابنته اليه . (٥) ك : أحكام .

أبيها، قال : وكانت لأبيها مدينــة تسمى شاهه . وهي أحسن بلاده وأطيب ممالكه . وكانت دار ملكه . فأمر أن تزين وتزخرف لمقدم كيكاوس . فلمّا دخلها ترجل له ملك هاماوران فى جميع أمرائه وقواده، ونثرت[١] عليه اللآلى والجواهر . قال : ودخل القصر وجلس على تخت من الذهب نصب له فيــه . وقد استطاب المدينــة فبق هناك شهرا وملك هاماوران يجــدّ فى خدمته ، حتى وثق به الايرانيون واطمأنوا اليه . وكانت بينه وبين البربر مواطأة . وذلك أنه استدعاهم قبل ذلك وخمر الغدر والمكر . فبيناهم ليــلة كذلك إذا هم بأصوات الكوسات والبوقات ، وبعساكر البربر قد هجمت عليهم بغتة فقبضوا على كيكاوس، ومن أصحابه على جوذرز وجيوو طوس . وكانت لملك هاماوران فى قلة جبل قلعة حصينة تسامى الهواء، وتصافح السماء . فنفذ كيكاوس وأصحابه الى تلك القلعة وسجنهم بها، ووكل بهم مائة ألف (ا) من أعيان الشجعان وأسود الفرسان . وأمر فنهبت[٢] خيم كيكاوس وأخذ جميع ما فيها من الأموال والذخائر، وفرّق على عسكره . ثم نفذ عمارية بجللة مع فوجين من المخدّرات وذوات (ب) الخدْر[٣] ليحملن سوذابه ويردُدْنها الى مستقرّها من بيته . فلما قدمن عليها ورأتهن لطمت ومزقت ما عليها من الثياب الخسروانيــة ، وجعلت تبكى وتقول : هلا أخذوه وقت الحرب إذ هو يمزق قلوبهم بالطعن والضرب! ولست أريد[٤] فراقه وإن كان تراب اللحد مسكنه وقراره . فأنهوا مقالتها الى أبيها . فتقدّم بإنفاذها الى القلعــة وإيداعها مع زوجها فى بيت واحد . قال : فاستفاضت الأخبار بغدر ملك هاماوران، وقبضــه على كيكاوس ، وخلو تخت السلطنة عن سلطان . وانتهى الخبر بذلك الى أفراسياب فتوجه فى عسكر عظيم الى إيران ، واستولى عليها، وتفرّق الايرانيون،وتبدّد شملهم . ثم إن الفتنة ثارت بين أفراسياب والعرب فقاتلهم ثلاثة أشهر حتى طارت رءوس كثيرة بسبب التــاج والتخت . ثم كانت الغلبــة لأفراسياب فتمكن من بلاد إيران § والتجأ

---

§ هــذه حادثة فذة يروى فيها قتال بين التورانيين والعرب فى هــذا العهد . وكان التورانيون اذ ذاك يحتلون إيران، فكانت إغارة العرب عليها مثيرة للحرب بينهما .

وهى الحادثة الوحيدة التى يؤيد فيها أفراسيابَ المجدُ الإلهى ، الذى هو منحة الايرانيين الإلهية، فيُخرج العرب من ايران . وفى الأبستاق : "ذلك المجد الذى حمله فرَنكرسيان التورانى حينما قتل الخبيث زينكَو"[٥] . وفى بُنْدَهِش : "كان جنى اسمه زينكو فى عينه سم، جاء من أرض العرب ليحكم إيران شهر، وكان يقتل من نظر اليه بعينه الشريرة . فدعا الايرانيون فرَسياف الى بلادهم فقتل زينكو هذا"[٦] .

(ا) فى الشاه : ألف فقط .   (ب) كذلك فى نسخ الترجمة . وفى الشاه « فوجين من المحجبات » .

(١) ك : نثر .   (٢) ك : بنهب .   (٣) ك ، طا : الخدور   (٤) ك ، طا : بمريدة .

(٥) أفستا، ج ٢ ص ٣٠٧   (٦) و رنر(Warner) ج ٢ ص ٨١

أكثر الايرانيين الى زابلستان، واستغاثوا بصاحبها رستم بن دستان، وقالوا: إنك ملاذنا فى كل مكروه، وملجؤنا عند كل محذور . وإنا وإن فقـدنا كيكاوس فانا نتلهف على خراب تلك البلاد ومصيرها مطمع النمور والآسـاد . وقد كانت مستقر الملوك والسلاطين فصـارت منقلب الذئاب والثعابين . فبكى رستم عند ذلك وأذرى دموعه، وقال: إنى مع عسكرى على[1] عزيمة الانتقام للملك كيكاوس، وقد تأهبنا لذلك . فاذا فرغت من أمر كيكاوس تشمرت لاستخلاص ممـالك إيران من مخالب الترك ، ونفيتهم عنها واسترجعتها منهم .

ذكر ما جرى بين رستم وملك هاماوران

قال : ولمـا أتى الخبر رستم بن دستان بمـا جرى على كيكاوس أرسل اليه رسولا، ورسولا آخر الى ملك هاماوران، وكتب اليه كتابا مشحونا بالإنذار والوعيد، ويقول فيه : إنك خرجت كمينا على ملك إيران ، وجعلت مصاهرته طريقا الى نقض ما كان بينك وبينه من المواثيق والأيمان . والآن إن أطلقته فقـد خلصت من ناب الثعبان . وإن أصررت على اعتقاله فاستعد للقتال . فلمـا أتاه الرسول وقرأ الكتاب، ووقف على الرسالة كان جوابه أن قال : ولعـل كيكاوس لا يعُد بعـد هذا خطاه على الأرض . وأما أنا فمقبل عليك فى عساكرى للقاء والقتال ، ولست أنسـج معك إلا على هذا المنوال . فعاد الرسول الى رستم بمقالة ملك هاماوران فاستعد . وحاد عن طريق البر لبعده وسار بالعساكر الى البحر فقطع البحر بالسفن والزواريق فى جنوده وعساكره الى حدود هاماوران فخرجوا وبسطوا أيديهم فى القتل والنهب، ولم يسلكوا معهم سوى سبل الحرب . فوقع الاضطراب والهيج فى تلك البلاد، وأسرع القتل فى أهل ذلك السواد . فاضطر ملك هاماوران الى اللقاء ولم يبق له زمان تلبث وتمكث . فخرج فى عساكره فاستحال عليـه[2] النهار ليـلا مظلما ، ورأى من كل جانب جيشـا عرمرما . فرفع عند ذلك رستم جرزه، وثور رخشه، وباشر الحرب بنفسه . فلما رأوا قوة أعضاده وشدة جلاده وطراده طارت من الوجل قلوبهم، وتفرقت جموعهم . فانهزم الملك ودخل هاماوران، وقعد مع صاحب رأيه يستشيره . ثم نفذ رسولا الى صاحب مصر، ورسولا آخر الى صاحب البربر وكتب الى كل واحد منهما كتابا يتضرع فيه اليه ويقول: إن بلادنا من بلادكم قريبة، ونحن مشتركون فى الخير والشر، ومتقاسمون للفرح والترح . فإن أنتم عاونتمونى على رستم وعاضدتمونى لم يكن علينا منه

---

(١) ك : فى.

(٢) ك ، طا : النهار عليه .

بأس . وإن أعرضتم عن ذلك فإنه سوف يتخطانا اليكم، وتطول يده عليكم. فلما أتاهما الكتاب وعلما بمجيء رستم في عساكره الى تلك البلاد انزعجا وأقبلا في جنودهما وعساكرهما الى ملك هاماوران . فاجتمعوا وبرزوا للقاء في جمع مطبق للفضاء . فأرسل عند ذلك رستم الى كيكاوس يقول له في السر : قد اجتمع ثلاثة ملوك في عساكر ثلاثة أقاليم . وإني إن لقيتهم لم أدع منهم إلا قليلا . لكني أخاف أن يلحقك في ذلك شر . واذا مسّك محذور فما أصنع بممالك البربر؟ فأجابه كيكاوس وقال[1] : لا تفكر في ذلك ولا تهتم به، واستعد لحربهم ، ولا تدع منهم على وجه الأرض أحدا . فعبى رستم من الغد عساكره . وتزاحف الجمعان فحث رستم أصحابه على القتال، وقال : لو كانوا في ألف ونحن في مائة لم يكن علينا بأس . فإن الكثرة لاتغنى في الحرب شيئا . وقامت الحرب على ساق حتى سالت الأودية بالدماء وتدحرجت الرءوس كالأكر في الصحراء . فحرك رستم رخشه ، وعاف قتل رعاع العسكر، وصمد لأحد الملوك الثلاثة فرمى بالوهق في حلقه، واختطفه عن سرجه ، ورماه الى الأرض . فبادر اليه بهرام وربط يديه . واستؤسر معه ستون أميرا . وقبض أيضا على ملك البربر وعلى أربعين من قواده . فطلب حينئذ ملك هاماوران الأمان على أن يطلق كيكاوس وسائر من معه من الأكابر والملوك . واستقر[2] الأمر بينهم على ذلك وتراضوا به .

ذكر الخبر عن خلاص كيكاوس من معتقله وما جرى بعد ذلك

قال : ولما أطلق ملك هاماوران كيكاوس وأصحابه حمل اليه رستم ما أفاء الله[3] عليه من أموال أولئك الملوك الثلاثة وذخائرهم وأسلحتهم . فجلس كيكاوس على تخته ونفذ الى سوذابه تختا مرصعا بالجواهر مجللا بالوشائع على فرس بلجام ذهب عليه إكاف (ا) أعواده من المندل الرطب ، مزين بألوان الجواهر. وأمرها بالمصير اليه. ثم برز في العساكر وخيم على ظاهر البلد وعددهم يزيد على ثلثمائة ألف فارس . واجتمع عليه مائة ألف من هاماوران ومصر. وانضم اليه أيضا جمع عظيم من عساكر البربر. ثم أرسل الى قيصر ملك الروم يأمره أن يسير في آساد رجاله وأعيان قواده الى إيران لمقاتلة

(ا) الصواب : سرج . وليس في الشاه: "إكاف" في هذا الموضع . وفي ترجمة ورنر (Warner) أن الهودج من العود الرطب . ولفظ الشاه يحتمل هذا وذاك .

(١) ك : وقال له . (٢) ك : فاستقر . (٣) ك، طا : تعالى .

أفراسياب، حتى يتلاحق هو به . فلما وقف قيصر على الرسالة § وعلم بصنيع رستم ببلاد مصر والبربر وملوكها نفذ فارسا جريًا الى كيكاوس،وكتب اليه كتابا مشحونا بما يرضيه من الكلام . وقال فيه: إنا عبيد الملك نذعن لطاعته، ونبادر الى امتثال أوامره. وكنا لما قصد أفراسياب ممالك الملك قد انزعجنا لذلك، وطارت عقولنا فبادرنا الى لقائه وقتاله، وجرت بيننا وقعة قتل منا ومنهم فيها خلق كثير. والآن حين جاءتنا البشرى بانتظام أحوال الدولة الشاهَنشَهية وعلو راياتها المنصورة تأهبنا فى عساكرنا منتظرين وصول الخبر بانفصال الملك من تلك الجهة لنشرع الأسنة فى نحور أعدائه، ونبادر الى نصرته. فلما وصل الرسول بكتابه الى كيكاوس ووقف عليه ارتضى كلامه،واستحسن جوابه . فكتب حينئذ الى أفراسياب يأمره بالخروج عن ممالك إيران ويقول له : لاتتعد طورك وارجع القهقرى وراءك . فإن ممالك توران كافية لك . فكف يدك عن الفضول . والأليق بك أن تحفظ روحك وتسلك سبيل الخدمة . ألا تعلم أن العالم تحت حكمنا ، وإيران مأوانا وسرير ملكنا ؟ والنمر وإن كان شديد الباس فلا يبلغ قدره أن يتوغل على السباع فى الأخياس . قال: فلما وقف أفراسياب على كتابه اغتاظ وهاج، وأجابه عن كتابه يعيب عليه ما كتب به إليه . وقال : لو كنت مستحقا لملك إيران لم تقصد بلاد مازندران . وهأنا قد جئت مسارعا الى القتال رافعا رايات الإقبال . فعبى عند ذلك كيكاوس عسكره وأقبل مسرعا . وفعل أفراسياب مثل ذلك،وقال: ليس يستحق ملك إيران وتوران

---

§ ليس فى ترجمة ورنر (Warner) ذكر قيصر الروم بل يبدأ الفصل بعنوان " إرسال كاوس رسالة الى أفراسياب " فيقول " لما علم العرب بما صنع رستم بمصر والبربر وملكهما أرسلوا فارسا الى كاوس وكتبوا كتابا الخ .

وفى نسخة مول (Mohl) عنوان الفصل : " إرسال كاوس الى قيصر الروم وأفراسياب " وأول الفصل خمسة أبيات عن الرسالة الى قيصر. ثم: "لما سارت الأخبار بما صنع رستم فى هاماوران وسمع فرسان الصحراء أرسلوا فارسا الى كاوس وكتبوا كتابا الخ" .

وفى نسخة تبريز فى الفصل عنوانان : الأول : " كتاب كاوس الى ملك الروم وتلقى جوابه" . والثانى " كتاب كاوس الى أفراسياب " ولكن سياق الكلام لايدل على أن كاوس تلقى كتابا من قيصر بل يوافق مافى النسختين المذكورتين .

ومقتضى هذا أن قول المترجم هنا " فلما وقف قيصر على الرسالة وعلم بصنيع رستم الخ لايوافق ما فى الشاه . فالكتاب المذكور هنا ليس من قيصر بل من العرب أو فرسان الصحراء .

غيرى. فإنى أنتمى الى أفريدون وتور، وأستحق[1] ذلك بالإرث أولا و بالقوة والتغلب ثانيا . وإنى قد قاتلت العرب وهزمتهم وانتزعت تلك الممالك من أيديهم . فوصل كيكاوس من ناحية البربر، وتلقاه أفراسياب. فقامت الحرب بينهم على ساق، فأسرع القتل فى عساكر أفراسياب حتى أتى على أكثرهم. فانهزم الباقون الى عسكر خوزستان . وركب منها أفراسياب فى الفل من أصحابه وعاد الى توران مهيضا مفلولا . ورجع كيكاوس الى بلاد فارس فجدد رسم السلطنة، ومهد قواعد العدل والاحسان، و بسط ظلال الأمن والأمان . فنفذ الى كل صوب واحدا من أمرائه ، ورتب فى كل واحدة من مدن خراسان الأربع ،وهى مرو ونيسابور وبلخ وهراة، عسكرا. فزالت الفتن، وطابت الدنيا، وأطاعه الجن والإنس، وأذعن له الملوك أرباب التخوت والتيجان فى جميع الأقاليم. وكان يرى كل ذلك من آثار رجولية رستم بن دستان و بسالته . فولاه بهلوانية العالم . ثم إنه استسخر الجن فى العمارة حتى بلغ منهم المجهود، فأمرهم بنقر الجبال ونحت الأحجار . وبنوا له موضعين واسعين فى جبل ألبُرز ونحتوا فيهما من الأحجار أوارىّ الدواب ، وعملوا لها سوارى من الرخام، وسمروها بالفولاذ . وأمرهم أيضا فعملوا له من الزجاج المرصع بالزبرجد مجلسين برسم الأكل والنوم . وعملوا بيتين من الفضة برسم السلاح ، وقصرا من الذهب عاليا فى طول مائة وعشرين ذراعا § وكان موضع هذه

§ فى دنيكرد : أن كيكاوس بنى سبع دور على جبل ألبرز، واحدة من الذهب، واثنتان من الفضة، واثنتان من الحديد، واثنتان من البلور[2] .

وفى الطبرى : أنه أمر الشياطين فبنوا له مدينة طولها ثمانمائة فرسخ ، وأمرهم فضربوا عليها سورا من صفر ، وسورا من شبه، وسورا من نحاس، وسورا من فخار، وسورا من فضة ، وسورا من ذهب . وكانت الشياطين تنقلها ما بين السماء والأرض، وما فيها من الدواب والخزائن ، والأموال والناس .

وهذا يشبه أساطير سليمان بن داود . و يقول الطبرى : فزعم بعض أهل العلم بأخبار المتقدمين أن الشياطين الذين كانوا سخروا له إنما كانوا يطيعونه عن أمر سليمان بن داود إياهم بطاعته[3] " . ويقول الثعالبي : " وبنى ببابل الصرح الرفيع المشتمل على بيوت الحجر والحديد والصفر والنحاس والرصاص والفضة والذهب[4] " .

(١) لك، طا : فاستحق . (٢) ورنر (Warner) ج ٢ ص ٨١ (٣) الطبرى، ج ١ ص ٢٦٤

(٤) الغرر : ص ١٦٥

الأبنية معتدل الهواء لا يظهر أثر صيف فيه ولا شتاء . وكان جميع فصوله فى طيبة فصل الربيع . ولا يزال الورد يتفتق فى رياضه، والأزاهير تتهلل فى جناته . واستراح الخلق فى تلك الأيام من العناء والتعب إلا الجن . فانهم كانوا يقاسون من المشقة والعناء جهد البلاء . قال : فجلس إبليس يوما حيث يخفى على كيكاوس، وجمع الجن فقال لهم : إنكم صرتم من يد كيكاوس فى تعب عظيم و بلاء شديد . وأريد منكم واحدا خفيف اليد عارفا بدقائق الحيل ليضل كيكاوس ويصدّه عن سبيل الحق . فلم يتجاسر أحد منهم على مجاوبته عن ذلك خوفا من كيكاوس سوى واحد منهم . فانه قال : أنا أقوم بهذا الأمر . فتصوّر بصورة غلام فصيح يصلح لخدمة الملوك، ولزم باب كيكاوس حتى خرج يوما للصيد . فدنا منه وقبل الأرض بين يديه، وناوله باقة ورد، وقال : إنك بهذه السلطنة والجلالة تستحق أن تكون السماء تحتك والفلك تختك . وما زال هذا الشيطان يستدرجه و يغويه حتى تمكن من دماغه ، ومناه الصعود الى السماء (ا) . وقام ذلك بنفسه حتى نفذ الى أوكار العقبان فأخذ منها أفراخا وجعلوها فى بيوت، وربوها حتى ترعرعت، وصارت فى قوة أشبال الأسود . فأمر فصنعوا تختا من العود القمارىّ، وسمروه بمسامير من الذهب ، ونصبوا فى زوايا التخت وجوانبه الأربعة أربع حراب ، وعلقوا على كل واحدة فخذ حمل . ثم جاءوا بأربعة من تلك العقبان ، وربطوا(١) على أجنحتها ذلك التخت، وركبه كيكاوس . فلما رأت العقبان اللحم هششن إليه وارتفعن يطلبنه طائرات فى جو الهواء حتى بلغن أعنان السماء . ثم أدركهن الضعف حين ابتل بنضح العرق قوادمهنّ ، فانقلبن متنكسات(٢) ، فوقعن فى بعض الآجام من أرض آمل (ب) . وكيكاوس سالم لم يعطب . وكان قد سبق فى قضاء الله تعالى أن يخرج من ظهره سياوش § فانسأله فى أجله . قال : فلما استقر على الأرض قعد حزينا يقرع سن الندم . ثم انتهى(٣) الخبر بسلامته الى رستم وطوس وجيو فصاروا إليه . ولما حصلوا لديه أقبل عليه جوذرز يعنفه، وقال له : إن المارستان أولى بك من شارستان (حـ)



§ فى دينكرد: أن نيريوسنك رسول أرمزد تهيأ لقتل كاوس فناداه روح كيخسرو : لا ينبغى لك أن تقتله يا نيريوسنك . فإنك إن قتلت هذا الرجل لا يكن بعد من يدمر بلاد توران . فسيولد لهذا الرجل من يسمى سياوخش ، وسأولد لسياوخش أنا " خسروى " لعلى ألجئ ملك توران الى الفرار ثم أقتل أبطال جيشه أجمعين(٤) .

(ا) انظر الاشارة الى هذا فى أفستا، ج ٢ ص ٢٤١ (ب) فى الغرر : أن كاوس سقط بسراف .

(حـ) مارستان : دار المرضى . وشارستان أو شهرستان : المدينة الكبيرة .

(١) ك : ورموا . (٢) ك : منكسات . (٣) ك : وانتهى . (٤) ترجمة وزنر (Warner) ج ٢ ص ٨١ نقلا عن " نصوص پهلوية " لوست (West) ج ٤ ص ٢٢٠ — ٢٢٣

مالك تعرض كل حين سريرك ومملكتك لأعدائك متبعا رأيك الفائل؟ وقد ألقيت بيدك الى التهلكة مرارا ثلاثا وأنجاك الله تعالى منها . فما أيقظك ذلك ، ولا اتعظت . وأول ذلك قصدك بلاد مازندران وما لاقيت فيها من الشدائد . ثم تهجمك على ضيافة عدوك وما تم عليك من ذلك . ثم إنه لم يسلم أحد غير الله من منازعتك . ولما فرغت من أهل الأرض قصدت نحو السماء . فانظر كم وقعت ثم سلمت ، وأشفيت على الهلكة ثم نجوت . فكن سالكا لسبيل الملوك الماضين ، واقتد بهم فى عبودية مالك السماوات والأرضين ، ولا تعتصم إلا به ، ولا تعول إلا عليه . فاعترف عند ذلك كيكاوس على نفسه ، وصدق مقالته . ثم ركب العمارية وهو حليف أسف وقرين ندم . فخلا فى مكان معتكفا أربعين يوما ، يعفر خده فى التراب بين يدى الله عز وجل ، ويبكى ويستغفر ، ويسأله أن يتوب عليه . وبقى منكس الرأس فى المعتكف لا يخرج من فرط الحياء حتى مضى على ذلك زمان . فلما علم أن الله تعالى قد تاب عليه خرج وجلس على تخت المملكة . فأقبل الى خدمته ملوك الأقاليم طائعين ومذعنين . وعادت الأيام الى[1] ما كانت عليه فى الأول . واستراح الناس فى كنف العدل وظل الأمن وادعين ساكنين .

ذكر خروج رستم للصيد الى متصيد كان لأفراسياب والوقعة التى جرت بينهما فيه (ا)

قال صاحب الكتاب : سمعت أن رستم بن دستان عمل دعوة للملوك والأمراء فى موضع يسمى بردوند (ب) وكان فى هذا المكان قصور عالية وعنده بيت النار الذى عمله برزين (حـ) فاجتمع فى هذه الدعوة من الملوك والقواد طوس وجوذرز وبهرام وجرجين وجيو وكستهم وزنكه وخراد وبرزين وكرازه مع كل واحد منهم من الفرسان المقاتلة جمع عظيم . فاستراحوا زمانا الى المناضلة والمعاقرة والملاعبة بالصوالجة والأكر من مكاره الحرب وشدائدها . فاتفق أن جيو بن جوذرز قال يوما لرستم : إن رأيت[2] نركب للصيد ، ونستصحب الفهود والجوارح ، ونصير الى متصيد أفراسياب فنصطاد فى صحراء توران اصطيادا يبقى فى العالم ذكره أبد الدهر . فوافق ذلك رأى رستم فتواعدوا على ذلك وركبوا

(ا) عنوان هذا الفصل فى بعض نسخ الشاه : "حرب الأبطال السبعة" وفى بعضها : "خروج رستم والأبطال السبعة الى متصيد أفراسياب" . (ب) فى الشاه نوند . ونصها : بجائى بكانام أو بد "نوند" أى فى مكان كان اسمه "نوند" وأحسب المترجم قرأ : بجائى بكا نام أو "برنوند" أو "بردوند" . (حـ) فى الشاه : "حيث تضىء اليوم نار برزين" . وهى إحدى نيران المجوس المشهور .

(١) ك : على . (٢) ك : أن نركب .

من ليلتهم مدلجين فى العساكر، واستصحبوا الفهود والبزاة . وساروا حتى وصلوا الى وادى الشهد . وكان هنالك متصيد أفراسياب . ومن أحد جانبيه المـاء ومن جانبه[١] الآخر مدينة سرخس وباديتها (ا) وكان فى ذلك الموضع صيد كثير فأكبوا على الطرد والصيد حتى أخلوا المكان من السباع ، وأخافوا الطيور فى الهواء . فأقاموا على ذلك أسبوعا لا يفترون عن اللهو واللعب . فلمـا كان اليوم الثامن نبههم رستم على رأى رآه، وقال لهم: ماأشك أن الخبر قد انتهى الى أفراسياب بتوغلنا هذه المواضع. فلا بدّ من طليعة تكون أمامنا وتحفظ الطريق . حتى اذا أحس[٢] بعسكر أفراسـياب أخبرتنا وأنذرتنا كيلا ينتهز الخصم منا فرصة . فتجرّد لذلك منهم كُرازه، واشتغل الباقون بما هم فيه من الصيد واللهو غير مفكرين فى عدوّهم . قال : وانتهى الخبر الى أفراسياب بحصولهم فى ذلك المتصيد ، فدعا أمراء جيشـه وقوّاد عسكره، وفاوضهم فى أمر رسـتم والقوّاد السبعة الذين معه . وقال : لا بدّ لنا من أن نركض اليهم ونهجم عليهـم . فإنا اذا قبضنا على أولئـك الملوك السبعة ضاق الأمر على كيكاوس . وانتخب من عسكره ثلاثين ألفا من رجال الحرب، وأمرهم ألّا[٣] يفتروا عن الركض وركب فيهم فأخذوا طريق البرية فى أهبة القتال . وأراد[٤] سدّ الطريق على رستم وأصحابه، وقطعه عليهم لئلا يفلت منهم أحد . فلمـا قربوا رأى كرازه الذى كان طليعتهم غبارا عظيما . فعـلم بأنهم عسكر أفراسياب، فعطف عنانه الى مجتمع أصحابه، وأنذرهم بمجىء أفراسياب . وكان رستم حينئذ يشرب مع الأمراء. فقال له : ماهذا الفزع من عسكر أفراسياب ؟ انهم لو زادوا على مائة ألف ولم يكن فى هذا الموضع غير واحد منا لكسرهم وهزمهم . فكيف وقد اجتمع هاهنا هؤلاء السـباع السبعة الذين لا يثبت بين أيديهم أحد ؟ ثم أمر السقاة بادارة الكئوس . ووضع على كفه بلبلة من السلاف البابلى ، وسمى كيكاوس ، وقبـل الأرض وشربها على اسمه . فقام الأمراء وقالوا ليس هذا وقت الشرب . وقال له جيو : الرأى أن أركب وألقاهم، وأحفظ رأس القنطرة ، وأمانعهم ساعة حتى يلبس عساكرنا السلاح و يستعدّوا. فركب راكضا. ولما وصل الى القنطرة رأى أفراسياب وعسكره قد قطعوا المـاء الى هذا الجانب . فلبس رستم والأمراء أسلحتهم ، وثاروا فى وجوههم أمثال النمور . وخاض جيو غمرة الحرب كأنه ليث أضـل طريقه . ولمـا رأى أفراسياب رستم امتلأ منـه رعبا فتوقف ولم يقدم ، وجعل يسير وراء عسكره ناظرا فى الرأى والتـدبير . فقتل خلق كثير من أصحابه، وظهر[٥]

(ا) الذى فى الشاه : أن الجبل فى جانب منه والنهر فى جانب آخر. وفى جهة أخرى مدينة سرخس والبادية . والنهر المذكور هنا ينبغى أن يكون نهر تجن (بفتحتين) الذى يتشعب من نهر هراة و يجرى الى الشمال مارا بمدينة سرخس .

(١) ك، كو، طا : الجانب. (٢) ك، كو: أحست . (٣) فى الأصل : أن لا .

(٤) ك، كو، طا : أرادوا (٥) ك، كو : طا : ظهرت .

عليهم آثار الدبرة . فقال عند ذلك لصاحب جيشه فيران، وهو عماد أمره ومتولى حله وعقده : ما لنا فى مقام الرأى والتدبير أمثال الآساد، وأراكم الآن فى معترك الحرب وملتحم القتال أمثال الثعالب ؟ فتقدّم أنت وابذل جهدك، واستعمل جدّك، ولك ممالك إيران . فتقدّم عند ذلك فيران وزحف فى عشرة آلاف من الآساد المذكورين، وقصد رستم وثار اليه كأنه النار . فاستشاط رستم لما رآه، وجاش كالبحر اللجىّ ووقع فى أصحابه يضرب يمينا وشمالا حتى قتل أكثرهم . فقال أفراسياب : إن دام هذا الحال الى المغرب لم يبق أحد من التورانية . فاستحضر رجلا من أصحابه يسمى ألكوس معروفا بالنجدة والشجاعة، وحثه على الجد فى القتال . فتقدّم فى اثنى عشر ألفا، وأصلاهم نار الحرب، وقصد أخا لرستم يسمى زواره، وهو يحسبه رستم، فاشتدّ بينهما القتال وتطاعنا حتى تقصفت رماحهما . ثم استل كل واحد منهما سيفه فتضاربا حتى انكسرت أسيافهما . (٣٦) ثم تضاربا بالجرز فغلب ألكوس زواره بضربة ألقاه بها عن ظهر فرسه . فلما رأى رستم ما جرى على أخيه صاح على ألكوس صيحة عظيمة بلغت منه حتى ارتخت يده، وكل سيفه . ثم إنه أقبل على رستم فتعلق أحدهما بالاخر فطعنه رستم فى صدره طعنة اختطفه بها عن سرجه ورمابالى الأرض . وعند ذلك سل الأمراء السبعة أسيافهم، وجدوا فى القتال حتى كسروهم، وولوا مدبرين والأمراء فى أقفيتهم . وركض رستم خلف أفراسياب ليأخذه فلم يفلت منه إلا بجُرَيعة الذقن . وعاد الى توران خائبا مفلولا، ورجع الايرانيون مظفرين منصورين الى متصيدهم الذى كانوا فيه . وكتبوا[1] الى حضرة الملك كيكاوس بما جرى لهم فى صيدهم وحربهم . وزعموا أنه لم يقتل منهم أحد ولم يجر عليهم بأس سوى أن زواره وقع من الفرس ثم ركب سالما . وأقاموا بعد الوقعة أسبوعين فى موضعهم ذلك ثم ركبوا عائدين الى خدمة الملك كيكاوس سالمين غانمين .

قصة سهراب

قال صاحب الكتاب (أ) : نقل عن عالمهم العارف بتواريخ أيامهم أن رستم بن دستان أصبح ذات يوم مهموما حزينا، فعزم على الصيد، وشدّ عليه منطقته، وملأ من النشاب تركشه (ب) . وسار حتى

(أ) حذف المترجم هنا فاتحة الفصل التى تكلم فيها الفردوسى عن موت الشبان، وبين أن الموت عدل . وأنه سر لا سبيل الى معرفته . ثم أوصى بالرضا والتسليم . (ب) تركش : أصله فى الفارسية تيركش . أى وعاء السهم : كنانة . وقد يعرب : تركاش وتلكش . ويجمع على تراكيش . وجاء فى الشعر قول الحاجرى :

جعلت فدا الظبى الذى جاء لحظه * الى سائر العشاق يحمل تركشا

وقول غيره . ظبى من الترك أغنته لواحظه * عما حوته من النبل التراكيش

انظر فرهنك شعورى وشفاء الغليل، وصبح الأعشى ج ٧ ص ٣٠٩ .

(١) صل : كتب . والتصحيح من ك، كو .

وصل الى حدود توران، فرأى البرية مملوءة باليعافير . فتهلل وجهه واستبشر، وحرّك رخشه ورمى عدّة منها . ثم أوقد نارا ، وقلع شجرة كالسفود [(١)] ، وعلق عليها واحدا منها فشواه وأكله حتى أتى على آخره . واستلق ونام، وأرسل فرسه يرعى فى روضة كانت هناك فاذا بسبعة أو ثمانية من التورانية عابرين على الطريق . فرأوا أثر حوافر الفرس ، فتبعوا الأثر الى واد هناك، فرأوا فرسا يرعى وليس عنده أحد، فأحاطوا به حتى أمسكوه. وقادوه الى بلد لهم هناك يسمى سِمِنجان . فانتبه رستم فطلب [(٢)] الفرس ليركبه فلم يره . فاهتم لفقده ونهض مسرعا وجعل يدور فى طلبه حتى وقع الى تلك المدينة . وأخبر ملك هذه المدينة بمجىء رستم بن دستان، وأن فرسه قد ضاع منه فى متصيده . فاستقبله الملك وأمراؤه . وحين اجتمع به استخبره عن أمره، واستفظع الحال واستعظمه، وطيب قلبه . وقال: نحن فى هذه المدينة عبيدك، ونفوسنا وأموالنا بحكمك . فقال : إن فرسى غاب عنى فى هـذا المرج ولم يكن عليـه لجام ولا عذار . ولقد تتبعت أثره فوجدته قد انتهى الى هـذه المدينة . فان طلبته ورددته علىّ التزمت بذلك المنة منك، وإلا ضربت رقابا [(٣)] كثيرة بسبب ذلك . فقـال له صاحب سِمِنجان : من يتجاسر على أن يمسك فرسك؟ فكن ضـيفنا اليوم، ولا تحتـد . فان الأمر لا يكون إلا كما تريد . فتبيت هذه الليلة طيب القلب، مقبلا على الطرب وملقيا عنك أسباب الهم والتعب، ثم إن فرسـك لا تخفى آثار حوافره . فسر رستم بكلامه ، ورأى موافقته على ما دعاه اليـه . فصار الى داره . وسر ملك سمنجان بإجابتـه له . فأنزله فى قصره ووقف بين يديه، وأحضر لديه الأمراء والأكابر من أهل بلده . وحضرت السقاة الصـباح والمغانى الملاح ، واندفع [(٤)] فى الشرب . فلما ثمل وغلبه النوم أدخلوه الى موضع أعدّوه لمنامه . فنام وعند رأسه المسك وماء الورد . فلما مضت طائفة من الليل سمع حسا فاذا بباب المكان الذى هو فيه قد فتح ووصيفة قد دخلت وبيدها شمعة من العنبر فوضعتها عند رأسه، واذا بامرأة قد خرجت من وراء الستر كأنها فلقة قمر، متبرجة بين الحلىّ والحلل، ذات حاجبين كقوسين ، وغديرتين تضطربان كحبلين ، وكأنها من فرط اللطافة والملاحة صوّرت من روح . فلما رآها رستم بهت لمـا شاهده من حسنها وجمالها فقال لهـا من أنت ؟ وما اسمك ؟ وما الذى أخرجك فى ظلام هذا الليل ؟ فقالت أنا ابنة ملك سِمِنجان . وما لى فوق الأرض شبيه ، ولا رأى أحد وجهى ولا سمع أحد حسى . وقـد بلغتنى على لسان السمر أحوالك وأحاديث رجوليتك وشجاعتك . وذكرتْ ما اختص به رستم من الخلال الشريفة والأخلاق الحميدة . وقالت: وقد شغفنى حبك . وكنت طالبة للاجتماع بك . وقد قدّر الله تعالى مصيرك الى هاهنا . وعرضت

(١) كو : واتخذها سفودا . (٢) ك، كو، طا : وطلب . (٣) طا : ضربت رقاب .
(٤) طا : فاندفع .

نفسها عليه وقالت : أريد أن يرزقنى الله تعالى منك ولدا يكون مثلك فى قوتك ونجدتك . وأنا ضامنة أن أدوّخ سمنجان لك، وأرد فرسك عليك . فعقد عليها رستم برضاها و بات معها تلك الليلة . فلما آذنت الشمس بالطلوع أعطاها خرزة كانت مشدودة على عضده ، وقال لها : إن رزقت أنثى فاربطيها فى قرونها ، و إن رزقت ابنا فشدّيها على عضده . وسيكون مثل سام بن نريمان يستنزل العقاب من الهواء، ويسامى الشمس فى كبد السماء . قال : وطلع النهار وجاء الملك وخدمه ، واستخبره عن نومه ومبيته، و بشره بوجدان فرسه . فتهلل وجه رستم من الفرح والسرور، وقام ومسح ظهر الرخش وأسرجه وألجمه . وركب وخرج مسرورا منشرح الصدر من جهة ملك سمنجان حتى عاد الى أرض إيران . وكان لا يزال يحمده ويشكره . قال : ثم لما أتت على ابنة الملك تسعة أشهر ولدت ابنا كالقمر ليلة البدر كأنه رستم بن دستان أو سام بن نريمان . فسمته أمه سُهراب . وكان يشب فى شهر مايشب غيره فى سنة . ولما بلغ ثلاث سنين لم يكن هناك أحد يقاومه فى قوته وشجاعته . فجاء الى أمه وقال : مالى أطول من أقرانى قدا ، وأوسعهم صدرا، وأشدّهم بأسا ؟ ومن أبى وجدى وما اسمهما ؟ فقالت أنت ابن رستم من شجرة دستان بن سام ونيرم[(1)] . وما استعلاؤك إلا لأن ذلك البيت أصلك . ومنذ خلق الله العالم ما ظهر فارس مثل أبيك . فقال عند ذلك سهراب، مدلا بالانتساب الى ذلك البيت العظيم والأصل الكريم : لأجمعن عساكر عظيمة من الترك، ولأزعجن كيكاوس عن سرير ملكه، وأقلع آثار عقب طوس من إيران ، وأنقل التاج والتخت الى رستم ، وأعطف من أرض إيران الى بلاد توران ، وأنتزعها من يد أفراسياب . ومهما كان رستم لى أبا وكنت له ابنا فلا ينبغى أن يبقى على وجه الأرض صاحب تاج آخر . ومهما كان الشمس والقمر مشرقين فلن تظهر الكواكب للعين (أ) . قال فاجتمعت العساكر بعد ذلك على سهراب من كل جانب لجمعه بين الاصالة والبسالة . فانتهى الخبر الى أفراسياب بأن سهراب قد ألقى السفينة فى الماء، وتصدّى لاكتساب المجد والسناء، وأنه مع صغر سنه، مولع بالسيف[(2)] ومغرم بالضراب والطعان ، وأنه على عزم القتال لكيكاوس، وأنه لا يبالى بأحد، وقد اجتمع عليه عسكر عظيم . فلما وقف على ذلك أفراسياب ضحك وسر بذلك . فجهز اليه من أمرائه لمعاضدته هومان و بارمان فى اثنى عشر ألفا انتخبهم من عسكره، وأوصاهما فى السر بأن يحتالا على سهراب ويحولا بينه و بين أن يعرف أباه رستم عند الملاقاة . وقال : لعله اذا التحم القتال أن[(3)] يقتل ذلك الفارس المقدام على يدى هذا الشجاع الجسور،

(٣٧)

(أ) حذف المترجم هنا اختيار سهراب حصانا لنفسه . وقد فعل هنا ما فعل أبوه رستم فى اختيار رخش كما تقدم ولم يجد فرسا يحمله إلا مهرا من نسل رخش .

(١) كو : ابن نيرم . (٢) كو : والسنان . (٣) ك، كو، طا : أن (لا) .

فيسهل علينا عند ذلك الاستيلاء على ممالك إيران . واذا تم قتل رستم على يدى ابنه سهراب دبرنا عليه، قال: فمضى الأميران الى سهراب ومعهما هدايا أفراسياب اليه من التاج والتخت والخيل والبغال . وكتب اليه كتابا يقول فيه : إنك إذا أخذت أرض إيران استراح الخلق وسكنت الفتن . وليست المسافة بين المملكتين بعيدة . وماسمنجان وإيران وتوران إلا خطة واحدة[1] . فاجلس على التخت، وإنى ممدك بما تريد من العساكر . وليس فى أرض توران لهذين الأميرين ثالث . وقد نفذتهما اليك ليقيما على رسم الضيافة عندك، واذا نهضت للقتال كانا فى خدمتك وضيقا الأرض على عدوك .
قال: فلما وصل الكتاب والخلعة الى سهراب سار بالعساكر متوجها الى إيران . فانتهى الى قلعة تسمى سبيذدز . وكانت معقل الايرانيين . والمستحفظ بها رجل شجاع يسمى هجير[2] . وكانت له أخت (ا) موصوفة بالفروسية والشجاعة، مذكورة بالجرأة والبسالة . فلما قرب سهراب من القلعة، ورأى هجير عسكره نزل من القلعة، وركب وسارع الى القتال، فتطاعن هو وسهراب، فطعنه سهراب بسنان رمحه فلم يعمل شيئا . ثم قلب رمحه وطعنه بزجه فألقاه من[3] ظهر الفرس . وترجل عليه ليحتز رأسه فطلب الأمان من سهراب فآمنه على روحه . وبلغ الخبر الى القلعة بما جرى على هجير فلبست المرأة السلاح، ووارت قرونها تحت الزرد، ووضعت البيضة على رأسها، ونزلت من[4] القلعة مثل الأسد على فرس كالريح المرسلة، وهى تقول أين آساد الرجال وأبناء القتال ؟ فلما رآها سهراب تبسم فلبس خفتانه وأقبل للقتال، فرشقته المرأة بالنشاب، فاحتد ورفع المجن، وركض اليها . فتنكبت قوسها وأشرعت الرمح نحو سهراب . فسل سيفه وقطع رمحها . فولت هاربة من بين يديه فركض سهراب فى أثرها . فلما قرب منها ألقت البيضة عن رأسها فانسدلت قرونها، وبان وجهها مستنيرا كالشمس . فعلم سهراب أن الفارس ليس من الرجال، وأنه من بنات الجمال . فقضى العجب من ذلك . ثم حل الوهق من سموط سرجه، فرماه اليها وحلقه عليها، واستأسرها، وقال : لا تطلبى منى الخلاص، فانه قلما وقع[5] مثلك فى الحبالة . فلما حصلت فى قبضته احتالت عليه، وقالت : إن العسكرين الجانبين قد رأوا ما جرى بيننا من المبارزة والقتال . وسيعيبون عليك كونك تفرغ وسعك وتبذل جهدك فى مقاتلة امرأة . والأولى بنا إخفاء الأمر، وأنا اسلم القلعة[6] . فلما رأى سهراب حسنها وجمالها شغف بها واغتر بكلامها . ثم قال لها : لا تحيدى عن هذا الرأى فإنك قد جربتنى فى الحرب . ولا تغترى بهذه القلعة فإنى قادر على أن أخربها وأسويها مع وجه الأرض .

(ا) اسمها فى الشاه : كرد آفريد (بضم الكاف وفتح الفاء) .

(١) كو: وماسمنجان وإيران إلا كخطة واحدة . (٢) ك : نجير . (٣) ك : عن . (٤) ك، طا : عن .
(٥) ك، كو، طا : يقع . (٦) ك : القلعة اليك .

فعطفت عنانها، وسهراب معها، عائدة الى القلعة . فلما حصلت وراء الباب أغلقوه فى وجه سهراب . فأشرفت من السور ورأت سهراب على ظهر الفرس فقالت : يا ملك الترك والصين ! لم تعبت وتعنيت؟ فارجع القهقرى وراءك . ثم قالت على سبيل السخرية : إن الأتراك لا يطمعون فى مزاوجة الايرانية . وقتك وما رزقتك . فلا تحزن نفسك على ما فاتك . وأراك لست من نسل الأتراك لما أرى عليك من روعة الأكابر وأبهة الملوك . وإنك وان كنت لا تلق أحدا يساويك فى شدة بأسك وقوة أعضادك فإنه اذا تناهى الخبر الى الملك كيكاوس بخروجك نهض اليك مع رستم فلا تجد طاقة بمقاومتهما . والأصوب لك أن ترجع وراءك الى توران، وتحفظ روحك . ولا تركن الى شدّة شوكتك فان الثور اذا سمن فانما يأكل من جنبه (ا) . وربما يحث[1] الحائن عن حتفه بظلفه . فلما سمع سهراب مقالتها صعب عليه وغاظه ذلك . وكان تحت القلعة موضع عليه اعتمادها وبه قوامها ، فأمر بتخريبه . وهجم الليل وحال بينه وبين أخذ القلعة . فرجع الى معسكره . وكتب كزدهم أحد من فى القلعة الى الملك كيكاوس يقول له : إنه قد خرج عسكر عظيم من الترك يقدمهم ملك لا يزيد سنه على أسبوعين (ب) . يطاول السرو قدّه ، ويبهر الشمس فى الجوزاء وجهه . اذ انتضى السيف المهند من خلل لم يبال ببحر ولا جبل . وقد تلقاه الفارس الشجاع هجير فما كان أسرع من رجع الطرف أن اختطفه من سرجه ، وأوثقه فى أسره . وقد رأيت من فرسان الأتراك كثيرا، ولم أر مثله فارسا جسورا . وإنه اذا أرخى فى مأقط الحرب العنان فليس يشبهه[2] غير سام بن نريمان . وإنه إن توانى الملك فى أمره ولم يستعدّ لحربه تفاقم أمره ، واستعضل خطبه . وختم الكتاب وأنفذه الى الحضرة . قال : ولما طلع النهار ركب سهراب فى عساكر توران . فلما انتهى الى باب القلعة صادفها خالية من المقاتلين فقد هرب منها جميع من كان فيها منهم (ح) . فأذعن له من بقى فيها بالطاعة، وسلموا القلعة اليه . قال : ولما وصل الكتاب الى كيكاوس اهتم لذلك فجلس وأحضر أركان دولته وأكابر حضرته مثل طوس وجوذرز وجيو وكشواذ وغيرهم من الملوك والأمراء، وقرأ عليهم الكتاب فقضوا العجب مما فيه . ثم سارّهم وقال: إن هذا أمر يطول علينا . وسايلهم عن الرأى والتدبير . فاتفقوا جميعا على انفاذ جيو الى بلاد زابل لاستنهاض رستم واستدعائه .

(ا) هذه الجملة ترجمة هذه العبارة فى الشاه : " خورد گاو نادان زپهلوى خويش " ومعناه : تأكل البقرة الحمقاء من جنبها . (ب) فى الشاه : لا تزيد سنواته على سعتين . فزاد المترجم أسبوعان من السنين . (ح) فى الشاه : لم يجد فيها أحدا من الكبراء .

(١) ك : بحث . (٢) طا : يشبه .

ذكر كتاب كيكاوس الى رستم وما يتصل به

قال : فأمر بإحضار الكاتب، وبأن يكتب الى رستم . فكتب كتابا صدّره بالثناء عليه، وقال فيه لا زلت ملجأ وملاذا، ولا كان غيرك فى العالم مستجارا. ثم قال فيه: إن الأكابر اجتمعوا بحضرتنا لما ورد به كتاب كژدهم، فاتفقوا على إنفاذ الكتاب اليك على يد جيو. فاذا وقفت على الكتاب فسر الينا فى عساكر زابلستان، واستعدّ لمحاربة فارس توران . فليس أحد غيرك يصلح لملاقاته على ماحكاه كژدهم من حاله . ثم أقبل كيكاوس على جيو، وأمره بالاستعجال والمبادرة، وبألا يتلبث عند رستم، بل إن وصل صباحا رجع مساء، وان وصل مساء رجع صباحا . وأوعز اليه فى حث رستم على المبادرة، وإعلامه بأن الحال لا يحتمل التأخير . فأخذ جيو الكتاب وركب وسار حتى وصل الى[1] زابلستان . واستقبله[2] رستم، فلما قرب منه ترجل له جيو، فترّل[3] رستم أيضا . ثم سأله عن الملك كيكاوس وبلاده . ثم ركبا وذهب به رستم الى إيوانه فسلم اليه جيو الكتاب، وأدّى ما تحمله من الرسالة . فلما قرأ رستم الكتاب قضى العجب من الحال المذكور، ومن ظهور فارس من التورانية يشبه ساما . ثم قال : إن لى ابنا من ابنة ملك سمنجان وهو بعد[4] لم يتأهل لمغامسة الحروب، لكنه عن قريب يبلغ الى ذلك . وقد نفذت الى أمه جواهر وأموالا ، وأتانى الخبر عنه بما يرجى بلوغه درجة الملوك . وها نحن ننهض بعد يوم الى حضرة الملك، ونُرى فرسان إيران الطريق فيما دفعوا اليه . وقال : لعل سعادة جد الملك غير متيقظة فانه ليس هذا الأمر من الصعوبة على الصفة التى تذكرون. واشتغلوا بالشرب حتى ثملوا . ولما كان الغد[5] زين المجلس، واصطبحوا . وكذلك فعلوا فى اليوم الثالث غير مفكرين فى طلبة الملك كيكاوس وما أمرهم به . فلما كان اليوم الرابع قال جيو لرستم: إن كيكاوس سريع الغضب شرس الخلق . وليس يوافقه ما نحن فيه ، فإنه قد اشتغل قلبه بهذا المهم حتى هجر[6] من أجله النوم وزايل[7] القرار . فقال له رستم: لا يهمنك ذلك فإنه لم يبق على وجه الأرض من ينازعنا فى الملك. ثم أمر بإسراج فرسه المعروف بالرخش، وضرب الكوسات، وإعمال البوقات . وسار بالعساكر الى حضرة كيكاوس . فلما مثلوا بين يديه اطّرح الحياء، وصاح على جيو، وقال : من يكون رستم حتى يتوانى فى امتثال أمرى، ويعرض صفحا عنى ؟ خذه الساعة واصلبه، ولا تراجعنى فى أمره . فتحير جيو، وتوقف . فاحتدّ كيكاوس وقال لطوس : خذهما واصلبهما معا . وقام من مجلسه مضطرما كالنار الموقدة . فاخذ طوس بيد رستم ليخرجه حتى تسكن ثائرة غضب الملك .

(٣٨)

---

(١) ك : وصل زابلستان . (٢) طا : فاستقبله . (٣) ك : فنزل له . (٤) طا : لما يتأهل .

(٥) ك، طا : من الغد . (٦) ك : لقد هجر . (٧) ك : وزال عنه القرار .

فاحتدّ رستم وقال لكيكاوس : خفض عليك، ودع عنك هذه الحدّة . فكل واحدمن أمورك أنحس من الآخر. وليس تليق بك الشهريارية والملك. وليكن صلبك لسهراب، وإهانتك لعدوّك إن قدرت. ودفع طوسا ورماه الى الأرض، وخرج غضبان، وركب رخشه ، وقال : أنا الواهب[١] للتاج، ومقدّم القوم . فلماذا يحرد علىّ كيكاوس ؟ ومن كيكاوس ؟ ومن طوس حتى يمدّ يده الىّ ؟ وأقبل على الإيرانيين ، وقال : دبروا أموركم ، واحفظوا أرواحكم فان سهراب قد جاء وإنّه[٢] لا يخلى منكم صغيرا ولا كبيرا. وهاأنا رائح ولا يرى وجهى أحد بعد هذا فى أرض إيران. فاهتم من هناك من الأمراء والقوّاد لما سمعوا من رستم على رءوس الأشهاد . فالتجأوا الى جوذَرز ، وقالوا له : أنت الذى بلطفه[٣] يجبر الكسير، وبرأيه يسهل العسير . فادخل على هذا الملك المجنون ، فانه لا يسمع غير كلامك ، فلعلك تستعطفه لرستم . فدخل جوذَرز مسرعا على كيكاوس، وقال : أى شىء عمل رستم حتى يخاطب بما اضطربت به المملكة ؟ وليس يعدّ من العقلاء من يكون له فارس مثل رستم فيطرده بالجفاء . فندم كيكاوس على ما بدر منه، واعترف على نفسه، وصدّق جوذرز فيما قال. وقال: لا بدّ للملك أن يكون وافر العقل متنكبا عن الحدّة والجهل. وقال له: اركب الآن مع الأكابر والأمراء خلف رستم وردّوه[٤]. فركب جوذرز، وسار فى جميع أمراء الحضرة حتى لحقوه . فاجتمعوا عليه، وأطلقوا ألسنتهم بالثناء، ودعوا له بالبقاء. وقالوا : إنك تعلم أن كيكاوس خفيف الرأس لا يستقيم كلامه عند الحدّة والغضب، وأنه يحتدّ ثم يندم من ساعته فيرجع الى أحسن ما كان عليه قبل غضبه. واذا ضاق صدرك من الملك فأى جرم لسائر الايرانية ؟ والآن قد ندم كيكاوس على ما سبق منه حتى كاد أن يعض على يديه. فأجابهم رستم وقال: مالى حاجة الى كيكاوس. فانّ تختى السرج، وتاجى البيضة، ولباسى الجوشن، ومركوبى الموت . وسواء عندى كيكاوس والتراب. وقد مللته وسئمته . ولست أفزع منه أبدا، ولا أخاف غير الله أحدا . فقال له جوذرز : إن أهل المملكة وفرسان العسكر يحملون هذا على محمل آخر . فيقولون : إنما فعل رستم هذا لخوف دخله من هذا العدوّ . وقد تناجوا بشىء من هذا القبيل . وقال : إن كل شىء[٥] جرى فلا جانى له سوى سهراب . فلا تخالف الملك ولا تولّه ظهرك، ولا تمح برجوعك صيتك الذى طبق الآفاق. واعلم أن العدوّ قدأخذ بالمخنق، ولم يبق فى الأمر متسع. فلا تنكس تخت السلطنة، ولا تعفر تاجها . فلم يزل جوذرز يستعطف رستم ويسترضيه حتى لانت عريكته ، وقرت بعد الهدير شقشقته . فثنى عنانه عائدا الى حضرة الملك . ولما دخل عليه تلقاه وأخذ يعتذر اليه قائلا : إن الله تعالى خلقنى شرس الأخلاق، شكس الطباع. وليس ينبت الشجر إلا كما غرس. وقد امتلأ

(١) ك ، طا : الواهب التاج . (٢) ك : قد جاء ولا يخلى . (٣) ك : بلفظه . (٤) ك : وردّه .
(٥) طا : كل ما .

قلبي من هذا العدوّ، وجاش صدري بهجومه، فدعوتك لتكفيني شره . فلما أبطيت جرى ما صدر مني من الاحتداد . فقال رستم : العالم لك، وكلنا عبيدك وخدمك . وما جئت إلا امتثالا لأوامرك، واقتفاء لمراسمك . فقال كيكاوس : اليوم خمر وغدا أمر . فهلم نطيب العيش ثم نرتب الجيش . فأمر فزين برسم الأنس مجلس شاهنشهى يتهلل إيوانه تهلل الربيع الناضر، وتطنّ أرجاؤه بأصوات العيدان والمزاهر . واصطفت حواليهم روقة الأقمار ، وأديرت عليهم كئوس العقار . وأقاموا على ذلك الى نصف الليـل . فلما كان من الغـد أمر كيكاوس فشدّت الكوسات على مناكب الفيلة، وفتحت الخزائن، وأفيضت الأرزاق على العبيد والخـدم . و برزوا وهم زهاء مائة ألف مدجج . فساروا حتى وصلوا الى قرب قلعة سبيذ . فصاح من كان على مرقبها منذرين بالعسكر . ولـما علم سهراب بذلك صعد الى سور القلعة، وشاهد العسكر وجعل يريهم بإصبعه هومان أحد أمرائه . فلما رآهم هومان طار قلبـه شعاعا، ووجم من الخـوف حتى كان لا يستطيع خطابا ولا حوارا . فقال له سهراب : لا يهمنك ما ترى . فانه ليس فيهم من يقف قدامي، و يثبت دون عصفة حسامي . وانما هو سواد عظيم وسلاح كثير . ولأجعلن[(1)]، بسعادة الملك أفراسياب، صحراء المعركة كالبحر المتلاطم من دمائهم . ونزل عن القلعة غير مفكر بهم . وطلب من ساقيه جام خمر فشربه، وأمر فأخرجت سرادقاته فضربت في الصحراء قدام القلعة . فجللت الأرض بالخيم وامتلأت بالخيـل والحشم . ولـما غابت الشمس عن العيون وأغطش الليل جاء رستم كيكاوس[(2)] واستأذنه أن[(3)] يدخل معسكر الترك على سبيل التجسس . فأذن له فلبس قباء تركيا، ومضى حتى قرب من الحصار، فسمع لغط الأتراك وصياحهم على الشرب، ورأى سهراب كالسرو جالسا على تخته و بين يديه أمراؤه وقواده : مثل زند وهومان و بارمان، وحواليه مائة من فرسان الأتراك، وقُدّام تخته خمسون وصيفة يرقصن بالدستبند(أ) . فوقف ينظر اليهم من البعد ويتأملهم وأحوالهم . فقام زند من عند سهراب، وخرج لحاجة . فرأى رجلا يطاول السرو قدا وطولا . ولم يكن قد رأى مثله في عسكرهم . فاستنكره وقال له بحدّة وانتهار : اظهر للضوء حتى نراك . فوكزه رستم بيـده وكزة مات منها (ب) . ثم إن سهراب تفقد زندا بعد[(4)] ساعة فأخبر بما جرى عليه . فوثب وأتى مصرع زند، ووقف عليـه متعجبا ممـا جرى ، ودعا بالأمراء والفرسان ، وأمرهم أن يتحارسوا

(٣٩)

(أ) الدستبند ضرب من الأساور ، ورقصة يمسك فيها بعض الراقصين بأيدي بعض ، و يضربون الأرض بأرجلهم ويدورون . والذي في الشاه أن الجواري كنّ أمامه بالدستبند ففهم المترجم أنهن كن يرقصن هذه الرقصة . (ب) في الشاه : أن زنده هذا خال سهراب ، وأن أم سهراب سألته أن يذهب مع ابنها ليريه أباه رستم . فقتل زنده كان لابد منه لتتم فصول القصة .

(١) لك ، طا : فلأجعلن . (٢) لك : الى كيكاوس . (٣) لك ، طا : في أن .

(٤) لك ، طا : بعد ذلك .

ولا يناموا . فقـال : إن ساعدنى خالق الخلق أخذت غدا بثار هـذا القتيل . ثم عاد الى مكانه . ولمـا رجع رستم من معسكر الترك كان جيو تلك الليلة على اليزك (أ) . فلما رآه من البعد استل سيفه، وجاء يقصده . فعرفه رستم وكلمه . فعرف جيو صوته فترجل له، وسايله عن خروجه . فقص عليه القصة ، وحكى له قتـله لزند التركى . ثم جاء الى حضرة كيكاوس، وحكى له صـنيعه وما جرى . وباتوا ينظرون فى ترتيب(١) أمر القتال . فلما طلعت الشمس من الغد لبس سهراب لبوس الحرب ، وركب فأقبل، واختار نشزا من الأرض فعلاه، وأشرف(٢) على عساكر إيران . واستحضر هجير الأسير، وقال : إنى مسايلك عن رجال عسكر إيران فلا تحيدن عن الصدق فى مقالتك ، فان ذلك ينجيك من حبالتك . واذا صدقتنى خلعت عليك، وأفضت كنوز النعم عليك . وإن لم تصدقنى بقيت على حالك أبدا مأسورا .

فقال هجير : إنى أصدقك فى كل ما تسألنى عنه . وكيف لا أصدق فى كلامى بين يديك، وأحيد عن الصواب لديك؟ فقال له : أخبرنى عن صاحب سرادق الديباج الملون الذى فيه خيمة من جلود النمور، وقدامه راية تلوح كالشمس المشرقة، على رأسها هلال من الذهب لها(٣) غلاف بنفسجى ، وقدامه مائة من الفيـلة العظام، ومهد فيروزجى . وموضع ذلك من العسكر فى القلب . فقال : هو كيكاوس ملك إيران . فهو الذى يكون على بابه الفيلة والأسد . ثم قال له سهراب : وأرى فى الميمنة فرسانا كثيرة وفيلة وسرادقا أسـود يحيط به العسكر، وقدامه راية منصوبة على(٤) صورة فيل، وعلى بابه فرسـان فى أرجلهم مداسات ذهبيـة . فقال : ذاك لطوس بن نوذر . ثم قال : ولمن ذلك السرادق الأحمر الذى حواليه الفرسان(٥)، وقدامه راية عليها صورة أسد من الذهب قد ركب فيه جوهر يلوح ، ووراءها عسكر عظيم أصحـاب رماح وجواشن . فقال : ذاك لجوذرز بن كشواذ . ثم قال : وأرى سرادقا أخضر، عنده جيش أرعن لجب، وعليهم رجل طويل القامة يكاد وهو قاعد يطاول القيام، وهو يجيش كل ساعة، وعنـده فرس على قدره قد علق من سموط سرجه وهق يكاد يمس الأرض ، وبين يديه فيول كثيرة، ورجال عليهم الجواشن ، ولا أرى رجلا فى قد هذا الرجل، ولا فرسا فى قد فرسه، وقدامه راية تشبه الثعبان، على رأسها صورة أسد من الذهب . فمن هـذا الرجل وما اسمه ؟ فقال هجير : ما أعرفه، ولا أعرف اسمه . ثم قال : إنى كنت فى القلعة، وبلغنى أنه جاء أمير كبير

(أ) اليزك ربيئة الجيش الذى يرقب العدو .

(١) ك : ترتيب (لا) . (٢) ك، كو، طا : فاشرف . (٣) ك، طا : ولها .

(٤) كو : عليها صورة فيل . (٥) فى الأصل "حواليه من الفرسان" والتصحيح من ك، كو، طا .

من الصين، وانضم الى عسكر الملك كيكاوس . فيشبه أن يكون هـذا الرجل ذاك . فاغتم[1] عند ذلك حين لم يقف على أثر من أبيـه رستم . وقد كانت أمّه أخبرته من صـفة أبيه رستم وأحواله بمـا قد شاهده . لكن لم يحصـل له ما يثق به قلبه . فأراد أن يتعرف من هجير فعساه يعثر من لسـانه على ما يسكن إليه قلبه . وقد حال بينه وبين ذلك ما كان مكتوبا على رأسه من القضاء المحتوم، والأمر المقدور . ثم سايله عن صاحب سرادق آخر وراية أخرى على رأسها صورة ذئب من الذهب . فقـال : هو جيو بن جوذرز الذى هو[2] أعلى قومه قدرا ، وأرحبهم صـدرا . ثم قال : إنى أرى من شرق العسكر سرادقا أبيض من الديباج الرومى، وقدامه خيـالة كثيرة مصطفة ، ومعهم رجالة كثيرة أصحاب ترسة[3] ورماح — فى أوصاف ذكرها المؤلف — فقال : ذاك لفرى برز بن الملك كيكاوس . ثم سايله عن سرادق آخر فقال : ذاك لرجل يسمى[4] جراز، وهو شجاع بطل . وكان سهراب يتطلب فى سؤاله أن يقع على علامة أبيه. وهجير يكاتمه ذلك ويخفيه لمـا يأتى ذكره. ثم عاود سهراب السؤال لمـا فى نفسه من السيد الذى كان مشوقا اليه، ومرفرفا بجناح قلبـه عليه . فسايله ثانيا عن السرادق الذى كان فى نفس الأمر سرادق أبيه رستم . وقال : قل لى لمن ذلك السرادق الأخضر؟ ومن ذلك الرجل الطويل الذى هو عنده؟ فقال له عند ذلك هجير : إنى لست أعرف هـذا الرجل . فكيف أخبرك عنه ؟ فقال له سهراب : مالك قد ذكرت الكل ولم تذكر رستم؟ وكيف يخفى بين هذا العسكر من هو بهلوان العالم ؟ وقد أخبرت أنت أنه مقدم العسكر، وحافظ حوزة الملك . فقال له هجير : لعله عاد الى زابلستان . فإن هذا فصل الربيع، وأيام الشرب . فقال سهراب : ما هذا الكلام؟ واذا كان الملك قد حضر الحرب بنفسه فكيف يقعد عنه رستم وهو نظام أمره، ومعتمد حله وعقده، وبهلوان جيشه؟ وبعد فلست أتجاوز بك خطة واحدة . وهى إما أن تصدقنى الخبر عن رستم ولك على ذلك كنوز وأموال أعطيك إياها أولا تفعل فاقطع رأسك، وأريق دمك . فقال هجير : من سئم ملكه ، ومل تاجه وتخته تعرض لمحاربة رستم الذى يتنكب الفيل الهائج عن مصاولته، ويحجم الليث الكاشر عن مكالحته . فقال له سهراب : لقد شقى جوذرز حيث يدعوك ولدا وهذه[5] جرأتك ورأيك وعقلك. وأين رأيت الرجال فى مقام الطعن والضرب ؟ وأين سمعت وقع سـنابك الخيل فى معترك الحرب ؟ حتى تصف رستم بمـا وصفت . وإنمـا تخشى النار حيث لا تكون البحار، وبطلوع طلائع الشمس تنتكس رايات الظلام . قال : وكان هجـير يقول فى نفسه إنى لو عرّفت هذا التركى الشديد البأس

---

(١) كو، فاغتم سهراب . (٢) ك، كو، طا : هو . (٣) ك : أترسة . (٤) فى الأصل "كان يسمى" والتصحيح من ك، كو، طا . (٥) صل : وهذا جرأتك .

رستم لم يقصد إلا قصده . وأخشى أن ينكسر رستم بين يديه أو يقتله فلا يبقى فى جميع إيران من يثبت له . فيبتز كيكاوس تاجه ، ويسلبه تخته . والموت على الحفاظ خير من شماتة الأعداء . وإن قتلنى لم يسود النهار ، ولم تقم القيامة . واذا لم يسلم جوذرز مع السبعين المذكورين من أولاده فلا سلمت ولا بقيت ، واذا قلع السرو الباسق من البستان فلا نبتت شقائق النعمان . واحتد على مهراب وقال : مالك تكثر السؤال عن رستم ؟ كأنك تطمع فى جانبه والأولى[1] بك ألا تطلب ملاقاته . فإنك لا تطيق مقاومته . فأعرض عنه سهراب حين سمع كلامه الخشن ، وجاء ولبس خفتانه ، ووضع على رأسه خُوذة تركية ، وجاش الدم فى عروقه من الحدّة . فركب فرسه ، وأخذ رمحه ، وأقبل الى المعترك كالفيل الهائج ، وركض نحو سرادق كيكاوس فقوّضه برمحه . وتفرّق عنه من كان هناك من العسكر تفرّق اليعافير لصولة الضيغم الهصور . ولم يقدر أحد من شجعان ذلك العسكر على مقاومته . فعظم ذلك على كيكاوس فأنفذ طوسا الى رستم ليخبره بصنيع سهراب ، ويستنهضه اليه ويستعجله . فمضى اليه طوس ، وذكر له ذلك . فقال رستم : كل الملوك الذين رأيتهم كان لى منهم يومان : يوم راحة ويوم تعب ، سوى كيكاوس فإنه ليس لى من أيامه نصيب غير التعب والعناء . ثم أمر بإسراج رخشه ، وأمر عسكره بالركوب . وجعل جُرجين يقول له : عجل ،وهو يشد حزام فرسه ويرتعد ، وطوس يشد عليه معاقد جوشنه . وكل واحد منهما يستعجل الآخر . ولما سوى عليه سلاحه وشد عليه منطقته ركب[2] وأوصى أخاه زواره بالا يبرح مكانه ، ويحفظ ما وراءه . فأقبل الى الحرب ، وحملوا لواءه معه . فلما رأى سهراب وشدّة أعضاده ، وعظم صدره كأنه سام بن نريمان قضى العجب . ثم قال لسهراب : هلم حتى نتنحى الى مكان خارج من الجمعين . فأجاب سهراب مسرعا ، وقال : نخرج الى موضع خال فنتبارز ، ولا يكن معك أحد . ثم قال لرستم : كيف تقدر أن تقاومنى أو تقف قدامى وأنت وإن كنت طويل القامة ، شديد الأعضاء ، قوى الأكتاف فإن مرّ السنين قد أثر فيك . فالتفت رستم اليه ، ونظر الى قدّه وشمائله ، وسرجه وركابه ، وقال : رفقا يافتى رفقا . فكم من وقعة شهدتها مع المشيب ، وكم جحفل أرديتهم فى الحروب . وكم من جنى هلك على يدى . ولم أنكسر قط فى حرب . وإن عشت فسوف تعرفنى . فقال له سهراب : إنى سائلك فاصدقنى ؛ إنى أظنك رستم ، وأحسبك من شجرة سام بن نيرم . فقال : ليس كذلك . فإن رستم هو البهلوان وأنا الغلام . فقنط عند ذلك سهراب ، وخاب رجاؤه ، وأظلم نهاره ، وتعجب من قول أمه وما أخبرته به من صفة أبيه . ثم تناوشا الحرب وتطاعنا حتى انتثرت كعوب رماحهما . فاستل كل واحد منهما سيفه

(١) ك : والأولى أنك . (٢) مل : وركب .

وتضاربا وكأن النار تمطر من سيوفهما . ولم يزالا حتى تكسرت سيوفهما . فمدا أيديهما الى عموديهما ، ورفعاهما وجعلا يتضاربان ويتقارعان حتى تمزقت الأدراع الموضونة على أكتافهما ، وتقطعت التجافيف على خيلهما . فضعفا ووقفت دوابهما ، وبقيا من العرق غريقين ، ومن العطش محترقين . فوقف الأب من جانب والابن من جانب آخر ينظر أحدهما الى الآخر . فياعجبا كيف انسدّت دونهما أبواب التعارف ، ولم تحرك بينهما عروق التناسب ؟ والإبل مع غلظ أكبادها لتعطف على أولادها ، والطيور فى جوّ السماء والحيتان فى قعر الماء لا تنكر أولادها[1] وأفراخها والانسان من[2] فرط حرصه يخفى عليه فلذة كبده ، ويستنكر قرّة عينه ، ولا ينزع الى ولده ! وقال رستم[3] : لم أر قط قتالا بهذه الصفة . ولقد انقطع رجائى من رجوليتى ، وهان علىّ فى جنبه ما لقيت فى قتالى لملك الجن سبيذديو . ثم إنهما استراحا ساعة . ثم عادا الى القتال ، ورشق أحدهما الآخر فما ضر واحدا منهما شىء لمظاهرتهما بين الدروع والجواشن . فمدّ كل واحد منهما يده الى معقد منطقة صاحبه ، وجعل رستم الذى لو مدّ يده الى الجبل لاقتلع من حجارته يحتال ، وهو آخذ بمعاقد سهراب ، أن يحركه من ظهر فرسه . وسهراب كأنه لا خبر عنده من ذلك . ثم إن سهراب أخرج جرزه من حلقة سرجه ، ورفعه وأهوى به الى أكتاف رستم ، فتألم منه رستم . فضحك سهراب وقال : أيها الفارس كيف تثبت لصدمات الشجعان ؟ وإن الشيخ وإن كان عظيم القدّ شديد البأس فمستقبح منه عمل الشبان . ثم إن كل واحد منهما أدركه الضجر وتتاركا . فركض رستم صائلا على صف عسكر توران ، وفعل سهراب كفعله فحمل على صف عسكر إيران . فتفرّقت لحملته الفرسان . فالتفت رستم وتوهم أن مدّة كيكاوس قد همت بالانقضاء على يد سهراب . فرجع وصاح عليه صيحة . وقال : أيها المسعر السفاك ، إنه لم يتعرض بك[4] ولا بدأ بقتالك أحد من الايرانيين حتى تتوسطهم ، وتعيث فيهم كما يعيث الذئب فى قطيع الغنم . فقال سهراب : وهكذا عسكر توران لم يبدءوك ، ثم إنك حملت عليهم . فبك اقتديت ، وعلى منوالك نسجت . فقال له رستم : قد أظلم الأفق ، وهجم الليل فليرجع كل واحد منا الى معسكره ثم نعود اذا أصبحنا . فرجعا فحكى سهراب لهومان ما جرى بينه وبين رستم . وكذلك رستم حكى لجيو ما جرى له فى يومه . ثم ركب رستم الى خدمة الملك كيكاوس . فلما دخل عليه أجلسه بجنبه ، واستخبره عما جرى له . فجعل رستم يحكى له عن سهراب ، ويذكر أنه قد أفرغ وسعه ، وبذل جهده فى أن يغلبه فلم يقدر عليه . وقال غدا[5] احتال عليه بالمصارعة والله أعلم بالمنصور منا . ثم خرج من عنده ،

---

(١) ك ، طا : أفراخها وأولادها . (٢) كو : مع حرصه . (٣) ك : رستم فى نفسه .
(٤) ك ، كو : لك . (٥) ليس فى الأصل «قال» والتصحيح من ك :

وعاد الى مخيمه . فتلقاه أخوه زواره، واستخبره عن حاله فى يومه . فأمره بإحضار الطعام أولا . فطعم وأقبل عليه، وقال: إياك والتوانى، وعليك بالتيقظ، وانظر فاذا رأيتنى غدا قد ركبت باكرا الى المعترك لملاقاة هـذا التركى فاجمع عسكرى ، ومر بحمل تختى[(١)] ولوائى، ومداسى الذهبى ، وقف قدام سرادق وقت طلوع الشـمس . فإنى إن رزقت الظفر لم ألبث ساعة وعدت اليكم عاجلا . وإن كان الأمر على خلاف[(٢)] ذلك فلا تجزع على ولا تغتم لذلك ، وإياكم أن تبقوا فى هذا الموقف ساعة واحدة ، وأن[(٣)] تطمعوا فى لقائهم وقتالهم ، ولكن عجلوا وارجعوا منطلقين الى زابلستان، وبادروا نحو دستان، وسل قلب أمى فليس يدوم أحد فى هذه الدار، ولا بد من التحول الى دار القرار . ولو زاد على الألف أيام عمرك فالى الموت مصير أمرك . وقد خلقنا للموت شبانا وشيبا ، ولن يبقى الجديدان خلقا ولا قشيبا . ثم توصى دستان ألا يخالف الملك، ولا يفارق طاعته، ولا يتوانى فيما يأمر به من قتال من يريد. فلما كان الغد[(٤)] لبس رستم سلاحه ، وركب رخشه ، وأقبل الى المعركة § ولبس سهراب من ذلك الجانب أيضا سلاحه ، وركب وحضر ذلك المكان . فلما رأى رستم ضحك اليه ، وسايله عن مبيته حتى كأنهما باتا معا . وقال له فى جملة ما قال : كيف أمسيت وكيف أصبحت ؟ وماذا فى قلبك من أمر قتالنا؟ فإنى أرى أن نخلع الجوشن، ونطرح السيف، ونكف عن القتال، ونجلس ونشرب ، ونتعاهد بالله[(٥)] ألا يعاود أحدنا قتال صاحبه . فإن قلبى يميل كل الميل اليك، وإن وجهى ليغمره الحياء منك . فقال له رستم : إنك إن كنت من الشبان فلست من الصبيان، ولا ممن يتخدع بالحيلة والمكر . وقد حلبت الدهر أشطره، ولا بد لنا من بذل الجهد . ولا يكون منتهى الأمر وآخره[(٦)] إلا ما أراد الله . فترجلا وشد كل واحد منهما فرسه بحجر، وتشبث كل واحد منهما بصاحبه

§ حذف المترجم هنا قطعة خلاصتها أن سهراب بات فى معسكره يشرب على عزف المزاهر . وقال لهومان : إن هـذا الأسد (رستم) له قد لا يقصر عن قدى، وقلب لا يبالى الحرب . وإنه ليشبهنى فى صـدره وكتفيه ، وعضديه . وكلما نظرت الى رجله فى الركاب خفق قلبى بحبه، وخجل وجهى منـه . وإنى لأجد فيه الأمارات التى وصفتها أمى . وأحسبه رستم الذى يقال فى الأبطال أكفاؤه . ولا ينبغى أن أحارب أبى .

فقال هومان : قد رأيت رسـتم كثيرا فى المعارك، وهذا الحصان يشـبه رخشه ولكن ليس له حافره ولا أثره .

(١) ك : لواى وتختى . (٢) ك، طا : بخلاف . (٣) ك، طا : أو أن

(٤) ك، طا : من الغد . (٥) ك، طا : الله تعالى . (٦) ك : وآخره (لا) .

يتصارعان كأنهما أسدان يتصاولان، أو جبلان يتناطحان . ثم إن سهراب صرع رستم ، و بطحه وجلس على صدره كالأسد اذا افترس فريسة بجثم عليها وافترشها . واستل خنجرا ، وأراد أن يحتز رأسه . فلما رأى ذلك رستم احتال عليه وقال: ليس هذا من شأن المصارعة عندنا ، بل كل من ساجل شجاعا بالمصارعة فليس يبسط يده الى قتله فى الصرعة الأولى، بل[1] حتى يصرعه ثانيا فحينئذ له ذلك. فاغتر سهراب بكلامه، وقام عنه، وخلى سبيله، وجاء الى صحراء كانت بين يديه فيها غزلان كثيرة فاشتغل باصطيادها غير مفكر فى رستم ولا محتفل به . فركض اليه صاحبه هومان واستخبره عما جرى بينه و بين رستم . فأخبره بأنه صرعه ثم أطلقه لما قاله له . فقال : أيها الشاب الشجاع إنك قد اقتنصت هزبرا هصورا ثم خليت سبيله، فكأنك قد[2] ملات الحياة وسئمت نفسك . وسترى ما يحدث عليك منه . ثم قطع رجاءه منه، وعاد الى معسكره مهموما وهو يقول : من استصغر عدوه، و إن كان أسيرا، فسيرى اليسير عسيرا .

قال: ولما تخلص رستم من يده قصد ماء جاريا هنالك فشرب منه واغتسل وسجد يسأل الله تعالى أن ينصره على عدوه، وهو لا يعرف ما فى ضمن ذلك وما ينساق اليه . (أ) ثم عاد الى مكان المصارعة مصفر الوجه، وجل القلب . وأقبل سهراب يركض فرسه، وفى عضده وهق، و بيده قوس . فلما رأى رستم ناداه وقال له : أيها المفلت من مخالب الضرغام! مالك قد أبطأت وتقاعست عن الإقدام؟ (ب) وترجلا وشدا فرسيهما ، وتشمرا ثانيا للصارعة . وكلما غضبت على المرء السعادة لانت فى مساءته الحجارة . (حـ) فصار سهراب بتلك الأعضاد القوية والمرافق الشديدة كأن القضاء قد قيده، والشقاء قد صفده . فألقاه رستم على الأرض، وجلس عليه، وسل خنجره مسرعا وشق به نحره[3]. فتنفس سهراب وقال: أنا الذى جنيت هذا الشر على نفسى حين أريتك هذا الباب. ثم قال: إن أمى أخبرتنى بصفة أبى، وحدثتنى عن علامته . وما كان خروجى إلا لألقاه، وأبصر وجهه . وها أنا قد حضرنى الموت قبل أن أراه، و بحسرته أموت . وأنت فلو صرت حوتا فى قعر الماء أو حلت كوكبا فى جو السماء لم تفلت من أبى . وليأخذن بثارى منك اذا بلغه مصرعى هذا ، ويوشك أن

(أ) فى الشاه : أن الله كان منح رستم قوة تنشق الحجارة تحت قدميه حين يمشى . فسأل الله أن ينقص من قوته ليستطيع السير فى الطريق . فلما كر به أمر سهراب سأل الله أن يرد ما نقص من قوته فاستجاب له . (ب) فى الشاه : « أيها المفلت من مخالبي لماذا عدت الى منازلتى؟ » وهذا أقرب الى سياق القصة . (حـ) فى الشاه : « كلما غضب الحظ المشئوم صار الحجر الصلب كالشمع » .

(١) ك، كو، طا : بل (لا) . (٢) ك : قد (لا) . (٣) فى حاشية الأصل فى هذا الموضع :

وائل بعضها بقتل بعضا * لا يفل الحديد إلا الحديدا

يبلغه ذلك ولو على لسان واحد من هذا الجمع الكبير . قال: فلما سمع رستم مقالته هذه أظلم نهاره، وغشى عليه . ثم لما أفاق أقبل عليه برنين وحنين، وقال له : أخبرنى عما معك من علامات رستم — لا عاش ولا عد من نفره — فقال عند ذلك : إن كنت أنت رستم فإنما قتلتنى بسوء خلقك . وكم تعرفت اليك، وتملقت لك، فما تحرك عرقك ولا لان قلبك . فحل الآن معاقد جوشنى، وعربدنى[1] . فإن أمى حين ودعتنى شدت على عضدى خرزة، وقالت : هذه تذكرة من أبيك، ولعلك تحتاج اليها . ففعل ذلك رستم . فلما رأى تلك الخرزة رستم[2] فى عضده شق جيبه، وأخذ يضرب صدره، و ينتف شعره، و يندب ولده . فقال سهراب : قتلت نفسك بيدك . وقد وقع المحذور، ومضى المقدور، وليس ينفعك هذا الجزع

قال : ولما زالت الشمس على الإيرانيين ولم يروا أثرا من رستم ركب جماعة من فرسانهم فى طلبه . فرأوا فى الصحراء فرسين ليس معهما أحد . فحسبوا أن رستم قتل فأسرعوا الى كيكاوس، وقالوا : خلت المملكة عن رستم . فاضطرب الايرانيون وضجوا وأخذوا فى البكاء والرنين . وأمر كيكاوس بإعمال البوقات، وضرب الكوسات . واستحضر طوسا . وقال لهم : طيروا هجينا حتى تؤتى بخبر سهراب . فإن كان رستم قد قتل فقد انقطع رجاؤنا من ايران لإعوازنا من يقاتل بعده هذا العدو . وليس من الصواب أن نتوقف فى مثل هذه الحالة، والأصوب أن نهجم عليهم، ونجعل الأمر حملة واحدة . قال : فلما سمع سهراب صياح الايرانيين وضجتهم قال لرستم : قد تغير الحال الآن بعسكر الترك بسبب ما جرى علىّ . فاجهد كل الجهد فى أن تصرف كيكاوس عن قتالهم . فإنهم من أجلى تجشموا المجىء الى هذه الديار . وكم أمنية كانت لهم معذوقة بأيامى، وكم حاجة كانوا يرتجون نجاحها فى حياتى . وقد خاب رجاؤهم، وأخفقت ظنونهم . فلا ينبغى أن ينالهم فى عودهم وانصرافهم محذور . فانشر عليهم جناح الأمان، وانظر اليهم بعين الرعاية والإحسان . فركب رستم وأقبل الى عسكر الايرانيين ودموعه جارية، وأنفاسه متصعدة، محترق[3] القلب على ولده، وقد قتله بيده . فلما رآه الايرانيون ترجلوا وسجدوا شكر الله تعالى على رجوعه سالما . فلما شاهدوه ممزق الثياب مستعيض الرأس عن التاج بالتراب سايلوه عما به . فأخبرهم بحاله العجيبة، وقال لهم : إنه لم يبق لى الآن قلب ولا جسد ولا عقل ولا جلد . فلا تقاتلوا الأتراك فقد كفاهم ما جرى عليهم على يدى من الشر . وحضر أخوه زواره وقد شق على نفسه ثيابه[4] . فأرسله الى هومان وقال : قد أغمد سيف القتال، وصرت أنت الآن حافظ عسكر الترك، وهذا زواره قد أمرناه بأن يصحبك حتى تبلغ أنت ومن معك الى حافة النهر .

---

(١) ك : يدى . (٢) ك، طا : رستم (لا) . (٣) ك : محرق . (٤) طا، ك، كو : ثيابه الخسروانية .

ثم رجع رستم الى مصرع ابنه ومعـه الأكابر والأمراء، فاستل خنجرا وهمّ بقتل نفســه لفرط ما أصابه من الجزع . فتعلقوا به وهم يضجون ويبكون . وقال له جوذرز : لو قلبت الأرض ظهرا لبطن، وأصبت نفسـك بكل مكروه لم ينفعك ذلك شيئا . وسُهراب إن كان الله قد أنسأ فى أجله فسيعافى وتبقيان معا . وان تكن الأخرى فهوّن عليك ، وانظر من ذا الذى قضى له بالبقاء فى دار (٤٢) الفناء . وكلنا قنص المنون . غير أنا لاندرى متى يخرج علينا من الكمين[١] . فقال عند ذلك لجوذرز : تحمل عنى رسالة الى الملك، امض اليه، وأبلغه ما بليت به فى ولدى، وقل : إن كنت ترعى حقوق خدمتى ، ولا تنسى[٢] نصحى وطاعتى فأنفذ الىّ من خزانتك شربة من الدواء الذى يشفى الجرحى، مع جام من الشراب . فلعل سهراب يجد عليه الشفاء بسعادتك ، و يصير أحد العبيد المـاثلين فى خدمتك . فركب جوذرز وجاء الى الملك ، وأبلغه رسالة رستم . فقال له الملك : ألم تسمع قوله فى ذلك اليوم (أ) : من كيكاوس؟ و إن كان هو الملك فمن[٣] طوس؟ وامتنع من إسعافه بمـا طلب (ب) . و رجع[٤] جوذرز الى رستم ، وقال : إن خلق الملك السيئ شجرة مثمرة بالجفاء والخصومة . والأولى أن تركب بنفسك اليه ليقضى حاجتك . فأمر رستم فبسطوا على جانب ذلك الوادى فرشا و بُسطا ، وحملوا سهراب ونوموه عليه . وركب متوجها نحو سرادق الملك . ولمـا توسط الطريق لحقه الخبر بموت سهراب فخر من الفرس ، وحثا التراب على رأسه ، وجعل يبكى عليه و يندب و يقول : من الذى[٥] أصيب بمثل ما به أصبت ، ومن الذى فجع بمثل ما به فجعت ؟ قتلت ولدى حين شاب رأسى وانقضى عمرى . ثم أمر بحمل سهراب الى مخيمه ، و بإحراق سرداقه وخيمه وتخته وأسلحته وغير ذلك . ثم جاءه الملك كيكاوس و جميع الأكابر والأمراء ، وجلسوا معه على التراب وأخذوا يعزونه و يسلونه . وكان من قول كيكاوُس له : إن مصير الكل الى الفناء ، فمن واحد يتقـدم ، وآخر يتأخر . وقد كان من قضاء الله أن يزعجه من دياره حتى تكون منيته على يدك . فقال له رستم عند ذلك : إن سهراب قد مضى . و بقى صاحبه هومان نازلا فى هذه الصحراء ، ومعه جماعة من أمراء الترك وأكابر الصين . فلا يكن فى قلبك عليهم شىء . و زواره

(أ) يعنى يوم غضب كيكاوس على رستم وأمر بصلبه فخرج رستم الى زابلستان مغاضبا ، كما تقدم فى أثنـاء هذا الفصل .

(ب) يعجب القارئ من فعل كاوس هذا . ولكن فى الشاه بقية الكلام ، فكاوس يقول : أنا لا أضمر شرا لرستم . ولكن أخشى أن تزيد سطوته بحياة سهراب . وقد سمعت من رستم ما سمعت . وسمعت عن سهراب ، شرا من ذلك ؛ فقد قال : سأقتل الايرانيين وأصلب كاوس الخ .

(١) ك، كو، طا : المكن . (٢) صل، ك : تنس . (٣) صل : ومن . والتصحيح من ك، طا .
(٤) ك : فرجع . (٥) ك، طا : من ذا الذى .

يسير معهم بإذن الملك حتى يصلوا مأمنهم. فقال له كيكاوس : إنهم وإن خربوا ممالك إيران وكثرت إساءتهم الىّ فقد زال ما فى قلبى عليهم بسبب ما جرى عليك وتألمى لتألمك .

ثم ركب كيكاوس راجعا فى عسكره الى بلاد إيران(١) . وأقام رستم هناك حتى رجع أخوه زواره وأخبره بانصراف عسكر توران . ثم رجع إلى زابلستان . ولما سمع به أبوه دستان تلقاه فى جميع أهل سجستان . وحين وقعت عينه على تابوت سهراب نزل . وكان رستم يمشى بين يديه باكيا ممزق الثياب. فلما رآه الأكابر(٢) بتلك الصفة حلوا مناطقهم ومزقوا أثوابهم . ودخلوا بالتابوت الى ايوان رستم، ووضعوه بين أيديهم . ففتح رستم رأس التابوت، ونحى عن سهراب أكفانه حتى رأى الحاضرون قدّه وقالبه، وشاهدوه كالأسد نائما فى الصندوق . ثم أطبقوا عليه التابوت وأوثقوه، ودفنوه وبنوا عليه تربة من حوافر الخيل (أ) . وقال رستم : إنى أعلم أنى لو حشوت قبره بالمسك ، وبنيت تربته من(٣) الذهب والفضة فالى الفناء مصيره ولا يبقى شىء من ذلك على مر الدهور وكر العصور

§ [سماع أم سهراب بقتله

وتوران دوّت بهذا الخبر :	بمصرع سُهرابها المنتظر
لملك سمنجان جاءوا سراعا	فقدّ عليه الثياب التياعا
وأُخبرت الأم أن البطل	بسيف أبيه أتاه الأجل
فمزقت الدرعَ أظفارُها	فلاحت تلألؤ أبشارُها
تئن وتجأر جهد الحزين	ويتتابها الغَشْى فى كل حين
تلُف أصابعها بالشَّعَر	فتجتز من أصلهن الطرر
وتذرى على الخد دمع الدم	وتكبو وتنهض فى المأتم
تعض على الكف فى يأسها	وتذرو التراب على رأسها
تقول : بنىّ وروحى ! ترى	بأية أرض طواك الثرى؟

(أ) كذا فى بعض نسخ الشاه . وفى بعضها : تربة مثل حافر الفرس .

(١) كو : فارس . (٢) صل : فلما رآه بتلك الصفة . والصحيح من ك، طا . (٣) ك : بالذهب .

(§) حذف المترجم الفصل الأخير من قصة سهراب — الفصل الذى يصف حزن أمه وتولهها حينما جاءها نعيه . وترجمته نظما جاهدا أن تكون الترجمة مرآة الأصل ، والتزمت أن أترجم البيت بالبيت على بعد ما بين اللغتين . ويرى القارئ فيه مثالا من شعر الشاهنامه، معانيه وأوزانه وقوافيه .

منحت الطريق طماح البصر عن ابني ورُستَمَ أبني الخبر
حسبتك جاوزت سهلا وصعبا وطوّفت فى الأرض شرقا وغربا
وجئت أباك وحمّ اللُّقى فأسرعت نحوى تحت الخُطى
وما خلت أن الأب المسعرا يحطم فى صدرك الخنجرا
ألم يرحم القامة المائلة ووجهك والوفرة السائلة؟
وذاك الشطاطَ ـ أما يرحم؟ ـ يمزقه بالظُّبي رستَمُ!
رعيتك حتى كسيت الشوارا وضمك صدرى الدجى والنهار
فكيف اكتسيت دما قانيا وبُدِّلتَه كفنا باليا؟
مَن اليوم يؤنس صدرى؟ ومن يقاسمنى الغم يوم الحزن؟
ومن ذا، مكانك، أدعو مجيبا؟ ومن ذا أبث الجوى والوجيبا؟
فواهًا لجسم ووجه منيرْ وعينين ــ فى الترب بعد القصورْ!
أليتَ الحفاظ! نشدت الأبا فلاقيته الجدث المجدبا
وفاجاك اليأس دون الأمل وأضواك تحت الرغام الأجل
ألا ــ قبل أن يصلت الخنجرا ويمنحه صدرك المسفرا ــ
أريت أباك فذكرته أمارا من الأم أصغرتَه!
عقدت عليك أمار الأب لماذا جحدتَ؟ ولم تُكذِّب
تركت لأمك ذل الأسيرْ وحز الهموم وحر الزفيرْ
فهلا صحبتُك يوم السفر فأصبحتَ فى العالمين السمر!
إذًا راءنى رستم فاذّكر وبلغتَ مما تروم الوطر
وما أشرع الرمح يوم الردى ومزق صدرك طعنَ العدا

⁂

تقول وتخمش جسما جميلا وتلطم بالكف خدا أسيلا
أطالت بكاء ابنها والنحيبا فأجرت من الناس دمعا سكوبا
وخرت على الأرض جمرا خمد كأن بها دمها قد جمد
وعادت ترجّع تحنانها وتذكى على الابن أحزانها

* * *

وجاءت الى تاجه تلتدم ... دم القلب فى دمعها ينسجم
فناحت على تاجه والسُرر ... تقول : أيا غصن ملك كسر!
وجاءت الى طِرفه الطائر ... الى زينة الزمن الناضر
فلزت الى رأسه صدرها ... يرى الناس فى عجب أمرها
تقبل جبهته جهدها ... وتحنو لحافره خدها
وجاءت لحلته فى كمد ... تعانقها كابنها المفتقد
دم الجفن فى الترب كالعندم ... تَقَلّب فوق الثرى والدم
وجاءت الى السيف والمقمعة ... حليفيه فى حومة المعمعة
وجاءت الى درعه والشليل(١) ... الى القوس والسمهرىّ الطويل
وبالترس جاءت ولجم الذهب ... تصك بها رأسها المستلب
ووهق ثمانين بالأذرع ... تغل به جيدها لا تعى
وبالخوذ جاءت وبالجوشن ... تُهيب بليث الوغى المِطعَن
وثارت تجرد مِن سيفه ... تجز السبيبة من طِرفه

* * *

ونال المساكين ذخر الغنى ... نضارا وخيلا وكل القِنى
وغلقت القصر بابا فبابا ... وسوّت ذرى تخته والترابا
تجلل أبوابه بالسوادْ ... وتذرو عليه تراب الحدادْ
وعطلت الدار مغنى السرورْ ... وكان الى الحرب منها المسيرْ
وجللها الحزن زرق الثيابْ ... تضرجها بالعقيق المذابْ

* * *

ومُدت لها سنة فى العمر ... لنوح الليالى وندب النُهر
وأسلمت الروح مما بها ... فطارت تحن لسهرابها

(١) الشليل : غلالة تلبس تحت الدرع .

* * *

كذا قال بَهرام رب اللسن :	بأهــل المقـابر لا تكلفن
فان الحيـاة متاع قليــلْ	فعجل وأعدد ليـوم الرحيلْ
لك النوبة اليوم بعد الأب	توقــع نهايتهـا وارقب
هو السر عيّت به الأحقُب	لختـام مفتاحـــه تطلب؟
هو البـاب لم يفتتحه أحد	فلا تضع العمر فى ذا الكبَد
ولكنّ حكم القضـاء مضى	بذلك رب القضـاء قضى
فلا يَعلق القلب دار الزوال	فان التمتـــع فيهـا محال

* * *

عن القصـــة الآن أصرف عزمى حديث سِياوَخش، من بعد همى]

ذكر ولادة سِياوَخش بن كيكاوُس وابتداء أمره §

قال صاحب الكتاب : حكى أن طوس بن نوذر وجيو بن جوذَرز ركبا يوما فى جمـاعة من الفرسان متصيدين فانتهوا الى غيضة فيها صيد كثير، فاقتحموها بالفهود والجوارح من جوانبها كلها،

---

§ سِـــياوَخش

يسمى سياَوخش وسـياوُش، ويذكر بهما فى الشاهنامه . واسمه فى الأبسـتاق سـياوَشرانه أو سياوَشران . وسياوَش فى الفارسـية ضرب من الطير . وخونِ سياوُش أو سـياوُشان، أى دم سياوش، نبت اسمه بالعربية دم الأخوين[1] .

وقد ذكرته الأبستاق فى عداد الصديقين : " نعبد روح الملك المقدس سـياوَشرانه " . وذكر فى عداد الملوك الكيانيين باسم كَىْ سـياوَشران . وذكر فى مواضـع أخرى ثأر كيخسرو له من أفراسياب[2] . وضرب فى موضع آخر مثلا للجمال والبراءة من العيب[3] . =

(١) أفستا، وفرهنك شعورى، والقاموس المحيط . (٢) أفستاج، ٢ ص ٢٢٢ و ٣٠٣ و ١١٤ و ١١٥

(٣) = ص ٢٢٦

فأصابوا صيدا كثيرا . وقد كان ذلك المكان قريبا من منازل الترك وخركاهاتهم[١] . فعرضت لهما بين أيديهما غيضة أخرى قريبة من حدود توران . فركضا اليها للاصطياد فيها، وجيو يسير قدام طوس، ومعه جماعة من غلمانه . فصادفا فيها جارية حسناء من أجمل البشر . فابتدراها مستبشرين بها . فقال لها جيو : من أنت ؟ وكيف حصلت فى هذه الغيضة ؟ وما الذى جاء بك اليها ؟ فقالت فيما أجابته به : إن أبى جاء البارحة سكران، ولما وقعت عينه علىّ سل خنجره وأراد أن يقتلنى، فخليت بيتى وخرجت هاربة منه . وقصت عليه قصة حالها . وقالت فيما أخبرت به من حديثها أنها من أقارب كرسيوز ونسبى يتصل بالملك أفريذون . فقال لها جيو : وكيف خرجت راجلة بلا مركوب ولا دليل ؟ فقالت كنت راكبة فأُبدِع بى، وبقيت وذهب مركوبى . وكانت معى جواهر نفيسة وذهب كثير، وكنت متوجة بتاج من الذهب . وذكرت أن جميع ذلك أخذ منها فى موضع أشارت اليه، وأنهم ضربوها بسيف[٢] مصفح . قالت : وإن أبى اذا صحا من سكره سينفذ مسرعا فرسانه ورائى؟ وتبادر أمى أيضا فتلحقنى . ولايخلوننى أن أتجاوز هذا المكان . فشغف بها جيو وطوس وملكت قلوبهما وتنازعا فيها . وقال طوس : أنا وجدتها فتكون لى . وقال جيو : دع هذا الكلام

= تصف الشاهنامه بناء سياوخش مدينتى كنككدز، وسياوخش كرد، ولا تبين مكانيهما بيانا كافيا، ولكن يستطاع تبيين هذا بمراجعة كتب أخرى :

يقول البيرونى عن أهل خوارزم : " فكانوا يؤرخون بأول عمارتها . وقد كانت قبل الاسكندر بتسعمائة وثمانين سنة . ثم أخذوا بعد ذلك بتورّد سياوَخش بن كيكاوُس إياها، وتملُّك كيخسرو ونسله بها حين نقل اليها وسير أمره على ملك الترك . وكان ذلك بعد عمارتها باثنتين وتسعين سنة . ثم اقتدوا بالفرس فى التأريخ بالقائم من ذرية كيخسَرو المسمى (؟) بالشاهية بها . حتى ملك آفريغ ، وكان أحدهم، وكان يتطير به كما تشاءمت الفرس بيزدجرد الأثيم . وملك ابنه بعده . وبنى قصره على ظهر الفير فى سنة ستمائة وست عشرة للاسكندر فأرخوا به وبأولاده . وكان هذا الفير قلعة على طرف مدينة خوارزم مبنية من طين ولبن، ثلاثة حصون بعضها فى بعض متوالية فى العلو . وفوق جميعها قصور الملوك كمثل غمدان باليمن ... وكان يرى هذا الفير من مقدار عشرة أميال فأكثر . فحطمه جيحون وهدمه وذهب به قطاعا كل عام حتى لم يبق منه شىء فى سنة ألف وثلاثمائة وخمس للاسكندر"[٣] . =

(١) الخركاه : الخيمة العظيمة . (٢) لفظ "بسيف" ساقط من الأصل . والتصحيح من طا .

(٣) الآثار الباقية ص ٣٥

فإنك تعلم أنى ركضت فى طلب الصيد وكنت أمامك فأنا الذى وجدتها . فطال بينهما الكلام حتى اختصما، وأفضى بهما الخصام الى العزم على قتل الجارية حسما لمادة الشر . فتوسط بينهما بعض الفرسان، وقال : الرأى أن تحمل الجارية الى حضرة الملك كيكاوس ليرى فيها رأيه ، ويخص بها من يرى منكما . فتراضيا بذلك، وأقبلا بها الى خدمة الملك كيكاوس . ولما رأى الجارية ضحك وعض على شفته كالمتعجب . وقال كيف تصاد الأقمار ذوات النهود بالبزاة والفهود ؟ وقال للإصبهبذين : قد كفيتما التعب والمؤونة . وإن مثل هذا الصيد لا يليق إلا بالملك . فأخذ الجارية واستأثر بها[1]، وأمر بها فأدخلت الى دار النساء، وأجلست على تخت، وزينت بالديباج الأصفر ، ووشحت بالياقوت والفيروزج . ودخل عليها الملك فوجدها درة غير مثقوبة ، وياقوتة غير ممسوسة فجرى بينهما ما جرى ولم ينشب أن حملت الجارية .

ولما ولدت بُشِّر[2] بأنها وضعت ولدا كأنه قمر أو صنم حسنا وجمالا . فأظهروا السرور به، وسماه أبوه سِياوَخش . فنظر الملك فى طالعه فرأى أموره مضطربة . فاغتم لذلك والتجأ الى الله (٤٣)

= فاذا قرنا هذا الى ما يقول الفردوسى عن مكان كنك دژ وبنائها وجدنا شبها بين البناءين . ثم كنك تذكر فى الأبستاق باسم كنغا العالى المقدّس — كما تقدّم فى فصل نوذر — ويقول دَرمستتر أن كنغا مدينة بناها سياوخش فى أرض خوارزم[3] . فيؤخذ من هذا أن كنك التى وصفها الفردوسى هى حصن الفير الذى ذكره البيرونى، وأن الفردوسى ومن أخذ عنهم كانوا يتخيلون حصن الفير حين يصفون مدينة كنك . ويؤخذ من رواية البيرونى المتقدّمة أن الحصن بقى يكافح غارات نهر جيحون الى زمن الفردوسى .

وتذكر مدينة كنك أيضا فى الأبستاق مقاما لخورشيد كيهر المحارب من أبناء زرَدُشت ، ولپشوتنو ابن الملك ڤشتاسب صاحب زردُشت . و پشوتنو أحد السبعة الخالدين فى رأى الزَردشتيين[4] .

وسيأتى ذكر المدينة نفسها مقاما لأفراسياب فى الوقائع الآتية بينه و بين كيخُسرَو .

وأما سِياوَخش كرد فيظهر أنها كانت على جيحون قرب بلخ . وسيأتى بيان هذا . ثم ينسب الى سياوخش أيضا بناء مدينة سمرقند بعد أبيه كيكاوس[5] . =

---

(١) صل : استأثرها . والتصحيح من ك، طا . (٢) ك، كو، طا : بشر الملك . (٣) أفستا، ج ٢ ص ٦٧ حاشية . (٤) = ص ٢٠٤ حاشية، ٣٢٩ حاشية . (٥) أوراق أسيوية ص ١٥١

عز وجل، وفوض أموره اليه . ثم مضى على ذلك زمان، وقدم رستم، وقال للملك : إن لك عبيدا كثيرة، ولكن لا يكون أحد منهـم أشفق على سياوخش منى . وسأله أن يكفّله إياه . فسلمه اليه ليربيه[1] . فحمله رستم الى زابلستان، وعلمه الفروسية والرماية وجميع آداب الملوك فى الحرب، والصيد والطـرد ، وقيادة العساكر ، والتكلم على الناس فى المحافل . وتعب فى ترشيحه وتربيته وتأديبـه[2] تعبا كثيرا. لكن أثمر تعبه ذلك أن صار سياوخش[3]، لمـا تجمع فيه من آداب الملوك، وأخلاق السلاطين، كأنه لا نظير له فى العالم .

ولمـا ترعرع الشاب، وطال قده، واشـتدت أعضاده، وصار يصطاد الأسـود بين الغياض والآجام قال لرستم : إنى أريد المصير الى خدمـة الملك كيكاوُس حتى يرانى ويرى ما تحليت به من آدابك ، وتزينت به من أخلاقك . فأعد له رستم ما يليق بمثله من أولاد الملوك، من الخيل والبغال ونفائس الأموال، وأعطاه خاتما وتختا وتاجا ومنطقة ومن[4] غير ذلك من الملابس والمفارش ما يناسب ذلك . وسرّحه على هذه الجملة بعد أن شيعه . وكان أهل كل مملكة يمر بهم ينثرون الذهب والجوهر

= وقصـة سياوخش الى أن ولد ابنـه كيخسرو وترعرع وأقام مع أمه فى مدينة أبيه (سِـياوُش كِـرد) ٢٧٧٠ بيتا يتكلم الشاعر بعـدها عن رجوع كيخسرو الى ايران . والقصـة فى الشاهنامه تتضمن هذه العناوين : —

(١) فاتحة القصة . (٢) حكاية أم سـياوُش . (٣) ولادة سـياوُش . (٤) رجوع سياوُش من زابلستان . (٥) وفاة أم سياوُش . (٦) عشق سـودابه إياه . (٧) مجيئه الى سودابه . (٨) مجيئه الى دار النساء مرة أخرى . (٩) خَدع سودابه كاوس . (١٠) احتيال سودابه والمرأة الساحرة. (١١) سؤال كاوس عن أمر الجنينين. (١٢) امتحان سياوش بالنار. (١٣) شفاعة سـياوش عند أبيه ليعفو عن سـودابه . (١٤) سماع كاوس بمجيء أفراسـياب . (١٥) سـياوش يقود الجيش . (١٦) كتاب سِسياوُش بالفتح الى كاوُس . (١٧) جواب كاوس . (١٨) رؤيا أفراسياب وفزعه . (١٩) سؤال أفراسياب الموبذين عن تأويل الرؤيا. (٢٠) تشاور أفراسـياب والملأ . (٢١) مجىء كرسـيوَز الى سـياوُش . (٢٢) مصالحة سياوُش وأفراسياب . (٢٣) إرسال سياوُش رستم الى كاوُس . (٢٤) أداء رستم الرسالة الى كاوس . (٢٥) إرسال كاوس رستم الى سيستان . (٢٦) إجابة كاوس رسالة سـياوش . (٢٧) مشاورة سياوش بهرام وزنكه . (٢٨) ذهاب زنكه الى أفراسياب . (٢٩) كتاب=

(١) طا، ك: ليربيه ويؤدبه . (٢) ك: وتأديبه وتربيته . (٣) كو: سياوش . (٤) كو صل: وغير ذلك . والتصحيح من ك ، طا .

تحت حوافر خيله ، و يعقدون لمقدمه الآذينات(١) وهى القباب التى تنصب وتعقد فى أفراح الملوك . ولما بلغ الخبر كيكاوس بمقدمه أمر طوسا وجيوا فركبا فى العساكر والفيلة لاستقباله ، فتلقوه ودخلوا به الى دار الملك . واصطفت له فى طريقه من كل جانب ثلثمائة وصيفة بأيديهن المجامر . ونثرت عليه نثارات تكاثر زهر الكواكب ، فى تلك المواكب . وحين دخل على أبيه ورآه جالسا على تخت من العاج ، معتصبا بتاج من الياقوت أهوى الى الأرض ساجدا ، وبقى يناجى الأرض ساعة . ثم رفع رأسه واستدناه فعانقه ، وسايله عن رستم ، وأقعده بجنبه على ذلك التخت . وجعل يبتهل الى الله تعالى و يتضرع اليه ، و يشكره على أياديه فى ولده . ثم أمر الإيرانيين بالتشمير فى خدمته . وأخذوا معه فى اللهو واللعب ، والقصف والطرب أسبوعا كاملا . ثم أمر ففتحت أبواب الخزائن ، وأفيضت عليه الأموال والكنوز والذخائر . وأعطاه كل شىء يليق بالملوك من الخيل والسلاح وغيرهما ما خلا التاج فانه لم يكن مستحقه حينئذ لصغر سنه . وأقام سبع سنين يربيه . ثم أعطاه التاج فى السنة الثامنة ، وكتب له المنشور على بعض الممالك ، على عادة الملوك السالفة .

= أفراسياب الى سياوش . (٣٠) ترك سياوش الجيش لبهرام . (٣١) رؤية سياوش أفراسياب . (٣٢) إظهار سياوش مناقبه عند أفراسياب . (٣٣) ذهاب أفراسياب وسياوش للصيد . (٣٤) تزويج پيران ابنته من سياوش . (٣٥) تكليم پيران سياوش فى أمر فرنكيس . (٣٦) تكليم پيران أفراسياب . (٣٧) بناء سياوش بفرنكيس . (٣٨) تولية أفراسياب سياوش على بعض الأقاليم . (٣٩) بناء سياوش كنك دژ . (٤٠) إخبار سياوش پيران عن المستقبل . (٤١) إرسال أفراسياب پيران الى الولايات . (٤٢) بناء سياوش «سياوش كرد» . (٤٣) مجىء پيران الى سياوش كرد . (٤٤) إرسال أفراسياب كرسيوز الى سياوش . (٤٥) ولادة فرود بن سياوش . (٤٦) سياوش يلعب بالكرة . (٤٧) رجوع كرسيوز الى أفراسياب و إيقاعه بسياوش . (٤٧) مجىء كرسيوز الى سياوش مرة أخرى . (٤٨) رسالة سياوش الى أفراسياب . (٤٩) مجىء أفراسياب لحرب سياوش . (٥٠) رؤيا سياوش . (٥١) وصية سياوش فرنكيس . (٥٢) أسر أفراسياب سياوش . (٥٣) تضرع فرنكيس الى أفراسياب . (٥٤) قتل سياوش بيد كروى . (٥٥) إطلاق أفراسياب فرنكيس . (٥٦) مولد كيخسرو . (٥٧) تسليم پيران كيخسرو الى الرعاة . (٥٨) إحضار پيران كيخسرو الى أفراسياب . (٥٩) رجوع كيخسرو الى سياوش كرد .

---

(١) الذى فى نسخ الشاه التى بيدى أن الناس زينوا البلاد . وكلمة آذينات هنا جمع "آذين" وهى فى الفارسية الزينة .

ذكر عشق سوذابه زوجة كيكاوس لسياوخش المذكور وقصتهما (أ)

قال : ولما رأت سوذابه محاسن سياوخش، وكمال جماله عشقته حتى خرج من يدها زمام اختيارها، وجفت بنومها وقرارها . فأرسلت الى سياوخش تلتمس منه الدخول الى دار أبيه، والحضور لزيارة ذوات قرابته. فقال سياوخش فى جوابها : إنه لاسبيل الى ذلك. واست ممن ينخدع بمكرك واحتيالك. فدخلت سوذابه على كيكاوس، وأطلقت لسانها بالدعاء له والثناء عليه، وقالت : أيها الملك لا تمنع سياوخش عن الدخول الى ما وراء الحجاب، فإن أخواته قد اشتقن الى لقائه، ولا صبر لهن عن الاكتحال بجماله. وإنه اذا دخل الينا[1] حملناه على رءوسنا، ونثرنا تحت قدمه أرواحنا ونفوسنا. فدعا كيكاوس بولده[2] سياوخش، وقال : إن لك وراء الستر أخوات يشتقن اليك، وسوذابه لك مثل أمك . فإن الأجانب اذا سمعوا[3] بذكرك هشوا الى لقائك . فكيف من كان دمه ممتزجا بدمك ورحمه متصلة برحمك ؟ فادخل عليهن وفرحهن بذلك . فلما قال له أبوه هذه المقالة تعجب من كلامه، وأفكر فى نفسه ساعة. ثم قال[4]، بعد أن علم أنه إذا دخل حجرة النساء بلى من سوذابه بكل بلية : إن الملك أهّلنى للتاج والتخت، وعقد لى على إقليم من الأقاليم فينبغى أن يجمع لى الموابذة والأكابر الذين حنكتهم التجارب ونجذتهم النوائب حتى أتعلم منهم مطاردة الأقران فى حالتى[5] الكفاح والطعان، وآخذ عنهم مراسم الملوك حالة الجلوس للناس على تخت السلطنة، وآيين[6] القعود فى مجالس الأنس والخلوة . وإذا كان كذلك فما أصنع فى حجرة النساء ؟ وماذا يعلمننى من محاسن الآداب ؟ فسر الملك لما أشعر[7] به من كلامه من الرأى والعقل، واستحسن ذلك منه، وقال له : ولكن لا يدخلن قلبك من ذلك شىء، وادخل إلى أخواتك وسوذابه التى هى بمنزلة أمك . فقال سياوخش عند ذلك : أبكر غدا إلى خدمة الملك، ثم أمتثل ما يأمر به . وخدم وخرج .

قال : وكان على باب حجرة النساء رجل موصوف بالعقل الكامل، والرأى الثاقب يسمى هِرزبذ[8] وهو يتولى حجبة النساء. وكانت بيده مفاتيح حجراتهن. فدعاه كيكاوس، وقال: إذا اطلعت الشمس غدا فانطلق إلى خدمة سياوخش، وانظر ما يقوله، وأشر على سوذابه أن[9] تنثر عند دخوله النثارات، وكذلك أشر على أخواته وسائر الجوارى بنثر الزبرجد والعقيان، والمسك والزعفران . قال : ولما

(أ) حذف المترجم هنا فصلا قصيرا، يقص فيه الفردوسى عن موت أم سياوخش و رثه عليها .

(١) لك، كو، طا : علينا . (٢) لك : ولده . (٣) صل، طا : سمعن . (٤) لك : وقال .

(٥) كو : حالة . (٦) آيين فى الفارسية : الآداب المتواضع عليها . (٧) كو : لما أشعر به كلامه .

(٨) فى الشاه : هيربد . (٩) لك، طا : بأن .

أصبح سياوخش ركب إلى خدمة الملك ، ودخل عليه وسجد له فأكرمه الملك ، وجعل يسارّه . فلما فرغ من محادثته دعا بهرزبذ، وأشار إلى[1] سياوخش بأن ينهض معه إلى دار النساء . فقام وهو يرتعد خوفا مما يعرفه من كيدهن ومكرهن . ثم تجاوز الستر فتلقته الوصائف ينثرن الذهب والمسك والزبرجد والعنبر تحت قدمه . ورأى أرض المكان مفروشة بالديباج ، وسماءه مزينة باللؤلؤ الشاهى . ورأى وصائف بأيديهن أقداح العقيان، وقيانا مكللات بأكاليل الزبرجد والمرجان . وكأنّ تلك الساحة جنة من الجنان محتوية على الحوريات الملاح ، والوصائف الصباح . ولما توسط الإيوان رأى تختا من الذهب مرصعا بالفيروزج والزبرجد ، وعليه سوذابه معتصبة بالتاج كأنها الشمس الطالعة ، وعلى رأسها وصائف قد اصطففن كأنهن أشجار سرو على حافات حديقة ورد . ولما وقعت عينها على سياوخش نزلت من التخت فاستقبلته ، ثم خدمته وعانقته وأخذت تقبل عينه وتشم خدّه زمانا طويلا . وجعلت تدعو له وتثنى عليه . فعلم سياوخش أن ذلك ليس كحبة الأمهات والأولاد[2]، وأنها على غير طريقة السداد . فانصرف عنها ودخل حجرة أخواته فأكرمنه وأجلسنه على تخت من الذهب . ومكث عندهن ساعة ثم خرج وجاء إلى أبيه . فسايله عما رآه فقال : إن الله عز وجل لم يمنعك شيئا من المحاسن، وجعلك أكثر من الملوك السالفة روعة وجلالا، وأوفرهم كنوزا وأموالا . فسر الملك بما قال . وأمر فزين المجلس، وقعدوا يشربون على أصوات القيان، وأغاريد المسمعات الحسان . ولما ثمل كيكاوس قام ودخل إلى دار النساء، وسايل سوذابه عن سياوخش وما تفرست فيه . فأثنت عليه ، ووصفته بخلاله الحميدة، وسيره المرضية . وذكرت له أنها راغبة فى تزويجه إحدى بناتها (أ) دون بنات أعمامه . فوافق ذلك رأى الملك .

ولما كان من الغد جاء سياوخش إلى خدمة أبيه فسارّه فى شئ . ثم قال له بعد المسارّة : إنى أتمنى على الله عز وجل أن يكون لك ولد تسر به كما أسر أنا بك . وقد فهمت من كلام الموابذة وأصحاب النجوم أنه سيخرج من ظهرك ملك يطبّق الشرق والغرب صيته، ويملأ الحزن والسهل ذكره . فاختر واحدة من بنات عميك كى بشين وكى آرش ، ومخدراتهما وغيرهن من ربات الحجال . فقال : أنا عبدك . ومن أشرت بها علىّ[3] امتثلت أمرك ، ولم أخالف رأيك . ولا ينبغى أن تسمع سوذابه من ذلك بشئ فإنها لا ترضى به . ولست أريد أن يكون لى معها كلام، ولا اليها دخول .

(أ) لايعجبن القارئ من اقتراح سوذابه تزويج سياوخش من إحدى بناتها أى إحدى أخواته . فالأمر مباح بل مستحسن فى شريعة المجوس .

(١) ك، طا : على . (٢) ك، طا : للأولاد . (٣) ك، طا : علىّ منهن .

فتبسم الملك عند ذلك وهو لا يشعر بما انطوى عليه التبن من الماء ، وتضمره سوذابه من الداء . وقال : لا بأس عليك فإن الأمر موكول إلى اختيارك . ولا يكون حديثها معك إلا عن صفاء المحبة وخلوص الشفقة . قال : فخرج سياوخش وهو وجل من مكر سوذابه . وعلم أن إشارة أبيه عليه بالترويج[1] صادرة عن سوذابه مكرا وخبثا .

ثم إنها جلست من الغد على تختها ، واعتصبت بتاجها ، وأمرت المخدرات أن يبرزن من كِلَلهن متزينات فى حليهن وحللهن . وأمرت هِرزَبذ الموكل بحفظهن بالمصير الى سياوخش واستدعائه . فحضر ودخل فقامت له وأجلسته على تخت الذهب ، وقعدت الى جانبه . ثم قالت له : انظر الى هذه الشموس الطالعة والأقمار الزاهرة ، وأعلمنى بمن يقع اختيارك عليها منهن . فتأملهن زمانا ثم انصرفن الى حجرهن ، وكل واحدة[2] ترجوه وتحسبه فى بختها . ثم قالت له سوذابه : مالك لا تعرب عن مقصودك ومرامك ، وتخبرنى بمن وافقك منهن ؟ فلم يجبها[3] سياوخش وسكت متحيرا فى أمره ، وقال فى نفسه : لأن أندب على نفسى وأبكى عليها خير من أن أتزوج من بنت العدو . وغير خاف ما صنع أبوها دربيس(أ) ملك هاماوران بأكابر إيران . وسوذابه من بناته وهى ، لا محالة ، لاتريد بنا الخير ، ولا تضمر لنا إلا الشر . ولما رأت سوذابه سياوخش ساكتا لا يجيبها أماطت عن وجهها نقاب القصب ، وقالت[4] : من كانت الشمس فى حجره فلا عجب ألا يرفع بغيرها طرفا . تشير بذلك الى نفسها . وقالت : إن قبلت منى ما أقول ، وعاهدتنى على ذلك زوّجتك من بناتى بنتا تقوم بخدمتك كما تقوم الأمة . حتى إذا فارق الملك هذه الدنيا تكون أنت القائم علىّ ، والكافل بأمرى ، والذائد للشر عنى . وهاأنا بين يديك ، وكل ما تريد منى فأنت ممكن منه . ثم اطّرحت قناع الخفر ، وأخذت برأس سياوخش وقبلت وجهه . فتورّست وجناته وجلاً بعد أن توزّدت خجلا ، واستعاذ بالله من الشيطان ، وقال فى نفسه : كيف أدنو من السم القاتل ، وأقابل بغير الوفاء إحسان الوالد ؟ وأخاف إن جابهتها بالرد ، وخاشنتها فى القول ، أن تحتال علىّ بسحرها فتفسد قلب الملك علىّ . فالأولى أن ألاينها ، وأجانب مخاشنتها . فقال لها : إنك ، مع ما خصصت به من الجمال الرائع والحسن البارع ، لست تصلحين لغير الملك . وأما أنا فتكفينى ابنتك . وأعاهدك على ألا أعدل

(أ) ليس فى نسخ الشاه التى بيدى تسمية ملك هاماوران . والكتب الأخرى تسميه ذا الأذعار ، أو شمر – كما تقدّم فى فصل هاماوران .

(١) ك ، طا : بالتزوج . (٢) ك ، كو ، طا : واحدة منهن . (٣) ك : يجبها شيئا وسكت .

(٤) ك ، طا : قالت له .

الى غيرها . فصممى على هــذا عزمك ، وخاطبي الملك فيــه . وأما ما ذكرت من ميلك الىّ فانك يا ملكة النساء ! عندى بمنزلة الأم . فينبغى ألا يخرج هذا الكلام من تحت(١) الستر ، ولا يطلع أحد على هذا السر . قال : فلما(٢) دخل عليها كيكاوس بشّرته بوقوع اختيار سياوخش على ابنتها . فسر الملك بذلك ، وأمر ففتح(٣) أبواب الكنوز والذخائر ، وأعدّ لسياوخش من كل جنس منها كثيرا(٤) ، وأضاف الى ذلك الطوق والتاج والخاتم والسوار ، فى جملة ما يصلح للملوك . ففرحت سوذابه بذلك ، وتزينت من الغد ، وجلست على التخت ، ودعت سياوخش . وقالت له : إن الملك قد أعد لك ما لم تسمع به أذن ، ولم تقع عليه عين . ثم باحت بسرها ، وصرحت فى مراودته عن نفسه ، وقالت : إنى لم أزل عاشقة لك منــذ رأيتك . حتى لقد أظلم علىّ النهار ، وفارقنى النوم والقرار . وقــد مضى بى على ذلك سبع سنين . فإن أنت طاوعتنى على ما أريد منك أضعفت لك هذه الكنوز والأموال . وإن أبيت سعيت فى تغيير رأى الملك فيك ، وصرف قلبــه عنك ، وانتزاع الملك من يدك . فقال لها سياوخش : حاشا لله أن أذرّى فى طاعة النفس روحى فى الهواء ، وأجانب سبيل الرجولية والذكاء ، وأقابل صنيع الأب بغــير الوفاء . وأنت زوجة الملك ، وشمس العشيرة ، ولا يليق بك التعرّض لهذه التهمة والريبة . فاغتمت عند ذلك واغتاظت فشقت ثيابها ، وخمشت وجهها ، وصاحت صيحة طن بهــا الايوان ، وسمعها الملك فى مكانه . فنزل عن تختــه ، وأتاها فتلقته وهى تبكى . وقالت : إن سياوخش راودنى ، وقال : لا أريد سواك من النساء . ولمــا أبيت قابلنى بهــذا الجفاء ، فمزّق ثيابى ، وألقى التــاج من(٥) رأسى . فأطرق الملك ، واشتد غضبه ، وقال : إن صح هذا عنه فالواجب أن يقطع رأســه . ثم أمر بإخراج جميــع من كان فى الايوانـــ . وجلس وحده ودعا بسياوخس وسوذابه . ثم أقبــل على سياوخس وقال : إنى سائلك فاصدقنى فى مقــالك ، وأخبرنى بالصحة عن حالك . فقص عليــه القصة كما جرت . فتصدّت سوذابه لمارضته ، وكذبته ، وقالت : إنمــا عرضت عليه ما أشار اليه الملك فى قضية الازدواج ، وذكرتُ له ما أعدّ(٦) له من الكنوز والأموال والذخائر والجواهر ، وقلت له : إنى أضعفها لك من عندى إن تزوّجت بابنتى . فأبى ، وقال : مالى حاجة فى المــال ، ولا فى بنتك ، ولست أريد سواك . ومدّ يده إلىّ ، وتعلق بى حتى مزق ثيابى علىّ . وأنا حاملة من الملك ، وأخاف أن أسقط الحمل لمــا نالنى منه . فافكر(٧) الملك ، وقال فى نفسه : ليس هذا مقام العجلة والمعاجلة بالعقوبة . والواجب التثبت فى هذا(٨) الأمر ، وإلجام النفس بشكيمة العقل

(٤٥)

(١) كو : من خلف . (٢) ك ، كو : ولما . (٣) ك ، كو : بفتح . (٤) ك ، طا : كنزا .
(٥) طا : عن رأسى . (٦) ك : ما أعده . (٧) ك : فأنكر الملك ذلك وقال . (٨) ك ، كو : فى مثل هذا الأمر .

حتى يتبين المصلح من المفسد ، والبرىء من المجرم . فأخذ يشم يد سياوخش وأعضاده وثيابه ، فلم يجدها قد عبقت بأثر الطيب الذى كان على سوذابه وثيابها . فاهتم عند ذلك ، وقال : ينبغى أن تقتل هذه المرأة ، ويمثل بها . ثم ذكر أباها ملك هاماوران ، وتخوف ما ينشأ من الفتن بسبب هلاكها . فأمسك عن قتلها ، لذلك ولأمور أخر : أولها أنه ذكر أيام اعتقاله فى قلعة هاماوران ، وما ثبت لهذه المرأة فيها عليه من حقوق الخدمة . والثانى أن حبها كان آخذا بمجامع عقله[1] ، ومتمكنا من سويداء قلبه . والثالث أنه كان له منها أولاد صغار ، واستصعب تربيتهم بعدها[2] . وعلم براءة ساحة سياوخش ، وطهارة ذيله ، فقال له : لا بأس عليك . وأسبل[3] الستر على هذا الأمر حتى لا ينتشر بين الخلق .

ولما علمت سوذابه أن كلامها لم يقع من الملك موضع[4] القبول التجأت الى إعمال الحيلة . فدعت امرأة ساحرة كانت فى دارها ، وهى حاملة . وقالت لها : إنى أفضى اليك بسر فاحلفى لى على أنك لاتبوحين به لأحد . فاقترحت عليها حينئذ أن تسقط ما فى بطنها لتجعله ذريعة الى إثبات صدقها عند الملك ، واستبقاء لماء وجهها لديه . فوافقتها المرأة على ذلك . فشربت تلك الليلة دواء فأسقطت به سقطين على أقبح ما يكون من الصور ، حتى كأنهما من أولاد الجن . فدعت بطشت من الذهب ، وطرحتهما فيه ، وأمرت الساحرة[5] بالاختفاء ، واضطجعت فى فراشها ، ورفعت صياحها بالرنين والأنين حتى اجتمع عليها جميع من كان هناك من الحرائر والإماء . وسمع الملك صياحها فى مكانه فاستيقظ فزعا ، وسأل عن الحال فأخبر بحال سوذابه . ولما أصبح جاء اليها وشاهدها على حالتها تلك ، ورأى السقطين فى طشت الذهب . فبكت وقالت : الآن قد برح الخفاء ، وكشف الأمر . وقد أخبرتك بما أصابنى من يد ابنك فلم تصدقنى ، وملت الى قوله . فاغتم الملك عند ذلك ، وشك فى الأمر ، وأفكر فى نفسه ، وقال : كيف السبيل الى الكشف عن جلية الحال ؟ ولا يمكن التغافل فى هذه القضية . ثم جلس على التخت ، وأحضر المنجمين ، والوزراء ، وأصحاب الرأى والمشورة . وشرع يحدثهم عن ملك هاماوران ، وعن حال ابنته سوذابه . وأتبع ذلك بحديث السقطين ، وأمر بإحضار الطشت حتى شاهدوهما[6] . وأمرهم بالبحث والكشف عن حالها . فامتثلوا ذلك ونظروا فى زيجاتهم واصطرلاباتهم . ولما كان بعد أسبوع أتوا الملك ، وقالوا : إنهما لم يخرجا عن ظهر الملك ، ولا نزلا من رحم سوذابه . ثم ذكروا علامة الساحرة

---

(١) صل : قلبه . والتصحيح من كو .   (٢) صل : تربيتها . والتصحيح من لك .   (٣) كو : فأسبل .
(٤) كو : موقع .   (٥) لك ، كو ، طا : السحارة .   (٦) لك : حتى يشاهدوهما .

التى أسقطتهما ، وقاموا . فسكت الملك على ذلك . ولما كان بعد أسبوع استغاثت سوذابه عند الملك، وطلبت بدم السقطين . وأمر الملك الحرس[١] بتطلب الساحرة، وتتبعها فى البلد . فنقبوا حتى عثروا عليها ، وجاءوا بها الى الملك . فسايلها عن الحال جامعا بين الإعذار والإنذار . فلم يكن عندها سوى الإصرار على الإنكار . فأمر بأن تخرج الى ظاهر البلد، ويشدّد عليها فان استمرّت على ما كانت عليه من الإنكار نشرت نصفين بالمنشار . فلما أخرجوها وهدّدوها عرّضت ببعض ما جرى خوفا من القتل . فأخبر الملك بذلك فسكت عليه ، وأحضر سوذابه ، وذكر لها كلام المنجمين فى أمر السقطين، وأنهما من تلك المرأة الساحرة . فقالت : إن المنجمين يفزعون من سِياوخش ورُستَم، فلا يتجاسرون أن يقولوا سوى ذلك . وهل يقول المنجم الا ما يوافق هوى رستم؟ وأخذت تبكى وتقول: إن رضيت بهذا وسكت عليه فإنى مفوّضة أمرى الى الله عز وجل، ومؤخرة المطالبة بدمهما الى يوم القيامة . فاغتم الملك حتى بكى . ثم قال: لابد من البحث عن هذا الأمر . فأحضر العلماء والموابذة وفاوضهم فى القضية. فقال أحدهم : إن أردت أن ينكشف الغطاء عن وجه هذا الخطب الفادح[٢] فالطريق أن يخوض أحد الخصمين النار حتى يخرج منها § فان كان بريئا فليس يصيبه مكروهها . فدعا بسوذابه، وقال لها : إن النار تفصل بينك و بين سِياوَخش. فقالت : إنى، صادقة . وسقوط الجنينين يدل على ذلك . فعلى سياوخش الدلالة على براءة ساحته . فرضى سياوخش بذلك .

---

§ فى الأبستاق (الكاثا) : — « أيها الروح الطيب أهُرامزدا ! أنت تقضى بالنار بين الخصوم أيهم أتقى وأطهر . وكثير ممن يرونها يؤمنون بقانونك[٣] » .

وفى أيام شابور الثانى قدّم آذَرباد نفسه للمحنة ليفحم مجادليه، فصب النحاس المذاب على صدره ولم يمسه ضر[٤] .

واعتبر هذا بما يرويه ابن هشام وغيره عن النار التى كان يحتكم اليها أهل اليمن، والتى احتكم اليها الحبران اليهوديان حينما قدما مع تبع أسعد أبى كرب ودعَوا الناس الى اليهودية . فلما حاكمهما القوم الى النار دخلها الحبران فلم تحرقهما[٥] .

ولا يزال الأعراب فى مصر وغيرها يحتكمون الى نار يسمونها البشعة .

---

(١) ك ، طا : الحراس . (٢) ك ، طا : الفادح (لا) . (٣) أفستا ، مقدمة XLVII .

(٤) = XLVI . (٥) ابن هشام، ج ١ ص ٢٥ .

وأمر الملك وزيره فأمر السار بان فانفذ من الإبل مائة عير[1] فحملت حطبا كثيرا فكوموه فى الصحراء على هيئة جبلين عظيمين . فأمر الملك الموبذ فأفرغ القطر المذاب (ا) على تلك الأحطاب . وجاءوا بمائتى وقاد، فطرحوا النار فيهــا حتى التهبت ، وخيلت أن الأرض مملوءة بالنــار ، والجو مشحون بالأنوار . فماج الناس واجتمعوا عليها متوجعين على سياوخش يبكون على شــبابه الناضر ، وجمــاله الباهر . فجاء ســياوخش راكبا على فرس أدهم ، وعلى رأسه بيضــة من الذهب، وقد لبس ثياب البياض منثورا عليها الكافور، كما يعمل بالحنوط فى الكفن. ولمــا قرب من أبيه ترجل وقبل الأرض، فنظر الى وجهه وقــد غمره الحياء فقال له : لا بأس عليك فإنى إن كنت بريئا فسوف ترانى وقــد خرجت سالمــا . وإن كنت مذنبا فلن يحفظنى الله . وسوف أعبر بقوة الله[2] تعالى على هــذه النار . فاضطرب النــاس حينئذ وضجوا بالبكاء والنحيب . وصعدت سوذابه الى[3] إيوانها تنظر متى يحترق سياوخش . فركض سياوخش فرسه، وخاض تلك النار المســعرة[4] ، وداسها بحوافر فرسه[5] حتى قطعها وخرج منها سالمــا لم يصبه شئ . فصاح الناس عند ذلك، واستبشروا . فعظم ذلك على سوذابه حتى جعلت تنتف شعرها وتخمش خدها . وأقبل سياوخش الى أبيه . فلمــا دنا منه نزل اليــه وعانقه ، واعتــذر اليه ، وأخذ يثنى عليــه ويصــفه بنقاء الجيب وطهارة الذيل . واجتمعا فى مجلس الأنس على الشرب والطرب الى تمام ثلاثة أيام . ثم جلس على تخته، ودعا بسوذابه، وخاطبها بالوعيد وأنواع التهديد . ثم أمر بالآخرة بصلبها . فبادروا الى إخراجها من سترها على جملة الخزى والهوان. فضجت الإماء من وراء الستور يبكين عليها . فرق الملك عند ذلك لهــا واصفر لونه ، لكنه أخفى ذلك ولم ينطق به . فعلم سياوخش أنه سيلحقه الندم على ذلك من فعله، وتفرس ميله الى العفو عنها والإغضاء عن خطيئتها . فوثب قائما وتشفع اليــه ، واستوهبها منه . فقبل شفاعتــه فيها ، وعفا عنها وردها[6] الى حجابها . قال : ثم بعــد زمان مضى على ذلك تزايد شعف كيكاوس بها حتى صار لا يصــبر ساعة[7] عن لقائها . وعاودت المكر والحيلة فى إفساد قلب الملك على ولده جريا منها على مقتضى فساد طينتها ودخل نحلتها . وسيأتى ما أفضى اليه حالها من بعد إن شاء الله تعالى .

(ا) فى الشاه : النفط الأسود . وهو أقرب الى المقصود .

(١) كو : بعير . (٢) ك ، طا : الله عز وجل . (٣) ك : على سطح إيوانها .

(٤) ك، طا : المستعرة . (٥) صل ، ك : خيله . (٦) ك ، كو ، طا : وأمر بردها .

(٧) ك : ساعة (لا) .

ذكر الخبر عن قصد أفراسياب لإيران ، وانتداب سِياوَخش لقتاله

قال : ثم بلغ كيكاوس أن أفراسياب جمع واحتشد ، وتجهز واستعد مصمما على قصد ممالك إيران . فأخذه من ذلك المقيم المقعد . فجمع من كان بحضرته من الأمراء والقواد ، وشاورهم فى الأمر . وذكر أفراسياب ، وقال : كأن الله تعالى لم يخلقه من العناصر الأربعة بل خمر طينته من جنس وراء طينة الإنسان . وكم حلف لنا بالأيمان المغلظة والمواثيق(١) المبرمة ثم نكث عن كثب تلك الايمان والعهود ! فلا بد لى فى هذه النوبة من مناهضته بنفسى لحسم شره وكف عاديته . وإن لم أبادره بذلك هجم علينا كالسهم الصارد فخرب هذه الديار ، ونهب هذه البلاد . فقال له الموابذة : إنك أيها الملك قد أسلمت ملكك للهلكة مرتين بما تتعاطاه من الحدة والعجلة . والأصوب ألا تفارق مكانك ، ولا تباشر الحرب بنفسك ، وتجرد لذلك من ترتضيه من أصحابك ممن يقوم مقامك ، ويسد مكانك . فقال عند ذلك : ما أرى فى هذه الحضرة من يقاوم أفراسياب ، ويقدر على مدافعته وممانعته . فسمع ذلك سِياوَخش فرأى أن يكون هو المتولى لذلك ، وأن يسال الملك تقليده أمره فعساه أن يتخلص بسببه عما يقاسيه من حيل سوذابه ومكايدتها(٢) ويحصل له مع ذلك صيت عظيم ، وذكر رفيع ، بما يسهل الله على يده من كفاية شر أفراسياب ، ودفع معرته .

فلما أصبح جاء الى خدمة أبيه ، وسأله أن يوليه ذلك ، وهو لا يشعر بما جرى به قلم التقدير فى اللوح المحفوظ ، وما قضى عليه من الهُلك فى ديار الترك . فوافق ذلك رأى الملك فأجابه اليه ، ومكنه من الأموال(٣) والذخائر ، وأطلق يده فى الكنوز والدفائن . ودعا رستم ، وضمه اليه ، وأمره بالنهوض معه . فامتثل وأعد واستعد . فضربت الكوسات والطبول ، وخرج سياوخش فى جيوش تكاثر الرمال ، وفيول تطاول الجبال . ونزل على ظاهر البلد فخرج معه كيكاوس وشيعه مرحلتين ، ثم عانقه وودعه . وكان الله عز وجل قد جعل ذلك آخر عهده بولده . وكم من سفرة أسفرت عن حسرة ، ومسير أفضى الى أمر عسير . ثم(٤) عاد كيكاوس الى مستقره ، وسار سياوخش ، ومعه رستم ، حتى وصل الى زابلستان ، وأقام شهرا فى ضيافة دستان . ثم قاد جحافله ، وساق عساكره ، بعد أن انضم اليه جمع كثير من عساكر الهند وزابُل ، حتى وصل الى هراة . فاستجاش منها رجالة كثيرة ، وضمهم الى زنكه بن شاوران ، وهو أحد الإصبَهبَذين من أصحابه . فسار الى طالقان(٥) ومرو الروذ ، ورحل منها الى بلخ ، وقد قاربها من جهة أفراسياب أخوه كرسيوز وسپهرم و بارمان فى جمع كثير كانوا

(١) كو : وعاهدنا بالمواثيق . (٢) طا ، لك ، كو : ومكايدها . (٣) لك : من الذخائر والأموال .
(٤) لك ، طا : قال ثم . (٥) لك : الطالقان .

مقدّمة عساكر[١] الترك . فبلغهم الخبر بوصول عساكر إيران فأثاروا هجينا الى أفراسياب، وأعلموه بمجيء عسكر عظيم من إيران مقدّمهم سياوخش، وبهلوانهم (أ) رستم، واستعجلوه فى اللحاق بهم . فلم يصبر سياوخش، وسار كالريح العاصف، والليث القاصف، واضطرهم الى القتال ، فالتقوا على باب مدينة بلخ، وتناوشوا الحرب يومين متوالين . ولما كان اليوم الثالث أهبّ الله تعالى لسياوخش ريح الظفر والنصر، فانهزمت الأتراك وولوا مدبرين، وآبتدروا الى عبور جيحون فارّين . فدخل سياوخش الى بلخ وكتب الى أبيه بما قيض الله له من الفتح، وشرح له فى كتابه جميع ماجرى، وأخبره أن كرسيوز وأصحابه انهزموا وعبروا الماء، وساروا نحو ترمذ، وأن أفراسياب نازل فى السغد . وآستأذنه فى عبور جيحون لقتاله .

فلما وصل الكتاب الى كيكاوس كاد يطير فرحا وسرورا، وسجد لله تعالى وشكره على مايسره له من النصر العزيز والفتح القريب . وأجابه عن كتابه وقال له فى جملة ما كتب : إذ ظفرت وملكت عنان النصر فعليك بالتثبت والتؤدة . وإياك أن[١] تعجل فيتمكن التبدّد والانتشار من شملك ، ويظهر الفشل فى خيلك ورجْلك. وكن على حذر من أفراسياب فإن الرجل صاحب مكر وحيلة و بأس ونجدة. وأوصاه بالحزم والتيقظ فى كتابه . ثم ختمه ونفذه اليه .

فلما وصل الكتاب الى سياوخش تلقاه بالتبجيل والإعظام ، وقبل الأرض لمورده . ولما قرأه ابتهج وآستبشر، وأقام حيث كان من بلخ امتثالا لأمر أبيه . قال : فجاء كرسيوز الى أفراسياب وأخبره بالوقعة وما جرى فيها ، وأنهم أحجموا عن سياوخش لكثرة عدده وعدده . فلما أخبره بذلك استشاط ونظر اليه نظرة كادت تزهق روحه، وصاح عليه ، وأمر بإخراجه من عنده . ودعا بأكابر حضرته وأعيان أصحابه، وجلس فى مجلس الأنس ، واندفع معهم فى الشرب الى أن غربت الشمس، واستولى عليهم السكر . فنام أفراسياب وتفرّق من كان عنده .

ذكر الرؤيا التى رآها أفراسياب فى ليلته هذه

قال : ولما خالط[٢] الكرى أجفان أفراسياب، وخاض غمرة النوم، وتصرم قطع من الليل ارتعد على فراشه ارتعاد من أخذته حمى نافضة . فصاح وهو نائم صيحة عظيمة . فوثب من كان حوله[٤] من الإماء والوصائف . وبلغ الخبر أخاه كرسيوز فجاء عجلا ، ورآه على الأرض متمرغا فى التراب،

(أ) البهلوان : البطل وقائد الجيش .

(١) ك، كو، طا : عسكر . (٢) ك، كو، طا : وأن . (٣) ك : خاط . (٤) ك : حواليه .

فاعتنقه وضمه الى صدره، وسايله عما أصابه . فقال لاتسألنى عن شىء، واصبر علىّ ساعة حتى ترجع نفسى الىّ . فلما سرى عنه بعد ساعة عاد الى تخته وجلس عليه ، ووضعت الشموع بين يديه ، وهو يرتعد، كما كان، كأنه قصبة فى مهب ريح عاصف . فعاود أخوه سؤاله عما نزل به فقال : رأيت فى المنام برّية مغبرة مملوءة بالأفاعى والحيات، مشحونة الجوّ بالعقبان. ثم رأيت الأرض يابسة مقشعرة حتى كأن السماء لم ترشها قط بقطرة ماء . ورأيت سرادق مضروبا فى ناحيـة من تلك الأرض وقد أحدقت به جنود كثيرة . فبينا أنا كذلك إذ ثارت ريح نكباء زعزع فنكست رايتى، ورمت سرادق . ثم رأيت فى كل جانب من تلك الأرض أنهارا تتدفق بالدماء . ورأيت ألفا أو أكثر من أصحابى قد ضربت رقابهم . ورأيت عسكرا عظيما فى أسلحتهم خرجوا من نواحى إيران ومع كل واحد منهم رأس ، وعلى رأس رمحه رأس آخر . فركض الىّ منهـم نحو مائة ألف مدججين، فأثارونى من تختى ومكانى، وأزعجونى من مستقرى ، وكتفوا يدى . فجعلت ألتفت يمينا وشمالا فلا[1] أرى أحدا أعرفه من أصحابى . ثم حملونى الى كيكاوُس فرأيته جالسا على تخت رفيع وكأن سنه غير زائد عن أسبوعين (ا) ثم لما رآنى مقيدا بين يديه زأر زئيرا عظيما كالسحاب المرعد . ثم ضربنى ووسطنى بنصفين . فصحت من الوجع والألم فانتبهت مذعورا كما رأيتنى . فقال له كرسيوز : إن هذا المنام لايدل لك إلا على الفرح والسرور، وحصول المطالب والمقاصد، وانتكاس راية عدوّك، وتزلزل قواعد ملكه . فلا يهتمن الملك بسببه . ثم جمع أفراسياب الموابذة والمعبرين والعلماء والمنجمين، وقال : إنى أفضى اليكم بسر من أسرارى . فليكن مطويا فى تضاعيف كتمانكم، بعيدا قصيا عن مدارج أنفاسكم، وإن أفشاه أحد منكم فرقت بين أرواحكم وأجسادكم . ثم لاطفهم وآنسهم ، وأجزل عطاءهم، وأخبرهم بما رآه فى المنام . فقال له موبذ منهم، وكان أفصحهم لسانا وأحسنهم بيانا : أيها الملك إنها رؤيا هائلة ، ولا أتجاسر أن أعبرها لك حتى تعطينى الأمان . فأمنه ، فقال : إن حارب الملك سياوخش اغبرت الآفاق ، واختبط العالم، ولم يسلم أحد من الترك وإن كان الظفر للملك[2] وإن قتل سياوخش . فإنه يتألب عند ذلك الإيرانيون للانتقام وطلب الثار، فلا ينجو منهم الملك ولو صار طيرا فى جوّ السماء أو حوتا فى قعر الماء (ب) . فاهتم عند ذلك أفراسياب ، وعلاه الوجوم ، واعتورته الهموم . فدعا

(ا) فى الشاه : أن كاوس كان جالسا على التخت، وبجانبه صبى وجهه كالقمر لاتتجاوز سنيه سبعتين . أى لا يتجاوز عمره أربع عشرة سنة . (ب) فى الغرر : أن المعبرين قالوا : « إنه يدل على هلاك الترك، إما على يد سياوُش وإما من أجله » انظر ص ١٩١

(١) ك ، كو ، طا : ولا أرى . (٢) كو : فللك وقتل سياوخش .

بأخيه كرسيوز وأخبره بالحال . ثم قال : الأصوب أن أقرع باب الصلح مع سياوخش ، وألاطفه بالحمول والأموال، وأفرج له عن بعض البلاد . فلعل الله يصرف عنى شر ما رأيت .

ولما أصبح من الغد حضرت الأكابر والأمراء ، على رسمهم فى الخدمة . فجلس فى مجلسه وجمعهم بين يديه ثم قال لهم : كأن الله عز وجل لم يجعل حظى من الملك غير الحروب وعنائها . وكم من ملك رفيع الذكر عظيم القدر قد قتلتُ ! وكم من بلد مريع وقصر منيع خربت ! ومهما كان الملك ظالما كان محروما من الخيرات مدفوعا عن الحسنات . ومتى كان ظالما انقطع التناسل بين الوحوش والطيور، وقلت الألبان فى الأخلاف والضروع ، ونشّت المياه فى المنابع والعيون، ولم تسمح نوافج المسك بالأرج ، ولا مثمرات الأشجار بالثمر . وقد مللت الحروب ، وكرهت الشرور . والرأى أن نراجع ألبابنا وعقولنا ، ونديل الراحة من عنائنا وهمومنا . وقد ملكنى الله تعالى من الأرض صفوتها، وأعطانى منها سهمين، وجعل الملوك تحت أمرى وفى طاعتى، حتى يؤدّون إلىّ فى كل سنة أموالا وافرة ، وإتاوات ثقيلة . ثم قال[1] : وإن وافقتمونى على هذا الرأى أرسلت الى رستم ليتوسط بينى وبين سياوخش ، ويرأب[2] صدع الخلاف بالمعاهدة، ويلم[3] شعث الحال بالموادعة . فاستصوبوا رأيه وكلامه وتراضوا بذلك. فأشار[4] على أخيه كرسيوز بالإعداد والاستعداد للسير، فأرسله[5] فى مائتى فارس الى سياوخش وأصحبه من الهدايا والتحف خيولا كثيرة، وسيوفا هُندُوانية ، وتاجا مرصعا باللآلئ الشاهية ، ومائة حمل من المفارش الصينية، ومائتين من الغلمان والوصائف . وأمره أن يقول لسياوخش : إنا لم نتوجه نحو هذه الديار لمحاربة ولا منازعة ، وإنما صرنا الى السغد وهى من ممالكنا القديمة. وقد أنفذت الآن كرسيوز اليك حتى يحسم مادة الخلاف، ويستأصل شأفة الفتن، ويعلمك أنا قد رضينا بقسمة الممالك على ما قسمه الملك أفريدون بين أولاده الكبار . فعسى أن يستريح العالم من الهرج والمرج ، ونستريح نحن من الكد والجهد . وتكاتب بذلك الملك كيكاوس ، وتعرضه على رأيه . فلعله تلين عريكته وتسمح بهذا الصلح قَرونته رعاية لمصلحة الخلائق ، وطلبا لسكون نابض الفتنة فى المغارب والمشارق. قال : وأصحبه جملة من الهدايا والتحف من الأجناس المذكورة برسم رستم. ثم سرحه. ولما وصل الى شاطئ جيحون أنفذ من اختاره من أصحابه الى الملك سياوخش فقطع الماء ووصل فى يوم واحد الى بلخ ، فحضر باب الملك ، وأنهى[6] بوصول كرسيوز رسولا .

---

(١) ك، طا : قال لهم . (٢و٣) ك : نرأب ونلم . (٤) صل : أشاروا . والتصحيح من ك، طا ، كو .

(٥) ك : وأرسله . (٦) ك، كو، طا : وأنهى اليه .

ذكر مقدم كرسيوز على سياوخش

قال : ولما انتهى كرسيوز الى باب سياوخش رفعت الحجب دونه فدخل وقبل الأرض . فقام له سياوخش وأكرمه ، وأقعده عند تخته ، وسايله عن أفراسياب . ثم قدم تلك الحمول والتحف فوقعت منه موقع القبول . ثم أصغى اليه حتى أدّى الرسالة، فقال له(ا) تستريح أسبوعا ثم نجيب عن رسالتك . فإنه لا بد من إعمال الفكر فى هذا الأمر ، ومشاورة أصحاب الرأى والعقل . ثم أمر بإنزاله فى دار مزخرفة، وأدر عليه الأنزال ، ورتب له الخوانسلارية (ب) والخدم . ثم خلا رستم بسياوخش وأخذا يتفكران فى السبب الذى أوجب صدور تلك الرسالة عن أفراسياب . فساء ظن (٤٨) رستم واستنكر مجىء كرسيوز بنفسه (١) رسولا . فبث طلائع العسكر فى نواحى المملكة جريا على مقتضى الحزم، وأخذا بالحيطة فى الأمر . ثم قال سياوخش لرستم : لابد من امتحان أفراسياب فإنى أخاف أنه يضرب الطبل تحت الكساء(ج)، ويسر الحسو تحت (٢) الارتغاء فليلتمس منه أن ينفذ الينا مائة نفس من ذوى قرابته (٣)، ونجعلهم عندنا رهينة . فان أجابنا الى ذلك نفذنا حينئذ أمينا ناصحا (٤) الى حضرة الملك كيكاوس ليجتهد فى انتزاع السخيمة من قلبه ، واقتلاع مادة الخلاف من رأسه . فعسى أن يقع الاتفاق على الصلح ، ويستحكم عقده . فاستصوب رستم رأيه وقال : لا ينبغى أن تكون مسالمته إلا على هذا الشرط . وحضر كرسيوز من الغد حضرة سياوخش ، فأكرمه ولاطفه ، ثم قال له : إنى تفكرت البارحة فى أمرك ، فاستقرت آراؤنا أن نختار (٥) السلم والموادعة ، ونطهر قلوبنا من التحاقد والمباغضة . فإن رأيت نفذتَ الى أفراسياب وقلت له : إن كنت لا تخفى تحت الشهد سما ذُعافا ولا تضمر تحت (٦) موادعتك مكرا وخلافا فنفذ الينا مائة نفس ممن يعرفهم رستم ممن تأشب بهم غابك ، وتداخلت أنسابهم وأنسابك . ليكونوا رهائن عندنا ولنستدل بذلك على صدقك فيما دعوتنا اليه . وأفرج لنا أيضا عن بلاد هى بيدك الآن من ممالك إيران ، فسلمها الينا وانتزح منها الى ممالك توران . فبهذا يلتئم الأمر ، وينشعب الصدع ، وأنفذُ عند ذلك الى الملك كيكاوس عسى أن يصرف العساكر عن لقائكم ، ويسترجعها عن قتالكم . فنفذ كرسيوز فى الحال شخصا الى أفراسياب ، وأمره أن يعلمه بوصوله الى حضرة سياوخش وأدائه الرسالة ، وإجابته الى ما التمس على الشرط المذكور .

(ا) فى الشاه أن القائل رستم . (ب) خوانسلار مركب من « خوان » أى المائدة ، و « سالار » أى القيم والمتولى . ويلفظ : خانسلار . (ج) هذا مثل فارسى معناه إظهار الانسان غير ما يُسر .

(١) صل : رستم . والتصحيح من طا . (٢) طا : فى الارتغاء . (٣) ك : ذوى رأيه .

(٤) ك : الى حضرة الملك كيكاوس أمينا ناصحا . (٥) طا : على أن نختار . (٦) ك، كو، طا : مع موادعتك .

فلما أنهى ذلك الى أفراسياب عظم عليه، وقال فى نفسه: إن نفذت مائة نفس ممن ذكرهم رستم وهت مُنّتى وضعفت قوتى. وإن لم أنفذ تصوّرت عند سياوخش بصورة الكاذب، ولم يصدّقنى فيما دعوته اليه. ثم قال: الأولى أن أجيبهم الى ماطلبوا، وأسعفهم بما اقترحوا، لعل ذلك يصرف عنى شر ما رأيت. واتباع العقل أولى من اقتفاء الجهل. فعدّ مائة من قرابته[1] على الوصف الذى وصف رستم، ونفذهم الى بلخ، وارتحل عن السُغد، وأخلاها لسياوخش مع بخارى وسمرقند والشاش واسفيجاب وما ينضاف اليها، وسار حتى نزل على ما يسمى كنك(أ). ولما بلغ الخبر رستم بإخلائه البلاد قال لسياوخش: رجوع كرسيوز الآن أصوب وأولى. فخلع عليه خلعة تليق به وسرّحه. فعاد الى أخيه أفراسياب.

ثم جلس سياوخش معتصبا بالتاج، وشاور بعض أصحاب الرأى فى[2] دهاة حضرته. وقال: أريد من يذهب الى الملك كيكاوس ويكلمه فى مصالحة أفراسياب. فقال رستم: من ذا الذى يتجاسر على أن يتكلم فى هذا المعنى بين يدى كيكاوس؟ فإنه بعدُ على حاله التى كان عليها من الحدة والطيش والنزق والبطش. غير أنى لو صرت اليه وخاطبته فى ذلك لرجوت استنزاله من[3] غلوائه. فسر بذلك سياوخش، وجلس معه يفاوضه ويشاوره.[4] ثم دعا بكاتبه وأمره فكتب الى كيكاوس كتابا يقول فيه بعد الثناء على الله تعالى، والدعاء لكيكاس: إنى وصلت الى بلخ مسرورا، ودخلتها مظفرا منصورا. ولما علم أفراسياب بمكانى تكدر فى إنائه صفو الزلال، وأحس بالداء العضال، فأرسل أخاه يلتمس من الملك الأمان، وتزحزح عما كان استولى عليه من البلاد المضافة الى ممالك إيران مجتزيا بما كان لهم فى سالف الزمان من نواحى توران، على أن لا يقرب بعد هذا من حدود إيران، ولا يدوس ترابها. وقد نفذ إلىّ مائة نفس نص عليهم رستم من أقربائه رهائن. فإن رأى الملك أن يجيبه الى ما سأل فعل. فركب رستم وسار الى حضرة الملك كيكاوس.

وأما كرسيوز فإنه لما وصل الى أخيه أفراسياب ذكر ما جرى عند سياوخش، ووصف له ما اختص به من روعة الشكل، وبهاء المنظر، وأبهة السلطنة. فتبسم أفراسياب[5] وقال: الاحتيال خير من الاغتيال. إنى لما فزعت من ذلك المنام ونظرت فى عاقبة الأمر التجأت الى بذل الرغائب، وسمحت بإخراج الذخائر حتى أدركت ما طلبت، وبلغت ما قصدت، وصار الأمر كما أردت.

(أ) فى الفرر: «بهشت كنك». أى جنة كنك.

(١) ك: قرابته. (٢) طا: من دهاة. (٣) ك: عن. (٤) كو: ذكر كتاب سياوخش الى كيكاوس على يد رستم فى معنى الصلح قال: (٥) صل، ك: اسفنديار. وهو غلط.

وأما رستم فإنه لما وصل الى حضرة كيكاوس ودخل عليه عانقه، وسايله عن حال ولده، وعن السبب الذى أوجب قدومه عليه . فافتتح رستم بالحديث عن سياوخش، ثم دفع اليه كتابه . ولما وقف عليه اصفر لونه وقال لرستم : أحسب أن سياوخش شاب غر لم تصبه المكاره، ولم تعضه النوائب . ألست أنت الجُذَيل المحكك والعُذَيق المُرجَّب[1]، ومن يتعلم الملوك منه الآداب؟ أنسيت ما عمل معنا أفراسياب، وما تقدّم له من الاساءات حتى لقد سلبنا القرار، وابتزنا الراحة والأمن؟ ولكن الغلط كان منى حيث لم أنهض لقتاله ، وقبلت قول من ردّنى عن لقائه . وإنه لما أشرفتم على الظفر به خدعكم بالهدايا والتحف حتى صدّكم عن قصده . ومن أين يبالى هو بمائه نفس يسلمهم اليكم من أراذل الأتراك الذين لا يعرفون أسماء آبائهم، ولا يُعرف مصارف انتمائهم؟ وسواء عنده هؤلاء الرهائن وهذا الماء الجارى فى النهر . فان أنتم لم تهتدوا بعقولكم إلى سبيل صلاحكم فها أنا لا أمل الحرب، ولا أسامه . وسأبعث[2] وآمره بأن يوقد نارا عظيمة، ويحرق بها جميع تلك الهدايا، ويقيد الرهائن وينفذهم إلىّ حتى أقتلهم . وآمره أن ينهض غير متلبث ويهجم على أفراسياب فى مخيمه، ويضع فيهم السيف، ويوسعهم القتل والأسر . فطفق رستم يذكره ما سبق من أمره لسياوخش بدخول بلخ وثباته بها ، وألا يبادى العدو بالحرب، وينظر ما يحدث ويكون . وقال : إن أفراسياب ابتدأه بطلب الصلح فلم يستجز سياوخش مقابلته بالحرب . وليس يحسن فى الأحدوثة أيها الملك أن ينتشر عن سياوخش أنه أخفر الذمة ، وغدر بالرهائن . فاستشاط كيكاوس من رستم عند ذلك، وقال : إنه ليخطر ببالى أنك أشرت على سياوخش بهذا الرأى إيثارا منك للدعة، وركونا الى الرفاهية غير متفكر فيما يعود بحفظ أبهة التخت ، ورفعة التاج . فالزم الآن أنت مكانك حتى ينهض طوس بهذا الأمر . وإن كان سياوخش يخلع ربقة طاعتى، ولا يمتثل أمرى فإن طوسا يتسلم منه العساكر، ويرجع هو على أعقابه مع خواصه وأصحابه . فاحتد عند ذلك رستم وقام وخرج غضبان . فأمر الملك طوسا أن[3] يستعد للسير، ويجرّ العساكر لقتال أفراسياب .

ذكر رسالة كيكاوس الى سياوخش

قال: فدعا كيكاوس بكاتبه، وأجلسه بين يديه، وأمره أن يكتب كتابا الى سياوخش ينطق فيه بلسان الموجدة والغضب . فكتب الكاتب، بعد أن حمد الله تعالى، يخاطب سياوخش بما معناه : أيها الشاب ! إن ثقل مرادى على قلبك ، ودارت سنة الصهباء[4] فى رأسك فتذكر صنيع هذا العدو

(١) ك، مل : مجرب . (٢) كو : سأبعث الى سياوخش . (٣) ك، طا : بأن .

(٤) كو : سنة الصبي . وهو موافق للشاه .

فى إيران وممالكها، ثم تشمر لمحاربته، ولا ترق ماء وجهك بالتقصير،[(1)] ولا تخدعن بأكاذيبه وأباطيله . فطالما مرت بى خُدَعه وحِيَله ثم لم أحفل بها، ولم أنخدع لشىء منها . ولم يكن قد جرى بينى وبينك للصلح ذكر . فقد أعرضت اذًا عما ألقيته اليك سكونا منك الى مخالطة الغلمان الصباح،(أ) وركونا الى اللعب والمزاح، وهربا من معاناة الحرب والكفاح . فاذا أتاك طوس فأنفذ إلىّ فى الحال الأتراك الرهائن، وتأهب لحرب عدوك . وإن كنت تحنو على أفراسياب، وتكره أن تنسب الى نقض العهد فسلم العسكر الى طوس، وأقبل الينا . فلست من رجال الحفاظ وأبناء القتال . قال : ثم أثاروا هجينا يحمل الكتاب الى سياوخش .

ولما وصل[(2)] الكتاب وقرأه ضاق صدره، وامتلأ بالهم قلبه . فدعا بالرسول، واستخبره عما جرى . فحكى له جميع ما دار بين كيكاوس ورستم، وأخبره بإنفاده لطوس مكان رستم . فوجم سياوخش لما حزنه[(3)] من تنكر أبيه عليه، وما يخشى من عاقبة ذلك . وقال فى نفسه : كيف أنفذ مائة نفس من أولاد الأمراء الكبار وأقارب مثل هذا الملك الى كيكاوس مع علمى بأنه اذا وقعت عينه عليهم لم يبق منهم أحدا ؟ وماذا يكون عذرى عند الله غدا ؟ ثم إنى إن قاتلت أفراسياب بعد ما سبق منى من المواثيق والأيمان ذكرت فى الآفاق بنقض العهد، ووصفت بالجهالة والغدر . وإن سلمت العسكر الى طوس، ورجعت ناكصا على عقبى لم آمن بائقة كيكاوس، وبادرة غضبه، وكنت عرضة لما ترصدنى به سوذابه من الغوائل، وتقصدنى به من المكاره . فأحضر زنكه بن شاوَران، وبهرام بن جوذَرز، وخلا بهما، وقال : لست أدرى ماذا يجرى على رأسى، فقد تغير رأى الملك، وحال عما كان لى عليه من ذلك الحنو . وكان ذلك من آثار خديعة سوذابه ومكرها[(4)] حتى صار مما تُقبّح صورتى عليه كالسم النقيع والموت الذريع . وكنت قد آثرت مقاساة هذه الحروب، والبعد عن تلك الممالك طلبا للتخلص من شرها ومكرها . ثم ذكر ما عاناه من محاربة عسكر أفراسياب وإجلائهم عن تلك البلاد، وأنه لم يصالحه إلا بعد إشارة الموابذة أصحاب[(5)] الرأى بذلك فيه . ثم أمر زنكه بن شاوران بأن يستصحب الرهائن والتحف، ويصير الى أفراسياب ويردّها عليه، وينهى اليه ماجرى عليه بسبب ذلك . وقال لبهرام بن جُوذَرز : إنى مسلم اليك هذه العساكر، وخارج الى بعض

(أ) الذى فى الشاه «تلهو» مع ذوات (أو ذوى) الوجوه الجميلة . فكلمة «خوبرويان» المستعملة فى هذا الصدد لا تدل على أكثر من هذا . بل المتبادر منها النساء .

(1) ك، كو، طا : بالتقصير فى أمره . (2) ك، كو، طا : وصل اليه . (3) ك : حزبه .

(4) ك، طا : [illegible] (5) ك : وأصحاب .

الأطراف ناجيا بنفسي من نكاية كيكاوس . فاذا قدم طوس فسلم العسكر اليه . فاهتم بهرام لذلك، وبكى زنكه بن شاوران، ولمن تراب هاماوران . وقال بهرام : ليس هذا من الرأى، وليس لك بد من أبيك . فاكتب اليه كتابا تسأله فيه أن يرد عليك رستم . فان أمرك بعد ذلك بقتال[1] فامتثل أمره ، ولا تطول عليك كلاما هو فى نفسه قصير . ولا تعجل فإنك بالتثبت والتؤدة جدير . ولا غضاضة عليك فى الضراعة الى أبيك، والتطامن له . فاعتذر اليه ونفذ[2] الرهائن فانه لم يأمرك فى كتابه بغير قتال أفراسياب وأصحابه . والى الآن لم يجر شىء لا يمكن تلافيه . فنتشمر لما أمرك به حتى نتشمر له ، ونبذل الجهد فيه، ونضيق الأرض على العدو . ولا تؤذين قلبك، ولا تضيقن صدرك، ولا تكدرن علينا ما صفا من أيامك بعد[3] أن طاولت الأقران وظفرت بمرامك ، ولا تبك عليك عين التاج والتخت، ولا تفجع بالشجر الخسروانى حديقة المُلك . فلم يصغ الى كلام ناصحيه لما كتب على رأسه من تقارب الأجل . فقال : إن كان رأيكما مخالفا لرأيى فانى أنهض بنفسى، وأحمل الرهائن الى أفراسياب . فقال عند ذلك زنكه بن شاوران : نحن عبيدك المخلصون نفديك بأرواحنا ونفوسنا ، ولا نخالفك الى الممات . فقال له : فاذهب الى أفراسياب، واذكر له ما نالنا بسببه وسبب انقيادنا لموافقته . وأعلمه أنى لم أنقض عهده وإن كان قد خرج من يدى من أجله تاجى ومختى . وسله أن يفتح لى طريقا حتى أعبر على بلاده ، وأطلب طرفا من الأرض أسكنه لأتخلص من كيكاوس، وأستريح من سوء خلقه، وفساد طبعه .

فسار زنكه بن شاوران فى مائة فارس، واستصحب الرهائن . ولما دخل بلاد توران استقبله بعض عظمائها . وسار حتى دخل على أفراسياب . فلما رآه وثب اليه واعتنقه وأكرمه ، وأجلسه على تخته . فسلم اليه كتاب سياوخش . فلما وقف عليه اهتم لذلك وتحير . ثم أمر بإنزاله فى موضع يليق بمثله ، واستحضر بيران قائد جيشه، وبهلوان عسكره، والمتولى لحله وعقده . فخلا به وذكره سوء خلق كيكاوس ،وحكى له ما أجاب به سياوخش من الكلام الخشن الصادر عن الحفيظة والغضب، وذكر له قدوم زنكه بن شاوران، وما التمسه سياوخش . واستشاره فى ذلك فقال بيران : رأيك أصوب، وفكرك أثقب . والذى عندى أن كل من يكون من ملوك الأرض فى هذا الزمان موصوفا بالفضل والإحسان فينبغى ألا يدخر عن سياوخش شيئا . فانى سمعت أنه من أعلى الملوك قدرا، وأوفرهم عقلا . وله الشرف بنفسه وأصله . وقد استكمل أسباب السيادة والسعادة . ولو لم يكن فيه سوى أنه احترز عن قتل الذين عنده من أكابر هذه الحضرة ، وتمرد على أبيه بذلك[4] حتى أخرجه[5] الأمر

(٥٠)

(١) ك، كو، طا : بقتال أفراسياب . (٢) ك، طا : ونفذ اليه . (٣) ك : بعد ما .
(٤) ك : بذلك (لا) . (٥) ك، كو، طا : أحوجه .

الى ترك التاج والتخت لكفاه ذلك شرفا . و إنما فعل ذلك كله رعاية لذمامك، ومحافظة على الوفاء لك . فان رأى الملك أجاب عن كتابه بالإلطاف والاستعطاف، وتلق أمله بالإسعاف، ومكنه من هذا الإقليم، وزوجه بإحدى كرائمه . فلعله يستوطن هذه الديار، و يستقر فى هذه المملكة . ولو لم يفعل ذلك ورجع إلى أبيه كان الملك مشكورا على ما أسدى اليه من الجميل . فقال أفراسياب : إن كلامك غير حائد عن سنن السداد غير أنه[1] من ربى شبل الأسد المصور أنحى عليه، إذا طلع نابه، بالمحذور . فقال فيران : ولكن سياوخش لمّا لم يرض من أبيه بالغدر، ولم يغض على مادعاه اليه من الشر فلن يتجنب طريق الوفاء، ولا يقابل صنيع من يحسن اليـه بالجفاء . ثم إن كيكاوس قد طعن فى السن، ولا بد له من الموت . ولا يخفى أن سياوخش وارث أرضـه، ومالك تاجه وتختـه . فإذا كان تحت يدك كنت ملك الجانبين، وصاحب الدولتين . فوافق ذلك رأيه فدعا بكاتبه وأمره فكتب إلى سياوخش كتابا حمد الله تعـالى فيه وأثنى عليه . ثم أتبع ذلك بالدعاء لسياوخش، وتقريظه بحسن العهـد، ولزوم الوفاء، ومجانبة إخفار الذمام . ثم قال : قد وقفت على ماتحمّله زنكه بن شاوران من الرسالة فضقت ذرعا بما صدر عن كيكاوس . وهذه الممالك لك وبحكمك . فإن أردت الشهريارية[2] فهى بين يديك . وإن أردت الأموال والذخائر فإن مقاليدها ملقاة اليـك، وجميع أهل هـذه المملكة يسجدون لك ويقبـلون التراب لديك . وأنا بالأشواق إلى لقائك، وأنت عنـدى بمنزلة الولد، وأنا لك كالوالد . بل والد يكون لك كالعبد فى خدمتك . وما أشرت اليـه من عبورك علينا صائرا[3] الى إقليم آخر فهذا شئ نُعيّر به، وقد أغناك الله عنه . فإن هذه الممالك والكنوز والذخائر مسلمة اليك[4] . فتقيم فى أرضنا ما أحببت، وترجع، إذا صالحت أباك، اليـه إذا أردت، كما اشتهيت . وقد جعلت لله علىّ أن أبذل جهدى فى خدمتك، وأفرغ وسعى فى مناصحتك، ولا أهمّ بالإساءة اليـك . ثم ختم الكتاب، ودفعه الى زنكه بن شاوران، وخلع عليه، وسرّحه الى سياوخش .

فلما وصل اليه، وقرأ الكتاب، ووقف على ما فيه سره من وجه وساءه من آخر حين اضطر الى مصادقة العدو الكاشح، ويستنبط[5] المـاء من السعير اللافح . قال : ثم كتب الى كيكاوس كتاب شكاية أبثّه فيه نفثات صدره، وأطلعه على حرازات قلبـه، وذكر ما قاساه من مكايد سوذابه ومكرها، وما ابتلى به من سببها من ورود النار التى سبق ذكرها . وقال : ثم انى آثرت مغامسة الحرب والموت، والدخول الى فم الثعبان حتى ملكت عنـان الظفر، وملأت العالم بالأمن والعـدل، واستراح الخلق

---

(١) ك، كو، طا : انه قيل . (٢) الشهريارية : الملك . (٣) ك : سائرا . (٤) ك : مسلمة لك .
(٥) ك، طا : ولا يستنبط . كو : ولأن يستنبط .

فى المملكتين بحسم مادة الشر، وإصلاح ذات البين، فلم يرض الملك ذلك، فحلّ جميع ما عقدت، ونكث ما أبرمت . وكأنه كان قد كره لقائى، وسئم مقاربتى له . فوافقتُه على ما أراد من ذلك . فلا زال هو ممتعا بالسرور والفرح فقد متعت أنا بالهموم والترح، وخضت غمرة الخطوب. والله أعلم بما هو مكتوب علىّ ومنساق إلىّ . ثم سلم التاج والتخت والخيل والخول والخزائن وغيرها الى بهرام بن جوذَرز . وقال : إذا قدم طوس فسلمها اليه . واختار من عسكره ثلثمائة[(١)] من المشهورين المذكورين، وما احتاج اليه من الجواهر والذهب والفضة وغير ذلك[(٢)]، واستصحب مائة فرس بآلات الذهب، ومائة وصيف ووصيفة بمناطق الذهب، والأكاليل المرصعة باللؤلؤ والزبرجد . ثم دعا بأعيان عسكره وأكابر حضرته، وقال : إنه قد وصل[(٣)] بيران من حضرة أفراسياب رسولا، وقد عبر الماء . وأنا خارج لاستقباله . فالزموا مكانكم وولوا[(٤)] بهرام وجوهكم، ولا تعدلوا عن رأيه . فسجدوا له ورجعوا مذعنين لأمره، وخاضعين لحكمه .

ذكر مسير سياوخش الى بلاد تركستان

قال : فركب سياوخش، وعبر جيحون حزين القلب غزير الدمع . وسار حتى وصل الى ترمذ وقد أعدّوا له الأنزال والتحف والهدايا والمبارّ فى كل منزل منها الى الشاش . فسار حتى نزل بقفجاق[(٥)]. وأقام بها أسبوعا(أ) فاستقبله بيران فى جملة من أقاربه وأصحابه، وقدم اليه أربعة أفيال بتخوت الذهب والفيروزج، ومائة فرس بعدّة الذهب . ولما بدا علمه ابتدره سياوخش وعانقه، وسايله عن أفراسياب . فلاطفه بيران وطفق يشكر الله تعالى على ما قيّض له من لقائه . ثم قال : إن أولادى وقرابتى كلهم عبيدك ومماليكك، لا يعدلون عن أمرك . وأنا لو قبلتنى لشددت وسطى، مع شيخوختى وكبر سنى، فى العبودية لك، ووقفت ماثلا بين يديك . ثم انصرفا معا وأرجاء تلك المدينة تطن بأصوات المعازف والمزاهر لقدوم سياوَخش . فبينا هو كذلك إذ تذكر أرض زابلستان أيام مقامه بها فى ضيافة رستم بن دستان، وذكر رياضها الممسّكة، وجناتها المزخرفة، فنثر عقد الدموع، وشب نار الحزن بين الضلوع . وأخفى ذلك من بيران، ففطن له ولاطفه حتى طاب قلبه . ثم قال لبيران : إن عاهدتنى وثقت بك، وعلمت أنك لا تخفر الذمه ؛ فإن كنت تستصوب مقامى عند

(أ) حذف المترجم هنا أبياتا تبين عما فعله الايرانيون بعد رحيل سياوش . وخلاصتها أن طوسا قدم فأخبرها فعل سياوش فسارع بالجيش الى كاوس . ولما أخبر الملك بما فعل ابنه حزن وتحير وتجنب الحرب بعد ذلك .

(١) ك، كو، طا : ثلثماية فارس . (٢) ك، طا : وغيرها . (٣) ك، طا : حضر .

(٤) ك، طا : نحو بهرام . (٥) مل : غجغاج .

أفراسياب فأخبرنى بذلك حتى لا يلحقنى ندم فى قدومى عليه . وإن كان الأمر بخلاف ذلك فأعلمنى أيضا حتى أتجاوز هذه الديار الى غيرها، ودلنى على إقليم آخر ألجأ اليه، وأتحصن فيه . فقال له بيران : بعد أن فارقت أرض إيران فلا تعدل عن أفراسياب . فإنه وإن انتشر فى الآفاق ذكره بالسوء فهو فى الباطن على خلاف ذلك . وهو رجل متألّه صاحب رأى وعقل، ولا يقدم على أذية أحد بغير جرم. (٥١) وأنا قريبه، وصاحب رأيه ، وبهلوان جيشه . وفى هذه البلاد مائة ألف فارس كلهم تحت حكمى وفى ربقه طاعتى . ولى اثنا عشر ألفا من أقاربى مهما دعت الحاجة اليهم اجتمعوا إلىّ واحتفوا بى وأنا بهم فى غناء عن أفراسياب . وقد جعلتهم كلهم فداء لك إن عزمت على الإقامة فى هذه الديار . وقد ضمنت لله تعالى ألا تصاب بمكروه إلا أن يظهر منك معاداة أو تصدر منك جريمة يتوجه بذلك عليك مجازاة . فانقاد سياوخش لكلامه، وركن اليه، واعتمد عليه حتى صار بيران والدا وهو ولدا . وارتحلا وسارا حتى وصلا الى مستقر أفراسياب من مدينة كَنك . فشدّ[1] وسطه عاجلا، وخرج فى استقباله راجلا . فلما رآه سياوخش ترجل له، وبادر اليه فتعانقا ، وطفق كل واحد منهما يقبل وجه صاحبه . ثم أخذ أفراسيابُ بيده، ودخل به الى إيوانه ، وأجلسه معه على تخته ، وأخذ ينظر اليه، ويجيل طرفه فى محاسنه وشمائله، ويقول لبيران: إنى لأعجب من كيكاوس كيف يصبر عن مثل هذا الولد . فإنى منذ وقعت عينى عليه لا أستطيع أن أنظر إلا اليه . وقد بهتّ لجماله وكماله. ثم أمر أن يفرش له إيوان اختاره من أجله، بالمفارش المنسوجة بالذهب ، وينصب فيه تخت من الذهب مغشّى بالديباج الصينى . وأشار بمصيره اليه للاستراحة . ثم لما مدّوا السماط حضر، وقعدا يتفاوضان ويتلاطفان . ثم لما فرغوا من الطعام جلسوا للشرب الى أن غربت الشمس . فقام سياوخش وعاد الى إيوانه . وأمر أفراسياب ابنه شيذه بأن يبكر فى صبيحة الغد مع أقاربه وأكابر حضرته الى خدمة سياوخش، ويقوموا بشرائط خدمته، ويحملوا اليه هدايا وتحفا ونثارات . ففعلوا ذلك . ونفذ أيضا اليه من جهته تحفا كثيرة وهدايا جليلة . فمضى على ذلك أسبوع .

ثم سأله دخول الميدان ، وملاعبته إياه بالكرة والصولجان . فأجابه الى ذلك (ا) . وكان قد اجتمع جميع أمراء توران فى ذلك الميدان . فأظهر فى يومه ذلك من الآداب الشهنشاهيّة والحركات السلطانية فى المراماة والمناضلة واللعب بالكرة ما أعجب الحاضرين ، وآنق الناظرين . فسر بذلك

(ا) لم يبين المترجم هنا أن سياوخش امتنع عن ملاعبة أفراسياب إجلالا له وتأدبا حتى أقسم عليه برأس الملك كاوس .

(١) كو : فشد أفراسياب .

أفراسياب، وأظهر به الفرح والسرور، وعاد به الى مجلسه، وقعد معه على الطعام . وهيأ له فى ذلك اليوم خلعة رائقه وأموالا وافرة وتحفا كثيرة، وأمر بحمل الكل الى إيوانه الموسوم به .

قال : وأخذ حب سياوخش بمجامع قلب أفراسياب حتى كان لا يصبر عنه ساعة، وحتى كان يسلى به ويفرح بلقائه، وصار له بذلك شغل شاغل عن ابنه جهن وأخيه كرسيوز وغيرهما . فجعل لا يلتفت اليهم، ويؤثر سياوخش فى السر والخلوة عليهم، حتى مضت على ذلك سنة كاملة . فاتفق أن بيران اجتمع يوما[1] بسياوخش، وتجاذبا أطراف الأحاديث فقال له بيران : كأنى أراك فى هذه البلاد على أوفاز، ولا تركن اليها إلا ركون مجتاز[2] . وإن أفراسياب من فرط حنوه عليك ومحبته لك كأنه لا يرى الدنيا إلا بعينك، ولا يحب الحياة إلا لأجلك . وأنت اليوم ملك إيران وتوران ، وخلف الملوك فى هذا الزمان . فوطن نفسك على الاستقرار فى هذه الديار . ثم إنك رجل وحيد لا أخ لك ولا أخت ولا زوجة ولا ولد . فاطلب صاحبة تصلح لك ، ولا تهتم بأمر إيران . فإن تلك الممالك بعد موت كيكاوس لا تكون إلا لك . واعلم أن وراء ستور الملك ثلاث بنات كالأقمار الطالعة وكذلك وراء حجاب أخيه كرسيوز ثلاث أخر قد جمعن بين الأصالة والنجابة . ووراء سترى أيضا أربع صغار هن إماء لك[3] . ولكن الأصوب لك ألا تعدل عن أفراسياب § وله بنت تدعى فرى كيس[4] هى أكبر أولاده، وأجمل نساء زمانها . وهى موصوفة بالخلال المرضية والخصال الحميدة . فإن خطبتها الى أبيها ووصلها بك ازداد قدرك، وترقت منزلتك . فإن[5] رسمت كنت أنا المكلم لأفراسياب فى ذلك،

§ فى الشاه : أن بيران قال لسياوخش، بعد أن ذكر له بناته : إن جريرة كبراهن، وليس لها فى الجمال ضريب . فإن رأيت كانت أمتك وخادمك . فشكره سياوخش وقال : جريرة أحب إلىّ ، تسربها نفسى ، وتقربها عينى . وقد قلدتنى منّة لا أستطيع إيفاءها ما حييت . ثم تزوج سياوخش جريرة بنت بيران . وبعد حين عرض بيران على سياوخش أن يتزوج فرنكيس بنت أفراسياب ليزداد مكانة فى توران . ثم خطبها الى أفراسياب — الى آخر ما ذكره المترجم هنا . وسيجد القارئ فى فصل كيخسرو الآتى ذكر "فرود" بن سياوخش من جريرة بنت بيران . ولا أدرى لماذا حذف المترجم هنا زواج جريرة وهو محتاج اليه فى سياق القصة من بعد . ولعل هذا سهو فى القراءة كان من تشابه الأمرين؛ فخطبة جريرة وخطبة فرنكيس كلاهما تنتهى بتشمر بيران لإعداد العدّة للزفاف، وتفويضه الأمر لامرأته كلشهر لتتولى تجهيز العروس .

(١) ك، طا : ذات يوم . (٢) كلمة "مجتاز" ليست فى الأصل . والاستدراك من ك .

(٣) ك، كو، طا : لك إماء . (٤) فى الشاه : فرنكيس وفى الفرر كسيفرى . (٥) ك : وان .

والقائم بأمر هـذه الوصلة . فقال سياوخش : اذا لم يكن لى بدّ من هجران ديار ايران ، ولا بق لى سبيل الى النظر الى وجه الملك كيكاوس ورستم الذى هو ربانى، وبهرام وزنكه بن شاوران فاشرع فى هذا الأمر ، وتول أنت تدبيره . فقـام بيران ودخل على أفراسياب، ووقف على رأسه . فقـال أفراسياب : ألك حاجة حتى أطلت المقـام اليوم ؟ فقـال له عند ذلك : أرسلنى سياوخش اليـك فى رسالة، وأريد عرضها عليـك . ثم أخبره بالأمر، وخطب اليـه فرى كيس لسياوخش . فتغير من ذلك أفراسـياب، وقال : إنه قال لى رجل عاقل : أيها المربى لشـبل الضرغام! لا تتعب فإنه يعود عليك بالإرغام . إنك تتعنى وتربيه، ثم تحرم ما تأمله فيه . وأيضا فإن بعض المنجمين كان قد أخبرنى بأن[1] زوال ملك توران يكون على يد حافد لى . وفى هذا ما يفهم منه ذلك فإن من يولد ما بين هاتين الشجرتين يملك جميع الأرض، ولا يبق أحدا من أهل توران . ومالى أغرس بيـدى شجرة تكون أوراقها صابا وعلقما، وحملها ذعافا مسمما؟ فقال له بيران : أيها الملك! لا تهتمن ، ولا تحفل بقول المنجمين . فإن من يولد من صلب سـياوخش لا يكون إلا مثـله متحليا بالسكون والعقل . وسيتفرع من هاتين[2] الشجرتين غصن يطاول الكيوان[3] ويجمع بين ملك إيران وتوران . ولعله يأمن به الإقليمان وأهلهـما . وإن كان الله قد قدّر شيئا غير ذلك فالكائن لا محاله سيكون . ولم يزل به حتى أجاب الى ذلك، وقال : قد فوضت الأمر الى رأيك فافعل فيه ما تريد . فسجد له بيران وشكره ، ورجع الى سياوخش، وذكر له ما جرى بينه وبين أفراسياب . وجلسا يشربان الى أن ثملا .ورجع بيران الى منزله .

ولمـا أصبح ركب الى قصر سياوخش فدخل عليه، وقال : أعدّ أسباب الضيافة لابنـة الملك أفراسياب . فإن رسمت شـددت وسطى وقمت بذلك كما يجب . فقال له سياوخش : الأمر لك ، ومالى أحد سواك فافعل كما رأيت . فانصرف بيران نحو منزله ، وسـلم مفتاح خزانته[4] الى زوجتـه كُل شهر، وكانت ذات رأى وعقل . فاختارت له ألف ثوب منسوج بالذهب، وأخرجت له أطباقا من الزبرجد، وجامات من الفيروزج، وملأتها بنوافج المسك والعود الرطب، مع إكليلين مرصعين بالجواهر الشاهية، وسوارين وقرطين وطوق، ومن المفارش ستين حملا، الى غير ذلك من النفائس والغرائب، مع ثلثمائة وصـيف بقلانس الذهب، ومائتى وصيفة على يد كل واحدة جام من الذهب مملوء من المسـك والزعفران . ثم جاءت مع أخواتها فى مائة نفس من قرابتها بعمارات[5] الذهب المجللة

٥٢

(١) لك، كو : أن . (٢) صل : هذين . والتصحيح من لك . (٣) لك : كيوان . (٤) لك، كو : خزانه .
(٥) طا : بهاريات .

بالديباج، ومعها عشرة آلاف دينار برسم النثار . ودخلت على فرى كيس، وقبلت الأرض بين يديها، وقالت : قد ازدوجت الشمس والقمر . فلتنهض الملكة الى قصر الملك . فرجعت بها الى إيوان سياوخش . فقامت فى ذلك العرس سوق اللهو واللعب فى تلك الخطة سبعة أيام . ونفذ بعد ذلك اليه أفراسياب هدايا كثيرة من الدينار والدرهم، والخيل والنعم، والملبوس والمفروش . وكتب له منشورا من ذلك الحد الى الصين[1] .

وأذن له أفراسياب بعد سنة كاملة أن يسير الى تلك الديار . فرحل وسار بزوجته فرى كيس. وصحبه بيران وارتحل معه وساروا الى خُتَن ، وكانت مملكة بيران . وأقاموا هنالك أياما ثم قدم رسول[2] أفراسياب على بيران يستنهضه الى بعض الممالك ، ويأمره بجز العساكر اليه . فامتثل ذلك بيران وفارقه § وانتقل سياوخش الى موضع آخر أشار عليه به أفراسياب، فبنى[3] مدينة جعل عرضها وطولها فرسخين، وأحدث فيها قصورا عالية، وبنى فيها أبنية مرتفعة، وزخرف المدينة حتى صارت كبعض الجنان . وعمل إيوانا عظيما، وأمر فصوّروا فى أحد جانبيه صورة كيكاوس قاعدا على تخته، وبين يديه رستم[4] وجوذرز وغيرهم من الأكابر، وعلى[5] الجانب الآخر أفراسياب وكرسيوز وبيران، وعمل فى[6] جوانب المدينة قبابا كادت تمس السماء علوا وسمى المدينة سياوخش كرد[7] .

§ فى الشاه : أن سياوخش سار من خُتَن الى مملكته التى أعطاه أفراسياب ، واختار مكانا بين الماء والجبل، وبنى مدينة عظيمة سماها كنك دزأى قلعة كنك — وقد أطنب الفردوسى فى وصفها وافتتح قصتها بموعظة بليغة فى تقلب الأحداث . ثم سأل سياوخش المنجمين فأخبروه بما قدر له من المصائب . وأخبرهو بيران . ثم جاء رسول من أفراسياب يأمر بيران بسوق الجيش الى حدود الهند . وجاء رسول آخر الى سياوخش يعرض عليه الذهاب الى مكان آخر — الى آخرما ذكره المترجم عن بناء مدينة سياوُش كرد .

وأظن المترجم اقتصر على حديث إحدى المدينتين إيجازا . وسياوخش كرد ذكرها المستوفى فى نزهة القلوب، بعد سمرقند ولم يبين موقعها . ويقول ياقوت : " وخش بلدة من نواحى بلخ من خُتّلان . وهى كورة متصلة بُختّل حتى تجعلان كورة واحدة . وهى على نهر جيحون . وهى كورة واسعة الخيرات طيبة الهواء . وبها منازل الملوك ونعم واسعة" .

ويقول : "ووخشيان قرية على فرسخين من بلخ" .

(١) ك، طا : بحر الصين . (٢) صل : قدم أفراسياب . وفى ك، كو، طا : ورد رسول أفراسياب .
(٣) طا، ك : فبنى فيه . (٤) ك : رستم وزال وجوذرز . (٥) طا : وصوروا على الجانب .
(٦) ك : جميع جوانب . (٧) اسمها فى الفرر : سياوناباذ .

قال : ولما رجع بيران من الجهة التى كان توجه اليها استفزه الشوق الى سياوخش فلم يتمالك أن جاء الى تلك المدينة. فاستقبله سياوخش فترجل كل واحد منهما للآخر وتعانقا وركبا وطافا بتلك المدينة . ولما أبصر بيران تلك القصور العالية والميادين الفسيحة والبساتين الأنيقة أثنى على سياوخش، ودعا له بطول البقاء ودوام العز والسناء . ثم لما انتهى الى الإيوان انفتل الى قصر فرى كيس فاستقبلته، وأمرت فنثرت عليه نثارات كثيرة، وخرج من عندها وجلس هو وسياوخش فى مجلس الأنس واندفعوا فى الشرب واللعب والطرب . وأقاموا على ذلك أسبوعا . ثم قدّم لسياوخش برسم عُراضة القادم تحفا كثيرة وهدايا جليلة .

ثم فارقهم وسار الى حضرة أفراسياب . فلما دخل عليه أخبره بخبره فى الجهة التى سيره اليها وانتهى بهما الحديث الى ذكر سياوخش، وسأله الملك عن حاله وحال المدينة التى أنشأها، وقصورها التى بناها فأخبره بيران بما رآه من حالها ، ووصفها له . ثم ذكر قصر فرى كيس وأماكنها الرفيعة ومساكنها المنيعة ، وأتبع ذلك بالدعاء لهم وتمتع البعض[1] بالبعض . ففرح أفراسياب بما حدّثه به حين أثمر غصن رجائه، وترعرع غرس أمله .

ثم حكى لأخيه كرسيوَز ما حكاه له بيران، وقال له : قد وطّن سياوخش نفسه على الإقامة بتوران، وصار لا يخطر بقلبه ذكر إيران، ثم أمره بالمصير الى سياوخش مستصحبا له ولفرى كيس الهدايا والتحف، وأمره بأن يوفيه حقوق الخدمة، ويلحظه بعين العظمة فتوجه اليه[2] فى ألف فارس . فلما بلغه الخبر بقدومه ركب لاستقباله فى جنوده ورجاله ، وصار به الى الإيوان (أ) ودخل به من الغد على فرى كيس، فتلقته بالنثارات الكثيرة والخدم الوفيرة . فلما رأى كرسيوز جلالة سياوخش، وفخامة قدره اعتوره الحسد فجاش قلبه ودماغه حتى اصفر لونه، وتغيرت حاله . وقال فى نفسه : أفى سنة يصير سياوخش هكذا صاحب تاج وتخت، ومالك أمر ونهى بحيث لا يلتفت إلى أحد ؟ فأخفى ذلك فى نفسه ، وجعل يتلوى على غيظه وحقده . قال : فنصبوا فى القصر تختين، فجلس كرسيوَز على أحدهما، وجلس سياوخش على الآخر . وجاء[3] بالمغانى المحسنات، والجوارى المسمعات، وباتوا ليلتهم على جملة الأنس والسرور ، والطرب والحبور . ولما أصبحوا ركب سياوخش إلى الميدان . وجاء كرسيوز فلعبا ساعة بالكرة والصولجان، ثم عدلا الى المطاعنة والمناضلة . وكانت

(أ) فى الشاه هنا أن رسولا جاء الى سياوخش حينئذ يبشره بغلام من جريرة بنت بيران ، سماه جدّه "فرود"، وأن كرسيوز قال حين سمع هذا : "قد صار بيران قرين الملك" .

(١) كو : بعضهم ببعض . (٢) ك : اليه (لا) . (٣) ك، كو، طا : وجاءوا .

غلبة سياوخش ظاهرة فى الكل وزائدة للغيظ والعداوة فى قلب كرسيوز . فقال له أيها الملك ! مالك فى توران ولا إيران نظير يساجلك فى آدابك، ويجاريك فى طعانك وضرابك . فهلم نتماسك بمناطقنا لننظر أينا يقتلع صاحبه من مقعده . فامتنع من ذلك سياوخش وقال : أنا لك مطيع فى كل ما تشير به علىّ إلا فى هـذه القضية . فان أردت ذلك وكان لا بدّ لك منه [١] فاختر من رجالك واحدا موصوفا بالقوة والشجاعة حتى أمتثل أمرك، وأتبع رأيك . فضحك عند ذلك كرسيوز، واستحسن كلامه وأقبل [٢] على أصحابه، وقال : من يتقدّم لمبارزة سياوخش . فأجابه رجل من أصحابه يسمى كروزره (أ) وقال أنا القمن بمبارزته فتصدّى هو لذلك وفارس آخر [٣] . فأخذ سياوخش بمنطقة أحدهما ، واختطفه من السرج، ورماه إلى الأرض، وأقبل على الآخر واختطفه من سرجه، وصار فى يده كالخشف الضعيف فى براثن الأسد الغريف . وجاء به الى كرسيوز فنزل، وهو يضحك، وجلس الى جنبه على تخت من الذهب كانوا نصبوه له فى الميدان . ثم رجعوا وجلسوا أسبوعا آخر [٤] على اللهو والشرب .

ثم إن كرسيوز ودّعه وفارقه بأصحابه راجعا الى حضرة أخيه أفراسياب . ولما توسطوا الطريق تجاذبوا أطراف الحديث فيما جرى يوم الميدان مع سياوخش ، وكرسيوز مغتاظ مما أصاب صاحبيه على يد سياوخش من الخزى والهوان ، حين تصدّيا لمقاواته فى الميدان . فلما قدموا على أفراسياب استخبرهم عن أحوال سياوخش فقال له كرسيوز : أيها الملك ! إنه قد تغير عما كان عليه، وقد تكررت الرسل اليه من أبيه كيكاوس فى السر . وكذلك تأتيه الرسائل من أطراف الروم والصين . وهو لا يشرب الآن إلا على اسم كيكاوس . وقد اجتمعت الآن عليه عساكر كثيرة [٥] ، وهو لا شك قاصدك عن قريب . وقال : لو لم يطلع تور على الشر من إيرج لم يكن يفتك به فى الزمان الغابر . وكيف تقدر أن تجمع بين إقليمين أحدهما كالنار والآخر كالماء بهذه المزاوجة ؟ ورأيت الأصوب عرض هذه [٦] الحال عليك، ولم أستجز إخفاها عنك . فاضطرب قلب أفراسياب من كلامه ، واهتم من أجله . ولم يزل كرسيوز يتردّد اليه بالأكاذيب المموّهة ، والأباطيل المزخرفة فى تقبيح صورة سياوخش عنده متمحلا عليه بما لا أصل له حتى غبر على ذلك زمان . فاستحضره يوما وخلا به، وخاض معه فى حديث سياوخش . ثم أمره بأن يمضى اليه ، ويبلغه سلامه، ويصف الى لقائه أشواقه، ويستقدمه مع فرى كيس . فسار كرسيوز حتى اذا قرب من مستقرّه أرسل اليه يقسم عليه

(٥٣)

(أ) اسمه فى الشاه : كروى زره (بكسر الياء والزاى والراء الثانية) أى كرو بن زره .

(١) صل : ولا بد لك منه . (٢) ك : فاقبل . (٣) ك، كو، طا : يسمى دمور .

(٤) ك : عكوفا على اللهو . (٥) ك : عظيمة . (٦) ك : هذا .

بنعمة أفراسياب، وحياة كيكاوس ألا يتجشم الخروج الى استقباله[1] وتلقيه، ولا يجاوز تخته . فوصل الرسول الى سياوخش وأدى[2] اليه رسالته، فاستشعر واهتم وغمر قلبه الفكر فى غائلة ذلك الكلام . فلما وصل كرسيوز بادر وخرج من الايوان حتى التقاه . فبلغه رسالة أفراسياب . فارتاح لها وأظهر السرور بها ، وقابل الأمر بالامتثال والانقياد . وقال :.هأنا لا أحيد عن طاعته ، وأشد عنانى بعنانك حتى نعاود حضرته معا . ولكن نستريح ثلاثة أيام فى هذا الايوان الذهبى ثم نعزم .

فلما سمع كرسيوز كلام سياوخش ضاق صدره ، وقال[3] : إن جاء معى مبادرا كما قال افتضحت عند أفراسياب، ولم ينجع فيه ماقلته، وصار كلامى عنده هباء منثورا . فلا بد أن أحتال وألوى عنانه عن المضى الى أفراسياب . قال : فسكت ساعة ولم يجبه بشىء . ثم تباكى وجرت دموعه حتى علاه الشهيق . فرق له سياوخش، وقال له[4] : أيها الأخ ما الذى أصابك؟ وماذا حدث ؟ إن يكن قد تغير رأى الملك عليك فأخبرنى حتى أمضى الى حضرته، وأصلح بينه و بينك، وأزيل الوحشة . وإن يكن قد ظهر لك عدو فهأنا كالأسد[5] بين يديك؛ حرب لمن حاربك، سلم لمن سالمك . فقال كرسيوز: ليس من هذا شىء . ولكن خطر بقلبى الساعة ما أصاب إيرج من بائقة تور، ومكره . وهذا الملك قد تغير رأيه فى حقك . وليس يضمر لك إلا السوء . وهو الذى قتل أخاه إغريرث . فكن منه على حذر، ولا تركن اليه . وأنت تعلم محبتى ونصحى لك . ولذلك لم أستجز إخفاء ذلك عنك . ولست أرى من الصواب أن تمضى اليه، فتعرض نفسك للهلاك . والرأى أن تكتب جواب كتابه، وتتمسك فى تأخرك ببعض المعاذير . فانى أنوب عنك وأسعى فى إطفاء ثائرته، ودفع معرته عنك[6] . فان رأيته قد صلح قلبه لك أعلمتك ذلك حتى ترد عليه . وإن يكن غير ذلك أخبرتك حتى تدبر أمرك، وتخرج من بعض الأطراف الى موضع تأمن فيه على روحك . فقال سياوخش : لست بعادل عن رأيك فافعل ما ترى ، واشفع الى الملك فعساه يعود الى ما كان عليه .

فاستحضر الكاتب، وكتب اليه كتابا يدعو له فيه، ويثنى عليه ، ويعتذر اليه فى تأخره عنه، ويذكر أنه عرض لصاحبته فرى كيس عارض منعه عن المبادرة الى حضرته ، ولعل ذلك العارض يزول عن قريب فيسارع[7] للامتثال لأمره، والمثول فى خدمته . وختم الكتاب ، ودفعه الى كرسيوز فركب من وقته يركض عجلا لا يستريح ليلا ولا نهارا حتى وصل الى أخيه أفراسياب فى ثلاثة أيام .

---

(١) ك : لاستقباله . (٢) ك، طا : وأدى الرسالة . (٣) ك، طا : وقال فى نفسه .
(٤) ك، كو : له (لا) . (٥) ك : الأسد . (٦) صل : منك . والتصحيح من ك .
(٧) ك، كو، طا : الى الامتثال .

فسايله عن حاله ، وعن السبب فى استعجاله . فقال : إنى لم أستصوب التمكث لما شاهدت من صورة الحال ؛ اعلم أن سياوخس لم يلتفت إلىّ ثلاثة أيام ، ولم يستقبلنى . ولما دخلت عليه أقعدنى على[1] ركبتى دون تخته ، ولم يقرأ كتابك ، ولا أصغى الى رسالتك . وقد تواصل[2] اليه الكتب من ايران ، واجتمعت عليه عساكر كثيرة من الروم والصين . فإن أخذت معه فى طريق التأنى والتؤدة تفاقم شره وأعضل داؤه فيصعب تداركه وتلافيه .

ذكر مسير أفراسياب لقتل سياوخش، وما جرى عليه من ذلك

قال : ولما سمع أفراسياب كلام أخيه تجدّد حقده القديم، وثار داؤه الدفين، ولم يجبه من فرط الغضب بشىء، وأمر عسكره بالرحيل، وخرج من دار ملكه بمدينة كنك عازما على الفتك بسياوخش .

ثم ولما فارق كرسيوز سياوخش جاءته زوجته فرى كيس ، وقالت : مالك قد تغير لونك واصفر وجهك ؟ فقال : إنه قد تكدر مائى بتوران . فإن[3] كان الأمر على ما يقول كرسيوز فلا مكان لى من هذه الدائرة سوى المركز . فاضطربت فرى كيس، واشتعلت النار فى جوانحها ، وأذرت دمعها ، ونتفت شعرها ، ودقت صدرها ، وقالت[4] : أيها الملك فما تصنع ؟ وبمن تستجير ؟ فأما ايران فلا سبيل لك الى الرجوع اليها . وليس لك إلا العزيمة على المصير الى الروم . وطفقت تبكى وتلعن أفراسياب . فبقى سياوخش معها ثلاث ليال حليفى رنين وبكاء . فبينا[5] سياوخش عندها فى الليلة الرابعة اذ انزعج واضطرب وشهق . فسايلته عن حاله فقال : رأيت فى المنام بحرا من الماء، وجبلا من النار، قدامهما أفراسياب . ولما وقعت عينه علىّ قطّب، واضطرم غيظا . فهالنى ذلك، وخفت منه حتى كان منى ما رأيت . فقالت : لا تهتمن لذلك فهو خيرلك وشر لأعدائك . قال : فاستدعى سياوخش عند ذلك أصحابه، وقعد على باب إيوانه ساعة، وفرّق الطلائع حوالى المدينة . فلما كان بعد ثلثى الليل جاءه فارس فأخبره بظهور عسكر أفراسياب من جانب مدينة كنك . وجاءه فارس آخر من عند كرسيوز يخبره بأنه كلم أفراسياب فى حقه فلم يرد عليه جوابا ، وها هو قد جاء كالنار الموقدة . فدبّر أمرك ، وخلص روحك . ولم يفطن سياوخش لمكايد كرسيوز المحتال، وظنه صادق المقال . فقالت له فرى كيس : أيها[6] الملك ما عليك منا . اركب فرسا عدّاء لعله ينجو بك من شر أفراسياب، ولا تأمن فى هذه الأرض على نفسك . فقال لها : ما رأيته فى المنام واقع ، وحياتى قد نفدت ، و وفاتى قد دنت .

(٥٤)

---

(١) لك : على كرسى . (٢) لك : تواصلت . (٣) طا : وإن . (٤) طا : قالت له .
(٥) لك : فبينا . (٦) لك : أيها الملك (لا) .

وكذا عادة الدهر، يضع ما يرفع، ويهدم ما يبنى ويشيد . ولا بدّ من الموت وإن مرت على المرء الشهور والأعوام، وامتدّت به الليالى والأيام . وزعم صاحب الكتاب أنه قال لها : إنك حاملة من خمسة أشهر . وستقومين عن ملك مشهور . فسميه كيخسرو[1]، واسكنى اليه، وتسلى به عنى . وأما أنا فسوف تقطع رأسى بغير جرم، ويراق دمى بلا ذنب . فأغادر على التراب طريحا بلا تابوت ولا كفن، غريبا نازحا عن الأهل والوطن . ثم يأتيك حرس أفراسياب ، ويخرجونك حافية حاسرة . فيجىء بيران فيستوهبك من أبيك، فيشفعه فيك، ويؤمنك على نفسك، ويسلمك اليه[2] . فيحملك الى قصره فتلدين مؤنس قلبك، ويثمر غصن أملك . ويأتى من أرض إيران رجل يحتال فى أمرك ، ويحملك مع ولدك الى إيران، فيتسنم سرير الملك، وينتشر ذكره فى الشرق والغرب، ويأتى بعساكر إيران الى هذه الديار للانتقام لى والطلب بثأرى . ويجوس رستم خلالها بحوافر رخشه، ويزلزلها ببأسه وبطشه . ولا يزال فيها السيف .

ثم ودع فرى كيس، وقال : أنا على الذهاب . فوطنى نفسك على ما ذكرت لك، ولا تطمعى بعد هذا فى الراحة والدعة . ثم خرج من الايوان حليفا للإعوال والإرنان (١) ومضى نحو روابط[3] خيوله العراب ، فقرب منه فرسه الأدهم الذى[4] يسمى بهزاد ، فضم[5] رأسه اليه ، وساره فى أذنه ، ونعى اليه نفسه، وعزاه، وأمره بالتوحش وألا ينقاد لأحد بعده، ولا يمكن من ظهره غير كيخسرو حين يأتى طالبا لثأره . ثم عرقب خيوله المشهورة ، وركب مع أصحابه الإيرانيين آخذا فى طريق إيران .

فلما سار مقدار نصف فرسخ لحقه أفراسياب فى عسكره[6] فرأى سياوخش لابسا درعه ، وأصحابه يحذون حذوه فى ذلك . فقال فى نفسه: إن كرسيوز قد صدقنى فيما أخبرنى به عن حال سياوخش . فاصطف الايرانيون، وتأهبوا للقتال، وقالوا : قد أيسنا[7] من أرواحنا فلا بدّ أن نبلى عذرا، ونثبت فى مستنقع القتال حتى نقتل . فمنعهم سياوخش وقال : إن كان قد قدّر قتلى على أيدى هؤلاء الأشرار فلن ينفع الحذر من القدر . وما هذا بيوم قتال، وانما هو يوم تفويض واستسلام . فتعرض لأفراسياب

(١) فى الشاه : "بكى وانتحب وخرج من الايوان مغموما شاحبا" فالإعوال والإرنان فى قول المترجم كانا قبل خروجه الى الناس . وليس يعقل أن يخرج أمير كهذا على الناس باكيا بكاء الأطفال .

(١) فى الغرر : كيخسره . (٢) ك : ثم إنه يسلمك . (٣) ك، قو، طا : مرابط .
(٤) ك، طا : كان يسمى . (٥) كو : فزعم صاحب الكتاب انه ضم الخ . (٦) ك، كو، طا : عساكره .
(٧) طا : انا قد أيسنا .

وقال: أيها الملك العاقل! ماذا حدث وأوجب مجيئك فى أهبة الحرب؟ وكيف تقدم على قتلى بغير جرم وذنب فتثير نائم الفتن، وتشمل العالم بالمحن؟ فعارضه كرسيوز المنافق، وقال: كيف يسمع منك هذا الكلام وقد استقبلت الملك فى صورة المنابذ، وأهبة المحارب. فأمر أفراسياب[١] عسكره بوضع السيف فيهم، يعنى أصحاب سياوخش، فاشتعلت بينهم نار الحرب فى ذلك الفضاء، وتواردوا حياض الموت توارد الإبل الهيم مشارع الماء. وكان الايرانيون زهاء ألف فارس فقتلوا خلقا كثيرا من الأتراك حتى صار الأمر إمرا، وغمرتهم أمواج الفناء غمرا. وجرح سياوخش فى عدة مواضع من بدنه، وفارق ظهر فرسه، وقاتل ساعة راجلا. ثم أسروه وأتاه المعروف بكروزره، فشد يديه، ووضع غلا على عنقه. فساروا بالشاب الغرير[٢] راجلا[٣]، ولم يراقبوا الله فيه آجلا ولا عاجلا، وتوجهوا نحو مدينته التى بناها. فأمر به أفراسياب أن يعدلوا به عن الطريق الى سفح بعض الجبال، ويقطعوا هناك رأسه. فاجتمع عليه عند ذلك عسكره يقولون: أيها الملك! بأى جرم تقتل من يبكى عليه التاج والتخت، وينقلب بقتله الشرق والغرب؟ وكان كرسيوز يستعجله ويحرضه على الفراغ منه. وكان فى العسكر أخ لبيران يسمى بيلسم موصوف بالعقل والذكاء، فقال لأفراسياب: أيها الملك إن العجلة من الشيطان، وإن الندامة داء الأرواح والأبدان. من استعمل الرفق، وجانب الخرق لن تزل به قدم، ولا يعتريه ندم. وليس من الصواب أن تبادر بقتل من هو تحت قدرتك، وفى رق سطوتك. فالرأى[٤] أن تتركه تحت القد والأسر حتى تسكن نائرة سخطك، وتأمن غائلة غضبك، ثم ترى فيه رأيك. وعلى الجملة فليس من المصلحة أن تقتل ملكا يكون رستم قد رباه، ويكون كيكاوس أباه، فيهيجا[٥] لطلب ثاره، ويجتهدا لنيل أوتاره. ومن ذا الذى يقدر أن يثبت لفرسان ايران وأمرائهم المذكورين وآسادهم المشهورين، اذا سلوا سيف الانتقام، وتقحموا غمرات الموت الزؤام؟ مثل جوذرز وجرجين وطوس وفرهاذو ورستم بن دستان، وفرى برز بن كيكاوس. ولعل بيران يقدم فتسمع من كلامه ما عساه يصرفك عن هذا الرأى. فقال عند ذلك كرسيوز: أيها الملك لا تصغ الى كلام الشبان، ولا تغتر بمقالهم، وامض لما رأيت. وإن لم تفعل، واستبقيت سياوخش فارقتك ونجوت بنفسى الى زاوية من زوايا الأرض آمن فيها على نفسى. فانك إن آمنته خفنا معرته، ولم نأمن مغبته. وتقدم دمور، وكرو وقالا: أيها الملك! مالك تتردد فى قتل عدوك، ولا تقبل قول أخيك وتعلم أنه لا رأس لايران سوى هذا الذى حصل فى يدك؟ ولو لم[٦] نتعرض له فى الابتداء لكان الصواب أن تستبقيه.

---

(١) ك، كو، طا: عند ذلك أفراسياب. (٢) طا: العزيز. (٣) ك، طا: ذليلا راجلا.

(٤) طا: والرأى. (٥) صل: فيهيجان، ويجتهدان. (٦) ك، كو، طا: ولو أنك لم.

وأما الآن بعد أن جرى ما جرى، وأفنيت أصحابه أجمعين، وأصبته فى نفسه فالأولى أن تفرغ منه.
فقال لها أفراسياب: إنى لم أر منه ذنبا يوجب قتله، ولكن أخاف، على ما يقول المنجم، شره.
و إطلاقه الان أضرّ علىّ من قتله. مع أن قتله داء أجتره إلىّ. فبينا هو فى ذلك اذ جاءته ابنته فرى كيس مضرجة الوجنات بنجيع العبرات. فأجهشت اليه بالبكاء والعويل، وقالت: أيها الملك! إن سياوخش هاجر من أجلك أباه، وترك من رباه، وفارق دياره، و باعد أشياعه وأنصاره، واتخذك ملاذا ومفزعا. فما الذى صيرك بإراقة دمه مولعا؟ أما تعلم أن من يقتل أرباب التيجان لا يمتع بتاجه وتخته إلا قليلا من الزمان؟ فلا تجعل نفسك عرضة لسوء المقال، بقول كرسيوز المحتال. فيدعى عليك طول عمرك، ويختم لك بالنار فى آخر أمرك. ولقد بلغك ما أصاب الضحاك بسبب ظلمه وسفكه الدماء، على يدى أفريدون، وما أصاب تورا وسلما بظلمهما، على يدى منوجهر. أما تعلم أن كيكاوس قاعد على تخته، ورستم قابض على قائم سيفه؟ فما بالك تظلم نفسك، ولا تراجع رأيك وعقلك؟ فنظرت عند ذلك الى وجه صاحبها سياوخش وحاله، فطارت نفسها شعاعا، وكادت نيران زفراتها تنشر شعاعا، وصاحت بالويل والحرب. فاحترق عليها قلب أبيها، لكنه تجلد واستولت عليه القسوة فأمر بها فحبست فى بيت مظلم. والتفت كرسيوز الى صاحبه كُرو، فعمد الى سياوخش،[1] وجعل يسوقه بالإهانة والإذلال وأخو بيران يمشى خلفه باكيا. فالتفت اليه وودعه، وقال: اقرّ بيران عنى السلام، وقل له ما كان ظنى بك أن تخفر الذمام. قال: فعدلوا به عن الطريق الى الصحراء، فأضجعه كرو زره على التراب، وذبحه بخنجر تناوله من كرسيوز فى طشت من الذهب. قال صاحب الكتاب: و إنهم[2] لما سكبوا دمه نبت منه النبت المعروف الذى يسميه العجم بخون سِياوُشان.
وهو الذى يسمى فى بلاد العرب دم الأخوين. وهو الى الآن يجلب الى أطراف البلاد من ذلك المكان.

قال: ولما فرغ أفراسياب[3] من أمره ألقى عليه النوم، وغمرته غمراته حتى نام نومة عبّود أو كاد.
وهبت إعصار ثار منها عجاج أظلمت منه الآفاق حتى كان أحدهم لا يرى فيه صاحبه. ثم إن فرى كيس لما علمت بأن سياوخش قد قتل قطعت قرونها وخمشت خدودها، ورفعت صوتها بالبكاء والعويل، وأخذت تلعن أباها أفراسياب رافعة صوتها بلعنه حتى سمعه. فأمر أن تبرز من الحجاب، وتبطح وتضرب بالعصى حتى تسقط ما فى بطنها. فمشى بيلسم الى أخويه لهّاك وفرشيذ،

---

(١) ك، كو، طا: وأخذ بأذنه وجعل يسوقه. (٢) ك، وانهم (لا). (٣) كلمة «أفراسياب» ليست فى الأصل. والزيادة من ك، كو، طا.

وقال : الرأى أن نركب الى بيران ونعلمه الحال . فركبوا وأغذّوا السير حتى وصلوا الى بيران فى أقرب أوان ، وأخبروه بما جرى على سياوخش . فغشى عليه ، وخرمن تحته . ولما أفاق مزق ثيابه ، وبكى . فقال له بيلسم[1] : وإنه يريد أن يزداد داء على داء ، وينكأ قرحا على قرح . وذلك[2] أنه أمر بإخراج فرى كيس من خدرها ، وضربها حتى تسقط ما فى بطنها . فركب بيران من فوره ، وطرد حتى وصل الى باب أفراسياب بعد يومين . فصادف فرى كيس فى أيدى الحرس وقد سلوا الخناجر عليها يريدون قتلها ، والقيامة بسبب ذلك على الخلق قائمة ، وهم يضجون ويبكون . فلما وقعت عين فرى كيس على بيران أجهشت اليه فسقط بيران من فرسه ، ومزق ثيابه ، وأمر الحرس بالكف عنها والإمساك عن قتلها ساعة حتى يخاطب أفراسياب فى أمرها . فبادر اليه حتى دخل عليه فقال : أيها الملك ! ماذا[3] الذى صدر منك وفى أى شىء قتلت سياوخش ؟ وطفق يعنفه ويوبخه حتى انتهى الى حديث فرى كيس وقال : إن كان غرض الملك فى قتلها ألا يظهر منها ولد ينسب[4] الى سياوخش فانى أحملها الى منزلى ، فاذا وضعت حملت اليك ما وضعت ، فترى فيه رأيك . فوهبها أفراسياب له . فخرج وخلصها من أيدى الحرس ، وحملها معه الى خُتَن ، فدخل بها الى إيوانه ، وأمر زوجته كُل شهر بأن تقوم على رأسها ، وتخدمها كما تخدم الأمة لمولاتها .

ذكر ولادة كيخُسرَو

قال : وبينا بيران نائم فى بعض الليالى اذ رأى فى نومه شمعة قد أشعلت من نور الشمس ، وسياوخش عندها وبيده سيف مسلول وهو يقول : ارفع رأسك من النوم ، وانظر الى ما يصير اليه حال الدنيا . فهذا العيد المبارك قد حضر ، والليلة ليلة ضيافة كيخسرو . ففزع بيران واستيقظ ، وقال لزوجته كُل شهر : قومى وادخلى على فرى كيس ، وانظرى . فقد رأيت مناما عجيبا . وقص عليها رؤياه . فقامت ودخلت عليها فصادفتها قد وضعت وبشرت بيران بما رأت ، ودعته الى الدخول عليها والنظر الى ولدها الذى لم ير مثله . فقام . ولما أبصره امتلأ سرورا ، ونثر عليه نثارات كثيرة ، وبهت لما شاهد من حسن قده ، وكمال خلقه . فجعل يبكى على سياوخش ، ويدعو على أفراسياب . ثم خرج وقال : لا أمكن الملك من هذا الصبى وإن نالنى بكل مكروه ، وقصدنى بكل محذور .

---

(١) طا : أخوه بيلسم . (٢) ك ، كو ، طا : وذاك . (٣) ك ، كو ، طا : ما هذا .
(٤) طا : ينتسب .

قال : ولما[1] أصبح بكر سائرا الى حضرة أفراسياب . فلما وصل دخل ، وانتظر خلو المجلس وتفرق القوم . ثم دنا من التخت وقال : أيها الملك ! قد زيد فى عدد عبيدك عبد كأنه صورة العقل . لا يشبهه أحد على بسيط الأرض . يشرق من مهده إشراق الهلال الزاهر . ولو عاش تور لقرت به عينه . وكأنه أفريذون قدا ورواء وشكلا وبهاء . فسر بذلك أفراسياب حتى كأن الله انتزع[2] ما كان فى قلبه من العداوة والبغضاء ، وتنفس متلهفا على سياوخش ، وقارعا سن الندم على ما سبق منه اليه . وقال لبيران : إنى قد بلغنى عن هذا القادم الجديد عجائب كثيرة . وقد ذكروا أنه يظهر من نسل تور وكيقُباذ ملك يستولى على جميع ممالك توران وايران . وأرى أنه هذا المولود . والمقدور لا محالة كائن ، ولا يؤثر فيه هم وفكر ، والآن فلا تربّ هذا المولود بين ظهرانى الناس ، ولكن سلمه الى بعض الرعاة ليربيه فى الجبال ، حتى لا يفطن لما بينى و بينه من القرابة ، ولا يعلم ماوقع بينى و بين أبيه من العداوة .

فخرج بيران ممتلئا فرحا وسرورا حيث جرى الأمر على وفق مراده . فطفق يحمد الله تعالى على ذلك و يشكره . ثم استدعى رعاة كانوا يرعون النعم فى جبل هناك ، وسلم الصبي اليهم . وقال : ليكن هذا عندكم بمنزلة أرواحكم من الأشباح ، مصونا من كل شيء حتى من الريح والتراب . فتسلموه ونشأ بينهم . فلما أتت عليه سبع سنين من عمره تحرك منه العرق الشاهنشاهى ، وسما به الطبع الخُسَروانى ، فعمد الى عود فاتخذ منه قوسا ، وعمل لها وترا من أمعاء الغنم ، وأخذ نشابا بلا ريش ولا نصل ، وجعل يتبع الصيد فى الصحراء و يتصيد . وكان ذلك دأبه حتى استكمل من العمر عشر سنين فصار يصطاد الخنازير والذئاب والنمور والسباع . وكان لا يعجبه غير ذلك . فخاف[3] الرعاة عليه وجاءوا الى بيران يشتكون ، وقالوا : إنه كان فى الأول يصطاد الغزلان واليعافير فصار يصطاد الذئاب والخنازير . وهو الآن لا يتبع فى صيده إلا الأُسد والسراحين . و إنا نخاف عليه من ذلك ونخشى أن يصيبه مكروه فنتعرض لسخطك . فضحك بيران عند ذلك ، واستفزه الشوق اليه ، فركب الى الجبل الذى هو فيه ، فأتوه به . فلما وقعت عينه على بيران بادر[4] وقبل يده . فنظر بيران فى وجهه فرقّ له واعتنقه وضمه الى صدره ساعة . فقال له كيخسرو : أيها الملك ! كيف تعانق ابن راع يرعى الغنم ، ولا تعافه ؟ ودعا له . فازداد بيران له حبا حتى كاد يحترق قلبه عليه فقال : يا أيمن الأولاد ، و ياسلالة الملوك الأمجاد ! ما أنت من أولاد الرعاة بل أنت سيد السادات . فاستحضر له الثياب الخسروانية ، والمراكب السلطانية فأركبه ورجع به الى إيوانه ، وجعله فى حجره يربيه ويكفله ، حتى مضت على ذلك سنون .

---

(١) لك ، كو : فلما أصبح . (٢) لك ، كو : قد انتزع . (٣) طا : خافت . (٤) لك : بادره .

فبينا هو ذات ليلة قاعد فى إيوانه إذ أرسل اليه أفراسياب يدعوه الى حضرته . فلما حصل عنده أخذ معه فى أنواع من الحديث ثم قال : كيف يليق أن يكون سبط أفريذون راعيا بين الرعاة؟ فانظر فان كان لا يذكر شيئا مما جرى من قبل فلا ينبغى أن يترك على حاله بين الرعاة فى رءوس الجبال . ومهما صدر منه ما نكره قتلناه واسترحنا منه . فقال بيران : أيها الملك! إنه صبيّ صغير لاحس عنده ولا عقل له ،ولا خبر عنده من الأحوال التى مضت، وكأنه شبه المجنون . فأمر بإحضاره . فامتنع بيران . ثم استحلفه على ألا يصيبه بمكروه فحلف له على ذلك . فرجع بيران الى إيوانه ، وأحضر كيخسرو ، وقال له : اذا دخلت على الملك ففرغ من العقل دماغك ، وأخل من الأدب نفسك . فاذا سألك عن شيء فلا تجبه إلا عن ضدّه وتجانن عنده، وعدّ نفسك أجنبية من كل معقول حتى تخلص منه . ثم خرج به حتى قدم على أفراسياب . فلما رآه تعجب منه وجعل يتأمل قدّه وقالبه وشكله وشمائله ، فتغير لونه . فبقى ساعة ينظر اليه ثم قال[1] : أيها الراعى الجديد! كيف ينقضى عليك الليل والنهار؟ ولماذا تدور خلف الغنم؟ فقال : ليس عندنا صيد ولا نشاب ولا قوس . ثم سايله عن معلّمه، وفاوضه فى الخير والشر وتصاريف الدهر فقال : أيما كان النمر مزق قلب الرجل الجرىء . ثم سايله عن أبيه وأمه وعن إيران وتوران فقال : الكلب لا يغلب الأسد . فضحك أفراسياب، وأقبل على بيران، وقال : كأنه لا قلب له ، فإنى اذا سألته عن الرأس أجابنى عن الذنب . وكأنه لا يقع منه محذور . وطالب الثار لا تكون هذه صفته . فسلمه الى أمه، وسرحهما الى مدينة سياوخش كرد، ولا تمكن أحدا يعلمه الشر من أين[2] يدور حواليه . فخرج بيران مسرور القلب بسلامة كيخسرو الى إيوانه ، وطفق يحمد الله[3] ويشكره على ما جرى فى ذلك المجلس . ثم أطلق له من خزائنه جملة من الذهب والفضة والخيل والأسلحة والمفارش والملابس ، وسرحه الى مدينة سياوخش كرد . فدخل المدينة مع أمه فرى كيس ، فاجتمع عليهما الناس يبكون على سياوخش ، ويشكرون الله تعالى إذ أخرج من تلك الجرثومة الكريمة غصنا نضيرا، وجعل خلف ذلك القمر هلالا منيرا .

هذا منتهى الخبر عن مقتل سياوخش وما اتصل به . والآن نشرع فى ذكر نهوض الايرانية لطلب الثأر، وتخليصهم لكيخسرو عن تلك الديار، وما يتعلق بذلك إن شاء الله تعالى .

---

(١) طا : قال له . (٢) ك ، كر ، طا : من أن يدرر . (٣) ك ، كر : تعالى .

ذكر الخبر عن اطلاع كيكاوُس على قتل ابنه سِياوَخش، وما جرى بعد ذلك

قال : ثم انتهى الخبر الى كيكاوس بمقتل ابنه سياوخش فنزل عن التخت وجلس على الأرض، وشق عليه الثياب، ووضع على رأسه التراب، وحضرته الإصبهبَذية والأمراء حفاة فى ثياب السواد وزىّ الحداد ، تسيل أحداقهم بسيول الدموع، وتتضرم زفراتهم بين أحناء الضلوع . وانتهى الخبر بذلك الى رستم بن دستان وأبيه . فأما رستم فغشى عليه وخر صعقا . وأما أبوه فانه جعل ينتف شعره، ويضرب نحره، كأنه فجع بالروح . وصار كالغرق بين[1] دمعه المسفوح . فقعد[2] فى المأتم أسبوعا . فلما كان اليوم الثامن ركب رستم فى عساكره، وسار الى حضرة كيكاوس فدخل عليه حافيا قد نثر التراب على رأسه، ومزق الثياب على بدنه . وقال : أيها الملك ! قد حصدت ما زرعه سوء تدبيرك، واجتنيت ماأثمرته شراسة خلقك . وإن عشق سوذابه قد أزال تاج العقل من[3] رأسك ، ومكن سكر الغفلة من دماغك حتى افضى بك ذلك الى أن عرضت سياوخش للهلاك الى أن استباحت الأعداء دمه . والموت خير من طاعة النساء، ومتابعة الهوى، وجعل يندب سياوخش ويتلهف على شمائله، وينوح على فضائله ، ويحلف ليطلبن بثأره ، وليتقمن له من أعدائه (ولحظ كيكاوس عند ذلك رستم ودموعه جارية على خده[4]) فبكى ولم يحر جوابا عما قال . فقام رستم واقتحم على سوذابه، وألقاها من تختها ، وجرها بقرونها حتى أخرجها من خدرها فوسطها فى الطريق بنصفين ، وأقبل كالأسد الغضبان حتى جلس على باب الايوان . واجتمع[5] عليه أهل إيران ، وقعدوا معه للعزاء يبكون ويضجون الى تمام أسبوع .

ثم أمر بضرب الكوسات والبوقات . فحضر جوذَرز وطوس وفرهاد وشيدوش فى جميع الإصبَهبَذين والقواد والأمراء والأجناد . وحضر فرى بُرز بن كيكاوُس . فلما اجتمعوا تكلم عليهم رستم وقال لهم : لا تستصغروا هذا الأمر ، وتشمروا للطلب بثار سِياوَخش فانى قد وطنت نفسى على أن أتوغل بلاد أفراسياب، وأجعل نفسى وقفا على الحرب حتى آخذ بثار سياوخش أو أقتل كما قتل . فوافقوه على ذلك . وجمعوا العساكر وتأهبوا للسير . فاختار رستم اثنى[6] عشر ألف فارس، وضمهم الى ابنه فرامَرز، وجعلهم مقدّمة للعساكر . فتقدّم أمامهم حتى وصل الى اسفيجاب . وكان عليها من جهة أفراسياب ملك يسمى ورازاذ . وكان من أعيان ملوك الترك . فلما سمع بهم ركب

---

(١) ك : من دمعه . (٢) كو : فقعدا . (٣) ك ، كو : عن رأسك .
(٤) مابين القوسين من ك، كو، طا . (٥) ك ، كو ، طا : فاجتمع . (٦) ك ، بصل : اثنا عشر .

فى ثلاثين ألف فارس من أصحابه ، وتلقى فرامرز وسايله عن اسمه ، وقال : كيف تجاسرت أن تطأ هـذه الأرض ؟ فأبرق وأرعد وهدّد وأوعد ، وقال : أنا فرامَرز بن رُستَم . وها هو ورائى يتلظى كالنار متشمرا للانتقام ودرك الثار . فتصاف العسكران عند ذلك ، وقامت الحرب على ساق فقتل فُرامرز ورازاذ ، وانهزم عسكره . فكان أوّل قتيل اعتدّ به فى ثار سياوخش . ثم أمر بإحراق مدينة اسفيجاب ونهبها ففعلوا ذلك . وتناهى الخبر الى أفراسياب فأخذه المقيم المقعد ، فأعدّ واستعدّ ، وجمع العساكر ، وقدم ابنه سرجه(١) فى عشرة آلاف فارس . فسار طليعة لهم ، واستقبل فرامرز . فلما التقى الفريقان جرى بينهم قتال عظيم ، فبارز سرجه فرامرز فأبلى وأفرغ وسعه . فلما رأى أنه لا طاقة له بفرامرز عطف عنانه وتأخر . فأتبعه فرامرز كالريح العاصف ، والعقاب الخاطف ، فاستلب مَنْجَه من سَرجه ، وقبض عليه أسيرا ، وعاد به الى معسكره . وبدت فى تلك الحالة أعلام رستم مقبلة متواصلة . فاستقبله ابنه البهلوان الجديد ، والفارس(٢) البطل الجليد ، وبين يديه أسيره سرجه . (فلما رآه أبوه سرّ به وبلقائه وارتاح لما رأى من آثار بلائه ، ونظر الى الشاب المأسور فرآه ذا زور كزور الهزبر وقدّ كقدّ السرو ووجه(٣)) كالقمر ليلة البدر قد توشح عارضاه بخط من الشعر الرقيق كالكافور المفروز بالمسك السحيق . فأمر بقتله . فرق له طوس ، وراجع رستم فى أمره . فأبى وأشار أن يؤخذ به الى الصحراء ، ويضجع على التراب ، ويذبح فى طست ، حسب ما فعلوه بسياوخش حذو النعل بالنعل . ففعل به ذلك .

وبلغ الخبر بقتله الى أفراسياب فمزق ثوبه وبكى . ثم أمر عسكره بالجدّ والتشمير ، وحرضهم على الثبات والصدق فى لقاء الايرانيين . فأصمّوا مسامع الأرض بأصوات الطبول ، وتشذروا صهوات الخيول ، وتقدّموا كجبال الحديد ، كأنما يشقون الأرض بالإرعاد والوعيد . فسمع بذلك رستم فتلقاه بصفوفه المرصوفة(٤) وجموعه الموصوفة(٥) يخفق عليهم لواؤه المنصور ، ودرفش كابيان الميمون . فاحمر البأس وحمى الوطيس . فقال بيلسم أخو بيران عند ملتحم القتال لأفراسياب : أنا أبارز اليوم رستم ، ولا أبالى ببأسه وبطشه ، وآتيك برأسه ورخشه . فقال : إن فعلت ذلك زوّجتك ابنتى ، وملكتك ثلثى ممالك توران . فانتهره أخوه بيران ، وقال : لا تتعرّض للهلاك . وأخذ يمنعه من ذلك . فلم يقبل من أخيه ، وخاض غمرة الموت فصاح بالايرانيين ، وقال : أين رستم الذى تزعمون أنه كالثعبان عند الضراب والطعان ؟ فلما سمع ذلك جيو استشاط متنمرا ، وانتزع الجرز من حلقة سرجه ، وبرز اليه ،

(٥٧)

---

(١) اسمه فى الشاه : سُرخه . (٢) لك : الفارس (لا) . (٣) مابين القوسين من لك ، كو ، طا .
(٤) لك ، كو : المرصوعة . (٥) لك : وجموعه المرصوفة الموصوفة .

وقال : إن رستم يأنف(١) من مبارزة تركى مثلك . فثار(٢) كل واحد منهما الى صاحبه فطعن جيوا طعنـة أزالت قدميه عن ركابيـه . فتصدّى له فرامرز وضرب رمحه بسيفه فقطه . وجعلا يتقاتلان ويتصاولان . فنظر رستم اليهما من بعيـد فأمر العساكر ألا يتحركوا من موقفهم . وأشرع(٣) رمحـه ، وركض رخشه ، وأقبل على بيلسم فطعنه طعنة اختطفه بها من(٤) ظهر الفرس ، وجدّله قتيلا . فانكسر قلب أفراسياب عند ذلك ثم اقتحم بنفسه غمرة الحرب . فتلاطمت الصفوف ، وتشاجرت الرماح(٥) والسـيوف ، وتتابعت الحملات على طوس فى الميمنة حتى تزلزل قدمه ، وأحجم عسكره ، وانكشف جمعه . ثم أقبل أفراسياب على رستم فى القلب يتابع الحملات عليـه ، فطعن رستمَ فى خاصرته طعنة كادت أن تأتى عليه غير أنه لم ينفـذ سنان رمحه فيه لمكان منطقته . فثار عند ذلك رستم وشدّ عليه وطعنه طعنة أذرته(٦) عن ظهر فرسه . وهم رستم أن يأخذه بمعاقد منطقته ، فلحقه هومان أحد أمراء الترك ، فضرب رستمَ فيما بين كتفيه بعمود كان معه . فنجا أفراسـياب ، وركب فرسا آخر . فسر أصحابه عند ذلك بسلامته ، ووضعوا الرماح على أكتافهم ، وولوا هاربين . فأتبعهم رستم ثلاث فراسخ ثم رجع بظفره الى معسكره . وهرب أفراسياب حتى لم يطلع أحد على خبره .

ذكر استيلاء رستم على بلاد الترك وسلطته بها

قال : فركب(٧) فى جميع من كان معـه من الايرانيين ، وسار حتى انتهى الى بحر الصين . وجلس على تخت أفراسياب ، واستولى على خزائنه(٨) وأمواله وكنوزه وذخائره . فأعطى طوسا تختا من العاج ، وكتب له منشورا على ممالك الشاش ، وأوصى اليه بالاحسان الى من دخل تحت الطاعة من الرعية ، ووضع السيف فيمن يظهر من الأعداء . ونفـذ الى جوذرز تختـا من الذهب مع طوق وقرطين ، وعقد له على اسفيجاب والسغد . ونفذ الى فرى بُرز بن كيكاوس جملة من الجواهر والنفائس ، وقال له : أنت أخو سياوخش فشدّ وسطك لطلب الثار ، ولا تركن الى السكون والقرار . قال : واستفاضت الأخبار فى جميع ممـالك توران بجلوس رستم على سرير الملك ، وقيامه مقام أفراسياب . فانثالوا على حضرته بالهدايا والتحف . فتلقاهم بعاطفة الأمان وشملهم بالعدل والاحسان .

---

(١) ك ، طا : لي‍أنف . (٢) ك : فبادر . (٣) صل : جرد رمحه . والتصحيح من ك ، كو ، طا .
(٤) ك ، طا : عن ظهر . (٥) ك ، طا : الأرماح . (٦) ك ، كو : أردته . (٧) كو : ولما كان من الغد ركب رستم الخ . (٨) ك كو ، طا : ذخائره وأمواله وكنوزه وخزائنه .

ثم أقبل على الصيد والطرد . ومكث على هذه الصفة فى تلك الديار سنين عدّة . فقال له أخوه زواره ذات يوم : إنا لم نقصد هذه البلاد إلا للأخذ بالثأر . فما بالنا لا نضع فيهم السيف، ونسلط عليهم يد الأسر والنهب؟ فحرك من أخيه قلبا ساكنا، ونفر منه طيرا واقعا، ووافقه على هذا الرأى. فشنوا الغارات على أهل تلك الممالك ، وسلطوا عليها أيدى الفساد والإبادة حتى محوا منها آثار العمارة . وما تركوا من حدود توران الى حدود الروم وسقلاب مدينة إلا أحرقوها، ولا ضيعة إلا خربوها ونهبوها ،وقتلوا كل من وجدوا فيها من الكهول والشبان،وسبوا من عداهم من النساء والصبيان فضج من بقى من أهل تلك الديار، وقصدوا رستم، وقالوا : إنا برآء من أفراسياب ، ولسنا نريده أبدا . ولا نعرف أين توجه . وأنت بعد أن تمكنت(١) من هذه الديار وأهلها فانظر بعين الرأفة والرحمة الينا ، وكف يد القتل والنهب عنا . فأقصر عند ذلك عنهم ، ورحل وساق عساكره حتى نزل فى بلد سماه من تلك البلاد . وجمع عنده الأمراء والقوّاد والإصبهبذية، وقال : إن كيكاوُس قاعد وحده على التخت ، وليس على بابه أحد من الأمراء والأكابر . ولا نأمن مكر أفراسياب ، وأن يخرج من بعض الأطراف ويقصده فلا يجد من يدفعه ، ويقع محذور لا يطاق . ونحن فقد أدركنا ثأرنا، والرأى أن نعاود حضرة ذلك الملك الكبير . فاستصوبوا ما رآه . فأمر بجمع السبايا وضبطها. فبلغ عدد من كان منهم(٢) من قرائب(٣) أفراسياب اثنى عشر(٤) ألفا،فضلا عمن صاروا جزر الرماح والسيوف وطعم الوحوش والطيور . وأوقروا الفيلة بنفائس الجواهر ونوافج المسك ، وانصرفوا راجعين . فلما وصلوا الى نيم روز تلقاهم دستان ، وأقام رستم هناك . ورحل طوس وجوذرز وسائر الإصبهبذيه والأمراء والقوّاد طالبين حضرة كيكاوس فوصلوها سالمين غانمين .

٥٨

قال : ولما رجع الإيرانيون وخلت منهم بلاد الترك ظهر أفراسياب من أقصى المشرق فصادف قصوره رمادا تذروه الرياح ، ومساكنه معطلة تأوى إليها الوحوش والسباع . فجمع من أصحابه وأهل مملكته،ممن أفلتوا من مخالب المنون، جماعات مجمعة وأوشابا(٥) مختلفة.فاستأنف(٦) الأمر، وجعل يستعد ويحتشد الى أن كثف سواده، وكثرت عدده وعتاده.وحرضهم على الاهتمام للانتقام، وقال : لا تكسرن قلوبكم باستيلائهم على ديارنا هذه المرة . فانى سوف أجزيهم كيل الصاع بالصاع، وانتقم منهم بحز الكفاح وصدق المصاع . فكان يعيث فى أطراف ممالك إيران ، ويفسد فيها على عادته الذميمة وسيرته القبيحة . على ما سيأتى إن شاء الله .

---

(١) ك كو، طا : مكنت . (٢) ك : معهم . (٣) ك : قرابة . (٤) ك، صل : اثنا عشر .
(٥) طا : أوباشا . (٦) ك، و : واستأنف .

ذكر رؤيا جوذَرز وإنفاذه جِيوا الى بلاد تركستان لطلب كيخُسرَو، وتخليصه[1] له

قال : وكان جوذرز بن كشواذ ذات ليلة نائما إذ رأى فى منامه سحابا كثير الماء ، فى أعنان السماء . وفيه ملك يناديه ويقول له : أرعنى سمعك ، اعلم أن فى بلاد توران ملكا مذكور الاسم يسمى كيخسرو . وهو ابن سياوخش، ينتمى من جهة أبيه الى كيقباذ، ومن جهة أمّه الى تور بن أفريذون . وأنه اذا قدم إيران نال كل ما أراد ، وشد وسطه لطلب ثار أبيه ، ثم لا يفتر حتى يملك بلاد الترك عنوة وغلابا، فتصير من وطأته خرابا يبابا . ولا يخلص إليه غير جيو من أهل إيران وأكابرها . فانتبه جوذرز مسرور القلب منشرح الصدر .

ولما أصبح جلس على تخته، ودعا بولده جيو ، فقرظه ومدحه، وقص عليه رؤياه، وحرضه على المسير الى بلاد الترك لطلب وارث الملك . فتلق جيو أمر أبيه بالسمع والطاعة . ولما كان[2] الغد شدّ عليه سلاحه، وركب فرسا ، فدخل على أبيه، وقال : يا بهلوان العالم! يكفينى هذا الوهق وهذا الفرس . فانه لا يمكن الدخول الى تلك الديار بأكثر منهما . وهأنا[3] قد عزمت . وسوف أعود، بسعادتك، بقلب مسرور وسعى مشكور . وخرج وهو يبكى ويتوجع . ومضى حتى دخل بلاد الترك . فتوغلها وحيدا كالعلم الفرد، والأسد الورد. وكان كلما رأى واحدا من أهلها خاطبه بالتركية، وسايله عن كيخُسرو . فان قال « لا أعرفه » طير رأسه، ووارى بالتراب شخصه حتى لا يعلم أحد خبره ، ثم مضى لشأنه . ومكث كذلك يدور فى بلاد توران راجيا للوقوع على أثر[4] كيخُسرَو حتى أتت عليه سبع سنين، لم يضع فيها ساعة سلاحه ، ولا أراح يوما فرسه ، ولا يأكل غير لحوم الوحش ، ولا يلبس غير جلودها، يسير بين الجبال والشعاب بعيدا عن الأحباب والأصحاب، حليفا للوجوم أسيرا للهموم . وكأنما تكلم على لسانه مترجم الكتاب الفتح بن على ، حيث باح بشكوى الاغتراب حين شطت داره، وآمتدت أسفاره، حيث قال فى كلمة[5] له :

فياصاح استمع أبثك[6] شكوى	نزيع لا يرى يوما قرارا
بعيد الدار من أعلام جىّ	تغرب يركب الخطط الغبارا
فيوما بين وحش الريف ضيفا	ويوما عند ذئب القاع جارا

(١) ك : وتحصيله له . (٢) ك، طا : من الغد . (٣) ك، طا : هأنذا . (٤) ك، طا : أثر من .
(٥) كو : كتبها الى والده أبى الحسن البندارى رحمه الله بأصبهان . (٦) ك : أنبيك .

تكالفه خطوب الدهر حتى ... كأن لديه للأيام ثارا
وتغزوه بجيش بعد جيش ... وها هو يوسع الكل انكسارا
بصولة نافض عن لبدتيه ... حكت أظفاره الأسل الحرارا
وسطوة رابض فى ظل بأس ... يشق به على الفلك الصدارا

وكما عاد جيو بلدىّ هذا العبد إصبهانّ، بعد أن طالت سفرته ، وتمادت غربته ، مقرون السعى بالنجاح، فائزا بالمعلّى من القداح فكذلك هو يرجو أن يثنى عنانه ، و يعاود أوطانه ، صاعد الجد، وارى الزند، بسعادة مولانا السلطان الملك المعظم ، سيد ملوك العرب والعجم — لا زال ممتعا بالبقاء، متلفعا بملابس المجد والسناء آمين .

ثم فانتهى جيو ذات يوم الى مرج كثير النبات معشب الجنبات، فقلع لجام فرسه، وأرسله يرعى، وقعد متفكرا فى حاله وما يعانيه من وعثاء سفره ، وقال فى نفسه : كأن كيخُسرَو لم يولد، و إن كان قد ولد فقد مات وفات . فبينما هو كذلك متحيرا واليأس آخذ بمخنق أمله ، والندم قارع سن عمله إذ تراءى له من البعيد شخص كالقمر الطالع والسرو الباسق، بيده جام من الرحيق ، و فى رأسه طاقات من نوار الأرض وأزاهيرها، يترقرق فى وجهه ماء السعادة وتلوح فيه آثار السيادة، كأنه معتصب بتاج السلطنة وقاعد على تخت المملكة . فقال جيو فى نفسه : يشبه أن يكون هذا مقصودى ومن أنا باذل فى طلبه مجهودى . ثم إنه لما وقعت عينه على جيو أقبل اليه وهو يضحك . فتلقاه جيو، وقال : أيها الملك[1] الشهريار الكبير! ما أشك أنك كيخسرو بن سياوخش . فقال : وأنا ما أشك أيضا أنك جيو بن جوذرز . فقال : أيها الملك ! من أخبرك عن جوذرز ؟ ومن أين تعرف جيوا؟ فقال : أخبرتنى بذلك أمى عن أبى سياوخش . فانه حين أوصى اليها أخبرها بأنك تقدم من نواحى إيران، وتستصحبنى اليها . فقال جيو : أيها الملك ! وما الذى معك من علامة الكيانية ؟ فكشف عن جسمه، وأراه شامة سوداء فى عضده كنقطة من المسك على عمود من الكافور . وتلك علامة صحة[2] النسب واتصاله بكيقباذ . فلما رآها أكب عليها يقبله ويبكى . ثم سايله عن إيران وعن الملك كيكاوس وعن جوذرز وعن رستم بن دستان . وخرجا معا من ذلك المرج . وطفق كيخسرو يسايل جيوا عن حاله وما[3] تحمله فى مدّة سبع سنين من سفره، وعن مطعمه ومشربه. فأخبره عن منام جوذرز وخروجه بسبب ذلك ، وأخبره بضعف كيكاوس بالكبر ، وانكساره بمقتل

---

(١) ك ، كو ، طا : الملك (لا) . (٢) ك : صحة (لا) . (٣) صل : و بما مله . والتصحيح من طا .

سياوخش . وعرّفه خراب ممالك إيران، وما ظهر فيها من العيث والفساد . فأثر ذلك فى قلبه حتى ظهر على وجهه . فقال له : أما أنت فقد تعنيت عناء شديدا ، وتعبا كبيرا . وستجنى ثمرة ذلك، وتلق جزاءه . فركب فرس جيو وهو يمشى بين يديه راجلا ، وفى يده سيف مسلول يطير به رأس كل من لق . وانتهيا الى سياوخش كرد[1] فدخلاها ، وأخبرا فرى كيس[2] بالحال . واجتمعوا يتشاورون فصمموا العزم على الهرب . وقالت فرى كيس : إن لم نبادر على الفور فاتتنا الفرصة ، وضاق بنا الأمر، واطلع أفراسياب على الحال، فلا يبق منا أحدا . وأخرجت سرج فرس سياوخش المسمى بهزاد الذى أوصاه بالتوحش، كما سبق . وأشارت عليه أن يخرج هو وجيو به الى مرج قريب ذكرت أن ذلك الفرس يرعى فيه، وأنه اذا رأى هذا السرج عرفه ووقف . فأمرت كيخسرو أن يسعى اليه عند ذلك، ويمسح غرته ويلاطفه، ويسرجه ويلجمه، ثم يركبه . فصار الى ذلك المرج، وجرى الأمر على ما ذكرت، وعاد بالفرس الى أمه . ففتحت باب كنز[3] لسياوخش مملوء بالجواهر والنفائس، والأسلحة والعدد . وقالت لجيو : ارفع من هذا الكنز ما اشتهيت من الجواهر والنفائس . فاختار جيو درعا كانت لسياوخش . وحملوا من ذلك ما استطاعوا . وأوثقوا باب الكنز . ثم ركب كيخسرو وأمه فرى كيس وجيو، وخرجوا من المدينة ، وأخذوا فى طريق إيران يسوقون كالريح العاصف والبرق الخاطف . فلم ينكتم أمرهم على أهل المدينة ساعة واحدة فأنهوا الحال الى بيران . فاهتم من أجل ذلك واضطرب ، وأركب أمراءه : بولاذ وكلباذ ونستيهن فى ثلثمائة فارس من أعيان العسكر، وأمرهم بالركض فى آثار القوم والقبض عليهم . فركبوا يطردون خيلهم، ويقصون أثرهم حتى قربوا منهم . فرآهم جيو من بعيد فركب وخلى صاحبيه، وكانا نائمين، وتلقاهم غير مفكر فيهم، فوقع فيهم كما يقع الأسد الضارى فى قطيع من[4] الغنم، فجرى بينه وبينهم مقتلة عظيمة، وقتل أكثرهم، فرجعوا خائبين، وعاد جيو الى مكانه سالما ، وحدّث بما جرى كيخسرو وأمه، فحمداه ودعوا له . ثم ركبوا وعدلوا عن الجادة الى طريق غامض ، وساروا طردا وركضا .

قال : ولما رجع أمراء بيران اليه استخبرهم عن حالهم وعن الهاربين الذين ساروا فى طلبهم ، فشرع كلباذ يحكى ما جرى عليهم . فغضب بيران وصاح عليهم ، وجعل يعض على يديه ، فركب فى طلبهم فى ألف فارس ، وحرضهم على الجدّ، وقال[5] : لو حصل كيخسرو وجيو فى إيران لصارت نساؤها كالأسود، ثم لا يتركون من ديارنا نجما ولا شجرا، ولا يبقون لها عينا ولا أثرا . وسار فى أثرهم،

(١) ك : مدينة سياوخش . (٢) كو : فرنكيس . (٣) ك ، كو ، طا : كنز كان .
(٤) ك : قطيع الغنم . (٥) صل : كان . والتصحيح من كو ، ك .

ولم يزل يطرد و يسوق حتى وصل الى واد عميق كثير المـاء، فتفرق العسكر فى طلب المخاض . وقد كان جيو مع صاحبيه قد عبروا فى تلك الساعة، ونام هو وكيخسرو، وقعدت فرى كيس على الرصد تحفظ الطريق . فلمـا رأت أن الطلب قـد أدركهم أيقظت النائمين . فقام جيو ولبس الدرع . وقال له كيخسرو : لا بد أن أركب معك، ونتاتل القوم جميعا . فمنعه جيو وأشار عليه بأن يصعد مع أمه الى جبل هناك يشرفان منه على العسكر . وقال : ليس فى إيران من يصلح للملك غيرك . فلا ينبغى أن تعرض نفسك للمحذور . وأما أنا فإن قتلت فلأبى[١] ثمانية وسبعون ابنا كل واحد منهم مثلى، ويقع خلفا عنى . ثم ركب وتلقاهم الى شط النهر. فلما رآه بيران من ذلك الجانب صاح عليه، وجعل يشتمه، وقال : أتحسب أنك تدخل وحدك هـذه الممالك ثم تنجو بنفسك . ولو كنت من الحديد فلست إلا رجلا واحدا . وستحيط بك الفرسان فيمزقون هذه الدرع عليك شققا، و يفرقون أوصالك فرقا . فقال له جيو : أيها الفارس المقدام! إن كنت رجلا واحدا وأنت فى ألف فاعبر هذا المـاء ، وانظر كيف تكون العاقبة . فغضب[٢] وخاض المـاء حتى قطعه . فاحتال عليه جيو، بعد أن قاتله ساعة ، فولاه ظهـره وهرب مستجرا له حتى بعـده عن أصحابه . ثم كر فتقاتلا قتالا عظيما، فولى منـه بيران منهزما، فاتبعه، وحل وهقا كان معه وحلقه عليـه، فأوثقه ورماه الى الأرض واستأسره[٣]، وقيد يديه و رجليه، وطرحه الى التراب[٤] فى تلك الصحراء . وأخذ سلاحه فلبسه، و ركب فرسه ، وأخذ رمحه، و رجع عائدا الى شط النهر، فعبر المـاء، وهم يظنون أنه بيران . فلما خرج اليهم سل سيفه وقاتلهم حتى هزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا . ثم رجع وعبر المـاء، وجاء الى بيران، وأراد أن يقطع رأسـه بخزه على التراب مقيدا الى أن انتهى به الى كيخسرو وأمه ، وقال : اغتر سياوخش بقول هذا الخبيث حتى توغل تلك الديار، وأصابه ما أصابه . فلا بد من قتله . فطرح عنـد ذلك بيران نفسه بين يدى كَيْخُسَرو ، وقبل الأرض ، وقال : أيها الملك ! ليس يخاف عليك ما انطويت عليه من خلوص عبوديتك وصـدق موالاتك ، وما تحملته فى كف عاديه أفراسـياب عنك . فالآن جزائى على ذلك تخليصى[٥] من يد هـذا الثعبان . وكان جيو يراقب كَيْخُسَرو وينتظـر ما يأمره به . فبكت فرى كيس ، وذكرت لجيو ما عمل بيران فى حقها من حسن الدفاع عنها حين هم أفراسـياب بقتلها . وتشفعت اليـه فى بابه . فقال لها جيو : إنى حلفت بالأيمان المغلظة أنى اذا ظفـرت به خضبت الأرض بدمـه . فقال كَيْخُسَرو : تجرح أذنه بالخنجر حتى يقطر على الأرض دمـه ،

---

(١) كو ، ك : فان لأبى ثمانية وسبعين . (٢) ك، كو ، طا : فغضب بيران . (٣) ك ، طا : وأسره .
(٤) كو ، ك ، طا : على التراب . (٥) ك : خلاصى .

ولا تحنث[١] فى يمينك . ففعل جيو ذلك . ثم تشفع[٢] بكيخسرو اليـه فى أن يرد فرسه عليه . فقـال: لا أردّه عليك إلا بعد أن أشـدّ يديك وأعقد عليها عقدا ، وتحلف ألا يحلها أحد غير زوجتـك كُلشهر . فحلف له على ذلك . فربط يديه، وأركبه فرســه ، وخلى سبيله . فرجع وعبر المـاء عائدا نحو مدينته وأصحابه .

وكان أفراسياب قد اطلع على الحال، وركب فى عسكر كثيف، وطار بجناح الركض فى الأثر . فلما وصل الى الموضع الذى قاتل فيه جيو كلباذَ وأصحابه رأى ذلك الفضاء مفروشا بجثث القتلى . فقال : من دخل هذه البلاد، وقدر على كيخسرو، وخلص اليه ؟ وطفق يشتم بيران ، ويفيل رأيه ويسفه عقله حين منعه من قتل كيخسرو وقتل أمه . فقال سِبَهرم : إنه كان[٣] جيو بن جوذرز ليس معه أحد . وطلع فى الحال عسكر بيران راجعين، فظن أفراسياب أنه قد ظفر بجيو، فتلقاه مسرعا . فلما دنا رآه مخضوب الوجه بالدم، مربوط اليدين مكتفا، قد أثخنه الضرب . فاستخبره أفراسياب عن حاله فحكى له ما جرى عليه . فاغتاظ أفراسياب من ذلك، وصاح على بيران، وأمر بإبعـاده ، ومضى لوجهه جادا فى الطلب، وحث هومان ومن معـه على السير الحثيث ، وقال : هذا من آثار صحة كلام الأولين حيث قالوا : إنه يظهر من نسل كيقباذ وتور ملك يخرب جميع بلاد توران ، بعد تملكه لها واستيلائه عليها .

قال صاحب الكتاب : وأما جيو فانه وصل مع من معـه الى شاطىء جيحون ، فالتمس ممن كان هناك مرصـدا لأخذ الباج على المراكب[٤] أن يعبرهم فى بعض السفن . فامتنع عليـه، وقال : لا أعبركم إلا بواحد من أربع ؛ إما أن تعطيـنى درعك أو هذا الفـرس ، يعنى بهـزاذ ، أو هذه الجارية ، يعنى فرى كيس، أو الغلام، يعنى كيخسرو ، وأصر على ذلك . وكان جيو خائفـا من لحاق الطلب به، فقال لكيخسرو: إن كنت ولد سياوخش فخض هذا المـاء واقطعه الى ذلك الجانب كما فعـل من قبل أفريذون حين عبر على دجلة الزوراء . فقال كيخسرو : الرأى ما تقول . فنزل وسجد لله تعالى ، وتضرع اليـه ، وقال : أنت الحـافظ فى البر والبحر، وأنت المستعان فى السراء والضراء . ثم ركب الأدهم، واعترض به المـاء .(ب) ووافقـه جيو وفرى كيس فقطعوا

(أ) الباج معرب باژ وهو بالفارسية الجزية، والمـكس . (ب) هذا يذكرنا بما عمل البطل جلال الدين خوارزمشاه حين حاربه المغول على ضفاف السند، فلما غلب على أمره ، بعد أن قاتل قتال الأبطال، أقحم فرسه ضفة النهر من مكان عال، وقطع النهر على ظهر الحصان والمغول معجبون به متعجبون من أمره .

(١) ك، كو، طا : فلا تحنث. (٢) كو: تشفع بيران . (٣) كو: كان (لا) . (٤) ك : المركب .

تلك الأمواج المتلاطمة حتى خرجوا من ذلك الجانب سالمين . فاغتسل كيخسرو، وسجد شكرا لله تعالى على سلامته . فقضى الملاحون العجب مما رأوا منهم ، وجعلوا يتفاوضون الحديث فيه فيما بينهم . فبينما هم كذلك إذ وصل أفراسياب فزعق[1] على صاحب الرصد ، وقال : كيف كان عبور هذا الجنيّ على هذا الماء؟ فقال : أيها الملك إن أبى كان صاحب الباج على هذا الماء، ولما مات خلفته أنا . فلم نشاهد أحدا خاض هذا الماء فقطعه الى ذلك الجانب . لا سيما فى فصل الربيع عند تزايد الماء ، واشتداد الهواء . وقد عبر هؤلاء الثلاثة خائضين . وكأن الهواء حملهم، والى ذلك الجانب أوصلهم، فاستحضر السفن والمراكب، وعزم على العبور . فمنعه هومان، وقال : لا تعجل، واعلم أنك إن عبرت بهذا العسكر الى أرض ايران فانما تلقى نفسك فى أفواه الثعابين، ولهوات الأسود . والدنيا من هاهنا الى أقصى المشرق لك وتحت حكمك . فاشتغل بحفظها، ولا تشغل سرك بسبب أهل ايران . فانه لا ضير عليك منهم . فرجع عند ذلك خائبا خاسرا يعض على يده ، ويكاد ينفطر من غيظه .

ذكر مقدم كيخسرو إلى إيران، واحتفال أهلها له واستبشارهم به وما يتصل بذلك

قال: ولما وصل كيخسرو وجيو الى خراسان طيّر جيو الرسل الى الأطراف بقدوم كيخسرو، فاختار فارسا وأمره أن يسير الى أصبهان، ويبشر أباه جوذرز بن كشواذ بطلوع صبح ما ارتجاه، وحصول مقصوده ومناه . فلما أتاه الرسول، وناوله الكتاب، وأدى اليه الرسالة وثب قائما، ووضعه على رأسه، ونثر عليه الجواهر، وطيّر الكتب الى كيكاوس يخبره بذلك . وانثالت الإصبهبذية والأمراء الى أصبهان من كل صوب لتلقى كيخسرو واستقباله . فأمر جوذرز بتزيين قصره الكبير، وفرشه الديباج[2] والحرير . ووضع فيه تختا من الذهب مرصعا بالجواهر . وأعدّ لكيخسرو كل مايحتاج اليه من تاج وتخت وسوار وطوق، الى غير ذلك من الخيل والبغال ونحوها . وزينوا البلد وعقد والآذينات فى جميع نواحيه . وخرجوا لاستقباله ، وأبعدوا حتى لقوه على ثمانين فرسخا . فلما وقعت عيونهم عليه ترجلوا وسجدوا له . ولما وقعت عين جوذرز عليه تنفس الصعداء وتبادرت عبراته، ثم بعد إقامة مراسم الخدمة عزاه عن أبيه سياوخش، ودعا له بطول البقاء ودوام المجد والسناء . ثم عطف على ولده جيو، وقبل ما بين عينيه، وشكر سعيه . وساروا فى خدمة كيخسرو حتى دخل أصبهان، ونزل فى القصر الذى أعدّ له . وأقام أسبوعا ثم خرج مع[3] جوذرز وغيره من الأكابر والأمراء ممن كان هناك، وتوجهوا نحو اصطخر . فلما قربوا منها تلقاهم الإصبهبذية والأكابر بالخيول المجللة بالديباج

(١) صل : زعق أفراسياب . والتصحيح من ك، كو، طا . (٢) ك، طا، كو : بالديباج . (٣) طا : معه .

قد ضمخت أعرافها بالمسك والزعفران، وعلقت عليها قلائد الياقوت والمرجان . فدخلها وأرجاء المدينة تطن بضرب البشائر، وأصوات القيان على أصوات[١] المعازف والمزاهر . وكان الناس يخاطبونه بما عبر عنه الشاعر وقال :

طلوع هداه الينا المغيب ... ويوم تمزق عنه الخطوب
اليه تمج النفوس الصدور ... وفيه تهنى العيون القلوب
قدمت قدوم رقاق السحاب ... م تحط والربع ربع جدب
وما ضحك الدهر إلا إليك ... م مذ بان فى حاجبيه القطوب[٢]

قال : ولما دخل كيخسرو على كيكاوس قام ونزل له عن تخته واعتنقه وقبل وجهه . فسجد له كيخسرو وقبل الأرض بين يديه . ثم سايله عن حاله وما قاساه فى حالتى حله وترحاله . فأخذ يخبره عن جميع ما جرى عليه، ثم ذكر جيوا وأطنب فى مدحه، وشكره ووصفه بحسن البلاء وصدق المناصحة . ثم قام وخرج إلى قصر كان لكشواذ أبى جوذرز قد[٣] هيئ وزين له . فحضر على بابه جميع الإصبهبذية والأمراء، وسلموا عليه بالسلطنة، ووفوا له مراسم[٤] الطاعة والخدمة . ولم يأب ذلك غير طوس بن نوذر، وهو صاحب الكوس والمداس الذهبي، وحافظ الدرفش الجاويانى، فكان يتعصب لفرى بُرز بن كيكاوس . فغضب جوذرز من ذلك واحتد، وأرسل اليه جيو وأمره أن يقول له : إن جميع الأكابر خضعوا لكيخسرو وأذعنوا له . فما بالك لا تدخل تحت ربقة الطاعة، وتتقاعد عن الخدمة؟ فبادر إلى خدمة ملك ما وطئ إيران أكرم منه عنصرا، ولا أنفس جوهرا، ولا أيمن قدما ومقدما . ومهما لم توافق على ذلك فليس بينى وبينك غير السيف . فلما أتاه جيو وأدّى الرسالة قال : اعلم أننى أنتمى الى الملك المبارك منوجهر . وليس على باب كيكاوس، بعد رستم ابن دستان ، أجل قدرا ولا أفخم شأنا منى . وأنا لا أرضى بأن يكون الملك لكيخسرو مع وجود فرى بُرز بن كيكاوس، واستعداده للملك واستحقاقه للسلطنة بالحسب الظاهر والنسب الزاهر . وكيف يجوز أن يكون الحافد وارث التاج والتخت مع وجود الابن؟ ونحن لا نرضى ملكا من نسل أفراسياب وشجرة بشّنج . وأنّى يجوّز العقل استرعاء الذئب على قطيع الغنم . وهذا أمر شنيع لا أوافقكم عليه . فرجع جيو الى أبيه بجوابه فغضب والتهب . وكان له ثمانية وسبعون ابنا فركبوا فى اثنى عشر ألفا، وخرجوا لمحاربة طوس . وركب طوس فى أصحابه ورجاله وخيوله وأفياله . فلما اصطف الفريقان راجع طوس

(١) طا : أوتار . (٢) صل : الخطوب . ك : الشجوب . طا الشحوب . (٣) ك : وقد .
(٤) ك، كو، طا : برامم .

نفسه، وقال: إن جرى بيننا حرب لم يخل من قتل، وتداعى[1] ذلك الى فتن لا يؤسى جرحها ولا يجبر وهنها أبد الدهر. فنفّذ الى كيكاوس بأن يتدارك الأمر ويتلافى الخلل. فأرسل كيكاوس الى جوذرز يستكفه ويستدعيه الى الحضور بين يديه. فحضر جوذرز، وحضر طوس، وتكلم كل واحد منهما بما فى نفسه. فقال: لا سبيل إلى أن أوثر بالملك منهما إلا من كان الفاتح لقلعة بهمَن التى هى بنواحى أردبيل من بلاد آذر بيجان§. فليقصداها وليحاصراها. فمن أجرى الله فتحها على يده فهو صاحب التاج[2] والمخصوص بالسلطنة والملك. فركب طوس فى عساكره، وسار بين يدى فرى بُزر الى تلك القلعة. وكانت قلعة حصينة شرفاتها فى أعنان السماء، ولا طريق اليها من شىء من نواحيها[3]، تحرسها الشياطين. فلما وصلوا اليها ركب طوس وطاف حوالى القلعة. فلما دنا منها التهبت الأرض التهاب النار فصارت الأسلحة كالحدائد المحماة تذوب تحتها أبدان الكماة. فلما لم يجد اليها سبيلا، وعجزوا عنها رجعوا القهقرى بعد أن أقاموا أسبوعا. فلما بلغ ذلك جوذرز استعد وسار مع كيخسرو حتى وصلوا الى القلعة. فكتب كيخسرو كتابا الى سكانها من الشياطين، وهددهم وأوعدهم، وأمرهم بالإفراج عنها والخروج منها. وأمر فربطوا الكتاب على رأس رمح، ودفعه الى جيو، وأمره أن يحمل ذلك الرمح وينصبه فى حائط[4] القلعة على اسم الله تعالى ويرجع. ففعل جيو ذلك. فلما انصرف غاب ذلك الكتاب فثار غبار عظيم من القلعة، ورجف سورها رجفة عظيمة سمع لها صوت كصوت السحاب الراعد. فثار منها عجاج أسود أظلمت به الآفاق. فركب كيخسرو عند ذلك، وأمر العسكر أن يرشقوا

---

§ آذَربيجان كثيرة الجبال أرضها بركانيـة كثيرة الزلازل وقد خربت الزلازل كثيرا من مدائنها وقـراها.

وكانت — كما يقول ياقوت — «بلاد فتنة وحروب ماخلت قط منها فلذلك أكثر مدنها خراب وقراها يباب».

وكأنه لكثرة نيرانها الطبيعية اتخذ الفرس القدماء فيها بيوتا للنار عظيمة. ومن أجل هذا شاع بين المؤلفين أن اسمها محرّف من «آذر بايكان» أو «آذرآباد كان» أى حافظ النار.

ثم مدينة أردبيل يطل عليها جبل عظيم اسمه سبلان يبقى الثلج عليه صيفا وشتاء[5].

وفى هذا ما يفسر بعض التفسير قصة قلعة بهمن.

---

(١) ك: ويتداعى. (٢) ك: التاج والتخت. (٣) ك، كو، طا: من جوانبها.

(٤) ك: على حائط. (٥) معجم البلدان لياقوت، وقاموس الأعلام، ودائرة المعارف الاسلامية.

القلعة بالنشاب. ففعلوا حتى صار جوّها كالجراد[1] المنتشر لكثرة ما رموا. فهلك من الجن خلق عظيم[2]. ثم انجلى ذلك الظلام والغبار. فصعد كيخسرو مع جوذرز إلى القلعة وأخذوها. وبنى فيها للنار بيتا عظيما وقبة عالية ومبانى رفيعة، وأسكنها الموابذة والهرابذة وأصحاب النجوم وأرباب العلوم. ثم رجع بعد أن أقام بها سنة كاملة. ولما قرب من أصبهان تلقته الإصبهبذية والأكابر وسائر الأمراء. ثم تلقاه عمه فرى بُرز بن كيكاوُس، وآستقبله طوس، وآستصحب الكوس والمداس الذهبي والدرفش الجاو يانى، وقبل الأرض بين يديه، وقال: يسلم الملك هذه المراتب إلى من يختار من العبيد والخدم. وأخذ يعتذر عما سبق منه. فقبل الملك عذره وأكرمه[3]، وقال: إن هذه مرتبة لا تليق بأحد سواك». فردّها عليه. فتوجه[4] سائرا إلى فارس إلى خدمة كيكاوس. فلما وصل[5] تلقاه كيكاوس منشرح الصدر مسرورا. ولما دخل دار الملك أخذ كيكاوس بيده، وأجلسه على تخت الملك. وأمر الخازن فجاء بالتاج الكيانى فقبّله، ووضعه بيده على رأسه. ثم لما أقعده فى موضعه من سرير الملك تحوّل[6] من التخت إلى الكرسى. وأمر فنثروا عليه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت. فأقبلت الأمراء والأكابر، وحيوه بتحية الملوك. فهذا مبدأ سلطنة كيخسرو. وسيأتى ذكر آثاره ووقائعه من بعد إن شاء الله تعالى.

١٣ — ذكر نوبة ملك الملك كيخسرو وما جرى فى أيامه من الوقائع وكانت مدّة ملكه ستين سنة §

قال: ولما تسنم كيخسرو سرير الجلالة، واعتصب بتاج السلطنة بسط على الناس ظل العدل والإحسان، واستأصل شأفة الظلم والعدوان، وتبادرت الناس سراعا الى طاعته، وتصافقوا على مشايعة

§ ١٣ — كيخسرو

هو ثالث الملوك الكيانيين، والثالث عشر من ملوك الشاهنامه. وهو بقية من المقدّسين فى الدين الآرى القديم. وهو آخر الملوك الذين تشترك فيهم أساطير الأبستاق الايرانية والفيدا الهندية؛ هو فى الفيدا سُشراوَس، وفى الأبستاق كفى هُسَرَوه.

ويذكر فى الأبستاق كثيرا، ويشاد بسجاياه ومآثره: =

(١) ك، كو، طا: كأنه ملوء بالجراد المنتشر. (٢) ك، كو: كثير. (٣) ك، كو: وأبقاه.
(٤) ك، وتوجه. (٥) صل: فلما تلقاه. والتصحيح من ك، كو. (٦) ك، كو، طا: تحوّل هو.

دولته . فعمر كل خراب، وفرج عن كل[1] مكروب، ودرّت يمينه بعد الانقطاع[2] بركات السماء، ودارت رحى الأفلاك بديم الأنداء، وتحلى عطف البسيطة بوشائع الأزهار بعد ما كان عاطلا ، ودب ماء النضارة فى عروق الأشجار وكن ذوابلا . فكان يروق القلوب، ويعجب العيون، ويزهر[3] على التخت كجمشيد وأفريدون .

ولما جلس على التخت فرق الرسل إلى أطراف البلاد . فلما وصل إلى نيم روز الرسولُ المنفذ إليها ركب رستم وابنه فرامرز وأبوه دستان فى جميع أكابر كابل، وأقبلوا فى الجم الغفير والعدد الكثير نحو الحضرة . فانتهى الخبر بمجيئهم إليه فسر بقدوم رستم فأمر طوسا وجوذرز وجيوا بالخروج للاستقبال وتلقيه بالإعظام والإجلال . فاستقبلوه على مسيرة يومين ثم رجعوا فى خدمته إلى حضرة الملك . فلما وقعت عين كيخسرو على رستم نزل عن التخت، واغرورقت بالماء عيناه حين رأى من كفل أباه ورباه ، فوضع رستم جبهته على الأرض . فأثنى على رستم . ثم ضم رأس دستان الى صدره وعانقه وأكرمه . وأجلسهما على مراتبهما عنده . ثم أخذ رستم معه فى الحديث، وجعل يدعو له بالبقاء ودوام المجد والعلاء حتى مدوا السماط . ولما طعموا قاموا . ثم لما كان من الغد ركب الملك برسم

= ففيها — «نعبد روح الملك المقدس هُسروه»[4] . وفيها أن هسروه المقدام الذى جمع الأمم الآرية أمة واحدة قرب لبعض الأرواح قربانا وراء بحيرة كائكسته العميقة ذات الماء الملح ، ودعاه أن يؤيده حتى يصير الملك المطاع فى البلاد كلها، بلاد الشياطين وبلاد الإنس، الخ[5] . وأنه قرب الى روح آخر وسأله أن يرعاه حتى يقتل السفاح التورانى فرنكرسيان (أفراسياب) وراء بحيرة كائكسته ينتقم لأبيه سياوخش ولأغريرث (أخى أفراسياب)[6] . وفى فصل آخر أن المجد الملكى الرائع تجسد فى كفى هُسَروه لأجل الشطاط والقوة والنصر والعلاء القاهر، ولأجل طاعة الشرع والاعتزاز به، ولأجل استئصال أعدائه بضربة واحدة . ولأجل العافية، ونسل تقى طيب حكيم برأس المحافل، ولمُلك مجيد وحياة طويلة طويلة . فصار الملك هسروه سيد الشعب . ولم يستطع أن يمر خلال الغابة ذلك السفاحُ الذى كان يحاذه على صهوة الفرس . وعلا السيد هسروه على الناس جميعا . وقيد فرنكرسيان وكرسوزده (أفراسياب وأخاه كرسيوز) لينتقم لأبيه ولأغريرث[7] . وفى الأبستاق كذلك أن هسروه بُرِئَ من المرض والموت[8] . =

(١) صل : فرج كل . والتصحيح من كو ، ك ، طا . (٢) ك ، طا : بركات السماء بعد الانقطاع .
(٣) ك : يزهو . (٤) أفستا، ج ٢ ص ٢٢٢ (٥) = ص ٦٦ (٦) = ص ١١٥ و ٢٧٨
(٧) = ص ٣٠٣ (٨) = ص ٣٢٧

الصيد ومعه الملوك والإصبهبذية، وجعل خروجه ذلك لمطالعة المملكة فطاف فى جميع بلاد إيران . فكان اذا مر ببلد خراب أمر بإعادته الى العمارة وإفراغ الأموال عليه من الخزانة . فلم يمر بمدينة إلا وضع فيها تخته وأقام بها يطالع أحوالها ويزيل اختلالها . فاذا فرغ منها تحول لمدينة[1] أخرى حتى أتى على الكل . ولما أتى نواحى آذربيجان دخل بيت النار الذى هناك فزاره . ثم عادوا الى بلاد فارس الى حضرة كيكاوس، وأقاموا عنده مشتغلين بأسباب اللهو ودواعى الطرب . ثم إن كيكاوس جلس ذات يوم مع كيخسرو ورستم ودستان وجاذبهم أطراف الأحاديث[2] من كل نوع حتى أفاضوا فى حديث أفراسياب، وما صنع بسياوخش، وذكر كيكاوس آثار نكاياته فى ممالك إيران من القتل والنهب وتخريب البلاد ، والسعى فيها بالفساد . ثم أقبل على كيخسرو وقال[3] : أنت اليوم أعلى الملوك قدرا ، وأثقبهم زندا ، وأعلاهم جدا . وأنا آخذ عليك العهد على أن تكون حربا لأفراسياب تقاتله وتطلب بثأر أبيك منه، ولا تميل إليه لموضع قرابة أمك منه، ولا تخدع له بما يبذل من الرغائب، ويسمح به من الخزائن والذخائر . فحالفه كيخسرو على ذلك . وكتبوا كتاب اليمين باللسان الفهلوى، وأثبتوا فيه شهادة رستم ودستان ومن حضر من أكابر الأمراء وأعيان الحضرة. وسلم كيكاوس الكتاب

= ويسميه الطبرى كيخسرونه . وفى الآثار الباقية أن كيخسرو هو كورش وأنه يلقب همايون[4] .

ويذكر فى الأبستاق بحيرة اسمها بحيرة هسروه تقرب اليها القرابين، وهى على خمسين فرسخا من بحيرة كائكسته (أرمية[5]) .

ثم قصة ولاد كيخسرو فى توران، وتربيته بين الرعاة خوفا عليه من جده لأمه أفراسياب، وإشفاق جده من زوال ملكه على يده، وقتل الجد بيد حافده فى النهاية — تشبه كل الشبه ما يرويه هردوت عن ولادة كورش وما كان بينه وبين جده لأمه استياجس ملك ميديا . وقد تقدم أن البيرونى يزعم أن كيخسرو هو كورش ومؤرخو الفرس والترك فى هذا العصر يوافقون البيرونى[6] .

ومما يعزى الى كيخسرو أنه سن للفرس الاغتسال فى عيد تيرماه ومن آثاره — بزعمهم — نار ماجشنسف وبيت للنار يسمى ديركوشيد بين العراق وفارس، ومدينة أردبيل ، ومدينة بكن فى الصين[7] . =

(١) لـ، كو، طا : تحول الى . (٢) لـ ، و : أطراف الحديث . (٣) لـ ، كو : وقال أنت . طا : وقال وأنت . صل : قال (لا) (٤) الطبرى، ج ١ ص ٢٦٣ ، والبيرونى، ص ١٠٤ و ١١١ (٥) أفستا، ج ٢ ص ٧ و ١٥ و ٣٠٠ حاشية . (٦) انظر المقدمة فى الكلام عن الكيانيين والاكينيين . (٧) الآثار الباقية ص ٢٢١ ، والنزهة، ص ٨١ و ١٩٩ و ٢٤٣

الى رستم . ثم مدّوا السماط وطعموا . ثم اشتغلوا بالشرب واستماع الغناء أسبوعا من الزمان . وبعد ذلك اغتسل الملك كيخسرو ودخل متعبدا لهم وجعل طول ليله يتضرع الى الله تعالى ويبتهل ويعفر خدّه فى التراب ويستنصره على أفراسياب ويستعين به عليه . فقطع ليلته تلك بالسجود لله تعالى والدعاء . ولما أصبح جلس على تخته، واصطف على رأسه جميع الملوك والأمراء فأقبل عليهم وقال: يا وجوه الدولة ويا أعيان الحضرة ويامعاشر الفرسان وأصحاب السيف والسنان ! اعلموا أنى قد[1] طفت جميع ممالك إيران فما وجدت أحدا مسرورا، ولا رأيت بلدا معمورا ، ورأيت الناس قد حالفوا الهم والاكتئاب لما أصابهم من نكايات أفراسياب . وقد وترنى قبل الناس بأعظم الفجائع ورمانى بأنفذ سهام الرزايا والمصائب . وقد صممت العزيمة على الطلب بثار الأب . فان كنتم أعوانى المحبين وأنصارى المخلصين ، وعاونتمونى مشمرين ، وبذلتم وسعكم فى ذلك جادين ومجتهدين أدركت المقصود ، وبلغت المأمول . وكل دم يراق بيننا فأفراسياب متقلده . وكل من يقتل منكم فالجنة

= وعهد كيخسرو أطول عهود الشاهنامه ، يستغرق أكثر من خمس الكتاب وهو سبعة أقسام : خمسة منها تقص من أنباء الحرب المستمرة بين إيران وتوران، واثنان فيهما قصتان منفصلتان ولكنهما تنتهيان بحرب بين الأمتين أيضا :

(١) إرسال الجيش يقوده طوس إلى حرب أفراسياب . ويتخلل هذا الفصل فاجعة فرود أخى كيخسرو التى يراها القارئ فيما يأتى . وانتهى هذا الفصل بهزيمة الايرانيين .

(٢ و٣) حرب كاموس الكشانى وخاقان الصين . وفى هذا الطور يقود الحرب رستم وتدور الدائرة على أعداء إيران .

(٤) حرب رستم وأكوان الجنى .

(٥) قصة منيژه بنت أفراسياب وبيژن بن جيو بن جوذرز .

(٦) حرب الاثنى عشر رُخا .

(٧) الحرب الكبرى بين الملكين كيخسرو وأفراسياب .

وفى هذه الوقائع يبلغ الجلاد بين الأمتين أشدّه . ويزاد على الثارات القديمة ثار بنى جوذرز السبعين الذى قتلوا فى المعارك الأولى. وينهزم الايرانيون أول الأمر ثم ينتصرون، ثم يسيّر الايرانيون أربعة =

(١) ك : قد (لا) .

مأواه ومنقلبه . فما قولكم فى هذا ؟ فوضعوا جباههم على الأرض، وقالوا : أيها الملك! إن أرواحنا وأبداننا منقادة لطاعتك . و إنما ولدنا للحرب والقتال و بذل الروح للانتقام يوم النزال . فلما سمع ذلك الكلام[١] من رستم وجوذرز وطوس وغيرهم من الأمراء والأكابر تورّدت وجناته ، وتهللت أسرته ، وأثنى عليهم ودعا لهم . قال : فأمر كاتب الجيش بإثبات أسماء المقدمين من الملوك ، ومن فى جملتهم من الاصبهبذية والأمراء وأعيان الفرسان ، وآحاد المفردين وسائر من يشتمل عليهم جرائد كتّاب الجيوش . فلما فعلوا ذلك فتح أبواب الخزائن فأعطاهم[٢] العطايا الوافرة ، وخلع عليهم الخلَع الرائعة ، وأمرهم بأن يستعدّوا للخروج الى العدو . ثم بعد ذلك ارتفعت أصوات الكوسات من الميدان صبيحة يوم من تلك الأيام فجاءوا بفيل على ظهره تخت منصوب من الفيروزج . فعلاه الملك كيخسرو معتصبا بتاج من الذهب المرصع بالياقوت . وخرج الى الصحراء وفى يده جام فيه خرزة متى حركها الملك[٣] ركب العسكر أجمعون حتى لا يبقى منهم على وجه الأرض أحد . فوقف وأمر بالعرض، فكان أول من عبر فرى برز بن كيكاوس . وهو مقدّم على مائة إصبهبذ وعشرة ، من أقارب أبيه . فعرضوا على الملك فى أتم آلة وأكمل عدّة . ثم تلاه جوذرز بن كشواذ ، وهو مقدّم على ثمانية وسبعين إصبهبذا من أولاده وأحفاده . على ميمنته ولده رُهام ، وعلى ميسرته جيو ، وعلى رأس كل واحد منهم لواء يخفق ، و يتبعه عسكر عظيم . ثم عرض كُستَهم بن كَزدَهم ، وهو مقدم على ثلاثة وسبعين إصبهبذا من أولاد أبيه رماة

= جيوش و يلاقى الجيشُ الأعظم يقوده جوذرز ، جيشَ توران يقوده بيران ، و يبارز أحد عشر بطلا إيرانيا مثلهم من توران . فيُقتل التورانيون جميعا إلا قاتل سياوخش فيبقى ليقتله كيخسرو انتقاما لأبيه . ثم يتبارز القائدان بيران وجوذرز فيقتل بيران الذى قاد حرب التورانيين فى أطوارها كلها . ولا يبقى إلا أفراسياب فيقدم كيخسرو و يلتقى الملكان فى وقائع عديدة يظفر فيها كلها كيخسرو فيهرب أفراسياب ثم يؤخذ فيقتل .

فيرى القارئ أن القصة فى هذا العهد قد هُيئت للختام فى أطوار مختلفة .

وسأبين فى مقدمة الفصل الآتى كيف تغير ميدان القصة وأبطالها تغيرا تاما بعد كيخسرو .

وأبطال هذا الطور ، بعد رستم بطل الأبطال ، أسرة جوذرز ثم طوس بن الملك نوذر وفريبرز ابن الملك كيكاوس[٤] . =

(١) ك : الكلام (لا) . (٢) ك : وأعطاهم . (٣) ك، طا : الملك فيه .

(٤) انظر المقدّمة : أبطال الشاهنامه .

الحدق، وأصحاب الدبابيس والعمد . ثم أشكش[1] صاحب الرأى والشهامة والنجدة والبسالة فى عسكر مجر شاكى السلاح . ثم تلاه جُرازه فى أصحابه وعساكره . ثم جاء من بعده زنكه بن شاوران فى عساكر بغداد . وكان كلما مر منهم مقدم وقف نخدم ، وأثنى الملك عليه ودعا له . وكان آخر القوم عبورا فرامرز بن رستم مقدم عساكر قشمير وكابل ونيم روز . فارتاح له الملك وبش، ووهب له جميع بلاد الهند من حدّ قنّوج الى حدّ ممالك دستان . ثم أوصاه ووعظه ونصحه لحداثة سنه . وأمره بالإحسان الى من يتولاهم، وسلوك سبيل المعدلة معهم، وبسط جناح الرأفة عليهم . فترجل وقبل الأرض ومر فى طريقه الى ممالكه خاصة . وشيعه أبوه رستم نحو فرسخين وودعه ، وعاود حضرة الملك . قال : فنزل الملك كيخسرو عن الفيل، وركب فرسا وأقبل الى سرادق ضرب له[2] . وجاء رستم وجلس يشرب معه .

= والقسم الأوّل من عهد كيخسرو ١٧٠٠ بيت فيها العناوين الآتية :

(١) فاتحة القصة. (٢) تحية الملك كيخسرو . (٣) طواف كيخسرو بالمملكة. (٤) كيخسرو يعاهد كاوس على الانتقام من أفراسياب . (٥) إحصاء كيخسرو الأبطال . (٦) كيخسرو يقسم الكنوز على الأبطال . (٧) إرساله رستم الى الهند . (٨) تعبئة كيخسرو الجيش . (٩) بدء قصة فرود بن سياوش . (١٠) ذهاب طوس إلى تركستان . (١١) علم فرود بمقدم طوس . (١٢) ذهاب فرود وتخوار (تخار) لرؤية العسكر . (١٣) مجىء بهرام الى فرود على الجبل . (١٤) رجوع بهرام إلى طوس . (١٥) مقتل ريونيز بيد فرود . (١٦) مقتل زراسپ بيد فرود. (١٧) حرب طوس وفرود. (١٨) حرب كيو وفرود . (١٩) حرب بيژن وفرود . (٢٠) مقتل فرود . (٢١) قتل جريرة نفسها . (٢٢) سوق طوس الجيش إلى كاسه رود (نهر كاسه) ومقتل پلاشان بيد بيژن . (٢٣) ماقاساه الايرانيون من البرد . (٢٤) أخذ بهرام كبوده . (٢٥) حرب الايرانيين وتژاو . (٢٦) علم أفراسياب بمقدم طوس وجيشه . (٢٧) تبييت پيران الايرانيين . (٢٨) استرجاع كيخسرو طوسا . (٢٩) فريبرز يسأل پيران المهادنة . (٣٠) هزيمة الايرانيين أمام التورانيين . (٣١) رجوع بهرام الى المعترك يبحث عن سوطه . (٣٢) مقتل بهرام بيد تژاو . (٣٣) قتل كيو تژاو انتقاما لبهرام . (٣٤) رجوع الايرانيين الى كيخسرو .

---

(١) فى الشاه : أشكش . (٢) ك ، طا : ضرب له فى الصحراء .

ذكر إنفاذ كيخسرو طوسا الى قتال أفراسياب ، ووقعة فروذ بن سياوخش

قال : ولما كان من الغد ركب طوس فى جميع من فى جملته من الإصبهبذية والأمراء، وخرج الى الصحراء بالدرفش الجاويانى ، ومعه الأكابر من ذرية الملك نوذر أصحاب الأطواق والمراتب العالية . فجاءوا بجبال مائرة وبحار سائرة حتى دنوا من سرادق الملك كيخسرو . فاستحضر الأكابر والسادات، وأمرهم بمتابعة طوس، وطاعته واتباع رأيه، والجرى تحت أمره ونهيه . ثم أقبل على طوس، وأوصاه بأن يحسن الى الرعية والزرّاعين وأرباب الحرف الذين لا يخشى شرهم . ثم أمره بأن يعدل، فى طريقه الى توران، عن الطريق المفضى الى القلعة التى تسمى كلات . وقال له : إنه كان لسياوخش ابن من بعض بنات بيران يشبه أباه . وهو شاب يشبهنى فى السن والمنظر . وهو صاحب شوكة وقوة . وهو يسكن مع أمه هذه القلعة ومعه عسكر عظيم . وهو كالأجنبى من الايرانيين لا يعرف منهم أحدا . فلا ينبغى أن تسلك ذلك الطريق كيلا تقع فى محذور . والرأى أن تسلك طريق البرية . فقال طوس : لا أحيد عن أمرك وعما تشير به . ثم رجع الملك مع رستم الى إيوانه . وسار طوس متوجها نحو توران مقدما على جميع العساكر ، مالكا بأمر الملك كيخسرو لزمام الأمر ، والحل والعقد ، والإبرام والنقض . فانتهى أوائل العسكر الى موضع يتشعب منه الطريقان المذكوران . فوقفوا حتى يصل طوس فينظروا ما الذى يسلكه منهما فيتبعوه . فلما وصل طوس قال لجوذرز : الصواب ألا نسلك طريق البرية مع هذا الحر وقلة الماء ، ومع طوله وبعده . بل نسلك طريق جرم وكلات فإنى قد رأيت هذا الطريق، وفيه بلاد عامرة، ومياه كثيرة عذبة ، ومراع معشبة . ولم أر فيه ما يتعب سوى مصاعد ومهابط لا يخلو أكثر الطرق منها . فالأولى أن نعدل عن البرّية الى هذا الطريق الآخر . فوافقه جوذرز على ذلك، وساروا فيه . قال : فوصل الخبر الى صاحب كلات، وهو فروذ بن سياوخش، بمجىء عساكر ايران فضاق صدره، وأمر بجمع المواشى والدواب من الصحراء الى حريم القلعة ، والاستعداد للأمر . فأغلق باب القلعة وجاء الى أمه، وكانت تسمى جريرة، فأخبرها بمجىء طوس فى عساكر ايران، وتخوّفه منهم . واستشارها فقالت : إن أخاك هو ملك ايران . وأنت وهو من اب واحد . وإنما نفذ هذا العسكر للطلب بثأر أبيك . فينبغى أن تشمر عن ساق الجد، وتحاز اليهم . وتتوغل معهم بلاد أفراسياب فتكون أول من يطلب بثأر أبيك . فاذا قدم هذا العسكر فابصر من المقدم عليهم ، ثم استدعه الى ضيافتك، واخلع عليهم، وأحسن اليهم . فقال : إنى لا أعرفهم، ولا بد ممن يتوسط بينى وبينهم . فقالت:

(٦٣)

اذا بدا غبار العسكر تخذ معك تخوار[1] — وهو أحد فرسان تلك القلعة — وخلّف عسكرك وراءك . فإن تخوار يعرف الإيرانيين . وسايل عن بهرام بن جوذرز وزنكه بن شاوران فإنهما كانا رفيق أبيك » . فاستصحب تخوار، وجاء الى شعفة من شعفات ذلك الجبل ووقفا[2] يشرفان على العسكر . فأخذ يسأل تخوار عن علامة كل واحد من الايرانيين ، وهو يخبره ويصف له . قال : فلما دخل طوس بين الجبلين بالخيل والحشم والفيلة والأعلام طمح بصره[3] فرأى على قلة تلك الشعفة الشماء فارسين يشرفان على العسكر واقفين لا يبرحان من مكانهما ولا يفزعان . فقال لمن معه : من يصعد اليهما ويأتيني بخبرهما ؟ فانتدب لذلك بهرام بن جوذرز ، فتوقل الجبل . فلما قرب استخبر فروذ تخوارَ عنه . فقال : أرى أنه من الجوذرزيين . وحين دنا منهما صاح عليهما ، وقال : من أنتما ؟ أما تسمعان أصوات الطبول والكوسات ؟ أما تفزعان من هذا العدد الكبير ؟ فقال له فروذ : أيها الفارس المقدام! مالك بدأتنا بالخصومة[4] قبل أن تسمع ما يوجب ذلك؟ لا تفاتحنا بالكلام الموحش. فانك لست تفضلني بشيء من الشجاعة والبسالة والصورة والقالب. وأنا أريد سؤالك عن شيء[5] فان أجبتني[6] سررتني به . فقال بهرام : سل عما بدا لك . فقال له : من المقدّم على هذا العسكر ؟ ومن فيه من السادة والأكابر؟ فقال : المقدّم طوس بن نوذر . وفيه من الأكابر جوذرز بن كشواذ وفلان وفلان وعدّهم عليه . فقال : ما لك لا تذكر بهرام؟ فإني لا أرتاح من الجوذرزيين إلا له . فقال : أنا[7] الفارس البطل . من أين تعرف بهرام ؟ فقال : إن أمي أخبرتني عنه ، فقالت : سل عن بهرام وزنكه بن شاوران فإنهما رضيعا سياوخش أبيك . فقال بهرام : أنت فروذ ثمرة ذلك الشجر الخسرواني ؟ فقال : نعم! أنا فروذ بن سياوخش . فقال : أرني العلامة الكيانية . فكشف له عن عضده فرأى شامة كأنها نقط عنبر تلوح على الورد الأحمر . فعلم أنه من الجرثومة الكريمة . فأثنى عليه[8] وسجد له ثم صعد اليه . فنزل فروذ عن فرسه، وجلس معه على الحجارة . فقال : لو عاد سياوخش حيا لم أفرح بلقائه كما فرحت بلقائك . وإني لم أصعد إلى شعفة هذا الجبل إلا لأستخبر عن مقدّم العسكر وعمن معه من الأمراء فأضيفهم وأفرغ وسعي في خدمتهم، وأقرّ عيني بلقائهم . واذا استراحوا عندي أسبوعا ، وساروا لوجهتهم سرت معهم ، وكنت أوّلهم باذلا جهدى وطاقتي في الأمر الذي أنا أحق به منهم ، وهو الطلب بثأر سياوخش أبي، وقاتلت أفراسياب وأصحابه قتالا يضرب به

(١) بلفظ : تخار . (٢) ك، طا : ووقفا عليها . (٣) طا : ببصره . (٤) ك، طا : بالخشونة .
(٥) ك، طا، كو : شيء في نفسي . (٦) ك : أجبتني عنه . (٧) طا، كو: فقال أيها الفارس .
(٨) ك: ونزل فسجد.

المثل فى الآفاق . فقال له بهرام : أنا أقوم بهذه الخدمة، وأمضى الى طوس وأستدعيه إلى ضيافتك، وأبذل فى ذلك جهدى حتى لو احتجت أن أقبل يده مستشفعا(١) اليه فعلت . ولكن ينبغى أن يعلم الملك أن طوسا إنسان يستبد برأيه، ولا يسمع قول أحد، ولا ينجع فيه مقالة ناصح. وهو، على ذلك، صاحب أيد وقوة وأموال كثيرة ؛ ولا يلتفت الى الملك كيخسرو ذلك الالتفات ، ولم يرض بخدمته حتى نابذ جوذرز وعزم على قتاله . وهو يقول : أنا ابن نوذر بن منوجهر . وأنا أحق بالملك » . ومع ذلك كله أرجو ألا يمتنع مما أشير به عليه فى هذا الأمر . ومهما أجاب الى ذلك فإنى سأصعد بنفسى اليك، وأستصحبك الى المعسكر . و إن يكن غير ذلك ، وسلك معك سبيل العنف، وصعد اليك غيرى فلا ينبغى أن تركن اليه وتمكنه من التقرب منك . ثم أعطى بهرام جُرُزاً(٢) كان معه وعليه نصاب من الفيروزج مركب فى الذهب . وقال : إذا صعد الينا طوس وحصل بيننا الائتلاف خدمتك بهدايا كثيرة من خيل وجواهر وخلع وأسلحة» . فانصرف من عنده بهرام، وانحدر من الجبل، وجاء الى طوس وأخبره بأنه فروذ بن سياوخش ،وأنه أراه العلامة الكيانية . فأغلظ له طوس وجاو به بالعنف ، وقال : ألم أقل لك لا تفاوضه فى شئ ولا تخاطبه إلا بالسيف والسنان ؟ ولكنك فزعت منه وجبنت عنه ، وجئت تمسك بهذه المعاذير» . ثم أقبل على أصحابه، وقال : من يصعد الى ذلك(٣) الجبل فيأتينى برأس ذلك التركى ؟ فانتدب لذلك ريو الشجاع ختن طوس على ابنته ، فتوقل فى الجبل . فلما صعد ورآه فروذ استشاط وتميز(٤) حين لم يرجع اليه بهرام . فأخرج من تركشه نشابة(٥) ورماه بها ، فأصابت رأسه فانقلب عن ظهر فرسه وخر ميتا(٦) . فلما رأى ذلك طوس احتدم غيظا وثار فصاح بابنه زرسب ، وكان مقدم النوذريين، وأمره بأن يصعد اليه . فتوقل وصعد . فلما رآه فروذ سدد نحوه نشابة أخرى فوضعها فى جوفه ، فانقلب عن ظهر فرسه ووقع ميتا. قال : فوقع الضجيج لمقتله فى العسكر، وثار طوس كالأسد المحرج حيث قتل ابنه وختنه، فركب بقلب جريح، ودمع غزير، وترقى الجبل(٧). فلما رآه تخوار قال لفروذ : إنه طوس بن نوزر، ولست تقدر على مقاومته. فارجع بنا حتى نصعد القلعة ونغلق بابها . فإنك بعد أن قتلت ابنه وختنه لم يبق لك مطمع فى الصلح معه . فغضب فروذ عليه، وقال : بعد أن اضطررت الى المنابذة فلا أبالى بطوس ولا بغيره . وكان الواجب عليك أن تقوى قلبى ، وتعاوننى عليه ، لا أن تخوفنى وتخذلنى عنه فى مثل هذا المقام . ثم سدد نشابة الى نحر فرسه فأثبتها فيه، فوقع الفرس، وبقى طوس راجلا . فصاح عليه أهل القلعة

---

(١) طا : متشفعا . (٢) الجرز : المقمعة . (٣) ك، طا ، كو: هذا الجبل.

(٤) ك، طا ، كو : تمر . (٥) كو : بجفيرته . (٦) ك : وقع ميتا . (٧) ك، كو : فى الجبل .

من أعلاها ونعروا فى قفاه حتى انحــدر . ثم صعد اليه جيو بن جوذرز فقال تخوار : إنه البهلوان الذى كتف جدّك بيران حين جاء فى طلب أخيك، وخلصه من بلاد توران، وخاض به نهر جيحون. وعليه الآن سلاح سياوخش فلا يؤثر فيه شئ . فارم فرسه بنشابة أخرى حتى يرجع وراءه مثلما رجع طوس . فرمى فرسه بنشابة تقطر منها ، وبقى جيو راجلا . فعاد منحدرا كفعل طوس . فلما رأى بيژن ما حل بأبيه جيوجنّ واستفزه الغضب، واستعار فرسا من كُستهم، وأخذ من أبيه درع سياوخش ولبسها ، وتوقل فى الجبل كالعقاب الفارث . فعين فروذ على فرسه ورماه بنشابة أقصدته . فترجل بيژن ، وصاح عليه ، وقال : اصبر ساعة حتى ترى قتال الأسود . فتناول المجنّ ورفعه على رأسه، وتوقل اليه . فلما صعد الجبل سل سيفه، وأقبل عليه . فانهزم عنه وولى نحو القلعة فتبعه حتى عرقب بسيفه فرسه . فترجل فروذ والتجأ الى القلعة فدخلها . ورجع بيژن وانحدر[1] الى المعسكر . فلما كان من الغد ركب طوس ، ونزل فروذ فى عساكره فتناوشوا الحرب من أول النهـار الى وقت الزوال . فقتل أكثر أصحاب فروذ، وبقى هو وحده فى المعركة . فالتفت فلم يَر[2] وراءه أحدا . فعطف عنانه، وأحجم الى الحصن . فخرج بيژن ورُهام عليــه من الكمين . فرفع الجرز على بيژن . فضرب رُهام كتفه ضربة أبانت إحدى يديه . وبقى كذلك على ظهر الفرس يقاتل ويدفع عن نفسه بيد واحدة . حتى صعد وعاد الى القلعة . فدخل إيوانه ورمى بنفسه على التخت صريعا فـلم ينشب أن مات . فصعد[3] الوصائف الى شرفات القلعة، ورمين بأنفسهن الى أسـفلها . وأحرقت أمه جميع ما كان فى القلعة من الأموال والأسـلحة ، وأخذت خنجرا ، ودخلت مرابط خيـله[4] العراب فشقت به خواصرهن . ثم[5] جاءت ووضعت خدّها على خدّ ولدها الشاب ثم شقت صدرها بخنجرها، ولحقت بابنها . ودخل الايرانيون[6] القلعة وتملكوها ، وأخذوا فى الأسر والنهب . فجـاء بهرام الى إيوان فروذ فرآه طريحا على التخت، ورأى أمه قد ألقت[7] نفسها عليه ميتة . فقعد عند رأسهما يبكى ويتوجع . فجاء طوس وجوذرز وزنكه بن شاوران، وقعدوا عند رأسه يبكون . وجعل طوس يقرع سن الندم بعد أن زلت به القدم . فقـال جوذرز : إنك قـد ضيعت بالحدّة والنزق هـذا الشاب وذريته فى أدراج الرياح ، وفجعت نفسك بابنـك زرسب الذى كان نزهـة الألحاظ، وراحة الأرواح .



(١) صل : انحدروا . (٢) صل : ولم . والتصحيح من ك ، كو . (٣) ك، طا ، كو : فصعدت .
(٤) ك، طا : خيوله . (٥) ك : بجاءت . (٦) ك، طا : الى القلعة . (٧) ك : ألقت عليه بنفسها .



فرود بن سياوخش يرمي زرسب بن طوس فيقتله

[منقولة من كتاب (النقش الفارسي) لباسيل كري Persian Painting. Basil Gray]

ثم حنطوه وكفنوه، وعملوا له ناووسا على رأس ذلك الجبل ووضعوه فيه § ثم بعد ثلاثة أيام رحل طوس قاصدا قصد تركستان . فساق عساكره حتى وصل الى كاسروذ[1] فعسكر هناك . فخرج من توران فارس يسمى بلاشان ليتعرف أحوال العسكر ويقف على عددهم[2] فينهى خبرهم الى أفراسياب . فتلقاه بيژن بن جيو وقتله . وبلغ الخبر أفراسياب بعبور الايرانيين كاسروذ فاستدعى بيران، وفاوضه وشاوره فى أمر كيخسرو، فيما فعله[3] من إنفاذ العساكر طالبا بدم أبيه فقال : لابدّ أن نتلقى الأمر بالحزم وتشمر عن ساق الجدّ قبل أن يجلّ[4] الخطب ويفدح الأمر . وأمره بالاحتشاد وجمع العساكر . فقام بذلك بيران، وجدّ فى الإعداد والاستعداد . قال صاحب الكتاب : ثم إن الشتاء كشر فى وجوه الايرانيين نابه، وحرش بهم كلابه، فثارت عليهم ريح باردة تقلصت منها الشفاه، وتشققت الوجوه والجباه، ونشأت سحابة طبقت السماء فنثرت عليهم ثلجا عظيما انسدّت به المخارم والشعاب، وتسطحت فيه الكهوف والهضاب . فهلك منهم تحت ذلك الثلج خلق عظيم ودواب كثيرة، وقل عندهم الطعام . فارتحلوا من منزلهم ذلك . وكان أفراسياب قد عمل فى الطريق الذى هم سالكوه سدا من الحطب بجبل عظيم حتى تنقطع به الطريق بين ايران وذلك الجانب . وكان كيخسرو قد أمر جيوا بإحراق تلك الأحطاب المكوّمة حتى ينفتح لهم الطريق الى توران . فركب جيو فى ذلك البرد المفرط والهواء الشديد الى ذلك السدّ، فرمى فيه النار فتمكنت منه حتى أحرقت[5] تلك الأحطاب العظيمة، وانهارت فى الأرض . فلم يمكن العسكر عبور من حر تلك النار ولفحها حتى انقضت عليهم ثلاثة أسابيع . فعبر طوس بالعساكر

---

§ يذكر القارئ أن طوسا هو ابن الملك نوذر، وأن الايرانيين عدلوا عنه وعن أخيه كستهم بعد موت أبيهما، واختاروا زو بن طهماسب ملكا عليهم[6] . ويذكر كذلك أن طوسا — كما تقدم فى هذا الفصل — كان يؤيد فريبرز ابن الملك كيكاوس، ويرى أنه أحق بخلافة كيكاوس من كيخسرو حفيده، مستنكرا أن يُعدل عن الابن الى الحفيد . وهى حجة يحتج بها مثل طوس ممن حرموا وراثة أبيهم .

ففى سخط طوس ما يفسر للقارئ مخالفته أمر الملك كيخسرو وسلوكه طريق كلات التى نهاه الملك عن سلوكها، وإقدامه على الوقائع التى انتهت بقتل فروذ أخى الملك . وقد أدرك الفردوسى هذا وأشار اليه فى مقدمة قصة فروذ التى حذفها المترجم .

---

(١) كو : وادى كاس . (٢) ك ، طا : وعُدَدهم . (٣) ك ، طا : رفيما فعله .

(٤) ك : يجل الأمر ويفدح الخطب . (٥) ك : احترقت . (٦) انظر المتن، ص ٩١

آخذا فى طريق جيو كُرد[١] . ولما انتهى اليها نزل عليها، وخيم فى صحرائها، وفرق الطلائع حواليها . وكان صاحب جيوكرد أميرا من الأتراك يسمى ثراو[٢] . فلما بلغه الخبر بإقبال عساكر إيران نفذ فارسا من أصحابه يسمى كبوذه ليطلع على أحوالهم . فصادفه بهرام بن جوذرز ، وكان على الطليعة، وقبض عليه، وقطع رأسه، وعلقه من سموط سرجه ، وعاد الى المعسكر . فلما أبطأ رجوع كبوذه الى ثراو علم بقتله ، فركب فى عساكره وتقدّم للقاء الايرانيين . فتلقاه جيو بن جوذرز فى جماعة من الأمراء فناداه وسأله عن اسمه . ثم قال له : يا فارس الهيجاء ويا مسعر الحرب ! كيف تجاسرت على أن أقبلتَ[٣] بهذا العدد القليل الى حربنا ؟ فقال : أنا صاحب القلب الجرىء والبأس الشديد . وإن أصلى كان من إيران غير أنى اليوم مرزبان (ا) هذا الإقليم . وأنا مفزع الأكابر وختن الملك أفراسياب . فقال له جيو : لا تبح بهذا فإنه يضع من قدرك، ويسفه لأجله رأيك . لأنك اذا كنت صاحب ما ذكرت من المراتب العالية فأين الجيش اللهام ؟ وأين الرايات والأعلام ؟ فقال : لا تنظر الى قلة هذا العسكر، وانظر الى فتكات جرزى اذا استويت على ظهر فرسى . وإنى ماقيم اليوم بسيفى عليكم القيامة، وأوردكم موارد الخزى والندامة . فاغتاظ بيژن بن جيو، وأنكر على أبيه مفاتحة[٤] الكلام . وأشار بمناجزته القتال . فثار بعضهم الى بعض، وقامت الحرب منهم[٥] على ساق . فجرى بينهم قتال عظيم قتل فيه أكثر أصحاب ثراو، فولى مدبرا . فانقض فى أثره بيژن كالشهاب الثاقب المرسل على الشيطان الخاطف، فطعنه طعنة كادت أن تأتى عليه، فتبعه وخطف من رأسه تاجا كان أفراسياب قد توجه به . فانتهى الى باب قلعته والعسكر فى أثره . فنزلت اليه زوجته، وكانت تسمى اسبنوى، وكانت أحسن نساء زمانها . فارتدفها واستفزه الخوف فخرج هاربا يركض راكبا طريق توران لينجو بروحه . فما كان إلا قليل حتى وقف به فرسه . فأنزل الجارية وخلاها . وكان بيژن يطرد خلفه كأنه ثعبان صائل . فلما انتهى الى الجارية ارتدفها، وعاد بها الى المعسكر . وأخذوا تلك الناحية وخربوها . قال : فمضى ثراو على حالته تلك لا يستقر ليلا ولا نهارا حتى وصل الى حضرة أفراسياب، وأخبره بما جرى على أصحابه من القتل والأسر، وعلى قلاعه وضياعه من الإخراب والنهب . فاهتم لذلك أفراسياب واغتم . وأقبل على بيران بن ويسه يعنفه وينسبه الى التكاسل فى جمع العساكر والاستعداد للحادث الكارث .

٦٥

(ا) المرزبان : والى الثغر . مركب من مرز أى الثغر، وبان أى الحافظ أو القيم .

(١) هى فى الشاه : كُرو كُرد . (٢) هو فى الشاه : تژاو . (٣) لك ، طا ، كو : أسهلت .

(٤) لك ، طا ، كو : مفاتحه . (٥) لك ، كو : بينهم .

ذكر تبييت بيران للايرانيين وكبسه إياهم

قال : فوثب بيران وخرج وطيّر رسله و بثهم فى الأطراف . فاجتمع اليه عسكر عظيم ، فوفر عليهم أرزاقهم وعطاياهم ، ورتبهم وعبّاهم ، وركض بهم ركضة واحدة فى طرق غامضة ومجاهل خافية متوجها نحو جيو كرد . فالتقته الجواسيس وأصحاب الأخبار . وأعلموه بأن الايرانيين قد استولى عليهم الشرب حتى إنهم يواصلون بين الصبوح والغبوق ، لا يفيقون ساعة من النهار ، وأنهم بما هم فيه ، فى شغل شاغل عن التحرز من عدوهم ، والتيقظ لأمر القتال[1] ، لا تخرج لهم طليعة لا فى الليل الدامس ولا فى النهار الشامس . فاستدعى بيران أمراءه ، وقال : إنه قل ما توجد مثل هذه الفرصة . فانتهزوها وشمروا عن ساق الجدّ ، واهتبلوا غرة القوم . فاختار منهم ثلاثين ألف فارس . وسار بهم فى كتيبة خرساء بلا صوت ولا جلب ولا كوس ولا جرس . فوقعوا على خيل الايرانيين فى بعض المروج فاستاقوها ، وقتلوا كل من كان عليها من الجوبانية (أ) والمستحفظين . وكان بين مكانهم ذلك و بين القوم سبعة فراسخ . فساروا فلما جنّ الليل هجموا عليهم فى الخيم وهم سكارى نيام ، سوى جيو ، فإنه كان مستيقظا فوثب . وكان على باب خيمته فرس مجفف[2] ، فخرج وهو يقع و يقوم من أثر السكر ، فعلا ذلك الفرس ، وجاء الى أبيه جوذرز ، وكان صاحيا ، فأنذره ، وجاء الى سرادق طوس فأعلمه بالحال ، ورجع الى خيمة ولده بيژن فأيقظه من نومه . فأطلت عليهم سحابة نحس تجيش بأسود تصرف الأعنة ، وترسل صواعق السيوف والأسنة . فما برح فيهم السيف يعمل سحابة الليل الى مطلع الفجر . فلما أضاء النهار اجتمع طوس وجوذرز وسائر من أفلت ، فاصطفوا مع قلتهم صفا سخيفا ، ووقفوا ساعة ثم ولوا الأدبار منهزمين ، وفرّوا منخذلين ، ورجعوا على أعقابهم نحو كاسّروذ ، والتجأوا الى جبل هناك . وكانت سيوف الأتراك فى أقفيتهم الى سفح الجبل . فأعيت دواب الترك لمكان طردهم من تلك المسافة البعيدة فى تلك المدّة القريبة ، فعادوا من سفح ذلك الجبل . فصعد طوس بمن أفلت معه . وأمنوا وتفقد بعضهم بعضا فعدم أكثر الايرانيين . فأخذوا فى الضجيج والعويل ؛ يبكى الابن على الأب والأب على الابن . وبقى جوذرز يبكى على أولاده وأحفاده ؛ لم يبق لهم كوس ولا علم ولا خيل ولا حشم ولا سرادقات ولا خيم . ثم تحصنوا فى ذلك الجبل ، وقالوا : لا بد من إنهاء الحال الى الملك كيخسرو . فاختاروا منهم رجلا مذكورا ونفذوه اليه . فلما وصل الرسول الى الملك كيخسرو وأخبره بما جرى على الجيش جاش صدره هما وامتلأ قلبه غما . وقد كان موجع القلب بما جرى على

(أ) الجوبان : فى الفارسية الراعى ، و يقال أيضا : شُبان . وقد استعمل المترجم هنا الجوبانية بمعنى الرعاة .

(١) ك : والتيقظ لأمر القتال (لا) . (٢) كو : فرس للنوبة مجفف .

أخيه فروذ فزاده هذا الخبر ألما على ألم، ونكأ منه قرحا على قرح . فأطلق لسانه فى طوس وجعل يلعنه . فكتب الى عمه فرى بُرز كتابا يقول فيه : إنى نفذت طوسا وأمرته ألا يسلك طريق كلات وجرم فخالف أمرى، وفجعنى بأخى. ثم لما غمز يده فى الحرب اختار اللهو والراحة والسكر والخلاعة حتى تم على العسكر ما تم . فاذا وقفت على كتابى هذا فانتزع[1] منه الكوس والمداس الذهبى والدرفش الجاويانى، وتسلم أنت ذلك، وتولّ سالارية (ا) العسكر، وسيّر الىّ طوسا، وتحرز عن الشرب واللهو، وإياك والطيش والنزق فى الحرب وأشباهها[2] . واجعل على مقدّمتك جيو بن جوذرز ، واستعن برأيه فى كل أمر[3] . فلما جاء الكتاب الى عمه فرى برز دعا بطوس، وجمع جمعا عظيما، وقرأ الكتاب عليهم . فتلقى طوس الأمر بالسمع والطاعة، وسلم تلك المراتب الى فرى برز، وركب فى أصحابه النوذريين راجعا الى حضرة الملك كيخسرو . فلما وصل دخل عليه فقبل الأرض بين يديه ، ووقف ماثلا فى الخدمة فلم يلتفت اليه الملك، وأخذ يسفه عقله، ويفيل رأيه، ويعدّ عليه مساويه . ثم قال : لولا هذه اللحية البيضاء، وانتسابك الى منوجهر لأمرت بضرب رقبتك . ثم طرده من عنده ، وأمر بتقييده وحبسه .

ذكر ما جرى على الايرانيين من الكسرة الثانية

قال : فلبس فرى بُرز تاج السالارية، وقعد مقعد طوس، وقام مقامه فى الأمر والنهى والحل والعقد . فلم الشعث، وضم النشر، وأعدّ واستعد . وأرسل الى بيران يأخذ منه موعدا للقتال . (ب) فلما كان يوم الميعاد رتب عساكره ، وعبى ميامنه ومياسره ؛ فجعل جيو على الميمنة فأشكش[4] على الميسرة، ووقف بالدرفش الجاويانى مع من فى جملته من الإصبهبذية فى القلب . وأقبل بيران فى صفوفه وأشياعه وجنوده كأنهم السباع الضارية . فلما تراءى الجمعان، والتقت الفئتان أمر فرى بُرز بأن يرشقوهم رشقة واحدة بسهام تفوّقها يد الحمام ، ويريشها بالموت الزؤام . فتقدّم جيو مع الجوذرزيين وحمل عليهم حملة قتل فيها تسعمائة نفس من أقارب هومان[5] فقلوا حدّهم . ثم تابعت الأتراك الحملات على جيو وأصحابه فلم يغنوا شيئا . ثم انقلبوا الى القلب، وحملوا بأجمعهم على فرى بُرز حملة أزعجته عن مقامه . فولى مدبرا والتجأ الى سفح الجبل . وبقى جوذرز وجيو وأصحابهما

(ا) السالارية : منصب السالار . وهو قائد الجيش كالسردار . (ب) الذى فى الشاه أنه أرسل اليه يسأله المهادنة شهرا فأجابه بيران الى ما سأل .

(١) طا ، كو : فاستدع به وانتزع الخ . (٢) طا ، كو : وأصحابها . (٣) ك ، أمورك . (٤) طا : وأشكس .
(٥) ك ، طا : فثبت لهم من عسكر الترك هناك وهومان فقلوا .

فى المعركة . فالتفت جوذرز فلم ير الدرفش الجاويانى، فثنى عنانه، وهم بالإحجام . فمنعه ولده جيو . فوقفوا فانضم اليهم زنكه بن شاوران وكُستهم و جماعة من مقدّمى الايرانيين . فتحالفوا بالايمان المغلظة على ألا يبرحوا . فثبتوا وعضوا على الصبر . فلما حمى الوطيس واحمر البأس صاح جوذرز فى ملتحم القتال بحافده بيژن، وأمره بالمضى الى فرى بُرز واسترجاعه الى المعركة، وأنه إن أبى الرجوع أخذ منه الدرفش وردّه الى القلب فعسى أن تجتمع عليه[1] العسكر، وتتقوى برؤيته قلوبهم . فلما أتاه بيژن امتنع من الرجوع ومن إنفاد العلم أيضا . فغضب بيژن واستشاط وسل سيفه وضرب الدرفش فقطعه بنصفين، وأخذ أحد النصفين وأقبل به الى المعترك (ا) . فلما رآه بيران مع بيژن أمر أصحابه بقصده واستلابه من يده . فأدركه الايرانيون وحالوا بينهم و بينه، واحتفوا بالدرفش وأحاطوا به، واستأنفوا قتالا آخر وزحفوا الى[2] العدو . فقتل ريو بن كيكاوس، وهو أصغر بنيه، فهوى الى الأرض صريعا وتعفر تاجه . فصاح جيو وقال : احفظوا تاجه[3] لا يأخذوه . فبادره بهرام بن جوذرز واختطف بسنانه[4] ذلك التاج وحماه من الأتراك . ثم كثرت حملات الترك على الايرانيين، وقتل منهم خلق عظيم حتى لم يبق من ثمانية وسبعين إصبهبذا من أولاد جوذرز غير ثمانية أنفس، وقتل الباقون . فأحجم الايرانيون وولوا هاربين وانحازوا الى ذلك الجبل (ولقى كستهم بيژن راجلا قد قتل فرسه فارتدفه الى سفح الجبل).(ب) وانصرف بيران مع أصحابه الى مضاربهم بالظفر والسرور. وانصرف فرى بُرز وأصحابه بالدبرة والثبور . نعم وضاع لبهرام بن جوذرز سوط فى تلك المعركة فحملته الحمية الجاهلية على أن لبس سلاحه، وركب يريد الرجوع الى المعركة فى طلب السوط . فمنعه أبوه وتعلق به، وخاطبه أخوه جيو فى ذلك أيضا فلم يسمع منهما، وقال : كيف يجوز فى طريقة أهل الحفاظ أن أترك سوطى الذى عليه اسمى حتى يقع فى يد بيران أو غيره من أصحابه ولست أغضى على هذه السبة ولا أتقلد هذا العار؟ فعاد الى المعترك وأخذ يدور فى تلك الصحراء يطلب السوط حتى عثر عليه فنزل لأخذه . فسمع حصانه صهيل حجرة فعار[5] طالبا لها فعدا خلفه على رجله حتى لحقه، بعد أن صارا

(٦٦)

(ا) هذا يلائم ما عرفه القارئ فى آخر فصل كيكاوس من إباء جوذرز مبايعة فريبرز وتأييده المرشح الثانى كيخسرو . فالعداوة بين جوذرز وفريبرز بينة . (ب) ما بين القوسين من ك ، طا ، كو . وفى الشاه أن بيژن هو الذى ارتدف كستهم . وهذه الجملة لم تأت عفوا، فصداقة بيژن وكستهم يذكرها الشاعر مرارا فى هذا الفصل .

(١) ك : اليه . (٢) ك، طا : على العدو . (٣) ك، كو : تاجه من العدو .

(٤) صل : ببنانه . والتصحيح من ك، طا : كو . (٥) صل : عاد . والتصحيح من طا .

غريقين فى العرق مجهودين من التعب فاستوى عليه فلم يتحرك تحته . ووقف لا يبرح مكانه . فأخذه الضجر وضربه بسيف كان معه فعرقبه ورجع راجلا الى المعترك فى طلب أخ له كان صادفه حيا بين القتلى . فأحس به بعض أصحاب البزك(١) فأعلم به بيران فنفذ ابنــه روئين، وأمره بأن يأسره . فوقف بهرام يذب عن نفســه ويقاتلهم حتى قتــل منهم جماعة . فرجع ابن بيران وجاء ثراو(٢) أحد أمرائهم المذكورين فأحدق ومن معه به . فقاتلهم وتتابعت الضربات من كل جانب عليه فضرب ثراو كتفه بسيف كان معه فأبان يده وخر صريعا :

ومن يغــر بالأعــداء لابد أنه سيلقى بهم من مصرع الموت مصرعا

قال : فلما تأخر رجوع بهــرام الى أصحابه ركب أخوه جيو مع ابنــه بيژن ورجعا الى المعــترك فى طلبــه فصادفاه صريعا مجدّلا يتغرغر بحشاشته . فلما أحس بأخيــه جيو أفاق إفاقة ، وقال : لا يطالب بدمى غير ثراو . فهو الذى أبان يدى ، وجدّل بهذا العراء جســدى . فكاد جيو أن يتمزق جزعا ويتفطر أسفا على ذلك الأسد المقدّام(٣) والفارس الهمام . فحلف ألا يفارق السيف يمينه، والبيضة رأسه وجبينه حتى يشفى بقتل قاتله غليله . فركب وكمن الى أن دخل الليل . فجاء ثراو على البزك . فرصده حتى اذا تمكن منه ألقى عليــه الوهق، واجتره اليه ، وأسره وكتفه وجاء به الى مصرع بهرام فاحتز رأسه عنده . وفاضت نفس بهرام بعده . قال : ولمــا أصبح من اجتمع من المفلولين قعــدوا يتشاورون فقالوا : إنه بعد أن غضبت علينا السعادة، وقتــل منا هؤلاء السادة، وطالت علينــا يد الأتراك بالإهلاك فالمقام هاهنا علينــا حرام . والرأى أن نرجع القهقرى وراءنا ونعــاود حضرة الملك كيخسرو، وننظر ماذا يقتضيه رأيه، ونعمل بمــا يخرج به أمره . فرجعوا الى كاسَروذ قاصــدين قصــد الحضرة . وعلم بيران بانصرافهــم وعودهم الى بلادهم فجاء الى معســكرهم فرأى خيما مضروبة وأموالا موفورة وخزائن متروكة ففرقها على عسكره . ونفــذ فارسا الى أفراسياب يبشره بمــا تيسر له من الفتح . وركب فى أثره الى حضرته . فلما ورد عليه أكرمه وشكر سعيه، وأنعم عليه بخلعة تشتمل على التاج والتخت ، وبغيرها من الخيــل والغلمان والوصائف . وأوصاه بالتيقظ فى الأمر والتحرز من الخصم، وأن يكون على حذر من رستم ولا يأمن شره .

---

(١) البزك : الحرس . (٢) طا . والشاه : تژاو . (٣) صل : المقام . والتصحيح من ك .

ذكر وقعة كاموس الكشانى §

قال: ورجع الايرانيون الى حضرة الملك كيخسرو، ودخلوا عليه خافضى الأحداق ناكسى الرءوس والأعناق . فاغتاظ الملك عليهم وتنمر وقال : « لولا الحياء من الله لأمرت بصلب ألف منكم مع طوس الذى خالف أمرى وأفقدنى أخى ، حتى سرى شؤم فعله الى الجوذرزيين حتى حصدهم السيف » . وبقى ساعة بعد محاسن أخيه فرود ، ويتوجع له ويبكى عليه . ثم طردهم من عنده ، وتقدّم الى الحجاب بألا تمكنهم بعد ذلك من الدخول عليه . فخرجوا وجاءوا الى رستم وتضرعوا اليه ، وقالوا له : «هذا الأمر كان شيئا قد كتب الله علينا وجرى به سابق القضاء . ومن كان منا يعرف

---

§ الظاهر أن البلد الذى ينسب اليه كاموس هو كشانية فى بلاد السغد[1] . وقد يعجب القارئ أن تسمى قصة الوقائع الآتية باسم كاموس الكشانى وهو لا يصرّف أعظم حوادثها . وذلك أن المترجم وصل قصة كاموس بقصة خاقان الصين وجعل لها عنوانا واحدا . والشاهنامه يفصلهما ويصرح الشاعر قبل الشروع فى قصة الخاقان أن قصة كاموس انتهت . وأنه سيشرع فى قصص الخاقان . على أن الشاعر يقول فى آخر قصة الخاقان أيضا أنه أنهى قصة كاموس . وأحسب كلمة « كاموس » وضعت غلطا مكان « خاقان » ولعل هذا دعا المترجم الى اعتبار القصتين قصة واحدة. وسنّى له هذا أن الحوادث متصلة، وكاموس والخاقان كانا معا فى جيش واحد .

ثم الوقائع التى كانت بين طوس والتورانيين قبل مجىء كاموس والخاقان مددا لتوران ومجىء رستم لإنجاد جيش إيران — هذه الوقائع أعظم من أن تذكر فى القصة مقدّمة لحرب كاموس. فاذا ضممنا الى هذا أن هذه الوقائع تشبه الوقائع التى تقدّمت فصل « قصة كاموس » لم نبعد أن تكون حربا واحدة رويت روايتين مختلفتين ووصلت إحداهما بطائفة من الحوادث والأخرى بطائفة غيرها . ونظمهما الشاعر كما وجدهما . وأوجه الشبه بين ما ذكر من الوقائع أن الإيرانيين يُهزمون فى الأولى والثانية وتمطر عليهم السماء بردا ويعتصمون بالجبال، وأن أحد العدوّين يبيّت الآخر فيهما وأن طوسا هو قائدهما . ويؤكد هذا أنه يبعد أن يرسل كيخسرو طوسا لقيادة الجيش بعد أن عزله وحبسه لسوء سيرته وقتله فرود أخا كيخسرو .

فاذا فصلنا قصة كاموس من قصة الخاقان ، ثم حذفنا من الأولى الوقائع التى يظن أنها مكررة كان عنوان « قصة كاموس » على قدر حوادثها .

(١) انظر معجم البلدان لياقوت .

فروذ أو يعلم نسبه من سياوخش حتى[1] لا يتعرض له ؟ و إنه لما قتل ابن طوس وختنه احترق قلبه فكان منه ما كان . والآن فقد[2] وقع المحذور ، ومضى المقدور » . وسألوا رستم الشفاعة فيهم . فدخل على الملك ، وكلمه فى حقهم ، واعتذر لهم اليه حتى رضى عنهم . ثم عاوده فى حق طوس ، وتشفع اليه فيه حتى أطلقه . فحضر بين يدى الملك مع جوذرز وغيره من الأمراء ، ودعا للملك واعتذر اليه واعترف لديه بذنوبه . ثم قال : « إن أمر الملك استأنفت الأمر ، ورجعت الى توران ، وأفرغت[3] وسعى ، وبذلت مجهودى حتى أدرك الثار ، وأخرب تلك الديار » . فأعجب الملك ذلك ، وشاور رستم فيه ، وطالت مفاوضتهم فى ذلك وتراجعهم حتى استقرت آراؤهم على أن يولى طوسا سالارية العسكر ، ويعود ثانيا الى قتال توران . فأطلق للعسكر أرزاقهم وخلع عليهم وأعطاهم . واختار لخروجهم يوما مباركا . فبرز طوس وخيم بالصحراء ، واجتمعت اليه الإصبهبذية فى جموع ضاق بهم القضاء ، ولم يأت عليهم الإحصاء[4] . وخرج الملك فشيعهم وجهزهم ثم رجع . فساروا الى أن وصلوا الى الوادى

= ثم قصة كاموس فى الشاهنامه ١٥٩٥ بيتا تتقسمها العناوين الآتية[5] :

(١) فاتحة القصة . (٢) كيخسرو يوبخ طوسا . (٣) عفو كيخسرو عن الإيرانيين . (٤) إرسال كيخسرو طوسا الى توران . [(٥) رسالة پيران الى عسكر إيران .] (٦) إمداد أفراسياب پيران . [(٧) قتل طوس أرژنگ . (٨) قتال هومان وطوس] . (٩) قتال الإيرانيين والتورانيين مرة أخرى . [(١٠) التورانيون يسحرون جيش إيران] . (١١) ذهاب الإيرانيين الى جبل هماون . (١٢) إحاطة جيش توران بجبل هماون . (١٣) تعقب پيران الايرانيين الى جبل هماون . (١٤) الايرانيون يبيتون العدو . (١٥) علم كيخسرو بما أصاب جيشه . [(١٦) تزوج فريبرز فرنكيس أم كيخسرو .] (١٧) طوس يرى سياوش فى المنام . (١٨) إرسال أفراسياب الخاقان وكاموس لنجدة پيران . (١٩) مجىء الخاقان الى جبل هماون . (٢٠) ائتمار الايرانيين فيما بينهم . (٢١) علم كودرز بأن رستم قادم . (٢٢) ذهاب خاقان الصين لرؤية جيش إيران . (٢٣) بلوغ فريبرز جبل هماون . (٢٤) تشاور پيران وخاقان الصين . (٢٥) مقاتلة طوس وكيوكاموس . (٢٦) مجىء رستم الى الايرانيين . (٢٧) ترتيب الايرانيين والتورانيين الجيوش . (٢٨) قتال رستم وأشكبوس . (٢٩) سؤال پيران عن قدوم رستم . (٣٠) ترتيب الجيوش للقتال . (٣١) قتل كاموس ألوا . (٣٢) قتل رستم كاموس .

---

(١) صل : حتى (لا) . والتصحيح من ك ، كو . (٢) كو : قد . (٣) ك ، كو : فأفرغت .
(٤) ك ، طا : الحصر والاحصاء . (٥) ما بين الأقواس محذوف من الترجمة .

الشهد § . فركب بيران فى عساكر الترك حتى شارفهم . فلما وقف على حالهم أرسل الى أفراسياب، وسأله أن يمدّه بمن يقدر على حشده من الجيوش . فأنفذ اليه بعد عشرة أيام عسكرا عظيما . فقوى به قلب بيران، واشتدّ أزره، وأقبل حتى نزل بحذاء الايرانيين . فجرت بينهم وقائع كثيرة عظيمة فى أيام متوالية . وكانت آثار الدبرة تظهر فى كل يوم على الايرانيين . فنفذ طوس فارسا الى الملك كيخسرو، وأنهى اليه الحال، وسأله أن يمدّه برستم ومن يقدر عليه من الجنود . ثم إنهم ضاق بهم الأرض، وكثر فيهم القتل، وظهر فيهم الفشل، (أ) فقعدوا ذات يوم يتشاورون فاتفقت آراؤهم على أن يرجعوا وراءهم الى جبل عظيم هناك يسمى هماون فيتحصنوا به، حتى اذا أمنوا واطمأنوا نظروا فى أمورهم، ودبروا ما يرجع بمصالح أحوالهم وشؤونهم . فركبوا عند غروب الشمس قاصدين ذلك الجبل، وقدّموا بين أيديهم الثقل، وساقوا[1] طردا وركضا حتى وصلوا الى الجبل فنزلوا وتحصنوا به . وقال طوس لجيو بن جوذرز : استرح ساعة وتناول شيئا، وانظر من يخرج الى اليزك ويكون طليعة . فان العدو وراءنا لا يتأخر عن طلبنا . فركبت الطلائع وتفرّقوا فى سفح الجبل[2] وعلى فوهات الطرق . ولما أصبحوا جاءهم النذير بأن طلائع العدو قد طلعت . فركب طوس فى العسكر فاصطفوا فى سفح الجبل . فأتاهم هومان فى جموع من الترك، واصطفوا بحذائهم، ووقف يعنف طوسا ويعيره[3] بالفرار والاعتصار[4] بالحصار . وردّ فارسا يستعجل بيران فى اللحاق به . فوصل بيران فى جميع عساكره عند غروب الشمس فنزلوا أمام الجبل حتى أصبحوا . ففرق بيران العساكر، ووكلهم بحفظ الطرق عليهم، وسدّ المسالك اليهم . فأحدقوا بذلك الجبل، وقطعوا عنهم المادة والميرة . وكانوا ينزلون ويقاتلون العدو، والحرب بينهم سجال .

---

§ فى الشاه : أن طوسا حين بلغ وادى الشهد كتب الى بيران يخبره، وأن بيران أرسل الى طوس يذكر أياديه على كيخسرو وأمه، وحزنه على سياوخش، ويلوم الملك كيخسرو على إرسال الجيوش لحربه . فأرسل طوس اليه يقترح أن يهجر توران الى ايران لينال إحسان الملك . فأظهر بيران أنه سيفعل . ثم كتب الى أفراسياب يخبره بقدوم جيش إيران، ويستمده .

(أ) فى الشاه : أن بيران قائد توران دعا ساحرا اسمه بازو، وأمره أن يصعد الجبل فيثير بالسحر على الايرانيين ريحا باردة تنثر عليهم البرد . ففعل، وكان هذا من أسباب هزيمة الايرانيين . وفى كتاب البلدان أن عند الأتراك حصاة يستمطرون بها ما شاءوا من مطر وثلج . ص ٢٠٩

(١) ك : وساروا . (٢) ك : الجبل على . (٣) ك : ويعيبه . (٤) ك : الاعتضاد .

ذكر اطلاع الملك كيخسرو على حال الايرانيين

قال : ثم أتى الملك كيخسرو الخبر بما جرى على طوس وأصحابه ، وما انتهى اليه حالهم . فعظم عليه ذلك ، وأخذه المقيم المقعد ، وفزع على ملكه . فنفذ جماعة من الموابذة والأكابر الى رستم يستدعيه . فلما حضر شرح له حال طوس وما جرى عليه وعلى الجوذرزيين . ثم قال[1] : إنى أفزع على هذه الدولة المتطاولة الأيام من الزوال والانصرام . وقد امتلأ قلبي عليها ذعرا وأوجست فى نفسى خيفة . وما ربى[2] التاج والتخت من الأول إلا أنت ، وبك فاضت عليهما السعادة والبخت . وما[3] يخفى على العالمين وقائعك وأيامك وما فعلت بسعالى مازندران ، وشياطين كركساران . والآن فقد جاء كتاب طوس ، وهو يستصرخ بك مستغيثا ، ويستنجدك مستجيرا . وهو على شفير هار مشرف على يأس وبوار » . وكأنما عن هذه الحالة عبر مترجم الكتاب الفتح بن على[4] حيث قال :

أغث منه بنصرك ذا صراخ حزين القلب أدمعه سجام
أراه اليوم وافى مستجيرا اليك . وإنه وجب الذمام
مريض قد قضى أو كاد لما تولى طبعه علل جسام
وليس سواك فى الدنيا طبيب يعالجه لينحسم السقام
فان أدركته لطفا وإلا على أطلال كاظمة السلام

فقال له رستم : لا يخفى على علم الملك أنى من اليوم الذى اعتصب[5] كيقباذ فيه بتاج السلطنة الى هذا اليوم لم أضع المغفر عن رأسى ، ولا استراح عن أوزار الحرب ظهرى ، ولا أجمت عن مطاعنة الأعداء ومضاربتهم ساعدى ويدى . والآن فأنت ذو الدولة الجديدة والسعادة العتيدة ، وأنا أتلقى أمرك بالامتثال ، وأقابل حكمك بالطاعة والانقياد » . فأمر الملك بفتح الخزائن ، ومزق الخازن رءوس البدر والأكياس (وأفرغ الدنانير[6]) والدراهم على الأجناد ، بعد أن سلم مفاتيحها الى رستم ، وأطلق فيها يده . ثم قال له : ينبغى أن يسرع البهلوان جادا كالريح العاصف ، لا يقيم فواق ناقة ولا يستريح روحة راكب . وليستصحب مائة ألف من آساد الأجناد والفرسان الأنجاد . وليجعل فرى برز على مقدمته » . فقبل رستم الأرض ، وخرج من عند الملك . وبرز الى الصحراء

(١) ك : وقال . (٢) هذه الكلمة غير واضحة فى الأصل . وهى فى كو : رجا . والتصحيح من طا : ومن الشاه .
(٣) ك : ولا . (٤) كو : « الفقيه العالم قوام الدين » بدل «الفتح بن على» . (٥) ك ، طا : اعتصب فيه
(٦) ما بين القوسين من ك ، طا .

فأفاض على عسكره العطايا وأطلق أرزاقهم . وقدّم فرى برز بين يديه . وأشار عليه (بأن يعجل اللحاق بطوس وبأن يمنعه من العجلة فى أمره ويشير عليه)[1] بالتثبت والمدافعة وبأن لا يناجز بيران ، ويسلك معه سبيل الخديعة والمكر حتى يلحق به فيمن معه على الأثر كالسيل المتلاطم. فسار فرى برز. وسار فى أثره رستم، وشيعه الملك فرسخين ثم عاد وهو يستنجز الله فى نصره الميعاد .

(أ) ذكر رؤيا رآها طوس

قال : ونام طوس ذات ليلة بعد أن أقض من المهم مضجعه، واستعرت بنار الغصص أضلعه. فرأى فى منامه كأن شمعة مشتعلة منبثة الأشعة قد طلعت من ماء ، والى جنبها[2] تخت من العاج ، وسياوخش قاعد عليه معتصبا بالتاج . فأقبل الى طوس فضحك اليه وقال : الزم هذا المكان . وأشر على الايرانيين بالثبات والصبر . فإن النصر قريب . ولا تهتم بمقتل الجوذرزيين فإن ها هنا حديقة ورد، وهم معى فيها نشرب الرحيق، ونواصل الصبوح والغبوق » . فانتبه مسرورا ، وقص رؤياه على جوذرز ثم قال : لا أشك أن رستم يلحقنا . وما من يوم إلا وأتوقع وصوله فيه[3] . وهو واصل » . ثم أمر بدق الكوسات على ذلك الجبل . فركب الفرسان وتأهبوا للحرب ورفعوا علم الدرفش الميمون . وركب بيران من ذلك الجانب ، وتقدم فى عساكره . ووقف كل واحد من الفريقين بإزاء الآخرين . ولم يتقدم أحد من الطائفتين لمبارزة ولا محاربة . فاستعجل هومان بيران فى أن يناوشهم الحرب . فقال له : لا تحتد وتأنّ وتجنب النزق والعجلة فى محاربة القوم . فإنا قد سددنا عليهم الطرق، ومنعنا عنهم الميرة[4] . وعن قليل يضطرون الى النزول الينا ، ويستأسرون لنا » . فاعتمدوا على ذلك ورجعوا الى مضاربهم. ولما أصبحوا طلعت الشمس من برج السرطان ووصل الى بيران رسول أفراسياب يبشره بوصول الأمداد لإنجاده متواصلين؛ منهم خاقان[5] ملك الصين فى عساكر لا تقلهم الأرض ، ومنهم بهلوان من أهل ما وراء النهر يسمى كاموس الكشانى . وهو فارس ما تمخضت أم الشجاعة بمثله . فى جمع سماهم صاحب الكتاب . وحكى أن أفراسياب ما ترك من باب اسفيجاب الى حدود الروم فارسا إلا أتى به[6] . قال : فبشر بيران أصحابه ، وقال لهم : قد

(أ) فى الشاه ، قبل هذا الفصل ، فصل ذكر فيه الشاعر تزوّج فريبرز بن كيكاوس أم الملك كيخسرو . وكأن هذا الزواج كان لإزالة ما بين الملك وعمه من الوحشة التى كانت من تأسيها على الملك . وكأن تولية فريبرز قيادة الجيش بعد عزل طوس — كما تقدم — كانت ممهدة لهذا .

(١) ما بين القوسين من ك، طا . (٢) ك ، كو : جانبها . (٣) ك ، طا : فيه (لا) .

(٤) ك، طا : ومنمام . (٥) كو : خاقان الصين . (٦) لفظ «به» من ك ، كو .

فاز قد حكم ووری زندكم . وما بقی عليكم من العناء غير قليل . وستضعون أوزار الحرب عن قريب . وسأفرغ غداً عن[١] هؤلاء المخذولين الذين اعتصموا بهذا الجبل . ثم أقسم العسكر ثلاثة أقسام ؛ فقسم أسيره الى بلخ حتى يحتووا عليها . وقسم أنفذه الى بلاد زابل حتى يتملكوها . وأنهض فى القسم الثالث الى بلاد ايران فأخربها وأملك تاجها وتختها وأقتل رجالها وأسبي ذراريها ونساءها . ثم أوصى هومان وأصحابه بحفظ الطرق ، والنزول على مخارم ذلك الجبل حتى لا ينتهز الايرانيون فى النجاة بأنفسهم فرصة ، ولا يهربوا ليلا . وركب بيران للقاء ملك الصين وكاموس الكشانى . فرأى الخيم والسرادقات طلاع ذلك الفضاء ، ورأى الرماح والأعلام متشاجرة ما بين الأرض والسماء . ودخل على الخاقان فلما وقع نظره عليه قبل الأرض . فاعتنقه الخاقان وأكرمه وأجلسه بين يديه ، وسايله عن عسكر ايران وعددهم وعددهم ورؤسائهم وأمرائهم . ثم عزم بيران على النهوض . فأجلسه وقال : تستريح عندنا هذه[٢] الليلة » . فبات بيران عنده يشرب معه . قال : وأشرف طوس من الجبل صباح اليوم المذكور على معسكر الاتراك فرآهم خافتين ساكنين ، فاهتم بسبب ذلك وفزع ، وقال : لا يخلو حالهم من أحد الأمرين[٣] : إما أن يكون قد[٤] أتاهم خبر سوء فأصم صداهم ، وإما أن يكون قد جاءهم[٥] مدد فاشتغلوا بمقدمهم عن الحرب . فإن كان هذا هو الواقع ، والعياذ بالله ، ولم يغثنا رستم فقد انقضت أيامنا وانصرمت أعمارنا ، وسيهجمون علينا هجوم السيل ، وسيدوسوننا بسنابك الخيل (قال : فقام جوذرز من وسط القوم وصعد الى رأس الجبل[٦]) وأقعد الديدبان فى أعلاه ينظر ويرقب . فلما كان بعد زوال الشمس رأى الأرض من ناحية توران تموج بالرماح والأعلام ، وتمور بالخيل والفيلة . فصرخ واستغاث وسمعه جوذرز فصار وجهه كالقار[٧] من فرط الحذار فقال : الساعة أدبرت عنا السعادات والدول ، وانقطع عن الحياة رجاؤنا والأمل . قد كان حولى من أولادى وأحفادى عسكر ، فلم يبق منهم فى الطلب بثار سياوخش عين ولا أثر . فياليت أمى لم تلدنى » ووقع عليه البكاء والعويل . ثم أمر بإسراج فرسه عازما على أن يودع من بقى من أولاده ، ويستسلم للهلاك . وتفرقت الأمراء والإصبهبذية فى سفح ذلك الجبل . وقعدوا حلقا حلقا ، قد علتهم الهموم والكآبة ، يوصى بعضهم الى بعض ، ويودع أحدهم الآخر ، حين انقطعت عن البقاء أطماعهم وخاب فى الحياة رجاؤهم .

(١) ك . من . (٢) ك : هذه (لا) . (٣) ك : أمرين . (٤) ك : قد (لا) .

(٥) ك : أتاهم . (٦) ما بين القوسين من ك ، طا . (٧) اصل : كالنار . والتصحيح من ك ، طا ، كو ، والشاه .

فبينا هم كذلك إذ جاءهم الديدبان يبشرهم بطلوع الرايات والأعلام وظهورها من ناحيـة ايران. فكادوا يطيرون عنـد ذلك فرحا وسرورا، وكانوا أذل من الثعالب فصاروا[1] ضراغم ونمـورا. واشتعلت نيرانهم، وأورقت بعد الذبول أغصانهم. فصاح طوس بأعيان العسكر ووجوه الجيش، وأمرهم بأن[2] يستشعروا القوة على عدوهم. فعمهم السرور والفرح، وكثرت بينهم التهانى والبشائر فى يومهم ذلك. فأفاضوا على الديدبان الخلع، ونثروا عليـه الذهب والفضة. وأمر طوس بركوب اليزك لحفظ الطرق.

قال: ولما طلعت الشمس فى ثالث ذلك اليوم عبى الخاقان عساكره، وقال لبـيران: نستعد[3] للحرب ونجرب[4] الايرانيين ونبصر طرائقهم. فقال بيران: نحن كلنا تبع للملك متقادون لأمره، فليفعل ما يريد. فأمر بدق الكوسات، وجاءوا بخمسة من الفيلة وأسرجوها بسروج على أقدارها، مرصعة بالزبرجد، وغشوها بالديباج[5] المذهب. وعلاها الفيالون بالأكاليل الموشحة باللؤلؤ والياقوت، والأطواق[6]. وركب فى عسكر عادت[7] تشتعل بأسلحتهم الآفاق، وتقمر بأشعتها الأحداق. وجاءوا حتى صافوا طوسا فى جموعه وصفوفه. ثم قال الخاقان لبيران: ما ترى الآن؟ فقال: أيها الملك! قد[8] طويت مراحل بعيدة، وتحملت تعبا ومشاق كثيرة. وقد أبصرت العـدو. والرأى أن ينصرف الملك ويستريح هو وعسكره ثلاثة أيام. ثم يجعل العسكر قسمين؛ فيحارب العدو من أول النهار الى وقت الزوال أحد القسمين، ويقاتلهم القسم الآخر بعد الزوال. فانه عند ذلك يضيق عليهم الأمر فنهجم عليهم فنقتل البعض ونستأثر[9] البعض». فأنكر ذلك كاموس الكشانى وقال: ما هذا التوانى والتمهل؟ وما بالنا لا نناجزهم مع قلة عددهم وضعفهم؟ والأصوب أن نصدمهم صدمة واحدة، ونفرغ منهم، ثم نقود العساكر الى بلاد ايران فنتملكها قهـرا، ونخطبها قسرا. فقـال خاقان[10]: الرأى ما رآه كاموس. فاستعدوا الليلة، وينبغى أن يكون جميع العساكر وقت تبلج الإصباح حاضرين فى هـذا الفضاء. فاتفقوا على هذا الرأى، وانتقضوا من ذلك الموقف. وباتوا ليلتهم فى الإعداد والاستعداد.

قال: فجاء الديدبان صبيحة الغـد الى جوذرز، وبشره بقرب العسكر الواصل من ناحية ايران. فركب جوذرز، وقصد قصد الغبار الذى طلع من طريقهـم. فلما خالطه رأى فرسان أهل ايران

---

(١) ك، طا، كو. فعادوا. (٢) ك: أن. (٣) طا، كو: نستعد اليوم. (٤) ك، طا: ونجرب أنفسنا مع الايرانيين. (٥) ك: بديباج. (٦) ك، طا، كو: والأطواق والقرطة.

(٧) ك، طا، كو: كادت. (٨) ك، كو: انك قد. (٩) ك: ونأسر. (١٠) كو: الخاقان.

مقبلين ، ورأى فرى برز بن[1] كيكاوس قدام العسكر . فترجل له وتعانقا فعزاه[2] فرى برز عن أولاده (ا) وسايله[3] . فبكى جوذرز وذكر له ما هم فيه من الضيق والشدّة والخوف من العدوّ . وشرح له كثرتهم وغلبتهم . وقال : إن جميع عساكر طوس بالنسبة اليهم كشعرة بيضاء فى جلد بقرة سوداء . وكأنهم ما خلوا من بلاد الصين وسقلاب والهند والروم ذا روح إلا وقد أتوا به إلينا . ثم سايله وقال : متى يصل رستم ؟ فقال : إنه لا يبطئ ، ولعله يصل الليلة . ثم قال لجوذرز : فما أصنع الآن ؟ وأين أنزل بهذا العسكر؟ وأين أقصد بهم؟ فقال جوذرز : فما الذى قاله رستم لك ، وبماذا أشار عليك ؟ فانه لا محيد عن أمره ، ولا معدل عن رأيه . فقال : إن رستم لم يأذن لى فى الحرب ، وقد أمر طوسا بالصبر الى أن تطلع راياته » . ثم توجه بمن معه من العسكر نحو الجبل الذى عليه طوس وأصحابه . فلما رأى ديدبان التورانية ورباياهم العسكر الذى جاء من صوب ايران ، وانضوى الى أصحاب طوس أخبروا بيران بوصول المدد من صوب ايران . فعظم ذلك عليه ، وركب مذعورا الى الخاقان ، وأعلمه بأن طوسا قد جاءه مدد من عساكر ايران ، وأنه بعد لا يعرف مقدار عددهم ولا من المقدم عليهم . فقال له كاموس : قلدك أفراسياب سالارية جيشه ، وسير تحت رايتك جميع عسكره ، فما الذى كان بك حتى أقمت فى هذه الناحيه خمسة أشهر تدور من جانب الى جانب لا تناجز عدوك . ولا تجد فى قتاله ؟ والآن حين امتلأت الأرض بالعساكر وأنجدك الخاقان والمنشور[4] وغيرهما من ملوك الأطراف ووجوه الأمجاد والأنجاد فاصبر ولا تقلق حتى يفتح ما أغلقته من الأمر . واعلم أنه لو اجتمع جميع عساكر كابل وزابل وخرجت وحدى اليهم ما وقفوا قدامى ساعة . وقد فزعت من رستم وعسكر سجستان . وأنا فلست أفكر فيهم ، ولا أبالى بهم . »

ولما كان من الغد ركب كاموس فى عساكره الى فضاء المعترك ، وركب طوس من الجانب الآخر فتناوشوا الحرب من أول النهار الى آخره . ولما جنحت الشمس للغروب رجع كلا الفريقين الى مضاربهم . (٦٩)

وكان جوذرز فوق الجبل فجاءه الديدبان فى ناشئة الليل ، وأعلمه بظهور جمع عظيم بين أيديهم الشموع المتقدة والمشاعل المشتعلة ، وذكر أنه لا يشك فى أنهم مواكب رستم قد وصل . فركب جوذرز ونزل من الجبل . فلما بدا له علم رستم ركض فرسه نحوه . وحين رأى وجهه ترجل وخدم .

(ا) أولاد كوذرز قتلوا فى معركة قائدها فرى برز — كما تقدّم فى هذا الفصل — فما تعزية فرى برز الآن ؟ . انظر مقدّمة الفصل فى الكلام عن اللبس فى هذه الوقائع .

(١) ك : ابن كيكاوس (لا) . (٢) ك ، طا : وعزاه . (٣) كو : عن حاله . (٤) فى الشاه : المنشور .

ونزل رستم أيضا فتعانقا وانتحبا . وجعل جوذرز يدعو له ، ويظهر السرور بمقدمه ، ويقول : إنك أنفع للايرانيين من التاج والتخت ، وخير لهم من الأم والأب . وقد كنا قبل مجيئك كالحيتان على اليبس . فنحمد الله على أن وصلنا بخدمتك ، وأقر أعيننا بطلعتك . وفى نظرى اليك من الفرح ما يهون علىّ قتل الأولاد والأحفاد» . وبلغ الخبر طوسا وجيوا وغيرهما من الملوك والأمراء ، فركبوا فى جنح الليل لتلقيه . فلما رأوه نزلوا وخدموا له ، وأجهشوا اليه بالبكاء والعويل على من قتل منهم من السادة والكبراء فبكى رستم عند ذلك ، ثم أقبل[1] عليهم يعزيهم ويعظهم . وساروا جميعا نحو الجبل . ونصب سرادقه ، ونزلت عساكر نيم روز عنده . فدخل السرادق وقعد على التخت ، وقعد جوذرز وجيو الى جانبه ، وقعد طوس من الجانب الآخر ، واصطف سائر الأمراء والاصبهبذية قياما على رأسه[2] .

قال : وأخذوا طول ليلتهم يحدّثونه عن عساكر توران ، وعن الذين أنجدوهم مثل خاقان الصين وكاموس الكشانى ومنشور[3] وغيرهما من ملوك تلك الأقاليم ، ويذكرون ما كانوا عليه من الخطر ومشارفة الهلاك قبل وصوله . ثم حمدوا الله[4] على خلاصهم به من ذلك ونجاتهم بمقدمه . ثم خرجوا من عنده .

ولما أصبحوا ارتفعت أصوات الكوسات من الجانبين ، وركب الخاقان وعبى عساكره ، وجعل كاموس على الميمنة وبيران على الميسرة ، ووقف فى القلب . فلما رأى رستم ذلك أمر بتسوية الصفوف ؛ فجعل جوذرز على الميمنة وفرى برز على الميسرة ، وأمر طوسا بالوقوف فى القلب . وقال لهم : إن الرخش قد تعب فى هذا الطريق . فانى قد كنت أسير عليه فى كل يوم مسيرة يومين من غير أن أريحه وأجمه . وأنا أخشى عليه بسبب ذلك . فصابروا العدو هذا اليوم ودافعوهم» . ثم رجع الى الجبل حتى صعده فأشرف على عساكر الترك . فلما رأى وفور جمعهم وكثرتهم نزل ورجع الى أصحابه ، وأشار عليهم بدق الكوسات والزحف على[5] العدو . فتحرك طوس من موضعه ، وزحف كل واحد من الجمعين الى الآخر . فقاتلوا[6] فى ذلك اليوم قتالا عظيما . وكان كاموس يحرض أصحابه ويأمرهم ببذل الوسع فى القتال . فتقدم فارس منهم يسمى اسكبوس[7] وطلب المبارزة فتصدى له

(١) لك : وأقبل . (٢) فى كو فى هذا الموضع : وكأنما عناه الرضى حيث يقول :

أخو الحرب ذاق الرائعات وذقته ... ونال ونالته القنا والفوارس
كأن ملوك الأرض حول سريره ... بفناء وقوف والقطامى جالس
اذا رمقوه فالجفون كواسر ... على غير داء ، والرءوس نواكس

(٣) فى الشاه : منشور . (٤) لفظ الجلالة من كو ، وحاشية طا . (٥) طا ، كو : الى العدو .

(٦) لك ، طا : فتقاتلوا . (٧) فى الشاه : اشكبوس .

رهام (بن جوذرز[١] فتطاعنا ساعة فهرب منه رهام) وأراد طوس أن يخرج من الصف لمبارزته . فمنعه رستم من ذلك ، وقال : الزم مكانك » . و برز اليه بنفسه وهو راجل ، و بيده قوسه ، وقد غرز فى وسطه سهاما عدّة . فلما رآه اسكبوس ضحك متعجبا منه حين تصدّى لمبارزته راجلا . فسدّد رستم نشابة الى نحر فرسه فرماه بها ، فتقطر منه الفرس على جنبه ، و بقى يقاتل راجلا . فرماه رستم بنشابة أخرى فخر صريعا لوجهه . وانكسرت قلوب الأتراك بسبب ذلك . ورجع كلا الفريقين الى مواضعهم[٢] ، فقطعوا ليلهم فى حديث الحرب متعجبين من قتل راجل لمثل[٣] ذلك الفارس ، وهم لا يدرون أنه رستم .

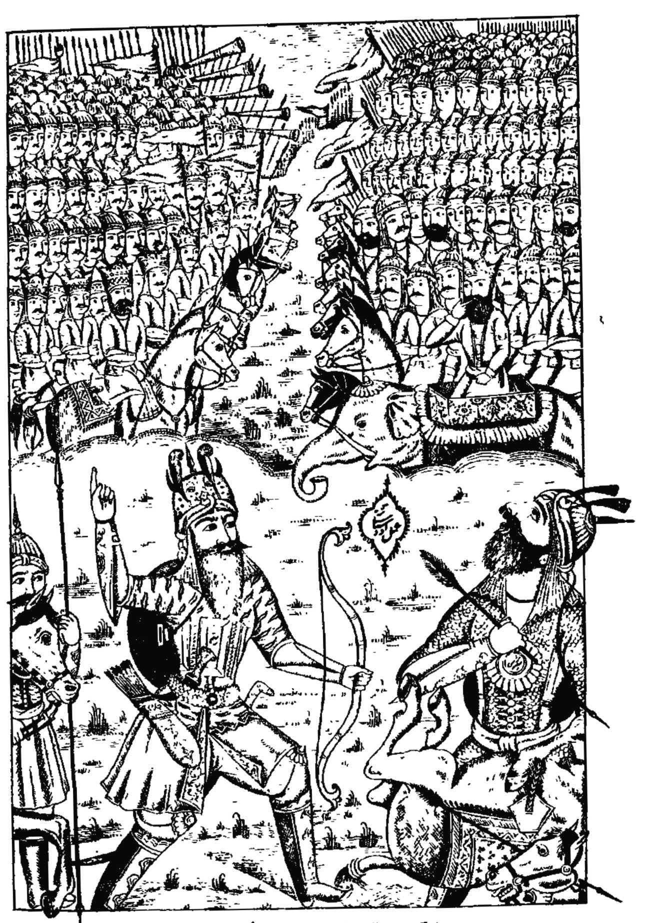
ولم يزالوا فى تهيئة أسباب الحرب حتى أصبحوا . فدعا الخاقان بكاموس وقال : لاينبغى أن يكون قتالكم اليوم مثل قتالكم بالأمس » . وحثهم و حرضهم على الجد والاجتهاد و إفراغ الوسع والطاقة . وأما رستم فانه قال لأصحابه : إنى قد أنعلت الرخش ، وأباشر القتال[٤] بنفسى فى هذ اليوم . ثم ظاهر بين درع وجوشن ، ولبس فوقها[٥] عدّة أخرى من جلد الببر . (ا) وركب وحرض أصحابه . وركب الخاقان ، وعبى عساكره على تعبيته بالأمس . وزحف الايرانيون اليهم على تعبيتهم . فكان أوّل من تقدّم كاموس الكشانى فى مثل هيجان الفيل القطم ، وصاح وقال : أين ذلك الراجل[٦] الذى بارز بين الصفين بالأمس . فعلم طوس وجيو وأصحابهما أنهم لا طاقة لهم بمقاومته . فلم يتعرض منهم أحد . وكان فى أصحاب رستم الزابليين فارس يسمى ألواذ قد أفنى عمره فى معالجة الحروب ، وتعلم من رستم الفروسية وطرائق القتال . فتقدّم لمبارزته ، فما كان إلا قليلا حتى طعنه كاموس طعنة اختطفه بها عن ظهر فرسه ، و رماه الى الأرض قتيلا . فلما رأى رستم ذلك اغتاظ وتمزق[٧] . ثم تقدّم اليه وفى إحدى يديه الجرز وفى الأخرى الوهق . فقال له كاموس : ما هذا الشهيق والتغيظ؟ وما هذا الإدلال بهذا الحبل ؟ فقال رستم : إن السبع الجائع اذا ظفر بالصيد زأر ، وأما هذا الحبل فستخبرك عنه رقبتك . فثوّر كاموس فرسه ، وضرب بسيفه رقبة الرخش ضربة عظيمة فلم تؤثر فيه غير قطع التجفاف . فلق رستم عند ذلك عليه الوهق ، وأعلقه فى وسطه ، واجتره اليه ، وثوّر رخشه فأخذ الكشانى أسيرا ، و رماه من ظهر فرسه الى الأرض صريعا لليدين والفم . ثم ترجل عليه وكتفه

(ا) فى الشاه : "الدرع تحت والجوشن فى الوسط وجلد الببر (ببر بيان) فوق" وجلد الببرُبْنة عرف رستم بلبسها فى الحرب .

(١) ما بين القوسين من لـ ، طا ، كو . (٢) لـ : مواطنهم . (٣) لـ : لذلك الفارس .

(٤) لـ : الحرب . (٥) كو : فوقهما . (٦) صل : الرجل . والتصحيح من الشاه ، طا ، كو .

(٧) لـ ، طا ، كو : فلما رأى رستم ذلك اغتاظ وتمر وشهق ثم .



رستم يرمى اسكبوس التورانى فيقتله ، بعد أن رمى فرسه فقتله

[من الشاهنامه – طبع تبريز سنة ١٢٧٥ ـ]

وعاد به الى أصحابه، وأباحهم دمه ، فأخذته السيوف يمنة ويسرة حتى تناثرت أوصاله وأجزاؤه ، وتطايرت أعضاؤه وأشلاؤه § .

فأظلم النهار لمقتله فى عيون الأتراك فأتوا الخاقان، وأخبروه بمقتل كاموس . فعظم ذلك عليه حتى تغير لونه . فدعا بهومان وأمره بأن يخرج من الصف ويسايل عن هذا الفارس وعن اسمه ومولده . فخاف فغير لباسه ، وركب فرسا غير الذى كان عليه ، وخرج من الصف، وقرب من رستم فمدحه وقرظه ووصف قوته وشوكته . ثم سأله عن اسمه ومولده . فقال له : ما الذى دعاك الى هذا السؤال وما مرادك منه ؟ ولماذا دنوت منى تلاينني فى الكلام وتلاطفني فى الخطاب ؟ فان كان الغرض طلب الصلح وإطفاء نائرة الفتنة فسلموا الينا قاتل سياوخش ومن سعى فى دمه ، وقتلة الجوذرزيين مع الخزائن والخيل التى جاء بها سياوخش الى بلادكم . فإن فعلتم ذلك صالحنا كم وأمسكنا عن محاربتكم . وإن أردت أن اسمى لك(١) المطلوبين فأولهم كرسيوز الذى كان قادح زند الفتنة وموقد

§ تنتهى هنا قصة كاموس الكشانى فى الشاهنامه ، ويصرح الفردوسى بانتهائها وأنه سيقص بعدها نبأ خاقان الصين ثم يبدأ القصة بعنوان «قصة رستم وخاقان الصين» . وقصة الخاقان فى الشاهنامه ١٥٢٥ بيتا فيها العناوين الآتية وما بين القوسين محذوف فى الترجمة :

(١) علم الخاقان بمقتل كاموس . (٢) [مقاتلة چنكش ورستم] . (٣) إرسال الخاقان هومان الى رستم . (٤) ائتمار پيران وهومان والخاقان . (٥) مجىء پيران الى رستم . (٦) تشاور التورانيين فى حرب الايرانيين . (٧) خطاب رستم عسكره . (٨) ترتيب الجيوش الايرانية والتورانية . (٩) توبيخ رستم پيران . (١٠) بدء القتال . (١١) قتال شنكل ورستم وهرب شنكل . (١٢) حرب رستم وساوه . (١٣) قتل رستم كهار الكهانى . (١٤) أسر الخاقان . (١٥) هزيمة جيش توران . (١٦) تقسيم رستم الغنائم . (١٧) كتاب رستم الى كيخسرو . (١٨) جواب كتاب رستم . (١٩) علم أفراسياب بما أصاب جيشه . (٢٠) حرب رستم وكافور آكل البشر . (٢١) علم أفراسياب بقدوم رستم . (٢٢) كتاب أفراسياب الى پولاد وند . (٢٣) مقاتلة پولاد وند كيوا وطوسا . (٢٤) قتال رستم وپولاد وند . (٢٥) صراع رستم وپولاد وند . (٢٦) هرب أفراسياب من رستم . (٢٧) رجوع رستم الى الملك . (٢٨) رجوع رستم الى سيستان .

(١) ك، طا : لكم .

نارها، وكُروِي زِرِه الذى أراق دم سياوخش بيده، وسعى اليه بقدمه، ثم المنافقون من أولاد ويسه؛ وهم هومان وكلباذ ولُهاك وفرشيد ونستيهن . فتى أحضرتم عندى هؤلاء مقرنين فى الأصفاد أغلقت باب قتالكم . وإن أبيتم أن تفعلوا أعدت عليكم الداء القديم، وألقحت الحرب العقيم . وقد جربتمونى فى هذه المعركة، وشاهدتم آثار سطوتى وبأسى. فعد الى أصحابك، واحفظ ما ذكرت لك، ونفذ إلىّ بيران فإن قلبي يميل اليه من بينكم، من حيث إنه لم يحزن على سياوخش منكم سواه، وليس فى أهل توران صاحب رأى وتؤدة مثله . فرجع هومان منخوب القلب مغضوض الطرف الى أخيه بيران . وقال له : قد اعتاص أمرنا، وأعضل داؤنا . فان هذا الفارس هو رستم الزابلى . وقد دنوت منه وكلمته . وهو يطلب[1] الاجتماع بك ويدعوك من بين جميع هذا العسكر . فامض اليه وانظر ما يقول . فمضى بيران الى الخاقان بجناح مهيض وقلب كسير، وقال أيها الملك : تأن فى الأمر، واعلم أن حالنا غير الحال التى كنا عليها من قبل. فإن هذا الفارس المقدام الذى قتل كاموس هو رستم ابن دستان الذى يستوى عنده قتال ملء هذا الفضاء من الرجال وقتال رجل واحد . وهو الذى ربى سياوخش . وقد جاء يطلب بثاره طلب الأب الشفيق . وقد أرسل يطلبنى وها أنا أمضى اليه لأسمع ما يقول . فقال له الخاقان : امض اليه وجامله فى الخطاب، ولاينه فى المقال . فإن صالح على ما يبذل[2] له فأجبه، والتزم له هدايا وافرة وأموالا كثيرة . وإن أراد غير ذلك فدعه وانصرف حتى نشمر عن ساعد الجد، ونبذل الوسع فى قتالهم، ونضيق عليهم. ولا تبال برستم ولا تهتم . فإن معنا بكل فارس معه ثلثمائة فارس . وسأكفيك شره[3] .

فبرز بيران من الصف، ودنا من رستم، وقال : بلغنى أنك دعوتنى فبادرت الى خدمتك . فما حاجتك ؟ ومن أنت وما اسمك؟ فقال : أنا رستم بن دستان مرزبان زابلستان . فترجل بيران وقبل الأرض . فأقرأه رستم سلام الملك كيخسرو وأمه فرى كيس . فأخذ[4] بيران يدعو له ويثنى عليه . ثم سايله عن أبيه زال بن سام وأخيه زواره وابنه فرامرز . وقال له بعد ذلك : إن كان لا يطول على البهلوان، ولا يثقل عليه شكوت اليه حالنا فعل النافث المصدور، والمحرج المهموم . ثم شرع يحكى له حنوه على سياوخش، وإشفاقه عليه، ثم ما بلى به من فقده وجزعه من بعده. وحكى له قصد أفراسياب لقتل ابنته فرى كيس، وكيفية سعيه فى تخليصها منه. ثم أتبع ذلك بذكر ما أبلاه به[5] من تكليفه النهوض

(١) كو : وهو يطلب قاتل سياوخش، والساعى فى دمه وقتلة الجوذرزيين، وعذنى فى الأول منهم . ولا أراه يعطف إلا عليك وهو يطلب الاجتماع بك الخ . (٢) طا : مال يبذل . (٣) كو : ذكر اجتماع بيران برستم وما جرى بعد ذلك، كما فى الشاه . (٤) ك : وأخذ . (٥) كلمة « به » من ك، طا، كو .

بأعباء الحروب، والتصدّى لفوادح الخطوب . حتى لا يستريح[١] من بلوى الحروب[٢] ساعة ، ولا ينفك من مقارعة الخصوم لحظة ، وأنه لولا طول أذياله ، وكثرة عياله[٣] ، وانتشابه فى تلك البلاد بسبب علائقه وأقاربه لتحوّل عنها الى غيرها ، وأن ذلك هو السبب المانع له من مخالفة أفراسياب فيما يستنهضه (فيه)[٤] من مكاره الأمور، وأن الضرورة تحمله على امتثال أوامره من تحت القرط فى حالتى الرضا والسخط . ثم حلف بروح سياوخش أن الموت أحب اليه مما هو فيه من معاناة الحروب وملابسة أسبابها . وهذان (أ) الجمعان المتقابلان الآن إن حق بينهما القتال ارتفع فى هذه الصحراء جبل من جثث أقوام حشروا الى هذه المعركة من جميع الأطراف سفكت دماؤهم فى سبب سياوخش وهم برآء من دمه ؛ لا ذنب[٥] لهم ولا جرم ينسب اليهم . والصلح خير ؛ فلا تضيق فيه الأمر وهوّن الخطب . فإنك بعواقب الأمور أعلم وبالرأى والتدبير أبصر . فلما سمع رستم ذلك شكر بيران وأثنى عليه ومدحه بالعقل والسداد . ثم قال : إن الصلح لا يتم بيننا إلا بأمرين :[٦] أن تنفذوا قتلة سياوخش ، ومن سعى فى دمه الى حضرة الملك كيخسرو . والثانى أن تقصده أنت بنفسك ، وتنهض معنا الى بابه . فأفكر بيران فيما قال ، وقال فى نفسه هذا شئ لا سبيل اليه . فقال لرستم : أعود وأعرض ما أشار به البهلوان على الخاقان والمنثور وغيرهما من الملوك الأكابر ، وأنهى ذلك الى أفراسياب . ثم فارقه ورجع الى أصحابه ، فحكى لهم ما قاله رستم . وطفق يعيب أفراسياب ويذمه بسوء فعله حين قبل نمائم أصحاب الأغراض ، وقتل سياوخش بمقالات حسدته ، فغرس بذلك شجرة للعداوة فى قلوب الإيرانيين . ثم ركب الى الخاقان ليبلغه ما سمعه من رستم . فلما دخل سرادقه رأى أكابر أصحاب كاموس قد اجتمعوا عنده وهم يقولون : لسنا نرضى بهذه الهضيمة . ولا بد أن نرحض عنا ما لحقنا من العار ونستنجد البربر والهند وغيرهما ونشفى صدورنا ، وننتقم لكاموس . فقعد بيران عند الخاقان ، وحكى له ما جرى بينه وبين رستم . ثم قال : الرأى أن نجمع الموابذة والأكابر ، ونتشاور فى هذا الأمر المشكل والداء المعضل . فلعلنا ننجو بأرواحنا مما دهمنا . فضاق صدر الخاقان لما أخبره به بيران ، وخامر ضميره الخوف ، وقال : فما الرأى عندك وما التدبير ؟ وبماذا تأمر وتشير ؟ فداخلهما فى الحديث شنكل الهندى ، وهو ملك الهند ، وكان حاضرا عنده ، فقال : إن بيران فزع[٧] من رستم حين فعل بكاموس ما فعل» . وقوى قلب

(أ) هذا قول بيران لرستم ، كما فى الشاه . فقد غير المترجم أسلوب الكلام من الإخبار عن كلام بيران الى نقل كلام بيران نفسه .

(١) ك ، طا : ليس يستريح . (٢) ك ، طا : الخطوب . (٣) ك : عياله .
(٤) ما بين القوسين من ك : طا ، كو . (٥) ك : ولا ذنب . (٦) كو : أحدهما أن .
(٧) ك ، طا ، كو : قد فزع .

الخاقان وشجعه، وأبى إلا أن يصليهم نار الحرب. وزعم أنه ينفرد بكسر رستم، ويفل حدّه، ويطفئ وقده، وقال: ما بالكم قد ضاقت عليكم الأرض خوفا من هذا السجزى؟ وأخذ يصغر أمر رستم، ويحقره فى أعين الحاضرين. حتى عادت اليهم نفوسهم، وقويت قلوبهم. فقاموا من ذلك المجلس مجتمعين[1] على اختيار القتال، وصدق اللقاء. وأما رستم فإنه جمع أكابر من معه مثل طوس وجوذرز وأقرانهما. وسرد عليهم ما جرى بينه وبين پيران. ثم قال لهم: إن فعلوا ما أشرت به عليهم، والتمسته منهم من إنفاذ قتلة سياوخش أجمعين الى خدمة الملك كيخسرو، ووفود پيران بنفسه عليه، وتقبل الخراج الثقيل، والتزام الحمالات الكثيرة فالواجب أن نجيبهم الى الصلح، ونغمد سيف الخلاف، ونكف أيدينا عن سفك الدماء. فقال جوذرز: أيها البهلوان! لا يغرتك پيران بأكاذيبه المموّهة، وأباطيله المزخرفة. فإن حديثه باطل، وهو عن حلية الصدق عاطل. وسوف تراه غدا عند إشراق الشمس قدام العسكر يسوّى الصفوف ويرتبها، ويشرع الأسنة فى صدورنا ويسددها. ولا شك أنه حين رأى صنيعك بكاموس كبشهم المغوار وقائد الفيلق الجرّار امتلأ خوفا وذعرا، فجاء يتبصبص لديك لينفق مخاريقه عليك. فقال عند ذلك رستم: نحن أولا ندخل معه فى باب الصلح وحسن الظن، ولا نبتدئ بإراقة الدماء. فان عدل هو عن مقاله أريناه جزاء فعاله. ثم قال: إن الليل قد انتصف، فينبغى أن نشرب ساعة، ونروّح أرواحنا لحظة، ثم نعود إلى ما كنا عليه من الاشتغال بتدبير الحرب وأسبابه. ثم إنه قال لهم وهم يشربون: إنى سأحمل غدا ذلك الجرز الذى كان يقاتل به جدّى سام بن نريمان فى وقائع مازندران، فأرفعه على عاتقى[2]، وأخوض به غمرة الهيجاء، وأضعضع صفوفهم المرصوصة فى أسرع من رجع الطرف؛ ثم أستبيح سرادقات خاقان الصين، وأسلبه تاجه وتخته وفيلته وخيله. ثم قاموا الى أماكنهم وخيلهم. ولما أصبحوا من الغد، وارتفع النهار ارتفعت أصوات الكوسات من باب سرادق طوس، وركبت العساكر فزحفوا إلى المعترك على تعبيتهم التى كانوا عليها بالأمس. وتقدّم رستم من بين[3] يدى صفوف أصحابه كالأسد الذى أصحر من غابه. وعبى الخاقان عساكره؛ فجعل على الميمنة ملكا من ملوكهم يسمى كُندُر وعلى الميسرة أميرا آخر يسمى كهار، ووقف فى القلب بفيلته وجنوده وأعلامه وبنوده. وكان پيران قدام الصفوف فجاء الى شنكل الهندى، وقال له: ينبغى أن تفى بوعدك، وتتحلى بالصدق فى قولك. فقال: لست براجع عن قولى. وسأبرز الى هذا الفارس المقدام فأغربل جسده بنوافذ السهام، فأنتقم لكاموس منه، وأفجع الإيرانيين به. وقسم العسكر أقساما ثلاثة؛ فجعل فى الميمنة ثلاثين ألفا،

(٧١)

(١) طا، كو: مجمعين. (٢) صل: عاتقه. والتصحيح من ك، كو. (٣) طا: رستم بين يدى.

وفى الميسرة ثلاثين ألفا وجعل مع القسم الثالث الفيلة العظام كأنها أركان رضوى أو هضاب شمام. ثم جعل يجول بين الصفين كأنه قطعة سحاب، وفى كفه سيف كأنه جذوة شهاب، فأعجب ذلك بيران وسُرّ به، وارتجى الظفر. ثم تقدّم ودنا من رستم وقال: قد أبلغت كلامك الى الخاقان وغيره من الملوك، فذكروا أنهم يتقبلون من الأموال والحمالات أضعاف ما فى حسابك. وأما إنفاذ الجناة اليك فذلك شىء لا سبيل اليه. فإنهم أقارب أفراسياب وخواصه. والقبض عليهم على الوجه الذى أشرت اليه شىء لا يجول فى خاطر. فاغتاظ رستم عند ذلك، وخاشنه فى خطابه. ثم أمر الايرانيين بالجد فى القتال. فاستعروا كالنار الموقدة. وتصدّى شنكل للبارزة وقال: أين ذلك الرجل السجزىّ؟ فسمع رستم صوته فأسرع نحوه، وأشرع فى نحره رمحه، وطعنه طعنة أذرته[1] عن ظهر فرسه. فقام ونجا بنفسه والتجأ الى أصحابه، وقال: إن هـذا الرجل ليس بانسان، وما له فى الرجولية ثان. ومن ذا الذى يطيق مقاومته، ويستطيع مدافعته؟ فقال له الخاقان: إن كلامك الساعة لا يشبه كلامك بالغداة. فأمر عساكره أن يحملوا بجملتهم حملة واحدة على الايرانيين. فانقضت الصفوف وتلاطمت الحتوف واختلطت الأرماح والسيوف. فحمل رستم على القلب حملة عظيمة قتل فيها خلق[2]. ثم عدل الى الميسرة فطحنها طحنا. وتصدّى له فارس من أقارب كاموس يسمى ساوه فعلاه رستم بالجرز فأهلكه. ثم انصرف نحو الميمنة فتصدّى له كهار، وبارزه فتقاتلا قتالا عظيما. ثم طعنه رستم طعنة أخرجت روحه، وخر من فرسه ميتا. فأرسل رستم الى طوس يأمره أن[3] ينفذ اليه ألف فارس من نخب الإيرانيين. فلما حضروا حلف بحياة الملك كيخسرو أنه إن تخلف منهم واحد عنه لم يعامله إلا بالصلب والقتل. فصدم بهم الخاقان ومن معه صدمة واحدة، وحملوا عليهم حملة صادقة. فلما رأى الخاقان صعوبة الأمر عليه أرسل اليه فارسا يستكفه، ويطلب اليه الصلح. فأبى ذلك رستم، وحمل عليهم حملة ثانية شق بها صفوف الأتراك حتى وصل الى الفيل الأبيض الذى كان عليه الخاقان. فرمى بالوهق على الخاقان فأعلقه به ونكسه من[4] ظهر الفيل. فبادره أصحاب رستم، وكتفوه وانصرفوا به أسيرا ذليلا. فاستباحوا تلك الفيلة المجللة بالجواهر واليواقيت المغشاة بالوشائع والدبابيج. قال: ولما رأى بيران أصحابه قد تفرّقوا أيدى سبا، وصادف شعاع دولته باخ وخبا ولى هاربا. فأدبر من بقى من الأتراك، وتفرّقوا كعقود خانها النظام، منهزمين لا يلوى أحد منهم على صاحبه. فرجع رستم والظفر يسير فى مواكبه، والإقبال يحتف بكواكبه. وأمر أمراءه وأصحابه بأن يسجدوا شكرا لله

---

(١) ك، كو: أردته. (٢) ك، طا، كو: خلق كثير. (٣) ك، طا، كو: بان.

(٤) ك: عن ظهر.

عز وجل على ما أتاح لهم من النصر العزيز والفتح المبين . ولما أصبحوا من ليلتهم تلك رأوا سرادقات الترك وخيمهم قائمة لا داعى بها ولا مجيب ، فوقع فيها الإيرانيون ينتهبونها . فقال رستم لطوس : قد كان فى هذا العسكر عدّة من ملوك الأقاليم وأصحاب الأطراف . وكانت معهم خزائن وأموال وافرة . والرأى ضبطها والاحتياط عليها حتى تنفذ الى الملك كيخسرو ما يصلح له منها فركب طوس وأمر العسكر فجمعوا من الذهب والفضة والجواهر والأثواب والأسلحة وغيرها أكواما كادت تضاهى الجبال الفارعة . فجاء رستم وشاهدها فقضى العجب منها . وأمر الكاتب فكتب كتاب الفتح الى الملك كيخسرو وختم الكتاب ودفعه الى فرى برز ليحمله الى ايران مع الملوك المأسورة والفيلة المغنومة، ومع ألف جمل محمل من صفايا الغنائم . فخرج فرى برز بذلك كله . وشيعه رستم وطوس وجوذرز وجيو وودعوه . ثم إن رستم رحل فيمن معه من العساكر قاصدا قصد أفراسياب فرأى مقدار مرحلتين من الأرض مسودا من قتلى العدو، مملوءا[1] بالأعلام المنكسة والأرماح المقصدة والأسياف المكسرة . ثم أفضوا بعد مراحل قطعوها الى رياض معشبة وغياض متأشبة، وينابيع متفجرة ، فاستطابوا هواءها، واستعذبوا ماءها، ونزلوا فيها . فأمر رستم بقسمة بقايا الغنيمة على العسكر ، فانتاشت أحوالهم . وأقاموا فى ذلك المنزل مستريحين من العناء والتعب مشتغلين باللهو واللعب والعيش والطرب . وانثالت عليهم رسل الأطراف بالهدايا والتحف والمبار واللطف . وأما فرى برز فإنه لما دنا من حضرة الملك كيخسرو ركب لاستقباله . وأمر بضرب البشائر . ولما وقعت عين فرى برز عليه ترجل وقبل الأرض . فأكرمه الملك وسايله عن رستم وساير المتقدّمين[2] ، فنظر الى المأسورين بين يديه من أولى القوة والبأس الشديد، ورأى الفيلة والغنائم . فسر بذلك وثنى عنانه ، وعدل عن الطريق ونزل ورفع التاج عن رأسه وسجد شكرا لله تعالى على أن أناله ما تمناه ويسر عليه النصر العزيز والفتح القريب . وجعل يدعو لرستم ويسأل الله تعالى ألا يفجعه به ، ويمتعه ببقائه . ولما عاد الى إيوانه أمر بالإجابة عن كتابه . ثم أعدّ له خلعة رائقة تشتمل على التاج والتخت والطوق والسوار والمنطقة المرصعة ، الى مائة وصيف وعشرة أفراس بسروج الذهب ، الى غير ذلك من الطرائف والنفائس . وخلع أيضا على سائر أكابر العسكر . وأنفذ الجميع على يدى فرى برز بعد أن خلع عليه . وأمره بالعود اليهم وأن يشير على رستم بألا يفتر عن طلب أفراسياب ليلا ولا نهارا فلعله يظفر به ويحسم بأخذه مادة الشر .

---

(١) لـ، طا، كو : ومملوا . (٢) لـ، كو : المقدّمين .

ذكر ما دبره أفراسياب عند اطلاعه على ما جرى على أصحابه

(٧٣)

قال : فأتى الخبر أفراسياب بأن رستم وصل من ايران مدد الطوس وأصحابه ، وأن الحرب تمادت بينهم و بين الخاقان أربعين يوما ولاء ، و بأنه قتل كاموس(١) وأسر الخاقان ، وأفنى القتل جميع من حضر تلك الوقعة من أصحابه وأنه لم ينج منهم فارس ينتفع به فى قتال . فعظم عليه ذلك ، وأخذه مابعد وما قرب . فأحضر أكابر حضرته وأعيان دولته ، وأعلمهم بالحال ، وشاورهم فى أمره ، وسايلهم عن الرأى والتدبير . وقال لهم : إن بقى رستم مقدما على عساكر ايران ، وتوغل بهم هذه البلاد لم يبق فيها نبتا ولا شجرا ، ولم يترك منهم عينا ولا أثرا . فقالوا : أيها الملك ! إن كان الخاقان(٢) كسر وأسر فما أصاب من عندك مكروه ، ولا حزبهم محذور . والرأى أن تشمر عن ساق الجد وتبذل الوسع فى دفع هذا العدو ، ولا تجعل للخوف طريقا الى قلبك » وشجعوه وحرضوه . فاستدعى عند ذلك جميع وجوه أمرائه وأعيان فرسانه ، ووصلهم وأعطاهم حتى أرضاهم . فاجتمع له(٣) عسكر عظيم . وأما رستم فإنه جاءته خلع الملك كيخسرو على يدى فرى برز ، وسائر ما صحبه من أنواع الكرامات وأجناس التحف والمبرات ، ففرح بها وسر . و رحل من منزله حتى وصل الى السغد فأقام بها أسبوعين . ثم ارتحل منها وصادف فى طريقه على مرحلة من السغد قلعة حصينة عليها ملك يسمى الكافور(٤) . وكان من عادته أكل لحوم بنى آدم ، و يذبح له المراهقون من الصبيان الصباح الملاح ، و يتخذ(٥) من لحومهم أنواع الأطعمة . فسير رستم كُستَهم الى قتاله فى ثلاثة آلاف من الإيرانيين ، فسار اليها . ونزل الكافور من قلعته ، وصافه . فجرى بين الفئتين قتال عظيم قتل فيه خلق كثير من الإيرانيين . فاستغاث كستهم برستم فأغاثه بنفسه . فلما جاء ورأى كثرة من قتل من الإيرانيين ، ورأى الكافور كالأسد الصائل لا يقف بين يديه أحد ، صمد له وضربه بعامود كان معه فولى هاربا الى القلعة فدخلها ، وأغلقوا بابها ، وأقاموا يذبون عنها من وراء السور . وكانت هذه القلعة من بناء أفريدون . وكان قد عمل عليها طلسمات تمنع من نصب المجانيق عليها . وكانت مملوءة بالذخائر والعدد . فنزل(٦) رستم وأمر أصحابه فأحدقوا بها يرشقونها بنوافذ السهام . وأقعدوا النقابين فى أصول قواعدها ومبانيها ، فعلقوها من جميع جوانبها على الخشب . ثم رمى فيها النفط والنار فانهدت أبراج

(١) ك : كاموس الكشانى . (٢) ك ، طا ، كو : قد كسر . (٣) ك : اليه .
(٤) هو فى الشاه : كافور بغير الألف واللام . (٥) ك ، طا : يتخذ له . (٦) ك : أمر (لا) .

القلعة وتساقطت . فتملكوها ونهبوا ما كان فيها وقتلوا جميع مستحفظيها § . ولما فرغ رستم من ذلك نفذ جيو بن جوذرز فى عشرة آلاف من نخب الفرسان الى ديار الخُتَن لاستباحة أموالهم وشن الغارة عليهم . فسار اليها فى ركضة واحدة ، وعاد بعد ثلاثة أيام بغنائم وسبايا كثيرة . وأقاموا على اجتماعهم فى تلك الصحراء ثم رحلوا قاصدين قصد أفراسياب . فبلغه أن رستم قد خرّب بلاد توران، وأنه قد قرب من دار ملكه، فالتوى على نفسه غيظا وحنقا، وملك الذعر عنان قلبه، واضطرب الأمر عليه، وقال لمن حضر : إنى قد رأيت رستم وقتاله وجربته كثيرا، فمن يقدر على مقاومته ؟ وعهدى به على باب الرى وهو بعد طفل غرير قد أخذ بمعاقد منطقتى واختطفنى عن ظهر الفرس . فقال له عند ذلك أصحابه : أيها الملك! لا تجبن عن رستم ولا تفكر فيه . فإنك تقدر على[1] أن تطبق السماء على الأرض . وعندك الأموال والعدّة والرجال . فلا تستشعر الخوف من رجل واحد، واستعد للقائه فى أصحابك ورجالك . فأمرهم عند ذلك بالإعداد والاستعداد . وأخذ فى تهيئة أسباب الحرب . ودعا برجل من أصحابه يسمى فرغار ، وكان جُذَيلا محكَّكا وعُذَيقا مُرجَّبا، قد نجذته التجارب ونيبته النوائب، وأمره بالمسير الى معسكر رستم والتجسس عليهم والرجوع اليه بأحوالهم . فامتثل الرجل أمره . ثم دعا أفراسياب بابنه شيذه ، وقال له : إنى خائف من رستم . وقد عزمت على أن أنفذ خزائنى وذخائرى وعددى بأجمعها الى وادى الماس، ثم أحاربهم هذه

§ لما عبر اسكندر المقدونى نهر جيحون، وفتح سمرقند وجاس خلال ما وراء النهر اعترضته قلعة حصينة عالية، هزئ حماتها بجيش اسكندر ، وقالوا : انما ينال هذه القلعة رجال ذوو أجنحة . وجعل اسكندر جُعلا عظيما لمن يبادر الى تسلق القلعة . فسارع جماعة من الشجعان ودقوا فى الصخور أوتادا من الحديد حتى أشرفوا على القلعة ومكنوا للاستيلاء عليها .

فكأن قلعة كافور الموصوفة فى الشاه هى القلعة التى فتحها اسكندر . والشاه تصف هزء حماتها بجيش الايرانيين كما هزئوا بجيش اسكندر من قبل .

وأكل لحم البشر كان معروفا فى قبائل الشمال الوحشية، كما يفهم من هيرودت . فعلى أعالى نهر الدنيبر كانت تقيم قبائل أندروفَكو الذين يظن أنهم من أصل فنيّ . وكان منهم أكلة لحوم البشر حتى القرون الوسطى . وفى شرقى بحر قزوين أقامت قبيلة مسكاته وفى الشمال منهم جنوبى جبال أرال قبيلة إسّدون، وكلتا القبيلتين كانت تأكل لحم البشر .

(١) ك ، كو : على (لا) .

الكرّة وأجرب السعادة. فان ظفرت فقد حصل المراد، وإن كانت الأخرى وظفر رستم لم أقم هاهنا، وعبرتُ الى ذلك الجانب من بحر الصين، وخليت بينه وبين هذه الممالك . فاستصوب رأيه شيذه وقال: إنك لا تحتاج الى أحد يعرّفك بعواقب الأمور . وقد تقلبت بنا الأحوال وضعضعتنا الحوادث حتى استخذى بيران وهومان وغيرهما من الأكابر والملوك فاستولى عليهم الانكسار، وتمكن من قلوبهم الرعب والحذار . » ثم لما أمسوا جاءهم فرغار فعرّفهم بأحوال عساكر العدو وكثرتهم وقوتهم . فلما وقف على ذلك جلس مع أصحابه يجاريهم حديث المصاف . فقال له بيران : أما نحن فلا بد لنا من بذل الجهد وإفراغ الوسع دون الأهل والولد . فأمره أفراسياب بأن يقود العساكر الى وجه العدو . فخرج بيران بالفيلة والأعلام، وسار في جيشه اللهام . فشيعه أفراسياب وجهزه ثم عاد الى إيوانه ، وخلا بأصحاب رأيه وخلصائه، وأمر الكاتب فكتب الى جنيّ يسمى بولاذوند كتاب استصراخ واستغاثة يذكر له فيه ما جرى على الخاقان وغيره من ملوك سقلاب والصين، ويعرفه بقصد رستم له في عساكر كالجبال السائرة والبحار الثائرة[1]، وأنه يبذل له إن أغاثه وأنجح مرامه ودفع عنه عدوّه، نصف تلك الممالك والخزائن . وختم الكتاب ودفعه الى ابنه شيذه ليحمله اليه . فسار شيذه كالبرق الخاطف حتى أوصل الكتاب الى بولاذ الجنيّ، وسرد عليه أحوال رستم . فأحضر بولاذ أصحابه ، وذكر لهم ما كتب به اليه أفراسياب . وحشد جنوده، ونزل من الجبل وعبر الماء الذى هنالك . ولما اتصل بأفراسياب اجتمع به ، ووصف له رستم وقوته، وشدة شوكته، وعتاده وعدّته . فساءه ذلك وأهمّه، وقال : ينبغى ألا نعجل بالحرب . فإن هذا الرجل إن كان ذلك الرجل الذى فتح مازندران ، وشق خاصرة سبيذديو وقتل كولاذ فكيف أطيق مقاومته أو أستطيع محاربته؟ ولكن أحتال عليه يوم القتال فأحبسه فى وسط العجاج، فتحترش به رجالك فلعلنا نغلبه بالحيلة ، وإلا فما نقدر عليه » . فسر[2] بذلك أفراسياب ، وقعد معه يشرب . ولما تمكن الشراب منه قال : أنا الذى نغصت الحياة على أفريذون والضحاك وجمشيذ . وسوف أقطع أوصال هذا الزابلى بالحسام المشرفى ، وأفل حدّه وأكف شره . ثم لما كان الغد ضربت الطبول ودقت الكوسات على باب أفراسياب فركبت العساكر واصطفت، وأشرعوا الرماح وسلوا السيوف، والجنى يقدمهم بيده الوهق . فجاء رستم راكبا رخشه مظاهرا بين جننه. فاصطف الجمعان وتقابلا . فحمل رستم على الميمنة وقتل منها خلقا كثيرا . فحل بولاذ وهقه، وتعرّض لطوس فأخذه بمعاقد منطقته واختطفه عن ظهر فرسه ورماه الى الأرض . فلما رأى جيو ذلك أقبل اليه فألقى بولاذ عليه الوهق

٧٣

(١) ك : الزاخرة . (٢) ك، طا، كو : قال فسر بذلك .

فأعلقه به . فابتــدر بيژن ورُهّام الجنىّ ليأخذاه ، فنوّر فرسه ومدّ يده اليهما ورماهما الى الأرض . وأقبل نحو علم الدِرَفْش الجاوِيانى حتى وصـل اليه فوسّطه بسـيفه نصفين . فلما سمع رستم ما[1] حل بهؤلاء الأكابر الأربعــة من ذلك الشيطان المـارد، وأنهم ما تخلصوا من يده إلا بحشاشات قاربت الانصرام ، ومهجات شارفت الحمام ، بعد أن صارت خيولهم كالقنافذ من كثرة ما أصابها من السهام النوافذ ـ هاله ذلك وأرعد منه ،وتوجه مع ذلك قاصدا قصد الجنىّ . فلما رآه كالجبل المنيع ذل كالثعلب بين يدى الأسـد الأغلب ، فضاق ذرعا بأمره فالتجأ الى الله تعـالى، وأخذ فى قتاله . فتقاتلا زمانا ثم عدلا الى المصارعة فغلبه رستم وحمله وضرب به الأرض ، وركب وهو يظن أنه قد هلك . فلما أحس بولاذ بركوب رستم وثب وركب كالنار نحو أفراسياب حتى انتهى اليه ، ووقع على الأرض مغشيا عليـه ، وبقى كذلك زمانا طويلا . ولمـا أفاق وثب وركب وقدم بين يديه أصحـابه ورجع بهم هاربا . فقال عنـد ذلك بيران لأفراسياب : إنه لم يبق لك وراءك أحد . وقد هرب بولاذ وأصحابه . وليس وقوفك فى هذا الموقف من الصـواب . فخل عسكرك وأعلامك على حالها، وانج بروحك مع جماعة من خواصك . فان قبالتنا مائة ألف فارس شاكى السـلاح ، والساعة يحدقون بنا من جهتى السهل والجبل . » فانهزم أفراسـياب ، كما أشار عليه بيران، وتوجه نحو بحر الصـين ليعبر الى ذلك الجـانب . وأمر رسـتم عند هرب بولاذ بأصحابه[2] باعتزال عوامل الرماح، ومكافحة العدوّ بالعمد والصفاح. فانقضّوا عليهم كالشواهين والصقور اذا انقضت على بغاث الطيور، ووقعوا فيهم كعواصف الرياح على أسراب الجراد . فاعتصم بعضهم بالفرار ، والتجأ البعض الى ظل الأمان ، بعد أن غودر طلاع ذلك الفضاء مملوءا بأشـلاء القتلى وأعضائهم وعددهم . وأمر رسـتم بالإمساك عن القتل . ثم جمع الغنائم وما انجلت عنه الوقعة من الجواهر والنفائس . ونفذ البعض الى الملك كيخسرو، وفرّق الباقى على العسكر . وبث أصحابه فى طلب أفراسياب، وأمرهم باقتفاء أثره . وأقام زمانا فلمـا لم يعثر منه على أثر ولم يقف منه على خبر عزم على معاودة حضرة الملك كيخسرو . فارتحل من بلاد توران طالبا بلاد إيران بما أفاء الله عليه من الخيل والأسلحة وسائر الأجناس والأنواع من صنوف الأموال . فلما أتى الملك كيخسرو الخبر بقدومه اسـتعد لاستقباله ، فأمر بإخراج الفيلة وتزيينها بالديباج والحرير، وتضميخها بالمسك والعبير، وركب بنفسه وخرج[3] لاستقباله . ولمـا وقعت عين رستم على تاج الملك ترجل وسجد له . فعانقه الملك وصافحه ، وأخذ بيـده يلاطفه طول طريقه ويسايله . وكان طوس وجوذرز وجيو وغيرهم من الأكابر يسيرون وراءهما . فلما قرب الملك من

---

(١) ك : بما حل . (٢) ك ، طا ، كو : أصحابه . (٣) ك : وخرج (لا) .

دار الملك نثرت الجواهر على موكبه ، ونثر على العسكر المسك والعنبر والذهب والفضة . فدخل الملك بهم الى إيوانه فقعدوا بين يديه ، وشرع فى الحديث مع رستم يسايله عما لا قاه من العدو وعما كابده من بولاذ الجنى فى مقاتلته ومصارعته ، وساير ما قاساه وعاناه . فاعترض جوذرز فى الحديث فطفق[1] يصف رستم وحسن بلائه وكمال عنائه وما تحمله من أعباء تلك الوقائع . ثم قعدوا فى مجلس الشرب مستمتعين باستماع الغناء ، وواصلوا ذلك مدة أسبوع . ثم استأذن رستم فى الرجوع الى زابلستان للقاء أبيه زال بن سام . فأمر الملك بإفاضة الخلع عليه وحمل رغائب الهدايا والتحف اليه . ولما خرج رستم شيعه الملك مرحلتين ثم انصرف . وهذا منتهى القصة المنسوبة الى كاموس الكشانى[2] .

ذكر قصة رستم مع أكوان الجنى §

قال صاحب الكتاب : اسمع هذه القصة و إن كنت لاتصدق ناقلها ولا تتلقى بالقبول قائلها . ولكن ينبغى للعاقل أن يغوص بنظر الفكر فى معانيها ولا يسفه رأى راويها وحاكيها . ثم قال : حكى أن الملك كيخسرو كان يوما من الأيام قاعدا على تخته فى الإيوان وقد حضره الأكابر والإصبهبذية مثل رستم وطوس وجوذرز وجيو وغيرهم من أكابر تلك الحضرة وأركان الدولة . فجاء[3] بعد مضى ساعة من النهار الى الدركاه رأس الجوبانية ، وشكا أنه قد ظهر فى مراعى الخيل يعفور كأنه أسد

---

§ يظن الأستاذ نولوكه أن " أكوان " محرف عن " أكومان " وإذًا يحتمل أن أكوان هو أكِم مانو[4] . ومعناه الفكر السيئ ، أحد الأرواح الشريرة الستة التى تمثل فيها صفات أهرمن ، ونحن نجد فى الشاهنامه أن كيخسرو ، حين ندب رستم لقتال أكوان ، أوصاه بالتيقظ والحذر منه مخافة أن يكون أهرمن المنتقم .

ثم قصة أكوان فى الشاه ٢٣٧ بيتا فيها العناوين الآتية :

(١) فاتحة القصة . (٢) دعاء خسرو رستم لحرب أكوان الجنى . (٣) طلب رستم الجنى . (٤) رمى أكوان الجنى رستم فى البحر . (٥) مجيء أفراسياب لرؤية خيله ، وقتل رستم أكوان الجنى . (٦) رجوع رستم الى ايران .

---

(١) لك ، طا ، كو : وطفق . (٢) لك ، طا : والحمد لله رب العالمين .

(٣) صل : بجاءه . والتصحيح من لك ، طا : (٤) الحماسة الايرانية ص ١٨

هصور، ذهبيّ اللون كأنه خلق من نور الشهاب أو لطخ بالعسجد المذاب ، يمتـد سائلا من كاهله الى منقطع ذنبه خط أسود كالمسك السحيق، ململم الكفل كالحصان الأشكل . وقد أغرى بالخيل يمزق كواهلها و يعيث فيها و يفسد . فعلم الملك أنه ليس حمـار وحش فإن العير لا يبلغ فى القوة الى ذلك الحد . فأشار على رستم (ا) بأن يتحمل الصـداع فى ذلك ويتجشم الاهتمام بكفاية شره ودفع معرته . وأوصاه بالتحفظ من شره . فقال رستم : إن عبيد الملك اذا تحصنوا بسـعادته لم يفزعوا من جن ولا إنس . فركب وخرج الى تلك الصحراء فمكث ثلاثة أيام يدور فى مروجها ومراعيها و يطلب ذلك العير فلا يجـده . ولمـا كان اليوم الرابع ظهر له . فلمـا رأى رستم عبر عليه مارًّا فى سرعة الريح . فثوّر الرخش فى أثره طامعا فى اصطياده وحمـله حيا إلى حضرة الملك من غير أن يصيبه بجراحة . فحل الوهق وعدّى[(١)] خلفه ليرميه عليه . فاختفى عند ذلك من[(٢)] عين رستم . فعلم أنه ليس بوحش ووقع فى قلبه أنه أكوان الجنيّ . ثم رآه قد ظهـر فى آخر الصحراء . فوتّر قوسـه وتوجه اليه . فلما قرب منه ورأى أنه أغرق فى نزع القوس اختفى عنه . و بقى يركض خلفه ثلاثة أيام بلياليهن فغلبه النوم واحتاج الى الطعام والشراب . فتبدى له روضة معشبة ذات أرض خوّارة وعين خرّارة . فنزل وخلع لجام فرسه، وحط عنه سرجه، وأرسله يرعى . وفرش اللبد على حافة المـاء واتكأ ساعة فأخذه النوم . فأتاه الجنيّ ولمـا رآه نائما فى سلاحه لم يجسر على الدنو منه . فقوّر الأرض من حواليه ، و رفعه فى الهواء . فاستيقظ رسـتم وندم على نومه وتركه التحرز والتيقظ . ولمـا تحرّك وأنتبه قال له الجنى : أيما أحب اليك : أن أرميك بين الجبال والصحراء أو أقذف بك فى وسـط المـاء ؟ فافكر رستم ، وقال فى نفسه : إن طرحنى فى الجبال والمواضع الوعرة تطايرت أوصالى وتقطعت أعضائى. والمـاء أسلم. لكن إن قلت له اقذفنى فى البحر يخالفنى ولا يرمينى إلا على الجبال وفى المخارم والشعاب . » وعلم أنه يعمل بضد ما يختاره فى ذلك. فاحتال عليه، وقال : تطرحنى على الجبال وفى الغياض والآجام يرى[(٣)] الببر والأسد براثنى و يشاهدا آثار شدّتى وقوتى. فقال له الجنى: وأنت بعدُ طالب لأن تذكر بالشدّة والشجاعة؟ لأرمينّك[(٤)] فى مكان لاترى فيه حيا ولا ميتا . فرماه فى البحر.

(٧٤)

(ا) فى الشاه : أن الملك لم يجد فى الحاضرين من ينتدب لقتال أكوان فأرسل الى رستم فى زابلستان فجاء الخ .

(١) ك، كو : وعدا . (٢) ك : عن . (٣) ك، طا ، كو : حتى يرى .

(٤) صل : ولأرمينك . والتصحيح من طا ، كو .



أكوان الجنى يحمل رستم والأرض التى هو نائم عليها

[من الشاهنامه — طبع تبريز سنة ١٢٧٥]

قال : فلما وقع فى البحر قصدته التماسيح وسباع البحر ليأخذوه . فاستل بيمينه السيف وجعل يذب عن نفسه ، ويسبح باليد اليسرى والرجلين حتى وصل الى الساحل . فخرج ونزع جُنَنه وسلاحه ونشرها على الأرض لتنشف . واغتسل وسجد شكرا لله تعالى حين نجاه من الخطب العظيم . ثم لبس سلاحه وعاد إلى العين التى كان قد نام عندها ، فحمل السرج واللجام واقتفى أثر الرخش حتى صادفه فأسرجه وألجمه ثم ركبه . وكان ذلك المكان الذى وقع عليه[1] الرخش من مراعى خيل أفراسياب . فساق منها خيلا كثيرا، وقتل من كان عليها من الجوبانية والحرس . قال : وكان أفراسياب قد خرج فى ذلك اليوم ليشاهد الخيل فأعلم بذلك . فاتبع رستم فى خِف من عدده وعدّة من فيلته . فأدركه فتقاتلا قتالا عظيما، وقتل أكثر أصحاب أفراسياب . فانهزم وخلى أربعة أفيال فساقها رستم ورجع بها إلى المكان الذى كان قد نام فيه، على ماذكرناه . فجعل يطلب أكوان الجنى وينظر يمينا وشمالا . فظهر له وقال : أما تسأم من القتل والقتال ؟ أبعد أن خلصت من التماسيح وشدائد البحر عدت تطلب القتال ؟ فحمل عليه عند ذلك ورمى عليه بالوهق فاعلقه به ، وأسره وقطع رأسه وعلقه من سموط سرجه، وكان عظيما كأنه رأس فيل، وله أنياب كأنها حراب. ثم أقبل راجعا . وأُنهى الى الملك كيخسرو ذلك، وقيل : إن رستم خرج لصيد حمار الوحش فعاد يصيد الانس والجن وأسراب الخيول والفيول . فتعجب من ذلك وركب وأمر العسكر بالركوب لتلقيه . فاستقبلوه بالكوسات والدبادب، واجتمعوا فى الميدان يلعبون ويتطاردون . ثم دخلوا الايوان وأقبلوا على القصف والعزف يتعاطون كئوس الأرجوان على الورد والريحان الى تمام أسبوعين . ثم خلع الملك عليه خلعة تشتمل على أصناف[2] الكرامات والمبرات . فاستأذن فى زيارة أبيه دستان بن سام ، وقال : سوف أعود وأشدّ وسطى للطلب بثار سياوخش . فانا لا نرضى فى الإنتقام له بنهب الخيول[3] والخيم وقتل الخول والحشم من ممالك أفراسياب. » فأذن له ، فركب، بعد أن شيعه الملك وودعه، متوجها نحو زابلستان . قال صاحب الكتاب : وإذا[4] فرغت من قصة أكوان فاستمع لقصة بيژن بن جيو وما جرى عليه وما انتهى أمره اليه .

---

(١) طا، كو : اليه . (٢) لـ ، طا ، كو : جميع أصناف . (٣) طا : الخيل .

(٤) لـ : واذ فرغت .

مبـــدأ القصـــة §

قال : لله ليلة سوداء ذات جناح أحم كأنه طلى بالمداد أو لبس ثوب الحداد . لايرى فيه بهرام ولا كيوان ولا عطارد ، وكأن النجوم فيهـا مثل العيون رواقد . قد توارى قمرها بالمحاق، وقطعت ظلمتها أشواط الأحداق . وقد ألقت على الأرض بالجران، ووقف الفلك فيها عن الدوران . لاحس فيها ولا همس، كأن الأحياء فيها حالفوا الموت . فاستولى علىّ السهاد ، ونبا بى الوساد . فصحت بالغـلام وقلت : قد طال الظلام، وشرد عن عينى المنام . فقم وأشعل الشمعة وهيئ المجلس وأحضر الشراب واستنطق الجنك والرباب . فقام والنعاس يرنق فى عينيـه، والترف يميـل بعطفيه . وجاء بشمعة كالذهب على رأسها تاج من اللهب . ثم جاء برحيق، ورمان كصرر عقيق، وسفرجل كأنه سرر حبيب، وأترج كأنه يفوح عن مسك سحيق وعنبر فتيق . فقعد بين يدىّ ينقر الجنك ويترنم، ويسقينى المدام ويزمزم . ثم قال : إن كنت لا تنام فأصغ الىّ حتى أقرأ عليـك من الكتاب الفلهوى قصة لتنظمها . وكان يقرأ وأنا أنظم . ولمـا نظمت الحكاية قلت أرع سمعك الىّ .

واستمع شرح قصـة خضت منهـا   فى فنون غريبـــة الألوان
وحديث كالدر ألفت منـــه   بين نظم اليـاقوت والمرجان

---

§ إحدى قصص العشق الطويلة فى الشاهنامه ،وهى ثلاث قصص . هذه، وقصة زال وروذابة التى تقدمت، والثالثة قصة كُشتاسب وكتايون بنت ملك الروم، الآتية .

ويرى مول وورنر أن هذه القصة مما نظم الشاعر فى صباه، ولهما أدلة على هـذا سأعرض لهـا فى المقدمة[1] .

وقد حذف المترجم أمرا له خطر فى القصة وهو القرابة بين بيژن ورستم ،والصهر بين أسرتى رستم وكوذرز. فبيژن ابن بنت رستم، وامرأة رستم أم ابنه فرامرز هى أخت كيو أى بنت جوذرز وعمة بيژن . ويكثر فى الشعر الفارسى الرمز الى حبس بيژن فى البئر .

وقصة بيژن ومنيژه ١٣٨٧ بيت فيها العناوين الآتية :

(١) فاتحة القصة . (٢) الارمانيون يستغيثون خسرو . (٣) ذهاب بيژن لقتل الخنازير. (٤) كُركين يغش بيژن. (٥) ذهاب بيژن لرؤية منيژه بنت أفراسياب. (٦) مجىء بيژن =

---

(١) أنظر المقدمة : نظم الشاه .

والحكاية أن الملك كيخسرو كان ذات يوم قاعدا بين خواصه وأصحابه فى مجلس الأنس إذ جاء الحاجب وذكر أن على الباب جماعة من أهل أرمان يتظلمون . وأرمان ناحية بين مملكة إيران وتوران . فأذن لهم الملك فى الدخول فدخلوا ودعوا له وقالوا : أيها الملك ! إن بلدنا على رأس ممالك توران، ونحن قوم ضعفاء . وكانت لنا غيضة شجراء كثيرة الثمار والزروع، وكنا نعيش بما يحصل منها من الزرع والثمر . والآن فقد ظهر فيها من ذكور الخنازير وفحولها ما أفسد معاشنا وأهلك دوابنا، وعاث فى الناحية جميعها حتى أتلف أشجارها وأهلك زروعها . فأغثنا يا صاحب التاج والتخت ومالك الأمر والنهى ! فرقّ عليهم الملك والتفت إلى أصحابه، وقال : من يكفينا هذا المهم، ويستأصل شأفة هذه الخنازير، ويحسم مادة شرها عن هؤلاء المساكين ؟ فأمر الخازن فجاء بطبق مملوء من ألوان الجواهر . وأمر بإحضار عشرة أفراس بآلات الذهب . ثم قال : إن هذا لمن ينتدب لهذا الأمر . فقال بيژن بن جيو : أنا أقوم به . فسر الملك بذلك، وأمره بالخروج إلى تلك الناحية، وأمر كُرجين بن ميلاد أن يسير فى صحبتـه، بسبب أن بيژن لم يكن قد وطئ تلك الديار . وهو جاهل بمخارمها وطرقها وشعابها . فركب بيژن واستصحب الفهود والبزاة وسار يصطاد فى الطريق الى[1] تلك الغيضة . فقعد مع كُرجين يشربان ثم قال له : تشمر حتى نتوغل الغيضة ونقتل الخنازير . فقال له كُرجين : أنت الذى أخذت الجواهر والذهب، والتزمت هذا الأمر . فانفرد بهذه الحرب . فاستشاط بيژن ووثب وتدجج بسلاحه

(٧٥)

=الى خيمة منيژه. (٧) منيژه تحمل بيژن الى قصرها. (٨) حمل كرسيوز بيژن الى أفراسياب. (٩) پيران يسأل أفراسياب الإبقاء على بيژن. (١٠) إلقاء أفراسياب بيژن فى السجن. (١١) رجوع كركين الى ايران وكذبه على بيژن . (١٢) إحضار كيو كركين الى خسرو . (١٣) رؤية خسرو بيژن فى الكأس الذى يرى العالم . (١٤) كتابة خسرو رسالة الى رستم . (١٥) كيو يحمل رسالة خسرو إلى رستم. (١٦) احتفاء رستم بكيو. (١٧) مجىء رستم الى خسرو . (١٨) مأدبة خسرو للأبطال . (١٩) شفاعة رستم لكركين عند الملك . (٢٠) تعبئة رستم عسكره . (٢١) ذهاب رستم الى مدينـة خُتَن عند پيران . (٢٢) حضور منيژه عند رستم. (٢٣) علم بيژن بمجىء رستم. (٢٤) إخراج رستم بيژن من البئر. (٢٥) رستم يغير ليلا على ايوان أفراسياب . (٢٦) مجىء أفراسياب لحرب رستم . (٢٧) انهزام أفراسياب أمام الإيرانيين . (٢٨) رجوع رستم الى خسرو . (٢٩) خسرو يأدب القوم .

(١) طا، لو : الى أن وصل الى تلك الغيضة .

ودخل الغيضة . فأحدقت به الخنازير، وهى كالفيلة الهائجة توسط بأنيابها الأشجار، وتقطعها . فوثب واحد منها عليه ومزق درعه . فرماه بمزراق كان معه فأصاب دماغه وخرّ ميتا كأنه خباء مقوّض . ففزع بذلك باقى الخنازير ووقع بيژن فيها وقتل[1] منها كثيرا ، وقلع من أنيابهن جملة ليحملها الى الملك . فركب جرجين ودخل الغيضة خلفه حتى انتهى اليه . فلما رأى ما أبلاه فى قتل[2] تلك السباع عظم عليه صنيعه، وحسده عليه حتى حمله الحسد على قصد اغتياله . ثم إنه أخذ يستحسن فعله ويمدحه ويثنى عليه ويصفه بالقوة والشجاعة والجرأة والشهامة . ثم خرجا من الغيضة وقعدا معا يتحدّثان ويتفاكهان ، والحسد فى قلب جُرجين يعمل عمله . فقال لبيژن : إن على مسافة يومين من هذا المكان مروجا ورياضا يناصى البهار بها الأقحوان، ويعانق فيها النرجس الضيمَران . ومن وصفها كيت كيت . وجعل يصفها ويذكر طيب هوائها وعذوبة مائها حتى جعلها فى عينه كبعض الجنان . ثم ذكر له أن ابنة أفراسياب التى تسمى منيژة تخرج فى كل سنة فى فصل الربيع الى تلك الرياض مع الجوارى الملاح والمغانى الصباح، فتضرب خيمها فى أرجائها، وتقوم مستمتعة بطيبها . قال : وإنى[3] وصلت اليها مرارا مع رستم وطوس وكُستَهم وجيو وغيرهم من الأكابر . وكم سبينا عنها من أقمار الترك وشموسها . فإن رأيت أن نصير اليها ونسبى منها صفايا نهديها الى حضرة الملك فافعل . فأخذ قوله بقلب بيژن ومنعه الترف وغيرة الشباب عن التفطن لما أضمره جُرجين من الداء الدفين . وكان مع ذلك شابا مولعا بالنساء شديد الميل الى مفاكهتهن . فأجابه الى ما دعاه اليه وأقام فى مكانه مشتغلا باللهو والطرب والصيد والطرد الى أن علم جرجين بوصول ابنة أفراسياب الى ذلك المكان.فأشار حينئذ عليه بالركوب . فسارا يومين فلما قربا من المكان قال بيژن لجرجين : أنا أتقدمك وأبصر من نزل فى المكان ثم أرجع وأعلمك . ولبس ثياب الوشى وتمنطق بمنطقة الذهب ووضع على رأسه تاجا كان يلبسه فى مجالس الأنس، فتوجه نحو المكان كالقمر الأزهر . فلما انتهى اليه رأى شجرة سرو بقرب خيمة ابنة أفراسياب، فنزل فى ظلها . فلحظته من خيمها[4] فرأت منه قمرا منيرا وشابا نضيرا وملكا كبيرا فبهتت بجماله وبهائه وكماله . فعشقته فى الوقت وقالت لدايتها : اذهبى وانظرى من ذلك القاعد تحت ظل تلك الشجرة ، وسليه المجىء الى ضيافتنا والنزول فى خيمتنا ، وقولى : إنك بحسنك فتنت القلوب ، وملكت العيون . فجاءته المرأة وخدمت وقبلت الأرض بين يديه، وسايلته عن اسمه وعن حاله ، وبلغته الرسالة . فقال لها : أنا بيژن بن جيو . وقد خرجت الى هذه الناحية لصيد السباع ، فسمعتُ بحضور الملكة فى هذا المكان فحضرت لأقر

---

(١) ك : فقتل . (٢) ك : قتل(لا) . (٣) طا ، كو : قد وصلت . (٤) طا ، كو : خيمتها .

عيني بلقائها . وأنت اذا جمعت بيني وبينها وهبت لك هذا التاج والمنطقة . فرجعت الى صاحبتها وأبلغتها مقالته وأطلعتها على ما أسره اليها . فكادت تطير فرحا وسرورا ، وردتها فى الحال اليه تسأله الحضور . فقام من تحت السرو يمشي[١] ميال الأعطاف ، ويتخايل فى ملابس الأفواف . فلما قرب من خيمتها تلقته وعانقته وجعلت تضمه اليها وتتشممه . ثم حلت منطقته ونزعت خفه ونفضت عنه غبار الطريق وغسلت أطرافه بالمسك وماء الورد . وأحضروا الطعام ثم فرشوا المجلس بالديباج والحرير واستحضرت الملاهي والمعازف وقعدت تشرب معه . وأقام معها وهي تزداد كل يوم له حبا، الى أن انقضت مدة مقامها فى تلك الصحراء وهمت بالارتحال . فأمرت بعض جواريها فطرحت فى الشراب دواء مرقدا، وسقته بيژن فنام نومة عبود . فأمرت بحمله فى مهد . وأرخيت[٢] عليه الستور، وضاجعته وارتحلت به . ووصلت السير[٣] والسرى حتى وصلت الى مدينة أبيها أفراسياب . فدخلتها ليلا، وأدخلت بيژن الى قصرها ، وأمرت فأخلى له موضع . وجعلت على فراشه وتحته الكافور حتى انتبه وأفاق من رقدته . فأصاب[٤] نفسه فى حجر ابنة أفراسياب فى بيت أبيها . فانزعج من ذلك واضطرب قلبه وقطع رجاءه عن الحياة ، وعلم أن جرجين كاده ومكر به ، فأخذ يدعو الله عليه ويتظلم منه اليه . فقالت له ابنة الملك : لا تشغلن قلبك ولا تضيقن صدرك ، فإن الخطوب تنوب الرجال ، فيوما مع البيض النواعم ويوما مع البيض الصوارم . ثم أحضرت المغاني والملاهي ، وأخذت تشرب على وجهه . فاستراب البواب بعد يوم بحالها فتجسس عليها حتى تحقق حقيقة الأمر . ففزع على نفسه من أفراسياب إن لم يعلمه ذلك . فدخل عليه وقال : إن ابنتك قد جاءت بزوج من إيران . وحكى له الحكاية . فغاظه ذلك وارتعد غضبا وقال : إن أبا البنت لمنحوس الطالع والبخت ، وإن كان صاحب التاج والتخت . واستدعى السالار المعروف بقراخان، وقال : أشر علىّ برأيك فى هذه الخبيثة . فقال : الرأى أن تستكشف حتى تطلع على حقيقة الحال ثم ترى رأيك . فالتفت الى أخيه كرسيوز وقال : انظر مالقينا من إيران، وما نلقاه من بعد . اذهب بجماعة من فرسانك ووكلهم بباب القصر . ثم فتش القصر وأمسك من تجد وقيده واحمله الىّ . فمضى كرسيوز بأصحابه ، وأحدقوا بالقصر، ودخل هو ووقف على باب الحجرة التي فيها بنت أخيه وتسمع فلم يسمع غير نقر الأوتار من وراء الأستار ، وأصوات المسمعات ، وقول اشرب وهات . فقلع الباب ودخل فرأى بيژن كالسرو الباسق حواليه ثلثمائة وصيفة كالقمر الشارق . فلما وقع عين بيژن على كرسيوز قال فى نفسه : كيف أقاتل بلا سلاح؟

(٧٦)

---

(١) ك، طا، كو : من تحت السرو كالسرو . (٢) ك، وأرخت . (٣) ك طا : كو : السير بالسرى .
(٤) ك، طا، كو : فصادف .

فضرب يده الى خفه، واستل منــه خنجرا كان لا يفارقه، و وثب ووقف على الباب، وقال : أنا بيژن بن جيو . وأنت تعلم رجوليتى، وتعرف أهل بيتى وعشيرتى . ولا تقدر أن تصل الىّ إلا بعد أن أقتــل منكم خلقا كثيرا . فاسلك معى طريق الفتوة واحلف لى على أنك تحملنى الى حصرة الملك وتشفع فىّ اليــه وتستوهبه دمى . فأجابه الى ذلك وحلف له . فلما أمكنه من نفســه كتفه وحمله الى حضرة أفراسياب . فأمر بأن ينصب جذع على باب إيوانه ويصلب عليه . وهو[1] يبكى و يتضرع الى الله عز وجل . فلما خرجوا به من الإيوان الى الميــدان وأخذوا فى نصب الجــذع لصلبه طلع بيران قاصدا الى حضرة الملك . فلما دخل الميدان رأى الأتراك يلغطون و يموج بعضهم فى بعض، ورأى هناك جذعا منصوبا وعليه حبل متدل . فسال فأعلم بالحال، فأسرع الى بيژن و وقف عليــه و رق لشبابه الناضر و جماله الباهر، فاســتخبره عن حاله وعن السبب الذى أوقعه فى تلك المحنــة . فشرح له قصته من أوّلها الى آخرها . فدخل على الملك وخدم واقفا عند تخته حتى[2] خلا المجلس فتقدم اليــه ولاطفه فى الكلام . ثم قال : أيهــا الملك ! لا يخفى عليك ما أصابنا بسبب دم سياوخش . ونحن الى الآن فى عقابيله، ولم نتخلص من مكروهه . فلا تضاعف العداوة والشحناء فى قلوب الايرانيين بقتل بيژن بل استبقه واحبسه فى قعر مظلمة لا يخرج منها الى الممات . » ولم يزل به حتى لانت عريكته، وأسمح لمــا أشار به قرونتــه، وقال لأخيه كرسيوز : غله بأغلال ثقيلة وقيده بقيود وثيقة، وألقــه فى بئر مظلمة لا يسقط فيها ضوء شمس ولا قمر . ثم اجترّ بالفيلة الحجر الذى استخرجه أكوان الجنىّ من بحر الصين، وسدّ به رأس البئر، واتركه فيها الى أن يموت . واذا فرغت من ذلك فادخل على منيژه التى سوّدت وجهى بين الملوك وهتكت سترى بين الخلق . فانهب خزائنها وأطلق أيدى أصحابك فيها، ثم جرّها وأخرجها الى الصحراء فاتركها عند مطمورة صاحبها لتلازمها ذليلة مهينة . » فبادر كرسيوز الى امتثال ما أمره به الملك . وأثقل بيژن بالأغلال والقيود والسلاسل من الرأس الى القدم، وطرحه فى الجب، وغطى رأسه بذلك الحجر . ودخل على ابنة أخيه، ونهب جميع ما عنــدها واستلبها تاجها وزينتها، وجرّها[3] بقرونها . وأخرجها من المدينــة، كما أمره أخوه . فجاءت الى رأس البئر التى فيها بيژن . وكانت فى الحجر ثقبة تدخل فيها اليد . فكانت تدور طول نهارها تسأل على الأبواب والدكاكين، وترجع بما تجمعه من الكسر الى رأس الجب، وترميها الى بيژن، وتبيت عنده على رأس الجب تبكى . ولم يزل ذلك دأبها الى أن فرج الله عنهما، على ما سيأتى ذكره .

---

(١) كو : بخروه وهو .   (٢) ك، طا، كو : الى أن .   (٣) طا، كو : من تحتها بقرونها .

قال : وأما جُرجين فإنه لما أبطأ عليه بيژن ندم على ما فعل، وعض على يديه أسفا، ومضى خلفه يطلبه بجعل يدور فى تلك المروج والغياض فرأى فرسه متقطع اللجام منكس السرج يرعى فى بعض الأودية . فعلم أن بيژن قد وقع فى بلية لا ينجو منها . فرجع بالفرس قارعا سنّ الندم منكس الرأس من الهم والأسف ، وعاد الى خيمته . ثم ارتجع عائدا نحو إيران . وحين علم الملك كيخسرو برجوعه أطلع جيوًا على حال ولده . فتلقاه والها شبه المجنون . وحين وقع عينه على جُرجين ورأى فرس ابنه ولم يره عليه خرّ من فرسه مغشيا عليه . وجعل يمزق ثوبه وينتف شعره ويندب ولده الذى لم يكن له غيره . ثم أقبل على جُرجين يسائله عن ابنه وعن حاله ، ويسأله أين فقده، وما الذى أصابه ، وكيف حصل على فرسه ؟ فتمحل وقال : إنا لما وصلنا الى غيضة أرمان قاتلنا الخنازير وأفنيناها وقطعنا رءوسها ، واقتلعنا بالمسامير أنيابها . ولما فرغنا من ذلك عطفنا الأعنة ورجعنا نصطاد فى الطريق . فتصدّى لنا حمار وحش من صفته كيت وكيت — وأطال صاحب الكتاب نفسه فى وصفه — فألقى بيژن عليه الوهق وأعلقه به وعدّى الفرس خلفه، وجعل يركض معه ، فثار عجاج عظيم غيبهما عن عينى . فركضت خلفه أطلبه فلم أقف له على أثر . وصادفت فرسه[1] مقطوع العنان منكوس السرج . فانخلع فؤادى من الهم والحزن ، وبقيت أدور فى تلك الصحراء . فلما أيست منه أقبلت راجعا . » فلما سمع مقالته علم أن كلامه غير مستقيم . فتنفس الصعداء وهمّ بقتله فراجع عقله وكف عنه يده فصاح عليه وشتمه وقال : ما بقى من حياتك إلا مقدار ما تدخل فيه على الملك ثم إنى قاطع رأسك بهذا الخنجر . ودخل على الملك[2] وأخبره بحال ابنه وتظلم اليه من يد جُرجين . فعظم على الملك فقد بيژن حتى تغير لونه حين حدّثه[3] وذرفت عينه . وقال لجيو : لا يضيق صدرك فان ابنك فى قيد الحياة . وكن على ثقة من نجاته وخلاصه . فإن الموابذة والعلماء أخبرونى أنى أقود العساكر الى توران طالبا بثار أبى سياوخش ، ويكون معى بيژن يقاتل الترك بين يدى . » فسلاه بذلك . وخرج ووصل جرجين ودخل على الملك فقبل الأرض ثم[4] وضع عند التخت أنياب الخنازير، ودعا له . فسايله الملك عن طريقه وعن كيفية حال بيژن . ففزع جرجين وتتعتع فى كلامه ، وجعل يسرد عليه ما تمحله . فصاح عليه الملك وطرده وقال : لولا خوفى من قبح الأحدوثة لأمرت بضرب رقبتك . وأمر بتقييده وحبسه . ثم قال لجيو . سأبث الخيل فى الأطراف، وأبحث عن حال بيژن . وإذا دخل شهر

(١) ك : الفرس . (٢) ك ، طا ، كو : على الملك ودعا له . (٣) طا : حدثه به .
(٤) ك : ووضع .

هرمز§ رفعت الجام الذى تُرى فيه الكائنات فى الأقاليم السبعة، وأفتش فيه عن بيژن. فإنى إذا نظرت فيه لايخفى علىّ شىء، فأعلمك بموضعه وحاله. » وكان هذا الجام قد وضع على شكل عجيب، وفيه صور البروج الاثنى[1] عشر والسيارات السبع. وكان الملك اذا نظر فيه اطلع على حوادث الوقت أجمع. قال: ولما دخل شهر هرمز جاء جيو الى خدمة الملك. فلبس ثياب البِذْلة[2] ودخل بيت العبادة ووقف يتضرع ويبتهل ويدعو الله عز وجل. ثم خرج الى إيوانه وأخذ الجام ينظر فيه ويطالع أحوال الأقاليم. فلما انتهى فى نظره الى إقليم كركساران رأى بيژن مقيدا بالسلاسل والأغلال محبوسا فى مطمورة، ورأى منيژة على[3] رأسها تقوم بأمره. فالتفت الى جيو وضحك وقال: طيب قلبك فان ابنك فى الحياة، وهو محبوس فى بئر فى أرض توران، لكنه فى ضيق وشدّة، وهو يبكى طول الليل والنهار ويتمنى الموت متبرما بحالته تلك على ماهو فيه، وقد أيس من النجاة. فمن ينهض الآن بكشف هـذا الخطب الفادح فيسعى فى خلاصه ويتلافى حشاشته ؟ ثم قال: ومن يطيق ذلك سوى رستم بن دستان ؟ والرأى أن أكتب اليه كتابا أستدعيه فيه، تحمله أنت اليه. واذا حضر تشاورنا فى الأمر، ونظرنا فى كيفية التدبير فى خلاص الشاب. » فاستحضر الكاتب وأمره فكتب الى رستم كتابا يدعو له فيه ويمدحه ويذكر اعتضاده به واستظهاره بمكانه وأنه المفزع والمستجار فى السراء والضراء والشـدّة والرخاء. ثم ذكر الجوذرزيين وما ثبت لهم فى الدولة القاهرة من الحقوق المؤكدة والوسائل الممهدة، وأن الواجب الاهتمام بما يرجع

§ ليس فى الشهور الفارسـية القديمة ما يسـمى شهر هرمزد. والذى فى الشاه أن كيخسرو قال لكيو: « انتظر حتى يحـل شهر فروردين، حين تزدهى الشمس المعبودة، وتتبرج الحدائق فى حلل الورد، وتنثر الريح الأزهار على الرءوس ... فأدعو هرمزد ». والفردوسى يفتتح الفصل الذى يقص عن اطلاع كيخسرو فى الجام، بقوله: « فلمـا حل النوروز ». والنوروز فى شهر فروردين أوّل الشهور الفارسـية. ويوم هرمزد اسم اليـوم الأوّل من كل شهر. ولست أدرى كيف ترجم المترجم على هذا النسق.

وهذا الجام يذكر كثيرا فى الشعر الفارسى باسم جام جم أى جام جمشيد.

وفى نزهة القلوب[4] أن فى حدود جنبدق بئر فيها حمام كثير، ولا يعـرف أحد غورها. ويهبط فيها الهابط أكثر من ٥٠٠ ذراع ثم لا يستطيع المزيد لشـدة البرد. وتقول العامة أن كيخسرو وضع فى هذه البئر الكأس التى كان يرى فيها العالم.

(١) صل: اثنا عشر. (٢) فى الشاه: لبس قباء روميا. (٣) ك: على رأسه. (٤) انظر، ص ٢٨٠

بصالح[1] أمورهم وحفظ قلوبهم . ثم ذكر حال بيژن وما حل به فى بلاد توران ، وأنه ليس يخاف منازل بجيو بسببه من الفجيعة والمصيبة . وقد جاءك ملتجئا اليك مستصرخا بك . فاذا قرأت كتابى هـذا فتجشم الحضور بالحضرة لتنظر فى هذا الأمر وتبحث عن وجه التدبير فى تخليصه . فتناول جيو الكتاب وسار فى جماعة من أقاربه وإخوته ، وتوجه إلى زابلستان يسير ليله ونهاره حتى شارف حدود زابل . فأُعلم دستان بن سام بطلوع جماعة من ناحية إيران يحثون دوابهم جادين فى السير . فركب وتلقاهم ، ورأى جيوا يركض أمام القوم لهفان حزينا . فقال فى نفسه : إنه قد تجدد حادث أحوج الملك إلى إنفاذ جيو الى هذه البلاد . فلما تلاقيا سايله دستان عن الملك والأكابر والأمراء فبلغه سلام الكل ، ثم شكا اليه بثه وما أصيب به فى ولده ، وبكى . وسايله عن رستم فقال : إنه ركب للصيد ، والساعة يعود . فأنزله فى إيوانه ، ووفاه شرائط خدمته . ولما أحس برجوع رستم تلقاه فى الطريق فترجل له وقبل الأرض وآثار اللهف والحزن على وجهه ظاهرة . فارتاع رستم لذلك فنزل له وآعتنقه . ثم سايله عن الملك وأحوال المملكة ثم عن جوذرز وطوس وكزدهم وسابور و بيژن وفرهاد و جميع الأكابر والسادة . وحين انتهى الى ذكر (ا) بيژن وقع عليه البكاء والزنين ثم قال : إن كل من سألت عنه مشمول بالصحة والعافية وهم يقرءون عليك السلام غير أنى فقدت بيژن وأصبت به مع كبر سنى بعد مانال آل جوذرز من عين السوء . وقد بحثت عنه فلم أعثر له على خبر حتى دخل شهر هرمزد . (ب) فإن الملك دخل بيت النار وتضرع إلى الله عز وجل فى أمره ونظر فى الجام فرآه فيه أسيرا فى أرض توران . فلما وقف على ذلك أرسلنى الى حضرتك . وهأنا قد جئتك[2] لهفان مملوء القلب بالرجاء لك ، اذ لم أر أحدا أرجوه لكشف هذا الملم سواك» . وكان يتكلم وعيناه تسيلان بالدموع ، وسلم الكتاب الى رستم فاغرورقت عيناه بالبكاء فقال له : لا تهتم فانى لا أحط السرج عن الرخش حتى آخذ بيد بيژن وأضعها فى يدك ، بقوة الله تعالى وسعادة الملك . ثم دخل به إلى ايوانه ففتح الكتاب وقرأه ثم أقبل على جيو وقال : قد وقفت على الحال وفرحت بمقدمك علىّ ولكن لم أكن أشتهى أن تكون على مابك من الجزع والحزن . وأنا أبذل وسعى فى هذا المعنى من أجل هذا الكتاب . ثم أقاموا ثلاثة أيام . ولما كان اليوم الرابع اختار رستم مائة فارس من الأسود الزابلية ، وركب مع جيو الى حضرة الملك . فلما قربوا منها سبقه جيو إلى الملك وأعلمه بوصوله فسر وابتهج بمسارعته الى امتثال أمره ،

(ا) العبارة هنا ركيكة . فان المتكلم رستم والباكى كيو . وعبارة الشاه : فلما سمع اسم جيو بكى الخ .

(ب) الذى فى الشاه : أن الملك تضرع الى الله فى عيد الكيانيين — هرمزد فروردين . أى يوم هرمزد من شهر فروردين . وهو اليوم الأول يوم النوروز .

(١) طا ، كو : صلاح . (٢) ك : لهفان القلب مملوءا .

وأشار على طوس وجوذرز وفرهاد وغيرهم من الملوك والأكابر بالركوب لاستقباله وتوفية شرائط خدمته . فتلقوه بالكوسات والأعلام والإجلال والإعظام . فلما دخل رستم على الملك خر ساجدا فرفع رأسه ومثل بين يديه واقفا يدعو ويثنى . والملك أيضا واقف يصغى الى كلامه . فلما فرغ أخذ بيده واستدناه وأقبل عليه يشكره ويثنى عليه . ثم سايله عن أخيه زواره وأبيه دستان وابنه فرامرز فقبل رستم الأرض وقال : مشمولون بالصحة والسلامة بسعادتك . وطوبى لمن يجرى ذكره على لسان الملك . ثم أمر باستحضار جوذرز وطوس . وفُتح باب البستان وقد هيئ للملك فيه مجلس يروق العيون، وقد فرش بالزرابى الخسروانية والوشائع الأرجوانية، ونقل اليه تخت الملك وتاجه، ونصب فى المجلس شجرة تظل عليه أصلها من الفضة وأغصانها من الذهب، قد تهدلت منها شماريخ من اللؤلؤ والياقوت، ولها أوراق من الزبرجد، وعليها بازات (١) على شكل الأترج والسفرجل مجوّفة محشوّة بالمسك السحيق معجونا بسلاف الرحيق، وهى مثقوبة بثُقَب ينتثر منها المسك والعنبر اذا ضربها الهواء على رءوس الحاضرين . فجاء الملك ولبس التاج وجلس على التخت مع رستم فى ظل الشجرة، واصطفت الوصائف والسقاة على رءوسهم الأكاليل المرصعة وعليهم الملابس المذهبة، بالأطواق والأقراط، كالأقمار الطالعة والشموس المشرقة، فى حجورهم المزاهر، وفى أيديهم المعازف، تشرق فى أكفهم الأقداح وتقهقه فى أوجههم الراح .

وكأن مترجم الكتاب ألمّ بوصفها (١) حيث قال فى صفة مجلس مولانا السلطان الملك المعظم ملك ملوك العرب والعجم، ضاعف الله جلاله وأدام ظلاله، فى كلمة طويلة منها :

واذا تبدى فى مجالس أنسه	كالماء فيه عذوبة وصفاء
فى القصر من جنات غوطة طالعا	تُجلى عليه القهوة الصهباء
فكأنه كيخُسْرُوْ فى تاجه	تبدو عليه روعة وسناء
وأمامه من رأيه الجام الذى	بانت له (٢) فى نوره الأشياء
فتلوح فى إيوانه مصطفة	قدامه الأملاك والأمراء
كالبدر فى كبد السماء وحوله	زهر جلاها من سناه ضياء

(أ) فى نسخ الترجمة بازات . وأقرب معانيها أن تكون جمع بازى بمعنى لعبة . وفى الشاه : « كل ثمرها من الأترج والسفرجل . » والثمر بالفارسية بار . فلعل المترجم أبقى الكلمة وجمعها على بارات، وحرفها الناسخ .

(١) ك، طا، كو : بصفتها . (٢) صل : به . والتصحيح من ك، طا، كو .

في مجلس تذكي الرحيقَ حريقُه(١) فيه فيعبق بالأريج هواء
ورنين أوتار(٢) ورجع كراين تصغى اليه الصخرة الصماء
من لم ير الفردوس غضانا ضرا فليحضرن فالجنتان سواء

(٧٨)

قال : فأقبل الملك على رستم ، وقال : أيها البهلوان! أنت لنا كالجُنة ، بك نتوقى كل شر ، وبك نستجير في كل خطب ، ولم تبرح أنت في تعب وعناء قياما بمصالح هذه الدولة واهتماما بمناجح هذه المملكة . وقد علمتَ حسن بلاء الجوذرزيين في طاعتنا ، وبذلهم الأنفس فيما يسنح من مهماتنا ، ولا سيما جيوًا فإنه على انفراده هو الساعي في الأمر الذي عرف واشتهر ، (ا) وأنهم لم يصابوا بمثل هذه المصيبة قط . (ب) فدبّر الآن هذا الأمر ، وانظر كيف المخاص منه . فإنه لا يقدر على تخليص بيژن من توران غيرك . وهذه العساكر والأموال بين يديك ، فاحتكم فيها بما ترى . » فخدم رستم وقال : أيها الملك! إن أمي ما ولدتني إلا لطاعتك ، وتحمل المكاره فيما هو سبب راحتك . وهأنذا أشدّ وسطي في امتثال أمرك ، ولا أسلك إلا سبيل خدمتك ، ولو أمطر الهواء عليّ نارا ، وتحولت الأشفار في عيني شفارا . » فشكره عند ذلك الأمراء والأكابر ودعوا له . ثم اندفعوا فيما جلسوا له من اللهو والطرب . قال : وبلغ جُرجين قدوم رستم فأرسل اليه يتخضع له ويتضرع ، وقال : قد جرى عليّ قلم القضاء في هذه الواقعة بالمحنة والشقاء . وأنا أضع نفسي على النار بين يدي الملك فلعلي يشملني عفوه ويسعني لطفه وحلمه . وسأله أن يتشفع فيه الى الملك حتى يصحبه الى بلاد توران ليتوسل به الى بيژن كي يقيله العثرة ويغفر له تلك الزلة . فأرسل اليه رستم يعنفه ويعيره على صنيعه ، ويقول له : بعد ما أبديته من الاعتذار والاعتراف أنا أتشفع فيك الى الملك ، وأسعى في خلاصك . ولكن ينبغي أن تعلم أنه إن خلص بيژن فقد خلصت ، وإلا فأنا أول من يأخذ بثاره منك . فدخل على الملك وسأله الإفراج عنه ، ولم يزل به حتى أجابه الى ذلك . ثم إن رستم تشمر للأمر وتجرّد له ، وقال : إنه لا سبيل لنا الى خلاص بيژن بالقتل والقتال . وإنما الطريق فيه إعمال المكر والاحتيال . ودخل خزانة الملك وأخرج من الجواهر والثياب(٣) والذهب والفضة ما أوفر به مائة جمل ومائة بغل . واختار

(ا) هو إحضار كيخسرو وأمه من بلاد توران كما تقدم .

(ب) تقدم أن سبعين بطلا من أبناء جوذرز قتلوا في وقائع كيخسرو (ص ٢١٣ متن) فكيف يقال هنا أن الجوذرزيين لم يصابوا بمثل هذه المصيبة؟ انظر المقدمة في جمع الشاه .

(١) صل : رحيقه . والتصحيح من ك ، طا . (٢) كو : ورنين أوتار اذا هي زمزمت الخ .

(٣) صل : والثياب الذهب . والتصحيح من طا .

من العسكر ألف فارس من المفردين وسبعة من المقدّمين مثل جُرجين وزنكه وكُستَهم وزواره وفرهاد ورُهّام وأشكس . وارتحل بهم رستم وسار حتى قرب من حدود توران . فأشار على العسكر بأن يلازموا ذلك المكان واستصحب منهم الأمراء السبعة فألقوا مناطقهم وخلعوا يلامقهم وتزيوا بزى التجار، فلبسوا الجوخ وملابس الصوف . وأمر بتعليق الأجراس على الدواب، وسار فى هيئة القوافل حتى وصل الى مدينة بيران . وأخذ جاما مرصعا بالجواهر وأهداه الى بيران مع فرسين مجللين بالديباج والحرير، فدخل عليه فأكرمه وسأله عن مقدمه . فقال : قدمت الى بلدة الملك للتجارة، وقد صحبنى جواهر وثياب أريد أن أبيعها فى ظل جاهك، وأتعوض عنها بسعادتك بعوض أعود به . ثم رجع من عنده ونزل فى الخان وفتح دكانا . فكان كل يوم يقوم على باب دكانه سوق يجتمع فيها الخلائق ويبايعونه ويشارونه .

فسمعت بخبره منيژة صاحبة بيژن فجاءت تعدو حتى وقفت على دكانه، ودعت له ، وقالت : أخبرنى عن ايران وعن الملك وعن البهلوان، وهلّ بلغهم أن بيژن أسير فى قعر مطمورة مظلمة؟ ففزع رستم وطردها وصاح عليها وقال : تنحى فإنى لا أعرف أحدا ممن ذكرت ولا دخلت بلادهم قط . فبكت المرأة وقالت : كيف يليق بمثلك هذا الجفاء؟ فأمر رستم غلامه فقدّم اليها طعاما . وقعدت تأكل ، وجعل رستم يسايلها ويقول : مالك وللسؤال عن ملوك ايران ؟ فبكت وقالت : فى قصتى طول، وأنت ملول . فحكت له جميع ما جرى، وقصت عليه قصة بيژن، ووصفت له حاله وما هو فيه من الشــدّة . ثم قالت له : إن دخلت الى تلك البلاد فاطلب جيوَ بن جوذرز ، وقل له : إن ابنك محبوس فى مكان ســقفه حجر وأرضه حديد . فإن كنت تغيثه فعجّل فقد تفاقم الأمر . فأمر رستم لهــا بطعام، وأخذ دجاجة مشوية ودفن فى جوفها خاتمه ، وعليه اسمه ، فدفعها اليها . فعادت بما أخذت من الطعام ملفوفا فى مئزر ، وجاءت الى رأس البـئر وألقته الى بيژن . فلما رأى الخاتم ورأى عليه اسم رستم استبشر فضحك حتى سمعت منه قهقهته . فسايلته عن ذلك فكتمها الحال . فجعلت تبكى ولم تزل به حتى أعلمها، وقال لها : ارجعى اليه وقولى له : أنتَ[1] صاحب الرخش أم لا؟ فعادت اليه وآثار الفرح عليها لائحــة . فلما رآها رستم علم أن بيژن قد أفضى اليهـا بالسر . فأبلغته رسالة بيژن فقال لها : قولى له : إنه صاحب الرخش ، فابشر بالفــرج . ثم أمرها بأن تجمع حطبا عند رأس البئر فاذا دخل الليــل وأظلم الجوّ أوقدت النار حتى يهتــدى رستم بضوئها الى المكان . فرجعت وعملت ما أمرها به رستم، فلبس سلاحه وركب فى رفقائه السبعة الأمراء، وقصدوا النار

---

(١) ك ، طا : أأنت .

حتى أتوها . فنزل السبعة على الحجر ليـديروه من رأس البئر فلم يقدروا . فنزل رستم فنحّاه وحده . ثم اطلع فى البئر، وقال لبيژن : إنى قد تحملت بسببك مشاق وكربا، وأنا أتشفع اليك فى جُرجين أن تصفح عنه[1] . وإن لم تفعل تركتك على حالك وانصرفت . فشفعه فيه وعفا عنه . فدلّى اليه الوهق واستخرجه من البئر فنحّى عنـه بيده القيود والسلاسل . وحملوه وصاحبته الى منزلهم الذى كانوا به نازلين . ثم حمّل الجمال والبغال و وجهها نحو الطريق مع اشكس، ونفذ منيژه معهم . ولبس رستم سلاحه وتدجج مظاهرا بين جُنَنه ، وركب معه بيژن وأصحابه الآخرون فاستلوا أسيافهم وهجموا على باب أفراسياب، وقتلوا كل من كان عليه من الحرس ، وصاح البهلوان وقال : أنا رستم بن دستان، وقد أخرجت بيژن . ورفعوا الأصوات . فهرب أفراسياب من ايوانه الذى كان فيـه فدخلوا اليه ونهبوا ما وجدوا فيـه . ثم ركبوا وساروا خلف الجمال والأثقـال، وأغذّوا السير طردا وركضا حتى اتصلوا بالفوارس الألف الذين أمرهم رستم بملازمة المكان الذى عينه لهم . فأمر[2] رستم بأن يتأهبـوا للقتال، وقال : إن أفراسياب لا شك يجمع عسكره و يتبع آثارنا . فكونوا على أهبة ائلا يهتبل مناغرة.

(٧٩) قال : ولـما أصبح أفراسياب اجتمع على بابه الأمراء والملوك، وقالوا : كيف نغضى على هـذه السبة، ونتقاعد عن هذه المكيدة التى كادنا بها الايرانيون؟ فركب أفراسياب فى عسكر عظيم خلفهم . فبينا رستم فى منزله ومنيژة قاعدة فى خيمة ضربت لهـا إذ جاءه النذير بظهور العسكر . فسير الأحمال والأثقال فى صحبة منيژة، و ركب وأمر العسكر فتدججوا و ركبوا . فلما قرب أفراسياب و رأى العسكر أمر أصحابه فاصطفوا، فوقف هومان فى الميمنة، و بيران فى الميسرة، ووقف شيذه وكرسيوز فى القلب، و بقى هو بنفسه يدور و يرتب . فتلاقوا وجرى بينهم قتال عظيم تد رج فيه كثير من رءوس أصحاب أفراسياب ، وتتابعت عليهم حملات رستم حتى ولوا منهزمين وعادوا وراءهم مخذولين مفلولين ، بعد أن أسر منهم ألف فارس، ونهب ما كان معهم من صامت وناطق . وارتحل رستم عائدا الى حضرة الملك . ولـما أتاه البشير برجوعه سالـما ظافرا أمر بضرب البشائر، وركب طوس وجوذرز وجيو ، وخرجوا بالدِرَفش الكبير على أحد جانبيه النمور المسلسلة وأسود السباع، وعلى الجانب الآخر الفوارس المدججة وأسود الرجال . فلما بدا لهم رستم ترجلوا ومشوا اليه ، فنزل لهم رستم فتصافحوا وتعانقوا . ثم قال له جوذرز : أيها البهلوان! إنك قد استعبدت عشيرتنا، وملكت رقهم بصنيعك . ودعا له . ثم ركبوا جميعا . ولـما قربوا من دار الملك تلقاه الملك كيخسرو فنزل رستم وعفر له خدّه فى التراب ، فاعتنقه الملك . فأخذ رستم بيد بيژن وقدّمه الى الملك، وسلمه اليه محافظة منه على ما سبق من

(١) صل : منه . والتصحيح من ك، كو، طا . (٢) ك، طا : فأمرهم .

وعده لجيو بذلك . فشكره الملك ودعا له وأثنى عليه، وقال : ما أعلى جد الايرانيين وأرفع شأنهم وأحمى حريمهم ما دمت بهلوانهم ! وطوبى لزال إذ كان مثلك له خلفا وولدا ! وأنا أعلاهم جدا وأوراهم زندا حيث أصبحت خادما لتختى وحاميا لحوزتى . ثم قال لجيو : إن أمرك لمستقيم عند الله سبحانه وتعالى حيث يسر رجوع ولدك اليك . فدعا جيو له ولرستم ثم جلسو فى ايوان الملك . فمدوا السماط فطعموا ثم اشتغلوا بالشرب . ولما كان من الغد دخل عليه رستم واستأذنه فى الرجوع الى بلاده فأمر له الملك بخلعة منسوجة بالجواهر وجام مملوء من اليواقيت واللآلئ ، ومائة فرس ومائة بغل ، ومائة وصيف بالمناطق الذهبية، ومائة وصيفة بالأكاليل المرصعة . فلبس الخلعة وقبل الأرض بين يدى الملك، وارتحل بتلك التحف الى سجستان . وخلع أيضا على الأكابر الذين خرجوا معه على اختلاف مقاديرهم . ثم استحضر بيژن لجعل يحدثه بما جرى عليه ويصف ما كان فيه من الشدة والضيق . فرق الملك لابنة أفراسياب، وأمر الخازن لجاء بمائة ثوب منسوج بالذهب، وعشر بدر وتاج من الذهب ، وقال لبيژن : احملها الى ابنة أفراسياب : وعاشرها بالمعروف ولا تخاشنها ولا تجف عليها، وعيشا معا فى راحة وسرور، وغبطة وحبور، ووعظه ونصحه .

ذكر الوقعة المعروفة بيازده رُخ §

قال صاحب الكتاب : لما انهزم ملك الترك من تلك الوقعة، يعنى وقعة فولاذ السابق ذكره (١) امتد الى الخُلَّخ . فجلس يوما فى إيوانه وعنده أخوه كرسيوز وولده شيده وقراخان ، فشرع يحدثهم بما جرى له مع الايرانيين ويذكر ما أصابه منهم . وقال : إن من عهد منوجهر لم يكن لهم يد على

---

§ تسمى هذه القصة فى نسخ الشاهنامه التى عندى « حرب دوازده رخ » أى حرب الاثنى عشر رخا . ويسميها المترجم « حرب يازده رخ » أى حرب الأحد عشر رخا . وعدد المبارزين يرجح تسمية المترجم فهم أحد عشر فقط ، إلا أن تحسب مقاتلة كستهم مع لهاك وفرشيد .

و « رُخ » معناه الخد والوجه، ويطلق على بعض أحجار الشطرنج (القلعة) وعلى طائر خرافى كالعنقاء، وفى المعنيين الأخيرين محتمل لتسمية هذه الحرب .

وهى قصة شائعة يكلف بها الايرانيون لما فيها من البطولة وظفر أبطال إيران . ويتبين للقارئ أن القاص مقبل على ختام هذا الطور المظيم من حروب الشاهنامه ، فهو يقتل أبطال توران =

(١) سبق ذكر پولادوند الجنى فى قصة الخاقان ورستم .

هذه البلاد . والآن فقد استأسد النقدّ، واستنسر البغاث حتى بلغ بهم الأمر الى أن غزونا فى عقر دارنا[1] . ونحن إن تغاضينا عن هذا ولم نتلاف الخلل لم يبق من هذه الممالك عين ولا أثر . والرأى أن نستنفر أهل هذه الممالك ، ونجمع ألوف ألوف من آساد الحروب ، ونقاتلهم من كل صوب وأوب . فاستصوب قوله الحاضرون[2] . فأحضر الكاتب وكتب الى بغبور ملك الصين يستنجده ، وكذلك إلى سائر ملوك الأطراف . فاجتمع عليه عسكر ضاق عنهم نطاق الحصر . وفتح أبواب الخزائن التى كانت لملوك الترك من عهد تور بن أفريدون يجمعونها، وأخذ فى تفريقها عليهم ليلا ونهارا . فلما انتظمت أحوالهم وأعدّوا واستعدوا اختار منهم خمسين ألف فارس ، وجعل عليهم ابنه شيذه، وجهزهم الى خوارزم . وضم خمسين ألفا آخرين الى بيران، ووجهه الى ايران ، وأمره ببسط اليد فى القتل والنهب وألا يقرع مع أحد باب الصلح ، ولا يخاطبهم إلا بلسان السيف . فانتهى الخبر الى الملك كيخسرو بأن أفراسياب يريد العبور على جيحون فى ثلثمائة ألف فارس قاصدين قصد ايران . فاستحضر أعيان الحضرة وأركان الدولة مثل دستان ورستم وجوذرز وجيو وشيدوش وفرهاد ورُهّام وبيژن وكَرَدهم وكُستهم وجُرجين وزنكه بن شاوران، وأخبرهم بذلك، وقال : اذا استعد العدو

= حتى القائد الأكبر بيران، ويقتل قاتل سياوخش الذى كان قتله مثار هذه الحروب، ويصر على أن ينصر كل مبارز إيرانى على قرنه التورانى لتكون خاتمة مجيدة تمحو ما كان من هزيمة الايرانيين فى بعض الوقائع .

ثم حرب يازده رُخ فيها ٢٤٥٥ بيت تتقسمها هذه العناوين :

(١) فاتحة القصة . (٢) أفراسياب يجمع عسكره . (٣) خسرو يرسل كودرز لحرب التورانيين . (٤) كيو يحمل رسالة من كودرز الى پيران . (٥) مجىء كيو الى پيران فى ويسه كرد. (٦) مصافة الجيشين. (٧) بيژن يذهب الى كيو ويلح فى بدء الحرب. (٨) هومان يستأذن پيران فى القتال. (٩) هومان يتحدّى رُهّام. (١٠) هومان يتحدّى فريبرز. (١١) هومان يتحدّى كودرز . (١٢) بيژن يسمع بما فعل هومان . (١٣) كيو يعطى درع سياوخش بيژن. (١٤) هومان يأتى لقتال بيژن. (١٥) هومان يقتل بيد بيژن. (١٦) نستيهن يبيت الايرانيين فيُقتل . (١٧) كودرز يستمد خسرو. (١٨) جواب خسرو عن كتاب كودرز. (١٩) خسرو يعبئ الجيش. (٢٠) پيران يكتب الى كودرز=

(١) لك، طا : ويجونا فى مقر عزنا . (٢) كو : فاستصوب قوله ذلك الأكابر والموابذة وقالوا : الرأى أن نعبر جيحون ونعسكر بآمل الشط ونواصل الركضات اليهم فشكرهم الملك على ذلك وأحضر الكاتب الخ .

فالواجب أن نستعد نحن أيضا . فأمر بدق الكوسات وإخراج الخيم والسرادقات . وركب الفيل وخرج وضرب بالخرزة فى الجام إشعارا بالنفير العام . فبرزت العساكر أجمعون . ونادى مناديه بألا يتخلف من يطيق أن يمسك عنانا ويحمل سيفا وسنانا . وبث الرسل الى الروم[1] والهند والعرب وقال : من لم يحضر بعد أربعين يوما باب سرادق الملك لم ير إلا ما يكره . فانثالت عليهم العساكر من جميع الأطراف واجتمعت جحافل ضاق بهم البر والبحر، ولم يحط بهم العد والحصر، ممن ينطبق عليهم صفة الطائى حيث يقول :

ومقاتلين اذا انتموا لم يخزهم — فى نصرك الأخوال والأعمام
سفع الدءوب وجوههم فكأنهم — وأبوهم سام، أبوهم حام
تخذوا الحديد من الحديد معاقلا — سكانها الأرواح والأجسام
مسترسلين الى المنون كأنما — بين الحتوف وبينهم أرحام
آساد غيل مخدرات مالها — إلا الصوارم والقنا آجام

ففتح أبواب الخزائن وأطلق لهم العطايا وأدر عليهم الأرزاق . ثم قسم العسكر أربعة أقسام، فجعل رستم على ثلاثين ألفا، وأمره أن يسلك طريق سجستان، ويتوغل بلاد الهند الى غزنة فيفتحها، ﴿٨٠﴾

= ابن كشواد . (٢١) جواب كودرز لكتاب پيران . (٢٢) پيران يستصرخ أفراسياب . (٢٣) جواب أفراسياب لكتاب پيران . (٢٤) حرب الايرانيين والتورانيين عامة . (٢٥) قتال كيو وپيران، وإعياء فرس كيو . (٢٦) كودرز وپيران يتفقان على حرب الأحد عشر رخا . (٢٧) پيران يكلم أبطاله . (٢٨) اختيار كودرز وپيران المبارزين لحرب الأحد عشر رخا . (٢٩) فريبرز يحارب كلباد . (٣٠) كيو وكُروى . (٣١) كرازه وسيامك . (٣٢) فروهل وزنكُله . (٣٣) رهام وبارمان . (٣٤) بيژن ورويين . (٣٥) هجير وسپهرم . (٣٦) زنكه بن شاوران وأوخاست . (٣٧) كركين وأندريمان . (٣٨) برته وكهرم . (٣٩) كودرز وپيران . (٤٠) رجوع كودرز الى الايرانيين . (٤١) لهاك وفرشيدورد يبكيان پيران . (٤٢) لهاك وفرشيد يهربان الى توران . (٤٣) كستهم يتبعهما . (٤٤) بيژن يلحق كستهم . (٤٥) كستهم يقتل لهاك وفرشيد . (٤٦) بيژن يرى كستهم فى البرية . (٤٧) خسرو يبنى مقبرة لپيران وغيره من رؤساء توران ويقتل كروى بن زره . (٤٨) التورانيون يستأمنون خسرو . (٤٩) رجوع بيژن وكستهم .

(١) ك : فى الروم .

ويرتب ابنه فرامرز فيها، ويدخل الى بلاد أفراسياب من ذلك الجانب. وأعطى لهُراسب ممالك ألان، وأمره أن يجمع عساكرها، ويدخل من ذلك الطريق الى توران . وجعل أشكس على ثلاثين ألفا آخرين، وسيرهم تحت رايته الى خوارزم لملاقاة شيذه بن أفراسياب . وجعل على القسم الرابع جوذرز ابن كشواذ وضم إليه أعظم العساكر مع جماعة كثيرة من الاصبهبذية، وهم جُرجين وزنكه بن شاوران وكستهم وزواره وفرى بُرز بن كيكاوس وفرهاد وجيو وبرازه ورُهّام . وأوصى جوذرز بالا يتحامل على من لا يتصدّى لقتاله، ولا يتعرّض بمكروه لمن يبذل له السمع والطاعة، واذا وصل الى حدود توران يستعمل الرفق والتؤدة، ويجتنب الطيش والنزق، ولا يعمل مثل ما عمل طوس فى الوقعة السابقة، وينفذ أوّلا الى بيران، جريا[1] على مقتضي ما يوجبه حاله من الشفقة والحنوّ، من يعظه وينصحه ويخاطبه بالإعذار والإنذار . وأوصاه أيضا أن يراقب الله تعالى فى جميع أموره، ويستعمل العدل والإنصاف مع كل أحد . فقال جوذرز : أيها الملك المظفر ! لا أعدل عما تأمر به وتراه . ثم ارتفعت أصوات الكوسات من باب سرادق جوذرز، وارتحل العساكر بين أيديهم ستون فيلا . فأمر الملك بنصب أربعة تخوت من الذهب على ظهور أربعة أفيال . وأمر جوذرز بالجلوس على واحد منها . ثم سار فى عساكره راكبا طريق خراسان . ولما وصل الى زيبد[2] من نواحى بلخ أرسل ولده جيوا الى بيران مع عشرة من أمراء إيران، فى ألف فارس، وأمره أن يبلغه حنوّ الملك وعاطفته عليه، ويشير عليه بأن يغتنم السلامة، ولا يلق بيده الى التهلكة، ويتجاوز الى مملكة الملك كيخسرو ملتجئا الى ظل أمانه وتاركا معاداة الايرانيين ، فى رسالة طويلة ذكرها صاحب الكتاب. فإن أجاب فهو المراد، وإن أبى فليأخذ أهبته للحرب ، وليستعد للقتال . قال : فركب جيو من باب بلخ وسار حتى وصل الى واشجرد[3]، وكان بيران قد عبر الماء وخيم بهذه المدينة. فلما وصل اليه جيو وأدّى الرسالة أنهى ذلك الى أفراسياب فأمدّه بأربعين ألف فارس ، وعزم عليه بملاقاة جوذرز ومناجزته . فردّ جيوا الى جوذرز وقال : إن الملك قد أمرنى بالقتال ، ولا يمكننى مخالفته . وأما ما ذكرت من الدخول فى طاعة الملك كيخسرو فاعلم أن الموت أحب الىّ من ذلك. وحين انصرف جيو ساق بيران عساكره، وأقبل حتى خيم فى موضع يقال له كيابذ[4] .

ولما وصل جيو الى أبيه وأعلمه بالحال استعد ونزل من الجبل وخيم فى الصحراء ، وجعل الجبل خلف ظهره . ووصل بيران فى عساكر الترك فنزل قريبا منهم . ولما أصبحوا عبى جوذرز

(١) طا : جريا على ما يوجبه حاله . (٢) فى الشاه : ريد . (٣) فى الشاه : ويسه كرد أى مدينة ويسه . وهو أبو بيران ، كما يعلم القارئ . (٤) فى الشاه : كابد .

عساكره، وكان على يمينه الجبل وعلى يساره المـاء . وكان نزوله فى ذلك الموضع من علامات[(١)] الظفر ومخايل السعادة . فأمر الرجالة الذين كانوا معه فاصطفوا قدام الخيالة ، ورتب خلفهم الفرسان (أصحاب[(٢)] الرماح ومن خلفهم الرجالة الباقين أصحاب القسى ورماة الحدق ومن خلفهـم الفرسان) . أصحاب الخناجر والسـيوف، وأوقف وراء الكل الفيلةَ المجففة كأنهـا الجبال الباذخة . ونصب العلم الأكبر المسـمى دِرفش جاوِيان . وكان الملك كيخسرو قد دفع هـذا العلم اليه يومئذ . وزعموا أن هذا العـلم لم يكن دفعه أحد من الملوك الى أحد من القوّاد قبـل ذلك اليوم ، وإنمـا كانوا يحملونه فى أيدى أولاد الملوك اذا وجهـوهم فى الأمور العظـام . قال : فرتب فرى بُرز على الميمنة مع برازه وزواره، وجعل رُهّام مع كَرَدَهم وكُستَهم على الميسرة، وأمر جيوا بأن يحفظ ظهر العسكر مع جُرجين وزنكه فى ألفى فارس، ووكل بحفظ الجبـل ثلثمائة فارس مع علم ، ووكل بحفظ الوادى من الجانب الآخر مثل ذلك، وجعل على رأس الجبل ديدبانا حديد النظر يراعى الطريق ليلا ونهارا. فجاء جوذرز ووقف فى موضعه فى القلب[(٣)] عند العلم الأكبر ، وأوقف قدّامه فرهاذ، ووراء ظهره شيدوش، وعلى يمينه هجير، وعلى يساره كتاره . فصاركأنه فى حصن من الحديد .

فجاء بيران ونظر الى تلك الصفوف المرصوصة ورأى تلك التعبية الموصوفة فى مثل ذلك المكان الصعب بين المـاء والجبل فعظم عليه ذلك ، إذ لم ير موضعا واسعا يتمكن فيه عساكره من الاجتماع على عدوّهم والاستدارة عليهم من ورائهم . فرجع فرتب صفوفه وعبى جموعه، فجعل أخاه هومان مع ثلاثين ألفا من نخب العسكر فى القلب، ورتب أخواست[(٤)] وأندريمان مع ثلاثين ألفا فى الميمنة، وجعل لهاك وفرشـيذ فى ثلاثين ألفا على الميسرة وأمر زنكاله وكلباذ أن يحفظا ظهر العسكر فى عشرة آلاف (فارس ، وأمر روئين أن يكن مع عشرة آلاف[(٥)]) آخرين، وفرق الطلائع على جانبى الجبل والماء. فرأى جوذرز من الرأى ألا يزايل ذلك الموقف ولا بقدر خطوة. لأنه لو تحرّك من ذلك المكان لأتاهم روئين بأصحابه من وراء ظهورهم. وكان الديدبان كلما رأى فارسا من الايرانيين فارق مكانه من الصف رفع صوته فيفطن لذلك جوذرز فينهى . فبقوا ثلاثة أيام بلياليهن لا يتجاسر أحد من الجانبين أن يتحرّك من مكانه من الصف، أو يخرج. وكان بيران مترصدا أن يضجر جوذرز فيتحرّك من مكانه فينتهز الفرصة بعسكره، ويدخل عليه من وراء ظهره. فلما تصابر الفريقان هذه الأيام من غير قتال ضجر بيژن فأتى أباه جيوا شـبه المجنون يكاد يطبق السماء على الأرض، فقال له : مالك واقفا قد تحيرت لا تناجز العدو،

(١) ك، طا، كو : أمارات . (٢) ما بين القوس من ك، طا ، والشاه . (٣) طا ، كو : من القلب .

(٤) تلفظ : أخاست . (٥) ما بين القوسين من طا ، كو ، والشاه .

وهذه خمسة أيام قد مضت علينا واقفين؟ فالى متى نصبر ونقف؟ وقد قيل. إنه ليس بعد رستم فى جميع الايرانيين بهلوان مثل جوذرز . فما باله قد أحجم هذا الإحجام ؟ ولا أشك أنه قد جبن ونخب قلبه منذ رجع من الوقعة التى قتل فيها أولاده، فصار لذلك يبطئ فى اللقاء ولا يجترئ على مكاره الهيجاء. ولا أتعجب منه تعجبى منك إذ أنت صابر على هذه الحالة لا تبارح مكانك ، مع قوة باسك وشدّة مراسك . فتقدّمْ وناجِزهم فى هذا الصحو والهواء الطيب قبل هجوم الشتاء وتتابع الأنداء و إلا فأعطنى ثلاثين ألف فارس أنتخبهم من العسكر حتى أبدّد شملهم وأفرّق جمعهم . فضحك جيو من كلامه وسُر بما أشعر به من شهامته، ودل عليه من تسعره فى الحرب وتوقده، فشكر الله تعالى حين أنعم عليه بولد مثله ، فقال له :لا تكر على جلّك فإنه أعرف بالأمور وأبصر بعواقب الحروب . وكل من حلب الدهر أشطره، وذاق حلوه ومره لا يحتاج الى أن يعترف المسالك ، و يرشد الى المناهج . وهو يريد بفعله هذا أن يستجر العدوّ حتى يتمكن من ظهره و يدخل عليه أصحابه من ورائه . وأيضا فانه راعى أحكام النجوم و يترصد أن تقع الحرب فى ساعة سعد. قال: ثم جاء هومان من ذلك الجانب الى بيران وقال له : ما بالنا قد بقينا سبعة أيام تحت السلاح لا نلقى العدوّ وقد أكثب الصيد ؟ فأطلعنا على ما تقصد، وأخبرنا بما تضمر . فإن كنت على عزم القتال فدونك فأقدم، و إن كنت هممت بالانخذال فأحجم . فإن الخلق يضحكون مما نحن فيه، وليس هذا العسكر إلا ذلك العسكر الذين قاتلناهم وقتلناهم حتى كدنا أن نفنيهم . وليس رستم بهلوانهم حتى نفكر فيه. فإن كنت تتحرج من سفك الدماء وتتجنب عن مقابلة الأعداء فمكنى من الأمر حتى أناجزهم . فقال له بيران : خفّض عليك واعلم أن جوذرز سيد الايرانيين وأشجعهم وأدهاهم، وهو موتور منذ فجع بأولاده الذين قتلناهم فى تلك الوقعة، وهو ما دام فى جسده عرق يتحرك فليس يسكن عن الحركة فى طلب الثأر . ثم إنه كما تراه وقف[1] بين هذين السدّين ، وليس لنا طريق الى ما نريد منهم ، والرأى أن نصبر فلعلهم يبدءون بالقتال ويخرجون من المضيق فنحيط بهم من ورائهم ، وعند ذلك يسهل الأمر و يقرب النصر . فقال له هومان : إن من عادتك أن تحنو علىّ وتكفّنى من القتال والملاقاة، ولا بدّ[2] من المبارزة، و إنى اذا كان الغد ركبت وتقدّمت اليهم . فلما أصبح ركب وتقدّم الى صفوف الايرانيين فطلب المبارزة فلم يتعرض له أحد من أمراء إيران ، وقالوا : إن البهلوان لم يأذن لنا ونحن لا نخرج من الصف إلا بأمره . فلما دار على الميمنة والميسرة ولم يتعرض له أحد أقبل الى القلب ، وقرب من موقف جوذرز ، وصاح به وقال : أيها البهلوان المقدّم ! إنى قد سمعت جميع رسالتك الى بيران على لسان ولدك جيو،

(١) لك ، كو : واقف . (٢) طا ، كو : ولا بد لى من المبارزة .

ووقفت على اقتراحك لقتالنا. فما بدا لك الان حتى قعدت خلف هـذا الجبل كأنك صيد قد فزع من صولة السبع ؟ فقال جوذرز فى نفسه : لو أمرت أحدا بمبارزته لم يخل من أحد أمرين : إما أن يقتل هومان فيضعف قلب بيران فيتأخر من مكانه و يتحصن بالجبل فيصعب علينا عند ذلك قتاله و يطول بنا الأمر ، أو يقتله هومان فينكسر بذلك قلوب عسكرنا . ثم قال لهومان : أما علمت أن الأسد الضارى يأنف أن يلطخ براثنه بدم الثعلب ؟ فقال هومان : هيهات هيهات ما فيكم فارس يطيق مقاومتى أو يستطيع مبارزتى. فضحك وثنى عنانه منصرفا وعثر[1] فى رجوعه على جماعة من حرس الإيرانيين ، فرماهم وقتل منهم أربعة أنفس ، ورجع الى موضعه . فعظم ذلك على جوذرز وانتهى الخبر الى بيژن فوثب وركب الى أبيه فشكا اليه جدّه فى تقاعده وتوانيه . فقال له : لا تحتد ولا تنكر عليه فهو أعلم، وبالرأى والتدبير أبصر. فركض مغتاظا وأتى جدّه واستأذنه فى مبارزة هومان فأذن له . فأخذ من أبيه سلاح سياوخش بعد مشاجرات ومراجعات كثيرة جرت بينهما، فتدجج وركب واستصحب ترجمانا يعرف لسان[2] الترك، وأقبل نحو العدو . ولما دنا منهم أمر الترجمان بأن يصيح بهومان، و يعلمه بمجىء بيژن لمقاتلته ومبارزته . فأجابه بإيعاد و إرعاد . وكان قد قرب الليل فقال: قد دخلت فى حماية الليل وأمانه ، فانصرف الآن الى غد . فانصرف بيژن .

فلما أصبح هومان لبس سلاحه وركب واستصحب ترجمانه وتقدّم فركب[3] بيژن وقد ظاهر بين جُنَنه ، واستصحب ترجمانه، فتلقاه[4] . فقال هومان : لسنا نتقاتل إلا فى موضع لا يشرف علينا فيه أحد من العسكرين . فقال له بيژن : اختر أى موضع تريد . فركض وتبعه بيژن فأبعد[5] حتى أتيا فضاء خاليا كأنه لم يطأه أحد . فتعاهدا على أن من يغلب منهما لا يتعرض لترجمان صاحبه بسوء . ثم ترجلا وأوثق كل واحد منهما حزام فرسه وزرر عليه درعه . ثم ركبا وأخذا القوس وتراميا حتى لم يبق معهما سهام[6] . ثم تطاعنا حتى تقصفت رماحهما . واستراحا ساعة ثم تناولا الدرق وتضاربا بالسيوف ، ولم يزالا يتضاربان حتى تكسرت سيوفهما . ثم جذب كل واحد منهما عموده وتضاربا حتى أثخن كل واحد منهما صاحبه . ثم تشبث كل واحد منهما بالآخر وتماسكا حتى تقطعت من شدّة قوتهما سيور ركابيهما . فترجلا وسلما فرسيهما الى الترجمانين وتصارعا كجبلين تناطحا وسبعين[7] تصاولا . فكادا يغرقان فى العرق و يحترقان من العطش . فتوافقا على أن ينصرفا الى الماء و يبردا

---

(١) ك، كو : وعبر . (٢) صل : لسان الترك ك : بلسان الترك . والتصحيح من طا .
(٣) ك : وركب . (٤) صل : وتقدّم . والتصحيح من طا . (٥) طا : فأبعدا .
(٦) ك، طا، كو : سهم . (٧) ك : أو أسدين طا : أو سبعين .

غليل عطشهما[١] . فصارا الى المنهل وشربا فسجد بيژن وتضرع الى الله تعالى وسأله أن ينصره . ثم رجعا الى معتركهما وعادا الى المصارعة، ولم يزالا حتى تمكن منه بيژن فضرب بيده اليسرى الى رقبته وبيده اليمنى الى فخذه فألقاه الى الأرض، واستل الخنجر وذبحه فى الحال . ثم سجد شكرا لله تعالى[٢] ثم رفع رأسه وقال : قد تشفيت لسياوَخش ولسبعين نفسا من أعمامى . ثم علق رأسه من سموط سرجه فأعظمه الترجمانان عند ذلك فسجدا له . ثم أفكر فى كيفية عوده الى أصحابه ونظر فاذا ليس له طريق إلا على الأتراك . فاحتال فلبس سلاح هومان وركب فرسه[٣] ونصب علمه وجنّب فرس نفسه، ونكس رايته ، وأقبل عائدا . فلما رآه الأتراك ضربوا البشائر وحسبوا أن الغالب هومان . فلما دنا منهم عدل نحو أصحابه ونكس راية هومان ونصب رايته . ورجع ترجمان هومان نحو أصحابه فأخبرهم بالحال . قال : وأقبل بيژن الى فريقه وأبوه متردّد بين اليأس والأمل . فلما رآه الديدبان رفع صوته وبشر القوم بسلامته ورجوعه ظافرا . فتلقاه أبوه واعتنقه ، بعد أن سجد شكرا لله تعالى، وأقبل به الى أبيه جوذرز وكاد أن يطير فرحا وسرورا، فأمر الخازن بخاء بخلعة (٨٣) منسوجة بالذهب موشحة بالجوهر وتاج ومنطقة ، وخلعها عليه ودعا له وشكر سعيه . ولما علم بيران بقتل أخيه ضاقت عليه الأرض بما رحبت وطفق يبكى عليه فأرسل الى أخيه الآخر نستيهَن وقال له : ما أجدرك الآن أن[٤] تطلب بثار أخيك ، وتبيت العدوّ . فاختار عشرة ألف من الفرسان الموصوفين وركبوا ليلا[٥] يريدون أن يكبسوا الايرانيين . فلما شارفوهم وقت السحر أحس بهم الديدبان فانذر بهم فأمر جوذرز بيژن أن يلقاهم فى ألف فارس . ولما التقوا أمر بيژن أصحابه بأن يرشقوهم بالسهام فوقعت نشابة فى فرس نستيهَن فبادره بيژن وضرب رأسه بعموده فقتله ، فوضعوا السيف فى أصحابه حتى قتلوا أكثرهم . وانهزم الباقون واتبعوهم الى معسكر بيران . وحين وقف بيران على قتل أخيه الآخر بكى وشق ثيابه واحتدت به الحمية فأمر بضرب الكوسات والزحف . فتلاقى الجمعان ودام بينهما القتال من طلوع الشمس الى غروبها .

ولما جن الليل رجع كل واحد من الفريقين الى منازلهم فقال جوذرز : لا أشك أن بيران ينفذ الى أفراسياب ويعلمه بالحال، ويستنجده . فينبغى لى أيضا أن أنهى الحال الى الملك كيخسرو أخذا بالحزم . فأمر الكاتب فكتب الى الملك كيخسرو[٦] كتابا يذكر فيه إنفاده جيوا بالرسالة الى بيران وجواب بيران له، وأخبره بما جرى على هومان ونستيهن وبحسن بلاء بيژن، وذكر أن أفراسياب

(١) صل : عطشيهما . والتصحيح من ك، طا، كو . (٢) ك : الله عز وجل . (٣) ك، طا : هومان ونصب الخ .
(٤) ك، طا : بأن . (٥) ك، طا، كو : وركضوا يريدون . (٦) ك، طا، كو : كيخسرو(٧) .

قد قرب من جيحون، وقال : إنه لو عبر الماء واتصل ببيران لم يمكنى مقاومته إلا أن يتجشم الملك الحضور بنفسه . وان لم يفعل ذلك فسوف يأتى الخبر حضرة الملك بما يعمل العبد معه . وسأله فى الكتاب أن يخبره بحال رستم ولُهراسب وأشكس، وما صار اليه أمرهم فيما وجهوا له . ودعا ابنه هجير وسلّم اليه الكتاب، وأمره أن يسير به الى الملك عجلا . فركب وتوجه نحو الحضرة فى جماعة من خواصه . وسار(١) ليلا ونهارا حتى وصل بعد سبعة أيام فسلم اليه الكتاب وأدّى الرسالة . ففرح الملك بما أتاه(٢) من خبر الظفر بهومان ونستيهن، وأمر لحشوا فاه الياقوت(٣)، ونثروا عليه الذهب حتى غمره . ثم خلع عليه وعلى أصحابه ، وكتب الى جوذرز جواب كتابه ، وذكر فيه أن قرب أفراسياب من جيحون ليس مما(٤) توهمته بل لأنه استشعر من عساكرنا الثلاثة التى نفذناها للتوغل(٥) عليه من أطراف مملكته . وأما ما تشوقت اليه من الوقوف على أحوالهم فاعلم أن رستم قد استولى على جميع ممالك قشمير وكابل وغيرهما. وأما أشكس فانه هزم شيذه بن أفراسياب وكسره، وتغلب على خوارزم وتلك الأطراف. وأما لهراسب فقد أطاعه جميع أهل ألان الى أقصى الخزر،واستوسقت له تلك النواحى. وها نحن قد أمددناك بطوس (أ) ، وسيرناه اليك فى عساكره على طريق دهستان . ثم بعد ذلك نجشم مواكبنا النهوض نحوك، ونطلع عليك براياتنا وفيلتنا المنصورة .ومع ذلك فلا نتقاعد عن قتال بيران، وناجزه. وأرجو أن تظفر به وتفرغ منه قبل وصولنا.ثم ختم الكتاب بالسلام عليه عن الملك كيكاوس وعن طوس، وختمه وسلمه الى هجير، وردّه الى أبيه . ثم أمر طوسا بالارتحال بفيلته وجنوده وسلوكه على طريق دهستان الى خوارزم (ب) . ثم استعدّ الملك وأعدّ، وسار بنفسه فى عشرة آلاف من الفرسان الخاصة . قال : ولما وصل كتاب الملك الى جوذرز فرح به وابتهج فأحضر الأمراء والأكابر، وأمر فقرئ عليهم . ثم فرّق الأسلحة والأموال عليهم، وأمرهم بالتأهب والركوب لقتال العدو . فركبوا وأخذوا مصافهم، ونظر اليهم جوذرز فأعجبه ما رآه من كثرتهم وهيئتهم وقال : لم ير من عهد جمشيذ مثل هذا الجمع بهذه الزينة وهذه الهيئة . وسأبلغ بهم بقوة الله وسعادة الملك الى أقصى الصين .

(أ ، ب) كودرز يقاتل عند بلخ فكيف يسير طوس اليه على طريق دهستان ذاهبا الى خوارزم؟ عبارة الشاه: وسيّرنا طوسا ليستولى على دهستان وجرجان الخ فلم يكن طوس ذاهبا لإمداد كودرز .

(١) ك : فسار . (٢) ك، طا : أتاه به . (٣) ك، طا : بالياقوت .

(٤) ك، طا : لما توهمته . (٥) ك : لتوغل عليه .

ذكر مكاتبة جرت بين جوذرز وبيران

قال : ولما بلغ ذلك بيران خاف ورعب ، والتجأ الى استعمال الحيلة والخديعة ، وشاور وزيره واستورى زناد رأيه فيما يكف به حدّ جوذرز . فأشار عليه بأن يكتب الى جوذرز كتاب استعطاف. فكتب اليه يستدرجه مفتتحا كتابه بحمد الله والثناء[1] والاستعاذة[2] من الشيطان المارد . وذكر أنه يسأل الله تعالى فى السر والعلانية أن يرفع العداوة من بين هاتين الطائفتين فقال : وأنت أيها البهلوان ! إن أردت أن تملأ الدنيا بالفتن والمحن فقد أدركت ما أردت ؛ انظركم قتلت من أصحابى، وأفنيت من رجالى . والى متى تقطع رءوس الأحياء فى ثار ميت قد بلى تحت التراب؟ ألم يأن لك أن ترق وتلين وتستريح من القتل والقتال ؟ أما تعلم أن من اشتعل رأسه شيبا فسفك الدماء منه أكثر عيبا ؟ وأنا أخاف إن التقى هذان الجمعان مرة أخرى ألا يبقى على وجه الأرض أحد منهم فتستقر هذه العداوة بين الجنسين أبد الدهر، ثم الله أعلم بعاقبة الأمر و بالخصوص[3] بالظفر والنصر . فإن كان الحامل[4] على هذه الفتن ما احتوينا عليه من البلاد الايرانية فأعلمنى لأكتب الى الملك أفراسياب وأستأذنه فى إعادة قسمة الممالك الى ما كان فى عهد منوجهر؛ فيفرج[5] لك من هذا الحد الى باب السغد ، وفى الحدّ الآخر لكن رستم من جميع بلاد الهند الى آخر السند، ومن الحد الثالث نسلم الى لُهراسب جميع ممالك الآلان[6] والخزر الى جبل قاف، وكذلك أعمل فى الحد الذى توجه اليه أشكس. واذا فرغت من ذلك عاهدتك بالأيمان المغلظة والمواثيق المبرمة على أن نكف اليد عن تخريب البلاد وقتل العباد، وأنفذ الى الملك كيخسرو جميع ما يريد من الأموال والذخائر، وأرهنه الرهائن من الأولاد[7] والأعزة . ولا ينبغى أن يتوهم الايرانيون أن دخولى فى هذا الباب صدر عن جبن وفشل. فانه غير خاف أنى أكثر منك رجالا ، وأوفر أموالا ، وأشجع قلبا وأرحب صدرا . ولكن قلبى يحترق على هذا الجمع، وليس غرضى إلا حقن الدماء وحسم مادة العداوة والبغضاء خوفا من خالق الأرض والسماء . وإن أبيت إلا المضى فى الغلواء فاختر جماعة من رءوس الايرانيين المشهورين بالشجاعة والبسالة، وأختار أنا مثلهم[8] من التورانيين الذين هم عندك مجرمون حتى يبارز بعضهم بعضا . ونتبارز أنا وأنت أيضا حتى يسلم برآء الفريقين من معرّة هذه الفتن . وذلك بشرط ألا يتعرّض الغالب منا لمن خلف المغلوب من عساكره . وإن لم تجب الى هذا أيضا فافعل ما تشاء واعلم أن كل دم يسفك فأنت المتقلد



(١) طا : والثناء عليه . (٢) لـ، طا : والاستعاذة به . (٣) صل : الخصوص : والتصحيح من لـ، طا .
(٤) لـ، طا : الحامل لك . (٥) لـ : لنفرج . (٦) لـ : اللان .
(٧) لـ : الأولاد الأعزة. (٨) لفظ «مثلهم» من لـ، طا .

لإثمه . حتى[1] ختم الكتاب ودعا بولده روئين، وأرسله إلى جوذرز . فلما قدم عليه تلقاه وأكرمه ، فسلم اليه الكتاب فقرئ عليه . فتعجب الحاضرون من كلام بيران وما تضمنه من التمويه والتصرف فى وجوه الاحتيال والخديعة . فأمر بإنزاله وإقامة شرائط خدمته . وأشار عليه بأن يقيم عنده أسبوعا حتى (ينظر فيما)[2] يجيب به عن كتابه . ثم استدعى الكاتب وأمر[3] فكتب الى بيران وافتتح الكتاب بحمد الله والثناء عليه . ثم قال فيه : إنى قرأت كتابك من أوله الى آخره ، وعلمت ما فيه ، واطلعت على ما أدرجته فى مطاويه . وبلغنى روئين رسالتك التى شافهته بها . ثم إنى ما رأيت كلامك إلا كسراب يخدع الظمآن، وما أنا ممن يخدع بذلك . وما نفذت اليك ولدى جيوا فى الأول إلا طلبا لحقن الدماء، وإغمادا لسيوف الفتنة . فأبيت إلا الشر . وكان من الواجب أن تدرك أولا ما أدركته آخرا حتى لا يجرى عليك ما جرى ، ولكن شراسة خلقك وخبث ضميرك لا يخليانك أن تجرى على قضيات العقول . وليس بمستنكر منك ذلك فإنكم جبلتم على طباع الشر من عهد تور بن أفريدون القاطع رحم أخيه إيرج . وقد ظهرت آثار تلك الطبيعة على أفراسياب من أيام نوذر بن منوجهر فإنه أباح دمه . ثم ارتكب فى أيام كيقباذ من العظائم ما ارتكب، وهلم جرا الى أيام الملك كيكاوس التى تعاطى فيها ما عرف واشتهر من تخريب البلاد الايرانية ، وقتل رجالها ، واستباحة أموالها ، وما ختم به آخر الأمر من قتل سياوخش الذى أورث هذا الخطب العظيم» . ثم قال فيه : وأما ما ذكرت من أنه يستقبح من المشايخ سفك الدماء ويستعظم فاعلم أن الله تعالى إنما أنسأ لى فى الأجل، ومكننى من الحيل والحول حتى أنتقم منكم لسياوخش ولأولادى السبعين الذين أرقتم دماءهم . ومهما لم أسع فى ذلك فأنا لله عاص ، ولأمره مخالف . وأما ما جنحت اليه من السلم فليس الأمر فيه الىّ فإنى لم أومر إلا بالحرب والقتال ، فإن كنت ترجو عاطفة الملك كيخسرو فنفذ اليه ولدك أو أخاك أو من ترى من الرهائن فإن الطريق الى ايران مفتوح . وما ذكرت من تسليم البلاد والإفراج عنها لعبيد الملك فقد أراحك الله من ذلك . ولعلك لم تقف على أن لهراسب قد أخذ جميع ممالك الخزر وما يصاقبها من النواحى والبلاد، وأن رستم دوخ جميع بلاد الهند واستأمر[4] ملكها، ونفذه مقيدا الى حضرة الملك، وأن أشكس كسر شيذه بن أفراسياب حتى لم يفلت منه إلا بجريعة الذقن، وأنه تغلب على خوارزم ودهستان وما والاهما . وأما من هذا الجانب فهأنذا آخذ بمخنقك، وقد ذقت مرارة بأسى، وشاهدت آثار صولتى . واذا تحركت من مكانك واجترأت على ملاقاتى أرحتك من هذه المقالات، وخلصتك

---

(١) ك : ثم ختم . (٢) مابين القوسين من ك ، كو ، طا . (٣) ك : وأمره .

(٤) ك ، طا : وأسر .

من هذا الصداع بقوّة الله وسعادة الملك . ثم اعلم أنه لا سبيل الى انصراف هذه العساكر التى هى مائة ألف فارس أو يزيدون، من غير تلاق وحرب، لمجرد رقيتك وخديعتك . ولا طريق[1] الى مصالحتى ومعاهدتى . فإنك لم تعاهد أحدا إلا نقضت عهده وميثاقه . فلا غرّ الله أحدا بمذهبك ودينك . فإنه لم يهلك سياوخش إلا اغتراره بيمينك . وأما ما ذكرت من اختيار المبارزين والاكتفاء بملاقاتهم عن تلاقى سائر العسكرين فإن الملك لم يأذن لى فى ذلك، وليس يرضاه منى . والرأى أن نقتتل قتالا عاما، فإن لم يظفر أحد الفريقين بالآخر عدلت حينئذ الى ماذكرت . وبعد فإنك إن كنت[2] تريد بهذه المماطلة والمدافعة أن تستمد أفراسياب أو تصلح ما تشعث من أحوالك، أو تداوى المجروحين من أصحابك فإنى أمهلك الى أى وقت شئت . وإنما قلت ذلك حتى لا تبقى لك حجة، ولئلا تقول غافصتنى واهتبلت غرتى » . ولما تم الكتاب أحضر أصحابه فأمر الكاتب فقرأه عليهم فاستحسنوه . ثم خلع على روئين ووهبه عدّة وخيلا، وأطلق لأصحابه جملة، وردّه بالكتاب الى أبيه . فلما أتاه ودفع اليه الكتاب وقرأه عظم عليه جواب جوذرز، ولم يطلع عليه أحدا، وقال لأصحابه : إن جوذرز يأبى إلا البغى والطغيان، ومجانبة مايقتضيه الرأى والعقل، وهو مصر على الطلب بثأر أولاده . فإذا كان هو كذلك فما بالنا نحن لا نطلب بثأر هومان ونستهين ؟ فالواجب أن نشمر للأمر، ونفرغ وسعنا فى قتالهم . ثم أرسل الى أفراسياب، وأنهى اليه ما جرى بينه وبين جوذرز، وأخبره بمقتل هومان ونستهين، وعرّفه كثرة عساكر العدو وقوّتهم وشوكتهم، وأن الخبر قد أتاه بأن الملك كيخسرو عزم على إمدادهم بنفسه . وذكر أنه إن طلعت عليه راياته فلا طاقة له بالوقوف بين يديه إلا أن يطلع الملك أفراسياب فى عساكره، ويباشر الأمر بنفسه. فأتاه جواب أفراسياب يعزيه عن أخويه، ويسليه بأن الحروب لم تزل بين الرجال سجالا، وأنها تستصعب مرة وتسعف أخرى . فلا يهمنك ما جرى . وأما الخبر عن مقدم كيخسرو بنفسه فهو إرجاف بلا حقيقة، وإنما نفذ طوسا على طريق دهستان . وأنا عازم على عبور جيحون والاجتماع بك . وإذا فعلت ذلك لم أبق منهم عينا ولا أثرا، ولم أخلّ من بلادهم حجرا ولا مدرا . وقد أمددتك الآن بعشرة آلاف من آساد الترك الذين كل واحد منهم يغنى غناء عشرة من الايرانيين، فإذا وصلوا اليك فلا تقعد ساعة وناجزهم . وإن تحصنوا بالجبل فدوّخه بحوافر الخيل، وإذا ظفرت فلا تبق ولا تذر منهم أحدا، واحصدهم حصدا.

قال : ولما وقف بيران على ذلك استحضر أمراءه وأصحابه، وحثهم على القتال، فتدججوا وركبوا والتقى الفريقان، ودامت الحرب بينهم من طلوع الشمس الى غروبها . وكانت وقعة عظيمة

(١) ك، طا، كو : ولا طريق لك . (٢) ك، كو : وبعد فان كنت .

(٨٤) قتل فيها[١] كثير من الجانبين، وبارز فيها جيو مع بيران وكاد يقتله أو يستأسره لكنه ساخت قوائم فرسه فوقف[٢] فى مكانه . فقال له ولده بيژن : إنى سمعت الملك كيخسرو يذكر أن بيران لا يقتله إلا جوذرز فلا تصدّع نفسك وارجع » . قال : ولم يظهر لأحد العسكرين غلبة على الآخر فى هذا اليوم فانصرف كل واحد منهم الى مكانهم .

ولما كان الغد ركبوا وعادوا الى المعترك فأقام جوذرز كُستَهم فى موضعه من القلب ، ورتب جماعة فى الميمنة وجماعة فى الميسرة، وتقدّم لمبارزة بيران بعد أن أوصى كُستَهم أن يحفظ العسكر ويتيقظ فى ذلك وبأن يثبت إن قتله بيران ، ويتأنى حتى يلحقه الملك كيخسرو . وأما بيران فإنه أقام أخويه فرشيذ ولهاك مقامه فى القلب ، وأوصى اليهما بالحزم والتيقظ ، وأنه إن أصيب هو ينصرفان بالعسكر ويبادران عبور جيحون . فالتقى[٣] هو وجوذرز وطال بينهما الحديث .

ذكر مبارزة الإصبَهبذِين من الفريقين

قال : فاستقر الرأى بينهما على أن يختار كل واحد منهما عشرة من المبارزين ، ويبعدوا عن المعركة الى موضع لا يراهم الديدبان . ففعلا ذلك وعدلا الى مكان بين تلين، أحدهما يلى الايرانيين، والآخر يلى الأتراك، وشارطا أن كل من غلب من الجماعة قرنه انحاز وصعد الى التل الذى يلى أصحابه، ويهبط منه اليهم . قال : فتبارزوا وتقاتلوا واشتغل كل واحد منهم بقرنه وجرى بينهم قتال عظيم لم يسمع بمثله، وكانت الدبرة على الأتراك . وكان أول المبارزين فرى بُرز بن كيكاوس وقرنه كلباذ بن ويسه ، فضربه ضربة قدّت منكبه الى خاصرته ، فوقع الى الأرض ميتا . فنزل اليه وشدّه بالوهق على فرسه، وأخذ نحو التل راجعا . وكان الثانى جيو بن جوذرز وقرنه من الأتراك كروزره الذى أخذ بلحية سياوخش وذبحه، فجرى بينهما قتال عظيم، ثم إن جيوا ضرب رأسه ضربة دوّخته حتى لم يبق عنده دفاع عن نفسه، فمدّ اليه يده ورماه الى الأرض، ثم نزل وكتفه، وقدّمه بين يديه، وأخذ نحو التل . وأما المبارزان ثالثا فكان برازه من الايرانيين وسيامك من التورانيين فغلبه برازه وقتله ، ونزل وشدّه على ظهر فرسه ، وصعد به نحو التل رافعا صوته بما تسنى له من الغلبة . والمبارز الرابع من الايرانيين رجل يسمى فروهل . وكان أرمى أهل عسكره، وقرنه من التورانيين فارس اسمه زنكُله، فرشقه فروهل فأصاب فخذه بنشابة مرق من ظهر فرسه فكبا به، ووقع الى الأرض ومات. فنزل واحتز رأسه وشدّه بسموط سرجه، وصعد الى التل رافعا بالظفر عقيرته . وأما الخامس وهو رُهّام

(١) ك ، طا ، كو : خلق كثير . (٢) ك ، طا : ووقف به . (٣) لفظ «فالتقى» من ك .

ابن جوذرز فانه بارز بارمان ؛ فتراميا حتى نفذت سهامهما ، ثم تضاربا وتطاعنا فأصابه رُهام بطعنة فى فخذه أندرته[١] عن ظهر فرسه ، فقام وهرب فتبعه وطعنه فى ظهره بطعنة نفذت الى كبده، فوقع . فترجل عليه وشدّه على فرسه ، ورجع به صاعدا الى التل رافعا صوته فرحا وسرورا . وأما السادس وهو بيژن بن جيو وقرنه روئين بن بيران فإنهما تصاولا حتى أصابه بيژن بعمود زهقت منه روحه وهو على ظهر فرسه ، فوقع الى الأرض منغصا بشبابه الناضر وجماله الزاهر ، فنزل عليه بيژن وحمله على فرسه وصعد به الى التل مُدلّا ببأسه ورافعا صوته . وأما السابع وهو هجير بن جوذرز فإنه بارز فارسا من أقارب أفراسياب يسمى سِبَهرم ، وكان من الأعيان المذكورين فى عساكر الترك ؛ فتضاربا زمانا طويلا بالسيوف، ثم إن هجير ذكر الملك كيخسرو وسماه ، وحمل بسعادته عليه فأصابه بضربة وقع منها الى الأرض صريعا لليدين وللفم . فترجل وحمله على فرسه وصعد راجعا . وأما الثامن وهو زنكه بن شاوران فإنه بارز أميرا منهم يسمى أُخَواست[٢] . فتضاربا زمانا طويلا حتى وقفت بهما دوابهما من كثرة القِراع وشدّة المِصاع ، وغلبهما العطش حتى استكف كل واحد منهما صاحبه ريثما ينقع غلته بشربة ماء . فلما شربا وعادا الى القتال غلبه زنكه وقتله وربطه على فرسه ورجع به نحو التل . وأما التاسع فهو جُرجين بن ميلاد، وكان قرنه من التورانيين فارس يسمى أندريمان؛ فراماه حتى أصابه بسهم خاط مجنّه على رأسه، وأعقبه بنشابة أخرى فخر من الفرس . فترجل[٣] واحتز رأسه وعلّقه من سموط سرجه ، وركب وجنّب فرس قتيله، وعاد نحو أصحابه . والعاشر من الايرانيين فارس يسمى برته[٤] وقرنه من التورانيين فارس يسمى كُهرم فتضاربا حتى علاه برته بسيفه فقده بنصفين فنزل وحمله على فرسه وعاد[٥] نحو التل .

ذكر مبارزة جوذرز وبيران وقتل جوذرز له

قال : فزحف البهلوانان أحدهما الى صاحبه وتقاتلا زمانا طويلا تارة بالسيوف وأخرى بالرماح، ومرّة بالخناجر وأخرى بالعمد، حتى كَلّ كُل واحد منهما وملّ ، فتراميا فأصاب جوذرز فرس بيران بنشابة خرقت التجفاف ومرقت فيه ، فانقلب على بيران فانكسرت يمنى يديه، فتقلب فى التراب ثم وثب وعدا هاربا نحو جبل هناك فارتقى فيه وهو يرجو ألا يتبعه جوذرز . فنظر اليه جوذرز فأذرى دمعه ، واستشعر الخشية من تصاريف الأيام علما منه بأن الدنيا غدّارة دأبها الجفاء

(١) ك، طا، كو : أردته . (٢) يلفظ : اخاست . (٣) ك : فترجل عليه .
(٤) فى الشاه، كو : برتَه . (٥) ك ، طا : وعاد به .

وعادتها الغـدر وقلة الوفاء ، فصاح به وقال : أيها البهلوان المذكور ! مالك تفر بين يدى راجلا ؟ أما زعمت أنك لا ترى لنفسك مساجلا ؟ أين ذلك الفيلق الجرار ؟ ما بالك لا يغيثك منهم أحد ؟ أين عدتك وشوكتك وأين بطشك وقوتك ؟ لقد أدبرت السعادة عنك ، وانكسفت شمس أفراسياب بمـا حدث بك . واذا بلغ بك الحال الى هذا فينبغى لك أن تسأل الأمان حتى أحملك حيا الى الملك كيخسرو فإنك شـيخ مثلى أشيب الرأس ، وقد رق قلبى عليـك ، ولست أريد قتلك . فقال : حاشاى من هـذا ومن أن أذل لأحد من الأنام . إنى لم أولد إلا للحمام ، فلا أحب أن أموت إلا ميتة الكرام . فترجل جوذرز ، ورفع الترس فوق رأسه ، وصعد اليه ، فرماه بيران بمزراق كان معـه فأصاب عضد جوذرز ، ومرق منـه . فاستشاط جوذرز عند ذلك ورماه بمزراق فى ظهره فنفـذ الى كبده ، ففار الدم من فمـه ، ووقع الى الأرض يتغرغر بحشاشـته حتى قضى نحبه . فصعد اليه جوذرز وغرف من دمه غرفة وتشربها تشفيا لسياوخش ولأولاده السبعين . وهم بأن يحتز رأسـه فأدركته رقة منعته من ذلك . فتركه وغرز علمه عند رأسه ليحمى وجهه عن حر الشمس ، وركب وعاد الى عسكره والدم يفيض من عضده فيضا . قال : وكان الإيرانيون قد فزعوا حين أبطأ جوذرز ، وتوهموا أنه قتل فجزعوا وجعلوا يبكون . فبيناهم كذلك اذ تراءى علمه من بعيـد ، ففرحوا وضربوا البشائر . فلما قرب منهم حسبوا أن بيران أعجزه فانصرف عنه ، حتى حكى لهم عند وصوله ما جرى له مع بيران فأشار الى مصرعه بإصبعه ، وأمر ابنـه رُهّام بأن يذهب الى ذلك المكان ، ويحمله بعـدّته وجنّته على فرسه ، ويأتى به الى المعسكر . ففعل ذلك وجاء به مربوطا على فرسه . فأثنى الإيرانيون عند ذلك على جوذرز وشكروه . ثم قال لهم : إنى لمـا توهمت أن أفراسياب يعبر المـاء نفذت الى الملك كيخسرو وسألته اللحاق بنا ، ولست أشك أنه يصل عن قريب . فخلوا هؤلاء القتلى مربوطين على ظهور الخيل حتى يصل الملك ويراهم على هذه الهيئة . فبيناهم كذلك اذ صاح الديدبان من ذروة الجبل وبشرهم بطلوع مواكب الملك كيخسرو وظهور راياته . فاستبشروا وضربوا البشائر . وسيأتى ذكر مقدمه من بعد إن شاء الله تعالى .

ذكر اطلاع فرشيذ ولُهاك على مقتل بيران وما جرى عليهما بعد ذلك

قال : فجـاء ديدبان التورانيين الى فرشيذ ولهـاك وأخبرهما بصعود المبارزين من عسكر إيران الى التـل الذى يليهم ، وأنهم ظفروا بالتورانيين وقتلوهم ، وأعلمهما[1] أيضا بطلوع عسكر عظيم مقبل من صوب إيران . قال : فصعدا الى مربأ الديدبان فشاهدا بأعينهما ما أخبرهما به من طلوع العسكر ،

(١) صل : أعلمهم . والتصحيح من ك .

وتحقق عندهما قتل أخيهما بيران ومن كان معه، فوقع فيهما البكاء والعويل، واجتمع اليهما الأمراء والوجوه فقالا لهم : إن المحذور قد وقع . وأنتم مخيرون بين ثلاث : إما أن تولوا الأدبار منهزمين، و إما أن تستأمنوا اليهم أذلة صاغرين ، و إما أن تقاتلوا عدوّكم مشمرين عن ساق الجد أجمعين ، وتكونوا منتظرين لوصول المدد من أفراسياب، فإن بيران كان قد أرسل اليه واستمدّه ، وسيصل المدد عن قريب » . فقالوا : اذا ذهب الراعي تفرّق القطيع . وحينئذ فلا يجدى ما تذكران، ولا عار[1] فى طلب الأمان . وبعد أن جرى ما جرى فسواء عندنا أفراسياب وهذا التراب . فإنه لو كان له شفقة علينا لأغاثنا بنفسه كما أغاث كيخسرو أصحابه » . فعلما عند ذلك أنه فشا فيهم الفشل ، واستولى على قلوبهم الخوف والوجل، فاختارا عشرة من أعيان الفرسان، وسارا فيهم قاصدين حضرة أفراسياب، فصادفوا فى طريقهم جماعة من طلائع الإيرانيين، فاعترضوهم وجرى بينهم قتال عظيم فقتل سبعة أنفس من الإيرانيين والعشرة الذين كانوا معهما من الترك، وخلصا وحدهما وأخذا فى طريق توران . فرآهما الديدبان فأعلم جوذرز بأن فارسين قد ركبا طريق توران يُغِذّان السير طردا وركضا . فقال جوذرز : إنهما لا يكونان إلّا لهاك وفرشيذ يريدان اللحاق بأفراسياب . ومتى سلما حتى يصلا الى توران تضررنا بذلك » . فالتفت الى أصحابه وقال : من يكسب اسما رفيعا وصيتا جليلا فيلحق بهما ويخنى عليهما؟ فما أجابه غير كُستهم فإنه قال : أيها البهلوان! إنك لما خرجت الى المبارزة أقمتنى مقام نفسك فى العسكر فلم يحصل لى من الاسم ما حصل لغيرى . فانى اذًا أنتدب لهذا الأمر . فضحك جوذرز، وسرّ بقوله ومدحه وأثنى عليه ، واستعجله ، وقال له : تأهب . ودعا له بالظفر فوثب كستهم ، ولبس درعه وركب وودع من رأى هناك من أصحابه ، واقتفى أثرهما يطرد كالريح العاصف . فبلغ ذلك بيژن بن جيو فأتى جدّه وأنكر عليه إنفاذه لكستهم وحده إلى فارسين مثلهما فى قوتهما وشجاعتهما . فندم جوذرز وقال : من يرافق كستهم ويعينه عليهما ؟ فقال بيژن : أنا ، ولا يتولى ذلك غيرى . فان قلبي يرق عليه وأستحى[2] منه اذا تخلفت عنه » . فمنعه جدّه من ذلك . فأبى إلا المضيّ، وقال : إن لم تأذن لى قطعت رأسى بهذا الخنجر » . فأذن له عند ذلك . فركب وطار بجناح الركض خلف كستهم . فلما بلغ أباه جيوا صنيعه ذلك تبعه حتى لحقه ، وثنى بالعنف عنانه، وقال : كم تعذبنى وتؤذى قلبى، وكم تلقى بيدك الى التهلكة ! وجعل يوبخه ويقرّعه، وهو يأبى إلا الاستمرار فى طريقه . وقال لأبيه : إنه لا يليق بك أن تنسى ما ثبت له علي من الحقوق،

(١) طا : ولا عار علينا . (٢) ك : وانى أستحى .

وكأنك نسيت ما أسداه إلىّ من الجميل فى وقعة لاَوَن (ا) . فلا أفارقه اذا فى سراء ولا ضراء . فقال له عند ذلك : وأنا أيضا آتى معك . فقال : لا كان أبدا انتداب ثلاثة منا لتركيين قد أشرفا على الموت . وحلف وأقسم عليه بحياة الملك ورأسه وحياة البهلوان أن يرجع ويدعه وشأنه . فأجابه الى ذلك ورجع . ومضى لسبيله وانطلق . قال : وقطع الفارسان المطلوبان سبعة فراسخ فى أقرب زمان ، وانتهيا الى غيضة فيها ماء ، فرميا عدّة من الغزلان وشويا من لحومها ، وطعما . فنام أحدهما على حافة الماء ، وقعد الآخر ينظر . فوصل كستهم الى ذلك المكان ، وأحس فرسه بحاسة الشم بفرسيهما فصهل فجاوبه فرس لهاك ، فأحس بالشر ، وأيقظ أخاه ، وقال له : عجّل فقد لحقنا الطلب . فركبا وخرجا الى فضاء بين أيديهما فتراءى لهما كستهم ، فوقفا ساعة وتبصراه فلم يريا خلفه أحدا . فقالا : إنه رجل واحد ، ولا ينبغى أن نهرب ، بل نثبت له . وليس يمكن أن ينجو منا إلا أن يدركنا الشقاء فيظفره بنا . ولما قرب كستهم صاح عليهما صياحا شديدا ، ورشقهما بالسهام فأصاب فرشيذ بنشابة وقع منها إلى الأرض ومات فى الحال . فلما رأى أخوه ذلك حمل عليه وتقاتلا قتالا عظيما ، وجرح كستهم جراحات ، ثم إنه مع ما به من الجراحات ، ضرب لهاك بسيفه ضربة أطارت رأسه . وانتهى بقتلهما أمر الترك ، وخمد جمرهم ، وصاروا رمادا تذروه الرياح . قال : وبقى كستهم على ظهر فرسه مثخنا بالجراحات وكاد أن يتلف لكنه تماسك وساق حتى انتهى الى ماء وظلّ فنزل وشرب من ذلك الماء ، وشدّ فرسه بشجرة ، ورمى بنفسه الى الأرض وجعل يتمرغ فى التراب ويسأل الله تعالى أن يحرك له قلب بيژن بن جيو[1] أو قلب غيره من الايرانيين حتى يلحقه ويحمله إلى المعسكر حيا أو ميتا ، ويحمل رءوس الفارسين الى حضرة الملك حتى يعلم أنه لم يمت إلا عن بلاء حسن . وبقى طول ليله يئن ويتقلب فى التراب متململا من فرط الوجع . ولما أصبح وصل بيژن الى ذلك المكان ، وأخذ يدور حوالى ذلك المرج يطلب كستهم كالناشد لضالته . فرأى فرسه منكس السرج مقطع اللجام ، فجعل ينتحب ويبكى ويندبه . واتبع أثر الفرس فانتهى اليه فوجده مقطع الجوشن ممزق البدن مضرجا بالدم معفرا فى التراب . فنزل ونزع عنه سلاحه وقباءه ، فرأى بدنه قد اصفر من نزف الدم ، فوضع خدّه على تلك الجراحات وهو يبكى . فتحرك كستهم عند ذلك ، وتنفس الصعداء ، وقال : أيها الحبيب الناصح ! لا تحمل على نفسك كل هذا فإنه أشد علىّ مما أنا فيه . واستر جراج رأسى بالتّرك(ب) ، واجتهد فى حملى الى حضرة الملك . فإن قصارى بغيتى وغاية أمنيتى أن



(ا) هى الوقعة التى هزم فيها الايرانيون ، وقتل أولاد كودرز وكان قائدها فريبرز بن كيكاوس . انظر ص ٢١٣ متن .

(ب) ترك : الخوذة أو القلنسوة .

(١) صل : وقلب . والتصحيح من طا .

أتزود منه بنظرة ، وأقر عيني بطلعته ولو لحظة . واذا مت بعد ذلك مت وليس فى قلبى حسرة . فإنى لم أولد إلا للموت . ومن أدرك أمله فكأنه لم يمت . وأيضا تجتهد فلعلك تستطيع أن تحمل هذين العدوين اللذين أهلكهما الله على يدى الى المعسكر . وإن لم تقدر فاحمل رءوسهما وعدتهما حتى تعرضها على الملك ليعلم أنى ما هلكت فى غير شيء» . وأشار له الى الموضع الذى قتلهما فيه ، وأراه مصرعهما . ولما فرغ من ذلك اعتقل لسانه فاضطرب بيژن على رأسه ساعة ثم وثب بيژن وجاء بفرسه ، وحل حزامه ولببه، وأخذ لبده وفرشه تحته، ومزق أذيال قرطقه ولف خرقها على مواضع جراحاته . وركب وأصعد فرأى فرسان الأتراك متفرقين فى الطريق فأسر منهم تركيا، وأعطاه الأمان . وصار الى مصرع القتيلين فرأى فرسيهما واقفين عندهما ، فأمر التركى فحملهما على فرسيهما وشدهما، وجاء الى كستهم فأركبه على فرسه وأردفه التركى يمسكه ، وأقبل به يسوقه رهوا رهوا رجاء أن يوصله الى الملك وبه رمق .

ذكر وصول الملك كيخسرو واتصاله بعساكره وما جرى بعد ذلك

قال : فوصل الملك كيخسرو فاستقبله الايرانيون ودعوا له وأثنوا عليه ووصفوه بالفضل[1] والعلم والقوة والشجاعة وغيرها من الفضائل . ووقف زمانا على ظهر الفرس حتى رآه جميع العسكر . ودعا لهم وأثنى عليهم وشكر سعيهم . فجاء جوذرز من بعد ومعه المبارزون العشرة الذين ذكرنا قصتهم . فلما دنا من الملك نزل وسجد له ثم رفع رأسه ودعا وأثنى عليه، فأراه القتلى المذكورين، ونسب كل واحد منهم[2] الى قاتله . وجاء جيو بن جوذرز بقرنه الذى أسره وهو كرو قاتل سياوخش ، فنزل الملك فى الحال وكشف رأسه وجعل يشكر الله تعالى على أن ظفره به ، ويحمده وهو واقف على رجله . فشكر جوذرز وأصحابه ومدحهم، وقال : أنتم الآن شركائى فى الملك والمملكة . ثم نظر الى القتلى فلما وقع عينه[3] على پيران بكى وفاضت دموعه لما سلف له اليه من الإحسان، وتوجع لمصابه وتحرق عليه كالجمر فى التهابه . وضرب له وهو يبكى مثلا فقال : إن الشقاوة ثعبان يلتهم الأسد ، ولا ينجو بالرجولية منه أحد . إن هذا طول عمره كان يعتنى بأمرى ويتحمل المشاق والمكاره من أجلى ، وكان موجع القلب فى وقعة أبى . ثم ملك الشيطان قياده ، وأغواه حتى أنساه رشاده . وكم وعظته ونصحته فما نجعت فيه موعظة ولا نفعته نصيحة . وكنا أردنا أن نجازيه بغير هذا حتى أعددنا له

(١) ك : بالعلم والفضل . (٢) ك : منهم (لا) . (٣) ك : وقعت .

التاج والتخت . والآن فقــد سبق السيف العذل ، وبهــذا جرى قلم التقدير[1] فى الأزل . ثم أمر فحشــوا دماغه بالمســك والكافور ، وكفنوه فى الديباج والحرير، ووضـعوه على تخت فى ناووس بنوه له . ونظر الى قاتل أبيه فرأى له وجها مشوّها وشعرا مفزعا كأنه غول . فقال : ما أدرى أى ذنب أذنب كيكاوس حتى سلط الله مثل هذا الشيطان على ولده سياوخش ؟ ثم أمر فخلعوا مفاصله ثم قطعوا رأسه ورموه الى المــاء . وبقى الملك أياما فى ذلك المكان يدبر أمر العسكر فخلع على الأمراء، على اختلاف مراتبهم، وأحسن اليهم على تفاوت طبقاتهم . ووهب لجوذرز ممالك أصبهان، وأعطاه بها تخت السلطنة وتاجها . وأرسل عسكر بيران الى الملك كيخسرو رسولا يذكر أنهم يطلبون الأمان ويتنصلون من إساءتهم فى إقدامهم على مقاتلة جوذرز، ويذكرون أنهــم اضطرّوا الى ذلك وحملهم عليــه الخوف من معرّة أفراسياب على أولادهم وأهاليهم . فآمنهم الملك على أرواحهم، وقال : من أراد منكم أن يقيم فى خدمتنا فليقم، ومن أراد أن يلحق بأفراسياب فليلحق . فجاءوا وحلفوا بالأيمان المغلظة أنهم لا ينزعون أيديهم عن طاعتــه ما عاشوا . ففرّقهم فى أطراف ممالكه ، ونفذ كل طائفة الى ناحيــة منها ، وقسم على عسكره ما أفاء الله عليــه من المغانم . قال : ثم إن الديدبان أخبر بطلوع فارسين مع ثلاثة أفراس وعليهما ثلاث جثث . واذا بيژن قد طلع على الهيئة التى سبق ذكرها فسجد للملك . فسايله عن حاله فأخبره بحال كُستَهم وقتله لفرشيذ ولهاك، وقال : إن أمنيته أن ينظر الى وجه الملك نظرة . فأمر بإحضاره، فأحضر، فتوجع له الملك وعظم عليه ما نزل به، وكان من الألم بحيث يتوهم أنه لم يبق فيــه نفس . فلما تنسم ريح قرب الملك فكأنه أحس بأدنى إفاقة . فنظر الى الملك فأذرى دمعه . وكان مع الملك خرزة قد ورثها من الملوك السالفة من جم الى أوشهنج الى طهمورث(أ) . فشدّها على عضد كستهم، ومسح مواضع جرحه بيده المباركة، ورتب عنده الأطباء الذين كانوا فى صحبته من بغداد الى الروم والهند وسائر البلاد . فبرأ كستهم بعد أسبوعين، فجاءوا به الى حضرة الملك ففرح بعافيته ، وحمد الله وأثنى عليه، وقال : إن الله تعالى أجرى أمورى على السداد ، وقضى لى بحصول المراد، ولم يرق على موارد نعمة هــذا الظفر بموت كستهم . وليس هــذا كله إلا من فضله الواسع ولطفه الشامل[2] .



(أ) نسق هذه الأسماء الثلاثة لا يوافق التاريخ المعروف ــــ كما يفهم مما تقدّم .

(١) لـ : قلم القدر . (٢) لـ : تمت قصة الوقعة المعروفة بوقعة بازدهوخ .

ذكر وقائع الملك كيخسرو وشرح فتوحه ومقاماته التى شهدها بنفسه §

قال مترجم الكتاب : لما انتهيت الى هذه الترجمة رأيت الفردوسى قد افتتحها بأبيات نظمها فى الثناء على من عمل له كتابه ، وهو السلطان أبو القسم محمود بن سبكتكين، يصف فيها مفاخره ، ويأثر مآثره . فرأيت أنا من توجت أسماء الملوك فى كتابى باسمه، ونشرت معالمهم برسمه ، مولانا السلطان الملك المعظم ملك[1] العرب والعجم، أبا الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب، أعلى الله شأنه وخلد سلطانه، أحق بالحمد والثناء من محمود، وأحرى بالتقدم على كل ذى طالع مسعود، لما فضله الله تعالى به عليه وعلى غيره من ملوك الأرض من خصوصية علمه الذى طمس صوى الضلال ، وأنار منار الاسلام، وأقام بالناس على المحجة البيضاء فى أحكام الحلال والحرام ، ثم بجلالة دوحته العلياء التى تهدلت من أغصانها قطوف السعادة ، وتوشجت عروقها فى أرض العز وتفرعت أفنانها فى سماء السيادة . فلم يبق قطر من أقطار ممالك الاسلام إلا وتظله من هذه الدوحة الكريمة شعبة سرادق ظلها ممتد ظليل، وللخلائق فى سوابغ أفيائها وكنف رخائها ملجأ ومقيل. ثم لروعة سلطانه ونخامة شانه ، وما شمل العالمين فى أيامه الزاهرة من فضله وإحسانه ، وما حصل لهم من اطمأنينة فى جَنَبة أمنه وأمانه . حتى إن الراكب لو سار فى أطراف ممالك هذا البيت الكريم التى هى

---

§ بهذا الفصل تنتهى الملاحم العديدة التى بدأت أيام أفريدون بقتل ايرج، وأزثها قتل سياوخش بعد . والنهاية، كما يرى القارئ، أن يظفر كيخسرو وجده كيكاوس بأفراسياب نفسه فيقتل هو وأخوه كرسيوز الذى أسر من قبل فى وقائع الملك كيخسرو . وبهذا يتغير سير الوقائع فى الشاهنامه، كما يبين بعد فى فصل لهراسب .

ثم هذا الفصل ٣٢٠٠ بيت فيها العناوين الآتية :

(١) مدح السلطان محمود . (٢) خسرو يعبئ جيوشه لحرب أفراسياب . (٣) أفراسياب يعلم بمقتل بيران وأن كيخسرو يستعد له . (٤) خسرو يسمع أن أفراسياب قادم لحربه . (٥) شيذه يأتى الى أبيه أفراسياب . (٦) أفراسياب يرسل رسولا الى خسرو . (٧) خسرو يجيب أفراسياب . (٨) خسرو يبارز شيذه بن أفراسياب . (٩) شيذه يقتل بيد خسرو . (١٠) التقاء الجيشين . (١١) هرب أفراسياب . (١٢) خسرو يخبر كاوس بالنصر . (١٣) أفراسياب يذهب الى كنككـ بهشت (جنة كنك) . (١٤) خسرو يعبر جيحون . =

---

(١) لـ ، طا : ملك ملوك .

مسيرة سنة أو كادت لمـا تنفس الصعداء ، ولم ير إلا النعيم والرخاء، سياسة حبس بها خوادر الآساد فى الأخياس والأجم ولا كعوانس المخدرات فى الأستار والكلل ، وهيبة كادت النار ترتدع بهـا عن التشبث بذيل الكبريت، وينزجر الهواء عن استباحة أرج المسك الفتيت، وتواضعا لله تعالى فى ترغم أرغم آناف الأكاسرة المـاضين، وكرما أدنى ثمـار أياديه لجناتها الدانين والقاصين، ومعـدلة رفعت عن العالم اسم المظلوم والظالم، ورأفة تزق فيها البزاة أفراخ الحمائم. ثم لا خفاء على كل ذى بصر وبصيرة أن ما اختص به هذا السلطان، خلد الله ملكه، من فضله الزاهر، وأصله الطاهر، وعدله الظاهر فضائل هن[1] قواعد السـلطنة ومبانى الملك والمملكة ، ولم يرزقها محمود على ما نطقت به ألسـنة التواريخ . فلو عاش الفردوسى وأدرك أيام هذه الدولة القاهرة لود أن تكون مدائحه عليها موقوفة، والى ذكر محاسنها مصروفة، ولاعتذر اعتذار أبى نواس بقوله :

اذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثنى وفوق الذى نثنى

وإن جرت الألفاظ يوما بمدحة لغـيرك إنسانا فأنت الذى نعنى

وقد أثبتُّ فى هذا المكان، اقتداء بالفردوسى، قصيدة كنت نظمتها فى مولانا السلطان ، أعز الله أنصاره، وضاعف اقتـداره ، وأنشدتها فى حضرته العالية فى ذى الحجة سـنة عشرين وستمائة .

= (١٥) خسرو يواقع أفراسـياب المرة الثانية . (١٦) أفراسياب يعتصم بجنة كنك . (١٧) أفراسياب يستنجد فغفور الصين . (١٨) خسرو ينزل على جنـة كنك . (١٩) جهن يأتى رسولا من أفراسياب الى خسرو . (٢٠) خسرو يجيب جهنا . (٢١) خسرو يحارب أفراسياب ويأخذ جنة كنك . (٢٢) هرب أفراسياب من جنة كنك . (٢٣) خسرو يؤمن أسرة أفراسياب . (٢٤) خسرو ينصح الإيرانيين . (٢٥) كتاب الفتح من خسرو الى كاوس . (٢٦) خسرو يسمع بقدوم أفراسياب وجيوش فغفور . (٢٧) رسالة من أفراسياب الى خسرو . (٢٨) حرب الإيرانيـين والتورانيين . (٢٩) أفراسياب يبيت الإيرانيين فيهزم . (٣٠) فغفور الصين يرسل الى خسرو . (٣١) أفراسياب يعبر البحر . (٣٢) خسرو يرسل الأسرى والمغانم وكتابا الى كاوس . (٣٣) جواب كاوس الى خسرو . (٣٤) رسالة خسرو الى فغفور الصين، وملك مكران . (٣٥) خسرو يحارب ملك مكران فيقتـله . (٣٦) خسرو يجتاز البحر . (٣٧) خسرو يبلغ كنككدژ. (٣٨) خسرو يرجع من كنككدژ الى سياوخش كرد. =

---

(١) صل : من قواعد . والتصحيح من ك، طا .

وهى تشتمل على ذكر بعض سيره وطرف من مفاخره . ليقف عليه الناظر فى هذا الكتاب ولا يستعظم ما يعز به عن الملوك الماضين والسلاطين الأولين . والقصيدة هذه :

خضعت لرفعة قدرك الجوزاء	وتقاصرت عن فضلك الدأماء
سدت الملوك جلالة فهم الربى	فينا وأنت الذروة الشماء
بشعاع دولتك المنيرة فى الورى	ظهروا وزايلهم بذاك خفاء
لولا بهور الشمس مشرقة السنا	ما كان يظهر فى الهواء هباء
ما إن أقل الأرضُ مثلك مالكا	بين الأنام ولم تظل سماء
فاذا انتطقت تقلقلت أسد الشرى	واذا نطقت تبلبل الفصحاء
لما دجا للجهل ليل مطبق	فوق الورى وتمادت الظلماء
حتى لو ان الشمس فيها أشرقت	خبطت كما قد تخبط العشواء
أدركتهم بصباح فصل ساطع	فاضت على الدنيا به الأضواء
ونشرتهم بعد الممات وإنما	أنفاس عيسى دأبها الإحياء
لله منك أشم منتجع الذرى	فى راحتيه المنع والإعطاء
كرم ولطف صورا فتمثلا	بشرا[1] عليه رونق وبهاء

=(٣٩) خسرو يرجع الى إيران. (٤٠) خسرو يرجع الى جدّه. (٤١) أفراسياب يؤسر بيد هوم من نسل أفريدون . (٤٢) أفراسياب يخلص من هوم . (٤٣) كاوس وخسرو يجيئان الى هوم. (٤٤) أفراسياب يؤسر مرة أخرى ويقتل هو وكرسيوز. (٤٥) كاوس وخسرو يرجعان الى ولاية فارس . (٤٦) موت كاوس . (٤٧) خسرو يضيق بالحياة . (٤٨) الملأ يسالون لماذا احتجب خسرو . (٤٩) الإيرانيون يدعون زالا ورستم . (٥٠) خسرو يرى سروش (ملَك) فى المنام . (٥١) زال يعظ خسرو . (٥٢) خسرو يجيب زالا . (٥٣) زال يوبخ خسرو . (٥٤) جواب خسرو واعتذار زال . (٥٥) خسرو يعظ الايرانيين . (٥٦) خسرو يوصى الى كودرز . (٥٧) زال يسأل خسرو منشورا لرستم . (٥٨) خسرو يعطى كيوا منشورا . (٥٩) منشور طوس . (٦٠) خسرو يستخلف لهراسب . (٦١) خسرو يودّع جواريه . (٦٢) ذهاب خسرو الى الجبل واختفاؤه فى البرد. (٦٣) البرد يهلك الأبطال . (٦٤) علم لُهراسب باختفاء خسرو .

(١) صل : بشر . والتصحيح من طا .

وُصفت مهابتــه فألهبت اللظى   ذكرت لطافتــه فسال المـاء
فى الطائعين وفى العصاة جميعهم   نظـراته السـراء والضـراء
للآملين على خزائن جـوده   فى كل يوم غارة شـعواء
تشـفى مخايل بشره غلـل المنى   فلقـاؤه للرملين ثـراء
ويرى له فى بسطه باع النـدى   من كل أنمـلة يد بيضـاء
أما العـلوم فهن طوع قيـاده   قد راض ريّضها عليـه ذكاء
جاراه فيهـا السابقون فاقصروا   عن شأوه فهـم لديه بطـاء
فاذا انتدى يوم الندىّ وأحدقت   ببسـاطه العلمـاء والحكماء
يلقون بحـرا ساكنا وهم له   متطامنون كأنهـم أحساء
فاذا طما غمروا لديه كما اختـفى   فى زأرة الأسـد الهصور ثغـاء
واذا هدا قاموا بملء صدورهم   حكما بهـا فقهوا(١) وضـاق إناء
وكذا الخضم اذا طغـا متلاطما   سال الجداول وهى منـه ملاء
ملك له يومان يشمل فيهما   أهـل البسـيطة راحة وعنـاء
فاذا بدا يوم اللقـاء رأيتـه   أسـدا وآسـاد العرين ظبـاء
سيان آلاف لديه وواحد   فهم الجراد وبأسـه النكباء
صمصـامه فى كفه متجرّدا   برق جلتـه مزنة وطفـاء
إن أرعدت يوم النزال تدفقت   منهـا على أرض العـدوّ دماء
واذا تجـلى فى مجالس أنسـه   كالمـاء فيـه عذوبة وصـفاء
فكأنه كيخسـروٌ فى تاجـه   تبـدو عليـه روعة وبهـاء
وأمامـه من رأيه الجـام الذى   بانت له فى نوره الأشـياء
فى مجلس يذكى الرحيق حريقه(٢)   فيـه فيعبق بالأريج هـواء
بالقصر من جنات غوطة طالعا   تجلى عليـه القهوة الصهباء
ورنين أوتار ورجع كراين   تصغى اليهـا الصـخرة الصماء
من لم ير الفردوس غضا ناضرا   فليحضرن فالجنتان سـواء
فتراه فى الايوان تشرق وُقّفـا   قـدامه الأمـلاك والأمراء

---

(١) ك، طا، كو : فهقوا .   (٢) صل : رحيقه والتصحيح من ك، طا .

كالبدر فى كبد السماء وحوله | زهر جلاها من سناه ضياء
فهم الحواريون وهو بفضله | عيسى . فعاشوا ما يشاء وشاءوا
مُتعت يا ملك الملوك بجمهم | بل متعوا بك ما أقام حراء
فهم كأجساد وأنت حياتهم | لهم بملكك لا يزال بقاء
فتملَّ هذا العيد وابق مخلدا | يسمو بذكرك رفعة وعلاء
واذبح عداك مضحيا بهم فهم | بقر اذا ما خالفوك وشاء
واعطف لعبد ماله متمسك | إلا رجاؤك واليد السمحاء
استغرقت خدماتكم أنفاسه | ومدائح يعنى بها وثناء
جهد المقل لمكثر من أنعم | ما إن يحيط بوصفها البلغاء

[مدح السلطان(١) محمود

لله در الملك الكبير ، الذى يزهى به التاج والخاتم والسرير . صاحب الصيت الذائع وخزائن الذهب، وحليف الدرع والسيف والنصب . الذى تئن كنوزه من فيض العطاء، و يظل مجده وجده فى علاء . وجنده من البحر الى البحر يجول، والعالم فى ظل من تاجه ظليل . لم يبق فى معادن الأرض ذهب، إلا قرأ منشور جوده فذهب . يسلب العدو و يمنح الصديق، والله له نعم الناصر والرفيق . هو فى المآدب متلاف معطاء، وفى الهيجاء حمّال الأعباء . وقد أثمرت به غصون العقل والدين، وسبق ظنُّه العقول الى اليقين .. ... قوىّ حشر الجند أفواجا ، فلم تجد الريح بينهم أدراجا . يتبع عسكره سبعمائة فيل ، والله مولاه وجبريل . يسوم الجزية كل أمير ، وكل ملك نابه و بطل كبير . فإن لم يعطوا صاغرين الخراج، أعطوا الممالك والكنوز والسرير والتاج . من ذا الذى يستطيع أن يأبق عن عهده ، أو يصدف عن أمره ؟ ملك أضاء به سرير العالم ، وجبل فى الدرع يوم التصادم . « أبو القاسم » الملك الشجاع الأصيد، الذى يغلب على العير براثن الأسد . ملك العالم "محمود" مسعر الهيجاء، وناثر رءوس الأبطال على الغبراء .

فراش مبسوط على الزمان، لا يطويه الحدثان . مكان السرير من ذلك البساط المهد ، مجلس "الفضل بن أحمد"، الذى تشرق المملكة الطمأنينة ، وأوحى الى الكبراء العقل والسكينة . ماظفرت

---

(١) أثبت هنا ترجمة القطعة التى حذفها المترجم . وقد حذفت قليلا منها ايجازا . وترجمتها مسجوعة لتقارب الأصل بعض المقاربة . وقد التزمت أن أترجم كل شطرين بسجعتين .

الملوك بمثله وزيرا، حزما وجودا ودينا ورأيا منيرا . طاهر اليد فصيح اللسان، مخلص لله وللسلطان.
لقد كشف عنى الغم والحزن، ذلك الوزير العادل رب الفِطن .

نظمت هذا الكتاب المبين، عجبا من أحاديث الغابرين . ليكون عونى فى الكبر، ويمدّنى بالمال والمجد والصيت الأغر . فما رأيت ملكا معطاء، على سرير الملك وضاء . فتنظرت أن يظهر جواد مفضال، لا تضرب دون نواله الأقفال . حفيظ على الدين أمين وبالتاج وسرير العاج قمين . قوىّ على جلاد الأبطال، عالم بخبايا الأحوال . فقضيت من عمرى خمسا وستين وأنا فى الفاقة والنصب رهين.
وحينما علت على الستين خمس، ترنحت كالثمل تحت الستين والخمس . وعاد الوجه المورّد كالهشيم، وكالكافور هذا المسك البهيم . وأنحى المشيب على قدّى فناء، وغاض فى النرجستين الضياء . وحينما كنت فى الثامنة والخمسين ، وبى بقية على رغم السنين ، سمعت ضجيجا دوّت به الأرجاء، أن الرءوس والأجسام فارقها الشقاء . وحىّ فريدون ذو القلب السليم، وخضع الزمان والأرض لعبودية الملك الكريم . فسخر العالم بالعدل والجود ، وطأطأت له الملوك الصيد . وتلألأت آثاره بكل مكان ، خلد الله ملكه وسعيه على مر الزمان . فلما وعت أذنى هذا الدعاء، صمّت بعدُ عن كل نداء .
فوصلت باسمه هذا الكتاب، — يسر الله له فى العلياء كل صعاب — ليأخذ بيدى فى الكبر، رب السيف والعرش والتاج الأغر . وأسأل الخالق العظيم ، أن يمدّ لى فى الحياة غير سقيم، حتى أتم الكتاب، باسم الملك رفيع الجناب . ثم الجسم بعد ذلك فى التراب يغور، والروح السارية الى المعدن الطاهر تسير ... ...

"محمود" ملك العالم يرفعنى فى الدنيا عن الحاجات، ويحابى بين الكبراء رفيع الدرجات ....
عبودية أقدمها أيها الملك، تبق لى الذكرى ما دار الفلك . كل بناء يناله الدمار، بوهج الشمس وسيل الأمطار . ولكنى وطدت قصرا عظيم الخطر، يهزأ بعصفات الريح والمطر . تمر على هذا الكتاب السنون، ويتلوه كل حكيم فطين . فيحمدون الملك الكبير — لا أخلى الله منه التاج والسرير . وتلك مآثره عليه مثنيات، وملء العالم آثاره الناطقات ... ...

ثم أعود الى كتاب الماضين ، وأوصّل القول من أنباء الصادقين . وأقص من غير الزمان، وحسبي معلما كر الحدثان . وقد عرضتُ قصة كيخسرو العظيم، فاستمع منى السحر المقيم . بهذه القصة أمطر الدرر ، وأنبت الشقائق فى الحجر . نظمت الآن هذا النظام . إذ ملكت من قبل روح الكلام .

إيه أيها البصير بالتجارب، ومن أحلت وأمرّت له النوائب! واهًا لهذه القبة سريعة الدوران، التى تطلع كل يوم على القلب بجديد الأحزان. حظ واحدٍ منها شراب وعسل، والرفاهية والدلال ونيل الأمل . وحظ آخرهم ونصب وملال، وضيق الصدر فى دار الزوال . وآخر يضرب فى يهماء الجدّ، يهبط تارة ويصعد . ذلك نصيبنا من الزمان وأفلاكه، وأكثر من نضرة ورده وخز أشواكه . ومن أوفى على الستين، فهو باليأس قمين . ولا يجوز السبعين غير قليل، وتلك تجارب العمر الطويل . وإن جاوزها فهو شرله، حياة جديرة بالبكاء، ويله . ولو أن شبكة الستين شبكة صائد، لخلص منها الحازم الجاهد (١) . أين المفر من الفلك الدوّار . ومن خالق الشمس والقمر، القهار . والملك المسلط يجهد ويجدّ، وينتقم ويكنز ويعدّ . ولابد أن يرحل إلى الدار الآخرة، ويخلف سعيه فى الحياة البائرة . فخذ من سيرة كيخسرو العبر، وجدّد بالذكرى ما درس وغبر . فقد انتقم لأبيه من جدّه، بمكره وحربه وحشده . قتل جدّه ثم لم يخلد بعده، ولا أطاع الزمان حله وعقده . كذلك دأب دار الفناء، فاربأ بنفسك من هذا العناء] .

(ب) والآن نعود الى ترجمة الكتاب ونقل ما حكاه الفردوسى . قال :

ثم عزم الملك كيخسرو على المسير بنفسه فى طلب أفراسياب، فتسنم الفيل على تخت من الفيروزج قد وضع على ظهره، وحرك الحرزة فى الجام إشعارا بالنفير العام . فحرم المقام على جميع الملوك فى جميع الأطراف . فنفروا وأقبلوا الى خدمته . وكتب الى رُستَم ولُهراسب وأشكس يأمرهم بالمبادرة الى الخدمة فاجتمع عليه عساكر البر والبحر . فركب وطاف فى العسكر حتى علم حال كل واحد من الملوك والأمراء، ومقادير حظوظهم من العدّة والعتاد . ثم انتخب ثلاثين ألف فارس يعضون على الزُّبَر، ويفلقون بالأسياف مفارق الحجر، وأمرهم بأن يكونوا معه فى القلب لا يزايلونه مستعدين للضرب . ورتب على أحد جانبيه طوس بن نوذر مع جماعة من أصحاب الأطراف، وجعل على الجانب الآخر أولاد الملوك الذين ينتسبون الى كيقباذ . وأمر بيژن بن جيو ورُهام بن جوذرز بأن يحفظا ظهره مع جرجين بن ميلاد فى عساكر الرىّ . ثم سلم الميمنة الى رستم، وضم اليه جميع عساكر زابلستان وممالك دستان ، وجعل جوذرز بن كشواذ على الميسرة مع ولديه هجير وفرهاد فى عساكر تفوت العدّ والحصر . وأمر فنصبوا على ظهور الفيلة صناديق وشحنوها برماة الحسبان (ج) ووكل بحماية كل فيل ثلثمائة فارس . وأمر زنكه بن شاوران مقدم عساكر بغداد بأن يخرج جماعة من فرسان الكرخ الرماة

---

(١) فى الفارسية كلمة شست تدل على الستين وعلى الشبكة . فهذا زين للشاعر أن يقرن الستين بالشبكة .

(ب) هذا كلام المترجم .

(ج) يريد المترجم بكلمة «رماة الحسبان» أنهم يرمون الظنون فلا يخطئونها . والعبارة ليست فى الشاه .

عن الجرخ ليركبوا ظهور الفيلة ، ويتقدّموا أمام الجيش . وضم ثلاثين ألف فارس الى فرى برز بن كيكاوس مع جماعة من رماة الكرخ ، ورتبهم على اليسار . وأمر كل واحد منهم أن يحفظ[1] مقامه من الموقف . وضم الى جيو بن جوذرز عساكر عظيمة . وجمع بين زواره وقارن ورتبهما فى أصحابهما قدّام العسكر . وفرق الطلائع ، وبث الجواسيس . وأمر طوسا بأن يطوف على العسكر جميعهم ، ويأمرهم بكف أيديهم عن الظلم ، ويقول : إن من احتاج الى شىء من المأكول والملبوس فلا يطلبن إلا من أصحاب الأرزاق المرتبين فى ديوان الملك . ثم أوقر بالطعام عجلا كثيرة تجزها آلاف من الجواميس أمام العسكر ، وجعلها مسبلة لكل من يحتاج الى الطعام من رجالة العسكر وغيرهم من المحتاجين .

ثم أنه لما فرغ من ذلك كله رحل وجعل يسير بهم رهوا رهوا على تؤدة وسكينة . وأما أفراسياب فإنه كان نازلا فى موضع يسمى بالفهلوية كُنلُز وبالفارسية بيكند (أ) وكانت هذه المدينة مما بناه أفريدون فى الزمان الأوّل (ب) ، قال وكان فى ألفى ألف فارس ، وهو يريد اللحاق ببيران وإمداده . فبينا هو ذات ليلة فى ذلك المكان إذ وصل فارس وقت السحر فأنهى اليه ما جرى على بيران وأصحابه ، وتلاه بعد جماعة من الجرحى[2] المنهزمين فقصوا عليه القصة ، وسردوا له حديث ما جرى على بيران وأخويه فرشيذ ولهاك وسائر من قتل من الأمراء والقوّاد ، وأعلموه بوصول كيخسرو فى عساكره ، واستئمان عسكر بيران اليه . فأظلمت الدنيا فى عين أفراسياب حين سمع ذلك ، ونزل من التخت وضرب بتاجه على الأرض ، وبكى وانتحب ، وضج عسكره لما ورد عليهم من الرزء العظيم . ثم خلا بأقاربه ، وجلس يبكى ويندب قتلاه ، ثم حلف بأيمان مغلظة ألا يقر حتى يطلب بثأر أصحابه من كيخسرو ، وينتقم منه . فبينا هو كذلك إذ جاءه النذير بأن الملك كيخسرو قد عزم على عبور جيحون فى عساكره العظيمة الهائلة . فجمع الأمراء والقوّاد وفاوضهم فى معنى الذى جرى على بيران وأخويه فرشيذ ولهاك ، وحرضهم على الانتقام وإفراغ الوسع فى طلب الثأر . ففتح أبواب الخزائن ، وأطلق لهم الأرزاق ، وأدرّ عليهم العطايا والصلات ، وأمر بإحضار جميع ما كان له من الخيول السائمة

٨٩

(أ) بيكند مدينة بين بخارى ونهر جيحون ، على ٤٤ ك م الى الجنوب الغربى من بخارى . ويعلم القارئ أن موقعة يازده رخ الماضية كانت فى نواحى بلخ . فكيف بقى أفراسياب بعيدا عن جيشه فى هذه الحرب الطاحنة ، لاهيا فى بيكند ؟ .

(ب) فى الشاه : أن أفريدون كان جعل فيها بيتا للنار ، وكتب على جدرانها كتاب زندوا ستا بالذهب . وهذا من أغلاط الشاه . وأين كانت الزند من عهد أفريدون ؟

(١) فى الأصل : طا أن يحفظوا . والتصحيح من ك ، كو . (٢) ك : الجرحى والمنهزمين .

فى المروج والرياض ففرّقها على العسكر . ثم اختار عشرة آلاف من الفرسان وسيرهم الى بلخ، وكان عليهـا من جهة الايرانيـين گُستَهم بن نوذر . واختار ثلاثين ألف فارس آخرين وأمرهم بأن يعبروا و يقفوا فى وجه العدوّ حتى لايهتبلوا الغرة و ينتهزوا الفرصة فيعبروا المـاء ليلا . وجهز الى كل جانب عسـكرا ، واحتال من كل نوع ، واحتاط من كل وجه . لكن الله تعـالى قضى بهلاكه حين جار واعتدى ، وأفسد فى الأرض وعتا . وقضاؤه الغالب لامردّ له . قال : وقعد ذات يوم مع وزرائه وتشاوروا فاسـتقرّت آراؤهم على أن يعبر بنفسه جيحون . فدعا بأكبر أولاده قراخان، وسـلم اليه نصف عسـكره، وسيّره الى بخارا ليكون قريبا منه اذا عبر فيواصـل إمداده بالميرة والرجال ، وركب فى النصف الآخر . حتى اذا انتهى الى شاطئ جيحون ألقى آلافا من السـفن والزواريق على وجه المـاء فعبر بمن معه فى مقدار أسـبوع ، فخيم على[1] صحراء آمل الشـط ، فرتب عساكره وعبى ميامنه ومياسره ؛ فضم الى ابنه بشَنك ، وكان يلقب لحسن وجهه شيذه التى هى الشمس، مائة ألف فارس (وأضاف الى ابن له آخر يسمى جهنا مائة ألف فارس)[2] فجعل الأول على الميمنة والثانى على الميسرة ، ورتب مائة ألف فى القلب، وجعل أخاه كرسيوز مع أربعين ألف فارس من فرسان الصين على الفيلة، وجعل ابنا له آخر على ألوف من الفرسان وأمره بحفظ ظهر العسكر، ورتب الباقين من الملوك والأمراء من أقاربه وأصحابه على الساقة والجناحين ، وبث الطلائع والجواسيس .

ولمـا انتهى خبره الى الملك كيخسرو ركب فى جموعه وسار فى مثل البحار المـائجة والجبال المائرة، وجعـل يحل و يرحل[3] حتى نزل قريبا من أفراسياب . فركب يوما مع رستم وطوس وجوذرز وجيو وجماعة من الفرسان ، وأتى قريبا من مخيم جدّه فنظر الى سـواده وكثرة جحافله ، وتدبرهم وتأملهم حتى اطلع على أحوالهم . فرجع الى معسكره وأمر فحفروا حول المعسكر خندقا وطرحوا فيها[4] المـاء . وبقى الفريقان يومين وليلتين مصطفين متقابلين لا يقـدم منهم أحد على الآخر، وكل واحد من الملكين قد استحضر المنجمين بزيجاتهم واصطرلاباتهم ينتظرون ساعة سعد للقتـال . ولمـا تطاول وقوفهم على هذه الحالة جاء شيذه أباه ، وقال : أيها الملك ! إنك كنت قد اتخذت سياوخش ولدا لاتؤثر عليه أحدا ، ولم تزل تحسن اليه وترفرف بجناح الحنو عليه الى أن صح عندك أنه يريد أن يبتزك التاج والتخت فتداركت بقتله الأمر . وهذا المشوم ابنه الذى جاء لقتالك أحسنت اليه أيضا وربيته حتى[5] قوى جناحه واشـتدّت قوادمه طـار من توران الى ايران، ثم نسى ما عامله به بيران من الحنو

(١) ك : فى صحراء . (٢) ما بين القوسين من ك ، طا ، كو . (٣) ك : ويرتحل .
(٤) ك ، كو : فيه . (٥) كذا فى نسخ الترجمة . وينبغى أن تكون حتى اذا .

والشفقة عليه ، ولما تمكن منه قتله القتلة الشنيعة . وها هو أقبل[1] عامدا لقتال جدّه ليس يريد ملكه وإنما يريد نفسه وقطع رحمه بإراقه دمه . لا جرم لا تطول مدّته، وسيهجم عليه أجله . وأنت فلا تفكّن في الإيرانيين، وضع فيهم السيف ، ولا تنتظر في قتالهم حكم المنجمين ، فالسيف أصدق أنباء من الكتب ، ورجوم الأسنة أمضى أحكاما من السبعة الشهب . وإن أذنت لى أمرت العساكر المرتبين معى فى الميمنة فرشقوهم بالسهام الصوائب ، ودلفوا اليهم بالسيوف القواضب حتى لا يبقى منهم أحد» . فقال له أبوه : لا تعجل ولا تطش . فإنك تعلم ما كان يستظهر به بيران من الشهامة والصرامة والجرأة والبسالة، ثم إنه قتل بالأمس، وقد انكسرت قلوب عساكرنا بسبب ذلك . فالرأى أن نصبر حتى يفتحوا أعينهم ويشاهدوا العدو مرة بعد أخرى بحيث تقل هيبتهم فى عيونهم، وتزول الروعة من صدورهم، ويرى الايرانيون أيضا كثرة عساكرنا . ثم بعد ذلك نلقاهم ويبرز اليهم المبارزون منا ونقاتلهم » . فقال له : إن كان هكذا فأنا أول المبارزين . وسأبارز كيخسرو، ولن يسلم منى مهما بارزنى » . فقال أبوه : إن كيخسرو لا يخرج الى مبارزتك ، وإن خرج فلا ينبغى أن يبارزه أحد سواى . فان غيرى لا يقدر على مقاومته» . فقال له شيذه : لا كان يوم تخرج بنفسك الى مبارزة العدوّ وبين يديك خمسة بنين[2] كالأسود الحواطم والسيول الهواجم .

ذكر رسالة أفراسياب الى كيخسرو على لسان شيذه ومبارزتهما وقتل[3] شيذه وانهزام أفراسياب

ثم إن أفراسياب حمّل[4] ابنه هذا رسالة الى كيخسرو، وأمره بأن يعيّره أوّلا ويقبح عليه صنيعه، ثم يقول : إن كنت قد جنيت فى قتل سياوخش فما ذنب بيران وأخويه حتى يستوجبوا ما جرى عليهم من القتل الشنيع؟ واعلم أنك مهما نسبتنى الى الشر والغدر وعيرتنى بهما فانما تعير نفسك . لأنك شعبة منى وغصن من دوحتى . فكِل قتالى وهذا الأمر الى كيكاوس وجوذرز . فان الحافد لا يحسن به أن يقاتل الجدّ . واعلم أنى لست أقول ما قلته مخافة منك ، فانى أكثر منك عسكرا ، وأوفر عتادا وعدّة ، بل تحرّجا من قتل من يكون بريّا من الفريقين . وإن كنت تأنف من الانصراف دون لقائى ، وترى ذلك عارا فصالحنى وعاهدنى لا كون لك فى ممالك توران كالأب ، ويكون أولادى لك كالأخوة، وأفرج لك عما فى أيدينا من ممالك ايران، وأنفذ اليك ما يفوت العدّ والحصر من الخزائن والذخائر والخيل والأسلحة . وفى ذلك حسم مادة هذه الفتن . وإن كنت تأبى ذلك وتلقى الى الشيطان قيادك، وتصر على إرادة القتال فابرز الىّ وحدك لأبرز اليك وحدى ونتلاقى، فان قتلتنى

(١) ك، كو : قد أقبل . (٢) صل : خمس بنين . (٣) ك : ومقتل . (٤) ك : قد حمل .

فالدنيا أمامك، وعساكرى عساكرك، وأولادى أقاربك . وإن قتلتك فأمراؤك إخوانى، وأصحابك أصحابى أبسط عليهم ظلال الأمان وأتلقاهم بالعطف والإحسان . وإن كرهت مبارزتى فهذا ولدى شيذه يبارزك على الصفة المذكورة . وإن كنت لا ترى ذلك أيضا فموعدنا للقتال غدا عند تبلج الإصباح. يتبارز المبارزون من الجانبين، وبعد غد يكون القتال العام حتى نبصر لمن يكون الظفر، وعلى أى جانب يميل القدر» فاستصحب[1] شيذه ألف فارس وأقبل حتى اذا قرب لقى بعض أصحابه بعض طلايع الايرانيين فتقاتلوا فاستكفهم شيذه ثم صاح ببعض المتقدّمين من الطلائع وقال : بلغوا كيخسرو أنه قد وصل رجل مذكور اسمه شيذه ومعه رسالة اليه من جدّه أفراسياب . فتسارعوا الى إعلام الملك بذلك . فاستحيي الملك من مشافهته وقال : هو خالى . فأنفذ قارن اليه وأمره بأن يبلغه سلامه، ويسمع رسالته، ويعلمه بها . ففعل قارن ذلك، وعاد بما سمعه منه من الرسالة وعرضه على الملك . فتبسم وقال : إن أفراسياب قد قرع سن الندم على عبور جيحون وهو يريد[2] أن ينفلت من حبالتنا بالحيلة والخديعة فجاء يفزعنا بكثرة جنوده وجموعه، وأرى أن أخرج اليه بنفسى فأبارزه» . فمنعه أصحابه من ذلك وقالوا : لا ينبغى أن يغتر الملك بكلام هذا الساحر وينخدع لاحتياله ويلق[3] بنفسه الى التهلكة . وأما مبارزة شيذه فإنك إن قتلته فغاية ما فيه أن ينقص فارس من الترك، وإن أصيب الملك، وحاشاه، من ذلك بمكروه فمن يسدّ مكانه من الكيانية ؟ ومن يتحلى بتاج الملك ويتسنم سرير السلطنة ؟ فعند ذلك فلا يبقى من ممالك إيران عين ولا أثر، ويأتى القتل والأسر على أهلها فلا يبقى منهم أحد. بل الرأى أن تجيبهم الى الصلح وتقبل منهم ما يبذلون من الخزائن والأموال، وتسترد منهم البلاد التى كانت لنا» . فاستصوب جميعهم هذا الرأى، وتراضوا به إلا رستم فإنه لم يوافقهم على ذلك، وأبى أن يكون غير السيف فيصلا . فسكت الملك ساعة ثم قال : ليس من الرأى أن نرجع من وجهنا هذا الى إيران غير موفين بما أبرمناه من العهود والمواثيق فى[4] الأخذ بثار سياوخش . واذا فعلنا ذلك فبأى ناظر نبصر وجه كيكاوس، وبأى شىء نعتذر اليه ؟ وما لكم قد ضعف قلوبكم؟ وفيم اصفرت وجوهكم بقول تركى خدّاع جاءنا يزعم أنه يطلب مبارزتنا ؟ ثم قال : إن شيذه هذا فارس شجاع قد ألبسه أبوه سلاحا من السحر والشر والحيلة والمكر ليس يطيق أحد منكم مقاومته ومبارزته، ولا يؤثر سلاحكم فى عدته وجنته . وليس أحد غيرى يتمكن من الوقوف قدامه، ولا ينبغى أن يكون قرن حافد أفريدون غير ابن كيقباد . وإنى اذا بارزته فجعت به أباه أفراسياب كما فجع هو كيكاوس بسياوخش» . ثم أمر قارن بأن يبلغ شيذه جواب رسالة أبيه، وقال

(١) طا : قال فاستصحب . (٢) صل : وبلد يريد . والتصحيح من لك، كو، طا . (٣) لك، كو، طا : فيلق .
(٤) لك : من الأخذ .

له : قل له ليقول لأفراسياب إن المطال بالحرب قد طال، وما هذا من عادة الرجال فى القتال . ولا حاجة بنا الى أموال جمعتموها من الظلم والعدوان، واكتسبتموها من البغى والطغيان . على أنها مع رجالك وتختك وتاجك صائرة الىّ إن ساعدتنى السعادة . وأما ما ذكرت من مبارزتى لشيذه فهو غدا ضيفى عند الصباح، وسيرى آثار سطوتى عند الكفاح . واذا ظفرت به يكون ما أمرت به من تبارز المبارزين من الجانبين على الخصوص ثم يكون بعده القتال بين الجمعين على العموم . فامتثل قارن الأمر، وبلغ شيذه ذلك فعاد الى أبيه فبلغه جواب كيخسرو . فعظم عليه وانزعج له وتذكر المنام الذى كان قد رآه فيما مضى من الزمان، على ما سبق ذكره فى موضعه[1]، وأمر شيذه بأن يمسك عن القتال يومين وبألا يبارز كيخسرو، فلم يطعه . ولما أصبح ابس عدّته وركب ودفع علمه الى فارس آخر، وأقبل حتى دنا من عسكر ايران . فلما أعلم الملك كيخسرو بذلك ظاهر بين جُنَنه وركب ودفع علمه الى رُهّام بن جوذرز ، وأمر عساكره بحفظ مواقفهم وملازمة مواضعهم، ووكل فرسه بهزاد، وبرز الى قرنه . فتوافقا على أن يعدلا عن الطريق ويحازا الى مكان بعيد من الصفين ، وتحالفا على أن الغالب منهما لا يتعرّض لحامل راية صاحبه بسوء ، وذهبا الى موضع خال فى سفح جبل فتطاعنا الى أن استوى النهار ، وتقصفت رماحهما فعدلا الى العمد وتضاربا بها زمانا طويلا .

ثم ان شيذه لما قاسى شدّة مراسه وذاق مرارة باسه وشاهد قوة بطشه دمعت عينه وخاب ظنه وعلم أن فى طينة الرجل قوى إلهية وأن معه سعادة سماوية . فداخله الرعب[2] . وقد عطش فرسه حتى كاد يتلف . فاحتال وقال : أيها الملك إن الرجال كثيرا يتطاعنون ويتضاربون . وإنما أريد أن تترجل حتى نتصارع . فقال الملك : إنى لم أسمع أن أحدا من الملوك الكيانية قاتل راجلا[3]. ولكن اذا كانت نفسك تميل الى ذلك فلا أخالفك» . فنزل بعد أن منعه رهام ، وسلم فرسه اليه . ونزل شيذه، وتصارعا كأنهما فيلان يتصاولان أو جبلان يتناطحان . ثم غلبه كيخسرو وأخذه ورماه الى الأرض حتى تناثر فقار ظهره، فاستل خنجره وشق صدره ثم رق له فتنفس الصعداء . وعاد وركب[4] موجع القلب ، وقال لرهام : إن هذا الفارس الخفيف الرأس كان خالى، فاشفقوا عليه، واعملوا له ناووسا على آيين الملوك» . فبادر حامل راية شيذه الى الملك وسجد له وسأله الأمان فآمنه، وقال : بلغ الى أفراسياب ما جرى على ولده .

(٩١) وكان أمراء الأتراك ينتظرون رجوع شيذه فأتاهم ناعيا له فشق أفراسياب عند ذلك الثياب، وأخذ يذرف من محاجره الدماء، وينتف لحيته البيضاء . ولما كان الغد اصطف الفريقان فخرج قارن

(١) أنظر المتن ص١٦٣ (٢) صل : تداخل . والتصحيح من ك، ك، طا . (٣) صل : رجلا . والتصحيح من طا .
(٤) ك : فركب .

وكُستهم من الايرانيين وخرج جهن بن أفراسياب من ذلك الجانب فتناوشوا الحرب من أول النهار إلى وقت الغروب، ولم يتحرك الملكان من موضعهما . ولما غابت الشمس رجع كلا الفريقين الى مضاربهم وباتوا طول ليلهم فى تدبير الحرب .

ولما طلعت الشمس من اليوم الثالث، وكان طلوعها من برج الثور، التقى الجمعان جمع، وكانت وقعة لم يسمع أن مثلها كان على وجه الأرض . ثم أن الدبرة وقعت على التورانيين، وكثر فيهم القتل . ولما ألقت الشمس يدها فى كافر جاء كرسيوز أخاه أفراسياب فصادفه قد خاض غمرة الحرب بنفسه، فاستكفه . فانصرف بمن معه الى مخيمه، واحتال للهرب من ذلك المكان، وأمر مناديه أن يقول : إنما ننصرف لهجوم الظلام، وسترونّ صنيعنا بكم فى غد . ولما أظلم الليل أركب عشرة آلاف من الفرسان على رسم الطليعة وقال: اذا علمتم منى بعبور الماء فبادروا العبور ورائى . ثم ركب فى أصحابه ومن بقى من أولاده وخواصه وعبر جيحون . وتتابعت خلفه بقايا العسكر .

ولما طلع الصبح جاء البشير الى الملك كيخسرو بانهزام أفراسياب وتخليته الخيم قائمة بحالها ، والأثقال باقية فى مكانها . فجلس على التخت معتصبا بالتاج، ودخل عليه الملوك والأمراء يهنئونه بالفتح (والنصر فأمر بانهاء الحال الى كيكاوس فكتبوا اليه كتاب الفتح[(١)]) وذكروا فيه ما جرى على التورانيين من القتل والأسر، وأنهم قد عبروا الماء منهزمين، وأدبروا على إقبالهم نادمين .

وأما أفراسياب فإنه اتصل بابنه قراخان فتشاوروا[(٢)] . واتفقت آراؤهم على أن يرجعوا وراءهم وينزلوا من وراء الشاش فى موضع حصين . حتى اذا أتاهم كيخسرو قاتلوهم على[(٣)] قوة ومنعة . ففعلوا ذلك وساروا الى مدينة يقال لها كُل زرّيون فأقام بها أفراسياب ثلاثة أيام حتى استراح من وعثاء السفر وما لاقاه من المشاق والتعب . ثم رحل وسار الى[(٤)] أن نزل فى جنة كنك § التى هى دار ملكه ومستقر تخته وأقام بها الى أن هجم عليه كيخسرو وعلى ما نذكره .

---

§ تقدّم أن سياوخش بنى كنك دِژ أى قلعة كنك . ويظهر أنها جنة كنك . المذكورة فى هذا الفصل . ووصف الشاعر الثانية يقارب وصفه الأولى .

وأما كنك دژ الآتى ذكرها فى هذا الفصل والتى وصفها الشاعر وراء البحر فلا تشبه كنك دژ الموصوفة فى فصل سياوخش . ولعل الشاعر لفق قصتين مختلفتين بعض الاختلاف فذكر جنة كنك ثم كنك دژ أى قلعة كنك[(٥)] .

---

(١) مابين القوسين من ك، كو، طا . (٢) ك : فتشاوروا . (٣) ك، كو، طا : عن ـ ك : قاتلوه .
(٤) ك : حتى نزل . (٥) انظر حاشية ص ١٥١ و ١٥٢

ذكر عبور الملك كيخسرو الى ما وراء جيحون وما تيسر له من الفتوح بعد ذلك

قال : فعبر كيخسرو جيحون بعساكره مع كثرتها، وسار . ولم يكن يخلو كل منزل ينزله من طائفة من التورانيين يلقونه ويسألونه الأمان ويتابعونه[1] . ولما وصل الى السغد أطاعه أهلها، ونزل بها وأقام فيها شهرا، ونظر فى أحوال عساكره وتفقدهم، وفرق عليهم أموالا كثيرة وأعطاهم عطايا وافرة . ثم ارتحل منها مشرئبا نحو أفراسياب وقاصدا قصده، وأمر أصحابه بأن يكفوا يد العدوان عن كل من يتلقاهم بالطاعة من أهل تلك البلدان، وأن يقتلوا من يقاتلهم منها . فامتثلوا أمره، وكانوا يقصدون[2] القلاع والمدن فما كان منها يمتنع أهلها عليهم سلطوا عليهم يد القتل والنهب، وعليها يد الخراب والهدم . وقطع مسافة مائة فرسخ وذلك دأبهم وصنيعهم، حتى انتهى الى مدينة كُل زريون فتأهب أفراسياب عند ذلك للقائه وخرج بعساكره . وزحف اليه الملك كيخسرو بجموعه وجنوده فالتقوا وقامت الحرب بينهم على ساق، وجرت وقعة عظيمة . فلما احمر البأس تنحى الملك ونزل، ونحى التاج عن رأسه وخر ساجدا يدعو الله تعالى ويبتهل اليه ويسأله النصر على عدوه، فثارت ريح عاصف تحثو (التراب فى وجوه[3] التورانيين حتى ملأت عيونهم . وكان أفراسياب اذا رأى واحدا من أصحابه قد انصرف (من المصاف[4]) ضرب رقبته . وتتابعت عليهم عصفات الهواء الى أن جنّ الليل وقد قتل من الترك خلق وأسر خلق . فانحاز كل واحد من الفريقين ونزلوا فى مضاربهم وأوقدوا النيران وجعلوا يتصايحون ويشغبون ويدقون الكوسات والطبول . قال : وكان الملك كيخسرو قد نفذ من كل زريون رستم لقتال قراخان بن أفراسياب، وكستهم لقتال بعض أمرائه . فورد فى هذه الليلة البشير بخبر[5] ظفر رستم وأنه لم يفلت من ذلك العسكر غير قراخان وحده . وانتهى الخبر أيضا الى أفراسياب بما جرى على ولده فركب فى جنح الليل وترك مضاربه وخيمه على حالها وهرب .

فلما قرب من دار ملكه شاور بعض وزرائه فى نزوله فأشار عليه بأن يدخل المدينة ويتحصن بها، وقال : إن لك مثل هذه المدينة التى طولها ثمانية فراسخ فى عرض أربعة فراسخ، وهى مملوءة بالعدد والأموال والأسلحة، وعليها سور لا يقدر العقاب أن يعلوه ، يرى من شرفاتها الراجل من مسيرة عشرين فرسخا ، وفيها ذخائر كثيرة ومياه غزيرة فلا تعدل عنها . فاستصوب رأيهم ودخلها .

---

(١) ك : ويبايعونه . (٢) لفظ «يقصدون» من ك، كر، طا . (٣ و ٤) مابين القوسين من ك، كر، طا .
(٥) ك، طا : يخبر بظفر .

وكان له فيها قصر رفيع يكاد يمس السماء علوا ، وفيه إيوان شاهى . فجلس فيه وأذن للناس إذنا عاما بالدخول . ففتح أبواب الخزائن وفرّق على الناس أموالا (١) ، وأمرهم بالإعداد والاستعداد . وجعل الطلائع والحفظة على طرق البلد . وكتب الى بغبور ملك الصين يستنجده ويستنصره ويسأله أن يمدّه بنفسه، وإن لم يمكنه ذلك فبعساكره . ثم نصب العرادات والمجانيق على أبراج (٢) المدينة وشحنها بالرماة وآلات الحصار، وأمر فعملوا كفوفا محجنة من الحديد فشدّها على رءوس رماح طوال ورتب لها قوما يحترون بها من يقرب من السور . ثم جلس يشرب غير مفكر فى عدوّه .

قال : ثم وصل الملك كيخسرو فى عساكره فرأى مدينة حصينة متصلة من أحد جانبيها بجبل ليس اليه طريق ومتحصنة من الجانب الآخر بواد عميق وماء كثير . فخيم على ظاهرها فنزل رستم على الجانب الأيمن من المدينة، ونزل فرى برز بن كيكاوس على يسارها ، ونزل جوذرز على جانب (٣) من المدينة . ولما جنّ الليل قامت القيامة من خفق الطبول ونعرات الحرس من جميع أطراف البلد . وحين أصبح الملك كيخسرو ركب وطاف فى (٤) العسكر وقال لرستم : إن أفراسياب قد فرق الرسل فى الأطراف يستنجد الملوك ، وقعد متحصنا بهذه المدينة . والرأى أن نجدّ ونجهد (٥) حتى نفرغ من أمره وأخذ بلده قبل وصول مدده . وظلوا سحابة يومهم ذلك يجيلون الآراء ويتشاورون . ولما كان الغد فتح باب المدينة وخرج جهن بن أفراسياب رسولا الى الملك كيخسرو . فلما قرب من باب سرادقه وأعلم الملك بمجيئه أمر منوشان أحد أصبهبذيته فخرج اليه وأخذ بيده ودخل به . فلما قرب من خدمة الملك حياه وسجد ثم رفع رأسه ودعا له، وهنأه بمقدمه الى تلك الممالك . ثم قال : إن معى رسالة من أبى فإن أذن الملك أوصلتها الى مسامعه الكريمة . فأمر الملك فنصبوا له بين يدى تخته سريرا من الذهب وجلس عليه، فقال : إن أفراسياب يقول : الحمد لله الذى أعلى راية ولدنا الذى ينتمى بأبيه الى كيقباذ ومن أمه الى تور ، وأدخل فى طاعته ملوك الأرض أجمعين ، وملكه نواصيهم شرقا وغربا وبعدا وقربا . ثم إنى متعجب مما أوقعنى فيه الشيطان حين غير رأيى فى ابن كيكاوس بعد حنوّى وشفقتى عليه، حتى جرى ماجرى من هلاكه على (٦) يدى . وأنا من ذلك جريح القلب سليب النوم. وما أنا قتلته ولكنّ الشيطان قتله . وليس (٧) ينفع الندم بعد أن زلت القدم . وأنت الآن ملك عاقل متأله . فانظر كم خرب فى هذه الوقائع من البلاد ؟ وكم قتل فيها من العباد ؟ حتى

---

(١) ك، طا : أموالا كثيرة . (٢) ك : على أبراج سور . (٣) ك، كو، طا : على جانب آخر ولما الخ .
(٤) ك، كو، طا : على . (٥) ك، كو : نجتهد . (٦) صل : على ذلك . والتصحيح من كو، طا، ك .
(٧) صل : وليس أن . والتصحيح من ك، طا .

لم يبق فى هـذه المملكة الفسيحة ضيعة معمورة ولا بلدة مسكونة . فلا[1] تغفل عن تصاريف الزمان وبوائق الحدثان. والحظ حصولك فى هذا الفضاء وسعته، وحصولنا فى ضيق هذا الحصار وشدّته . ثم اعلم أنى مستقر فى هـذه المدينة وهى جَنّتى ، وقد شيدتها حتى صارت دون الخطوب جُنّتى ، وهى دار ملكى ومستقرّ سرير سلطنتى ، وفيها زرعى وحصادى وعدّتى وعتادى . وأما أنت فنازل تحت السماء فى هذه الصحراء . وزمان الصيف قد انقضى . وغدا يهجم الشتاء وتتتابع الأنداء حتى تجمد الاكف على الرماح ومقابض الصفاح . و إن كنت تخال أنك تأخذ ممالك الصين ، وتطبق السماء على الأرض، وتقبض علىّ وتأسرنى فهـذا خيال محال . فإنه اذا التقت حلقتا البطان واشتدّ[2] الأمر حلّقت شهابا فى أعنان السماء ، وركبت بحر كَياك[3] ، وعبرت الى القلعة المعروفة بكَنك دِز ، وخليت بينك و بين هذه الممالك . حتى اذا علمت أن السعادة قد أقبلت علىّ والزمان قد اعتذر الىّ نزلت وحشدت جنود البر والبحر ، وانتقمت منك . و إن أنت أخرجت الخلاف من راسك ، وأقصرت عن شماسك فتحت لك أبواب الخزائن التى ضنّ بها تور على إيرج ، وألقيت اليك مقاليدها ، ثم كنت لك فى كل حادث عونا وظهيرا ، ولم أسمك إلا ملكا كبيرا . و إن لم تقبل ما ذكرت فافعل ما تشاء . قال : فلما فرغ جهن من أداء الرسالة تبسم الملك كيخسرو وقال له : قل لأفراسياب : أما شكرك على انتظام أحوال مملكتنا واتساق أسباب دولتنا فإن ذلك من فضـل الله الذى آتانا ذلك مثنى وموحدا ، وإنا لنرجو فوق ذلك مصعدا . ثم إنك ذو بيان سحار ولسان غرّار ، مع أنك غير طاهر القلب ، ولا ناصح الجيب . وكل من كان يتحلى بمكارم الخلال فينبغى أن يكون الفعال منـه أحسن من المقال . ولم يستطع أفريدون أن يصير نجما فى السماء ولا أن يعلو شـبرا فى الهواء . وأنت تزعم أنك تصير فى السماء نجما ، وتطير فى الجوّ سعيا ، ولست تستحى من هذا الكلام . وليس يخفى على الناقد البصير والعالم الخبير هذه الأقاويل المموّهة والأكاذيب المزخرفة . ثم ذكر صنيعه بأمه بعـد قتل أبيه سياوخش من ضربهـا بالسياط طلبا لأن تسقط وهى حامل به ، مع غير ذلك مما سبق ذكره . وذكر أيضا تسليمه الى الرعاة مع ما اتصـل به من سوء معاملته إياه ، على ما سبق شرحه . ثم قال : ولم تزل من عهد منوجهر الى هذه الغاية سيئ الظن خبيث الباطن وقد ورثت[4] هذا الخبث من تور . فقتلت الملك نوذر وقتلت أخاك إغريرث . وأما حوالتك فعلك بسياوخش على تسويل الشيطان وتغريره فإن الضحاك وجمشيذ لمـا أيسا من الحياة تعللا أيضا بهذه العلة فلم ينفعهما ذلك

---

(١) ك ، طا : ولا تغفل . (٢) طا : واشتدّ بى الأمر . (٣) ك : كهاك .

(٤) ك : قد ورثت .

(ولم تنصرف عنهما بوائق الزمان باعترافهما بطاعة الشيطان[١]) وكيف أصدق مقالك وأنا ذاكر أفعالك؟ ثم إنه ليس بيني و بينك إلا السيف . والسلام .

قال: وخلع على جهن وأعطاه تاجا مرصعا بالجواهر وأعطاه قرطين وسوارين، وردّه الى أبيه . فلما وقف أفراسياب على جواب الرسالة احتدّ واحتدم وأمر العساكر بالإعداد فكانوا طول ليلتهم فى أخذ الأهبة للقتال . ولما طلع الصبح دقت الكوسات والطبول فركب الملك كيخسرو وأمر رستم وكُستَهم وجوذَرز فركبوا من الجهات التى تليهم، فعملوا خندقا حوالى معسكرهم خوفا من البيات واهتبال الأتراك الغرة فيهم . فطاف الملك حول المدينة، وأمر فنصبوا على كل باب من أبوابها مائتى عرّادة ومائتى منجنيق، ووكّل بكل واحد منها جماعة من المقاتلين ، ورتب مائتى فيل لنقل الأعواد والأخشاب ، ورتب على كل باب مائتى رام من الرماة عن الجرخ . ثم إن النقابين تمكنوا من السور فعلقوا الأبراج من جوانب المدينة . وتنحى الملك[٢] الى ناحية من الصحراء، ونزل وسجد لله تعالى وسأله أن ينصره و يخذل عدوّه و يسهل عليه الفتح و يعجل له الظفر . ثم عاد ولبس جوشنه، وأمر الأمراء الموكلين بجوانب المدينة بصدق اللقاء و إفراغ الوسع فى الكفاح . وأمر بإفراغ النفط على الأخشاب التى علق عليها الأبراج وطرح النار فيها، و بإعمال المجانيق والعرادات معا على توافق وترادف . فانهدم ركن من أركان المدينة ، وحصلت به ثلمة فبادرها رستم بأصحابه . وبلغ الخبر بذلك الى أفراسياب فأرسل الى تلك الثلمة معظم عسكره وأمدّ كيخسرو رستم بالرجالة الكثيرة ثم بالفرسان . فجرت عند ذلك وقعة عظيمة . فصعد رستم فى الثلمة الى السور، ونكس راية سوداء كانت عليه من رايات أفراسياب، ونصب عليه علم الملك كيخسرو . وأسر جهن بن أفراسياب وكرسيوز أخاه . وهما البهلوانان اللذان كان جدّ التورانيين بهما صاعدا، وجمرهم واقدا . فدخل الايرانيون الى المدينة و بسطوا فى أهلها يد الأسر والقتل والغارة والنهب . فارتفع بها ضجيج الرجال وصياح النساء ، وجعلت الفيلة تدوسهم بأخفافها وتخطفهم بخراطيمها وأنيابها . فصعد أفراسياب فوق قصره وأشرف على المدينة، وشاهد ما جرى[٣] فيها فنزل وبكى على مسكنه ، وودّعه وخرج من باب سرّ فيه تحت الإيوان الى الصحراء فى جماعة من أصحابه وخواصه . ومضى ولم يعرف له خبر، ولا وقف منه على أثر . ثم صعد كيخسرو فى الحال الى ذلك القصر المنيع، ودخل الى الإيوان الرفيع وجلس على تخت جدّه بسعادة جدّه، ونقب عن أفراسياب ، وسأل أخاه كرسيوز وابنه جهنا عن مهربه ليغذّ فى أثره فلم يخبر بشىء من

(١) ما بين القوسين من ك ، كو، طا .
(٢) ك ، كو ، طا : الملك كيخسرو .
(٣) ك، طا : ما يجرى .

ذلك فاستدعى الموابذة والثقات، وجعلهم على خزائن أفراسياب، وأمرهم بحفظ مستودعاتها، وأوصاهم بألا يخلّوا أحدا يقرب من أبواب حجره، ولا أن يسمع أحد صوت أحد من حرمه. وأنفذ من يحتاط على خيله، وأمر الحفظة بضبط أسبابه ومخلفاته. وأمر بألا يتعرض لأقربائه بسوء ولا يصابوا بمكروه، فعلّ من ملك فأسجح، وقدر فأعتق، وأسر فأطلق. فقال الإيرانيون بعضهم لبعض: كأن كيخسرو جاء الى ضيافة أبيه، ونزل بين أهله وذويه. فما باله لا يضع فيهم سيف الانتقام، ولا يدير عليهم كأس الحمام؟ ولا يهدم القصر والايوان، ولا يطرح فى مساكن عدوّه النيران؟ وشاع هذا الكلام فاستدعى وجوه العسكر وعقلاءهم وقال: لا يجوز استعمال العنف والشدة فى كل موطن. والعدل أولى بنا فى طلب الثار، وحقيق بنا طلب حسن الأحدوثة عند الاقتدار. فإن الذكر الجميل خير ما يخلفه المرء فى هذه الدنيا الفانية. ثم أمر فى السر بدخول حرم أفراسياب عليه. فدخلت عليه زوجته، وكانت ملكة نساء توران، ومعها بناتها الأبكار كأنهن الأقمار، وعلى رءوسهن أكاليل الياقوت، وبأيديهن أطباق من الذهب مملوءة بالمسك والعنبر، وهن نواكس الأبصار خواضع الأعناق هيبة له. فتقدّمت الملكة وسجدت له وأجهشت بالبكاء وانتحبت وقالت: أيها الملك! ارحم من لم يعوّد غير الترف والدلال، ولم يتقلص قط عنه ظل الشرف والجلال. ما أحسن ما كان يكون لو قدمت الى ممالك توران وأنت غير موتور ولم يكن سياوخش مقتولا، ولكن قضى الله أمرا كان مفعولا. وإن أفراسياب لم يترك للصلح موضعا. وقد أراق بسوء صنيعه ماء وجهه فليس يستطيع أن ينظر اليك. وكم نصحته فما نفع، ووعظته فما ارتدع. والله شاهد لى أنى بكيت بين يديه غير مرة من أجل سياوخش. وكذلك ولدى جهن أسيرك وقريبك. وكم قرعنا مسامعه بالتخويف والإنذار فى معناه فتولى وأعرض حتى أتاه مثل هذا اليوم فقلب ملكه ظهرا لبطن، وعكس عليه كل أمر». ولم تزل تتضرع اليه وتخضع له وتلطف فى كلامها حتى رق لها الملك ومن حضر من الأمراء. فأمنهن وصرفهن الى خدو رهن وأحسن اليهن. وأمر العساكر بأن يكفوا أيديهم عن القتل والأسر والنهب، وألا يتعرضوا لأهل بيت أفراسياب. ثم أمر بأن يفرق عليهم جميع ما حصل من المغانم وذخائر الملوك التورانية عامة، سوى خزائن أفراسياب خاصة، فإنها كانت صفية الملك من المغنم. وانثال على حضرته أمراء الترك من جميع النواحى والأطراف باذلين السمع والطاعة، متسالكين فى سلك الخضوع والضراعة. فقبلهم وحقق آمالهم. ثم أقطع أصبهبذيته وأمراءه بلاد توران، وأعطى كل واحد منهم ناحية منها. وأقام فى جنة كنك ملكا مطاعا، وأضحى[1] ملوك تلك

(١) طا: وقد أضحى.

الأقاليم له أتباعا وأشياعا . فكتب الى كيكاوس كتابا بالفتح، وأنهى اليـه ما يسر الله له من النصر، وقيض لعدوه من الخذلان والخزى .

ولم يزل مقيما بهذه المدينـة مواصلا بين أسباب اللهو والطرب إلى أن طلعت طلائع الربيع الناضر، وتصرمت مدّة الشتاء الباسر . وكان قد فرق العيون والجواسيس فى جميع الأطراف ليؤتى بخبر أفراسياب . بجاءه[1] الخبر بدخوله إلى خُتَن و بلاد الصين، وأنه استنجد الخاقان وبغبور، وأنه مقبل فى الطِّم والرِّم وجموع كالليـل المدلهم، فتراجع إليه من عساكره جميع من كان قد استأمن إلى الملك كيخسرو . فتجهز الملك عند ذلك للقائه، وأخرج الطلائع، ورتب العساكر . وأمر جوذرز ابن كشواد وولده فرهاذ وغيرهما[2] بالتيقظ والتشـمر . وخرج من كنك وسـار بعساكره حتى نزل على مرحلتين من مخيم أفراسياب فأقام أسبوعا يعدّ ويستعد . ثم إن أفراسياب زحف إليه . وأتاه الخبر بذلك فصف عساكره على أحسن ترتيب وتعبيـة . ووصل أفراسياب وصف صـفوفه بإزائه . ثم أرسل الى كيخسرو رسولين برسالة تشتمل على التماس المصالحة والمسالمة والإمساك عن إراقة الدماء، على أنواع من الأموال كثيرة يبذلها له[3] . والتمس على تقدير عدم الإجابة الى ذلك أن يخرج اليه كيخسرو بنفسه فيبارزه على الصفة المعتادة فى التبارز فى كلام طويل . فلم يجنح الملك كيخسرو الى السلم، وأبى إلا الحرب، وعزم على إجابته الى ما التمس من مبارزته بنفسه، فمنعه رستم من ذلك وقال : لو كانت الملوك تبارز بعضهم بعضا، ويقاتل أحدهم خصمه بنفسـه لم يكن بهم حاجة الى جمع العساكر وجر الجحافل . فردّ اليه فى الجواب أن عندنا من يصلح لمبارزتك ومقاومتك غيرى وهو إما رستم بن دستان أو جيو بن جوذرز . فمن اخترت مبارزته منهما فهو بين يديك . فلما سمع أفراسياب ذلك الجواب عظم عليه، واضطر الى الحرب . فتزاحف الفريقان، والتحم القتال بينهم من أول النهار الى وقت الغروب، ثم رجع كل واحد من الفريقين الى مخيمهم . واستدعى الملك كيخسرو رستم وطوسا وجوذرز وجيوًا وقال : إن أفراسياب يبيتنا الليلة فاكمنوا له، فأمر رستم بأن يركب فى جمع كثيف ويكمن فى ناحية السهل، وأمر طوسا أيضا بأن يكمن فى جمع آخر فى ناحية الجبل، وأمر العسكر فحفروا فيما يلى التورانيين حفيرة وجعلوا فيها المـاء، وأمر الحرس بألّا يوقدوا النيران ولا يرفعوا أصواتهم تلك الليلة . وركب ووقف بنفسه مع الفيلة والعساكر من وراء الحفيرة . فلمـا أظلم الليـل نفذ أفراسياب جواسيسه فرجعوا[4] وأخبروه بأنهم لم يروا للايرانيين حسا، ولم يسـمعوا لهم همسا . كأنهم شربوا طول نهـارهم

٩٤

(١) ك : بجاء الخبر . (٢) مل : وغيرهم . (٣) ك : له (لا) .
(٤) ك ، كو ، طا : فرجعوا اليه .

المدام حتى حالفوا ليلهـم المنام . فارتاح لما سمع واستحضر رءوس الأجناد، وذكر لهم ما ابتـلى به من الإيرانيين وتسلطهم عليـه ، وقال : الرأى أن نهتبل الليـلة غرتهم وندوسهم بحوافر الخيـل ، ونبيتهم عند ركوب الصباح أعجاز الليل . فاختار منهـم خمسين ألف فارس ممن نجذتهـم الحروب وضرستهم الخطوب ، ووجههم لذلك . فلما قربوا من معسكر الايرانيين خرج عليهم رستم من أحد الجانبين، وخرج اليهم طوس من الجانب الآخر ، وتقدم الملك بالفيلة فيمن معه . فوضعوا فيهـم السيف فلم يسـمع غير صليل الصوارم فوق الجماجم ، وشهيق اللهاذم فى الصـدور واللهازم . حتى لم يفلت منهـم من العشرة إلا واحد . فانزعج أفراسـياب واضـطرب ، وقال لأصحابه : الرأى أن نزحف اليهم ونصدمهم صدمة واحدة فإما مُلك وإما هُلك .فارتفعت أصوات الكوسات والطبول من الجانبين، والتقى الجمعان، والتحم القتال فى مسافة ثلاثة فراسخ . قال : فتلاطمت أمواج الدماء فى ذلك الفضاء .فثارت ريح عاصف لم يسمع بمثلها فكانت تحفر التراب وترميه فى وجوه التورانيين وتستلب لشدتها البيض من رءوسهم . فعند ذلك حمل الملك كيخسرو مع رستم حملة صادقة أدرجت أكثرهم تحت القتل والأسر . فقطع أفراسياب عنـد ذلك رجاءه ، وثنى عنانه مع ألف فارس من أقاربه وخواصـه ، وترك بقية عسكره بين أشـداق المنون . وأخذ فى بعض عوادل الطرق سالكا طريق البريّة . ثم إن بقايا التورانيين لما فقدوا الراية السوداء من القلب ، وعلموا بهرب أفراسياب طلبوا الأمان من الملك كيخسرو ، ورموا الأسلحة . فعطف عليهم وآمنهم وأحسن اليهـم . ورجع الى مخيمه فاعتزل من المعسكر ، وخلا بنفسـه فى مكان خال، ومثـل قائمـا بين يدى ربه عزوجل يحمده ويدعوه ويشكره على ما أسدى اليه وأنعم به عليـه، من أول الليل الى أن طلعت الشـمس . ثم رجع الى المعسكر ، وأمر بدفن من قتل من الايرانيين وجمع الغنائم وتفريقها على العسكر . ورجع الى مدينة كنك فأقام[(١)] بها . فجاءته رسل بغبور ملك الصين بالهدايا والتحف مستأمنا معتذرا عما صدر منه من إمداد أفراسياب، ومتنصلا عن ذلك . فقبل الملك هداياه وآمنه وقال للرسول : قل لبغبور لا ترق ماء وجهك عندنا ، ولا تمكن أفراسـياب من الاعتضاد بك والالتجاء اليك . فرجع الرسول الى بغبور وبلغه ما قال، فأنفذ الى أفراسياب وقال له : تباعد عن ممـالك الصين ، ولا تقربن هذا الإقليم . فخاب عند ذلك ظنه، وهام على وجهه الى أن وصل الى جبل اسبروز ، ورجع[(٢)] منه سائرا

(١) طا : فأقام بجاءته . (٢) ك، طا : فرجع .

حتى وصل الى بحر زره § فركب السفن بمن معه وتوجه راكبا لجة البوار ، تسوق مراكبه دبور الإدبار الى أن حصل فى قلعة كنك دز فاستلق فيها آمنا ، وأقام بها ساكنا . وقال : إذا أحسست من طالعى بسعادة عبرت وحشدت وطلبت بثأرى . قال : ولما علم كيخسرو بذلك قال لأصحابه : إن العدو قد عبر الماء وحصل فى مأمن، ولا بدّ لنا من أن نشحن بلاد الصين وبلاد مُكران بالعساكر ، ونركب البحر ونتبع أثره ونقصد قصده . فساء الأمراء ذلك واهتموا من أجله ، وقالوا : كيف يمكن العبور بهذا العسكر العظيم على بحر لا يقطع على تقدير السلامة؛ فى ستة أشهر ؟ فصار كل واحد منهم يقول شيئا . فأقبل عليهم رستم وقال : أيها السادات الأكابر ! لا ينبغى أن تؤثروا[1] الراحة فيضيع سعيكم وينتعش العدو فيعظم الخطب . وحثهم ووعظهم . فقاموا فى حضرة الملك وقالوا : نحن كلنا عبيدك المخلصون ولأوامرك فى البر والبحر ممتثلون . ففرح الملك وشكرهم وأثنى عليهم وأحسن اليهم، وعزم على الرحيل، كما سيأتى ان شاء الله تعالى .

---

§ تقدّم أن جن مازاندران أسروا كيكاوس عند جبل اسبروز فهو اذا أحد جبال مازندران[2] ومن الأنهار التى تصب فى بحر قزوين نهر اسبيذروذ . ولعل "اسبروز" محرّفة عن "اسبيذروذ"[3] فالبحر الذى يسمى هنا بحر زره ينبغى أن يكون بحر قزوين . وقد سماه أفراسياب فى هذا الفصل بحر كياك[4] . ويقول المسعودى عن بحر قزوين : «ومما يصب الى هذا البحر من الأنهار العظام المشهورة نهر أرتيش الأسود ونهر أرتيش الأبيض . وهما عظيمان يزيد كل واحد منهما على دجلة والفرات . وبين مصبيهما نحو من عشرة أيام . وعليهما مشتى ومصيف الكياكية والغزية من الترك» . وهذا يرجح أن بحر كياك هو بحر قزوين أو نهر يصب فيه .

وتسميته هنا بحر زره وهم من القصاص؛ ظنوه اسم بحر بعينه . و"زره" فى اللغة القديمة معناه بحر .

ثم يجد القارئ فى فرار أفراسياب وتعقب كيخسرو إياه خلطا جغرافيا كالذى تقدّم فى طواف كيكاوس ومسيره الى اليمن (هاماوران[5]) .

---

(١) صل : تؤثر . والتصحيح من ك، طا . (٢) انظر المتن ص ١١٣ (٣) التنبيه والاشراف ص ٦٢
(٤) المتن ص ٢٨٤ (٥) المتن ص ١١٩

ذكر إنفاذ الملك كيخسرو جيوا بالأسارى والغنائم إلى خدمة كيكاوس، ودخوله الى الصين وبلاد مُكران، وركوبه البحر خلف أفراسياب

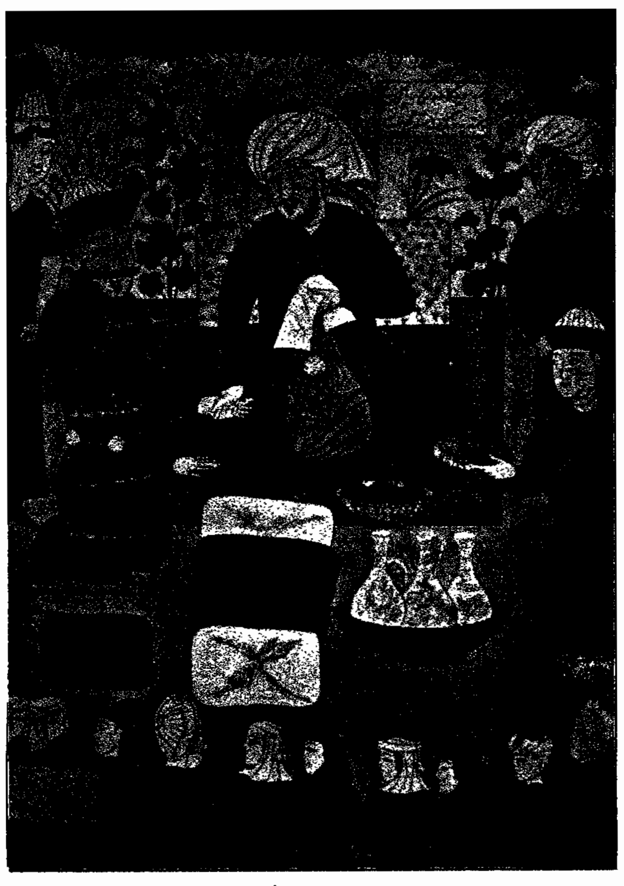
قال: وأمر الملك ففتحوا أبواب خزائن أفراسياب فاوقر ألف جمل من الذهب والفضة والجواهر والثياب . وأدخلوا عشرة آلاف ثور تحت العجَل وأوقروها بآلات الحرب . وأمر بإخراج مخدرات أفراسياب جميعهنّ فى جنح الليل بالعماريات والمهود الى الميدان، وتجهيز مائة نفس من الأكابر الصِّيد من أقارب أفراسياب ومائة نفس من أكابر أهل تلك الأقاليم من الذين كانوا رهائن عنده . ثم أمر بإخراج ولده جهن وأخيه كرسيوز بقيودهما، وحملهما فى المهود. وسلمهم جميعهم الى جيو بن جوذرز بن كشواذ وأمره أن يستصحب عشرة آلاف فارس ويسير بهم وبجميع ما سبق ذكره الى حضرة الملك كيكاوس . وكتب اليه كتابا ذكر فيه محاصرته لمدينة كَنك، ومدّة الحصار، وكيفية الأخذ، وهرب أفراسياب، وأنه على جر الجحافل الى بلاد الصين ثم المصير منها الى بلاد مكران ليركب منها نحو كياك ويتطلب أفراسياب حتى يظفر به . فسار جيو على الجملة المذكورة . ولما وصل[1] الى حضرة كيكاوس وثب وتلقاه ومسح وجهه بيده، وسايله عن أحوال ولده . فسرد عليه جيوا جميع ما جرى له ثم[2] أدخل الأسارى عليه . فأمر بإدخال المخدرات الى ما وراء الستور . وأمر بأن يرتب لجهن بن أفراسياب موضع يليق به ليجعل محبسا له . ففعلوا ذلك ورتبوا له خدما يخدمونه . وأودعوا كرسيوز مطمورة مظلمة . وفرّق تلك المغانم على الفقراء والمحتاجين، وسألهم أن يدعوا للملك كيخسرو ويشكروه . ثم أمر بأن يكتب الى أطراف البلاد بفتح ممالك توران وجلوس الملك كيخسرو على سرير السلطنة بها . ثم خلع على جيو وردّه الى الملك كيخسرو بجواب كتابه . فرجع جيو الى حضرته وهو بعد بمدينة كَنك، ففرح بكتاب جدّه وجلس فى مجلس الأنس مع الملوك والأمراء ثلاثة أيام . ولما كان اليوم الرابع فرّق السلاح على العسكر، وخرج من المدينة متوجها نحو الصين، وأقام كُستهم بن نوذر فى عسكر عظيم هناك . وسار الى أن وصل الى المدينة التى بناها أبوه سياوخش فدخل بستانا كان له وجعل يتوجع ويبكى[3] (فجاء الى الموضع الذى أفرغ فيه دم سياوخش فطفق يبكى[4]) ويتضرع الى الله تعالى ويسأله أن يمكنه من أفراسياب حتى يقتله ويفرغ دمه على الأرض على تلك الهيئة .

(٩٥)

---

(١) ك : ولما حضر . (٢) ك : وأدخل عليه الأسارى . (٣) ك، طا : يبكى ويتوجع عليه .

(٤) ما بين القوسين من ك، كو، طا .



الملك كيكاوس يستقبل كيو بن كودرز، وقد أرسله كيخسرو بشيرا بانتصاره فى توران .

[منقولة من كتاب مارتين رقم ٦٥ — عن نسخة من الشاهنامه كتبت للسلطان ميرزا على الجيلانى، فى القرن التاسع الهجرى]

ثم أرسل رسلا الى الخاقان وبغبور وصاحب مُكران وغيرهم من ملوك تلك الأطراف، وأمرهم أن يبذلوا له الطاعة ويتلقوا مواكبه اذا قدم الى بلادهم، ويهيئوا لعساكره الأنزال فى المنازل. فقابلوا أمثلته بالامتثال، وتلقوا رسله بالإعظام والإجلال، وأظهروا السرور والابتهاج بملكه وسلطانه سوى صاحب مكران. فإنه استخف بالرسول وقال له: قل لصاحبك إن كنت تريد أن يفتح لك الطريق فمبذول لك ذلك. وإن كان فى نفسك قصد دار ملكنا ومقرّ عزنا فليس بيننا وبينك غير السيف. فلما رجع الرسول وأخبر الملك بذلك ساق العساكر وسار الى ختن. فاستقبله الخاقان وبغبور فى جميع أكابر الصين وقد ملأوا المنازل بالأنزال والتحف، فلما استأنس بغبور استضاف الملك فأجابه ودخل الى قصره فنثر عليه ثلاثين ألف دينار صينى. وأقام الملك ثلاثة أشهر هناك وبغبور وأكابر الصين قائمون بشرائط خدمته. ولم يكن يخلو يوم من أن يخدمه بهدية مستجدّة وتحفة مستطرفة. فلما استهل الشهر الرابع ترك رستم هناك وساق العساكر قاصدا قصد مكران. فلما قرب منها نفذ اليها رسولا بالإعذار والإنذار، فلم يجب صاحبها الى الطاعة. فقصده وسار اليها فوجد جميع ممالك التيز ومكران مملوءة من العساكر، فقاتلهم وقتل صاحب مكران مع ألفى فارس، وأسر منه ألفا ومائة وأربعين أميرا. وانهزم الباقون، وتركوا من المغانم والخيل والأسلحة والفيلة ما يفوت العد والحصر. فأتى الملك البلد، وبسط فى أهله يد القتل والنهب، وأحرقوا(١) الدور والقصور، وخربوا الحصون والسور، وسبوا الإناث وقتلوا الذكور. ثم اجتمعت عُبّاد تلك المدينة ومشايخها، واستغاثوا الى الملك وقالوا: نحن قوم ضعفاء لا جرم لنا، ولم نزل مظلومين. فإن تعطف الملك علينا فإنما يرحم قوما مساكين. فآمنهم الملك وكف عنهم يد القتل والأسر. وأقام سنة، واستحضر الصناع، واستعمل سفنا وزواريق كثيرة وأشار على أشكس بأن يقيم فى ذلك الإقليم، ويستقل فيه بالتدبير. وساق الجحافل وسار الى أن وصل الى ساحل البحر، فأمر بحمل طعام سنة كاملة. واعتزل هو الى موضع وسجد لله تعالى وتضرع اليه وقال: أنت مالك الثريا والثرى، والحافظ برا وبحرا. احفظنى وعساكرى وتاجى وتختى. وكان هذا البحر اذا سارت فيه السفينة ستة أشهر ردّتها الرياح المختلفة وألقتها الى موضع يسميه الملاحون فم الأسد، فيتعذر خلاصها منه. فجرت سفنه ومراكبه بسعادته على هدو وسكون من الماء والهواء. وشاهدوا فى البحر عجائب كثيرة كالأسود والثيران وإنس الماء بالشعور المتهدلة كالحبال متسربلين بالأصواف والأشعار لبعضهم رءوس كرءوس الجواميس ويدان من خلف ورجلان من قدام. وآخرون رءوسهم كرءوس

(١) طا: فأحرقوا.

التماسيح، وأبدانهم كأبدان النمور، وأرجلهم كأرجل حُمُر الوحش. فكانوا يقضون العجب، ويسبحون خالقها ويقدسون رازقها . فقطعوا هذا البحر الهائل فى سبعة أشهر . ولما خرج الملك الى البر رأى بلادا عامرة على ترتيب بلاد الصين وناسا لسانهم كلسان أهل مكران . فقلد تلك الممالك جيوا، وتركه فيها وسار، وأرسل الى جميع بلاد ذلك الإقليم فكانوا يتلقونه بالسمع والطاعة ، ويلقونه بالخضوع والضراعة . فاستخبرهم عن أفراسياب فأعلموه بتحصنه بقلعة كنك، وأن بينه وبين تلك القلعة مائة فرسخ . فسار الملك قاصدا قصده . ولما اطلع أفراسياب على عبور كيخسرو بحر كياك أسرّ الخبر فى نفسه ، ولم يُعلم بذلك أحدا من أصحابه . ولما جنه الليل ترك أصحابه ورجاله ، واتخذ الليل جملا وهرب ممتلئ القلب هما وأسفا . فلما وصل الملك الى القلعة المعمورة ، ورأى تلك الأراضى العامرة ، والبساتين الناضرة ، والحدائق الزاهرة ، والعيون المتفجرة ، والأزاهير المتفتقة استطابها واستطاب ماءها وهواءها ، وأقام فيها . وفرق العساكر فى طلب أفراسياب فلم يقفوا له على خبر ولم يعثروا منه على أثر . غير أنهم وجدوا خلقا كثيرا من أصحابه المتخلفين عنه فقتلوهم . وأقام الملك بها سنة من الزمان مستروحا الى طيب ذلك المكان . فاجتمع عليه أمراؤه وأصحابه وقالوا : طال مقام الملك فى هذه البلاد . والرأى أن نرجع الى ممالكنا أخذا بالحزم، وجريا على مقتضى الاحتياط . فان كيكاوس قد طعن فى السن ، واستولى عليه الضعف ، وحضرته خالية عن الرجال والأموال ، وقد خفى حال أفراسياب عنا ، فلو حشد جمعا وقصد تلك الممالك لم يكن هناك من يقاومه ويمانعه ، فتشتد شوكته ويعلو أمره ، ويضيع عند ذلك سعينا فى هذه المدة المديدة . فاستصوب الملك كلامهم وعزم على الرجوع . فاختار من تلك (١) المدينة رجلا صلح للرياسة والسياسة فخلع عليه ، وفوض أمور تلك الممالك اليه ، وأوصاه بالعدل والاحسان ومجانبة الظلم والعدوان . ثم ارتحل منها راجعا وراءه . فلما قرب من بلاد الساحل تلقاه جيو بن جوذرز فأكرمه الملك وأخبره بما رأى فى تلك القلعة . ثم أمر بإعداد السفن والزواريق فركب البحر فى عساكره ، وعبر سالما الى هذا الجانب فى سبعة أشهر . فلما خرج سجد لله تعالى وشكره وحمده ، ثم خلع على الملاحين وأعطاهم أموالا وافرة ، وسلك طريق البرية متوجها الى مكران . فلما قرب منها تلقاه أشكس فى جميع أكابر المدينة بالتحف والهدايا الكثيرة . ثم اختار من أكابر مكران رجلا مترشحا للملك متحليا بالخلال الحميدة والسير المرضية فخلع عليه وولاه تلك الممالك . واستصحب أشكس ، وأقبل الى أن قرب من بلاد الصين فاستقبله رستم بن دستان فعانقه الملك وأكرمه ، وجعل يخبره بما رأى من عجائب البحر . فأقام بالصين فى ضيافة رستم أسبوعا . ثم ارتحل

(١) طا : من أكابر تلك .

بعساكره حتى وصل الى مدينة سياوخش كِرد فجاء الى مصب دم أبيه، وطفق يبكى ويتوجع وينثر على رأسه التراب ويضرب صدره ويلطم وجهه . ووضع رستم خدّه على ذلك التراب أيضا، وجعل يبكى . فقال كيخسرو وهو يبكى : أيها الشهريار ! إنك قد خلفتنى فى هــذه الدنيا ولم أزل فى العناء والتعب للطلب بثأرك حتى نكست راية أفراسياب، وأزعجته عن سرير ملكه . ولست أقر حتى أظفر به واقتص منه » .

ثم انصرف الى الموضع الذى كان فيــه كنز سياوخش، وكانت أمه قد أخبرته به، ففتح بابه وأطلق منه أرزاق العسكر، وأعطى رستم منــه مائتى بدرة، ووهب لجيو أيضا مالا كثيرا . فأقام بهذه المدينة أسبوعين ثم ارتحل منها . وعلم كستهم بن نوذر بقدمه فاستقبله على الرسم، وقابله الملك بالإكرام والاحترام . وجاء حتى نزل فى جنة كنك . وكان لا يزال ينقب عن أفراسياب ليلا ونهارا، وهو لا يقف على شىء من حاله . فاغتسل ذات ليلة وأخذ كتاب الزند معه، وخلا بنفسه فى مكان خال، ولم يزل طول ليلته ساجدا لله تعالى يبكى ويتضرع اليه سبحانه ويقول: إن هذا العبد الضعيف[1] الموجع القلب والروح طاف الدنيا فسلك رمالهــا وقفارها، وقطع جبالهــا وبحارها طالبا لأفراسياب الذى أنت تعلم أنه سالك غير طريق السداد، وسافك بغير الحق دماء العباد . وأنت تعلم أنى لا أقدر عليه إلا بحولك وقوتك . فمكنى منه . وإن كنت عنه راضيا، وأنت تعلم ولا أعلم، فاصرفنى عنه، وأطف من قلبى نائرة عداوته وقف بى على[2] سواء الطريق والنهج القويم . ثم انه أقام سنة مريحا نفسه من تحمل أوزار الحرب ومتباعدا عن شواغل القلب .

ذكر انصراف الملك كيخسرو من بلاد توران وعوده الى ايران وما تعقب ذلك من ظفره بأفراسياب

ثم إنه اشتاق الى لقاء كيكاوس فسلم الى كستهم بن نوذر تلك الممالك من بجغار الى منتهى ساحل[3] الصين، وضم اليه عساكر كثيرة، وأوصاه بالتيقظ والتحرز، وأمره بتفريق أصحاب الأخبار فى أطراف بلاد مُكران والصين وغيرها من البــلاد . وأمرهم بالبحث عن أفراسياب . وأمر بشد العجَل على أربعين ألف ثور، وأن تحمــل عليها الأثقال والغنائم من الذهب والجوهر والمسك والعنبر والملابس والمفارش والأسلحة والعُدد وسائر ما يجلب مــن أرض مُكران والصــين، الى غير ذلك من الخيــل والجوارى والغلمان . فقــدّم كل ذلك بين يديه، وسار فى عساكر تجلل وجه الأرض ،

(١) ك : الضعيف (لا) . — (٢) ك، . كو : وصل عن . — (٣) طا : بحر الصين .

وكانوا من الكثرة بحيث اذا ارتحلت الساقة من منزل نزلت المقـدّمة فى المنزل الآخر . ولمـا انتهى الى السغد أقام فيها أسبوعا . وارتحـل منها الى بخارا فدخل بيت النـار الذى بناه تور بن أفريذون هناك، فأعطى الموابذة ذهبا كثيرا، ونثر على النـار جواهر . وارتحل منها الى بلخ وأقام فيها شهرا . ثم ارتحل منها بعـد أن ترك فيها إصبهبذا وعسكرا، وكذلك فعل فى البلاد الأخر المذكورة ، فوصـل الى الطالقان ومرو الروز فاستقبله الأكابر ينثرون على مواكبـه المسك والزعفران واللؤلؤ والمرجان . وأقبل منها بفيلته وعساكره الى نيسابور فأقام بها وفرّق فيها أموالا كثيرة على فقرائها . وارتحل منها فى الأسبوع الثانى متوجها الى الرى حتى وصل اليها وأقام[1] بها أسبوعين مستمرا على عادته فى الإحسان والإنعام على الفقراء والمحتاجين . ثم أقبل منها الى بغداد، ونفذ النجابين الى كيكاوس بأرض فارس فأظهر بمقدمـه الفرح والسرور ، وأمر بضرب البشائر ونصب القباب على الطرق وتجليلها بالديباج والحرير . ثم خرج كيكاوس عنـد مقدمه لاستقباله . ولمـا وقعت عين كيخسرو على جدّه ركض اليـه فتعانقا وبكيا من الفرح فدعا له كيكاوس وأثنى عليـه وقال له فيما قال : إنه من عهد جمشيذ ثم من عهد أفريذون من بعدُ لم تر العيون صاحب تاج وتخت مثلك . فقال له كيخسرو : هل[2] أنا الا شعبة من دوحتك ؟ وهل حصلت هـذه الفتوح إلا بسعادتك ؟ ثم إن كيكاوس أمر فنثروا عليـه الياقوت والذهب حتى غمر النثار قوائم التخت . ثم تحوّلوا للطعام الى إيوان مذهب، وجعل يحدث جدّه بمـا جرى له فى البر والبحر والحزن والسهل . ثم لمـا رفع السماط أحضروا الشراب واستنطقوا الجنك والرباب . وأقاموا على ذلك أسبوعا . ثم فتح كيكاوس أبواب كنوزه، ورتب الخلع للأمراء والملوك الذين كانوا فى خدمة كيخسرو فأفاض على كل واحد منهم ما يليق به من الخلع الفاخرة والتحف الوافرة . ثم أذن لهم فى الإنصراف الى بلادهم . وبعـد ذلك تفرّغ لعسكره الخاص فأطلق لهم أرزاق سنة، وأدرّ عليهم العطايا والصلات .

وخلا الملك كيخسرو ذات يوم بجدّه وقال له : إن هـذا الظالم قد خفى أثره بعد تحمل المشاق العظيمة فى طلبه، وإنه إن عاد الى كنك وأقام بها ولو ساعة واحدة ثابت اليه عساكره، وقوى أمره وعلا كعبه فنحتاج الى استئناف قتاله والنهوض الى بلاده . فقال له كيكاوس : الرأى أن أركب أنا وأنت معا ونصير الى بيت نار آذركُشَسب — وهو بيت نار بأذربيجان — فنبتهل الى الله تعالى ونتضرع اليه فلعله يهدينا الى الموضع الذى هو فيه . فلبسا ثياب البياض، وركبا وسارا الى ذلك المتعبد بقلوب مملوءة من الخوف والرجاء . فلما دخلا بيت النـار جعلا يبكيان ويتضرعان الى ربهما، ويسألانه، وينثران (٩٧)

(١) طا : فأقام . (٢) ك، طا : وهل أنا .

الجواهر على الموابذة . وأقاما أسبوعا فى بيت النـار . وزعم صاحب الكتاب أنهم لم يكونوا يعبدون النار وإنما يعبدون الله عز وجل والنـار لهم كالقبلة . قال : وأقاموا فى أذربيجان شهرا حتى أظفرهم الله تعالى بأفراسياب .

وكان من خبره أنه لمـا جرى عليه ما جرى هام على وجهه يجول فى البلاد وهو ممتلئ خوفا ورعبا، ولم يكن يأمن على نفسه ساعة، وكان يطلب موضعا يأمن فيه على روحه . فجاء الى بردعة . § وكان فى بعض جبالهـا المنقطعة مغارة لم يدخلها أحد، ولم يطأها قط قـدم ، بعيدة عن العمرانات قريبة من البحر . وهذه المغارة تسمى هنك أفراسياب فنقـل اليها من المأكول ما يقوته ، وتوارى فيها . وكان فى ذلك الزمان رجل من أولاد أفريدون عابد منقطع إلى الله تعالى يسمى هومًا ، وله فى ذلك الجبل متعبد فى بعض الكهوف يخلو فيه ويعبد الله عز وجل . فسمع ذات ليلة صوت نائح فى جنح الليل ينوح باللسان التركى على نفسه ويندبها ويقول مخاطبا لنفسه : يا سيدا ساد الأكابر عزا وشرفا! ويا ملكا حكم على جميـع الملوك نافذا فى الشرق والغرب حكمه، وماضيا فى الصـين والترك أمره ! أين تاجك وتختك؟ وأين خيلك ورجلك؟ وأين تلك الرجولية والبسالة؟ وأين تلك الروعة والجلالة؟ كيف انتهت بك الحال الى أن تعوضت من جميع الممـالك مغارة مظلمة تواريت فيها هاربا من بوائق الزمان وطوارق الحدثان ؟ فلما سمع هوم العابد ذلك قال فى نفسه : إن هـذا الصوت لا يكون غير صوت أفراسـياب . فقام وتشمر وخلع العباء الذى كان به متخللا، وحل زنارا كان فى وسـطه، وتتبع الصوت حتى دخل المغـارة فهجم على أفراسياب، وكتف يديه بزناره، وشد وثاقه، وأخرجه من المغارة يسوقه مهينا ذليـلا بعد أن كان مهيبا جليـلا . قال صاحب الكتاب : وما أجدر كل من كان صاحب ملك وجلالة أن يقضى العجب من هـذه الحـالة ، فلا يؤثر غير حسن الأحدوثة فى الدنيا الفانية ودولها المستعارة . قال فلما رأى أفراسياب إرهاقه إياه وعنفه به قال له : أيها العابد ! ماذا تريد من رجل اختفى[1] فى مغارة ضيقة ؟ فقال له لا ترق دماء الملوك والسادات وأنت فى غنى

§ بردعة بلد فى أرّان كان مصرا كبيرا . وعلى تسعة فراسخ منها بلدة اسمها كنجة أو جنزة[2] . وقد تقـدم أن أفراسياب هرب الى كنك دژ أى قلعة كنك . وقلت أنهـا تشبه أن تكون فى بحر قزوين[3] . فقدوم أفراسياب الى بردعة بعد فراره من كنك يؤيد ما ظننت عن موقع كنك، ويحمل على الظن أن كنك هى كنجة أو جنزة . وهى من مدن أرّان . وأرّان فى الشمال الغربى من آذربيجان يفصلهما نهر الرس . وهى من إرمينية .

(١) ك، كو، طا : اختفى من الخلق . (٢) معجم البلدان . (٣) المتن ص .

عن مكني الكهوف والمغارات . من ذا الذى قتل من ملوك العالم أخاه، وبارز الله بالعداوة وناواه ؟ ألست قاتل أغريرث الناصح، وسافك دم نوذر الراجح، وقاطع رحم سياوخش الصالح ؟ فقال : بهذا جرت علىّ أقلام قضاء الله فى الأزل . ومن المعصوم فى هـذه الدنيا الغدارة من الزلل؟ فارحم عاجزا ظلم نفسه كثيرا، واعطف على من كان ملكا كبيرا فصار هكذا بين يديك أسيرا . وإن كنت لا تمن عليه بالإطلاق فحل عليه[(١)] قليلا من هذا الوثاق . فرق له هوم ونفّس قليـلا من خناقه، وأرخى يسيرا من وثاقه . وكان يسير به على ساحل البحر المعروف بخنجست(أ) . فاهتبل أفراسـياب غرة من هوم حين أحس بأنه قـد رق له وتحنن عليـه ، ورمى بنفسه فى البحر واختفى من[(٢)] عين هـوم . واتفق أن جوذرز بن كشواذ وولده جيـوا خرجا خلف الملك كيخسرو فوصلا إلى ذلك الساحل . فرأى جوذرز العابد بيده حبل وهو يمشى على ساحل البحر متلهفا وعلى ما فاته متأسفا . فقال : كأن هذا صياد قد صادف أعجوبة من عجائب البحر . فصاح به وقال : مالى أراك مهموما ؟ أظهر لى أمرك، وبح إلىّ بسرك . فدنا منـه وحكا له الحكاية فقضى جوذرز العجب من ذلك وسار إلى حضرة الملك كيخسرو وسرد عليه الحديث . فركب الملك كيخسرو وجاء مع جوذرز إلى ساحل البحر حيث كان هوم فاستخبره عمـا جرى له فأعلمه بالحال . فبقى الملك على الساحل مع العابد زمانا طويلا . ثم إن هوما لم يزل يحتال على أفراسـياب بكل حيـلة حتى تمكن منـه فى البحر، وأسره واجترّه إلى الساحل فسـلمه إلى أصحاب الملك كيخسرو . ثم تغيب عن أعينهم حتى كأنه طار مع الريح فى الهواء . § فجاء الملك مجردا للسيف ممتلئا من الغيظ . فلمـا رآه أفراسياب قال : إنى رأيت هذا

---

§ نقلت آنفا طرفا مما تذكره الأبستاق عن كيخسرو وظفره بأفراسياب وراء بحيرة أرمية[(٣)] . وأنقل هنا نصوصا تبين عن أصل هذه الأسطورة أسطورة أفراسياب فى المغارة وظفر هوم به الخ .

” قرب اليها (الى أردفى سورا أناهتا) السـفاح التورانىّ فرنكرسيان قربانا فى كهفـه تحت الأرض بمائة حصان وألف ثور ، وعشرة آلاف حمل .

سألهـا نعمة قائلا : امنحينى هذه، أيتها الخيرى أردفى الخ . لعلى أظفر بهذا المجد الذى يموج فى لجة بحر فورو كشا، والذى هو للأمة الآرية من ولد منهم ومن لم يولد ، وللمقـدس زرتشترا[(٤)] “ . والبحر المذكور هنا متصل ببحيرة هسروه التى هى على خمسين فرسخا من بحيرة أرمية[(٤)] . =

(أ) هى بحيرة كانكسه ، التى سبق ذكرها . وقد حرف اسمها فى الشاه من چيچست الى خنجست (أفستا ، ج ٢ ص ٦٦) .

(١) ك ، كو ، طا : عليه (لا) . (٢) ك : عن عين . (٣) المتن ص ٢٠٠ حاشية .

(٤) أفستا ، ج ٢ ص ٦٤ ، ٣٠٠ ، المتن ص ٢٠١ حا .

اليوم فى المنام، والآن تحقق و إن تطاول[١] مدى الأيام . ثم صاح بحافده وقال : أيها الخبيث الحقود ! لا تقدم[٢] على قتل جدك . فقال له كيخسرو : يا سيئ الظن ، و يا مستحق التعنيف واللوم ! أما قتلت أخاك أغريرث الذى لم يسفك دما قط ؟ أما ضربت رقبة نوذر الذى كان عن الملوك خلفا ؟ أما قطعت وريدى سياوخش الذى بلغ السماء عزا وشرفا ؟ إن هذا يوم الجزاء وستسقى بالكأس التى[٣] سقيت بها هؤلاء . فقال له : أيها الملك ! إن الكائن قد كان، وحين الحائن قد حان، اصبر على مقدار ما أنظر إلى وجه أمك ثم امض لأمرك . فبادره الملك وضرب رقبته بالسيف . فذاق وبال أمره وحاق به سوء عمله . فلا تكن أيها العاقل لباب الشر مفتاحا . ومن كان من الملوك مخصوصا بعناية الحق فلن يحمله الغضب على أكثر من القيد والحبس . ومهما صار سفاكا للدماء فلا محالة من يرَ يوما يُرَ به .

= و يتبين من هذا أن كهف أفراسياب لم يكن ملجأ آوى اليه خوفا من كيخسرو كما فى الشاهنامه، بل كان مقر ملك يقرّب القرابين العظيمة طمعا فى الظفر بمجد الآريين . ولذلك نجد فى الروايات القديمة أن هذا الكهف كان قصرا تحت الأرض جدرانه من الحديد، وله مائة عمود، وارتفاعه ألف قامة[٤] .

وأما هوم العابد الذى أمسك أفراسياب فتقول عنه الأبستاق : "قرب اليها هؤما قربانا ـــ هؤما المنعش، الشافى، الجميل، الملكىّ ... ... وسألها نعمة أن امنحينى هذه أيتها الخيرى درفاسپه ! لعلى أغل السفاح التورانىّ فرنكرسيان، ولعلى أجره مغلولا ولعلى آتى به مغلولا إلى الملك هُسَروه . لعل الملك هسروه يقتله وراء بحيرة كائكسته العميقة المالحة ليثأر لأبيه سياوشرانه الرجل ولأغرِيرَثه شبه الرجل[٥]" .

وتفسير هذا أن هوما اسم إله فى عبادة الطبيعة القديمة . وقد صار عند الإيرانيين القدماء اسم شراب مقدس يقرب إلى الآلهة ، واسم الروح المسيطر عليه، واليه يعزى إهلاك الشياطين لأنه أقوى عنصر فى القرابين التى يتوسل بها إلى إهلاكهم . فانظر كيف صار هؤما الذى فى الأساطير القديمة العابد هومًا فى الشاهنامه .

ثم محاولة أفراسياب الفرار وارتماؤه فى البحر الخ بقية محرّفة مما فى الأبستاق . ففيها أن أفراسياب حاول مرارا أن يظفر بمجد الآريين الذى يموج فى البحر ، فتجرد من ثيابه وألقى بنفسه فى الماء ولكنه رجع خائبا[٦] .

(١) ك، طا : طال . (٢) ك، كو، طا : لم تقدّم . (٣) صل : الذى . والتصحيح من ك، طا .

(٤) أفستا، ج ٢ ص ٦٤، ٣٠٠، المتن ص ٢٠١ حا . (٥) أفستا، ج ٢ ص ١١٤ (٦) = ص ٣٠٠

قال : ولما فرغ من أفراسياب أحضر كرسيوز ، وأشار إلى السياف فوسطه بالسيف نصفين ، ورمى بجثته على جثة أخيه. ثم انصرف من الساحل نحو بيت النار المذكور ، وطفق يزمزم حول النار ، وينثر الذهب على اللهب ، ويشكر الله تعالى ويحمده . وأقام فيه يوما وليلة ثم أمر الخازن فخلع على الموابذة والهرابذة خلعا رائقة ، وأفاض عليهم أموالا كثيرة . وأمر أيضا بتفريق خزانة أخرى على فقراء البلدة والمحتاجين . ثم جلس على التخت ، وأمر بإنفاذ الكتب إلى مشارق الأرض ومغاربها باستئصاله لشأفة الفتنة ، وجبه لسنامها وغاربها . ثم دخل إلى إيوان كان له عند بيت النار ، وأقام فيه مع جده كيكاوس أربعين يوما لا يفيقان سكرا وطربا ، ولا يفتران من تفريق الأموال شكرا وكرما . ثم عادا فى أكابر الدولة إلى بلاد فارس . وكان كيخسرو كلما مر بمدينة تلقاه السُّؤال وأهل الحاجة فأغناهم من خزائنه . ولم يزل ذلك دأبه حتى استقر فى دار ملكه ومقر عزه .

(٩٨)

ذكر وفاة الملك كيكاوس

قال : ولما بلغ كيكاوس نهاية وطره فى إدراك ثار ولده جعل[1] يناجى ربه ويدعوه ويحمده ويثنى عليه ويشكره . وكأنما ألم الشاعر بحاله فى ذلك حيث يقول :

يا ذا المعارج كم سألتك نعمة   فمنحتها لى بالذنوب الأوفر
أى العوارف منك أشكر فضله ؟   عجز المقل وزاد طول المكثر :
أكفايتى ما قد حذرت وقوعه   أم ما كفيت من الذى لم أحذر

ثم قال : إلهى ! أما إذ بلغ عمرى الى مائة وخمسين سنة ، واشتعل رأسى شيبا ، وعاد مسك عارضى كافورا بعد أن بلغتنى نهاية الآمال ، وقيضت لى مثل كيخسرو ولدا تسنم ذروة الجلال ، وجلل طلاع الأرض بالإحسان والإفضال فانقلنى الى جوارك الكريم وجنابك العزيز . فلم يمض عليه إلا قليل من الزمان حتى قضى نحبه ولقى ربه . ففقد الملك كيخسرو له مأتما ونزل من التخت وجلس على التراب . وحضر عنده جميع الملوك والقواد فى ملابس الحداد وثياب السواد . وأمر ببناء قبة عظيمة عالية فى السماء وجعلها له ناووسا ، وكفنوه بالثياب الديبقية والدبابيج الرومية بعد أن ذروا فيها المسك والكافور والدبق . ووضعوه على تخت من الساج[2] وسدوا عليه باب التربة . وجلس الملك أربعين يوما لعزائه ثم عاود التاج والتخت بعد انقضائه ، وجلس على تخت[3] العاج معتصبا بالتاج ، واصطف على رأسه جميع الملوك والأكابر ، ونثروا على تاجه أطباقا من الذهب والجواهر . وهنوه

(١) ك : خر . (٢) صل : تخت الديباج . والتصحيح من ك ، طا ، كو . (٣) كو ، طا ، ك : تخت من العاج .

باجتماع الملك الطارد والتالد . وأقام هذا الملك على تخت السلطنة ينهى ويأمر ، ويعطى ويمنع حتى استوفى ستين سنة من ملكه . ولما استوى شمس حاله ، وتسنم ذروة كماله آذنه داعى الرحيل بارتحاله .

ذكر انقضاء مدة الملك كيخسرو وخاتمة أمره

قال : ثم استولى على الملك كيخسرو الفكر فى حاله وتقلُّب غِيَر الدهر به ، فجعل يقول فى نفسه : إنى قد طفت جميع المسالك والممالك ، وسخرت جميع ملوك الشرق والغرب ، ودخلت تحت حكمى ممالك البر والبحر ، وقضيت أوطارى وأدركت ثارى فلا ينبغى أن يملك العجب مقادى ، ويستولى على شيطان الطغيان فأصير مثل الضحاك وجمشيذ وأفراسياب وكيكاوس . فالأولى أن أبتهل الى الله تعالى وأتضرع اليه فلعله يحولنى الى دار القرار ، وينقلنى الى جوار الأخيار » . فأمر حاجب بابه ألا يمكن أحدا من الدخول عليه . فأغلق الباب ، وحل الملك منطقته ، ولبث ثياب البياض . ودخل متعبدا له وجعل يناجى ربه ويستودعه دينه ونفسه ، ويسأله أن يرزقه قربه . فبقى أسبوعا قائما بين يدى ربه ليلا ونهارا يدعوه سرا وجهارا . فخرج فى اليوم الثامن وقد ظهر عليه أثر الضعف من العبادة فجلس على تخته وأمر الحجاب برفع الحجاب . فدخل عليه الملوك والأكابر خاضعين له وضارعين . وهم طوس وجوذَرز وجيو وبيژن وجُرجين ورُهّام . فلما رأوا وجه الملك سجدوا . ثم رفعوا رءوسهم ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا : أيها الملك ! إنك قد ملكت الأرض وأهلكت العدو فما من ملك إلا وهو فى رق حكمك ، وما من مدينة إلا وهى تحت أمرك ، وما ندرى من أى وجهة دخل على قلبك الفكر ، وقبض من عنان نشاطك الهم والحزن ، وهذا أوان تمتعك بالملك والمملكة وسرورك بالعز والسلطنة؟ فإن كان قد صدر منا ما أوجب تغير خاطر الملك فليعلمنا لنسعى فى إزالته ونعتذر . وإن كان له عدو كاشح فلا يخفيه عنا حتى نجتهد بأموالنا وأنفسنا فى إبادته واستئصال شأفته . فقال الملك : أيها الأكابر ! إنه لم يظهر لى عدو ، ولا صدر من واحد منكم جرم . فاستمتعوا برغد عيشكم وطيب حياتكم . وأما فإن لى الى الله تعالى حاجة قد عرضتها عليه وأقمت فى استنجازها أسبوعا بين يديه ، فابتهلوا اليه وسلوه فلعله يقضيها ويستجيب دعائى فيها » . فصرفهم بهذا الكلام وأمر حاجبه ثانيا أن يغلق الباب ويسبل الحجاب ولا يفتح اليه طريقا لأحد ، سواء كان من الأقارب أو كان من الأجانب . ودخل متعبده ، وخلا بنفسه يدعو الله تعالى ويتضرع اليه . فمضى عليه أسبوع آخر . وكان الملوك والأمراء يجتمعون على بابه ويضجون من طول احتجابه وامتناعه عن الظهور لأصحابه . فخلا طوس بجوذرز وخاضا فى حديث الملك كيخسرو ، وذكرا ما استولى عليه من الضجر والسآمة ، وأخذا[1] يجيلان

---

(١) طا : فأخذا

الآراء فى ذلك فاتفقا على إنفاذ جيو الى زابلستان ، وإعلام رستم ودستان بحال الملك واستنهاضهما الى حضرته ليكلماه ويصرفاه عما هو عليه . فسار جيو الى زابلستان، وأخبر رستم بما دهاهم من حال الملك . فاهتم رستم وذكر الحال لأبيه ففرقا الرسل فى أطراف ممالكهما وجمعا الموابذة والمنجمين ، واستصحباهم الى ايران . قال : ولما مضى على احتجاب الملك أسبوع أمر فى اليوم الثامن فرفعت الحجب ، وأذن فى الدخول عليه فدخل عليه الملوك والأمراء فأكرمهم وأنزل كل واحد منهم منزلته فى الخدمة . فما قعد منهم واحد . وقالوا : أيها الملك الكبير ! إنا نصحاؤك وعبيدك فأعرب لنا عما انطوى عليه ضميرك ، وأى جرم صدر منا حتى سدّ علينا الطريق اليك ومنعنا من المثول بين يديك ؟ لقد طال هذا الانقباض وأظلم علينا لأجله النهار . ولأى معنى لا يبوح لنا الملك بسره ، ولا يستقدح آراءنا فى أمره حتى لو اعتراه ذلك من بحر استنزفناه أو من جبل نسفناه ؟ وإن كان يحتاج فى إزالته الى مال فنحن كلنا حفظة أمواله وذخائره وخزنة كنوزه ورغائبه . واذا علمنا بالحال أنفقنا جميعها فى سبيل مراضيه حتى نفرج عن الملك ما هو فيه . فقال لهم: إنه ليس بى شىء مما تذكرون . ولكن فى نفسى أمنية أرجو أن أبلغها من الله عز وجل . وهأنا أسأله ذلك طول[1] الليل والنهار . وسأبرزها لكم عند قضائها من مضيق الكتمان الى فضاء الإظهار . فارجعوا الآن ولا تحملوا على قلوبكم كل هذا الاضطراب والقلق » . فخرجوا وأمر بإسبال الحجب، وعاد الى عبادة الله تعالى وبقى خمسة أسابيع[2] بين يدى الله عز وجل يبكى ويتضرع ويسأل الله تعالى أن يمكن له فى جواره وينقله الى دار قراره . فغفا غفوة ذات ليلة وقت الفجر[3] ورأى فى المنام كأن ملكا نزل عليه وقال له فى أذنه : أيها الملك السعيد! انك قد أعطيت ما سألت فتجهز الى جوار الله الكريم ، ولا تقم فى هذه الدنيا الكدرة، وفرق الأموال على المحتاجين والفقراء والمساكين ، واعهد الى ملك عادل يقوم مقامك من السلطنة، واعلم أنه لم يبق من مقامك إلا القليل » . فانتبه الملك وهو غريق فى عرقه فسجد باكيا بين يدى الله عز وجل يشكره على قضاء وطره وإنجاز أمله . فنحّى التاج عن رأسه وخلع السوار ولبس ثوبا[4] جديدا وجلس على التخت . فوصل رستم وأبوه فى خلق من الموابذة والهرابذة فاستقبله الايرانيون . ولما لقى طوس رستم أجهش اليه بالبكاء، وذكر له ما اعترى الملك من تغيره عن الحالة المعهودة . فأقبلوا الى بابه فرفعت الحجب . ولما رأى الملك رستم وزالا بادرهما بالمصافحة والمعانقة ، وتهلل مستبشرا الى من كان معهما من الموابذة والهرابذة،

(١) لك، كو، طا : طوال . (٢) لك، كو، طا : قائما بين . (٣) التبست الكلمة على كاتب الأصل فكتب «الجر» وكتب فى الحاشية «كأنه السحر» . والتصحيح من لك، طا . وفى كو : السحر . والشاه : وقت طلوع القمر .

(٤) صل : الطوق جديدا . طا، لك : الطوق حديدا . والتصحيح من الشاه، كو .

ورتب كل واحد منهم فى منزلته . فأثنى عليــه زال وقال : أيهــا الملك ! إنه بلغنا أنك حجبت الملوك واعتزلت وآثرت الخلوة وانزويت فبادرت حضرتك بعــد أن جمعت موابذة تلك البــلاد ومنجميها لأقف على حال الملك وما انطوى عليــه حتى أسعى فى إزالة وحشته وإعادة أنسه . فقال له الملك : أيها الشيخ الجليل ! اعلم أنى مثات بين يدى الله عز وجل خمسة أسابيع أدعوه وأتضرع اليه وأسأله أن يغفر ماسلف من ذنبى وينور قلبى وينقلنى من هذه الدنيا الغرارة الى جواره الكريم قبل أن أعدل عن سنن السداد، ويزيغنى الشيطان عن لَقَم الرشاد مثــل من سبق من الملوك . والآن قد قضيتُ حاجتى وأجيبت دعوتى . وقد غفوت البارحة فجــاءنى المَلَك وقال : تجهز فقد حان الرحيل . وقد انقضت مدّتى وبلغتُ أمدى . فاهتم عند ذلك الجماعة وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وتنفس زالٌ الصعداء لمــا سمع من كلامه فقال : إن هذا الرجل قد اختلط عقله وفسد رأيه . وانى من أوّل عمرى الى يومى هذا لم أر أحدا من الملوك تكلم بمثل هذا الكلام . وكأن الشيطان قد استحوذ عليه . وينبغى لنا ألا نرضى له بمثــل ما سمعنا من كلامه » . فقالوا له : أنت لساننا فحاوره بمــا تستصوبه فلعله لا يزيغ عن المنهج اللاحب ، ويعاود ما كان عليه من رسم السلطنه وآيين الملك » . فقام زال وقال : أيها الملك العادل ! اسمع كلام الشيخ الطاعن فى السن العالم بتصاريف الدهر ، ولا تستوحش مما يخاطبك به من مرّ الحق ومكروه الصدق ؛ اعلم أنك من أحد طرفيك تنتمى الى أفراسياب الذى كان لا يرى غير السحر فى المنام ، ومن الطرف الآخر الى كيكاوس الذى كان معروفا بشراسة الخلق بين الأنام . وهو الذى ملك مابين الخافقين واستولى على ممالك المشرقين فأراد أن يصعد الى السماء . وكم وعظته ونصحته فلم يقبــل من ذلك شيئا حتى فعل ما فعــل ولقى ما لقى كما عُرف . وأما أنت فقد نهضت فى مائة ألف مقــاتل شاكى السلاح كالأُسْــد الجياع عند الكفاح فصففتهم وعبيتهم فى صحراء خوارزم ثم خرجت وحدك وبارزت شيذه بن أفراسياب وترجلت لمصارعته . ولو أعطى الغلبة وظفر[1] بك لم يبق من إيران عين ولا أثر ، ولم يسلم من رجالها ونسائها أحد . فخلصك الله تعالى من يده ، وأظفرك به . ثم قتلت الذى كنت تخاف معرته وتخشى بائقته — يعنى أفراسياب — فكان وقت رفاهيتك واستمتاعك بالملك والمملكة وتفرّغك للجلوس على تخت الســلطنة . فقلبت الأمر على الايرانيين بمــا هو أصعب وللشر أجلب ، فطويت طريق الحق والســداد ، وملت إلى الزيغ والفساد . والله عز وجل لا يستحسن منك ما أنت عليــه ، ولست تنتفع بمــا أنت فيــه . وإن استمررت على هذه الحــالة وأصررت على ما أنت عليــه من الجهالة والضــلالة لم يدر أحد حولك ،

(١) طا : والظفر .

ولم يسمع فى خير ولا شر قولك . هذه نصيحتى . فإن قبلت فقد أفلحت، و إن لم تقبل سلبت التاج والتخت » . فقال الإيرانيون : إنا موافقون لهـذا الشيخ فيما يقول، ولا يخفى ما تقتضيه العقول . فأطرق كيخسرو عند ذلك ساعة وجعل يتفكر فى نفسه وقال : إن خاشنته فى الجواب لم يكن حسنا عند الله[1] ولم آمن موجدة رستم . فالأولى أن ألاطفه ولا أكسر قلبه . ثم أقبل على الحاضرين وقال : قد سمعت كلام دستان وهأنا أحلف بخالق الزمان والمكان أنى لست فى طاعة الشيطان، ولست أميل إلا إلى طاعة الرحمن . وقد أبصرت بنور قلبى المنوّر ذلك العالم، وتحصنت بعقلى عن المكاره » . فأقبل على زال وقال : وأنت فلا تحتدّ ولا تجاوز فى كلامك الحدّ . أما ما زعمت من أنه لم يولد ذو عقل بتوران فإنى من الشجرة الكيانية : سلالة سياوخش وحافد كيكاوس . وأنتسب من جهة الأم إلى أفراسياب حافد أفريذون . ولا عار فى الانتساب اليه . واعلم أن تفريع الملوك ينشأ من البطل والفضول . و بعد أن أدركت ثارى فى أبى ، و بلغت من عدوى نهاية أربى فلا حاجة لى فى هـذه الدنيا التى إن طال فيهـا أملى وتراخى أجلى وامتدّت فيها مدّة ملكى خشيت على نفسى[2] من الزيغ واتباع هوى النفس مثل من سبق من الملوك كالضحاك و جمشيذ وتور بن أفريذون الذين سفكوا الدماء وخربوا الديار . وأما ما أنكرت من الإقدام على مبارزة شيذه فإنما باشرت بنفسى ذلك لأنى لم أر فى جميع الإيرانيين من يقوم بمقاومته و يقدر على مطاولتـه . ثم إنى قد سئمت التاج والتخت والأمر والنهى ووقفت بين يدى ربى فى هذه الأسابيع الخمسة، أتضرع اليه وأسأله أن يخلص روحى من هذه الأرض المكدرة حتى استجاب الله تعـالى دعوتى وحقق أملى . وأنت تزعم أن الشيطان قد نصب لك الحبالة وأمال قلبك إلى الزيغ والضلالة . فلا[3] أدرى بأى المكاره والأسواء تجازى على ذلك يوم الجزاء ؟ » فأظلمت الدنيا عند ذلك فى عين دستان ووثب قائمـا واعترف بذنبه واعتذر وسأله[4] الصفح والعفو. فقبل الملك معذرته وأوسع ذنبه صفحا وعفوا. ثم أشار عليه بأن يبرز مع رستم وطوس وجوذرز وجيـو وجميع الملوك والأمراء والقوّاد بالسرادقات والخيم ، ويخيموا فى الصحراء ، ويخرجوا[5] معهم الألوية والأعلام فامتثلوا أمره فى ذلك . ثم خرج فجلس فى سرادقه على تخت من الذهب وعلى أحد جانبيـه زال ورستم وعلى الجـانب الآخر طوس وجوذرز[6] ورهام وسابور و جرجين قد طأطأوا الأعناق مطرقين . فتكلم عليهم و وعظهم ونصحهم وقال لهم : اعلموا

(١) ك، طا : الله عز وجل . (٢) ك : نفسى فيها . (٣) ك : فما أدرى .

(٤) ك : العفو والصفح . (٥) صل، ك، طا : بالألوية . ومقتضى السياق هنا . و فى الشاه : حذف الباء .

(٦) ك، طا : جوذرز مع جيو ورهام . كو : وجيو ورهام .

أنه لا بد لنا من مفارقة دار الفناء . فما بالنا نتحمل بسببها كل هذا التعب والعناء ؟ فاستشعروا الخوف من خالق الأرض والسماء :

أين الأكاسرة الجبابرة الأولى كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا؟

من كل من ضاق الفضاء بجيشه حتى ثوى فحواه لحد ضيق

وكم من ملك كفر وطغى، ولوى رأسه عن طاعة ربه وعتا . وهل أنا الا واحد منهم ؟ ومن أجل ذلك قلعت قلبي من هذه الدار[1] الفانية، وأعرضت نفسي عن الملك والسلطنة . وسأفرق على الايرانيين جميع ما أملك من صامت وناطق، وأقسم أقاليم العالم بين الملوك أولى التخوت والمناطق . فإني قد صممت عزمي على الرواح، وفرغت قلبي من عالم المساء والصباح .

فلما سمعوا ذلك تحيروا في أمره ونسبوه الى الجنون . وبعد أسبوع جلس متبذلا لهم على التخت، وأوصى وقسم الممالك وكان ذلك لأمره فذلك[2] :

ذكر إيصائه الى جوذرز، وكيفية قسمة الممالك على الأكابر، وعهده الى لهراسب الى آخر أمره

ولما[3] عزم على المفارقة والارتحال فتح باب كنز من كنوزه، وسلمه الى جوذرز بن كشواذ، وأوصى اليه بإنفاقه في عمارة الخانات[4] والقناطر والمعابر التي خربت في عهد أفراسياب، وأن ينفق منه على الأيتام والأرامل وأهل التجمل الذين تحيفت أحوالهم السنون وهم من السؤال يستحيون، وأن يديم ذلك عليهم ولا يقطعه عنهم . وسلم اليه كنزا آخر يسمى باذاور، وكان مملوءا من الجواهر والأكاليل والحلي، وأمره أن يصرفها الى عمارة الآبار والقنى المطموسة في أقطار الممالك(ا) وأمره أن يفتح باب الكنز المعروف بالعروس الذي كنزه كيكاوس في مدينة السوس[5]، ويقسمها على رستم وأبيه وجيو . ثم سلم ثيابه وأسلحته الى رستم . وأعطى خيله ورعيله طوس بن نوذر . ووهب بستانه ومجلسه لجوذرز بن كشواذ . ووهب سرادقه وخيمه ودوابه المربوطة عنده لفرى برز بن كيكاوس . وسلم الى بيژن بن جيو طوقا مرصعا وخاتمين من الياقوت مكتوبا عليهما اسمه، وقال : خذ أنت هذه تذكرة .

(ا) في الشاه : الى عمارة المدن الخربة، وبيوت النار المعطلة، والشيوخ الذى لم يدخروا مالا لشيخوختهم، والآبار المطمورة . (١) ك، كو : الدنيا . (٢) كو : بذلك والسلام . (٣) طا، كو : قال ولما عزم . (٤) ك، طا، كو : الخانات والمصانع . (٥) في الشاه : مدينة طوس .

ثم قال للايرانيين : سلونى ما تريدون فقد قارب وقت انفضاض المجلس . فرفعوا أصواتهم بالبكاء والعويل لمفارقة ذلك الملك الجليل . فوثب دستان وقبل الأرض ووقف ماثلا بين يديه وقال : أنت تعلم أيها الملك صنيع رستم مع الايرانيين، وحسن بلائه فى حالتى السراء والضراء، والشدة والرخاء . ومن ذلك نهوضه الى مازندران وقتله لملك الجن وتخليصه لكيكاوس وجوذرز وطوس، وقتله لولده سهراب فى طاعة كيكاوس ثم ما فعل فى وقعة كاموس، الى غير ذلك من مقاماته المشهورة ووقائعه[1] المذكورة فى خدمة هذه الدولة القاهرة . فماذا يكون بعدك لهـذا الولى[2] الناصح ؟ فقال : ان آثاره فى خدمة هذا البيت أكثر من أن يحيط بها الوصف أو يفصح عنها اللسان ويعرب عنها البيان . فأمر فكتبوا له عهدا بسالارية رستم، وبأن يكون هو المقدم فى جميع العالم، وأن يكون له ممالك نيم روز بحذافيرها وسائر ما يضاف اليها و يعد من نواحيها . وأمر لكل واحد من الموابذة الذين استصحبهم زال بتحف فاخرة وصلات وافرة .

ثم قام جوذرز وقال : إنى من عهد منوجهر الى هـذا العهد المبارك لم أحل من وسطى نطاق العبودية، ولم أقصر يوما واحدا فى الخدمة . وكان حولى ثمانية وسبعون ولدا فلم يبق منهم غير هؤلاء الثمانية وقتل الباقون تحت الراية المنصورة . ثم لولدى جيو من الحقوق ما يعرفه الملك؛ من دخوله الى بلاد الترك وتقلبه سبع سنين فى أطرافها حتى فعل ما فعل، ثم ما[3] اتفق له بعد رجوعه الى ايران من الخدم المرضـية كما عرف واشتهر . فهو يتوقع ملاحظة بعين العناية . فقال الملك : إن أفعاله أكثر من أن تذكر . وأمر بأن يعقد له على ممالك قم و إصبهان ، وكتب له منشورا بذلك . ثم قال للحاضرين : اعلموا أن جيوا تذكرتى عندكم، و وديعتى بين أظهركم . فلا تخالفوه فيما يأمر، واتبعوه فيما يأتى ويذر» . فقعد جوذرز .

وقام طوس وقبل الأرض وقال : أيها الملك ! أنا المنتمى الى أفريذون من بين هؤلاء الأكابر. ولم أزل مشدود الوسط فى خدمة الايرانيين . وذكر مقاماته و وقائعه ثم قال : فـماذا يكون لى بعد الملك ؟ فمدحه كيخسرو وأثنى عليه وعقد له على جميع ممالك خراسان، وأقره فى مرتبته من سالارية الدرفش الجاويانى والمداس الذهبى .

ولم يبق أحد غير لهراسب فأمر الملك بيژن بن جيو بأن يحضره . فلما دخل عليه وثب قائما له وأثنى عليه . ثم نزل من التخت وأخذ التاج عن رأسه ووضعه على رأس لهراسب وأقعده فى مكانه من السرير وهناه بالسلطنة وقال : إنى قد سلمت إليك تاج الملك فلا تحرك لسانك إلا بالعـدل .

(١) ك، طا : ووقعاته . (٢) صل : والى . والتصحيح من طا، كو . (٣) ك : وما اتفق .

فإنك به تكون منصورا مسرورا. ولا تجعل للشيطان الى قلبك سبيلا إن أردت أن يكون حظك من الملك موفورا . واتبع الحق[(١)] ولا تؤذ الخلق، وكن حافظا للسانك .

فصعب على الايرانيين عهده الى لُهراسب واختياره للملك دونهم . فقام زال وأنكر عليه ذلك فى كلام من جملته أن قال : إن لهراسب قدم ولم يكن له إلا فرس واحد، فقّذه الملك الى قتال ألان، وأعطاه السالارية والكوس والعلم . فكيف بلغ به الحال الى أن أهلته لولاية العهد، وتركت هؤلاء الأكابر الذين ينتمون الى الشجرة الخُسروانية والدوحة الكيانية ؟ وكيف نخاطب بالسلطنة من لا نعرف نسبه ولا حسبه ؟ (ا) فكثر لغط الايرانيين ووافقوا زالا فيما قال . فلما سكتوا قال الملك لزال : لا تعجل ولا تحتد . فإن من قال غير الصواب تعرض للعذاب . وإن الله تعالى إذا خص أحدا بالسعادة وجعله مستحقا للسيادة حباه بالدين والحياء، والروعة والبهاء، وجمع له بين المعدلة والأصالة، والسماحة والبسالة . والله شاهد على لسانى أن هذه الخصال الجيدة والسير المرضية مجموعة فى لهراسب . وهو حافد أوشَهنج الملك الطاهر الذيل الناصح الجيب . وهو الذى يقطع دابر السحرة من وجه الأرض، ويظهر الطريق الى الله عز وجل، ويرجع به الى الزمان شبابه الناضر . ويخلفه فى ذلك بعده ولده الطاهر . حيوه بتحية الملوك، ولا تخالفوا موعظتى الصادرة عن الشفقة والخلوص . وإن من يخالف وصيتى كان سعيه هباء منثورا وكان بربه كفورا، ولن يزال مدة حياته مروعا مذعورا» . فندم زال على ما قال، وقام وخاطب لهراسب بالسلطنة، ودعا للملك وقال : من ذا يعرف انتساب لهراسب الى أوشَهنج لولا الملك؟ واعتذر اليه وسأله الصفح والعفو . فقام عند ذلك الملوك والأكابر، وحيوه بتحية الملوك، ونثروا على تاجه الجواهر . ثم قام الملك وقال : شاعكم السلام أيها الكرام . فعانق كل واحد منهم وودعهم، وهم يبكون ويضجون ، وكأنهم بلسان حالهم يقولون :

وداعك مثل وداع الحياة ... وفقدك مثل افتقاد الديَم

عليك السلام فكم من وفاء ... نفارق منك وكم من كرم

ثم ركب إلى إيوانه وودّع جواريه ونساءه . واستحضر لهراسب وأوصاه بهنّ وأمره بمراعاتهنّ واحترامهنّ والقيام بكفالتهنّ . وأن يقرّهنّ فى الدار التى كنّ بها حينئذ . وقال : عليك ألا تخجل إذا لقيتنى وسياوخش عند تحوّلك من هذه الدار إلى مستقرّ الأبرار . فتقبل لهراسب وصيته . ثم خرج

(ا) يذكر لهراسب لأوّل مرة فى الشاه فى موقعة بازده رخ السابقة حين يوليه الملك كيخسرو قيادة جيش الى بلاد اللان .

(١) ك طا، كو : العقل .

وركب وطاف على الإيرانيين وعزاهم عن نفسه ووعظهم ونصحهم . ثم أمر لهراسب بالانصراف عنه والعود إلى تخت الملك وقال : إياك أن تزرع فى الدنيا غير الخير . ومتى رأيت أن نفسك قد رغبت فى الراحة ، وزهدت فى الملك والمال فاعلم أن وقتك قد انتهى فلا تعدل عن العدل والإنصاف ، وخلص نفسك عن المكاره والأسواء . فنزل لهراسب وقبل الأرض وودّعه .

وسار الملك ، وصحبه رءوس الإيرانيين مثل دستان ورستم وجوذرز وجيو وبيژن وكُستَهم وفرى بُرز وطوس ، وسار إلى أن صعد إلى جبل فأقاموا عليه أسبوعا . وخرج فى أثره[1] نساء الإيرانيين ورجالها زهاء مائة ألف نفس يبكون ويضجون[2] حتى طنّ بصياحهم وعويلهم السهل والجبل . ثم بعد أسبوع أشار الملك على الأكابر والسادات بالانصراف من ذلك المكان ، وقال : إن أمامنا طريقا صعبا لا ماء فيه ولا عشب . فانصرف دستان ورستم وجوذرز ولم ينصرف عنه الباقون . فسار الملك وساروا معه حتى وصلوا إلى ماء فنزلوا هناك . وقال لهم الملك : إذا طلعت الشمس غدا حان وقت المفارقة . فباتوا ليلتهم عند العين . ولما كان فى الثلث الأخير من الليل قام الملك ودخل العين واغتسل . ثم ودّعهم وقال : إن الثلج غدا يسدّ عليكم الطريق فلا تهتدون إلى الرجوع إلى إيران .

ولما طلعت الشمس ركب الملك وغاب عن أعينهم فهاموا على وجوههم فى تلك الجبال والرمال يطلبونه ويبكون عليه . فلما لم يروا منه أثرا عادوا إلى تلك العين فنزلوا ساعة ، وقالوا : نستريح ثم نرتحل راجعين . وجعلوا يتعجبون من الحالة التى شاهدوها ، ويقولون : لم نسمع قط بأن أحدا فى حالة حياته ينتقل إلى جوار الله الكريم . وبقوا على تلك الحالة يبكون ويتأسفون ثم تناولوا شيئا كان معهم وناموا ساعة . فتغيمت السماء ، واشتدّ الهواء ، ومطروا ثلجا غابت فيه من كثرته رماحهم القائمة . وبقوا يضطربون تحت الثلج حتى هلكوا أجمعين § .

---

§ قصة انقباض كيخسرو واعتزاله وإصعاده فى الجبال وارتفاعه إلى السماء حيا تشبه قصة فى الحماسة الهندية العظيمة (المهابهارته) حيث يعتزم يُدهشترا أن يعتزل الملك ، ويقتدى به إخوته ويودّعهم الرجال والنساء ثم يرجع المودّعون ، ويستمر السائرون فى رحلتهم حتى تعترضهم صحراء عظيمة فيهلكون فى رمالها ما عدا يدهشترا . فيسير قدما لا يلتفت الى شىء ، ومن ورائه كلبه ، حتى يدخل السماء حيا[3] .

---

(١) طا ، كو : من نساء . (٢) ك : ويصيحون . (٣) ورنر (Warner) ج ٤ ص ١٣٨

وأما زال ورستم وجوذرز فانهم أقاموا ثلاثة أيام على ذلك الجبل الذى ذكرنا مفارقة الملك إياهم عليه، يبكون وينتحبون . ولما طلعت الشمس عن[1] اليوم الرابع، وانكشف الغيم وصحا الجو قالوا : قد طال مكثنا ها هنا ، وان كان الملك قد هلك فما بال من كانوا معه لم يعودوا ؟ فأقاموا أسبوعا آخر فايسوا منهم، وأخذوا فى البكاء والعويل ، وطفق جوذرز يضرب نحره وينتف شعره ويقول : من لقى مالقيت من ذرية كيكاوس ؟ قد كان حولى من أولادى عسكر فقتل أكثرهم بسبب الطلب بثار سياوخش ، وقد أصاب هؤلاء الباقين مع هذا الآخر ما أصابهم . وجعل ينوح عليهم ويندبهم . فأخذ زال يعزيه ويسليه . ثم رجعوا .

ولما علم لهراسب بحالهم ورجوعهم جلس على تخته فدخل عليه الأكابر والأمراء . فقال : يا قوّاد العسكر ! إنكم قد سمعتم مواعظ الملك السعيد كيخسرو ووصاياه . فمن يكن منكم بولايتى غير مسرور ولا ممتثل لأوامر الملك فإنى بكل ما أمرنى به قائم، ولجميع مراسمه ممتثل. وأنتم فلا تخالفوه أيضا ولا تخفوا من حالكم منى شيئا . فإن من نبذ وصية الملوك وراء ظهره يكون مخالفا لله فى سره وجهره . فقال دستان : إن الملك قد سماك لهذا الأمر، وقبلتُ وصيته ولست براجع عن ذلك ولا رستم . فالآن أنت المتبوع ونحن التابعون، والآمر ونحن المطيعون . فأثنى عليه لهراسب وقال: إن الملك قد عقد لكم على نيم روز، فالآن كل ما قدرتم على أخذه واستضافته اليها فقد سلطتكم عليه. وأقبل على جوذرز وقال : ماذا تقول أيها البهلوان ؟ فقال ماذا أقول وأنا رجل وحيد ؟ فذكر أولاده بهرام وجيوا وبيژن ، ومزق ثيابه ، وبقى ساعة يندبهم وينوح عليهم . ثم أفاق وقال : أنا موافق لدستان فيما قال وممتثل لأمر الملك كيخسرو فيما دبر واختار . أنت الملك ونحن كلنا لك أتباع وأشياع » . فأثنى على لهراسب سائر من حضر من الأمراء والقوّاد، وخدموه ثم انصرفوا . وانشرح صدره بما استتب له من ذلك الأمر لكنه أخر التتوج بتاج السلطنة الى يوم المهرجان اقتداء بأفريدون .

وهذا آخر الحديث عن ملك كيخسرو وسلطانه . ونتبعه بذكر نوبة لهراسب ووقائعه ان شاء الله تعالى، بسعادة مولانا السلطان الملك المعظم، ملك ملوك العرب والعجم أبى الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب لا زال تاج الملك منورا ببهائه وجماله ، وسرير السلطنة مزينا بروعته وجلاله ما تعاقب الملوان وتناوب الجديدان .

---

(١) كو : من .

ذكر نوبة لهراسب وما جرى فى عهده . وكانت مدّة ملكه مائة وعشرين سنة §

قال صاحب الكتاب[1] : ولما كان يوم المهرجان تسنم لهراسب سرير الملك، واعتصب بتاج السلطنة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : أيها الحاضرون ! استشعروا الخوف من الله المنزه القاهر الذى أجرى البحار، ونصب الجبال، ورفع السماء ، وجعلنا فى الأرض ذات الطول والعرض كنمال دارجة على كرة فى مقعر الفلك . ثم وعظهم ونصحهم ووعدهم من نفسه ببسط جناح الرأفة عليهم، ومد يد الإحسان إليهم . فأثنى عليه الحاضرون وخدموه . وبقى لهراسب على سرير الملك

---

§ رأى القارئ آنفا أن الملاحم المتمادية ختمت بقتل أبطال التورانيين ثم قتل أفراسياب وأخيه، وأن أبطال ايران الذين أبقتهم الحرب أهلكهم البرد حين خرجوا يشيعون كيخسرو ، ما عدا زالا ورستم وجوذرز . ويعيش رستم وأبوه ليعاديا الملوك لا لينصراهم كما عهدناهما فيما مضى. وهكذا تختم القصة هذا العهد لتفتح عهدا جديدا يبدؤه الملك لهراسب . وقد عرفنا أن الايرانيين لم يستحسنوا أول الأمر اختيار لهراسب للملك قائلين أنه رجل مجهول النسب فأخبرهم كيخسرو أنه من نسل أوشهنج . فهذا فارق آخر بين العهدين .

وسنرى أن باعث الحرب يتغير وميادينها . ثم يزيد ما بين العهدين من تخالف أن العهد الآتى فى الشاهنامه يشتمل على ألف بيت نظمها الدقيق قبل أن يشرع الفردوسى فى نظم الكتاب .

ويذكر لهراسب فى الأبستاق باسم أُرفط أسپه[2] ويسمى فى بعض الكتب كيلهراسب، ويلقب البلخى . ونسبه فى فارس نامه : لهراسب بن فنوجى بن كيمنش بن كيفاشين بن كيابنه بن كيقباد . وفى الآثار الباقية أن كيمنش ابن كيقباد[3] . =

---

(١) فى حاشية الأصل، ك فى هذا الموضع : ذكر المسعودى فى تاريخه أن بخت نصر الذى فتح بيت المقدس ووطئ الشام وسبى بنى اسرائيل كان أحد مرازبة لهراسب هذا . والمرزبان عبارة عن صاحب ربع المملكة . وكان قد دخل المغرب أيضا ودوّخ البلاد . وأهل التواريخ والقصاص يغلون فى أخباره . وأصحاب الزيجات يجعلونه ملكا برأسه . وليس كذلك انما هو مرزبان والله أعلم . وقد أرّخ بطليموس صاحب المجسطى من عهد بخت نصر مرزبان المغرب .

(٢) ج ٢ ص ٧٨ (٣) انظر فارس نامه ص ١٤ ، والطبرى ج ١ ، وحمزة ص ٢٧، والآثار ، ص ١٠٤

ينهى ويأمر ويعطى ويمنع حتى تمهدت له بذكائه وعقله قواعد السلطنة ، وأشرقت بأنوار معدلته أطراف المملكة، وفرّق الرسل الى الصين والهند والى جميع أطراف الأرض فبذلوا له السمع والطاعة.

ثم سار الى بلخ وبنى بها شهرستانا ، وأنشأ بها[1] متعبدات وبيوت نار ، وعمل فيها بيت نار خاصة يعرف بآذر برزين . ولهذه النار فيما بينهم الذكر الرفيع والصيت الجليل . وكان له من بنت كيكاوس ابنان كأنهما قمران يتأهل كل واحد منهما للتاج والتخت والأمر والنهى ، لما فيهما من المروءة والشجاعة والجرأة والبسالة . وكان أحدهما يسمى كُشتاسب والآخر زرير . فاتفق أن لهراسب قعد ذات يوم فى مجلس أنسه بفارس وحضر كشتاسپ . ولما دار عليه الكأس وتمكن منه السكر قام وقبل الأرض بين يدى أبيه، وقال : أنت تعلم أنه بعد رستم بن دستان ليس على وجه الأرض من يساجلني فى الشجاعة ويطاولني فى البسالة . وأنا أريد أن تسميني للسلطنة ، وتعهد

= ويروى أن بختنصر – وكان ابن عم لهراسب ، أو ابن كيو بن جوذرز – كان إصبهبذ العراق من قبَل لُهراسب ، وأن لهراسب أول من وضع ديوان الجند وجعل للرازبة سررا وحلاهم بالأسورة . واتخذ السرادقات[3] .

ومن آثاره مدينة بلخ أو سورها ، والأنبار التى بناها ليحبس بها الأسرى الذى أتى بهم بخت نصر من بيت المقدس[4] .

ثم قصة لهراسب فى الشاهنامه ٩١٦ بيت فيها العناوين الآتية :

(١) بناء لهراسپ بيت نار ببلخ . (٢) ذهاب كشتاسپ مغاضبا لهراسپ . (٣) رجوع كشتاسپ مع زرير . (٤) ذهاب كشتاسپ الى بلاد الروم . (٥) بلوغه بلاد الروم . (٦) دهقان يضيف كشتاسپ . (٧) قصة كتايون بنت قيصر . (٨) إعطاء قيصر كتايون لكشتاسپ . (٩) ميرين يخطب بنت قيصر الأخرى . (١٠) كشتاسپ يقتل الذئب . (١١) أهرن يخطب بنت الملك الثالثة . (١٢) قتل كشتاسپ التنين ، وإعطاء قيصر ابنته الى أهرن . (١٣) كشتاسپ يظهر مزاياه فى الميدان . (١٤) رسالة قيصر الى إلياس وطلب الخراج منه . (١٥) حرب كشتاسپ وإلياس ومقتل إلياس . (١٦) قيصر يطلب من لهراسپ خراج ايران . (١٧) زرير يحمل رسالة لهراسپ الى قيصر . (١٨) رجوع كشتاسپ مع زرير الى ايران ، وإعطاء لهراسپ إياه تخت ايران .

---

(١) كو ، طا : فيها . (٢) ك ، طا ، كو : زرير . (٣) حمزة والأخبار الطوال ومروج الذهب والطبرى الخ . (٤) حمزة ص ٣٧ ونزهة ١٥٥

الى حسب صنيع الملك كيخسرو بك . وأكون مع ذلك متصفا بعبوديتك وملازما لخدمتك . فقال له أبوه : إنك بعد فى ريعان الحداثة وغرة الشبيبة . فدع طلب هذه المرتبة ، ولا تقل إلا ما يستحسنه العقل ويقتضيه الذكاء . فعظم ذلك عليه . وكان له ثلثمائة فارس فركب فيهم وقت المساء، وفارق خدمة أبيه متوجها الى حضرة ملك الهند. وزعم أنه جاءه منه كتاب يستدعيه. ولما أصبح أبوه وقف على حاله ، واهتم لصنيعه، وأحضر نصحاءه وأصحاب رأيه، وفاوضهم فى أمر ولده، وشكا إليهم صنيعه، وقال : ربيته حتى شب وترعرع ، ولما دنا وقت الانتفاع بمكانه بادر الفرار ونغص على العيش والقرار» . فدعا بولده الآخر زرير ونفذه فى ألف فارس على طريق الهند، ونفذ كستهم فى جمع على طريق الروم، ونفذ برازه[1] على طريق الصين، وأمر كل واحد منهم بالجد فى طلبه واسترجاعه قبل أن يصل إلى مهربه .

قال : فسار كشتاسب الجافى حتى وصل الى أطراف كابل فرأى رياضا معشبة وغياضا متأشبة وأنهارا جارية وصيدا كثيرا فنزل فيها واشتغل بالشرب فى ليله ثم أدلج بالبزاة والفهود والجوارح فى طلب الصيد . فلحقه أخوه فى ذلك المكان . ولما رأى وجهه ترجل وقبل الأرض، وأجهش اليه بالبكاء، وتعانقا[2] ورجعا الى المخيم فقعدوا فيه وتناوشوا أطراف الحديث ؛ فقال له أخوه المذكور : أيها الأمير الكبير ! إن الموابذة والمنجمين فى أرض إيران يخبرون بسعادتك وعلو جدك ، وأنك تبلغ مرتبة الملك كيخسرو. واذا دخلت الى بلاد الهند احتجت الى خدمة ملكها الذى لايعبد الملك وليس على دينك . فافكر فى أمرك، وانظر كيف يقتضى العقل هذا، وهل يحسن بمثلك أن يدخل تحت طاعة ملك الهند ؟ هذا مع أنك[3] لك الحسنى عند أبيك، والعتبى بعد تأبيك. ولا ندرى من أى جهة[4] تكرهته ومللته . فقال : إن وجوهنا لا ماء لها عند أبينا، وهو شرس الخلق ولا يميل إلا الى الكاوسية ومن ينتسب الى تلك الجرثومة، وليس لى ولا لك عنده مكانة، وهو لا يرشحنا إلا للعبودية والخدمة . ولكنى أرجع من أجلك ، فإن جعل لى تاج مملكة إيران وقفت فى خدمته على القدم، وخدمته خدمة الوثنى للصنم . وإن لم يفعل ذلك فارقت بابه، وهجرت جنابه، وسرت إلى موضع لا يهتدى اليه » . ثم رجع مع أخيه . فلما بلغ أباه رجوعه ركب لاستقباله فترجل لأبيه وقبل الأرض . فعانقه أبوه ولاطفه ودعا له . ثم عاد به الى إيوانه . وأقام عنده زمانا لا يصل إلى مراده منه، ويرى أكثر اعتنائه بأمر الكاوسيين . فكان يتقلب على جمر الهموم ويتجرع مرارة

---

(١) ك : براره . (٢) ك، طا، كو : فتعانقا . (٣) ك، طا، كو : مع أن لك .
(٤) ك : من أى وجه .

الغصص . فعزم على مفارقته وقال فى نفسه : إن استصحبت عسكرى علم بى وأنفذ خلفى وردّنى. (١٠٣)
فركب وحده ذات ليلة وحمل معه من الجواهر ما أراد، وتوجه قاصدا إلى بلاد الروم .

ذكر مسير كُشتاسب إلى بلاد الروم، وما جرى عليه[1]

قال : ولما أصبح أبوه واطلع على حاله أحضر زرير، واستدعى الموابذة ، وذكر لهم حال كشتاسب . فقال له أحدهم : فرق العسكر فى طلبه فاذا ردّوه اليك فلا تبخل عليه واعهد اليه ، فهو يستحق ذلك بما فيه من الشهامة والصرامة » . ففرق الأكابر فى طلبه فطافوا فى أطراف المملكة فلم يقفوا له على خبر ولا عثروا منه على أثر فعادوا خائبين .

وأما كشتاسب فإنه سار حتى قرب من البحر . وكان الموكل بالسفن رجلا عاقلا يسمى هيشويَه فسأله مركبا يعبر فيه، وقال : أنا كاتب من أرض إيران ، وأريد الدخول إلى بلاد الروم . فقال : ما أرى[2] شمائل الكتّاب . وما أراك ، لما أشاهد عليك من البهاء والأبهة، إلا من الملوك . ولا سبيل لك إلى العبور إلا بأن تصدقنى عن حالك أو تعطينى بعض ما معك » . فأرضاه بمال وهبه له وعبر . وكانت هناك مدينة بناها سلم بن أفريذون فى طول ثلاثة فراسخ، وهى مستقر سرير قيصر ملك الروم. فدخلها كشتاسب وبقى فيها مدّة مديدة حتى أنفق جميع ما كان معه، وضاقت يده فدخل إلى ديوان قيصر وقال لبعض الأساقفة : إنى كاتب من أرض إيران . وسألهم أن يستكتبوه أو يستنيبوه فى بعض الأعمال . فنظروا الى أعضاده الشديدة، وتفرسوا فى شكله وقوته، وقالوا : إن هذا ليبكى قلم الحديد من مخافته، ويحترق القرطاس من مهابته، ولا يصلح له إلا فرس يعلوه وسلاح يعانيه » . ولم يقبلوه فرجع مهموما يتنفس الصعداء فصار نحو جوبان قيصر وسأله أن يستخدمه فلم يقبله أيضا، وقال : أنت رجل أجنبى ولا آمنك على الخيل . فتركه وصار إلى الساربان ، وسأله أن يقاطعه على خدمة الجمال . فقال : لا يليق بك أن تكون جمّالا . ولو دخلت الى دار قيصر ورآك لأغناك عن هذا . فاقصد بابه ولا تعدل عنه » . وعزم عليه فى ذلك .

فانصرف ودخل البلد وهو حزين كئيب فدخل سوق الحدّادين، وجلس على طرف دكان حدّاد يسمى بوراب فأطال القعود عنده . فاستعرض حاجته . فقال : إن رأيت أن تستعملنى فى تطريق الحديد فافعل . فإنى أقوم به وأغنى غناء حسنا. فأجابه الى ذلك ، وطرح فى النار بيضة من الحديد حتى اذا احمرت وصارت كوهج النار اجترّها ووضعها على السندان ، وأعطاه الفِطّيس فلم يزد[3] على

---

(١) طا : فيما عليه . (٢) كو، طا : ما أرى عليك . (٣) صل : فلم يزد أن . والتصحيح من ك، كو، طا .

أن ضربها ضربة واحدة رض بهـا الحديدة وفلق السندان فطارت الحديدة شعاعا وتفرّقت فرقا . فطنّ السوق بحديثه ، واجتمع عليه خلق ففزع بوراب وقال : أيها الشاب ! إن السندان لا يطيق قوتك ، وأنت لا تصلح لهذا العمل . فرمى الفِطّيس وخرج من دكانه وهو جائع لا يجد مطعما ولا يرجع الى مسكن ، وقد غلبه الهم والحزن . وقـد وصف صاحب الكتاب حاله بمـا أعرب عنه الشاعر بقوله حيث يقول :

بلونا ما تجيء به الليـالى	فلا صبح يدوم ولا مسـاء
وأنضينا المدى طربا وهما	فمـا بقى النعيم ولا الشـقاء
اذا كان الأسى داء مقيما	ففى حسن العـزاء له شفاء
وما يجى من الغمرات إلا	طعـان أو ضراب أو رِماء
سيُقطعك المثقف ما تمنى	ويعطيك المهنـد ما تشـاء

قال : فخرج من المدينة الى ضيعة قريبة منها كثيرة المـاء والشجر . فتفيأ فى صحرائها بظل شجرة ، وأطرق يفكر فى حاله ويبكى . فمّر به رجل من أهل تلك الضيعة حميـد السيرة مرضى الخلق ، فرآه على تلك الحالة فاستخبره عما به ولاطفه فى استعلام حاله ، واستدعاه الى ضيافته . فسأله كشتاسب عن محتده وأصله . فقال له : أى غرض لك فى هـذا السؤال ؟ فلم يجبه حتى أخبره بأصله[1] وأنه من ذرية أفريذون . فنهض معه عند ذلك الى منزله . وجعل يخدمه خدمة الأخ الشفيق . وبقى عنده على ذلك أشهرا من الزمان .

وكانت عادة قيصر فى ذلك الزمان أنه اذا أدركت إحدى بنـاته وحان حين تزويجها ألا يزوّجها إلا ممن تختـار وتريد ؛ فتجلس فى إيوان ويجتمع إليهـا الأمراء والخواص والعوام . فمن وقع عليه نظرها ورضيته لنفسها أعطته باقة ريحان . فتزوّج حينئذ منه . وكانت للملك ثلاث بنات موصوفات بالجمال والأدب والعقل . فدخل وقت تزويج كبراهن وكانت تسمى كتايون . فرأت فى المنام أنه احتفل لهـا الناس على عادتهم فحضر رجل استنارت به الأرض كأنه قمر زاهر أو سرو ناضر غير أنه غريب كئيب ، فأعطته هى باقة ريحان وأعطاها هو باقة أخرى . فانتبهت ، ولمـا طلعت الشمس اجتمع الناس على عادتهـم فتبرجت فى ستين جارية مع كل واحدة منهن باقة ورد وريحان فتأملت[2] فى جميع الحاضرين فلم تقع عينها على أحد ترتضيه ، فانصرفوا . ولمـا كان الغد قال الذى نزل عنده كُشتاسب له : ما بالك قاعدا مهموما ؟ فقم واذهب وتفرّج على اجتماع الناس لعرس بنت الملك . فخرج معه

(١) ك : من أصله . (٢) طا : تأملت جميع .

وصار الى إيوان قيصر، وقد اجتمعوا اجتماعهم بالأمس . فقعد كشتاسب فى زاوية من المجلس . فتبرجت كتايون وطافت على الحاضرين، فلما انتهت الى كشتاسب أعطته ما معها من الورد والريحان. فارتفعت الأصوات وبادر الوزير إلى الملك وقال : إن كتايون اختارت من القوم رجلا رشيق القدّ صبيح الوجه قد أعطاه الله رونقا وبهاء ، وكساه أبهـة وجلالا . غير أنا لا نعرفه ولا نعرف أصـله ومحتده». فعظم ذلك على قيصر وقال : لا عاشت البنت فإنها تجلب العار والشنار . كيف أزوج بنتى من رجل خامل الذكر غير معروف بفخامة الأمر وجلالة القدر؟ والرأى أن نقطع رأس المختار والمختارة من وراء الستارة . فأنكر الأسقف عليه ذلك وقال[١]: هذا طريق ما سلكه أحد من آبائك . فلا تسلك أنت فيه فإنه غير مبارك ولا مرضى عند الملوك. وصرفه عن رأيه ذلك واستقر الأمر على أن يزوّجها إياه . فزوّجها منه وقال لها : اخرجى معه ولا حِلى لك عندى ولا حُلىّ ولا تاج ولا طوق ولا سوار . فقال لها كشتاسب : مالك لم تختارى واحدا من هؤلاء الملوك والأمراء حتى لا[٢] يتغير فيك رأى الملك؟ ومالك اخترت رجلا غريبا مسكينا؟ فقالت له : إذا كنت قد رضيت بك مع هذه الحالة فمالك تكثر الفضول؟ نخرج. وطيب قلوبهما الدهخُداء[٣] الذى كان أنزله فى منزله ، وأخلى لهما دارا، وقام بخدمتهما. وكانت مع كتايون جواهر لها قيمة فأعطته فصا من الياقوت فباعه بستة آلاف دينار . فاشترى منـه ما احتاجا إليـه من المفارش والملابس وغير ذلك . ومال كل واحد منهما الى صاحبه، وأخذا يزجيان أوقاتهما § وكان الصيد والقنص معظم ما يشتغل به كشتاسب ، فلم يكن يفـارقه القوس

---

§ عرفت هـذه القصة منذ زمان الاسكندر المقدونى فى رواية تخالف ما فى الشاهنامه بعض المخالفة : نقل أثنوس عن جارس المتلينى[٤] . وكان جارس من حاشية الاسكندر، وكتب تاريخه فى عشرة كتب لم يبق منها إلا شذرات فى بعض الكتب — أن هستسپس وزريدرس كانا أخوين جميلين جدا حتى زعم الناس أنهما ابنا أفروديت . وكان هستسپس وهو أكبرهما، ملك مِديا . وكان زريدرس ملكا على الأرض التى فوق البحر القزوينى حتى نهـر تنيس . وكان وراء هذا النهر منازل قوم اسمهم المرائى، ولهم زعيم إسمه أُمَرتِس . وكان لهـذا الزعيم بنت اسمها أُداتِس كانت أجمل نساء آسيا . رأت أداتس فى منامها زريدرس فشغفت به حبا ورآها هو فى منامه فهام بها . ولما خطبها الى أبيها أبى أن يزوّجها منه إذ لم يكن له ابن،وكان يريد أن يزوجها من بعض بطانته. و بعد حين جمع أكابر مملكته ليحتفلوا لتزويجها دون أن يُعرف ممن تزوّج . و بينا القوم فى لهوهم دعا أُمَرتِس =

(١) لفظ «قال» ليس فى الأصل . والتصحيح من ك، كو، طا . (٢) صل، ك، طا : لم يتغير . والتصحيح من كو .
(٣) ك : الدهخداه، وفى الشاه : كدخداى . (٤) Chares, Athenœus

والتركش . فخرج يوما على عادته الى الصيد فرجع ومعه عدة من أنواع الصيد . فاتفق مروره على هيشويه المتولى للبحر الذى سبق ذكره فعرفه فتلقاه وأكرمه . فقدّم إليه كشتاسب ما معه من الصيد، وحصلت بينهما صداقة عظيمة ومودة أكيدة. وكان كل يوم إذا رجع من الصيد يحضر عنده و يقدّم له بعض ما اصطاده ، و إذ انصرف الى ضيعته قدّم بعض ما صحبه من الصيد الى صاحب الدار ، وفرّق الباقى على أهل الضيعة .

قال : وكان فى قوّاد قيصر أمير كبير من بيت كبير من الوجوه المشهورين . فخطب الى قيصر بنته فقال : إنى قد تركت ما سبق لنا فى هـذا من الرسم والآيين . ولست أزوج بنتى إلا ممن يفعل فعـلة عظيمة مذكورة؛ فيركب الى أجمة فاسقون[1] فإنّ فيهـا ذئبا أغبر فى ضراوة ثعبان وقوّة فيل — فى أوصاف ذكرها صاحب الكتاب منها أنه كان له قرن — فمن قتل هذا الشيطان أجبته الى ما يريد ، وصاهرته » . فضاقت الأرض على الأمير الخاطب بما رحبت ، فرجع الى إيوانه ، وخلا بنفسه ،

= ابنته وقال: يا أداتس ابنتى! نحن مجتمعون لزواجك فانظرى فمن راقك فى هذا الجمع فاملئى له كأسا ذهبية وناوليه . فنظرت فى الحاضرين ثم ارتدت باكية اذ لم تر بينهـم زريدَرِس، وكانت قد أنبأته بهذا الحفل . وكان هو معسكرا على نهر تنيس فترك جيشه مسارعا اليها ليس يصحبه إلا سائق عجلته. واجتاز النهر يطوى المسافات النائيـة لا يلوى على شيء حتى بلغ المدينة فترك العجلة والسائق وتقدم الى المحفل فاذا أداتس بجانب المـائدة تبكى وتملأ الكأس متباطئة ترجوُ أن يحضر حبيبها قبـل أن تملأها . فاقترب منها وقال : هأنذا كما أمرت يا أداتس ! أنا زريدرس . فالتفتت فاذا رجل باهر الطلعة كالذى كانت تراه فى منامها فناولته الكأس . وحملها الى عربته وفرّ بها . وبعد قليل تفقدها أبوها فقال الخدم وهم يعرفون جلية الأمر : لا نعرف أين ذهبت .

ويقول المؤرّخ : إن قصة عشقهما شائعة بين الأسيويين ، وقد اتخذوا منها صورا فى معابدهم وقصورهم ودورهم . وكثير من الكبراء يسمون بناتهم أداتس .

ولايخفى على القارئ أن هِستَسِبس وزريَدرِس فى هذه القصة هما كُشتاسب وزرير اللذان فى الشاهنامه .

ثم اختيار المرأة زوجها على هـذه الشاكلة كان دأب الهند القدماء . وفى كتاب المهابهارَته قصة تشبه هذه القصة[2] .

(١) فى الشاه : فاسقون .

(٢) انظر الشاهنامه : ترجمة ورنر (Warner) ج ٤ ص ٣١٤ وما بعدها .

وأخذ يطالع الكتب فرأى فى كلام بعض علمائهم المتقدّمين أنه يأتيهم فى الزمان الفلانى رجل من أهل إيران فيتيسر له ثلاثة أمور: أن يتزوج بابنة قيصر، وأن يقتل فى أرض الروم سبعين قد عظمت أذيتهما للناس . وكان الرجل قد علم من حال كشتاسب اتصاله بكتايون بنت قيصر ومصاحبته لهيشويه ومصادقته له، فركب الى هيشويه ، وذكر له حاله، وحكى له مارآه فى كتاب الفيلسوف . فقال له : إن هذا الرجل الذى وصفته لم يأتنى بالأمس ، وهو يأتينى الساعة فلا تبرح . فأحضر[1] الشراب والمغانى . ولما دارت عليهم الكأس أربع دورات ظهر لهم كشتاسب من الطريق. فركب هيشويه مع ميرين، وهو الأمير المذكور، وتلقاه[2] . ولما قربا منه ترجلا له وقبل هيشويه الأرض بين يديه . وعدلوا الى جانب[3] وأحضروا الطعام والشراب، واندفعوا فى الأكل والشرب. ولما ثمل كشتاسب أقبل عليه هيشويه وقال: إن ميرين هذا رجل عاقل عالم منجم قد نظر فى كتب الفلاسفة، وهو عالم بأحوالهم . وهو مع هذه الخصال ينتسب الى سلم بن أفريذون، وعنده صمصامة سلم التى كانت لا تفارقه . وهو فارس مقدام . وقد أراد التشرف باتصاله بقيصر فخطب اليه ابنته، فزعم أنه لا يزوجه إياها إلا بعد أن يقتل الذئب الذى من صفته كيت وكيت. فإن كفيته هذا المهم،وقتلت له هذا السبع كنت لك عبدا، وكان هذا الأمير لك نسيبا وحميا . فقال له كشتاسب : إن هذا أمر هين . فهاتوا فرسا قويا، وهاتوا سيف سلم الذى وصفتموه . فركب ميرين الى منزله، وأخرج فرسا أدهم، وحمل السيف مع درع وخوذة، واستصحب تحفا من الجواهر والثياب وغيرها . وجاء بذلك[4] هيشويه . فلما جاء كشتاسب من منزله قدّم ذلك بين يديه فقبل الفرس والسيف ، ووهب البقية لهيشويه . ثم لبس الخفتان وركب الفرس، وتوجه نحو الأجمة، وأمامه ميرين وهيشويه حتى دنوا من الأجمة المذكورة. فأراه هيشويه مربض السبع، ورجع مع ميرين القهقرى وراءهما، وقعدا يتلهفان على كشتاسب حيث ألقى بيده الى التهلكة . وأما كشتاسب فإنه نزل عند الغيضة وسجد لله تعالى واستنصره واستعانه . ثم ركب ودخل الأجمة فزأر زأرة كاد يتمزق من هولها وشدّتها مرائر السباع التى هنالك . فلما رآه الذئب همهم كالسحاب الراعد، وأقبل اليه يشقق الأرض بأظافيره . فرشقه بسهام صائبة بجرحه . فربض مما ناله من ألم الجراح واستراح ساعة ثم حمل على كشتاسب وشق بقرنه بطن فرسه . فترجل كشتاسب وعلا رأسه بسيفه ففلق هامته حتى انتهى الى زوره ، ووقع صريعا . وخرّ كشتاسب ساجدا لله عز وجل شكرا[5] على ماأولاه. ثم قلع سنين من أسنان الذئب كأنهما حربتان مؤللتان، وكرّ راجعا راجلا الى صاحبيه . وكانا قد أقاما المأتم عليه . فلما تراءى لهما

---

(١) ك، طا : فأحضره. (٢) ك، طا : وتلقياه. (٣) طا، كو: الى جانب الماء. (٤) ك، طا : بذلك كله . كو : بذلك كله الى . (٥) كلمة "شكرا" ليست فى الأصل . وفى ك، طا : ساجدا لله تعالى شكرا على الخ .

من بعيد وثبا مبادرين اليه فعانقاه، واستخبراه عما جرى له، فأعلمها بما يسر له من قتل ذلك السبع، وأشار عليهما بدخول الغيضة ليشاهدا العجب . ففعلا ورجعا اليه وقد انشرحت صدورهما بذلك . فانصرفوا وقدّم ميرين تحفا كثيرة وهدايا وافرة لكشتاسب فلم يقبل منها إلا فرسا ركبه وعاد الى منزله . وبادر ميرين الى حضرة قيصر وقال : أيها الملك ! قد كفيت أمر ذلك السبع العظيم . وقد قددته من مفرقه الى زوره بنصفين . ففرح له قيصر واستبشر وأمر بأن يخرج من الأجمة على العجل الى الميدان . فلما شاهده الملك صفق بيديه فرحا وسرورا . ثم أحضر الأسقف وزوّج ميرين ابنته. وأمر بتفريق الكتب الى بطارقة الروم يخبرهم بما تسنى لميرين من كفاية شر ذلك السبع الهائل والتنين الصائل .

(١٠٥)

قصة كشتاسب مع أهرَن

قال : وكان فى بلاد الروم أمير آخر يسمى أهرن ذا بيت فى الشرف أصيل وعرق فى المجد عريق . فأرسل الى قيصر يخطب اليه ابنته التى بقيت عنده ، ويقول : أنت تعلم أنى أشرف من ميرين حسبا ، وأكرم منه نسبا ، وأطول منه باعا، وأرحب منه ذراعا . فأرسل إليه الملك يقول : إنه لا يخفى أنى لم أزوّج ابنتى من ميرين حتى فعل بالسبع ما فعل . فإن كنت راغبا فى هذه المصاهرة فلا بد لك من مثل ما فعله ميرين . فى[1] جبل سقيلا ثعبان قد ضيق على الخلق هذا الإقليم . فإن قتلته وكفيت الروم شره أجبتك الى ما سألت . قال : فافكر أهرن ففطن أن قتل الذئب ليس من صنيع ميرين، وأن تلك الضربة ليست ضربته . وقال : الرأى . أن أركب الى هذا المحتال، واستخبره عن الحال فعساه أن[2] يصدقنى الخبر . فركب فى موكبه وجاء الى باب إيوان ميرين، واستأذن ودخل فتلقاه ميرين بأتم إعظام وإكرام . ثم خلا به وقال[3] : إنى جئتك لأستخبرك عن شىء، ولا بد أن تكشف الغطاء وتصدقنى عنه . فضمن له عن نفسه الصدق فيما يسأله . فقال : إنى خطبت الى قيصر ابنته فأجابنى على شريطة أن أقتل الثعبان . فأخبرنى الآن كيف كان حرب السبع، ودلنى على وجه الحيلة فيه . فأطرق ميرين عند ذلك ساعة مفكرا، وقال فى نفسه : إن لم أخبره بمصدوقة الحال لم يخف الأمر عليه . والصدق هو رأس مال الفتوة، والكذب مباين للمروة . والرأى أن أدله على الرجل فلعله تحسم على يده أيضا مادة شر هذا الثعبان، وأعتضد بأهرن ونكون بين الروم يدا واحدة لئلا يتمكن منا عدو، ثم ندبر على هذا الفارس نقتله[4] ليخفى الأمر ولا يطلع عليه أحد » .

---

(١) ك ، طا : وفى جبل . (٢) ك ، كو ، طا : فعساه يصدقنى . (٣) صل : ثم قال . والتصحيح من ك ، كو ، طا . (٤) ك : فنقتله .

ثم استحلف أهرن على الكتمان لخلف له . فكتب الى هيشويه كتابا ، وذكر فيه أن أهرن من أولاد القياصرة ، وأنه ممن لا يخفى شرفه . وقد خطب الى الملك ابنته فأجابه وشرط عليه أن يقتل الثعبان الذى فى جبل سقيلا . والآن فقد توسل بى اليك لتدبر أمره . فحمل أهرن كتابه الى هيشويه فضمن له ذلك . فأقبل كُشتاسب فتلقاه مع أهرن وخدماه . ولما نزل عرض عليه ما تجشم لأجله أهرن[1] بعد أن ذكر حسبه ونسبه ورغبته فى مصاهرة قيصر . فقال : استعمل حربة طولها خمسة أذرع فى كل واحد من طرفيها سنان مؤلل كأسنان الحية رأسه كإبرة الشوك . وأحضر لى فرسا وجوشنا حتى أكفيهم أمر هذا الثعبان الهائل بإذن الله عز وجل . فعمل أهرن ما أشار به عليه ، وحمله وجاء الى هيشويه . وجاء كشتاسب وركب وركبا معه وساروا حتى قربوا من ذلك الجبل . فوقفا وصعد كشتاسب الجبل ، وقد طلعت الشمس ، فرأى ثعبانا متغيظا قد فتح فاه عن مثل الجحيم ، واجترّ اليه كشتاسب بنَفَسه . فرماه بالنشاب ، ولما قرب منه وضع الحربة ما بين فكيه . فعض عليها فدخلت فى حلقه فأخذ يغرغر ويقذف السم من فيه حتى كاد يغمر وجه الأرض بسمه . ثم علا رأسه ، وضربه ضربة أفرغت دماغه ما بين تلك الحجارة . فترجل وقلع من[2] شدقيه نابين طويلين ، وانصرف نحو عين هناك واغتسل وسجد يبكى ويعفر وجهه فى التراب يدعو الله تعالى ويشكره على إعانته إياه على ذلك السبع العظيم ، وهذا الثعبان الهائل ، ويسأله أن يجمع شمله بأبيه وأخيه . ثم ركب مخضل الوجه بدموعه ، وعاد إلى صاحبيه ففرح بذلك أهرن ، ولما عاد إلى منزله أهدى له هدايا كثيرة من التحف والثياب والجواهر والخيل والأسلحة . فلم يأخذ لنفسه منها غير فرس وقوس وعدّة سهام . ووهب الباقى لهيشويه . فركب أهرن الى منزله ، وانتشر الخبر فى المدينة بأن أهرن قتل الثعبان . وحُمل الثعبان على العجل الى ميدان قيصر . وكان كقطعة جبل . فاجتمع الناس ينظرون اليه ، وابتهج قيصر لذلك ، واتخذ ذلك اليوم عيدا . ولما كان من الغد استدعى الأسقف والبطارقة والجاثليق ، وسلم ابنته الى أهرن . وكان يظهر التبجح به وبالختن الآخر الذى يسمى ميرين . وبنى قصرا مشرفا على الميدان فكان يجلس فيه وينظر الى لعبهما فى الميدان بالكرة والصولجان حتى مضى على ذلك زمان . فاتفق أن ابنة قيصر التى[3] تحت كشتاسب قالت له ذات يوم : مالك لا تركب الى ميدان الملك وتتنفس ساعة وتلهى عن نفسك بعض هذا الهم والحزن ؟ فاستحضر مركوبه ، وركب ودخل الميدان ، ووقف ساعة ينظر الى مطاردة من هناك من الأمراء وملاعبتهم بالكرة . فاستدعى صولجانا ، وتقدم ولاعبهم فغلب الكل غلبة قضوا منها العجب .

---

(١) لفظ «أهرن» من ك ، كو ، طا . (٢) لفظ «من» من كو ، ك ، طا . (٣) طا : التى هى .

ثم شرعوا فى النضال والمراماة فنضلهم كشتاسب . فتعجب قيصر منه واستحضره واستدناه واستخبره عن اسمه وحاله ومولده . فقال: أنا ذاك العبد الذليل الذى طرده الملك من المدينة، وجفا ابنته حيث اختارته غريبا نازح الوطن بعيدا عن الأهل والسكن . وهو الذى قتل السبع الهائل والثعبان الصائل، وكفى الروم شر هذين الشيطانين . ثم قال : وهيشويه دلنى عليهما . وأنيابهما بعدُ عندى فى البيت . فان رأى الملك أن يسأل هيشويه عن ذلك فليفعل ليعلم أنه ليس فى مصاهرتى عار ولا فى مواصلتى شنار . فجاء هيشويه وشهد بذلك، وأحضر هو أنياب السبعين بين يدى الملك، فغضب على أهرن وميرين، وقال : كيف كان يخفى هـذا الأمر؟ ثم اعتذر الى كشتاسب واعترف بالتقصير فى حقه . وقال : أين ولدى كتايون فقد ظلمتها كثيرا ؟ فحضرت فى الحـال بين يديه فاعتذر اليها عما سلف، ولاطفها وقال لها : هل سألت زوجك عن حاله وأصله ومحتده ومولده ؟ فقالت : إنى سألته كثيرا عما يقوله الملك ولكنه ليس يخبرنى عن مصدوقة الحال ، ولا يطلعنى على حقيقة الأمر . ولا أشك أنه من بيت عظيم وعرق كريم . فانصرف قيصر الى إيوانه . ثم أتاه كشتاسب من الغـد ودخل عليـه فأجلسه بجنبه على تخت من الذهب ، فأحضروا له منطقة وخاتما وتاجا قيصريا . فقبل التاج ووضعه على رأسه واعتذر اليه، وقال لأصحابه : كونوا كلكم مطيعين لفرخ زاد — يعنى كشتاسب، وكان قد تسمى عندهم بهذا الاسم وأخفى اسمه الأول — ولا تخالفوه فى قوله ولا فعله ، وكونوا أيقاظا فى خدمته .

ذكر ما جرى بين إلياس ملك الخزر وبين قيصر

قال : وكان إقليم الخزر أقرب الأقاليم الى بلاد الروم . وكان ملكهم إلياس ابن الملك مهراس . فكتب اليـه قيصر[1] كتابا يبرق فيـه ويرعد حتى كأنه قطر بقلمه دما، وقال : إنك قد استوليت على ممـالك الخزر فى هذه المدة المديدة، وقد انتهت الآن أيام استبدادك بها . فنفـذ الينا الخراج والحمل ورهائن من أولادك . وإلا ففرخ زاد[2] يسير اليك، ويدوّخ[3] بلادك، ويملك تختك وتاجك . فاغتاظ إلياس حين قرأ الكتاب، وأرسل اليـه يقول : إنا ما سمعنا قبل اليوم بكل هذه الرجولية والشجاعة فى الروم . وأنت أما ترضى، إذا لم أطلب منك الخراج، أن تنجو منى رأسا برأس ؟ وأراك[4] قد تهت وأعجبت بنفسك منـذ استأمن اليك هذا الفارس . وهذا الرجل الوحيد ولو كان جبل حديد فليس إلا من حبالاتك وأشراكك التى نصبها الشيطان لهلاكك . ثم لا تجشمه النهوض الىّ فإنى لا أتأخر

(١) صل : الملك قيصر . والتصحيح من ك ، كو ، طا . (٢) فى نسخ الترجمة كلها : فرخ زاد مثير فاه .
(٣) ما بين الشرطتين ساقط من ك . (٤) «وأراك — الى — الفارس» . ساقط من ك .

عن المسير إليك . وبلغ جوابه هـذا الى أهرن وميرين فأرسلا الى قيصر وقالا : إن إليـاس ليس كالسبع والثعبان . فاحذر أن يخلف ظنك فرخ زاذ اذا تضرمت نار الحرب، وانتصب إلياس للطعن والضرب . فاغتاظ قيصر من كلامهما واستحضر فرخ زاذ وقال له : اعلم أن اليـاس رجل شجاع مسعر يحطم الأسد ببأسه ولا يصطلى أحد بناره . فان كنت تقـدر على مطاولته وتستطيع مقاومتـه فأعلمنى، و إن كان غير ذلك فأعلمنى أيضا لأرى رأيا آخر، وأصرفه بالرفق والمداراة عما عزم عليه. فقال[1] له : أى حاجة لك الى هذا التطويل والقال والقيل ؟ إنى اذا علوت ظهر الفرس لم أفكر فى جميع رجال الخزر . غير أنى لا آمن المخامرة من ميرين وأهرن . فتعاون أنت وابنك على حمـاية ظهرى فى ملتحم القتال . فانى بحول الله وقوته لا أبقى إلياس ولا جيشه ولا تاجه ولا تخته .

قال: ولمـا كان من الغد وصل عسكر إلياس فأشار قيصر على كشتاسب بأن يبرز بعسكره من المدينة ويزحف إليهـم . فبرز بهم الى المصاف . ولمـا رآه الياس، وشاهد شـدّة أعضاده وعبالة صدره وكيفية كره وفره أرسل اليه فارسا ، وقصد أن يخدعه ويصرفه عن وجهـه بمـال يعطيه أو ولاية يجعلها له . فأجابه كشتاسب وقال : إنك تضرب فى حديد بارد . وما أنا ممن يخـدع لك ، وتؤثر فيه رقيتك .

ولمـا طلعت الشـمس من الغد ركب عسكر الروم وجاء قيصر وعبى الصفوف ورتبها ، فخلّف ميرين وأهرن لحفظ الأثقال وما وراء العسكر، ووقف فى الميمنة ، ورتب ولده المسمى سقيل فى الميسرة، وجعل كشتاسب فى القلب. فتزاحف الفريقان والتقى الجمعان. ولمـا رأى الياس كشتاسب قال لأصحابه : انمـا طلب قيصر منا الخراج لكون هـذا الفارس على بابه . قال : وتلاقى إليـاس وكشتاسب فسدّد اليه إلياس سهما فأخطاه، وبادره كشتاسب فطعنه طعنة أذرته عن ظهر الفرس، ثم مدّ يده[2] وأخذ بأطواقه واجتره من بين فرسانه، وركض به الى قيصر فسلمه اليه . ثم عاود المعترك وزحف بجموعه الى صفوف الخزر فزحزحهم عن مواقفهم ، وبدّد جموعهم ومزقهم كل ممزق ، بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة . ثم ترك الروميين فى أقفيتهم، وانصرف نحو قيصر فتلقاه قرير العين منشرح الصدر فشكر سعيه وقبله بين عينيه . ثم انصرفوا الى[3] دار الملك مظفرين منصورين. وخدمت الروم كشتاسب بالهـدايا والتحف وأنواع المبار والخدم . ثم بعد مضى أدوار من الزمان شاور قيصر كشتاسب فى إنفاذه رسولا الى لُهراسب ومطالبته بأداء الخراج و إيذانه بالحرب. فقال له كشتاسب : رأيك أصوب وأحكم . فافعل ما ترى .

---

(١) صل : وقال : والتصحيح من ك ، كو ، طا . (٢) ك : يده اليه . (٣) طا ، كو : ملوك الروم .

ذكر مراسلة قيصر لهراسبَ بذلك

قال : وكان فى أصحاب قيصر رجل عاقل معروف بالشهامة والصرامة مذكور برصانة الرأى ورزانة العقل يسمى قالوس . فأرسله الى لهراسب وأمره أن يقول له : أدّ الينا خراج ايران ليبق عليك ملكك . وإن لم تفعل ذلك نفذت اليك فرخ زاذ فيدوّخ ديارك ويملك بلادك . فمضى الرسول الى لهراسب . فلما وصل أعلم بوصوله ، فجلس على تخت من العاج ، واعتصب بالتاج ، ومثل بين يديه الأمراء والقوّاد سماطين . ثم أمر بادخال الرسول . فدخل وأدّى اليه الرسالة[1] فعظم عليه ذلك . ثم أمر بانزاله فى موضع يليق بجلالة قدر مرسله . وفرشوا له البسط المنسوجة بالذهب، وقدّموا له الهدايا والتحف ، وبلغوا فى إكرامه وإعظامه الغاية . فلما كان الغد جاء الرسول باب إيوان الملك واستأذن فأذن له . فدخل وخلا به لهراسب وقال : أيها الرجل العاقل ! إنى مسائلك[2] عن أمر فلا تعدل عن الصدق فيه . ثم قال : إنا لم نسمع بكل هذه الرجولية فى الروم قبل يومنا هذا . وكان ملكهم أضعف الملوك . فمن أين تجدّد الآن لقيصر هذه القوّة والشوكة حتى يبلغ به الأمر الى أن صار ينفذ كل حين الى إقليم ويطالب أهله بأداء الخراج وقبول الجزية ويهدّدهم ويخوّفهم سطوة بأسه ، وحتى إنه أسر إلياس ملك الخزر مع جلالة قدره وفخامة أمره ؟ فقل لى من أى جهة شمخ بأنفه ، واستعلى أمره ؟ فقال قالوس : أنا كنت الرسول الى ملك الخزر ، وتردّدت رسولا غير مرة الى غير واحد من الملوك ، وما سألنى أحد منهم عما سألنى الملك عنه . وقد أنعم الملك علىّ بما لا أقدر معه على مخالفته فيما يشير به . ليعلم الملك أنه اتصل بقيصر رجل يصيد الأسود بيده ، ويضحك على جميع الرجال بقوّته وبطشه . وقد أصبح بين الروم كالنار على علم » . وسرد عليه حكايته وقصته فى قتل السبع والثعبان . فقال له لهراسب : فبمن تُشبّه هذا الرجل ؟ فقال كأنه ولدك زرير وجها وقدا وشمائل وشكلا . فسرّى عن لُهراسب وذهب عنه بعض ما أحاط به من الهم ، وأعطى الرسول بدرا من المال وعدّة من الجوارى والغلمان . ثم قال : أعلم قيصر أنّى متأهب لقتاله ومصمم عليه . فانصرف الرسول .

وأحضر لهراسب زرير وقال له : إن هذا الرجل ليس غير أخيك كشتاسب . فدبر الأمر ولا تبطئ ، واحمل اليه التاج والتخت . فإنى قد وهبت له السلطنة ، وقلدته الملك . ولا تظهر فى العسكر إلا أنك خرجت لقتال قيصر » . فبرز زرير فى جميع أولاد الملوك والأمراء ، وسار يطوى المراحل حتى وصل الى حلب فخيم فى صحرائها فامتلأت بالخيل والرجال . واستخلف مكانه بهرام من

(١) لك ، كو : طا ، رسالة قيصر . (٢) لك ، كو ، طا : انى سائلك .

الذرية الجوذرزية (أ)، وركب فى خمسة من غلمانه، ومضى الى قيصر فى زى رسول . ولما دخل عليه وجد عنده قالوس وكشتاسب . فخدمه وخدم جميع من حضر من الأمراء، ولم يلتفت الى كُشتاسب . فقال له قيصر : مالك لا تقبل على فرخ زاذ ؟ فقال : لأنه عبد أبق من الملك لهراسب جاء[1] اليك فمكنته من خدمتك ، ووطأت له كنفك . فلم يجبه كشتاسب بشئ . ثم قال له : لهراسب يقول : إن عدلت عن طريق السداد، ورغبت عن الطاعة والانقياد تركت المقام بأرض ايران وجعلت بلاد الروم مستقر سريرى . ثم اعلم أن أهل إيران ليسوا كالخزر، ولا أنا كالياس الذى تسلطت على بلاده، وتمكنت منه . فقال قيصر : أنا على عزيمة اللقاء . ثم صرف الرسول وخلا بكشتاسب وقال له : لماذا سكت ولم تجبه بشيء؟ فقال : إنى خدمت لهراسب زمانا طويلا، وحالى غير خاف عليه . ثم الأولى أن أمضى اليهم رسولا حتى أبلغ لك فيهم ما تريد، وأبلغك ماتطلب وتروم . فقال له قيصر : أنت أعلم . فركب وأقبل الى مخيم زرير . فلما بدا من الطريق ورآه[2] وجوه العسكر والأمراء تلقوه رجّالة ، وخدموا وسجدوا واستبشروا ، وقالوا : قد انتهت دولة الأسى والأسف ، وأقبلت دولة السرور والفرح . ثم جاء زرير فترجل وقبل الأرض بين يديه . فعانقه كشتاسب ونزل وجلس على التخت مع أكابر إيران وأمرائها . فدعا له زرير وقال له : إن أباك قد طعن فى السن — لازلت ممتعا بالشباب — وزهد فى الملك وفوضه اليك . وها هو قد نفذ اليك التاج والتخت . ورضى من الدنيا بزاوية يعتزل فيها و يعبد الله عز وجل . ثم قدّم اليه التاج والطوق والسوار . فلبسها وتسنم التخت واصطف بين يديه الجوذرزيون مثل بهرام وساوه وريو (ب) ، وغيرهم من أولاد الملوك، وحيوه بتحية الملك، ودعوا له كما يدعى للسلاطين .

ثم نفذ كشتاسب الى قيصر وقال : إن مقصودك قد حصل . وزرير ووجوه العسكر يتوقعون منك المجيء وحدك الى معسكرهم ليعاهدوك[3] و يصالحوك . فلما أتى الرسول قيصر ركب وأقبل الى معسكر الايرانيين فرأى كشتاسب جالسا على تخت من العاج معتصبا بتاج[4] من الفيروزج . فقام كشتاسب وتلقاه وعانقه ولاطفه . فعلم قيصر أنه[5] سلالة الملك لهراسب، فخدمه وقبل الأرض بين يديه ثم طفق يعتذر اليه ويقضى العجب مما شاهد منه . فقبل كشتاسب معذرته وعانقه وقال له : جهز الينا صاحبتنا التى اختارتنا فإنها تعبت تعبا كثيرا وتحملت بسببنا عناء ثقيلا . فانصرف قيصر مطرقا من

(أ) ليس فى الشاه أن بهرام هذا من ذرية كودرز . وقد تقدّم أن بهرام بن كودرز قتل . انظر المتن ص ٢١٤

(ب) عبارة الشاه : لا تعين أن هؤلاء الثلاثة من نسل كودرز .

(١) طا، ك : وجاء . (٢) ك، طا : ورأته . (٣) ك، طا : حتى يعاهدوك .

(٤) لفظ «بتاج» من ك، طا ـ . (٥) طا : انه كشتاسب سلالة الخ .

الخجل ونادما على ما سبق منه من سوء العشرة فنفذ الى كتايون كنزا من الذهب وتاجا وجواهر كثيرة وأحمالا من الثياب وألف وصيفة . وجعل على جميع ذلك فيلسوفا ارتضاه لحفظه . ونفذ مع ذلك الى كشتاسب أسلحة وخلعا فاخرة برسم من عنده من الأمراء . فلما وصلت كتايون الى كشتاسب ارتحل من حلب متوجها الى بلاد إيران . فشيعه قيصر مرحلتين ، ثم حلف عليه كشتاسب وردّه . وسار الى إيران فتلقاه أبوه لهراسب وعانقه واعتذر اليه، وقال : إن الله تعالى كان قد قدّر غيبتك عن هذا الإقليم الى هذه الغاية . ثم قبل التاج ووضعه على رأسه فقال له كشتاسب : أيها الملك ! لا خلت منك المملكة ولا تحلت إلا بك السلطنة . فاعتزل لهراسب، وتقلد كشتاسب الملك . على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر واقعة للفردوسى ناظم الكتاب أخبر بها فى هذا الموضع

قلت : كان الدقيق الشاعر أول من شرع فى نظم أخبار ملوك الفرس فنظم من أخبار كشتاسب ووقائعه مقدار ألف بيت . ثم اخترمته المنية فجاء الفردوسىّ رحمه الله، وبدأ بأولهم فنظم ما قد نقلناه وأوردناه حتى انتهى الى هذا المكان فأورد ما نظمه الدقيق مكتفيا به . وذكر السبب فى ذلك فقال : رأيت فى المنام كأن على يدى جاما من المدام ، وكأن الدقيق قد بدا لى ونادانى بصوت رفيع وقال : اذا شربت الراح فلا تشرب إلا كما كان يشرب كيكاوس وعلى رسمه وآيينه[1] من أجل أنك فى خدمة ملك يفتخر به التاج والتخت، وتبتهج منه السعادة والبخت . وهو الشاهنشاه محمود آخذ البلاد وجالب السرور الى قلوب العباد، الذى سوف يطأ بخيله بلاد الصين، ويستولى فيها على أسرّة السلاطين . ثم إنه ما أسرع نظمك لهذا الكتاب ! وبعد أن وصلت الى هذا المكان فلا تبخل علىّ واكتب ما نظمته من قصة كشتاسب وأرجاسب . فإنه إن مرّ بمسامع هذا الشاهنشاه حصلت لى به سعادة، وتمهد لى به شرف وسيادة . قلت : وأنى للفردوسىّ والدقيق بمثل ما حصل لهذا العبد من السعادة بخدمة مولانا السلطان الملك المعظم ملك ملوك العرب والعجم أبى الفتح عيسى ابن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، وحصوله من حضرته العالية

حيث شمس الجلال تطلع منه ... مشرقا من ضيائه الآفاق[2]

حيث روض العلوم ريّان يهمى ... فيه للفضل وابل غيداق

حيث صيد الملوك مدّوا سماطين ... مثولا يعمهم إطراق

(١) صل : وآينه . والتصحيح من ك، طا، والشاه .

(٢) فى حاشية الأصل : «هذه الأبيات لمترجم الكتاب» و ك ، طا ، تزيد « من قصيدة سلطانية » .

هيبة دون طامح الطرف سام   دخلت تحت رقه الأعناق
شرف الدين مالك الأرض عيسى   من حباه بفضله الخلاق
مَلك مُلك من سواه لدى الله   م مجاز وملكه استحقاق

فهو الذى لو عاش محمود لاحتاج الى خدمة بابه وملازمة ركابه وتعلم آدابه — لا زال خلفا عن ملوك المشارق والمغارب، قارعا هضاب المفاخر والمناقب، ممتعا بولده الملك الناصر داود الأريحى السرى ابن السرى أبقاه الله تعالى فى سماء السيادة قمرا يستمد من أنوار شمس أبيه، وواصلا تحت ظل سعادته نهاية آماله وغاية أمانيه ما أنار النيران ورفد الرافدان[1] .

١٥ — ذكر نوبة كُشتاسب بن لُهراسب . وكانت مدّة ملكه مائة وعشرين سنة §

قال الدقيقى : لما سلم لهراسب سرير السلطنة الى ولده كشتاسب سار الى نو بَهار بلخ . وكانت متعبَّد عُبادهم يقصدونها للمجاورة، وينقطعون فيها للعبادة . وكانت عند الفرس بمنزلة مكة الطاهرة المحروسة عند العرب . فدخلها لهراسب وخلا بنفسه وأغلق عليه باب متعبده ولبس المسوح ولازم الخضوع والخشوع وطرح[2] سواره وسدل شعره على عادتهم . وقام على ذلك ثلاثين سنة . يعبد الشمس تأسيا بجشيذ، الى أن انتهى أجله — كما يأتى ذكره .

---

§ ١٥ — كشتاسب

الخامس من الملوك الكيانيين، والخامس عشر من ملوك الشاهنامه .

ويمتاز عهده برسالة زردُشت، والحروب التى أرثها هو وابنه اسفنديار لنشر الدين الجديد .

ويسمى فى الأبستاق " ڤِستاسپه " و " كَڤى ڤستاسپه " . وينسب فى بعض المواضع الى أسرة نوذر[3] .

ويذكر فى الكتب العربية باسم بِشتاسف وبِشتاسب . وقد ذكره بشار باسم بِشتاس :

قومى اغبقينا فما صيغ الفتى حجرا   لكن رهينة أحجار وأرماس
روّى مشاشى فان الدهر ذو عبر   أفنى قباذا، وأوهى ملك بشتاس[4]   =

---

(١) كو: ووقد الفرقدان. (٢) ك: وخلع سواره. (٣) أفستا، حـ ٢ ص ٧٧ (٤) الغرر: ص ٣٧٧

ولما تسلم كشتاسب سرير الملك واعتصب بتاج أبيه قال : إن الله تعالى إنما حبانى الملك لأنشر لواء العدل وأبسط جناح الأمن، وأطهر الأرض من كل من عاث وأفسد[1] ، وأحمى القطيع من الذئب والأسد ، ولا أمد يد الأذى الى سالكى طرق الانقياد ، ولا أضيق الأرض على الأحرار أهل الخير والسداد.» فأنارت الأرض بأنوار معدلته، وانعمرت برأفته ورحمته حتى صارت الدنيا[2] كما قال مترجم الكتاب فى صفة عهد مولانا السلطان وما ظهر فيه من الأمن والأمان :

برأفته طاب الزمان فقد غدت   تخاصر آرام الصريم ضراغمه

وتربض فى حجر السراحين شاؤه   وتفرخ فى وكر العقاب حمائمه

ثم إنه رزق من بنت قيصر ولدين أحدهما يسمى إسفنديار والآخر بشوتن . واستتب له الملك، ودخل تحت أمره جميع الملوك، وأدّوا اليه الخراج وبذلوا له الجزية . ما خلا ملك توران المسمى أرجاسب . فإنه كان ملك الصين والمستعبد لرقاب الشياطين ، وكان بسبب ذلك يأخذ الإتاوة من أرض إيران .

ثم بعد مضى سنين مضت من ملك كشتاسب ظهر زردُشت وادعى النبوّة فقال لكشتاسب : انى رسول الله اليك . وهو يقول لك : اقبل الدين، وتفكر فى هذه السماوات والأرضين، وانظر هل

= وقد خصص له فصل فى الأبستاق يسمى باسمه خلاصته أن الله قال لزردشت : اذهب واقرأ هذا الكتاب أمام الملك كشتاسپ لعله يؤمن . خذ مواعظى كلها واذكرها له كلمة كلمة» . فذهب زردشت وتقدم الى الملك ودعا له وبارك عليه . ثم قرأ عليه الزندفستا وقال : تعلم سبلها ، واسلك فيها . فان رغبت فى شرعها فمأواك الجنة فى السماء . وإن أعرضت عن وصاياها فستلق الى الأرض رأسك المتوج ؛ يغضب الله عليك، ويحوّل سعادتك شقاء . ثم تهبط من بعد الى جهنم إن لم تستمع لهداية القادر»[3] .

ويذكر فى مواضع أخرى منها :

" نعبد روح الملك المقدس فشتاسپه المقدام ، الكلمة المتجسدة ... ... الذى طرد الكذب فافسح للدين المقدس ... ... والذى جعل نفسه عضدا وعونا لهذا قانون أهرا، لهذا قانون زرتشترا.

الذى أخذها (الشريعة) واقفة موثقة من أيد الهونو ، فمكن لها لتجلس فى سواء الأرض عاليا حكمها، غير متقهقرة، مقدسة ... ... الخ[4] . =

(١) صل : فسد . والتصحيح من طا . (٢) ك : الدنيا كلها . (٣) أفستا، ج ٢ ص ٣٢٨ نقلا عن زرتشت نامه . (٤) = ٢٠٥

يقدر على خلق هذه الأشياء غير رب العزة والكبرياء؟ فاذا وضح لك الأمر فاقبل دين هذا الرسول وتعلم منه طريق اليقين» . فآمن به كشتاسب وجميع من كان بحضرته من الملوك والأمراء وسائر الموابذة والهرابذة . وبنى للنار بيوتا كثيرة وجعل لها قبابا رفيعة . ثم غرس على باب بيت(ا) نار بكشمير شجرة سرو، وكتب على ساقها : « إن كشتاسب قبل دين الحق وأشهد على نفسه هذا السرو » . ثم بعد مضى أدولة(١) من الزمان استعلى السرو واستغلظ وارتفع فى السماء فأمر كشتاسب فبنوا عليه قصرا فى طول أربعين ذراعا وفى عرض مثلها . وجعلوا سقفه من الذهب ، وأرضه من الفضة ، وترابه من العنبر . ورصعوا حيطانه بالجواهر واليواقيت الزواهر . وصوروا فيه صورة جمشيذ وأفريدون . ثم عملوا حوالى القصر سورا من حديد . ثم اتخذ الملك كشتاسب هذا القصر مجلسه(٢)، وادعى أنه يصعد منه الى السماء. وفرق الرسل الى أطراف البلاد، وكتب إلى الملوك يأمرهم بالمصير إلى خدمة هذا السرو، وباستماع مواعظ زردشت والدخول فى دينه وترك عبادة الأصنام والأوثان، فأجابه الناس إلى ذلك ودخلوا فى دينه طوعا وكرها . ثم بعد مدة أخرى قال زردشت لكشتاسب : إنه لا يحسن فى ديننا أن نذل لملك الترك ونعطيه الجزية . فقال : أمتثل أمرك،

= وفى بعض المواضع نرى زرتشترا يقرب قربانا الى أناهتا لتؤيده حتى يجعل الشجاع ڤشتاسپه بن أرڤط — أسپه يفكر بالشرع، ويتكلم به، ويعمل من أجله . فأعطته الإلهة(٣) ما سأل .

وفى موضع آخر أن المجد الملكى تجسد فى ڤشتاسپه فصار يفكر بالشرع ويتكلم به ويعمل من أجله . وطرد الباطل فأفسح للدين الإلهى(٤) .

ويرى ڤشتاسپه (كشتاسب) فى موضع آخر من الأبستاق يقرب قربانا داعيا أن ينتصر على أعدائه . ويذكر أحيانا اسم هؤلاء الأعداء ومنهم أرجكت — أسپه (أرجاسب)(٥) .

وأما تاريخ زردشت ودينه فأبين وأطول من أن ألم به هنا .

ويحس القارئ حين يبلغ هذا العصر من عصور الشاهنامه أنه قد خرج من ظلمات الأساطير الى سدفة التاريخ حيث يجد أسماء وأفعالا وأحوالا تشبه ما يعرف فى تاريخ الأكينيين : فالكتب العربية تذكر، فى الكلام عن كشتاسب وبهمن، اسم كيرش وداريوش. وأبين من هذا ما فى تاريخ=

(ا) هى نار مهر برزين كما فى الشاه . وكشمير التى تذكر هنا هى كشمر من قرى نيسابور .

(١) كو : أدوار . (٢) ك : منزله . (٣) = ٧٨ (٤) = ٢٠٦

(٥) = ٧٩

(١٠٩) ولا نودّى اليه بعد هذا شيئا. فاتفق أنّ بعض الشياطين سمع ما جرى بين الملك و بين زردُشت فأنهى[1] ذلك فى الحال إلى أرجاسب ملك الصين، وقال : إن كشتاسب قد مرق عن الدين . وقد خرج فى أرضه شيخ طاعن فى السن، وادعى أنه نبي مرسل اليه فقبل دينه واتبعه وخلع ربقة طاعتك، وعزم على النهوض لمقاتلتك. فكتب أرجاسب[2] ملك الصين كتابا طويلا — أورده الدقيق على طوله — ومقصوده أنه عنف كشتاسب و وبخه وسفه رأيه وعقله، وأمره بأن يترك دين زردشت و يرجع الى ما كان عليه من دين آبائه وطريقة أسلافه، وأنه إن لم يفعل ذلك نهض اليه فى عساكر الصين، ودوّخ بلاده وخرب دياره، ولم يبق منها حجرا ولا مدرا ولا زرعا ولا شجرا، و يطم عيونها و يقطع أنهارها ويقتل رجالها و يسبي نساءها . وختم الكتاب ونفذه على يد ساحرين من دهاة أصحابه . فلما وصل الكتاب الى كشتاسب استحضر وزيره جاماسب، واستدعى الأمراء والإصبهبذية ، وأحضر زردشت، وأحضر كتابه . ثم قرأ كتاب ملك الصين عليهم فوثب أخوه زرير، وكان بهلوانه، وولدُه اسفنديار، وسلا أسيافهما ، وقالا : كل من لم يتبع دين الملك ولم يمتثل أمره قتلناه بأسيافنا . وطفقا يبرقان ويرعدان . ثم استأذن زرير كشتاسب فى أن يجيب عن كتاب أرجاسب . فأذن له[3]

=هردوت الذى يذكر فى نسب الأكمينين هِستَسپس أبا لدارا . وهستسپس هو ڤِشتاسپه فى الأبستاق، وكُشتاسپ فى الشاهنامه[4] .

ويرى ورنر أن الشبه بين كشتاسب ودارا قوى : فلهراسپ الذى اعتزل الملك لابنه كشتاسپ ثم حارب أرجاسپ فى بلخ يشبه هستسپس أبا دارا ، الذى كان حاكما على برثيا فى ملك ابنه فلما ثارت عليه الثورات أبلى فيها بلاء عظيما . ثم الحروب الدينية أيام كشتاسب تشبه النزاع الدينى الذى كان حينما ثار سمرديس على قمبيز وأيّده المجوس . وقد انتصر دارا على الثائرين . وحرب دارا والاسكيث فى الشمال تشبه حرب إسفنديار وأرجاسپ فى قصة هفت خَوان . وهناك أدلة على أن دارا غيّر دينه أثناء تملكه[5] .

ويمكن أن يزاد لتأييد هذا الرأى أن دارا تزوج أتوسا امرأة قمبيز . وفى الأبستاق ذكر هُتَوسا التى من أسرة نوذر . وأنها قربت قربانا لتكون عزيزة مكرمة فى بيت الملك ڤشتاسپه[6] . =

---

(١) ك : فأنهى . (٢) ك، طا، كو : أرجاسب عند ذلك كتابا . (٣) طا : فأذن له فيه .

(٤) انظر الطبرى ومروج الذهب فى الكلام على لهراسب وكشتاسب أوروشتاسب و بهمن ، وانظر براون (Browne) حـ ١ ص ٩٢ (٥) ورنر (Warner) حـ ٥ ص ١١ (٦) أفستا حـ ٢ ص ٢٢٤ و ٢٥٧

فقام هو واسفنديار وجاماسب ، واعتزلوا ناحيــة وكتبوا جواب كتاب أرجاسب، وشحنوه بألفاظ كإبر اللهاذم تخرق حجاب الصدور، وكلمات كظبات الصوارم تقطع أغشية القلوب . وذكروا فيه أنهم عازمون على المسـير اليه لاستئصال شأفتــه فى ألوف ألوف من رجال الحرب وأبنـاء الطعن والضرب . وجاءوا بالكتاب الى خدمة كشتاسب . فنظر فيه وكتب عليه اسمــه ورمى به الى الرسـولين، وقال : لولا أن قتـل الرسل غير مستحسن عنـد الملوك ولا جائز فى شريعـة صاحب الزند لنكلت بكما وقطعت أيديكما وأرجلكما . ثم ردّهما بالخزى والهوان فانصرفا .

ولما وصلا الى صاحبهما أرجاسب وقرأ جواب الكتاب عظم عليه ذلك ففرق الرسل فى أطراف ممـالكه ، وجمع جموعا وحشر جنودا لا تحصر ولا تحصى، وانتخب منهم ألف أمير وفرّق عليهم الفيلة والأعلام . ثم قسم فيما بينهـم ثلثمائة ألف فارس . ثم جعـل أخاه المسمى كُهرَم على أحد جناحى العسكر، وجعـل أخا له آخر يسمى أندريمان على الجناح الآخر . وعمد الى تركى آخر طاعن فى السن قد أفنى عمره فى الغشم والظلم، وتربى فى القتـل والنهب، وولاه قيادة عساكره . وجعل أميرا آخر يسمى خشاش على الطليعة، وأمر بألا يتقدمه أحد فى المسير . ودعا بشيطان آخر[1] وأمره أن يكون

= وأرى أنه لا يمكن فى هذا العهد الذى لا يزال الظلام مسيطرا عليه أن نقول إن كشتاسب هو دارا . ولكن أظن أن هناك مناسبة بين لهراسب ومن بعـده من الملوك الكيانيين فى الشاهنامه وبين الاكيمنيين الذين يعرفهم التاريخ .

ويمتاز هذا العهد كذلك بأن فى أيدينا كتابا فهلويا يساير الشاهنامه فيما تقصه . ولعله أقدم سند فى هذا الموضوع . ذلكم كتاب "ياتكار زَريران" أى "ذكرى زريز" الذى يقص من أنباء الحرب بين إيران وتوران وقتل زرير الخ .

ويرى ورنر أن حرب الدين هذه كانت حربا بين فئتين من الايرانيين . ويستدل بتشابه الأسماء وانتهائها بكلمة "اسب" وهى فارسية معناها الفرس . ويمكن أن يزاد لتأييد رأى ورنر هذا أن قصة الدقيق لاتستقيم إلا على هذا الفرض، فما كان لملك الصين أو الترك أن يحارب كشتاسب من أجل تركه دينه الى دين زردشت . فان الترك لم يكونوا يدينون بدين الفرس حتى ينقموا على كشتاسب المروق منـه . على أن الثعالبى يحل هـذا الإشكال برواية أن كشتاسب هو الذى بدأ بدعوة أرجاسب الى الدخول فى دينه[2] . ثم المقارنة السالفة بين هذا العهد وعهد دارا الذى كان فيه النزاع الدينى بين الايرانيين أنفسهم يزيد فى هذا البحث الغامض حجة أخرى . =

(١) كو : يسمى هوسديو . وفى الشاه : هوش ديو . (٢) الغرر : ص ٢٦٣

على ساقة العسكر يسير وراءهم ، فاذا رأى واحدا منهم تأخر وانصرف من العسكر يضرب رقبته فى موضعه كائنا من كان من غير أن يدعه أن يجاوز موضع قدمه . فأقبل بالعساكر كذلك حتى وصل الى إيران كالنار المحرقة لا تبقى ولا تذر . فأنتهى[1] الخبر الى كشتاسب فطير الكتب الى أطراف ممالكه ، وأمرهم بالإقبال الى بابه . فاجتمعت عليه عساكر ملأت الحزن والسهل ، وغمرت البر والبحر . ففتح أبواب الخزائن ، وأطلق لهم أرزاق سنتين . ثم ركب فيهم وسار الى أن وصل الى بلخ ومنها الى جيحون . ووصل أرجاسب من ذلك الجانب ، وتدانى ما بين الفريقين . فجلس كشتاسب ذات يوم ودعا وزيره جاماسب العالم — وكان رأس الموابذة، وملك علمائهم ، وهو المنظور اليه فى مجالسهم ومجامعهم، العالم بأحكام النجوم المتكلم على ما يكون من الكائنات — فسأله كشتاسب عن عاقبة قتال العسكرين ومآل أمر الفريقين . فعظم ذلك عليه وقال : ياليتنى كنت رجلا جاهلا حتى لم[2] يسألنى الملك عن هذا . ولا يتصوّر أن أخبر عما يكون فى هذه الحرب من الوقائع . ولو أخبرت لم آمن سطوة الملك إلا أن يعاهدنى[3] ألا يمسنى بسوء . » فحلف له على ذلك فقال : اعلم أيها الملك أنه اذا التحم القتال واحمر البأس فأوّل من يخوض غمرة الحروب يكون ولدك أردشير

= وأما أبطال هذا العهد وعظاؤه فهم فى الايرانيين :

(١) زرير أخو الملك . وتذكره الأبستاق باسم زَرِيڤَرى . ويعدّ من القدّيسين ، ونجده فيها مقرّبا بعض القرابين للانتصار على كشتاسب .

(٢) واسفنديار . ويسمى فى الأبستاق سپنتو — داته . وليس له فيها المكانة التى تلائم مكانته فى الكتب الأخرى التى تجعله بطل دين زردشت . وهو أعظم أبناء الملك ، وبطل الأبطال فى هذا العهد . وسيرى القارئ ما كان بينه وبين رستم بطل الأبطال فى العهد الماضى . وقد نقلت عن ابن هشام فيما تقدّم أن سيرة رستم واسفنديار كانت معروفة بين العرب إبان ظهور الاسلام . ومن مآثر اسفنديار التى أغفلتها الشاهنامه بناء سدّ فى وجه الترك من وراء سمرقند عشرين فرسخا[4] .

(٣) وبِشوتَن أخو إسفَنديار الذى يسمى فى الأبستاق پِشوتنو . وفيها دعاء للملك كشتاسب بأن يبرأ من المرض والموت مثل پشوتنو . وذلك أن زردشت سقاه ضربا من اللبن فنسى الموت . وهو أحد السبعة الخالدين . وكان حاكما فى كنكدز[5] . =

(١) ك، طا : وانتهى . (٢) كو : جاهلا لم يسألنى . (٣) ك، طا : على أن لا .

(٤) البلدان : ص ٢٩٠ ، وتاريخ حمزة ص ٢٧ (٥) أفستا، حـ ٢ ص ٣٢٩ والحاشية، نقلا عن زردشت نامه وبندهش . وانظر المتن ص ١٥٢

فيغنى غناء حسنا، ويقتل خلقا كثيرا ثم يُقتل بالآخرة . ويتلوه فى ذلك ولدك الآخر المسمى شيذاسب طالبا بثأر أخيه . فيقتل طائفة أخرى من الترك ثم يقتل أيضا . ثم يتقدّم ولدى لطلب ثأر شيذاسب فيغنى غنـاء حسنا فيرى الدرفش الجاماسبى قد سقط فى المعترك فيرفعه ويمسكه بأسنانه عاضا عليه ويقاتل بيده . ثم يأتيه سهم غرب فيقتله . ثم يتقدّم آبن لزرير فيقتل ستين نفسا من آساد الصين، ثم ينصرف فيصيبه سهم فيقتله . ثم يخوض غمرة الحرب أخوك زرير فتجرى فى المعترك سيول الدماء، ويكون له فى العدوّ نكايات عظيمة ثم يكمن له تورانى اسمه بيذَرَفش فيرميه بمزراق مسموم فيهلكه . ثم تنقض الصفوف، وتشتجر الرماح والسيوف فيكثر القتل فى الطائفتين . ثم يتقدّم قاتل زرير فيلقاه ولدك اسفنديار فيقتله، ويقع فى عساكر العدوّ، ولا يزال يدير عليهم رحى الطعن والضرب حتى يزلزل أقدامهم، ويبـدّد صفوفهم، ويفرّق جموعهم فينهزم أرجاسب حينئذ، ويفرّ الى الصين فى خِف من العدد خائبا خاسرا . واعلم أيها الملك أن ما قلته كائن من غير نقصان ولا زيادة . ولمـا سألنى الملك عن هذا البحر المظلم لم أستطع أن أخالفه ولا أخبره . ولولا ذلك لم أكشف الغطاء عن هذا الأمر، ولم أهتك الستر عن هذا السر . فخر الملك صعقا عند ذلك . ثم أفاق وأخذ فى البكاء والعويل . وقال ماذا أصنع بعد هؤلاء الأعزة بالتاج والتخت؟ فقال جاماسب : إن كان الأمر على ما تقول أشرت

= (٤) وكُرَزم يذكر فى الأبستاق باسم كفارِزم . وهو أخو إسفنديار الذى أفسد بينه وبين أبيه . والشاهنامه تجعله من الأقرباء فقط .

(٥) ثم بنو كشتاسب كثيرون؛ فى الأبستـاق يدعو زردشت له قائلا : " لعـله يولد لك عشر بنين، ثلاثة سدنة نار، وثلاثة محاربون، وثلاثة حارثون . ولعل واحدا منهم يكون مثـل جاماسپ يباركك بسعادة عظيمة تزداد كل يوم[1]" وفى الشاهنامه أنه قتل من أبنائه فى موقعة واحدة ثمانية وثلاثون .

(٦) ونسطور بن زرير . ويذكر فى ياتكارِ زريران باسم بستور الذى ثأر لأبيه . ويسمى فى الغرر بستور بالباء أيضا . فهو اذا المذكور فى الأبستاق باسم بسـتَفيرى[2] وينبغى اذًا أن يقرأ فى الشاهنامه بستور، بالبـاء .

(٧) وهُماى بنت كشتاسب التى تذكر فى الأبستاق باسم المقدّمة هما . =

---

(١) أفستا، حـ ٢ ص ٣٢٨ (٢) = ٢٠٧

عليهم بالكف عن القتال . فقال جاماسب : إن تخلف هؤلاء فمن يقدر أن يقاتل عسكر الصين ؟ ثم إن هذا أمر الله الذى لا مفر عنه[1] ، ولا ينجى الحذر منه . فإن الكائن لا محالة كائن، والمحذور لابد واقع . ثم وعظه ونصحه وعزاه وأمره بالصبر . فقبل مقالته، وصمم على قتال ملك الترك .

ولما أصبح ضربت الكوسات، وركبت العساكر فرتب الميامن والمياسر . وأقبل العدو فى الطم والرم . وتزاحف الفريقان والتقى الجمعان . وقامت الحرب بينهم أسبوعين على ساق — فزعم الدقيق أن الأمر جرى على ما ذكره جاماسب الحكيم، على التفصيل الذى سبقت الإشارة اليه . فلم نطول نحن بإعادته — قال : فانهزم أرجاسب، واتخذ الليل جملا، وتوجه الى بلاده . ولما علم من بقى من جنوده بهربه رموا القسى، ولاذوا بأطراف الأمان . فأمنهم كشتاسب بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة .

(١١٠)

= (٨) ثم جاماسب الوزير الأكبر يذكر فى الأبستاق باسم كاماسپه بن هفوفه[2] ويجعل من المحاربين أحيانا[3] . وقد تزوج إحدى بنات زردشت وكتب الأبستاق وخلف زردشت على أمور الدين .

وأما أبطال التورانيين فهم الملك أرجاسب وأخوه أندريمان وكُهرم ابنه ثم بيدرفش وطرخان . ويذكر الأولان فى الأبستاق باسم أرِجَت — أسبه وقندرَمينى؛ نجدهما يقربان القرابين ليتصرا على كشتاسب وزرير والآريين فلا يستجاب لهما[4] .

ولا تصف الأبستاق أرجاسب بأنه تورانى كما تصف أفراسياب . بل تسميه السفاح الهفيونا . وتذكر كذلك أمم هفيونا[5] . ويسمى هؤلاء "الخيون" فى الكتب الفهلوية وفى يانكار زريران[6] . ويظن بعض المؤلفين أنهم قبائل هُينك — نو الذين يذكرون فى تاريخ الصين ، أو چيونتا الذين ذكرهم أمينوس[7] ووصف ما كان بينهم و بين الملك سابور الثانى .

وشجرة السرو التى غرسها كشتاسب أوغرسها لهزردشت تصفها الشاهنامه بأنها من الجنة . وفى بعض نسخ الكتاب أن القصر بنى حول الشجرة لا فوقها[8] . =

---

(١) صل : منه . والتصحيح من طا . (٢) = ٢٠٧ (٣) = ٧٠ (٤) = ٨١

(٥) = ١١٧ (٦) ورنر حـ ٥ ص ١٣ (٧) (Amminnus Marcallinus) . أنظر ورنر (Warner) حـ ٥ ص ١٣ (٨) انظر مول (Mohl) حـ ٤ ص ٣٠٤

ثم[١] لما أصبح ركب مع وجوه أصحابه وجاء إلى المعترك يبكى على قتلاه . وجعل يقف على واحد واحد حتى انتهى إلى أخيه زرير. فلما وقعت عينه عليه مزق ثيابه ، ونزل عن ظهر الفرس ، وطفق يبكى عليه ويندبه ؛ ثم رفعه بيده وجعله فى تابوت من الذهب . وجعل أيضا أولاده المقتولين فى التوابيت . ثم أمر فعدّوا القتلى فبلغ عدد قتلى[٢] الإيرانيين ثلاثين ألفا . منهم ألف ومائة وثلاثة وستون نفسا من الوجوه والأكابر . سوى من جرح منهم ، وعددهم أربعة آلاف ومائتان وأربعون نفسا . ثم بعد ذلك أشار كشتاسب على ابن أخيه زرير ، وكان يسمى نسطور ، أن يعود بالعساكر الى ايران . فانصرفوا معه راجعين الى بلادهم . ثم عاد كشتاسب[٣] الى ايران . وزوج ابنته هُماى من ابنه إسفنديار على الملة الفهلوية . ثم قدم نسطور على عشرة آلاف فارس من الرجال المذكورين ، وأنفذه إلى ولاية اتياش[٤] وخُلَّخ ، وأمره بالركض اليهم وشن الغارات عليهم . وأقام فى مستقر سريره ودار ملكه .

= ويروى أن هذه الشجرة بقيت الى زمن الخليفة المتوكل العباسى ، وأنها ذكرت له وهو يبنى سامرا فتشوف لرؤيتها ولم يستطع الذهاب الى خراسان فكتب الى الوالى أن يقطعها ويحملها على العجَل الى بغداد . فاجتمع الناس حول الشجرة يبكون ويضجون وعرضوا على الوالى خمسين ألف دينار فداء للشجرة فلم يقبل . فلما قطعت الشجرة أخربت كثيرا من الأبنية ومجارى الماء ، وانبعثت ضروب الطير التى كانت معششة فيها صائحة تحجب النور لكثرتها . وضجت البقر والشاء وغيرها من البهائم التى كانت تأوى إليها . وبلغت نفقة نقل الشجرة إلى بغداد خمسمائة ألف دينار . وحملت أغصانها على ألف وثلاثمائة جمل . ولما كانت الشجرة على مرحلة من الجعفرية قتل المتوكل قبل أن يراها[٥] .

وفى بعض الروايات أن زردشت أتى بشجرتى سرو من الجنة ؛ غرس واحدة فى كشمر والثانية فى طوس .

وعهد كشتاسب فى الشاهنامه زهاء ٥٤٠٠ بيت نظم الدقيقى منها زهاء ١٠٢٠ . ويمتاز فى هذا العهد أربعة أقسام :

١ — مجىء زردشت الى كشتاسب وما تبعه من حرب إيران وتوران . =

---

(١) لك : ولما أصبح . (٢) لك ، طا : القتلى من الايرانيين . (٣) طا : عاود كشتاسب ايران .
(٤) لك ، كو : اتياس . (٥) ورنر (Warner) حـ ٥ ص ٢٨ نقلا عن دبستان .

ثم جمع عساكره كلها على ولده إسفنديار[1] ودار فى جميع الأقاليم حتى إقليم الروم والهند واليمن، وقطع البحر[2] والظلمة حتى قرّر فى جميع البلاد دينه. وتواترت الكتب من جميع الأطراف إلى كشتاسب بأنهم قد أطاعوا لابنه اسفنديار، ودخلوا فى دينه. فنفذ كشتاسب إلى كل إقليم زندا — قلت: وهو الكتاب الذى جاء به زردُشت. وذكر أبو جعفر الطبرى فى كتابه عن بعضهم أن زردشت كان من أهل فلسطين. وكان خادما لبعض تلامذة أرميا النبي عليه السلام خاصا به أثيرا عنده. فخانه وكذب عليه فدعا الله عز وجل عليه فبرص. فلحق ببلاد أذربيجان، وشرع بها دين المجوسية. ثم توجه إلى كشتاسب وهو ببلخ. فلما قدم عليه وشرح له دينه أعجبه فقسر الناس على الدخول فيه. وذكر أيضا عن بعضهم أن ظهور زردشت عند كشتاسب كان بعد ثلاثين سنة من ملكه وأنه أتاه بكتابه الذى

= ٢ — قصة هفتخوان.

٣ — قصة إسفنديار ورستم.

٤ — رستم وشغاذ.

وفى القسم الأوّل العنوانات الآتية. وما بين القوسين محذوف فى الترجمة:

(١) الفردوسى يرى الدقيقى فى المنام. (٢) لهراسپ يذهب الى بلخ وكُشتاسپ يجلس على العرش. (٣) ظهور زردشت وقبول كشتاسپ دينه. (٤) كشتاسپ يمنع الإتاوة عن أرجاسپ. (٥) رسالة أرجاسپ الى كشتاسپ. (٦) أرجاسپ يرسل رسولا الى كشتاسپ. (٧) زرير يجيب أرجاسپ. (٨) الرسول يعود برسالة كشتاسپ. (٩) كشتاسپ يجمع جيوشه. (١٠) جاماسپ يتكهن بعقبى الموقعة. (١١) كشتاسپ وأرجاسپ يصفّان الجيوش. [(١٢) بدء القتال بين الايرانيين والتورانيين وقتل أردشير وشيرويه وشيدسپ. (١٣) قتل كرامى بن جاماسپ، ونيوزار. (١٤) بيدرَفش يقتل زرير أخا كشتاسپ. (١٥) إسفنديار يسمع بقتل زرير. (١٦) إسفنديار يسير لحرب أرجاسپ. (١٧) نسطور وإسفنديار يقتلان بيدرفش]. (١٨) أرجاسپ يهرب من الموقعة. (١٩) تأمين إسفنديار الترك. (٢٠) رجوع كشتاسپ الى بلخ. (٢١) كشتاسپ =

---

(١) كو: وأعطاه الذخائر والأموال ومكنه من جميع أسباب السلطنة سوى التاج والتخت فانه قال: لم يأن لك هذا بعد. وأمره بأن يجر العساكر ويدور فى جميع أطراف الممالك ويلزم الناس بالتدين بدينه. فسار اسفنديار الخ.

(٢) كو: بحر الظلمة.

ادعاه أنه أوحى اليه فقبله فكتب فى جلد اثنى عشر ألف بقرة حفرا فى الجلود ونقشا بالذهب ، وصيره كشتاسب فى موضع من اصطخر يقال له زر بيشت(أ) ووكل به المرابذة ومنع من تعليمه العامة .

وحكى أبو جعفر أيضا فى موضع آخر أن كشتاسب وأباه لهراسب كانا على دين الصابئين حتى أتاهما زردُشت بما أتاهما — عاد بنا الكلام ؛ قال الدقيق : فطاف إسفنديار فى أطراف العالم حتى استوى له جميع الممالك ، وأطاعه جميع الملوك . فرجع إلى مكانه وقعد فيه واختار الراحة ودعا أخاه المسمى فرشيذ ورد ، وأعطاه بلاد خُراسان وعقد له عليها ونفذه اليها .

ذكر قبض كُشتاسب على ولده إسفَنديار وحبسه إياه

قال : وكان فى خدمة كشتاسب رجل يسمى كُرَزم(ب) ، باقعة من البواقع ممن نجذته الحروب وحنكته الخطوب . وكانت بينه وبين إسفنديار عداوة قديمة . وكان كلما ذكر اسفنديار أطلق فيه لسانه ، وقبح صورته وذكر مساوئه . فاتفق أنه كان ذات يوم جالسا عند كشتاسب يجرى حديث إسفنديار فقال : إن الولد عدو فلا ينبغى أن يرفع قدره و يفخم(١) أمره . فإنه لا يؤمن شره عند ذلك . والأمرش(٢) إذا جاوز الحدّ فينبغى أن يقطع رأسه حتى يؤمن معرته . ولما سمع كشتاسب ذلك خلا به واستنطقه . فقال : إن حقوق نعمة الملك علىّ كثيرة . ولم أستجز معها أن أخفى عنه سرا أعلمه . ثم قال له : اعلم أيها الملك أن اسفنديار يهم بك ، و يريد أن يقبض عليك و يستبد بالسلطنة والتاج والتخت . وقد اجتمعت عليه العساكر . وهو من تعرفه ولا يخفى عليك بأسه و بطشه . وقد

=يبعث إسفنديار الى الأقاليم كلها فيقبل الناس دين الخير منه . (٢٢) كرزم يسعى باسفنديار . (٢٣) ذهاب جاماسپ الى إسفنديار . (٢٤) كشتاسپ يسجن إسفنديار . (٢٥) كشتاسپ يذهب الى سيستان وأرجاسپ يعبئ جيوشه كرة أخرى . [(٢٦) الفردوسى يمدح السلطان محمودا وينقد الدقيق] . (٢٧) هجوم أرجاسپ على بلخ وقتل لهراسپ . (٢٨) كشتاسپ يسمع بمقتل لهراسپ ويقود الجيش الى بلخ . (٢٩) كشتاسپ ينهزم أمام أرجاسپ . (٣٠) جاماسپ يبعث الى إسفنديار . (٣١) [إسفنديار يرى أخاه فرشيدورد] . (٣٢) إسفنديار يأتى الى الجبل حيث يعسكر كشتاسپ . (٣٣) كشتاسپ يرسل إسفنديار مرة أخرى لحرب أرجاسپ .

(أ) كذا فى النسخ كلها . وأظنها دزنبشت . أى حصن الكتب . — أنظر أوراق أسيوية ص ١٥٢ وما بعدها .
(ب) هو فى الفرد : كرذم .

(١) لك ، كو : ولا يفخم . (٢) صل : والأمرس . لك ، طا : والأمر . كو : والبردوس . الشا : العبد .

أدّيت اليك ماسمعت وتحققت . والآن أنت أعلم وبالرأى والتدبير أبصر . فأخذ كلامه بقلب الملك، واهتم من أجله ، وترك الطعام والشراب، وأرق ليلته يفكر فى أمر إسفنديار .

ولما أصبح استدعى جاماسب وأمره أن يركب الى مخيم اسفنديار، ويذكر أنه قد عرض حاجة يحتاج فيها الى حضوره، وأن ينصرف فى الحال معه من غير مكث ولبث . وكتب اليه مع جاماسب كتابا فى هذا المعنى يستعجله فيه ويأمره بأن يحضر فى الحال ولا يمكث طرفة عين . فحمل جاماسب الكتاب الى إسفنديار . وكان فى تلك الساعة فى متصيد له ، ومعه أولاده الأربعة . وهم بهمن، وآذرافروز، ونوشاذر، ومهرنوش . فسمع صوت هاتف يقول : إن كشتاسب قد أرسل جاماسب . فلما سمع ذلك تعجب ضاحكا . فسايله بهمن عن ضحكه فقال له : اعلم يابنى أن الساعة يأتينى رسول من عند الملك . وقد أفسدوا قلبه علىّ، وغيروا رأيه فىّ . فبينا هو مع ولده فى هذا الحديث إذ طلع جاماسب فاستقبله إسفنديار . فنزل وناوله الكتاب، وذكر(1) أن الشيطان قد أضل أباه . وأعلمه بالحال فقال له إسفنديار : فما ترى أيها العالم؟ فقال له فيما قال : لابدّ(2) من امتثال أمر أبيك والحضور بين يديه . فانه هو الملك وأمره المطاع . فسلم عسكره الى ولده بهمن، وأقامه مقام نفسه(3) . فلما علم الملك بوصوله جلس على التخت معتصبا بالتاج، وأحضر الأمراء والقوّاد، وأمر الموابذة بالحضور . وجاءوا وجلسوا على الكراسى فى مراتبهم . وجاءوا بكتّابهم ووضعوه بين يدى الملك . فدخل إسفنديار وخدم وسجد ثم مثل بين يدى أبيه . فقال الملك للأمراء والعلماء والموابذة والإصبهبذية : ماذا تقولون فى حق رجل يربى ولده فيحسن تربيته ، ولا يزال يعتنى به حتى يعلمه جميع الآداب،ثم يعلى أمره ويرفع قدره حتى يجعل اليه أمور العباد والبلاد، ويفوّض اليه جميع الممالك ، ويرضى هو من سلطانه بتاج(4)،ويقعد هو فى صورة حافظ رحل . ثم لا يقنع الولد ذلك(5) حتى يهم بقتله ويسعى فى التدبير عليه . فما قولكم فى حق هذا الولد ؟ وما الذى يستحق أن يجازيه به الأب؟ فقالوا أيها الملك! أى شىء أشنع وأفظع من طلب الابن مكان الأب وهو بعد فى مهلة الحياة؟ فقال : هذا هو ذلك الولد . ولكنى سأعاقبه عقوبة يعتبر بها أهل المملكة، وأقيده بقيد لم يقيد به أحد . فقال إسفنديار : أيها الملك! ما عندى من هذا خبر، ولا هممت به . ولو فعلت ذلك لم أكن من أصل طاهر . ثم أنت السلطان، وأمرك المطاع، وحكمك النافذ . وأنا بين يديك فافعل ماتشاء . فأمر الملك باحضار الحدّادين والقيود والأغلال والسلاسل . فقيد



(1) ك : وذكر له . (2) ك، كو، طا : لابد لك. (3) كو، طا : وركب مع جاماسب فى عدة من خواصه وتوجه الى حضرة أبيه . (4) كو : بتاج وتخت . (5) ك، كو، طا : ذلك منه .

وغل وسلسل. ثم أمر بحمله على الفيل و إنفاذه الى قلعة شبذز — و رأيت فى بعض الكتب أنها القلعة المعروفة بكُرْد كوه § [1] — فحملوه اليها . وأقاموا فى محبسه أربع سوار من الحديد، وشدّوه بالسلاسل الى تلك السوارى . ووكلوا به جماعة من الحرس . وركب كشتاسب وسار نحو زابلستان وأقام فى ضيافة رستم سنتين . وأما بهمن بن إسفنديار فانه لما علم أن جدّه حبس أباه ترك المعسكر، وركب فى [2] إخوته الثلاثة، وساروا نحو أبيهم إسفنديار، ولازموه يؤنسونه ويخدمونه ويسلون قلبه .

وانتهى الخبر الى أرجاسب ملك الصين بأن كشتاسب قبض على إسفنديار وحبسه ، وأنه ترك البلاد خالية وراءه، وسار الى زابلستان وأقام بها، وأنه ليس غير لُهراسب فى مدينة بلخ مع سبعمائة نفس من عبدة النار، وطائفة من السدنة والحرس . فقال لأصحابه : انتهزوا [3] فى إدراك الثأر، واهتبلوا غرة الايرانيين فإن كشتاسب حبس إسفنديار، وسار الى زابلستان» . ونفذ جاسوسا الى بلخ ليقف على حقيقة الأمر ويرجع اليه بصحة ذلك . فرجع اليه بصحة الأمر، وأعلم أرجاسب بذلك فهمّ أن يطير فرحا وسرورا، وأطلق من الهم قلبا كان مأسورا . هذا آخر ما نظمه الدقيق .

ذكر مقتل لهراسب من كلام الفردوسى (ا)

[لما ظفرت بهذا الكتاب ، علقت يدى بالأسباب . نظرت فاذا النظم ضعيف ، واذا كثير من الأبيات سخيف . وقد كتبتها لكى يرى الملك، ركيك الكلام كيف سبك . وقد قدّم الجوهرىّ

---

§ الذى فى الشاه : أنهم حبسوه فى قلعة كُنَبذان . وفى الأبستاق ذكر جبل "سپنتو — داته" وهو المذكور فى الكتب الفهلوية باسم "سپندياد" أى جبل إسفنديار . وهو كما فى بُندهش قرب جبل ريوَند [4] . وفى معجم البلدان أن ريوند من نواحى نيسابور . ويؤيد هذا ما فى ورنر عن جبل سپندياد أنه قرب جبال بار الى الشمال الغربى من نيسابور [5] .

وأما كرد كوه، فهى، كما يقول ميرخزند، فى روزبار . وهو، كما فى معجم البلدان، اسم أمكنة كثيرة منها قصبة فى بلاد الديلم . ويقول ورنر أن كرد كوه قرب قزوين وأنها صارت بعد من قلاع حسن الصباح [6] .

وفى الغرر : أن إسفنديار سجن فى قلعة كنداش [7] . وأظنه تحريف كنبذان .

(ا) حذف المترجم هذه القطعة فترجمتها وأثبتها هنا ليعرف رأى الفردوسى فى الدقيق، ولما فيها عن الشاهنامه والسلطان محمود.

(١) طا : كرده كوه . (٢) طا : مع إخوته . (٣) كو : انتهزوا الفرصة .

(٤) أفستا، ج ٢ ص ٢٨٩ (٥و٦) ورنر (Warner) ج ٥ ص ٣٠ (٧) الغرر : ص ٢٨٠

جوهرين، واستمع الملك الى الكلامين . إن لم يكن غير هذا الكلام فى وسعك، فدعه ولا تشق على طبعك . ماعناء الأرواح والأجسام، فى حفر معدن ليس فيه إلا الرغام؟ وان لم يمدك الطبع بالوزن المسبوك ، فلا تمدن يدك الى كتاب الملوك . إن كظم الفم على المسغبة، خير من وضع مائدة غير معجبة . رأيت كتابا يفيض بالسير، ويتضمن الحقائق والعبر، منثورا عفى عليه الزمان، ولم ينشط لنظمه انسان . وما رأيت أحدا يتحدث بنظمه ، فطويت القلب الفرح على غمه . وإن تسأل عن عمره الزمان ، فقد كر عليه من الأعوام ألفان .

قد أحسن القائل[1] المنطيق، بما مهد للناظم الطريق. ان كان لم ينظم إلا سطورا قلائل، واحدا من آلاف الوقائع والمحافل[2] فقد كان الدليل الخبير،الذى وضع المُلك على السرير . وقد تلقاه الأكابر بالجاه والمال، وجنى عليه ذميم الخلال . ولقد كان مداح الملوك، يتوجهم بدرّه المسلوك . غير أنه كان واهى النظام، فلم يتجدد به دارس الكلام .

وقد استبشرت بهذا الكتاب فالا، وحملت أعباءه أعواما طوالا . ولكنى لم أر أبيّا معطاء على عرش الملوك وضاء . فنامت نفسى بالعناء، ولم يكن غير الصمت دواء .

بصرت بجنة غناء، يتبوأها السعداء . ولم أجد الى داخلها سبيلا، ولا رأيت سوى المُلك فيها إكليلا . ولم يكن بد من سبيل على قدرها،لا تضيق بنضرتها ورونقها . فلبثت عشرين عاما أدخر الكلام، وأفتش عن الجدير بكنز التؤام، أبى القاسم الملك الكريم، الذى ازدان به تاج السلاطين، ملك العالم محمود رب الأبهة والجود، الذى يقابله القمر وكيوان بالسجود .

قد استوى على عرش العدالة،فمن ذا الذى رأى بين الملوك مثاله ؟ وقد توجت باسمه الكتاب، وأضاء قلبى المظلم الجناب ، ما عرف العالم مثله عظيما، مهيبا أديبا جوادا عليما . فاق الملوك أجمعين وتنزهت سيرته عن العائبين . سواء عنده الدنيا والتراب، مقدام فى الوقائع والمآدب لايهاب . فى الوقائع السيف وفى المآدب الذهب، لا يضن على طالبهما ولا يرهب] .

قال : فأمر أرجاسب ابنه كُهرم بأن يتقدمه فى ألف فارس من نخب العسكر،و يركض[3] إلى بلخ ويقتل من يجد فيها من الموابذة والهرابذة، ويحرق ما كان بها من دور كشتاسب وقصوره وإيواناته، وأن يقتل إسفنديار إن كان هناك محبوسا . وذكر أنه لايبطئ عن اللحاق به، و يطير بجناح الاستعجال

---

(١) يعنى الدقيقى الشاعر . (٢) يحتمل المعنى أن يكون المعنى : "ألفا من أنباء الوقائع والمحافل" أى ألف بيت.
(٣) ك : وينهض .

فى أثره . فركب وسار فى مثل عصفة الريح حتى خيم بصحراء بلخ . فضاقت الأرض على لُهراسب بما رحبت ، والتجأ الى الله تعالى[1] وفوّض أمره اليه . وخرج و جمع من أهل السوق وأوباش البلد مقدار ألف رجل لا يصلحون للحرب، ولبس خفتانه وركب، وخرج، مع ضعفه وشيخوخته، الى قتال كُهَرم، وجعل يحمل عليهم يمينا وشمالا حتى نكأ فيهم نكايات عظيمة . فلما رأى كهرم ذلك أشار على أصحابه بأن يحدقوا به فأطافوا[2] به ورشقوه بالسهام فأصابته منها عدة أسهم، وخرّ من فرسه الى الأرض ، وبادروه بالسيوف وقطعوه . وكانوا يحسبونه شابا فلما رفعوا المغفر عن رأسه رأوا كافور شيبه مغلفا بخلوق دمه . فعرفه كهرم وقال : إنه لهراسب[3] ، وبعد أن قتل فقد انكسر ظهر ابنه . ثم دخلوا الى بلخ وقصدوا بيوت النار والقصور المرفوعة عليها فهدموها وأحرقوها بما فيها من كتب الزند. وكان فى بيت النار المسمى نوش آذر ثمانون هربذا فقتلوهم وأجروا دماءهم حتى أطفأوا بها نار زردشت التى كانت فيه (أ)

وكانت لكشتاسب امرأة عاقلة فى بلخ . فلما رأت هجوم العسكر على المدينة أخرجت فرسا من مرابط خيول لهراسب، وركبته وخرجت من وسط القوم، ونجت بنفسها راكضة الى سجستان حتى وصلت الى كشتاسب فأعلمته بهجوم عسكر الصين على مدينة بلخ، وبأنهم قتلوا لهراسب وأحرقوا بيوت النار وقتلوا الهرابذة وأطفأوا النيران التى لم تكن تطفأ، وأنهم سبوا بنتيه هُماى وبه آفريد. فعظم ذلك على كشتاسب وأخذه المقيم المقعد، ورمى بالتاج[4] عن رأسه وجعل يبكى على أبيه . واستحضر الأمراء والقواد ونفذ الكتب الى أطراف ممالكه ، واستدعى عساكره واستعجلهم . فاجتمع عليه جمع عظيم فسار بهم الى بلخ وباميان . ووصل من ذلك الجانب أرجاسب بعساكر كادت تملأ ما بين الخافقين . فصادفه كشتاسب وجعل ولده فرشيذوَرد على الميمنة وابن أخيه نسطور على الميسرة، ووقف فى القلب . وأما أرجاسب فانه جعل كهرم على ميمنته وكُندُر على ميسرته. فالتقى الجمعان وتلاطم البحران ، واتصلت الحرب بينهم ثلاثة أيام[5] . ووقعت الدبرة على الإيرانيين فقتل منهم خلق عظيم. وكان لكشتاسب ثمانية وثلاثون ابنا فقتلوا عن آخرهم فى تلك الوقعة. فاضطر كشتاسب الى الانهزام فثنى عنانه ورجع بمن معه من عساكره. وصادف فى طريقه بعد يومين جبلا عظيما عليه عيون من الماء وليس اليه طريق إلا من موضع واحد فصعد اليه بعساكره، وأقعد طائفة

(أ) فى بعض نسخ الشاه كلاما يحتمل أن زردشت نفسه قتل فى هذه الغارة . ويجرى على هذا مول و وزرى ترجمتهما . ولكنى لا أجد كلام الشاه بينا فى هذا .

(١) لك، كو، طا : الله عز وجل . (٢) صل : طافوا . والتصحيح من لك، كو، طا .

(٣) لك، كو، طا : لهراسب أبو كشتاسب . (٤) لك : ورمى التاج . (٥) لك، كو، طا : بلياليهن .

منهم على ذلك الطريق بعد أن حفروا دونهم حفيرة . فجاء أرجاسب بجنوده وأحاطوا بهذا الجبل من جميع جوانبه، وحاصروهم وضيقوا عليهم حتى فنيت أقواتهم وكانوا يذبحون خيولهم ويزجون بلحومها أوقاتهم[1] . فاستحضر كشتاسب جاماسب ، وقال له : أخبرنى عن أسرار الفلك ، ودلنى على من يكون معاضدى ومعاونى والآخذ بيدى حتى تنجلى عنى هذه الغمة ، وتنكشف عن وجه سعادتى[2] الظلمة . فقال له جاماسب: إن كان الملك يصدّقنى ويقبل قولى فليعلم أنه لا يرزق الظفر على هذا العدوّ إلا بأن يطلقَ إسفنديار . فسر كشتاسب بذلك وقال : لقد ندمت فى الساعة التى قيدوه فيها وسلسلوه، على مابدر منى فى حقه، وإصغائى الى قول حاسده الذى قد ذاق وبال أمره — يعنى أنه قتل فى تلك الوقعة — والآن من يقدر على المصير اليه ليطلقه من محبسه ؟ فقال جاماسب : أنا أتجرّد لذلك . فقال : افعل وبلغه منى السلام واعتذر اليه عما سبق، وقل له يبادر ويتلافى هذه الدولة ويدفع عنها هذا العدوّ . وإلا زالت واضمحلت . ثم إنى أشهد الله على نفسى وأشهدك أيها الحكيم العالم ! أنه إن فعل ذلك فوّضت اليه الملك ، واعتزلت مترويا فى بعض المتعبدات كما فعل لهراسب .

فلبس جاماسب قباء تركيا وتزيّا بزيهم ، ونزل من الجبل ليلا، وتوسط عسكر أرجاسب وانسل فيما بينهم، وسار الى القلعة التى كان فيها اسفنديار محبوسا . فلما وصل اليها دخل على اسفنديار وخدم وقبل الأرض، وبلّغه سلام أبيه وأدّى اليه رسالته ، وأخبره بقتل لهراسب وإحراق بيوت النار وهدمها، وقتل الموابذة[3] فيها وإطفاء النار الموقودة بها، وسبى أختيه من مدينتهما[4] . ثم أعلمه بما جرى على أبيه كشتاسب فى الوقعة التى جرت بينه وبين أرجاسب[5]، وبمقتل إخوته الثمانية والثلاثين، ثم انهزام كشتاسب وتحصنه بالجبل وإحداق عسكر العدوّ به وما هو فيه من الضيق والشدّة . فامتنع من الخروج وقال : إنهم لم يذكرونى فى الرخاء والرفاهية فلا أذكرهم فى حالة البؤس . وحسبى هذا القيد شاهدا عند الله عز وجل على ظلم كشتاسب لى . فجرت بينهما مفاوضات ومناظرات . ثم قال له[6] : أما ترق لأخيك فرشيذوَرد الذى لم يزل كان وقيذ القلب من أجلك متأسفا على فراقك، وقد مزقوه فى هذه الوقعة كل ممزق ؟ فأثر فيه هذا القول وقال : هلا أعلمتنى بهذا من قبل ! وغشى عليه . ثم لما أفاق بكى عليه ساعة . وأمر جاماسب باحضار الحدّادين ليفكوا عنه أغلاله وقيوده . فحضروا

---

(١) صل : أقواتهم . والتصحيح من ك، كو، طا . (٢) ك : هذه الظلمة . (٣) ك، كو، طا : الموابذة والهرابذة . (٤) ك كو، صل : مدينتها . والتصحيح من طا . (٥) صل : بينه وأرجاسب . والتصحيح من ك، كو . (٦) كو : قال له جاماسب .

وطفقوا يبردونها بالمبارد . فضجر من ذلك وجاش فقطعها بيده ووثب كالسبع المحرج . ثم لما أصبح دخل الحمام وخرج ، واستحضر سلاحه وعدّته وفرسه ، وركب مع ابنين له : أحدهما بهمن والآخر آذرافروز . وتقدّمهم جاماسب يدلهم على الطريق . فلما أصحر نزل وسجد ودعا الله عز وجل ثم نذر أوّلا أن يطلب بثأر لُهراسب ولا يذكر شيئا مما عامله به أبوه من الحبس والقيد وأن يراعى قلبه، وأن يبنى مائة بيت نار فى البلاد ومائة خان فى الصحارى المسبعة والطرق الخالية . ثم ركب وسار حتى وصل الى معسكر الأتراك . فعبر عليهم بالليل حتى صعد الى الجبل نحو أبيه، بعد أن قتل من طلائعهم خلقا كثيرا . فلما دخل عليه قبل الأرض بين يديه وسجد . فوثب أبوه اليه وعانقه[1] واعتذر اليه عما سبق منه ، وأخذ يلعن كُرزم الذى أفسد قلبه عليه . ثم قال : يابنى لا تذكر ما سلف ولا تتوان فى الطلب بالثأر . فإنى قد نذرت لله عز وجل أنى إن رزقت الظفر بهذا العدو فوّضت اليك التاج والتخت، واعتزلت فى ناحية من الأرض، وانزويت منقطعا الى الله عز وجل . فقال له إسفنديار : إن رضاك عنى هو التاج والتخت، وبذلك تم لى السعادة والبخت . وإن أمس بما فيه قد عبر[2]، والماضى قد عفا ودثر . وبعد هذا إذا سللت سيفى وانحدرت من هذا الجبل لم أبق من رجال العدوّ أحدا، ولم أترك من بلادهم عينا ولا أثرا .

وعلم الإيرانيون بوصول إسفنديار فأقبلوا بالليل الى سرادق كُشتاسب، ودخلوا عليه فامتلئوا لمجيئه فرحا وسرورا . وكأنهم كانوا أمواتا فصادفوا بمقدمه[3] نشورا . فحرّضهم إسفنديار وحثهم على الصدق فى القتال والتشمر للانتقام . فنشطوا للقاء بنيات صادقة وقلوب بإدراك الظفر واثقة . وباتوا طول ليلهم يعدّون ويستعدّون (أ) .

قال : وانتهى الخبر الى أرجاسب باتصال إسفنديار بأبيه ، واختراقه بعسكره فى جنح الليل، ونكاياته فى طلائعه فعظم ذلك عليه حتى أظلم عليه[4] النهار، وخانه الصبر والقرار، وعزم على الانصراف الى بلاده ، والاكتفاء بما حصل له من الاسم فى قتل لُهراسب وكسر كشتاسب . وصمم على ذلك حتى سلم جميع ما نهبه من بلخ وما حصل له من المغانم فى تلك الوقعة الى كُهرم حتى يتقدّم به ويسير هو وراءه . فجاءه رجل من أمراء الصين وقوّادها يسمى كُركسار فقال : أيها الملك ! كيف يجوز

(أ) ما أشبه قدوم إسفنديار على الايرانيين وهم محصورون على الجبل بقدوم رستم عليهم وهم محصورون على جبل هماون . وفى هذه وأشباهها يحس القارئ أن القصة تريد أن تلحق إسفنديار بطل الدين برستم . انظر المتن ص ٢٢٢

(١) طا : فعانقه . (٢) ك : غبر . (٣) صل : صاروا . والتصحيح من ك ، طا . (٤) ك ، كو ، طا : أظلم فى عينه .

الانحياز عن قوم كسرناهم ونهبناهم ؟ فلا تحمل ذكرك بانصرافك عنهم . وإن كان قد دخل قلبك شيء من أجل حضور إسفنديار فأنا غدا بين الصفين قرنه ، وسأبارزه وأقتله . فلما سمع أرجاسب هذا منه عاد قلبه اليه وسكن جاشه، وقال : إن فعلت ذلك فلك الحكم على بلاد توران الى بحر الصين ، وأجعل اليك قيادة العساكر، ولا أخرج من أمرك . ووعده ومنّاه وحرضه ثم جعله على عسكره . وباتوا ليلتهم تلك فى تعبئة واستعداد .

ولما طلعت الشمس نزل إسفنديار من الجبل بعساكره فوقف نسطور فى الميمنة، ووقف إصبهبذ آخر فى الميسرة، ووقف كُشتاسب فى القلب، وتقدم إسفنديار . وسوّى أيضا أرجاسب صفوفه ورتّب جنوده؛ فوقف كُهرَم فى ميمنته ، ووقف ملك جِكِل المسمى قاماً (أ) فى ميسرته . ولما رأى أرجاسب إسفنديار صعد الى رابية مشرفة ينظر منها الى المصاف ، وأمر ساربانه بأن يحضر جمّازات كثيرة حتى إنه إذا أحس بتوجه غلبة على أصحابه ركبها فى خواصه وأقاربه وجنّبوا الخيل واستقبلوا بها طريق الصين . وأما إسفنديار فإنه برز الى ما بين الصفين كفيل هائج فحمل على القلب وقتل منهم فى حملة واحدة ثلثمائة نفس ، ثم عدل نحو الميمنة فقتل منهم مائة وستين فارسا ، وفرّ كُهرَم من بين يديه . ثم رجع الى الميسرة وقتل مائة وخمسة وستين فارسا . فلما رأى أرجاسب ذلك التفت الى كُركسار وتقاضاه إنجاز ما وعده . فبرز من الصف وأخرج نشابة نصلها فولاذ ، وسدّدها نحو إسفنديار فوقعت من(١) جوشنه فى موضع ثغرة صدره فتطامن(٢) على سرجه يريهم أن النشابة قد خلصت اليه . فسلّ كُركسار عند ذلك صمصامه وأسرع اليه يريد قتله . فاستوى فى سرجه وتطامن ورماه بوهق أنشبه فيه، وأسره ورماه على وجهه الى الأرض . ثم جره فى التراب وسلمه الى بعض أصحابه ليحمله الى حضرة كشتاسب . وأوصى بألا يعاجل بالقتل . ثم زحف بجميع عساكره الى العدوّ فهزمهم . وفرّ أرجاسب وخواصه وأمراؤه على تلك الجمازات، وتوجهوا نحو خُلُخ . وترك جنوده بين أشداق المنون . فأمر إسفنديار أصحابه فوضعوا فيهم السيف حتى امتلأ ما هنالك من الفضاء بأشلاء القتلى وجثثهم. فهرب من أمكنته الحرب، واستأمن الباقون الى إسفنديار،وتضرعوا اليه وبكوا. فكف عنهم . وانصرف الى أبيه غريقا فى دماء القتلى وقد لزقت يده على قائمة السيف . فصبوا عليها اللبن الحليب حتى خلصت من مقبض السيف . ثم خلعوا عنه خفتانه ونزعوا منه السهام التى أصابته . ثم اغتسل ولبس ثياب بذلة وعمد هو وأبوه الى متعبد ، وأقاما فيه أسبوعا يشكران ربهما سبحانه وتعالى على ما أزلّ اليهما من تلك النعمة .

(١١٣)

(أ) ليس فى نسخ الشاه والتراجم التى بيدى تسمية هذا الملك .

(١) صل : فى جوشنه . والتصحيح من ك ، كو، طا . (٢) ك : فتطامن اسفنديار يريهم .

ثم خرج إسفنديار فى اليوم الثامن وجاءوه بكُركسار فقال: أيها الملك! إن أبقيتنى كنت لك عبدا ناصحا أرشدك الى مصالح الأمور ، وأدلك على روئين دِز التى هى دار ملك أرجاسب ومستقر تخته ومدفن دفائنه وذخائره . فأمر بأن يردّ مقيدا الى محبسه . ورجع الى المعترك وأمر بتفريق ما حصل من الغنائم على عسكره. ثم رجع نحو أبيه فسأله أن يقصد قصد أرجاسب ويدخل بلاد الترك ويطلب بثأر إخوته ويخلص أخواته المسبيات من بلخ . ووعده بأنه اذا فعل ذلك يقلده الملك ويعتزل ، كما سبق به الوعد . فامتثل إسفنديار أمره وأعدو استعد وحشد واحتشد، وسار قاصدا بلاد توران فكانت الحرب المعروفة بهفت خوان . وهذه قصتها نذكرها إن شاء الله تعالى :

ذكر وقائع هفتخَوان[1] وما يتعلق بها من فتح روئين دِز ، وقتل أرجاسب §

قال: فسار (أ) إسفنديار من بلخ قاصدا قصد توران . فانتهى فى مسيره الى مكان يتشعب منه طريقان فنزل عنده وأمر بمدّ السماط . ثم قعد للشراب وأمر بإحضار كُركسار الأسير . ولما حضر أمر فتابعوا عليه أربعة أقداح من الراح ثم قال له : إن صدقتنى عما أسايلك عنه من أحوال ممالك توران وطرقها المفضية اليها آمنتك على نفسك وأصحابك وأولادك ، واذا رزقت الظفر جذبت بضبعك ، ورفعت من قدرك ، وملكّتك بلاد توران . وإن كذبتنى لم يخف كذبك علىّ وقتلتك ومثلت بك . فقال : إنك لا تسمع منى غير الصحيح . فرفع جاما من الشراب فشربه على اسم كشتاسب

---

§ هفت خوان معناه « سبع موائد » . وأظن « خوان » محرف عن خان ومعناه المنزل . فهى اذًا هفت خان ، كما فى الغرر ، أى سبعة منازل . يحس القارئ أن هذه القصة قصة هفتخوان انما وضعت محاكاة لقصة رستم المسماة بهذا الاسم[2] . فكلا البطلين يعدل عن الطريق البعيدة الى طريق قصيرة مملوءة بالمخاوف فيلقى سبعة خطوب منها قتل سبع وتنين وامرأة ساحرة . وكلاهما يشرب الخمر ويغنى على المزهر قبل أن يلقى الساحرة . وكلاهما يستدل أسيرا يهديه الطريق وإن كان رستم يستدل الأسير بعد اجتياز العقبات السبع . ثم تخليص إسفنديار أختيه من الأسر وقتله أرجاسب يقابل تخليص رستم كيكاوس وقتله سپيذديو . واحتيال إسفنديار لدخول حصن أرجاسب لا نظير له فى قصة هفتخوان رستم ولكن يشبه ما فعله رستم فى فتح الجبل الأبيض[3] . وفى قصة بيژن ومنيژه . =

(أ) حذف المترجم أبياتا فى مدح السلطان محمود . وهى مدح عام لا يستفيد منه المؤرخ شيئا غير قول الشاعر أنه ينظم بتأييد السلطان محمود .

(١) تلفظ هفتخان . (٢) المتن ص ١١٠ (٣) ص ٧٨ حاشية .

ثم أقبل عليه وقال : أعلمنى الآن عن روئين دِز ، وأخبرنى فى أى المواضع هى، وأخبرنى عن الطرق المفضية اليها والسهل والوعر منها ، وعن كمية أهلها وكيفية وضعها . فقال : إن من ها هنا الى هذه القلعة طرقا ثلاثة : أحدها يقطع فى ثلاثة أشهر وفيه المنازل العامرة والبلاد الآهلة . والثانى يقطع فى شهرين وفيه مراع معشبة ومياه عذبة ولكن ليس فيه عمارة ولا قرى . والثالث يقطع فى أسبوع . ولكن هذا الطريق مملوء[1] بالذئاب والسباع والثعابين التى لا ينجو من معرتها أحد . ثم مع هذا فى هذا الطريق امرأة ساحرة خطبها أعظم ونكايتها أفظع من الجميع . وهذا كله مع ما فيه من مكاره البرية والعنقاء والبرد والزمهرير . ثم يفضى الى القلعة وهى قلعة رأسها فى عنان السماء، وأسها فى قعر الماء . وهى مملوءة بالعتاد والعدّة محتفة بواد عميق كثير الماء بحيث اذا أراد أرجاسب الخروج منها لم يمكنه ذلك إلا على السفن . ثم إنه لو أقام فيها مائة سنة لم يحتج الى شىء يحمل اليه من خارج . فان له فيها الزرع والثمار والأشجار . فلما سمع إسفنديار ذلك أطرق ساعة ثم قال : لا طريق لنا سوى الطريق المختصر . فقال كُركسار : إنه لم يسلك هذا الطريق قط إلا من مل الحياة وسئم البقاء . فقال له إسفنديار : إن كنت معى فسترى العجائب . ثم قال له : فماذا الذى نلقاه فى هذا الطريق فى اليوم الأوّل ؟ فقال يتصدى لك ذئبان ذكر وأنثى كأنهما فيلان

= ويظهر أن القاصّ يريد أن يفضل إسفنديار على رستم فهو يقتحم به أهوالا أفظع مما اقتحم رستم . وقد يكون فى قتل إسفنديار العنقاء مايشعر بغرض القاصّ فى تصوير البطلين عدوّين متنافسين . فآثر العنقاء على أسرة زال معروفة مما تقدّم[2] .

وقد تقدّم التنبيه الى التشابه بين إنقاذ إسفنديار أباه وجيشه محصورين على الجبل وإنقاذ رستم الإيرانيين على جبل هماون[3] .

وسيرى القارئ بعدُ التقاء البطلين فى الحرب وظفر رستم على قرنه بحيلة العنقاء .

وقد مهد الثعالبى فى الغرر لهذه القصة بقوله :

"هذه القصة الى منتهاها من بقية قصة رستم مما لا يقبله العقل ولا يصدّقه الرأى، ولكنى أوثر ألا يخلو كتابى هذا منها مع شهرتها وتداول الناس إياها ، وميلهم اليها ، واستطابة الملوك عجائبها واستكثارهم فى الصحف والأبنية من تصاويرها، ومع اتصالها بما تقدّم من قصص الكتاب، وحاجته الى سياقتها" .

=

(١) طا، كو : مملوءة . (٢) ص ٥٣ وما بعدها . (٣) ص ٢٢٢

قوة وشكلا . ولها قرون كقرون الأوعال يكادان ينقضان بهما مبانى الجبال . أضراسهما عظيمة وأكتافهما غليظة وأوساطهما دقيقة. » ثم أمر بأن يردّ كُركسار الى موضع الحبس فى خركاه نصبت له ثم اندفع فى شربه مع ندمائه وأصحابه .

ولما أصبح من الغد ركب سالكا للطريق المذكور المسمى هفتخوان فى جموعه وجنوده . ولما قرب من المنزل خلف وراءه العسكر وأمر أخاه بشوتن بأن يسير بهم وراءه على سكون وتؤدة. وتقدّمهم وسار فاعترضه الذئبان كأنهما غمامتان . فأخذ القوس ورشقهما بالسهام حتى أثخنهما بالجراح ثم بادرهما فمزقهما بالسيف كل ممزق . ثم ترجل وعمد الى ماء هناك واغتسل . ثم استقبل الشمس وجعل يتمرّغ فى التراب ويعرض عجزه على الله تعالى ويتضرع اليه ويشكره على ما منّ به عليه من كفاية معرة السبعين . ثم وصل بشوتن بالعساكر فرأى إسفنديار فى الصلاة فقضى العجب مما شاهد . واجتمعت الأكابر والأمراء وأثنوا ودعوا له . ثم نصبت الخيم ومدّوا السماط فأمر إسفنديار باحضار كُركسار، فجاء يرسف فى قيوده . فأمر فسقوه ثلاثة أقداح من الشراب الصرف. ثم سأله وقال : ماذا نرى غدا فى المنزل ؟ فقال : يتعرض لك أسدان هصوران اذا تغيظا وجاشا فى الغاب كادا يحرقان فى الجو منيع العقاب . فتبسم إسفنديار وقال : ستعلم غدا صنيع هذا الأسد بذاك الأسد .

ولما أن جنّ الليل وأظلم أمر بالرحيل . فرحلوا وتقدّمهم هو، وترك العسكر مع أخيه كما فعل بالأمس . وسار الى أن ارتفع النهار فاعترضه فى طريقه سبعان كأنهما ناران تلتهبان[1] . فبادر إسفنديار

= وقصة هفت خوان فى الشاهنامه تتضمن العناوين الآتية :

(١) مدح السلطان محمود . (٢) المنزل الأوّل : إسفنديار يقتل ذئبين . (٣) المنزل الثانى : إسفنديار يقتل أسدين . (٤) المنزل الثالث : إسفنديار يقتل تنينا . (٥) المنزل الرابع : يقتل ساحرة . (٦) المنزل الخامس : يقتل العنقاء . (٧) المنزل السادس : يجتاز الثلج . (٨) المنزل السابع : يعبر النهر ويقتل كُركسار . (٩) يذهب الى روئين دِژ (القلعة النحاسية) فى زى تاجر . (١٠) أختا إسفنديار يعرفانه . (١١) بشوتن يهجم على روئين دِژ . (١٢) إسفنديار يقتل أرجاسب. (١٣) إسفنديار يقتل كُهرم. (١٤) إسفنديار يكتب الى كُشتاسب فيجيبه . (١٥) إسفنديار يرجع الى كُشتاسب .

(١) كلمة «تلتهبان» من له، طا، كو .

أحدهما بالسيف فشق من مفرق رأسه الى زوره بنصفين . وارتاع(١) الآخر لذلك وصال عليه فتلقاه بالسيف وألحقه بصاحبه . وعدل ونزل وطفق يدعو الله تعالى ويشكره . فلحقه أخوه وتلاحق الأمراء والقوّاد فنزلوا ونصبوا الخيم . وقعد إسفنديار واستحضر الأسير وعامله معاملته بالأمس . فلما طابت نفسه قال له : أيها الشقي ! ماذا نلقى غدا فى المنزل الذى بين أيدينا ؟ فقال ما أدرى كيف يكون حالك غدا ؟ إن أمامك ثعبانا يستخرج بنفسه الحوت من البحر، ويستنزل العقاب من الجو . عيناه كالنار المشتعلة ، وكأن بين(٢) فكيه حفرة من حفر الجحيم ، وكأن مابين منكبيه ركن جبل عظيم . ولو قبلت منى أيها الشهريار لرجعت عن هذا الطريق ، ولم تلق بيدك الى التهلكة . فقال له ياسيئ الظن ! سأجرك بهذه الحالة حتى ترى العجب وتعلم أن هذا الثعبان لا ينجو من سيفى . فأمر النجارين فعملوا له عجلة وركّبوا فى أطرافها نصولا محدّدة . ثم أمر فعملوا له صندوقا كبيرا ، وسمروه على العجلة ، وربطت على فرسين قويين . وقعد فى الصندوق وساق الفرسين لينظر كيف مشيهما بها . فجراها وجريا بها كالرعد والبرق .

ولما كان الغد دقت الكوسات وارتحلوا . فجعل عليهم أخاه وتركهم وراءه ، وتقدّم بالعجلة والصندوق . فلما سمع الثعبان جعجعتها انحط من رأس الجبل منحدرا . فتوارى إسفنديار فى الصندوق . فلما أسهل فغرفاه وابتلع الفرسين مع الصندوق والعجلة . فنشبت النصول المركبة فيها فى حنكه وفكه فبقى لا يستطيع ابتلاعها ولا قذفها . ففرغر وأفرغ من فمه السم بحرا أخضر . فانسل إسفنديار من الصندوق بيده السيف مسلولا فعلا دماغه بالسيف حتى شققه، وسطع من نار سمه دخان فى الهواء فهلك . وخر إسفنديار صعقا من روائح السم . فوصل بعد ساعة أخوه وأصحابه فرأوه مغشيا عليه . ثم أفاق وقام كأنه وسنان أو سكران فخلع خفتانه لما أصابه من السم، ولبس ثوبا آخر . وطفق يبتهل إلى الله تعالى ويدعوه ويشكره على السلامة والظفر . ثم خيموا على حافة نهر هناك . واستحضر كُركسار وسأله عما يراه من غده فى المنزل الذى بين يديه . فقال : اذا نزلت غدا تأتيك امرأة ساحرة تريك البر بحرا والبحر برا . وقد رأت عساكر كثيرة فما بالت بها ولا أفكرت فيها . فقال إسفنديار : سأقتلها غدا وأقصم بقتلها ظهور السحرة أجمعين .

ثم لما كان الغد سار وخلف أخاه على العسكر . واستصحب مِزهرا وظرف شراب وقدح ذهب ، وسار حتى وصل إلى أرض شجراء فيها عيون جارية وأزهار زاهرة ، وحدائق بأحداق

(١) لد : فارتاع . (٢) كلمة "بين" من طا .

النرجس ناظرة . فاستظل بظل شجرة ، وملأ جامه من الشراب وحطه بين يديه ، وأخذ المزهر بجس أوتاره وغنى بما يقرب معناه من قول مترجم الكتاب :

يا طيب لذتنا بالأمس فى نعم   بين المدام وبين الناى والعود
فى حجر سحارة[1] الألحاظ فاتنة   كناعم من غصون البان أملود
يا ليتها حضرتنى اليوم تطربنى   نفسى الفداء لها من غادة رود

فلما سمعت الساحرة صوته استبشرت وفرحت وقالت : قد ظفرت بصيد . ثم تصوّرت فى صورة حورية بيضاء ذات مقلة كحلاء وقامة ميلاء، وتبرجت وحضرت لديه . فأظهر الفرح بها وسقاها قدحا من ذاك الشراب . وكان معه سلسلة يزعم أن زردشت أتى بها أباه من الجنة . فألقاها على الساحرة وخنقها بها . فاستحالت فى الحال فى صورة سبع عظيم . فقال لها إسفنديار : لا تنفعك الآن معى حيلة، ولا أهابك ولو صرت جبلا . فاظهرى فى صورتك التى أنت عليها . فتبدّت عجوزا شوهاء شمطاء، متقلصة المشافر ، غوليّة المعارى والمحاسر . فعلاها بالسيف وطير رأسها . فوصل بشوتن وأصحابه وخيموا فى تلك الغيضة . وأمر إسفنديار باحضار الأسير فسقوه ثلاثة أقداح من الشراب الخسروانى . ولما طابت نفسه قال له إسفنديار : انظر أيها الشقى ! الى رأس الساحرة معلقا على تلك الشجرة ، وأخبرنى عن المنزل الآخر وما يعترضنا فيه . فقال : إن الأمر فيه أصعب وأعظم . فكن فيه أيقظ وأحزم . إن أمامك غدا جبلا شاهقا عليه طائر يعرف بالعنقاء . وكأنه جبل يمرّ فى الهواء (ا) . ولو رأت فى الأرض فيلا تدلت عليه واختطفته بمخلبها ومزقته بمنسرها . ولها فرخان متشابهان يسفان اذا أسفّت، ويحلّقان اذا حلقت . والأولى بك أن ترجع ولا تتعرض لشرها . فقال إسفنديار : سأخيط جناحها بالنشاب، وأقطع رأسها بالسيف .

ثم لما أن رأى الليل قد اعتكر ارتحل بالعسكر وسار طول الليل حتى طلعت الشمس وارتفعت وصارت كتاج على قمة الجبل . فخلف العسكر وراءه واستصحب العجلة والصندوق[2] . فرأتها العنقاء فانقضت عليها كأنها سحابة سوداء تغطى عين الشمس وتحجب ضوءها . فوقعت على العجلة لتنشب فيها مخالبها وتحلّق بها، على عادتها فى الصيد . فدخلت تلك النصول فى أجنحتها ورجليها . فضعفت قواها وسقطت الى الأرض تضطرب . وانسل إسفنديار من الصندوق ووضع فيها السيف ومزقها .

(ا) عبارة الشاه : كأنه جبل طائر .

(١) ك : ساحرة الألحاظ . (٢) كو : والصندوق على الهيئة المذكورة السابقة . وسار فصادف جبلا رأسه فى أعنان السماء . فوقف فى سفحه بالفرس والعجلة والصندوق فرأتها العنقاء اخ .

ثم سجد شكرا لله تعالى . فوصل أخوه بالعسكر وأصحابه وأولاده فخيموا و بسطوا فرش الديباج و بُسُط الحرير . وجلس إسفنديار واستحضر أسيره فجاء مصفر اللون لما رأى من نكايات إسفنديار فى تلك السباع . فقال له إسفنديار : أخبرنى أيها الخبيث ! عما نرى فى المنزل الآخر . فقال : غدا تقع فى خطب لا ينجيك منه سيف ولا سنان ؛ يمطر عليك من الثلج ما يغمر الرمح فتبقى مع هـذا الجحفل الجرار تحت الثلج عاجزين . ويهب هواء بارد شديد يكاد يمزق بزمهريره لحاء الشجر، ويخمد النار فى قلب الحجر . ومع ذلك فليس بعجب من سعادتك أن تسلم منه[1] كما سلمت من غيره . ثم إنك تفضى بعد ذلك الى برية فى نحو ثلاثين فرسخا تلتهب من حر الشمس، رملها مائر مايدب فيها نملة ولا يدرج فيها طائر، ولا توجد فيها قطرة ماء ولاطاقة حشيش . فاذا قطعت وراء هذه الأرض أربعين فرسخا فحينئذ تبدو لك القلعة . ووصفها بمعنى قول أبى فراس (أ) حيث يقول :

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به الى النجم فرع لا ينال طويل

فضج الايرانيون حين سمعوا ذلك وقالوا : أيها الملك ! لا تدر حول البلاء ما استطعت . وكلام كُركسار إن صح فنحن لم نأت هذا الموضع إلا للاستسلام للهلاك والموت . والرأى أن نعدل من هـذا الطريق الى طريق آخر . فغضب إسفنديار وقال : إن كنتم قـد سئمتم ومللتم فارجعوا وراءكم فانى لا أحتاج اليكم فى هذا الأمر . ويكفينى أخى وولدى عونا فى هذا الخطب . فلما رأوا نفره اعتذروا اليه وقالوا : نحن عبيدك ونصحاؤك ، وأرواحنا ونفوسنا فداؤك . وما قلنا ما قلناه إلا طلبا لسلامتك وجريا على مقتضى النصيحة لك . فقبل معذرتهم .

ثم لما تبلج الصبح ارتحلوا وساروا الى آخر النهار . فنزل[2] فى منزل هواؤه كهواء الربيع صافى الجو مُصحى السماء فنصبوا فيها الخيم ونزلوا . فبيناهم كذلك اذ أظلم الجو واشتدت الريح ونشأت سحابة أبرقت وأرعدت وأطبقت عليهم ثلاثة أيام بلياليهن تهيل عليهم الثلج هيلا حتى امتلأت الأودية . فصاح إسفنديار بأخيه بِشوتَن وقال : قد اشتدّ علينا الأمر وليس ينفعنا الآن رجولية ولا قوة . والرأى أن نلجأ الى من لا ملجأ منه إلا اليه . فإنه الكاشف للضر والقادر عليه . فاجتمعوا ورفعوا أيديهم وتضرعوا الى الله تعالى مبتهلين ودعوه دعوة الصادقين . فسكن الهواء وانجلت السماء . فأقاموا هنالك ثلاثة أيام .

(أ) الأبيات للسموءل . وفى حاشية الأصل ، ك ، طا : الأبيات للسموءل وهى من أشعار الحماسة .

(١) ك : أن تنجو منه وتسلم كما . (٢) ك ، طا ، فنزلوا .

ولما طلعت الشمس من اليوم الرابع أمر بحمل الأزواد والاستظهار بالطعام والشراب . وارتحل بهم وسار الى أن عبر نصف الليل فسمع صوت الكركى فاستدعى الأسير وقال : أما قلت أنه لا ماء فى هذه البرية؟ فقال : هاهنا ماء ملح و بعده ماء آخر زعاق تشربه الوحوش(١) . فساروا وتقدّم إسفنديار وسار فأفضى الى بحر لا قعر له ولا ساحل . فتقدّم الساربان بالجمل الذى كان يقدم القطار وخاض الماء ليعبر فغرق الجمل . فأدركه إسفنديار فأخذ بأخفاذه واجتره واستخرجه . فوقف و وقف الجميع فاستحضر كركسار وسأله عن المخاض، وأمره بأن يتقدم فى العبور . فقال : كيف يمكننى ذلك مع ما فى رجلى من أثقال الحديد؟ فأمر برفع قيوده عنه . فأخذ بزمام الجمل وخاض الماء وعبر، وتبعه العسكر حتى حصلوا من ذلك الجانب فخيموا ونزلوا للطعام والشراب . فأحضر كركسار وقال : اذا أخذت مدينة أرجاسب فقتلته وقتلت أولاده وسبيت ذراريه ونساءه كيف يقع ذلك منك ؟ أيسرك أم يسوؤك ؟ فضاق صدره وسفه على إسفنديار وشتمه . فعلاه بالسيف وقتله ورماه الى البحر . فركب وحده . وكان بينه وبين المدينة عشرة فراسخ . وسار وصعد الى بعض الجبال فرأى القلعة فاستعظم أمرها واستعضل داءها فأطرق مليا يقرع سن الندم على تقحمه فى تلك المهالك الصعبة، وتورطه فى تلك المسالك الوعرة، حين رأى حصانة حصارها، ووثاقة أسوارها، وكثرة رجالها، وفسحة مجالها . فنظر فرأى تركيين معهما كلاب للصيد فى سفح ذلك الجبل . فانحط عليهما وأسرهما، وجاء بهما الى مخيمه واستخبرهما عن أحوال القلعة والطرق المفضية اليها وعدد من فيها من المقاتلة . فأخبراه عن أرجاسب وجميع أحواله، وذكرا له أن فيها ثلاثين ألف فارس، وأن فيها من الذخائر ما لا ينفد فى عشر سنين، وفيها الحبوب مدخرة فى سنابلها . فضاق إسفنديار ذرعا بما سمع منهما فقتلهما . ثم خلا بأخيه وقال له : إن هذه المدينة لا تفتح بالمحاصرة والمقاتلة . ولا بدّ فى ذلك من إعمال الحيلة، والالتجاء الى المكر والخديعة . فكن متيقظا، وفرّق طلائعك، وأقعد على بعض المراصد ديدبانا . فاذا أخبرك بأنه رأى بالنهار دخانا متراكما، و بالليل نارا عالية على القلعة فاعلم أن ذلك من صنيعى فاركب وأقبل الى القلعة بخيلك ورجلك . ثم استدعى الساربان وأمر بإحضار مائة راحلة فأوقر عشرة منها بالذهب، وخمسة بالجوهر، وخمسة بالثياب . وأحضر مائة وستين صندوقا، وأقعد(أ) فى كل صندوق رجلا موسوما بالشجاعة والجرأة من رجاله بعدده وسلاحه . وحملها على ثمانين راحلة . ثم غير زيه، وجعل على الجمال عشرين رجلا من شجعان أصحابه وأقامهم مقام الجمالين، وتزيوا بزيهم . ثم ذهب بهم الى القلعة . فلما قرب منها استقبله الناس وأهل الأسواق،

(أ) يشبه هذا ما فعله قصير ليثأر من الزباء ملكة الجزيرة الخ .

(١) ك، ط، الوحوش والسباع .

واستبشروا بمقدمهم ، وحسبوهم عير تجارة ، وسألوه عما معه من الأقمشة والأمتعة . فقال : لست أخبركم بشيء ما لم أدخل على الملك وأخبره بحالي . فحينئذ أعاملكم وأبايعكم . فحط الحمول تحت القلعة ، وأخذ طاسا مملوءا من اللؤلؤ الشاهي وفرسا وعشرة أثواب ديباج ، وصعد . فأدخل على الملك فخدم وقدم تلك التحف وقال : أيها الملك ! إني رجل تاجر . وكان أبي مملوكا تركيا ، وأمي من الأحرار (ا) وقد صحبتني أحمال من كل نوع من الجواهر والمفارش والملابس . وقد قصدت بابك حتى أبيع وأبتاع بجاهك وتحت ظلك . وقد تركت الأحمال تحت القلعة . (وأتوقع من الملك أن يأذن في إصعادها الى هذه القلعة)[1] . فقال : اشرح صدرك وطب نفسا . وأمر بأن يعطى دارا في القلعة ودكانا أمام الدار حتى ينزل فيها ويبيع ويشتري كما يريد ويشتهي . فجاء الحمالون وحملوا الصناديق والأحمال وصعدوا بها الى القلعة . فسأل واحد وقال لبعض الحمالين : أي شيء في هذه الصناديق ؟ فقال له الحمال : ما ندري غير أنا قد حملنا أرواحنا على أكتافنا . » وحط أحماله في تلك الدار .

قال : فحمل إسفنديار تخوتا من ثياب الوشي ، ودخل على أرجاسب وقال : إن مع العبد أشياء تصلح للخزانة من الأطواق والمناطق والأسورة والقلائد وغيرها . فليحضر الوكيل وليأخذ ما يريد . وقدم الثياب بين يديه فأكرمه الملك وأحسن اليه وأمر الحجاب ألا يمنعوه من الدخول عليه مهما أراد . ثم استخبره عن اسمه فقال : اسمي خُرّاد . فسايله عن أحوال إيران و إسفنديار فقال : فارقت تلك البلاد من خمسة أشهر وكل من الناس يتحدث على حسب هواه ؛ فطائفة يقولون : إنه وقع بين إسفنديار و بين أبيه . و جماعة يقولون : إن إسفنديار يسلك طريق هفتخوان . فضحك أرجاسب وقال : إن النسور لا تستطيع أن تطير في هواء هفتخوان . واستبعد ذلك . ثم إن إسفنديار قام وخرج وفتح الدكان ، واجتمع عليه أهل المدينة ، ونفقت سوقه وطفق يبيع ويشتري الى آخر النهار . فلما خلا وجهه رأى أختيه حافيتين حاسرتين على كتف كل واحدة منهما جرة وهما خارجتان لنقل الماء . فوقفتا على دكان إسفنديار فغطى وجهه عنهما بطرف كمه . فقالت إحداهما : أيها الساربان ! من أين أقبلت ؟ وما الذي عندك من خبر إسفنديار وكُشتاسب ؟ فان كان عندك خبر فأخبرنا به . فانّا من بنات الملك كشتاسب ، وقد وقعنا في الأسر ، وحملنا الى هذه القلعة . ونحن كما ترى تحت المهانة والذلة نتبذل في الخدمة على رءوس الاشهاد . ويا طوبى لمن مات فواراه التراب — قلت وهذه حالة عبرت عنها ابنة النعمان بن المنذر حيث قالت :

(ا) في الشاه : « أبي ترك وأمي من الأحرار » فالمراد بالأحرار هنا الفرس .

(١) ما بين القوسين من ك ، طا .

بينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصّف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلّب تارات بنا وتصرّف

قال : فصاح عليهما إسفنديار، وطردهما . فعرفته إحداهما بصوته، وهى هُماى، لكنها سترت وكتمت طلبا للستر عليه . وجعلت تبكى وتذرف الدموع . فعلم إسفنديار بأنها قد عرفته فنحى طرف الكم عن وجهه وبكى ساعة . ثم قال لهما : اصبرا على ما تقاسيانه من الشدّة والبلاء أياما أخر . وصرفهما من عنده . ثم أغلق دكانه وجاء باب أرجاسب فدخل وقال : أيها الملك ! إنا لما توسطنا البحر فى متوجهنا الى هاهنا عصف علينا الهواء، وهاج علينا البحر وأشرفنا[1] على الموت . فنذرت أنى إن سلمت عملت دعوة عظيمة . وأرجو أن يشرف الملك عبده ، ويحضر مع الأمراء والخواص . فأجابه الملك الى ملتمسه، وقال لأكابر أمرائه وأصحابه : احضروا غدا عند خُرّاد . فقال أيها الملك ! إن منزلى يضيق . فأَصعدُ السور وأوقد النار، على ما يقتضى حال هذا الشهر (ا) المبارك[2]، وأفرح الأمراء والحاضرين بالمنادمة على الشراب . فقال : الأمر اليك فافعل ما اشتهيت . فوثب مسرورا وأتى منزله وأمر بإصعاد الأحطاب الى السور . فرقّوا اليه حطبا كثيرا . وذبح خيلا وغنما وأوقد النار حتى ارتفع الدخان واستوى الطعام . فحضر الملك والأمراء فطعموا وجلسوا للشراب . ولما جن الليل وثملوا انصرفوا فأشعل إسفنديار بقية الأحطاب، واستنار[3] الجو بضوء النار . وحين رأى الديدبان الموكل من جهة أصحاب إسفنديار ارتفاع الدخان بالنهار، واستضاءة النار بالليل سعى الى بِشوتَن أخى إسفنديار ، وأخبره بالحال . فأمر بدق الكوس[4] إشعارا بالرحيل . فساروا يسوقون نحو القلعة . فأعلم أرجاسب بأن عسكرا عظيما قد قدم من إيران . فنادى فى المدينة بالنفير . فركب كُهرم بن أرجاسب فى المقاتلة وخرج بهم . فصافوا الايرانيين فرأى كهرم بشوتن أخا إسفنديار فى القلب فحسبه إسفنديار. فالتقت الفئتان فقَتل نوشاذر بن إسفنديار طرخان أحد أمراء أرجاسب أو أولاده (ب) فانهزم كهرم موليا الى القلعة، وأخبر أباه بمكان إسفنديار وكونه صاحب الجيش القادم . ووصف له شكله وهيئته وعدّته . فاهتم لذلك ، وأمر جميع العسكر بالخروج من القلعة وبصدق القتال وبذل الوسع فى الدفاع . فخرجوا عن آخرهم حتى خلت القلعة من المقاتله .

(ا) فى الشاه : أنه شهر تير . وهو الشهر الرابع من السنة الفارسية القديمة وهو يوافق شهر يونيه و يوليه .

(ب) هذه العبارة : « أحد أمراء أرجاسب أو أولاده » ليست فى الشاه .

(١) ك : فأشرفنا . (٢) ك ، طا : المبارك (لا). (٣) ك : فاستضاء .

(٤) ك : الكوسات .

فلما دخل الليل وأظلم الجو أخرج إسفنديار رجاله من الصناديق، وأطعمهم وسقاهم ثم قال لهم : إن هذه الليلة ليلة بلية فشمروا عن ساق الجد وحصلوا لأنفسكم ذكرا يبقى أبد الدهر . وقسمهم ثلاثة أقسام : فوكل البعض بباب القلعة، ورتب البعض فى وسطها، وهجم بالباقين على باب أرجاسب (ا) ووضع السيف فى الحرس ومن كان على الباب . فلما أحس أرجاسب بذلك قام وهو سكران(ب) ولبس سلاحه، وقام فى وجه إسفنديار، وتضاربا وتصادما فأصابت أرجاسب جراحات أثخنته فسقط وقتل . وارتفع الصراخ عليه من قصره . ثم وكل إسفنديار بداره وحرمه بعض خدمه . وعدل الى مرابط خيله وأخرج خيولا عربية فركبوها . وترك فى القلعة جماعة يحفظون بابها . وأمرهم أن يرفعوا فى آخر الليل أصواتهم وينادوا[1] بشعار إسفنديار . ثم خرج من القلعة الى عسكره وأصحابه وهم نزول بقرب القلعة . وسمع كهرم أصوات الايرانيين ولغطهم من القلعة فاهتم وأحضر أخاه أندريمان، وتفاوضا فى موجب تلك الأصوات[2] . فلما رأوا الصياح فى الازدياد انصرفوا راجعين نحو القلعة ليخرجوا العدو عن وسط دارهم فى الأول . فلما وصلوا الى باب القلعة لحقهم إسفنديار بجنوده ورمى بعض من كان من أصحابه فى القلعة برأس أرجاسب من أعلاها . فانكسرت قلوبهم، وانقصمت ظهورهم ، واستسلموا للموت ، وصلوا نار الحرب حتى امتلأت الأرض بجثث القتلى وأشلائهم وسالت الأودية والشعاب بدمائهم . وأسر إسفنديار كهرم فولوا هاربين . ونجا من لم يحضر أجله وسبق به فرسه . واستأمن الباقون . فلم يؤمنهم إسفنديار . وكان سفاكا للدماء، فوضع فيهم السيف حتى حصدهم حصدا .

(١١٧)

ثم خيموا دون القلعة ونزلت العساكر واشتغلوا بالأكل والشرب واللهو واللعب والعيش . ثم أمر بنصب خشبتين عند باب القلعة فصلب عليهما كُهرَم وأندريمان ابنى أرجاسب . وعند ذلك انقضت دولتهم وتقضت أيامهم وامحت آثارهم . وكذلك سنة الله فى الذين خلوا من قبل . ولن تجد لسنة الله تبديلا . ثم فرق إسفنديار أمراءه وأصحابه فى أطراف توران ، وأطلق أيديهم فى القتل والأسر والنهب . ثم كتب الى كشتاسب كتاب الفتح ، وذكر فيه ما يسره الله تعالى له من الظفر والنصر وأخذه بثأر لهراسب، واقتصاصه لمن قتل من أولاد كُشتاسب . وطير النُجب والهجن بالكتاب الى إيران ، وأقام منتظرا ما يأمر به أبوه . فلم يمض إلا قليل حتى ورد جواب كتابه من

(ا) فى الشاه : أنه حين بلغ قصر أرجاسب صاح . فخرجت أختاه فأمرهما أن تسيرا الى دكانه حتى تجلى الموقعة .

(ب) ليس فى الشاه أنه كان سكران بل كان نائما . وكلا الأمرين عجيب فى هذه الحال .

(١) صل، طا : ينادون . (٢) طا : الأصوات الأجنبية .

حضرة أبيه . وفيه، بعد حمد الله، أنه قد طال شوقنا اليك ولا صبر لنا عنك . وقد قضى الله وطرك وحقق أملك . فأقبل إلينا مظفرا منصورا ، واقدم علينا منشرح الصدر مسرورا . فلما ورد عليه الكتاب تجهز وفرّق جميع المغانم وما حصل من الذخائر من خزائن أقارب أرجاسب وأمرائه على العسكر حتى أغنام ، وزادهم فى ذلك على مناهم . ولم يبق غير خزانة أرجاسب خاصة فإنه تركها برسم الملك كشتاسب، فأوقر[1] منها مائة حمل من الجوهر، ومائة من الأكاليل والحلى والحلل، وألفا من المفارش والمطارح، وثلثمائة من الجامات الصينية المدهونة والمخروطة . واختار وصائف كأنهن الأقمار، وأرسلهن فى العماريات فى صحبة بنتى كشتاسب . ومن جملتهن أختا أرجاسب و بنتاه و زوجته . ثم أمر ، بعد تفريغ القلعة، بتخريبها وهدمها ففعلوا ذلك .

ثم انصرف راجعا[2] فى طريق هفتخوان . ولما قارب بلاد ايران تلقاه أولاده الثلاثة وأمراء أبيه . ثم تلقاه أبوه كشتاسب .واتخذوا يوم الاجتماع عيدا وكاداو يطيرون فرحا وسرورا[3]. واجتمعوا فى مجلس الأنس والطرب، وجعل الأب يشرب على اسم الولد، والولد على اسم الأب .

وهذا آخر قصة هفتخوان والحمد لله رب العالمين .

ذكر ما جرى بين رستم وإسفنديار وما أفضى اليه حالهما §

قال : وانصرف إسفنديار من مجلس أبيه ذلك الى ايوانه وهو واجم مهموم . فنام عند أمه كتايون ابنة ملك الروم . فلما انتصف الليل استيقظ وطلب جام شراب فأحضر فشرب . وجلس مع أمه وشكا اليها أباه، وذكر أنه وعده أنه اذا أخذ بثار لُهراسب، واستخلص المسبيّات من أخواته أن يوليه الأمر، و يسلم اليه التاج والتخت، وأنه قد وفى بذلك، و يريد أن يدخل عليه من الغد

§ قد رأينا فيما تقدّم محاولة القصة منافسة رستم باسفنديار، ومعارضة مآثره بمآثره . وفى هذه القطعة يتجلى حرص القصة على إنصاف البطلين جهد الطاقة مؤثرة إسفنديار حين لا يكون بد من تفضيل أحد البطلين على الآخر : كلا البطلين يريد خيرا بصاحبه، ولكن وراءهما كشتاسب قد أصر على أن يُحمل رستم إليه مقيدا، و يأبى إسفنديار التقى البار إلا أن يمتثل أمر أبيه على كره . ورستم بطل الأبطال فى العهد الماضى يأبى كل الإباء أن يرى فى الأغلال . فلا مناص اذًا من الحرب . ولا بد أن يعاقَب كشتاسب بما فعل بابنه إسفنديار، وأن يُحمل إسفنديار بطل الدين شهيدا، ولا بد =

(١) طا : وأوقر . (٢) ك، طا : راجعا آخذا . (٣) فى الأصل فرحا وفرحا . والتصحيح من ك، طا .

اذا أصبح[1]، ويذكّره قوله، ويستنجزه وعده . وقال : لا أرضى منه بدون ذلك وإن أعطانى جميع الممالك . وعلمت أمه أن أباه لا يفعل ذلك فنهته عنه وقالت : ما تصنع بالتاج والتخت ؟ ألا ترى أن جميع الممالك تحت حكمك ، وجميع الخزائن فى قبضتك، وأمور السلطنة مفوضة إلى رأيك وتدبيرك ؟ وهل بقى لكشتاسب غير تاج أنت المتوج به معنى، وتخت أنت الجالس عليه حكما ؟ وسيصير ذلك إليك أيضا . وأى شئ أحسن من أن يكون الولد ماثلا كالأسد بين يدى والده يحمى حريمه ويصون عرينه؟ فغلظ كلامها على إسفنديار، وكرهه وقال : ما أصدق ما قيل : لا تفش إلى النساء سرك ولا تطعهن فانك لا تجد فيهن ذات رأى .

ثم إنه لازم أباه على المعاقرة والمنادمة فأحس كشتاسب بما فى نفسه فأحضر جاماسب العالم وجميع الكهنة الذين كانوا من أصحاب لهراسب . فحضروا بالكتب والزيجات، واستخبرهم كشتاسب عن طالع إسفنديار وعن مدّة عمره وعن حسن سيرته، وأنه هل يلبس التاج ويمتع بالملك أم لا ؟ وأنه هل يموت على فراشه أو يقتل؟ فنظر جاماسب فى زيجاته القديمة ثم اغرورقت عيناه بالدموع، وقطّب ما بين عينيه . فقال له كشتاسب : أخبرنى بالحال عاجلا فقد أمررت عيشى بهذا العلم . فأخبره بأن إسفنديار يقتل فى زابلستان فى حرب تكون بينه وبين ولد دستان . فقال : لو أعطيته

= مع هذا أن تحفظ له بطولته وغلبته . فتجهد القصة أن تظفر إسفنديار برستم، ثم تلجأ إلى حيلة العنقاء لقتل إسفنديار . ويبكى رستم على إسفنديار بعد أن رماه الرمية المصمية، ويقول إسفنديار لرستم : لم تقتلنى أنت وإنما قتلنى كشتاسب حين أكرهنى على قتالك، فيصطلح البطلان فى الساعة الآخرة . ويعهد المقتول إلى القاتل بتربية ابنه بهمن فيعود رستم إلى تربية أبناء الملوك كما ربى سياوخش من قبل . ثم يرى القارئ فى الفصل الذى يلى هذا أن رستم يؤخذ بجنايته على إسفنديار فيموت ميتة فظيعة .

ولا ريب أن القارئ يحس سعة الخيال والاحتيال البليغ لخلاص من هذا المأزق الذى التقى فيه البطلان وجها لوجه . ولكن جمال القصة وروعتها إنما يدركهما قارئ الشاهنامه نفسها .

ثم قصة إسفنديار ورستم فى الشاهنامه تتقسمها هذه العناوين :

(١) إسفنديار يطمع فى الملك ، وأبوه يستشير المنجمين . (٢) إسفنديار يطلب الملك من أبيه . (٣) جواب كشتاسب . (٤) كتايون تنصح إسفنديار . (٥) إسفنديار يقود جيشا إلى زابلستان . (٦) إسفنديار يبعث بهمن الى رستم . (٧) بهمن يجىء إلى زال . =

---

(١) ك، طا : إذا صبح من الغد .

تاج السلطنة وسلمت اليه تخت المملكة لازم مكانه وأمن مما تذكره من صروف الزمان وطارق الحدثان. فقال جاماسب : إن الكائن سيكون ، وسواء اذا حقت المنون الحركة والسكون . ثم إن القدر المحتوم أسبل على قلب كشتاسب حجاب الغفلة حتى أنفذ إسفنديار الى زابل لقتال رستم . وذلك أنه جلس ذات يوم فى إيوانه ، وحضرت الموابذة والأمراء والأكابر وأركان الدولة ودخل إسفنديار وخدم ووقف فى مقامه من الخدمة فدعا لأبيه ، وأخذ يعدّد مقاماته ووقائعه وما سبق له من الحروب ، وما ناله من جلائل الخطوب ، وما ابتلى به من الحبس على تلك الهيئة الفظيعة والصورة الشنيعة . ولما فرغ من تعداد ذلك استنجز أباه ما وعده ، وسأله الوفاء بما أطمعه فيه . وقال : إنى لأستحى من الأكابر اذا قالوا : أين كنوزك وأين جنودك؟ فأى حجة بقيت لك وهل بقى سبب تحتجى به ؟ فقال أبوه : لا معدل عن الصدق . وقد وفيت بأكثر مما التزمته ، ولم تترك لى على وجه الأرض عدّوا إلا أفنيته ، ومالك فى الأرض قرن غير ابن دستان الجاهل الذى استبد ببلاد زابل وغزنة وبُست ، وأخلّ بالخدمة والطاعة بعد أن كان كالعبد فى خدمة كيكاوس ، وبعده فى خدمة كيخسرو[1] . وقد بلغ به الأمر الى أن قال : ملك كشتاسب طريف مستحدث ، وملكى تليد متقدّم. ولا أجد فى توران ولا إيران من يساجلنى ويقاومنى » . فلا بدّ[2] من أن تنهض الى سجستان لتأتى به أسيرا مع ولده وأخيه . واذا فعلت ذلك فوحق واهب الحول والقوة ، ومنوّر الشمس والقمر إنى لا أستروح الى عذر ، ولا أعتل بعلة ، وأقلدك الأمر وأسلم اليك الملك . فقال إسفنديار : أيها الملك !

(١١٨)

=(٨) بهمن يبلغ الرسالة إلى رستم . (٩) رستم يجيب إسفنديار . (١٠) بهمن يرجع . (١١) لقاء رستم وإسفنديار . (١٢) إسفنديار لا يجيب رستم الى ضيافته . (١٣) إسفنديار يعتذر من قعوده عن ضيافة رستم . (١٤) إسفنديار يعيب نسب رستم . (١٥) رستم يرد كلام إسفنديار ويذكر حسبه ومآثره . (١٦) إسفنديار يفخر بأجداده . (١٧) رستم يفخر بشجاعته . (١٨) رستم يشرب الخمر مع إسفنديار . (١٩) رستم يرجع الى قصره . [(٢٠) زال ينصح رستم] . (٢١) رستم يحارب إسفنديار . (٢٢) زواره وفرامرز يقتلان ابنى إسفنديار . (٢٣) رستم يهرب الى الجبل . (٢٤) رستم يشاور أهله . (٢٥) العنقاء تنجد رستم . (٢٦) رستم يعود لقتال إسفنديار . (٢٧) رستم يصيب إسفنديار فى عينه بسهم . (٢٨) إسفنديار يوصى الى رستم . (٢٩) بِشوتَن يحمل نعش إسفنديار الى كشتاسب . (٣٠) رستم يرجع بهمن الى ايران .

(١) لك، طا : الملك كيخسرو . (٢) طا : لا بد لك .

هذا منك ترك للرسم القديم، وعدول عن الطريق المستقيم . واللائق بك أن تنازع أصحاب الأقاليم، وتطلب ملك صاحب الروم أو صاحب الصين لا أن تتعرض لمنازعة شيخ كان كيكاوس يسميه صياد الأسود ووهاب تخت الملوك وصاحب الرخش . وليس ممن نبغ فى هذا الزمان بل هو بهلوان كبير ورث السيادة كابرا عن كابر، ومعه عهد الملك كيخسرو. فان كان عهد الملوك لا يعوّل عليه فلا يعوّل على عهدك أيضا . ثم قال كشتاسب : إن أردت السلطنة فخذ طريق سجستان وافعل ما أمرتك به . فغضب إسفنديار وقال : ما بك قصد رستم ولا دستان، ولكنك تريد إبعاد إسفنديار لأن نفسك لا تسمح بتفويض الأمر اليه . فلا زلت ممتعا بالتاج والتخت . وأما أنا فيكفينى زاوية من الأرض أعتزل فيها ، وأكون[1] مع ذلك عبدا مطيعا لك ممتثلا لأمرك . فقال له أبوه : لا تحتد وخذ العسكر وامض . وهذه الأموال والخيل والأسلحة بين يديك فخذ منها ما اشتهيت . ولا تتوان فى الأمر . فخرج ودخل الى إيوانه فأتته أمه وهى تبكى وقالت : قد أخبرنى بهمن بأنك تريد الخروج الى زابلستان لقتال رستم بن دستان . فلا تتعرض له ولا تلق بيدك الى التهلكة . فانه الرجل الذى لا يصطلى بناره، ولا يجارى فى مضماره . فقال لها : إنه كما ذكرت . ولكن كيف أخالف أمر الملك كشتاسب ؟

فركب فى عساكره وتوجه نحو زابلستان، وسار حتى وصل الى طريق يتشعب منه طريقان : أحدهما يفضى الى زابلستان ، والثانى الى قلعة جُنْبُذان . فبرك الجمل المتقدّم من جمال الأثقال ولزق بالأرض . وجعل السار بان يضرب على رأسه وهو لا يتحرك ولا يثور . فتطير إسفنديار من ذلك، وأمر بأن يقطع رأسه مكانه ففعلوا به ذلك . ثم سار إسفنديار وهو مهتم حتى وصل الى هيرمند فخيم بها . وأرسل ولده بهمن الى رستم، وأمره أن يقول له : من علت فى الأرض[2] درجته، وترقت فى الجلالة مرتبته فالواجب عليه أن يحمد الله عز وجل على ما أنعم به عليه من ذلك حتى يزيده من فضله ويمتعه بما أولاه . ومن عرف الدنيا وخبرها دارى الملوك ، وتجنب مخاشنتهم . ومن زرع شيئا حصد زرعه . ومن سمع منه قول سمع مثله . وقد تعاقبت عليك الأزمان والعصور، وأفنيت عمرك فى خدمة الملوك . فلو نظرت بعين العقل لعلمت أن الأليق بك غير ما أنت عليه . ولم تحصل من أسلافنا وأجدادنا على هذه الجلالة[3] والسيادة إلا من حيث إنك كنت تفرغ وسعك فى طاعتهم، وتبذل جهدك فى خدمتهم . ولما تقلد لهراسب صرت حلس بيتك ، وأعرضت عن خدمته . ولما تولى ولده كشتاسب جريت على ذلك السنن ، ولم ترفع به رأسا حتى لم تكتب اليه

---

(١) صل : وأكون عبدا مطيعا . والتصحيح من ك ، طا . (٢) ك، طا : فى الأرض (لا) .

(٣) صل : الحالة . والتصحيح من طا .

الى هـذه الغاية ولا كاتبا واحدا . ولا يخفى أنه لم يتسنم سرير الملك من عهد أوشهنج الى هـذا العهد ملك مثـله فى حسن سيرته وسـداد طريقته . وقد تيسر له من الفتوح ما لم يتيسر لغيره حتى دخل تحت حكمه جميع ممالك المشرق والمغرب، وصار العالم ككرة شمع فى يده ؛ فما من ملك إلا وقد أدّى اليه الجزية، وما من مدينة إلا وحمل اليه خراجها . وقد ضاق صدره مما تعامله به من إخلالك بخدمته وقلة احتفالك بجنبه ، وركونك الى الاعتزال والخمول . وما أنت ممن ينساه الملوك أو تتغافل[1] عنـه، ولا ممن يغتفر له تقاعده عنها . وقد اغتاظ ذات يوم من صنيعك فحلف أنه لا بدّ أن ترى فى سرادقه مقيدا مكبلا . وما جئت إلا لهذا الأمر . فاحذر عاقبة سخطه وغضبه . فاجتمعوا[2] جميعا أنت وأبوك وولدك وأخوك على التشاور فى الأمر، وعلى النظر فى وجه الرأى[3] . ولا تخربوا بيوتكم فيشمت الأعداء بكم . واذا حملتك مقيـدا اليه سعيت فى رضاه عنـك، وتلطفت فى أن يعود الى أحسن ما كان عليه معك .

فسار بهمَن متحملا هـذه الرسالة . فلمـا تجاوز هِرمَند أخبر زال بقدومه فركب . ووصـل فى الحال بهمن ولم يكن يعرف دستان . فلمـا رآه قال : أيها الدهقان ! أين سـيد القوم رستم بن دسـتان ؟ فهذا إسفنديار قد قدم وخيم على حافة النهر . فقال له دسـتان : انزل واسترح فان رستم وأخاه فى متصيد لهما فى جماعة من الفرسان . فقال بهمن : إن إسفنديار لم يأذن لنا فى هذا . ولكن ابعث معنا من يدلنا على المكان الذى هو فيـه . فسأله دستان عن اسمه ، فقال : أنا بهمن بن اسفنديار، حافد الملك كشتاسب . فترجل دستان له وخدمه، فترجل بهمن أيضا . وسايله وحادثه ثم نفذ معـه فارسا حتّى[4] يدله على موضع رستم . فتوجه نحوه فلمـا رآه رستم مقبلا من بعيـد ركب مع أخيه واستقبله فترجل له بهمن وخدمه . فسأله رستم عن اسمه فأعلمه فاعتنقه ولاطفه وسايله ، وذهب به الى مخيمه . فلما جلسوا بلغه بهمن سلام الملك، وأعلمه بوصول إسفنديار ونزوله على نهر هِرمند[5] . قال : ومعى رسالة من إسفنديار أعرضها إن أذنت . فقال رستم: قد تعب ابن الملك وجاء من مكان بعيد . فنأكل أوّلا ما حضر من الطعام ثم الأمر اليك، والعالم بحكمك» . فبسطوا السفرة. وكان ممـا أحضر حمارا وحش وضع أحدهما بين يدى بهمن والآخر بين يدى رسـتم . وكان رستم يأكل كل مرة وحده حمار وحش . فنظر الى أكل بهمن فتبسم وقال : كيف سلكت طريق هفتخوان بهـذا الأكل؟ وكيف تكون قوة بأسك وأكلك هذا الأكل؟ فقال بهمن : من كان من

---

(١) صل : ولا يتغافل . والصحيح من لك، طا . (٢) لك، طا : واجتمعوا . (٣) لك، طا : وجه الرأى فى ذلك . (٤) لك : حتى (لا) . (٥) طا : هيرمند .

شجـرة الملك لا يكون كثير الأكل[(١)] ولا كثير الكلام . و ينبغى أن يكون الأكل قليلا والجد كثيرا . فضحك رستم وقال : أبت الرجوليـة إلا ظهورا . وملأ جاما من الشراب فشربه، وملأ جاما آخر ناوله بهمن فتوقف ولم يجسر على شربه . فأخذ زواره الجام من يده وشرب بعض ما فيه ثم ردّه اليه فشرب . وأخذ يقضى العجب من رستم وشربه وأكله وقدّه وشكله . ثم ركب رستم و بهمن يسيّران (١١٩) فأدّى اليـه بهمن رسالة إسفنديار . فامتلأ دماغه فكرا وأطرق ثم رفع رأسه وقال : أبلغ إسفنديار سلامى وخدمتى، وقل له : إنى كنت أتمنى على الله تعالى أن أرى وجهك ، وأجتمع بك، وأشاهد هيبتك وأبهتـك، وأنادمك وأعاقرك . والآن فقـد حقق الله تعـالى هذه الأمنيـة . وأنا صائر الى خدمتك، ومستمع شفاها منك رسالة الملك كُشتاسب . وسأحمل معى عهود الملوك من عهد كيقباذ الى عهـد كيخسرو حتى تنظر فيها وتنظر فى أمرى ؛ فإن كان جزاء ما عاملت به الملوك من الأفعـال الجميلة ، وما تحملته لهم من الأعباء الثقيلة فى الدولة القُباذية وما بعدها، القيد والحبس فقيد رجلىّ و يدىّ بالحبال والأصفاد . و إن لم تبد منى جناية توجب ذلك فلا تقابلنى بكلام يوغر صدرى و يوحش قلبى، ولا تقـل قولا لم يقـله قط أحد، ولا تُعنّ بحبس الريح فى القفص، ولا تلج معى فان اللجاج دأبى وديدنى، ولم ير أحد رجلى فى القيد، وافعل معى ما يليق فعله بالسلاطين، وطهر قلبك بفضيلة الرجولية من دنس الداء الدفين ، واشرح صدرك ، واعبر المـاء الينا . وكن ضيفنا حتى أصـبر لك عبدا كما كنت لكيقباذ من قبل . واذا فعلت ذلك وأقمت فى هذه البلاد شهرين تستريح فيهما أنت ومن معك فتحت لك أبواب الخزائن التى ملأتها بحـدّ السيف ، وأبحتك إياها، واذا عزمت على الرجوع لم أفارقك وأسير فى خدمة ركابك حتى نصير معا الى حضرة الملك كشتاسب فأعتذر اليـه ، وأستسلّ ما فى قلبه من سخيمة، وأقبل رأسـه ويده ورجله ، وأتلطف حتى يقبل معذرتى . ثم قال لبهمن : احفظ ما قلته لك، وأدّه الى إسفنديار .

فانصرف راجعا الى أبيـه . و بقى رسـتم فى موضعه، واستحضر أخاه زواره، وولده فرامرز ، وأرسلهما الى أبيه دستان، وأمرهما أن يقولا له : إن إسفنديار قد وصل . فانصبوا له فى الأواوين التخوت الذهبية، وابسطوا المفارش الخسروانية، وافعلوا ما فعلتم فى ضيافة الملك كيكاوس بل أكثر وأحسن، وأعدّوا الأطعمة . وهأنا ذاهب اليـه داعيا له مستضيفا . فإن رأيتُ فى رأسـه خيرا لم أبخل عليـه بشىء من الكنوز والذخائر والجواهر والخيل والأسلحة وان ردّنى ولم يجب دعوتى ما يكون يومى معه بالنير المضىء . ثم لا يخفى أن الغلبة لمن تكون. فقال له زواره : لا تشغل سرك

(١) ك : ولا كثير الكلام (لا) .

بهذا . فانه لا يختار مكاشرتك ومخاصمتك . ولست أرى فى الأرض شهريارا مثله سماحة وبسالة وشهامة وحزامة . والعاقل لا يصدر منه الشر» . فتوجه زواره نحو زال، وتوجه رستم نحو هرمند فوقف على شاطئ النهر ينتظر مجيء بهمن اليه .

وأما بهمن فانه لما دخل على أبيه وقف ماثلا فسأله وقال : ما الذى ردّ عليك ذلك البهلوان الشجاع؟ فجلس بين يديه ، وأورد ما سمع من جوابه . قال : وها هو قد جاء الى شاطئ النهر بلا جوشن ولا عدّة ولا سلاح » . ووصف بهمن ما شاهد من شهامته ومهابته وقوته وشدّته . فصاح إسفنديار عليه ، ولم يعجبه وصفه لرستم بمحضر ممن حضر من القوم . وأمر بإسراج فرس له أدهم ثم ركب واستصحب مائة فارس وسار حتى وصل الى شاطئ النهر . فصهل الأدهم من هذا الجانب وصهل الرخش من ذلك الجانب . فخاض رستم الماء وعبر الى إسفنديار فترجل له وخدم ودعا وأثنى ثم قال : إنى طالما كنت أتمنى على الله تعالى أن أرى الشهريار قادما علىّ حتى أجالسه وأفاوضه . وأستشهد الله ، ولا يستشهده كاذبا إلا من يكون بحبل الغواية جاذبا ، أنى لو رأيت سياوخش لم أسر برؤيته سرورى برؤيتك. ولست تشبه إلا ذلك الملك المتوج — يعنى سياوخش — فطوبى لكشتاسب إذ رزق ولدا مثلك ، وطوبى لأهل إيران إذ يخدمون تاجك وتختك ، وتبا لمن تجاسر على قتالك . فنزل إسفنديار واعتنقه ودعا له وأثنى عليه وقال : أحمد الله حين أقر عينى بطلعتك ، وكحل ناظرى برؤيتك . فاستضافه رستم وسأله إجابة دعوته وإكرامه بمنادمته ومعاشرته . فقال : لست أخرج عما حدّه لى الملك ، ولا أخالف ما اقتضاه أمره سرا وجهرا . وإنه لم يأمرنى بالمكث فى زابل ، ولا بقتال أهل كابل . والمرجو منك أن تفعل ما يستحلى فى العاقبة ثمره ، ولا تخالف حكم الملك وأمره . فانه مهما رآك وقد أدخلت عليه مقيدا قرع سن الندم وتعثر فى ذيل الخجل ، ولم تبق فى القيد الى الليل . ولاشك أنه لا يجىء منه شر ولا ينالك منه مكروه وضير . فقال رستم : قد سألت الله مثل هذا اليوم لأفرح بلقائك وأسر برؤيتك ، والآن فقد حفت عين السوء وأن ينتهز الشيطان فرصة ويغرك بتاجك وتختك . ثم إنك اذا امتنعت من إجابتى ولم تحضر دعوتى جرّ ذلك علىّ عارا يبقى أثره مدى الدهر . واذا أخرجت الحلف من رأسك واجتهدت فى إصلاح ذات البين أطعتك فى جميع ما تشير به علىّ ولم أخالفك فى شىء غير القيد . فانه أمر فظيع وحالة شنيعة لا أرى عليهما ما عشت .

ثم إن إسفنديار وعده بالمصير الى داره ، وإجابته الى ضيافته . فركب رستم وانصرف راجعا ، وأمر بترتيب الأطعمة وتهيئة أسباب الضيافة . وجعل ينتظر حضوره فابطأ حتى فات وقت الحضور ،

فغضب رستم واغتاظ وأمر أخاه بأن يمدّ السماط، ويحضر أصحابه ويقدّم اليهم ما أعدّوه لإسفنديار. وركب متوجها الى معسكره، وعبر اليه الماء ودخل عليه فشكا من تأخره عنه وقال له : إنك تعظمت ورفعت قدرك عن المصير إلىّ . وكأنك تستصغرنى فى شجاعتى وتستخف بى فى رأيى وأدبى . فاعلم وتحقق أنى رستم المنتمى إلى سام بن نَيرم . وكم من أسد اختطفته عن ظهر فرسه بهذا الوهق ؛ مثل كاموس الكُشانى ، وخاقان الصين الى غيرهما من القروم الصعاب . وأنا حافظ ملوك إيران ومعينهم على أعدائهم أجمعين . وأراك بتملق اليك وتواضعى لك قد ظننت الظنون وتوهمت أن (١٤٠) فعلى ذلك عن ضراعة وعجز واستكانة وخوف . وأنا أكره قتالك لما أرى فيك من الأبهة والجلالة، ولا أريد أن يتلف شهريار مثلك . وقد توليت بهلوانية العالم زمانا طويلا ، وما رآنى أحد خاضعا لأحد ذليلا . وقد طهرت وجه الأرض من كل ضدّ ، وتحملت فى ممارسة الحروب كل عبء . والحمد لله إذ لم أمت حتى رأيت لى قرنا يتصدّى لقتلى والانتقام منى » . فتبسم عند ذلك إسفنديار وقال : يا ابن سام بن نيرم ! أرى صدرك قد ضاق بتأخرى عن ضيافتك، ولم يؤخرنى عنها إلا الحر الشديد والطريق البعيد . وكان فى نيتى أن أحضر من الغد باكرا، وأعتذر من تقصيرى ، وأقر عينى برؤية دستان بن سام ، وأشرب معكم يوما . فتجشمتَ وتعنّيت . فخفض الآن عليك واسكن ، وتناول الكأس ، واترك هذه الحدّة والطيش . فمكن له ليجلس عن يساره فقال : لا أقعد إلا حيث اشتهيت . ثم لما استوى بهم المجلس قال له إسفنديار : إنى سمعت من الموابذة أن دستان الخبيث الجوهر إنما تجنّته[1] الجنّ فأخفته النساء عن سام لقبح صورته وسماجة شكله . ثم إن ساما لما علم به أمر بإخراجه الى البحر لتأكله دواب البحر . فانقضت عليه العنقاء ورفعته الى وكرها، وطرحته عند أفراخها . وكان يطعم من فضلات جيف ترفعها الى أن ترعرع وكبر . فحملته الى باب سجستان فقبله سام واستلحقه لجهله وحمقه وجنونه ولأنه لم يرزق ولدا . فحمله ذلك على قبوله وإلحاقه بنسبه ليستظهر به . ثم إن أكابر أسلافنا ونصحاء أجدادنا اعتنوا به ورفعوا منه وجذبوا بضبعه حتى سمق قدره وطال باعه . فولد له رستم الذى طاول الكيوان وقهر الأقران، ولم تزل مرتبته ترتقى حتى بلغ به الأمر الى مخالفة السلطان والخروج عن طاعة الرحمن» . فقال له رستم : ما أراك إلا وقد اخترت الزيغ واتبعت الشيطان . فلا تقل إلا ما يليق بالملوك . وهم لا يعدلون فيما يقولون عن سنن الصدق ومنهج الحق . وإن أباك أعلم بدستان، ويعرف أنه بهلوان كبير القدر غزير العلم ، وأن ساما هو ابن نيرم ، وأن نيرم ولد أوشهنج ثالث ملوك العالم .

---

(١) ك طا : تجهله .

و يعلم أن أمى ابنة مهراب ملك الهند الذى كان الضحاك خامس آبائه ، ومن له أصل مثل هـذا الأصـل ، وهو الأصـل الذى لا ينكر شرفه ذو عقل . وأما شرفى فى نفسى فجميع الأكابر يُعلمون الىّ فى الآداب، ومحتاجون الى تعلمها منى . ومعى عهد كيكاوس ومنشوره الذى لم يبق لأحد علىّ حجة، وعهد كيخسرو الذى لم يكن له فى الملوك مثـل . وكم من ملك ظالم قتلت ! وكم من موقف حرج وقفت ! وهذا عمرى[1] وقد أناف على ثلثمائة سنة ولم أزل بهلوان العالم . ومنذ شددت منطقة الخدمة استراحت الملوك وكفيتهم العناء والتعب . ثم إنى لم أقل ما قلت إلا لأنك وإن كنت عظيم القـدر شديد البأس فأنت حديث السن قريب العهـد ، ولأنك لا ترى فى العالم غير نفسك ، ولست مطلعا على الأسرار الخفية . هـذا وبعد أن أطلنا الكلام فأحضر أيها الساقى المدام ، وحث الأقداح وروح الأرواح » . فتبسم إسفنديار وقال : قـد أسمعتنى وقائعك وأخبار مقاماتك . فاسمع حالى ، واعلم أنى شمرت أولا عن ساق الجـد فى أمر الدين حتى طهرت بسـاط الأرض عن عبدة الأوثان ، وغطيت بدمائهم الأرض . ثم ذكر وقائعه وما سبق شرحه من تقطيعه السلاسل والجوامع عند إرادتهم إطلاقه من الحبس ، وما جرى له فى محاربة أرجاسب وكسره إياه وسلوكه طريق هفتخوان وإيقاعه به ، وأنه صادف أهل بلاد توران يعبدون الأصنام فأبادها وسدنتها وعبادها، وأوقد فيها نار زردُشت التى يزعم أنه جاء بها من الجنة (أ) فى مجمر وأظهر بتلك البلاد دينه ولم يترك بها عدوّا . ثم قال: وأنا ابن كُشتاسب بن لُهراسب ابن أروند الذى كان فى مملكته صاحب تاج وتخت . وهو ابن كى بشين بن كيقباذ وهلم جرا الى أن يصل طرف النسب بأفريذون الذى هو متشعب أغصان الكيانية ، وجرثومة الشجرة الخسروانية . وأمى هى ابنـة ملك الروم المتصل نسبه بسلم بن أفريذون . وأنت تعـلم أنك وأسلافك عبيد أسـلافى وخدمهم ، وأنك ما استفدت هـذه السلطنة إلا بخدمتهم، وما اكتسبت هذه المناقب إلا بطاعتهم، وإن كنت الآن[2] خانعا ربقة الطاعة . ثم قال إسفنديار : الحديث ذو شجون يجز بعضه بعضا، وأنت عطشان أيها البهلوان فاشرب شربة . ثم مدّ إسفنديار يده اليه ممازحا وأخذ بيده وقال له : قد صدق من قال : إن أعضادك كأفخاذ الهزبر وصدرك كصدر الثعبان، ووسطك كوسط النمر . وعصر يده فى أثناء الحديث حتى كادت أظافيره تقطر دما . فلم يتغير وجه رستم ، وجعل يضحك ويقول : طوبى لكشتاسب اذ رزق مثلك . ثم عصر يده حتى توردت وجناته، وكادت أنامله تحلب بالدم أيضا . فضحك إسفنديار وقال : أيها الفارس المقـدام ! اليوم خمر وغدا أمر . خذ الجام فانك تنساه غدا، واشربه فلن ترى بعده عيشة رغدا .

(أ) فى الشاه : « التى أتى بها من الجنة فى مجمر » وكلمة يزعم من المترجم .
(١) ك : عمرى قد . -(٢) كلمة الآن من ك، طا .

وإنى سوف أختطفك برمحى من ظهر فرسك اذا بارزتك غدا، ولا تبق حينئذ طالبا نزالا ولا نضالا أبدا . ثم أحملك مقيدا مكبلا الى خدمة الملك فأشفع فيك اليه، وأبسط عذرك لديه حتى أطلقك فتعود الى الراحة من بعد العناء، والى الرخاء بعد الشقاء» . فقال له: ستمل هذه الحرب . فانك بعدُ مارأيت شدائد القتال، ولا حضرت وقائع الرجال. وسوف أحملك عن ظهر فرسك غدا وأحملك الى الى إيوانى فأجلسك على التخت، وأتوجك بالتاج الذى أعطانيه كيقُباذ، وأفتح لك أبواب الخزائن وأفرغها[1] عليك وعلى عسكرك، ثم أقدم بك على كشتاسب فأضع على رأسك تاج السلطنة وأشد على خصرى بين يديك منطقة الخدمة مثلما فعلت فى خدمة الملوك الماضين. واذا صرت أنت الملك وأنا البهلوان لم يبق لنا عدوّ فى جميع الأرضين» . فقال إسفنديار : قد انتصف النهار وقد غلبنا الجوع فهاتوا الطعام. ثم حكى صاحب الكتاب شيئا من صفة أكلهما وشربهما، وأن رستم تملق له بعد أن ثمل وعاود استدعاءه الى ضيافته، وأن إسفنديار امتنع من إجابته، وقال له : ارجع الى إيوانك فاستعد للقتال. (١٤١)

فانصرف رستم بعد أن أعذر وأنذر ووعظ ونصح — فى كلام طويل أورده صاحب الكتاب — قال : فاجتمع بِشوتَن بأخيه إسفنديار، ونصحه أيضا وقال : الرأى أن تركب غدا الى إيوان رستم، وتداريه وتجنح الى السلم ، ولا تلقِ[2] بيدك معه الى التهلكة . قال : كيف أخالف أمر كشتاسب، وأخرج عن طاعته ؟ وهو لم يأمرنى إلا بتقييده محمولا الى حضرته . ومهما لم أفِ بذلك ضاع سعيى فى الدنيا والآخرة، وكان ذلك عصيانا منى لزردُشت حين[3] أمر بطاعة الملك، وذكر أن مخالفته توجب النار» . فسكت عنه أخوه .

وأما رستم فانه لما عاد الى منزله طلب من أخيه زواره أن يحضره سلاحه وعتاده ، وأمره بالركوب غدا مع العسكر . ولما أصبح ظاهر بين جُنَنه، وركب وأقبل نحو نهر هيرمَند . وركب إسفنديار من ذلك الجانب فى عساكره[4] وجاء حتى لقى رستم . فعدلا الى موضع خال ليتبارزا منفردين. وأمر كل واحد منهما أصحابه بالإمساك عن الحرب، وثبات كل فى مكانه، وتعاهدا على هذه الجملة. ثم زحف كل واحد الى صاحبه ، وتطاعنا بالرماح زمانا طويلا حتى تقصفت رماحهما . فاستلا السيوف وتضاربا زمانا حتى تكسرت . ثم تضاربا بالعمد والدبابيس وتقارعا حتى تشظت البيض على رءوسهما . ثم انفرد كل واحد منهما عن صاحبه بعد أن أجهدا وتشققت عنهما الجواشن، وتمزقت على خيلهما التجافيف . ولما أبطأ رستم على أصحابه خاف أخوه زواره عليه فزحف وأقبل

---

(١) ك، طا : وأفرقها . (٢) صل : تلق . والصحيح من طا . (٣) طا : حيث أمر .
(٤) «فى عساكره» من ك ، طا .

الى عسكر الايرانيين فسفه عليهم . فاغتاظ نوشاذر بن إسفنديار وقال : أيها السجزى الجاهل ! إن إسفنديار ما أمرنا بالقتال . فان ابتدأتم به رأيتم صنيع الرجال . فبدأ الزابليون وأوقدوا نار الحرب. فقتل زواره نوشاذر، وقتل فرامرز بن رستم أخاه مهرنوش . فبادر بهمن الى أبيه وأخبره بقتل ابنيه ، وأن الزابليين هم الذين بدءوا بالقتال . فصاح إسفنديار برستم وقال : أيها الخائن الغادر ! أما عاهدتنا على ألا يجرى بين العسكرين قتال ؟ وقد قتل اثنان من أصحابك اثنين من أبنائى . أما تستحيي من الله تعالى ثم منى ؟ فحلف له رستم أن ذلك لم يصدر عن أمره ولا عن رأيه ، وأنه يقبض فى ساعته على ولده وأخيه ، وينفذهما مقيدين الى حضرته . قال : ثم تراميا فرمى إسفنديار رستم بنشابة نصلها من الألماس فخلصت اليه، وكانت سهام رستم لا تخلص الى إسفنديار، فأصابه غير مرة حتى جرحه وجرح رخشه بحيث ضعفت قواهما . فاضطر رستم الى النزول فترجل وهرب الى جبل كان هناك . وولى الرخش يعدو نحو إيوان رستم .

فلما رأى إسفنديار رستم يرقى فى الجبل والدم يسيل منه قال له : أعطنى يدك حتى أحملك مقيدا الى حضرة الملك، وأستوهبك منه وأتشفع فيك . فكر به رستم وأظهر إجابته الى ذلك حتى أمهله إسفنديار وأعطاه الأمان الى الغد . فنزل رستم من الجبل وهو مثخن بالجراح فعبر الماء ومضى الى منزله . ورجع إسفنديار الى معسكره فوضع بين يديه رأسى ولديه فأخذ يذرى عليهما دموع الجزع ويندبهما وينوح عليهما . ثم أمر بوضع كل واحد منهما فى تابوت من الذهب . ونفذهما الى أبيه كشتاسب . وأرسل اليه رسولا ، وأمره أن يقول له على سبيل التعنيف والتوبيخ : إن هذه نتيجة رأيك فى قتال رستم . وهذا أوّل الأمر . والله أعلم بما يكون من بعد .

وأما رستم فانه لما دخل إيوانه طرح نفسه متململا مما به، وأحدق به أبوه زال وأمه روذابه وأخوه وولده يبكون عليه . والرخش عنده واقف ناكس الرأس، وبه مائة من الجراح . فقال زال : إنى سادبر أمرك، وأستعين بالعنقاء على معالجتك» . فاستصحب ثلاثة أنفس بثلاثة مجامر، وأخذ معه ريش العنقاء التى ذكرنا قصتها فى خبره على ما سلف فى الجزء الأوّل من الكتاب . فصعد الى جبل هناك، وأوقد النار فى بعض تلك المجامر وأحرق بها بعض تلك الريشة (أ) فلما انتصف الليل (١) اذا هو بهدّة من الجو واذا بالعنقاء قد نزلت اليه . فسايلته عن حاله فأخبرها بحال ولده رستم وما به

(أ) لم تذكر تلك الريشة من قبل ، والمذكور فى عبارة المترجم «ريش العنقاء» . وعبارة الشاه : أن زالا صعد على الجبل فأخرج ريشة وأشعل النار وأحرق قطعة من تلك الريشة .

(١) صل : انتصف النهار، والتصحيح من ك ، طا . وعبارة الشاه : فلما مضى هزيع من الليل .

من الجراحات التى أصابته من إسفنديار، وأخبرها أيضا بأن الرخش أصابته سهام تكسرت فيه وتغلغلت فى جسمه . فأمرته العنقاء باحضار رستم ورخشه . فنفذ زال اليه حتى صعد مع فرسه الى الجبل . فلما رأته العنقاء رفرفت عليه تعطفا وتحننا فأدخلت منقارها فى جراحاته، وأخرجت منها نصالا أربعة. ثم مسحتها بجناحها فالتأمت . وأعطته ريشة وأمرته أن يبلها باللبن ويمسحها بها ويشدّها فانها تبرأ. وصنعت مثل ذلك[1] بالرخش واستخرجت منه بمنقارها ستة نصال . فوجد فى الحال خفة، وانتفض وحمحم . فتهلل رستم فرحا بسلامة الرخش . ثم قالت لرستم : لأى معنى تعرضت لقتال إسفنديار وهو رجل مذكور وشجاع بطل، وقاتله لا يرى الخير بعده، وتبطل سعادته، وتحالفه شقاوته، وتقصر مدّته، ويلقى العناء بقية عمره، ويذوق العذاب بعد موته ؟ فإن رضيت بهذه الحالة فاركب وأبصر العجب . فركب رستم وسار الى ساحل البحر . فأسفّت العنقاء على شجرة من الطرفاء فقالت له : اقطع من هذه الشجرة قضيبا مستقيما يكون أحد طرفيه أغلظ من الآخر، فان فيه يكون هلاك إسفنديار، ثم قومه بالنار، وركب عليه نصلا عتيقا، واجعل له قُذَذا . ثم اذا جاء إسفنديار يطلب قتالك فتضرع اليه وابك بين يديه فلعلك تصرفه عن قتالك بالمقال الحلو . فاذا لم يفعل فوتر قوسك، وسدّد نحو عينه هذا السهم، بعد أن يكون قد نقعته فى سلاف الخمر . فانه يصيب عينه، ويكون فى ذلك حينه . وأرشدته على الطريق حتى عاد الى إيوانه . ثم ودعت زالا، وحلقت فى جوّ السماء .

ولما رجع رستم فعل ما أمرته به العنقاء، وركب الرخش مصبحا، وتنكب القوس مدججا، وأقبل نحو إسفنديار . فبلغ الخبر إسفنديار بأن رستم قد عاد الى القتال . فقال ما حسبت أنه يقدر أن يصل الى إيوانه . ورجوعه الآن ليس إلا برقى دستان الساحر . فاستحضر جنته وعدّته، وركب نحوه . فلما تقاربا قال له إسفنديار : أيها السجزى ! كأنك قد نسيت صنيعى بك بالأمس . وكان ظنى أنك تكون اليوم محمولا الى الرمس . ولم تبرأ إلا برقية أبيك وسحره . وسأسد عليك اليوم سبيل حيلته ومكره، فأجعل بدنك كالغربال بصاردات النبال، وأتركك بحالة لا ينفعك معها رقية أبيك زال . (١٢٢) فقال رستم : إنى ما جئت اليوم للقتال، وإنما جئت لأتضرع اليك عساك تجنح الى السلم، وتطفئ من قلبك نار الحقد .

قال : وجعل يتضرع اليه ويسأله الكف عن المحاربة ويستنزله عن غلوائه فى المباينة . فما زاده ذلك إلا غلوا فى غوايته، واستمرارا على جهالته . فلما علم رستم إصراره وإدلاله بما أوتى من الشدّة والبسالة أخذ القوس، ورماه بالنشابة التى سبق ذكرها فأصابت حدقته فانقلب عن ظهر الأدهم

(١) طا : مثل ذلك أيضا .

مضرجا بالدم وغشي عليه . ثم أفاق واستوى قاعدا وأخذ برأس النشابة وانتزعها بيده . فجاءه أخوه بشوتن وولده بهمن راجلين . فلما وجداه على تلك الحالة شقا الثياب، ووضعا على رءوسهما التراب، وضماه الى صدورهما، وجعلا يمسحان الدم عن وجهه، وطفق بشوتن يندبه وينوح على مآثره ومفاخره، ويتلهف على محاسنه ومكارمه، ويلعن التاج والتخت، ويدعو على صاحبهما كشتاسب حيث عرض ولده للهلاك بسبب ضنته بهما عليه . فقال له : لا تكثر الجزع فانه لم يكن نصيبي من الملك غير ما ترى ، وإن الموت غاية كل حي . وقد اجتهدت فى أمر الدين وتعبت فى نصره تعبا طويلا حتى شيدت بنيانه ورفعت أركانه . ثم كابى طرف الأمل ، واخترمني محتوم الأجل . ولعلى أحصد ما زرعت فى دار القرار ومنزل الأبرار . فانظر الى هذا العود الذى بيدى، واعلم أن ابن دستان ما قتلني به بالرجولية بل بحيلة دستان ودلالة العنقاء . وكان رستم واقفا منه بمرأى ومسمع فقال : ما قتلك إلا الشيطان حين ملك عليك قيادك ومنعك رشادك . فقال : قد وقع المحذور فادن منى وتقبل وصيتى . فترجل رستم ودنا منه متوجعا . وكان الخبر قد انتهى الى زال وزواره وفرامرز . فحضروا رجالة وجعلوا يبكون بضجيج ونحيب . وقال زال لرستم : جزعى عليك الآن أكثر من جزعى على إسفنديار . فقد بلغني عن عالم الصين وسائر المنجمين أن من يقتل إسفنديار يقتل ولا تطول مدته، وتمحق فى الدارين شقوته . قال : فقال إسفنديار لرستم : قتلى لم يكن بريك ولا بحيلة العنقاء. ولم يقتلني سوى كشتاسب حيث أكرهني على قتالك . وكان الله قد كتب علىّ ذلك . والآن فهذا ولدى وقرة عيني بهمن . فتسلمه منى، وتقبله قبولا حسنا، واحمله معك الى زابلستان ، وربه تربية الوالد لولده » . فصفق رستم يده على يده وقال : أمتثل أمرك وأربيه وأؤدبه وأسعى له حتى يملك التاج والتخت .

ثم أقبل إسفنديار على أخيه وقال له : اذا فاضت[1] نفسي فارجع الى الوالد بالعسكر، وقل له : قد أدركت وطرك، ونلت أملك حين أوردتني موردا صفوه كدر، وما لوارده صدر . فلك الآن التاج، ولى الهم والحزن . ولك التخت، ولى التابوت والكفن . وسنجتمع غدا عند الله ونحتكم .

ولما قضى مقالته تنفس نفسا شديدا خرجت معه روحه . فأحدق به الزابليون والايرانيون جميعا يبكون عليه . ثم أحضروا له تابوتا من الحديد، وكفنوه بالديباج والحرير، وضمخوه بالمسك والعبير، ووضعوه فيه . وأحضر رستم أربعين جملا برسم تابوته ليتعاقب بينها فى حمله . وقرنوا بين جملين منها، ووضعوا التابوت عليهما . واحتف به أصحابه وساروا وعليهم ثياب السواد وملابس

(١) ك ط : فاظت :

الحداد . ويقاد بين يديه فرسه الأدهم مقطوع العرف والذنب، منكس السرج ، معلقا عليه عموده وخنجره وجوشنه ومغفره . فانصرف أخوه بِشوتَن على هـذه الجملة الى حضرة كشتاسب . وأقام ولده بهمن بزابل فى كفالة رستم .

ولمـا بلغ الخبر كشتاسب مزق ثيابه، ورمى بالتاج عن رأسه . ولمـا قرب بشوتن ووصل تلقته أمه وأخواته يندبنه ويحثن عليه وينتفن الشعور ويلطمن بين يديه الخدود :

رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا
فردّ شعورهنّ السـود بيضا وردّ خدودهنّ البيض سودا

قال : فدخل بشوتن على كشتاسب فمـا خدمه ولا سجد له على العادة، وقرب من التخت وقال رافعا صوته : الآن انقصم ظهرك ووهى أمرك . وستجد جزاء فعلك ، وتذوق وبال ظلمك حين أسلمت ولدك للموت متمسكا بهـذا التاج والتخت . ثم أقبل على جاماسب ولعنه وعنّفه، وسفه رأيه وعقله . ثم أدّى الى كشتاسب ما قال له إسفنديار . وأخبره بوصيته الى رستم بتربيـة ولده بهمن ، وإقامته بزابلستان . وأقيمت المآتم على إسفنديار وتمادت حتى استمرت الندبة والنياحة عليه فى تلك الديار سنين .

وبقى بهمن بزابل يربيه رستم ويعلمه الآداب الملوكية والمراسم الكيانية حتى برع فيها . ثم كتب بعد ذلك الى كشتاسب كتابا استشهد فيه الله على أنه استكف إسفنديار غير مرة عن قتاله ، ووعظه ونصحه، وسمح له بجميع ما يملكه من صامت وناطق وما حوت يده من التيجان والمناطق . واستشهد على ذلك بشوتن أخا إسفنديار، وذكر أنه واقف على الحال . ولكن جرى قلم التقدير[1] بما جرى عليه، وقضى القضاء بما سبق اليه . وليس لأمر الله دافع ولا لحكمه مانع . وقد ربيت هذا الشهريار الذى هو عندى، وأدبته وهذبته . والملك إن حلف لى وبسط عذرى واغتفر سيئاتى فأنا بين يديه بالبدن والروح، وبما أملكه من الأموال والكنوز . ولمـا وصل الكتاب الى كشتاسب حضر بِشوتَن وشهد عنده بصدق رستم فيما قال . فعفا الملك عنه وتجاوز عما بدر منه، وأجابه عن كتابه محيلا فيه ما جرى على إسفنديار، على غير الزمان وتصاريفه . وقال فيـه : إن بشوتن صدّقك فى مقالك، وقد عفونا عنك وغفرنا لك . وأنت لدينا مكرم كما كنت بل أكثر، وأثير كالذى من قبل بل آثر . ولك الحكم على بلاد الهند وقنّوج . وان استزدت زدناك .

(١) ك : التدبير .

قال : ثم إن بهمن ترعرع وكبر حتى فاق الملوك أبهة وجلالة . فأشار جاماسب على كشتاسب باستدعائه وجعله ولىّ عهده ، لما أدركه من طالعه أن السلطنة ستصير اليه من بعده . فاستصوب الملك ذلك ، وكتب الى رستم كتابا يأمره فيه بتجهيز بهمن وإنفاذه الى حضرته . وكتب الى بهمن كتابا آخر يأمره فيه بالمبادرة . فأعد له رستم ما يحتاج اليه أولاد الملوك ويليق بهم ،وجهزه الى حضرة كشتاسب . فلما وصل اليه سر بلقائه ، وأظهر الاعتداد بقربه ، وسماه أردشير فعرف به . وامتحنه فوجده فارسا كميا شهما ذكيا فهما عالما فطنا عابدا لربه سبحانه وتعالى . وكان طويل النجاد طويل اليد ، اذا انتصب قائما وأرسل يديه تجاوزت أصابعه ركبتيه بمقدار قبضة . وكان لا يفارقه ولا يصبر عنه ساعة ، ولا يطيق البعد عنه لحظة . (١٣٢)

ذكر مقتل رستم §

قال صاحب الكتاب : كان عند أحمد بن سهل بن ماهان بمرو رجل كبير طاعن فى السن يسمى سروا . وكان ينتسب الى سام بن نَيرم . وكان حُفَظة لأحوال آبائه وأخبار أسلافه فحكى أنه كان لزال بن سام جارية مغنية فحبلت منه فولدت ابنا بهىّ المنظر مهيب الرواء كأنه سام بن نيرم . فسر به أبوه واعتده لظهره قوة ومن تصاريف دهره جنة . فاستحضر الموابذة والعلماء والمنجمين فحضروا بكتبهم وزيجاتهم فنظروا فى طالع المولود فوقفوا على سر الفلك فى طالعه وما كتب من هلاك أخيه على يده . فجعل بعضهم ينظر الى بعض . ثم قالوا لزال : أيها البهلوان الجليل ! لا تنظر الى هذا المولود بعين المحبة فإنه اذا بلغ مبلغ الرجال أهلك نسل سام بن نيرم ، وبدد شمل هذه العشيرة ، وملأ أرض

---

§ حذف المترجم هنا أبياتا فى مدح السلطان محمود ، يعنينا منها هذه الشذرات :

"إن بقيت فى هذه الدار الحائلة ، وهدانى العقل والحكمة ، أنهيت هذا كتاب الماضين ، وتركت لى ذكرا فى الآخرين ، باسم محمود ملك العالم الكبير ، أبى القاسم فخر التاج والسرير ... أخذ الضعف بعينىّ وأذنىّ ، وأنحى الفقر والكبر علىّ . وكذلك قيدنى الحظ الجائر ، ويل من السنين الكزة والجد العاثر . أرتل الحمد ليل نهار ، لملك الأرض العادل المختار . وأرى الناس معى حامدين ، إلا لئيم النجار سيئ الدين . فهو منذ استوى على العرش الأغر ، أغلق باب العداء وغل يد الشر ... ... أسجل له ذكرا على الزمان ، لا يزول ما بقى إنسان . بهذا كتاب الملوك السالفين ، وسجل الأكابر والأبطال الغابرين .

وانى لمرتقب بتخليد ذكراه ، أن أنال الدينار من عطاياه . حتى يبقى لى بعد الموت أثر ، من كنز ملك الملوك الأكبر" .

سجستان شرا وفتنة، وتنغص على كل أحد عيشه . ولا تطول مع ذلك مدّته، وتدركه على القرب شقوته . فعظم ذلك على زال وتنفس الصعداء . والتجأ الى الله تعالى وفوّض أمره اليه،واعتصم بحسن الظن فيه ، وسماه شغاذ . وكان يربيه حتى شب فنفذه الى ملك كابل فترعرع عنده وصار كالنخل الباسق والليث الباسل . فتفرّس فيه ملك كابل استعداده للتقدم لما رأى فيه من الأبهة والجلالة فزوجه ابنته اعتضادا بمكانه واستظهارا به . وكان رستم يأخذ كل سنة من أهل كابل ملء مسك ثور ذهبا . وكان ظن صاحب كابل أنه اذا صاهر شغاذ ترك رستم ذلك الرسم . فلما كان وقت أداء الخراج طالبه رستم على الرسم المعلوم، وأجحف بأهل كابل حتى أدّوا الإتاوة المعهودة. فعظم ذلك على شغاذ فأسرّه فى نفسه ، وخلا بصهره وقال : اذا كان هذا الأخ لا يحترمنى ولا يستحيي منى فايس علىّ مراعاته، وهو وأجنبي[1] آخر سيان عندى . والرأى أن نحتال عليه ونمكر به حتى نتمكن منه . فأخذا يتفكران فى وجوه الحيل وأسباب المكر، ونسيا قول القائل : من حفر حفرة لأخيه وقع فيها[2]،وإن من يربوما ير به . وقعدا ليلة يفكران فى ذلك من أوّلها الى أن بزغت الشمس. فقال له شغاذ : الرأى أن تعمل دعوة عظيمة يحضر فيها جميع أكابر كابل، وتجلس للشراب بين المعازف والمزاهر، ثم تشتمنى على رءوس الأشهاد،وتأمر بإخراجى ذليلا مهانا حتى أجعل ذلك سبيلا الى الخروج الى زابل وأشكوك الى رستم ، وأذكرك عنده بفساد السريرة ودخل الطوية ، وأحمله على قصدك وانتزاع المملكة من يدك . وأما أنت فاعمد الى متصيد فى طريقه ، واحفر فيه جبابا على قدر رستم ورخشه، واغرز فى قعر تلك الجباب نصولا محدّدة وحرابا مؤللة ثم غط رءوسها . وإياك أن يطلع على بعض هذا السر أحد . فتوافقا على هذا الرأى . ثم إن ملك كابل جلس يوما للشراب واستحضر جميع أمرائه وأكابر مملكته،وحضر شغاذ . فلما دارت الكؤوس،وطابت النفوس أخذ شغاذ يفتخر بأبيه ويتبجح بأخيه . فصاح به الملك وقال : أقصر عن هذا الكلام فلست من شجرة

= وقصة رستم وشغاذ فى الشاهنامه فيها العنوانات الآتية :

(١) الفاتحة وفيها مدح السلطان محمود. (٢) رستم يذهب الى كابل من أجل أخيه شغاذ . (٣) حفر ملك كابل آبارا فى المتصيد ، وسقوط رستم وزواره فيها . (٤) رستم يقتل شغاذ ويموت . (٥) سماع زال بموت رستم وزواره، وإحضار فرامرز تابوت أبيه ، ووضعه فى القبر . (٦) فرامرز يقود جيشا ليثار لأبيه ويقتل ملك كابل . (٧) روذابه تتوله حزنا على رستم . (٨) كُشتاسب يستخلف بهمن ثم يموت .

---

(١) ك : وهو والأجنبي سيان . (٢) ك : من حفر لأخيه قليبا أوقعه الله فيه قريبا .

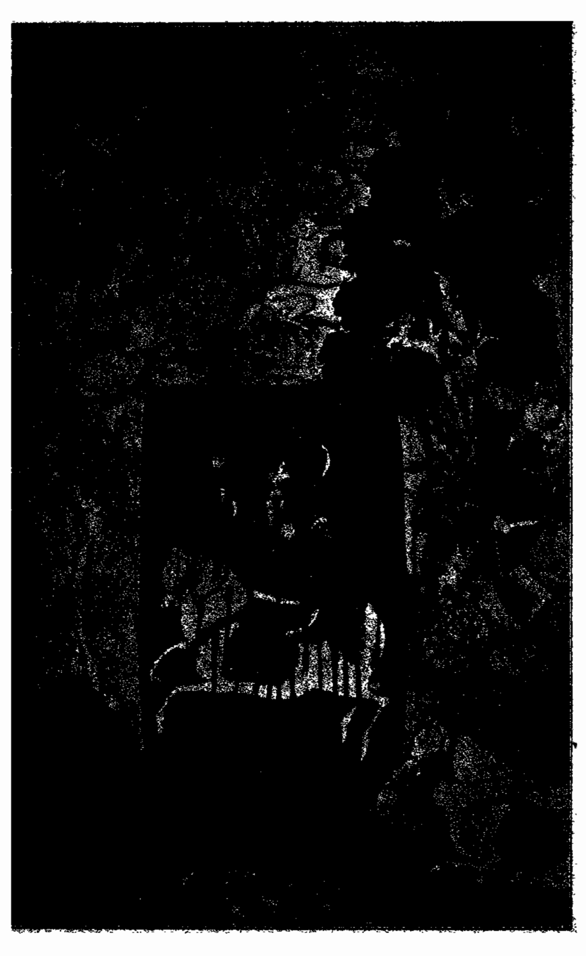
دستان بن سام . وإن رستم ليستنكف من أخوتك، وكذلك دستان يأنف بنوتك . وأطال النفس فى هذا النوع من الأذى . فاغتاظ شغاذ وخرج من المجلس متوجها الى زابل . فلما اجتمع بأخيه سايله وقال : كيف حالك مع الكابلى ؟ فقال : إنه كان قبل هـذا يراعى جانبى ويحترمنى . والآن فقد تغير عما كان عليه حتى جفانى على رءوس الملأ، وفعل وصنع". وأغرى رستم به وحمله على قصده . فسار فى جيش نحو كابل . فلما قرب منها أرسل شغاذ الى صهره يأمره باستقبال رستم والتنصل اليه عما قرف به . فتلق رستم ولما دنا منه رمى من رأسه شارة هندية كانت عليه، ونزع خفيه، وهوى بوجهه الى الأرض بين يديه، وسعى فى ركابه حافيا حاسرا، وجعل يستقيله العثرة التى صدرت منه فى حالة السكر . فعفا عنه رستم . ثم نزل فى بعض نواحى كابل عند ماء وخضرة وأرض طيبة . فقدّم اليـه ملك كابل أنواع الأطعمة ، وأحضره الشراب والمغانى . ثم قال لرستم[1] : إن لنا هاهنا متصيدا مملوءا يعافير وغزلانا . فإن نشطت نهضنا اليه . فوقع ذلك من رستم موقع الارتضاء، وحبب ذلك اليـه محتوم القضاء . فتهلل وجهه وارتاح للصيد فأمر بإسراج الرخش . وشدّ عليـه عدّته وركب ومعـه أخواه زواره وشغاذ وجماعة من الخواص . فساروا حتى وصلوا الى ذلك المرج الذى حفر فيه الحفائر . فجعل الرخش يشم التراب ويرتاع ، وينزوى بعضه الى بعض ويثب، ويبحث الأرض بحوافره . فضجر منـه رستم وضربه بالسوط ضربة وثب منها فوقع به فى حفيرة من تلك الحفائر فتمزق بطنه وخاصرته بما فيها من الحراب والنصول . وأصابت رستم أيضا فأسرعت فى صدره وسائر جسده . ووقع زواره فى حفيرة أخرى . فاجتهد رستم وتحامل حتى خرج من تلك الحفيرة ورمى بنفسه على شفيرها ممزق الصدر مثخنا بالجراحات . فنظر فى وجه أخيه شغاذ فعلم أن ذلك من فعله وخبثه . فقال له : أيها الخبيث ! ستندم على ما جررته على نفسك . فقال : إن تصاريف الزمان قد انتقمت منك لكثرة ما كنت تدل به من قتل الناس وسفك الدماء . وقد انتهى الآن أمرك وتصرم شرك . ثم تصدّى له ملك كابل فقال له على وجه الاستهزاء : أيها البهلوان ! ما هـذا الذى أصابك فى هذا المتصيد ؟ أما نجمع لك الأطباء ليعالجوك فلعلك تبرأ وتصح . فقال له رستم : أيها الخبيث المحتال ! أما أنا فقد انتهى زمانى أسوة من مضى من الملوك السالفة مثل جمشيد الى سياوخش . وأنت فلا تبقى بعدى إلا قليـلا ، وسترد من غدرك موردا وبيلا . ثم قال لأخيـه شغاذ : بعد أن أفضيت الى هذه الحالة، وصرت بهـذه الصفة فأحضرنى قوسى مع نشابتين لأذود بها السباع عن نفسى الى أن تخرج روحى . فتناول شغاذ قوسه ووترها ، ومدّها مـدة ثم حطها بين يديه مع نشابتين . فتناولها رستم ففزع منه شغاذ فتترس بشجرة دُلب كانت هناك مجوّفة قد أتت عليها

(١) ك : بعد أن أخذ منه الشراب .

السنون . فرمى رستم الشجرة بإحدى النشابتين فنفذت فيها وخلصت الى شغاذ وخاطته مع الشجرة فتأوه آهة خرجت معها روحه . ففرح رستم وحمد الله على ما يسر له من إدراك ثأره بيده وقبل موته . ثم خرجت فى الحال روحه . ومات زواره أيضا فى الحفيرة التى وقع فيها . ولم يسلم ممن كان هناك من الزابليين غير فارس ركض الى زابل وأخبر دستان بما أصاب ولده رستم . فقامت القيامة عليه وعلى جميع عشيرته ، وشملهم الصياح والعويل . فنفذ فرامرز بن رستم فى عسكر كثيف لنقل رستم من مصرعه الى زابل . فلما وصلوا الى ذاك الشجر الخسروانى حلوا عنه المنطقة الكيانية فخيطوا جراحاته وغسلوه ، ووضعوه فى تابوت من الساج . واستخرجوا زواره من مصرعه أيضا ، وحنطوه وكفنوه . ثم استخرجوا الرخش وخيطوا جراحاته وكفنوه فى الديباج ، وعملوا له تابوتا ووضعوه فيه ، وحملوه على فيل عظيم . وتوجهوا بالجميع نحو زابل والخلائق تضج ، والأرض ترتج لوقع ذلك الرزء العظيم والخطب الهائل الجسيم . فعملوا له فى بستانه ناووسا عظيما ، ووضعوا تابوته فيه على تخت من الذهب ، وسدّوا باب الناووس . ودفنوا الرخش أيضا . وأقيمت المآتم عليه فى زابل حتى لا تكاد تسمع فى أقطارها غير عويل النوادب ونحيب النوائح .

ثم إن فرامرز فتح باب بعض كنوز أبيه ، وأعطى العسكر وأرضاهم ، وتوجه بهم للطلب بثأر أبيه رستم . فتلقاه ملك كابل وقامت الحرب بينهم على ساق . ولما وقعت عين فرامرز عليه فى القلب حمل عليه فى أصحابه الزابليين الموتورين فأخذه أسيرا وعاد به الى معسكره . ووضع السيف فى أصحابه حتى أتى على أكثرهم جرحا وقتلا . وقبض على أربعين نفسا من أقارب ملك كابل . ثم جاء به الى ذلك المتصيد وسلخ من جلدة ظهره مثل وتر فعلقه به منكسا فى بعض تلك الحفائر . وأحرق أقاربه هناك . وعمد الى الشجرة التى تستر بها شغاذ فوضع فيها النار فأحرقها واحترقت جثة شغاذ معها أيضا . ثم وضع السيف فى أهل كابل حتى لم يبق منهم أحد . ثم انصرف وعاد الى مملكته وجلس فى عزاء أبيه . وتمادى المآتم على أهل سجستان الى تمام سنة كاملة . ولم يزالوا فيها فى ثياب الحداد وملابس السواد . وعظم الرزء على رودابه أم رستم حتى نذرت ألا تقرب الطعام والشراب حتى تلحق به . فأمسكت عن المطعم والمشرب أسبوعا فأظلمت عينها وضعفت ، وزال عقلها . ثم إنها وثبت ودخلت المطبخ فوجدت حية ميتة فى ماء هناك فمدت إليها[1] يدها لتأكلها فحال بعض جواريها بينها وبين ذلك . فحملوها الى إيوانها وأحضروها الطعام فطعمت . وأقلعت عما عزمت عليه ، وسلمت ورضيت بقضاء الله . وفرقت ما كان لها من الخبايا والدفائن على الفقراء والمساكين . وبقيت تدعو الله تعالى لرستم وتسأله أن يجعل الجنة مأواه ودار الخلد مثواه .

(١) صل : اليه . والتصحيح من طا .



رستم يسقط فى حفرة مملوءة نصالا ، و يرمى أخاه شغاذ أحد المؤتمرين عليه فيسمره فى شجرة بالسهم

[منقولة من (الكتاب الاسلامى The Islamic Book) لسير توماس أرنولد والأستاذ أدلف كرهمان رقم ٧٩]

١٦ — ذكر نوبة بهمن بن إسفنديار، وكانت مدة ملكه ستين سنة §

قال : ولما دنا وقت وفاة كُشتاسب أحضر جاماسب العالم وقال له : لم يطب عيشى منذ قتل إسفنديار ولا يوما واحدا . وقد رأيت تفويض الأمر الى ولده بهمن، ويكون عمه بِشوتن دستوره وصاحب سره . فعليكم بالسمع والطاعة . ثم أحضر بهمن وسلم اليه مفاتيح الكنوز ومقاليد الخزائن وتنفس الصعداء وقال : قد وليت السلطنة مائة وعشرين سنة، وقد شارفت الأجل وتصرم عمرى . فتسلم التاج والتخت وعليك بالعدل والإحسان ، وملازمة سبل السداد ، ومصاحبة أهل العقل والرشاد . فلما فرغ من وصيته خرجت روحه . فدفنوه وعقدوا له المآتم على عادتهم.(١) ثم جلس بهمن على سرير الملك واعتصب بتاج السلطنة قائما مقام كشتاسب .

قلت : قال غير صاحب الكتاب : كانت أم بهمن تنتسب الى بنيامين بن يعقوب بن إسحاق ابن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكانت زوجته أم ولده ساسان تنتسب الى سليمان بن داود عليهما السلام . وتفسير بهمن بالعربية « الحسن النية » . وكان متواضعا تخرج كتبه : من أردشير عبد الله وخادم الله السائس لأموركم . ويقال أنه غزا الرومية الداخلة فى ألف ألف مقاتل . وكان فيما قالوا من أعظم ملوك الفرس شأنا وأفضلهم تدبيرا . ومن آثاره الباقية القرية المعروفة بهمينيا من الزاب الأعلى، والأُبلّة، وكان سماها حين بناها بهمن أردشير .

---

١٦ — بهمن §

السادس عشر من ملوك الشاهنامه، والسادس من الملوك الكيانيين .

وأصل بهمن فى الأبستاق " فهو — مانو " أى " الفكر الطيب " . وهو أحد القوى الست (أمشسپنتا) التى تلى إله الخير أُهُرامزدا . ويسمى اليوم الثانى من كل شهر من الشهور الفارسية باسم بهمن لأنه الملَك المسيطر عليه . وفى الأبستاق فصل مسمى باسمه . وله فى أدعية الثلاثين يوما (سى روزه) دعاء أوّله :

" نقرّب الى فهو — مانو، الأمشسپنتا، نقرّب الى السلام الودود النفس، والذى هو أقوى على الإهلاك من المخلوقات الأخرى كلها(٢) " .

وفى عهد بهمن يزيد التشابه بين ملوك الشاهنامه والأكيميين الذين يعرفهم التاريخ . فالتشابه بين بهمن أردشير وبين الملك الخامس من الأكيميين الذى يسميه اليونان أرتكزركس (Artaxerxes) =

(١) كلمة «بهمن» من طا ... (٢) أفستا، ج ٢ ص ١٣

قال الفردوسى : ثم إن بهمن لما تمكن من الملك فرق على عساكره أموالا وافرة وأباحهم ذخائر كثيرة . ثم جلس ذات يوم فى محفل عام ، واستحضر جميع وجوه أصحابه وأمرائه وقواده، وقال لهم : إنه لا يخفى عنكم حال إسفنديار وما عمل به رستم وأبوه الساحر . وابنه فرامرز متصف بعداوتنا فى السر والعلن . وأنا ممتلئ القلب من الهم والحزن . ومالى هم[1] إلا بإدراك ثار أبى و إخوتى الذين قتلوا بزابل . وكل ولد كان من الماء الطاهر سلك مسلك أفريذون حين اقتص من الضحاك بجمشيد، ومنوچهر حين اقتص لا يرج من قتلته، وكيخسرو حين اقتص لسياوخش من أفراسياب ، وفرامرز حين اقتص من ملك كابل لرستم . والآن أنا أولى الناس بالانتقام لاسفنديار الذى لم ير فارس مثله فى الأرض . فماذا ترون وماذا تقولون ؟ فرفعوا أصواتهم وقالوا : نحن عبيدك المخلصون . وقلوبنا مملوءة بمحبتك ، ونفوسنا مجبولة على طاعتك . وأنت أعلم بالرأى والتدبير . فافعل ما ترى فنحن لك تبع . فلما سمع منهم ذلك الجواب ازداد حقده توهجا، وأمرهم بقصد سجستان . فاستعدوا لذلك ، وارتحل فى مائة ألف فارس ، وسار حتى نزل على هيرمند فأرسل الى دستان وأعلمه أنه قد جاء طالبا لثأر أبيه و إخوته . فرد اليه فى الجواب : إن الملك أعلم بحال إسفنديار وما جرى بينه



= أبين وأقوى مما بين گشتاسپ ودارا[2]. و يرى مؤلف باستان نامه، و يوافقه مول (Mohl)، أن بهمن أردشير هو أرتكزركس . و يقول نُلدكه (Noldeke) أن الإيرانيين سمعوا بأرتكزركس من بعض المؤلفين السريان الذى كان ينقل عن مؤرخى اليونان، فادعوا أنه بهمن . وكان الأول يلقب عند اليونان "طويل اليد" فترجموها ولقبوا بها الثانى فقالوا "دراز دست"[3] .

و يؤيد قول الأستاذ نلدكه أن البيرونى يلقب بهمن بكلمة مقروشر ، وهى الكلمة اليونانية . ويفسرها بطويل اليد . ولا يلقبه بالكلمة الفارسية .

و يرجح أن بهمن هو أرتكزركس المسائل الآتية :

(١) اتفاق الاسم واللقب فى الفارسية واليونانية . فأردشير هو باللغة القديمة أرتخشيرشا وقد حرفها اليونان الى (Artaxerxes) . ودرازدست هو معنى (Longmanus) التى لقب بها هذا الملك عند مؤرخى الغرب ترجمة للكلمة اليونانية . والكتب العربية كذلك تلقبه طويل اليد أو الباع . وتفسره بنفوذ أمره و بعد مغازيه[4] . =

(١) طا : اهتمام . (٢) أنظر ص ٢٢٦ حاشية . (٣) الحماسة الايرانية ص ٢٢

(٤) انظر الطبرى، ج ٢ ص ٣، البيرونى ص ٣٧، وحمزة ص ٢٨

وبين رستم، وأنه كان أمرا محتوما وقدرا مقدورا. فعدّد عليه حقوق رستم على آبائه عامة وعليه خاصة إذ كفله وربّاه حين فقد أباه. ووعده، إن كف عنه، أن يعطيه جميع ما احتوت عليه يده من الكنوز والخزائن والدفائن الطارف منها والتالد. فلم يقبل بهمن ذلك منه وتوغل سجستان. فتلقاه زال ولما قرب منه ترجل وسجد لديه وعفر لحيته البيضاء فى التراب بين يديه. ثم قال: أيها الملك! إن هذا وقت الرحمة وأوان الرأفة. اذكر سوالف حقوقنا وسوابق خدمتنا، وأخرج من قلبك الداء الدفين ولا تتبع بالثأر ناسا[(1)] مقتولين. وارحم عجز دستان بن سام ووقوفه هكذا ضارعا ذليلا بين يديك. فغضب بهمن من كلامه، وأمر به فقيد وحبس، ولم يسمع فيه شفاعة أحد من أصحابه. ثم استخرجوا من قصور دستان وكنوزه أحمالا[(2)] من الذهب والجوهر والمسك والعنبر والتيجان والمناطق والملابس والمفارش وغير ذلك من الخيل والأسلحة وسائر ما اقتناه رستم مدّة عمره، واكتسبه من الملوك الماضين الى آخر عهده. ثم أطلق أيدى أصحابه فى الأسر والنهب فى جميع نواحى زابل. وبلغ الخبر بذلك الى فرامرز وهو فى ناحية بُست. فركب فى عساكره وجنوده يريد قتال بهمن. فتلقاه بهمن والتقوا فى موضع يقال له كورابذ. فقامت الحرب بينهم على ساق، واتصل القتل والقتال فيما بينهم الى تمام ثلاثة أيام بلياليهن. ولما كان اليوم الرابع ثارت ريح عاصف فى وجه فرامرز وأصحابه،

= (٢) وقول البيرونى عن بهمن أردشير أنه ابن أخشويرش.

وأظن أخشويرش هو خشيَرشا أى إكزِركس (Xerxes) فأردشير بن أخشويرش يقابل أرتكزركس ابن إكزركس.

(٣) وقول المسعودى[(3)] عن أبقراط: "كان قبل الاسكندر بقريب من مائة سنة، فى أيام أرطخشست من ملوك الفرس الأولى. وأرى أنه بهمن بن إسفنديار بن كيشتاسب ابن كُهراسب. وقد ذكر ذلك جالينوس الخ". وأرطخشست هو أرتخشتر أو أرتخشيرشا أعنى أرتكزِركس. وقد حكم ما بين سنتى ٤٢٥ و ٤٦٥ وذلك قبل الاسكندر بقريب من مائة سنة كما يقول المسعودى.

(٤) وقد أدرك بعض الكتّاب شبها بين حوادث رستم وإسفنديار وبهمن كما ترويها الشاهنامه، وبين ما عرف فى التاريخ من قتل ارتبانوس قائد حرس إكزِركس إياه، وتوليته أرتكزركس مكان أبيه، ثم بطش هذا بارتبانوس. كما قتل رستمُ إسفنديارَ وربى ابنه بهمن حتى ولى الملك ثم بطش بهمن بأسرة رستم[(4)]. =

---

(١) طا: أناسا. (٢) كو، طا: أحمالا محملة. (٣) الاشراف ص١٣١ (٤) ورنر ج ٥ ص٢٨٢

وكانت[1] عليهم دبور الأدبار، فتبع بهمن الريح الثائرة، وحمل بأصحابه على صفوف فرامرز، ووضعوا فيهم السيف فولوا الأدبار فلم يبق منهم غير فرامرز . فإنه ثبت فى مستنقع الموت مع ملة من أسود رجاله ، وما زال يضرب بالسيف حتى أسر . فحمل الى بهمن فأمر به فصلب وهو حى ثم رشقوه بالسهام حتى مات .

قال : ثم إن بشوتن عم بهمن أتاه، وهو موجع القلب من قتل فرامرز وما جرى على دستان ابن سام، فقال : إنك قد أدركت ثأر أبيك، وبلغت فى ذلك غاية أمانيك . فأقلّ من هذا النهب الذريع والقتل الشنيع، واستشعر الخوف من الله عز وجل، وانظر الى تصاريف الزمان وما صنعت بإسفنديار حين قصد زابل ، وبرستم بن دستان حين يمم كابل . ولا تؤذ أحدا ينتسب الى أصل كريم، وينتمى الى بيت قديم . وإن دستان بن سام بن نريمان إن دعا الله عز وجل عليك ، وردّ الحكم فيما بينك وبينه اليه لأثر فيك وإن كنت قوى الطالع عالى النجم صاعد الجدّ . ثم إن هذا التاج لم يصل اليك إرثا عن[2] أبيك وجدك . وإنما حصل لك بسبب رستم الذى

= على أن فى الكتب العربية أن بهمن هو كورش أو أنه الذى أمر كورش برد الاسرائيليين الى بيت المقدس، الى غير هذا من الخلط واللبس . ويقول المسعودى فى الاشراف[3] : والاسرائيليون يزعمون أن بهمن يسمى بلغتهم فى كتب أخبارهم كورش . وفى الطبرى ومروج الذهب والأخبار الطوال وغيرها أن أم بهمن من نسل طالوت وزوجه من ذرية سليمان . وهذا مثال من اللبس بين أساطير الفرس والساميين .

ثم أولاد بهمن، كما فى فارس نامه والطبرى، هم ساسان ودارا وخُماى وفرنك وبهمن دوخت .

ومن آثاره، فيما زعموا، مدينة آباد أردشير وهى همينيا ، وبهمن أردشير وهى الأبلة ، وعمارة هراة وهمدان وعسكر مكرم[4] .

ثم أخبار بهمن موجزة فى الشاهنامه، كما يرى القارئ، ولكن سيرته نظمت مطولة جدا فى كتاب من كتب الحماسة التى نظمت بعد الشاهنامه اسمه بهمن نامه .

وقصته فى الشاه ١٦٧ بيت فيها العناوين الآتية :

(١) انتقام بهمن لإسفنديار . (٢) بهمن يكبّل زالا . (٣) بهمن يقاتل فرامرز ويقتله .
(٤) بهمن يطلق زالا ويعود الى إيران . (٥) بهمن يتزوج ابنته هُماى ويجعلها ولية العهد .

(١) طا : فكانت . (٢) طا : من . (٣) ص ٢٠٠ (٤) أنظر الطبرى وفارس نامه وأوراق أسيوية .

قره بالسيف على كيقُباذ ومن بعده من الملوك . فانف الشر من قلبك، وأطلق هـذا الشيخ الكبير من حبسك » . فأدرك بهمن الندم ، وأطلق دستان وأمر العسكر بالإمساك عن القتل والنهب . ثم رجع عائدا الى إيران، وأقام فى مستقر ملكه ينهى ويأمر، ويعطى ويمنع . وكان له ابن شجاع يسمى ساسان، وبنت تسمى هُماى ذات رأى وعقل، وكانت تلقب جِهرآزاد . فبنى بهـا أبوها بمقتضى الملة الفهلوية ، وكان يحبها لفرط حسنها وجمالها . فحملت منه وضعفت ونحفت . فعظم ذلك على بهمن حتى أمرضـه . وازداد مرضه فاستحضر ابنته هماى ، واستدعى الأكابر والأعيان، وقال : إنى قد فوّضت الأمر الى ابنتى هماى، وعهدت اليها حتى تكون هى بعدى صاحبة التاج والتخت، والأمر والنهى الى أن تلد فيصير ذلك لولدها ذكرا كان أو أنثى . فرضوا بذلك .

ثم إن ولده ساسان لـمـا رأى ذلك عظم عليه، وحار فى أمره وملكه الهم فترك أباه وهرب وصار الى نيسابور فتزوج بهـا بعض بنات أكابرها . وكان يكتم أمره ولا يعترف أحدا بنسبه . فحملت منـه زوجته وولدت ابنا فسماه ساسان أيضا . ثم مات هو بعـد زمان يسير . فترعرع ولده ساسان وكبر فلم يصادف عنده ما يزجى به وقته فأحوجه الفقر الى أن صار راعيا لصاحب المدينة يرعى بين تلك الجبال والشعاب . فيقال هو جدّ الساسانية . وسيأتى تمام خبره من بعد .

§ ١٧ — ذكر نوبة هُماى جِهرازاد بنت بهمن بن (١) إسفنديار وكانت مدّة ملكها ثلاثين سنة

قال صاحب الكتاب : وبعـد بهمن جلست ابنته هماى على سرير الملك واعتصبت بالتاج، ووعدت الخلق بالعـدل والإحسان، وقالت : بارك الله لنا فى الملك ، وجعـل أفعالنا أفعال خير ، ولا أرى أحدا منا سوءا .

---

§ ١٧ — هُمـاى

السابعـة فى الملوك الكيانيين ، والسابعـة عشرة من ملوك الشاهنامه . وقد تقـدّم فى فصـل كُشتاسپ ذكر هماى ابنته التى تزوّجت أخاها إسفنديار . وتسمى هماى وخمانى وتلقب جهرازاد. وفى مروج الذهب أن ذلك اسم أمها .

ثم فى قصـة هماى الملكة — كما رأى ورنر (٢) — شبه بأسطورة تؤثر عن سميراميس، رواها كتِسيا الذى كان طبيبا عند ملوك الفرس بين سنتى ٣٩٨ و ٤١٧ ق . م .

---

(١) صل : بهمن اسفنديار : والتصحيح من طا .   (٢) (Warner) جـ ٥ ص ٢٩٣

ثم إنها ولدت ابنا فأخفته من الناس، وأظهرت أن ولدها مات بعد أن وضعته، مضَنّة بالسلطنة. واستأثرت بالملك والأمر والنهى، وجندت الجنود. وأطاعها الملوك[1] وأصحاب الأطراف رغبة ورهبة. ولم يكن لها شغل إلا نشر العدل، وملاحظة أحوال الرعية، ومعاملتهم بالحسنى والرأفة.



قال: وكان ولدها كأنه كُشتاسب فى صورته. فلما أتت عليه ثمانية أشهر أمرت فصنعوا له صندوقا وبطنوه بالديباج والحرير، ووضعوا فيه جملة من اللآلئ والجواهر والذهب. ووضعوا الصبي فيه، وشدّوا على عضده جوهرا نفيسا له قيمة، وأطبقوه عليه وأوثقوا رأسه. وأمرت به فألقى فى الفرات فى أول الليل فكان طول الليل يمر فى مثل حال السفينة ترفعه الأمواج وتخفضه. فلما طلع النهار وقع الى ساقية ضيقة كان يأتيها كل يوم قصار يغسل فيها الثياب. فجاء القصار على عادته فوجد ذلك الصندوق فأخذه وفتح رأسه فرأى طفلا كالقمر متوّما بين الذهب والجوهر. فسرّ به وردّ رأس الصندوق وغطاه بثيابه. وكان قد مات له ابن فى تلك الأيام، وهو موجع القلب بسببه. فغسل الثياب، وعجل وحملها مبلولة مع الصندوق، وعاد مسرعا الى بيته فبشر زوجته وقال: عوّضك الله من ولدك خيرا منه مع أموال وافرة وجواهر فاخرة. فكشفت المرأة رأس الصندوق فبهتت لما رأت من حسنه وجماله فأخذته فضمته الى صدرها وألقمته ثديها. فسماه القصار داراب

= وقد أوجزها ديودور. وخلاصتها أن أم سميراميس ألقتها فى الجبال حين ولدتها فغذتها الحمائم. ثم عثر عليها بعد سنة رعاة ملك أشور. فأخذها رئيس الرعاة سِمّاس وتبناها وسماها سميراميس. فلما كبرت رآها أُنِّس والى سورية من قِبَل الأشوريين فأحبها وتزوجها وولدت له ابنين. ثم أحبها ملك أشور نِنوس فانتحر زوجها وتزوجها الملك وولدت له نِنياس. فلما مات الملك خلفته على العرش وامتد سلطانها. وبنت مدينة بابل ومصانع أخرى. ولما بلغت الثانية والستين من عمرها، بعد اثنتين وأربعين سنة من ملكها، ولت ابنها مكانها وانتحرت هى أو انقلبت حمامة ولحقت بسرب من الحمام.

يرى ورنران فى قصتى هُماى وسميراميس تشابها: فى كلتا القصتين طفل يرمى ثم يعثر عليه. وملكة تخلف زوجها على العرش ثم تخليه لابنها. وكلتا الملكتين مولعة بتشييد الأبنية العظيمة. ثم يروى المسعودى أن أم هماى كانت يهودية أى سورية. هذه أوجه الشبه التى رآها ورنر. وأنا أزيد عليها أن " هماى " عند الفرس اسم طائر اذا وقع ظله على إنسان صار ملكا. فهذا يقابل انقلاب الملكة حمامة فى قصة سميراميس. ثم حمزة الأصفهانى يقول أن هماى اسمها شميران. والقزوينى =

(١) طا: جميع الملوك.

لأنه وجده فى المـاء (أ)، وقام بتربيته. ثم إنه قال ذات يوم لزوجته: إن بقيت هذه الجواهر عندنا هكذا مكتومة فسواء هى والتراب. والرأى أن نهاجر الى مدينة لا يعرفنا فيها أحد فنتمكن من الانتفاع بهذه الجواهر. فارتحل بزوجته ولقيطه وأداته، وصار الى بلدة أخرى. فكان يبيع من تلك الجواهر وينفق على نفسه وعلى الصبي. فترعرع وشب، وكان يخرج ويلعب مع الصبيان ويصارعهم فيغلب الكل. فضجر القصار من يده (ب) وحمّله الكارة وألزمه القِصارة. وكان كل يوم يهرب من يده، ويبطل عليه شغله، ويدور خلفه فى طلبه فيصادفه وهو فى الصحراء وبيده القوس والنشاب فيجفوه ويصيح عليه، ويأخذ منه قوسه. فقال له ذات يوم: يا أبى! قد علمتنى كتاب الزند فسلمنى الى من يعلمنى طرفا من الأدب. فانى اذا فرغت من ذلك اشتغلت بصناعتك ولم أخرج من طاعتك. فسلمه الى بعض المؤدّبين فتعلم الأدب حتى برع فيه. فقال له ذات يوم: اعلم أنه لا تجىء منى القِصارة ولا حمل الكارة فسلمنى الى من يعلمنى الفروسية فانى لا أصلح لغيرها. فاختار القصار رجلا بصيرا بآداب الفروسية وأنواعها فسلمه اليه. فمكث عنده زمانا طويلا حتى تعلم منه جميع آداب الفروسية وصار بحيث اذا جال فى الميدان فاق جميع الأقران. فخلا يوما بالقصار وقال: إنى مخبرك بأمر كنت أخفيه عنك؛ اعلم أنى لست أجد فى طبعى وقلبي ميلا ونزوعا اليك. وليس بيننا مشابهة

= يقول أنها كانت تسمى سمره.[1] وفى شميران وسمره شبه بسميراميس. ثم الشاه تجعل حكم هماى قبل اسكندر بستة وخمسين عاما. وذلك قريب جدا من العهد الذى عاش فيه كتِسيا فى بلاد الفرس.

ومن آثار هماى، فيما زعموا، ثلاثة إيوانات: أحدها وسط مدينة اصطخر والثانى على المدرجة التى يسلك فيها من اصطخر الى خراسان، والثالث على طريق دارا بجرد على فرسخين من اصطخر. ويقول حمزة أن هذه المصانع تسمى بالفارسية هزارستون (ألف عمود) وأن باصفهان رستاقا يسمى تيمره من آثار هماى. وفى فارس نامه أنها بنت جربادقان.[2]

ثم قصة هماى فى الشاهنامه ٣٢٠ بيت فيها هذه العناوين:

(١) هماى تترك ابنها فى صندوق بنهر الفرات. (٢) تربية القصار داراب. (٣) سؤال داراب امرأة القصار عن نسبه، ومحاربته الروم. (٤) رشنواد يعرف أمر داراب. (٥) حرب داراب وجيش الروم. (٦) هماى تعرف ابنها. (٧) هماى تجلس داراب على العرش.

(أ) معنى «درآب» بالفارسية «فى المـاء».

(ب) كذلك فى نسخ الترجمة. وفى الشاهنامه: من فعله.

(١) حمزه ص ٢٨ ونزهة ص ٦٨ (٢) الأخبار الطول ص ٢٩ والطبرى وحمزة.

وانى آنف من الانتساب اليك والقعود على الدكان بين يديك . فاصدقنى عن حقيقة حالى معك . فصاح عليه القصار وسفهه فيما قال . وقال : إن كنت تجد فى قلبك من الانتساب إلى شكا فسايل أمك حتى تخبرك من نجلك[1] . فسكت على ذلك . ثم إن القصار خرج ذات يوم فى شغله . فأغلق الباب على زوجته وسل عليها السيف وأوعدها وتهددها وقال لها : اصدقينى عن حالى ، وأخبريني عن أصلى ، و بالسبب الذى أصارنى الى بيت هذا القصار . فخافت وسألته الأمان وأخبرته بالحال وحدثته بحديثه وحديث الصندوق والجوهر والذهب . فأطرق مليا مفكرا ثم قال لها : وهل بقى من ثمن تلك الجواهر شيء أشترى به مركوبا ؟ فأعطته قدرا من الذهب فاشترى فرسا وعدة رثة رخيصة .

وكان لتلك الناحية مرزبان فقصده واتصل بخدمته . واتفق أن عسكر الروم غزوا تلك الناحية فملكوها ونهبوها وقتلوا المرزبان الذى كان عليها . فانتهى ذلك الى هماى ملكة العالم فجردت لقتال الروم إصبهبذا يسمى رشتواذ[2] ، وكان ذا شرف صميم و بيت فى الإصبهبذية قديم ، وضم[3] إليه العساكر . وقصده داراب واتصل بخدمته ، وأثبت كاتب الجيش اسمه فى جريدته . ثم إن الملكة هماى أمرت رشتواذ بعرض الجيوش ، وركبت وخرجت بنفسها ، فجعل الجيش يمر بها فوجا فوجا . فعبر داراب رافعا على كاهله عمودا بهلوانيا وكأنه قد ملأ الميدان أبهة و بهاء ورونقا وسناء . فنظرت الملكة الى قده الكيانى وشكله الخسروانى فتحلب ثديها لبنا . فقالت : من أين هذا الفارس؟ ولست أشك أنه من أصل كريم و بيت قديم . وما هو إلا فارس بطل إلا أن عدته لا تليق به .

قال : فسار الإصبهبذ قاصدا قصد الروم . فأظلتهم السماء ذات يوم بسحابة وطفاء ذات برق ورعد ووابل وودق ، فنصبوا الخيم ومدوا السرادق . وجعل المطر يتدفق كأفواه القرب ، والخيل تسوخ فى الوحل الى الركب . فآوى كل منهم الى خيمة أو فازة أوخركاه ، غير داراب فإنه لم يكن له مأوى يأوى إليه . فرأى هناك طاق بناء قد طال عليه الأبد يريد أن ينقض فالتجأ إليه ونزل تحته وهو مبتل الثياب حليف الاكتئاب . فجلس على التراب قانعا بالمنزل الخراب ، وربط فرسه عنده والمطر يفيض فيضا . فعبر الاصبهبذ على ذلك الحائط فسمع هاتفا يقول : أيها الطاق المستهدم اثبت مكانك فإن تحتك ملكا كبيرا نجله أردشير . ولا تخف من المطر ، واحفظ ما نقول لك . وهتف بهذا ثلاث مرات . فتعجب الإصبهبذ من ذلك ، ونفذ بعض أصحابه حتى يأتيه بخبر الذى نزل تحت الطاق . فجاء ورأى شابا ذا رواء ومنظر قد ابتل ثوبه وفرسه ، وهو ممدد على التراب . فأخبر

(١) طا : من الذى نجلك . (٢) فى الشاه : رشنواذ بالنون . (٣) طا : ضمت .

الإصبهبذ بذلك فأمر بإحضاره . فعادوا إليه وأيقظوه وأعلموه بطلب الإصبهبذ له . فقام وركب . فلما[1] آستوى على ظهر فرسه وقع الطاق . بخاءوا به الى سرادق الإصبهبذ فأكرمه وتلقاه . وأخلوا له خركاهة[2] وأوقدوا[3] له بالمندل الرطب نارا وأوسعوه إعظاما وإكبارا . ولما أصبحوا من الغد وعزم الإصبهبذ على الركوب أمر وزيره فقدّم إليه دست ثوب وفرسا بعدّة ذهب ، ومنطقة وسيفا . وسأله عن أصله ومولده فأخبره داراب بقصة القصار ومبدأ أمره معه على ما سمعه من مرضعته . فنفذ الإصبهبذ فى الحال فارسا لإحضار القصار وصاحبته مع الجوهرة التى كانت مشدودة على عضد داراب إذ هو فى الصندوق . قال : فجعل رشنواذ داراب مقدّم طليعته ، وركب ومضى فى طريقه



فصادفهم طلائع الروم والتقوا وجرت بينهم وقعة عظيمة . فقتل داراب منهم خلقا كثيرا وهزمهم وركب أكتافهم ، وتبعهم يضرب[4] أعناقهم الى قرب معسكر العدوّ. ورجع الى الإصبهبذ مظفرا فشكره وأثنى عليه ودعا له وقال: لا خلت عساكر المملكة منك ، ولا زالت مشدودة الأزر بك . ولما دخل الليل أخذ الإصبهبذ فى تهيئة أسباب الحرب ، وداموا طول ليلهم فى الإعداد والاستعداد للقاء العدوّ من الغد. ولما اصطبحوا اصطف الجمعان ،وتقدّم داراب الصفوف ، ووقع فى جيوش الروم كالذئب الغارث فى سائمة الغنم ، والليث الثائر فى سائبة النعم . فقلب القلب وفرّق شمل الميمنة والميسرة ومعه الآساد الايرانيــة يقدمهم وهم خلفه بالعمد الحاطمة والدبابيس القاصمة . فغلبت الروم ونكصوا على أعقابهم ، وصواعق السيوف تحط على رقابهم . فقتل داراب منهم أربعين جاثليقا . وثنى عنانه وبيده صليبهم (أ) . ولما أتى الإصبهبذ شكره وشكر سعيه ، وحكمه فى جميع الغنائم ليستصفى لنفسه ما يريد ، ويفرّق على الجيش ما يريد . ثم ركب الإصبهبذ وتوغل بعساكره بلاد الروم فجاسوا خلالها ودوّخوا أقطارها . حتى اضطر قيصر الى التزام الخراج فصالحهم على مال حمل اليهم وهدايا كثيرة أحضرها لديهم . فقفل الإصبهبذ ومعه داراب آخذين فى طريقهم الأوّل . فلما وصلا الى مكان الطاق المذكور صادفا القصار وزوجته مقبلين ومعهما الجوهرة . فاستخبرهما الإصبهبذ عن حال داراب فسردا عليه خبره من أوّل يوم وجد[5] الصندوق الى أن انتهى . فبشرهما بالخير ووعدهما بالغنى والأمان من الفقر . ثم كتب الإصبهبذ كتاب الفتح الى الملكة ، وذكر فيه أحوال داراب وما شاهد من

(أ) هذا بعض أغلاط الشاه . فان هــذه المواقع كانت قبل المسيح . ولا ريب أن ما ترويه الشاه عن الفرس والروم فى هذا الطور مشوب بما كان بين الأمتين أيام الساسانيين .

(١) طا : ولما . (٢) طا : خركاها . (٣) صل : أوقد . والتصحيح من طا .

(٤) صل : فضرب . والتصحيح من طا . (٥) طا : وجدا .

عجائب حاله، وما سمع من الهاتف بالطاق المنهار، ثم ما حدّثه به القصار و زوجته . و وصف آثار نكاياته فى العدوّ فى غزوته تلك . وختم الكتاب ونفذه مع تلك الجوهرة الى الملكة . فلما أتاها الكتاب و وقفت على ما فيه و رأت الجوهرة فاضت عينها بالدموع ، واستعرت نار الشفقة منها بين الضلوع ، وعلمت أن ذلك الشاب الذى أخذ بقلبها يوم العرض لم يكن إلا ولدها . فحمدت الله تعالى وشكرته حين ردّ عليها ولدها وقرة عينها ففرّقت كنزا من الكنوز على الفقراء والمساكين وسائر الناس أجمعين، ونفذت جملة الى بيوت النار ومن بها من الهرابذة والموابذة . ثم وصل الإصبهبذ بعد عشرة أيام ومعه داراب والأمراء والأكابر . فأخّرت الإذن لهم فى الدخول إليها مقدار أسبوع . فأمرت أن يعمل لداراب تخت من الذهب، وكرسيان من الفيروزج واللازورد، وتاج مرصع بالجواهر الشاهية ، وطوق وسواران ، وثوب منسوج بالذهب والجوهر . وأمرت المنجمين باختيار يوم مبارك للإذن . ثم إنها أذنت فلما دخل داراب تلقته ومعها جام مملوء من الياقوت ، وجام مملوء من الزبرجد فنثرتهما عليه، وضمته الى صدرها، وقبلت عينه، ومسحت بيدها وجهه، وأخذت بيده وأجلسته على التخت . ثم جاءت بالتاج الكيانى وقبلته ووضعته على رأسه ، و بشرت الناس بسلطنته . واعترفت له بالإساءة[1] إليه ، وقالت : سكر الشباب ، وحب الأموال ، وموت الوالد،وعدم ذى رأى فى المملكة يرجع اليه — أمور اجتمعت فحملتنى على ماسبق منى اليك . وجعلت تعتذر اليه وتستقيله العثرة . فرضى عنها داراب . فاستحضرت مو بذ المو بذان وجميع الأكابر والأمراء فحكت لهم ما سبق منها الى داراب بائحة بذلك على رءوس الملأ . وأخبرتهم بندامتها على ذلك.ثم قالت: اعلموا أنه لم يبق لبهمن ولد غير هذا، وهو وارث الملك، وصاحب التاج والتخت . فاتبعوا أمره، وتلقوا بالسمع والطاعة حكمه» . فتقبلوا ذلك وسروا بسلطنته، ونثروا عليه الجواهر حتى كاد ينغمر فيها . فطابت القلوب، وانشرحت الصدور ، وتتابعت التهانى والبشائر . فدخل القصار فيمن دخل على داراب فهناه بالملك الجديد والطالع السعيد . فأمر باحضار عشر بدر من الذهب، وجام مملوء من الجواهر ، وتخوت من أنواع الثياب، ووهب له الجميع . وقال : أيها القصار ! اجهد كل الجهد فلعلك تجد فى الماء صندوقا آخر يحتوى على طفل مثل داراب» . وانتهت عند ذلك غصة القصار، وأغناه فيض الدرهم والدينار عن مقاساة الماء والنار .

---

(١) كو، طا : اساءتها .

١٨ — ذكر نوبة داراب بن بهمن بن إسفنديار . وكانت مدّة ملكه اثنتى عشرة سنة §

قال صاحب الكتاب : لما جلس داراب على تخت السلطنة ، واحتفل مجلسه بالأكابر والأمراء والأعيان قال : إنا لم نرزق هذه الدولة بسعيى ولا جهد بل الله تعالى تفضل بها علينا عفوا . ولم ير أحد أعجب من أمرنا أمرا . فلا نؤدّى شكر هذه النعمة إلا بالعدل والإحسان وما يخلد لنا الذكر الجميل الى آخر الزمان . والله تعالى يجعل قلوب الرعية بنا مسرورة وصدورهم بأيامنا مشروحة .

قال : فدخلت الملوك تحت طاعته ، وحملت الإتاوات من الهند والروم وغيرهما من الأقاليم الى حضرته . ثم إنه ركب ذات يوم إلى الصحراء ليشاهد الخيول السوائم فى المروج والرياض فصعد فى الطريق إلى جبل عال فرأى تحت الجبل بحرا عظيما . فأمر بإحضار المهندسين من بلاد الروم والهند . وأمرهم أن يشقوا من تلك البحيرة نهرا فامتثلوا أمره . ثم أمر ببناء مدينة كبيرة على ذلك النهر وسماها داراب كِرد . وهى معروفة بدارابجرد من بلاد فارس . وبنى بها بيت نار . وأسكن المدينة أصحاب الحرف والصناعات .

---

§ ١٨ — داراب

الثامن من الملوك الكيانيين، والثامن عشر من ملوك الشاهنامه . وقد بينت فى فصل بهمن أردشير المشابهة بينه وبين الملك أرتخشيرشا أو أرتكزركس الأوّل الملقب بطويل اليد . فان صدق الحسبان وكان بهمن الشاهنامه هو أرتكزركس التاريخ أمكن تشبيه داراب الذى تجعله الشاهنامه أبادارا الأخير، بدارا الثانى الذى ولى من سنة ٤٢٤ الى ٤٠٤ ق . م . والذى يلقب «أُخوس» . وأوجه الشبه بينهما ما يأتى :

(١) داراب هو ابن بهمن فى الشاهنامه ، ودارا هو ابن أرتكزركس فى التاريخ . وقد حسبنا من قبل أن بهمن هو أرتكزركس .

(٢) كلاهما ولى بعد أخيه الذى ولى بعد أبيه : داراب بعد أخته هماى التى وليت بعد أبيها بهمن، ودارا بعد أخيه اكزركس الثانى الذى تولى بعد أبيه أرتكزركس الأوّل .

(٣) داراب ولى وأخته (أو أمه) حية، ودارا غصب الملك من أخ له اسمه سغديانوس وقتله . =

ولما استقر على سريره بث الجنود فى جميع أطراف الممالك، واستسخر جميع الملوك . ثم إنه خرج عليه رجل من العرب يسمى شعيب بن قتيب بجمع مائة ألف فارس[1] من أولى النجدة والبأس، وأبناء الرماح والصفاح . فنهض اليهم داراب فى عدد كثير[2] فالتقوا واتصل الحرب بينهم ثلاثة أيام . (١٢٨) ولما كان اليوم الرابع انهزمت العرب وقتل شعيب . فأطاعه سائر ملوك العرب والتزموا أداء الخراج اليه . فنفذ داراب الى بلادهم من يأخذ منهم خراج السنة الماضية مع خراج السنة الحاضرة . وسار من ذلك المعترك بجموعه وجنوده متوجها نحو بلاد الروم . وكان ملكهم يسمى فيلقوس[3] فنهض اليه من عمورية فى أكابر حضرته وأركان دولته مع عسكر عظيم فالتقوا وجرت بينهم وقعتان عظيمتان . ولما كان اليوم الرابع هرب فيلقوس وأصحابه وتركوا جميع ما كان معهم من الخيل والأسلحة والعتاد والعدّة، ومضوا ورماح الإيرانيين فى أدبارهم حتى دخل فيمن سلم الى عمورية فتحصن بها (أ) . وأرسل الى داراب بعض دهاة حضرته مع صندوقين من الجواهر الشاهية وتحف ومباز ومماليك وجوار يسأله[4] أن يجيبه الى الصلح ويجنح معه الى السلم، ويقول : لما قصد الملك قتالى وتوغل بلادى وعزم على أخذ عمورية التى هى دار ملكى ومقر عزى لم أجد بدا من ملاقاته وممانعته . وبعد أن جرى ما جرى فليفعل الملك الآن ما يليق بكرمه وحسبه ونسبه . قال:

= (٤) داراب ثامن الكيانيين، ودارا تامن الأكينيين إذا عددنا سغديانوس المقتول .

وكذلك يقول مول (Mohl) أن داراب هو داريوس أُخوس . وإن صح هذا فقد حذفت الشاهنامه بين داراب (الذى هو دارا الثانى) وبين دارا الأخير ملكين : هما أرتكزركس الثانى وأرتكزركس الثالث . أى حذفت كل من سمى أردشير بعد أردشير الأول أعنى بهمن أردشير . وليس يبعد أن يلتبس الأمر على الرواة فى هذه القصص المملوءة بالخرافات .

ثم داراب لا يذكر فى الأبستاق فيتم الانفصال بين الكتاب المقدّس وبين الشاهنامه فى هذا العهد .

وقصة داراب فى الشاهنامه ١٣٥ بيت تنقسمها العناوين الآتية :

(١) بناء داراب مدينة دارا بجرد . (٢) داراب يهزم جند شعيب . (٣) محاربة داراب فيلقوس، وتزوج ابنته . (٤) إرجاع داراب ناهيد (بنت فيلقوس) وولادتها الإسكندر .

(أ) المعروف فى التاريخ أن المقدونيين حاولوا الاستيلاء على آسيا الصغرى أيام فيليب فلم يستطيعوا . ثم ارتدوا حين جاءهم نعى فيليب . (سيكس Sykes ج ١ ص ٢٤٥) .

(١) صل : فارس أولى النجدة . وكو : من قبائل العرب أولى الخ . (٢) كلمة « كثير » من كو، طا .

(٣) فيلقوس بالقاف فى نسخ الترجمة . وفى الشاه : فيلقوس بالفاء . (٤) صل : ويسأله . والتصحيح من كو، طا .

فاستحضر داراب عند ذلك أعيان حضرته وأرباب دولته، وعرض عليهم رسالة صاحب الروم، واستشارهم فى الأمر . فقالوا : إن الملك أعلم وهو بالرأى والتدبير أبصر . وإن وراء ستارة هذا الملك بنتا فى غاية الحسن كأنها الشمس الطالعة، ذات قدّ كالسرو الباسق، وشعر كالليل الفاسق، وثغر كاللؤلؤ المتناسق . فإن رأى الملك خطبها اليه» . فأحضر الرسول وأمره بأن يقول لقيصر: إن كنت تريد ألا ينهتك ستر الحشمة من وجه[1] حالك فزوّجنى ابنتك ناهيد التى هى وراء سترك، وجهزها إلىّ مع ما تقرر من الخراج . فرجع الرسول بهذا الجواب الى قيصر فسر بما التمسه من المصاهرة، وتردّدت السفراء بينهما فى تقرير الخراج وكيته[2] . فاستقر الأمر على أن يؤدّى الى داراب كل سنة[3] مائة ألف بيضة وزن كل بيضة أربعون مثقالا من الذهب الأحمر . فقسمها قيصر على جميع[4] أمراء الروم . ثم أمر جميع فلاسفة بلده أن يستعدوا للتأهب للخروج فى صحبة ابنته . ثم خرجت فى مهدها محفوفا بالأساقفة يقدمهم سكوبا وهو أعلمهم وأزهدهم . وخلف المهد ستون جارية بالأكاليل والشنوف، على يد كل واحدة منهن جام من الذهب مملوء من الجوهر، مع عشرة أحمال من الديباج الرومى المنسوج بالذهب والجوهر، وثلثمائة حمل من الملابس والمفارش، الى غير ذلك من النفائس التى تجلب من الروم . فلما وصلت العروس وسلمها سكوبا الى صاحبها داراب[5] ثنى عنانه وعاد الى بلاد فارس .

قال : فاتفق أن ابنة قيصر كانت ذات ليلة مضطجعة مع داراب فى الفراش فتنفست فشم من نكهتها رائحة كريهة فنفرت نفسه منها واهتم بسبب ذلك . فجاءوا بالحكماء والأطباء فعالجوا تلك العلة منها بدواء يسمى الاسكندر فى بلاد الروم فشفيت وطابت نكهتها، غير أن تلك النفرة استمرت على قلب داراب . وكان لا يميل اليها ولا يقرب منها، وبلغ به الأمر الى[6] ردّها الى أبيها . فانصرفت مهمومة حزينة وقد احتوت على حمل منه ولم تطّلع[7] عليه أحدا . فلما تم لها تسعة أشهر ولدت ابنا فسمته أمه الاسكندر تيمنا باسم الدواء الذى وجدت عليه الشفاء . فلم يظهر ملك الروم أنه ولد داراب، وأظهر أنه ولده . ثم إنه شب وترعرع فكان تظهر عليه الشمائل الخسروانية، وتسمع من منطقه المعانى البهلوانية . وكان قيصر يحبه و يؤثره على ولده الى أن كبر ولبس وجهه طوق الشهامة (ا)، وطال منه نجاد الصرامة . فجعله فيلقوس ولى عهده والقائم مقامه من بعده، وعلمه جميع الآداب الملوكية حتى صار لا يصلح إلا للسلطنة والجلوس على سرير المملكة .

(ا) هذه الجملة من إنشاء المترجم، وليست ترجمة عبارة فارسية .

(١) طا : عن . (٢) صل : وكيتها . والتصحيح من طا . (٣) طا : كل سنة الى داراب . (٤) كو، طا : على أمراء . (٥) طا : سكوبا الذى صحبها الى داراب . (٦) طا : الى أن ردّها . (٧) طا : لم تطلع .

قال : وكان لداراب ولد ذو شكل ومنظر سماه دارا باسمه . ولما مضت عليه اثنتا عشرة سنة من ملكه مرض فأحضر أرباب دولته ، وقال : إنى قد عهدت الى دارا وجعلته ولى عهدى فاسمعوا له وأطيعوا . ثم مات وصار الأمر بعده[1] لولده .

١٩ — ذكر نوبة دارا بن داراب . وكانت مدّة ملكه أربع عشرة سنة §

قال صاحب الكتاب : كان دارا هذا ملكا قوى البطش ، صعب العريكة ، ريض الطبع ، ذلق اللسان ، مهيب المنظر . فلما جلس على السرير[2] قال لمن حضر من أعيان الأمراء والأكابر : ألا من خلع ربقة الطاعة[3] خلعنا رأسه من جسده . ومن أضمر سوءا أخرجناه بالسيف من خلده . ولست أريد وزيرا ولا مدبرا وظهيرا ، بل أنا الملك والوزير ، والمستشار والمشير . واستحضر الكاتب وأمره فكتب الى كل ملك من أصحاب الأقاليم كتابا كأنه خنجر يكاد يقطر دما مشحونا بالتهديد والإيعاد[4] والمحافظة على طرائق السداد والرشاد . ثم فتح أبواب خزائن أبيه ، وأطلق أرزاق العساكر ، وفرّق لهم شمل الخبايا والذخائر . ثم عرضهم وجعل كل طائفة منهم تحت راية إصبهبذ أصيل ، وأمير كبير . ونفذ كل واحد منهم الى طرف . وأطاعه جميع ملوك الأرض ، وانثالت على حضرته رسل الهند والصين والروم وسائر الأقاليم بالهدايا والتحف والإتاوات والخدم . وبنى بالأهواز مدينة سماها

---

§ ١٩ — دارا

هو تاسع الملوك الكيانيين ، والتاسع عشر من ملوك الشاهنامه . وهو أول ملك تاريخى فى الكتاب ، تتفق القصة والتاريخ فى اسمه ومعظم حوادثه . ويسمى فى كتب الأوربيين دارا كُدُمانوس (Darius Codomanus) . وقصته فى الشاهنامه ٤٥٩ بيت فى العناوين الآتية :

(١) ملك دارا بن داراب . (٢) موت فيلقوس وجلوس الاسكندر على السرير . (٣) مجىء الاسكندر الى دارا فى زىّ رسول . (٤) حرب دارا والاسكندر وهزيمة دارا . (٥) الموقعة الثانية بين دارا والاسكندر . (٦) الموقعة الثالثة بين دارا والاسكندر ، وهرب دارا الى كرمان . (٧) كتاب دارا الى الاسكندر فى طلب الصلح . (٨) قتل دارا بيد وزرائه . (٩) إيصاء دارا الى الاسكندر وموته . (١٠) كتاب الاسكندر الى أكابر إيران .

---

(١) طا : من بعده . (٢) طا : سرير الملك . (٣) كو : ربقة الطاعة من عنقه .

(٤) كو : والايعاد والانذار يأمرهم فيه بسلوك سبيل الطاعة والانقياد والمحافظة الخ .

زرنوش . وبنى بأرض الجزيرة مدينة أخرى واسعة وسماها دارنو . وهى التى تسمى اليوم دارا، على ما قاله غير صاحب الكتاب .

قال : ومات فى عهده فيلقوس صاحب الروم فاضطربت بموته أمور بلاده حتى قعد الاسكندر مقعد جدّه من السلطنة فأصلح الفاسد ولم الشعث . وكان فى ذلك العهد فى بلاد الروم الحكيم سطاطاليس ذو الذكر الشهير . فدخل على الاسكندر (ا) . وقال : أيها الملك! إن هذا التخت قد رأى مثلك كثيرا، ولا يدوم مع من تسنمه إلا قليلا . وأجهل من تحت السماء من لا يقبل مواعظ العلماء . وإنا من التراب خلقنا وله ولدنا . وعجز بنا أن نميل اليه ونحرص عليه . فإن أحسنت بقى ذكرك ودام ملكك . وإن أسأت لم تحصد غير ما زرعت . وعن قريب تفارق التاج والتخت . (١٢٩) وليس يأخذ بيد الملوك إلا الإحسان وبالاساءة يحرم الخير الانسان . فاستحسن الاسكندر كلامه ، واستغزر فضله . فصار لا يصدر إلا عن رأيه، ويبالغ فى إكرامه حتى يجلسه معه على تخته . فجاءه رسول دارا لطلب الاتاوة المعينة المذكورة فعظم ذلك على الاسكندر، واستشاط من الغضب مستعرا كاللهب وقال للرسول : أخبر صاحبك بموت الطائر الذى كان يبيض بيض الذهب . وقل له إنه قد مات وإن حظك قد فات . فارتاع الرسول لجوابه وانصرف مختفيا الى صاحبه . فجمع الاسكندر جيوشه وفرّق عليهم ذخائر جدّه وكنوزه . وأعدّ واستعد، وخرج يخفق على رأسه لواء أخضر . فجاء الى مصر ونزل عليها فاتصل الحرب بينه وبين صاحبها أسبوعا فغلب الاسكندر واستأمن اليه أكابر أهل مصر وانضموا اليه . فارتحل بهم من مصر قاصدا قصد إيران . فانتهى الخبر بذلك الى دارا فخرج من اصطخر فى جنود قد سدّوا بالرماح طريق الهبوب على الرياح . وسار حتى نزل على الفرات . ووصل الاسكندر وخيم بإزائه بحيث لم يكن بين العسكرين أكثر من فرسخين . فتنكر الاسكندر وركب فى زى رسول واستصحب عشرة من خواصه يعرفون لسان الايرانيين . وكلٌّ حُوّل قُلّب . وقصد بذلك أن يقف على حال عدوه عيانا . فأتى مخيم دارا فأنهى اليه أن رسولا من صاحب الروم قد وصل فأذن له . فدخل وقبل الأرض ومثل قائما ودعا له وقال : إن الاسكندر يقول : إنى لم أقصد قتال الملك ولا منازعته فى ملكه ، وإن غرضى أن أجوب البلاد، وأجول فى أقطارها وأشاهد عجائبها . ولم أضمر غير الحسنى . فان كنت تضن بتراب أرضك أن أدوسه وتمانعنى بخيلك ورجلك غير مطلع على ما فى ضميرى ومصمما على قتالى فأنا موافقك على ما تختار . فاختر يوما للالاقاة . فلست بالمتنكب عن مقاتلة الملوك وان كانوا فى العدد الكثير والجم الغفير . قال:

(ا) يروى التاريخ أن فيليبّ دعا أرسطو لتعليم اسكندر حينما بلغت سنه أربع عشرة سنة .

فلما وقف دارا على عقله ورأيه وشهامته وذكائه ورآه كأنه داراب أبوه قاعدا على تخته فى تاجه وطوقه قال له : ما اسمك ؟ والى من تنتسب؟ فقد أعجبنى بما أرى فيك من الشمائل الكيانية . وما أظنك إلا الملك الاسكندر(ا) . وكأنك لم تخلق إلا للتخت، ولست تصلح إلا للتاج والطوق . فقال : كيف يقدم على هذا مثل ذلك الملك مع ما خص به من الدهاء والعقل ؟ وإنما هذه الرسالة هو الذى حملنيها كما تحملت . فأمر به الملك فأنزل فى موضع يليق به . ثم لما مدّوا السماط استدعاه لحضره. ولما رفع السماط جلس للشراب فأخذت السقاة فى إدارة الأقداح الذهبية . فكانت النوبة كلما انتهت الى الرسول شرب ووضع القدح فى حجره، ولم يردّه الى ساقيه . حتى اجتمعت عنده أقداح عدّة . فأعلم الساقى الملك بصنيعه . فقال : سله عن السبب فيما صنع . فلما انتهى اليه قال له : أيها الشهريار! لم تحط هذه الجامات فى حجرك ؟ فقال : هكذا رسم ملوك الروم أن الرسل اذا شربوا عندهم كانت الظروف لهم . فإن كان رسم ايران على خلاف ذلك فردّها الى خزانة الملك . فضحك الملك لمقالته، وأمر بإحضار جام مملوء من الجواهر الشاهية فوضعه[(١)] فى يده . قال : فاتفق أنه حضر المجلس رجل كان دارا قد أنفذه الى الروم لطلب الخراج فبطش به الاسكندر . فلما نظر الى الاسكندر عرفه فدنا من الملك وأطلعه على الحال وقال : إن هذا هو الاسكندر الذى مضيت اليه أطالبه بالخراج فأهاننى فخرجت من عنده وهربت . وإنه لإدلاله بقوّته أقدم على هذه الحركة ليعاين أحوال الملك ويقف على كمية العسكر . فأكثر دارا عند ذلك النظر الى الاسكندر . فأحس بذلك وتصبر الى أن قرب وقت الغروب فاهتبل غرة الملك، وقام الى الدهليز وخرج فركب فى أصحابه ونجوا بأنفسهم طردا وركضا . قال: فالتفت الملك الى مكانه فلم يجده فنفذ الى خيمته فما وجد فيها. فأركب فى طلبه ألف فارس فاتبعوا أثره ففاتهم ولم يدركوه وانصرفوا بعد أن شارفوا طلائع الروم . وعادوا وقد فاتهم الملك اليقظان وطرف سعادتهم ناعس وسنان(ب) .

قال : ولما طلعت الشمس ركب دارا وعبر الفرات فى جيشه أجمع . فصافّه الاسكندر فى جنوده يقدمهم فيول كشمّ الهضاب ودكن السحاب . فالتقوا ودارت رحى الحرب بينهم أسبوعا . ولما كان اليوم الثامن ثارت دبور الإدبار فلطمت وجوه الايرانيين بعجاج أغطش نهارهم، وأعمى أبصارهم .

(ا) فى النسخة السريانية من قصة اسكندر أن رسل دارا الى اسكندر الذين طلبوا منه الجزية، كما تقدّم، صوّروا اسكندر وقدّموا الصورة لدارا حينما رجعوا . (ورنر (Warner) ج ٦ ص ٣٠) والشاه تذكر هذا فى قصة قيذافه الآتية .

(ب) فى الروايات الأخرى اليونانية والسريانية أن الاسكندر عبر فى فراره نهرا متجمدا ذاب ثلجه بعد أن بلغ الاسكندر الشاطئ، وغرق حصانه . ولم يستطع الفرس إدراكه لذلك .

(١) طا، كو : فوضعوه .

فغلبت الروم بعد أن كانت مغلّبة ، وانهزم الايرانيون . فتبعهم الاسكندر فى عساكره الى شاطئ الفرات فقتل منهم خلقا كثيرا . وانصرف الى مخيمه وقد شرع أمر الروم فى الاعتلاء وأخذت نار الفرس فى الانطفاء . ولكلّ أجل معلوم، ولا يدوم إلا ملك الواحد القيوم .

قال : ففرق دارا رسله فى أقطار بلاده ، وطير كتبه الى أطراف ممالكه ، وحشد وحشر خلقا عظيما ، واستأنف الأمر فعاد بعد انقضاء شهر وعبر الفرات . ونهض اليه الاسكندر فالتقوا واتصل الحروب بينهم ثلاثة أيام . فقتل من الايرانيين خلق، وكانت الدبرة عليهم . فدارت على دارا دائرة السوء فولاهم ظهره ، وركب الاسكندر كالريح العاصف أثره . وأمر بأن ينادى نداء الأمان فى المنهزمين، وأوعز باستمالتهم أجمعين . فاستظل الإيرانيون عند ذلك بظل أمانه ، وتمسكوا بعصم إحسانه . فأقام الاسكندر بعد هذه الوقعة فى مكانه ذلك أربعة أشهر . وفرّق ما غنم من الإيرانيين على عساكره .

وسار دارا حتى وصل الى جهرم . فاستقبله أكابر الفرس متوجعين لما أصابه فمضى الى اصطخر، وكتب الى أصحاب الأطراف والى الأمراء والأعيان يستحضرهم فحضروا فجمعهم فى إيوانه . وقال: إن ملوك الروم كانوا من قبل صيدا فى أيدينا وأضحوا الآن يصيدوننا ، وإنهم كانوا أذل من الثعالب فصاروا كالنمور ، وكانوا أعجز من البغاث فعادوا كالصقور . وقد رضوا من قبل أن يتركوا فى أطمار الخمول ضارعين فصاروا الآن جبابرة فى ملابس القهر رافلين . فإن تعاضدتم متوازرين وتظافرتم متظاهرين كفينا شرهم ونفينا ضرهم . وكانت عينه فى أثناء خطابه تدمع، وقلبه يكاد يتصدّع . فوثب الحاضرون وقالوا : إنا ملاقو عدوّنا وباذلون جهدنا فى الدفاع عن أنفسنا وأهالينا . ونصابر العدوّ، ويشدّ كلّ[1] منا ذيله بذيل صاحبه (ا) . فأمر دارا بتفريق الأموال والخيل والأسلحة عليهم حتى تجهزوا وأخذوا أهبتهم . فبلغ الخبر الاسكندر، وهو بالعراق، بانتعاش دارا وارتياشه وإعداده واستمداده . فأقبل الى فارس فاستقبله دارا فى عساكر كثيرة لايحويهم الحصر لكنهم قلوا حين خانتهم السعادة وفاتهم النصر . فالتقوا وجرت بينهم وقعة أخرى عظيمة فانهزم دارا أيضا وهرب الى كرمان (ب) . وأقبل الاسكندر حتى استولى على اصطخر التى كانت مستقره ومستقر الملوك الماضين قبله . فأمر فنادى مناديه : ألا من لاذ بعصمة الأمان، وآثر الطاعة على العصيان أو طأطأه

(١٣٠)

(ا) ترجمة العبارة الفارسية : بندیم دامن يك اندردگر .

(ب) المعروف فى التاريخ أن دارا بعد موقعة إربل فر الى همذان .

(١) طا : كل واحد منا

بساط النعم، وآمناه من مخاوف النقم، وأسونا كَلْمه، ورقعنا خرقه. ومن لم يقابل أمرنا بالامتثال عركناه عرك الرحى للثفال.

وأما دارا فانه لما وصل الى كرمان افتقد من أصحابه مقدار الثلثين. وجمع من حضره من وزرائه وقال لهم: ماذا ترون، وبماذا تعالجون هذا الداء العضال؟ فقالوا: أيها الملك! اتسع الآن خرقنا على الراقع، وغمرتنا أمواج الدواهي والبواقع. وصارت نساؤنا وأولادنا فى أسر الاسكندر وتحت يده. واحتوى أيضا على مخدّرات الملك وكنوزه وكنوز آبائه الماضين وذخائر أسلافه الأكرمين. وقد انسدت علينا الأبواب سوى باب المسالمة والمداراة والرضى بأن تكون مرعيا لا راعيا، ومحكوما عليه لا حاكما. فاكتب اليه فى هذا المعنى كتابا تدفع به الشر عنك فى العاجل الى أن يفرج الله فى الآجل. ولا يمتنعن الملك من مخاطبته بذلك، ولا يضيقن به جنانه، فإن من يذكر النار لا يحترق لسانه. فكتب اليه كتابا مشحونا بالخضوع والضراعة والطواعية والاستكانة. فسأله[1] فيه أن يكف حدّ بأسه عنه ويجنح معه الى السلم، ويعده فيه أنه إن ردّ اليه مخدّراته وحرائره سلم اليه دفائن كُشتاسب وذخائره، ولا يخرج بعد ذلك عن طاعته، ولا يعدل عما يعود بمظاهرته ومعاضدته. فلما وصل الى الاسكندر كتابه كان من جوابه له أن قال: إن مخدرات الملك مستقرات بأصبهان. ومعاذ الله أن يتعرّض لهنّ أحد، أو يمتد الى ذخائرهنّ منا يد. وأنت إن نشطت الى الرجوع الى إيران فليس لك من ذلك مانع ولا دافع، والممالك كلها لك وبحكمك، ونحن مطيعون لأمرك. فلما وصل الجواب الى دارا قضى العجب من تصاريف الزمان ودوائر الحدثان، وقال: أصعب من القتل عندى أن أشدّ فى خدمة الرومى وسطى. واذا آل الأمر الى ذلك فالموت ولا هذا الصوت، والقبر ولا هذا الصبر. واذا طما البحر زاخر العباب فلا موقع عنده لقطر السحاب.

ثم انه لما عجز عن جميع وجوه الحيل كتب الى فُور ملك الهند كتابا يذكر فيه مادهاه من البائقة التى لم تبق له باقية، والداهية التى صارت مُنّته لها واهية، ويسأله أن ينجده على أن يحمل اليه من الجواهر مايملأ كنوزه ويغنى جنوده (١). فبلغ ذلك الى الاسكندر فركب وطار بجناح الركض الى كرمان، فصافه دارا بمن كان معه من أصحابه فانتفضوا فى أسرع من رجع الطرف ولمع البرق، واستأمن الى الإسكندر أكثرهم. وهرب دارا فى ثلثمائة فارس.

(١) فى الروايات اليونانيـة والسريانية أن دارا طلب من فور أن يلقاه عند شعاب قزوين، وأنه وعده نصف الغنائم وحصان الاسكندر — بسفلوس. (وورنر (Warner) ج ٦ ص ٣١) انظر الكلام على فور فى وقائع الإسكندر الآتية.

[1] كذا فى نسخة الأصل، طا. وأظنها: يسأله.

وكان معه دستوران § لا يفارقانه ليلا ولا نهارا و يصحبانه سرا وجهارا، يسمى أحدهما ماهيار والآخر جانوشيار[١] . فقال أحدهما لصاحبه : إن هذا الشقى لن يرى بعد هذا التاج والتخت . والرأى أن نغتاله ونتوسل بقتله الى الاسكندر . فإنه يرفع بقدرنا، وينوه بذكرنا، و يولينا بعض الأقاليم . فتوافق الغادران على ذلك . فلما جنّ الليل بينا دارا يسير بينهما[٢] إذ ضربه جانوشيار بمزراق فأنفذه فيه فانقلب عن ظهر الفرس صريعا . فتركاه على حاله وأقبلا الى الاسكندر، وهو على الأثر، فقالا له : أيها الملك! إنا قتلنا عدوّك مغافصة ، فليهنك التاج والتخت . فقال : إن كنتما صادقين فأوقفانى على مصرعه . فسارا بين يديه الى أن أوقفاه على دارا . فنزل اليه الاسكندر، وأمر بأخذهما والاحتياط عليهما فى حفظهما . فرفع رأس دارا ووضعه فى حجره، ومسح وجهه بيده، وبكى حتى تساقطت عبراته على خدّه، ورفع التاج عن رأسه، وحل أزرار جوشنه، وأخذ يلاطفه و يقول : أيها الملك ! إن استطعت فقم واقعد فى المهد ، وإن قدرت فاركب الفرس فإنى أجمع عليك أطباء الروم والهند حتى يعالجوك . واذا شفيت سلمت اليك[٣] التاج والتخت وأفوض هذه الممالك اليك . وسأبكى عليك دما لما أراه بك وكيف لا يكون هذا وأنا وأنت تفرّعنا من جرثومة واحدة وقددنا من أديم واحد . وسأصلب[٤] الفاتكين بك المغتالين لك . فلما سمع دارا ذلك منه دعا له وأثنى عليه

---

§ سار الاسكندر، بعد أن فتح بابل وسوسه واصطخر الى همدان . فلما قاربها سمع أن دارا فرّ الى شعاب قزوين[٥] . فأقام أياما ثم سار فى نخبة من جنده يقتفى دارا وكان يرجو أن يدركه فى الرى . فلما بلغها سمع أن دارا جاوزها ميمّا الشرق . فاستراح الاسكندر خمسة أيام ثم استأنف السير مشرّقا على الطريق المعروفة طريق البريد اليوم بين طهران ومشهد التى تسير من همذان الى بلخ . فلما بلغ شعاب قزوين سمع أن بسّوس سترب بلخ ابن عم دارا ، وسترب سيستان، وقائد الفرسان ائتمروا على الملك فأسروه . فأسرع متعقبا الجيش الفارسى . و بلغه على الطريق أن الجيش الفارسى كله استحسن أسر الملك، وأن المرتزقة اليونان اعتزلوا سائر الجيش واعتصموا بالجبال حين عجزوا عن نصرة الملك . فلما شارف الاسكندر الجيش الفارسى أمر بسّوس أن يُقتل دارا ثم هرب . فألفى الاسكندر عربة عليها جثة دارا تغطيها الجروح، ملقاة فى نهر[٦] . وذلك فى يوليه سنة ٣٣٠ =

---

(١) اسمه فى الشاه : جانوسيار . (٢) صل : بهما . والتصحيح من طا . (٣) كلمة « اليك » من طا .

(٤) صل : ساطلب . والتصحيح من طا . (٥) شعاب قزوين التى يذكرها أريان (Arrian) يرى بعض المؤرخين أنها شعب مردوه (ورنرحـ ٦ ص ٣٢ ، سيكس (Sykes) حـ ١ ص ٢٦٢) .

(٦) ورنر (Warner) حـ ٥ ص ٣٢ ، سيكس (Sykes) حـ ١ ص ٢٦١ وما بعدها .

(مطبعة دار الكتب المصرية ٨٩٧/١٩٣٠/١٢٠٠)

الشاهنامه

الجزء الثاني

اسكندر وملوك الطوائف والساسانيون

فهـــرس الجـــزء الثـانى

صفحة

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٠ — ذكر الخبر عن سلطان الاسكندر بممالك إيران وكانت مدة ذلك أربع عشرة سنة §

قال : (١) لما جلس الاسكندر على سرير السلطنة وعظ من حضر، ونصح وقال : إن أبوابنا مفتوحة للتظلمين . ولو أتونا فى جنح الظلام لكنا بأيديهم آخذين . واذ توجنا الله بتاج السيادة وفتح لنا أبواب السعادة فحق علينا أن نحسن الى الرعية برا وبحرا وحزنا وسهلا . وقد أعفيناهم عن خراج خمس سنين . ولا نتعرض إلا لمن يدعى مشاركتنا فى الملك أو كان من المارقين . وسنغنى بأيادينا جميع الفقراء، ولا نمد بأيدينا الى ما فى أيدى الأغنياء .

ثم استحضر الكاتب فكتب الى إصبهان الى زوجة دارا كتابا يعزيها فيه، وشحنه بأنواع من التلطف والتعطف، وقال فيه أن دارا زوجه ابنته روشنك . وشهادات الحاضرين بذلك ناطقة .

---

٢٠ — الاسكندر §

يستمد الفردوسى فى هذا الفصل وفصلى داراب ودارا السابقين، الروايات اليونانية .

وسيرة الاسكندر التاريخية والخرافية معروفة فى المشرق والمغرب، لا أجد حاجة الى بيانها هنا، ولا يتسع المجال لقياس ما فى الشاهنامه منها بما فى الكتب الأخرى العربية واليونانية وغيرها .

لما رحل الإسكندر لغزو المملكة الفارسية، والانسياح فى المشرق استصحب طائفة من العلماء بين مؤرخ وجغرافى ونباتى وغير ذلك . فأنتجت رحلته طائفة من الكتب، فى بعضها ضرب من المبالغة والتوهم . ورأى الجند فى هذه المغازى البعيدة، من البلاد والأمم والمرائى المختلفة والحوادث ما بهرهم . ثم رجعوا الى ديارهم يغلون فى وصف ما رأوا، ويتزيدون فى القول، ليروا الناس أنهم اقتحموا من المهالك ورأوا من العجائب ما لم يره أحد . ثم أضافت العصور الى القصة قصصا =

---

(١) حذف المترجم هنا أبياتا فى مدح السلطان محمود ليس فيها فائدة تاريخية .

فجهزوها وأرسلوها فى مهدها الى اصطخر فى صحبة مو بذ إصبهان وأكابر ايران . وكتب فى هذا المعنى كتابا آخر الى روشنك. ونفذ الكتاب على يدى فيلسوف. فلما وصل أكرمته زوجة دارا فأحسنت[1] اليه . وأحضرت الكاتب وأمرته أن يكتب جواب كتابه . فكتب كتابا يشتمل على ذكر توجعها على صاحبها وتسليها بمكان الاسكندر بعده، وأنها تسأل الله تعالى إدامة ملكه . وقالت : قد بلغنا ما عاملت به الملك وظهر منك من الشفقة والعاطفة ، وما أقمته من مراسم عزائه، وصنعته من الاقتصاص له من أعدائه . وأنت الآن لنا بمنزلة ذلك الملك الدارج . فلا زلت ممتعا بشرف المراتب ورفعة المعارج ، مخلد الذكر على تعاقب الأيام وترادف الشهور والأعوام . وأما ما ذكرت من حال روشنك فانا قد سررنا بهذه المصاهرة المباركة . فالله تعالى يقرنها بالخيرات والسعادات . وهى أمتك ونحن جواريك مصرّفات تحت أوامرك ونواهيك » . وردّوا الفيلسوف بجواب الكتاب . فلما عاد الى الاسكندر أخبره بجلالة قدر روشنك وفخامة شأنها، وما شاهد فى دارها من البهاء والأبهة والرواء والروعة . فأعجبه ذلك . ثم نفذ الى عمورية واستقدم أمه . فلما قدمت عليه أرسلها الى إصبهان . وأصحبها تاجا وسوارا وطوقا مع أحمال من الثياب وغيرها، وثلاثين ألف دينار برسم

= وزادت كل أمة شيئا من أخبارها وأساطيرها . فصار الاسكندر بين الأمم بطل الوقائع وبطل الأساطير .

وفى مصر التى فتحها الاسكندر وورثها بطليموس أحد قواده ، فى الاسكندرية التى بناها ودفن فيها — ألفت أخبار الاسكندر وجمعت أشتاتها، واتخذت صورة قصة طويلة مفصلة . ويظهر أنها ألفت فى القرن الثالث الميلادى .

ومؤلف القصة مجهول ، ولكنها تنسب فى بعض النسخ الى المؤرخ كِلِستِنيس أحد أقرباء أرسطو ، الذى صحب الاسكندر فى غزواته[2] .

وقد ترجمت القصة الى اللاتينية والأرمنية وغيرهما . ثم ترجمت فى القرن السابع الميلادى الى الفهلوية ثم ترجمت منها الى السريانية . والترجمة السريانية موجودة ومنها استدل الأستاذ نُلدكه على أن ترجمة فهلوية كانت، ونقلت السريانية عنها .

وقد ألفت فى القرن الخامس الميلادى قصة للاسكندر فيها صبغة نصرانية ، ونظمها بعد قليل الشاعر السريانى يعقوب السروجى المتوفى عام ٥٢١ م[3]. وقد عرفت هذه القصة بين العرب بعدُ=

(١) طا : وأحسنت . (٢) وونر، ج ٦ ص ١٣ (٣) = ص ١٤ وما بعدها .

النثار، وثلثمائة من الجوارى الروميات . وصحبها عشرة من علماء الفلاسفة ليترجموا بين يديها . فلما قربت من إصبهان استقبلها أعيان المدينة وأكابرها وعلماؤها وأماثلها . وتلقتها[1] زوجة دارا فدخلت بها وأنزلتها فى إيوانها . ثم هيأت جهاز ابنتها وفيه من الذهبيات والفضيات والملابس والمفارش أحمال محملة مع ما انضم الى ذلك من الخيل والأسلحة . ورتبت أربعين مهدا لمن يصحب مهدها من النساء من الحرائر والإماء . قال : وأعدت لها خاصة مهدا على رأسه مظلة مرصعة . فخرجت مع أم الاسكندر متوجهة الى اصطخر . فلما وصلت و رآها الاسكندر تعجب من جمالها وكمالها وحسن سمتها وحيائها . ولما تمت له هذه الوصلة وطنت ملوك إيران وأكابرها النفوس على طاعته وملازمة الإخلاص فى خدمته . فعمر من تلك الممالك ما خرب من بلادها، وغمر بالعدل والإحسان أهل رباعها ودیارها — قلت : ومن آثار عمارة الاسكندر فى ممالك إيران مدينة بإصبهان يقال لها جىّ بنيت على مثال الحية[2] وثلاث مدائن بخراسان منهن مدينة هراة ومدينة مرو، ومدينة سمرقند .

قال : ولما استتبت أموره بإيران عزم على قصد ملك من ملوك الهند[3] يسمى كَيدا، وجرّ العساكر اليه، وسار الى أن وصل الى مدينته التى تسمى ميلاب . فنزل عليها وكتب اليه كتابا يأمره فيه بالخروج الى خدمته، والدخول تحت طاعته . فلما وصل اليه الرسول ووقف على الكتاب أكرم

= وكانت منشأ ما فى الكتب العربية من أساطير الاسكندر أو ذى القرنين ، وفى الشاهنامه صورة منها .

وقد تغير رأى الفرس فى الاسكندر على مر القرون : كان يسمى الاسكندر اللعين الذى دمر المملكة وأحرق كتب زردشت، فصار الاسكندر ذا القرنين الموحد العابد، الفارسى ابن الملك داراب وأخا دارا . وبذلك صالحوا الاسكندر وغسلوا عن تاريخهم عار الهزيمة أمامه . كما ادعاه المصريون وجعلوه ابن الملك نخت نبف آخر الفراعنة الذى هزمه أرتخشيرشا أخوس الملك الفارسى سنة ٣٤٣ ق م . وقصة ذهابه الى مقدونية وسحره أُلِمبياس امرأة فيليب ، وتزيينه لها ولزوجها أن تلد ولدا من الإله أمون ذى القرنين ، وتمثله هو فى صورة هذا الإله الخ . قصة عجيبة معروفة .

ثم قصة الاسكندر فى الشاهنامه ١٩٥٥ بيت فيها العناوين الاتية :

(١) فاتحة القصة . وقد حذف منها المترجم مدح السلطان محمود . (٢) كتاب الاسكندر الى دلاراى أم روشنك (دلاراى زوج دارا) . (٣) جواب دلاراى الى الاسكندر . (٤) إرسال =

(١) صل : وتلقته . والتصحيح من طا . (٢) طا : الجنة . (٣) صل : قصد ملوك الهند . والتصحيح من طا .

الرسول وأجلسه بجنبه وأحسن اليــه . وكان قد رأى رؤيا فقصها على معبر من البراهمة فأشار عليــه فى تعبيرها بطاعة الاسكندر وترك مخالفتــه . فكتب جواب كتابه ، وذكر فيه أن له أربعة أشياء لا يملكها أحد غيره ، ولا مثل لهــا فى جميع العالم . قال : وإن أمر الملك نفذتها اليــه ثم حضرت بنفسى بين يديه . فبعث الاسكندر اليــه يسأله عن الأشياء الأربعة . فقــال : أحدها بنت وراء سترى[1] ليس لهــا نظير فى الحسن والجمال وكمال الآداب . والثانى جام اذا ملأته بالمــاء أو بالشراب[2] لم ينقصه الشرب منــه وإن شربت منه مع الندماء عشر ســنين . والثالث طبيب إن أقام[3] مع الملك لم يصبه داء مدة حياته . والرابع فيلسوف يخبر الملك بجميع ما يكون قبل وقوعه . فنفذ اليه الاسكندر تســعة أنفس من ثقاته ومشايخ فلاسفته ليستوضح ما قال، ويقف على صحته . فلما أتوه أمر بتزيين ابنتــه ثم أذن لهم فى الدخول اليهــا . فلما وقعت أبصارهم عليها بهتوا لمــا شاهدوا من صورتها وجمالها، واعترتهم حيرة ، وغشيتهم سكرة حتى بقوا عندها زمانا طويلا وهم لا يشعرون . فلما أبطئوا على الكيد أرسل اليهم يستحضرهم . فلما حضروا قال لهم : قد أطلتم عندها المقام . فقالوا : أيهــا الملك ! إنا لم ننظر اليها، ولمــا تمت رؤيتنا لهــا، ولا لبثنا عندها أكثر من سلام وجواب . ثم إنهم كتبوا الى الاسكندر يعلمونه بصفة البنت . فأرســل يطلبها مع الجــام والطبيب والحكيم . فبادر

= الاسكندر أمه ناهيد الى روشنك وتزوجها . (٥) رؤيا كيد ملك الهند وتعبير مهران إياها . (٦) ذهاب الاسكندر الى كيد وكتابته اليه . (٧) جواب كيد وعرضه وإرساله أربع عجائب . (٨) إرجاع الاسكندر الرسول لأخذ العجائب . (٩) إرساله عشرة من الحكماء لرؤية العجائب الأربع . (١٠) إحضارهم بنت كيد والطبيب والحكيم والكأس . (١١) امتحان الاسكندر الحكيم والطبيب والكأس . (١٢) قيادته الجيوش الى فور الهندى وكتابته اليه . (١٣) اجابة فور . (١٤) صف الجيوش لحرب فور، وصنع خيل وفرسان من الحديد وملؤها نفطا . (١٥) محاربته فورا وقتله ، ونصب سَوَرْك مكانه . (١٦) حج الاسكندر بيت الله الحرام . (١٧) سوق الجيوش من جدة الى مصر . (١٨) كتابه الى قيدافه ملكة الأندلس، وجوابها . (١٩) قيادته الجيوش الى الأندلس وفتحه قلعــة الملك فريان . (٢٠) الاسكندر يذهب رســولا الى قيدافه فتعرفه . (٢١) نصح قيــدافه الاسكندر . (٢٢) طينوش بن قيدافه يغضب على الاسكندر فيحتال الاسكندر له . (٢٣) معاهدة الاسكندر قيدافه ورجوعه الى جيشــه . (٢٤) ذهابه الى أرض البراهمة وسؤاله عن أسرارهم ، وإجابتهم . (٢٥) ذهابه الى البحر الغربى ورؤيته =

(١) طا : ستورى . (٢) صل : بالماء والشراب . والتصحيح من طا . (٣) صل : قام . والتصحيح من طا .

كّيد الامتثال، وجهز بنته، ونفذها اليه مع الأشياء الأخر. فبنى بالعروس وأعجبه ما رأى من جمالها وكمالها . ثم تفرغ لتجربة الفيلسوف فنفذ اليه جاما مملوءا من السم، وأمره أن يطلى به أعضاءه حتى يزول عنه تعب الطريق ونصبه . فرمى العالم فى الجام ألف إبرة ، وردّه اليه . فأمر الاسكندر فسبكت الإبر، وجعلت بيضة حديد ونفذها الى الحكيم . فعمل الحكيم منها مرآة مصقولة وبعثها اليه . فأخذها الاسكندر ودفنها تحت الأرض حتى نديت وصدئت ثم ردّها اليه . فأخذها وجلاها وصقلها بأدوية مركبة بحيث لا يعود جوهرها[1] يصدأ بعد ذلك ، وردّها الى الاسكندر . فأحضره الاسكندر وسايله عن مقاصد ما جرى من الرموز . قال : أردت بإلقاء الإبر فى السم الإشعار بأن السم ينفذ فى المسام ويتغلغل حتى يبلغ اللحم والدم والعظم مثل صنيع الإبر . وأما سبك الملك الإبر واتخاذها بيضة حديد فهو إشارة منه الى أن قلبه قد صار فى هذه الخطوب والوقائع مثل بيضة الحديد، فهو لا يدرك المعانى الدقيقة والرموز الخفية . فعملتُ منها مرآة إشارة الى أنى بحذق فى صناعتى ومهارتى فى علمى أصيّر قلب الملك كالمرآة فى الصفاء . وأما ردّ الملك إياها صدئة فهو إشارة منه الى أن قلبه كان[2] كالمرآة ولكنه صدئ من كثرة إراقته الدماء. فصقلتها ثانيا ورددتها اليه إشعارا منى بأنى سوف أجلو بالعلم السماوى قلبه ، وأنفى عنه كل غين ورين . فاستحسن الاسكندر ذلك منه وأمر باحضار جملة من الذهب والفضة والثياب مع جام مملوء جوهرا . وأمر بدفع جميع ذلك الى الفيلسوف . فامتنع من قبوله وقال : إن معى جوهرا مكنونا لا يحوجنى فى الليل الى حارس،

= أعاجيب . (٢٦) ذهابه الى أرض الحبش، ومحاربته وانتصاره. (٢٧) ذهابه الى أرض نرم پاى، وانتصاره عليهم، وقتله تنينا ، وصعوده جبلا ، وإنذاره بالموت . (٢٨) ذهابه الى مدينة النساء مدينة هروم، ورؤيته أعاجيب هناك . (٢٩) ذهابه فى الظلمات طالبا عين الحياة، وتكلمه مع الطير وإسرافيل . (٣٠) ذهابه الى المشرق ورؤيته أعاجيب وبناء سدّ يأجوج ومأجوج . (٣١) رؤية ميت فى قصر من الياقوت الأصفر . (٣٢) قصده بلاد الصين وذهابه رسولا الى فغفور ورجوعه بالجواب . (٣٣) رجوعه من الصين ومحاربة السند وذهابه الى اليمن . (٣٤) سيره الى بابل وعثوره على كنز كيخسرو فى مدينة. (٣٥) كتابته الى أرسطاليس وتلقى جوابه. (٣٦) كتاب الاسكندر الى أمه . (٣٧) موت الاسكندر وحمل تابوته الى الاسكندرية . (٣٨) رثاء الحكماء الاسكندر . (٣٩) نحيب أمه وزوجه . (٤٠) شكاية الفردوسى من الشيخوخة والدهر . وقد حذفها المترجم . =

---

(١) طا : جوهر المرآة . (٢) طا : كان مرة كالمرآة .

ولا أخشى عليه فى الطريق من سارق . ويكفينى من هذه الدنيا مطعم وملبس، ولا تسرنى الزيادة عليهما ، وأكره أن أكون حارسا لغيرهما . فتعجب الاسكندر من ذلك وقال : إنى مؤثر لرأيك الثاقب وكلامك النافع وعلمك الوافر . §

قال : وأمر باحضار الطبيب فسأله عن أعظم أسباب الأمراض . فقال : أن يأكل الرجل فاضلا عما يحتمله المزاج، ولا يضبط نفسه عند حضور الطعام . ثم قال : وإنى سأركب لك دواء اذا استعملته كنت أبدا صحيح الجسم، قوى النفس، مسرور القلب، مشرق اللون، منجذب الطبع الى أعمال الخير، ثم لايعتريك معه الشيب، ولا يضرك كثرة الأكل، ويزيد فى شهوتك وحفظك ودمك، ولا تحتاج بعده الى شرب دواء آخر . فقال للاسكندر : إن فعلت ذلك كنت عندنا الموقر المكرم . وخلع عليه وأكرمه، وقدمه على جميع من بحضرته من الأطباء . فصار الى بعض الجبال وجمع الحشائش التى هى أخلاط ذلك الدواء . ولما فرغ من عمل الدواء الجبلى غسل به عقب الملك . وكان من بعد يلازمه ويحفظ صحته . قال : وكان الاسكندر كثير الباه مكثرا من الاستمتاع بحظاياه . فأحس الطبيب بضعف فى مزاجه، وقال : إن مضاجعة النساء تجعل الشبان شيبا . ولا أشك أنها قد أثرت فى الملك . فأنكر الاسكندر ما توهمه الطبيب من ضعفه، وقال : أنا نشيط النفس قوى المزاج . فلم يقبل الطبيب ذلك منه . وركب دواء يزيل الضعف . فنام الاسكندر تلك

---

§ كيد الذى يسميه المسعودى كند ، ويسميه اليعقوبى كيهان يظهر أنه الملك الذى يذكره مؤرخو اليونان باسم أُمفيس ملك تكسيلا ، وكان مسالما موادًا للإسكندر .

وأما الفيلسوف الذى أرسل الى الاسكندر فقد حكى أُنِسكريتوس أن الاسكندر أرسله الى طائفة من عباد الهند فرأى خمسة عشر رجلا بين قائم وقاعد ومضطجع عراة فى الشمس ، وأنه كلم اثنين منهم : كلانوس ومندانِس وكان مندانس أسنهما وأحكمهما[1] . وكان كلا الفيلسوفين يقيم فى تكسيلا أيضا .

وقد صحب كلانوس الاسكندر حينما رجع الى فارس ثم مرض فأَحرق إجابة لرغبته . وقد تناقلت الروايات اليونانية هذه القصة فى صور مختلفة[2] .

وقد أطال المسعودى فى مروج الذهب، الكلام عما كان بين الاسكندر وكيد والفيلسوف ، بعنوان « ذكر جوامع من حروب الاسكندر بأرض الهند » .

(١ و ٢) ورنر (Warner) ج ٦ ص ٦١

الليلة وحده ولم يقرب أحدا من نسائه . فلما أصبح الطبيب دخل بالدواء عليه فنظر الى دليله فأراق ذلك الدواء، وقعد مع ندماء الملك فى مجلس العيش والطرب . فقال الاسكندر : ما الذى أوجب إراقتك للدواء بعد أن تعبت فى تركيبه؟ فقال : إن الملك قد نام البارحة وحده فزال عنه ذلك الضعف. واذا نمت أيها الملك منفردا لم تحتج الى الدواء أبدا. فضحك الاسكندر وتعجب من حذقه. ثم أمر له بخلعة و بدرة من الذهب، وفرس أدهم ذهبى السرج واللجام .

ثم إنه أمر بإحضار الجام الأصفر فجاءوا به مملوءا من الماء البارد . فجعل الحاضرون يشربون منه من أول النهار الى وقت النوم فلم ينقص ماؤه. فتعجب الملك. وقال: إنه لا نظير للهنود فى الصناعات والعلوم ، و إنهم و إن كانوا قد حرموا حسن الوجوه فقد رزقوا حسن الأفعال . ونحن بعد هذا لا نقول فى بلادهم بلاد الهند بل نقول بلاد السحر . فالتفت الى الفيلسوف وسأله وقال : زيادة الماء فى هذا الجام مستندة الى النجوم أم الهندسة[1]؟ فقال أيها الملك! لا تستصغر شأن هذا الجام . فقد صرفوا الى صنعته زمنا طويلا ، وقاسوا منه تعبا كثيرا . ولما عزم الكيد على اتخاذه جمع عليه حذاق المنجمين ، واستحضر من أهل كل إقليم أعلمهم بصناعة التنجيم . فطبعوه على طبائع النجوم فهو يجذب بخاصيته الماء من الفلك باذن الله، و يستدره من الهواء بحيث لا تدركه حاسة نظر الانسان. وهو كحجر المغناطيس فى جذبه الحديد . فلا يزال مملوءا لا يتطرق اليه نقصان . فتعجب الاسكندر وقال : إنا نكتفى من الكيد بهذه الأشياء الأربعة ، ولا ننقض عهده أبد الدهر، ولا نطالبه بشىء آخر مدة العمر. ثم إنه أوقر مائتى دابة ذهبا وجوهرا، وصار بها الى بعض تلك الجبال وحفر فيها حفائر كثيرة، وكنز فيها تلك الأموال الوافرة، وأهلك الذين تولوا حفرها وقاسوا أمرها .

ذكر مسير الاسكندر الى قنوج وما جرى بينه وبين ملكها[2] §

قال: ثم ارتحل الاسكندر من ميلاب وتوجه الى قنوج . وكان لها ملك يعرف بفور . فكتب اليه كتابا قال فيه : واذا وقفت على هذا الكتاب فتحول من ظهر التخت الى ظهر الفرس، وأقبل

§ الذى كتبه مؤرخو اليونان أن الاسكندر بعد أن عبر نهر السند وصالح ملك تكسيلا[3] ترك حامية فى هذه المدينة ثم سار الى نهر جيلم وكان پروس (فور) قد حشد جنده وأفياله ليحول دون عبور النهر. وعمّى الاسكندر سيره على فور ثم عبر ليلا والريح عاصفة والمطر هاطل فأسرع اليه ابن الملك فور فهزمه =

(١) طا : مسندة الى النجوم أم الى الهندسة . (٢) طا : ملكها فور.

(٣) كانت أعظم مدينة فى البنجاب . ولا تزال أطلالها بين أتوك وروال بندى . سيكس (Sykes) ج ١ ص ٢٧١ .

الى الخدمة، ولا تشاور أحدا فى ذلك حتى لا يطول عليك الأمر . فلما وصل الكتاب اليه استشاط الهندى وهاجت ز براؤه وتنمر . فأجاب عن كتابه وقال فيه : الحمد لله الذى لم يجعلنا ممن يتعدّى فى كلامه طوره، ولا ممن يتهجم على أمر لم يسبر غوره . كيف تستنهض مثلى الى خدمتك ولا تشاور نفسك ولا تراجع عقلك؟ وكأنك لا تعلم أنى فور بن فور الذى لم يحتفل قط بأحد من القياصرة . فإن كان أبوك تجاسر من أبى على مثل ذلك فتجاسر عليه . وكأنك اغتررت بنكبة دارا حين انقضت أيامه، وأخفر ذمامه، فأقبلت مدلا بباسك وشدّة مراسك . فلا تظهرن فى الإقدام علينا جسارة، ولا تأمنن فى الجرأة على معاملة الملوك خسارة» . فلما وقف الاسكندر على جوابه استعدّ لقتاله وسار اليه ، وكانت الطرق الى بلاده وعرة فأبدع با كثر عساكره . فضج الروم منهم اليه وقالوا : الرأى أن نرجع عن هذا الوجه . فاغتاظ الاسكندر وزجرهم وقال : حسبى الله ناصرا ، ثم فرسان إيران أنصارا . فارجعوا أنتم فما لى فيكم من حاجة . فاعتذروا اليه عند ذلك واستقالوه العثرة فصفح عنهم الملك (١) . ثم إنه قدّم مائة ألف فارس من الايرانيين وأتبعهم بأربعين ألفا من الروم . ورتب خلف الروميين أربعين ألفا من فرسان مصر وآسادهم المذكورين . وسار بنفسه خلفهم فى اثنى عشر ألفا من أكابر إيران، وأقارب دارا المنتمين الى الشجرة الكيانية والدوحة الخسروانية، ومعه ستون نفسا من فلاسفة الروم وعلمائهم المنجمين . فلما بلغ الخبر بذلك الى فور حشد واحتشد و برز فى جنوده وفيلته . فقال للاسكندر من كان معه من دهاة الهند : إن مع فور فيلة عظاما لا تستطيع خيلنا بين يديها ثباتا ومقاما . فاجتمع أصحاب الرأى وتفكروا فى الاحتيال لدفع معرة تلك الفيلة . فعملوا صورا من الحديد مجوّفة على أشكال الخيل ، وعليها ركابها بصفتها وكيفيتها لكى يحشوها نفطا و يطرحوا فيها النار عند الملاقاة . حتى اذا صدمتها الفيلة احترقت خراطيمها وولت . فارتضى الاسكندر ذلك واستحسن ما عملوا . فأمر من كان معه من صناع مصر والروم

(١٣٢)

= الاسكندر وقتله . ثم كانت الموقعة بين الاسكندر وفور . وقد قدّم فور مائتى فيل أمام جيشه فاحتال الاسكندر حتى باغت الهند من خلفهم . وانتهت الملحمة بهزيمة الهند وأسر فور فأكرمه الاسكندر ورد اليه ملكه . وذلك سنة ٣٢٦ ق م .

فالذى قتل فى الحرب ابن فور لا فور نفسه كما تقص الشاهنامه . وأما الخيل النحاسية ومبارزة الاسكندر فورا فمن الخرافات .

---

(١) المعروف فى التاريخ أن إباء الجند التقدّم مع الاسكندر إنما كان بعد محاربة فور، والتوغل فى الهند . وأن الاسكندر اضطر الى الاذعان لهم فرجع الى الغرب .

وغيرهم فعملوا صورا كثيرة على ذلك المنوال وحشوها بالنفط، واجتروها الى المعترك . ولما كان يوم القتال صف منها الاسكندر صفوفا مرصوصة فأقبل فور فى جموعه وفيوله، وشياطين رجاله وخيوله . فأمر الاسكندر بإلقاء النار فى أجواف الصور فاضطرمت . فتقدمت الفيلة فأشرعت خراطيمها نحوها لتختطفها . فلما وجدت مس النار نكصت على أعقابها ، وقلبت ظهر المجن على أصحابها، وأنحت عليهم بخراطيمها وأنيابها . فانهزموا وركب الاسكندر بأصحابه أكتافهم، وأتبعهم الى أن غربت الشمس فنزل بين جبلين، وبث الطلائع وأمر بحفظ الطرق . ولما تنصب حاجب الشمس وتشعشعت أنوارها ارتجت الأرض بأصوات البوقات ونفخات القرون والنايات، واصطفت عساكر الهند كظلمات بعضها فوق بعض . فلقاهم الاسكندر بصفوفه وجنوده . فلما تقابل الفريقان وتوازى الجمعان خرج الاسكندر من الصف وبيده سيف مهند فنفذ فارسا الى فور يسأله أن يبرز اليه من الصف ويسمع كلامه شفاها . فخرج اليه فقال له الاسكندر : إنى وإياك ملكان متنازعان، وكل واحد منا يمت بشجاعته ، ويدل بقوته فلا ينبغى أن يكون القتل والقتال نصيب عساكرنا . والرأى أن نتبارز، وكل من غلب منا يكون له الأمر على عساكر صاحبه . ليستريح هذا العدد الكبير والجم الغفير من القتل والفتك . فأفكر فور فرأى نفسه فى قوته[1] كركن من علم ، ورأى الاسكندر فى نحافته كشقة قلم . ورأى تحته فرسا كثعبان ، ورأى تحت الاسكندر فرسا كقضيب بان . فاغتنم إجابته الى المبارزة ، ووثق من نفسه . فتقدم الاسكندر ، وكأنه خاطبه بما عبر عنه الشاعر حيث يقول :

هلم الى نحيف الجسم منى   لتنظر كيف آثار النحاف

ألم تر أن طائشه لظاها   نتيجة هذه القُضُب العجاف

ولى جسد كواحدة المثانى   له كبد كثالثة الأثافى

قال : فتبارزا وتصاولا ساعة فأوجس الاسكندر خيفة فى نفسه وندم على مبارزته إياه . فاتفق أن سمع الفور جلبا وشغبا من خلفه فالتفت فضربه الاسكندر بسيفه ضربة نزلت من عاتقه الى صدره ، فخر قتيلا . وماج الهنود بعضهم فى بعض فعزموا على الثبات للحرب . فنادى منادى الاسكندر : يا أكابر الهند ! ما بالكم تقدمون على إراقة الدماء وتخوضون غمرة الهيجاء ؟ اعلموا أن الإسكندر قد صار فورا، فلا تستشعروا منه حذارا ولا نفورا . واستأمنوا إليه، وعولوا فى حفظ نفوسكم عليه . فلما علموا بقتل ملكهم طرحوا الأسلحة فبادروا الى خدمة الإسكندر حاسرين، وتمسكوا بعصم الأمان مستجيرين . فرد الإسكندر عليهم أسلحتهم، ووعدهم ومناهم وقال : إن

(١) صل : فى قومه . والتصحيح من طا .

خزائن صاحبكم علىّ حرام، وسأفرّقها عليكم . فلا تطرقوا الى قلوبكم حزنا، وثقوا منى بالحسنى . فإنى ساجذب بأضباع الهنود، وأجعلهم أصحاب الأعلام والبنود . ثم إنه دخل الى دار ملك فور وجلس على تخته وأقام بها شهرين . وفرّق جميع ذخائره ودفائنه على العسكرين . وكان فيهم بهلوان كبير يسمى شورك فولاه ممالك الهند، وأقامه فيها مقام نفسه ، وأوصاه وقال : إياك وآكتناز الذهب فإنه للذهاب ، ولا تعمر خزائنك فان مصيرها الى الخراب . ثم ارتحل منها موصول الحاجة بالنجاح[1] وسار قاصدا قصد الحجاز .

ذكر وصول الاسكندر الى بيت الله الحرام (أ)

قال : فسار الإسكندر موليا وجهه شطر المسجد الحرام لزيارة بنيّة إسماعيل عليه السلام التى أضافها الله المنزه عن المكان الى نفسه ودعا بيته الحرام . وإنما نسبه الى نفسه ليعرف الناس طهره، ولكى يولوا وجوههم شطره، ويأتوه من كل فج عميق، ويتثالوا عليه من كل مرمى سحيق . ولم يزل منذ كان موطنا للطاعات ومهبطا للخيرات . قال : ولما وصل الإسكندر الى القادسية بلغ الخبر الى نصر ابن قتيب، وكان ممن يتزين به الحرم، فركب فى جماعة من فرسان العرب، وأقبل الى الاسكندر . ولما قرب من مخيمه تقدّمه فارس وأخبره بوصول نصر، وأعلمه أنه من أولاد إسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن[2] . فاستقبله الإسكندر وأوسعه تبجيلا وإعظاما ، وتفخيما وإكراما . فسر نصر بذلك ثم أخبره بنسبه وأفضى إليه بعجره وبجره، وسأله الإسكندر ذات يوم وقال : أيها السيد الصادق ! من الذى يتولى أموركم ويتقلد السلطنة فى بلادكم ؟ فقال أيها الملك ! إن صاحبها رجل يقال له خزاعة، وإن إسماعيل[3] لما توفى جاء قحطان من البادية فى عسكر كثير فآستولى على ممالك اليمن والحجاز، وآنتزعها من أيدى آل إسماعيل فملأها ظلما وجورا، وقتل خلائق من أهلها صبرا . ولما مات قحطان خلفه خزاعة فبقيت البلاد تحت ظلمه وحكمه فهى الآن من أقصى اليمن الى بحر مصر فى يده وبأمره . وآل إسماعيل[4] مستشكون من جوره وحيفه . فلما سمع الاسكندر ذلك قهر خزاعة ومن ينتسب إليه فآنتزع الملك منهم وقرّره[5] فى ذرية إسماعيل[6] . ثم قصد الكعبة المعظمة راجلا وطاف بها، وأفرغ على أهل الحرم أموالا كثيرة حتى أغناهم أجمعين . ثم أعطى نصرا كنزا من الذهب وارتحل من مكة مشكور السعى موفور الأجر .

(أ) هذا الفصل مما زاده المدون على قصة الاسكندر . وفى الأخبار الطوال أن الإسكندر سار الى اليمن ثم مكة ، وأن الذى كان هناك النضر بن كنانة .

(١) طا : بالنجاز . (٢) طا : صلوات الله وسلامه عليهما . (٣) طا : صلوات الله عليه .

(٤) طا : عليه السلام . (٥) صل : قرّرها . والتصحيح من طا . (٦) طا : صلوات الله عليه .

ذكر عبور الإسكندر إلى ديار مصر وما جرى بينه وبين قَيذافه ملكة الأندلس §

قال: فجز العساكر إلى جُدّة، وأمر أصحابه باتخاذ السفن والزواريق، وركب البحر وعبر إلى ديار مصر. فاستقبله ملكها، وكان يسمى قَيطون، بالهدايا والتحف والمباز والخدم. فدخل مصر وأقام بها سنة. قال: وكان مُلك الأندلس إلى امرأة كانت تسمى قيذافه. وكانت ذات شوكة عظيمة وعساكر كثيرة وممالك فسيحة. وكانت قد نفذت إلى مصر مصورا وأمرته أن يبصر الاسكندر ويرسم صورته على حريرة يحملها اليها. فجاء المصور وصوّر صورة الاسكندر قائما وقاعدا وراكبا، متبذلا ومتجملا، حاسرا ومتسلحا. فانصرف بها إلى صاحبته.

فاتفق أنه جرى ذات يوم عند الاسكندر ذكر قيذافه فسأل الاسكندر عن حالها قيطون ملك مصر. فوصف له ما تخصصت به هذه المرأة من بسطة ملكها ونفاذ حكمها. وذكر أن لها مدينة من الحجارة طولها أربع فراسخ فى عرض مثلها. وهى مشحونة بالأموال والرجال. فكتب اليها

---

§ يعجب القارئ من هذا العنوان ومما تضمنه هذا الفصل، حين يجد مصر والأندلس تذكران معا كأنهما بلدان متجاوران، وحين لا يجد فى الأسطورة ذكر لما بين مصر والأندلس من البلاد. والظاهر أن كلمة « الأندلس » وضعت هنا غلطا. ومن أجل ذلك تنفرد بها الشاهنامه. والروايات اليونانية تجعل مكان القصة "مملكة سميراميس" وتجعل قيذافه من ذرية سميراميس.

وفى الأخبار الطوال تسمى مرة ملكة المغرب ومرة ملكة سمرة، ومن أجل ذلك يذكر فتح القيروان قبل المسير الى قيذافه. ويسميها الثعالبى فى الغرر ملكة القبط.

فاذا فرضنا أن مكان الأسطورة بلد قريب من مصر فهل فى التاريخ أحداث أو أسماء يمكن أن تكون منشأ هذه القصة؟

الملكة قيذافه تذكر فى الروايات اليونانية والسريانية باسم كندكه. واذا كتبت هذه الكلمة بالقاف بدل الكاف كانت قندقه. ويسهل تحريفها فى الخط العربى الى قيدافه. وليس بعيدا أن الفردوسى أخذ هنا عن رواية عربية. واذا عرفنا أن قيذافه فى الشاهنامه محرّفة عن كندكه، ألفينا صلة بين الأسطورة والتاريخ: يعرف التاريخ منذ عهد بعيد أن ملكات بلاد الجزيرة من السودان المصرى كن يسمين كنداسه (Candace) وكأنه اسم الأسرة التى ينتسبن إليها. =

الاسكندر كتابا يأمرها فيــه بالتزام الخراج له وأدائه اليــه، وتوعدها بأنها إن لوت رأسها عن ذلك لم يخاطبها إلا بالسيف . وجعــل ينبهها على الاعتبار بدارا، وفور فإن فى الاعتبار[1] بهما ما يغنيها عن ناصح يرشدها إلى سبيل الطاعة . فلما وصل الكتاب إلى قيذافه أجابت عنه[2] على مقتضى غلوائها بمــا لم يرضه الاسكندر . فارتحل فى عساكره قاصدا قصدها وسار مسيرة شمس فوصل إلى مدينة حصينة من حدود ممالكها . وكان عليها ملك يسمى فَيران صاحب شوكة وثروة . فحاصرها الإسكندر ونصب عليها العرادات والمجانيق ففتحها بعــد أسبوع . ولمــا دخل المدينة منع عساكره عن إراقة الدماء . وكان صاحب هــذه المدينة قد زوّج ابنــة له من ابن لقيذافه يسمى قيذروش(ا) . وكان قد جاء اليه لاقامة رسم العرس فوقع هو وزوجته فى يد رجل من أصحاب الاسكندر يسمى شهركير فبلغ ذلك الاسكندر[3]، فسنح له رأى فاستحضر وزيرا له يســمى بيطقون(ب) وأعطاه تاجه وتخته، وأمره أن يقعد فى مكانه من منصب السلطنة فى مجلس خاص لا يحضره عامة أصحاب الاسكندر . وواطأه على أنه اذا أتوه بابن قيذافه، يأمر بضرب رقبته فيشفع اليــه الاسكندر وهو واقف على رسم الخــدمة فيهبه له . ثم يدعوه يعنى الاسكندر ويرســله إلى قيذافه مع عشرة فرسان، ويأمره بأن يوصل رسالته ويعجل الرجوع بجوابها . قال : فلما[4] كان الغد لبس وزيره التاج وجلس على التخت ووقف الاسكندر ماثلا فى الخدمة فجاء شهركير بابن قيذافه مع عروسه، ودخل بهما عليــه . فلمــا رآه قال : من ذا الرجل؟ قال الشاب : أنا ابن قيذافه . وكنت تزوجت بابنة صاحب هذه المدينة فقدمتها بسبب العرس فأصبحت أســيرا فى يدى شهركير، جريحا منكوس الطالع . فتغضب عليه

= وقد كشف الحفر مقابر لهؤلاء الملكات[5] .

ثم يروى بعض المؤرخين أن الاسكندر حينما حاصر مدينة مزاكــه فى شمال الهند الغربى خرجت اليه ملكة المدنية فى جماعة من النساء فصالحها الاسكندر وترك لهــا ملكها .

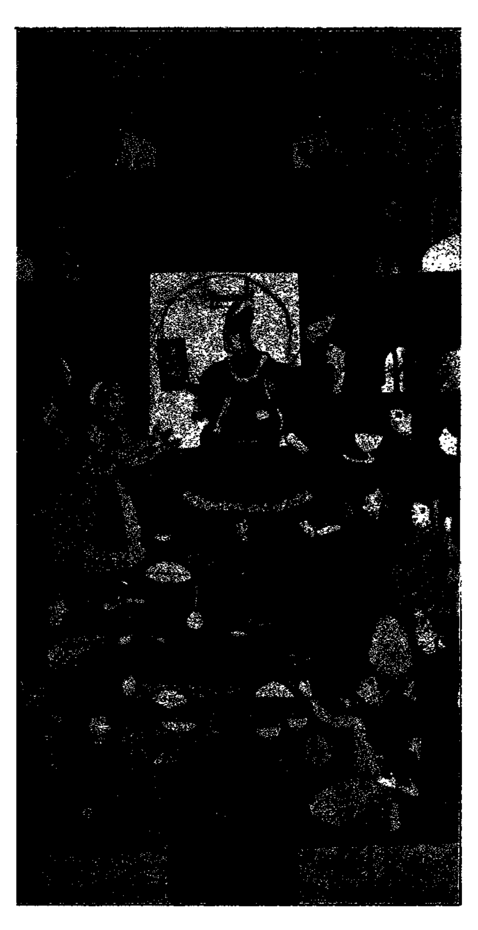
فليس بعيدا أن تكون هــذه الحقائق المختلفة خلقت القصة التى نجد رواية منها فى قصة قيذافه فى الشاهنامه .

(ا) هو فى الروايات اليونانية كندولس، وفى الروايات السريانية كندارُس . أنظر ورنر (Warner) ج ٦ ص ٦٦

(ب) كذلك فى نسخ الترجمة والشاهنامه . وأحسبها محرّفة عن نيطقون بالنون كما فى ترجمة ورنر . فان الاسم فى الروايات اليونانية (Antigonus) .

(١) صل : بالاعتبار . والتصحيح من طا . (٢) طا : أجابت على . (٣) كلمة "الاسكندر" من طا .

(٤) طا : ولما . (٥) انظر ورنر (Warner) ج ٦ ص ٦٥



قيدافة ملكة الأندلس، وفى يدها صورة الاسكندر التى أمرت بتصويرها لتعرفه اذا قابلته متنكرا

[منقولة من (الكتاب الاسلامى The Islamic Book) لسير توماس أرنولد والأستاذ أدلف كرهمان رقم ٨٠]

بيطقون وأمر بضرب رقبته مع زوجته . فبادر الاسكندر وقبل الأرض بين يديه وتشفع فيه واستوهبه منه فوهبهما له . ثم التفت الملك المعمول إلى ابن قيذافه وقال : قد تخلصت برأس كاد يفارق جسدك . والآن أرسلك مع الشفيع فيك إلى أمك كى تبلغها رسالتى ، وتخبرها بعظم ملكى وشدة شوكتى ، وتحثها على التزام الخراج وأدائه . وهو دستورى وصاحب رأيى فاعمل معه ما عمل معك . واذا سمع الجواب من الملكة فسرحه إلىّ كما يليق بك . فقال : ما حفظ علىّ حياتى سواه . ولا أعامله إلا بما عاملنى[(١)] . فاختار الاسكندر عشرة أنفس من ثقات أصحابه وحفظة سره ، واستصحبهم وأمرهم ألا يسموه إلا بيطقون . فتقدمه ابن قيذافه ، وسار الرسول مقتفيا أثره فى سير حثيث فوصلوا فى طريقهم الى جبل أحجاره بلور ، وعلى الجبل ثمار كثيرة من كل نوع ، وشاهد عليه قرودا كثيرة . فعبروا وساروا الى قرب المدينة فاستقبلت الملكة ولدها . ولما اجتمع سرد عليها جميع أحوال الاسكندر وما عمل فى مدينة فيران من الأسر والنهب . ثم سرد عليها قصة أسره مع صاحبته ، وما هم به الاسكندر من قتله و إراقة دمه ، وأنه ما خلص إلا بشفاعة هذا الرسول . فارتعدت فرائصها من الفزع .

ثم استحضرت الرسول الى إيوانها وسايلته وأكرمته ثم أنزلته فى موضع يليق به ، وأدرت عليه الأنزال ، ونفذت إليه[(٢)] التحف والمبار . ثم إنه لما أصبح ركب الى خدمة الملكة فرفعت دونه الحجب وأدخلوه راكبا الى الدهليز . فدخل ورأى الملكة قاعدة على تخت من العاج معتصبة بتاج من الفيروزج ، وعليها قباء صينى منسوج بالذهب ، وهى كأنها فى إشراق الشمس ، فى مجلس سواريه من البلور ، وسقوفه من الجزع المرصع بالجوهر ، على رأسها جواريها فى زينتهن . فبهت الاسكندر لما شاهد إذ لم يكن رأى مثل ما رأى فى بلاد الروم ولا فى بلاد ايران . ولما قرب من الملكة قبّل الأرض وخدم فأكرمته وأكثرت من مسايلته . ثم مدوا السماط وطعموا . ولما خلا المجلس من الأجانب أمرت بإحضار الشراب والمغنين . وكان أول شربهم على اسم الملكة وكانت فى أثناء الشرب تكثر النظر الى الاسكندر ، فأمرت خازنها بجاء بالحريرة التى فيها صورة الاسكندر مصوّرة . فلما أحضرت نشرتها وجعلت تنظر فيها وتنظر الى وجه الاسكندر فعلمت أنه الاسكندر وأنه جاءها فى زى رسول . فقالت له : أيها الرسول المسترسل ! هات ما حملك الاسكندر . فقال : إنه أمرنى وقال : قل لقيذافه الطاهرة لا تطابى غير سبيل السداد ، ولا تخالفى أمرنا ، ولتكن يقظتك لك ناصحة ، واعلمى أنا لما تحققنا من عقلك ورأيك ودهائك وحزمك لاطفناك فى المقال ولم نبدأك بالقتال . والأصوب



(١) طا : عاملنى به . (٢) صل : عليه . والتصحيح من طا .

لك بذل الخراج والتزامه لنا . فانه لا يخفى عليك أنه ليس لك بمقاومتنا يدان » . فغاظها ما سمعت منه لكنها آثرت السكون والسكوت . وصرفته الى منزله ووعدته بأن تجاوبه غدا عن رسالته .

فانصرف الاسكندر وعاد إليها من الغد فدخل عليها فى مجلس من البلور منجد بالعقيق والزبرجد، أرضه من العود والصندل، وسقفه من الجزع والزبرجد . فأدهشه ما رأى وبهره ذلك المنظر الأنيق . ثم تقدّم حتى قرب من الملكة فأجلس عند التخت على كرسى من الذهب . فقالت له : كأنك قد قضيت العجب من هذا المجلس . فمدحها الاسكندر وقال : إنك أعلى الملوك شرفا ومنصبا وأبهرهم جلالة ورفعة ، وإن بحرك لحاو لكل جوهر، وإنك مجتمع كل عز ومفخر . فضحكت لقوله . ثم انتفض المجلس وخلت به وقالت : يابن فيلقوس ! إن قتالك سرور ، وإن نعيمك بوس(١) . فعرّفته بذلك أنها عرفته . فاصفر وجهه، وأرعب قلبه فأنكر ما ذكرته . فجاءت بصورته فلما رآها تحير وأظلم فى عينه النهار وقال : لو كان معى خنجر لقتلتك أو قتلت نفسى لصنيعى وتغريرى بروحى . فضحكت وقالت : لا تحتد أيها الشهريار ولا تغتر بنفسك . أين صحة دعواك فيما تزعم أنك عالم الأرض؟ وأى قيمة لعلمك وقد حملك على أن قدّمت بنفسك بين أشداق الثعبان، وعرضتها لباتقة لا تبق ولا تذر؟ ولكنى أعاف إراقة دماء الملوك . فكن آمنا على نفسك فانى لا أسميك مادمت هاهنا إلا بيطقون، محافظة على سرك . ولكن لا ينبغى أن يقف ولدى طينوش على أنك محب للاسكندر أو ناصح له أو قريب منه . فانه رجل خفيف الرأس . وهو ختن قتيلك فور ملك الهند . وأخشى أن ينالك منه مكروه . وانصرف الآن مسرور القلب منشرح الصدر آمن النفس . فانصرف الاسكندر .

ولما كان من الغد ركب الى الخدمة فدخل عليها فى مجلس من العاج منجد بألوان الجواهر ، وعندها ولداها طينوش وقيذَروش . ولما قعد فى مكانه سايلته وقالت له : اكشف لنا عن سرك، وأخبرنا بما يريد منا الاسكندر . فقال : أيتها الملكة ! قد طال مقامى عندك . والذى أمرنى به الاسكندر أن أدعوك الى طاعته والتزام الخراج له ، وإن لم تفعلى ذلك رجعت وأتاك بجنوده التى لا قبل لك بها . فلما سمع ذلك طينوش استشاط والتهب كالنار المحرقة ، وقال : كأنك أيها اللئيم الجاهل لا تدرى عند من تتكلم . ولا أشك فى خفة رأسك وامتلائه من العجب . أما تقول

(١) الترجمة غير واضحة . وعبارة الشاه : سواء لديك الهيجاء، والمأدبة ، والنعمى والبؤس :

بد وكفت كاى زادهٔ فيلقوس همت بزم ورزمست همت نم و بوس

(انظر مول ج ٥ ص ١٧٢) .

من صاحبك ، وبماذا يعرف بين الملوك ؟ ولولا روعة هذه الحضرة لقطعت رأسك كأترجة تقطف من شجرة . فصاحت عليه أمه وأمرت بإخراجه . وقالت : هل هو إلا رسول بلغ ما حمل؟ ومن سمع برسول قتل ؟ ثم لما خرج ابنها قالت : إن هذا صبي نزق، وأخاف أن يصيبك منه مكروه . وأنت أعقل الناس فأشر علىّ برأيك فيه . قال : فردّيه[1] الى خدمتك . فأمرت بردّه الى الحضرة . فلما عاد تملق له الرسول وفيّل رأى الاسكندر، وسفه عقله فى إنفاذه إلى تلك الحضرة بمثل تلك الرسالة . وأظهر بغضه له وكراهته لأمره . ثم قال له : إن أخذت بيد الاسكندر وأضعها فى يدك أعزل فردا ليس معه سلاح ولا عسكر فأى شئ يكون لى عندك ؟ فانخدع بما قال وسرّ به وقال : إن وفيت بذلك جعلتك على جميع عساكر الغرب أميرا واتخذتك دستورا . ثم قال له : وكيف تقدر على ذلك؟ فقال : تنتخب ألف فارس من شجعان أصحابك، وتأتى معى، ومعك مال كثير وتحف فاخرة . فأتقدّمك اليه وأعلمه بمجيئك وأحمله على أن يركب فى جماعة من فلاسفته الى استقبالك . فتخرج اليه من المكمن فتأخذه وترى فيه رأيك . فجعلت قيذافه تتعجب من حيله[2] وتعض على شفتها وتبتسم . فتصافقوا على ذلك وخرج الاسكندر إلى منزله . ولما أصبح عاد إلى الخدمة فدخل عليها وخلا بها فحلف بالله وروح القدس، قال : وبدين المسيح والصليب الأكبر(ا) وسائر الأيمان المغلظة أنه بعد ذلك لا يقصد أرض الأندلس لا بنفسه ولا بعسكره ولا يغدر بولدها، وأن يعاملها بالوفاء ولا يسلك معها طريق الجفاء، وأن يكون لصديقها صديقا ولعدوها عدوا .

فلما ظهر للملكة صدقه استحضرت أكابر حضرتها وأركان دولتها فجلسوا على كراسى من الذهب وضعت لهم فى إيوانها . ثم أحضرت ابنها وجميع أقاربها ثم فاوضتهم واستشارتهم فيما جاء به رسول الاسكندر، وذكرت لهم أن مصالحته أولى وأجدر، وكف عاديته بالمال أحرى وأحزم . فاستصوبوا رأيها واستحصفوا عقلها، ودعوا لها بحسن نظرها لهم . ثم إنها فتحت أبواب كنوزها، وأخرجت تاج أبيها، وكان مرصعا بجواهر لا يعرف قيمتها أحد . فقالت للاسكندر : إن هذا لا يصلح إلا لك . ولما رأيتك مستحقا لهذا التاج آثرتك به على ولدى . وأحضرت تختا فى سبعين قطعة بعضها يركب فى البعض عند نصبه ، وهو مرصع باللؤلؤ والياقوت والزبرجد يشتمل من كل جنس منها على أربعمائة قطعة وازنة . وكان حمل أربعين جملا . وأخرجت أربعمائة قطعة من أنياب الفيلة ، وأربعمائة عدد من جلود النمور البربرية ، وألف عدد من جلود الأوعال الملمّعة ، ومن أنواع الثياب ثمانمائة

(ا) هذا من أغلاط الفردوسى فى التاريخ ، كما تقدّم .

(١) طا : فقال رديه . (٢) طا : حيله .

تحت . وكان بعض التخوت منحوتا من خشب الشـيزى وبعضها منحوتا من العود الرطب الذى لو طبع بطابع لبان فيه أثره، وألف قطعة من السيوف الهندية، وألف جوشن ومغفر، مع مائة فرس بآلاتها، ومائتى جاموس برعاتها، ومائة كلب سلوق يسبق السهم المرسل فى الصيد. ثم أمرت بتسليم ذلك كله الى بَيطقون الرسول، وأمرته بالانصراف من الغد .

فلما طلع الصبح ركب الاسكندر وركب طينوش فى فرسانه، وساروا متوجهين نحو الاسكندر . وكانوا يحطون و يرحلون الى أن قربوا من المعسكر، وانتهوا الى غيضة كثيرة المـاء والشجر. فأنزل طَينوش وقال : أنا أسـبقك الى المعسكر، وأدبر فى إنجاز ما سـبق به الوعد . وسار الى أن وصل الى مخيمه فتلقته الأمراء والملوك، واستبشروا بمقـدمه، وقد كانوا أيسوا منه حين أبطأ عليهم . فانتخب منهم ألف فارس شاكى السلاح و رجع الى تلك الغيضة، وأحدق بمن معه بها . فلما رأى طينوش ذلك ارتعد فزعا، وعض على يديه ندما . فقال : أيها الشهريار! إنك عاهدت أمى على غير ما أرى منك . فقال : لا تفزع فلست أنقض عهد أمك أبدا . وقد حلفت أن أضع يد الاسكندر فى يدك . وقد أبررت يمينى حين ضربت بيدى على يدك عنـد أمك، وقد خرجت عن عهـدة القسم فى ذلك اليوم . وأنا الاسـكندر والرسول معا . وعلمت الملكة بذلك ولم يخف عليها . ثم جلس تحت تلك الأشجار وأمر بترتيب المجلس . ومدّوا السماط وطعموا وشربوا . ثم خلع عليه خلعة خسروانية تليق به، وأعطى أصحابه عطايا كثيرة وخلع عليهم خلعا رائقة، وصرفه الى أمه .

(١٣٦)

ذكر تطواف الاسكندر فى أقطار العالم وما رأى فيها من العجائب

قال صاحب الكتاب : ثم إن الإسكندر سار فى عساكره الى أن وصل الى مدينة البراهمة § فلما علموا بوصوله خلصوا نجيا، واجتمع رأيهم على أن كتبوا اليه كتابا يقولون فيه : أيها الملك : ماذا تريد من مدينة سكانها عُباد الله ؟ فإن كنت تريد منهم المـال فما أنقص عقلك . وهم قوم ليس عندهم سوى الصبر والعلم . وذلك مما لا يسلبونه . ولو أقمت هاهنا لاحتجت أن تأكل الحشيش كما يأكلون .

§ فى الروايات اليونانية والسريانية أن الاسكندر لقى البراهمة بعـد حرب فور ولقى قيذافه بعـد البراهمـة . وكأن قصة الذهاب الى الكعبة التى أدخلها المسلمون غيرت نسق الحوادث، واقتضت أن يأتى الاسكندر من الهنـد الى بلاد العرب والمغرب ثم يعود الى الهند ليلقى البراهمة . على أن المسعودى يروى حديثا مثل هذا عن الاسكندر وأمة من قوم موسى بالمغرب [1] . =

(١) الاشراف ص ٨٤ — ٨٦

وكان الواصل بهـذا الكتاب الى الاسكندر رجلا حافيا حاسرا ملتحفا بإزار منسوج من الحشيش . فلما قرأ الكتاب ترك العسكر فى مكانه، وركب فى جماعة من فلاسفته، وصار اليهم الى مدينتهم . فاستقبلوه وأحضروه من قوتهم الذى كانوا يزجّون به وقتهم، ودعوا له وأثنوا عليه . فرآهم قوما حفاة عراة قد ستروا عوراتهم بأُزُر من الحشيش ، ورأى فيهم عابدا قد اتّزر بجلد غزال . فخاطبهم الاسكندر فى أمر ملبوسهم فقال : من ولد عريانا فلا ينبغى له أن يكون حريصا على الملبوس على أنه اذا واراه التراب فهو على خوف من العذاب والبوس . فسأله الاسكندر عن أعظم الذنوب فقال : الحرص على الدنيا . وإن أردت أن تقف على حقيقة ذلك فاعتبر بنفسك . فانك مع احتوائك على جميع ممالك الأرض طالب اليها الزيادة غير قانع بعظيم ما أوتيت من الملك والسيادة . ثم قال لهم : ارفعوا الىّ حوائجكم فلن أدخر عنكم شيئا، وأسعفكم بمطالبكم عفوا . فقال له أحدهم : أيها الملك ! أغلق دوننا باب الشيب والموت . فقال له : كيف تسلم من الموت وهو لا محالة يهدم بناء عمرك وان كان من حديد؟ وكيف تنعم بالشباب ومشرعه لابد أن يكدّر برنق المشيب؟ فقال له البرهمى[1] : اذا كنت تعلم أنه لا مفرّ من الموت ولا سلامة من غصة الشيب فما بالك[2] تطلب الاحتواء على العالم بجهدك ، وتعرض للسم القاتل نفسك ، وتتعب لغيرك، وتجمع لمن يفرقه من بعدك ؟ والشيب بين يدى الموت نذير، واذا طمعت فى الحياة بعده فليس لك عذر . ثم إن الاسكندر وهب لهم هبات كثيرة فما قبلوها، واستعرضهم حوائجهم فما عرضوها . فانصرف عنهم .

وسار حتى وصل الى بحر عظيم فرأى عنده رجالا متنقبين كالنساء لا يعرف لسانهم عربى ولا فهلوى (ا) . وكان قوتهم من السمك وحيوان البحر . ثم إنه لمح وسط البحر جبلا أصفر

= وقد حدث ونسيكريتوس أن الاسكندر أرسله الى البراهمة، وأنه لقى خمسة عشر منهم بين قائم وقاعد ومضطجع، عراة فى الشمس، وأنه حادث اثنين منهم[3] الخ .

وقد ذكر بلوتارك المؤرخ أن حديث الاسكندر والبراهمة كان أثناء مسير الاسكندر فى نهر السند الى المحيط . وذكر محاورة الاسكندر إياهم . وهى محاورة تختلف فيها الروايات بعض الاختلاف[4] .

(ا) فى الشاه : ليس لسانهم العربية ولا الفارسية القديمة ولا الفهلوية ولا التركية ولا الصينية .

زبانها نه تازى ونه خسروى نه چينى نه تركى ونه پهلوى

(١) طا : البرهمن . (٢) طا : فما بالك قد صرت تطلب الخ . (٣) ، (٤) ورنر (Warner) ج ٦ ص ٦١ و ٦٧

كالشمس فأمر بالقاء سفينة فى الماء ليركبها و يشاهد عجائب ذلك الجبل . فمنعه من ذلك بعض[1] الفلاسفة وقال : لا تخاطر بنفسك وليركبها غيرك ممن يأتى بخبره . فاركب تلك السفينة ثلاثين شخصا من الروم وغيرهم . فلما قربت السفينة من الجبل تحرك . واذا به حوت فالتقم السفينة بمن فيها . وانساب فى البحر . فتعجب وقال : العلماء حفظة أرواح الملوك . فطوبى لمن عرف قدرهم واتبع أمرهم § .

فسار الاسكندر الى أرض قصباء كبيرة القصب[2] كأنها أشجار الدُّلب عِظَما . وفيها غدير عظيم ماؤه زعاق كأنه سم ذعاف . فعبر منه .

وانتهى الى ساحل بحر آخر عظيم فصادف أرضا طيبة العرف كأنها تتأرج بأريج المسك، وماء عذب المذاق فى حلاوة الشهد . فنزلوا واستراحوا[3] فبيناهم فى منزلهم إذ خرجت من الماء أفاع كثيرة، وطلعت من الأجمة عقارب كالنار ملتهبة وأتتهم[4] من جميع جوانبهم خول من الخنازير ذوو أنياب كالحراب ، وضوارى سباع ما لأحد بها طاقة . فهلك من الأكابر والأمراء خلق كثير . فارتحلوا وانحازوا عن ذلك المكان . وطرحوا النار فيما كان هناك من القصب حتى احترق . وقتلوا كثيرا من[5] السباع .

§ يظهر أن القوم المذكورين هنا هم أهل الساحل فى بلوخستان . وقد وصفهم المؤرّخ أريان بأنهم يشبهون الهند فى اللباس والسلاح، ويخالفونهم فى اللغة والعادات . وقد نقل المؤرّخ المذكور عن نرخوس قائد أسطول الاسكندر، ووافقه السياح فى عصرنا الحاضر، أن أهل الساحل المذكورين يعيشون على السمك ليس لهم طعام غيره بل يطعمونه دوابهم كذلك الخ . ويقول أريان أن بيوتهم من عظام الحيتان . وقد سماهم اليونان "آكلى السمك"[6] .

وذلك يوافق ما يقال عن أهل مكران أن بلادهم سميت مكران لكثرة أكلهم السمك، وأن أصل الكلمة بالفارسية "ماهى خوران" أى "آكلة السمك" .

---

(١) كلمة «بعض» من طا . (٢) طا : عظيمة القصب . (٣) طا : فاستراحوا وأراحوا .
(٤) صل : فأتتهم . والتصحيح من طا . (٥) طا : من تلك السباع .
(٦) ورنر ج ٦ ص ٦٩ وما بعدها .

فسار من ذلك المكان الى أرض الحبشة § فاجتمعت منهم آلاف مؤلفة من كل غرابيّ ترتج الأرض بنعيبه، ويمتلئ الجو بنعيقه . فقاتلوه برماح أسنتها من العظام فقتلوا كثيرا من أصحابه . فأمر عند ذلك رجاله بالجد فى قتالهم فتدججوا وصافّوهم فكانت الدبرة على الحبشة فأفناهم القتل .

ولما جن الليل سمعوا صوت الكركدن فتصدّى لهم . وهو حيوان أعظم من الفيل له قرن فى أم رأسه فى لون النيل . فأهلك خلقا من أصحابه . ثم رشقوه بالسهام فانهد كأنه جبل من حديد.

ثم لما أصبح رحل وسار حتى وصل الى أرض فيها خلق (١) عراة كأنهم أشجار باسقة . فلما رأوا الاسكندر صاحوا واجتمعوا وقاتلوهم بالحجارة وأمطروها عليهم . فواقعهم أصحاب الاسكندر وقتلوهم حتى لم يبق منهم إلا قليل .

وسار حتى وصل الى مدينة كبيرة بين يديها جبل عظيم يكاد يمس السماء فاستقبله أهلها بالتحف والمباز والخدم فأحسن اليهم . ثم سايلهم عن الطريق فقالوا : أيها الملك : كان الطريق على هذا الجبل. وقد قطعه الآن ثعبان عظيم لا يتجاسر معه أحد على العبور فيه . ولهعلينا كل يوم وظيفة خمسة ثيران نلقيها اليه فيبتلعها وينكف بذلك عن أن يتقدم الى هذا الجانب . فأمر الاسكندر بخمسة ثيران فذبحت وسلخت جلودها وحشيت سما ونفطا . فأمر بإصعادها الى الجبل وإلقائها الى الثعبان. فابتلعها فلم يلبث (١) أن تقطعت أمعاؤه من السم . وصعد بخار السم والنفط الى دماغه فأخذ يضرب برأسه على الجبل حتى انفلق وتشقق . فقطعوه بالسيوف .

§ كان اليونان يتخيلون أن الهند هى بلاد الحبش الشرقية التى تمتد الى نهاية العالم، وأن أهلها، كأهل بلاد الحبش الغربية، قد اسودت وجوههم بوهج الشمس . وقد ذكر هيردوت بلاد الحبش الشرقية كذلك ولكنه ميزها من الهند . وذكر ستّرابو أن الاسكندر نفسه حينما رأى نهر السند توهم أنه النيل (٢) . وقد عرّفت أسفار الاسكندر اليونان أن الهند غير الحبش . ولكن بقى فى الأساطير آثار الأوهام القديمة .

ومن أجل ذلك نرى الاسكندر فى قصة الشاهنامه يسير، بعد لقاء البراهمة، فى أرض تؤدّيه الى أرض الحبش، كما يرى القارئ .

(١) اسمهم فى الشاهنامه نرم پاى أى ذوو الأقدام اللينة . وقد تقدم ذكر نرم پاى فى وقائع مازندران (فصل كيكاوس ص ١١٥ حاشية) .

(١) طا : يلبث . (٢) ورنر (Warner) ج ٦ ص ٦٨

وعبر الاسكندر بعساكره وسار حتى وصل الى جبل آخر عال فى السماء فأصعدوا فيه فرأوا على رأس الجبل تختا من الذهب منصوبا وعليه شيخ ميت مسجّى بديباج على رأسه تاج[1] مرصع بجواهر تزهر للعيون . فلم يتجاسر أحد على القرب منه . وكان كل من يتقدم اليه تأخذه الرعدة فى مكانه ويموت فى وقته . فلما صعد الاسكندر ذلك الجبل ورأى التخت سمع هاتفا يقول : أيها الملك! قد جهدت زمانا طويلا وأفنيت من الملوك كثيرا . وقد دنا وقتك وحان حينك » . فعظم عليه ذلك واصفر لونه .

(١٣٧)

وسار قاصدا قصد مدينة هروم . وهى مدينة سكانها بنات أبكار لا يمكنّ أحدا من القرب من المدينة ، لم يخلق للواحدة منهن إلا ثدى واحد وهو الأيمن فحسب ، وهن فى الأيسر كالرجال . قال : فكتب الاسكندر اليهن كتابا يدعوهن الى الطاعة ، ويذكر أنه ماجاء لقصد قتالهن ولا لنهب بلادهن ، وأنه لم يرد سوى رؤية المدينة والإعتبار بأحوالها . ونفذ بالكتاب فيلسوفا وأمره بأن يلاطفهن فى الخطاب ويرجع اليه بالجواب . فصادف الرسول أهل المدينة نساء كلهن ليس فيها رجل . فاستقبلنه على الخيول فى آلات الحرب فقرأن الكتاب وقلن فى جوابه : إنك رجل كبير ، وصيتك عال رفيع . فلا تفسدنه بأن يقال أنك قاتلت النساء وانهزمت منهن . فان ذلك يجر عليك عارا لا يزول أبدا . ولكن إن جئت للتطواف فى مدينتنا والنظر اليها والوقوف على أحوالها أكرمنا مقدمك وتلقينا بالجميل موردك . وختمن الكتاب وأنفذنه على يدى امرأة عاقلة فى ملابس الملوك ومعها عشر فوارس منهن . فلما أتت الاسكندر ووقف على ما صحبها من الجواب أكرمها وقال : مالى حاجة فى مدينتكن سوى النظر اليها . وإذا حصل ذلك عبرت وتجاوزت الى طرف آخر . فعادت وأعلمت صواحبها بما جرى . فاجتمعن واتفقن على إعداد تحف برسم الملك ، من التيجان المرصعة والجواهر النفيسة وغير ذلك مما يصلح أن يخدم به الملوك .

ثم رحل الاسكندر من منزله وسار فهاج عليهم بعد مرحلتين هواء شديد وتغيمت السماء وسقط عليهم ثلج أهلك خلقا من أصحاب الاسكندر . فسار فى ذلك الزمهرير منزلين . ثم شاهدوا دخانا مرتفعا فى السماء وسحابا أسود كأنه يمطر النار فحمى الهواء وعظم الحر حتى حميت الدروع على أكتاف الرجال فأحرقتها . فسار على ذلك فوصل الى مدينة فيها ناس سود الوجوه كالسَّبَج ، هدل الشفاه ، تتوقد النار من أحداقهم وتخرج من أفواههم . فاستقبلوا الاسكندر وخدموه بفيلة عظيمة وتحف كثيرة وقالوا : إنا لم نر أحدا وصل الى هذه المدينة ، ولم نر راكب فرس قط . فأقام الملك فيها شهرا .

(١) كلمة « تاج » من طا .

ثم سار قاصدا قصد مدينة النساء فعبر اليه البحر جلائل أهلها فى ألفين من فوارسهن مستقبلات له فقدّمن اليه برسم المدية تيجانا مرصعة وجواهر نفيسة وثياب وَشْى . ثم ركب الاسكندر ووصل الى المدينة فأكرمن مقدمه ونثرن عليه نثارات، وخدمنه بتحف ومبرات . ولما رأى المدينة وأهلها، ووقف على أحوالها خلع عليهن وأحسن اليهن، وارتحل .

وسار قاصدا قصد مغرب الشمس فوصل الى مدينة فيها ناس حمر الوجوه صفر الشعور فسايلهم الاسكندر عمن يعرف عجائبها . فقال له من أهل تلك المدينة شيخ طاعن فى السن : إن وراء مدينتنا عينا كبيرة فيها تغرب الشمس وتغيب . ووراء هذه العين ظلمات، وفيها من العجائب ما لا يحيط به الوصف . وقد قال بعض عبادنا : إن فيها عينا يقال لها عين الحياة من شرب منها يخلد ولا يموت . لأن مدد مائها من أنهار الفردوس. ومن اغتسل فيها تساقطت عنه ذنوبه (أ) . فقال له الاسكندر: كيف تسلك الدواب طريق هـذه الظلمة ؟ فقال : من أراد أن يسلك طريقها لا ينبغى أن يركب إلا مهرا . فأمر الاسكندر بجمع الخيل فاختار منها عشرة آلاف مهر رباع قوى . وسار فى عساكره حتى وصل الى مدينـة كبيرة فيها نعم كثيرة وبساتين وسيعة وقصور رفيعة فنزل فيها . وصار وحده الى مغرب الشمس فبقى ينتظر غروبها . فلما كان عند الغروب شاهد قرص الشمس وهى تغيب[(١)] فى تلك العين . فجعل يسبح الله تعالى ويقدسه . ثم انصرف الى معسكره فانتخب من أصحابه من عرفه بالعقل والصبر. وتزود لأربعين يوما، واختار من يصلح أن يتقدم أمامهم ويسير بين أيديهم . فوقع الاختيار على الخضر[(٢)] فانه كان سيد الجماعة وصاحب الرأى فيما هم بصدده . ففوّض الاسكندر اليه أمره، وقال : أيها الرجل المتيقظ ! نبـه قلبك لهذا الأمر . فإنا إن عثرنا على ماء الحياة بقينا نعبد الله تعالى الى آخر الأبد . وإن معى خرزتين تتقدان كالشمس فى جنح الليل . فخذ إحداهما، ومر قدّام القوم، وتكون الأخرى معى . وأنا والعسكر نقتفى أثرك ونبصر ماذا قسم الله تبارك وتعالى لنا . فتقدم الخضر، وسار الاسكندر فى أثره حتى سار فى الظلمات مرحلتين . ولما كان المنزل الثالث عرض لهم فى الظلمـات طريقان فسار الخضر فى إحدى الطريقين ، ووصل الى عين الحياة فشرب منه واغتسل وفاز بالمطلوب وضل الاسكندر عنه فسلك الآخر[(٣)] فأفضى به الى الضوء، وخرج من الظلمة فرأى جبلا شاهقا فى السماء على رأسه أشجار من العود، وعلى كل شجرة طائر أخضر، فلما

(أ) قصة الظلمات وعين الحياة فى الشاه تخالف الروايات اليونانية فى كثير من التفصيل . والخضر لا يذكر فى القصة اليونانية التى تشبه فى بعض مواضعها قصة موسى والخضر شبها أدى الى ذكر الخضر فى الشاهنامه والروايات العربية .

(١) طا : وهو يغيب . (٢) طا : صلوات الله وسلامه عليه . (٣) طا : الطريق الآخر .

رأته الطيور نطقن باذن الله باللسان الرومى . فدنا من طائر وأصغى ليسمع كلامه فقال له : ماذا تريد أيها الثعبان من الدنيا الفانية ؟ وأنت لو بلغت السماء لم يكن لك بد من الموت . ثم قال للاسكندر: هل حدث الزنا وهل استعمل الآجرّ فى البناء؟ فقال نعم . فقال : وهل قرع سمعك صوت المزهر، وصياح السكران، ونغم الغناء ؟ فقال نعم . فنزل اليه الطائر عند ذلك وقال : أيما أكثر : العلم مع السداد أم الجهل مع الفساد ؟ فقال العالم بين الناس عزيز . فرجع الطائر الى مكانه وقال له : هل يسكن العباد فى بلادكم الجبال ؟ فقال : وهل لهم سكنى إلا فى الجبال ؟ ثم قال له : اصعد الى رأس هذا الجبل وحدك راجلا ليس معك أحد فأبصر ما هنالك، فصعد الاسكندر وحده فرأى إسرافيل عليه السلام (أ) . على رأس ذلك الجبل و بيده الصور، وقد نفخ شدقيه، وملأ من الدموع عينيه ينتظر متى يأتيه الأمر فينفخ قال : فلما نظر الى وجه الاسكندر صاح عليه وقال يا عبد الحرص! لا تجهدن هذا الجهد فسوف يأتيك الأمر بالمسير، ويقرع سمعك النداء بالرحيل. فقال الاسكندر: (١٣٨) لم يقسم لى غير الحركة والطواف فى أقطار الأرض . ثم نزل من الجبل حليف كآبة ورنين . وعاد القهقرى الى الظلمات . فلما توغلها هتف هاتف من الجبل الأسود الذى كان هنالك وقال : من يحمل من حجارة هذا المكان يندم ومن لا يحمل منها فهو أيضا يندم . فحمل منها بعضهم وأعرض عنها بعضهم . فلما خرجوا من تلك (١) الظلمات رأوا تلك الحجارة جواهر و يواقيت فندم من حمل حيث لم يستكثر، وندم من لم يحمل حيث لم يحمل .

قال : ثم إن الاسكندر أقام بعد خروجه من الظلمات مقدار أسبوع (٢) . ثم ارتحل متوجها نحو المشرق فسار حتى انتهى الى مدينة كبيرة فاستقبله أكابر أهلها فأكرمهم الاسكندر وأحسن اليهم . ثم سايلهم عن عجائب ما هنالك فأجهشوا اليه بالبكاء وقالوا : أيها الملك ! إن أمامنا أمرا عظيما لا بدّ لنا من عرضه على رأيك . ونحن منه فى عناء وتعب شديد . وذلك أن وراء هذا الجبل يأجوج ومأجوج . وهم يفسدون فى أرضنا و يعيثون فى بلادنا . وهم فى خلقهم بحيث لا تجاوز قامة أحدهم شبرا . ومع ذلك فقد ملئوا الأرض فسادا وشرا . ولهم وجوه كوجوه الإبل، وأنياب كأنياب الخنازير. ألسنتهم سود وأعينهم حمر . وعلى أبدانهم شعور فى لون النيل، ولهم آذان كآذان الفيلة . اذا نام أحدهم افترش إحدى أذنيه والتحف بالأخرى . لا يموت الأنثى منهم حتى تلد ألف مولود . وهم فى الكثرة بحيث لا يعرف عددهم إلا الله عز وجل . واذا كان فصل الربيع وجاش البحر وأرعد الجوّ

(أ) ذكر اسرافيل من زيادات الروايات العربية أيضا .

(١) طا : من الظلمات . (٢) طا : أسبوعين .

احتمل السحاب التنين من البحر فألقاه اليهم . فيجتمعون اليه و يأكلون منه حتى تعبل أجسامهم وتسمن أبدانهم . ويكون ذلك من السنة الى السنة . وفى سائر السنة يجترئون بنبات الأرض و بما يختطفونه من كل جانب، واذا كانت أيام الشتاء اعتراهم الضعف حتى يصير صوت أحدهم فى رز صوت الحمام . واذا أقبل[1] أيام الربيع عادوا كالذئاب الضارية . فان أنعم الملك بالتدبير فى كفاية شرهم وكف معرتهم شكر سعيه بكل لسان، ودام ذكره الى آخر الزمان. فتعجب الاسكندر مما أوردوا واهتم لذلك . ثم غاص فى بحر الفكر فقال لهم : إنى أعاونكم منى بالأموال والكنوز فعاونونى بنفوسكم حتى أعمل دونهم سدّا بقدرة الله الذى لا إله إلا هو سبحانه وتعالى . فدعوا له وقالوا : إنا كلنا عبيدك فيما تأمر به . فجاء الاسكندر فى علماء فلاسفته وأصحاب رأيه فنظر الى الجبل فأمر باستدعاء الحدادين والفعلة، وأمر باحضار النحاس والرصاص والجص والحجارة والحطب . فجمعوا من كل واحد ما لا يحيط به الحصر . وحشر صناع الأقاليم فسدّ ما بين الجبلين بسدّين من قرار الأرض الى رأس الجبل . وجعلوا الأساس فى عرض مائة ذراع . فكانوا يصفون من زبر الحديد صفا فى مقدار ذراع، و يضعون عليه الفحم والنحاس ، ويجعلون الكبريت فوقه، ثم صفا آخر فوقه كذلك ثم آخر وآخر حتى انتهى الى رأس الجبل وساوى ما بين الصفين[2] . ثم خلطوا النفط والدهن وأفرغوه على رأس الجميع ثم صبوا عليه الفحم ثم ألقوا فيه النار . واجتمع عليه مائة ألف حداد ينفخون فيه فارتفع الدخان فى السماء وتمكنت النار فيه و بقيت كذلك تتقد زمانا حتى تراصّت الأجزاء وتهندم البناء . فتخلص العالم بالسدّ الاسكندرى من شر يأجوج ومأجوج وعاديتهم ولله الحمد . § قال : وطول هذا السدّ خمس خمسمائة ذراع فى عرض خمسمائة ذراع .

---

§ تصف كتب التاريخ والبلدان سدودا بين بلاد الترك والبلاد المجاورة . منها سدّ بين إيران وبلاد الخزر يصل ما بين جبال القوقاس و بحر الخزر[3] . ومنها سدّ فى جرجان بناه الساسانيون[4] . ومنها سور بخارى الذى بناه " ملك من ملوك الصغد فى سالف الدهر مانعا لغارات أجناس الترك ودافعا لأذيتهم .وجدّد فى أيام المهدى ،وكان قد تهدم،على يدى أبى العباس الطوسى أمير خراسان[5] ".

وأكثر الكتب على أن سدّ الاسكندر أو سدّ يأجوج ومأجوج هو السدّ الذى بين جبال القوقاس وبحر الخزر.ولكنه لا يلائم ما وصف به سدّ يأجوج ومأجوج أنه بين جبلين.وأقرب=

---

(١) طا : أقبلت . (٢) أظنها محرفة عن الصدفين . كما فى القرآن . (٣) أنظر البلدان ص ٢٨٨ و ٢٩١ ، ومروج الذهب ج ١ ص ١٦٤ ونزهة ٢٤٣ ، والبيرونى ص ٤١ (٤) البلدان ص ٣٠٤ ، فارس نامه ص ١٥٩

(٥) الإشراف ص ٦٥

ولما أحكم الاسكندر ذلك ارتحل من تلك المدينة وسار مسيرة شهر فوصل الى جبل من اللازورد، على رأسه بيت من الياقوت الأصفر، فيه قناديل معلقة من البلور، وفى وسطه عين ماء مالح فيه جوهر أحمر له أشعة تنبث أنوارها على الماء فيمتلئ البيت منه بالأضواء . وعند العين تخت من الذهب منصوب عليه شخص مسجّى مضطجع، رأسه كرأس خنزير، وبدنه كبدن إنسان، قد فرش تحته الكافور. وكان من قصد أخذ شيء من ذلك البيت تأخذه الرعدة ويموت فى مكانه. فسمع الاسكندر هاتفا من تلك العين يقول : أيها الرجل الحريص! لا تحرصنّ هذا الحرص كله فقد رأيت مالم يره أحد . فالواجب أن تصرف(١) عنانك فقد دنت أيامك، وشارف الانقضاء ملكك . ففزع الاسكندر وأسرع الانصراف الى معسكره .

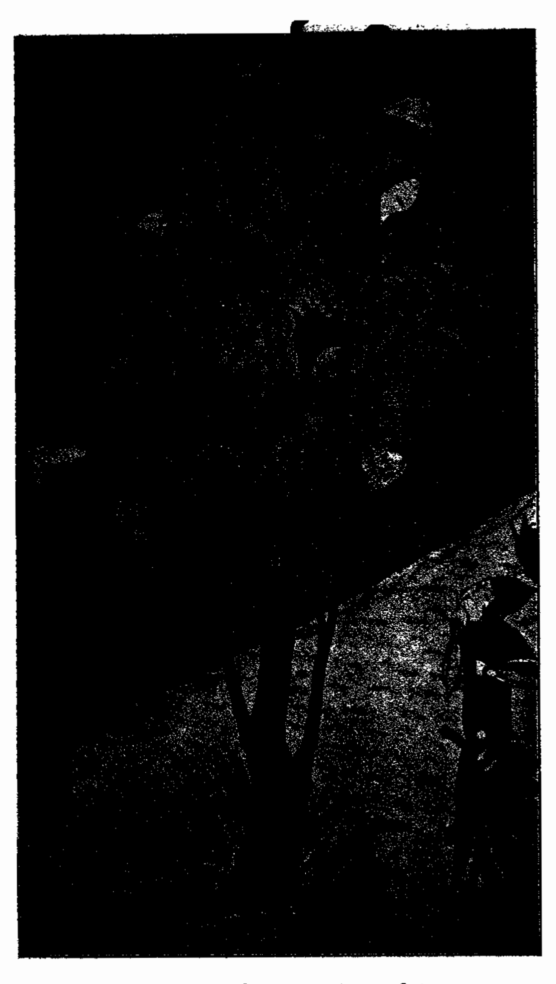
ثم ارتحل وسار حتى خرج من البرية وانتهى الى مدينة آهلة ففرح حين سمع صوت الإنس واستأنس . فتلقاه أهل المدينة وأظهروا السرور بمقدمه، ونثروا عليه النثار الكثير، وقالوا : نحمد الله حين جعل عبورك علينا . فإنه لم يأت هذه المدينة عسكر قط، ولا سمع فيها اسم ولا ذكر لملك . فسايلهم عن عجائب مدينتهم فقال بعضهم : أيها الملك ! إن هاهنا عجبا لا يوجد فى العالم مثله . وذلك أن هاهنا شجرتين (أ) ذكرا وأنثى ينطق الذكر بالنهار والأنثى بالليل . فركب الاسكندر واستصحب ترجمانا منهم فى جماعة من أصحابه . فسأل الترجمان، وقال : متى تتكلم الشجرة ؟ فقال : اذا عبر تسع ساعات من النهار تكلم الذكر . واذا جن الليل تكلمت الأنثى . فقال له : واذا تجاوزنا هاتين(٢) الشجرتين فما الذى نراه بعدهما؟ قال إن الدنيا تنتهى عند ذلك، وما بعدهما(٣) يسمى طرف العالم. ولما قرب من الشجرتين رأى الأرض ملأى من جلود السباع فسأله عن ذلك فقال: إن لهاتين الشجرتين عبادا يعبدونهما واذا جاءوهما(٤) للعبادة فلا يأكلون إلا لحوم السباع . قال : فلما

= منه الى هذا الوصف أن يكون السد فى شعب دريَل فى جبال القوقاس . وهو الممر الوحيد فيها . وقد حصن منذ زمن بعيد . وعليه الآن قلعة روسية تحميه . وكان العرب يسمونه باب اللان. وهو نفنف بين جدارين من الصخر يرتفعان زهاء ستة آلاف قدم(٥) .

والصحيح أن السد الذى بين القوقاس وبحر الخزر هو سد كسرى أنوشروان .

(أ) فى الشاهنامه : شجرة ذات جذعين ذكر وأنثى . ولعل هذا سبب اضطراب نسخ الترجمة فى تثنية الضمير العائد الى الشجرتين وإفراده .

(١) طا : تصرف الآن عنانك . (٢) صل : مابين . والتصحيح من طا . (٣) صل : وما بعدها . والتصحيح من طا . (٤) صل، طا : جاءوها . (٥) وورنر، ج ٦ ص ٧٩، ودائرة المعارف البريطانية (Darial)



اسكندر والشجرة المتكلمة

[منقولة من كتاب النقش فى الاسلام (Painting In Islam) لسير توماس أرنولد ص ١١٦]

انتصف النهار سمع الاسكندر من إحدى الشجرتين صوتا أزعجه . فسأل الترجمان عما قالت فقال : إنها تقول : ما بال الاسكندر يجول فى أقطار الأرض وقد استوفى نصيبه من العيش، وعند استكمال أربع عشرة سنة من سلطانه يحين حين ارتحاله ؟ فبكى الاسكندر وامتلأ هما وحزنا، وبقى واجما لا يتكلم الى نصف الليل . فتكلمت الشجرة الأنثى . فسأله عما قالت فقال : إنها تقول : إنك تجول حول الأرض من حرصك، ولم يبق إلا قليل من عمرك . فلا تتعب نفسك ولا تضيق عليها أمرك . فقال له الاسكندر : سلها هل تكون أمى حاضرة عند رأسى اذا أتانى أمر ربى؟ فسألها عن ذلك. فقالت : شدّ رحالك وأقصر عن ظنك . فإنه لا تحضرك أمك ولا قرابتك[1] ولانساء بلدك . ولا تموت إلا غريبا فى بلاد غيرك . فانصرف الاسكندر وقيذ القلب منخزل النفس نحو معسكره . فقدّم اليه أهل تلك المدينة جواشن ودروعا وتحفا كثيرة فيها مائة بيضة من الذهب وزن كل بيضة ستون منا، وصورة كركدن من الذهب مرصعة بالجوهر . فقبل هداياهم وارتحل نحو الصين .

فلما قرب منها نزل فى عسكره واستحضر الكاتب فأمره أن[2] يكتب الى بغبور كتابا مملوءا بالوعد والوعيد، وختمه . واستصحب بعض ثقاته وأصحاب رأيه، وركب منهم فى خمسة فرسان حتى أتى ملك الصين فى زىّ رسول . فلما وصل اليه أكرمه وأنزله فى موضع يليق به . ثم لما كان من غده أنفذ اليه مركوبا خاصا بآلات الذهب واستحضره . فحضر وأدّى الرسالة، ودعاه أن يبادر الى خدمة الاسكندر ويسارع الى حضرته . فإن لم يفعل ذلك فلينفذ اليه طرائف الصين من خيل وأسلحة وثياب وذهب وفضة ليصرفه بذلك عن أذاه . فضحك بغبور وسأله أن يصف له الاسكندر، وينعت صورته وشكله ، ويصف مكارمه وسيرته . فاندفع الرسول يورد ذلك ويسرده . ثم إنه استحضر الطعام والشراب ، ولما ثملوا صرف الرسول وقال : سنجيب غدا عن رسالة صاحبك . فانصرف الى منزله وهو بين الصاحى والسكران وبيده أترجة . ولما طلعت الشمس من غده ركب الى حضرة بغبور فسايله ولاطفه . ثم استحضر الكاتب وأجاب عن كتاب الاسكندر . وفتح أبواب خزائنه وأخرج خمسين تاجا مرصعاً بالجواهر وعشرة تخوت من العاج، وأوقر ألف جمل من الديباج والخز والحرير والكافور والمسك والعبير الى غير ذلك من الذهبيات والفضيات وجلود السنجاب والقاقم والسمّور . ثم اختار رجلا من أكابر الصين موصوفا بالعقل والرأى، ونفذه بكل ذلك فى صحبة الرسول . فلما انتهى الى ساحل البحر بادر الملاح فحمله فى مركب وعبر به الى المعسكر . فلما أحس أصحابه بوصوله استقبلوه . ولما رأوه ترجلوا وسجدوا بين يديه . فعلم رسول بغبور أنه هو الاسكندر

(١) طا : قرابتك . (٢) طا : فأمره فكتبه .

نفسه فنزل وسجد له . ثم لما أصبح الاسكندر جلس بمجلسه من تخت السلطنة فخلع على رسول بغبور وأعطاه عطايا كثيرة وصرفه الى صاحبه . ثم أقام الاسكندر فى ذلك الموضع شهرا من الزمان .

فلما برد الهواء ارتحل وسار حتى وصل الى مدينة جغوان ورحل منها قاصدا قصد السند . فركب ملكهم وكان يسمى بنداه فى رجاله السود، و برز[1] الى قتاله فى أمثال الأسود . فجرت ملحمة أفنت السودان عن آخرهم وأتى الأسر والنهب على نسائهم وذراريهم . ثم سار الاسكندر الى نيم روز ، وصار منها الى اليمن (أ) . فاستقبله صاحب اليمن بالهدايا الجليلة والتحف الكثيرة . فأكرمه الاسكندر وأحسن اليه .

ثم ارتحل من اليمن قاصدا قصد بابل فوصل فى طريقه الى جبل عظيم فأتعبهم العبور فيه . فلما قطعوه وأسهلوا أفضوا الى بحر عظيم فعثر بعض أصحابه فى ساحله على رجل متسربل البدن بالشعر، له أذنان كآذان الفيلة . فاجتروه الى خدمة الاسكندر . فقال له الاسكندر : ما اسمك ومن أنت ؟ فقال : أيها الملك إن أبى وأمى سمياني بستركوش (ب) يعنى لحافى الأذن . فقال له : ما هذا الذى نرى فى وسط البحر؟ فقال مدينة طيبة، وفيها خلق طعامهم من السمك وأبنيتهم من عظام السمك . فان أمر الملك عبرت اليهم وأخبرتهم بمقدمه وحملت منهم جماعة الى خدمته . فأذن له الملك فى ذلك فعبر اليهم[2] فى ساعة وانصرف ومعه ثمانون شخصا من عقلاء تلك المدينة فى ملابس الخز والحرير، بعضهم شبان و بعضهم شيوخ، مع كل شيخ منهم جام مملوء من الدر ومع كل شاب تاج من الذهب . فحضروا بين يدى الملك فخدموه وسايلهم عن أمور أجابوه عنها . وأقاموا فى منزله على البحر الى طلوع الفجر من الغد . فارتحل متوجها نحو بابل وقد علم أن أجله قد قرب .

وكان يخاف من الكيانيين على بلاد الروم بعد موته فعزم ألا يبقى منهم أحدا . فكتب كتابا الى الحكيم أرسطاليس[3]، وذكر فيه حاله وما هم به . ثم استقدم جميع أكابر الكيانية من أوطانهم وأمرهم بالمبادرة الى حضرته . فوصل كتاب أرسطاليس وهو يقول فيه : قد آن لك أن ترتدع عن الشر. فاستسلم لأمر الله عز وجل، وفوض اليه أمورك، ولا تزرع فى ملكك غير الحسنى . وما أشرت اليه فلا تجزع منه ولا تهتم له . فإنا لم نولد إلا للموت، وما استصحب أحد فارق الدنيا مالا ولا ملكا .

(أ) يحدث التاريخ أن الاسكندر بعد حربه فورلق عداه من ابن أخى فور، وقد سامه صلح الاسكندر وعمه . وكذلك يعرف التاريخ أن بعض جند الاسكندر رجعوا من الهند بطريق نيم روز .

(ب) هذه كلمة فارسية : بستر الفراش، وكوش الأذن .

(١) طا : برزوا . (٢) صل : اليه . والتصحيح من طا . (٣) طا : أرسطاطاليس .

وإياك أن تمس أحدا من الكيانية فإنه لا يحسن غرس العداوة فى القلوب . فاتق الله ولا تسفك دماء الأكابر . فإنه يثمر اللعن الى يوم القيامة، ولا يورث غير الحسرة والندامة . والرأى أن تستحضر أكابر بيت الملك، وتملّك كل واحد منهم بلدا أو إقليما، ولا تجعل لبعضهم على بعض حكما ولا يدا، ولا تسمينّ منهم للسلطنة أحدا حتى تشغلهم بحربهم عن بلاد الروم . فلما قرأ الإسكندر كتاب الحكيم استحضر الأكابر الكيانيـة وأجلسهم فى مراتبهم فى خدمتـه ثم فرّق عليهم الممالك ، وأمرهم أن يكتب كل واحد منهم كتاب عهـد يعاهد فيـه على ألا يطلب الزيادة على ما فى يده، ولا يتعرّض لمملكة غيره، ويجترئ بمـا فى حكمه وتحت يده، فاستتب منهم ذلك فسموا ملوك الطوائف .

ذكر وفاة الإسكندر

قال صاحب الكتاب : ثم إنه وصل الى بابل فاتفق أنه ولد فى تلك الليلة مولود له رأس كرأس الأسد، وحافر كحافر الدواب، وذنب كذنب الثور، لا يشبه الإنس إلا[1] فى صدره وكتفه . فلما وضعته أمه مات فى الحال . فحملوه الى حضرة الملك فتطير منـه واستحضر المنجمين وسألهم عن طالع ذلك المولود وما تدل عليـه أحكام النجوم فى ولادته . فأظلمت الدنيـا فى عيونهم لمـا فهموه ، وكتموا الاسكندر ما علموه . فأوعدهم وهدّدهم فقال له بعض المنجمين : أيها الملك ! إنك ولدت على طالع الأسد . فاذ قد رأيت رأس المولود الميت مثل رأس الأسد فقد دل على زوال ملكك وانتهاء عمرك . واتفقت كلمة سائر المنجمين على ذلك . فاغتم الاسكندر ثم قال : إنه لا بد من الموت، ولست أهتم لذلك . ثم مرض فى يومه ذلك وهو ببابل فاستحضر كاتبه وكتب الى أمه كتابا يعزيها فيه عن نفسه، ويوصى اليها ويأمرها بالصبر والرضاء بما قدّر له من قصر العمر، والتسليم لقضاء الله النافذ فى الخلق . وقال: إنى قد أمرت أكابر الروم، اذا انصرفوا من هذه البلاد، بالتمسك بطاعتك والانقياد لأمرك . وأما أكابر ايران الذين كان يخاف على بلاد الروم من معرتهم فقـد ملكت كل واحد منهم إقليما من الأقاليم حتى يمنعه الشغل بما فى يده عن بلاد الروم . واذا مت فادفنونى فى تراب مصر، وفرّقوا من خزائنى مائة ألف دينار فى هذه السنة على المشتغلين بأنفسهم من عباد الله . وروشنك — يعنى زوجته — إن ولدت ابنا فهو ملك الروم لا غير . وإن ولدت بنتا فلتزوّج من ابن فيلقوس ، واتخـذيه ولدا ، وجدّدى به ذكر الاسكندر أبدا . وأما ابنة كَيد ملك الهند فردّوها، إن أرادت، إلى أبيها مع خزائنها التى جاءت معها، فى عماريتها، ومع تاجها وتختها . وأنا قد استسلمت للموت عن رأس العجز بعد

---

(١) كلمة "إلا" من طا .

أن فرغت من أشغالى كلها . وقد أمرت أن يعمل لى تابوت من الذهب ، ويملأ من العسل ثم أضجع فيه مكفنا فى الديباج والحرير . وعند الانتهاء الى ذلك ينتهى الكلام . ثم احفظى وصيتى، ولا تخالفى موعظتى ، ولا تمسكى من الأموال التى جمعتها من الهند والصين وسائر الأقاليم أكثر من القوت، وفرق الباقى على المحتاجين . ثم حاجتى اليك ألا تجزعى علىّ ولا تؤذى نفسك ، واشفعى الى الله عز وجل وأغيثينى بدعائك فانه لا يأخذ بيدى غير ذلك» ثم ختم الكتاب ونفذه الى الروم على يدى بعض المسرعين .

قال : ولما علم العسكر بمرض الاسكندر تسارعوا الى خدمة تخته واجتمعوا على بابه وضجوا من وراء حجابه . فأمر الاسكندر بإخراج تخته من إيوانه الى الفضاء فلما رأوه على مابه من الضعف أجهشوا اليه بالنحيب والبكاء . فقال لهم الاسكندر : استشعروا الخوف، وتسربلوا لباس الحياء، ولا تعدلوا عن المحجة البيضاء، واحفظوا وصيتى، ولا تخلعوا ربقة طاعتى . فلما فرغ من كلامه خرجت روحه لوقع العويل والنحيب فى العسكر، وقام الصراخ عليه . فأحرقوا داره التى كانت مستقره ، وحذفوا من دوابه ألف فرس . ثم جاءوا بتابوت من الذهب مملوء من العسل ، وغسله سكوبا بالماورد ، وغمره بالكافور ، وكفنه فى ثوب ديباج مذهب ، ووضعه فى وسط العسل من الرأس الى القدم ، وأطبقوا عليه التابوت . فلما رفعوه من ذلك المكان اختلفت الفرس والروم فقالت الفرس : لا يدفن الاسكندر إلا حيث مات . وقالت الروم : لا يدفن إلا حيث ولد . فقال شيخ من فارس : إن هاهنا موضعا يقال له جرم (١)، وهناك جبل من سأله عن شيء أجابه عنه بإذن الله[(١)]، فاسألوا الجبل حتى يحكم بينكم . فتوجهوا نحو الجبل فسألوه فأجاب وقال : مالكم تحبسون تابوت الملك؟ إن تراب الاسكندر فى أرض الاسكندرية التى بناها فى حياته . فبادروا عند ذلك الى حمله وحملوه الى الاسكندرية . فلما وصلوا اليها خرج الخلائق واجتمعوا على تابوته حتى لو حسبهم المهندس لوجدهم يزيدون على مائة ألف . فجاء الحكيم أرسطاليس[(٢)] ووضع يده على تابوته وقال : أين رأيك وعقلك أيها الملك حتى صار مسكنك هذا المكان الضيق ؟ وكيف أفضيت بنضارة الشباب الى مضاجعة التراب ؟ وقال آخر : أيها الملك ! ما زلت تدفن الذهب حتى دفنت فيه ووقعت فى خطب لا سبيل الى تلافيه . واجتمع[(٣)] علماء الروم فخاطبه كل واحد منهم بحكمة، وأبنه بموعظة .

---

(١) هو فى الشاه : خرم . وفى الروايات اليونانية أنهم سألوا الآله زفس البابلى فأوحى بالذهاب الى منفس . فلما بلغوها حسن لهم الكاهن الأعظم أن يدفنوه فى الاسكندرية .

(١) طا : باذن الله عزّ وجل . (٢) طا : أرسطاطاليس . (٣) طا : اجتمعت .

ثم جاءت أمه ووضعت وجهها على تابوته وهي تبكي وتنتحب وتقول : ما أبعدك مني مع قربك ! وما أعظم خطبك على صحبك! ثم جاءت زوجته روشَنَك بنت دارا، وطفقت تبكي وتندبه وتنتحب وتنوح عليه (ا) . ثم دفنوه ولم تكن أيامه إلا كبرق ومض، وطرف غمض .

وهــذا آخر الخبر عن قصــة الاسكندر . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين[1] وصحبـــه .

[شكاة (ب) الفردوسي من الشيخوخة والدهر :

أيا فلكا معجبا عاليا	غــدوت عــلى كبرى زاريا
حــدبت عــليّ وعمــرى قشيب	وأنحيت بالذل يــوم المشــيب
ويذوى على الدهر كل نضير	وكالشــوك يصــبح مس الحــرير
حنى الدهر سرو الرياض السوىّ	وأطفأ ذاك الســراج البهىّ
وقــد كنت كالأم لى مكرما	وهأنــذا منــك أبكى دما
وما إن وفيت ولم تحلم	فويــلاه من صـــرفك المظلم
فليتــك لم ترعَــنى ناشــئا	وليتــك لم تــقلب شــانئا
اذا حُم تركى هــذا الظــلام	أبث شــكاتى رب الأنام
سأشكو الى الله هــذا العــذاب	برأسى مما جنيتَ الــتراب
رأى الدهر غمّى يــوم الكبر	فاضــعف لى إثمــه واكفهر

* * *

فــردّ الجــواب الىّ الفــلك :	كفى أيها الشــيخ . ما أجهلك!
لمــاذا تــردّ الىّ الأمور ؟	أهــذى الشكاة مقــال البصــير ؟
ومن لى بأوج تبــوّأته ؟	لك العقــل بالعــلم ربيتــه

(ا) انظر في مروج الذهب الثلاثين قولا التي قيلت عند موت الاسكندر، ووصف قبر الاسكندر كما رآه المسعودى .

(ب) حذف المترجم هذه القطعة فترجمتها لما تُبين عن سن الفردوسي وحاله حينما نظم تاريخ الاسكندر .

(١) طا : على سيدنا محمد وآله أجمعين .

طعام ونوم وعيش رغد وحكمك بين الهوى والرشد
ومالى يدان بهذا الخطر ولا الشمس تدرى ولا ذا القمر
فسل عن سبيلك رب السبيل ورب الدجى والضحى والأصيل.
أجل! واحد ظاهر لا ينام ولا بدء فى فعله أو ختام
له ما يشاء اذا قال : كن . ومنكر هذا غوىّ أفن
وإنى فى الخلق بعض العبيد أوجه وجهى كيف يريد
وما إن أطعت سوى حتمه ولا أصرف الوجه عن حكمه
الى الله سر وعليه اتكل وسل راضيا خير من قد سئل.
فما غيره قد أدار الفلك وأذكى مصابيحه فى الحَلَك.
ومنه السلام على المرسل وأصحابه السادة الكمل]

القسم الثالث

ملوك الطوائف

---

§ ذكر ملوك الطوائف

قال الفتح بن على مترجم الكتاب : وحين أنهى الفردوسى أخبار الاسكندر، وانتهى إلى هذه الترجمة أورد فى مقدمتها أبياتا نظمها فى وصف حاله ، وتخلص منها إلى مدح السلطان السعيد أبى القاسم محمود رضى‌الله عنه، وذكر خلاله الحميدة وسيره المرضية، وأطال فى ذلك نفسه. فاقتديت به وجريت على الطريقة المسلوكة فى إقامة فرائض العبودية ومراسم الخدمة لمن طرزت باسمه فى كتابى هذا أسامى سلاطين الأرض، وجعلته عنوانا لصحائف[1] مآثر ملوك الشرق والغرب، مولانا السلطان الملك المعظم، ملك ملوك العرب والعجم، أبى الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبى بكر ابن أيوب، الذى هو فى عهده الاسكندر الثانى، ومفيض الفضل على القاصى والدانى — لا زال ممتعا بالملك والشباب ، آخذا بأعضاد ذوى العلوم والآداب ، رافعا أعلام الملة الزاهرة ، ناصرا رايات الشريعة الطاهرة، محييا آثار الملوك السالفة بفضله غامرا أذكارهم بإحسانه وعدله .

عقاد ألوية الجلال معظم   من جيشه التأييد والتمكين
هو فى دمشق على مبوأ عزه   وبصيت هيبته تجيش الصين

§ القسم الثالث ملوك الطوائف

تنازع خلفاء الاسكندر وتحاربوا على الملك، وتقلبت بهم الغِيَر حتى استولى سليوكس على بابل سنة ٣١٢ ق م . وتوطد سلطانه فى آسيا الغربية ثم امتد سلطانه إلى نهر سيحون ونهر السند . واستمرت دولة السلوقيين قوية زهاء قرنين ثم اضمحلت بعد أنطيوكس السابع .

ولكن سلطان السلوقيين لم يمتد على إيران طويلا فان دولة نشأت فى القسم الشمالى الغربى من إيران سنة ٢٤٨ ق م. واتخذت حاضرتها حوالى دامغان فى قومس . ونازعت السلوقيين السيطرة على إيران وغيرها وكانت الحرب سجالا بينهما : يمتد سلطان هذه الدولة أحيانا حتى يعم ميديا وفارس وبابل، وينحسر أحيانا حتى لا يتجاوز مهدها . حتى دارت الدائرة على السلوقيين فعجزوا أن ينازعوا هذه الدولة سلطانها .

فلما ظهرت روما فى آسيا تصدت لها هذه الدولة فنازعها السلطان على ما بين النهرين وغيره حتى انتهى الجلاد الطويل بهزيمة الرومان عند نصيبين أمام أرطبانوس (أردوان) آخر ملوك هذه الدولة سنة ٢١٧ م .

=

(١) طا : بصحائف .

فأثبت هاهنا كلمة خدمت بها مقامه الأعلى فى مقتبل استسعادى بتقبيل عتبته الرفيعة وسدّته المنيعة ، ليقف الناظرون فى هذا الكتاب على فضائله الزاهرة التى هى درارىّ سماء السناء ، ودرر دأماء المجد والعلاء . وأوّل الكلمة :

طفى فى التصابى مغرم القلب هائمه	فاقصر واشيه وأخفق لائمه
لديغ هوى قد أسلمته رقاته	له عائدات من هموم تلازمه
سبى قلبه خشف من الإنس عاقد	غرير الصبى ما حل عنه تمائمه
حليف جمال يفضح البدر وجهه	وتضحك عن زهر النجوم مباسمه
كغصن من الريحان أغيد ناعم	سقاه فأرواه من الغيث ساجمه
هتفت به والليل قد شق سجفه [1]	ورق إلى أن نم بالسر كاتمه :
أيا ثمل الأعطاف مالك صاحيا ؟	ألم ترسوق العيش قامت مواسمه ؟
أضاء نهار من محياك شامس	فما بال ذاك الطرف ينعس نائمه ؟
فقم نصطبح واجل الزجاج قد اكتست	أساور من ذوب النضار معاصمه
تحيط بأفلاذ الحريق ضلوعه	ويسعر مهما شج بالماء جاحمه

= هذه الدولة التى حاربت السلوقيين ثم الرومان وبقى سلطانها خمسا وسبعين وأربعمائة سنة (٢٤٩ ق م — ٢٢٦ م) هى التى يسميها الأوربيون دولة پرثيا [2] ويسمون الأسرة التى قامت بها أسرة الأرساسيين [3] ، ويسميها مؤرخو العرب والفرس دولة الأشكانيين (أو الأشغانيين أو الأشقانيين) ، ويسمون أوّل ملوكها أشك وينسبونه ، كدأب الفرس فى وصل الأسر الحديثة بالقديمة ، إلى كيقُباد أو كيكاوُس . وتختلف الروايات فى عدد ملوكهم ومدّة حكمهم بين أحد عشر وعشرين ملكا ، وبين ٢٦٦ و٥٢٣ سنة . وقد ذكر البيرونى روايات مختلفة فى عددهم وسنيهم ثم انتهى به التحقيق إلى أن أصح الروايات ما فى كتاب الشابورقان أن ما بين الاسكندر إلى أردشير ٥٣٧ سنة . وذلك قريب جدا من الحقيقة . وقد بين العلامة المسعودى سبب هذا الاختلاف فى مدة دولة الأشكانيين فيما يأتى :

"وبين الفرس وغيرهم من الأمم فى تاريخ الاسكندر تفاوت عظيم . وقد أغفل ذلك كثير من الناس . وهو سرّ دينى وملوكى من أسرار الفرس لا يكاد يعرفه إلا الموابذة والهرابذة وغيرهم من =

(١) طا : شف . (٢) Parthia. (٣) Arsacids.

رحيقا كميت اللون يركض فى حشا خليع عذار لم ترضه شكائمه
لدى كل مخضر الذلاذل ناضر يفتق أكمام الشقيق نسائمه
يفوح أريج المسك فيه كأنما يشنت فى كف النهاب لطائمه
بأرجائه يشدو الهزار مغردا ويرقص أعطاف الغصون زمازمه
يرجع ألحان الغريض بحيرة يشق عن الورد الجنى كمائمه
كمداح مولانا المعظم كلما أظلت عليهم من نداه غمائمه
ثمال سلاطين البسيطة من غدت ترفع بنيان المعالى عزائمه
إذا أظهروا غر الفعال لمفخر يكون له أفراده وتوائمه
له حكم ذى القرنين فى بسط علمه وبحر نوال فيه يغرق حاتمه
خزائن مال فرقتها يمينه وكنز علوم ضمهن حيازمه
ومرقى علو حلق الوهم طائرا اليه نخانته هناك قوادمه
برأفته طاب الزمان فقد غدت تخاصر آرام الصريم ضراغمه

= ذوى التحصيل منهم والدراية، على ما شاهدناه بأرض فارس وكرمان وغيرهما من أرض الأعاجم. وليس يوجد فى شىء من الكتب المؤلفة لأخبار الفرس وغيرها من كتب السير والتواريخ : وهو أن زرادشت بن بورشب بن اسبيمان ذكر فى الأبستا ، وهو الكتاب المنزل عليه عندهم ، أن ملكهم يضطرب بعد ثلثمائة سنة ، ويبقى دينهم . فاذا كان على رأس ألف سنة ذهب الدين والملك جميعا . وكان بين زرادشت والاسكندر نحو من ثلثمائة سنة . لأن زرادشت ظهر فى ملك كيبشتاسب بن كيلُهراسب — على ما قدّمنا من خبره فيما سلف من هذا الكتاب — وأردشير ابن بابك حاز الملك وجمع الممالك بعد الاسكندر بخمسمائة سنة وبضع عشرة سنة . فنظر فاذا الذى بقى إلى تمام الألف سنة نحو من مائتى سنة . فأراد أن يمدّ الملك مائتى سنة أخرى . لأنه خشى إن تمت مائتا سنة بعده أن يترك الناس نصرة الملك والذب عنه ثقة بخبر نبيهم فى زواله . فنقص من الخمسمائة سنة والبضع عشرة سنة التى بينه وبين الاسكندر نحوا من نصفها . وذكر من ملوك الطوائف مَن مَلك هذه السنين، وأسقط من عداهم . وأشاع فى المملكة أن ظهوره واستيلاءه على ملوك الطوائف وقتله أردوان أعظمهم شأنا وأكبرهم جنودا إنما كان فى سنة مائتين وستين بعد الاسكندر . فأوقع التاريخ بذلك الخ . =

وتربض فى حجر السراحين شاؤه	وتفرخ فى وكر العقاب حمائمه
اذا هاج يوم الروع تلق ضبارما	براثنه أسيافه ولهاذمه
يطوف به للنصر كل مشيع	تناذره وسط العرين ضياغمه
على كل نهد يسبق اللحظ راكضا	كبرق سريع الخطو يحسر شائمه
فلو وطئت أجفان وسنان لم تكد	تنبهه يوم الرهان قوائمه
جحافل قد سدّوا السكاك بعثير	تلبد حتى باض فيه قشاعمه
هم أشرعوا الأرماح فى ثغر العدى	كما زحفت فى بطن واد أراقمه
فيامن به الأيمان قر أساسه :	ويا من به الاسلام طالت دعائمه!
ويا من حوى ملك المغارب مذعنا	له كل من فى الشرق حتى قمالمه!
اذا صمدت صوبا طلائع خيلكم	فلا شيء منها دون أمرك عاصمه
لقد جاءك الفتح الغريب مبشرا	بفتح قريب تستفيض مغانمه

= ويقول مؤرخو العرب والفرس أن الأشكانيين كانوا أعظم ملوك الطوائف الذين نبغوا فى بلاد الفرس بعد الاسكندر، وأن هؤلاء كانوا يقرون بزعامتهم، وأن ملوك الطوائف كانوا زهاء تسعين (١). وفى كارنامك أنهم كانوا أربعين ومائتين .

وكانت إيران إذ ذاك قسمين : أحدهما خاضع للأشكانيين بغير واسطة . وفيه أربع عشرة ولاية . والثانى فى سلطان ملوك يقرون بزعامة الأشكانيين . وبعضهم يسيطر على ملوك أصغر منه أيضاً (٢) .

والأشكانيون كانوا، فيما يظن، تورانيين، وكانوا يتأثرون الحضارة اليونانية. ولم يكن لهم سلطان نافذ يعم بلاد الفرس كلها . وكأنه من أجل هذا لم تعن بهم القصص الفارسية عنايتها بالأسر الفارسية . بل سلبتهم بعض وقائعهم وأسمائهم لتحلى بها وقائع البيشداديين والكيانيين؛ فقارن وكودرز وكيو وبيژن الذين تقدّم ذكرهم ليسوا إلا من أمراء الأشكانيين .

ويقول الفردوسى بعد ذكر بعض ملوكهم : "كان قصيرا أصلهم وفرعهم فلم يحدّث أهل التجارب بتاريخهم . ولم أسمع عنهم إلا الاسم ولا رأيتهم فى كتاب الملوك " . =

(١) انظر الآثار الباقية ص ١١٣ وما بعدها، والطبرى ج ٢ ص ١١ وما بعدها، وفارس نامه ص ١٦ ، والتنبيه والاشراف ص ٩٨، وحمزة الأصفهانى ص ٣٠، والأخبار الطوال ص ٤٠ وما بعدها، والغرر الثعالبى ص ٤٥٦

(٢) ورنر (Warner) ج ٦ ص ١٩٨ .

فنادى علـــى أطواد عزك معلنـا   على رغم من يحشو حشاه سخائمه:
ألا إن عيسى وارث الأرض كلها   تقـام له بالعـــدل فيهـا معالمـــه
سيخطب فى أقصى خراسان باسمه   وتنشر فى تلك البــلاد مراسمـــه
فقـــولوا لبغبـــور وراى وقيصر: حذاركم فالسـيلى قـد جاء هاجمـــه
وقـد أصحر الليث الغضـنفر كاشرا   فإن عنّ خشف فهو لا بدّ حاطمه
فبلغت ما ترجوه فيك من العـــلى   وشانيــك تشــتمّ التراب مراغمـــه

ومنهـا[1]:

لك الحمـد عن عبـــد غمرت رجاءه   بأمـــواج جـــود لا تزال تلاطمه
اذا قام فى نادى معاليـــك منشـــدا   وكفك تهمى بالأيادى براجمـــه
فاين ابن حمـــدان وأين نواله ؟   وأين الذى قد قال: "أشجاه طاسمه"
كما أعجز الأملاك من عهـد آدم   الى عهـــدك الميمون ملك تلائمـــه
كذلك أعيـا كل من هز مقولا   بديع قريض عبـــدك اليـــوم ناظمه

= ثم فصل الأشـكانيين فى الشاهنامه ٧٦٠ بيت، منهـا ٤١ فى مدح السلطان محمـود . وفيها العناوين الآتية :

(١) مقال فى مدح السلطان محمود . (٢) بدء قصة الأشكانيين . (٣) رؤيا بابك فى أمر ساسان . (٤) ولادة أردشـير بابكان . (٥) مجىء أردشير إلى قصر أردوان . (٦) رؤية كلنار أردشـير وموت بابك . (٧) هرب أردشـير وكُلنار . (٨) علم أردوان بأمر كلنار وأردشـير . (٩) أردشـير يجمع جيشا . (١٠) محاربة أردشـير بهمن وانتصاره . (١١) حرب أردشير وأردوان وقتـل أردوان . (١٢) حرب أردشـير والكرد . (١٣) قصة دودة هفتواد . (١٤) حرب أدرشـير وهفتواد، وانهزام أردشـير . (١٥) نهب مهـرك ابن نوشزاد دار أردشير . (١٦) قتل أردشير دودة هفتواد . (١٧) قتل أردشير هفتواد .

---

(١) كو : تزيد هنا هذه الأبيات :

يقولون عاطيت الدواء فـلا يكن   بك الداء حتى قيـــل ذلك حاسمه
نعم يعمد الصمصام فى الضرب برهة   فيصقل منـه باتر الحـــد صارمه
ترعرع غصن المجـد لما شربتــه   فها هو منـه مورق العود ناعمـه
ســـقيت به ماء الحياة ولم تزل   تشاطر خضرا عمــره وتقاسمـه

وبعد تحرير هذه الكلمة[1] المقدّمة وتقريرها اقتداء بالفردوسى رحمه الله § عاد بنا الحديث الى ترجمة الكتاب . قال : قد سبق ما اختاره الاسكندر من تفريق الملك والممالك على جماعة متفرقة، وقصده بذلك صيانة حوزة الروم عن معرة الملوك الذين ملكوا بعده على هذه الصفة . وهم الذين سموا ملوك الطوائف ، وهم الاشغانيون . وكانت مدة ملكهم مائتى سنة . وكانت الأدوار تتصرم وكأنه ليس فى العالم ملك . وكان المقدّم أشك (أ) بن أشك . وهو من نسل كيقباذ .

وذكر غير صاحب الكتاب، وهو الطبرى ، أن أشك هذا من ولد دارا الأكبر . وكان مولده ومنشؤه بالرى . ملك من الموصل الى الرى الى أصبهان . وسائر ملوك الطوائف يعظمونه لنسبه وشرفه فيهم . فعرفوا فضله وبدأوا باسمه فى مكاتباتهم ، وسموه ملكا من غير أن يكون اليه تولية أحد منهم أو عزله .

قال صاحب الكتاب : ويليه سابور ثم جوذرز، ثم بيزن، ثم أورمُزد، ثم خُسرَو، ثم أردوان، وكان ذا عقل ورأى، ثم بهرام ، وكان يسمى أردوان الكبير ، وكان اليه ملك شيراز وأصبهان .

---

§ يفتتح الفردوسى تاريخ ملوك الطوائف بقصيدة فى مدح السلطان محمود الغزنوى يصفه فيها بأنه ملك إيران وزابلستان ، وما بين قنوج الى كابل . ثم يمدح القائد الأمير أبا نصر ويسميه أبا المظفر . وأظن أنه أخو السلطان . ثم يذكر أن السلطان أسقط خراج سنة عن أهل الدين والصلاح فى ١٤ شوّال . ثم يقول :

"أنظر هذا الكتاب[2] فسيبق أبدا لواء على رءوس العقلاء . وسيكون نسلا كيومرثيا[3] ينطق الألسنة بالثناء . كذلك قال أنوشيروان بن قباد : الملك اذا أعرض عن العدل سوّد الفلك منشوره، ولم تدعه النجوم من بعد ملكا . وما الجور إلا كتاب العزل للملوك . بما يكسر القلوب البريئة . أدام الله هذه الأسرة فى فضلها وعدلها وعلمها . إن الدنيا لا تبقى لانسان، وإنما يخلد الخير على الزمان . أين فريدون والضحاك وجم، وعظماء العرب وملوك العجم؟ وأين أكابر بنى ساسان ، وعظماء بنى بهرام وبنى سامان ؟ لقد هوى بالضحاك ظلمه الى الدرك الأسفل ، وذهب فريدون بالثناء، ومات ولكن اسمه الخالد فى الأحياء . سمع الناس منشور الملك العادل — أبقاه الله متعها على سرير الملك — فهرعوا الى البرية يجأرون بالدعاء متجاوزا أعنان السماء الخ .

(أ) أشك معناه : الطاهر أو الحكم . وهو عند المؤرخين الأوربيين : (Arsaces) .

(١) طا : تحرير هذه المقدّمة . (٢) يعنى منشور إسقاط الخراج . (٣) أظنه يريد أنه كأفعال كيومرث .

وبابك جدّ أردشير كان باصطخر فى عهده . قال : ولقصر أيامهم لم تنقل أحوالهم ولم يذكر إلا أسماؤهم .

وذكر الطبرى أيضا أنه ملك العراق وما بين الشام ومصر، بعد الاسكندر، تسعون ملكا تملكوا على تسعين طائفة، كلهم يعظم من يملك المدائن . وهم الاشغانيون . ولم يزل ملك فارس متفرقا حتى ملك أردشير .

ذكر الساسانية ومبدأ أمر أردشير (أ)

قال صاحب الكتاب : لما قتل دارا بن دارا[1] كان له ولد عاقل يسمى ساسان . فلما رأى ما حل بأبيه هرب الى بلاد الهند . ومات بها وخلف ولدا سمى باسم ساسان . وتسمى بهذا الاسم مَن وُلد منهم . فلما كان الولد الرابع، وسمى أيضا ساسان، أقبل الى اصطخر، وكان المتملك بها بابك، فعرض نفسه على بعض الرعاة ليستخدمه فى الرعى فاسترعاه . ولما عرف بحسن الأثر فيما عاناه من ذلك ترقى حتى صار رأس الرعاة الموسومين بخدمة بابك . فاتفق أن بابك رآه(ب) ذات ليلة فى المنام على فيل هائج وبيده سيف مهند، وكلّ[2] من رآه يسجد له ويخدمه . فتعجب بابك مما رأى منه . فلما كانت الليلة الثانية رآه وكأن بعض من يعبد النار أتاه بثلاث نيران من نيرانهم المشهورة (ج)، وأوقدوها[3] بين يديه بالعود الرطب . فاهتم بابك فلما أصبح أحضر العلماء والموابذة، وقص عليهم رؤياه . فقالوا : أيها الملك ! من رأيت له هذا المنام يملك ايران، وإن لم يملك هو فسيملك ولده . فسرى عنه . ثم استقدم ساسان فجاء من الصحراء فى عباءته وقد ضربه الثلج والصقيع . فخلا به واستخبره عن حاله ونسبه . فقال: إن أعطيت الراعى الأمان ، وحلفت ألا تناله بسوء أفضى اليك بسره وأطلعك على حاله . فأعطاه الأمان وحلف له . فقال : أنا ابن ساسان حافد الملك بهمن بن إسفنديار بن كُشتاسب . وأعلمه بالحال . فبكى بابك وأحضر له دستا من الثياب البهلوانية، ومركوبا من المراكب الخسروانية، ونفذه الى الحمام . فطرح العباء ولبس تلك الملابس الفاخرة . وأخلى له قصرا وأخدمه الغلمان والخدم . ثم زوّجه ابنته

(أ) هذا العنوان ليس فى نسخ الشاه نامه، والذى فيها : رؤية بابك ساسان فى المنام، وتزويجه ابنته .

(ب) فى كرنامك أن بابك رأى أول ما رأى — أن الشمس تضىء العالم من رأس ساسان .

(ج) النيران الثلاث فى الشاه : آذر كَشَسب وخرّاد ومهر . وفى كارنامك : فروبا، وهى نار الموابذة، وكُشاسب وهى نار الجند، ومهر برزين، وهى نار الزراعة .

(١) كو : داراب . — (٢) صل : كل . وزيادة الواو من طا ، كو . (٣) طا : وأوقدها .

فولدت ابنا فسماه أردشير . وهو الذى يقال له[١] أردشير بابكان . فترعرع الصبى وكبر وتعلم الفروسية والآداب الملوكية حتى صار واحد زمانه وأجل أقرانه . فتناهى خبره الى أردوان فكتب اليه وقال : بلغنا أن ولدك أردشير فارس ذو شجاعة ، ومتكلم صاحب فصاحة . فاذا قرأت الكتاب[٢] فأرسله الينا حتى نجذب بضبعه ، وننوه بذكره ، ويكون عندنا بمنزلة الولد . فلما وصل الكتاب الى بابك نفذ أردشير الى الرى الى خدمة أردوان ، وأصحبه رسولا مع جملة من الهدايا والتحف . فلما[٣] وصل الى أردوان أكرمه وأجلسه عند تخته . ثم أخذ يربيه تربية الولد ولا يكاد يصبر عنه . فاتفق يوما مع أردوان فى الصيد، ومع أردوان بنوه الأربعة . فركضوا خلف حمار وحش، وركض أردشير . ولما قرب منه رماه بنشابة مرت فيه الى فُوقها . فحضر أردوان فرأى النشابة فأعجبته الرمية . فسأل عن راميها فقال أردشير : أنا صاحبها . وزعم ابن أردوان أنى صاحبها . فقال له أردشير : إن هذه الصحراء ملأى من اليعافير . فارم آخر إن كنت صادقا . فغضب أردوان حين رفع صوته على صوت ولده . وصرفه عن مكانه ذلك، وفوّض اليه سالارية الاصطبل والخيل . فرجع الشاب منكسر القلب ولازم خدمة خيل الملك . وكتب الى جدّه كتابا يعلمه فيه بحاله . فلما وصل الكتاب الى بابك اهتم فكتب اليه يعيره ويعنفه ويسفه عقله حين راكض ولد الملك وجاراه فى الصيد . ونفذ اليه قدرا من الذهب ليستعين به فى نفقته . فاتخذ دارا عند اصطبل[٤] الملك ولازم بيته . ولم يكن له شغل غير الأكل والشرب . وكان هذا البيت تحت قصر الملك أردوان . وكان له فى القصر جارية تسمى الجلنار . وكانت خازنته ودستوره . فأشرفت يوما على أردشير فعشقته . ولما أمست أخذت حبلا وعقدت فيه عقدا وربطته فى بعض شرفات القصر ونزلت منه الى منزل أردشير فصادفته وهو فى غمار النوم ممتلئا من الأسف والهم، فرفعت رأسه ووضعته فى حجرها . فلما استيقظ ضمته الى صدرها وألصقت خده بخدّها . ثم شغف كل واحد منهما بصاحبه . وجعلت تختلف هكذا الى أردشير .

ثم اتفق موت بابك باصطخر . وامتدّت أطماع الأكابر الى ملك فارس . فعين أردوان لذلك ولده الأكبر، ونفذه اليها . فلما بلغ ذلك أردشير أظلمت الدنيا فى عينه ، وعزم على أن يهرب من عند أردوان . فاتفق أن الملك أحضر جميع من كان عنده من المنجمين ونفذهم الى قصر الجلنار لينظروا فى طالع الملك، ويفتشوا عن أسرار الفلك فى ملكه وفيمن يتولى بعده[٥] . فقعدوا ثلاثة أيام يطالعون الزيجات ويبحثون عن قضايا النجوم . ولما كان اليوم الرابع حضروا عند أردوان وقالوا :

---

(١) كلمة "له" من طا ، كو . (٢) طا : هذا الكتاب (٣) طا : فلما دخل على .

(٤) طا : عند خيل الملك ، (٥) طا : من بعده .

إنه سينتزع خاطر الملك فى هذا القرب ، ويهرب صغير من كبير، ويكون الهارب من المتمين الى عرق كريم فيصير ملك الأرض وصاحب التاج والتخت . فعظم ذلك على أردوان وامتلأ همـا وحزنا . ولما كان الليل نزلت الجارية الى أردشير وأخبرته بما سمعت من قول المنجمين . فصمم عند ذلك عزمه على الفرار، وعرض ذلك على الجارية فوافقته عليه . فرجعت وأخذت من خزانة الملك ما احتاجت اليه من الجواهر النفيسة، وأخذت قدرا من الذهب . ولما كانت الليلة الثانية نزلت الى أردشير فأسرج فرسين أشهب وأدهم فركب هو أحدهما وركبت الجارية الآخر . فطار بهما الركض .

ولما أصبح أردوان ووقف على الحال توقد مثل النار من[1] فعل الجلنار . وأحضر الوزير والمدبر والمشير وفاوضهم فى أمر أردشير . فركب فى جماعة من فرسانه وأطلق من عنانه، وطار فى أثره مسرعا حتى انتهى الى مدينة . فاستقبله أهلها فسايلهم عن الهاربين فقيل له : قد عبر علينا وقت المغرب فارسان[2]: أحدهما على فرس أدهم، والآخر على فرس أشهب . وفى أثر أحد الفارسين أيّل يجرى كالريح المرسلة (١) . فقال له الوزير عند ذلك : الرأى أن تثنى عنانك فتستعد لقتال أردشير . فانه قد فاتك والسعادة تجرى فى أثره . فرجع أردوان وكتب الى ولده الذى أرسله الى اصطخر ، وكان يسمى بهمن، وأعلمه بالحال، وأمره بالتيقظ وألا يطلع أحدا على ذلك الأمر . وأما أردشير فانه مر حتى انتهى الى ساحل البحر فأمن عند ذلك من الطلب . وبث الزواريق الى أطراف فارس ، فانضوى اليه كل من كان من أصحاب جده بابك حتى كثف سواده وكثر جنده وهو عند ذلك البحر . فقال له بعض الموابذة : إن كنت تريد الملك فالرأى أن تستولى على ممالك فارس ثم تقصد الرى وتقاتل أردوان . فانه أعظم ملوك الطوائف قدرا ، وأعلاهم أمرا، وأكثرهم جنودا وكنوزا . فاذا قهرته وملكت خزائنه لم يبق أحد يقاومك فى جميع الممالك . فاستصوب أردشير رأى الموبذ، وركب فى أصحابه وصار نحو اصطخر . فلما علم بهمن بن أردوان بإقباله ركب فى عساكره، وتأهب لقتاله . وكان فى جملته بهلوان كبير يسمى بناك[3] وهو صاحب مدينة جهرم، وله سبع بنين، وكان صاحب شوكة وقوة . فانحاز الى أردشير وانضم الى جملته بجميع أصحابه وعساكره . فأكرمه أردشير وقبله أتم قبول غير أنه توهم أنه إنما[4] انحاز اليه لاحتيال واغتيال فأوجس منه خيفة فى نفسه . فكان يحترز منه

(١٤٣)

(١) فى الشاه : جناحه كجناح العقاب، وذنبه كذنب الطاووس . وكالحصان القوى فى رأسه وأذنه وحافره، لونه أحمر، يعدو كالريح العاصف .

(١) طا : من صنيع . (٢) كو : فارسان يغذان السير . (٣) هو فى الشاه : تباك .
(٤) صل : لما . والتصحيح من طا، كو .

ولا يسترسل اليه . فأحس البهلوان المحنك بما هجس فى ضمير أردشير فأخذ كتاب الزند، ودخل عليه وحلف له أنه لم يضمر له سوءا، ولم يبطن له مكروها، وأنه لم يحمله على قصده إلا خلوص الطوية ومحض المحبة . فلما علم منه ذلك استنام اليه، وعوّل فى جميع أموره عليه، واتخذه أبا شفيقا وناصحا أمينا . فسار فى جموعه حتى قرب من بهمن فالتقوا ودارت بينهم رحى الحرب، وجرت وقعة عظيمة انكشفت عن هزيمة بهمن . فهرب فى خف من عدده، ونجا بجُرَيعة الذقن . فصار أردشير الى اصطخر، وملكها وملك بملكها فارس. فاجتمع اليه أهل تلك الممالك فدلوه على خبايا بهمن وذخائره فاستولى عليها وفرقها على عساكره .

ولما انتهى الخبر بذلك الى أردوان ضاقت عليه الأرض بما رحبت . فحشد الجموع وجند الجنود وسار من الرى قاصدا قصد اصطخر . فتلقاه أردشير، واتصلت الحرب بينهما أربعين يوما متوالية . ثم تبدت مبادى الدبرة على أصحاب أردوان، وعصفت فى وجوههم ريح كادت منها الجبال تمور مورا، فأصبح ماء أردوان غورا . واستأمن جميع أصحابه الى أردشير . وحُمل أردوان اليه أسيرا فأمر به فوسط بالسيف فى ذلك المعترك . وأسر من بنيه اثنين، وفر آخران الى بلاد الهند . فاستعلى أمر أردشير، وحصل من عساكر أردوان على نعم وافرة وأثقال كثيرة ، ففرقها على جيوشه . وأتاه بياك وقال له : الرأى أن تتزوج بابنة أردوان حتى تدلك على كنوزه ودفائنه، ويكون ذلك سببا لكمال السلطنة لك . فاستصوب رأيه وسار الى الرى وتزوج بها، وأقام فى إيوانها شهرين . ثم انصرف الى اصطخر فبنى بها مدينة تسمى أردشير خرّه، وأجرى اليها الأودية والأنهار، وعمر حوالى المدينة رستاقا أجرى اليها الأنهار أيضا . وأنشأ بها بيوت نار، ووكل بها الهرابذة والموابذة .

ثم إنه عزم على قتال الأكراد (أ) ، وكانوا يعيشون فى أطراف البلاد، فاجتمع منهم عساكر عظيمة (١) بحيث كان بازاء كل فارس فارسى ثلثون منهم . فالتقوا وجرت بينهم وقعة عظيمة، وكثر القتل فى أصحاب أردشير . فعلم أنه لا يطيق مقاومتهم فاتخذ الليل جملا وانهزم . فرأى فى ظلمة الليل نارا من بعيد فقصدها . فلما أتاها صادف جماعة من الرعاة وقد نال منه العطش . فاستسقاهم فأتوه بماء وحليب ونزل عندهم. فلما أصبح سألهم عن الطريق فدلوه على ضياع وقرى متصلة على أربعة فراسخ من مكانه ذلك . فجاء اليها ونزل فيها ونفذ جماعة الى مدينته المسماة أردشير خرّه . فأقبل اليه العساكر

(أ) يظهر أن الحرب كانت مع الميد لا الكرد، ففى كارنامك أردشير أن اسم ملك الكرد "ماديك" . ومعنى هذه الكلمة "ميد" وهذا يوافق روايات الفرس التى تجعل حاضرة أردوان فى ميديا . (ورنج ٦ ص ٢٠٣) .

(١) طا : كثيرة .

ففرق الجواسيس ليأتوه بخبر حلل الأكراد ومنازلهم . فجاءته الأخبار بأنهـم نازلون فى بيوتهم وأنهم مسترسلون غير متحفظين ولا محتفلين بأردشير . و بلغه أنهم يزعمون أنها دولة عرضت فاعرضت ، وأيام قضت بالسعادة ثم انقضت . فانتهز أردشير الفرصة، واهتبل غرتهم، وسر بمـا أتاه عنهم ، وانتخب من أصحابه ثلاثين ألف فارس وسار اليهم فكبسهم ووطئهم وطأة قهـر، فانقسموا قسمين ما بين قتل وأسر، واستباح جميع حللهم . فخلص العالم من عبثهم، وسلم الناس من عاديتهم، وأمنت الجواد والطرق، وتردّدت السابلة والرفق، وصارت كما قال أبو الطيب :

تُذم على اللصوص لكل تجر   وتضمن للصوارم كل جان

اذا طلبت ودائعُهـم ثقات   دفعن الى المحـانى والرعان

فباتت فوقهن بلا صحـاب   تصيح بمن يمر : ألا ترانى؟

ثم إنه انصرف إلى اصطخر فأمر أصحابه بالإراحة والاستراحة، والتزود من الراحة ليوم شـدّة وعناء، والاستظهار لمـا سوف يعرض من يوم كريهة ولقاء .

ذكر الخبر عن دودة هفتواذ §

قال صاحب الكتاب : كان فى بلاد فارس مدينة تسمى كُجاران (ا) على ساحل البحر . وكانت كثيرة الخلق ضـيقة الساحة . من عادة بنات أهلها أنهن يوافين باب المدينـة كل صبيحة ، فاذا اجتمعن توجهن نحو سفح جبل هناك قريب، ومعهن مغازلهن . فيقبلن على الغزل ثم ينصرفن بالعشى إلى مساكنهن . وكان فى هذه المدينة رجل يسمى هفتواذ . وإنمـا سمى بذلك لأنه كان له سبعة (٤٤)

§ يرى مول أن هذه القصة ذكرى مبهمة من جلب دود القز إلى إيران، وازدهار صناعة الحرير والثراء الذى تيسر للناس منها[1] . و يرى درمستتر ونُلدكه أنها شعبة من أساطير التنين عند الأمم الهندية — الأوربية . ويروى درمستتر قصة اسكندناوية تشبه هذه القصة بعض الشبه :

أعطى الكونت هرّدر ابنتـه الجميلة تورا[2] ثعبانا وجده فى بيضـة نسر . وأعجبت تورا بالثعبان فاتخذت له مهادا من الذهب فى صندوق . ويكبر الثعبان فيكبر الذهب معه حتى يضيق به الصندوق وسكن الصبية . وشرس الثعبان فلم يجرؤ على الدنو منـه أحد إلا الرجل الذى كان يطعمه . وكان طعامه ثورا كاملا كل يوم . =

(ا) هى فى نسخة ورتر : بكاران . وفى الطبرى : كوجران .

(١) مول (Mohl) حـ ٥ ص ١٧ . (٢) (ThoraH ، Herrandr) .

بنين . وكانت له بنت تخرج كل يوم مع البنات إلى الجبل المذكور . فحضرت المكان يوما فسقطت من بعض الأشجار التى كانت هناك فى حجرها تفـاحة . فعضتها فوجدت فى وسطها دودة فأخذتها ووضعتها فى وعاء[1] برسم المغزل من الخلنج، وقالت : سأغزل اليوم على سعادة هذه الدودة . فغزلت شيئا كثيرا من القطن فوق المعهود منها، وغلبت أترابها . ولم يزل ذلك دأبها حتى استغنت بكثرة غزلها . وكانت تطعم الدودة كل يوم قطعة تفاح . فقالت لها أمها يوما : كان الجن معك حتى تهيأ لك هذا الغزل الكثير . فأخبرتها بحال الدودة، وعلم بذلك أبوها أيضا . فتيمنوا بالدودة وجعلوا يعتنون بأمرها ويربونها حتى كبرت وضاق عليها وعاء المغزل . فعملوا لهـا صندوقا ووضعوها فيـه . وظهرت آثار بركتها على حال هفتواذ وأولاده فكانوا يزدادون كل يوم ثروة ونماء وترفعا واعتلاء حتى استظهر بكثر[2] غمر ومال دثر . فطمع أمير تلك المدينـة فى ذات يده واغتصابه كل أمواله . فاجتمع أهل المدينة مع هفتواذ، وخرجوا على الأمير وتصـدّوا لقتاله . فوقعت بينهم وقعة عظيمة أفضت إلى قتل الأمير . واستبد هفتواذ بذخائره وأمواله . وخرج من تلك المدينة، وبنى على رأس بعض جبالها قلعة حصينة وتحوّل اليها بخيله ورجله وأهله وولده ودودته . وحصن القلعة حتى عمل لهـا سورا من حديد . ثم إن الصندوق ضاق على الدودة فحفروا لهـا فى الصخر حوضا فى القلعة، ووضعوها فيه، ووكلوا بها خدما ومستحفظين . وكانوا يطعمونها كل يوم قدرا من الأرز، ويغذونها بالشهد واللبن حتى أتت

= وعد الكونت أن يعطى ابنته والذهب من يقتل التنين . فانتدب لهذا غلام فى الخامسة عشرة اسمه ركنر، وقتله وتزوج تورا[3] .

وفى الطبرى[4] أن أردشـير حارب ملكا اسمه بلاش فى كرمان فأسره واسـتولى على مدينته . وأنه « كان فى سواحل بحر فارس ملك يقال له أبتنبود كان يعظم ويعبد فسار اليه أردشـير فقتله وقطعه بسيفه نصفين وقتل من كان حوله، واستخرج من مطامير كانت لهم كنوزا مجموعة فيها » . فإن فرضنا أن أحد الملوك الذين حاربهم أردشير فى هذه النواحى كان يربى دود القز ويصنع الحرير فليس بعيدا أن يكون لأسطورتنا هـذه منشأ من الحقيقة . ويرى نُلدكه أن استواد (ذكر هـذا الاسم فى بعض النسخ مكان أبتنبود) تحريف اسم فهلوى هو أصل "هفتواد" الذى فى الشاهنامه .

ثم فى كارنامك "هفتان بُخت" بدل "هفتواد". وقد يحرف الثانى عن الأوّل فى الخط الفهلوى . فتفسير الفردوسى "هفتواد" بسبعة أولاد ليس بعيدا من الصواب . لأن «هفتان بخت» يحتما .

(١) كو، طا : فى وعاء كان سهما برسم . (٢) مل : بمال غمر . والتصحيح من طا . وفى كو : بكثير غمر .
(٣) ورنر (Warner) حـ ٦ ص ٢٠٣ (٤) طبرى حـ ٢ ص ٥٧

عليها خمس سنين فصارت من الكبر والضخامة كالفيل . واستفاض خبرها بين الناس فسميت تلك الناحية كرمان(١) (ا) .

قال : واجتمع لهفتواذ جيش عظيم حتى كان بنوه السبعة يركبون فى عشرة آلاف فارس . وكانوا مظفرين على جميع من ينهض لقتالهم من الملوك . فلما وقف أردشير على حال هفتواذ، وأنه لا يفكر فى بيت كيقباذ نفذ اليه بعض الإصبهبذين فى عسكر عظيم كثيف . فكسرهم هفتواذ كسرا، وأوسعهم قتلا وأسرا . فعاد من سلم من الوقعة الى أردشير فأعلمه بما جرى على أصحابه . فالتهب غيظا وسار فى عساكره قاصدا قصد هفتواذ . فلما دنا بعضهم من بعض كادت الأرض تمور من كثرة العساكر فقامت الحرب بينهم على ساق، وجرت بينهم وقعة عظيمة . ولما أمسى أردشير تأخر ونزل . ثم إن هفتواذ أخذ عليه الطرق من جميع جوانبه، وضاق على عسكره الطعام حتى جهدوا . و بلغ أردشير أن صاحب جهرم المسمى مِهرك (ب) هجم على مدينته المستحدثة التى تسمى أردشير خُرّه فنهبها واستولى على ذخائره وخزائنه بها . فضاق أردشير بذلك ذرعا، واستحضر أصحابه وشاورهم فى حاله، وفاوضهم فيما دهاه من مهرك . ثم أمر بمد السماط فوضع بين يدى أردشير حمل مشوى . فلما اشتغل الحاضرون بالأكل جاءت نشابة حتى وقعت فى الحَمَل الذى بين يدى أردشير . فاستعظموا ذلك وكفوا أيديهم عن الطعام . فقام بعضهم ونزع النشابة من الحمل فوجدوا عليها كتابة فهلوية فقرئت فاذا فيها ذكر أن النشابة رمى بها من القلعة، ولو أراد راميها أن يصيب بها أردشير لتيسر له . وفى الكتابة : اعلم أيها الملك العالم ! أن ثبات هذه القلعة من سعادة الدودة . ولا ينبغى لشهريار مثلك أن يكون من قتلاها . قال : وكان ما بين القلعة ومنزل أردشير مسافة فرسخين . ففرح أردشير(٢) وحمد الله تعالى وشكر مرسل تلك النشابة . فارتحل راجعا الى فارس فأتبعه عسكر هفتواذ، وقتلوا من أصحابه خلقا كثيرا، وتفرق الباقون آخذين نحو بلادهم . ووقع أردشير فى جماعة من خواصه الى قرية فصادف رجلين من أهل تلك القرية فقال لهما : فى أى طريق أخذ أردشير؟ وكيف عبر؟ وقصد بذلك التعمية عليهما . واسترشدهما عن الطريق فأرشداه اليه، ودعواه الى ضيافتهما . فنزل أردشير ودخل الى منزلهما فقدما اليه طعاما، وطفقا يحدثانه و يلاطفانه و يهونان عليه أمر هفتواذ، وأنه سوف يخمد جمره وتركد ريحه . فعلق كلامهما بقلبه واستحسنه فأخبرهما بنفسه . فوثبا وقبلا الأرض بين يديه . فخاضوا فى حديث هفتواذ واستيلائه على ذلك الطرف واستظهاره بالمدد والعُدد، فقالا :

(ا) كِرم بالفارسية : الدودة . والجمع كرمان .

(ب) هو فى كرامك : مترك . وفى الطبرى أنه كان ابرساس ، من أردشير خرّة .

(١) كوه وطا : كرمان من أجل تلك الدودة . (٢) طا : ففرح أردشير بالسلامة وحمد .

أيها الملك ! إن الدودة التى استعلى بها أمر هفتواذ شيطان لا يقاومه أحد، ولا يمكن الظفر بها إلا بالحيلة. فليفكر الملك فى ذلك . فركب الملك من تلك الضيعة وتوجه نحو أردشير خُرَّه، واستصحب الرجلين .

فلما وصل اليها جمع عسكره، وأطلق أرزاقهم، وركب وسار نحو مدينة جهرم قاصدا قصد مِهرك الغادر . فلم يقدر على الثبات بين يديه فهرب . فنزل أردشير فى جهرم وأرسل وراءه الطلبة حتى ظفر به فقتله وقتل جميع من كان ينتسب اليه من أولاده وأقاربه، ولم يهرب منهم سوى بنت له، فإنها نجت ولم يظفر بها .

ثم إنه سار من ذلك المكان فى اثنى عشر ألف فارس حتى نزل على منزل من قلعة هفتواذ . وسلم العسكر الى بعض أمرائه وأوصاه بحفظهم وبأن يبث الطلائع ويفرق الجواسيس . وقال : إنى أريد أن أحتال حيلة لقتل هذه الدودة اقتداء بجدّى إسفنديار فى قتل أرجاسب — على ما سبق — فاذا أخبرك الديدبان بأنه شاهد بالنهار من القلعة دخانا وبالليل نارا فانهض فى العسكر حتى تنتهى الى باب القلعة . ثم استحضر دواب وأوقرها بالثياب والجواهر والذهب والفضة، وحمل قدرا كبيرة من الحديد مع جملة من الرصاص والنحاس ، واستصحب طائفة من ثقاته وفيهم الفلاحان اللذان أضافاه . ولبسوا ملابس الصوف، وتوجهوا نحو القلعة فى زى التجار . فصعد اليها بأحماله ورجاله . وتيسر له النزول عند حرس الدودة ومستحفظيها . وقال : إنى تاجر خراسانى قد أتيت بجملة من القماش والذهب والفضة والجوهر لأبيع وأبتاع فى مدينتكم هذه على سعادة الدودة . ثم قال لهم : إنى أريد أن أفتح البيع والشرى بضيافتكم ، فكونوا أضيافى ثلاثة أيام . ففعل ذلك وأضافهم . وقال لهم : دعونى أتبرك بخدمة الدودة وإطعامها . قال : فأطعمهم يوما وسقاهم حتى سكروا وغمرهم السكر أجمعين . فنصب قدر الحديد وأذاب فيها ما كان معه من الرصاص والنحاس، وقدّمها الى حوض الدودة على مثل عادتهم فى تقديم قدر الأرز اذا أرادوا إطعامها . ففغرت فاها فأفرغ ما فى القدر فى حلقها فانشق حلقومها، وسمع منه صوت عظيم ارتج منه الجبل . وبادر الى السكارى فى أصحابه بالسيوف فقتلوهم عن آخرهم .

(١٤٥)

وكان الديدبان قد شاهد ارتفاع الدخان بالنهار حين أوقد نار الضيافة فأخبر سالار عسكره فركب وسار بهم الى القلعة (١) . فوافق وصولهم اليها طلوع الصبح . فلما علم هفتواذ بمجىء العسكر بادر الى باب القلعة فرأى أردشير عليه كأسد هصور فأحس بالشر . ونزل أردشير وانضم الى أصحابه ، وتناوشوا الحرب ساعة فأسروا هفتواذ وولده الأكبر سابور . فأمر بهما فصلبا ورشقا بالسهام . واستولى على القلعة وذخائرها ودفائنها فاصطفى البعض لنفسه وفرّق الباقى على عساكره . ثم سلم ذلك الاقليم الى الفلاحين المذكورين، وعاد الى بلاد فارس . ثم ارتحل وسار منها الى شهر زور ومنها الى مدينة طيسفون وقعد مقعد السلطنة .

---

(١) لم يذكر الأمارة الثانية وهى رؤية النار ليلا، كما تقدم فى قصة إسفنديار .

القسم الرابع

الساسانيون

§ ٢١ — ذكر نوبة أردشير بابكان، وكانت مدّة ملكه اثنتين وأربعين سنة (أ)

وهو الذى يقال له أردشير بن بابك . وهو أردشير بن ساسان . وبابك جدّه لأمه — كما سبق .

قال : فجاء أردشير بن ساسان إلى بغداد(ب) . واعتصب بالتاج وجلس على تخت العاج محييا معالم الملوك الماضين، وسادا مسد آبائه الأولين ، كأنه كُشتاسب روعة وبهاء ورفعة وسناء . وتلقب بشاهنشاه .

ومما جرى له أن بهمن بن أردوان الذى هرب عند مقتل أبيه[1] دس إلى أخته (ج) التى كانت تحت أردشير قطعة سم على يد بعض ثقاته وأمره أن يقول لها : لا تشفقى على عدوك وقاتل أبيك، ولا تقطعى حنوك على أخيك[2] ، وإذا أمكنتك الفرصة فى زوجك فانتهزيها وأطعميه من هذه المُهلاهل . فلما أتاها الرسول برسالة أخيها تحرّقت عليه وعلى سائر إخوتها الذين قسمتهم يد الأسر

---

§ القسم الرابع — الساسانيون

٢٢٦ — ٦٥٢م

هذا القسم من الشاهنامه يعدّ تاريخا وإن ضمن كثيرا من الأساطير . فكل الملوك المذكورين فيه يعرفهم التاريخ على النسق الذى فى الكتاب، ويعرف كثيرا من مآثرهم وأخبارهم المسطورة فيه . ولكن فى الكتاب أساطير ينكرها التاريخ، وفيه أغلاط فى سنى الملوك، وفى نسبة الوقائع إلى أصحابها.

وتاريخ الساسانيين معروف، وفى الكتب العربية كثير من أنبائهم وأقوالهم وآدابهم ورسائلهم وأساطيرهم . فلست أجد هنا حاجة إلى البيان الذى لم أجد منه بدا فى الفصول السابقة .

وحسبى أن أقول هنا : إنها دولة دامت أربعة قرون، وامتدّ سلطانها على إيران وما صاقبها، وساجلت الرومان الحرب نزاعا على الجزيرة وسورية عصورا متطاولة ، وإن لها أثرا فى الحضارة لا ينكر ولا سيما وصلها حضارة المشرق القصى بحضارة الساميين والأوربيين ، وإنها جمعت الفرس تحت سلطان واحد بعد أن فرقتهم الحادثات أكثر من خمسمائة عام — منذ غلب الاسكندر المقدونى =

(أ) الصواب أن حكم أردشير كان من ٢٢٦ إلى ٢٤١ م . ويروى الطبرى أنه حكم ١٤ سنة أو ١٤ سنة وعشرة أشهر.

(ب) كان فى العصر البابلى مدينة فى العراق تعرف بهذا الاسم . وقد عرف أيام الفتح الاسلامى اسم سوق بغداد قرب المدينة الحالية . والمدينة المقصودة هنا بهرسير (به أردشير) وهى سلوقيا القديمة (Seleucia) .

(ج) اسمها فى كرنامك : زيجانك .

(١) كو : أبيه إلى الهند . (٢) طا : عن أخيك .

والنهب . فأخذت السم الذى أتاها به الرسول . فاتفق أن أردشير ركب يوما إلى الصيد، وعاد وقت الظهر وقد نال منه العطش والجوع. فأخذت جاما من الياقوت الأصفر، وجعلت فيه سويقا وسكرا، ودست فيه شيئا من ذلك السم، وناولته الملك . فلما تناوله وقع من يده وانكسر وتبدد ما فيه . فانزعجت المرأة من ذلك وارتعدت . فنظر الملك فى وجهها فاتهمها وساء ظنه ، واستحضر أربع دجاجات فأرسلها على ذلك السويق . فلما تناولن منه متن للوقت والساعة . فتعجب الملك من تلك الحالة، وجعل يقول : من ربى الكاشح حتى يسكر من النعمة والترف لم ير منه غير الهلاك والتلف . فاستحضر وزيره (أ) وقال له : ما جزاء هذه الغدارة ؟ فقال : أن يقطع رأسها حتى يعتبر بها غيرها . فأمره أن يرميها فى بئر ويطمها عليها . فأقبل الموبذ بها يمضى فيها أمر الملك . فلما خرج بها قالت له : إنى مشتملة على حمل من الملك . وإن أكن مستحقة للقتل فما جرم هذا الجنين ؟ فأمهلنى حتى ألد ثم امتثل ما أمرت به . فعاد الموبذ إلى الملك وأخبره بذلك . فقال له : لا تسمع كلامها وافرغ منها سريعا . فعظم ذلك على الموبذ وقال فى نفسه : إن الملك ليس له ولد، وإنه وإن طال عمره فمصيره إلى الموت، ومهما لم يكن له ابن انتقل ملكه إلى عدوه . فالأولى أن أستعمل الرفق فى أمر هذه المرأة وأستأنى بها حتى تضع حملها ثم أمتثل فيها أمر الملك . فإن ذلك أمر لا يفوتنى . ولأن

= على ديارهم حتى استقل أردشير بأعباء الملك، وإنها بعثت دين زردشت وجمعت بين الملك والدين جمعا له أثر بيّن فى تاريخها، فكان أردشير يرفع قواعد الدولة والدين معا، ودعاته يدعون له باسم الدين والسياسة . ولا تزال رسالة تنسر إلى ملك طبرستان ناطقة بهذا [1] .

ويرى القارئ أن الفردوسى يوجز الكلام فى هذا القسم إذ كان ينظم ما يجد ، ولم تفسح له الأساطير مجال القصص هنا إفساحها فى الأقسام السالفة .

ويمتاز عهد أردشير بما كتب عنه فى كتاب فهلوى يعرف باسم كرنامك أردشير بابكان، أى كتاب أعمال أردشير بن بابك . وقد ذكره المسعودى فى مروج الذهب باسم الكرنامج [2] . ويظهر أنه كتب فى القرن السابع الميلادى . وفيه أربعة أقسام :

(١) قصة نشوء أردشير. (٢) وقصة أردشير والكرد. (٣) وقصة الدودة. (٤) وقصتان عن سابور . وهى تخالف الشاهنامه فى تفصيل بعض الحوادث . =

(أ) اسمه فى الطبرى ابرسام (ج ٢ ص ٥٧) .

(١) انظر تاريخ طبرستان لابن إسفنديار ، والإشراف ص ١٠٠ (٢) ج ١ ص ١٥٤

أتبع العقل خير من أن أتبع الجهل . فحملها الى بيتـه وأخلى لهـا موضعا . وأمر زوجته بخدمتها والقيام بأمرها و إخفاء سرها . ثم إنه تدبر وقال فى نفسه : إن هذا الأمر يطلق فىّ ألسنة الأعداء، ويوقفنى فى مواقف التهـم . والأولى أن أتحرز من ذلك . فانفرد وجب نفسه مستأصـلا أنثييه وصاحبيهما، وذر عليهـا الملح، ووضعها فى حقة وختمها وكتب عليها تاريخ يومه . ثم كوى موضع الجب . فضعف واصفر لونه . وأراد الدخول على الملك فأمر فحمل فى مهـد ، وأقبل حتى دخل على الملك . فلمـا رآه ورأى ما به من الضعف سأله عن حاله . فقال: إنى لمـا أمضيت ما أمرنى به الملك هالنى ذلك وغمرتنى الرقة فضعفت ، وحال لونى . ثم قال : وهذه الحقة وديعتى . فليأمر الملك الخازن بحفظها . فسلمها اليه .

قال : ثم[1] هذه المرأة وضعت ابنا كأنه ملك قاعد على تخته . فأخفاه عن الناس ورباه حتى شب وترعرع وأتت عليه سبع سـنين . فاتفق أنه دخل ذات يوم على الملك فصـادفه واجما مهموما . فقال : أيهـا الملك ! ما هـذا الهم ؟ وهذا أوان نشـاطك وسرورك حين ملكت الأقاليم و بلغت من الملك غاية السؤل . فقال : أيها الناصح ! إن ملك العـالم قد استقام لى، وقد أتى علىّ من العمر إحدى وخمسون سنة ، واشتعل رأسى شيبا وصار مسك عارضى كافورا ، وليس لى ابن يخلفنى و يرثنى الملك . فأنا أتأسف على الملك وأخاف انتقاله بعدى إلى العدوّ، وألا يبقى معى غير الحسرة والتعب . فانتهز الوزير فرصة الكلام وقال : إن وجدت الأمان على روحى أرحت الملك من هذا الهم . فقال : أى شىء يكون أنفع من رأى الحكماء ؟ فأعرب عما فى ضميرك ولا تخف . فقـال : إن لى

= ثم قصة أردشـير فى الشاهنامه ٦٦٠ بيتا فيها العناوين الآتيـة : وما بين الأقواس محذوف من الترجمـة :

(١) جلوس أردشير على العرش . (٢) واقعة أردشير و بنت أردوان . (٣) مولد سابور ابن أردشـير . (٤) لعب أردشير بالكرة ومعرفة أباه إياه . (٥) أردشير يسأل كيدًا الهندى عن طالعه . (٦) تزوّج سابور بنت مهرك ــ مولد أورمزد بن سابور من بنت مهرك . (٧) تدبير أردشـير المملكة . [(٨) نصح الملك أرشير عظماء إيران . (٩) إيصاء أردشـير الناس . (١٠) ثناء خرّاد على أردشير] . (١١) خلع أردشير المملكة على سابور .

وفى نسخة تبريز وترجمة ورنر فصل آخر فى حمد الخالق، والثناء على السلطان محمود .

(١) كو ، طا : ثم إن هذه .

عنـد الخازن أمانة . فأشر إليه بإحضارها . فأحضر الحقة . فسأل الملكُ عما فيها فقال : إن الذى فيها مادة حياتى . و إنى لما أمرتنى بقتل ابنـة أردوان أطعت الله وخالفت أمرك لمكان حملها . فجببت نفسى حتى لا يسوء ظن العدوّ بى، ولا أقع فى بحر الريبة والتهمة . وقد رزقك الله أيها الملك ! ابنـا، وهو الآن ابن سبع سنين، سميته سابور . وأمه بعد باقية تربيه (أ) . فتعجب الملك من ذلك وقال : أيها النـاصح الشفيق ! تحملت عناء عظيما . وستجد ثمرته . فأخرج هذا الصبى إلى الميـدان ما بين مائة غلام يساوونه فى القدّ والسن والزى، ومرهم باللعب بالكرة والصولجان حتى أخرج أنا إلى الميدان وأنظر هل أعرف ولدى من بين هؤلاء الصبيان. ففعل الوزير ذلك . ولمـا دخل أردشير الميـدان ورأى الصبيان يتلاعبون عرف ولده سابور ، وتنفس الصعداء، وأشار إليـه بيده وقال للوزير : هذا ولدى . ثم أمر بعض غلمانه أن يتوسط الصبيان ويلعب معهم ثم يسلب منهم الكرة ويرميها الى ما بين[1] يدى الملك . ففعل الغـلام ذلك ، فلما حصلت الكرة فى موكبه[2] لم يتجاسر أحـد من الصبيان على التقدّم لأخذها سوى سابور . فانه هجم ولم يحجم، وتقـدّم غير مفكر، وأخذ الكرة من بين يدى أردشير وعاد بها إلى أترابه . فتهلل وجه أردشير حتى كأنه عاد إلى عوده ماء الشباب . فبادره الفرسان فأخذوه من الأرض وجاءوا به إلى أردشير . فاعتنقه وضمه إلى صدره، وقبل ما بين عينيه، وعاد به إلى إيوانه . ثم أمر فنثروا عليه من الدرّ والياقوت ما غمر الصبى وعلاه حتى غطى وجهه . وعمل مثل ذلك مع الوزير ، وأكرمه إكراما عظيما حتى بلغ به إلى أن أمر أن ينقش اسمه على إحدى صفحتى الدينار والدرهم واسم الملك على الصفحة الأخرى (ب) . وعفا عن ابنة أردوان وأمر بردّها إلى مكانها . ثم سلم سابور إلى المعلمين فعلموه الآداب الشاهنشاهية والمراسم السلطانية. ثم أمر ببناء مدينة على اسم ولده سابور . وهى التى تسمى جند يسابور .

قال : فكبر سابور وكان لايفارق خدمة أردشير ساعة، وصار له وزيرا ودستورا ومدبرا ومشيرا. وكان هو وأبوه لا يستريحان ساعة من مقاتلة الأعداء والركض إلى أطراف البـلاد فى حسم مادتهم ودفع عاديتهم . وكان كلما دفع عدوّا من جانب ظهر له عدوّ من جانب آخر . فقال أردشير ذات يوم لوزيره : إنى أسأل الله تعالى أن يملكنى الأقاليم ويطهر ساحة الأرض ممن ينـازعنى فى الملك حتى أتفرّغ لعبادته تعالى وتقدّس . فقال له الوزير : أرسل إلى كيد صاحب الهند فانه رجل عالم

(أ) انظر قصة أم سابور فى الأخبار الطوال والطبرى وغيرهما وهى فى كارنامك تخالف ما هنا فى بعض التفصيل .

(ب) التاريخ لا يؤيد هذا . وعلى بعض سكة أردشير صورة بابك وعلى بعضها صورة سابور .

(١) صل : الى بين . والتصحيح من طا . (٢) طا : فى موكب الملك .

يخبر عن الأحوال الكائنة، وسله متى تحصل لك هذه السعادة . فكتب إليه وسأله عن ذلك فأجاب وقال : إذا حصل امتزاج بين نسـل الملك ونسل مِهرَك بن نوش زاذ استراح الملك حينئذ واطمأن فى مستقر الملك ، فينقص تعبـه وعناؤه وتنمو كنوزه وأمواله، ولا يحتاج إلى تجهيز جيش، ويفرغ لكل لهو وعيش . فعظم ذلك على أردشير وقال : لا كان يوم أحتاج فيه إلى مواصلة العدو . ونفذ عند ذلك إلى جهرم فى طلب ابنة مهرك التى هربت . فلم يقدر عليها، والتجأت إلى بعض الضياع واختفت .

ذكر قصة سابور بن أردشير مع ابنة مِهرَك بن نوش زاذ المذكورة

قال : ثم بعد مدة من الزمان اتفق أن ركب أردشير إلى الصيد ، ومعه ولده سابور . فصاروا إلى متصيدهم فأجروا خيولهم فى طلب الصـيد وتفرقوا فى الصحراء . فوقعت عين سابور على ضيعة كثيرة المـاء والشجر ، وكان عطشان فيممها . ولمـا انتهى اليهـا رأى بستانا عنـد منزل رئيس الضيعة فدخله يطلب المـاء . فرأى جارية كالقمر ليلة البدر تستق من بئر هناك . فلما رأت وجه ابن الملك جاءته لتستق له ماء باردا . فمنعها فانصرفت وجلست على حافة نهـر هناك . فأمر سابور بعض غلمـانه أن يترع له ذنوبا فوجدها غربا فلم يقـدر . فجاءت الجـارية ونزعت له ذنوبا أو ذنوبين . فتعجب سابور من قوتها وبهت من حسنها[1] فسألها عن أصلها فقالت : إن أعطيتنى الأمان أعلمتك بذلك . فأعطاها الأمان فأخبرته بأنها ابنة مهرك (١) طلبـة الملك أردشير . وذكرت أنها من خوفها منه وقعت الى تلك الضـيعة . فأمنها سابور ، وخطبها الى زعيم الضيعة فزوجها منه . ثم إن الجارية حملت من سابور فوضعت ابنا كأنه إسفنديار قدا وشكلا فسماه أورمُزد . فشب ونما ولمـا بلغ سبع سنين صار كأنه ليس له نظير فى العالم. وكانوا يكتمونه ولا يخلونه أن يخرج من البيت. فاتفق أن أردشير خرج الى الصيد ذات يوم ومعه ولده سابور. فانسل الصبي وخرج الى الميدان وأخذ يلعب بالكرة مع الصبيان . فاتفق أن أردشير انصرف من طريقه لحاجة فدخل الميدان، والصبيان غائصون فى غمرة اللعب، فوقعت الكرة إلى قريب منـه فلم يتجاسر الصبيان على التقدم لأخذها سوى أورمزد . فانه تقدم واستلب الكرة من بين يدى جده غير محتفل بخيله ورجله، وصاح فى أثر الكرة . فتعجب الملك وسأل عن اسم الصبي . فسكتوا من حيث لم يكن فيهم أحد يعرفه فأمر بأن يحمل إليه فسأله عن أبيه فقال بصوت رفيـع : أنا ابن ولدك سابور بالنسب الصحيح ، من بنت مهرك . فتعجب أردشير

(١) فى تاريخ حمزة أن اسمها كردزاد (الكردية) انظر ص ٣٥

(1) طا ، كو : لحسنها .

وضحك، واستحضر سابور فسايله وضحك إليه . فاعترف بأنه ولده، وأخبره بقصته مع أمه . فاستبشر الملك وامتلأ سرورا . وعاد به إلى إيوانه وأمر فنثروا عليه الجوهر حتى انغمر الصبي فيه . ثم تناول الملك بيـده واستخرجه من وسط النثار . وفرق أموالا كثيرة على الفقراء، وزين إيوان بيت النار بالديباج وألوان الثياب . وجلس مع أركان دولته وخواص حضرته فى مجلس الأنس وقال: إن العاقل لا ينبغى له أن يعـدل عن قول عالم الهند . فإنه أخبر أنه لا يستقر تحت سلطتنا، ولا تستمر سعادة أيامنا، ولا تنتظم أحوال ملكنا ولا تتم مصالح دولتنا إلا حين يختلط نسبنا بنسب مهرك . وقد صح الآن ذلك . فإنه منذ ثمـان سنين، من حيث ولد أورمزد، لم يدر علينا الفلك إلا بمـا نريد . وقد استتب لنا ملك الأقاليم السبعة، وأدركنا قصارى البغية ونهاية المنية .

ذكر نبذ من سير أردشير

حكى أن أردشير جد واجتهد، فأسس مبانى العدل ومهد، ورفع قواعد السياسة وشيد . قال : فاسمع[1] الآن ما نورد من سـيره ومستحسن تدبيره ونتاج رأيه وعقله : فمن ذلك أنه أحب أن تتكاثر جنوده وتتضاعف جيوشه فتنفذ إلى أطراف بلاده وأقطار ممالكه، وألزم كل من رزق ابنا أن يعلمه آداب الفروسية ومراسمها . حتى اذا استكمل أسباب ذلك وأحكمها واسـتوفى أقسامها واستوعبها صار إلى باب الملك فكتب العارض فى جريدة الجيش اسمه ويعطيه من المعيشـة رسمه، فاذا عرض حرب أو حدث خطب سار تحت راية بهلوان الجيش. ووكل على كل ألف منهم موبذا خبيرا بالأمور عارفا بأحوال الجمهور، وجعله عليهم كالرقيب يخبره بما يرى من غنائهم، ويطلعه على شجاعهم وجبانهم. فيأمر الملك حينئذ بإكرام الشجاع وإثباته فى ديوان الجيش، وبإسقاط الجبان وتعريضه لمـا يتأتى منه من الحرف والأشغال . ولم يزل ذلك دأبه حتى جمع جنودا كاد يغص بهم فضاء الأرض ولا يسعهم نطاق العدو والحصر . ومن سيرته أنه كان لا يستخدم فى ديوانه جاهلا ولا يستعمل فيه إلا من كان عالمـا. وكان ذا عناية بمن يكون حسن الخط فصيح القلم بارعا فى البلاغة. فمن كان حظه من الأدب والفضـل أوفر كان بنيل أفضاله أحرى وأجدر . وكان يعظم الكتبة ويكرمهم ويقول : إنهم خزنة سرى، وأنسباء روحى . وكان إذا أنفذ منهم واحدا الى طرف من أطراف المملكة أوصاه وقال: لا تبع جواهر الرجال بأعراض الأموال، ولا يكن لك مطلوب سوى الصلاح والسداد، وتجنب عن مظان الحرص والفساد، ولا تستصحب من أولادك وأقاربك أحدا، وحسبك بمن نضم اليك عونا وملتحدا، واجعل عليك للفقراء كل شهر راتبا لا تخل به . ومن يحسدك فاحرمه معروفك ولا تعتن بأمره .

(١) طا، كو : فاستمع الآن الى .

ومن سيرته أنه كان اذا حضر بابه متظلم أو ذو حاجة من طرف من الأطراف بادره جماعة من ثقاته قد رتبهم لذلك فسايلوه عن ولاة ناحيته وعمالها ، واستخبروه عن حالهم فى العدل والظلم . فمن وقف من حاله على كسر جبر، ومن عثر منه من أولئك على خلل غيّر .

ومن سيرته أنه كان اذا أراد أن ينفذ عسكرا الى عدوّ يختار رجلا عاقلا كاتبا عالما حافظا لأسرار المُلك فيرسله الى ذلك العدو برسالة تشتمل على إعذار و إنذار حتى لا يأتيه على غرة . فإن أجاب المرسل إليه وسمع وأطاع ولم يؤثر الاقتحام على الشر ولا مباشرة الحرب أكرمه بخلعه ومبازه، وأعطاه المنشور على ممالكه ودياره . و إن كان غير ذلك أعطى عسكره الأرزاق وأطلق لهم العطايا والصلات وجهزهم اليه تحت راية بهلوان عاقل موصوف بالسكون والتؤدة راغب فى حسن الأحدوثة، ونفّذ معه كاتبا معروفا ذا غنى وغناء وسنا وسناء ، يكون ضابطا للجيش حافظا لهم من النزق والطيش ، كافا إياهم عن الظلم والغشم . ثم يأمر مناديا فيركب ظهر فيل وينادى فى العسكر بصوت جهير و يقول : يا وجوه العسكر ! لا تحاملوا على أحد ، وأحسنوا الى الرعية ، ولا تمدّوا أيديكم الى ما فى أيدى غيركم . واعلموا أن كل من أحجم منكم فى القتال عن عدوّه لا يرى الخير من بعد ؛ فاما أن يلق فى القيد والحبس و إما أن ينقل الى الناووس والرمس . ثم يوصى مقدّم الجيش و يقول : لا تكن فى أمرك متوانيا ولا نزقا و لا بادئا بالقتال . واذا عبيت الصفوف فلا تجعل الفيلة إلا أمام الكل . وفرّق الطلائع الى أربعة أميال . واذا قامت الحرب فطف بنفسك على العسكر ، وصغّر أمر العدوّ فى أعينهم ، وقوّ قلوبهم وعدهم بمواطفنا ومبازنا ، ومنّهم بأعطيتنا وصلاتنا . واحفظ قلب العسكر عند اللقاء واثبت مكانك . و إياك أن يخرج منهم أحد و إن كثر العسكر وكثف الجمع . واجهد أن تحمل ميمنتك على ميسرة العدوّ فيفرغوا وسعهم و يبذلوا جهدهم ، ثم تحمل ميسرتك على ميمنتهم بقلوب متحدة وقوى متعاضدة ، ولا يزايل قلب العسكر مكانه و يكون شبه البنيان المرصوص لا يتحرك منهم أحد إلا أن يتحرك قلب العدو . فحينئذ تزحف بقلبك اليهم . واذا رزقت الظفر وانهزم العدو فلا تسفك الدماء . ومن استأمنك منهم فأعطه الأمان . واذا ولاك العدوّ ظهره فلا تمكن عسكرك من النهب والغارة . ولا تأمن أن يخرج العدوّ عليك من المكمن . ثم اجمع، بعد أن تأمن العدوّ، المغانم واقسمها على من باشر الحرب بنفسه ، وعرض للهلاك مهجته . ثم من حصل فى يدك أسيرا فجهزهم الىّ حتى أبتنى لهم مدينة وأسكنهم إياها . واحفظ هذه الوصية ، ولا تعدل عن مقتضاها حتى تسلم وتغنم .

ومن سيرته الموصوفة سيرته فى ترتيب الرسل الواردة عليه من الأطراف : فكان الرسول اذا وصل الي طرف بلاده رتبت له الأنزال منزلا منزلا الي أن يصل الى الحضرة، بعد تقدّم إنهاء أمره

اليها قبل . ويأمر باستقباله ويجلس على تخت الفيروزج فى إيوانه، ويصطف الملوك والرؤساء على رأسه سماطين، فى الملابس المنسوجة بالذهب . فاذا وصل الى الباب أمر بإدخاله عليه . فاذا حضر أجلسه عند تحته فسايله عن سره وجهره وخيره وشره . ثم يحضره فى مجلس أنسه ، ويخرج به الى متصيده، وهو راكب فى العدد الدهم من عسكره . ثم يجاوب عما صحبه من الرسالة، ويأمر أن يخلع عليه، ويتقدم الى الرسول دار(١) بحمل ذلك اليه وصرفه .

ومن سيرته أنه فرق جماعة من الموابذة فى أقطار المملكة وأمرهم بأن يبحثوا عن أحوال الرعية فى السر . فاذا عثروا منهم على غنيّ قوم غاضت جمة ماله ، وصاحب ثروة تغير وجه حاله أنهوا ذلك الى الملك لجبر كسره ولمّ شعثه بحيث لا يرتفع ستر الحشمة عن وجهه، ولا يطلع أحد من أهل بلده على سره . فلم يبق فى دولته ذو خلة إلا من طوى حاله فى تضاعيف الكتمان ورضى لنفسه بالحرمان .

ومن سيرته أنه كان يفرق ثقاته فى أقطار ممالكه حتى إن رأوا ضيعة منشعثة أمر بإسقاط خراجها والنظر فى حال أهلها ، وإن رأوا دهقانا يتقاعد حاله عن الإنفاق على عمارة ضياعه عاونه بالمال والدواب ليرتاش وينتعش . ومن سيرته أنه كان يحضر الميدان صبيحة كل يوم فترفع اليه قصص المظالم فينتصر من المظلوم للظالم .

قال صاحب الكتاب مخاطبا لمحمود أو غيره : فالآن أيها الشهريار ! إن كنت تريد انتظام أحوالك فانسج على هذا المنوال، ولا تؤثر غير راحة الرعية لتكون مشكورا عند البارى والبرية .

(١٤٤٨) قال : ثم إن أردشير مرض بعد أن أتت عليه ثمان وسبعون سنة. فاستحضر ولده سابور وعهد اليه§ وأوصاه وصية قال فى آخرها: وإنى ملكت اثنتين وأربعين سنة، وبنيت ست مدائن كالجنان

§ عهد أردشير الى سابور طويل نظمه الفردوسى فى ستة عشر ومائة بيت . وقد بالغ المترجم فى اختصاره كما حذف قبل هذا فصلا يتضمن نصح أردشير أهل إيران وثناء رجل اسمه خراد على أردشير . وأريد أن أعرض على القارئ ما عهد به أردشير الى ابنه فى أمر الدين والدولة ليرى، كما قلت فى مقدمة هذا الفصل، أن أردشير رفع قواعد ملك إيران ودين زردشت معا . يقول أردشير:

"لا يقوم الدين بغير سرير الملك ، ولا يقوم الملك بغير الدين ، وإن العاقل يرى أحدهما محوكا فى الآخر، لا الدين فى غنى عن الملك، ولا الملك محمود بدونه . كلاهما حارس الآخر كأنهما مقيمان فى سرادق واحد . لا يستغنى هذا عن ذاك ولا ذاك عن هذا ، فهما شريكان صالحان . إن رجل الدين اذا أسعده العقل والرأى يظفر بالدنيا والآخرة جميعا . الملك حارس الدين فلا تدع الدين والملك إلا أخوين . ومن اجترأ على ملك عادل فلا تسمه ذادين، ومن يحقد عليه فلا تعده تقيا .

(١) الرسول دار : القائم بأمر الرسل .

المزخرفة . وهأنا أرتحـل الى الناووس ثم إما الى نعيم و إما الى بوس . فعليك بالعدل بين الرعيـة ، والإحسان الى الخليقة . ثم مضى الى سبيله . والمدائن إحداها أردشير خرّة ، وهى جور . والثانية أورمزد أردشير، وهى سوق الأهواز . والثالثـة رام أردشير . ومدينتان عنـد ميسان والفرات . والسادسة مدينة أخرى وهى على غربى المدائن على ما قال غير صاحب الكتاب (١) .

٢٢ — ذكر نوبة سابور بن أردشير . وكانت مدّة ملكه ثلاثين سنة (ب)

وهو الذى تسميه العرب سابور الجنود (ج) . قال : ثم اعتصب سابور بتاج السلطنة، واجتمع اليه عظماء المملكة فوعد الناس خيرا ، والتزم لهم أن يتقيل أباه فى الاحسان الى الرعية والترفرف عليهم بجناح العاطفة والرأفة، وألا يتوخى فيهم إلا ما يتضمن مصالحهم وألا يأخذ من الدهاقين أكثر من الثلث، ولا يغلق على متظلم باب العـدل . فقام أكابر الحاضرين ودعوا له وأثنوا عليه، ونثروا عليه الجواهر، وانفض المجلس .

ثم سارت الأخبار فى أطراف الأقاليم بموت أردشير وقعود سابور فى مكانه من الملك . فأطاع بعض واستعصى بعض. وأنهى الخبر بأن أهل قيذافه عصوا وامتنعوا من أداء الخراج فسار فى عساكره الى أن نزل على التونية فخرج عسكر عظيم من قيذافه وانضم اليهم عساكر التونية . وكان بهلوان الكل رجل يسـمى برانوس . وهو فارس بطل وجيه عنـد قياصرة الروم . فلقى سابور و جرت بينهم على باب[1] المدينة وقعة عظيمة أسر فيها برانوس مع ألف وستمائة نفس، وقتل منهم ثلاثون ألفا . فأرسل قيصر عند ذلك الى سابور ، وتضرع اليـه وطلب الصلح، والتزم الخراج على أن ينصرف عن باب التونية . فأجابه سابور الى ذلك . فنفذ اليـه ملء عشرة من جلود البقر ذهبا من الدنانير القيصرية وألف وصيف ووصيفة وأنواعا كثيرة من الثياب . فارتحل سابور وعاد وراءه حتى وصل الى الأهواز فأمر ببناء مدينة تسمى سابور كرد، وأنفق فى بنائها أموالا كثيرة حتى فرغ منها . ثم بنى مدينة أخرى وأسكنها أسارى الروم، وهى على رأس الطريق المسلوك من بلاد الخوز . و بنى بفارس مدينة أخرى كبيرة. و بنى قُهُنْدُز نيسابور . وكان برانوس أسيرا يحمله معه وهو مع ذلك يصغى الى كلامه و يشاوره.

---

(١) فى نسخة تبريز وترجمـة وزرهنا فصل فى حمـد الله ومدح محمود الغزنوى . وليس فيه ما يفيـد المؤرخ إلا قوله عن السلطان : شاب فى العمر وشيخ فى الحكمة .

(ب) ملك من ٢٤١ — ٢٧٢ م . وقصـه فى الشاه ٨٨ بيتا .

(ج) هذه الجملة من عند المترجم .

(١) طا، كو : على باب التونية .

قال : وكان بتستر واد كثير المـاء عميق جدا فقال لبرانوس : إن كنت مهندسا فاعقد قنطرة فى طول ألف ذراع على هذا المـاء . واذا فرغت فارجع الى بلادك . فاشتغل برانوس بذلك طلبا للخلاص ، بعد أن حكمه الملك فى خزائنـه لينفق على العمارة ما يريد . فجدّ برانوس واجتهـد وجمع الصناع من جميع البلاد وأحضر لها المهندسين ففرغ من بنائها . وعاد الملك من وجهه وعبر على تلك القنطرة مع جنوده وأطلق برانوس فعاد الى بلاده § .

قال مترجم الكتاب : ومما أغفل الفردوسي رحمه الله من وقائع سابور قلعة الحضر[1] . وهى مدينة كانت بحيال تكريت ، ما بين دجلة والفرات . وكان ملكها رجل من العرب يسمى الضيزن بن معاوية . وكان قد ملك أرض الجزيرة وبلغ ملكه الشام ، واجتمع عليه من قضاعة وبنى العبيـد وغيرهم من قبائل العـرب ما لا يحصى . وإنه تطرف بعض السواد فى غيبة غابها سابور بن أردشـير . فلما عاد وأعلم بما أقدم عليه صاحب الحضر شخص اليه وحاصره فى حصنه ونزل عليه أربع سنين وهو لا يقدر عليـه . ثم إن بنتا للضيزن يقال لهـا النضيرة عركت فأخرجت الى الربض . وكانت من أجمل نساء زمانها . وكذلك كان يفعل بالنساء اذا حضن . وكان سابور من أجمل الرجال صورة . فرآها ورأته

---

§ سابور بن أردشير أو سابور الأول حارب الرومان مرتين : الأولى انتهت سنة ٢٤٤ م بعد أن هُزم سابور وعبرت جيوش الروم الفرات، وقاربت المدائن . والثانية كانت بعد أربع عشرة سنة من الأولى وفيهـا أسر سابورُ الأمبراطور ڤلريان (Valerian) فبقى فى الأسر حتى مات . وقـد خلدت الواقعـة فى صورة يظهر فيهـا سابور فارسا والامبراطور جاث أمامه . وهى فى النقوش التى تعـرف فى إيران اليوم باسم نقش رستم[2] .

ويسمى الأمبراطور فى الشاهنامه برانوس، ويجعل قائدا مقربا عند القياصرة .

ويسمى فى الأخبار الطوال أليريانوس ويوصف بأنه خليفة صاحب الروم[3]، والطبرى يقـول عن سابور : « وأنه حاصر ملكا كان بالروم يقال له أليرانوس بمدينة أنطاكية فأسره » .

وأما تكليف سابور أسيره ببناء قنطرة ، كما فى الشاهنامه وغيرها، فليس بعيـدا أن يكون سابور سخر أسارى الروم فى بناء قنطرة تسـتر التى لا تزال قائمة ويسمى بعض السدود والقناطر قرب تسـتر باسم قيصر، وفى هذا ذكرى بناء الروم قنطرة هناك[4] .

---

(١) طا، كو : فتح قلعة . (٢) سيكس (Sykes) ج ١ ص ٤٠٠ (٣) الأخبار الطوال ص ٤٧

(٤) انظر فى وصف القنطرة سيكس (Sykes) ج ١ ص ٤٠٤ ، ودائرة المعارف البريطانية (Shushter) .

فعشقها وعشقته فأرسلت اليه وقالت : ما تجعل لى إن دللتك على ما تهدم به سور هذه المدينة وتقتل أبى ؟ قال : لك حكمك وأرفعك على نسائى وأخصك دونهن بنفسى . قالت : عليك بحمامة ورقاء[1] فاكتب على رجلها بحيض جارية بكر زرقاء ثم أرسلها فإنها تقع على حائط المدينة فيتداعى . وكان ذلك طلسما[2] لا يهدمها إلا هو . ففعل ذلك وتأهب لهم فتداعت المدينة ففتحها عنوة وقتل الضيزن وأباد بنى العبيد وأفنى قضاعة حتى لم يبق منهم باق . وفى ذلك يقول شاعرهم :

ألم يحـزنك والأنبـاء تنمى   بمـا لاقت سراة بنى العبيـد
ومصرع ضيزن و بنى أبيـه   وأحلاس الكتائب من يزيد
أتاهـم بالفيـول مجللات   و بالأبطال سابور الجنـود
فهدم من أواسى الحضر صخرا   كأن ثقـاله ز بر الحـديد

قال: فخرب سابور الحضر، واحتمل النضيرة بنت الضيزن فأعرس بها بعين التمر . فلم تزل ليلتها تضوّر من خشونة فُرُشها، وكانت من حرير محشو بقز . فالتمس ما كان يؤذيها فاذا هى ورقة آس ملتصقة بعكنة من عكنها قد أثرفيها . قال : وكان ينظر الى مخها من لين بشرتها . فقال لها سابور: بأى شىء كان يغذوك أبوك ؟ قالت : بالزبد والمخ وشهد الأبكار من النحل وصفو الخمر . فقال : وأبيك! لأنا أحدث عهدا بمعرفتك، وأوتر لك من أبيك الذى غذاك بما تذكرين . فأمر رجلا فركب فرسا جموحا فضفر غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعا . فلذلك قال الشاعر وهو عدى ابن زيد :

أقفر الحضر من نضيرة فالمر   باع منها فجانب الثرثار (١)

قال الفردوسى : فبقى سابور مستقرا على سرير الملك موطئا للرعية أكناف العدل والأمن حتى أتت عليه من ملكه ثلاثون سنة فطلعت عليه طلائع المنية فاستحضر ولده أورمزد ، وهو هرمز . فعهد اليه وأوصاه بأن يعدل[3] الى الرعية وألا يرفع صوته فوق كل ذى صوت خافض، ولا يسلك غير طريق العدل، ولا يحرص على جمع الكنوز واقتناء الأموال، وأن يكون متيقظا فى جميع الأمور . ثم قضى نحبه وسلك سبيل الذاهبين ، وورد موارد الأولين . وصلى الله على[4] محمد وآله الطاهرين أجمعين .

(١٤٩)

---

(١) أنظر القصة مفصلة فى الطبرى ، وقد ذكرت فى الأخبار الطوال منسوبة الى سابور ذى الأكتاف الآتى ذكره . وانظر فصل سابور ذى الأكتاف .

(١) طا : بحمامة مطوقة ورقاء .   (٢) طا ، كو : طلسمها .   (٣) طا ، كو : بأن يحسن .

(٤) طا ، كو : سيدنا محمد .

٢٣ — ذكر ملك هرمز بن سابور بن أردشير . ولم يملك سوى سنة وأربعة أشهر(أ)

وكان يلقب بالجرىء . ولم يحصل له روعة الملك لقصر مدّته . ولما جلس فى مقام السلطنة مهد قواعد المعدلة ، وبسط ظل الرأفة على الرعية حتى اتفق الذئب والشاة فى المورد . ومما يؤثر من كلامه ماقال : إن ثبات أسرّة السلاطين لا يحصل إلا بأصحاب العقل والرأى والدين ، وإن العقل ماء والعلم أرض لا ينبغى لأحدهما أن يفارق الآخر ، وقوله : إذا ذكرت الملوك عند العاقل فلا ينبغى إلا أن يكون كلامه بمعيار العقل موزونا فإن ما يقوله لا يبقى مكتونا ؛ فإن نطق فى حقهم فلينطق بالحسن وإن أسمع فيهم قبيحا فليزم(١) سمعه بالصمم . فان قلب الملك يرى سره ويسمع رزه .

قال : ولما دنت وفاته استحضر ولده ، وكان يسمى بهرام ، وعهد إليه وأوصاه وقال : أيها الولد الطاهر المستعلى على الخلق بالرجولية والعلم ! أصغ الى المتظلمين ، واصفح عن المسيئين ، وإياك والحقد والكذب . ومن يكن نماما أو جاهلا أو محتالا فلا يجدن له عندك مجالا . واعلم أن قلة الحياء وكثرة الكلام يسوّدان وجه صاحبهما بين الأنام . واتخذ العقل سيدا والغضب عبدا ، ولا تحتد على المتقين . وتجنب الحرص فانه يورث الجبن والغيظ . وآثر الحلم والسداد ، وتجنب الالتواء والفساد . وإياك وما يورث قبح الأحدوثة . وإياك والعجلة فانها تورث الندامة . وعليك بالرفق فهو مادة الاستقامة . ولا تكن نزقا حديدا ولا متوانيا بليدا وليكن عقلك بين هاتين الحالتين وسيطا . ولا تقربن طالبا للثالب والمعايب ولا تطمع فى صداقة العدو الموارب . قال : ثم قضى نحبه فقعد بهرام فى مجلس العزاء أربعين يوما ثم قعد بعد ذلك مقعد أبيه من السلطنة .

٢٤ — ثم ملك بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير . وكانت مدّة ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر

§ كان رجلا ذا حلم وتؤدة فاستبشر الناس بولايته . وأحسن السيرة فيهم واتبع فى ملكه وسياسة الناس آثار آبائه . ولم تطل مدّته . ولما قربت وفاته أحضر ولده ، وكان يسمى بهرام أيضا ، فأقعده عند تخته فعهد اليه وأوصاه ومضى لسبيله .

---

§ بهرام الأول (٢٧٢ — ٢٧٥ م) كان ابن سابور لا ابن هرمز كما هنا . وهو الذى قتل مانى ؛ يقول الطبرى ، ويوافقه حمزة الأصفهانى : « فأمر بقتله وسلخ جلده ، وحشوه تبنا وتعليقه على باب من أبواب مدينة جنديسابور ، يدعى باب المانى . وقتل أصحابه ومن دخل فى ملته » . وقصته فى الشاه ٤٨ بيتا .

(أ) ملك (٢٧٢ — ٢٧٣ م) . وقصته فى الشاه ٩١ بيتا .

(١) طا : فليرم .

٢٥ — ثم ملك بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير تسع عشرة سنة (أ)

قال : بجلس فى مأتم أبيه أربعين يوما وحضرته أكابر المملكة وجلسوا معه على التراب يبكون ويضجون . ثم أتاه الموبذ ليجلسه على تخت السلطنة فما انشرح صدره لذلك . ولم يزل به حتى أجاب بعد تسعة أيام فاستوى على تخته وعقد التاج على رأسه ، وحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ودعا له الحاضرون بمثل ما كانوا يدعون لآبائه فردّ عليهم مردّا حسنا . ولم ينقل صاحب الكتاب شيئا من أخباره أيضا . قال : ومات بعد استكماله تسع عشرة سنة وخلفه ولده ، وكان يسمى بهرام بهراميان .

٢٦ — ثم ملك بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير وكان ملكه أربعة أشهر §

ولما جلس على تخت الملك وعقد التاج على رأسه أتته الموابذة ونثروا الجواهر على رأسه ولقبوه كرمان شاه(ب)، واجتمع اليه أكابر المملكة ودعوا له بالبركة وطول العمر . فردّ عليهم أحسن ردّ، ووعدهم من نفسه بكل خير . ثم أنه لما علم أن وقته قرب عهد الى نرسى — وهو أخو بهرام الثالث (ج) على ماقال غير صاحب الكتاب فانه لم يكن له ولد — وأوصاه . فصرم الأجل حبله ولحق بمن مضى قبله .

---

§ فى المسعودى والبيرونى (جدول أبى الفرج) أنه ملك أربع سنين وأربعة أشهر . وفى الطبرى أربع سنين . ويظن نُلدكه أنه ملك أربعة أشهر فى دار ملكه ، وملك زمنا آخر فى بعض الأصقاع ، ولعل هذا كان من أجل محاربة نرسى الخارج عليه .

ويعرف من التاريخ أنه بعد قليل من ولاية بهرام الثالث ثار النزاع على الملك بين هرمزد ونرسى . ويظهر أنهما من أبناء سابور الأول (Sykes) ج ١ ص ٤٠٩) . ثم قصته فى الشاه ١٧ بيتا .

(أ) ملك (٢٧٦ — ٢٩٣ م) وقصته فى الشاه ٣٥ بيتا . أنظر قصة هذا الملك ووزيره والبوم ، فى مروج الذهب .

(ب) فى البيرونى وحمزة الأصفهانى أن لقبه سكان شاه ، أى ملك سجستان ، وأن الملقب كرمان شاه هو بهرام بن شابور الآتى ذكره .

(ج) فى الشاه : أنه ابنه .

٢٧ — ثم ملك نرسى (أ) بن هرمز بن سابور بن أردشير وكانت مدّة ملكه تسع سنين

قال : ولما فرغ من مأتم بهرام تسنم سرير (١) الملك وعقد التاج على رأسه فدخلت عليه العظماء والأشراف ونثروا عليه الجواهر ودعوا له وأثنوا عليه فوعدهم الخير . وسار فيهم مدة ملكه بأحسن سيرة وأعدل طريقة . ثم لما حان حينه عهد إلى ولده هرمز، وولاه الملك وأوصاه ثم سلك سبيل الغابرين ولحق بآبائه الأولين .

٢٨ — ثم ملك هرمز بن نرسى بن هرمز (ب) بن سابور بن أردشير وكان ملكه تسع سنين أيضا (ج)

قال: ثم إنه جلس على تخته وعقد التاج على رأسه لحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم نصح الحاضرين ووعظهم ووعدهم بكل خير .

وكان النـاس، على ما قال غير صاحب الكتاب (د)، قد وجلوا منه إذ قد أحسوا منه بفظاظة وشدّة من قبل . فلما ملك أعلمهم أنه قد علم خوفهم مما كانوا يرون من شكاسة طبعه وشراسة خلقه، وذكر أنه قد أبدل تلك الغلظة والفظاظة رقة ورأفة . فساسهم بأرفق سياسة وسار فيهم بأحسن سيرة وكان حريصا على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل ما بين الرعية .

قال: فهلك ولم يكن له ولد . فجلس أشراف المملكة فى عزائه أربعين يوما . ثم وجدوا فى جواريه جارية حبلى فعقدوا التاج على رأسها . فلما أتت عليها أربعون يوما وضعت ابنا كالشمس الزاهرة . (١٥٠) فسماه الموبذ سابور فاستبشر الناس وفرحوا بمولده .

(أ،ب) فى الشاه : نرسى بهرام أى نرسى بن بهرام . وكذلك فى المسعودى والطبرى وحمزة والبيرونى . ويجعله الطبرى أخا بهرام الثالث . وقد ملك (٢٩٣ — ٣٠٢ م) . وقصته فى الشاه ٢٦ بيتا .

(ج) ملك (٣٠٢ — ٣٠٩ م) . فالصواب ما فى البيرونى والطبرى والمسعودى : أن ملكه كان سبع سنين وخمسة أشهر ثم قصته فى الشاه ٢٥ بيتا .

(د) انظر الطبرى .

(١) طا : تخت الملك .

٢٩ — ذكر نوبة سابور بن هرمز بن نرسى، وهو سابور ذو الأكتاف، وكانت مدّة ملكه ثمانين سنة §

قال : ولما أتى على سابور أربعون يوما من ولادته نصبوا له تختا فى إيوانه وجاءوا به ملفوفا فى حريرة، ووضعوه على التخت، وعقدوا عليه التاج لخيوه بتحية الملوك ودعوا له ونثروا عليه الجواهر، كما جرت عادتهم عند قعود الملوك مقاعد السلطنة . وكان فى أركان دولتــه موبذ يقال له شهرويه[1] . فتولى التدبير، وتقلد التقديم والتأخير، وقام بسياسة الملك فملأ كنوزه وكثر جنوده حتى نشأ الصبى . فلما بلغ خمس سنين كان ذات يوم جالسا فى مكانه من مدينة طيسفون فسمع صياحا وشغبا ولغطا كبيرا . فسأل عن ذلك فأخبر بأن ذلك من عبور الناس على جسر دجلة وازدحامهم فى الرواح والمجىء . فأقبل على موابذته وقال : ليعقد على دجلة جسر آخر ليكون أحدهما معبرا لمن أقبل والآخر معبرا لمن أدبر حتى لا يتزاحموا ولا يتأذى أجنادنا ورعايانا . فتعجب الموابذة من قوله واستدلوا به على نجابته وذكائه . فعقــدوا جسرا آخر كما أمر . ثم إنه تعــلم آداب الملوك وترعرع ولم يزل يزداد روعة واستعدادا للسلطنة . قال : وآثر المقام باصطخر لأنه كان مستقر أسرة السلاطين فتحول اليها[2] .

---

§ شابور ذو الأكتاف من أعظم الملوك الساسانيين، حكم (٣٠٩ — ٣٧٩ م) . ولقبه بالفارسية، كما فى تاريخ حمزة والبيرونى، « هو يه سُنبا » أى ثاقب الكتف .

وقصته فى الشاهنامه ٦٧٩ بيت فيها العناوين الآتية :

(١) ملك شابور ذى الأكتاف، ٧٢ سنة . (٢) أسر طائر العربى بنت نرسى وذهاب شابور لحربه . (٣) مالكة بنت طائر تعشق شابور . (٤) مالكة تسلم قلعة طائر الى شابور، ويقتل طائر . (٥) ذهاب شابور الى بلاد الروم، ووضــع قيصر إياه فى جلد حمــار، وخيطه عليــه . (٦) تخليص الجارية شابور، من جلد الحمــار . (٧) فرار شابور من الروم، وبلوغه ايران . (٨) لقاء الايرانيــين شابور، وجمعه الجيش . (٩) تبييت شابور الروم، وأسر قيصر . (١٠) قيادة شابور الجيش الى بلاد الروم ومحاربته أخا قيصر . (١١) الروم يجلسون برانوس على السرير، فيكتب الى شابور . (١٢) ذهاب برانوس الى شابور ومعاهدته . (١٣) ظهور مانى وادعاؤه النبوة . (١٤) شابور يولّى أخاه أردشير العهد .

---

(١) فى نسخة مول (Mohl) مهرويه . (٢) كذا فى نسخ الترجمة . والصواب : لأنها كانت .

§ ثم خرج ملك من العرب من آل غسان فى عساكر كثيرة فشن الغارات على أطراف ممالك فارس، وأخذ مدينة طيسفون ونهب ما كان فيها من الذخائر والخزائن، وسبى منها عمة لسابور، وتسرى بها، ورزق منها بنتا من صفتها وجمالها كيت وكيت، وسماها مالكة . ثم إن سابور لما أتى عليه ثلاثون سنة من ملكه وعمره تشمر للركض الى بلاد العرب . فاختار اثنى عشر[1] ألف فارس من أعيان أبطاله، وأمرهم بأن يتجردوا ويركبوا النُّجُب والهُجُن، ويجنبوا الخيل . فركض بهم إلى الملك الغسانى فقتل منهم مقتلة عظيمة حتى ثل عروشهم ونهب أموالهم وسبى نساءهم وقتل رجالهم . وهرب الغسانى إلى قلعة باليمن وتحصن بها فتبعه سابور وحاصره فيها شهرا . فاتفق أن ابنة الملك التى هى من عمة سابور رأته نعشقته فراسلته وراسلها، واحتالت وسقت الحرس تلك الليلة الخمر حتى ثملوا، ونفذت إلى سابور وأشارت عليه بالهجوم عليهم . فهجم سابور عليهم وقتلهم وأخذ القلعة ونهبها، وأسر الغسانى وقتله، وأمر بوضع السيف فى العرب فقتلوا منهم خلقا كثيرا . ثم قال : من وجدتموه منهم فاقطعوا يديه وانزعوا كتفيه . ففعلوا ذلك فلقبته العرب من أجل ذلك "ذا الأكتاف".

ثم إنه عطف عنانه وعاد إلى بلاد فارس، واستقر على سريره . فاتفق أنه تفكر ذات ليلة فى عاقبة أمره ومآل ملكه فاستحضر بعض المنجمين، وأمره أن ينظر فى طالعه ويخبره بما يؤول اليه

§ كثيرا ما يلبس الرواة سابور الأول بسابور الثانى ذى الأكتاف . كلاهما كان ملكا عظيما، وكان الثانى أطول ملكا، وأشد بأسا فنسب اليه بعض وقائع سابور الأول . وقصة الغسانى التى يذكرها الفردوسى هنا إحدى الوقائع المحرفة عن موضعها . فهى قصة الحضر التى يذكرها الطبرى والمسعودى فى عهد سابور بن أردشير . وكأن الروايات لبست قصة الحضر وقصة أذينة ملك تدمر — إحداهما بالأخرى وصاغتهما قصة واحدة، وزاد الفردوسى أن جعل الحصن الذى حاصره سابور فى اليمن . ولم أجد فى الكتب الأخرى أن سابور جاوز اليمامة الى الجنوب .

فأما الحضر فمدينة كانت فى الجزيرة تبعد عن دجلة الى الغرب أربعين ميلا وعن الموصل الى الجنوب كذلك ومن بغداد الى الشمال مائتى ميل . ويظهر من أطلالها أنها كانت مدينة حصينة يحيط بها سور قوى يتلوه فى الداخل خندق عميق ثم سور آخر عليه أبراج . وفى وسط المدينة بناء يحميه سور ذو أبراج كان قلعة فيها قصر ومعبد . ويقول الهمذانى أنها كانت مبنية بالحجارة المهندمة — بيوتها وسقوفها وأبوابها . وكان فيها ستون برجا كبارا، وبين البرج والآخر تسعة أبراج صغار، =

(١) صل، طا : اثنا عشر .

على ما تقتضيه أحكام النجوم . فنظر[1] له وقال : أيها الملك ! إن أمامك أمرا صعبا لا أستطيع أن أذكره لك . فقال : أيها العالم ! فهل شيء يدفع ذلك عنى ؟ وكيف الطريق إلى صرف هذا النحس عن طالعى ؟ فقال المنجم : إن الكائن لامحالة كائن . فقال سابور : إنا بالله نستعين فهو الحافظ من كل سوء، والمجير من كل مكروه . ثم إنه بعد سنين عدة دعته نفسه إلى دخول بلاد الروم ومشاهدتها ومعاينة أحوال قيصر . فخلا ببعض أمرائه وأطلعه على سره، وجعله بهلوان جيشه . ثم استحضر جمالا وأوقرها بالذهب والجوهر والثياب وسائر الأمتعة والأقمشة، وخرج بها فى زى التجار إلى بلاد الروم . فلما وصل إلى مدينة قيصر حضر بابه . فسأله حاجب الباب عن حاله فقال : أنا رجل تاجر من بلاد فارس . ومعى أحمال من الخز والبز . وحضرت باب الملك أريد الوصول اليه . فإن معى جواهر لا تصلح إلا له ، وأرجو أن يقبلها منى، وحينئذ أتصرف وأبيع وأبتاع بسعادته . فدخل الحاجب وأنهى حاله إلى الملك . فرفع دونه الحجاب فدخل وخدم . فنظر اليه قيصر وأعجبه[2] شكله وبهاؤه فأكرمه . وأمر بإحضار الطعام والشراب[3] . قال : وكان فى خدمة قيصر رجل من أرض إيران فنظر إلى سابور فعرفه . فسار قيصر وقال : إن هذا التاجر هو سابور ملك فارس . فتعجب قيصر مما قاله فوكل به جماعة من أصحابه، وأمرهم بحفظه . واستمروا على حالهم حتى تمل

= ويقول ياقوت : «فأما فى هذا الزمان فلم يبق من الحضر إلا رسم السور وآثار تدل على عظمه وجلاله»[4] وقد حاصر الحضر تراجان وسفروس من ملوك الرومان فلم ينالا منه . ثم استولى عليه أردشير بن بابك أو ابنه سابور .

وأما واقعة أذينه ملك تدمر (Odenathus) فإنه أغار على جيش سابور الأول قافلا من حرب الامبراطور فلريان الذى أسره سابور، فأصاب من الغنائم كثيرا وأوقع بالفرس وأسر بعض زوجات الملك ، ثم استولى على العراق حتى حاصر المدائن وعظم شأنه، ولقبه الرومان «أغسطس» . فيظهر أن الغسانى الذى تصفه الشاهنامه وتذكر أنه أسر عمة سابور وأخذ المدائن هو أذينة . وفى معجم ياقوت أن الأسيرة التى أخذها الضيزن أخت سابور الأول واسمها ماه .

وقد نبه ياقوت إلى غلط بعض الناس فى هذه الواقعة فقال، بعد ذكر ما تقدم : «وإنما ذكرت هذا لأن بعضهم يغلط ويروى أنه ذو الأكتاف[5]» .

---

(١) صل : فنظروا . والتصحيح من طا . (٢) كو : فأعجبه . (٣) طا ، كو : والشراب، وأخذ فى الأكل والشرب .

(٤) وورز، ج ٦ ص ٣٢٢ ، والبلدان للهمذانى ص ١٢٩ ، وياقوت : « الحضر » . (٥) انظر القصة وما قيل فيها من شعر فى مروج الذهب والطبرى فى الكلام عن سابور الأول ، ومعجم البلدان : « الحضر » .

سابور فقام ليتصرف إلى منزله . فعدلوا به إلى بعض حجر[1] قيصر فشدّوا يديه، وجعلوه فى جوف جلد حمار، وأودعوه بيتا مظلما فى تلك الدار، وأغلقوا بابه عليه، وسلموا مفتاحه إلى صاحبة الدار[2] . فأمرها الملك بأن تعطيه كل يوم من الخبز[3] ما يسدّ رمقه حتى يعرف قدر التاج والتخت إن عاش، وليعتبر به من بعده فلا يطمع فى ملك الروم . فأغلقت امرأة قيصر باب ذلك البيت وسلمت مفتاحه إلى جارية لها كانت خازنتها، وكانت كالدستور بين يديها، ذات عقل ورأى، وكان أبوها من الإيرانيين، فأمرتها بحفظه والقيام عليه وعلى قوته . قال : ولما حصل سابور فى أسر قيصر جمع عساكره وسار إلى بلاد الفرس فاستولى عليها وقتل رجالها وسبى نساءها، وأكره من نجا من أهلها من القتل على الدخول فى دين النصرانية . فشدّوا الزنانير ودخلوا فيها ولم يبق على الملة الفهلوية سوى من كان يخفيها . وأقام مستوليا على تلك الممالك سنين عدّة، وسابور مقيم فى حبسه على حاله . فاتفق أنه حصل بينه وبين الجارية الموكلة به توالف وتوافق فالتمس منها أن تدبر فى خلاصه، وسألها أن تأتيه كل يوم بقدح حليب[4] ليصبه على مخارز تلك الجلدة فلعلها تلين فيتمكن من فتقها والخروج منها . فلبثت أسبوعين تأتيه كل يوم بقدح لبن حار فيفعل به ذلك فلانت وتهيأ له الخروج منه[5] . ثم سأل الجارية عن طريق الخلاص فقالت له : إن للنصارى غدا عيدا يخرجون فيه إلى الصحراء ولا يبقى فى المدينة منهم أحد . وأنا أدبر أمرك إن شاء الله . قال : فخرج الناس إلى عيدهم، وخرجت صاحبة الحجرة فى نسائها وجواريها وخدمها، على عادتهم فى الأعياد . ولم يبق فى الدار إلا هذه الجارية الموكلة بحفظه . فمضت إلى الاصطبل وأخرجت فرسين، وجاءت بعدّة وسلاح . ولما جن الليل أخرج[6] سابور من محبسه فخرج خروج القدح قدح ابن مقبل، وركب مع الجارية فى ليل لستر الدجنّة مسبل . وأغذ السير طردا وركضا . فأحس بالحال شخصان من الحرس فأتبعاه حتى لحقاه . فأخذا بعنانه فتناول سابور رأس أحدهما بيمينه ورأس الآخر بيساره، واقتلعهما من مغرز رقابهما، واستمر فى طريقه . فلم يزالا يركضان ليلا ونهارا حتى انتهيا إلى إحدى مدن خوزستان (أ) فوقفا على باب بستان وقد بلغ منهما الجهد كل مبلغ وأعيت دوابهما . فقرع باب البستان فجاء الباغبان (ب)

(أ) يعجب القارئ من أن ينتهى سابور إلى خوزستان فى فراره، ولا يعرج على بلد أقرب منه . وفى مروج الذهب أنه كان أسيرا مع الجيش الرومى، وأنه فرقرب جنديسابور .

(ب) الباغبان البستانى، مركب من باغ أى الحديقة وبان أى القائم على الشيء .

(١) طا، كو : حجر نساء قيصر . (٢) كو : الحجرة . (٣) طا : من الخبز والماء .

(٤) طا، كو : قدح لبن حليب . (٥) كو : منها . (٦) كو : أخرجت .

فرأى فارسين مدججين قد لوحهما السفر، وسفع وجوههما النصب. ففتح لها الباب واستبشر بهما وتهلل في وجوههما فقال لسابور: من أين جئت؟ وهل عندك من سابور ملك فارس خبر؟ فقال: أنا رجل من أرض إيران موجع القلب من قيصر. وقد هربت منه متوجها إلى هذه المدينة. وأنا الليلة ضيفك. فأكرمه الباغبان وأنزله وأحضره ما عنده من الطعام. ثم أخذ يقطينة كانت عنده وخرج يطلب له الشراب فأبطأ. فرأى سابور صبيا في البستان فقال له: أين أبوك؟ فقال: خرج يطلب لك شيئا إن وجده سربه[1] وتناولته أنت وهو معا، وإن لم يأت به تناولت أنا وأمي وأبي معك جميعا. فتعجب سابور من كلام الصبي ولم يفهم معناه. فجاء الباغبان بيقطينته، وصب منها في الجام شرابا، وقدمه إلى سابور. فقال له: يبدأ بالشراب من جاء به. فقال الباغبان: من كان أبهى منظرا فهو الشارب أولا، وينبغي أن تكون المقدّم لبهائك وأبهتك. فضحك سابور فتناول القدح فشربه وردّه إليه. ثم سأله عن معنى كلام الصبي. فقال له أيها الضيف[2] المبارك: اعلم أن لي خابية من الشراب مثل الذهب المذاب قد خبأتها تحت التراب، ونذرت أن لا أفض ختامها ولا أحط لثامها إلا إذا رأيت وجه الملك سابور طالعا في كوساته (أ) الراعدة وبوقاته الناعقة. فخرجت لأطلب من جيراني من الشراب ما يكفيني ويكفيك عازما على أنه إن لم يتيسر ذلك أخرجت من السر[3] المكتوم، وفضضت عن الرحيق المختوم. ولا يحملني على ذلك إلا بهاؤك ولطفك وفتوتك. فقال سابور: فض الختام، وأقر ذلك المدام عني السلام، وأحضرها على يمينك فانا سنكفر عن يمينك. فشربا ما حضر ثم سعى نحو سره المكنون فكشف قناعه، ونبش رمسه، وأطلع شمسه. فصار بيته بالطرب واللهو آهلا. ولما دارت الكؤوس وطابت النفوس أقبل سابور على الباغبان وقال: هات ما عندك من أخبار إيران. فأخبره الباغبان بما جرى على أهلها من القتل والأسر والنهب، وقال: إن أكثر من بقي منهم ترك الملة الفهلوية وأطفأ نارها، ودخل في دين النصرانية وشدّ زنارها. وقد رأوا مطر العذاب سكوبا فتمسكوا بدين المطران واعتصموا بملة سكوبا. § فقال له: ففي أي مطار طار

---

§ في هذه القصة لبس وقائع شتى في أزمنة مختلفة. فأما ذهاب سابور إلى الروم في زي تاجر فخرافة لها شبه من أسطورة كُشتاسب في بلاد الروم التي ذكرت آنفا[4] ولعل فرار هُرمزد أخي سابور الى بلاد الروم أو أسر أحد أبناء سابور في معركة سِنجار وتعذيب الروم إياه حتى الموت، أو أسر أذينة =

(أ) كوسات: جمع كوس. وهو الطبل العظيم.

(١) كو: شربته. (٢) سل: قال له الضيف. والتصحيح من طا. (٣) كو: الشراب المكتوم.

(٤) أنظر ص ٣١١

سابور بن هُرمز ؟ وإلى أى مصير صار ؟ فبكى بالأربعة السجام على الإبريق والجام ، وقال : إنه غاب فلم نسمع له خبرا ، ولم نره له عينا ولا أثرا . ثم إن سابور أعلمه بنفسه فكاد يطير سرورا وقام وسجد له ، وقال : الآن برقسمى . وحمد الله تعالى وأثنى عليه . ثم قال : وهل تدرى أين منزل موبذ الموبذان ؟ فقال نعم . فطلب منه طينة وطبع عليها خاتمه ، وأعطاه إياها ، وقال له : اذهب بها الى موبذ الموبذان . فحمل الباغبان ذلك إلى داره . فلما رأى الختم عليه علم أنه علامة سابور فتعجب وسأله عنه . فقال : إنه ضيفى ، وهو نازل فى بستانى مع جارية كالشمس البازغة . فسأله عن حليته وشكله وقدّه وقالبه فسرد عليه الباغبان ذلك كما هو . فعلم الموبذ بخلاصه . فكتب فى الحال كتابا إلى بهلوان عساكر سابور (وكان قد هرب مع نسائه ورجاله إلى مرو)[1] وأمره بالمبادرة إلى إيران فى جميع من عنده من العسكر . فلما وصل كتابه إليه أقبل إلى فارس . فلما وصل إلى المكان الذى فيه سابور ظهر لهم . وكان قد فرّق الجواسيس يتعرّف حال قيصر وعسكره فأتوه وأعلموه بأنه نازل على ظهر طَيسفون ، وأنه مكب على الصيد والطرد واللهو واللعب ، ما له ربيئة بالنهار ولا طليعة بالليل ، وأن عساكره متفرقة فى أقطار الممالك مقبلين على أشغالهم وأعمالهم . فانتخب ثلاثة آلاف فارس من المراوزة وغيرهم ، وركض بهم الى مخيم قيصر فهجم على معسكره ليلا فلم يحسوا

= ملك تدمر بعض زوجات سابور الأول — لعل واحدة من هذه الحادثات حرفت إلى أسر سابور فى بلاد الروم وقد ذهب إليها فى زى تاجر .

وأما سير قيصر إلى بلاد الفرس وقتل الرجال وسبى النساء وإكراه الناس على النصرانية فهو ذكرى ما فعله جوليان امبراطور الروم إذ أغار على العراق حتى اجتاز دجلة قرب المدائن وهزم الجيش الفارس، وتعقبه إلى أبواب المدينة . ثم سار الى الشمال فأتبعه سابور وحاربه مرة بعد مرة حتى طعن جوليان فى موقعة قرب سامرا فمات (١٦ يونيه سنة ٣٦٣ م) ، فانتخب الجند جوڤيان للملك . فراسله سابور للصلح فاصطلحا على أن ترد للفرس الولايات التى أخذها الروم من نرسى، وعلى ردّ سنجار ونصيبين التى حاولها سابور ثلاث مرات فلم ينل منها والتى كانت موئل الروم فى هذه الأرجاء .

ويؤيد هذا رواية الطبرى فقد سمى الملك الرومانى لليانوس ، وذلك قريب من جوليان، وقال أنه احتوى على مدينة طيسبون، وأنه كان جالساذات يوم فى حجرته فأصابه سهم غرب فى فؤاده، وأن الروم ملكوا عليهم يوسانوس ،وكان قائدا فى الروم،وأن سابور فاوض الروم فى الصلح فصالحوا =

(١) ما بين القوسين من طا ، كو .

إلا[1] برواعد الطبول وصواعق السيوف محيطة بهم . فلم يزل السيف يعمل فيهم حتى طلع الفجر . وأخذوا قيصر أسيرا مع جماعة من عظماء الروم وأشرافهم، وسلسلوهم وقيدوهم . ولما متع النهار قعد سابور واستحضر كاتبه فكتب كتب البشائر مخبرة بظهوره وعوده الى سلطانه، وأن الله تعالى قد ردّ به حق الملك الى نصابه، وملكه نواصي أعدائه، وبلغه أقاصي آماله، وجعل قيصر فى يده أسيرا، ويسر له من الأمر ما كان عسيرا . وقال لهم : ألا من وجدتموه من الروم فى بلادكم فاقتلوهم ولا تبقوا عليهم، وبادروا الى الحضرة، واستأنفوا مراسم الخدمة . وطير الكتب على أيدى النجابين الى أقطار الممالك وأطراف المشارق والمغارب .

ولما فرغ من ذلك دخل الى مدينة طيسفون فاستقر على تخت السلطنة، واعتصب بتاجها . واستحضر الباغبان وخلع عليه على رءوس الأشهاد (١)، وأزال الخراج عن ضيعته، وجعله أعظم أهل ناحيته . ثم نفذ الكاتب الى السجن وكتب أسماء المأسورين، وكان عدد أكابرهم المذكورين ألفا ومائة وعشرة أنفس، كلهم من أقارب قيصر وأركان دولته وأعيان مملكته . ثم أمر بإحضار

= على رد نصيبين الخ[2] . فهذا قريب مما يعرفه التاريخ، وبه يمكن رد قصة الشاهنامه إلى الحادثات التاريخية . وأبين من هذا رواية فارس نامه أن للبانوس هذا تولى بعد قسطنطين وأبطل النصرانية وأخرب الكنائس[3]، ويعرف التاريخ أن الذى فعل هذا هو جوليان . ويزيد المسألة وضوحا قول حمزة الأصفهانى : «وأما يوليانس ابن أخى قسطنطين فانه فارق النصرانية وعاود الأصنام، وغزا العراق فى ملك شابور بن أردشير فقتل بالعراق . وملك شابور على الروم رجلا من البطارقة نصرانيا يقال له يونيانس فردّ الروم إلى أرضهم»[4] . ولا ريب أن يوليانس هو جوليان ويسميه البيرونى "يوليانوس الكافر" . ولكن حمزة خلط هنا بين سابور الأول وسابور الثانى .

وأما أسر الأمبراطور فى هذه القصة فهو غلط وذكرى محرّفة من أسر الأمبراطور فلريان أيام سابور الأول . على أن الطبرى وفارس نامه لا يذكران أسر قيصر بل يقولان أنه أصيب بسهم . والتاريخ ينبئ أن جوليان طعن فى معركة سامرا . على أن الروم غزوا العراق أيام سابور الأول حتى قاربوا المدائن أيضا ثم ارتدوا حينما سمعوا بمقتل الامبراطور فى بلادهم . ولكن قصة الشاهنامه هى قصة جوليان وسابور الثانى .

---

(١) لم يذكر المترجم ما فعل سابور بالجارية التى أطلقته . وفى الشاه : أنه أحسن جزاءها وسماها "دل افروز فرخ پاى" أى ضياء القلب مباركة القدم .

(١) لفظ «إلا» من طا . (٢) الطبرى، ج ٢ ص ٦٩ (٣) فارس نامه ص ٧٠ (٤) حمزة ص ٥١

قيصر فبادره الحرس وجاءوا به . فلما وقعت عينه على وجه الملك بكى وأهوى بوجهه الى الأرض . فقـال له سابور : يامادة الشر و ياعدو الله ، الذى يثبت الولد لمن لا شريك له وليس لملكه بداية ولا نهـاية ! إن كنت من القياصرة فأين ذهب عقلك ورأيك حين حضرتُ فى زى تاجر بين يديك غير جالب اليك شرا فقابلت حقى وفادتى عليك بإخفار الذمار ، وأدرجتنى فى جلد الحمـار . فسوف تذوق وبال أمرك ، وتصلى بمـا أوقدت من جمرك . فقال : أيها الملك ! من الذى يقدر على مخالفة القدر المقدور ، و ينجو من القضاء المحتوم؟ والآن إن قابلت الإساءة بالحسنى حصلت ذكرا لا ينسى ، وأدركت ما تريد وتهـوى . و إنك اذا آمنتنى[1] واستبقيتنى سلمت اليك مقاليـد كنوزى ، وأصبحت لك عبدا لا أخالف لك أمرا . فاقترح سابور عليه أن يرد جميع أسارى إيران ، و جميع ما أخذ منها من مال وغيره ، وأن يعمر البلاد التى خربهـا و يغرس الأشجار التى قلعها ، وأن يسلم اليه عن عوض كل رجل قتـل من الإيرانيين عشرة من رجال الروم . ثم أمر به فشقت أذناه وثقب أنفـه وخزم بخزام وقيد بقيدين ثقيلين وأودع الحبس .

ثم إنه أمر كتّاب الجيوش بجمع العساكر و إطلاق أرزاقهـم . ثم سار فيهـم قاصدا قصد بلاد الروم كالنـار المحرقة لا يبقى ولا يذر . فلما بلغ الروم أظلمت الدنيا فى عيونهـم إذ لم يجدوا من يقوم بأمورهم . فاجتمعوا على أخ لقيصر أصغر منه يسمى يانس فملكوه عليهم فخرج بالصليب الكبير، والعدد الكثير مستعدًا للقاء سابور. فلما التقوا جرت بينهم وقعة عظيمة فغلبت الروم وأصبح يانس من الظفر يائسا، وصار غرس سعادته يابسا، وانهزم بمن معه . فتبعهم سابور ووضع فيهم السيف وقتل منهم خلقا كثيرا وغنم غنائم لا يأتى عليها العدّ والحصر. فلما رأت الروم ما ابتلوا به من شر سابور اجتمعوا على برانوس وقالوا : إنه رجل عاقل قد جرب الأمور ومارس الدهور، وجعلوه قيصر فتولى أمورهم وتقلد تدبيرهم . وعلم أنه لا يقدر على مقاومـة سابور فكتب اليه كتاب ذى عجز وضراعة يذكر فيه أنهـم مطيعون قائمون بتلافى خلل بلاد إيران وجبره. وشحنوا الكتاب بأنواع من الاستعتاب والاستعطاف. فلما وصل الكتاب الى سابور أثر فيـه وخفض منه ، وأجاب عنـه وقال : إن كنت تسلك سبيل العقل فأقبل الى الخدمة مع أساقفة الروم وفلاسفتها. وقد أمنتكم فكونوا آمنين . فلما وقف برانوس على جواب سابور أوقر سـتين جملا من الجواهر والثياب ، واستصحب ثلاثين ألف دينـار برسم النثار ، وركب فى مائة نفس من الأساقفة والفلاسفة ، وحضروا باب سابور كاشفين ومتنصلين عن ذنوبهم . فأحسن اليهم سابور وأكرمهم . ثم شكا اليهم سوء صنيع قيصر فى ممالك إيران وما خرب منها وأفسد . وقال : إنى أريد منكم الآن عوضا عن ذلك . فقال له برانوس : ما الذى تلتمس ؟

(١) طا : فانك إن آمنتنى .

قال : أن تلتزموا كل سنة ثلاثة آلاف ألف دينار، وأن تفرجوا[1] عن مدينة نصيبين عوضا عما خربه قيصر . فالتزم برانوس ذلك . فتعاهدوا وتعاقدوا وانصرف سابور الى بلاد فارس . ثم إن أهل نصيبين لم يرضوا بسلطان سابور فنفذ اليها عسكرا عظيما ، وأخذها عنوة فقتل من أهلها خلق عظيم ، وأسر مثلهم[2] . فكتبوا حينئذ الى سابور وبذلوا له السمع والطاعة وسألوه أن تنصرف عنهم العسكر ففعل . وانضمت نصيبين إلى ممالك فارس .

وقد قال غير الفردوسى : إن أهل نصيبين لما بلغهم أن مدينتهم صارت إلى سابور كرهوه لمخالفته لدينهم فجلوا عنها وتحولوا إلى مدن الروم . فحشد اليها سابور اثنى عشر ألف أهل بيت من أهل إصبهان واصطخرو سائر كور ممالكه ، ونفذهم اليها وأسكنهم إياها . قال : وبقى قيصر فى أسر سابور حتى مات فى الحبس . فأمر فحمل تابوته إلى بلاد الروم .

ثم إن سابور بنى بأرض الحوز مدينة سماها خرّم آباد ، وأسكنها الأسارى . وبنى فيما يلى الشام مدينة أخرى وسماها فيروز سابور. وذكر غير صاحب الكتاب أنها الأنبار، وأنه سماها برزخ سابور. وبنى بالأهواز مدينة أخرى وأسكنها أسارى الروم خاصة وهى التى سمتها العرب السوس. وهى مدينة الى جانب الحصن الذى فيه تابوت فيه جثة دانيال النبى صلعم . وهو الذى بنى بأرض خراسان مدينة وسماها نيسابور .

§ ثم إنه بعد خمسين سنة من ملكه ظهر مانى المصوّر من أرض الصين ، وادعى النبوة . فجاء الى سابور واستعان به فى إظهار دينه . وكان رجلا عذب الكلام حلو البيان يخلب القلوب ويسحر العيون . فساء ظن سابور[3] وأحضر الموابذة وقال : انظروا فى أمر هذا المصوّر[4] . فإنى قد وقعت من شأنه فى شك. فناظَروه وباحثوه فانقطع المصوّر المزوّر، وظهر للملك أنه من حلية الصدق عاطل،

---

§ هذا خلط آخر بين تاريخ سابور الأول وسابور الثانى . مانى ولد حوالى سنة ٢١٥ م . وبدأ تعليمه أوّل ولاية سابور بن أردشير فنفاه سابور . ثم أذن له هرمزد فى العود الى ايران ثم قتله بهرام بن هرمز .

انظر الطبرى ومروج الذهب فى الكلام عن بهرام بن هرمز، وفارس نامه فى تاريخ سابور الأول . وانظر تفصيل الكلام عن مانى فى الآثار الباقية ص ٢٠٧

---

(١) طا : تفرجوا لى . (٢) طا : فقتل من أهلها خلق وأسر خلق . (٣) طا : ظن سابور به .
(٤) طا : المصوّر المزوّد .

وأن كلامه زور و باطل . فأمر به فسلخ جلده وحشى تبنا وصلب على باب المدينة[(١)] . فأصبح للبطاين قاطبة عبرة صامتة ناطقة .

واتسقت أمور ممالك سابور، ولم يبق له عدو فى جميع الأطراف . وكانت أحواله مستمرة على وفق المرام متسقة فى سلك النظام[(٢)] الى أن شارف سبعين سنة ، وحان وقت رحيله . فاستحضر أخاه المسمى أردشير، وكان أصغر منه ، وكان لسابور ولد صغير يسمى سابور أيضا . ودعا بموبذ الموبذان فقال لأخيه : إنى أسلم اليك تاج السلطنة[(٣)] على أن تعاهدنى على أن[(٤)] تسلمه الى ولدى عند بلوغه مبلغ الرجال، وتكون له دستورا ومدبرا ومشيرا . فعاهده أردشير على ذلك بمحضر من العلماء والأكابر ، وأبرموا العهود والمواثيق . ثم قضى سابور نحبه وصار الأمر الى أخيه أردشير .

٣٠ — ذكر نوبة أردشير أخى سابور ذى الأكتاف ، الملقب بالمحسن . وكانت مدة ولايته عشر سنين (ا)

قال : ولما جلس أردشير على تخت الملك واعتصب بتاج السلطنة استحضر أكابر الايرانيين ونصحهم ووعظهم ثم قال : إن سابور قد سلم الى الملك لأقوم بتدبيره وأنهض بأعباء أموره الى أن يترعرع ولده سابور ويصلح لأن يتقلد أمر التاج والتخت فأفوضه عند ذلك اليه ، وأقرر حقه من ذلك عليه . فأنا اليوم كالنائب بين يديه . ثم إنه سار فيهم بأحسن سيرة وأعدل طريقة . وأسقط عنهم الخراج وقال : لا آخذ منكم شيئا و إنما أقوم بسياسة أموركم تبرعا . فسموه أردشير نيكوكار ، ومعناه ذو الأفعال الحسنة الرضية . ثم إنه بعد عشر سنين من ملكه سلم التاج والتخت الى ابن أخيه سابور بن سابور وصار له وزيرا ومشيرا . (١٥٣)

٣١ — ثم ملك سابور بن سابور ذى الأكتاف (ب)

قال : فقعد مقعد عمه ، وعقد التاج على رأسه ، وحضرته أكابر الفرس فخاطبهم بخطاب نصحهم فيه ووعظهم ووعدهم من نفسه الخير . فدعوا له وتفرقوا من ذلك المجلس . ثم إنه قام بأمر الملك خمس سنين وأربعة أشهر . فاتفق أنه ذات يوم خرج[(٥)] الى الصيد فصار الى متصيده فضربت

(ا) فى الطبرى وفارس نامه أنه خلع بعد أربع سنين ، وأنه كان ظالما سفاكا للدماء . وفى البيرونى أن لقبه الجميل . ملك (٢٧٩ — ٢٨٣م) . وقصته فى الشاه ١٧ بيتا .

(ب) ملك (٢٨٣ — ٢٨٨ م) . وفى الطبرى أن بعض الكبراء أسقطوا عليه الخيمة . انظر فى مروج الذهب حروبه مع قبيلة إياد وغيرها . وقصته فى الشاه ٣٢ بيتا .

(١) طا : باب مدينه . (٢) طا : الانتظام . (٣) صل : التاج والسلطنة . والتصحيح من طا ، كو .
(٤) طا : على أنك تسلمه . (٥) طا ، كو : خرج ذات يوم .

خيمة ومدّ السماط بين يديه . فلما طعموا وانتشروا أراد أن يقيل ساعة فنام فعصفت الريح وهو نائم فوقع عليه عمود الخيمة فمات .

٣٢ — ثم ملك ابنه بهرام بن سابور بن سابور (ا)

فلما فرغ من عزاء أبيــه تسنم سرير الملك . وحضرته أكابر الفرس فوعدهم من نفسه العدل وأنه يسير فيهم بأحسن سيرة . فقام بالملك أربع عشرة سنة . ثم مرض ولم يكن له ابن، وكانت له خمس بنات، وأخ أصغر سنا منه يسمى يزدجرد، فعهد اليه ومات .

[أيها (ب) الشيخ الذى بلغ من السنين ثلاثا وستين! حتام تهيم بذكر الراح؟ لا بدّ أن يفجاك الأجل، فبادر التوبة وأصلح العمل . ليرض الملك عن هذا العبد، وليكن رأس ماله العقل وربحــه القول الأسدّ . فانه يشقق فى القول الشعر، وينسج فى الظلام محمود الأثر . ولا عجب أن يشدو بالشعر على الكبر فقد سما به الملك العظيم، ورفعه فوق النــاس أجمعين . فليسر الزمان فيما يشتهى المليك الأغر وليكن تحتــه تاج القمر، وليقتو به سرير الملك فمنه تنــال الرغائب وبه يرفع الذكر . ولتكن العظمــة والمعرفة سبيل عليائه، ولا تنله يد أعدائه . أدام الله دولة محمود، وجعل سريره غرة السخاء والجود].

٣٣ — ذكر نوبة يزدجرد بن سابور بن سابور ذى الأكتاف وكانت مدّة ملكه سبعين سنة §

وهو يزدجرد الملقب بالأثيم . وكان فظــا غليظا يســتعظم فى الثــواب ردّ الجواب، ويستصغر فى العقاب ضرب الرقاب . ولمــا استوى أمره وانتظم ملكه زاد ظلمه ونقص عدله فعطل مراسم

§ يزدجرد الأوّل (٣٩٩ — ٤٢٠م) الذى يلقب الأثيم (بزه كار) والخشن، كان ملكا مسالمــا يكره الحرب، وضرب على سكّته اسمه "يزدجرد المسالم" .

وقد سنحت فى عهــده فرص كثيرة لمحــاربة الروم والاستيلاء على أرضهم فى آسيا فلم ينتهزها، وبلغ من مسالمته إياهم أن الامبراطور أركديوس (Arcadius) أوصى اليه بحماية ابنــه ثيودسيوس (Theodosius) فقبل يزدجرد الوصية وأرسل أحد الخصيان من أولى العلم ليكون حارسا له . =

(ا) ملك (٣٨٨ — ٣٩٩م) . وفى الطبرى وفارس نامه أنه ابن سابور ذى الأكتاف . واذا نظرنا الى سن سابور ابن سابور يوم ولى الملك والى مدّة حكمه عرفنا أن محالا أن يخلفه ابن كبير يخطب الناس . ويوافقهما البيرونى على أنه الملقب "كرمان شاه" لابهرام الثالث، كما تقدّم . وقد وجد خاتم له عليــه « ورهران كرمان ملكا » . وفى الطبرى أنه رمى بنشابة فمات . وقصته فى الشاه ٢٥ بيتا .

(ب) فى الشاه هنا أبيات يذكر فيها الفردوسى عمره، ويثنى على السلطان محمود حذفها المترجم وترجمتُها وأثبتّها بين قوسين .

والصولجان ومطاردة الأقران فى الضراب والطعان، وتصريف الأعنة وعطفها يمنة ويسرة فى المعترك والميدان، والرابع من يسرد عليه سير الملوك وتواريخهم ويخبره عن أفعالهم الحميدة وأقوالهم السديدة . قال : فلما حصلوا عند المنذر سلم بهرام اليهم فأخذوا فى تعليمه حتى برع فى جميع ما قصدوا لتعليمه إياه.

ولما بلغ سنه ثمانى عشرة سنة استغنى عن المعلمين فأشار على المنذر بأن يردّهم . فخلع عليهم المنذر وأعطاهم أموالا وافرة، وردّهم الى بلادهم مسرورين مغبوطين . قال : فسأل بهرام المنذر أن يأمر فرسان العرب بأن يجروا بين يديه خيولهم العراب ليشترى منها ما يريد . فقال : أيها الشهريار ! إذا كنت تشترى الخيل فلمن أعددت الجرد العتاق والحُصُن العراب ؟ هل هى إلا لك[1] وصاحبها بين يديك ؟ فقال : إنى ما أريد من الخيل إلا ما أعدّيه فى المهابط[2] ثم أضمره حتى يصير والريح طليق عنان، وشريكى رهان . وإذا لم يكن المركوب مجربا فلا ينبغى أن يعتمد عليه الراكب . قال : فنفذ المنذر ولده النعمان الى قبائل العرب ليختار له الخيل . فاختار مائة فرس وجاء بها الى بهرام . فخرج الى ميدان المنذر، وأجراهن فاختار منها فرسين : كميتا وأشقر قد جلبا من أرض الكوفة . فاشتراهما له المنذر ووهبهما له . ثم إنه قال ذات يوم للمنذر : إن وجوه الرجال لتصفر من ضيق الصدور، وإنما تحسن مناظرهم بالنشاط والسرور . وليس شئ أجلب للفرح والانشراح من النظر الى الوجوه الصباح . والمرأة سكن الرجل مالكا كان أو مملوكا . وهى التى تلجم الشباب بشكيمة العقل، وتصونهم[3] عن الغباوة والجهل . فمر بعرض الجوارى علىّ لأختار منهن واحدة أو اثنتين ليكون الرب عنى راضيا، وأكون بين الناس محمودا . فأمر الملك فجاءوا بأربعين من الوصائف الروميات . وعرضهن عليه فاختار منهن جاريتين أحسن ما يكون من البشر، إحداهما[4] جنكية (أ) . فشغف بهما بهرام فلم يكن له شغل سوى مطاردة الأقران واللعب بالكرة والصولجان ومداعبة النسوان . فخرج يوما الى الصيد ومعه الجارية المغنية . وكان له هجين مسرج بسرج مغطى بالديباج ، له أربعة رُكُب : ركابان من الذهب وركابان من الفضة . فيركبه ويرتدف الجارية وفى حجرها الجنك، ومعه العدّة، وتحت ركابه قوس البندق . فبينا هو يعدى الهجين فى الصحراء إذ عنّ له غزالان ذكر وأنثى فقال للجارية : أى الغزالين أرمى ؟ فقالت : إن رمى الغزال أمر هين . ولكن اجعل بنشابك الأنثى منهما ذكرا والذكر أنثى . ثم ارم الذكر وهو يعدو ببندقة فى إحدى أذنيه فانه يرفع رجله فيحك بها أذنه . فارمه عند

(أ) يعنى تضرب على الجنك وهو الرباب .

(١) طا، كو : هى لك . (٢) كو : فى المصاعد والمهابط . (٣) كو : وتصونه .

(٤) كو : إحداهما جنكية، والأخرى مغنية . (٥) كو : وملاعبة الخرائد الحسان .

ذلك بنشابة أخرى تخيط بها رجله الى أذنه الى رأسه . قال : فوتر قوسه واستخرج نشابة ذات مشقص برأسين . فسدّدها نحو الذكر فاختطف قرنيه من رأسه فصار بذلك أنثى أى أجم . ثم أخرج نشابة أخرى فأصاب بها ورك الأنثى فنفذت النشابة فيها حتى خرج نصلها من أم رأسها، وأعقبها بأخرى مثلها . فصارا فى رأسها كالقرنين لها . فعادت بذلك الأنثى ذكرا، أى ذات قرنين كالذكر . ثم رمى الغزال الأول فى أذنه ببندقة فخدرت فرفع ظلفه يحكها به . فرماه حينئذ(١) أخرى خاط بها رجله وأذنه ورأسه جميعا . فرقت الجارية عند ذلك للغزالين فمدّ يده اليها فألقاها من خلفه الى الأرض، وأوطأها الهجين فداسها بأخفافه حتى ماتت . وأنكر اقتراحها عليه مثل ذلك مع صعوبته وقال : لو لم أصب كما قلتِ لضاقت علىّ الأرض برحبها، وكدت أهلك أسفا . ثم لم يستصحب بعد ذلك جارية الى الصيد .

قال : و بعد أسبوع آخر خرج الى الصيد بالبزاة والفهود فرأى فى سفح بعض الجبال أسدا قد افترس حمار وحش فرماه بنشابة أنفذها فيهما حتى مرقت . فتعجب المنذر من قوته واشتداد يده ، وأمر بإحضار المصوّر فأمره فأخذ ثوب حرير وصوّر عليه صورة بهرام راكبا على الهجين، وصورة الغزالين المذكورين على هيئتهما، وصورة الأسد وحمار الوحش والنشابة النافذة فيهما، الى غير ذلك من أفعاله العجيبة فى صيد النعام والسباع والوحوش . ثم نفذها الى أبيه يزدجرد . وكان كلما رأى منه شيئا عجيبا أمر المصوّر بتصويره ونفذ الصورة الى الملك . ثم إن بهرام قال للنذر ذات يوم : قد اشتقت الى لقاء الملك فردّنى اليه . فهيأ أسبابه وجهزه الى أبيه، ونفذ فى خدمته ولده النعمان . فلما أتى الخبر يزدجرد بوصول بهرام والنعمان أمر أكابر الدولة وأعيان الحضرة باستقبالهما فتلقوه . ولما دخل على الملك تعجب من شكله وقدّه وقالبه ، و بهت لجماله وبهائه ورونقه . فسايله وسايل النعمان، وأكثر مسايلته وأكرمهما . فأنزل بهرام فى قصره وأنزل النعمان فى منزل يليق به . فصار بهرام يلازم أباه و يقف فى خدمته ليلا ونهارا حتى لا يقدر أن يحك رأسه . ثم استحضر الملك النعمان بعد شهر وأقعده على التخت عنده وقال له : إن المنذر قد تحمل فى تربية بهرام عناء كبيرا، وعلىّ مجازاته . فأعطاه خمسين ألف دينار، وخلعة من ملابسه الخاصة، وعشرة أفراس بآلات الذهب، وعدّة من الجوارى والغلمان . وصرفه الى أبيه وكتب اليه كتابا يشكره فيه . ثم لما انصرف النعمان شيعه بهرام، وشكا اليه سوء أخلاق أبيه، وسأله أن يبلغ ذلك الى المنذر . فسار النعمان وبقى بهرام يخدم أباه ليلا ونهارا . فاتفق أنه ذات ليلة(٢) كان واقفا على رأسه فغلبه النوم . فالتفت اليه فرآه قد غمض عينيه

(١) طا، كو : بنشابة أخرى . (٢) طا : كان ذات ليلة .

فصاح عليه، وأمر بعض الحرس بأن يلزمه فى بيته(١)، ولا يدعه أن يخرج بعد ذلك . فاحتبس بهرام فى إيوانه لا يخرج الى صيد ولا الى ميدان. فاتفق أن ورد على يزدجرد رسول من الروم(ا)فأرسل بهرام اليه وسأله أن يخاطب أباه فيه ويستأذن له فى الرجوع الى المنذر ومعاودة بلاد العرب. ففعل الرسول ذلك فأذن له . فركب ولحق بمن رباه لاعنا أباه . فأعاده المنـذر الى ما كان عليه من الكرامة والإعزاز . ثم إن يزدجرد سأل بعض المنجمين عن عاقبـة ملكه وخاتمة أمره، وعن أمارات تدل على اقتراب أجله . فقال : اذا حصل الملك عند عين المـاء المعروفة بعين السوء(ب) — وهى عند بيت نار لهم فى خراسان عنـد مدينة طوس — فقد قرب أجله . فحلف ألا يأتى تلك العين أبدا . فلما كان بعـد مدّة أخرى مرض وابتلى بالرعاف الكثير المتواتر فعالجه الطبيب فلم ينجع فيه . فأشار عليه بأن يصير الى عين السوء ويغتسل فيها ليسكن رعافه . فاضطرّ عند ذلك الى المصير اليها . فسار فى العماريات(٢) الى تلك العين . فنضح من ذلك المـاء على رأسه فسكن الرعاف وعوفى، وأقام عنـد تلك العـين مسرورا . فلما كان ذات يوم خرج من ذلك المـاء(ج) فرس أشهب نهد كالأسـد، يصهل، فى أحسن صورة وأجمل هيئة . فأمر أصحابه بأن يحدقوا به ويأخذوه فلم يقدروا عليـه . فوثب بنفسه واتبعه . فوقف له فألجمه ووضع على ظهره السرج، وشدّ حزامه ولببه، وهو واقف بين يديه مستكينا له كالحمار الدبر . فاستدار من خلفه ورفع من ذنبـه ليثفره فرفسه فى صدره برجليه فخرّ فى الحال ميتا . وعاد الفرس الى المـاء، وانغمس فيـه حتى غاب . فوقع الضجيج فى العسكر وهم ما بين شامت يظهر الجزع، ومتباك يضمر الفرح . قال : ثم جاء الموبذ وشق عن صـدر يزدجرد وخاصرته ورأسه . ووضعوه فى تابوت من الذهب . وحملوه فى مهد من الساج . ونقلوه الى بلاد فارس . وعملوا له ناووسا ووضعوه فيه .

ولمـا فرغوا من ذلك كله اجتمعت أكابر الفرس وعلماؤهم وموابذتهم، وتشاوروا فيمن يقوم مقامه . فصاروا يدا واحدة على ألا يولوا أحدا من شجرة يزدجرد لمـا نالهم من ظلمه وجوره(د) . وكان

(ا) فى الطبرى وفارس نامه أنه أخو قيصر . واسمه فى الشاه طينوش . وفى الطبرى ثياذوس . وامبراطور الروم إذ ذاك اسمه ثيودسيوس (Theodosius) . انظر مقدمة هذا الفصل .

(ب) هى فى الشاه : عين سَو . انظر صورتها فى سيكس (Sykes) ج ١ ص ٤٣٠

(ج) فى الطبرى أنه كان فى جرجان، وفى الطبرى وفارس نامه أن الفرس جاء الى قصره .

(د) فى الطبرى وفارس نامه : أنهم كرهوا بهرام لأنه نشأ بين العرب وتأدب بآدابهم، ولم يعرف آداب الفرس . ويزيد الطبرى أنهم كرهوه لسيرة أبيه، وأنهم لم يجيزوه فى ولاية .

(١) كو : يلزمه بيته . (٢) صل : فى العمارات . والتصحيح من طا، كو .



بهرام كور يرمى أسدا يفترس حمار وحش فتمرق النشابة منهما

[منقولة من الشاهنامه — طبع تبريز سنة ١٢٧٥ — بعد حذف الأبيات]

(١٥٥) فيهم رجل كبير من الشجرة الكيانية يسمى خُسَرو . فاتفقوا عليه وأقعدوه على تخت السلطنة، وحيوه بتحيـة الملوك . فبلغ الخبر بهرام فأخذه المقيم المقعـد فجلس فى عزاء أبيه، وحضره المنـذر والنعمان فى جميع أمراء العرب . فقال بهرام[١] : إنه إن استمر حال الإيرانيين على ماهم[٢] عليه قصدوا ممالك العرب، ونالوهم بكل سوء ومكروه . فعاونونى عليهم حتى أخلص منهم حق وأخلص الى سرير أبى . فجمع المنذر ثلاثين ألف فارس، وسار مع بهرام متوجها الى طيسفون، وأخذ يعيث فى أطراف ممالك الفرس . فأرسلوا اليه رسولا . فلما وصل اليـه الرسول أمره بأن يصير الى مخيم بهرام . فلمـا رأى الرسول بهرام وشكله وبهاءه وأبهته تعجب منه، وقال : من يصلح للملك غيره ؟ ثم أدى عنده الرسالة فأحال بالجواب على المنذر فأجابه المنذر وردّه . ولم تزل الرسـل مترددة حتى استقر الأمر بين أكابر فارس وبهرام والمنذر على أن ينصبوا تختا ويضعوا عليه التاج وزينة الملك، ويشدّوا الى قائمتى التخت سـبعين ضاريين مجوّعين. ثم ينتدب لها بهرام وخسرو . فمن قهر السبعين منهما ، وتناول التاج من التخت فهو الملك . ففعلوا ذلك . وحضر بهرام فى عدّته ، وحضر خسرو ، واجتمع جميـع أكابر المملكة . فقال بهرام لخسرو : تقدّم . فقال : أنا بيدى الأمر، ومعى التاج والطوق، وأنت الطالب. فتقدم أنت . فتناول الجرز فقال له موبذ الموبذان : إنا برآء من دمك أيها الشهريار . فقال نعم ! وأقدم على السبعين . فقال له الموبذ : تب الى الله تعالى ، وانو الخير حتى ينصرك الله على السبعين. فتقدم كأنه ركن من جبـل . فوثب اليه أحد السبعين فتلقاه بجرزه وضربه على أم رأسه فرضّه وخر كأنه خباء مقوض . ثم أقبل الى السبع الآخر وضرب جبهته بذلك الجرز فأثخنه فخر أيضا كجلمود صخر حطه السيل من عل . فتناول عند ذلك التاج وعقده على رأسه وتسنم التخت فكان خسرو أول من حيـاه بتحية الملك[٣]، ودعا له وأثنى عليـه، وقال : أنت الملك ونحن عبيـدك، وأنت السلطان ونحن جنودك . ونثرت عليه الجواهر وضربت البشائر وقيل ما معناه قول الشاعر :

قـــد رجع الحق الى نصابه وأنت من دون الورى أولى به

---

(١) طا : بهرام المنذر .

(٢) طا : ما هى عليه .

(٣) طا : بتحية الملوك وبجد لتوجناه بالملك ودعا له الخ .

٣٤ — § ذكر نوبة بهرام بن يزدجرد المعروف ببهرام جور . وكانت مدة ملكه ستين سنة

قال صاحب الكتاب : فجلس بهرام للناس سبعة أيام متوالية يعدهم الخير من نفسه، ويأمرهم بتقوى الله وطاعته . ولما كان اليوم الثامن استحضر الكاتب وأمره أن يكتب الى كل واحد من ملوك الأقاليم، وأصحاب الأطراف كتابا يخبره فيه بأن بهرام قعد مقعد أبيه من تخت السلطنة، وأن الناس قد دخلوا له فى ربقة الطاعة ، وأن الخلائق قد استظلوا بظلال معدلته واستمسكوا بحبل خدمته . فكتب[1] الكتب ونفذت على أيدى الرسل اليهم . واجتمعت أكابر الفرس الذين تحالفوا وتعاهدوا على مخالفة بهرام فدخلوا على المنذر بن النعمان وسألوه مخاطبة الملك فى حقهم حتى يتجاوز عما بدر منهم من سوء الأدب ، ويغفر لهم تلك الزلة . فدخل المنذر على بهرام وكلمه فى حقهم، ولم يزل به حتى عفا عنهم. ثم جلس من الغد وأذن لهم فى الدخول عليه فأقعد كل واحد منهم فى مرتبته من خدمة السرير، ثم مد[2] السماط . ولما طعموا جلس[3] للشراب . وبقى كذلك ثلاثة أيام. ثم ذكر للحاضرين حسن صنيع المنذر وولده النعمان، وشكرهما على رءوس الأشهاد . وقام[4] الحاضرون فأثنوا على المنذر وشكروه ودعوا له . ثم أمر بإحضار جملة وافرة من نفائس الجواهر والخيل والأسلحة والذهب والفضة والملابس والمفارش والجوارى والغلمان فأمر بتسليم ذلك كله الى المنذر والنعمان. وخلع على جميع أمراء العرب

---

§ بهرام كور أو بهرام الخامس ولى (٤٢٠ — ٤٣٨م) وذلك يوافق رواية الطبرى والبيرونى أنه حكم ثمانى عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما ويخالف رواية أخرى فى الطبرى ومروج الذهب أنه حكم ثلاثا وعشرين سنة . وقد أطالت الأساطير حكمه وسيرته، كما فى الشاهنامه، اذ كان ملكا شجاعا محببا الى رعيته فاخترعوا له قصصا تبين عن مكانته فى نفوسهم ، كدأب العامة مع كل ملك عظيم أو بطل كبير .

وكان بهرام موفقا فى سياسته فقد صالح الروم على شروط عادلة بعد أن هزموا جيشه . وهزم الهياطلة . وساس رعيته عادلا لا يحابى، وحث الناس على الزراعة وأعانهم عليها ، ونفق العلوم والآداب . ولم يمنعه حب اللهو والصيد أن يؤدى ما يجب عليه . ولما مات كانت فارس فى أوج عظمتها[5] .

=

---

(١) طا : فكتبت . (٢) طا، طر : مدوا . (٣) طا ، طر : جلسوا . (٤) طا ، طر : فقام .

(٥) سيكس (sykes) ج ١

الذين كانوا فى خدمتهما، وخص كل واحد منهم بعطية سنية . ثم صرفهم الى بلادهم شاكرين غانمين . ثم خلع على خسرو وأعطاه عطايا كثيرة وتحفا نفيسة ، وجعله ملك حجابه وسالاربابه . وقلد أخاه نرسى بن يزدجرد قيادة الجيوش وتدبيرهم ، وجعله بهلوان العساكر . ثم أمر الجند بأرزاقهم حتى صلحت أحوالهم . ثم استحضر الكاتب والدستور وأمرهما بالكشف عن البقايا الواجبة على رعايا ايران ، وإحصائها وعرضها لديه . ففعلوا فكان المجموع ثلاثة وتسعين ألف ألف دينار . فأمر بإسقاطها كلها عنهم، وأحرق الجرائد الناطقة ببقائها عليهم . فاستفاضت هذه المكرمة الجليلة، واستبشر بها جميع أهل المملكة فدخلوا بيوت النار ونثروا المسك عليها ، وسألوا الله تعالى ثبات ملكه ودوام دولته . ثم أمر بتفريق ثقاته فى أقطار الممالك حتى يسترجعوا الذين تفرقوا فى أيام أبيه من عسفه وجوره الى أوطانهم . فعادوا آمنين وادعين .

ثم إنه لما استتب أمره، واستقام ملكه ، وشمل البر والبحر حكمه تفرغ للصيد والطرد واللهو والطرب، فيوما فى الميدان للعب بالكرة والصولجان، ويوما فى البستان بين الراح والريحان ، ومرة خلف غزلان الإنس ، وآونة خلف غزلان الوحش . فاتفق[1] أنه خرج ذات يوم الى الصيد فعبر

= وقد ذكرت فى الفصل السابق سيرة بهرام فى صباه وتربيته بين العرب فى الحيرة . وقد بقيت ذكرى هذا فى الأدب الفارسى والعربى . فالفرس يقولون أنه أول من قال الشعر، وأنه أخذه عن العرب، ويروون له أبياتا فارسية . والعرب يروون من شعره العربى والفارسى[2] .

وقصة بهرام كور فى الشاهنامه عشرون وتسعمائة بيت فيها العناوين الآتية . وما بين الأقواس ليس فى الترجمة :

(١) الفاتحة : ملك بهرام — ثلاث وستون سنة . (٢) توديع بهرام المنذر والنعمان ، وهبة باقى الخراج للايرانيين . (٣) بهرام ولنبك السقاء . (٤) بهرام وبراهام اليهودى . (٥) تقسيم بهرام مال براهام اليهودى . (٦) بهرام ومهر بنداد . (٧) بهرام وكبروى ، وتحريم الخمر . (٨) الإسكاف الصغير والأسد وتحليل بهرام الخمر . (٩) [إخراب موبد بهرام قرية وتعميرها . (١٠) بهرام وأربع الأخوات .] (١١) عثور بهرام على كنز جمشيد . (١٢) [بهرام مع التاجر وصبيه .] (١٣) قتل بهرام تنينا وقصته مع امرأة الدهقان . (١٤) ذهاب بهرام الى الصيد وتزوج بنات برزين الدهقان . (١٥) بهرام يظهر مهارته فى الصيد ويتزوج بنت الجوهرى . (١٦) [بهرام مع فرشيدورد والرجل قالع الشوك .] (١٧) ذهاب بهرام الى الصيد وقتله =

(١) فى حاشية الأصل هنا : قصة بهرام مع لنبك السقاء واليهودى . (٢) مروج الذهب والغرر ومعجم شمس قيس الخ .

عليه شيخ بيده عصا فذكر له أنه ها هنا يهودى (١) ذو ثروة واسعة وأموال جمة، وهو مع ذلك لئيم جاهل، وعن حلية المروءة عاطل. وقيل: ها هنا[1] رجل آخر سقاء فقير يطعم الأضياف ولا يخشى الإسراف. فسأل عنه الملك فقيل: إن من عادته أن يدور بقرب الماء على الأبواب الى نصف النهار، ثم يطلب الضيف ويحمله الى بيته وينفق عليه كسب يومه ولا يترك شيئا الى غده. فأمر الملك بأن ينادى فى السوق أن من اشترى ماء من لبنك السقاء لم يلق خيرا. ولما تورست الشمس ركب متنكرا وجاء الى بيت السقاء وقرع الباب وقال: أنا من مماليك السلطان وقد تخلفت عنه وأمسيت، وأريد أن أبيت الليلة فى هذا البيت حتى اذا أصبحت لحقت به. قال: فرحب به السقاء وقال: انزل متع الله بك الملك، ويا طوبى لو كان معك عشرة آخرون فكنت أحملهم على رأسى وعينى. فنزل الملك، وأخذ السقاء بعنان فرسه، ونفض عنه الغبار وحط سرجه ومسح ظهره. ثم عدا وسعى فى إصلاح طعام له فقدمه بين يديه. فلما رأى بهرام ذلك ضحك ثم اشتغل بالأكل. ولما فرغ جاء بالشراب فكان الملك يشرب ويقضى العجب من سعة صدره مع ضيق يده. ثم نام ولما أصبح جاء السقاء واعتذر اليه وسأله أن يقيم عنده ذلك اليوم ليقوم بحق ضيافته. فأجابه الى



= آسادا. (١٨) براعة بهرام فى صيد حمر الوحش. (١٩) إغارة خاقان الصين على إيران، وطلب الإيرانيين الصلح. (٢٠) هجوم بهرام على خاقان الصين. (٢١) نصب بهرام ميلا على حد إيران وتوران. (٢٢) رسالة بهرام الى أخيه نرسى والإيرانيين. (٢٣) رجوع بهرام الى ايران. (٢٤) وصية بهرام الى عماله. (٢٥) بهرام يدعو اليه رسول قيصر الروم و يسأل الرسول الموبذ فيجيبه عن أسئلته. (٢٦) بهرام يأذن لرسول قيصر فى السفر، ثم ينصح عماله. (٢٧) شنكل يأخذ كتاب بهرام ويجيب عنه. (٢٨) شنكل يأدب لبهرام، وبهرام يظهر قوته. (٢٩) شنكل يرتاب فى بهرام ويمنعه الرجوع الى ايران. (٣٠) بهرام يقاتل الذئب بأمر شنكل ويقتله. (٣١) بهرام يقتل تنينا. (٣٢) شنكل يحتار فى أمر بهرام و يزوجه ابنته. (٣٣) فغفور الصين يكتب الى بهرام ويجيبه بهرام. (٣٤) بهرام يفر من الهند الى ايران مع بنت شنكل. (٣٥) شنكل يتبع بهرام، ويعرف من هو و يصالحه. (٣٦) شنكل يعود الى الهند وبهرام الى ايران. (٣٧) شنكل وسبعة ملوك يزورون بهرام. (٣٨) شنكل يعود الى الهند، و بهرام يسقط الخراج عن الأرض. (٣٩) بهرام يجلب اللورية (الغجر) من الهند. (٤٠) كيف انتهى عهد بهرام.

(١) اسمه فى الشاه: براهام.

(1) طا، طر: وها هنا.

ذلك فأخذ قربته وأداته، ودار بالماء ساعة فلم يشتر أحد منه. فغمه ذلك فخلع قميصه، وائتزر بمئزر كان يلبسه تحت القربة، فباعه واشترى لحما وكشكا وأصلحهما له ثم قدمه اليه فطعم. فأحضره[١] الشراب وأخذ يسقيه حتى ثمل ونام. ولما أصبح جاءه وسأله أن يقيم عنده اليوم الثالث أيضا، وقال: إن أقمت عندى اليوم فقد أحسنت إلىّ وأنعمت علىّ. فأجابه بهرام الى ذلك فأخذ قربته وسائر أداته، ورهنها على ما احتاج اليه، ودخل البيت فرحان مسرورا. ووضع اللحم وقال لبهرام: عاونى على إصلاح الطعام. فأخذ بهرام يقطع اللحم. ولما استوى طبيخهم أكلا واشتغلا بالشرب حتى نام بهرام. ولما أصبح أتاه السقاء واعتذر اليه وقال: إن كنت تصبر عن الملك فأقم عندى أسبوعا أو أسبوعين فى هذا المنزل الرث وان كان لايليق بك. فشكره بهرام وأثنى عليه وقال: سأحدث بحديثك حيث ينفعك. فأسرج فرسه وركب مغلسا، وصار الى متصيده وأقام فى معسكره. ولما أمسى ركب وجاء الى بيت اليهودى وقد جنّ الليل، فقرع بابه وقال: إنى تأخرت عن السلطان، وقد هجم الليل، وقد أضللت الطريق. فإن آويتمونى الليلة لم أحملكم كلفة، وتقلدت لكم منة. فجاء الغلام وأخبر اليهودى بالطارق الذى طرق وبقوله. فصاح عليه وقال له: قل[٢] ليس عندنا موضع. فبلغه الغلام ذلك. فقال بهرام: لا بدّ من ذلك. فأخبر اليهودى فقال: قل له إن موضعنا موضع ضيق، وصاحبه يهودى فقير جائع لا يقعد إلا على الأرض، وهذا الموضع لا يصلح لمثلك. فذكر له الغلام ذلك فقال بهرام: إنى أبيت خلف الباب ولا أكلفكم شيئا، واذا أصبحت خرجت. فأتاه اليهودى بنفسه وقال: أيها الفارس! قد صدعتنى الليلة. وكأن الدنيا ضاقت عليك حتى جئت الى بيتى. فعاهدنى الآن على أنك اذا دخلت البيت لا تطلب منى شيئا ولا تحملنى مؤونة، وإن كسر فرسك بحافره شيئا من الآجر أعطيتنى عوضه، وأنك[٣] تكنس غدا زبله وترميه الى خارج. فحلف له بهرام على ذلك. ففتح الباب وأدخل فرسه فحط عنه سرجه ووضعه تحت رأسه، وفرش لبده تحته ونام عليه. وبقى الفرس بلجامه صافنا خلف الباب. وأغلق اليهودى الباب، وقعد فى مجلس له، وأحضر طعامه وأخذ يأكل وحده ولا يدعو ضيفه. فقال له[٤]: أيها الفارس! احفظ عنى هذا الكلام: إنه قيل كل من كان له شىء يأكل، ومن لم يكن له شىء ينظر. فقال بهرام: قد بلغنى ذلك سماعا، ورأيته الليلة عيانا. ثم لما فرغ من الطعام جاء بالشراب وأخذ يشرب. فلما تمكن منه السكر قال: أيها الفارس التعبان! اسمع هذا المثل الآخر: قد قيل من كان يملك شيئا فليأكل، ومن لم يكن له شىء فليبت جائعا نائما مثلك. قال: فلما طلع الفجر أسرج بهرام فرسه ليركب فجاءه اليهودى وقال:

---

(١) كو: وأحضره. (٢) طا، كو، طر: وقال: قل له. (٣) طا، طر: وعلى أنك.
(٤) كو: وقال فى أثناء ذلك أيها الفارس.

أيها الفارس ! أما تفى بقولك ؟ ألم تشترط أنك تكنس زبل الدابة ؟ فلم تخالف ؟ فقال بهرام : اطلب لى أجيرا يفعل ذلك ، وأعطيه أجرته . فلم يفعل فأخرج بهرام منديل حرير كان معه فحمل فيه الزبل ورماه الى خارج . وركب وعاد الى إيوانه . ولما أصبح استحضر السقاء واليهودى (١) ونفذ الى بيت اليهودى بعض ثقاته ، وأمره بأن يحمل اليه كل ما فى بيته على الجمال والبغال . فرأى بيته مملوءا من الجواهر والرغائب من الذهب والفضة والثياب والحلى والحُلل . فاستعظم ذلك واستكثره، وجاء بألف جمل فأوقرها من بيته بأمواله وذخائره ، وعاد الى حضرة الملك . فأمر الملك بتسليم مائة حمل (٢) منها الى السقاء ، وأعطى اليهودى أربعة دراهم (٣) وقال : يكفيك هذا رأس مال. ثم فرق الباقى على الفقراء والمحتاجين . وأصبح اليهودى من أخسر الخاسرين .

(أ) حكاية أخرى (٤)

ذكر صاحب الكتاب أن بهرام كان ذات يوم جالسا بين ندمائه وجلاسه فدخل عليه بعض أكابر (ب) أهل القرى بأحمال من الفواكه . فأكرمه بهرام وأجلسه بين أصحابه . فرأى قدحا فيه خمسة أمناء من الشراب فأخذه وقال : أشرب سبعة أقداح من هذه ولا أسكر ، وأرجع صاحيا الى ضيعتى . ففعل ذلك غير مكترث بكثرته . ثم استأذن الملك وخرج منصرفا الى ضيعته، وسار فى طريقه فغلى الشراب فى صدره فلم يطق الركوب . فعدل عن الطريق (ج) الى ظل شجرة فنام وغمره النوم والسكر . فنزلت عليه غربان سود من الجبل فاقتلعن عينيه . وأتاه أصحابه فوجدوه ميتا مفقوء العينين، وفرسه مربوطا بين يديه . فأنهوا خبره الى الملك فعظم ذلك عليه فحرم الخمر عند ذلك وقال : لا يشربها وضيع ولا شريف . وصار الملك اذا جلس فى مجلس الأنس يحضر عنده كتب الملوك وتواريخهم وسيرهم فيشتغل بذلك عوضا عن الشرب . فمضت سنة على ذلك فاتفق أن تزوج ابن إسكاف بامرأة ذات مال وجمال . فلما كانت ليلة الزفاف أخرجت أمه قطعة شراب كانت قد خبأتها . وقالت لابنها : اشرب من هذه سبعة جامات فلعلك تفض الليلة الختم، ولا تقرف بين

(أ) حذف المترجم قبل هذه حكاية بهرام فى الصيد مع رجل اسمه مهربنداد . وفى ورنر : مهر بيداد .

(ب) اسمه فى نسخة مول : كبروى . وفى ورنر : كيروى .

(ج) فى الشاه : أنه لما أحس حر الشراب ركض فرسه عامدا الى جبل فنزل فى ظل شجرة وأن أصحابه ركضوا خلفه فأدركوه ميتا . (انظر نسخة مول وترجمة ورنر) .

(١) كلمة السقاء هنا من الشاه، كو، طا .

(٢) صل : جمل . والتصحيح من الشاه، طا .

(٣) صل : قال . وزيادة الواو من طا، كو .

(٤) فى حاشية الأصل هنا : قصة تحريم الخمر .

عشيرتك . فشرب الإسكاف منها سبعة أو ثمانية فاشتدت عروقه وأعصابه . ولما أسبل عليه حجابه تفتح دون مراده بابه . فخرج الى باب داره وهو سكران فرأى أسدا قد قطع السلاسل وأفلت فوثب على ظهره، وعلاه واستمسك بأذنيه . فجاء السبّاع[1] و باحدى يديه السلسلة وبيده الأخرى الحبل يريد إمسا كه فرأى الإسكاف على ظهره كراكب حمار . فانصرف ودخل على الملك وأعلمه بذلك، فقضى بهرام منه العجب فقال لبعض موابذته : كأن هـذا الاسكاف ينتسب الى أصل كريم . ففتش عن نسـبه وأخبرنى به . ففتش عنه فاذا به قد ورث صناعته أبا عن جد، وكل آبائه أساكفة . فلما طال فى بابه الحديث حضرت العجوز وأعلمت الملك بما جرى . فضحك وحلل الخمر ، وأذن أن يشرب منها مقدار ما يتقوى به شاربه حتى يصير بحيث يقاوم السباع ،ولا يسرف حتى يصير شاربها عرضـة للغربان وأشباهها . فارتفعت أصـوات البشائر بتحليل الراح والترخص فى إدارة الأقداح وجلب السرور والأفراح .

(١٥٧)

(أ) حكاية أخرى[2]

قال صاحب الكتاب : وخرج بهرام ذات يوم الى متصيده ومعـه جماعة من موابذته ووزرائه وخواص حضرته . فاعترض الموكب فلاح و بيده مسحاة، وسأل عن الملك فسأله موبذ عن حاله . فقال : لسـت أتكلم حتى أرى وجه الملك . فأتوا به الملك فقال : إن معى سرا أريد أن أبوح به اليك . فثنى بهرام عنانه، وعدل عن الطريق وخلا بالفلاح . فقال له : أيها الملك! إنى كنت أسقى زرعا فى هـذه الأرض فامتلأ القراح ماء فاذا بثقبة فى وسط الأرض ينزل فيها المـاء ويسمع منـه صوت يشبه صوت الصنج . وكأن المكان فيه كنز . فمضى معه الملك الى ذلك المكان ، وضربت له خيمة هناك فنزل . وأحضر الفعلة فأمرهم بحفر ذلك المكان فانتهوا الى أزج مبنى بالآجر والنورة . فظهر له باب ففُتح ودخل فيه موبذ مع شخص آخر فرأيا بيتا واسعا واذا بجاموسين مصوغين من الذهب الأحمر مربوطين على معلف كبير من الذهب مملوء من الزبرجد والياقوت مخلوطا بعضه بالبعض[3]، وقد ركبت فى عيون الجاموسين يواقيت تتقد كالجمر، والجاموسان مجوفان مملوءة أجوافهما باللآلئ الشاهية، وحواليهما تماثيل كثيرة قد صيغت على صور[4] السباع واليعافير والتداريج والطواويس مرصعة بالجواهر

(أ) فى مول، ورز، نسخة تبريز، قبل هذه الحكاية حكايتان ليستا فى هذه الترجمة :

١ — هدم موبذ بهرام قرية وتعميرها . ٢ — وقصة بهرام مع الأخوات الأربع .

(١) صل : فجاء الأسد . وفى طا ، كو : السباع . وهو ترجمة شيربان فى الشاه .

(٢) فى حاشية الأصل هنا : قصة فتح الكنز . (٣) طا ، طر : بعضه ببعض . (٤) كو : على وجوه ،

واليواقيت . فخرج الموبذ وهو ممتلئ فرحا وسرورا فقال لبهرام : أيها الملك ! قد أعطيت كنزا من الجواهر لم ير ولم يسمع بمثله . فقال له بهرام : من كنز كنزا فلا بد أن يكتب عليه اسمه . ففتش فلعلك تجد اسم صاحب هذا الكنز مكتوبا فى شىء . فدخل الموبذ فرأى ختم جمشيد عليها[1] . فخرج وأعلم بهرام بذلك . فقال للموبذ : أيها العالم العاقل ! مالى أفرح بكنز كنزه جمشيد من قبل ؟ لا كان مال لم يعن بجمعه السيف والعدل . وأمره أن يفرق جميعه على الفقراء والمحتاجين والمدينين والغارمين ، بعد أن يسلم عشره الى الفلاح الذى دل عليه . وقال : لا حاجة لعسكرنا الى تفرقة هذا المال عليهم . فان الجواهر ليمكن تحصيلها وابتياعها من الأرامل وعجزة الرجال . وينبغى أن يكتنز الملوك ذكرا جميلا ، ويدخروا أجرا جزيلا . ثم رجع وفتح أبواب كنوزه ودفائنه التى أخذها من الأعداء بسيفه ، وجمعها بعدله ، ففرقها على عساكره حتى أغناهم أجمعين . وقال : معاذ الله أن أكنز دفائن الماضين ، وأفرح بما خلق للفناء أو أفتخر إلا باكتساب المجد والسناء . فدعا له الحاضرون وقرظوه وشكروه وحمدوه .

(ا) حكاية أخرى[2]

ذكر صاحب الكتاب أيضا أن بهرام خرج يوما الى الصيد[3] فانفرد من أصحابه فرأى ثعبانا عظيما كأنه سبع ضار . فى رأسه شعر طويل بطول قده ، وله ثديان كثدى النساء . فوتر قوسه ورماه بنشابة أصابت رأسه فسقط . فنزل عليه وشق بالخنجر صدره فاذا برجل شاب فى جوفه قد ابتلعه . فرق له قلب بهرام حتى بكى . فأظلمت عينه من بخار سمه . فركب كما هو ، ومضى حتى انتهى الى ضيعة . فرأى امرأة على باب دار وبيدها جرة تريد الماء فغطت وجهها من بهرام . فقال لها بهرام : هل عندكم من مبيت؟ فقالت المرأة : الدار دارك فانزل . فدخل بفرسه الدار . فدعت المرأة بزوجها وقالت له : اربط فرسه وامسح ظهره وقدم له تبنا . ودخلت مجلسا له[4] وكنسته وفرشت حصيرا ووضعت مخدة[5] . فدخل بهرام وتمدد مستريحا مما عاناه من مقاتلة الثعبان وقتله وما خامر دماغه من روائح سمه . فقدمت المرأة اليه طبقا من خلاف عليه خل وبقل ولبن وخبز فتناول منها لقيمات ونام . فخلت المرأة بزوجها وسارته وقالت : أيها القبيح الوسخ ! إن هذا الفارس أمير كبير فاذبح له حملا . فامتنع وتعلل بالفقر والعجز . فلم تزل به حتى أجاب وذبح له حملا كان فى بيته فطبخته وقدمته اليه

(ا) حذف المترجم قبل هذه الحكاية ، حكاية بهرام مع التاجر وصبيه .

(١) كو : على جبهة الجاموس . (٢) فى حاشية الأصل هنا : قصة قتل الثعبان ونزوله بيت صاحب ضيعة .

(٣) طا ، طر : المتصيد . (٤) طا ، كو ، طر : مجالسا لهم . (٥) كو : وسادة .

بالمشى فأكل بهرام وغسل يده . وكان منكسر البدن من أثر التعب فقدّمت اليه بقطينة فيها شراب مع قليل من الغبيراء برسم النقل . فأخذ بهرام يشرب ثم قال للمرأة : حدّثينى حتى أشرب على حديثك . ثم قال لها : كيف حالكم مع هذا السلطان ؟ فقالت : إنه لاجور علينا من الملك ولا حيف سوى أنه يأخذ من كل جان يجنى خمسة دراهم (أ) . وليس منه تحامل علينا إلا من هذه الجهة . فاستقل الملك ذلك المقدار وأضمر الزيادة عليه .

وذكر غير صاحب الكتاب أنه رأى بستانا كبيرا عند دارها فسألها عن خراجها[1] ومقـدار ما عليها كل سنة . فقالت : للسلطان كل سنة على هـذا البستان وعلى أمثاله خمسـة دراهم . أو كما قال[2] . فاستقل بهرام المقدار المذكور فى نفسـه ، ونسب عمـاله الى التقصير فى حقه ، ونوى الكشف من عنده وأن يزيد فى مقداره . فنام على هذه النية الظالمة .

ولمـا أصبح أرادت المرأة أن تصلح له لبنية فقامت الى بقرة كانت لهـا لتحلبها فمسحت ضرعها فلم تدرّ ووجدت ضرعها خاليا من اللبن . فقالت لزوجها : إن قلب السلطان قد تغير، وكأنه قد نوى سوءا وأضمر ظلما . فقال لها الزوج : ما هذا التطير؟ فقالت : أما تعلم أن الملك إذا صار ظالمـا جفت الألبان فى الضروع، ولم يأرج المسك فى النوافج، وشاع الزنا والربا فى الخلق، وصارت القلوب قاسية كالحجر الصلد، وعاثت الذئاب وضريت بالإنس، وتخوّف ذوو العقول من ذوى الغواية والجهـل . ولولا حدث حدث لمـا تغير لبن هذه البقرة الحلوبة . فلما سمع بهرام ذلك من المرأة ندم على ما أضمر واستغاث فى سره الى الله تعالى وتاب عما عزم عليه . ثم عادت المرأة الى البقرة تسمى الله تعالى ، ومسحت ضرعها فدرت بلبن غزير . ففرحت المرأة وقالت : إنك يامستغاث الخلق! قد قلبت الظالم عادلا حتى عاد لى ضرع هذه البقرة حافلا . فحلبت وأصلحت لبنية وقدّمتها الى ضيفها فطعم متعجبا من الحالة التى شاهدها . ثم قال للمرأة : خذى هذه السوط وعلقيها على قضيب من الشجرة التى على باب الدار . ففعلت فاذا بعسكر بهرام مقبلين . فلما رأوا السوط نزلوا وقبـلوا الأرض واجتمعوا على باب الفلاح . فعلمت المرأة وصاحبها أنه الملك وعادا الى إيوانه[3]، وقبلا الأرض بين يديه، واعتذرا اليه برثاثة حالها وضيق أيديهما . فقبل عذرهما وأحسن اليهما، ووهب لهما تلك الضيعة، وأوصاهما بإطعام الأضياف . وركب منشرح الصدر مسرورا . والسلام .

١٥٨

(أ) فى الشاه — نسخة تبريز ومول وترجمة وورنر: أن المرأة شكت الى بهرام أن عماله يمرّون بالقرية فيتهمون الناس ليأخذوا منهم بعض الدراهم . فقال فى نفسـه إن الناس لا يخافون الملك العادل . واعتزم أن يشتد على الناس ليميزوا العدل من الجور الخ . وعبارة المترجم هنا غامضة .

(١) طا ، طر : خراجه ومقداو ما عليه . (٢) كو : أو كما قالت . (٣) كو : حدمته . وفى الشاه : ذهبا عنده .

حكاية[1] أخرى لبهرام مع برزين الجوهرى (ا)

قال صاحب الكتاب: ثم بعد ثلاثة أيام نشط للصيد، واجتمع على بابه ثلاثمائة فارس من أكابر الفرس ليخرجوا فى خدمته، ومع كل واحد منهم ثلاثون غلاما. فخرج بهرام فى ثلاثمائة غلام فى عدد الصيد وأسبابه. وأخرج عشرة نُجُب برحال مرصعة باللؤلؤ، ورُكُب من الذهب، وهى مجللة بالديباج والحرير، وعشرة بغال من المراكب الخاصة، وسبعة أفيال على ظهورها تخوت فيروزجية، مع كل فيل ثلاثون فارسا بمناطق الذهب، ومائة بغل عليها المغانى والمسمعات. وخرجت البازدارية بمائة وستين من البزاة، ومائتين من الصقور والشواهين يتلوها جارح أسود يسمى طُغرى، وهو أكرم الجوارح على الملك. وكان سَبَجِىّ الجسم ذهبىّ المخلب والمنسر. كان الخاقان ملك الصين أهداه إلى بهرام مع جملة من الهدايا والتحف وسائر ما يجلب من أرض الصين. ووراء هؤلاء الفهادون بمائة وستين فهدا بسلاسل الذهب والأطواق المرصعة بالجوهر. فلما صاروا إلى متصيدهم صادفوا طيرا كثيرا فابتهج الملك لذلك وتهلل وجهه. وأرسل طغرى فى الهواء فرمى عدّة من الطيور. ثم رأى طغرى كركيا فقصده وطلبه وأبعد حتى غاب عن عين الملك. فتبعه بعض البازداريّة، وتبعه الملك أيضا فى عدّة من خواصه على حس صوت الجرس الذى كان فى رجله. وبقى العسكر فى المتصيد. فعرض للملك باغ (ب) فيه قصر فدخله فرأى فيه مماليك وجوارى وإذا بشيخ قاعد عند حوض ماء وعنده ثلاث بنات كالأقمار الطلع، على رءوسهن تيجان من الفيروزج، على[2] يد كل واحدة منهنّ جام من البلور مملوء بسلاف كذوب البلخش. فوثب الدهقان، وكان يسمى برزين، فجاء وقبل الأرض بين يدى الملك، ودعا له وسأله أن يشرفه وينزل عنده. فقال الملك: إن طغرى قد غاب عنا، وقد ضقت ذرعا لذلك. فقال: إنى قد رأيت الساعة طائرا أسودا كالقار أصفر المخلب والمنقار قد وقع على هذه الشجرة. وسيؤخذ[3] بسعادة الملك. فأمر بهرام غلاما فصعد الشجرة فنادى وبشر الملك بأنه وجده قد نشب وتعلق ببعض أغصان الشجرة فسرّ بهرام. ولما جىء به قام برزين فهنأه بسروره وسأله أن يقيم فى ضيافته ويشرب عنده بقية يومه. فأجابه بهرام إلى ذلك فأصلح له مجلسا شاهيا، وقال لبناته الثلاث: إن ضيفنا الليلة أكرم الأضياف. وأمرهنّ أن يحضرن عنده ويطيبن قلبه. وكانت الواحدة منهن مغنية طيبة الصوت، والأخرى رقاصة، والثالثة جنكية. فحضرن عنده وأخذن فى أشغالهنّ وأخذ هو يشرب حتى امتلأ طربا. ثم سأل برزين عنهنّ فقال: إنهنّ بناتى وإماؤك.

(ا) فى نسخ الشاه التى عندى: برزين الدهقان. (ب) باغ: بستان.

(1) فى حاشية الأصل هنا: قصة تزوج بنات برزين البستانى. (2) طا، طر: وعلى يد الخ. (3) طا، طر: وسيوجد.

فاستظرفهنّ الملك واستملحهنّ فأشار برزين على المغنية بأن تغنى بما فيه مدح بهرام وصفته . فغنت بما يقرب معناه من قول بعض الشعراء فى المأمون :

ترى ظاهر المأمون أحسن ظاهر ... وأحسن منه ما أسر وأضمرا

يناجى له نفسا تريع بهمة ... إلى كل معروف ، وقلبا مطهرا

ويخشع إجلالا له كل ناظر ... ويأبى لخوف الله أن يتكبرا

طويل نجاد السيف مضطمر الحشا ... طواه طراد الخيل حتى تحسرا

رقيق إذا ما السلم رقّق ذيله ... وإن شمرت يوما له الحرب شمرا

فلما سمع بهرام ذلك شرب على صوتها جاما كبيرا كان على كفه ثم أقبل على برزين وقال : أيها الرجل الجواد ! إنك لا تجد ختنا مثلى فزوجهن منى . فقال برزين : من يتجاسر على أن يخطر بباله ما ذكره الملك ؟ وأنا أصغر خدمك ، وإنهن تراب قدمك ، وقد وهبتهن لك على رسم جيومرت وأوشهنج . فأمر فجاءوا بمهود أربعة من الذهب ، فقعدت العرائس الثلاث فى ثلاثة منها وحملن إلى دار الملك . وأقام هو يشرب حتى اجتمعت أصحابه على باب برزين فقعد فى المهد الرابع وهو سكران وعاد الى إيوانه .

قال الفردوسى مخاطبا للسلطان أبى القاسم محمود رحمه الله : لا شىء أحسن فى السر والإعلان من سلوك طريق العدل والإحسان . وما من ملك كان للرعية بفضله غامرا ، ولبلاده بعدله عامرا إلا وقد بقى حيا اسمه وإن أضمره رمسه . فكن عادلا أيها الملك المطاع ! ولا تحمل الرعية ما لا يستطاع . ألا ترى بهرام كيف بقى على تعاقب الأيام ذكره فى جميع الأقطار متداولا بين الصغار والكبار ؟ على[1] أنه لم يكن من دينه على منهج قويم وصراط مستقيم . وما ذاك إلا لكونه باسطا لظلال المعدلة على البرية ، وناظرا بعين التعطف الى الرعية . لا جرم أنه طوى أيام عمره وأنفاس حياته فى النعيم والترف ، وعاش ما عاش تحت تاج الجلال وفوق تخت الشرف (ا) .



حكاية أخرى له فى وصف خروجه الى متصيده فى صحراء جز[2]

قال صاحب الكتاب : وأمر بهرام ذات يوم بأن يخرج تخته الى بستانه . فأخرجوا تخته الفيروزجى ، ونصبوه له تحت أشجار الورد ، وأحضروا له الشراب والمغانى ، وحضر الندماء والخواص . فقال

(ا) حذف المترجم بعد هذه القصة قصة عنوانها : قتل بهرام الآساد ، وذهابه الى بيت جوهرى ، وتزوّج بنته . ثم قصة بهرام وفرشيدورد .

(١) كو : على أنه ماكان من دينه . (٢) فى حاشية الأصل فى هذا الموضع : قصة قتل السبعين رصد البخور وسبب تسميه بهرام بجور .

للويذ : إن الأيام لا تطيب إلا بالناى ، والشّمول لا يشمل سروره إلا بشمائل الجلاس ، وحسبنا بوحدة القبر وحدة.[1] ونحن لو صعدنا الى السماء شرفا وعزا لم يكن لنا بد من الهبوط بعد الصعود. وقد بلغت الآن من السنّ ثمانيا وثلاثين . واذا بلغ عمر الشاب الأربعين دخل قلبه هم الممات، وبدل شمل سروره بالشتات . فلننتهز فرصة الأطراب ونهتبل غرة الشباب، ولايخلو(أ) جامنا من الشراب. فأقام بهرام على ذلك الى أن دخل وقت المِهرجان، ورقت أرواح الراح فى أشباح الدنان، واصفرت وجنات التفاح فى عذَب الأغصان، ونهدَ الرمان خيرىّ الجلباب، وصار منها الغصون كالكواعب الأتراب، وبدا وجه السفرجل فى الخمار المخمل، وعاد الماء فى لون اللازورد وصفاء السجنجل، واكتنز لحم اليعفور وعبلت أجسام الفور. فاختار عشرة آلاف فارس وصار بهم الى صحراء جز وآجامها وغياضها. وكانت مأوى السباع والوحوش . فلما نزل فيها قال : نستريح الليلة ونركب غدا ونفتتح بصيد السباع . فاذا أخلينا الأجمة منها اشتغلنا بصيد حمر الوحش . فلما أصبح صار بعسكره الى أجمة من الطرفاء هناك . فلما توغلها خرج اليه سبع عظيم فقال لأصحابه : إنى لا أرميه بالنشاب ، وإنما أقتله بالسيف حتى لا أنسب الى الجبن . فلبس قباء مبلولا من الصوف، وركل فرسه نحوه . فلما قرب منه انتصب السبع وهمّ أن ينشب براثنه فى نحر فرسه . فتلقاه بسيفه وقدّه من رأسه الى منتهى ذنبه بنصفين . فخرجت لبوة تزئر، وثارت نحو بهرام فتلقاها وأبان بخنجره رأسها من جسدها . فقال له بعض من معه : أيها الملك ! إن هذا الفصل فصل الخريف، ووقت تمر آساد الغريف . وإن هذه الأغيال مملوءة بضوارى الليوث مع الأشبال . وطول هذه الأجمة ثلاثة[2] فراسخ، ولا تقدر أن تفنى سباعها ولو أقمت عليها سنة كاملة. فلا تتعبن نفسك . ولم تخرج إلا على عزيمة صيد الوحوش[3] . فما بالك تجهد نفسك فى صيد الأسود ؟ فقال : أى قدر لضوارى السباع عند رجال الحروب[4] ؟

ثم إنه انصرف ونزل فى سرادقه وغسل عنه ما ترشش عليه من دم السبع . فوضع سالار الخوان موائد الذهب من أول السرادق الى آخره . وحضر الأمراء والأكابر وطعموا ثم اشتغل بالشرب .

ولما علم أهل مدينة جز وبرقُويه بنزول الملك فى تلك الصحراء خرج أهل الأسواق منهم ببضائعهم وأمتعتهم، وأقاموا فى تلك الصحراء أسواقا عظيمة تشتمل على طرائف كأسواق بلاد الصين فى المواسم.

(أ) كذا فى النسخ . وينبغى حذف الواو من "يخلو" .

(١) كو : اذا صرنا الى اللحود . (٢) صل : ثلث فراسخ . والتصحيح من كو، طا . (٣) طا، كو: الوحش.

(٤) كو : وهذا نشرع فى صيد الهائم . وكذا فى الشاه .

ولما كان الغد ركب بهرام فى عسكره لصيد حمر الوحش فقال: من أراد أن يرمى يعفورا فلا يرمينه[١] إلا فى كفله، ولينفذ سهمه حتى يخرج نصله من صدره . فقال له بهلوان عسكره : أيها الملك ! من يقدر على هذه الرمية سواك ؟ فقال : إن تلك قوة الهية[٢] . ومَن بهرام لولا حول الله وقوته ؟ ثم إنه أثار فرسه راكضا خلف يعفور، ورماه فى كفله بنشابة خرجت من صدره فركب ذلك اليعفور ردعه . فاجتمع عليه الفرسان يقضون العجب من تلك الرمية . فقال : إن الله هو الذى خصنى بهذه القوة . ومن لم يكن معه عناية من الحق فلا أهون منه بين الخلق . ثم ركض خلف يعفور آخر فوسطه بالسيف . وتراكضت الفرسان خلف اليعافير حتى رموا منها ملء ذلك الفضاء حتى[٣] كأنهم أخلوا تلك الأرض منها . فأمر الملك بتفريقها على الحاضرين من السوقية والتجار من أهل المدينتين . ثم إن أكابر جز، و برقويه جاءوا حضرة بهرام بهدايا من الخز والديباج وغيرهما فقبلها الملك منهم، وأمر بإسقاط الخراج عن المدينتين . ثم كشف عن أحوال الرعية بها وعن أهل البيوتات والمتسترين منهم بملابس القنوع ففرّق عليهم أموالا وافرة حتى أغناهم أجمعين .

ثم إنه ارتحل من ذلك المتصيد، وسار نحو بغداد، وأقام مقدار أسبوعين بين نسائه وجواريه بها على جملة السرور والنشاط . ثم سار منها الى اصطخر دار الملك ومطلع التاج ومستقر التخت فدخل حجر نسائه بها وتفقدهن . فمن صادف منهن غير متصبة بالتاج قاعدة على التخت العاج[٤] أمر بذلك لها وإنفاق الخزائن عليها . وقال للقائم بأمرهن : إنا قد جعلنا خراج الروم والخزر برسم حُجَر اصطخر. فان لم يكفهن ذلك فاستدع أحمال الدنانير من إصبهان والرى .

قال : وبقى بهرام كذلك مدة من الزمان لا يشتغل إلا باللهو والطرب والصيد والطرد . وإنما سمى بهرام جور لملازمته صيد حمر الوحوش . (أ) واسم حمار الوحش فى لسان الفرس كور . فقيل له بهرام كور من أجل ذلك . وعربته العرب فقالوا بهرام جور[٥] .

(أ) هذه الجملة الى آخر الفصل ليست فى نسخ الشاه التى بيدى . وظاهر أنها من عند المترجم .

(١) طا : فلا يرميه . (٢) كلمة «قوة» من طا ، كو ، طو . (٣) طا، طو : وحتى .

(٤) كو : سرير العاج . (٥) طا، طو : والسلام .

ذكر قصة قيصر الروم وخاقان الصين مع بهرام §

قال صاحب الكتاب : ثم تواترت الأخبار واستفاضت فى بلاد الروم والهند وممالك الترك والصين بإقبال بهرام بكليته على اللعب واللهو، واشتغاله بذلك عن الخلق، وإهماله لأمر الجيش، وأنه لا يهمه ترتيب الجند فليس على بابه بهلوان ولا طليعة ولا ديدبان . فجمع الخاقان عند ذلك عسكرا عظيما، وأقبل طامعا فى ممالك إيران ، وحشد قيصر أيضا وأقبل من الجانب الآخر فى جنوده قاصدا للتوغل فى بلاد إيران أيضا . فلما تناهى الخبر بذلك إلى أرض إيران اجتمع الأكابر والأمراء والأعيان والقواد، ودخلوا على بهرام وعنفوه وعيروه ، وأخبروه بامتداد الأطماع الى ممالكه . فقال لهم بهرام : إن الله ناصرى . وأنا بحول الله وقوته ونصرته حافظ لإيران وذائد عنها كل مكروه . (١٦٠) ومصرف شرهم عن هذا الإقليم بالمال والجيش والسعادة والسيف . واستمر فى ظاهر الأمر على لهوه ولعبه كما كان . فأيس من ملكه الإيرانيون وكادوا يتلفون من الجزع والأسف عليه . وهو فى السر يهيئ أمر عسكره، ويستعد بحيث لا يطلع عليه أحد . فجاء الخبر بهرام بدخول[1] الخاقان الى ممالك ايران . فاستحضر بهلوانه كستهم،[2] وهو قائد جيشه ودستور ملكه[3] ومتولى حله وعقده، ففاوضه فى أمر الخاقان فيما أقدم عليه . واستدعى وجوه قواده وأعيان أمرائه، وانتخب من خلص عساكره والمذكورين منهم ستة آلاف فارس، وسلم التاج والتخت الى أخيه نرسى بن يزدجرد، وكان صاحب دين وورعة ومعدلة ورأفة، وركب فيهم وأخذ فى طريق آذربيجان فحسب الناس أنه قد هرب ، حيث لم يستصحب من العسكر إلا ذلك المقدار اليسير .

---

§ الهياطلة الذين سماهم الصينيون "يتها" وسماهم الرومان (Ephthalites) أوالهون البيض، وسماهم الفرس هيتال اجتازوا جيحون سنة ٤٢٥ م وعاثوا فى البلاد فهلع الناس منهم وحاربهم بهرام كور وهزمهم . والظاهر أن الهياطلة هم الذين ذكروا هنا فى قصة خاقان الصين .

وأما الروم فقد حاربوا بهرام من أجل شدته على النصارى فى بلاده، وغلبوه ، ولكن بهرام استطاع أن يصالحهم على شروط عادلة منها ألا يضطهد النصارى ولا يمنعوا من الفرار الى سلطان الروم، وألا يضطهد المجوس من رعايا الروم كذلك . وكان هذا الصلح سنة ٤٢٢ م . وقد أدى هذا الى استقلال الكنيسة الشرقية سنة ٤٢٤ م[4] .

---

(١) طا، كو، طر : عساكر الخاقان . (٢) طر : رهان قائد . (٣) طا، كو، طر : مملكه ؛

(٤) سيكس (Sykes) ج ١ .

قال : ولما سار بهرام وصل رسول قيصر ملك الروم فأنزله نرسى فى موضع يليق به . ثم إن الايرانيين اجتمعوا على مو بذ الموبذان، وأخذوا يسفهون رأى بهرام فيما كان عليه من قبل من التغافل والانكباب على اللهو واللعب، والتساهل فى أمر العدو حتى صاروا عرضة للتلف . وقالوا : بعد أنهرب بهرام فالرأى أن نكاتب الخاقان ونلتزم له الخراج حتى تسلم البلاد والعباد. فنعهم نرسى من ذلك فخالفوه وكتبوا إلى الخاقان كتاب ذوى عجز وضراعة، وسألوه ألا يتوغل بلادهم وديارهم حتى يلتزموا له الخراج ويحملوا اليه الإتاوة . وأرسلوا اليه الكتاب على يد موبذ يسمى هُماى . فلما وصل إلى الخاقان كاد أن يطير من الفرح والسرور، وقال لأمراء الترك : من قدر أن يملك بلاد إيران بغير قتال سواى ؟ فقد ملكتها . وذلك بالرأى والعقل والتؤدة والرفق . فخلع على الموبذ، وأجاب عن الكتاب، وقال : إنا قد اجترينا منكم بأداء الخراج، وأنا صائر إلى مرو مقيم فيها إلى أن يصل ما التزمتم به من الخراج . فانصرف الرسول ونزل الخاقان فى عساكره على ظاهر مرو، وأقام بها مستريحا من التعب ومستروحا(١) إلى اللهو واللعب ومنتظرا وصول خراج إيران اليه .

وأما بهرام فانه كان متيقظا فى أمره . وكان قد فرّق الجواسيس والعيون حتى يخبروه بحال الخاقان . فلما علم(٢) بنزوله على مرو أمر أصحابه الذين كانوا معه فلبسوا السلاح، وجنب كل واحد منهم فرسين. فسار بهم من آذربيجان سالكا طريق أردَبيل إلى آمُل ومنها الى جُرجان ومنها الى مدينة نسا، وبين يديه دليل خرّيت يسلك به شعاب الجبال ومخارمها وعوادل الطرق ومجاهلها . فطار على هذه الصفة بقوادم الركض حتى قرب من مرو . فأتاه فارس من جواسيسه وأخبره بأن الخاقان ركب للصيد الى كُشمَيهَن وهو فى خِفّ من أصحابه بلا عدّة ولا سلاح . فامتلأ بهرام سرورا بما سمع، ونزل واستراح فى يومه ذلك وأرلج . ثم ركب فى عسكره وسار تحت ظل الليل قاصدا قصد الخاقان حتى هجم عليه (ا) وعلى أصحابه فى ذلك المتصيد فلم يحسوا إلا بأصوات البوقات، واصطفاق الأعلام والرايات ، وصليل الأسياف فى(٣) الجماجم والهامات فأسر الخاقان رجل يقال له خزوران (ب) وعملت السيوف فى الخاقانية حتى تلاطمت أمواج الدماء فى ذلك الفضاء، وأتى القتل والأسر عليهم أجمعين . فعطف بهرام عنانه الى مرو فدخلها وأخلاها عن الترك(٤) فقتل بعضهم وأسر

(ا) انظر فى الأخبار الطوال وفارس نامه احتيال بهرام جور لهزيمة الخاقان .

(ب) فى الشاه : خزروان .

(١) طو : ومترّحا . (٢) طا، كو : فلما أعلم . (٣) طا : على الجماجم .

(٤) كلمة "وأخلاها" من طا، كو، طو .

بعضهم، وهرب الباقون فاتبع أثرهم حتى سار ثلاثين فرسخا . ثم عاد ونزل فى مخيم الخاقان ، وأمر بجمع الغنائم ففرقها على عسكره . ثم لما استراح واستراح أصحابه ركب وسار بهم فى يوم وليلة الى آمُل الشط . ولما أصبح من الغد عبر الماء وتوغل فى[1] أطراف ممالك توران يقتلهم ويأسرهم حتى اجتمع أمراء الترك ومن بقى من قوادهم وأعيانهم ، واستأمنوا اليه والتزموا له الخراج . فتعطف عليهم وعفا عنهم وأجابهم الى ما التمسوا . وأقام أسبوعين ثم انصرف وراءه حتى وصل الى فرَبر (ا) فبنى هناك ميلا وجعله واسطة بين ممالك الترك والفرس، وجعل جيحون أيضا فيصلا بين المملكتين. وكان فيهم رجل يسمى شمرا (ب) فقلده ممالك توران . فسار اليها ولبس تاجها وتسنم تختها .

قال : ولما فرغ من ذلك كتب الى أخيه نرسى بن يزدجرد كتاب الفتح يذكر فيه ما يسره الله له ويقول فى كتابه بعد حمد الله والثناء عليه : من لم يشاهد وقعة الخاقان فليسمعها ممن شهدها[2] . إنه كان من جموعه وعساكره فى سواد سد ما بين الأفقين بالعجاج الأكدر حتى كأن السماء طليت بالقار من النقع المثار . وكان مصيره الى الآخرة[3] ومصير ذلك الجيش اللهام الى الأسر والكسر . فهاهو مربوط على قتب عار، وأنا قادم به عليكم على أثر هذا الكتاب . ونفذ الكتاب على أيدى النجابين . فلما وصل الى أخيه نرسى كاد يطير فرحا وسرورا . فجاءه موبذ الموبذان فى جميع أكابر الفرس فأظهروا السرور والاستبشار بما أتاهم من ذلك الخبر المبهج وهم خجلون مما بدر منهم من مكاتبة الخاقان . فسألوا نرسى أن يكاتب بهرام[4] فى حقهم ويسأله أن يعفو عنهم . وندبوا لذلك موبذا يسمى بُرزِمهر . فلما وصل الكتاب اليه شفع أخاه، وعفا عنهم وقبل معاذيرهم . ثم أتته أكابر ممالك توران بما التزموا له من الخراج كل سنة فانصرف عند ذلك متوجها نحو اصطخر وبين يديه ألف ومائة وستون قنطارا من الدراهم والدنانير فى جلود البقر على ظهور الفيلة . ولما حصل فى دار ملكه أمر ببسط النطوع وإفراغ[5] تلك الأموال عليها . وأمر بصرفها فى عمارة القناطر والربُط والخانات وإنفاقها على الفقراء[6] الذين معاشهم من كد أيديهم، وعلى الأرامل والأيتام، وعلى المشايخ الطاعنين فى الأسنان الذين عجزوا عن المكاسب ، وعلى أهل البيوتات ، وعلى عابرى السبيل . ثم أمر بتفريق المغانم على الجنود

(ا) فى الشاه : فرب، ويظهر أنها تخفيف فربر .

(ب) فى ترجمة وورنر : شهرا . وهو من جند ايران .

(١) طا، طر : توغل أطراف . (٢) طا، طر : شاهدها . (٣) طا، كو، طر : بالآخرة .

(٤) كلمة "بهرام" من طا، كو، طر . (٥) صل : وأفرغ . والتغيير من طا، طر . (٦) طا، طر : على الفقراء والذين .

والعساكر . ثم أمر بإحضار تاج الخاقان فقلعوا جواهره ورصعوا بها حيطان بيت النار (ا) ولما فرغ من ذلك كله سار نحو طيسفون فتلقاه أخوه وموبذ الموبذان وسائر من كان بها من الموابذة والأمراء والأكابر . فلما أشرق عليهم تاجه ترجلوا له ووضعوا وجوههم له على الأرض . ثم دخل إيوانه وجلس على تخت من الذهب وعمل فيه دعوة لأكابر الممالك وأمراء البلاد الذين كانوا فى حضرته فخلع عليهم أجمعين . ولما كان اليوم الثالث[1] جلس بهم فى مجلس الأنس وأحضر الكاتب وأمره أن يكتب الى أطراف البلاد وجميع أقاليم المملكة باسقاط الخراج عن أهلها سبع سنين شكرا لما منّ الله به عليه حين أظفره، مع ضعفه وقلة عدده، بعدوّ مثل الخاقان فى قوته وشوكته وكثرة عدده وعُدده . فلما بلغتهم كتبه قامت فيهم مواسم الفرح والطرب ، وخرجوا الى الصحراء بالنساء والرجال والصغار والكبار ، ورفعوا أصواتهم بالدعاء لبهرام والثناء عليه . ثم اشتغلوا بالشرب واللهو حتى صار لا يقدر على قضيب من الخلاف بدينار، ولا على طاقة نرجس بدرهم . فعمّ الأمن والأمان وطابت القلوب حتى عادت المشايخ كالشبان . ثم إنه ولى[2] أخاه نرسى بلاد خراسان ، وعقد له عليها فسار اليها بعد أسبوعين. ثم قال لموبذ الموبذان : قد طال عندنا مقام رسول صاحب الروم، وسأله عنه وعن حاله ومرتبته فى العلم والعقل . فقال الموبذ : إنه رجل طاعن فى السنّ ذو رأى وحياء ومنطق حسن وصوت لين . وكيف يكون من أستاذه أفلاطون الحكيم؟(ب) فقال بهرام : إن قيصر ملك كبير أصيل ينتمى الى سلم الذى توّجه أفريذون . وما أساء الأدب كما فعل الخاقان . فينبغى أن نحضره غدا ، ونحسن اليه ونردّه الى صاحبه على جملة التوقير والاحترام . ثم لما طلعت الشمس من اليوم الثانى استحضر الرسول فدخل على الملك واضعا إحدى يديه على الأخرى فجلس عند التخت جاثيا على ركبتيه . فأكرمه بهرام وسأله وقرّبه من مجلسه وأقعده على تخت الفيروزج . فقال له : قد طال مقامك هاهنا، ولا شك أنك مللت هذه الديار ، وقد شغلنا عنك محاربة الخاقان . وقد ذكرناك الآن، وعلمنا بتأخرك، ونحن الآن مجيبون عن رسالتك وصارفون لك . فأثنى عليه الرسول ودعا له وقال : لاخلا منك المكان والزمان ، ودام لك الملك والسلطان . وقال : وأنا وإن كنت رسول

(ا) فى الطبرى أنه علق جواهر التاج وسيفا مرصعا فى بيت نارشير، وأخدمه خاتون امرأة الخاقان . وفى الغرر : فأمر بتعليق التاج من بيت النار، وألزم خاتون سيدة نساء خاقان وجواريها خدمة بيت النار . وهذا يذكرنى — من غير تشبيه — بتيجان الملوك المعلقة فى مسجد النجف الأشرف .

(ب) هذا من أغلاط الفردوسى فى التاريخ أيضا .

(١) كلمة الثالث من طا، طر . وفى كو : الثانى .

(٢) كلمة "ولى" من طا، كو .

قيصر فانى خادم لعبيد الملك . وإنما أرسلنى قيصر لأبلغ الملك سلامه وأسأل علماء حضرته عن سبعة أشياء فأرجع بجوابها اليه (١) . فاستحضر الملك موبذ الموبذان وسائر الحكماء والعلماء فأدى الرسول رسالة قيصر ثم سأل الموبذ وقال : أخبرنى ما الداخل وما الخارج؟ وما العالى وما السافل؟ وما الشىء الذى ماله نهاية ؟ وما الجوهر الذى هو فى ذاته واحد وله أسماء متعددة ؟ وما الشىء السهل الذى يستصعبه الخلق؟ فقال الموبذ: الداخل هو الهواء، والخارج هو الفلك، والعالى هو الجنة، والسافل هو النار، والشىء الذى لانهاية له هو علم الله تعالى، والجوهر المتحد ذو الأسماء المتعددة هو العقل فانه يعبر عنه بالحلم والوفاء والنطق والسعادة وحفظ الأسرار والتؤدة والسكون وليس فى الوجود جوهر أنفس منه (٢) . فانه مثل الرأس وسائر المحاسن كالبدن . وهو الذى يتغلغل إلى ضمائر الأسرار التى لا تدركها الأبصار . والسهل المستصعب هو علم النجوم . فإن صاحبه يعلم أسرار الفلك ، ويسهل عليه معرفة طول الفلك وعرضه ومسافة ما بين السماء والأرض . فهذا جواب ما سألت عندى ، والله أعلم بما وراء ذلك . فقبل الرسول عند ذلك الأرض بين يدى الملك وقال : لا تطلب فوق ما أعطيت من الجلالة والسيادة . وكما أنك ملك الملوك والسلاطين فوزيرك ملك العلماء والحكماء فى جميع الأقاليم . فهو السيد وجميع الفلاسفة كالعبيد له . فسر الملك واستبشر . ثم أمر للرسول بعشر بدر وثياب وخيل وأحسن اليه وبالغ فى إكرامه . فقام الرسول وعاد إلى منزله . ولما كان اليوم الثانى حضر مجلس بهرام وحضر الموبذ وأخذوا (٣) بأطراف الحديث . فقال الموبذ : أخبرنى أيها الحكيم ! عن أضر شىء تمرى عليه الجفون ، وعن أنفع شىء تقر به العيون . فقال الرسول : أما الأول فهو العلم، وأما الثانى فهو الجهل . فقال الموبذ : أنعمن الفكر فيه وأجب بالصواب، ولا تظنن أن السمك يصاد على التراب . فقال الرسول : هذا هو الذى عندى من الجواب . فان كان عندك غيره فهات . فقال : اعلم أن كل من هو أقل أذى فوته أكثر ضيرا ، ومن هو أكثر شرا فوته أوفر خيرا . فهذا يضر وذاك ينفع . والعقل يفرق بين الحالتين ويجمع . فارتضى الرسول ذلك ودعا للملك وأثنى عليه وعلى الوزير بمحضر منه، وقام وعاد إلى منزله . ولما أصبح الملك من اليوم الثالث قعد فى مكانه وأمر بإحضار الرسول فخلع عليه وأعطاه جملة من النفائس والرغائب، وأذن له فى الإنصراف .

ثم نظر فى أمر العسكر فأمر الوزير ففرق الممالك على الإصبهبذية (٤)، وعين لكل إقليم بهلوانا، ولكل مدينة واليا، بعد أن فرق عليهم خزائن الأموال والأسلحة وأمرهم بالعدل والإنصاف ونفى أهل

(١) هذه السفارة هى ما حفظته الأساطير من حرب بهرام والروم والصلح من بعد . كما تقدم فى مقدمة هذا الفصل .

(١) فى حاشية الأصل هنا : سؤال رسول قيصر عن سبعة أشياء . (٢) كلمة (منه) من طا ، طر . وفى كو : أنفس من العقل . (٣) طا ، كو ، طر : فأخذوا . (٤) طا ، كو ، طر : الاصبهبذين .

الجور والإعتساف . وقال : إنا متقلدون لأمور الرعيـة، ومن الملوك ينشأ الزيغ والفساد والعـدل والسداد . وإن كان أبونا من قبـل بسط فيكم يد الظلم، وعدل عن طريق العـلم وعبودية الحـق فلا تعجبوا من ذلك، وانظروا ماذا صنع جمّ وكاوُس من قبله . وما أزاغه إلا الشيطان كما أزاغهما. فعلينا الآن أن ندعو ونستغفر له . وأنا منذ قعدت فى مكانه من الملك أسأل الله تعالى أن يقوينى على مداراة الرعية ومعاملتهم بالحسنى والمعدلة حتى إذا وارانى التراب، وأضمرتنى الصفائح لم يتشبث بذيلى مظلوم، ولم يشمت بى متظلم مهموم . وأما أنتم فعليكم أن تدّرعوا بملابس السداد، وأن تطهروا قلوبكم عن الفساد . ثم قال : وتعالوا حتى نجهد فى الحسنى والطهارة، ولا نقترف فى هـذه الدنيا الغدارة ما يورث النـدامة ويعقب الخسارة . ثم إنى أقسم أوّلا بالواهب الخلاق، وثانيا بالتـاج والتخت ومكارم الأخلاق أنه إن ظلم أحد من عمالى أحدا من رعيتى، ولو فى كف من تراب، أحرقته[1] بالنـار أو صلبته عرضة للأبصار وعبرة للنظار، وأنه إن سرق فى الليل مسح من فقير عوّضته ثوبا من حرير، ولو ذهبت شاة من قطيع عوّضت صاحبها فرسا بلا من ولا أذى . وأطنب فى تذكيرهم ونصحهم حتى قال : ولا تذبحوا ذكور الثيران (أ) التى تصلح للحراثة ولا إناثها ذوات الألبـان الغزيرة . ولا تشاوروا غير أهل العلم، ولا تكسروا قلوب الأيتام . وتباعدوا عن وساوس الشيطان، وتجنبوا اللهو والمرح[2] عند محاربة العدوّ . ومن كان منكم مرتديا بفضفاض الشباب فليسحب ذلاذل الأطراب، ولا يمدّن ذو المشيب يدا الى الخنـا والقبيح . فقبيح بمن جلله الشيب منادمة الشباب على الشراب . ثم إنى برىء من التخت والتاج إن طالبت أحدا من الرعية بالخراج . وإن يكن أبى أوسعكم جورا[3] وظلما فها أنا موسـعكم إحسانا وعدلا . فطيبوا قلوبكم عليـه فلعل الله يهب له ذنوبه ويخرجه من ناره الى جنته . قال : فأثنى عند ذلك عليه السامعون، ودعا له الأمراء الحاضرون، وسألوا الله ثبات ملكه ودوام دولته .

ثم قام الوزير وقال : أيها الملك ! إن العالم قد خلا ممن ينازع فى الملك، وقد دخل الملوك تحت الطاعة سوى شنكلُ ملك الهند فإنه يعيث فى بلاد الهند الى حدود الصين . واذا كنت ملك الأرض فلأى معنى يطلب هو خراج الصين ؟ فلينظر الملك فى هـذا الأمر وليلتمس وجه التدبير فيه . فسكت ثم قال للوزير : إنى سأدبر هذا الأمر فى السر، وأكفى ما يهم منه إن شاء الله تعالى .

(٦٦٢)

(أ) فى الشاه : ولا تريقوا دم البقر العاملة . الخ .

(١) كو : لأحرقته بالنار ولأصلبه وهو أصح لغة .

(٢) كو : المزح .

(٣) صل : جورا أو ظلما . والتصحيح من طا .

ذكر قصة شنكل ملك الهند مع بهرام جور وما انتهى اليه أمرهما

قال صاحب الكتاب : ثم إن بهرام استحضر الكاتب والوزير وخلا بهما، وكتب الى شنكل (أ) كتابا مشحونا بالعلوم والحكم . فافتتح الكتاب بحمد الله والثناء عليه وقال : الحمد لله الذى هو رب ما كان ولم يكن، الموصوف بالأحدية فى القدم، الذى خلق من كل شىء زوجين، الذى أجل(١) مواهبه للخلق وأجلاها وأظهرها عليهم وأبهاها العقل المنوه بذكر من اتصف به من الصغار والكبار فى جميع الجهات والأقطار، وأوّل أماراته الدالة عليه أن يكون المتصف به عن التورط فى مصارع الشر متحرزا، وبين ماله وعليه بنظره مميزا . وهو تاج على رءوس الملوك، وكالزينة(٢) على معاطف السلاطين . ثم إنك ياملك(٣) الهند! غير عارف بقدرك، متجاوز لطورك . واذا كنت أنا سلطان الزمان والمتولى للخير والشر فى جميع البلدان فتصديك لادّعاء(٤) الملك يعرّضك للبوار والهلك . وقد كان أبوك وجدّك خادمين مستعبدين لنا ، ولم يكن أحد من أسلافنا يرضى بإبطاء خراج الهند وتأخره عن وقته المعين . وأراك قد اغتررت بشدّة ظهرك فصرت تبارى البحر الزاخر بنهرك . فاعتبر بيوم الخاقان وما حل منّا به . وما أراك إلا صاليا بجمره . والآن فقد نفذت اليك رسولا ذا أدب وعقل وكلام فصل . فوطن نفسك على أداء الخراج ، ولا تعص أطراف الزجاج . أو تشمر للكفاح و إشراع الأسنة والرماح . والسلام . فطوى الكاتب الكتاب(٥)، وكتب على عنوانه : من بهرام ملك العالم الى شنكل قائد جيوش الهند من أرض قنوج الى حدّ السند . وختمه وتجهز للصيد مظهرا أنه خارج الى بعض متصيداته كاتما سره إلا عن جماعة من ثقاته . وتوجه نحو الهند، وسار قاصدا قصد(٦) تلك البلاد الى أن وصل الى البحر فعبره ووصل الى باب شنكل فأعجبه ما رأى على بابه من الروعة والمهابة والفيلة والأسلحة . فأخبر صاحب(٧) الباب أنه رسول الملك بهرام الى تلك الحضرة . فأنهى حاله الى شنكل فرفعت الحجب دونه فى الحال . فدخل فرأى دارا عتبتها من البلور، وحيطانها من الذهب والفضة، مرصعة بالجواهر . ورأى دون التخت أخا الملك على رأسه قلنسوة مرصعة بالجوهر، وعنده الوزير، وعلى رأسهما المماليك والخدم . ثم رأى شنكل قاعدا على تخت من الذهب قوائمه من البلور . فدنا وقبل الأرض ومثل قائما زمانا طويلا . ثم قال بلسان ذلق فى مضمار البيان منطلق : إنى رسول ملك العالم بهرام الى ملك الهند . ومعى منه اليه كتاب محرر على الحرير بالخط الفهلوى . فلما سمع باسم بهرام

(أ) اسمه فى الطبرى : شبرمة . وفى الغرر : شنكلت .

(١) كو : ومن أجل . (٢) كو : وزينة . (٣) كو : ياصاحب الهند . (٤) صل : لأعداء والتصحيح من طا، كو، طر . (٥) طر : وختمه . (٦) طا، طر : قاصدا نحو . (٧) طا ، كو ، طر : حاجب الباب .

أمر فنصبوا له كرسيا من الذهب وأجلسوه عليه وأمر حاجب بابه بإدخال أصحابه . قال : فلما استوى على الكرسى شرع فى وصف بهرام وتفخيم شأنه وتعظيم أمره . فطلب شنكل منه كتابه فأعطاه إياه . فلما قرئ عليه تمر واستشاط وقال : أيها الرجل الفصيح ! إن صاحبك يدل علينا بملكه فيسومنا أداء الخراج اليه . ومن يستطيع أن يطالب الخراج من الهند؟ إن الملوك كاللقالق وأنا بينهم كالعقاب . وهم كالتراب وأنا البحر ذو العباب . إن لى تحت الأرض من الكنوز ما إن مفاتيحه لتنوء بالفيلة، ولى من الجنود ما لا يستقل بهم ظهر الأرض حتى إنهم يزيدون على ألف ألف . ومعى بحار اللآلئ وجبال الجواهر . وحوالىّ وفى خدمتى سبعون ملكا هم أرباب المناطق وأصحاب الأطواق . وإن الأكابر من حدّ قنّوج الى حدّ إيران الى أرض الصين وسقلاب كلهم عبدة بابى، وأسراء أمرى ونهيى . ووراء ستورى ابنة بغبور ملك الصين، ولى منها ولد يشق قلب الأسد فى العرين . ولو قتل أحد من الملوك أحدا من الرسل لأبنت الساعة رأسك من جسدك، وقمعت غلة الأرض من دمك . فقال الرسول : أيها الملك ! خفض غليك . إن سلطانى أمرنى أن أقول لك : إن كنت عاقلا فلا تعدل عن طريق السداد، واختر مائة فارس من آساد فرسانك وأعيان قوّادك . فان استطاعوا مقاومة فارس واحد من رجالى فمالى معك كلام ولا بينى و بينك خصام . و إن كان غير ذلك فلا تلو رأسك عن الطاعة، والتزم الخراج لمن هو أعلى منك جلالة ونباهة . فقال له شنكُل : انزل واسترح ساعة . فأنزلوه فى إيوان يليق بمثله . فلما انتصف النهار وجلس شنكل للطعام استحضر الرسول فجاء وجلس مجلس الرسل من السماط . فلما طعموا جلسوا مجلس الشراب . فلما دارت الكؤوس وطابت النفوس أمر شنكل مصارعين قويين أن يتصارعا بين يديه . فأخذا يتصارعان لا يغلب أحدهما الآخر . فلما رأى ذلك بهرام وقد دار فى رأسه السكر قام وخدم واستأذن الملك فى مصارعتهما . فضحك وأذن له فوثب وتجرّد وشدّ عليه الأزرار[1] فأنشب براثنه فى أحد المتصارعين ورفعه فى الهواء ثم ضرب به الأرض حتى تكسر فقار ظهره . فتعجب شنكل من ذلك وسمى الله تعالى بلسانه . ثم دخل الليل وانصرفوا[2] . ولما كان الغد ركب الى الميدان فحضر[3] الرسول وأخذوا فى المراماة فتناول بهرام قوسه ورمى البرجاس فرماه برمية واحدة الى الأرض . قال : فلما رأى شنكل تلك القوّة والبسالة والشدّة استراب به فقال له : ما أراك إلا أخا بهرام . فان معك روعة الملوك وقوّة الأسود . فقال : ياملك الهند ! إنى رجل أجنبى، من أرض ايران فكيف يحل لك أن تنسبنى الى من لا يجمع بينى و بينه نسب؟ فأذن لى فى الانصراف حتى لا أتعرض لسخط الملك بهرام . فقال له شنكل : لا تعجل فإن لنا بعد معك كلاما . ثم إنه

(١٦٣)

---

(١) طا، كو : الإزار . (٢) طا، طر : وانصرفوا الى أماكنهم . كو : الى منازلهم .
(٣) كو : وأحضر الرسول .

خلا بوزيره وقال له : إن لم يكن هـذا الرجل من أقارب بهرام وليس إلا فارسا من فرسانه فاحتـل عليه واخدعه عن معاودة تلك البلاد، وعده منا بكل جميل فلعلك تصرفه عن الانصراف . فانا نجعله سالار جنودنا وبهلوان جيوشنا فنبلغ به كل مأمول ، وندرك به كل مطلوب . فاجتمع به الوزير وفاوضه فيما أشار به عليه الملك، وأخذ يفتل منه فى الذروة والغارب، و يعارض عقله بالنفث فى عقد سحره . فقال له بهرام : إنه عز المرام . ومعاذ الله أن أصرف وجهى عن ملك ايران طامعا فى مال أو طامحا الى منال ، وان كان حالى بسبب[1] الفقر بحال . وغير هذا هو السائغ فى ديننا والموافق لرسمنا وآييننا . فإن كل من يزوى وجهه عن خدمة مالكه فهو عادل عن مناهج دينه ومسالكه . وأيضا فإنه لا يخفى عليك أن بهرام إن بلغـه[2] ذلك غى اغتاظ وقصد هـذه الممالك فخربها ولم يبـق منها أثرا . فالأولى بى و بكم أن أنصرف اليـه . فبلّغ هـذا الجواب الى شنكل وحصّل لى إذنا فى الانصراف . فانصرف الدستور، وسرد جواب بهرام على صاحبه . فعظم ذلك عليه وقال : سأدبر[3] أمرا يعقل ظل هذا الرجل الشجاع (أ) ويخفى عليه . قال : وكان فى بعض غياض قنوج كركدن عظيم كاد يسدّ بطوله وعظمه على الرياح طريق المبوب، هائل يفتر منه الأسد فى الخيس، و يخشاه النسر الطائر فى الجو . وكانت[4] الهنود من هـذا الحيوان فى تعب وعناء عظيم . فقال لبهرام : إنى أريد أن تكفى أهل هذه البلاد شر هـذا الحيوان . واذا فعلت ذلك فقد أسديت الينا يدا لا تنسى أبدا . فقال بهرام : دلونى عليـه فانى اذا رأيتـه كفيتكم شره بحول الله وقوته . فعين له شنكل من يدله على الكركدن . فركب بهرام فيمن كان معه من أصحابه ، وتقدّمهم حتى انتهوا الى تلك الغيضة . فلما رأى الايرانيون ذلك الحيوان العظيم أشاروا على بهرام بألا يعرض نفسه للهلاك، وينصرف عنه و يتمسك عند شنكل ببعض المعاذير . فلم يقبل ووتر قوسه و بادر اليـه ورشقه بالسهام حتى أضعفه واستل[5] خنجره وقطع رأسـه مستعينا بالله وحده . وأمر بأن يحمل رأسه على العجل الى ميدان شنكل . فانصرف وقد طنت أرجاء المدينة بما تيسر على يد بهرام من قتل ذلك الشيطان الصائل والثعبان الهائل . فدخل على شنكل فأثنى عليـه الملوك والأمراء ، وشنكل مسرور من وجه مهموم من آخر . فخلا بأصحابه وقال : قد أخذتنى الفكرة بسبب هذا الرسول . فإنه اذا عاد الى بلاد ايران لم نسلم من عاديته ومعرته . ولو أقام عندنا لاتخذناه لنا ظهيرا ونصيرا ، وجعلناه بهلوانا كبيرا . وقد أفكرت البارحة فى أمره فرأيت أن آمره بقتل الثعبان الفلانى — وكان فى تلك الناحية ثعبان كان يأوى تارة الى البحر وآونة الى البر، أعظم ما يكون من

(أ) فى الشاه : أدبر أمرا ينهى أيام هذا البطل .

(١) كو : من مضض الفقر . (٢) طا، طر : اذا . (٣) طا، كو : وقال انى سأدبر .

(٤) طا، كو، طر : وقد كانت . (٥) طا، طر : فاستل .

الثعابين . وبلغ من ضراوته أنه كان يلتهم الزندبيل[١] — قال : واذا تصدّى لمقاتلة هذا الثعبان أهلكه لا محالة ، وبلغت الغرض فيه من غير أن أذم بقتل رسول عند الملوك . ثم استحضر بهرام وقال معه فى حديث الرجولية والشجاعة والبسالة . ثم قال : إن الله تعالى إنما جاء بك الى هـذه الديار لتخلص أهلها من الشر . وقد بقى أمر آخر أعظم من الأول . واذا كفيتنا ذلك فلك أن تثنى عنانك ، وترجع إلى بلادك مشكورا عالى الاسم . فقـال : إنى ممتثل لأمرك غير خارج عن حكمك . فذكر له حال ذلك الثعبان وما يعانيـه الناس من أذيته . وسأله أن يقصده فيكفيهم شره ، وينفى عن أرض[٢] الهند معرته وضره . فتقبل ذلك وسأل أن ينفذ معـه من يدله على مكانه . فركب فى فرسانه الثلاثين الذين صحبوه من إيران ، والدليل يقـدمهم حتى انتهوا الى الساحل . فرأى ذلك الثعبان وعظمه ، وشاهد تغيظه وتنمره ، ورأى حدقتيه تستعران استعار الجحيم . فضج الايرانيون عند ذلك وقالوا : أيها الملك ! لا تلق بيـدك إلى التهلكه ، وأبق على الملك والمملكة . فلم يقبل وتشمر كأسد أصبح للبديه نافضا(أ)، وقال الله خير حافظا . ووتر قوسه ، وانتخب عدّة سهام مسقية النصال باللبن والسم ، وأقبل على الثعبان فرشقه بتلك السهام حتى خاط ما بين فكيه . ثم رمى رأسـه بأربعة أسهم أخر فغرقها فيه الى أفواقها . فأفرغ الثعبان بحرا من الدم والسم على ساحل ذلك الخضم . ولما رآه قد أثخنه بالجراح استل السيف وبادره وضربه حتى أبان رأسـه . فأمر فحمل على العجل الى ميـدان الملك فانتشرت البشائر والتهانى فى الهنود لمقتله ، وأطلقوا ألسنتهم بالدعاء والثناء للرسول[٣] ومرسله . وشنكل يتهلل تارة مظهرا للسرور . ويستهل آونة مضمرا للهموم . فاستشار وزيره وأصحاب رأيه فى اغتياله حتى يسلم من شره وضره فلم يستصوبوا رأيه ، ومنعوه من ذلك ، وأشاروا عليـه بأن يزيد فى الإحسان اليه والإفضال عليه مجازاة له على حسن صنيعه وجميل فعله . فبات تلك الليلة ساهرا يفكر فى أمره . فلما أصبح وحضره برزويه أى بهرام[٤] ، وكان قد تسمى عندهم بهذا الاسم ، خلا به فى مجلس لم يحضره وزير ولا دستور ، وأخذ يلاطفه ويخادعه ويسأله أن يقيم عنده على أنه يخيره بين بناته ويزوجه منهن من أراد[٥] ويملكه البـلاد ، فلم يزل به حتى أجاب ، وقال فى نفسه : لا عار فى مصاهرة ملك الهند . ولعلى أنجو بهذه الحيالة من هـذه البلاد وأعاود بلاد الفرس سالما . فقد وقعت معه وقوع الأسد الأغلب بحيلة الثعلب(ب). قال : فزين شنكل بناته الثلاث وأمر فأقعدت

(أ) يظهر أن المترجم أراد أن يسجع بين نافضا (مع لفظ الضاد كالظاء) وحافظا . فصاغ العبارة هذه الصيغة الركيكة .

(ب) فى فارس نامه : أن بهرام قصد بلاد الهند غازيا فصالحه ملك الهند وزوّجه ابنه الخ .

(١) كو : الفيل العظيم . (٢) أهل الهند . (٣) كو : بالثناء والدعاء للرسول .

(٤) فى حاشية الأصل هنا : ذكر تغيير اسمه . (٥) فى حاشية الأصل هنا : عرض ملك الهند بناته لبهرام .

كل واحدة منهن فى زينتها وحَليها وحُللها فى إيوان . فدخل بهرام عليهن واختار منهن واحدة كالروضة الناضرة تسمى سبينوذ . فزوجه شنكُل إياها بعد أن أعطاها كنزا وافر الوفر مملوءا بالمال الدثر . ثم أحضر أصحاب بهرام (الذين كانوا فى خدمته من ايران، وفرق عليهم أموالا كثيرة وجواهر نفيسة)[١] ثم أمر فزين إيوانه المرصع بالجواهر، ودعا أكابر قنّوج وعمل دعوة عظيمة، وأقام أسبوعا على جملة السرور والمراح ، وتمازج بهرام وصاحبته تمازج صفو الماء والراح ، وتغلغل حب كل منهما فى قلب صاحبه لا سيما ابنة الملك فانها اتخذت وجه بهرام مرآة تطالعها سرا وجهارا ، وتبكى من فرط شغفها[٢] ليلا ونهارا .



قال : فاتفق أنهما اجتمعا ذات يوم فى بعض مجالسهما فتجاذبا أطراف الحديث فقال لها بهرام : إنى أعلم أنك لى محبة ناصحة . وإنى مفضٍ اليك بسر فكونى له كاتمة ؛ إنى عازم على مفارقة بلاد الهند، وأريد أن توافقينى على ذلك لأحملك الى تلك الممالك . فان أمرى هنالك أعلى وأرفع، وملكى ثَم أفسح وأوسع . وستصيرين سيدة النساء حتى يصير أبوك من خدمك ، ويقبل مواطئ قدمك . فقالت له : أيها السيد الهمام ! امض لما رأيت فانى لا أخالفك . وخير النساء من كان زوجها عنها راضيا، وحكمه فيها ماضيا . وأنا برية من حبك إن خرجت عن أمرك . فأشار عليها بهرام عند ذلك بالاحتيال فى الفرار . فقالت : سأدبر ذلك إن ساعدتنى السعادة . اعلم أنه جرت العادة بخروج الهنود الى متعبد لهم لزيارة أصنام فيه . وهو على عشرين فرسخا من هذه المدينة . فاذا صار الملك الى ذلك المتعبد فانتهز الفرصة إن عزمت . وقد بقى الى خروج الملك اليه خمسة أيام . قال : ففرح بهرام بذلك . ولما أصبح من غده ركب على عزم الصيد فجاء الى الساحل فرأى جماعة من تجار فارس فخلفهم وأفضى اليهم بسره، وواطاهم على أن يخرج ويركب بأصحابه سفنهم ومراكبهم[٣]، ووعدهم ومناهم . ثم عاد الى إيوانه مستعيذا بالله تعالى[٤] منه . فلما دنا عيد الهنود واستعد الملك لخروج تمارض بهرام فصارت زوجته الى أبيها وقالت : إنه مريض وهو يعتذر اليك عن تأخره عن خدمتك . فقبل عذره وقال : اذا كان به عارض فالأولى أن يلازم بيته ولا يتعب نفسه . وركب شنكُل خارجا الى ذلك الهيكل . فلما جن الليل قال بهرام لصاحبته : هذا أوان النجاء فاعزمى . فركب فى أصحابه وركبت هى معه . وتوجهوا نحو الساحل طردا حتى اذا صاروا اليه صادفوا التجار نياما فأيقظوهم ثم وثبوا الى السفن والزواريق فركبوا وتم لهم العبور الى ذلك الجانب . قال : فانتهى الخبر

(١) ما بين القوسين من طا، كو، طر . (٢) طا، كو : شغفها به . (٣) طا : ومراكبهم و يعبرو وعدهم .
(٤) طا، طر : تعالى ومستعيذا منه .

بذلك إلى شنكُل فانصرف فى سرعة الريح وركب آثار القوم حتى انتهى الى الساحل فركب بمن صحبه البحر، وعبر الى[١] البر فصادف بهرام مع ابنته فى أصحابه فصاح عليها من بعيد وشتمها وعيرها بانخداعها لزوجها . فقال بهرام : مالك تركض خلفى وقد جربتنى ؟ أما تعلم أن مائة ألف من الهنود عندى أقل من فارس فرد ؟ فأنى[٢] إذا كنت فى ثلاثين فارسا من آساد فارس يكون[٣] جميع الهنود لنا فرائس . فعلم شنكل أنه لا يطيق مقاومته فدخل معه من باب آخر، وجعل يعاتبه ويعيره ويقول : إنى آثرتك بولدى وقرة عينى على جميع الأجانب والأقارب، وجعلتك مثل سمعى وبصرى فعاملتنى بالجفاء ولم أعاملك إلا بالوفاء . ولكن ماذا أقول لك وهذه التى هى ولدى ، وكنت أحسبها عاقلتى قد خرجت علىّ فارسا شجاعا حتى كأنها قد صارت شهريارا مطاعا ؟ غير أن الفارسى لا يقول بالوفاء . فقال بهرام : مالك تعيرنى وهل عارٌ فى أن يراجع الإنسان وطنه، ويعاود أهله وسكنه؟ ثم قال : ألا إنى شاهَنشاه إيران . ولست ترى منى بعد هذا إلا الجميل والاحسان . ولأتخذنك والدا ، ولا أكلفك خراجا أبدا . وأصير ابنتك سيدة النساء فى تلك الأقطار والمخصوصة فيها بالشرف والفخار . فقضى شنكل العجب من تلك الحال، ورمى عن رأسه[٤] الشارة الهندية، وخرج من بين أصحابه وركض إلى بهرام فنزل[٥] واعتنقه واعتذر إليه . فأفضى بهرام اليه بسره وأخبره بما قد جرى ذكره فى مجلسه ، وأنه السبب الذى حمله على مشاهدة أمره بنفسه . ثم إنه أمر باحضار الشراب، واجتمعا معا على الشرب ثم تعاهدا على المصادقة والمصافاة والمظاهرة والموالاة . ثم ودع كل واحد منهما صاحبه وأخذ فى طريقه . ثم إنه انتهى الخبر إلى ايران بإقبال بهرام فنثروا على المبشرين النثارات وعقدوا القباب والآذنيات بجمع يزدجرد بن بهرام العسكر، وخرج مع عمه نرسى وموبذ الموبذان فاستقبلوه . فعاد بهرام الى إيوانه ومستقر عزه وسلطانه، وأقام ينهى ويأمر ويعطى ويمنع .

ثم إن شنكل قدم عليه بعد مدّة من الزمان لزيارة ابنته فى ملوك الهند وهيآتهم الرائعة[٦] فاستقبله بهرام وتلقاه الى النهروان، ودخل به الى إيوانه على جملة الإعظام والإكرام . فمدّوا سماطا ممتدا الى غلوة سهم . فلما طعموا[٧] تحولوا الى مجلس الشراب فتعجب شنكل من حسن مجلسه وروتق ملكه وبهائه . ثم إنه استأذن فى الدخول على ابنته فتقدّمه الخدم فدخل عليها فصادفها فى إيوانها قاعدة على تخت العاج معتصبة بالتاج فسر بها وبسعادتها بزوجها[٨] . ثم عاد الى مجلس بهرام واندفع معه

(١) طا، كو، طر : الى ذلك البر . (٢) طا، طر : وإنى . كو : فارجع ووامك فانى .

(٣) كو : بجميع الهنود . (٤) طا، طر : عن نفسه . (٥) طا، كو : فنزل اليه .

(٦) طا، طر : الرائعة الرائقة كو : فيولم الرائعة وهيآتهم الرائقة . (٧) صل : تطعموا . والتصحيح من طا .

(٨) طا، كو، طر : الى زوجها .

فى الشرب. ولما ثمل قام الى موضع هيئ له لنومه. ولما أصبح ركب بهرام معه وخرج به الى الصيد. ثم لما عاد دخل على ابنته وكتب لبهرام عهدا على ممالك الهند، وفوض اليه فيه ملكها من بعده، وجعله وارث كنوزها وقائد جنودها[1] (أ). ثم أقام فى ضيافة بهرام شهرين فعزم على معاودة بلاده. فقدم اليه بهرام من الذهب والفضة والجوهر وسائر النفائس والذخائر والخيل والأسلحة ما خرج عن حد الحصر. وأكرم كل من صحبه من الملوك على تفاوت طبقاتهم واختلاف مراتبهم بأنواع من المبار والصلات. فارتحل شنكل، وشيعه بهرام ثلاث مراحل ثم ودعه وانصرف بعد أن أمر بإعداد العلوفات والنفقات لجنوده ولمن معه فى سائر طريقه الى حد الهند.

قال صاحب الكتاب: ثم إن بهرام أخذته الفكرة فى عاقبة أمره وانتهاء عمره. وكان قد أخبره المنجمون أنه يملك ثلاث عشرينات من السنين، وفى عشر السبعين يكون انتهاء أمره وانقراض عمره. فقال حين أخبر بذلك: آخذ فى اللهو واللعب عشرين سنة، وفى العشرين الثانى أشتغل بعمارة العالم وإسداء النعم والإحسان الى الرعية. وفى العشرين الثالثة أقوم بين يدى ربى واشتغل بعبادته وأسأله هدايتى. فأمر عند انتهائه الى هذا المنتهى أن يحصى الموجود فى خزائنه من الأموال والجواهر والثياب وسائر الأمتعة والأقمشة. فاشتغل كتاب الخزائن وحفظتها والقوام بها بوزنها وإحصائها يفرغون وسعهم وطاقتهم حتى فرغوا من ذلك فى مدة مديدة. فأعلموا الوزير فحضر عند الملك وقال: إن خزائنك تحتوى على نفقتك ونفقة عساكرك وجنودك وحاشيتك وخدمك وسائر ما يحتاج اليه من الصلات والخلع وسائر ما تهديه الى الملوك من الهدايا والتحف وغير ذلك مدة ثلاث وعشرين سنة. فقال بهرام: إنا قد نظرنا فوجدنا الدنيا لا تعدو أياما ثلاثة وهى اليوم وأمسه وغده. فأمس قد مضى، والغد لم يأت بعد، وليس فى اليد سوى اليوم. فينبغى أن ننتهز الفرصة فيه. والأولى بنا أن نخفف عن الرعية. فأسقط خراج الدنيا وأمر بألا يطالب فى جميع ممالكه أحد بكلفة ولا مؤونة ففرق الموابذة والثقات فى جميع أقطارها، وأمرهم ألا يخلوا أحدا يمس أحدا بسوء، وأنهم إن حدث حادث أنهوه إليه. قال: فمضت على ذلك مدة وارتفعت الكلف من الناس فاستغنوا فطغوا فأخذوا فى سفك الدماء. فأعلموا الملك بذلك فأمر حينئذ بوضع ديوان الخراج ستة أشهر فى كل سنة وبأن تقام حدود الله تعالى على من سفك دما أو جنى جناية وخرج[2] فى كل إقليم ثقة من ثقاته. فمضت على ذلك مدة أخرى من الزمان. ثم إنه كتب إلى أصحاب أخباره وثقاته على بلاده ورعيته وقال: أخبرونى هل يجرى فى الممالك شىء يضر بالملك؟ فكتبوا إليه وقالوا: أيها الملك!



(أ) فى الطبرى والغرر وفارس نامه: أنه أعطاه الديبل ومكران وما يليها من أرض السند.

(١) طا، طر: وقائد جيوشها. (٢) طا، طر: وجود لذلك. كو: ويذهب لذلك.

قد بطل الحرث والزرع ، وفسدت الأراضى بسبب ذلك . فكتب[١] إلى كل واحد منهم كتابا يأمره فيه بإلزام الرعية الحرث والزرع، ومن لم يكن له بالحراثة والزراعة يدان فليعاون من حاصل الديوان وأموال السلطان حتى تنتظم أحوالهم وتصلح أمورهم، وإن أصاب أرضا جائحة سماوية فليعوّض أربابها ما كان يرجى منها حصوله لهم ، من حاصل الخزانة . فانتظمت أمور الممالك ، واتسقت ودرّت أخلاف الخيرات وتحفلت . ومضت على ذلك مدّة أخرى من الزمان . ثم كتب إليهم الملك وقال : أخبرونى عن أحوال الرعية حتى إذا وقفنا على خلل فى أمورهم تلافيناه وتداركناه . فكتبوا وقالوا : قد انتظمت أمور العالم ، واستوسقت أحوال الرعية ، وعمت العمارة جميع البلاد، وشمل الأمن والراحة جميع العباد سوى أن أهل الثروة إذا حضروا مجالس الأنس والطرب يلبسون أكاليل الورد والريحان، ويشربون على أصوات القيان وأغاريد المسمعات الحسان . ومن عداهم من المقلين يشربون بلا غناء ، وهم من ذلك فى تعب وعناء . فضحك بهرام من ذلك فكتب إلى شنكُل ملك الهند رسالة أن ينتخب[٢] من الهنود ألفى نفس من الذكور والإناث، من المخصوصين بحسن الصوت وجودة الصنعة فى الغناء، وينفذهم إليه . فامتثل شنكل أمره ونفذهم[٣] إليه . فلما حصلوا عند بهرام أمر بأن يعطى كل واحد منهم بقرة وحمارا ، وفرّق عليهم ألف حمل من القمح برسم البذر، وفرّقهم فى القرى والضياع ليزرعوا ويحرثوا ويغنّوا فقراءها بغير أجرة ولا كلفة ، فلما حصل البذر فى أيديهم أكلوه، وذبحوا البقر ، وحملوا رحالهم على الحُمُر وتفرقوا فى البلاد ، واشتغلوا بالتلصص والانتهاب والتخطف، وتناسلوا . وهم إلى الآن موجودون فى أقطار الأرض ذات الطول والعرض . وهم جيل يسمون[٤] اللورية ، وهم الزط والعشرية (ا) ولهم انتشار فى كل صوب .

قال : ثم إن بهرام بقى على[٥] ذلك على تخت الملك وسرير السلطنة ينهى ويأمر إلى أن مضت له ثلاث وستون سنة . فجاءه الخازن وأعلمه بخلو الخزائن وعدم وجود النفقات . فبات تلك الليلة متفكرا . ولما أصبح جلس على تخته وحضرته الملوك والأمراء والقواد فاستدعى ولده يزدجرد، وعهد إليه وأعطاه التاج والتخت، واعتزل وعزم على التخلى للطاعة والعبادة . ولما أمسى من ليلته ونام فى فراشه قضى نحبه ومضى لسبيله ساترا وجهه بطرف لحافه ولم يعلم بموته أحد (ب) . فلما أصبحوا

(ا) هم الذين يسمون فى مصر الغجر . ويرى الأستاذ نلدكه أن جلب بهرام إياهم من الهند أمر تاريخى (ورنر، ج٧ ص ٦).

(ب) الذى فى أكثر الكتب أن بهرام كان يطارد يعفورا فصادف وحلا كثيرا وبئرا عميقة فوقع فيها . وجاءت أمه فأمرت باخراج ما فى البئر فأخرجوا طينا كثيرا ولم يعثروا على بهرام .

(١) طا، طر : فكتب الملك . (٢) طا، طر : ينتخب له . (٣) كو : فامتثل شنكل أمره ولما حصلوا الخ .

(٤) كو : يسمون فى بلاد الفرس ، اللورية ، وفى بلاد العرب الزط والعشرية . (٥) طر : كذلك .

واستبطئوا قيامه جاءه ولده يزدجرد فألقى عنه حاشية لحافه فصادفه ميتا . وكذا كانت الأيام وكذا تكون . فلا يكن منك اليها سكون ولا ركون . إن الحجارة والحديد ليفزعان من الموت ، و يتزعجان لهذا الصوت . فعليك بالعدل والاحسان و إفاضة الأمن والأمان إن أردت السلامة من عذاب القيامة .

ذكر نوبة يزدجرد بن بهرام جور، وكانت مدة ملكه ثمانى عشرة سنة

§ قال صاحب الكتاب : ثم جلس مجلس أبيه من تحت السلطنة وعقد التاج على رأسه وحضرته الأشراف والعلماء والأكابر فدعوا له وأثنوا عليه وهنّئوه بالملك فوعظهم ونصحهم ووعدهم من نفسه بما يعود بصلاحهم وصلاح بلادهم وملازمة طريق العدل، والاتصاف بسيرة الإنصاف فأقام على ذلك ضابطا لأمور الدنيا وملازما للطريقة المثلى والعادة الحسنى حتى مضت من ملكه ثمانى عشرة سنة فطلعت طلائع انصرام مدّته وأحس بقرب أجله فأحضر الأمراء والأعيان والأكابر والعلماء وقال : إنى قد عهدت إلى ولدى هُرمز فامتثلوا أمره ولا تنقضوا عهده. و إن ولدى فيروز و إن كان أكبر منه سنا وأشدّ منه بأسا وأوفر منه روعة وأبهة فقد آثرت هرمز عليه وخصصته دونه بالملك لكونه موصوفا بالرفق والسكون والثبات والعقل. فهو بسبب ذلك أحرى بالملك وأجدر وأرفق لكم وأوفق. ثم عاش أسبوعا آخر ومات وكأن لم يغن بالأمس . ولا بد للحى من حلول الرمس . سواء أمات بعد المائة أو العشر أو الخمس . وكل ما يدخل تحت العدّ والإحصاء فالأولى ألا يطلق عليه اسم البقاء.

---

§ ملك (٤٣٨ — ٤٥٧ م) وكان يلقب " نرم " أى اللين، و يلقب "سپاه دوست" أى محب الجيش[١] . وكان عهده مليئا بالخطوب العظام؛ بدأ عهده بمحاربة الروم و إكراههم على صلح يؤدّون فيه جزية، ثم ثنى بمحاربة الهون والهياطلة فكانت وقائع من سنة ٤٤٣ الى سنة ٤٥١ م .

وكانت فتن داخل المملكة؛ ففى أرمينية حرب بين النصارى وغيرهم انتهت بهزيمة المحاربين من المسيحيين وجلائهم، وكانت فتن أخرى فى الجزيرة، وقد ذبح فى كركا (كركوك) آلاف من المسيحيين يحتفل بذكرى شهادتهم حتى اليوم فى كركوك[٢] .

ولكن نصيبه من القصص قليل . وليس له فى الشاهنامه إلا ستة وعشرون بيتا .

---

(١) انظر الطبرى، ومروج الذهب، والإشراف، وتاريخ حمزة، وفارس نامه، والآثار الباقية .

(٢) سيكس (Sykes) ج ١ ص ٤٥٣

ثم ملك هرمز بن يزدجرد بن بهرام جور، وكانت ولايته سنة واحدة

§ قال: فلما تسنم هرمز سرير السلطنة اغتاظ فيروز وغار، وأنجد فى الاحتيال عليه وغار. وكان كوكب سعادة قد غار . فقصد ملك الهياطلة والتجأ اليه، وكان ملكا كبيرا ذا قوة عظيمة وشوكة قوية. فسأله إعانته و إمداده بعسكره . فالتزم له ذلك بشرط أن يعطيه ترمذ وواشجرد فأجابه الى ذلك، وعاهده على الوفا بعد تمكنه من الملك . فأمدّه بثلاثين ألف مقاتل من الهياطلة . فاقبل فيروز من خراسان عازما على قتال أخيه فالتقوا على ظاهر الرى ، وكسر فيروزُ هرمزد، وأسره . ثم إنه لما وقعت عينه عليه ، ورآه تحت ذل الأسر تحرّكت بنات قلبه فرق له ، وأمر بإركابه فدنا منه وصالحه وعانقه و ردّه الى إيوانه على أن يكون فى خدمة أخيه متقيدا بتحرى رضاه وتوخيه، مذعنا لطاعته راضيا بسلطته .

---

§ لما مات يزدجرد تملك ابنه هرمز وكان حاضرا موت أبيه وكان فيروز فى سجستان. فثار به أخوه فيروز وغلبه وولى الملك . وأكثر الكتب العربية والفارسية على أن فيروز لجأ الى ملك الهياطلة فأمده بجيش، وأن فيروز كان أحق بالملك اذ كان الأخ الأكبر . وكان ملك هرمز زهاء سنتين (٤٥٧ — ٤٥٩م) ويسقطه بعض الكتاب من سلسلة الساسانيين[١] .

وتختلف الروايات فيما فعله فيروز بأخيه حين ظفر به؛ يقول بعض الرواة أنه عفا عنه. وأكثرهم يروون أنه قتله .

وقد ملك فيروز غير منازع خمسة وعشرين عاما (٤٥٩ — ٤٨٤م) وكان يلقب " مردانه " أى الشجاع[٢] .

وقصة هرمز فى الشاهنامه عشرون بيتا . وقصة فيروز ١٤١ بيتا فيها هذه العناوين :

(١) جلوس پيروز على التخت وقحط سبع سنين فى أرض ايران. (٢) حرب پيروز والتورانيين، (٣) كتاب خوشنواز الى پيروز ، (٤) سقوط پيروز فى حفرة وموته .

---

(١) انظر جداول الساسانيين فى الآثار الباقية . (٢) الآثار .

ذكر نوبة فيروز بن يزدجرد بن بهرام جُور . وكانت مدّة ملكه ثمانى سنين وأربعـــــة أشهر

قال : فقعد فيروز على رأســه تاج السلطنة ، وحضرته الأكابر والأمراء والموابذة والعلماء . فقال : إنى أسأل الله تعالى أن يطيل لى العمر حتى أقيم الناس فى مراتبهم حتى يُرى الصغير صغيرا والكبير كبيرا . إن رأس الإنسانية أن يكون الرجل حليما، ومن كان خفيف الرأس فلن يزال ذليلا . وإن عماد العقل هو العــدل والإحســان، وكل ملك حرم العقل لا يطول على ملكه الزمان . ثم إنه قام بالملك يسوس الناس ويرجّيهم الخير ويخوّفهم البأس . وبعد سنة من ملكه انسدت أبواب السماء، وجفت ضروع الأنداء . واستمرت تلك الأزمة السنة الثانية والثالثة والرابعة . فأسقط الملك خراج الأرض، وأمر باطلاق نفقات الرعية من أهرائه الخاصة فى جميع الممالك . وبث الكتب فى الأطراف يذكر فيها أنه إن رفع اليــه أن أحدا مات من الجوع فى مدينة أوضيعة خرب تلك المدينة والضيعة، وعاقب أهلها أشدّ العقوبة حتى يقوم الغنيّ بكفالة الفقير فيعيش المقلّون فى كفالة المثرين .

وقال غير صاحب الكتاب : فساس فيروز على هذه الجملة رعيته فى تلك اللزبة الشديدة والمجاعة الطويلة سياسة لم يعطب معها من الجوع[1] سوى واحد من أهل أردشير خُرّه يدعى رنه[2] .

قال صاحب الكتاب : فتمادت المجاعة سبع سنين فأمر فيروز بخروج الناس للاستسقاء فخرجوا وابتهلوا الى الله تعالى ، وضجوا اليــه بالبكاء ، ورفعوا أيديهم بالدعاء . فلما دخل فصــل النيروز من السنة الثـامنة أغاثهم الله بغيوث أحيت العباد والبــلاد . فأخصب مَرادهم ، واتصلت من السماء أمدادهم، وطلعت الأنوار والأزهار ، وأعشبت الحدائق، ورفعت أقداحها الشقائق ، وتفجرت الينابيع من الأرض، ولمعت قوس قزح من الجوّ كما قيل :

وقد لمعت قوس السماء بأخضر ... على أصــفر فى أحمر إثر مبيضّ

كأذيال خود أقبلت فى غلائل ... مصبغة والبعض أقصر من بعض

قلت : ورأيت فى بعض الكتب أنه لمــا فاضت عليهــم السماء وسال المــاء استبشروا بذلك وصبوا المــاء على رءوسهم . فبقى بينهم ذلك الرسم الى الآن . وهو عيد صب المــاء المشهور المذكور فى الكتب .

---

(١) طا، كو : من الجوع أحد سوى رجل واحد .   (٢) طر : برنا .

قال : ولما خلص فيروز من ضيق تلك الأزمة الشديدة أمر فبنوا له مدينة وسماها فيروز وهى التى نسميها أردبيل[١]، وبنى مدينة أخرى وسماها باذان فيروز ، وهى مدينة عند الرى . فلما فرغ من ذلك جمع العساكر وفرّق عليهم الأموال والذخائر، وتجهز لقتال ملك الترك المسمى خوش نواز § . فجعل أخاه هُرمزد على[٢] مقدّمة جيشه ، وجعل ابنه قباذ على ساقته ، وأقام ابنا له آخر يسمى بلاش مقام نفسه من سرير السلطنة، وتركه فى دار ملكه ، وجعل وزارته الى رجل من أهل شيراز يسمى سوفزاى (أ) موصوف بالعقل والرأى والصرامة والذكاء . ثم سار وتوغل بلاد الترك . فلما انتهى الى الميل الذى نصبه بهرام جور فاصلا بين المملكتين لئلا يتجاوزه أحد من كلا الجانبين قال: إنى لا أرضى بهذه القسمة، ولا أبقى هذا الميل إلا على وادى برك[٣] — وهو دون الشاش — ولابدّ أن أتوغل بلاد الترك . فلما انتهى الخبر بذلك الى خوش نواز بن الخاقان أرسل اليه يقول: إن جدّك بهرام كان أفخم منك أمرا وأعظم قدرا ، ولم يكن فى ملوك إيران مثله فى الروعة والجلالة والشهامة والصرامة . وقد رضى بهذه القسمة العادلة بين المملكتين، وهذا عهده معنا . والأولى بك ألا تغير قاعدة أسسها هو من قبلك ، ولا تستمر على غلوائك وجهلك ، ولا تستبد فى ذلك برأيك . فإنك اذا فعلت ذلك اضطررت إلى جر العساكر لقتالك والتشمر للقائك . فأعذر[٤] وأنذر . فاغتاظ فيروز واستشاط

§ كسفت الشمس قبيل سير فيروز لحرب الهياطلة ، ولعل الناس تشاءموا بهذا فوهنوا . وفى الطبرى روايات مختلفة عن هذه الحرب بعضها يقارب ما فى الشاهنامه . وبعضها يحدث بأن الجيش الفارسى ضل فى الصحارى بخديعة الهياطلة فهلك كثير منه واضطر فيروز الى المصالحة والرجوع . ثم عاود الحرب وعبر الخندق الذى حفره ملك الهياطلة على قناطر نصب عليها رايات ولكنه هزم فارتد الى الخندق بعيدا عن القناطر وسقط فيه .

والذى يرويه التاريخ عن هذه الوقائع أن فيروز حارب الهياطلة فهُزم وصالح على شروط منها أن يزوج إحدى بناته من ملك الهياطلة . ثم أرسل اليه أمة فلما تبين الأمر غضب وأرسل الى فيروز أن أمدنى بطائفة من قوادك ليعاونونى فى حرب فأرسل اليه ثلاثمائة فقتل معظمهم ومثل ببعضهم=

(أ) فى نسخة مول : سرخاب ، وفى ورنر : سرخان . ويذكر بعدُ فيهما بعد باسم سوفراى . ويسميه الطبرى والثعالبى سوخرا . وأظن هذه الصيغ المختلفة قراءات مختلفة لهذا الاسم فى الخط الفهلوى والعربى .

(١) طا ، طو : يسميها الناس .
(٢) كلمة "على" من طو، كو .
(٣) فى كو، الشاه — نسخة مول، وترجمة ورنر : ترك .
(٤) طا ، كو : وأعذر وأنذر .

لما سمع من رسالته، وقال: إن بهرام كان ينتهى أمره الى وادى برك . وأنا لا أرضى إلا بالاستيلاء إلى ذلك الحد. فعاد الرسول وبلّغ الى ابن خاقان جواب فيروز . فجمع العساكر وتجهز لقتاله، وأخرج عهد بهرام لخاقان الأكبر على أن يكون جيحون فاصلا بين المملكتين، فشدّه على رأس رمح وقدّمه أمام عسكره . ولما قرب من فيروز نفذ اليه رسولا آخر يخوّفه عاقبة غدره، ويحذره مخالفة عهد جدّه . فلم ينجع اليه شيء من ذلك، وقال : إن عبر ابن الخاقان من نهر الشاش قدر شبر فليس بينى وبينه غير السيف . فعاد الرسول الى ابن الخاقان وبلغه كلام فيروز . فابتهل إلى الله وتضرع اليه وعرض عجزه وظلم فيروز له عليه . فساق عسكره من باب سمرقند . وأمر فحفروا دون العسكر حفيرة عميقة مثل خندق، وغطوا رأسها بالتراب . فوصل فيروز، واصطف الفريقان، وتقابل[1] الجمعان فتقدّم فيروز بجموعه وحمل عليه فارتطم فى الحفيرة مع أخيه هرمز، وولده قباذ، وجماعة من أمرائه وخواصه وقوّاده وملوك بلاده . فساق ابن الخاقان إلى رأس الحفيرة فصادف ثمانية من الملوك قد ارتطموا فيها وهلكوا ولم يسلم[2] غير قباذ بن فيروز فأخرجوه وقيدوه وسلسلوه . وحمل على الايرانيين فقتل بعضهم وأسر بعضهم، وغنم أسلحتهم وأموالهم، وعاد بالظفر الى بلاده .

وانتهى الخبر الى بلاش بهلاك أبيه وعمه فنزل عن تخته، ووضع التراب على رأسه، وقعد فى عزاء أبيه . فعمت[3] تلك المصيبة أهل تلك الممالك، واستعظموا الرزء واستفظعوا الخطب . فلما فرغ بلاش من العزاء، وكان قعوده لذلك شهرا، حضرته الأمراء والقوّاد وموبذ الموبذان فوعظوه ونصحوه وأقعدوه على تخت الملك، وعقدوا على رأسه تاج السلطنة .

= وردّهم الى فيروز. ثم سار فيروز لحرب الهياطلة. وعسكر عند مدينة جرجان ثم أغار عليهم فتظاهروا بالانهزام واستدرجوه الى واد عميق مشجر ثم سدّوا عليه المدخل ثم صالحوه على سلم دائم وأن يسجد فيروز تحية لملك الهياطلة .

عاد فيروز إلى الحرب ليغسل هذا العار — وكان قد حالف أعداءه على ألا يجاوز ميلا نصب على الحدود فأراد أن يتحلل من عهده فقلع الميل وجرّه أمامه . وسار مشرقا نحو بلخ وتخلف عنه بعض جنده وفاء بالعهد، وتقدّم فيروز حتى وقع فى خندق خفيّ ومات، كما فى الشاهنامه[4] .

(١) طا : وتقاتل . (٢) طا، طر : يسلم منهم . (٣) كو : وعمت .

(٤) انظر سيكس (Sykes) ج ١ .

ذكر نوبة بلاش بن فيروز بن يزدجرد بن بهـرام جُور وكانت مدّة ملكه أربع سنين §

قال صاحب الكتاب : ولما تسنم بلاش سرير الملك تكلم على الحاضرين من الأكابر والقـوّاد بكلام حسن ، ووعدهم من نفسه بكل خير ثم وعظهم ونصحهم . فأثنوا عليه ودعوا له ، وتعجبوا من حسن عبارته وكمال عقله ووفور فضله وعلمه. قال: وكان سوفزاى الشيرازى المذكور مرزبان زابلستان وغزنة وبُست فأتاه خبر وقعة فيروز وهو بتلك الناحية فمزق على نفسه ثيابه البهلوانيـة ، وأفاض على خدّه دموعه الأرجوانية. وقعد مع أكابر زابلستان فى مجلس العزاء حفاة حاسرين . وعلم أن بلاش لا يقدر على طلب الثأر والانتقام لأبيه فخرج فى مائة ألف مقاتل، بعد أن فرق عليهم أموالا كثيرة. وكتب الى بلاش كتاب تعزية وذكر فيه خروجه لطلب ثأر فيروز . قال: وها أنا سائر الى قتال ابن الخاقان عن إذنك. وأرسل اليه رسولا بالكتاب، وتوجه نحو بلاد خراسان. فلما وصل الى مرو كتب الى ابن الخاقان كتابا مشحونا بالتهديد والوعيد يعيره ويعنفه فيه على إقدامه على مقاتلة فيروز، وتجاسره على محاربته، ويوبخه على تركه سلوك سبيل الخضوع والضراعة معه تقيلا بأبيه وجده فى الانقياد

---

§ بلاش الذى يعرف عند الأوربيين باسم ڤُلوجسس (Vologeses) أيضا ملك أربع سـنين (٤٨٤ — ٤٨٨ م) . وكان كيزدجرد الأثيم ، مسالما مؤثرا للعافيـة يحبه النصـارى من رعاياه ويكرهه المجوس . وكانت المملكة فى عهده مستكينة بما أصابها على أيدى الهياطلة، وأدّت إليهم الجزية نحو سنتين، وكأن حرب الانتقام من الهياطلة التى قادها سوفزاى اختراع القصاص ليغسلوا هذا العار عن شرف الايرانيين . والظاهر أن الذى استطاعه سوفزاى معاهدة العدوّ على المسالمة . والشاهنامه تنهى الحرب بعد موقعة واحدة بالمسالمة[(١)] .

ومن آثاره بناء مدينة بلاشاباذ (ساباط) ومدينتان عند حلوان ومرو كل منهما تسمى بلاشكرد. وتختلف الروايات فى نهاية أمره، أخلع وقتل أم بقى ملكا إلى أن مات[(٢)] .

وقصة بلاش فى الشاهنامه ١٧٣ بيت فيها العناوين الآتية :

(١) نصح بلاش الايرانيين . (٢) كتاب سوفزاى الى خوشنواز . (٣) حرب سوفزاى وخوشنواز . (٤) رجوع قباد إلى إيران .

---

(١) انظر سيكس، وورنر، والفرد . (٢) انظر الأخبار الطوال، والفرد، ووورنر الخ .

لبهرام والدخول تحت طاعته . ونفذ الكتاب على يد[1] رسول موصوف بالذكاء والعقل . فلما وصل الرسول اليه ووقف على الكتاب انكسر قلبه ، وامتلأ بالرعب صدره ، وأجاب عن كتابه وقال : إن فيروز لما خالف عهد الملوك الماضين حل به ما حل . وأرسلت اليه رسولين ووعظته ونصحته فما انزجر ولا اتعظ حتى أورده ذلك — الموردَ الوبيل . وأما أنت فإن عزمت على مقاتلتنا فاعلم أن ذاك الحسام بعد فى يد ذاك القاتل ، وأن ذاك السنان فى رأس ذاك العامل ، ولم ينقص من ذلك العدد الدهم أحد . وهأنا لقتالك محتشد . فلما عاد الرسول بهذا الجواب اليه جر عساكره وسار الى كُشْمِيهَن . ثم عبر الماء بجموعه وجنوده . وانتهى الخبر بذلك الى خُشنواز بن الخاقان فتلقاه فى عساكره الى بيكَند . وتدانى ما بين الفريقين فبث كل واحد منهما الطلائع و باتوا ليلتهم على تعبئة وتهيئة . ولما تبلج الصبح التقى الفريقان فجرت وقعة عظيمة تنصبت فيها آكام عظيمة من جثث قتلى الجانبين . ثم طلعت للإيرانيين طلائع الظفر ، وانهزم ابن الخاقان ، وخلف وراءه الخيل والحشم والأموال والأسلحة . فنزل سوفزاى[2] وقال لأصحابه : قد جرى اليوم أمر الحرب على وفق ما أردناه . ولا بد لنا غدا من اتباع العدو والطلب بثأر الملك فيروز الذى طل دمه . فأصفق الأمراء والأكابر على ذلك ، وأعدّوا واستعدوا للركوب . ولما أصبحوا أتاهم رسول خشنواز يطلب الصلح ويقول : إن فيروز أورد نفسه موارد الهلكة حين نقض العهد ومال الى الحنظل وترك الشهد . والآن ليس من الصواب سفك دماء العباد وتخريب البلاد . والأصلح أن نجنح للسلم . ونحن نرد عليكم جميع ما غنمناه فى وقعة فيروز مع جميع المأسورين فنرجع الى العادة الحسنى والطريقة المثلى ، ويكون ما دون جيحون لكم وما وراءه لنا ، ونتراضى بقسمة الملك السعيد بهرام ، ولا نجاوز ذلك . فلما سمع سوفزاى هذه الرسالة استحضر أصحابه وجمعهم فى سرادقه وأشار على الرسول بأن يعيد تلك الرسالة عليهم . ففعل الرسول وبلغهم مقالة خشنواز . ثم خلا بهم سوفزاى وقال : الرأى أن نجيبهم إلى الصلح ونخلص من أيديهم قباذ بن فيروز ، وموبذ الموبذان أردشير ، وسائر الأسرى مع ذخائر فيروز وخيله وأسلحته التى هى فى أيديهم الآن . فإنا إن ألححنا عليهم بالقتال خفنا على قباذ والموبذ أن يقدموا على قتلهما . وعند ذلك يفدح الأمر ويجل الخطب . ولا سبيل الى استدراك الفائت . فأثنى عليه الحاضرون وقالوا : هذا هو الرأى المبين[3] والدين القويم . فاتفقوا على ذلك . فاستحضر الرسول ولاينه فى الخطاب وقال : لا شك أن واقعة فيروز كانت أمرا محتوما وقدرا مقدورا . ونحن الآن نوافقكم على ما جنحتم اليه من السلم على أن تطلقوا لنا قباذ وموبذ الموبذان وسائر من عندكم من الأسارى مع خزائن فيروز . واذا فعلتم ذلك

(١) صل : على رسول . والتصحيح من طا . وفى طر : على يد رجل . (٢) طر : سوفراى . (٣) كو : المتين .

انصرفنا بعد عشرة أيام، وعبرنا جيحون . ثم بعد ذلك لا ندوس ما وراءه أصلا . فعاد الرسول بجوابه الى خُشنواز فسر بذلك، ورفع القيد عن رجل قباذ وأطلقه مع أردشير موبذ الموبذان، فى جميع الأسارى فنفذهم وجميع خزائن فيروز مع رسول محتشم من كبار أصحابه الى مخيم سوفزاى . فلما رأى العسكر وجه قباذ مع الموبذ كادوا يطيرون من الفرح والسرور فرموا الخيم فى الحال وارتحلوا وعبروا جيحون . فأتى الخبر فارس بظفر سوفزاى وخلاص قباذ مع موبذ الموبذان وسائر الأسارى فاستبشروا[1] واستقبلوه . فأمر بلاش بنصب تخت من الفضة فى إيوان قباذ ليجلس عند قدومه عليه. فلما وصل أدخله[2] الى إيوانه مع سوفزاى . فمدوا السماط وطعموا ثم جلسوا فى مجلس الأنس على جملة اللهو والطرب غير أن صفو عيشهم ذلك كان مرنقا بقرب عهدهم بحادثة فيروز . وطفق المغنون يزمزمون على أوتار المزاهر بألحان تشتمل على وصف وقصة الترك، وظفر البهلوان بهم، وإنقاذ ابن الملك من أيديهم .

(١٦٨)

واستعلى أمر سوفزاى فاستبد بالأمر والنهى، والحل والعقد، والبسط والقبض، والإبرام والنقض، وصار لا يدانيه أحد فى تلك الدولة ولا يساجله وإن كان يملأ الدلو الى عقد الكرب . فبقى كذلك الى أربع سنين مضت من ملك بلاش فقال له : إنك لا تحسن شغل السلطنة[3]، ولست تطلع على أسرار الملك؛ تحسبها نوعا من اللهو واللعب . وأخوك قباذ أعرف منك بدقائق هذا الأمر وغوامضه . وهو أقدر منك على القيام بمراسم الملك . فاضطر بلاش الى ملازمة بيته وخلع نفسه (أ) فصار الأمر لقباذ، وتوجه من اصطخر نحو بغداد .

٣٩ — ذكر نوبة قُباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جُور وكانت مدّة ملكه أربعين سنة (ب) §

قال صاحب الكتاب : لما جلس قباذ على تخت السلطنة قال للناس : إن طريقكم إلىّ مفتوح بالليل والنهار . فلا تسبلوا ستور الكتمان على وجوه الأسرار . وكل ملك زين لسانه بصدق المقال

---

§ من أعظم الملوك الساسانيين . ملك ثلاثا وأربعين سنة (٤٨٨ — ٥٣١ م) بدأها بمحاربة الخزر فهزمهم ثم شغل بمحاربة الهياطلة عشر سنين (٥٠٣ — ٥١٣ م) حتى خضد شوكتهم فلم يخش=

(أ) فى بعض الروايات أنه خلع وأعمى وفى بعضها أنه بقى ملكا حتى مات . انظر الأخبار الطوال وفارس نامه وورنر، ج ٧

(ب) اذا لم يحسب فى ملك قباذ المدة التى ولى فيها جاماسب (٤٩٨ — ٥٠١ م) كانت مدّته أربعين سنة كما هنا .

(١) كلمة "فاستبشروا" من طا، كو . وفى طر : بظفر سوفزاى فاستبشروا الخ . (٢) صل : طا، طر : أدخله به . والتصحيح من كو . (٣) كو : أمر السلطنة .

فهو المخصوص بالإعظام والإجلال . ومهما كان متكلما بغير السداد تعرض للنزاع والعناد . واذا طهر قلبه عن[١] الداء الدفين والحقد القديم نظرته الأصاغر والأكابر بعين التمكين والتقديم . إن الحلم عماد العقل[٢] وإن النزق مادة الذل[٣] . ومن عرف عيب نفسه فواجب عليه أن يسكت عن عيب غيره . ثم قال : سارعوا الى عمل الخيرات ، ولا تفنوا أعماركم بالسيئات . فحمده الحاضرون وأثنوا عليه ، ونثروا الجوهر على تاجه . وكانت سنه عند جلوسه على تخت السلطنة ست عشرة سنة . وكان ناقص الحظ من الملك . فإن أمور العالم كانت موكولة الى رأى

= الايرانيون شرهم من بعد . وحارب الروم مرتين : الأولى استمرت سنتين (٥٠٣ — ٥٠٥ م) . والثانية سبع سنوات (٥٢٤ – ٥٣١ م) ولم يقفها إلا موت قباذ . وكانت الحرب بين الفريقين سجالا .

وكان بين الفرس والصين سفارات فى عهد قباذ حفظ التاريخ الصينى أخبارها[٤] .

وسيرة قباذ فى المزدكية معروفة لا تحتاج الى تبين . وميله الى هذا المذهب على علاته يشهد بما فى نفسه من حب المؤاساة بين الناس .

وتنسب الروايات الى قباذ عمارة مدائن كثيرة . منها حلوان وأرجان وقباذ خُرّه وبهقباد، ولكن يظهر أنه لم ينشئ هذه المدن كلها بل سمى بعض المدن القديمة بأسماء جديدة[٥] .

ثم قصة قباذ فى الشاهنامه ٤٠٦ بيت فيها من العناوين : (١) جلوس قباذ على العرش ونصحه الملأ . (٢) تحريض الايرانيين قباذ على سوفراى ، وقتله إياه . (٣) حبس الايرانيين قباذ، واجلاس جاماسب أخيه على العرش . (٤) هرب قباذ والتجاؤه الى الهياطلة . (٥) رجوع قباذ من عند الهياطلة وولادة كسرى أنو شروان، وجلوس قباذ على العرش . (٦) دخول قباذ فى دين مزدك . (٧) أخذ كسرى مزدك وقتله . (٨) تولية قباذ كسرى العهد وتسميه الكبراء إياه " نوشين روان " . (٩) الشاعر يشكو الشيخوخة .

---

(١) طر : من الداء . (٢) طا ، طر : القلب . (٣) كو : عماد الجهل .

(٤) سيكس (Sykes) ج ١ ص ٤٤٧ (٥) انظر الغرر : ص ٤٤٥ ، وتاريخ حمزة ، والأخبار الطوال ، والطبرى ج ٢ ، ص ٨٧ ، وفارس نامه ، وورنر ، ج ٧ ص ١٨٧

سوفزاى § وكان مستبدّا بنفسه مستقلا بالإيراد والإصدار غير ملتفت اليه ولامحتفل به . وكان لايمكن أحدا من الموابذة والوزراء من الدخول عليه . ولم يزل الحال على هذه الجملة الى أن استكمل قباذ من سنه ثلاثا وعشرين سنة . فدخل عليه سوفزاى ذات يوم واستأذنه فى معاودة شيراز ومطالعة أسبابه بها . فأذن له فتوجه اليها فى جميع أصحابه . ولما حصل فيها دانت له ممالك فارس، ودخل أهلها تحت رقه . فأقام مُدِلا بأنه هو[1] الذى ملك قباذ ، وقرّر عليه السلطنة ظانا أنه لا يتجاسر أحد[2] يذكره بسوء أو يقبح صورته . وجعل يطلب الخراج من كل صاحب إقليم، وتبسط فى الممالك من كل جانب. فأنهوا ذلك الى قباذ، وتحدّث الناس بأنه ليس لقباذ من الملك والمملكة والتاج والتخت غير الاسم، وأنه لا يطاع أمره ولا يسمع[3] قوله . وجعلت أصحاب أسرار قباذ وخواصه يكثرون ذكر هذا النوع فى حضرته ، و يقبحون صورة سوفزاى فى عينه، و يعيرونه بتغافله فى أمره، و إهماله لقوانين الملك، و إخلاله بشرائط السياسة ، وأن ذلك أورث استقلال سوفزاى بملك فارس حتى استعبد رجالها واستصفى أموالها . وما زالوا يقرعون سمعه بهذا الكلام حتى امتلأ قلبه وجاش صدره . فقال ذات

---

§ سوفزاى الذى يسميه الطبرى سوخرا هو الذى خلص قباذ من أسر الهياطلة ، كما تقدّم . والذى يرويه التاريخ أن سوفزاى أيد قباذ حين خلعه الناس لمتابعته مزدك . فلما عاد قباذ الى عرشه مكن سوفزاى من أمور الدولة حتى كانت الفتنة بينهما . فلم يثر الناس على قباذ من أجل سوفزاى كما فى الشاه، بل من أجل مزدك . والذى نصر قباذ وقت المحنة هو سوفزاى نفسه لا ابنه زرمهر كما تروى الشاه . ويرى نلدكه أن سوفزاى أو سوخرا لقب أسرة وأن الذى يذكر فى الكتب باسم زرمهر هو الذى يذكر باسم سوخرا . وكأن الشاهنامه خلطت بين ثورة الناس على المزدكية وغضب الملك على سوفزاى وقتله . فلما وضع مقتل سوفزاى قبل وقته كان لا بدّ من أن يكون نصير قباذ فى محنته غير سوفزاى فجعل زرمهر ابنا لسوفزاى . ويؤيد هذا ما يرويه الطبرى أن زرمهر قاتل المزدكية وأعاد قباذ الى الملك ثم حرّض المزدكية قباذ عليه فقتله . وهذا ما يرويه التاريخ عن سوفزاى نفسه .

وسابور الرازى من أسرة مهران، كما يقول الطبرى . وهى أسرة أشكانية كانت ذات جاه أيام الساسانيين . ويروى الطبرى أنه حينما سجن سوخرا قال الناس: "تقصت ريح سوخرا وهبت لمهران ريح" وذهب ذلك مثلا . ويستنتج الأستاذ نلدكه من هذا المثل أن سوخرا اسم أسرة . ذلك بأن المثل قابل سوخرا بمهران. و"مهران" اسم أسرة فينبغى أن يكون "سوخرا" كذلك .

---

(١) طا، طر : هو ملك . (٢) كو، طا، طر : أن يذكره . (٣) طا، طر : له قوله .

يوم: إني إن أظهرت معاداته عظم الخطب وأعضل الداء. ومالي في إيران من يطيق مقاومته، ويقدر على أن يفل حدّه ويكف عاديته. فقال له بعض أصحاب رأيه: لا يشتغل[١] قلبك أيها الملك من هذه الجهة. فإن لك مماليك يطاولون الأفلاك فيطولونها، ويغالبون الآساد فيغلبونها. منهم سابور الرازي. فإنه اذا تحرك من مكانه تمزق قلب سوفزاي من هيبته. فتمكن هذا الحديث في قلب قباذ ورأى الاستظهار بسابور — مخالفة للعقل وانقيادا للجهل. فأرسل فارسا الى الري ليستنهض سابور ويستقدمه اليه وهو ببغداد. فطار الرسول بجناح الطرد والركض الى الري، وأعلم سابور بالأمر فافتر ضاحكا من الفرح، واستبشر بتغير رأي الملك على الفارسي. فإنه كان أعدى عدوّ له في السر والعلن. فأمتثل أمر الملك وأقبل في عساكره الى حضرته. فلما وصل اليه[٢] دخل عليه فأكرمه واحترمه وأجلسه على تخت الفيروزج عنده. فأبثه قباذ شكواه، وشرح له ما بلي به من استيلاء الفارسي على ملكه، وقلة احتفاله به. فقال سابور: لا تشغلن سرك بهذا واكتب اليه كتابا مشحونا بالإيعاد والتهديد. فإني أحمله اليه ولا أتركه أن[٣] يغمض عينيه حتى أقيد يديه ورجليه وأحمله الى حضرتك. فاستحضر الكاتب وأمره أن يكتب على تلك الصفة كتابا ففعل. وجمع سابور العسكر وسار متوجها نحو فارس. فلما علم سوفزاي بقدومه ركب في جموعه، واستقبله واعتنق كل واحد منهما صاحبه. ثم إن سابور أعطاه كتاب الملك. فلما قرأه ذبل عوده، وغاض نشاطه، وتفلل حدّه. فقال له سابور: إن الملك قد تأذى منك وأمر بأن تحمل مقيدا اليه. فقال سوفزاي: إن الملك يعلم حسن صنيعي معه وما تحملت من المكاره له حتى خلصته من الأسر. وكم من يدلي عنده وعند أكابر ايران! فإن كان جزائي من الملك أن ينفذك اليّ ويأمرك بأن تقيد يديّ ورجليّ فامض لما أمرت فانه لاعار من قيد الملك عليّ. فقيده سابور وحمله الى حضرة الملك. فلما وصل أمر بحبسه، وسجنه ونفذ الى شيراز من حمل جميع ما هنالك من الكنوز والأموال والذخائر الى طيسفون. قال: وتردّدت الرسل بين سوفزاي وبين المرابذة بعد أسبوع من محبسه. فخلا بقباذ بعض أصحاب رأيه وقال: إن جميع أهل طيسفون، من الأمراء والعامة والدهاقنة يميلون الى سوفزاي، ويرون معاضدته. فان توانى الملك في أمره وأبقاه خرج الأمر من يده. والأولى قتل العدو الكاشح، وإرغام أنف الحسود الفاسق. فأمر قباذ بإهلاكه في حبسه. فلما قتل وشاع خبر قتله[٤] في الناس عظم عليهم ذلك فثارت فتنة عظيمة، وجاشت العامة وهجموا على قباذ، وقتلوا جميع من كان عنده من الذين تعاونوا على قتل سوفزاي. ثم

(١٦٩)

---

(١) طا، طر: لا تشتغل. (٢) طا، طر: فلما وصل دخل. (٣) كو: ولا أتركه يغمض.

(٤) طر: خبر إهلاكه.

قبضوا على قباذ وقيدوه وسلسلوه. وأخرجوا أخا له صغيرا يسمى جاماسب (ا) وبايعوه وقلدوه الأمر، وأقعدوه مقعد أخيه من الملك. وكان لسوفزاى ابن موصوف بالعقل والذكاء مشهور بالتؤدة والتأنى يسمى زرمهر. فسلموا قباذ اليه ليقتص منه لأبيه. فلم يفعل زرمهر ذلك، وجعل يكرم قباذ ويخدمه. فتعجب قباذ من حسن أدبه وكرم خلقه فأخذ يعتذر اليه عما بدر منه فى حق أبيه، وينسب ذلك الى حسدته وأعاديه. وقال له: إن خلصتنى من هذا الحبس اتخذتك صاحبا ووزيرا وحاكما ودستورا. فقال له: اذا عاهدتنى ووثقت بك رفعت القيد عنك. فعاهده وسأله أن يحضره خمسة أنفس عيّنهم من أصحابه وحفظة أسراره. فأحضرهم ورفع القيد عنه. فخرج مع زرمهر وهؤلاء الخمسة، وتوجهوا نحو بلاد المياطلة. فلما وصلوا الى الأهواز نزلوا فى دار[1] دهقان منها. وكانت لهذا الدهقان بنت كالزبرقان أجمل ما يكون من النساء صورة وشكلا وملاحة وظرفا، فرآها قباذ وعشقها فخلا بزرمهر وأفضى اليه بسره، وسأله أن يخاطب أباها فى أن يزوّجه إياها. فسعى زرمهر فى ذلك، وخطبها الى الدهقان لقباذ، ووعده ومنّاه، ولم يزل به حتى أجابه الى ذلك فزوّجه إياها. فبنى بها الملك وبقى عندها سبع ليال وأعطاها خاتما فيه فص له قيمة. وخرج وتوجه نحو مقصده.

قلت: ذكر حمزة الأصفهانى[2] فى تاريخ أصفهان أن قباذ لما خلص من الحبس خرج من طريق فارس على قصد بلاد خراسان فوصل الى قرية أردستان (ب) وهى على ثلاث مراحل من أصبهان، فغلبته شهوة الجماع بحيث لا يصبر عنه فقال: انظروا هل فى هذه الضيعة بنت ذات جمال وأصل شريف. ففتشوا له عن أوسط أهل تلك القرية حالا وأشرفهم نسبا فوجدوا دهقانا كريم الأصل شريف النسب. وكانت له بنت فى غاية الحسن، فزوجها من قباذ فبنى بها وحملت منه كسرى أنوشروان فسار قباذ لوجهه. فوضعت البنت ابنا وسماه أبوها كسرى فترعرع وشب. ولما عاد قباذ مظفرا منصورا بعد أربع سنين أركب الدهقان كسرى فى أربعين صبيا من أولاد رؤساء تلك الضيعة الذين كانوا فى خدمته، وتلقى بهم قباذ. ثم إن قباذ أذن فى أن يبنى لكل واحد من هؤلاء الصبيان

(ا) فى الطبرى أن ملك جاماسب ست سنين والحق أنه ملك (٤٩٨ — ٥٠١ م). وفى تاريخ حمزة أنه لم يعد ملكا اذ كان ملكه فى فتنة المزدكية.

(ب) فى الغرر: أنها أسفرائين من كور نيسابور. وفى الأخبار الطوال أنها قرية فى حد الأهواز وأصبهان. وفى بعض روايات الطبرى أنها أبرشهر.

(١) طا، طر: نزلوا فى قرية فى دار دهقان منها. (٢) كو: الأصباهى فى تاريخ أصبهان.

فى تلك القرية قصر رفيع ، إظهارا لشرفهم ونخرهم . فبنوا تلك القصور . قال حمزة : وآثار بعض تلك القصور باقية الى الآن فى قرية أردستان (ا) .

قال الفردوسى رحمه الله : فوصل قباذ الى ملك الهياطلة فاستمده على أهل ايران فأمده بثلاثين ألف مقاتل . فسار فيهم عائدا الى بلاده . فلما انتهى الى قرية الدهقان أتته البشارة بالابن الذى ولدته ابنة الدهقان . فسر بذلك ، ودخل دار الدهقان . فلما رأى الصبى سأله عن أصله ونسبه . فقال : إن نسبى ينتهى الى الملك أفريذون (ب) الذى انتزع الملك بالسيف من بيت الضحاك . فضحك قباذ واستبشر به . فأمر بأن تحمل زوجته معه فى العمارية ، وساق العسكر حتى وصل الى طيسفون وهو موغر الصدر متنمر على الايرانيين . فاجتمعت أمراؤهم ، وعلموا أنهم لا يطيقون مقاومة قباذ فاستقبلوه خاضعين ضارعين ، واعتذروا اليه واستقالوه العثرة . فعفا عنهم وصفح عن أخيه جاماسب . ودخل الى إيوان الملك ، وتسنم سرير السلطنة ، ومثل أخوه بين يديه فى جميع الملوك والأمراء .

ثم أقام على سرير السلطنة نافذ الأمر حتى رتب أمور إيران ، ونظم أسباب ممالكها . وغزا الروم(ج) وملك بلادها ، وبنى فيها بيوت النار وأظهر فيها المجوسية . ثم عاد وبنى المدائن معرّس الملوك ومبوأ السلاطين ، وبنى مدينة أخرى عظيمة وسماها أرز وهى التى تسمى حلوان (د) .

ذكر خروج مزدك فى عهد قباذ

قال : واتصل بقباذ رجل فصيح اللسان غزير العلم ذو رأى وعقل يسمى مزدك . فقبله قباذ وأقبل عليه حتى اتخذه دستورا وخازنا . فاتفق أن أصاب الناس فى ذلك العهد لزبة (1) شديدة احتبس فيها القطر وهلك الزرع . فاجتمع أكابر ايران على باب قباذ ، وضجوا مما هم فيه من الضيق والشدّة وعدم الأقوات . فقال لهم مزدك : إن الملك سيزيل ظلامتكم ويحقق طلبتكم . ودخل على الملك وقال : إنى مسائلك (2) عن مسألة فأجبنى عنها . فقال : هاتها . فقال : ماذا تقول فى رجل معه جملة من الترياق المجرّب ، وعنده رجل قد لدغته (3) الحية وهو على شرف الموت وصاحب الترياق يمنعه عنه ،

(ا) انظر الروايات المختلفة فى فارس نامه . وانظر معجم البلدان : أردستان .

(ب) المعروف فى التاريخ أن أم كسرى أخت أحد القوّاد الكبار .

(ج) كان لقباذ مع الروم وقائع كثيرة — انظر مقدّمة هذا الفصل .

(د) أنظر المدن التى بناها قباذ فى مقدّمة هذا الفصل .

(1) طا ، طر ، كو : أزمة . (2) طا ، كو : سائلك . (3) طا ، طر : لدغته .

ويضن به عليه ويدعه حتى يموت ؟ قال الملك[1] : إن صاحب الترياق مأخوذ بدم هذا اللديغ ، وينبغى أن يقتل به . فقام مزدك وخرج وقال للتظلمين : إنى فاوضت الملك فى أمركم فانصرفوا الآن، وعاودوا الدركاه غدا . قال : فانصرفوا وعادوا بكرة، كما سبق الوعد . فدخل مزدك على الملك ودعا له وأثنى عليه ثم قال : قد أجبتنى أمس عن مسألتى . وأريد الآن أن تجيبنى عن مسألة أخرى أسألك عنها . فقال : سل . فقال مزدك : ماذا تقول فيمن حبس رجلا وقيده ومنعه الطعام والشراب حتى مات؟ فقال : هذا المسكين متقلد دم لم يسفكه . فخرج مزدك عند ذلك وقال لمن حضر الباب من المتظلمين : إن الملك قد أباحكم ما فى الأهراء من الغلات فابسطوا أيديكم، وأينما وجدتم منها شيئا فاستبيحوه . ففعلوا ذلك وطنت المدينة ، وماجت العامة الذين أخرجتهم المجاعة، وانتهبت غلات السلطان وغيره . فأنهى الى الملك ذلك وأخبر بأن مزدك هو الذى رخص لهم فى ذلك . فاستحضره وسأله عن السبب الحامل له على ذلك . فقال : إن الجائع هو اللديغ والطعام هو الترياق . وقد أباح الملك دم صاحب الترياق اذا لم يتدارك حشاشة اللديغ المشرف على الموت . وقد رأيت الناس يموتون جوعا ولا خبر عند أرباب الغلات المدخرة من ذلك . فأبحتهم إياها على مقتضى حكم الملك وقوله . فسكت قباذ . واستعلى أمر مزدك ، وطالت باعه، وكثرت أشياعه وأتباعه . وخالف الأنبياء فى مللهم ، وباين العلماء فى طرقهم . وكان يقول : ينبغى أن تكون أمور العالم على السواء ، ولا يقع تفاوت فى نعم الله بين الأغنياء والفقراء ، ويكون الغنىّ كالسّدى والفقير كاللُحمة . فشرع مذهب الإباحة على هذه الصفة . ولم يزل أمره يقوى إلى أن آمن به قباذ ودخل فى دينه ، وشاع هذا المذهب فى أطراف العالم، وصار بحيث لم يتجاسر أحد على مخالفة مزدك . فاتفق أنه ذات[2] يوم دخل على الملك وقال : إن على الباب جماعة من أهل ديننا ومتبعى ملتنا . فأذن لهم قباذ فى الدخول . فقال : إن هذا المكان ضيق لا يسعهم . فإن رأى الملك خرج لأجلهم الى الصحراء . فأمر بإخراج تخته إلى الصحراء وخرج . فاجتمع عليه نحو مائة ألف نفس من المزدكية . فقال مزدك لقباذ : اعلم أن ابنك كسرى ليس على ديننا ، ولا يليق به أن يخالف مذهب الحق . والرأى أن نأخذ خطه بمتابعتنا وترك ما هو عليه من الضلالة والجهالة . ثم قال : والذى يمنع الناس عن سلوك طريق السداد منحصر فى خمسة أشياء لا غير : وهى الغيرة والحقد والغضب والحرص والفقر . واذا قمعت هذه الأخلاق الشيطانية استقام لك طريق الحق . ومنشؤها كلها من شيئين : المال والنساء . فينبغى أن يجعلا على

(١) طا ، طر : فقال الملك . (٢) طا ، طر ، كو : دخل ذات يوم على الملك .

الإباحة بين الخلق أجمعين حتى تأمن(١) الآفات الخرس . فأمر قباذ ابنه كسرى بالدخول فى دينه (فاستمهله خمسة أشهر)(٢) على أنه إن لم يظهر بطلان دينه فى هذه المدة تديّن به . فرضى قباذ منه بذلك وتفرّق الناس عن ذلك المجمع . فنفذ كسرى كتبه إلى بلاد فارس يستدعى العلماء فجاءه موبذ من أرض(٣) أردشير خُرّة يسمى مِهراذر فى ثلاثين موبذا . وتفاوضوا عند كسرى فى حديث مزدك وما جاء به من الملة المدخولة . فكثرت بينهم المباحثات والمناظرات حتى اتضح لهم بطلان دينه، وتقرر بينهم إدحاض حجته . وأوضحوا ذلك لكسرى . فدخل على أبيه وقال : إن ظهرت حقية دين مزدك وبطلان دين زرادشت تبعتك . وإن ظهر بطلانه فينبغى لك أن تتبرأ منه وتمكنى منه ومن أتباعه حتى أرى فيهم رأيى وأنفذ فيهم حكمى . فوافقه قباذ على ذلك(ا) فأشهد(٤) به على نفسه زرمهر وجميع من حضر من العلماء والموابذة فقام كسرى إلى إيوانه . ولما أصبح ركب ومعه(٥) الموابذة ودخل على أبيه قباذ وحضر مزدك واحتفلوا للمناظرة فتصدّى موبذ وقال : أيها الرجل قد أتيت(٦) بدين جديد أبحت فيه النساء والأموال . ويلزم من ذلك ألا يعرف الوالد ولده ولا الولد(٧) والده، وإذا مات الإنسان لا يدرى من يرث طارفه وتالده . وإذا اختلط الناس فمن أين يعرف الكبير من الصغير والوضيع من الشريف ؟ وإذا استووا فمن يتعين للرياسة ويترشح للسياسة ؟ وأخذوا فى المناظرة والمباحثة حتى انقطع مزدك، وظهر لقباذ أنه عن حلية الدين عاطل وأن كلامه باطل ليس وراءه طائل . فرجع عن دينه وندم على تقديمه . فسلمه إلى كسرى (ب) وسلطه عليه وعلى أصحابه وقال له : إن على الباب ثلاثة آلاف نفس من رؤساء المزدكية فنكل بهم أولا ثم افعل ما شئت بمزدك ثانيا . فقبض كسرى عليهم أجمعين . وكان له ميدان(٨) واسع بقرب إيوانه . فأمر فحفروا فيه لكل واحد منهم حفيرة . فنكسوا فى تلك الحفائر وطمرت(٩) رءوسهم الى خصورهم فى التراب، وتركت أرجلهم منتصبة بادية للأبصار كأنهم غرسوا غرس الأشجار . ثم استحضر مزدك وقال له : ادخل الى

(ا) انظر فى فارس نامه الحديث بين كسرى وأبيه فى أمر المزدكية . وكان المزدكية يريدون أن يعهد قباذ إلى ابن آخر غير كسرى فلم يبلغوا مأربهم . ولا ريب أن هذا زاد حفيظة كسرى عليهم .

(ب) يؤخذ من رواية فارس نامه أن قباذ ملك كسرى وأن كسرى تولى قتل المزدكية وهو ملك . وهو مخالف لما فى الكتب الأخرى .

(١) صل . تأمن : والتصحيح من طا . كو : يأمنوا . (٢) ما بين القوسين من طا ، كو، طر .

(٣) طا، طر، كو : من أردشير خرة . (٤) طا، طر : وأشهد . (٥) صل : ركب معه . والتصحيح من طا، طر، كو. (٦) طا، طر، كو : إنك قد أتيت. (٧) صل : الولد ولداه والوالد ولده . والتغيير لمتابعة طا، طر، كو، ولمراعاة السجع . (٨) كو : بستان واسع وفيه ميدان بقرب إيوانه . (٩) طا، طر : وطمت .

هذا البستان وانظر فيه الى شجر لم ير مثله ذو بصر . فدخل البستان فلما شاهد ذلك غشى عليه . فأمر به فصلب ورشق بالسهام حتى مات بل نفق، وتبدّد شمل دينه بعد ما اتسق . وعاد الناس الى دينهم الأوّل، وأمنوا على حرمهم وأموالهم . وبقى قباذ متسربلا برداء التجمل وقد قارب أن يسمع نداء الأجل . ففرق أموالا كثيرة على الفقراء والمساكين، ونفذ جواهر وخلعا وافرة الى بيوت النار راجيا من الله تعالى أن يمحو سيئته ويغفر خطيئته . ثم إنه كتب بخطه عهدا لولده كسرى . ثم مات بعد ثمانين سنة من عمره وأربعين من ملكه . فعملوا له ناووسا ونصبوا فيه تختا من الذهب، وكفنوه بالديباج والحرير، وضمخوه بالكافور والعبير، ووضعوه عليه . ثم جلسوا للعزاء به . ولما فرغوا منه عقدوا التاج على رأس كسرى وسموه أنوشين روان (١) لجمعه بين جدّة الملك وجدّة الشباب واقتبالهما.(١)

٤٠ — ذكر نوبة كسرى أنوشروان . وهو كسرى بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد ابن بهرام جور . وكانت مدّة ملكه أربعا وستين سنة §

قال الفتح بن على الأصفهانى مترجم الكتاب : وفى عنفوان ملك كسرى ومقتبل سلطانه ولد سيد الأوّلين والآخرين، وخير الخلائق أجمعين محمد رسول رب العالمين . فتشعشعت فى أيامه تباشير صبح رسالته، وفاضت على معاطف زمانه أنوار شمس جلالته . فرزق أهله من أنوشروان ملكا فائض المعدلة مذكورا بالرأفة والمرحمة . فلا تظنن ذلك إلا من يمن نقيبة ذلك السراج الأزهر، والنور الأبهر، والذات الأطهر . الذى سال سلسال ميامنه فى شعاب الشعوب وأودية القلوب ، وجلت

---

§ كسرى أنوشروان من أعظم ملوك الساسانيين إن لم يكن أعظمهم . ملك ٤٨ سنة (٥٣١ — ٥٧٨ م). وقد أثر من أعماله فى الحرب والسلم ما أذاع صيته وأحيا ذكره. وصيته فى الكتب العربية غنى عن البيان .

وعهده فى الشاه ٤٧١١ بيتا يمكن تقسيمها الأقسام الآتية :

(١) تدبير كسرى المملكة، وتقسيمها، والحرب مع قبائل الحدود ومع الروم . (٢) ثورة نوشزاد . (٣) قصة بوزرجمهر . (٤) قصة مهبود ومسائل أخرى . (٥) جلب الشطرنج الى إيران واختراع النرد . (٦) جلب كتاب كليلة ودمنة من الهند . (٧) قصص شتى .

وسأبين فى ثنايا الفصل ما يتضمنه كل قسم من العناوين فى الشاهنامه .

---

(١) معنى أنوشين روان (أنوشاك روبان باللغة القديمة) النفس السعيدة .

(١) طا، طر: هذا منتهى الخبر عن ملك قباذ وأيامه . ويتلوه ترجمة ولده كسرى أنوشروان .

بركات مقدمه طلاع الخافقين من مبدأ الشروق الى موطن الغروب . فصلى الله عليه وعلى آله صلاة متواصلة الأمداد، متمادية تمادى الآباد، وسلم تسليما . وأدام أيام مولانا السلطان «الملك المعظم» ملك ملوك العرب والعجم «أبى الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب» الذى هو مهدى هذه الأمة علْماً وعلما ورجاحة وحلما، وأنو شروان عهده رأفة وعدلا وكرما وفضلا . ومدّ له فى البقاء مدّا حتى يكون الأبد معشاره، والسرمد دثاره وشعاره. ولا زالت سير الملوك الماضين بسيرته العادلية[(1)] منشورة، وألوية النصر ورايات الظفر على مواكب دولته ممدودة منشورة .

(١٧١) قال الفردوسى رحمه الله — بعد أن ذكر فصلا فى ذبول دوحة شبابه، وتغضن ظاهر إهابه، وأن ألف قامته بعد الشطاط والاعتدال صار كالدال، وأن عقد لآلئ أسنانه بعد الانتظام آذن بالانسلال والانحلال، لما جبل عليه الزمان من تغير الحال بعد الحال — : إن كسرى لما تسنم سرير الملك واعتصب بتاج السلطنة حضرته أكابر الدنيا قاطبة . فخطب خطبة بليغة حمد الله تعالى فيها وأثنى عليه ووعظ وذكّر، كما جرت عادتهم، بأبلغ بيان وأفصح كلام . فتعجب الحاضرون منه وقاموا وأثنوا عليه ودعوا له . ثم إنه استحضر الأكابر والعلماء وفاوضهم فى أمر الممالك . فقسم الأقاليم التى تحت أمره أقساما أربعة : فقسم منها خراسان وما يعدّ من جملتها ويضاف اليها من بلادها وجبالها . والقسم الثانى أصبهان مولد الأكابر ومنشأ الملوك والأماثل . وأدرج فى هذا القسم بلاد آذربيجان من حدّ أرمينية الى باب أردبيل . والقسم الثالث بلاد فارس والأهواز وغيرها . والقسم الرابع أرض العراق وإقليم الروم .

= وفى القسم الأوّل هذه العناوين :

(١) نصح نوشين روان رؤساء إيران . (٢) تقسيم كسرى المملكة أربعة أقسام، وترتيب الخراج . (٣) رسالة كسرى الى عماله . (٤) قصة بابك موبذ كسرى، وعرضه الجيش . (٥) عدل نوشين روان وذكاؤه . (٦) طوافه فى مملكته . (٧) عقاب اللان والبلوچيين، والكيلانيين . (٨) استغاثة المنذر العربى من عدوان قيصر الروم . (٩) كتاب نوشين روان الى قيصر، وجوابه . (١٠) قيادته الجيش لحرب قيصر الروم . (١١) استيلاؤه على قلاع فى بلاد الروم . (١٢) محاربته فرفوريوس الرومى، وأخذ قالينيوس وأنطاكية . (١٣) تعميره مدينة على مثال أنطاكية، وإسكان أسارى الروم فيها . (١٤) طلب قيصر الروم الصلح من نوشين روان .

(١) طا، طر : العادلة . كو : العادلة العادلية .

قال : وكان الملوك من قبله يأخذون من المزارع الثلث والربع . فلما ملك قباذ اقتصر على العشر . وكان فى عزمه أن ينقص منه أيضا رفقا بالرعية وتخفيفا عليهم وترفيها لهم فاخترمته المنية دون ذلك . ولما ملك كسرى أمر فسحوا الأرض سهلها وجبلها . ووضع على كل جريب من الأرض من مزارع الحنطة والشعير درهما . ولم يأخذ شيئا مما لم يكن مزروعا . وأمر بإحصاء النخل والزيتون فوضع على كل ست نخلات درهما، وعلى كل عشرة من أصول الزيتون وغيره من الأشجار التى تبق ثمارها عليها الى المهرجان درهما . وكل من لم يكن دهقانا وهو صاحب ثروة يؤخذ منه كل سنة عشرة دراهم فما دونها الى أربعة دراهم، على قدر إكثار الرجل وإقلاله . وجعل ذلك منجما عليهم ثلاثة أنجم يؤدّون عند رأس كل أربعة أشهر نجما الى الديوان (ا) ثم أمر فكتب تلك الوضائع فى ثلاث نسخ . فسلم نسخة منها الى الوزير لحفظ حساب الخزانة . ودفع نسخة الى عمال الخراج ليعتمدوا عليها فى جبايتهم . وسلم نسخة الى موبذ الموبذان ، وهو قاضى القضاة ، حتى يحفظ العمال ومن يتولى الجباية عن الزيادة على المقرر . وبث الأمناء والثقات والعمال فى أقطار الممالك حتى عمرت البلاد وأخصبت واستلقى أهلها على ظهورهم أمنا ودعة . وأورد صاحب الكتاب كتابا كتبه كسرى الى الأقاليم يذكر فيه ما وضعه من الخراج وأنه إن زاد أحد على ذلك درهما لينشرنه بالمنشار، ويعذبنه عذابا يعتبر به غيره، وأمر فيه ببسط الأمن والأمان فى أكناف البر والبحر على السابلة والقاطنة وأصناف الخلائق قاطبة ، وأنهم[1] يسلكون طريق الطاعة فى أداء الخراج الموضوع سوى من أصيب زرعه بجائحة سماوية . فانه لا يتعرض له بوجه من الوجوه . وكل أرض تعطلت بموت صاحبها ولم يكن له وارث يرثها فلاتترك خرابا بل تعمر وينفق على عمارتها من الخزانة .

ذكر عرض الموبذ عساكر أنوشروان

قال صاحب الكتاب : ولم يكن فى الملوك أرباب التخوت والتيجان وملّاك الأقاليم والبلدان أعدل من أنوشروان ولا أوفر منه عقلا ولا أثقب زندا . وكان له موبذ يسمى بابك فقلده ديوان الجيش . وأمره أن يبنى على رأس الميدان قصرا رفيعا ليشرف منه على العسكر . فبنوا ذلك له[2] وفرشوه بالبسط المرصعة باللآلئ والجواهر . وجلس فيه بابك وحضرته الكتاب والخدم . فأمر مناديا فنادى بركوب العسكر أرباب[3] الأرزاق فى عددهم وأسلحتهم . فركبت الجنود ودخلوا الى الميدان . فلما

(ا) انظر الطبرى أيضا .

(١) طا، طر : وبأنهم . (٢) طا، طر : له ذلك . (٣) طر : وأرباب .

شاهدهم بابك ولم ير فيهم علم كسرى أمرهم بالانصراف وركب وعاد الى منزله . ولما أصبح من الغد نادى المنادى بحضور العسكر فى الأسلحة فحضروا . فلما لم ير فيهم كسرى[1] أمرهم بالانصراف . ولما كان اليوم الثالث نادى منادى ديوان العرض بألا يتخلف منهم فارس . سواء كان شريفا أو وضيعا، صغيرا أو كبيرا، صاحب تاج أو صاحب سرير. فانه أمر جزم لامحاباة فيه لأحد. وليحضروا بأجمعهم فى أسلحتهم مدججين. فلما سمع كسرى ذلك ضحك واستحضر خفتانه ومغفره فركب ودخل الميدان مدججا شاكى السلاح متشمرا على حارك الفرس كالأجدل الغطريف أو أسد الغريف، على رأسه بيضة قد غطت وجهه، و بيده جرز ، وفى عضده قوس، وعلى سموط سرجه وهق ، وفى وسطه سهام مفروزة . فجاء حتى عبر على بابك صاحب الديوان عارضا فروسيته عليه. فدعا له واعتذر اليه وقال: إن هذا مقام العدل، وقد تعلمنا منك هذا النحو . ثم سأل كسرى أن يثنى عنانه ذات اليمين وذات الشمال . فثور فرسه ، وأظهر فروسيته . فتعجب المو بذ منه وسمى الله تعالى عليه . وكان عطاء كل فارس ألفا أو ألفين الى أربعة آلاف لايجاوز هذا المقدار . فنادى منادى الديوان: إن لكمى الكماة، يعنى أنو شروان ، أربعة آلاف درهم ودرهما . فزاد درهما فى رزق الملك . وكان كسرى شابا غريرا فضحك ضحكا كثيرا وقد أعجبه ما عامله به بابك . قال : ولما قام بابك من ذلك المجلس دخل عليه وقال : لا يؤاخذ الملك عبده بما صدر منه اليوم من الغلظة، فانه لم يكن عنده غير النصفة والمعدلة. فاستصوبه الملك فى ذلك وقال : إنك بما فعلت ازددت عندى قربة ومكانة . فلا تعدل أيها الرجل المتيقظ ! عن طريق الاستقامة . فدعا له الموبذ وأثنى عليه . ثم إنه لما أصبح من الغد أذن للناس إذنا عاما . فلما احتفلوا أقبل عليهم وقال : لا تستعينوا أيها الحاضرون إلا بالله وحده . فهو الهادى الى سبيل الخير، وهو الآخذ بأيدينا فى الدارين . ثم لا يقطعكم عنا هيبة التاج والتخت. فإن الطريق الينا سهل . ولا تنصرفوا من عندنا أى وقت كان بالليل أو النهار إلا وحاجاتكم مقضية ، وحقوقكم مرعية . فانا لا نفرح إلا بالتنفيس عن المكروبين والأخذ بأيدى المظلومين . ونعوذ بالله من أن



يبيت أحد موجع القلب من أيدى[2] أحد من عمالنا . فانا نخاف أن يؤثر ذلك فى تغير حالنا . فرفع الحاضرون أصواتهم بالدعاء له والثناء عليه وخرجوا . ثم صارت الدنيا بحسن رأفته وصدق شفقته كبعض الجنان المزخرفة غضارة ونضارة وحسنا وعمارة . وتناهت الأخبار بذلك الى سائر أقاليم الأرض من الهند والروم وغيرهما ، بما جدد كسرى من قواعد العدل ومبانى الأمن، وما حصل للخلق فى أيامه من الخصب والراحة، وما عمهم من الدعة والرفاهية ، وأنه قد أصبح أكثر الملوك

(١) طر: علم كسرى . (٢) طا، طر: يدى .

جندا، وأثقبهم فى المعالى زندا، وأبهرهم روعة وجلالة، وأعظمهم نجدة وبسالة . فانثالت الرسل الى حضرته أرسالا متسربلين بمدارع الخضوع والضراعة، متمسكين بأهداب الانقياد والطاعة .

ثم إنه رأى أن يطوف فى ممالكه، ويشاهد أحوال رعيته . فخرج فى عساكره متوجها الى جهة خراسان. وكان له مناد يركب كل يوم فى العسكر ويأمرهم بالكف عن أذية من يمرون به فى طريقه، ويوعدهم على ذلك . فعبر على جُرجان، وسار منها الى سارية وآمُل . فوافق مقدمهم فصل الربيع فرأى هناك غياضا متأشبة، ورياضا معشبة، وبلابل فى شجراتها ساجعة، وأنوارا فى حدائقها هاجعة . فركب فرسا عربيا وصعد إلى جبل هناك فنظر من أعلى الجبل إلى مياهها وأنوارها، وشقائقها وأزهارها، وساجعات الأطيار فى عذبات أشجارها . فأعجبه ذلك وذكر الله تعالى ثم قال : ما اختار أفريذون هذا المكان لمقامه إلا لطيب هوائه وعذوبة مائه . فقال قائل : أيها الملك ! لو لم يكن هذا المكان ممر الأتراك وطريقهم لدام سرورنا، وانشرحت صدورنا بالإقامة فيه . لكنا لا نتجاسر أن نبنى هاهنا بناء لكثرة ركضاتهم وفتكاتهم إلى نواحينا، وشنهم الغارات على دوابنا ومواشينا . ولا طريق لهم اليوم من توران الى إيران سوى هذه البلاد . وكانوا من قبل يخرجون من طريق خوارزم . فقد أصبحنا فى محل الرحمة لما ينالنا من معرتهم وعاديتهم . فعظم ذلك على أنو شروان وبلغ منه حتى بكى . ثم قال : الأولى أن نهتم بهذا الأمر فنكفى الرعية أذى هذا العدو . فأمر دستوره باستحضار الصناع من الروم والهند وسائر البلاد . فسدّ الطريق بسور عظيم بناه . وعمل له بابا عظيما من الحديد، ورتب لهذا السدّ، على كل جانب من جوانبه، حفظة وقوّاما يحرسونه ليلا ونهارا (أ) .

ولما فرغ من ذلك جر عساكره وركب البحر وسار إلى ممالك اللان[1] . فأرسل اليهم رسولا وأنذرهم وأعذرهم . فلما أتاهم الرسول وعلموا أنهم لا يطيقون مقاومته نفذوا اليه مع الرسول جماعة من الأكابر بالهدايا والتحف والمبار والخدم . فأكرمهم الملك وأحسن اليهم وثنى عنانه عنهم . وكان قد بلغه أنه كثر العبث والفساد من أهل كُرْجان[2] من بلاد الجيل (ب) فاستعظم ذلك لكونها سرة ممالكه . فسار اليهم فرأى عساكر الجيل طلاع السهل والجبل فأمر بأن يوضع فيهم السيف حتى

(أ) أنظر مروج الذهب فى وصف البناء وبقائه إلى زمن المسعودى . وانظر الطبرى الخ .

(ب) فى الشاهنامه أنه سار من اللان إلى الهند، وأنه سمع بافساد البلوچيين فغار بهم الخ . وهو غلط . والذى فى الترجمة هنا أقرب . فان الانتقال من بلاد اللان إلى الهند وبلوچستان غير معقول، ولم يعرف أن أحدا من الساسانيين بلغ الهند . انظر الغرر، والطبرى، ومروج الذهب .

(١) طا، طر : آلان . (٢) طا، طر : كوبغان .

لا يبق منهم أحد . فأفناهم إلا جماعة لاذوا بالأمان فأخذ منهم رهائن وأغمد عنهم السيف . وقلد تلك البلاد بهلوانا من قواده، وانصرف عائدا إلى المدائن . فتلقاه المنذر بن النعمان في فيلق جرار من العرب . فأكرمه وتهلل اليه واستبشر بلقائه. فشكا إلى أنو شروان من يدى قيصر § وسبب ذلك على ما قال غير صاحب الكتاب (١) أنه وقع بين المنذر ، وهو رجل ملكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليمامة إلى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب، وبين رجل من العرب ملكه قيصر على عرب الشام يقال له خالد بن جبلة فتنة. فأغار خالد على بلاد المنذر، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة . قال الفردوسي : فاستشاط كسرى وتنمر وتغير على قيصر، وأرسل اليه رسولا يوعده ويهدده وينكر عليه ما جرى من جهته على المنذر ، ويأمره بإنصافه من نفسه ، وإن لم يفعل ذلك جهز اليه عسكرا لا يكون له بهم طاقة فيملكوا دياره ويدوخوا بلاده . فلما أتى الرسول قيصر وأسمعه رسالة كسرى قال : لا نقبل من كلام المنذر الجاهل سوى ما يصح . ومتى جاوز هو حده من بلاده جعلت أرضه كالبحر، وأطبقت السماء عليه . فانصرف الرسول . ولما وقف كسرى على جوابه علم أنه غير ناطق بمقتضى العقل ، وأنه متماد فى الغواية والجهل . فقال : سيندم قيصر حين يفيق من سكر الاغترار ، وربما قد يقبض السكران بيده على النار . فاختار من عسكره ثلاثين ألف فارس ، وضمهم إلى المنذر وأمره أن يحشر من أرض العرب جحفلا يحرق بباسهم بلاد الروم . وقال له : اذا كنت أنا صاحبك وشهريارك فعلى أن أنتقم لك وأطلب ثارك . ثم جرد رسولا آخر ونفذه الى قيصر وكتب اليه كتابا

---

§ كانت الحرب بين أنو شروان والروم مستمرة فى الغرب والشمال . وكان الفريقان يتعاهدان على السلم الدائم أو المؤقت ينقضه أحدهما حين تتاح له الفرصة. وقد ولى أنو شروان العرش والحرب قائمة بين المملكتين . ثم كانت بينهما سنة ٥٣٣ سلم سماها المتعاهدان «السلم الدائم» وكان من شروطه أن يدفع الروم ١١٠٠٠ رطل من الذهب لمعاونة الفرس فى حراسة شعب در بند وغيره من شعاب القوقاز، وأن يسترد كلا الفريقين بعض البلاد . ولكن الحرب استؤنفت سنة ٥٤٠ إذ أغار أنو شروان على سورية وأخذ أنطاكية . وهى الحرب المذكورة هنا . ثم كانت سلم نقضها جُستنيان . وهكذا تقلبت الحال بين حرب مديدة وسلم قصيرة الأجل حتى مات أنو شروان بعد أن ناضل ثلاثة من ملوك الروم تعاقبوا على حربه . وكانت كفة أنو شروان أرجح ولكنه لم يبلغ كل ما أراد . فقد اضطر إلى التخلى عن أطماعه فى لزيكا (Lazica) التى حاولها مرار ليبلغ البحر الأسود فيحارب الروم فيه[1] .

---

(١) انظر الطبرى، ج ٢ ص ١٢١ والغرر .

(1) ورنر، ج ٧ ص ٢١٥ وما بعدها ، وسيكس ، ج ١ : أنو شروان .

ينصحه فيه ويعظه ويأمره بألا يعدو طوره ولا يجاوز مقدار شبر أرضه[1] . وإلا نقض عهده واستباح تاجه وتخته . فأجاب قيصر عن كتابه وقال : إن كنتَ ملكا فلستُ بعبد بل أنا أكثر منك مَددا وعُددا ، وأشرف أصلا ونسبا . فإن كنت على عزم اللقاء فاستعد قبل أن أتوغل بلادك، وأخرب ديارك . وإنك إن كنت ذا عقل يهديك الى مصالحك لم يكن لك نظير فى جميع الملوك . ولكنك حرمت سداد الرأى وحسن التدبير . فلست تصلح للشهريارية . وشحن كتابه بمثل هذه المقالات، وردّ الرسول . ولما وقف كسرى على هذا الجواب خلا ثلاثة أيام بوزرائه وأصحاب رأيه فاستقرت آراؤهم على قصد بلاد الروم . فرتب أسباب الجنود وسار فى جحافل كادت تغمر طلاع الأرض ذات الطول والعرض . فلما وصل الى آذر بيجان دخل الى بيت النار المسمى آذَر كشسب فأعطى العباد والسدنة عطايا كثيرة § . ثم كتب الى بلاد إيران كتابا يأمرهم فيه بالثبات على جادة الاستقامة وسلوك سبيل العدل، وأن يكونوا متيقظين آخذين بالحزم حتى تعود اليهم الرايات المنصورة. ودخل من آذر بيجان الى أرض العدو فكان يتلقاه الناس فى كل منزل بالسمع والطاعة متعرّضين لنفحات عواطفه ومتفيئين الى ظلال معدلته . فسار كذلك حتى وصل الى مدينة تسمى سوراب[2] وعليها سور من الحجارة عظيم طالع من قعر الماء مناطح للجوزاء فى جو السماء . فأحاط بالمدينة إحاطة الأطواق بالأعناق ، وسدّ عليهم الطرق فى[3] جميع الجهات، ونصب عليها المجانيق من جميع الجوانب . (١٧٣) فما طلعت الشمس من اليوم الثانى إلا على قاع صفصف من تلك الأبراج المنيعة والأبنية الرفيعة

---

§ فى الشاهنامه : " وسار حتى آذر آباذكان . فلما رأى آذَر كشسب (بيت نار) ترجل ، وطلب البرسم من الدستور الطاهر، وغسل خدّيه بدمعه . ثم دخل بيت النار خاشعا . وقد نصبوا سريرا مذهبا عليه كتاب " زندواست " والموبذ يقرأ منه مرتلا . والهرابذة والكبراء يتمرغون فى التراب ، ويمزقون جيوبهم . ونثر الكبراء الجواهر، وزمزموا حامدين . فلما اقترب الملك صلى وحمد الخالق، وسأله النصر والمعونة، وأن يهدى قلبه طريق العدل . ثم أعطى العباد والفقراء الخ[4] " .

ولعل فى هذا بيانا لما كان يفعل ملوك الفرس حين يزورون بيوت النار . ولكن بيت النار الذى كان الساسانيون يفزعون اليه وقت الشدّة لم يكن بيت نار تبريز فى آذر بيجان بل بيت النار الذى كان فى البقعة التى تعرف الآن باسم تخت سليمان على نحو مائة ميل الى الجنوب[5] .

---

(١) طا، طر : شبر من أرضه . (٢) فى الشاه : شوراب . (٣) طا، طر، كو : من جميع .
(٤) مول، ص ٢٠٢ ج ٦ . (٥) ورنر، ج ٧ ص ٢١٧

فوضع فيهم السيف وسلط عليهم الأسر والنهب . ولما فرغ من أمر هـذه المدينة سار فوصل الى قلعة فى طريقه (ا) حصينة كانت محرز كنوز قيصر فنزل عليها حتى أخذها . فانتهى الخبر بذلك الى قيصر فجهز اليه عساكر كجبال من الحديد. فالتقوا وظهرت الغلبة للايرانيين فحصدوهم حصدا، وقتلوا مقدمهم، وكان يسمى قرقوريوس (١) . فسار كسرى حتى وصل الى قلعة أخرى تسمى قاليتيوس (ب) ذات أسوار حصينة وخنادق عميقة. ودون القلعة شهرستان واسع الخطة مملوء من العساكر والجنود. فنزل عليها وحاصرها وأقام القتال على أبواب المدينـة حتى أخذها وأمر فخربوها وسووا مع الأرض أبراجها وأسوارها . فخرج أهلها مستعيذين بالأمان فآمنهم . ثم ساق العسكر وقدم الفيلة وسار حتى نزل على أنطاكية . فمكث ثلاثة أيام يدعوهم الى تسليم المدينة والخروج للطاعة حتى لا يكون ابتداؤه بالحرب اعتداء وظلما . فلم يجيبوه الى ذلك وبرزوا الى قتـاله فجرت بينهـم ثلاث وقائع عظيمة فى يومين . ولما كان اليوم الثـالث فتحت أنطاكية فدخلها كسرى وتملك بها خزائن قيصر، وأسر جميع من كان فيها من المقاتلة، وأمر فقيدوهم وسلسلوهم، ونفذهم مع الغنائم والأثقال وما حصـل من الذخائر والأموال الى المـدائن . وأمر فبنى لهم بجنب المدائن مدينـة على مثال أنطاكيه بحيث لا يفرق بين المدينتين فأسكنهم إياها بعـد أن جعل عليهـم رجلا من النصارى وأوصاه بمراعاتهـم ومداراتهم وقضاء حاجاتهـم . ثم ساق العسكر من أنطاكية . وانتهى الخبر الى قيصر بمـا جرى على بلاده فأفاق من سكرة غروره، واستيقظ من سنة غفلتـه ، وعلم أنه لا طاقة له بكسرى وجنوده . فنفـذ جماعة من الأساقفة والفلاسفة مقـدمهم مهراس العالم ، بأحمال من الجواهر والنفائس اليه متنصلا من زلته ومستغفرا لخطيئته . فلمـا وصل الرسول اليه واستغفر واعتـذر أقال العثرة وأقصر عن قصد قيصر . وصالحه على أن يحمل اليه كل سنة برسم الخراج ملء عشرة من جلود البقر ذهبا . ثم جر العساكر وتوغل الشام وأقام فيهـا زمانا . ثم خلف فيها إصبهبذا يسـمى شيرويه ، وارتحل وسار الى الأردن .

قلت : قال غير صـاحب الكتاب (ج) ، وهو أوضح وأبين، أن كسرى لمـا قصـد بلاد الروم نهض فى نيف وتسـعين ألف مقاتل فأخذ مدينـة دارا ومدينة الرها ومدينة منبج ومدينة قنسرين

(ا) يسميها الفردوسي : عرائش روم . أى عرائش الروم . ويرى ورز أنها (Hierapolis) .

(ب) صل : قاليقيوس . وفى طا والشاه : قالينيوس . وهى (Calinicus) على ضفة الفرات الشرقية .

(ج) انظر مروج الذهب، والأخبار الطوال، والطبرى الخ .

(١) فى الشاه : فرفوريوس .

وحلب، وأخذ مدينة أنطاكية، وكانت أفضل مدينة بالشام، ومدينة فامية ومدينة حمص وسائر المدن المتاخمة لهذه البلاد عنوة . واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض . وسبى أهل مدينة أنطاكية ونقلهم الى أرض السواد بالعراق . فبنيت لهم مدينة الى جانب مدينة طيسفون على مثال بناء(١) أنطاكية، على ذرعها وعدد منازلها وطرقها ، وأسكنهم إياها . فلما دخلوا بابها صار أهل كل بيت منهم الى ما يشبه منازلهم التى كانوا فيها بأنطاكية كأنهم لم يخرجوا منها . وهى التى تسمى الرومية (١) . وكوّر لها كورا، وجعل لها خمس طساسيج : النهروان الأعلى والأوسط والأسفل ، وطسوج بادّرايا وباكُسايا . وأجرى الأرزاق عليهم ، وولى القيام بأمورهم رجلا من نصارى الأهواز ، وقلده الرياسة عليهم ليستأنسوا به ويسكنوا اليه لمكان دينه .

§ ذكر قصة نوش زاد بن كسرى وخروجه على أبيه الى آخر أمره

قال صاحب الكتاب : لا بد للانسان على علاّته من سكن ومسكن ومطعم وملبس . والمرأة اذا كانت عفيفة صاحبة رأى وعقل فهى للرجل مثل كنز يستظهر به . لا سيما اذا كانت موسومة بالجمال، موصوفة بالكمال، ميالة الأعطاف، مسدولة الضفائر على الأرداف، رخيمة الصوت، سحارة اللحظ، خداعة اللفظ . وكانت لأنو شروان زوجة على هذه الصفة غير أنها كانت على دين المسيح . فرزق الملك منها ابنا كالشمس، أو القمر بعد العشر والخمس فسماه نوش زاد فشب وترعرع .

---

§ هذه واقعة تاريخية كانت سنة ٥٥١ م ، غير أن نوشزاد لم يقتل فى المعركة ، كما فى الشاه، بل سجنه أبوه حتى مات .

وهذه القصة تتضمن العناوين الآتية فى الشاهنامه :

(١) ولاد نوشزاد ابن نوشين روان وامرأة نصرانية . (٢) مرض نوشين روان وإثارة نوشزاد الفتنة . (٣) كتاب نوشين روان الى رام برزين مرزبان المدائن فى أخذ نوشزاد . (٤) محاربة رام برزين ونوشزاد وقتل نوشزاد .

---

(١) يقول المسعودى أن سور هذه المدينة كان مبنيا من الطين وقد بقى الى زمانه (مروج الذهب : أنوشروان) . وكان الناس لبسوا هذه المدينة التى بنيت لأسارى أنطاكية بصورة أنطاكية التى كانت مقوشة على الايوان فقالوا إن المدينة كانت صورة أنطاكية . يقول البحترى فى وصف الايوان :

فاذا ما رأيت صورة أنطا كية ارتعت بين روم وفرس الخ

(١) طر : بناء مدينة أنطاكية به

ولما كبر نزع فى الدين الى أمه وخالف ملة أبيه . فعظم ذلك على كسرى فأمر بأن يجعل إيوانه عليه كالحبس . وكان مستقره بمدينة جُندَيسابور . وفى هذه المدينة خلق كثير من أسارى الروم . ولما سار الملك من أنطاكية الى الأردن (أ) مرض بها مرضا شديدا فأُرجف عليه . وبلغ خبر وفاته الى ابنه هذا فاستبشر وأظهر الشماتة وقال : الحمد لله الذى أماته . ونادى بشعار قيصر وشعار ملة[(١)] النصرانية . وأطلق الأسارى الذين كانوا فى مدينته . واجتمع عليه عساكر فاستعلى أمره واستعظم خطبه، وركب فى ثلاثين ألف فارس . فانتهى الخبر الى والى المدائن بذلك فطير فارسا الى الأردن وكتب الى كسرى وأعلمه بالحال . فلما وصل الكتاب اليه وعلم بما صدر من نوش زاذ عظم عليه ذلك فخلا بالموبذ يتشاوران ويجيلان آراءهما فى الحادث الكارث . ثم استحضر الكاتب وأمره أن يكتب جواب كتاب والى المدائن . فكتب ذاكرا فيه : إنا وقفنا على حال الولد نوش زاذ، وما صدر منه والذين معه من إظهار الشماتة وحل عقدة الزمانة . فانهض اليه فى عسكرك . واذا قربت من داره فأرسل اليه وداره . فان أبى إلا الطغيان فى غُلَوائه والتمادى فى غيه فأقدم على لقائه . واذا ظفرت به فأسره أولى من قتله، فلعله يفيق من سكرة جهله . وإن ورط بنفسه وألقى بيده الى التهلكة فلا تبال باراقة دمه . وأما الذين صاروا فى زمرته من الايرانيين وخرجوا معه علينا فلا ترفع عنهم السيف أصلا، واحصدهم حصدا . ثم لا تسكت على شتم نوش زاذ من رجالة العسكر والنظارة . فانه وإن أساء الأدب معنا فهو شعبة من شعبنا . ثم ختم الكتاب ونفذه . فلما وصل الى ذلك المرزبان جمع العساكر وسلك سبيل الامتثال، وسار الى جُنْدَيسابور . فلما علم نوش زاذ بذلك جمع عسكره وأطلق أرزاقهم فركب فى بطارقته الذين كانوا معه، وجعل واحدا منهم على الجيش يعرف بشمّاس(ب) فخرجوا الى الصحراء فاصطف الفريقان وتقابل الجمعان. ووقف نوش زاذ فى القلب مستعرا استعار اللهب، على رأسه بيضة من الذهب . فخرج فارس من عسكر مرزبان المدائن يسمى فيروز فنصح نوش زاذ ووعظه ونهاه عن التورّط بنفسه، وزجره وذكّره حقوق أبيه، وحذره العقوق وما هو فيه، وأشار عليه بخفض جناح الذل لكسرى قبل أن يصير الأمر إمرا . فما اتعظ ولا انزجر، وتاه فى ضلالته، واستمر على غوايته . وأمر عسكره بالمناوشة والمراشقة فثوّر فرسه وحمل على رام برزين، وهو والى المدائن، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة . فأمر الوالى عند ذلك أصحابه

(١٧٤)

(أ) فى الأخبار الطوال أن أنوشروان كان مريضا بحمص .

(ب) فى الشاه : "سپهدار شماس پيش اندرون" ويحتمل أن يكون المعنى : شماس القائد أو القائد الشماس . والشماس لقب من ألقاب رؤساء النصرانية، فيمكن أن تكون كلمة "شماس" هنا وصفا لا علما .

(١) طا : الملة .

أن يرشقوهم بالسهام أيضا . ففعلوا فأصيب نوش زاذ بنشابة فى ظلمة العجاج . فانصرف الى قلب العسكر وقال لفرسان الروم : إن الخروج على الأب أقوى دلائل الشوم . فأن من ألم الجراح، واستدعى الأسقف، وبكى وأبث اليه بعض ما فى قلبه، وأمره أن يبلغ أمه بعض نفثات صدره، و يأمرها بالصبر ومجانبة الجزع عليه، وأن تدفنه على آيين[1] المسيح ورسمه (ا) . ثم تنفس وخرجت روحه فتفرق عسكره بددا، وأضحوا طرائق قِددا . فلما علم الوالى بما ألم به سعى اليه باكيا فصادفه طريحا فى التراب، رأسه فى حجر سكوبا الرومى . فأخذوا فى البكاء والنحيب، وجاءوا بتابوت ووضعوه فيه وحملوه الى المدينة . فخرجت أمه من وراء الستارة حافية حاسرة تبكى وتندب . ثم دخلوا به الى مدينته، وهى جُندَيسابور، ودفنوه، كما أوصى، على رسم دين المسيح بلا ناووس . وركدت ريحه وخمد[2] جمره وانقضى أمره[3](ب) .

§ ذكر رؤيا رآها أنوشروان كانت السبب فى اتصال بُزُرجِمِهر حكيم فارس به

قال صاحب الكتاب : لا تنكرن فضائل الرؤيا الصادقة فانها جزء من أجزاء النبوّة . لا سيما اذا كانت من ملك ثاقب الرأى طاهر القلب . والوقائع الكائنة تنزل من السماء فتراها[4] الأرواح الصافية فى المنام كما ترى النار من وراء حجاب الماء . قال : واتفق أن كسرى رأى ذات ليلة فى المنام كأن شجرة خسروانية نبتت عند تخته، وأنه طاب قلبه لرؤيتها وجلس يشرب مع المغانى فى مجلس الأنس (ج) .

---

§ يرى القارئ فى ثنايا الشاه كثيرا من الحكم والمواعظ والآداب ، ويرى أن الشاعر ينتهز كل فرصة ليعظ وينصح ويذكّر بعبر الأيام . ولكن عهد أنو شروان يمتاز بجملة من الحكم مجموعة مأثورة عن الوزير العظيم بزرجمهر . وهو وزير تحيط بتاريخه الخرافات . وقد اتخذ مثالا فى الرشاد والحكمة ونُسب اليه ما لم يقله . كدأب الناس فى سير العظماء الذين يذيع صيتهم ببعض الفضائل والمآثر .

وقد حفظت الكتب الفهلوية كثيرا من هذه الأقوال، ولا يزال بعض هذه الكتب معروفا مثل كتاب "دیناي مینوي خرد" أى آراء روح الحكمة . وفيه إجابة الروح عن اثنين وستين=

(ا) آيين بالفارسية : السنة والطريقة المتبعة .

(ب) يختم الفردوسى هذا الفصل بأبيات فيها موعظة، ومدح للسلطان محمود .

(ج) فى الغرر: أنه رأى «فى منامه كأنه يشرب خمرا فى جام ذهب وخنزير يكرع معه فى ذلك الجام» وهذا أقرب الى تعبير بزرجمهر (الغرر ص ٦١٨) إلا أن يكون تعبير الرؤيا بمجىء بزرجمهر نفسه لا ظهور الرجل بين النساء .

(١) كو : دين المسيح . (٢) فى نسخ الترجمة : خمدت جمره . (٣) طا : آخر قصة نوش زاذ . والحمد لله رب العالمين . (٤) صل : نزل من السماء فتراه . طر، طا : تنزل فتراه . كو : تنزل فتراها .

فلما أصبح من الغد، وكان طلوع الشمس من برج الثور، جلس على التخت خائفا من الحوَر بعد الكوْر. فاستحضر المعبرين فقص عليهم رؤياه فلم يسمع منهم ما شفى غليله وصـداه . واعترفوا بالعجز عن تعبير ذلك المنـام . فنفذ الملك الى كل طرف موبذا مع بدرة فيهـا عشره آلاف درهم ليبحثوا عن العلماء ويسألوهم عن تلك الرؤيا . فصار موبذ منهم الى مرو فمرّ على دكان معـلم عنده جمـاعة من الصبيان وفيهم صبي كان أكبرهم وأذكاهم يدعى بُزُرجِمهر . فـنزل الموبذ وسأل المعـلم عن المنـام فقال المعلم : إن تعبير الرؤيا ليس من شغلى وليس يبلغه علمى . فأصغى الصبيّ الى حكاية المنـام، فقال لمعلمه : هـذا من شأنى وأنا به عارف . فصاح عليـه الشيخ(١) وقال له : دع الفضول واشتغل بدرسك . فقال الموبذ للغلام : أعرب عمـا وقع لك فى تعبير هـذا المنام . فقال : إنى لا أفض ختـامه إلا بين يدى الملك . فجهزه الموبذ وأعطاه دراهم، وأمره بالتأهب لينهض معـه الى حضرة الملك . فركبا وسارا من مرو متوجهين الى حضرة الملك . فوصلا فى طريقهم الى مكان طيب فيه ماء وشجر فنزلا فى ظل شجرة فتناولا شيئا . ثم اتكأ الصبي وغطى وجهه بمنـديل معه ونام . واتكأ صاحبه أيضا لكنه كان مستيقظا فرأى حية رقشاء عظيمة قد دنت من الصبيّ وأخذت تشمه من رأسـه الى قدمه ولم تنله بسوء ثم رجعت وصعدت الى الشجرة . فتعجب الموبذ وسمى الله عليـه وقال فى نفسه : إن هذا الصبيّ ليرقى الى درجة لا ينالها أحد . ثم استمرا فى طريقهما حتى قربا من حضرة الملك . فسبقه الموبذ ودخل الى أنو شروان، وأخبره بحال الغـلام وقدومه به عليه، وأعلمه بما رأى منه فى الطريق . فأمر كسرى بإدخاله عليه . فلما حضر قص عليه رؤياه فقال : أيها الملك

= مسألة مشتقة من دين زردشت. وكتاب "پندنامك قد شوكـ – ميتروى بُختكان" أى نصائح بزرجمهر بن بُختكان .

ويظهر أن الفردوسى نظم ماوجد، كدأبه فى المواضع الأخرى . وفى الشاه سبعة مآدب أدب فيها أنو شروان بزرجمهر والحكماء فأفاض الحكيم فى أقواله المأثورة(٢) .

وقصة بزرجمهر فى الشاه تتضمن العناوين الآتية :

(١) رؤيا نوشين روان ومجىء بزرجمهر اليه . (٢) تعبير بزرجمهر رؤيا كسرى . (٣) مأدبة نوشين روان للوابذة ونصح بزرجمهر . (٤) المأدبة الثانية . (٥) المأدبة الثالثة . (٦) المأدبة الرابعة . (٧) المأدبة الخامسة . (٨) المأدبة السادسة . (٩) المأدبة السابعة .

---

(١) طر، كو : المعلم . (٢) براون Browne ج ١ ص ١٠٦، وورنر Warner ج ٧ ص ٢٧٩، Mohl ج ٦ ص v

إن فى بيتك ما بين النساء رجلا قد تزيا بينهن بزيهنّ وبكسوتهن . فأخل المكان، ومرهن بالمرور بين يديك . ففعل الملك ذلك فلم ير فيهن رجلا . فقال بزرجمهر : مرهن بالمرور[1] عليك متجرّدات[2] حتى ينكشف لك الغطاء . فأمرهن بالعبور عليه متجرّدات عن ملابسهن، فرأى فيهن غلاما رشيق القدّ صبيح الوجه . فسأل صاحبة الحجرة التى كان الغلام فيها فقالت : إنه أخى من أمى و إنه استحيا من الملك فدخل علىّ فى هذا الزىّ . فأنكر الملك ذلك وأمر صاحب سيفه فأهلكهما فى دار النساء . ثم أمر لبزرجمهر بخلعة رائقة وبدرة من الدراهم، وأكرمه وأعزه، وامتدّت عليه ظلال السعادة، وأقبل عليه الإقبال، وأخذ من ذلك اليوم فى الترقى والزيادة . وكان شابا فصيح اللسان، عذب الكلام، ذكى الخاطر، صبيح المنظر . وكانت عادة أنوشروان أن يكون على بابه ليلا ونهارا سبعون عالما متبحرين فى فنون العلوم حتى اذا فرغ من أشغال السلطنة، وألقى عن قلبه أعباء المملكة أحضرهم وفاوضهم فى أنواع العلوم، و باحثهم فيها وسايلهم . فاتفق أنه جلس ذات يوم واستحضرهم فحضروا وفيهم بُزُرجمهر . فتكلم كل واحد منهم بكلمة حكمة، وأتى بفائدة . فلما سمع بزرجمهر كلامهم قام وخدم وقال : أيها الملك العادل! لا زالت الأرض تحت ظلال تختك، ولا زالت السماء منورة بأنوار سعادتك و بختك . ثم قال : إن أذن لى الملك تكلمت بين يديه، و إن كنت قليل الحظ من العلم والدراية . فقال له تكلم . فقال : خير الكلام ماقل لفظه وكثر معناه، وقصرت عبارته وجل مغزاه . ومن خف رأسه أبطأ فهمه وسرع كلامه . ومن كان كثير الهذيان ذل فى عيون الأعيان . ولا يظهر من الرجال إلا من كان سديد السيرة مستقيم الحال، وحق البكاء على من تاه فى ظلم الزيغ والضلال . ومن رجولية المرء صدقه، ومن خوره كذبه . ومن كان عن حلية العلم عاطلا فلا حلية له كالسكوت . ومن كان بعلمه مفتونا كان بين العقلاء ممقوتا . والعدوّ العاقل خير من الصديق الجاهل . قال : وقد استغنى من قنع وتجنب الحرص والطمع . ومن نفر منه عقله نسى الله تعالى وكفره . ومن كان عاقلا وهجر عدوّه وأبعده تقرّب اليه العدوّ حتى صار عبده . وإذا أنصف العاقل من نفسه فى فعاله كان له العلو فى مقاله . و إذا تواضع المتعلم للعلماء بلغ فى العلم ذروة السماء . ولا ينبغى للعاقل أن يستعمل فى غير فائدة لسانه، و يعشو الى شعاع جمر لا يستفيد منه إلا دخانه . و إن الملك يصير بالعلم لأنواع التمكن والجلالة جامعا، ومهما كان عالما كان لا محالة متواضعا . و إذا وقف على أسرار الله فى خلقه أمن من بائقة الزمان وصرفه، فزاد فى عبادة الرحمن، وطهر باطنه عن وساوس الشيطان، وتجنب من الأمور ماظهر كراهته، ولم يقصد أذى من لا يقصد أذيته .



(١) طر : بالعبور . (٢) طر : متجردات عن ملابسهن .

قال : فتعجب الحكماء من كلام بُزُرجِمهر وفصاحة منطقه ووفور علمه وحكمته . واستبشر كسرى بمكانه فأمر صاحب ديوان الأرزاق أن يكتب اسمه فى أول الجريدة (١) . فأضحت سعادة بزرجمهر كالشمس المشرقة . ثم انفض المجلس وأثنى عليه من كان فيه من العلماء والحكماء فقال لهم بزرجمهر : لا ينبغى لنا نحن أن نصرف وجوه خواطرنا عن الملك . فانه الراعى ونحن القطيع، ونحن الأرض وهو السماء الرفيع . ولا يجوز العدول عن أمره والخروج عن رأيه . وينبغى أن نسر بسروره، ونتسبب الى إبانة فضله وظهوره، ونطوى سره فى تضاعيف الكتمان وستوره ، ولا نجرأ عليه إذا عاملنا بالإفضال والإكرام فان الأسد يفزع من لفحات الضرام (أ) . ومن تهاون بأمره، وإن كان كالجبل ثبات رأى ورزانة عقل، عددناه خفيف الرأس واهى العقل حليف الخبل . والملك مصدر كل خير وشر، ومنشأ كل رفع وخفض . فهو يعطى ويمنع ، ويحط ويرفع . وهو فى عناية الله وكنفه ، والعاقل من يسر بزيادة إقباله وشرفه . ومن لا يكون كذلك فقد ضيق الشيطان عليه المسالك ، وسيورده المعاطب والمهالك . فلما سمعوا منه هذا ازدادوا به سرورا . ثم تفرقوا وعاد كل واحد إلى منزله . وفى الأسبوع الثانى جلس الملك على عادته فاستدعى العلماء من الدركاه فحضروا، وفيهم برزجمهر، فسأله بعضهم عن القضاء والقدر . فقال : إنك ترى رجلا يتعب ليلا ونهارا ، ويدأب سرا وجهارا، ثم لا يزال يرى طريق مطلوبه ضيقا، ويجد ماء حظه فى واديه مترنقا . وترى آخر نائما على تخت السيادة تتهدل عليه أفنان السعادة ، قد ذللت له قطوفها تذليلا، ومدّ عليه ظلها ظليلا . فهكذا رسم القضاء والقدر ؛ لا ينال بالجد والجهد مرام ولا وطر . وسأله آخر عن الخصال التى يستحق صاحبها التقدّم فقال : الرفق والكرم والتواضع والبذل لا لطلب مجازاة ومكافأة ، وبلا شائبة منّ ولا أذية . وسأله آخر عن خير خصال المرء . فقال : أن يعرف عيب نفسه فيصلحها . وسأله آخر وقال : بماذا يطيب عيش الإنسان ويقل تعبه ؟ فقال : بأن يجمع بين العقل والحلم ، ويعدل فى الإعطاء والأخذ ، ولا يكون عنده نقيصة ولا زيغ ، ويعفو عند الاقتدار ، ولا يكون حديدا خفيف الرأس . وسأله آخر وقال : من المحافظ على نفسه؟ فقال : من خالف هواه ولم يتبع مناه . وسأله آخر وقال : أى العطاء أحسن ؟ فقال : ما كان من غير سؤال وبلا امتنان . والباذل اذا لم يجد لنفسه عن الامتنان زاجرا فلا تجعله إلا تاجرا . وقال له آخر : كيف السبيل الى تحصيل الذكر الجميل ؟ فقال : تباعد عن الذنوب ، وأحب لغيرك

(أ) هذه العبارة ترجمة هذا البيت :

مشو با گرامیش کردن دلیر   کز آتش بترسد دله نرّه شیر

(١) كو : جريدة العلماء .

ما تحبه لنفسك . وسأله آخر وقال : من الذى يستحق الثناء؟ فقال : الذى يعبد الله الذى عنت له الوجوه ، وتخشاه[1] وترجوه . وقال له[2] أخبرنى بخصلة توجب السرور . فقال : أن يكون الرجل حليما متغاضيا عن السفيه الجاهل، ويكظم غيظه وإن غلى صدره غلى المراجل . وقال آخر : أخبرنى بخصلة مرضية عند العقلاء . فقال: ألا يحزن الرجل على ما يفوته، ويقطع الرجاء عما يبعد تكوينه. وسأله آخر عن عيوب الملوك . فقال : هى أربعة : أحدها أن يرغب[3] عن عدوه فى مقام القتال . والثانى أن يضيق صدرا من بذل النوال . والثالث ألا يقبل كلام الناصح الصادق المقال . والرابع أن يكون طياشا عديم السكون فى أكثر الأحوال . وسأله آخر عما يذم به الأكابر فقال : إنهم يذمون بالطنز والكذب والميل الى الظلم والزيغ، وبالبذاء وقلة الحياء والخروج الى الخصام فى أثناء الكلام ، واتباع الجهل ومخالفة العقل . وقال آخر : أخبرنى بمن يؤمن ضره ، ولا يتنكب سبيل الحق ، ويسعى فى إرضاء حاكم الوقت فيستريح فى نفسه ويستريح به أهله وعشيرته من بعده . فقال : ذاك من طلب الأمر من باب الله أولا فصار فى سره وجهره مطيعا لسلطانه ومالك أمره، مزينا نفسه بالعقل وصادا لها عن العناء والحرص، مراعيا لأصحابه مؤديا حقوق إخوانه ومتنكبا أذية المحتاجين إليه، معتنيا بتأديب ولده فى صغره لئلا يشقى به من يتولاه فى كبره . وسأله آخر وقال : أخبرنى عن محل الولد النبيه من قلب أبيه . فقال : الولد الصالح من الأب بمنزلة الروح من الجسد. فانه لا يعفو بعد الموت بالولد الصالح رسمه ، ويبقى به فى الغابرين اسمه . وسأله آخر وقال : من النافع من بين الملوك أرباب التيجان والتخوت؟ فقال : شهريار لا يرعب قلوب أهل العفاف ، ويرتعد من بأسه فرائص أهل الحيف والإجحاف، ويستريح أهل الأرض منه فى ظلال العدل والإنصاف . وسأله آخر عن الغنىّ والفقير . فقال : الفقير هو المحروم المنهمك فى حرصه، والغنىّ من رضى بما قسم الله له من رزقه .

(١٧٦) قال : فتعجب علماء الحضرة من كلامه وحسن بيانه، وقرظوه وأثنوا عليه . وقاموا وانفض المجلس . ثم جلس الملك بعد أسبوع آخر فى إيوانه، وأذن للعلماء المرتبين على بابه فحضروا بين يديه فتكلم كل واحد منهم بكلمة . فاستثقل كلمات الجميع فاقبل من بينهم على بزرجمهر وسأله أن يتكلم . فتصدى وافتتح كلامه بالثناء على الملك والدعاء له ثم أطلق عنان اللسان فى مضمار البيان يتكلم ببدائع الحكم، ويفوه بروائع الكلم . ومن مستحسن كلامه فى ذلك المجلس قوله : أخلاق العاقل المنجية

(١) طا : يخشاه ويرجوه . (٢) كذا فى النسخ كلها . (٣) طا : يرهب من .

له خمسة . وأخلاق الجاهل المردية سبعة . أما الخمسة المنجية فهى ألا يجزع على مافات، ولا يفرح بما هو آت ، ولا يرجو ما لا يكون، ويحذر من عواقب الأمور ، واذا حزبه حازب كالحه من غير جبن ولا خور . وأما السبعة المهلكة فأحدها أن يغضب من غير موجب للغضب . والثانى أن يعطى من لا يستحق فيكون غير مأجور ولا مشكور . والثالث ألا يعرف قدر نفسه فيكفر نعمة ربه . والرابع ألا يكتم سره ، ويفشيه . والخامس أن يتكلم بما لا يعنيه فيقعد مهموما ملوما . والسادس أن يأمن غير ثقة ويصاحب غير ذى مقة . والسابع أن يكذب ويصر على الكذب . واعلم أيها الشهريار الكبير أن صاحب الشر لا يرى غير الضر .

ثم انفض ذلك المجلس واشتغل الملك بأسباب السلطنة فلم يتفرغ لمباحثة علمائه إلا بعد أسبوعين. فاستدعاهم وأحضرهم بين يديه فسألهم أن يتكلموا فى أحوال السلطنة وما يرجع بانتظام أسباب الملك والمملكة، وأشار على بزرجمهر بأن يتكلم . فقال : أيها الملك المنور القلب الموثق الرواء ! إنه لم يتصب بتاج السلطنة أحد يماثلك، ولم يتسنم سرير الجلالة فى روعتك وبهائك ملك يشاكلك . ما أحسن مدارع التقوى على الملك المتوج ! ومهما كان الملك من المتقين سلك فى سيرته أقوم منهج، وخاف الله، وسلط سلطان العقل على النفس الأمارة، ولم يضع أساس أمره على الجرف المنهارة . ثم إنه يجب أن يكون صاحب رأيه ألمعيا ثاقب الزناد ، ذكيا غير مثلوج الفؤاد ، فصيح اللهجة موصوفا بالانصاف، ممكنا عند الملك غير منحول[1] ولا منكسر . فان رفعة تيجان الملوك مقرونة باحترام العلماء الثاقبى العقول والآراء .

وأطال صاحب الكتاب نفسه فى حكاية مقالات بزرجمهر . ثم ذكر فى آخرها أنه بات ذات ليلة عند أنوشروان فاندفع فى كلامه وأتى بما أعجب السامعين . فاستحسن الملك كلامه . وكان من عادته ، أن من قال له : " زه " أحضر الخازن بين يديه عشر بدر[2] ومن قال له : " زه زهان زه " أحضر الخازن له أربعين بدرة فى كل بدرة عشرة آلاف درهم . فقال تلك الليلة لبزرجمهر : " زه زهان زه" فأتاه الخازن بأربعين بدرة تشتمل على أربعمائة ألف درهم، ووضعه بين يديه .

---

(١) طا، طر : منخزل . (٢) صل، طا : عشرة . كو : عشر، الشاه : أربع .

§ قصة مهبوذ[(١)] الوزير وما جرى عليه وعلى ولديه (ا)

قال صاحب الكتاب : كان لأنوشروان دستور موصوف بالعقل والذكاء، مشهور بالتيقظ والدهاء يسمى مهبوذ. وكان له ولدان يلازمان خدمة الملك . وكانا صاحبي طعامه لا يثق فى أغذيته إلا بما يسوّى له فى بيتهما ، ولا يأكل إلا من يدهما . وكان مهبوذ ، بسبب قربته من الملك وقرب[(٢)] ولديه منه ، محسودا بين أركان الدولة وأعيان الحضرة . وكان على باب الملك حاجب طاعن فى السن عارف بمراسم سالارية الدركاه يسمى زروان[(٣)]. وكان لا يزال يحترق على نار[(٤)] الحسد من مهبوذ وولديه . ومن فرط حسده تكاد روحه تبين من جسده . فلم يزل يسعى ويحتال فى أن يغير عليهم رأى الملك ولم يكن يتيسر له ذلك . وكان مهبوذ يعلم من ذلك لكنه يتغابى عنه . فاتفق أنه اتصل بهذا الحاجب يهودى بسبب معاملة جرت بينهما . فكثر اختلافه اليه حتى استرسل معه فتفاوضا يوما فى مجلس خلوة، فى أمر السحر والنيرنجات وأنواعها . فأطلع الحاجب اليهودى على ما فى قلبه من مهبوذ، وسأله أن يحتال عليه ويتوصل بالسحر الى إهلاكه . فقال اليهودى : لا تحمل على قلبك، واجتهد فى أن تقف على ما يدخلان به على الملك من أنواع الأطعمة . فإن وجدت فيها لبنا فأعلمنى بذلك فإنه إن وقعت عينى عليه قطعت بهلاك الوزير وولديه . فانى أصيره بحيث لو وقعت منه

---

§ لم يكن أنوشروان أكبر أبناء قباذ ولكن أباه اختاره لخلافته، ويظهر أنه أراد أن يعترف به امبراطور الروم جستنيان . فلما مات قباذ طمع ابنه الأكبر كاوس فى الملك ولكن الوزير مهبود أعلم الناس بعهد قباد الى أنو شروان . وكان جم بن قباذ محبيا الى الناس ولكن كان به عور يمنعه أن يملك . فحاول أنصاره أن يملكوا ابنه قباذ ، وكان صبيا، وأن يجعلوا جمّا قيما عليه . فافتضح أمر المؤتمرين وقتلوا تقتيلا إلا قباذ . فرّ الى القسطنطينية فاحتفى به جستنيان .

وليس بعيدا أن تكون لقصة مهبوذ التى هنا صلة بما يحدّث به التاريخ من الائتمار على أنوشروان.

ثم قصة مهبود فى الشاهنامه تشتمل على العناوين الآتية :

(١) قصة مهبود وزير نوشين روان . (٢) افتضاح سحر زروان واليهودى وقتلهما .

(٣) بناء نوشين روان مدينة سورسان .

(ا) انظر القصة فى الغرر أيضا .

(١) كو : يهود . (٢) طا، طر : وقربة . (٣) فى الغرر : أذرونداد وفى طر: رزوان .

(٤) طر، كو : بنار الحسد .

قطرة على الحجارة لتقطعت قطعا وتفلقت فلقا . فركن الحاجب الى اليهودى، وصار يصاحبه ليلا ونهارا ، ولا يحضر الباب إلا وهو معه . وكان ابنا مهبوذ يدخلان كل صبيحة على الملك بطبق من الذهب عليه ثلاثة أقداح مخروطة من حجر البلخش مغطاة بمنديل منسوج من الذهب كانت أمهما تهيئ فيها لبنا وشهدا وماوردا . فاتفق ذات يوم أنهما دخلا ووراءهما غلام على رأسه ذلك الطبق . فلما انتهى الغلام الى الحاجب تلقاه وقال : ما أطيب روائح هذا المطعوم ! ارفع المنديل عن رأس الطبق حتى أنظر اليه . فنحى طرف المنديل عن تلك الأقداح فوقعت عين اليهودى على اللبن . وغطى الغلام طبقه فى الحال واستمر فى طريقه . فقال اليهودى للحاجب : قد أثمر الآن غرسك وقضيت حاجتك . فوثب الحاجب ودخل خلف الطعام على الملك فقال : أيها الملك ! لا تمد يدك الى هذا الطعام، ولا تناوله إلا بعد الامتحان فإنه مسموم . فنظر الملك الى ابنى الوزير روشك فى الأمر . فتقدما وذاقا من ذلك اللبن غير محتفلين ، لطهارة قلبهما ونقاء جيبهما . فتلفا فى الحال حتى كأنهما أُقصدا بالنبال . فلما رأى الملك ذلك أمر بتخريب بيت الوزير ونهبه، وقتله مع عشيرته وأهله . فهجموا على بيته ووقعوا فيه وقوع النار فى يبس القصباء . فانتهبوه حتى لم يبق فيه سبد ولا لبد، وحصدوه وأهله بالسيف ولم يبقوا منهم على أحد . فاستعلى أمر الحاجب، وصار الملك منه كامين من الحاجب ، وجذب بضبع اليهودى . فبقى كذلك مدة من الزمان نافق السوق فى خفارة الفسوق، واستمر خفاء ذلك السر على ألمعية الملك . فاتفق أنه خرج ذات يوم للصيد فعرضوا عليه رعيل خيله فرأى فيها فرسين عليهما وسم الوزير . فتذكره الملك واحترق قلبه عليه حتى فض عقد الدموع من عينيه . وكان لا يزال منذ بدر منه مابدر موجع القلب عليه وعلى ولديه . فقال : ما أدرى كيف أضل الشيطان ذلك الرجل مع ما كان فيه من العقل المتين والرأى الرزين ؟ وهل يقف أحد على سر الفلك فيما يدور به على الانسان ، ويعرض فى طريقه من حبائل الشيطان ؟ ثم استمر فى طريقه . وكان لا تخلو مواكبه من العلماء والحكماء يروحون سره بالحكم ، ويعللونه بالسمر وأطايب الكلام . فانجر بهم الحديث مع الملك الى ذكر الرقى والسحر وما يخيل الشيطان للانسان من أنواع الحيل والمكر . فقال الملك لبعض الموابذة : إن السحر ليس بشىء ولا ينبغى للعاقل أن يشتغل[1] به قلبه أو يلتفت اليه . فأنطق الله ذلك الحاجب الذى بيضت الأيام شعره، وسودت الآثام وجهه بأن قال : أيها الملك ! إن السحر حق ، وإن أمره عظيم . حتى إن الساحر يسحر بالنظر حتى يستحيل الطعام بنظره سما ناقعا . فلما قرع كلامه هذا سمع الملك دخل قلبه منه شىء، وأطاف بخاطره منه خيال، وعلم[2] أن قد جرى على الوزير وولديه مكر واحتيال .

(١٧٧)

(١) طا ، طر : يشغل . (٢) كو : وتخيل له .

فنظر إلى الحاجب وسكت. وساق وأخذ يتفكر فى أمر الوزير وما كان بينه وبين الحاجب من الداء الدفين والحسد القديم. وقال: لعل الله يكشف عن السبب الذى جر الهلاك على هذا[1] الوزير الناصح والأمين الصالح. وسار والفكر آخذ بمجامع قلبه حتى وصل الى المنزل. وكانوا قد نصبوا الخيم على شاطئ الماء. فنزل فى خيمته وأمر باحضار الحاجب، وأخلى المجلس من الأجانب فسأله عن السحر والساحر وإحالة الطعام سما بالناظر. فتمتع فى كلامه وارتعدت فرائصه. فوقف الملك عند ذلك على سوء فعله، وعلم أن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله. فقال: اصدقنى الخبر عن الطعام الذى أحضره ابنا مهبوذ ذلك اليوم. فأقر الماكر الخائن والمجرم الحائن فأعلمه بالحال، وأحال على اليهودى المحتال، وألزمه تلك الإساءة، وادعى لنفسه البراءة. فأمر الملك بتقييده وحبسه، ونفذ فارسا لإحضار اليهودى. فطار الفارس بجماح الركض، وأحضره بين يديه. فاستخبره أنوشروان عن الحال، وأمره بالصدق. فطلب الأمان فأمنه. فباح بالسر وكشف الغطاء عن الأمر، وأفضى اليه بما دار بينه وبين الحاجب. فتعجب الملك من ذلك، وأمر باحضار موبذ موبذان، وسائر الأمراء والأعيان. وأمر اليهودى بحكاية ذلك على رءوس الاشهاد ففعل. فأمر بهما فصلبا ورشقا بالسهام ثم رجما بالأحجار، عبرة لمن اعتبر، وموعظة لمن نظر. وبقى أنو شروان يقرع سن الندم على ما سبق منه إلى مهبوذ فقال: هل بقى من أهل بيته أحد؟ ففتشوا فلم يجدوا غير ابنة وثلاثة رجال. فأعطاهم وأحسن اليهم، وفرق أموالا كثيرة على الفقراء، وجعل يستغفر الله ويتوب اليه من ذنبه ذلك.

قال الفردوسى: من عبد الله وطهر دينه لم يمد يده إلى السوء. فان فعل الشر وإن هان فى العاجل فهو منذر بفوات الروح فى الآجل. ولو أخفى الشر فى أحشاء الصخور لم يكن له بد من الظهور. ولن يبقى شىء على الزمان مكتوما، فلا تكن إلا بالخير موسوما. ومهما كنت ثاقب الرأى قليل الإيذاء أفلحت فى الدارين وحظيت فى المنزلين.

§ ذكر ما جرى بين أنو شروان وبين الخاقان

قال الفردوسى مخاطبا لمحمود: إن كنت تريد أيها الملك المتوج أن يحمد الناس بعدك آثارك فليكن العقل شعارك والدين دثارك. وكن بقوة الصدق والسداد مستظهرا، حتى يكون العالم بأضواء

§ فى عهد أنوشروان يحدث التاريخ الفارسى لأول مرة عن الترك. وكانوا فى ذلك العهد فريقين: الترك الشرقيون الذين ينزلون بقاعا فى الشمال ما بين منغوليا وجبال أورال. والترك الغربيون ينتشرون من جبال ألطاى إلى نهر سيحون.

(١) طا: ذاك. كو: ذلك.

سيرتك متورا . وكن فى العدل شروى أنوشروان، ليبقى ذكرك كما بقى ذكره على تمادى الأزمان . إنه لما انتظمت أسباب سلطنته، واستتبت أمور ممالكه لم يكن متقيدا إلا باكتساب الذكر الجميل وادّخار الأجر الجزيل . فاستلقت الخلائق فى عهده على ظهورهم آمنين، وناموا فى ظلال دولته وادعين . ووضعت الحروب أوزارها،واستراحت الرجال ورفضوا أثقالها . واتصفت أكابر الأقاليم بصفة الصغار لأمره، وتابعوا الإتاوات والخدم الى حضرة تاجه وتخته . فلم يكن له شغل غير الصيد والطرد واللهو واللعب . ثم إنه أمر فبنوا له مدينة فرسخين فى فرسخين . فشيدوا فيها القصور، ودحوا الميادين، وأجروا فيها الأنهار، وأنشئوا البساتين. وبنوا له فيها قصرا فيه إيوان مذهب مرصع بأنواع الجواهر، وقبة عالية من العاج والأبنوس . وجمع على عملها جميع حذاق الصناع من الروم والهند . وأسكنها الأسارى الذين جاء بهم من البربر والروم وكوچان والجيل . فاشتغل كل واحد منهم بصناعته . ولما فرغ من بنائها أنشأ لها كورا ورساتيق، وسماها سورستان .

= توفى تومان الخاقان الأول سنة ٥٣٣ فخلفه ابنه قواو الذى خلفه أخوه موقان خان وهو الذى واصل أنوشروان . والطبرى يسمى خاقان الترك فى عهد أنو شروان سنجبو خاقان . وحوالى سنة ٥٧٠ هم الترك بالإغارة على إيران فأرسل اليهم أنوشروان جيشا يقوده ابنه هُرمُزد . وهرمزد هو ابن بنت الخاقان . فلا بد أن يكون أنو شروان سالم الترك وصاهرهم قبل هذا بأمد طويل . فسيْر أنوشروان لحرب الترك فى الشاه — هذا السير الذى انتهى بالمصاهرة ينبغى أن يكون حوالى سنة ٥٥٠، أيام موقان خان . ويفهم من الطبرى أن الخاقان طمع فيما كان يؤدّيه الفرس إلى الهياطلة وغيرهم لكف عاديتهم عن إيران فثار الشر بين القبيلين[1] . والظاهر أن الفرس والترك تعاونوا على الهياطلة فلما أثخنوهم وقع النزاع بينهم على الأرض. ثم حرب الخاقان فى الشاه فيها العناوين الآتية:

(١) قصة حرب خاقان الصين والهياطلة . (٢) اطلاع نوشين روان على أمر الهياطلة، وقيادته الجيش لحرب الخاقان. (٣) قيادته الجيش لحرب خاقان الصين. (٤) رسالة الخاقان اليه. (٥) جواب نوشين روان . (٦) رسالة الخاقان فى تزويج ابنته لنوشين روان . (٧) بعث نوشين روان مهران ستاد ليرى بنت الخاقان. (٨) إرسال الخاقان بنته مع مهران ستاد إلى نوشين روان . (٩) رجوع الخاقان،وتوجه نوشين روان بالجيش إلى طيسفون. (١٠) رجوع نوشين روان إلى ايران منتصرا . (١١) أمن العالم فى حكم نوشين روان . (١٢) [نصح بوزرجمهر نوشين روان] .

---

(١) الطبرى، ج ٢، دوزن، ج ٧ ص ٣١٧، سپاس، ج ١ : أنوشروان .

قال : ولم يكن فى عهد كسرى أنوه ذكرا وأفخم قدرا من الخاقان ملك الصين. وكانت الملوك من شاطئ جيحون الى أقصى بلاد الترك متقادين له . وكان مستقر سريره بمدينة كُل زرْيون من وراء الشاش . فانتهت اليه أخبار كسرى التى استفاضت فى أطراف العالم، وما اختص به من العلم والشجاعة والروعة والجلالة . فأراد أن يكون بين الحضرتين مكاتبة ومراسلة، ومهاداة ومصادقة . فخلا بأصحاب رأيه وأركان دولته وشاورهم فى ذلك فأعد هدية لم يعهد مثلها محمولا من حضرة ملك الى آخر، ونفذها فى صحبة بعض أعيان دولته وكفاة حضرته . وكتب الى كسرى كتابا على الحرير الصينى . فسار الرسول، وكان ممره على بلاد الهياطلة . وكان لهم ملك يسمى غاتْفر. فلما سمع بإهداء الخاقان ذلك الى كسرى خلا بأصحابه وقال : إن حصلت مصادقة وموافقة بين ملك إيران وملك توران تضررنا بها . والرأى أن نقطع الطريق على هذا الرسول فنقتله وننتهب ما صحبه . فجرّد لذلك بعض قوّاده فركض اليه وقتله وانتهب جميع ما استصحبه . فلما انتهى الخبر بذلك الى الخاقان جمع عساكر الصين والخُتَن، وعزم على قتال الهياطلة، وكانوا نازلين من السغد الى شاطئ جيحون . فسار فى جمع عظيم ضاق عنهم نطاق الحصر . وجمع ملك الهياطلة مثل جنود الخاقان من بلاده وعسكر على بخارا . فجاء الخاقان والتقوا على ماىِ مُرغ (١) ، وهى قرية من قرى نخشَب . فجرت بينهم وقعة عظيمة اتصل فيها القتل والقتال سحابة أسبوع . ولما كان اليوم الثامن خفقت أعلام الخاقان بالظفر وكسّر الهياطلة كسرة عز جبرها . فقتل ملكهم مع خلق عظيم، وانهزم الباقون . ثم لما أمنوا قالوا : إنا لم نر مثل عساكر الصين . كأنهم ليسوا من الإنس بل كانهم مردة الشياطين . وكأن وجوههم وجوه الثعابين . تمرق سهامهم من الجبال (٢)، ولا يملون أبدا من القتال ؛ ولا يرفعون سروجهم عن ظهور الخيل، ويرسلونها فى الثلج طول الليل فتجتزئ بما ترى فى البرية من الحسك والشوك . فلا طاقة لنا بهم . والرأى أن ننضم الى كسرى ونستظهر به حتى نسلم من شر الخاقان . فاتفقوا على ذلك واختاروا من الهياطلة شابا كريم المحتد متحليا بسير الملوك والسلاطين يسمى فغانيش فتوجوه وأقعدوه على سرير الملك . ثم لما انتهى الخبر الى كسرى بقوّة الخاقان واستطالة يده وارتفاع أمره حتى كسر الهياطلة تلك الكسرة الشنيعة، وأنهم أقاموا مقام غاتفر ملكا آخر — جمع أصحاب رأيه وأركان دولته مثل أردشير موبذ الموبذان وسابور و يزدجرد الكاتب فقال لهم : قد جاءنا خبر غير موافق ؛ بلغنا أن الخاقان قد كسر الهياطلة، واستولى عليهم وقتل منهم مقدار ثلثيهم، وأنهم حين قتل

(١) طر : ماء مرغ . ـ (٢) طر : الجبال .

ملكهم نصبوا ملكا آخر من نسل بهرام جور (أ) . والخاقان مخيم بالشاش فى عساكره ، مدل بما تيسر له من الظفر بالهياطلة . وهو لا يرى فى المنام غير العبور إلى أرض[1] إيران لما دخل رأسه من العجب . فماذا ترون ؟ وما الذى به تشيرون ؟ فقاموا ودعوا للملك، وأثنوا عليه ثم قالوا : أيها الملك ! إن الهياطلة هم أعداء مملكتك وحساد دولتك . فلا ينبغى أن تهتم لما جرى عليهم من جهة الترك . واذكر ماجرى منهم على فيروز . وإنهم لم يذوقوا بسيف الخاقان الا جزاء فعلهم، ولم يروا فى هذه الوقعة غير شؤم صنيعهم . وأما الخاقان فانه ماعبر بعد إلى أرض إيران حتى يتوجه نهوض الرايات العالية إلى ذلك الصوب . قالوا : ونخشى، إن نهض الملك إلى خراسان ، أن تطمع الروم فيتهزوا فرصة خلو عرصة إيران عن العساكر المنصورة فيهجموا على أطراف المملكة فيظهر خلل يتعب الملك فى تلافيه . هذا مانراه . ثم رأى الملك أصوب، وأمره أعلى . فغضب أنو شروان وقال : إن أسود إيران تعوّدوا العيش والطرب ، وآثروا اللهو واللعب حتى نسوا مطاعنة الرجال ومصابرة القتال . إنا عازمون على قصد خُراسان فأعدّوا واستعدوا . فانه لا بد من الارتحال عند مستهل الهلال . فلما أحسوا بتنمره اعتذروا وتنصلوا واسترضوه حتى رضى . ثم لما استهل الهلال شدّت الكوسات على كواهل الفيول ، وأطلت الآساد على حوارك الخيول، وسار الملك من المدائن متوجها نحو خراسان فى جمع عظيم ترتج تحتهم الأرض . فلما وصل إلى جرجان خيّم ليستريح بها أياما . وكان الخاقان حينئذ نازلا على ظاهر سمرقند . وكان يشاور أصحابه فى قصد إيران ونهب بلادها واستباحة أموالها واستتباع رجالها . فبينما هو يستشير فى ذلك ويشير ويعدّ ويستعد إذ أتاه النذير بوصول أنو شروان إلى جرجان فى جنود البر والبحر قاصدا قتاله . فنكصت منه تلك العزيمة على أعقابها وقال : العاقل من أتى الأمور من أبوابها . فخلا بأصحاب رأيه وأخذ يستقدح زناد رأيهم[2] . ثم قال لدستوره : الرأى أن أجر العساكر وأتلقاه حتى يعلم أنى غير ناكل عنه . فقال بعض كفاته : أيها الملك ! ليس من الصواب أن تنابذ ملك إيران، وتورط[3] بنفسك وعساكرك لقتاله . فانه ليس على وجه الأرض ملك يماثله فى القوة والشوكة ، وهو الذى يأخذ خراج الروم والهند وغيرهما من أقاليم[4] الأرض . فقال الخاقان : سكوتنا ليس بمصلحة . فاما أن نتشمر لقتاله أو نبعث اليه فى الصلح ونسمح بالمال . فان الذخائر لا تقتنى إلا لمثل هذا اليوم . ومن خاف

(أ) فى الشاه أن ملك الهياطلة من نسل بهرام كور، وأن الخاقان وجنده من سلالة أفراسياب وأرجاسب . وفى ذلك وصل هذه الحرب بالعداوة القديمة .

(١) طر : إلى إيران . (٢) طا، طر . آرائهم . (٣) طر : تورط نفسك .

(٤) طر : من الأقاليم .

شيئا فينبغى أن يبــذل دونه بما يملكه من صامت وناطق حتى يأمن معرّة ما يخاف وعاديته . ثم إنه اختار عشرة من الكفاة الدهاة ممن يحسن أن يقول و يسمع، وكتب إلى كسرى على الحرير الصينى كتابا فنفذهم به اليــه . فسار الرسل بما تحملوا من رسالة الخــاقان حتى وصلوا إلى مخيم أنو شروان . فلما رفعت دونهم الحجب دخلوا على ملك يملأ العيون روعة وبهاء وأبهة وسناء فقبلوا بين يديه الأرض فوفوه شرائط الإعظام والإجلال . فأكرمهم الملك وسالهم عن الخاقان وانتظام أحوال مملكته واتساق أمور دولته . فأدّوا الرسالة وسلموا الكتاب اليه . ففتحه يزدجرد الكاتب، وهو كاتبه وصاحب سره وثانى مو بذ الموبذان فى حضرته، فقرأه عليه . وكان مفتتحا بذكر الله تعالى والثناء عليه ومثنّى بكلام يعرب عن إدلاله بقوّته واستظهاره بشوكته . ثم قال: إنا كنا خطبنا اليه عقيلة مودّته وكريمة مصادقته، وأهدينا الى حضرته برسم خدمته تحفا من بلاد الصــين فتعترض لهــا ملك الهياطلة، وأرسل جماعة من أصحابه فانتهبوها وقتلوا الرسل المنفذة معها(١) . فوجب علينا الانتقام منه فنهضنا الى بلادهم، ودلفنا لقتالهم فقتلناهم حتى سال جيحون بدمائهم . وقد بلغنا ما تخصص به الملك من الأبهة والجلالة والعقل والحياء وعلو الذكر والنباهة فآثرنا أن تكون بيننا و بينه صداقة أكيدة ومودة مهيدة . فإن رأى الملك أن يجيب إلى تشييد قواعدها وتمهيد مبانيها ، ويجاوبنا عن رسالتنا بما يرى فيها — فعل . قال : فلما وقف كسرى على ذلك الكتاب أمر بإنزال الرسل و إكرامهم. وكان كل يوم يحضرهم عند السماط حتى مضى على ذلك شهر . ثم أمر بأن ينصب له سرادق عظيم فى الصحراء . وجلس فيــه وحضره جميع مرازبة بلاده وعظماء مملكته فى زينتهم وعدتهم، ماثلين فى خدمة تخته صفوفا . ثم أمر بإدخال رسل الهند والروم وسائر الأقاليم . ثم أمر بإدخال رسل ملك الصين فدخلوا فرأوا(٢) من الروعة والجلالة والهيئة(٣) والبهــاء ما دهشوا له . فجعلوا يتناجون و يقولون: قد وقفنا على فخامة قدر هذا الملك فلو وقفنا على فروسيته وشجاعته! ففطن الملك لمــا دار بينهم فأمر بإحضار عدّته . فجاءوا بخفتانه، وكان لا يقدر الرجل القوى على حمله . فحلوا أزراره ولبسه . ثم ركب وخرج الى الفضاء، وطلاع تلك الأرض كراديس الفرسان وأطلاب الشجعان مظاهرين بين أسلحتهم، فركض يمينا وشمالا ، وأظهر من أنواع فروسيته ما حير الحاضرين . ثم عاد الى إيوانه فاســتدعى الكاتب وأجاب عن كتاب الخاقان بكتاب مشحون بوصف قوته وشدّة شوكته ، واستصواب رأى الخاقان فى استئصال الهياطلة ومجازاتهم على إخفار الذمة وتصــدّيهم لقطع الطريق على الواردين من تلك الحضرة . وأمر بإفاضة الخلع على الرســل وأذن لهم

(١٧٩)

---

(١) كلمة «معها» من طا، طر . (٢) طا، طر : ورأوا . (٣) طا، طر : الهيبة .

فى الانصراف . فلما وصلوا الى الخاقان[(1)] وأخبروه بما رأوا من عظمة قدر كسرى ، وما شاهدوه من رجوليته وكثرة عَدده وعُدده ضاقت عليه الأرض بما رحبت وامتلأ خوفا وذعرا . فخلا بأصحاب رأيه وأخذ يمخض الآراء فقال الخاقان : الرأى أن ننفذ اليه رسولا ونسأله مصاهرتنا . وإن وراء ستورنا خمس بنات فنزوّجه[(2)] إحداهن . فإنه إذا التحمت بيننا أواصر المواصلة وانتظمت بيننا شجنة القرابة أمنا أن يقصد بلادنا وديارنا . بل نعتضد مع ذلك بقرابته ونستظهر بمودّته . فاستصوب ذلك جميع من حضر من أصحاب الرأى وأرباب العقل . فأمر فاعدّت لأنو شروان تحفة لم ترها العيون ، ولم تسمع بمثلها الآذان . ثم استحضر الكُتّاب[(3)] فكتب اليه كتابا قال فيه ، بعد حمد الله والثناء عليه : قد وصلت الرسل فأعلمونا بما شاهدوا فى تلك الحضرة من أسباب السلطنة وروائع الجلالة . فأحببنا أن نكون فى ظل عنايتها وكنف عاطفتها ، وأردنا أن يخطب الملك الينا بعض كرائمنا حتى تلتحم بيننا الأواصر وتشتجر العروق الشواجر ، ويرتفع الفرق فيما بين المملكتين ويحصل الاتحاد ما بين الحضرتين . ثم ختم الكتاب واستحضر من أقربائه ثلاثة رجال صباح الوجوه فصاح الألسن ، وأنفذهم بالتحف الى حضرة أنو شروان . فلما وصلوا الى دركاهه ، وعلم بقدومهم جلس على تخته ، على رسمه وآيينه عند وفود الرسل . فدخلوا عليه فلما قربوا من تخته نثروا ثلاثة مناديل فيها ثلاثون ألف دينار . ثم عرضوا التحف فصارت أرض الايوان كأنها[(4)] السماء بكواكبها من شعشعة الأثواب المنسوجة بالذهب والجوهر . فأكرمهم الملك غاية الإكرام وأمر بهم فأنزلوا فى موضع يليق بهم .

ثم إن الملك جلس ذات يوم عند طلوع الشمس وحضرته الأكابر والأعيان فأمر كاتبه يزدجرد بأن يقرأ عليهم كتاب الخاقان . فقرأه وفيه من التودّد والتملق ما أعجب الحاضرين . فأثنوا على أنو شروان ودعوا له ووصفوا ما أنعم الله تعالى به عليه من سعادة الجدّ وعلو القدر حتى أطاعته الملوك وخضعوا له . ثم قالوا : إن الخاقان ملك كبير قد ملأ الأرض ما بين بخارا والصين بجنوده . وهو مع ذلك يريد الاتصال بالملك . وينبغى ألا يتوانى فى إجابته . فانه لا عار فى مصاهرته[(5)] . فأمر الملك بإحضار الرسل فلما دخلوا أكرمهم وأجل أقدارهم ، وأقعدهم بالقرب من تخته فأدّوا رسالة الخاقان بأحسن لفظ وأخفض صوت . فلما سمعها الملك قال : إن الخاقان ملك كبير موصوف بالعلم مستحق للثناء والحمد . وقد أحب مصادقتنا ومصاهرتنا . ونحن نجيبه الى ذلك ونتيمن بمواصلته . غير أنا نرجو أن يمكننا من اختيار من نريد من بناته . وذلك يتيسر بأن أبعث بعض

---

(١) طا ، طر : الى ملكهم . (٢) طر : نزوّجه . (٣) طر : الكاتب .

(٤) طا ، طر : وكأنها . (٥) طا ، طر : مصاهرة مثله .

تقاتى حتى يشاهدهن وراء الحجاب فيختار أوفرهن أدبا وأكرمهن أما . ثم أمر كاتبه أن يكتب جواب كتاب الخاقان . فكتب كتابا يذكر فيه مسارعته الى إنجاح طلبته وتبجحه بمصاهرته . وخلع على الرسل خلعا تعجب منها الناظرون . واختار من أصحابه شيخا عاقلا يسمى مهران ستاذ ونفذه معهم . وقال له : ادخل إلى ما وراء ستور الخاقان فإن له عدّة بنات موصوفات بالجمال والكمال . ولا تعتمد على ما ترى عليهن من الحلى والحُلل . وإن من كانت منهن من أولاد الإماء لا تأتى بخير . وانظر حتى تقع عينك منهن على واحدة كريمة الأم تجمع بين كرم الحسب وشرف النسب . فتلك التى تليق بنا وتصلح لبيتنا . فسار الثقة الأمين فى صحبة الرسل ومعه مائة فارس من أعيان الإيرانيين وعقلائهم . فلما وصلوا الى مستقر الخاقان تلقاهم أكابر دولته وأماثل حضرته . ولما دخل عليه أكرمه وأعز مقدمه ، وأمر بإنزاله فى موضع يصلح له[1] . ثم قام ودخل على زوجته الخاتون الأصيلة النسيبة وفاوضها فيما ورد الرسول لأجله . وكانت له منها بنت فى غاية الحسن ، وله أربع أخر من حظاياه . وكان فى نفسه ألا يزوّج أنو شروان ابنة الخاتون لفرط محبته لها وقلة صبره على مفارقتها . وعزم على أن يزوّجه إحدى بناته الأخر . ولما كان الغد حضر مهران ستاذ باب الملك فرفعت دونه الحجب فدخل ودفع كتاب أنو شروان إليه . فلما وقف على كتابه أمر بادخال الشيخ الأمين على حجر بناته . فتقدّمه الخدم ودخل عليهن فرأى مجالس كالجنان الحالية واذا بخمس بنات كالشموس[2] الطالعة متبرجات فى الحلى والحلل ، قد أجلسن على تخت . غير أن واحدة منهن بلا تاج ولا طوق فى ثياب بِذلة . فتفرّس فيهن الثقة الأمين ، وقال : إن الظن يصدق ويمين . وتوسم النجابة والأصالة فى ناصية العاطلة عن التاج والطوق ، الحالية بجمال الخلقة ونجابة الأصل (١) . فاختارها من بينهن وقال : هذه تصلح للملك . فقالت له الخاتون : أيها الشيخ ! ما بالك تختار صبية لم تبلغ بعد مبلغ النساء ، وتعدل عن اختيار هؤلاء الأبكار المعصرات ؟ فقال : لست أختار سوى هذه . فان أجاب الخاقان الى تزويجها وإلا رجعت منصرفا . فتعجب الخاقان عند ذلك من ذكاء الرجل وفطنته ، وعلم أنه النقّاب الثاقب الرأى الذى لايخفى على ألمعيته شيء . فاستحضر المنجمين واستخبرهم عن طالع ابنته تلك وما يحصل بعد اتصالها بالملك . فنظروا فى تقاويمهم وزيجاتهم حتّى وقفوا على أسرار النجوم فى تلك المصاهرة فبشروا الملك وقالوا : إنه يحصل من اتصال ما بين الشجرتين ولد يملك الأرض ويختص بالثناء من أكابر إيران وتوران . فضحكت الخاتون واستبشر الخاقان . فحضر مهران ستاذ فعاقده عليها .

(١٨٠)

(١) تقدم أنه كان من أسباب العداء بين فيروز وملك الهياطلة أن فيروز رضى بمصاهرته ثم أرسل اليه أمة فلما تبين الأمر ملك الهياطلة غضب الخ .

(١) طر : يليق به . (٢) طر : كأنهن الشموس .

ثم جهزها الخاقان فأمر ففتح لها باب كنز محتو على كل جنس من الذهب والفضة والجوهر والحلىّ والحُلل والتيجان والتخوت والأطواق(١) والأسورة . فأوقر أربعين حملا من الثياب المنسوجة بالذهب والزبرجد، ومائة حمل من المفارش . ثم رتب ثلاثمائة وصيفة بالأطواق والمناطق، بيد كل واحدة منهن علَم، على رسم أهل الصين، إلى غير ذلك من الخيل والفيلة بآلات الذهب والتخوت المرصعة بالجوهر. ثم أمر فعقدوا لها لواء عظيما إذا نشر جلل الهواء بالديباج الصينى. ثم سيرها إلى إيران فى صحبة الثقة الأمين، وشيعها إلى جيحون ثم انصرف. ولما أتى الخبر أنوشروان بقدوم ابنة الخاقان أمر فعقدت الآذنّيات والقباب فى طريقها ، ونثرت على مواكبها النثارات الكثيرة الى أن وصلت إلى جُرجان وبِسطام . ولما دخل بها أنو شروان أعجبه ما رأى من كمالها وجمالها فأحسن عشرتها ورفع درجتها وبالغ فى إكرامها وإعظامها . فلما انتهى الخبر إلى الخاقان بابتهاج أنو شروان بوصلته، وسروره بابنته أفرج له عن سمرقند والسغد والشاش ، ونقل تخته الى جَغَار(٢) . فنفذ أنو شروان إليها مرازبته . واطمأن عند ذلك الناس . ثم تبادرت ملوك تلك الأطراف بالهدايا والتحف الى بابه حتى إن الهياطلة مع مناعة جانبهم وخشونته تسارعوا طائعين الى خدمته، ودخلوا فى رق طاعته . فأكرمهم وأحسن اليهم ، وأفاض خلعه وفواضله عليهم . ثم إنه عزم على معاودة المدائن فسير أمامه الخاتون الى مدينة طَيسفون ، وقدّم ثَقَله اليها . وبقى فى أمرائه وأصحابه جريدة فسار على طريق آذربَيجان ، وطاف على ممالكه فصادف الدنيا ببركة معدلته كأنها أبرزت فى لون آخر من البهجة والنضارة فرأى الأراضى الغامرة التى لم يكن يطؤها أحد ولم يكن للعمارة بها أثر — قد صارت فى زخارفها وأزهارها كالجنان المزخرفة ، ورأى صحاريها تطن بالثغاء والرغاء ، وكانت من قبل لا يسمع فيها غير زُقاء الأصداء . وأتته رسل قيصر صاحب الروم بالهدايا والتحف والنثارات الكثيرة مع ما التزموا من خراج ثلاث سنين ، ومعهم رسالة ناطقة باستقلال ما نفذ الى حضرته . فقبل تلك الهدايا وأكرم الرسل. ثم ركب وسار ولما وقعت عينه على متعبدهم المعروف بآذركَشَسب ترجل إجلالا له وأخذ يبكى ويزمزم وبيده البرسَم (أ) . ومشى حتى دنا من النار فاستقبلها ودعا الله تعالى عندها وأثنى عليه . وسلم جملة وافرة من الذهب والجوهر إلى خازن بيت النار . ثم توجه نحو المدائن ناشرا جناح الأمن والأمان على جميع الأنام، مفيضا عليهم شآبيب النعم ومدِرّا لهم أفاويق الكرم . فصارت تلك الممالك من الأمن بحيث لو أفرغت أحمال الدنانير على عوادل الطرق لهربت منها اللصوص . وآستفاضت بذلك الأخبار فى جميع الأقطار، وآتصلت القوافل والرفاق إلى أرض

(أ) برسم : أعواد من النبات كان المجوس يأخذونها بأيديهم وقت العبادة .

(١) طر : والأطواق والمناطق والأسورة . (٢) فى الشاه : بجغاربانى .

إيران من الصين والهند والروم وسائر الأقاليم . فصارت بلاد إيران كجنان الفردوس من كثرة ما جلب إليها من أنواع الوشائع وألوان الثياب، والمسك والعنبر والكافور الرطب . هذا مع ما فتح الله تعالى عليهم من أبواب الرحمة من ديم الغيوث وابلا وطلّا ، الجاذبة بأضباع الزروع نهلا وعلّا . حتى سالت الأودية كالبحار الطافحة ، وآعشوشبت المروج بالأزاهير النافحة . وحظيت العلماء والأخيار والعقلاء فى أيامه، وآنقمعت الأشرار من مهابته . وكان ينادى على بابه كل يوم : ألا من تعب فى شىء من خدمات الملك فليعلم حاجب الباب حتى يطالع به ويجازى على سعيه . ومن كان له دين على معسر فلا يطلبنه إلا من خزانة الملك . ألا ومن نظر إلى حرمة لغيره فلا جزاء له إلا الصلب أو القيد والحبس . ومن أرسل فرسه على زرع أبيح دمه وخرب بيته . ألا إن الملك لا يرضى بأن يكون على بابه إلا من كان سديد السيرة حميد الطريقة . والسلام .

§ ذكر وصول رسل ملك الهند الى أنوشروان وما جرى بينهما من التهادى بالشَطرَنج والنرد

قال صاحب الكتاب : جلس أنوشروان ذات يوم على تخت السلطنة فى مجلس حضرته ملوك الأطراف وأرباب الدولة، وأعيان الحضرة فجاء بعض الحجاب وأعلمه بوصول رسول من صاحب الهند وفى صحبته ألف جمل بأحمالها . فأذن له فدخل وخدم وأثنى على الملك ونثر بين يدى التخت جواهر كثيرة . ثم عرض ما آستصحبه برسم الهدية . وكانت من جملتها مظلة مرصعة بالجواهر، وعشرة أفيال . ثم حل الأحمال فكانت مشتملة على الذهب والفضة والعود والكافور وسائر أنواع الجواهر. فعرض الكل عند التخت . ثم جاء بكتاب مكتوب على الحرير وتخت للشطرنج . فقال : إن الراى — يعنى ملك الهند — يقول : ليأمر الملك أعلم أصحابه وأذكى من على بابه أن يضع هذا

---

§ اختلفت أساطير الأمم فى الشطرنج فنسب الى أمم كثيرة والى أناس عديدين . وكذلك كثر جدال الباحثين . وأرجح الآراء فيما يظهر أن مهد الشطرنج الهند . ومهما يكن منشؤه فلا خلاف أن العرب أخذوه عن الفرس وأن الفرس أخذوه مرة عن الهند . واسمه العربى "شطرنج" محرف عن الفارسى چترنك، وهذا محرف عن السنسكريتى چتورنكا ـ كلمة تكررت فى شعر قدماء الهند وصفا للجيش. وهى مركبة من "چتور" أى أربعة و "أنكا" أى عضو . فمعناها أربعة أعضاء. ويراد بها أعضاء الجيش . وهى عندهم الخيل والفيلة والعجلات والرجالة [1] . =

(١) دائرة المعارف البريطانية : (Chess) .

التخت قدامه، وينظر فيه، ويلعب بهذه التماثيل على الصحة ، ويذكر اسم كل واحد منها ويضعه فى بيته من الرقعة، ويعرف كيفية كرّه وفرّه . فإن قدرتم على استخراج ذلك التزمت الخراج ونفذته إلى الخدمة . وإن عجزتم عن ذلك فلا تلزمونا الخراج وٱلتزموه . فحق عليكم أن تقدّموا العلم ولا تتقدّموه .

قال : فأخذت تلك الرسالة بمجامع قلب أنوشروان فٱستحضر النطع والتخت، وشاهد تلك التماثيل فرأى بعضها منحوتا من الساج والبعض مخروطا من العاج . فسأله عنها فقال : إن هذا موضوع على رسم القتال وآيين الحرب بين الرجال . فأقبل الملك على علمائه وموابذته، وقال : عليكم باستماع ما يقول هذا الرسول، وٱستخرجوا المكنون من هذا السر . فتقدّم بُزُرجمهر وبسط النطع، وأخذ يتفكر . فعبي تلك التماثيل صفوفا : فجعل الشاه فى القلب، ورتب على يمينه دستوره ، يعنى الفَرزان، ورتب الميمنة والميسرة، وقدّم الرجالة ، يعنى البيادق، بعد أن أقام على كل طرف من الرقعة مبارزا، يعنى الرخ، ورتب الفيل والفرس من جانبي الشاه . فسوّى صفوفها حتى تقابلت وتوازت مثل الصفوف المعبّاة يوم اللقاء . فلما رأى الهندى ذلك أظلم فى عينه ضوء النهار، وٱصفرّ (١٨١)

= والشاه فى وصف الشطرنج وقصته تقارب كتابا فهلويا اسمه "چترنك نامك" يظن أنه كتب فى القرن السابع الميلادى . ويذكر ملك الهند فيه باسم دِوَسرام . وفيه أن بزرجمهر فطن اللعب بالشطرنج ولاعب رسول الهند فغلبه اثنتى عشرة مرة ولاء .

وأما النرد فيظهر أن اسمه فارسى . فلفظ "نرد" بالفارسية معناه جذع الشجرة . وكأن قطع النرد شبهت بقطع من جذع شجرة . وفى "چترنك نامك" أنه سمى باسم مؤسس الدولة الساسانية "نو أردشير" وأن الاسم اختصر فصار "نرد" وهو تأويل ينبغى ألا يعتدّ به .

ثم قصة الشطرنج والنرد فى الشاهنامه تتقسمها هذه العناوين :

(١) ارسال راى[1] الهند الشطرنج إلى نوشين روان . (٢) اختراع بوزرجمهر النرد ، وبعث نوشين روان إياه الى الهند . (٣) عجز علماء الهند عن اللعب بالنرد . (٤) قصة كَو وطلخند، واختراع الشطرنج — بدء القصة . (٥) جدال كو وطلخند على العرش . (٦) تهيؤ كو وطلخند للحرب . (٧) نصح كو طلخند . (٨) حرب كو وطلخند . (٩) حرب كو وطلخند المرة الثانية وموت طلخند على ظهر الفيل . (١٠) علم أم طلخند بموت ابنها وحزنها عليه . (١١) اختراع الشطرنج من أجل أم طلخند .

---

(١) راى = راجا .

وجهه حتى صار كورق البهار، وتعجب من ذكاء ذلك العالم ومن تفطنه لذلك . فتهللت أسرة وجه أنوشروان ، وتوردت وجنتاه ، وآستبشر بنصب بزرجمهر لتلك التماثيل ووضع كل واحد منها فى موضعه . فأمر له بجام مملوء من الجواهر الشاهية، وبدرة من الذهب، وفرس بسرجه ولجامه . وأثنى عليه كثيرا . فقام بزرجمهر وعاد إلى منزله فوضع بين يديه التخت والفرجار ، وغاص فى بحر الفكر، وحذا حذو الهنود فى وضع الشطرنج، وتحارب عساكر الروم فيه والزنج . فوضع النرد بفطنته وذكائه، وأمر بعمل خرزتين من العاج منقطتين بالساج. ورتب له ناوردا كناورد الشطرنج، وسوى الصفوف من الجانبين، وقسم العسكرين صفوفا ثمانية كأنها كراديس متشمرة للقاء . ولما فرغ من ذلك ركب الى خدمة أنوشروان، وذكر له ما وضعه . ثم إنهم استمهلوا الرسول سبعة أيام ليستخرجوا كيفية اللعب بالشطرنج . فأنزلوه فى مكان وأمر أنوشروان باستحضار العلماء والموابذة فحضروا وأخذوا فى استخراج ذلك اللعب الخفى فطال عليهم الأمر فلم يقدروا . وصعب ذلك على أنوشروان وقال : إن لم يتضح هذا السر أورث علماء إيران وهنا عظيما . فخلا بزرجمهر بنفسه ونصب الشطرنج بين يديه فبقى يوما وليلة ينقل تلك التماثيل يمنة ويسرة حتى وقف على كيفة اللعب به . فأظهر ذلك لأنوشروان فقضى العجب من ذلك ودعا له وأثنى عليه . ثم أمر فأوقروا ألفى جمل من الأمتعة التى تجلب من الروم والصين وسائر تلك الممالك . ثم استحضر رسول الراى ملك الهند ، وأجاب عن كتابه وذكر فيه أنه قد وصل رسولك وعرض ما كان معه من الهدايا والتحف فقبلناها. وأما الشطرنج فانا استمهلنا الرسول أسبوعا فتجرد الموبذ الطاهر القلب للتفكر فى استخراج اللعب به . فلم يزل ينقب ويبحث حتى وقف عليه وعلى آستخرج[1] سره الخفى . وقد نفذنا هذا الموبذ إلى خدمتك مع ألفى حمل من الأقمشة النفيسة . ووضعنا النرد بإزاء الشطرنج، ونفذناه إلى الخدمة. فإن فطنتم للعب به فلكم هذه الأحمال ، وإن عجزتم عن ذلك فأضيفوا اليها مثلها من عندكم ونفذوها الى خزانتنا[2] . والسلام .

فسار بزرجمهر بمن معه نحو الهند. فلما وصل أكرمه ملك الهند وأعز مقدمه . ولما وقف على كتاب أنوشروان عظم عليه ما تيسر له من اللعب بالشطرنج . ثم أمر بإنزال بزرجمهر فى موضع يصلح له واستمهله سبعة أيام يحل[3] مشكل النرد . فاجتمع جميع علماء الهند عليه وبقوا سبعة أيام لا يهتدون الى سبيل اللعب به . ولما كان اليوم الثامن حضروا عند الراى وآعترفوا بعجزهم عن التفطن لذلك فعظم عليه . وحضر بزرجمهر صبيحة اليوم التاسع وقال : إن الملك لم يأمرنى بالتلبث

(١) صل : واستخراج . والتصحيح من طا ، طر . (٢) طا ، طر : خزائننا . (٣) طا ، طر : لحل مشكل .

أكثر من هـذا القدر . وإن خالفت لم آمن غضبه . فربض علمـاء حضرة الراى مجبرة، واعترفوا بالعجز وقالوا : إنا لا نهتدى الى حل هذا المشكل . فتصدّى بُزُر جِمهر عند ذلك ولعب بالنرد بين يدى الراى . فتعجب الحاضرون منه وأطلقوا السنتهم بالدعاء له والثناء عليه . فأوقر عند ذلك ملك الهند ألفى حمل من نفائس بلاده مع خراج سنة ، ونفذ الكل الى خزانة أنو شروان . وخلع على بزرجمهر ما كان عليه من خاص ثيابه مع تاج رفيع أمر بإحضاره له من خزانته . فعاد الى حضرة أنو شروان ومعه كتاب ملك الهند بشهادة جميع علماء بلاده بأنه ليس على وجه الأرض مثل أنو شروان ملك ، ولا كمالمه عالم . ولمـا شارف بزرجمهر حضرة الملك أمر جميع أكابر حضرته وأركان دولته بالخروج لاستقباله . فتلقوه بأتم إعظام و إجلال . ولمـا وصل دخل على الملك فاعتنقه وأكرمه وسأله عما ناله من مشقة الطريق وما تحمله من تعب السـفر . ثم سرد على الملك حكاية ماجرى عند ملك الهنـد فاستبشر أنو شروان بذلك وحمد الله وأثنى عليه وشكره على ما أنعم به عليه من حصول عالم مثل بزرجمهر لديه . والسلام .

ذكر السبب فى وضع الشَطرَنج

قال صاحب الكتاب : كان فى بلاد الهند فى ذلك الزمان ملك يسمى جَمهور . وكان له الأمر على تلك الممالك من حد كشمير الى أرض الصين . وكانت مدينته سندَلى دار ملكه ومستقر جنوده ومخبأ خزائنه . وكانت له زوجة من بنات الملوك موصوفة بالرأى والعقل . فرزق منها ولدا وسماه كَوّا (ا) فمات الملك بعد ولادة هذا الابن عن قريب، وأوصى الى زوجته . فاجتمعت الجنود عليها وبقيت تنهى وتأمر . وكان لزوجها أخ اسمه ماى وكان يسكن مدينة زنبر (١) . فقـدم وتزوج بزوجة أخيه، وقعد مقعده من سرير السلطنة ، واجتمعت عليـه العساكر . فكان يدبر أمورهم ويسـوس جمهورهم . فرزق منهـا ابنا وسماه طلخند . فمات بعد سنتين من ولادة هـذا الصبى . فاجتمعت العساكر واتفقت كلمتهم على تقديم زوجة الملك والرضى بسلطنتها . فأرسـلوا اليها وأشاروا عليها بأن تتقلد الأمر وتقوم بالملك وكفالة الولدين الى أن يصلح أحدهما للتقدّم والسلطنة . وكان أحد الولدين ابن سبع سنين والآخر ابن سنتين . فتسنمت الملكة تخت الملك واشتغلت بإقامة مراسم السلطنة . وألزمت كل واحد من الصبيين عالمـا يؤدّبه ويعلمه . فكانا يربيانهما و يعلمانهما حتى برعا فى الأدب (١٨٢)

(ا) فى الشاه كَو . وقد عربها المترجم هنا بالكاف مرة وبالجيم أخرى .

(١) فى الشاه : دنبر .

وترشحا للقيام بأعباء الملك . فكان كل واحد منهما يخلو بالملكة ويسألها ويقول : من الذى يصلح منا للتاج والتخت ؟ وكانت الأم تقول : من كان منكما أبرع فى الآداب وأجمع لمكارم الأخلاق وليته الأمر، وقلدته الملك . وكانت تعللهما بذلك إلى أن بلغا مبلغ الرجال، ودبت بينهما عقارب الشحناء، وأخذا فى التحاسد والتباغض، ونفقت بينهما سوق أهل النفاق والنمائم. فكثرت مراجعتهما الى الملكة ومطالبتهما إياها بتعيين أحدهما للسلطنة . وكان قلبها يميل الى جو لكونه أكبر سنا وأحق بالسلطنة من وجهين : أحدهما من حيث الأب، والثانى من حيث اختصاصه بمزيد الشهامة والعقل ومزية الإحسان والعدل . فقسمت الكنوز والأموال والذخائر بين الولدين على السوية . وقالت لطلخند : الرأى أن تتابع أخاك على الملك ولا تنازعه فيه، كما رضى أبوك بتقدم أخيه . فلم يرض بذلك، واتفقت كلمتهم على أن يجمعوا وجوه العسكر وأعيان الدولة ويشاوروهم فى المتعين من الملكين. فنصبوا تختين فى إيوان دار الملك، وقعد كل واحد منهما على تخت، ويجنب كل واحد منهما وزيره ومن هو مدبره ومشيره . وحضرت الأمراء والأكابر فى مجلس عام . فقام الوزيران وقالا : أيها الحاضرون! من الذى ترون من هذين الملكين يصلح أن يكون فيكم مالك الأمر، ومتولى الحل والعقد؟ فتعجبوا من تلك الحالة وتحيروا ولم يحيروا جوابا، وعمهم السكوت والوجوم . فقام واحد منهم وقال : إنا لا نتجاسر على الكلام فيما بين هذين الملكين . ولننصرف اليوم فنجتمع ونتشاور فى هذا الأمر ثم نخبر بما نرى من الصواب . فانفضوا من ذلك المجلس . وكان بعضهم يميل الى جو وبعضهم يميل الى طلخند . وتفرقوا[1] وتحزبوا وانضم كل واحد منهم الى من كان يميل اليه . ومهما ظهر فى بيت آمران فعن قريب يخرب . ولا يجتمع سيفان فى غمد، ولا ملكان على تخت . فاتفق أنهما اجتمعا ذات يوم فأقبل جو على أخيه ينصحه ويعظه ويحذره عاقبة مخالفته ويشير عليه بموافقته ومتابعته محافظة على أبهة السلطنة، ودفعا لشماتة أعداء الدولة . فلم تنجع مقالته فيه، وكان تأثير كلامه فى قلبه تأثير الماء اذا جرى على الصخرة الصماء . وكان من جوابه له أن قال : إنا لم نر أحدا طلب السلطنة بالرقية والتملق . وأنا فقد ورثت هذا التخت من أبى . فالملك حق أدافع عنه بسيفى. فأفضى حالهما الى المنابذة وتصديا للمقاتلة . فانصرف كل واحد منهما الى منزله فارتفع الصياح من الدركاهين . فابتدأ طلخند بتهيئة أسباب القتال، وفرق الأسلحة على الرجال . فاضطر أخوه الى أن استحضر عَدده وعُدده، ودعا أمراءه وقواده، وأمرهم بالتشمر لما حزبهم من ذلك الأمر المهم، والحادث المدلهم . ثم برزوا وعبوا عساكرهم ميامن ومياسر، ومقانب ومناسر، وقدموا الرجالة أمام

(1) طا، طر : فتفرقوا .

الفرسان فى آلات الضراب والطعان ، وأسرجوا الفيلة لركوب الملكين . ثم لما اصطف الفريقان وتقابل الجمعان أدركت الرقة جوا حتى كاد يحترق جوى . فارسل الى أخيه أحد ثقاته ينصحه على لسانه ويسأله أن يكف من عنانه ويشتغل بإصلاح الفاسد، ولا يغتر بمقالة[1] الكاشح والحاسد، على أنه يقسم الممالك فيكون له ما يختار منها ويريد. فأبى طلخند إلا التمادى فى غيه والاستمرار على غُلَوائه. وكان من جوابه أن قال : لا كان يوم أسلك فيه هذه المسالك أو أرضى منك بقسمة الممالك . فعظم ذلك على جو فاستحضر وزيره وسأله عن وجه التدبير فى كف أخيه عن مغامسة القتال، والتعرض لسفك دماء الأبطال . فقال : إنه، على ما أرى من أحكام النجوم، لاتطول مدّته . فداره بأبلغ ما يمكن، وولّه جميع الممالك ، وحكّمه فى جميع الذخائر والخزائن، وارض من الملك بتاج وخاتم . فاختار رجلا موسوما بالعقل والذكاء، وأرسله الى طلخند، وأمره أن يقول له : إن أخاك موجع القلب مما أنت مصر عليه من المنابذة . ولا ينسب ذلك إلا الى دستورك الذى هو العادل بك عن سواء الطريق . ولا يخفى عليك أن حوالينا جماعة من الأعداء مثل ملك كشمير وبغبور وغيرهما . ومهما تقاتلنا على التاج والتخت قرفونا بكل سوء، وأطلقوا فينا الألسنة، وزعموا أنا لسنا من أصل طاهر . وإنك إن نهضت الىّ لم أبخل عليك بالتاج والتخت . ولا عار عليك ولا غضاضة تلحقك فى أن تجنح الى مصالحة أخيك الأكبر بل تكون بذلك محمودا عند ملوك البحر والبر . وقد نصحتك إن قبلت . وإن لم تقبل ستندم[2] حين لا يغنى الندم، وتعض على يديك حين تزل بك القدم . فأتاه الرسول وأدّى اليه الرسالة فما نجعت فيه تلك المقالة . وكان من جوابه أن قال : قل له من أنت؟ ومن أين لك التاج والتخت حتى تمن بهما علىّ وتفوضهما الىّ؟ وما أراك إلا وقد أطلت الأمل حين شارفت الأجل ، وأنك حين رأيت الأمر إمرا أخذت تخادعنى حيلة ومكرا . وجعلت الرسل تتردد بينهما الى أن أمسوا . فنزل العسكران فى مواضعهما، وخندق كل واحد منهما حوالى معسكره، وبث الطلائع الى أن تبلج الإصباح. فارتفعت أصوات الكوسات من الجانبين، وتراءت أعلام الملكين. وترتبت الميامن والمياسر، ووقف كل واحد منهما فى قلب عسكره وبجنبه وزيره ودستوره . فأمر جو دستوره أن يأمر أصحابه بالا يبدءوا بالقتال، ويقول لهم : اذا رزقتم الظفر فلا تسفكوا الدماء. ومن وصل منكم الى موكب طلخند فينبغى أن يضع خده بين يديه على الرغام، ولا ينظر اليه إلا بعين الإكبار والإعظام . وأما طلخند فإنه أوصى رجاله بخلاف ذلك، وأمرهم بالقتل والنهب والقبض على أخيه وحمله أسيرا مكتفا اليه .

---

(١) طر : بمقالة الحاسد . (٢) هكذا فى النسخ . والصواب فستندم .

قال : فتزاحف الفريقان وتلاقى الجمعان وجرت وقعة عظيمة . وظهرت الغلبة لجوّ، وبقى طلخند وحده فى المعترك . فناداه جوّ وأشار عليه بأن يعود الى إيوانه . فعاد ووضعت الحرب أوزارها وأخمدت نارها . ثم اجتمع من تفرّق من عساكر طلخند عليه فخلع عليهم وأحسن اليهم، (١٨٣) واستأنف الأمر وعزم على معاودة اللقاء . فترددت بينهما الرسل وتكررت السفراء فى إصلاح ذات البين ولمّ الشعث من الجانبين . فلم يزدد طلخند إلا غلوا فى العصيان وتماديا فى الطغيان . فبرزا فى عساكرهما الى ساحل البحر، وحفر كل واحد منهما حوالى عسكره خندقا ألقى فيه الماء . ثم إنهم التقوا وجرت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها أكثر أصحاب طلخند، وبقى هو وحده فى المعترك . فنظر فرأى رجاله مجدّلين وقد أرتطم[1] بعضهم فى ذلك الخندق وبعضهم فى الصحراء . عظم عليه ذلك فانحنى وهو على ظهر الفيل، على قربوس سرجه وخرجت روحه من الأسف والهم . فنظر جوّ فلم ير راية أخيه فنفذ فارسا ليأتيه بخبره . فانصرف وأخبره بالحال . فترجل جوّ ومشى ميلين راجلا باكيا فرأى أخاه على تلك الحالة ففتشه من رأسه إلى قدمه فلم يجد به أثر ضربة ولا رمية فعلم أنه مات حتف أنفه . ثم إنه أخذ فى البكاء والنحيب فوصل وزيره وعزاه ، وشكر الله تعالى على أنه لم تكن ميتته قتلا على يده، وأشار عليه بأن يركب حتى يراه الناس فيسكنوا . فركب ونادى مناديه ألا فرق بين العسكرين . فانصرفوا مستظلين بظل الأمن والأمان . ثم إنه عمل تابوتا من العاج ووضع أخاه فيه، وعاد الى دار ملكه .

وكانت أمهما مضطربة تنتظر ما تسفر عنه تلك الوقعة ترجف أحشاؤها وتضطرب فرائصها وقد أرصدت على المراقب ربايا حتى يأتوها بالخبر . فلما طلعت رايات جوّ وفقدت أعلام طلخند أنهى اليها الخبر فزقت الثياب على نفسها وأخذت فى البكاء والعويل . ثم دخلت إلى إيوان طلخند، وأحرقت جميع ما كان له من الأثواب والأسلحة، وأوقدت نارا عظيمة وعزمت على أن تلقى نفسها فيها، على آيين الهنود ورسمهم . فلما أعلم جوّ بذلك تقدّم راكضا حتى أتاها فأمسكها وضمها الى صدره، وأخذ يسليها ويعزيها ويخبر أنه لم يباشر قتل أخيه ولا أحدٌ من أصحابه وذويه ، وأنه لم يمت إلا حتف أنفه . فلم تصدّقه أمه على ذلك، وأخذت تعنفه وتوبخه . فحلف لها على ذلك بالأيمان المغلظة . ثم قال لها : وإن كذبتنى فيما أقول أحرقت نفسى . وعزم على ذلك فرقّت له أمه، وقالت : إذا كان الأمر على ما ذكرت فأبن لى ما جرى فى هذه الوقعة ، وأنه كيف كان موت طلخند ، فلعلى أتسلى بذلك فينجلى عنى بعض ما بى من الهم والحزن والجزع والأسف . فانصرف جوّ الى إيوانه، وأحضر وزيره وفاوضه فيما دار بينه وبين أمه ، وذكر له ما التمسته منته . فأخذا

(١) طا ، طو ، لد ارتطم .

يتشاوران ويتفاوضان فقال الوزير : الرأى أن نجمع علماء الهنـد ونأمرهم بإعمـال الفكر فى حكاية صورة المعترك بما اشتمل عليه من العساكر والحفائر، وكيفية موت الشاه طلخند . فبثوا الرسل فى بلاد الهند وجمعوا العلمـاء عند الملك فأوقفوهم على صـورة المعترك وما جرى فيـه . فخلوا وباتوا ليلتهم فى ذلك الفكر حتى أصـبحوا . فاستحضروا الأبنـوس وعملوا تختا ، وصـوّروا فيـه مائة[1] بيت . ثم عملوا من الساج والعاج صورة شاهين معتصبين بالتاج مع جنودهما وخيولها وفيولها . ثم صفوها صفوفا فجعلوا كل واحد من الشاهين فى قلب عسكره وعلى يمينه وزيره ، والى جانب[2] كل واحد منهما من الميمنة والميسرة فيـلان ينتقلان فى ثلاثة بيـوت . وجعلوا دون الفيلين جملين عليهما راكبان ، ودونهما فرسين عليهما فارسان، ودون الفرسين رخين كأنهما مبارزان يركضان يمنة ويسرة، ولا يقف قدامهما أحد . ورتبوا الرجالة مصطفين أمام الكل . ومهما انتهى واحد منهـم الى آخر المعـترك صار فى مرتبة الوزير ، يقعد بجنب الشاه ويختلف بين يديه . ثم كل واحد من هؤلاء المقاتلين اذا رأى الشاه فى بيت صاح وأشار اليه بالإحجام والتنحى من ذلك البيت . ثم إن أحد العسكرين غلبوا فسدّوا الطريق على الشـاه . فنظر فرأى عساكر العدوّ قد[3] أحاطوا به من كل جانب، وسدّوا عليه كل مسلك فمات من الهم والأسف ما بين المعترك .

قال : فكانت أم طلخند تشاهد الشطرنج يلعب به عندها فتتعرّف أحوال ذلك المعترك الذى جرى فيه على ولدها ما جرى . ولم يزل ذلك دأبها الى أن قضت نحبها .

فهذا سبب وضع الشطرنج . والحمد لله رب العالمين .

§ ذكر نقل كتاب كليلة ودمنة الى خزانة كسرى أنو شروان

قال صاحب الكتاب : كان فى جمـلة حكماء أنو شروان طبيب حاذق قد أفنى عمره فى دراسة العلوم، موسوم بالعقل الكامل والعلم الوافر يسمى برزويَه (أ) . فدخل ذات يوم على الملك وقال : إنى قد وجدت فى كتب بعض علماء الهند أن فى جبالهم دواء لو نثر على الميت لعاد حيا يتكلم . وأنا

§ اذا استثنينا السبب الذى ذهب من أجله ذهب برزويَه الى الهند، وطريقة نقله الكتاب، وأن الذى ترجمه بزرجمهر لا برزويه — أمكن أن نعد ما تقصه الشاه فى هذا صدقا يؤيده التاريخ. وفى نسخ الشاه التى بيدى أن الكتاب ترجم الى العربية أيام المأمون . ولست أدرى أهى غلطة من الفردوسى أصلحها المترجم ام تحريف من النساخ .

(أ) فى الشاه : برزوى، [وهى فى وزن] مول بفتح الباء . وفى دائرة المعارف الاسلامية بضم الباء .

(١) طر، طا : صورة مائة بيت .

(٢) طر، طا : جانبى .

(٣) طر، طا : وقد .

أسأل الملك الإذن لأدخل الى تلك الديار فى طلب هـذا الدواء فلعلى أعثر عليـه . وليس يبعد من سـعادة الملك ويمن أيامه أن يسهل ذلك . فأصحبه الملك هدايا كثيرة وتحفا وافرة برسم ملك الهند، وأرسل اليه وكتب اليه كتابا يسأله فيه أن يدله على هذا الدواء، ويعينه على ذلك بمن عنده من العلماء والحكماء . فسار برزويه حتى وصل الى حضرة الراى فأوصل اليه ما صحبه من الهـدايا والتحف ، وأعطاه كتاب أنو شروان . فلما وقف عليـه أكرمه وأعز مقـدمه، وجمع علمـاء حضرته وحكماء بلاده ، وأمرهم بالدخول على برزويه الحكيم ومعاونته على ما قصد تلك الممالك لأجله . فاجتمعوا اليـه وأخذوا فى طلب تلك الحشيشة فى جبال الهنـد فلم يعثروا عليها . وعظم تعذرها على برزويه فانصرف ودخل على الراى وقال : كيف استجاز مصنف هذا الكتاب وصف هذا الدواء مع استحالة وجوده ؟ ولعله أخطأ فيما ذكر . ثم إنه قال لمن حضر من العلماء والحكماء : هل تعرفون فى هـذه الديار أحدا أعلم منكم ؟ فقالوا : إن هاهنا شيخا هو أكبرنا سـنا، وأغزر علما، وأوفر فضـلا . فقال : دلونى عليـه . ففعلوا فلما حصل عند الشيخ ذكر له ما وجده فى كتاب عالم الهند ثم ما تحمله من وعثاء السـفر وعناء الطريق فى ارتياده ، وأنه عجز عن معرفة ذلك جميع من هنالك من العلمـاء والحكماء . فقال الشيخ عند ذلك : أيها العالم ! حفظت شيئا وغابت عنك أشياء . إنما المراد بذلك الدواء البيان . والمراد بالجبل الذى هو منبته العلم . والمراد بالميت الجاهل نفسه . واذا تعلم الجاهل فكأنه اجتاب فضفاض الحياة . والعلم بمنزلة الروح من العظام الرفات . وكتاب كليلة ودمنة من هذا الدواء . وهو فى خزانه راى ملك الهنـد . فقام برزويه جذلا[1] مسرورا حتى أتى الملك فقـال : قد عرفنا الدواء الذى كنا فى طلبـه . وهو كتاب كليلة ودمنة الذى هو تحت ختم الملك فى خزانتـه .

(١٨١)

= ثم ترجمة البلعمى يظهر أنها لم تتم . وليس لدينا من ترجمة الرودكى إلا أبياتا قليلة فى كتاب لغة الفرس للأسدى . وترجمة نصر الله بن عبد الحميـد لا تزال متداولة معروفة . وهناك تراجم أخرى عربية وفارسية منظومة ومنثورة . ثم للكتاب قبل ترجمة ابن المقفع وبعدها تاريخ طويل لا يتسع له المجال هنا[2] .

ويذكر الفردوسى قصة كليلة ودمنة تحت عنوان واحد :

إرسال نوشين روان برزويه الى الهند لجلب العشب العجيب، وإحضار برزويه كتاب كليلة ودمنة.

ويختم الفصل بمدح السلطان محمود الغزنوى .

(١) طا ، طر : جذلان . (٢) دائرة المعارف الاسلامية .

والمسئول أن يؤمر(١) الخازن بإحضاره . فعظم ذلك على الملك وقال لبزرويه : إنه لم يطلب أحد هذا الكتاب، ولا وقف عليه ، ولكن لو طلب منا الملك أنو شروان أرواحنا لم نبخل عليه . ثم أمر بإحضاره بين يديه، وشرط عليه ألا يكتب منه شيئا ،ويقنع بمطالعته . فكان كل يوم يحضر ويطالع من الكتاب بابا ويحفظه ويكرر عليه فى نفسه . فاذا رجع الى بيته كتب الباب الذى حفظه، ونفذه الى أنو شروان . ولم يزل ذلك دأبه حتى أتى على جميع الكتاب .

قال : وأتاه كتاب أنو شروان باستكمال أبواب الكتاب أجمع وحصول بحر العلوم لديه . فاستأذن برزويه عنـد ذلك ملك الهند بالانصراف الى حضرة أنو شروان . فخلع عليـه وأعطاه عطايا كثيرة ومالا وافـرا ، وصرفه الى خدمة أنو شروان . فخرج الحكيم من قنوج صاعد النجم ، عالى الجـد ، مقرون الحاجة بالنجاح ، فائزا فوز المعلّى من القداح . فلمـا حصل عنـد أنو شروان أكرمه وأعزه وشكر له سعيه، وخيره فى جميع ما تشتمل عليـه خزائنه . فلم يختر غير دست من الملابس الخسروانية الخاصة فلبسها ودخل عليـه . وقال له الملك : ما بالك لم تلبس الطوق والسـوار ، واقتصرت من كنوزنا على هذا القدر ؟ فقبل برزويه الأرض بين يديه وقال : من لبس خلعة الملك فقد تسنم تحت الجلال واستولى على أمد الكمال، وأرغم أنف الحاسد الكاشح، وأقر عين الولى الناصح . وإن حاجتى عند الملك أن يأمر بُزُرجِمهر، اذا حرر هـذا الكتاب للخزانة ، أن يفتتحه ببـاب يشتمل على ذكر العبد حتى يبقى اسمه بعد موته بين الخلق . فقال أنو شروان : إن هذه أمنية عظيمة ، ولكنا لاندفع فى نحر مرادك، ونسعفك بذلك . ثم أمر بزرجمهر بأن يصدر الكتاب بباب يشتمل على ذكر برزويه الطبيب. ففعل ونقل الكتاب بعباراته البارعة وألفاظه الساحرة باللسان الفهلوى الى البياض الخسروى. وبقى كذلك إلى زمان أمير المؤمنين المنصور ثانى الأئمة الهـاشمية(٢) . فإنه أمر عبد الله بن المقفع فنقله إلى اللسان العربى . ثم لمـا ملك نصر بن أحمد بن اسمعيل السامانى أمر وزيره أبا الفضـل البلعمى فنقله إلى اللسان الفارسى نثرا . ثم أمر الروذكى الشاعر فنظمه أراجيز باللسان العجمى أيضا (أ) .

قلت : فبقى الكتاب بالعبارة الفارسية القديمة إلى زمان السلطان بهرامشاه بن مسعود بن ابراهيم ابن مسـعود بن محمود بن سـبكتكين رضى الله عنهم . فتصـدّى أبو المعالى نصر الله بن محمـد بن عبد الحميـد الكاتب الغزنوى فحرره بألفاظه الزاهرة وعباراته البـاهرة، ورصعه باسـتعارات تروق

(أ) هذا تاريخ الكتاب فى الفارسية والعربية إلى زمن الفردوسى . وقد حذف المترجم هنا أبياتا فى مدح السلطان محمود فيها عتـاب .

(١) طو : يأمر . (٢) طا ، طو : صلوات الله عليهم .

النفوس، ووشحه بإشارات تشرح الصدور، ومزجه بأمثال العرب وأشعارهم الفصيحة . فنسخ به ما قبله، وصار ما عمله مفخرا للعجم لم يحرر مثله فى أسلوب الترسل الفارسى (أ) والسلام .

ذكر تقلب الزمان على بُزُرجِمهر، وغضب أنوشروان عليه (ب)

قال الفردوسى صاحب الكتاب : اتفق أن أنوشروان خرج ذات يوم من المدائن يتصيد فركض خلف الغزلان والأوعال حتى تعب وانفرد عن العسكر. فانتهى الى روضة ذات ماء وشجر. وبزرجمهر معه لا يفارقه لمحبته له . فنزل ليستريح ساعة ويغفى لحظة[(١)] ولم يكن معه غير وصيف . فتمدّد على تلك الأرض فى نباتها، ووضع رأسه فى حجر بزرجمهر فنام ومعه دملج مرصع بالجواهر . فوقع عليه طائر أسود (حـ) واقتلع بمنقاره تلك الجواهر وابتلعها واحدا واحدا ثم طار وحلق فى السماء . فعظم ذلك على بزرجمهر وتطير منه وعض على يديه . فاستيقظ الملك ورأى بزرجمهر متغيرا فتوهم أن ريحا خرجت منه فى حال نومه وأن تغير بزرجمهر من أجل ذلك. فتنمر من ذلك واستشاط وقال : من أخبرك أيها الكلب بأن إمساك ما تدفعه الطبيعة مستطاع؟ وهل جبلتُ إلا من التراب والنار والهواء؟ وشتمه شتما كثيرا (ء) فلم ينبس بزرجمهر بكلمة، وكادت الأرض تسوخ به حين رأى تجهم وجه السعادة عليه، وتسرع صرف الزمان اليه . فبقى واجما يعض براجمه ، ويذرى من الدمع ساجمه . فركب كسرى مغضبا وعاد الى إيوانه، وأمر بأن يمنع بزرجمهر من الخروج من قصره . وجعله سجنا عليه، ووكل به فيه .

وكان لبزرجمهر قريب يخدم الملك . وكان يساكن بزرجمهر فى ذلك القصر . فسأله يوما وقال : كيف خدمتك للملك؟ فقال : اعلم أن الملك اليوم نظر إلىّ نظرة كادت تزهق روحى . وذلك أنى لما رفع السماط قدّمت اليه الطست والإبريق . فكنت أصب الماء على يده فنظر إلىّ مغضبا ففت فى عضدى ، وخدرت على الإبريق يدى . فأمره بزرجمهر بأن يحضر الطست

(أ) هذا تاريخ الكتاب الى عهد المترجم . وقد كتب بعد ذلك بالعربية والفارسية نظما ونثرا .

(ب) هذه القصة فى الشاه فيها عنوانان . غضب نوشين روان على بوزرجمهر والأمر بحبسه . إرسال قيصر درجا مقفلا، وإطلاق بوزرجمهر ليخبر بما فيه .

(حـ) فى الشاه : أن الدملج سقط من ذراع الملك فجاء الطائر ... الخ .

(ء) فى الشاه : مول، وورنر، وطبعة تبريز أن الملك استيقظ فرأى بزرجمهر عاضا على شفتيه، ونظر الى ذراعه فلم يجد الدملج فظن أن بزرجمهر ابتلعه . ولكن كلام أنوشروان يرجح رواية المترجم هنا .

(١) صل : ساعة . والتصحيح من طا، طر .

والإبريق . وقال[1] له : أفرغ المـاء على يدى كما كنت تفرغه على يد الملك . ففعل فقـال له : اذا صببت المـاء على يدى الملك بعد هـذا فلا تضيق المـاء عليه . وحين يمسح شفتيه بالطيب فلا تقطع المـاء بل استمر على إفراغه رهوا رهوا كما كنت تفرغه . فأخذ ذلك بمجامع قلب الشاب . ولما قدم الطست فى اليوم الثانى الى الملك فعـل ما أمره به بزرجمهر . فارتضى الملك فعله وقال : أى شىء قال لك بزرجمهر غير هذا؟ ثم قال له : قل له لم آثرت الانحطاط من تلك المنزلة الرفيعة والمرتبة الجليلة بسوء خلقك وخبث أصلك؟ فانصرف الشاب وبلغ بزرجمهر قول الملك . فقال فى الجواب: أنا فى السر والجهر أحسن حالا من الملك بكثير . فعاود الحضرة وبلغـه ذلك الجواب . فاغتاظ من كلامه وأمر بأن يقيد ويجعـل فى جب . ثم بعد مدّة أخرى قال لذلك الغلام : كيف حال ذلك الشقىّ؟ فجاء الغلام وأخبره بمـا قال الملك . فقال : إن يومى من يوم الملك أوفق ، وحالى من من حاله أرفق . فعاد الشاب وبلغ الملك جوابه . فتنمر واحتدم من الغيظ وأمر به فحبس فى تنور من الحـديد مسمر من باطنه بمسامير محدّدة (ا) . فبقى على حالته هـذه نابى الجنب كاسف الحال مدّة أخرى . فقال أنوشروان لغلامه : سل ذلك الخبيث عن حاله . فسأله فلم يجبه إلا بالجواب الأوّل . فانصرف الغلام وأعلمه بذلك . فازداد تغيظا وتنمرا ، ونفذ اليه موبذا مع صاحب سيفه ، وأمره أن يسأله عن معنى قوله أن حاله فى حبسه ، مع ما هو فيـه من الشـدّة والضيق ، أوفق من حال الملك على تخته . وقال : إن لم يأت بجواب لائق ضربت رقبتـه . فجاء الموبذ وسأله عن ذلك ، فقال : إن الشـدّة والرخاء ينتهيان . والانتقال عن الشـدّة والبلاء الى دار البقاء هين يسير . والانتقال عن التاج والتخت عن[2] دار الفناء صعب عسير . فرجع الموبذ وأعلم أنوشروان بما قال . فتأثر بقوله وفزع من صرف الزمان وريبـه فأمر به فأخرج من محبسه ، وأعيد الى قصره . ولم يزل على حاله الى أن دارت عليه أدوار من الدهر فكف بصره ، وضعف جسمه .

(١٨٥)

قال : فورد فى ذلك العهد رسول من عند قيصر ملك الروم ومعه تحف كثيرة وهدايا فاخرة . وفى جملتها[3] صندوق مقفل مختوم . فقال الرسول : إن قيصر يقول إن على أبواب الملك جمـاعة من العلماء والموابذة فليسألهم الملك عما هو مخبوء فى هذا الدرج المختوم . فان أخبروا به التزمنا الخراج . وإن عجزوا فلا يطالبنا بشىء . فقال أنوشروان : إنا سنخبر عن ذلك بعون الله وقوته . وأمر بإنزال الرسول فأحضر العلماء والموابذة وأمرهم أن يخبروا عما يحتوى عليـه ذلك الدرج فعجزوا عنه .

(ا) هذا كالذى يروون عن تنور محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم العباسى .

(١) طا ، طر : فقال . (٢) طا ، طر : الى . (٣) صل : جملته . والتصحيح عن طا ، طر .

فأرسل الى بزرجمهر، واعتذر اليــه عما سبق منه اليه[١]، ونفذ اليه دست ثوب من ملابسه، وأمره بالحضور. فاستحم بزرجمهر وتنظف، وبات ليلته بين يدى ربه باكيا ساجدا[٢]. ولمـا أصبح أحس باقبال السعادة عليــه ورجوع الدولة اليه. فركب واستصحب بعض ثقاته من العلماء، وأمره بأن يخبره بأول من يراه فى طريقه ولا يسأله عن اسمه وحاله. فكان أول من التقاه امرأة حسناء صبيحة الوجه. فأخبر بزرجمهر فقال له: سل المرأة هل لها زوج. فسألها فقالت: لى زوج وولد. فلما سمع ذلك اهتز على ظهر الفرس. ثم سار فالتقته امرأة أخرى جميلة المنظر فأمر صاحبه فسأل المرأة. هل لها زوج وولد؟ فقالت: نعم لى زوج ولكن ليس لى ولد. ثم ظهرت له امرأة أخرى فسألها عن الزوج والولد فقالت: إنى جارية عذراء لم يمسنى بشر. فاستمر بزرجمهر فى طريقه حتى دخل على الملك. فأمر بتقديمه الى خدمة التخت. ولمـا رآه مكفوفا عظم عليــه ذلك واهتم من أجله. ثم اعتذر اليــه واسترضاه. ثم فاوضه فى رسالة قيصر واقتراحه. فدعا للملك وأثنى عليــه وقال: إن أظلمت العين فالقلب منور بسعادة الملك. وسأكشف القناع عن وجه هذا السر وأظهره للحاضرين، وأجلوه للناظرين. فارتاح الملك لقوله واستبشر، وتهلل وجهه، وانصات ظهره. فأحضر جميع الموابذة والعلمـاء، وأمر بإحضار الرسول. فلما حضر أمره أن يعيد الرسالة بين يدى بزرجمهر. فشرع الرسول وأعادها، فتصدّى بزرجمهر وحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم دعا للملك ثم قال: إن فى هذا الدرج دررا ثلاثا. إحداها مثقوبة، والثانية نصفها مثقوب، والثالثة بكر لم تثقب، ولم يمسها حديد. فلمـا سمع الرسول مقاله أحضر مفتاح الصندوق وفتحوه[٣] فاذا فيه ثلاث درر كما وصف بزرجمهر. فتعجب الحاضرون من نور بصيرته وكمال ذكائه فنثروا عليه الجواهر. وأمر الملك فحشى فوه باللآلئ. وندم على ما عامله به من قبل، وضاق صدره حتى بان فى وجهه أثر الهم والأسف. فلما علم بزرجمهر بذلك ذكر للملك ما جرى عليــه فى ذلك المتصيد من نزول الطائر الأســود والتقاطه جواهر الدملج وابتلاعه إياها، ودعا للملك. ثم انفض المجلس[٤].

ذكر نبذ من توقيعات أنوشروان

قال صاحب الكتاب: إن الملك وإن كان شامخ الأنف طامح الطرف فلن يتحلى إيوانه إلا بالوزير، ولن تستقيم أموره إلا بالدستور. ولا شغل للملوك غير الصــيد والطرد، والعيش والطرب، وحضور الوقائع عند الحاجة، والإحسان إلى الرعية والترفرف عليهم بجناح الرأفة والرحمة، ثم الوقوف

---

(١) طا، طر: له. (٢) طا، طر: وساجدا. (٣) طا، طر: ففتحوه. (٤) طا: والسلام.

على سير الملوك السالفة والتقيل بهم فى خلالهم الحميدة، والتحلى بصفاتهم المرضية . والوزراء هم الذين يتجرعون مرارة الغصص، ويتحملون أثقال التعب فى إحراز الخزائن، ونظم شمل الذخائر، والإصغاء إلى ظلامات الرعية، والحكومة بينهم على مقتضى العدل والنصفة . وعلى هذا درج ملوك العجم حتى ولى أنو شروان. فانه لما ملك نقض تلك القاعدة، ورفض تلك العادة، وباشر الأمور بنفسه، وساس الجمهور برأيه وتدبيره . فكان هو الملك والبهلوان وصاحب السيف وصاحب القلم معا . وكانت له أصحاب أخبار يرفعون اليه كل ما يجرى فى ممالكه من الحسن والقبيح، والمعوج والمستقيم فيوقع بتقرير ما يرى تقريره، وإزالة ما يرى إزالته .

فمن جملة توقيعاته ما ذكر أن بعض الموابذة رفع اليه وقال : إنك تصفح للجانى عن ذنبه ثم إذا عاود ذنبه تأمر بصلبه وإن كان مستقيلا متنصلا عن زلته . فوقّع وقال : " نحن كالأطباء . والمجرم المصرّ على الذنب كالمريض المشرف على الموت ، امتنع عن شرب الدواء؛ نسقيه شربة واحدة فاذا رأيناها لا تنجع فيه غسلنا أيدينا منه وقطعنا رجاءنا عنه . والسلام". ورفع اليه آخر وقال : إن صاحب جيش جرجان برز إلى الصحراء فتغافل فى معسكره فانتهب بالليل ثقله . وهو يريد الانصراف لإصلاح أمره وترتيب أسبابه . فوقع فى الجواب: "إنا فى غناء عن حافظ جيش لايقدر على حفظ رحله". فكان ذلك سبب عزله . ورفع اليه آخر وقال : إن هاهنا رجلا ذا ثروة تزيد كنوزه على كنوز الملك . فوقع فى الجواب : " نسوغ له ذلك . فماله حلية لأيامنا وزينة لسلطاننا " . ورفع اليه آخر وقال : إن صاحب اليمن قال على رءوس الملأ إن أنو شروان يكثر ذكر الأموات، ويضيق الدنيا بأذاه على الأحياء . فأجاب وقال : " لا يذكر الموت إلا من كان موصوفا بالعقل والذكاء . ومن أعرض صفحا عن الأموات لم يستقم حاله فى أيام الحياة" . ورفع اليه موبذ آخر أن أحد بزاة الملك اصطاد عقابا . فوقع وقال : "يقصف ظهر هذا الباز لإقدامه على من هو أكبر منه قدرا . ثم يصلب ليعتبر به الصغير فلا يتجاسر على الكبير" . ورفع اليه آخر وقال: إن برزين الإصبهبذ لما برز فى جموعه وجنوده وأعلامه وبنوده قال بعض أهل التنجيم : إنه لن يرى بعد هذا أبدا على باب الملك . فوقع وقال : " إن طالع الشمس والقمر لا يعتريه النحس ببرزين وغيره " . ورفع اليه آخر وقال : قد تقدّم الملك بطلب رجل كريم الأصل وافر الفضل ليدور فى الممالك ويطالع أحوال الرعية . وكشسب الكبير رجل طاعن فى السن يصلح لهذا الأمر . فوقع فى الجواب وقال : " هو رجل حريص يرجح جانب الغنىّ على الفقير . ولا يصلح لهذا الأمر إلا من حلب الدهر أشطره، وذاق حلوه ومره، وكان صعب العريكة مستقيم الطريقة يعنى بشأن الفقير أكثر مما يعنى بشأن الغنى ".

(١٨٦)

ورفع اليه آخر وقال : صاحب الطعام الخاص يقول : الملك يقترح على لذائذ الأطعمة فاذا أصلحتها ووضعتها بين يديه على الخوان ما اشتمها ولم يذق منها . فقال : "الأصوب أن تلجم النفس بشكيمة المنع عند الشره". ورفع اليه آخر وقال: إن أولياء الملك يخافون عليه عند خروجه فى خِفّ من أصحابه فى متصيداته وغيرها ، ويخشون، حاشاه، أن يهتبل عدو فيه غرة أو ينتهز كاشح فرصة . فوقع فى جوابه : "كفى بالعدل حارسا، وباستقامة الدين حافظا" . وكتب اليه آخر وقد عزل واليا : إن الناس يقولون : أى ذنب صدر من فلان حتى عزله الملك؟ فقال : " إنه خالف أمرنا ونقض عهدنا حين أمرناه ألا يغلق باب كنزنا عن المحتاجين ، ولا يحرم المسترفدين والسائلين . ومن ضن بمعروف الملوك فقد أراد بهم شرا ، وأوسعهم ضيرا وضرا " . ورفع اليه آخر وقال : مابال الملك اذا قصد قتال الروم لا يستصحب من عساكره عامة إلا رجال إيران خاصة ؟ فقال : " لأنهم جبلوا على عداوتهم فيكونون[1] أبلغ فى نكايتهم " . ورفع اليه آخر وقال : إن فلانا العامل قد أنفق على نفسه من مال الديوان ثلاثمائة ألف درهم . والنواب يطالبونه فما يبض[2] حجره ولا تندى صفاته . فوقع وقال: " ليفرج عنه ولا يطالب، وليعط من الخزانة مثل ذلك " . ورفع اليه آخر أن فلانا جرح فى وقعة الروم فطال مرضه ثم مات وخلف طفلين . فوقع بأن يدفع اليهما أربعة آلاف درهم، وكل من قتل من الأجناد فى وقعة وخلف أطفالا فلا يمحو[3] كاتب الجيش اسمه، وليدر رزقه على من خلف بعده . ورفع اليه آخر وقال: إن بهلوان مرو قد جبا من أهلها مالا عظيما قد أجحف ذلك بالرعية حتى تفرقوا من البلد . فوقع وقال : " ترد تلك الأموال الى أصحابها ، وتغرز خشبة عند دار الوالى على بابها، ويصلب هنالك ليعتبر به سائر الولاة " . ورفع اليه آخر وقال : إن رعايا الملك يشكرون الله تعالى على ما أنعم به عليهم من عدله ، وسوغ لهم من إفضاله وفضله . فوقع وقال : " الحمد لله على نعمة طيب قلوبهم وانشراح صدورهم " . ورفع اليه آخر وقال : إن العالم قد امتلأ من ألحان المطربين وشغب[4] الشاربين . فلا يذوق بالليل ذو ناظر غرارا من شغب السكارى . فقال : "لازالت قلوب الأصاغر والأكابر فى أيامنا مسرورة، وصدورهم مشروحة ". (١)

---

(١) حذف المترجم فى آخر هذا الفصل أبياتا يمدح بها الفردوسى السلطان محمودا ويذكر استيلاءه على الهند . ثم حذف بعد هذا الفصل فصلين : أولهما نصيحة أنوشروان لابنه هرمزد، وفى آخره أبيات فى مدح السلطان محمود . والثانى إجابة الملك عن أسئلة كثيرة فى الدين والأخلاق وغيرها . وهو فصل ممتع فيه ماثتا بيت .

(١) صل، طا، طر : يكونوا . (٢) صل، طا، طر : تبض . (٣) طر : يمحون .

(٤) طا، طر : شرب .

§ ذكر خروج كسرى أنوشروان الى قتال الروم وقصة الخفّاف

قال صاحب الكتاب : رأيت فى أخبار ملوك الفرس أن كسرى بلغه موت صاحب الروم وقيام ابنــه مقامه فاستولى هم الموت على قلبــه ، وتورّست من الوجل وجنات خدّه . ثم إنه اختار أحد دهاة حضرته وأركان دولته، وأرسله الى ابن صاحب الروم وكتب اليــه كتابا يعزيه فيه عن أبيــه، ويذكر طرفا من النصائح والمواعظ فى مطاويه . وقال فى صدر الكتاب: « من كسرى الى قيصر » . فلما وصل اليــه[1] الكتاب استشاط واغتاظ من ابتداء كسرى باسمه . فلم يرفع بالرسول رأسا، ولا مدّ اليــه للمصافحة أو المعانقة يدا . وسايله مسايلة مغتاظ ، وفاوضه مفاوضــة متنمر ، وأمر به فأنزل فى موضع بعيــد عنه غير لائق به . فاجتمع أكابر الروم وربضوا حجرة، واعتذروا الى الرسول بأن قيصر شاب غرير، وأنه بعــد فى ريعان العمر ومقتبل الأمر . وسألوه أن يسأل كسرى ألا يقــدّم اسمه فى عنوان كتابه اليه، وألا يطلب منه خراج سنة . فعاد الرسول الى أنوشروان وأخبره بما جرى . فاغتــاظ وحلف ألا يبقى من الروم باقية وأنه لا بدّ من أن يطأ ديارهم وينهب بلادهم ويبيــد خضراءهم . وأمر فشدّت الكوسات على كواهل الأفيال ، ونفخ فى البوقات والنايات . فخرج من

---

§ مات الامبراطور جُستنيان ســنة ٥٦٥ م فخلفه ابن أخيه جُستين وأثار الحرب الثالثــة بين الفرس والروم سنة ٥٧٢ بعد ســلم عشر سنين . وقد قاد أنوشروان الجيش وهزم الروم المحاصرين نصيبين، وأرسل جيشا للإغارة على سورية وحاصر دارا حتى فتحها سنة ٥٧٣ م . وكان لفتحها وقع على الروم اضطر الامبراطور جستين الى التخلى عن العرش فخلفه تِبِريوس واشترى من الفرس هدنة عام بخمسة وأربعين ألف قطعــة ذهب، ثم هدنة ثلاث سنين بثلاثين ألفا كل ســنة . وقد عادت الحرب بين الأمتين ومات أنوشران وهى مستعرة[2] .

ويرى القارئ أن الشاه تخالف ما هنا بعض المخالفة . وكأنها وضعت حصار قلعة حلب موضع حصار قلعة دارا، على أن وصف القلعة هنا يذكر بقلعة حلب العظيمة والخندق العميق المحيط بها .

وفى الشاه هنا هذه العناوين :

(١) تعبئة نوشين روان لحرب قيصر . (٢) استيلاؤه على قلعة سقيلا، وقصة الإسكاف .
(٣) مجىء رسول قيصر معتذرا مقدّما هدايا .

---

(١) طا، طر : وصل الكتاب .

(٢) وارنر (Warner) ج ٨ ص ٢٤١ سيكس (Sykes) ج ١ : أنوشروان .

المدائن فى عسكر كالبحر الأخضر، وسار قاصدا قصد قيصر . فلما انتهى الخبر اليه بخروج أنو شروان لقتاله خرج من عمورية وجاء الى حلب، وامتلأت الأقطار من الصخب والجلب . وتحصن فى ثلاثمائة ألف فارس بحصار حلب . ووصلت عساكر أنو شروان من هذا الجانب وقامت الحرب بينهم على ساق . فأخذوا بعض القلاع المتاخمة لحلب واستأسر لهم زهاء ثلاثين ألف فارس من الروم، وكثر القتل والقتال حتى صارت نواحى حلب كبحر لجىّ يتلاطم بأمواج الدماء . ثم إنهم عملوا قدام الحصار خندقا عظيما طرحوا فيه الماء فلم يمكن عساكر الفرس أن يعبروه . وطالت عليهم المدة، واستنفدت الخزائن، وفنيت الأقوات، واحتاجت العساكر الى نفقاتهم . فاستدعى الملك مقدّم أصحاب ديوان الأرزاق، وفاوضه فى معنى مشاهرات الأجناد ووظائفهم وأرزاقهم . فذكر أن حاصل الخزانة يعجز عن ذلك . فغضب واستدعى بزر جمهر وأمره أن يدعو "الساربان" الخاص، وينفذ الجمال الى مازندران فيوقر منها مائة بُختى ذهبا ، ويحملها اليه . فقال بزر جمهر : أيها الملك[(١)] ! إن الشقة بيننا و بين مازندران بعيدة . فإن رأيت استقرضنا من التجار وأصحاب الأموال الذين هم فى البلاد التى حوالينا و بالقرب منا . واذا وصلت الخزانة أوفيناهم منها . فوافقه الملك فيما قال . فندب بزر جمهر بعض الكفاة ونفذه الى البلاد القريبة من المعسكر ليستقرض من التجار والدهاقنة مااحتاجوا اليه لتتمة نفقات العسكر . فلما انتهى الرسول الى حيث أمر اجتمع اليه أرباب الأموال وفى جملتهم رجل إسكاف فقال له : كم تريد من الدراهم ؟ فقال : أربعة آلاف ألف درهم . فقال: أنا أعطيكم هذا القدر، والمنة علىّ فى ذلك . فأحضروا الوزانين والكتاب، وسلم اليهم الدراهم . ثم قال له أرجو أن تقول لبزر جمهر : إنه ليس لى فى الدنيا غير ولد . وسؤالى أن يستاذن الملك حتى أسلم هذا الصبى إلى المؤدبين والمعلمين حتى يتعلم الخط والأدب . فانصرف الرسول بأحمال الدراهم إلى خدمة بزر جمهر، وعرض عليه ما التمسه الإسكاف . فقام ودخل على الملك وقال : إنه قد قام بما احتجنا اليه إسكاف يسكن بعض[(٢)] بلاد الملك . فحمد الله وأثنى عليه وشكره على ثروة رعيته وغناهم . ثم قال لبزر جمهر : انظر ما أمنية هذا الرجل وما حاجته فاقضها . وإذا أوفيته القرض فزده مائة ألف درهم حتى تطيب قلوب الرعية، ويتجاسروا على اقتناء الأموال وكنز الذخائر . فقال له بزر جمهر : إن لهذا الرجل حاجة قد عرضها . فإن أذن الملك أوصلتها إلى مسامعه . فأذن له فقال : إنه يقول : لى ولد عاقل . وأنا أرجو من الملك أن يأذن لى فى تعليمه الخط والأدب . فقال : أيها الدستور اليقظان ! مالك قد خاط عينك الشيطان ؟ انصرف ورد عليه

(١٨٧)

(١) طا، طر : أيها الملك (لا) م . (٢) طر : فى بلاد .

أحمال الدراهم والدنانير . فما لنا حاجة إلى[1] أموال هذا الرجل . أما تعلم أن ولد المحترف إذا صار كاتبا أديبا، وعالما أريبا، صار من الغد لولدنا خادما ومنه قريبا . فلا يبقى عند أهل الأدب وأرباب الحسب والنسب من أهل البيوتات وأصحاب المروءات سوى الهم والحزن والحسرة والأسف . وهل يأتى الخير من ولد المحترف ؟ وإنه مهما اعتلت درجته استهان بذوى الألباب، واستعظم لهم فى الثواب رد الجواب، فيستجلب لنا بعد موتنا اللعن والذم . وإنى لست أطلب الأموال إلا من حاصل الخزانة المدخرة من العدل . فلا تأخذ من هذا الإسكاف شيئا، ولا تتعب نفسك، ورد عليه ماله . فامتثل بزرجمهر ما أمره به الملك ورد على الإسكاف دراهمه . فأخذ شاحبَ اللون ساهمه يعض من الأسف أباهمه .

قلت : وقد أورد أبو النصر العتبى فى هذا المعنى فصلا فقال: "ولولا أن قصد الشريعة أن تسمح بخيرها على العموم، وتكافؤ بين الكافة فى فضلها المعلوم إباحة للكتابة التى هى قيد العلوم وصيد الحكم المبثوثة فى الرقوم لقلت: لله در ساسة العجم ورفعة أقدار الدواة والقلم! حين عنسوها دون ذوى الاستحقاق، وخدروها إلا على الكرام العتاق .

لله در أنو شروان من رجل	ما كان أعرفه بالدون والسفل
نهاهم أن يمسوا بعده قلما	وأن يذل بنو الأحرار بالعمل

فما كل نحيزه لها كفاءة فى مناكحة الآداب، وملاءة فى متاجرة الكتاب . ولا كل مَسك يصلح للمسك وعاء، ولا كل ذرور يصلح للعين جلاء . فأضيع شىء عقد فى نحر خنزير، وحد بكف ضرير، ونقس على بنان فاجر شرير .

قال : ولما أمسى أنوشروان وجه الطلائع فتوجهت نحو الخندق . فلما أصبحوا عادوا وقالوا: قد جاء رسول قيصر مستكينا متضرعا، وعن الذنوب متنصلا . فتعجب أنوشروان وأمر بادخاله عليه . فدخل ولما وقعت عينه على وجهه وتاجه قال فى نفسه: إن هذا هو المستحق للملك القمن بالرجولية والتقدم . وكان معه أربعون فيلسوفا مع كل واحد منهم ثلاثون ألف دينار برسم النثار . فلما دنوا من الملك خدموا باكين، وخشعوا وضرعوا . فأقعدهم الملك وأجلس كل واحد منهم فى موضعه الذى يليق به . فتصدى منهم واحد للكلام وقال : أيها الملك ! إن قيصر شاب جديد ملابس العمر، لم يمارس الأمور شبه الغمر، ولا يميز بين السر والجهر . ونحن كلنا عبيدك المتقلدون لربقة طاعتك، الملتزمون لما تأمرنا به من الخراج، المستظلون منك بظل الأمان . ولا فرق بين

(١) طا . طر : فى أموال .

المملكتين، فالروم لك كفارس وفارس كالروم . وأنت أعقل ملوك الأرض . وقد كان قيصر لايستظهر إلا بك ولا يسند ظهره إلا اليك . والآن إن تكلم صبي غير بالغ مبلغ الرجال بغير عقل يهديه فلا ينبغى أن تحقد عليه . ثم إنا مؤدّون من الخراج ما تقرّر علينا فى الزمان الأوّل . فليكتب لنا عهد نركن اليه ونعوّل عليه . فتبسم أنوشروان وقال : كل من ينقض عهدنا ويخلع ربقة طاعتنا فلا بد أن نثير من أرضه التراب (أ) ونذيقه من بأسنا العذاب . فخرت الرسل عند ذلك ووضعوا جباههم على الأرض فقالوا: أيها الملك المظفر! لا تؤاخذنا بما قد سلف . فنحن تراب قدمك، وحفظة كنوزك المتعرضون لاسترضائك . وإن كان الملك قد التزم فى هـذه الحركة مؤونة وخرجا فانا نضيف الى الخراج المقنن ملء عشرة من جلود البقر ذهبا أو أزيد أو أنقص، كما تخرج المراسم الشاهنشاهية . فأمرهم بالحضور بين يدى موبذ الموبذان حتى يقرّر عنـده ما يلتزمون من الخراج والخدمة . فقاموا وحضروا عنـده فاستقر الأمر بينهم على أن يضيفوا الى ملء عشرة من جلود البقر من الذهب ألف ثوب من النسيج الرومى برسم الخزانة وخلَع الأجناد . فتراضوا بذلك وانصرف الرسـل . وأقام الملك فى ذلك المنزل إلى أن استراح واسـتراحت العسا كر . فجرّد عند ذلك بعض الخـدم لاستيفاء خراج الروم ، وأمر بالرحيـل . فعاد والنصر على يمينه ، والظفر على يساره متوجها نحو طيسفون . وسار إلى أن قرب من المدينــة فتلقته الأمراء والأكابر مشاة يدعون الله تعالى و يشكرونه . فلما قرب الملك أظهر يده للسادات والأكابر فنثروا عليهـا القبل ، ونالوا بذلك غاية الأمل . وهـذا آخر القصة المنسوبة الى الخفـاف .

ذكر عهد أنوشروان الى ولده هُرمُزد، وتدبيره مع بُزُرجِمهر فى ذلك (ب)

قال صاحب الكتاب رحمه الله : إن للأيام أدوارا مختلفة، وأطوارا متباينة . فيوما هبوط و يوما صعود، وتارة نحوس وآونة سعود . وكل الى التراب يرجع، وفى مطاويه يضجع ؛ فمن بين معذب فى سموم وحميم، ومرفه فى ترف ونعيم . و ياليتنا نعلم حال من مضى فى فرح هم وحبور أم و يل وثبور . ولئن كانت حالهم على خلاف ما أملوا فى الآخرة فقد أمنوا هول الموت وعبروا بحاره الزاخرة . ثم إنك (١٨٨) سواء عليك أسنة أتت عليك أم سنون ، والحالتان واحدة اذا ذكرت المنون . ولم يطلب الموت لا لمن عاش فى السرور والفرح، ولا لمن كان حلفا للهموم والترح . وكل بر وفاجر من تجرّع غصصه

(أ) هذه الجملة ترجمة : أز آباد و بوش برآريم خاك .

(ب) فى الشاه نامه هنا هـذه العناوين : (١) اختيار نوشين روان هرمزد لخلافة ، (٢) امتحان الموابذة هرمزد و إجابته ، (٣) توليه العهد ونصحه .

مستجير، وكل صالح وطالح من مرارة كأسه مستعيذ. وقبيح بك أيها الذى تعاورته الشهور والأعوام أن تذكر لديك الجام والمدام . إن الشراب للشيخ الكبير كقميص الشعر فى الزمهرير (١) . وهل بد من رحيلك خلف أصحابك؟ وكيف تبقى أنت وما أبقى الزمان على أترابك؟ .

إن أنوشروان لما أناف على أربع وسبعين سنة من عمره امتلأ قلبه من فكر الممات، وتردّد بين اليأس والطمع فى الحياة . فطلب للملك من يقوم بأعبائه، ويلبس مدارع العدل فى قضائه، ويشفق على الرعية، ويعرف بقلة الأذى وكرم السجية. وكان له ستة بنين موصوفون بثقوب الرأى، وحسن الخلق، وصدق الورع، ووفور الرجولية، وكمال العقل، وغزارة العلم، وحسن الأدب . وكان ابنه المسمى هُرمُزد أكبرهم سنا، وأوفرهم عقلا . وكان كسرى قد وكل به فى السر جماعة يحفظون حركاته وسكناته فى جميع الأحوال وينهونها اليه . فلم يجده الا مرضى السيرة محمود الطريقة . وقال لبزرجمهر : إنى كنت أخفى أمرا والآن أظهره لك : اعلم أنه قد أنفت على السبعين . واذا حان ارتحالى من هذه الدار فليس للناس بد من ملك موصوف بالرأفة والرحمة والنزاهة والظلف . ونحن نحمد الله تعالى حيث رزقنا أولادا متحلين بالعقل والعلم والورع . وهرمزد من بينهم أنا به أكثر إدلالا منى بغيره . لما فيه من مزيد الرحمة، وسداد الطريقة، وسجاحة الخلق . فأحضر الآن العلماء والموابذة وسائر المتميزين من أهل العلم والأدب . وامتحنوا علمه وأظهروا فضله . فجمعهم بزرجمهر واحتفلوا بحضرة أنوشروان، واستحضروا هرمزد . فلما استوى[1] المجلس أقبل بزرجمهر عليه وقال : أيها الملك المسعود الطالع، الجميل الطلعة! أخبرنى عن الشىء الذى يستنير به العقل والروح، وينتفع به البدن . فقال : هو العلم ثم العدل والرحمة ثم التواضع[2] . فقال له بزرجمهر : وما الصفة التى يرتفع بها المرء؟ قال : إنصافه من نفسه . فقال : إنى سائلك عن عدّة مسائل . فاحفظها واضبطها ثم أجبنى عنها على ترتيب سؤالى عنها من غير تقديم ولا تأخير . فإن[3] حفظك لها يدل على أن باب[4] السماء مفتوح لك، وألطاف الإله فائضة عليك . ثم قال له : أى الأولاد أبرك على والده، وأحفظ لطارف حسبه وتالده ؟ ومن الذى يحق له أن يرحم ويبكى عليه ؟ ومن الذى يندم على فعل الجميل ؟ ومن الذى يستحق أن يذم عند الاطلاع على حاله ؟ وأى مكان يحسن منه الفرار، ويستهجن فيه

---

(١) الذى فى الشاه : واذا أنافت سنك أيها الشيخ على الستين والواحد فلن تلذ الراحة والكأس والمدام . إن الرجل الحكيم السديد الرأى لا يربط قلبه بهذه الدار الحائلة . وإن الخرجين الإعداد للموت كقميص الشعر فى الشتاء ؛ الجسد منجمد بين الآثام، والروح مضلة طريقها الى الفردوس .

(١) صل : استولى . والتصحيح من طا، طر . (٢) طر : الرحمة والتواضع .

(٣) صل : وإن . والتصحيح من طا، طر . (٤) طا، طر : على أن السماء .

القرار؟ وأى[1] شىء يفرح الانسان ؟ وما الزمان المحمود بين الأزمان ؟ وأى الناس يكثر أصدقاؤه ؟ وأيهم يكثر أعداؤه؟ وما أضر الأشياء فى هذه الدار التى هى عرضة للفناء؟ وما الذى يسرع فى إفنائه الزمان مما يتقيد به الانسان ؟ ومن الظالم الذى لا حياء فى عينه ولا رحمة فى قلبه؟ وأى القائلين يثير قوله الفساد و يؤلم الفؤاد؟ وأى الأشياء يكون أجلب للعار وأبدى للشنار ؟

قال : ولم يزل يسأله[2] العالم الى أن أمسوا ولما اعتكر الظلام واشتعلت الشموع وثب هُرمُزد قائما وأثنى على أبيه أولا ، ودعا له وقال : لا أخلى الله الدنيا من الملك، ولا زال متسنما سرير الشاهنشهية ، منورا بلألاء أسرته تاج السلطنة ، مرتفعا بجلالة قدرة تحت المملكة . ثم إنا مجيبون عما سألنا عنه الحكيم العالم : « فأما ما سأل عنه من الولد المبارك على أبيه فأقول : إن قلوب الآباء لا تستروح إلا الى الأبناء، و إن أيمن الأولاد على أبيه من كان مشفقا عليه مائلا الى الخير والسداد فى مطالبه ومباغيه . وأما الذى هو فى محل الرحمة فهو من كان ذا قدر رفيع فتشتت شمل سعادته حتى اضطر الى خدمة بعض اللئام وطاعته . فيحق أن يبكى عليه دما إذ صار الرأس للذنب مستخدما . وأما النادم على فعل الجميل فهو من يحسن الى الأنذال، و يسدى الى الأرذال . فلا محالة يقرع سن الندم حيث خفيت عليه مزلة القدم . وأما المستحق للذم فهو الذى يكفر النعم . وأما الموضع الذى ينبغى الفرار منه فهو مدينة بسط السلطان فيه يد الحيف والجور فبلى الناس منه بالحَور بعد الكَور . فلا يجوز للعاقل فيها الإقامة . فإن ظلم الملوك تقوم منه القيامة . وأما الذى يفرح به فهو إما شقيق صالح أو شفيق ناصح . وأما الزمان المحمود فهو الوقت الذى يكبت فيه العدو والحسود . وأما الذى يكثر أصدقاؤه فهو الكريم المتواضع . وأما الذى يكثر أعداؤه فهو البذىء الفاحش . وأما أضر الأشياء فهو سوء خلق الملوك ؛ فاذا صحبتهم ملوك[3] ، وإذا لم تصحبهم أذلوك . وأما الذى يعجل الزمان إنفاده فهو الشهوة التى تملك من المرء فؤاده فيلقى فى تحصيلها إلى يد الهوى قياده . وأما الظالم الذى لاحياء فى عينه فهو الذى زاغ عن منهج السداد وعرف بالوقاحة فى كسب الفساد، ومن اتخذ الكذب حرفته، والتزيد ديدنه وعادته . وأما الذى يثير كلامه للفساد فهو النمام والمنافق وذو البطالة التائه فى ظلم الجهالة . وأما الصفة التى تجلب العار فهى العادة التى تورث صاحبها الندامة حتى تقيم عليه القيامة . كالذى يكون كثير الكلام يكيل بين الناس بالجزاف ثم إذا خلا بنفسه تذكر ما بدر منه فيندم عليه ويعض على يديه ثم إذا عاد إلى الندى عاد إلى عادته وخلقه الدنىّ . وكذا[4] الطباع تأبى على الناقل . ولا فرق فى ذلك بين الأحمق والعاقل» .

(١) طا، طر : بأى . (٢) طا، طر : يسايله .
(٣) طا . طر : فانك إذا صحبتهم ملوك و إن لم تصحبهم الخ . (٤) طا : كذى . طر : كذلك .

ثم قال : وهذه جوابات ما سألت[1] من المسائل . والله يديم دولة الشهريار العادل . ولا زالت الألسنة بثنائه منطلقة . والصدور بولائه منشرحة . والسلام . فلما سمع أنو شروان كلامه قضى العجب من ذكائه وعلمه، وأكثر الثناء عليه . وعظم سرور الحاضرين به . فأمر الملك بأن يكتب له عهد بالسلطنة . فكتب ثم ختم وسلم إلى موبذ الموبذان .

(١٨٩) ونسخة العهد : «من كسرى أنو شروان إلى ولده هرمزد . اعلم يا بنى أن الدنيا شيمتها الجفاء، وحاصلها التعب والعناء . فمتى ما كنت فيها أكثر سرور وانشراحا، وبها أوفر حبورا وارتياحا فاعلم أن ذلك من حالها مؤذن بالزوال، وأنه قد حان لك حين الارتحال . ثم إنا لما أحسسنا بالانتقال من هذه الدار التى دأبها إحالة الأحوال طلبنا لتاج السلطنة منك من هو تاج على مفرق الإقبال اقتداء بوالدنا قباد . فإنه عهد الينا وسمانا للسلطنة لما أناف على الثمانين . ونحن قد عهدنا اليك حين أنفنا على السبعين . وجعلناك شهريار الأرض . ولم نطلب بذلك غير الذكر الجميل وحسن الأحدوثة بعد الموت . وأرجو من الله تعالى أن تكون منشرح الصدر مسرور القلب مسعود الجد . ثم إنك مهما آمنت الناس بسلوكك سبيل العدل أمكنك أن تنام آمنا فى ظلال الدعة والخفض . ثم لا تكن إلا حليما فإن الحدة أقبح أخلاق الملوك، ولا تحم حول الكذب فإنه يغير وجه السعادة . وانف العجلة من قلبك ودماغك . فإن العقل يغيب عندها . وكن مائلا إلى الخير حريصا عليه . وأرع سمعك مواعظ العلماء فى حالتى السراء والضراء . ولا تقارب الشر فتقع فيه . ولا تلبس ولا تأكل غير الحلال . واستفتح مغالق أمورك بالله ذى الجلال . واعلم أنك إذا عدلت انعمرت الدنيا، وفى عمارتها عمارة خزانتك[2] ، وسعادة جدك . ومن أحسن اليك فبادر إلى مجازاته، ولا تؤخرها حتى لا تخلق جدة حسناته . وأدن منك أهل الأدب والفضل . وشاور فى أمورك أهل العلم والعقل . واجعل لأعيان مدينتك التى هى دار ملكك حظا وافرا من العدل . وباعد من خيرك كل لئيم . ولا تكل شيئا من أمورك إلى جاهل ظلوم . وإذا صار عدوك لك صديقا فإياك والركون اليه والاعتماد عليه . وليكن ميلك إلى الفقراء فإن اهتمامك بهم من أهم الأشياء . واعلم أن الملك اذا أنصف من نفسه استراح العالم فى ظله، وتمتع هو بملكه . وإياك وأن تغلق بابك على[3] المحتاجين . وتعطف على المتقين والمتورعين . ثم اعلم أنك إن قبلت نصيحتى وعملت بها دمت عالى التاج رفيع القدر . ثم دعا له وقال : فلا نسيت سيرتى[4] وأفعالى يد[5] الدهر وإن حالت دون لقائى ظلمة القبر . ولا زلت

---

(١) طا، طر: سئلت . (٢) طا، طر: خزاينك . (٣) طا، طر: عن .

(٤) طا، طر: سيرى . (٥) طا، طر: مدى .

صاعد الجد منشرح الصدر . ولا زال العقل لك حارسا، والعلم لك محالفا ومؤانسا . وإذا عبرت من هذه الدار فابنوا لى ناووسا رفيعا فى السماء، بعيدا عن الوحوش والطيور . واكتبوا عليه اسمى . ثم غرقونى فى الكافور . وأخلوا أحشائى من الدم . واحشوها بالمسك والعبير . ثم ضعونى فيه على السرير بالآلات الشاهنشاهية، والمفارش الملوكية . واذا فرغتم من ذلك فسدّوا علىّ الباب، واعتبروا يا أولى الألباب . ومن عزّ عليه فقدى من أقاربى وأولادى فلا يقربن الشراب شهرين . فإنه الرسم فى عزاء الملوك . وجدير بذوى[1] العقول أن يبكوا من هذا المكتوب . ثم إنى أوصيكم ألا تخالفوا أمر هُرمُزد، ولا تخلعوا ربقة طاعته، ولا تقضوا نفَسا فى غير خدمته .

قال : ولما كتب هذا العهد فض الحاضرون عقد الدموع وأوقدوا نار الحزن بين الضلوع . وهيهات أن يرد الجزع أمرا مقدورا، أو تمحو الدموع ما كان فى الكتاب مسطورا .

وعاش أنو شِروان بعد هذا العهد سنة ثم مضى لسبيله حميد السير، مرضىّ الأثر، مشكور الورد والصدر § .

---

§ ينتهى عهد كسرى أنو شِروان فى بعض نسخ الشاهنامه بفصل خلاصته أن أنو شروان رأى فى منامه شمسا أشرقت بالليل ومعها سلم ذو أربعين درجة تنال ذروته عليا الكواكب . فارتفعت على هذا السلم من الحجاز حتى عم ضوؤها الآفاق إلا إيوان كسرى بقى مظلما .

فلما أصبح كسرى قصّ رؤياه على بوزُرجِمهر فعبرها أنه بعد أربعين سنة يظهر رجل من العرب يسلك بالناس صراطا مستقيما، وينسخ دين زردشت واليهودية والنصرانية . ثم بعد موته يأتى جيش من الحجاز فيحارب أحد أحفادك ويقضى عليه فتبطل أعياد الفرس، وتخمد نيرانهم . وقد أخبر جاماسب الحكيم كُشتاسب بهذا من قبل» . فاغتم كسرى غما شديدا . ولما جنّ الليل سمع رجفة عظيمة فأخبر أن الايوان انصدع . فقال له بوزرجمهر : إن هذا آية ولادة هذا القمر . ثم جاء فارس مغذّ فأخبر كسرى أن بيت النار — آذركشسب قد خمد . فزاد غم كسرى . وعزّاه بوزرجمهر بأن الملك لن يدرك هذه الأحداث . ولا يبالى بما يكون بعده من فرح أو غم .

وفى الطبرى : عهد أنوشروان و برويز، روايات كثيرة عن أحلام وكهانات تروى عن الفرس فى هذا الأمر .

---

(١) صل : بذى العقول . والتصحيح من طا ، طر .

٤١ — ذكر نوبة هُرمُزد بن كسرى أنوشروان . وكانت مدّة ملكه اثنتى عشرة سنة وخمسة أشهر §

قال صاحب الكتاب رحمه الله : كان بهراة مرزُبان كبير القــدر طاعن فى السن عارف بأخبار الملوك السالفة يسمى ماخًا (أ) . فاجتمعت به ذات يوم وسألته عما حفظه من حال هرمزد لمــا جلس على تخت السلطنة . فقال : إنه حين علا التخت قال فتتح كلامه بحمــد الله والثناء عليــه ، وخطب خطبــة بليغة وعد فيهــا قوما وأوعد آخرين ، وقوى بهــا قلوب المقوِين، وأرعــد فرائص المكثرين . فقال فى آخر كلامه : إنى أسأل الله تعالى أن ينسئ فى أجلى حتى أسر قلوب جميــع من فى المملكة من أهل الفاقة والمسكنة، متجنبا عما يوغر صدور أهل التق والعفة . وكل من كان فى الدنيا يتشبه بالملوك عن رأس الاغترار بكثرة الذخائر واكتناز الكنوز أخرجت النخوة من دماغه . ولا أترك أحدا يطلب التفوّق فى المملكة . ثم قام وانفض المجلس . فانكسرت قلوب أرباب الكنوز وخلصوا نجيا يتفاوضون فيما سمعوا من الملك[1] فى ذلك المجلس . وقويت ظهور المتوسطين والمنفضين . فبقى باسطا لظلال العــدل على الرعية ومداريا باللطف والمرحمة الى أن استتبت أموره، وانتظمت

---

§ هرمزدا الرابع ، وهو الحادى والعشرون من الساسانيين والحادى والأربعون من ملوك الشاه، ملك (٥٧٨ — ٥٩٠ م) . وفى الطبرى أنه ملك ١١ سنة و ٩ أشهر و ١٠ أيام ، وفى مروج الذهب ١٢ سنة .

وأمّه بنت خاقان الترك ، ويسميها المسعودى فى المروج "فاقم". ويقول صاحب الأخبار الطوال أنه وحده ابن حرة، وسائر أبنــاء أنوشروان بنو إماء . وكان لنسبه التركى نفرة فى نفوس الايرانيين ؛ يرى القارئ فى ثنايا هذا الفصل كيف يسمّى حين الغضب " ابن التركية " ويقول الطبرى أنه كان " ردىء النية قد نزعه أخواله الترك " .

وكان متكبرا عاتيا قتل إخوته، وأنحى على وزراء أبيه فأبادهم . وكان شديد الوطأة على الكبراء رحيما بالضعفاء كأن به نزعة مزدكية يشبه فيها جدّه قباد، ويخالف بها أباه كل المخالفة . ولم يكن يقود الجيش إلى الحرب كأبيه .

(أ) يرى نلدكه أنه يحتمل أن يكون ماخ هذا أحد الأربعة الذين كتبوا الشاهنامه المنثورة لأبى منصور بن عبــد الرزاق . (الحماسة الايرانية ص ٢٨) . انظر المقدمة .

(١) حل، طا : يتفاوضون ما سمعوا الملك . والتصحيح من طر، كو .

أحواله، ونفذت أوامره وأحكامه . فتغير واهتاج وقلب ظهر المجن، وأظهر سوء الخلق، وترك ما كان عليه من الرسم والآيين . وتجرد لكل من كان مقربا عند أبيه من أرباب السيف والقلم فثل عروشهم، وأباد خضراءهم، ورصدهم بالغوائل، وأقصدهم بالفواقر من غير جرم استوجبوا به مضض العقاب، ولا بادرة استحقوا بها لذع العتاب فضلا عن ضرب الرقاب . قال : وكان لأنوشروان ثلاثة من خواص الكتاب الكفاة الدهاة أحدهم يسمى ايزدكشسب، والآخر يسمى بُرزمهر (أ) والثالث يسمى كاه آذر (ب) . وكانوا بين يدى تخته كالوزراء، فى أيديهم مقاليد الأمور، وتحت تصرفهم مصالح الجمهور . فأخذ هرمزد يدبر فى قتل هؤلاء الثلاثة . فافتتح بايزدكشسب، وأخذه وحبسه . فعظم ذلك على موبذ الموبذان (ج) لصداقة كانت بينهما قديمة ومودة أكيدة . فأرسل المحبوس اليه يشكو اليه ضيق محبسه، وقطع الناس عن زيارته، وأنه حيل بينه و بين الطعام حتى بلغ الجوع منه الى حيث لا طاقة لديه . وسأله أن ينفذ اليه طعاما . فتألم قلب الموبذ من رسالته وأخذه المقيم المقعد على حالته[1] . ولم يتجاسر على إنفاذ الطعام اليه خوفا من الملك . فأخذه الفكر فى ذلك فحملته الشفقة والرقة على أن أمر المستخدمين بحمل الطعام اليه . ففعلوا وقام وركب الى السجن .

= وقد أغضب رعيته بالإحسان إلى النصارى أيضا . وهذا برهان ما فى نفسه من مسالمة الضعفاء كذلك . يقول الطبرى[2] : وإن الهرابذة رفعوا اليه قصة يبغون فيها على النصارى فوقع فيها أنه كما لا قوام لسرير ملكنا بقائمتيه المقدمتين دون قائمتيه المؤخرتين فكذلك لا قوام لملكنا ولا ثبات له مع استفسادنا من فى بلادنا من النصارى وأهل سائر الملل المخالفة لنا . فأقصروا عن البغى على النصارى . وواظبوا على أعمال البر ليرى ذلك النصارى وغيرهم من أهل الملل فيحمدوكم عليه وتتوق أنفسهم إلى ملتكم » .

وكان من آثار سياسة هرمزد أن ثار به بهرام چوبين وغيره من الكبراء فأرسل جيشا لحرب بهرام فلما التقيا عند الزاب الكبير انتقض جيش الملك وبايع كسرى برويز . ثم ذهب بعض الجيوش إلى المدائن وثار الناس بهرمزد فخلعوه وسملوا عينيه ثم قتلوه[3] . =

(أ) يرى ورنر أنه يحتمل أن يكون بزرمهر هو بزرجمهر .

(ب) فى الشاه : ماه آذر .

(ج) اسمه فى الشاه : ذردهشت .

(١) طا، طر : حاله . (٢) ج ٢ ص ١٢٥ (٣) انظر الطبرى، والمروج، والأخبار الطوال، والغرر، (Sykes) ج ١ : هرمزد، (Historian's History) ج ٨ ص ٩١، وورنر، ج ٨ : هرمزد .

فلما رآه السجانون فزعوا منه ولم يتجاسروا على منعه من الدخول . فدخل واعتنق صاحبه وبكى لما رأى به . ثم أوصى المحبوس اليه ، وأطلعه على دفائنه وكنوزه ، وسأله أن يتشفع فى حقه الى الملك ، ويذكره بحقوقه القديمة ومواتّه المهيدة . فقام الموبذ وخرج . وأنهى بعض أصحاب الأخبار الى هُرمُزد دخول الموبذ عليه ، وإنفاذه الطعام اليه . فاغتاظ من ذلك ، وأمر بالمحبوس فقتل فى حبسه . وكثرت فى موبذ الموبذان مقالات المفسدين وأصحاب الأغراض والحاسدين عند الملك فازداد حقده عليه حتى حمله ذلك على أن أمر صاحب طعامه بأن يسم بعض الأطعمة ويقدمه اليه . (١٩٠)

فلما حضر الموبذ برسم الخدمة فى مجلس هرمزد وأراد[1] النهوض للانصراف قال له الملك : لا تبرح فإنا ظفرنا بطباخ جديد . فأحضروا الطعام فتغير الموبذ وأحس بالأمر ، وعلم أن ذلك الطعام يذيقه الحمام . فأخذ الملك يأكل وأمر "الخوانسلار" فوضع[2] الصحفة المسمومة عند الموبذ . فأخذ الملك بملعقه وأخذ قطعة من ذلك الطعام وقال له : افتح فاك وكل هذه اللقمة . فأقسم عليه الموبذ بحياته أن يعفيه واعتل[3] بالشبع . فأبى الملك وأقسم عليه . فاضطر الى الامتثال فأكل تلك اللقمة . وقام من السماط وانصرف والسم يعمل فيه عمله . فقطع من الحياة أمله ، ودخل منزله ، ولم يظهر لأحد حاله . فطلب الترياق فشربه فما نفعه . وأنفذ الملك بعض أصحابه ليتعرف حاله . فلما وقعت عينه على موبذ الموبذان أرسل العبرات وصعّد الزفرات . فقال له الموبذ : قل لذلك الغادر : سنجتمع

= ثم عهد هرمزد فى الشاه ١٩٣٤ بيت فيه العناوين الآتية :

(١) فاتحة القصة . (٢) جلوس هرمزد على العرش ونصح كبراء ايران . (٣) قتله ايزدكشسب وسمّ زردهشت موبذ الموبذان . (٤) قتله سيماه برزين وبهرام آذرمهان . (٥) رجوع هرمزد عن الجور الى العدل . (٦) قود ساوه شاه الجيش لحرب هرمزد . (٧) تعريف مهران ستاد هرمزد ببهرام چوبينه ، وطلب هرمزد إياه . (٨) مجىء بهرام چوبينه الى الملك هرمزد . (٩) توليته القيادة . (١٠) ذهاب بهرام چوبينه لحرب ساوه شاه . (١١) إرسال هرمزد خراد بن برزين الى ساوه شاه برسالة خادعة . (١٢) رسالة ساوه شاه الى بهرام چوبينه . (١٣) رسالة ساوه شاه الثانية إلى بهرام . (١٤) جواب بهرام . (١٥) رؤيا بهرام وتهيئة الجيش . (١٦) حرب بهرام وساوه شاه . (١٧) قتل بهرام ساحرا . (١٨) كتاب الفتح من بهرام إلى هرمزد . (١٩) حرب بهرام وپرموده بن ساوه شاه وهرب پرموده =

---

(١) صل : ولما أراد . والتصحيح من طا ، طر ، كو . (٢) طر : أن يضع . (٣) صل : فاعتل . والتصحيح من طا ، طر ، كو .

غدا عند الحاكم العادل[1] ونختصم فيما عاملتنى به من الشر . فكن على حذر . فإن الظلم[2] مرتعه وخيم، وإن عذاب الآخرة أليم . فانصرف الرسول باكيا فحكى للملك ما قاله الموبذ . فندم حين لا ينفعه الندم، وأخذ يعض على يديه حيث زلت به القدم . فمات موبذ الموبذان وعظم موته[3] على أهل تلك الممالك لخلو البلاد عن مثل ذاك النقاب الألمعى، والجواد الأريحى .

ثم إن هرمزد لما فرغ من الموبذ طرح قناع الحياء وتشمر لسفك الدماء . فعزم على أن يقتل بهرام بن آذرمهان، وكان أحد الأعيان الكسروية . فاستحضره ليلا وخلا به وأقعده بين يديه وقال له : "إن أردت أن تسلم منى وتنجو من بادرة سطوتى فافعل ما أقول لك : احضر مجلسى غداة غد على رسم الخدمة . وأنا أسألك على رءوس الأشهاد عن سيماه بن برزين ، وأقول[4] : كيف حال صديقك سيماه : أهو معنا من أوليائنا الصالحين أم من أعدائنا الكاشحين ؟ فقل عند ذلك : إنه رجل شرير، سيئ الهمة، مدخول الدخلة . ثم سلنى بعد ذلك ما تريد فإنه مبذول لك" . فتلقى أمره بالسمع والطاعة وقال : أفعل ما يأمرنى به الملك وأزيد عليه . وكان سيماه من أكابر الفرس وعظمائهم وخواص أبيه . وكانت بينه وبين بهرام هذا صداقة قديمة . قال : ولما أصبح الملك وقعد فى إيوانه وحضرته الأمراء والملوك أقبل على بهرام بن آذرمهان وقال : ما تقول فى سيماه بن برزين : أهو مستحق للتقدم والاستظهار بالكنوز أم لا ؟ فقال بهرام : "أيها الملك! لاتذكر سيماه ابن برزين، ولا تجر ذكره على لسانك . فإنه هو الذى خرب بلاد ايران" . ووصفه بالشر والفساد

= بقلعة آوازه — (٢٠) برموده يطلب الأمان من بهرام . (٢١) بهرام يسأل الملك كتاب الأمان لبرموده . (٢٢) غضب بهرام على برموده . (٢٣) مجىء الخاقان إلى هرمزد الملك . (٢٤) اطلاع هرمزد على خيانة بهرام، ومعاهدة الخاقان . (٢٥) إرسال هرمزد وعاء المغزل وقميص امرأة الى بهرام . (٢٦) رؤية بهرام بخته . (٢٧) بهرام يظهر فى زينة الملك . (٢٨) إخبار خراد بن برزين هرمزد بحال بهرام . (٢٩) مفاوضة بهرام والقواد فى تمليكه، ونصح كردويه أخته إياه . (٣٠) ضرب بهرام السكة باسم خسرو پرويز . (٣١) رسالة بهرام الى هرمزد ، وهرب خسرو پرويز من أبيه . (٣٢) إرسال هرمزد آئين كشسب لحرب بهرام، وقتله . (٣٣) سمل كستهم وبندويه عينى هرمزد .

(ا) أنظر القصة فى الغرر أيضا : وفيها بزرجمهر مكان برزين . وأن بهرام هو الذى أريد قتله بشهادة برزين عليه الخ .

(١) طا، طر: العدل . (٢) طا، طر، كو : فان مرتع الظلم وخيم . (٣) كلمة «موته» من طا، طر .

(٤) طر : أقول لك .

على رءوس الأشهاد. فلما سمع سياه بن برزين ذلك قال لبهرام: أيها الصديق العتيق والصاحب الشفيق! لا تشهد علىّ بالسوء . وقل لى أى شىء رأيت منى فى هذه المدة المديدة التى تصاحبنا فيها، من القول الشيطانى والفعل السبعى (ا) ؟ فقال له بهرام: كيف لا أشهد عليك بالسوء وقد زرعت شرا لابد لك أن تحصده ، وستصلى بسببه[1] النار الموصدة ؟ ألم نكن قد حضرنا عند أنوشروان مع موبذ الموبذان فشاورنا فى تولية أحد الأولاد وتسميته للسلطنة، وتردّد بين الصغير منهم والكبير. فقمنا جميعا وقلنا: إن ولدك من بنت الخاقان ــ يعنى هرمزد ــ لا يصلح للملك ، ونحن لا نريده ولا نرضى به أبدا . فخالفتنا وقلت : إنه لا يصلح للملك سواه حتى قررت الأمر عليه، وحملت الملك على أن عهد اليه ؟ فالآن خذ[2] جزاء ما صنعت ، واجتن ثمرة ما غرست . قال : فاستحيي هرمزد فأطرق مليا ، وعلم صدق[3] الرجل فيما قال. فأمر بهما فحملا إلى الحبس. وأمر بعد ثلاث ليال بقتل سياه فقتل . ولما علم بهرام بما تم على ذلك السيد الطاهر الجيب الناصح الغيب أرسل إلى هرمزد وقال : تعلم مكانتى من أبيك وصدق عنايتى بك،وأنى لم أزل فى حياته قائما بقضاء حوائجك واستنجاح مطالبك ومآربك. وفى قلبى سر من أسرار الملك إذا وقفت عليه علمت أن فيه منفعة أهل ممالكك . فأحضرنى لأبلغه إلى مسامعك . فأحضره الملك ليلا ، وخلا به ولاطفه وتملق معه . ثم سأله عن ذلك السر فقال : اعلم أن فى خزانة أبيك صندوقا ساذجا مختوما، وفيه حريرة مكتوبة بخط أبيك أنوشروان. فاطلب الصندوق واقرأ ذلك المكتوب . فإنه يشتمل على ما فيه مصلحة الإيرانيين . فأمر الخازن باحضار الصندوق . ففتش الخزائن العتيقة حتى وجد ذلك الصندوق وأحضره بين يدى هرمزد . ففتحه وأخرج منه حريرة قد كتب فيها أنو[4]شروان بخطه : "إن هرمزد يملك اثنتى عشرة سنة ثم بعد ذلك تدور عليه الدوائر، وتصيبه الشدائد الفواقر، ويظهر له من كل جانب عدو . وبالآخرة يكحله بعض أقارب زوجته . ثم بعد ذلك يضرجه بدمه". فلما قرأ هرمزد ذلك مزق الحريرة إذ مزقت قلبه، وقطعت أحشاءه . واصفر وجهه وتفجرت بالدماء عينه . ثم قال لبهرام : أيها الرجل الجافى الخلق! ماذا أردت بعرض هذه الرقعة علىّ؟ أتحسب أنك تنجو منى برأسك(ب) فقال له بهرام : إنما فعلت ذلك حتى لا تسفك الدماء ، وتقطع عن بقائك الرجاء . وواجهه بأنه لا يصلح للملك، وأنه من الشجرة الخبيثة الخاقانية لا من الشجرة المباركة الكيانية . فأمر هرمزد برده إلى الحبس . ثم أمر

(ا) فى الشاه : "زكردار وكفتار آهرمنى" . أى من القول والفعل الشيطانى .

(ب) فى الشاه : "بخواهى ربودن زمن سرهمى" . ويحتمل أن يكون المعنى : أتريد أن تسلبنى رأسى؟

(١) طا، طر، كو : بسببها . (٢) طا، طر : بجزاء . (٣) طا، طر : بصدق .

(٤) طر : أبوه أنوشروان .

فقتل بعد ثلاث ليال فلم يبق فى تلك المملكة ذو عقل يستضاء بنوره، ولا صاحب رأى يقوم بمصالح الملك وأموره . فلم يطب عيش هُرمُزد ولا يوما واحدا، وكان لا يبيت إلا موجع القلب ساهدا .

قال § : وكان هرمزد يقيم كل سنة شهرين عند قِصَر الليالى باصطخر، ويطوف باقى السنة فى ممالكه يرتب الأمور ويسوس . وبلغ من عدله أن مناديا كان ينادى قدام موكبه كل يوم : أيما رجل من الأجناد دخل أرضا مزروعة فأضرّ بها عوقب بكذا وكذا . وأيما فرس دخلها قطع أذنه وذنبه . ومن سرق شيئا صلب . وكان مدّة عشرة أشهر من كل سنة يطوف كذلك فى البلاد، ويرعى المصالح والمناجح للعباد . قال : وكان له ولد لا يفرق بينه وبين القمر حسنا وجمالا يسمى كسرى ويلقب بپرويز . وكان لا يفارق أباه ساعة ولا يصبر عنه لحظة . فاتفق أن فرسا من مراكبه الخاصة جفل من اصطبله عائرا فتبعه السائس ليمسكه فدخل إلى أرض محروثة . فعلم بذلك الشخص الموكل بالضيعة فأنهى ذلك إلى هرمزد . فأمره أن يحكم فى فرس ابنه كما كان يحكم فى فرس غيره فتقطع أذنه وذنبه، وأنه إن تلف شىء من الزرع بوطء الفرس فيه أخذ عوضه من پرويز عن كل درهم مائة . فعظم على پرويز قطع ذنب فرسه فأرسل إلى أبيه جماعة ليتشفعوا فلم يقبل شفاعتهم فى فرسه، وقطع ذنبه وأذنه، وغرّم پرويز بعوض ما أتلفه، على الصفة المذكورة .

(١٩١)

قال : وخرج ذات يوم إلى الصيد فى خواصه ، وكان ممره على كروم وبساتين ، فرأى بعض أمرائه عناقيد من الحصرم متهدلة من بعض تلك الكروم فأمر غلاما له بأن يقطع منها عدّة ويحملها[1] إلى المطبخ ففعل . وعلم صاحب البستان بذلك فعدا نحو ذلك الأمير وقال : إنك قد أتلفت مالى، ولا بد أن أشكوك إلى الملك . ففزع الأمير . وكان على وسطه منطقة مرصعة فحلها ودفعها إلى صاحب

---

§ تصدّر الشاهنامه الواقعات الآتية بعنوان : "رجوع هرمزد عن الجور الى العدل" . وتبين أنه أشفق على نفسه حين قرأ الرقعة وتاب من سفك الدماء والأذى .

وأما طوافه فى المملكة ففى الشاه أنه كان يمضى باصطخر ثلاثة أشهر الصيف، وباصبهان ثلاثة أشهر الخريف، وبطيسفون الشتاء، وبسهل أروند الربيع . وفى الأخبار الطوال : "وكان أكثر دهره غائبا عن المدائن إما بالسواد متشتيا وإما بالماه متصيفا" . وهذا هو المأثور عن الأكاسرة . يقول الشاعر لأبى دلف :

وأنت امرؤ كسروىّ الفعال م تصيف الجبال وتشتو العراقا

---

(١) طا، طر : وتحمل الى ٦

البستان . فأخذها وتأملها ثم قال للأمـير : إنى أمنّ عليك برد هذه المنطقة اليك وإخفاء أمرك . ففعـل وسر بصنيعه الأمير وانجـبر بذلك قلبه الكسير . وذلك لأن هرمزد كان مُر السياسـة سريع العقوبة . وكان ممكّنا فى سلطانه مذكورا بالرأفـة[١] والرحمة على ضعفاء رعيته مخصوصا بالظفر ، موصوفا بالشجاعة ، مشهورا بسيرة الانصاف ، قاصما لظهور أهل الظلم والإجحاف ، متيقظا فى مصالح الملك ، لا يؤخر أمر يومه إلى غده (ولا يستقر فى دار ملكه[٢]) ويتجشم التطواف فى أقطار مملكته حتى فى حمارة القيظ وكالح الشتاء ، لا يعرف الاستراحة ولا الراحة .

ذكر خروج ساوه شاه (أ) ملك الترك ، ووقعة بهرام جوبين معه

قال صاحب الكتاب : ولمـا أتى على ملك هرمزد عشر سنين ظهرت فى دولته[٣] طلائع الوهن ، وأتاه من كل صوب مستصرخ ؛ فخرج ساوه شاه ملك الترك من طريق هراة فى مائة ألف فارس ، وألف ومائتى فيل بحيث امتلأ بهم ما بين هراة ومرو الروذ . وكتب الى هرمزد كتابا يأمره فيـه بعمارة القناطر ، وإصلاح المعابر ، وإعداد العلوفات فى الطرق والمراحل . فإنى عازم على القـدوم الى ذلك الإقليم . وخرج من الجـانب الآخر قيصر فى مائة ألف من عساكر الروم . وخرج أيضا ملك الخزر فى عساكر ملأت مابين أرمينيـة الى أردبيل . وخرج أيضا ملك العـرب (ب) فى عساكر كادت تطبق طلاع السهل والجبل ، وأقبل حتى نزل على الفرات § فلما رأى هرمزد إقبال الأعداء

---

§ ورث هرمزد حرب الروم عن آبائه ؛ توفى أنو شروان والحرب مستمرة . و بقيت طوال أيام هرمزد سجالا بين الفريقين . وقد بدأ حكمه بمخاشنة الروم فلم يرسل اليهم ليخبرهم بتوليه الملك سنّة ملوك الفرس والروم فى ذلك العصر . وما زال فى حرب الروم حتى دهمه الترك عام ٥٨٨ فهزمهم بهرام چوبينه ثم وجهه هرمزد لحرب الروم فى الشمال فهُزِم بهرام فرآها الملك فرصـة ليحط مقدار القائد العظيم فأرسل اليه ثياب النساء ، كما فى الشاه ، فألجمه الثورة . وأما الخزر والعرب فأحسبهم ذكروا هنا للتهويل والمبالغة فى وصف ماأحاط بهرمزد من المصاعب ، ولتمجيد بهرام چوبين بطل هذه الشدائد .

(أ) اسمه شابه فى الطبرى ، والمروج ، والفـرر . ومن اليسير تحريف أحد اللفظين الى الآخر لا سيما اذا راعينا احتمال أن تكون الواو فى ساوة (ف) والباء فى شابه (پ) و يرى ورتز أن ساوه قد يكون تحريف "چاو — وو" وهو اسم فى سجلات الصين لأمراء صفار على ضفاف جيحون كانوا تابعين لخان (ورتز ، ج ٨ ص ٧٢) .

(ب) فى الشاه : خرج فرسان الصـحراء الراكبون يقودهم عباس وعمرو . وفى الطبرى عباس الأحول وعمرو الأزرق . وفى المروج : عمرو الأفوه .

(١) صل : للرأفة . والتصحيح من طا ، طر . (٢) ما بين القوسين من طا ، طر ، كو .

(٣) طا ، طر ، كو : على دولته .

اليه من كل وجه، وانبثاق السكر عليه من كل صوب، وتضييقهم الأرض عليه حتى كأنها فى عينه كفة حابل أو غلوة نابل — أخذه المقيم المقعد فاستحضر الإيرانيين فشاورهم فيما حزبه من ذلك، وفاوضهم فى أمره، وأطلعهم على ما خامر صميم[1] قلبه . فوجموا متحيرين ثم تكلم كل واحد منهم بما عنّ له من الرأى، وقالوا : إن إيران قد صارت قرارة لسيول الفتن المتلاطمة كقطع الليل، ولم يسمع أحد قط بخروج مثل هذه العساكر من هذه الجهات فى حالة واحدة الى هذه المملكة . وأنت أيها الملك! ذو العقل وصاحب الرأى، ومالك زمام الأمر والنهى. ونحن العبيد المتقلدون لربقة طاعتك . وأنت أعلم بمصالح الأمور . فاسفر عن وجه التدبير فى هذا الخطب الكبير . وقال الوزير : أيها الملك العالم! اعلم[2] أن عساكر الخزر لا يطيقون مقاومة عساكرنا، ولا يلبثون ساعة أمامنا. وأما عساكر الروم فالرأى أن نداريهم وندفع بالاحتيال شرهم . وأما العرب فيسهل استئصالهم وقلعهم . والأمر الأهم أمر ساوه شاه المقبل فى عساكر الترك من جهة خراسان . فإن فى استيلائه خراب هذه الديار. واذا عبرت عساكر الترك جيحون فلا يسعنا (أ) التوانى فى الأمر . فقال له الملك فما نعمل الآن؟ قال : اجمع العساكر فإن استظهار الملوك انما يكون بالجنود . فاستحضر كاتب الجيش ومتولى ديوان العرض فجاء بجرائد الجيوش فأحصاهم فكانوا مائة ألف فارس وراجل . فقال الموبذ : جدير بنا ألا نقاتل بهذا القدر اليسير ذاك الجم الغفير إلا أن نستعين أيها الملك! عليهم[3] بالخير والسداد، والإقلاع عن الظلم والفساد . فقد بلغك ما أصاب لهراسب على يد أرجاسب وعساكر الترك فى الزمان الأول، وما جرى على أهل بلخ فى ذلك العهد الى أن خرج إسفنديار ففعل ما فعل . وأنا وإن كنت أكبر سنا من الملك فهو أثقب[4] رأيا وأصوب عزما فليشر بما يرى . فقال الملك : نكاتب قيصر أولا ونصالحه ونردّ عليه بلاده التى أخذها منه الملك — يعنى أباه — فإنه عند ذلك يثنى عنانه وينصرف وراءه . فأرسل اليه وكاتبه على تلك الجملة، وترددت الرسل حتى استقر الأمر على ذلك، وعاد قيصر الى بلاده . ثم اختار عسكرا وجهزهم تحت[5] راية إصبهبذ يسمى خرّاد الى ملك الخزر . فلما وصل الى بلاد الأرمن هرب منه ملك الخزر . فركب أثره وقتل منهم خلقا كثيرا، وأصبح مظفرا منصورا .

(أ) فى نسخ الترجمة كلها : لا يسعها . والتصحيح من الشاه :

چو ترك اندرآمد زجيحون بجنگ   نبايد بدين كاركردن درنگ

(١) صل : ضمير قلبه . والتصحيح من طا، طر، كو .   (٢) طا، طر : اعلم (لا) .

(٣) طا، طر : عليهم أيها الملك .   (٤) طر : أصوب رأيا وأثقب عزما.   (٥) طر : الى ملك الخزر تحت راية الخ .

فلما أتى الخبر هرمزد بظفر خرّاد فرغ سره من ذلك الجانب أيضا ، ولم يبق له شغل قلب إلا بأمر ملك الترك . فأخذ يفكر فى ذلك فأتاه بعض مستخدميه وقال : إنى ذكرت البارحة عند الشيخ الكبير والدى مِهران سِتاذ حديث ساوه شاه ومجيئه فى عساكره الجرّارة وفيلته النخارة وبحاره الزخارة ، فقال : هذا مصداق الحديث القديم وأوانه . فسألته عن معنى ذلك فلم يحر جوابا وقال : لا يمكننى كشفه إلا أن يسألنى عنه الملك فأذكر له[1] ذلك . فأمر هرمزد فى الحال حاجب حجابه[2] بأن يحضر مِهران سِتاذ . فركب إلى دار الشيخ وأخبره باستحضار الملك اياه فأجلسه فى مهد وحمله الى حضرة الملك . فلما حضر قال له الملك : ماذا تحفظ أيها الشيخ ! من حديث هذا التركى الذى هو متصدّ لنا ؟ فقال : اعلم أيها الملك الجليل[3] ! أن الملك العادل أباك أرسلنى فى خطبة أمك الى الخاقان ، ونفذ معى مائة وستين فارسا من أعيان الفرس . فسرنا الى حضرة الخاقان . وكانت له خمس بنات فأمر بقعودهن متزينات فى حَليهن وحُللهن . ثم أمرنى بالدخول عليهن لاختيار من تصلح منهن للملك . فدخلت وقعدت متفرسا فيهن فرأيتهن متوجات سوى أمك . فانها كانت بلا طوق ولا تاج[4] ولا سوار . وهى بنت الخاتون[5] التى هى بنت يغبور ملك الصين . والأخريات كن من أولاد الإماء . فلم يقع اختيارى إلا عليها . فعظم ذلك على أبويها ثم أشاروا علىّ بأن أعدل الى غيرها فلم أقبل ولم أرض الا بها . فأحضر الخاقان عند ذلك المنجمين ، واستكشفهم عن طالعها ومآل أمرها ومقتضيات أحكام النجوم وأسرار الكواكب فيها . فقالوا : أيها الملك ! إنه يظهر بين بنتك هذه وبين كسرى ولد طويل القامة ، قوى العضدين ، أكحل العينين ، يكون فى الشجاعة والسماحة كالليث والغيث . يموت عنه أبوه فيكون هو ملك الأرض فيستقر زمانا على سرير الملك عالى القدر نافذ الأمر فيظهر له عدوّ من ملوك الصين فيقصد بلاده بعساكر كالنحل والنمل يريد بذلك أخذ بلاد[6] إيران الى غيرها من بلاد اليمن وسائر الممالك . فيتحير ملك إيران فى الأمر ويخشى على نفسه من انقلاب الدهر . ويكون فى أمرائه فى بعض أقطار مملكته[7] رجل (ا) من أولاد الأكابر ، شجاع فارس بطل ، طويل قضيف ، جعد الشعر ، ضخم الكراديس ، عظيم الأنف ، أسمر اللون ، صحل الصوت ، عارم الحظ ، يلقب بجوبين (ب) . فيكسر بقدر يسير من العسكر ذلك العدوّ مع وفور عَدده وكثرة عُدده . فلما سمع الخاقان قول المنجم

(ا) لم يذكر هذا فى كلام المنجمين المتقدم . وهو هنا تمهيد لقصة بهرام جوبين (انظر ص ١٤٥ ج ٢) .

(ب) هو فى الشاه : چوبينه .

(١) طا ، طر ، كو : بحاذكر له عند ذلك . (٢) طا ، طر : حاجب الحجاب . (٣) طا ، طر : الجليل (لا) .

(٤) كلمة "ولا تاج" من طا ، طر ، كو . (٥) صل : طا ، طر : الخاقان . والتصحيح من الشاه ، كو .

(٦) طر : ممالك . (٧) طر : ممالكه .

فرح واستبشر وجهز ابنته معى الى أنو شروان، بعـد أن شيعها الى شاطئ جيحون . فاطلب الآن أيها الملك ! هذا الرجل حتى يكفيك هذا الأمر . فإنه(١) لا يكون إلا على يديه . واحفظ كلامى هذا واكتمه ولا تطلع عليـه أحدا . قال : ولمـا فرغ الشيخ من كلامه قضى نحبـه فى ذلك المجلس . فتعجب الملك من تلك الحالة، و بكى عليـه، و بكى الحاضرون . وأخذ يتنقب عن الرجل الموصوف المنعوت و يبحث عنه فلا يهتدى اليه الى أن قال له بعض أصحابه : أيهـا الملك ! إن هذه الصفات كانت موجودة فى بهرام بن بهرام الذى كان متولى سالارية الاصطبلات الخاصة § . وقد أقطعته الآن أردبيل، وهو فيها متوليا لأمورها من جهة الديوان . فنفذ الملك نجابا الى أردبيل، وكتب اليه كتابا يأمره فيه بالمسارعة جريدةً الى الخدمة . ولمـا وصل الى حضرة الملك نظر اليه فرأى العلامات التى أخبر بها مِهران سِتاذ كلها موجودة فيه . فقرّبه الى مجلسـه واحترمه ولاطفه وأكرمه . ثم لمـا أمسى استحضره وخلا به وسرد عليـه حكاية مجىء ساوه(٢) وقصده لبلاد إيران فى جموعه الكثيفة وجيوشه الكثيرة . ثم قال له فما ترى الآن ؟ أنجنح معـه الى السلم ونكف عاديته بالصلح أم لا نسلك معـه سوى سبيل المنابذة والحرب ؟ فقال : مصالحته بعيدة عن المصلحة . فإنه اذا رأى ميل الملك الى الصلح تجاسر عليه . فقال : أنتلبث ونتأنى أم نسارع الى لقائه(٣) ؟ قال : بل نبادر ونسارع ونبـلى عذرنا . فإن رزقنا الظفر فقد حصلت السعادة . و إن كان غير ذلك لم نعير بالإحجام والنكول، وكنا

---

§ بهرام چوبينه هو فى الشاه : ابن بهرام بن بهرام بن گشَسب، ومن نسل گُرجين بن ميلاد المعروف فى قصة بيژن ومنيژه . وفى الطبرى والأخبار الطوال : ابن بهرام بن جُشنَس الرازى . وفى المروج : من نسل أنوش المعروف بالران .

وهو من أسرة مهران — أسرة أشكانية كانت ذات سلطان أيام الساسانيين . وقد ذكر فى عهد قباذ واحد منها هو سابور الرازى الذى استنجده قباذ على سوفزاى الفارسى(٤) . و يرى نلدكه أن اسم مهران يحتمل أنه مأخوذ من اسم أحد الأمراء البرتيين — مهردات (مثردات)(٥) ويظهر أن بهرام كان واليا فى جهات الشمال منذ عهد أنوشروان . قيل كان مرزُبان الرى، وقيل مرزبان آذربيجان وأرمينية .

و ينبغى التنبيه هنا الى أن الدولة السامانية تدعى نسبا الى بهرام چوبينه هـذا . و يصدق البيرونى دعواها(٦) .

---

(١) طا، طر: فان ذلك . (٢) طر : ساوه شاه . (٣) طر: نسارع إليه . قال : بل نبادر ونسارع الى لقائه .
(٤) انظر ص ١١٦ المتن ج ٢ . (٥) الحماسة الايرانيـة ص ١٣ (٦) الغرر، والأخبار الطـوال، والآثار البـاقية ص ٣٩، وورنر، ج ٧ ص ٧٢ .

معذورين عند العالم والجهول . قال: فجعله هرمزد بهلوان جيشه وصاحب حربه، وأمره بالنهوض للقاء ملك الترك . فسأله أن يأمر كاتب الجيش بأن يعرض عليــه أسماء الأجناد حتى ينظر فى حالهم ويبصر من يصلح له من رجالهم . فقال هرمزد: الأمر اليك، والعساكر بين يديك . فافعل مارأيت. فاختار من الإيرانيين اثنى عشر ألف فارس من الآساد المذكورين أبناء الأربعين من غير زيادة على هذا السن ولا نقصان عنــه[1] . وقدّم عليهم رجلا مشهورا بالشجاعة يسمى يلان (أ) وكان لا يقاومه فى لجــة الموت أحد، ولا يغامســه فى غمرة الحرب أســد . وجعل على الثقل رجلا آخر يسمى ايزدكشَسب وجعل على الساقة رجلا آخر يســمى بنداكشَسب (ب) . وكان من الشجعان الذين يصيدون السباع بالأذناب وسط الغاب . فلمــا رأى الملك شهامة بهرام وصرامتــه وتشمره للأمر وتجرده فتح عليه أبواب الخزائن، وحكّمه فى سوائم الخيل الى أن استظهر بما شاء من العتاد والعدّة . ثم قال لبهرام : أيهــا البهلوان ! لايخفى عليك كثرة عساكر الترك وما استظهر به ساوه شاه من العدد الدهم، والعسكر الجم، والجحفل المــواج كالخضمّ . فكيف تقــدم على لقائهم بهــذا القدر اليســير؟ ولم اخترت أبناء الأربعين على الشبان الأغمار أبناء المصاع والكفاح ؟ فقال : أيها الملك ! إن كان الأمر كما نريد فلا حاجة الى ثقل الحمل . ولا يخفى على علم الملك أن رستم(ج) لمــا نهض لقتال ملك هاماوران وتخليص كيكاوُس ما كان معــه من العسكر إلا اثنــا عشر ألفا . وكذلك لمـا دخل بلاد الترك فى طلب ثارسيا وخش ما استصحب إلا اثنى عشر ألفا . وإسفنديار لمــا تجرد لقتال أرجاسب وسلوك هفتخوان لم يستصحب أيضا غير اثنى عشر ألفا[2] . والخروج الى العدو فى أكثر من هذا العدد ينافى طريقة الرجوليــة والشجاعة . والإصبهبذ متى كان معه أكثر من هذا العدد ينسب الى الجبن والخــور .

قلت : وقد وافق رأى[3] بهرام قول صاحب الشرع الطاهر، والسلطان القاهر، قاصف رقاب الجبابرة، ومنكس أسرّة الأكاسرة نبينا صلى الله عليه حيث قال : لن يغلب اثنا عشر ألفا عن قلة .

قال : وأما اختيارى أبناء الأربعين فلأن التجارب حنكتهم والنوائب نجذتهم . فهــم يعضون صبرا على الزبر، ويتولجون ولو نخرت الإبر، ويحفظون حق الخبز والملح، ولا يرضون بدون الظفر

(أ) هو فى الشاه : يلان سينه، وفى ترجمة الطبرى الفارسية : مردانشاه . وكان أخا بهرام ومن أشدّ أعوانه .

(ب) هو فى الشاه : نرداكشسب .

(ج) هذا مثال من وصل قصص الشاه بعضها ببعض . وهذا بين فى الكتاب كله . فالقاص كل حين متذكر ما سلف . ويرى القارئ فى ثنايا هذا الفصل أمثلة من هذا كثيرة .

(١) الصواب : التأنيث . (٢) طا، طر، كو : ألف فارس . (٣) طر : قول بهرام .

والنجح . ويذبون عن الأهـل والولد ، و يأنفون من قبح الأحدوثة[1] فلا ينكلون عن مأزق الهيجاء وحومة اللقاء . وأما الشباب فهم بالعجلة يخدعون، وفى مقـام الصـبر لا يصبرون ، و فى عواقب الأمور لا يفكرون . فإن ظفروا طاروا فرحا وسرورا، و إن لم يظفروا ولوا العـدوّ أدبارا وظهورا . فامتلأ الملك سرورا لمـا سمع من كلامه،وتهلل وجهه . فقال له : البس لبوس الحرب أيها البهلوان! واحضر بأصحابك فى الميدان . فرجع بهرام وشدّ عليه سلاحه و ركب الى الميـدان . وحضر الملك بالكرة والصولجان . فلما رأى بهرام تعجب منه ومن شكله وأبهته . ولبث ساعة فى الميدان ثم عاد به الى الايوان ، وآستدعى علَمـا على شكل ثعبان وقال له : اعلم أن هذا علم رستم بن دستان الذى كان أجدادى يسمونه البهلوان . وأنت الآن رستم آخر، بل رسـتم بخدمتك يتفاخر . فخذه فأنت به أحق .فأعطاه إياه ودعا له بالظفر وقضاء الوطر.ثم عاد الى منزله مسرور القلب،منشرح الصدر، رفيع الدرجة، عالى الأمر . ولمـا أصبح ركب الى خدمة الملك وسأله أن ينفذ فى صحبته كاتبا يشهد معـه الحرب . ومن أبلى من أصحابه بلاء حسنا أثبت اسمه وأنهى اليه فعله . فندب لذلك كاتبـا يسمى مِهران .

وخرج بهرام وسار بذلك الجيش[2] المختار والجحفل الجرّار، وجاوز إقليم طَيسفون قاصدا قصد ملك الترك مردّدا نفسه بين الملك والهلك . قال : ولمـا خرج بهـرام قال هرمزد لموبذ الموبذان : إن الرجل قد خرج الى الحرب مسرور القلب فمـا قولك فيه ؟ وما الذى تراه يكون من أمره ؟ فقـال الموبذ: إن هذا البهلوان،مع ما رأينا منه من الصرامة والشهامة،حقيق به أن يكون مظفرا منصورا. ولكنى أخاف أن يؤول أمره[3] الى خلعه ربقـة الطاعة . فإنه ظهر منه تجاسر عظيم فى مخاطبة الملك ومحاورته . فقال هرمزد : لو ظفر بهرام فى هذه الوقعة ونصر على ملك الترك لجدير بنا أن نسلم اليه التاج والتخت . فلما سمع الموبذ بذلك سكت وعض على شفته ، وأخفى ذلك فى نفسه وقد وقف بنور ذكائه على عاقبة الأمر.قال: وأنفذ هرمزد وراءه فى السر صاحب خبر لا يُعرف لينهى أخباره اليه . فاتفق أن بهرام لمـا جاوز حدود طيسفون رأى فى الصحراء رجلا على رأسـه زنبيل فيه عدّة من رءوس الغنم .فأشرع رمحه وركض فرسه وآستلب بسنانه رأسا من الزنبيل،ورفعه على رأس رمحه، وجعله فالا لنفسه ، وقال : سآخذ رأس ملك الترك مثل هـذا الرأس وأرميه بين يدى عسـكره .

(١) صل : عن . والتصحيح من طا ، طر، كو . (٢) طا ، طر، كو : العسكر المختار .
(٣) طا ، طر، كو : يؤول أمره بالآخرة .

ولم يقل : " بسعادة الملك " § فلما رأى صاحب الخبر ذلك قضى العجب وقال : سيرزق الظفر على العدو ولكنه فى آخر الأمر يلوى رأسه عن طاعة هرمزد . وأنهى ذلك مع ماحدسه الى هرمزد. فعظم ذلك عليه وندم على إنفاذه وتفويضه اليه سالارية جنوده . فنفذ بعض أصحابه فى أثره وأمره ألا يجاوز مكانه، ويترك فى المنزل عسكره، ويعاود حضرة الملك وحده ليشافهه فى مهم سنح له . فلما وصل اليه الرسول وأدى رسالة هرمزد قال : قل للملك إن الناس يتطيرون من انصراف المسافر من طريقه ، ويجعلون ذلك فالا للعدو فى تصديق أمله وتحقيقه . وأنا أتطير من الانصراف فى أول السفر، ولكنى سأرجع الى حضرته بعد أن أملك عنان الظفر . فانصرف الرسول وأخبر هرمزد بمقالة بهرام فاستحسن كلامه وارتضاه ووافق رضاه . وسار بهرام فى طريقه الى أن دخل بلاد الخوز . فاتفق أن امرأة خرجت الى العسكر بحمل تبن فأخذه منها بعض الأجناد ولم يعطها الثمن . فاشتكت الى بهرام فأمر فصلب ذلك الجندى . فنادى مناديه : من آحتاج منكم الى شىء فلا يقربنه إلا بالثمن . ومن أخذ ورقة تبن غصبا وسّط بالسيف حتى يعتبر به غيره فلا يمد(١) يد الظلم والحيف .

قال : وكان هرمزد مضطرب القلب نابى الجنب من خوف الخاقان . فاحتال ودعا بخراد بن برزين، وأرسله اليه بهدايا كثيرة وأموال وافرة . وكتب اليه كتابا مشحونا بالوعظ والنصح . وقال لخراد : إنى أرسلك اليه لتتعرف أحواله ،وتحزر جنوده،وتبصر عَدده وعُدده . فطر الى هراة بجناح الركض . وإن عنّ لك فى بعض الطرق عسكر فاعلم أنه بهرام . فاحضر عنده وأعلمه بحالك ، وسر فى طريقك . فركب خراد وسار بسير(٢) الريح . فلما قرب من هراة رأى بهرام فأعلمه بالحال وآنطلق . وسار الى أن وصل الى هراة وحصل فى مخيم ساوه شاه فأدّى رسالة هرمزد اليه ، وقدّم هداياه بين

---

§ فى الغرر : " فلما أصحر رأى روّاسا عريان، وعلى رأسه سبذة مملوءة من رءوس الغنم . فتفال بها وركض، واختطف برمحه رأسين منها . وقال: سأختطف، بدولة الملك هرمز، رأس شابه‌شاه وأخيه فغفورة كاختطافى الرأسين . فانصرف الكاهن الى هرمز وأخبره بما رأى وسمع . وقال : إنه سيظفر بالعدو ولكنه يعصى مولاه . فقال هرمز : مرحبا بقضاء الله وقدره" .

وكأن الكاهن أوّل الرأسين رأس ملكين : أحدها شابه، والآخر هرمز نفسه، ولكن بهرام لم يقتل هرمز . وأقرب الى التأويل ما فى ترجمة الطبرى الفارسية أن بهرام اختطف رأسين سقط أحدهما فى الزنبيل . فأوّل الكاهن الرأس الذى لم يعلق بالرمح ــ رأس هرمز، وأن بهرام لن يقدر عليه(٣) .

---

(١) طا، طر : تمدّ . (٢) طا، طر، كو : سير الريح . (٣) الغرر : ص ٦٤٤، وزتر، ج ٨ ص ٧٤

يديه . فبينا هو عند ساوه إذا أتاه النذير بظهور عسكر من صواب إيران . فآنزعج وأقبل على الرسول وهدّده وأوعده . فقال الرسول : أيها الملك ! من ذا الذى يتجاسر على أن ينفذ اليك عسكرا؟ وما هو إلا عابر سبيل أو إصبهبذ فزع من الملك فاستأمن اليك أو خفير قافلة توجه معهم حتى يوصلهم الى بلادك . فتمكن ما قال من[1] قلب ساوه ، وسكن بعض ما به من سَورة الغضب . ثم إن الرسول عاد الى مضربه . ولما جن الليل ركب ظهر الفرار مسلوب النوم والقرار بحيث لم يدر به أحد من عساكر الترك . وأمر ساوه ابنه المسمى بغبور (ا) بأن يتلقى العسكر . وإن كان مقدمهم مستأمنا أو هاربا من أرض إيران آمنه وآواه ، ووعده ومنّاه ، وحمله الى حضرته . فجاء بغبور ولما قرب من مخيم بهرام نفذ فارسا وأعلمه بمجيئه ليكلمه ويكشف عن حاله . فركب بهرام وتلقاه فلما اجتمعا سأله عن مجيئه وقال : بلغنا أنك هربت من فارس لجناية جنيت أو دم أرقت . فقال معاذ الله من ذلك! وإنما جئت من بغداد بأمر الملك لقتال ساوه . فإنه حين سمع بإقباله ندبنى لذلك . فانصرف بغبور نحو أبيه وأعلمه بالحال . فعظم عليه ذلك ، ونفذ فى طلب الرسول فأعلم بأنه اتخذ الليل جملا وهرب . فتلهف على فوته وأرسل رسولا الى بهرام يستدرجه ويخدعه ويعده ويوعده . وبهرام جازم على عزيمته على قتاله ، طاغ فى غلوائه . فترددت الرسل بينهما مرارا فى ذلك على هذه الجملة الى أن علم ساوه أنه يضرب معه فى حديد بارد . فأمر بإخراج الكوسات والنقارات . فعلم بهرام بذلك فعبى عسكره وجعل هراة من ورائه ، ووقف من ساوه شاه بإزائه . فلما رأى ساوه تعبئة بهرام التوى على نفسه وقال لأصحابه : قد بلينا بهذا الفارس المحتال المتجرّد للقتال . فعبّى جنوده وصف صفوفه فجعل على الميمنة أربعين ألفا ، وعلى الميسرة أربعين ألفا آخرين ، ورتب فى القلب مثل ذلك . وكان الموضع ضيقا لا يسع عساكره فاصطف بعضهم خلف بعض[2] . وقدّموا الفيلة كسور ممتد أمام الجيش . فضاق ساوه ذرعا لما رأى من ضيق المكان ، وتزاحم عساكره ، وتراكم بعضهم فوق البعض[3] ، (١٦٩٤) وأوجس فى نفسه شيئا واختار بعض أصحابه وأرسله الى بهرام ثانيا يخدعه ويعده بأنه يزوجه ابنته ، وأنه يوليه ممالك إيران ويجعله فيها نائبه فلم ينجع ذلك فى بهرام ، ولم يجب إلا بلسان السيف ، وأبى أن يكون فيصل الأمر إلا عن حرب تنقصف فيها أصلاب الرماح ، وتحطم وسطها متون الصفاح . فقال بغبور عند ذلك لأبيه : مالك تستصعب هذا المرام ، وتتضرع كذلك الى بهرام ؟ وحقيق له أن يُبكى عليه مع ما هو فيه من قلة العدد ؟ ثم هجم الليل فانصرف كل فريق الى مضاربهم . فنام بهرام تلك الليلة فرأى فى نومه كأن الأتراك غلبوه وكسروه ، واستباحوا ما معه ونهبوه ، وبقى هو

(ا) ذكر هذا الاسم فيما تقدم مرارا على أنه لقب ملك الصين . وهو فى الغرر : فغفورة أخو شابه لا ابنه . (الغرر ص ٦٢٥) .
(١) طا ، طر : فى قلب . — (٢) طا ، طر : البعض . (٣) كو : بعض .

راجلا يطلب الأمان . فانتبه فزعا مضطرب القلب فأخفى منامه ولم يظهره لأحد وهو مهموم محزون . فبينا هو كذلك إذ وصل خرّاد بن برزين هاربا من مخيم ساوه فقال لبهرام : دبر لنفسك[(1)] قبل أن تقوم عليك القيامة . فانه لم يُرقط مثل هذا الجمع . فلا تغتر برجوليتك وشجاعتك، ولا توقع الإيرانيين فى المهلكة ، وأبق[(2)] على نفسك . فإن هذا خطب عظيم ماحزبك مثله . فقال له : خفض عليك فإنك من أهل مدينة شأن أهلها صيد السمك وبيعه صيفا وشتاء، ولاتخرج من الشجعان إلا أمثالك . فان صناعتك نصب الأشراك على وجه الماء، ولست من رجال اللقاء . وسترى العجب العجاب، والبحر ذا العباب غدا عند تبلج الإصباح .

ثم إنه لما أصبح أمر بدق الكوسات وركب وعبّى جيوشه وقسمهم أربعة أقسام، كل قسم ثلاثة آلاف مع إصبهبذ . وتقدّم الصفوف فصاح[(3)] عليهم وحلف وقال : لئن أحجم منكم واحد لأضربن رقبته وأحرقن جسده . وأوعدهم وهدّدهم ثم منّاهم ووعدهم وحضهم على الكفاح والمصاع إغراء ضوارى السباع بغزلان القاع . فتصدّى له الكاتب الكبير ووعظه ونصحه وحذره عاقبة الأمر وقال : ما نحن بينهم إلا كشعرة بيضاء فى متن بقرة سوداء . وسيدوسوننا بحوافر الخيل ويهجمون علينا هجوم السيل والليل . فصاح عليهم بهرام وقال : لا تنطق أيها الشقى ! إلا بما يتعلق بالدواة والقرطاس . فما أنت من رجال الحرب والباس . فانصرف الكاتب واجتمع بخرّاد وقال : إن بهرام قد خانه الرأى والعقل ، وما يحمله على مقاتلة الأتراك إلا الغباوة والجهل . والرأى أن ندبر لأنفسنا ونجو بأرواحنا . فاجتمعت الكتّاب اجتماع الثعالب، وطلبوا ربوة مشرفة على المعترك بعيدة من عسكر العدو فصعدوها وأقاموا ينظرون وهم من فرط الفزع يفكرون كيف يهربون . وأما بهرام فانه لما فرغ من التعبية والتسوية نزل ورفع المغفر عن رأسه ، وعفر وجهه فى التراب يتضرع الى الله تعالى ويسأله أن يثبت قدمه فى مستنقع الموت ، ويرزقه الظفر والنصر والنجاح والفوز . ثم ركب وعينه مغرورقة بالدموع ، وقلبه مضطرب بين أحناء الضلوع . وتشمر للأمر كالقابض على الجمر، بيده جرز كقطعة طود أو صاعقة ذات برق ورعد .

وأما ساوه فانه أمر من كان معه من السحرة فسحروا أعين الايرانيين ، وخيلوا لهم سحابا أسود يمطر عليهم بشآبيب النبال، ويبرق ببوارق النصول والنصال (أ) فقال بهرام لأصحابه : لا يهولنكم ما ترونه، وغمضوا عيونكم فهو سحر وإفك وباطل وكذب . فصاح أصحابه صيحة عظيمة وتشمروا

(أ) انظر ما يقال عن إنزال الترك المطر بالسحر ، ج ١ ص ٢١٧ ، حاشية أ

(١) صل : دبر نفسك . والتصحيح من طا ، طر، كو . (٢) طا ، طر : فأبق . (٣) طا ، طر، كو : وصاح .

للقتال . فلما رأى ساوه أنهم لم يحفلوا بصنيعه زحف إليهم وكسر ميسرة بهرام وتوجه نحو قلبه . فتلقاه بهرام بحملات صادقة استلب برمحه فيها[١] ثلاثة من أعيان فرسانهم عن ظهور خيلهم فدفع بذلك فى نحرهم، وفلّ من حدّهم . وتوجه نحو ميمنتهم بمثل تلك الحملات ، فمزقهم و بدّد شملهم . فأمر ساوه بتضرية الفيول وتقديمها أمام الخيول . فقدّموها كجبال شامخة وأعلام باذخة . فأقسم بهرام على أصحابه بحياة الملك وسألهم أن يرشقوا خراطيم الفيلة و يرميها كل واحد منهم بسهام ثلاثة ثم يأخذوا العمد والدبابيس و يزحفوا زحف الأسود إليهم، و ينقضّوا انقضاض الصخور عليهم . فوتر قوسه، ووافقه أصحابه فرشقوا الفيلة بالنبال الصُيُب كشآبيب السحاب الصيّب حتى صرن كالقنافذ من تلك السهام النوافذ . فلوت أذنابها على رءوسها وأدبرت مقبلة على أصحابها تطؤهم بأخفافها وتعضهم بأنيابها . ووراءها الايرانيون يدقونهم دق المضبب أستاه المسامير . وعاونهم من السماء أحكام المقادير . فانهزمت الأتراك، ودارت على غير إرادتهم الأفلاك . وهلك منهم خلق كثير تحت أخفاف الفيلة عند تزاحم الفرسان وتراكم بعضهم فوق بعض[٢] . وكان ساوه فى تلك الحالة قاعدا على تخت من الذهب ضرب له على ربوة مشرفة على المعركة. فلما رأى أصحابه منهزمين ركب فرسا سمنداً، وانحدر كالكوكب فى انكداره والسيل الى قراره . وتبعه بهرام مثل الجواد اذا استولى على الأمد فأخرج نشابة عليها نصل كالماء وأربع قذذ من قوادم الشغواء . فمسح مقبض قوسه الشاشية، وأخذ على وتره بشسته الشاهية . فاغرق فى نزعه حتى كأن فُوق النشابة مناج لسمعه. ومدّد نحو ساوه يده فلم يكن غير عبور النصل من ظفره ومروقه من فقار ظهره . فخر فى التراب قتيلا ، وصارت الأرض لدمه مسيلا (أ)، فاخترم ذلك الملك الهمام، ولم يغن عنه جيشه اللهام فتيلا . هذا . وكذا الفلك الدائر، لا يدرى أهو صديق موافق أم عدوّ مماذق. فانظر ياصاحب التخت والتاج[٣] ! لنفسك، ولا تغتر بما تحت يدك . واحذر ألا تؤتى[٤] من مأمنك . قال : ولما وقف عليه بهرام نزل وقطع رأسه . وتلاحقت الأتراك فرأوا منه جسدا طريحا بين النجيع غريقا . فصرخوا عليه وقامت عليهم القيامة عند ذلك . وقد تبدّد شملهم وانفض جمعهم، وهلك فى ضغطات الخيول وزحمات الفيول أكثرهم . ولما انقضت تسع ساعات من ذلك اليوم نظر بهرام فلم ير فى ذلك الفضاء من عساكر العدوّ أحدا وكأنهم أضحوا طرائق قددا . ورأى فى كل ناحية فرسا منكوس السرج مقطوع اللجام فى الصحراء،

(أ) فى الطبرى أن هذه إحدى الرميات الثلاث التى يفخر بها العجم ، والثانية رمية سوفرا فى الترك (حرب الهياطلة بعد قتل فيروز، ص ١١٢ ج ٢) والثالثة رمية أرشيباطين أيام منوچهر . وقد تقدّم غير هذا — انظر ص ٥٢ ج ١

(١) طا، طر : فيها برمحه . (٢) طا، طر : البعض . (٣) طا، طر : التاج والتخت .

(٤) طر : أن تؤتى .

(١٩٥) مخضوب القوائم بالدماء . فأمر خراد بن برزين أن يدور على أصحابه فى خيمهم وينظر من قتل منهم . فدار خراد ولم يفقد سوى رجل واحد من آل سياوَخش يسمى بهرام . ثم إن الرجل المفقود بدا من الطريق مقبلا فوصل وقد أسر تركيا أزرق العين أشقر اللون . فسأل بهرام ذلك الأسير : من أنت ثكلتك أمك؟ فقال : أنا ساحر أصلح لكل صاحب حرب . وشغلى أن أرى المنامات المزعجة المقيمة المقعدة . وأنا الذى أراك ذلك المنام الهائل . فأطرق بهرام فقال فى نفسه : ربما أنتفع به فى بعض الحروب اذا ضاقت بى الأمور . ثم رجع الى نفسه وقال : هل[1] نفع هذا ملك الترك شيئا ؟ وهل يرتجى الخير إلا من الله المعز المذل ؟ فأمر به فضربت رقبته ، وغرقت فى دمه جيفته . ثم إنه كتب من الغد كتابا الى هرمزد ، وشرح فيه ما جرى فى الحرب من أوله الى آخره . ونفذ اليه رأس ساوه شاه ورأس ولده الأصغر بغبور ، مع رءوس قوادهم وأمرائهم ، ومع من حصل من الأسرى فى يده .

قال : وقعد هرمزد يوما فى إيوانه ، وفى خدمته أصحابه وأمراؤه فقال لهم : قد مضت علينا خمسة عشر يوما لم يأتنا فيها عن بهرام خبر . وما ندرى كيف حاله ، وإلام انتهى أمره ، مع ملك الترك . فلم يبرح ذلك المجلس حتى أتاه حاجب الباب ، وبشّره بظفر بهرام ووصول رسوله . فأمر بإدخاله عليه . فدخل فتلقاه وأكرمه واحترمه . فهنأه الرسول بالفتح الجليل والنصر العزيز ، وأخبره باتيانه برأس ساوه شاه[2] ، ورأس ولده . فوثب الملك قائما من السرور والفرح . وسجد لله تعالى شكرا على ما أتاح له من ذلك . وأمر بإحضار مائة ألف درهم ، وأمر بصرف بعض إلى الفقراء والمحتاجين والعباد والصالحين ، وصرف بعضها إلى بيوت النار وعمارة الربط والمعابر وغيرها من أبواب البر . ثم أمر بإسقاط خراج الأرض عن الناس أربع سنين . ثم استحضر رسول بهرام بعد أسبوع وكتب جواب كتابه ، ورتب له تختا من الفضة ، ونعلين من الذهب ، ونفذها اليه مع تحف كثيرة وهدايا جليلة . وكتب له المنشور بممالك خراسان وما وراء النهر من حدّ بلاد الهياطلة إلى الوادى المعروف بوادى برك . وأمره أن يفرّق ما أفاءه الله عليه من الأنفال والغنائم على من معه من العسكر ما خلا خزانة ساوه خاصة فإنه ينفذها اليه ، وأن ينهض إلى مقاتلة ابن ساوه الأكبر . ثم خلع على الرسول وردّه إلى صاحبه . فلما حصل عند بهرام فرح بجواب كتابه ، واستبشر بما أمر عليه الملك فى خطابه ، وتلقى أمره بالامتثال ، وفرّق الغنائم على عسكره ، ونفذ خزانة ساوه شاه إلى حضرة سلطانه ومالك أمره . وتفرغ لقتال الخاقان برموذه بن ساوه وحربه .

---

(١) طا ، طر : وهل .   (٢) طا ، طر : شاه (لا) .

ذكر ما جرى بين بهرام جوبين وبين برموذه بن ساوه شاه ، وما آنتهى اليـــه أمرهما

قال : ولمـا تناهى الخبر إلى برموذه (أ) بما جرى على أبيه رمى بالتـاج عن رأسه وأخذ فى البكاء والعويل . ثم قال : كيف تم عليه ذلك مع كثرة عدده وقلة عسكر عدوّه ؟ فقال له بعض أصحاب أبيه : قد أعجبتنا كثرتنا ، واستصغرنا العدوّ، فإنهم كانوا بالنسبة الينا أقل من نسبة الواحد إلى الألف، فآثره الله تعالى علينا ورزقه النصر وآتاه الظفر . " فاستعر عند ذلك استعار النار ، وصمم العزيمة على طلب الثار . ونهض فى مائة ألف مقاتل ونزل على شاطئ جيحون فعبر المـاء . وتلقاه بهرام من هــذا الجانب فنزل الفريقان على مرحلتين من بلخ ، وبين العسكرين مقدار فرسخين . وكان ذلك يوم الأربعاء[1] . وكان المنجمون أشاروا على بهرام عند مفارقة حضرة الملك ألا يخوض يوم الأربعاء غمرة الهيجاء . فإنه إن فعل ذلك حرم الظفر ولاقى الضرر . وكان بالقرب منه بستان فركب اليه مع خواصه ليشتغل بالشرب ، وقال : اليوم خمر وغدا أمر . فأقام فى ذلك البستان على رشـف الراح ، وقصف القيان ، فنذر بذلك برموذه فانتخب سـتة آلاف فارس من آساد الترك ، وأمرهم أن يحيطوا بذلك البستان . وفطن بهرام بما دبروا فأمر أن[2] يجعل فى حائط البستان ثلمة يعـبر منها الفارس أخذا بالحزم ، وجريا على مقتضى الحيطة . وأمر صاحبـه المسمى يلان بأن يركب فى أصحابه ، ويحفظ حوالى البستان . واشتغل مع إيزد كشسب . فجاءت الأتراك وأخذوا حوالى البستان . فثلم ثلمة أخرى فى الحائط ، وركب وخرج منها ، ووقع فيهم وقوع اللهب فى القصب وارتفع صليل الأسياف من الرقاب والأكتاف إلى أن فرش الأرض بجثث قتلى الترك من باب البستان إلى مخيم آبن[3] الخاقان . ثم انصرف إلى مخيمه ، وتشمر للبيات ، وأمر أصحابه فركبوا وعاد بهم فى الحـال تحت سجف الليل . وهجم بهم على مخيم آبن الخاقان ، وأمر بدق الكوسات ونفخ القرون والنايات . فوثبت الأتراك وبادروا أعراف الخيول ، وعلوا ظهورها . وقامت الحرب على ساق ، ولم يزل السيف يعمل الى أن تبلج الإصباح . ولمـا أضاءت الأرض رأى برموذه طلاعها مملوءة[4] بقتلى أصحابه ، ورأى بهرام كالليث المصحر من غابه ، ينحو نحوه ويقصد قصده . فالتفت اليه وسأله أن يقصر عنــه وينصرف على أنه اذا وصل الى موضعه كتب الى الملك هرمزد واستأمنه ، واذا جاءه كتاب الأمان بادر الى حضرته . فهرب برموذه ، وانصرف

(أ) اسمه فى الأخبار الطوال : يلتكين .

(١) طو، لو : اليوم يوم الأربعاء . (٢) طر، طا : بأن . (٣) كلمة «آبن» من طا ، طر، كو.

(٤) طا ، طر : مملوء .

بهرام الى مخيمه، وأمر بجمع رءوس الأتراك فجمعوا منها هناك كشبه تل عظيم فسمى ذلك المكان تل بهرام. ثم أمر بجمع الأموال والأنفال . وكتب كتابا الى السلطان، وأنهى اليه ماجرى على ابن الخاقان.

وأما برموذه فانه التجأ الى قلعة على شاطئ جيحون تسمى أواز، وكان معقله وملاذه، فتحصن بها وأغلق بابها . وأمر بهرام يلان فركب فى ثلاثة آلاف فارس، وقرب من الحصار، وأخذ يقتل كل من يرى حوالى القلعة . ولم يزل يفعل ذلك الى أن أرسل برموذه الى بهرام يسأله أن يكتب الى هرمزد وينهى اليه طلبه للأمان، ويسأله أن ينفذ اليه كتابه مع خاتمه حتى يسارع الى خدمته . فكتب بهرام بذلك كتابا الى هرمزد وأرسل اليه رسولا . فلما وصل الرسول الى هرمزد استحضر الإيرانيين وجلس لهم فى محفل عام فأمر فقرئ ذلك على رءوس الملأ فشكر الله على ذلك، وشمخ بأنفه، وطمح بطرفه ، ورأى تفسه مالك الأرض ذات الطول والعرض . ثم استحضر منطقة مرصعة ومركبا سلطانيا وملبوسا خسروانيا ثم كتب كتابا يقول فيه : إن الخاقان صاحبنا وهو فى أماننا، والله شاهد[1] على ذلك . ثم كتب الى بهرام كتابا آخر مشحونا بأنواع الألطاف يأمره فيه بأن يجهز ابن الخاقان مع المغانم وما يصلح منها للخزانة الى خدمته، واذا فرغ من ذلك تتبع البلاد وتملكها، ومن أحس به من الأعداء قصده قصدا وحصده حصدا، وأن يكتب اليه أسماء الأجناد الذين فى صحبته، المشهورين بحسن البلاء وصدق الجهاد فى خدمته حتى يجازوا ويكافئوا، على اختلاف مراتبهم وتفاوت طبقاتهم. ثم خلع على الرسول وسيره بذلك اليه . ولما وصل الرسول نفذ كتاب الأمان الى القلعة الى برموذه فسر بذلك وسلم القلعة بما فيها من التيجان والمناطق ، والصامت والناطق، والذخائر والأخاير، والجواهر الزواهر الى نواب بهرام . ونزل وركب فى جماعة من أصحابه وخواصه ولم يلتفت الى بهرام، وسار فى طريقه قاصدا قصد حضرة إيران . فلما سمع ذلك بهرام استشاط غضبا ونفذ خلفه ورده راجلا ذليلا . فلما أحضر بين يديه قال : قد أتانى كتاب الأمان من حضرة الملك ، وسلمت اليك القلعة والتاج والتخت . وهأنذا فى خفارة الأمان أروح الى خدمة الملك لعله ينظر الى بعين الأخوة ، ويعاملنى بما عنده من المروة والفتوة . فمالى ومالك الآن ؟ ولقد نلت منه الأمان . فتنمر بهرام حتى احمرت أحداقه وأزبدت أشداقه فضربه بمقرعة كانت معه فى ذلك المحفل، فعل الأنذال والسفل . وأمر به فقيدوا يديه ورجليه، وحبسوه فى خركاه ضيق ضرب له . فلما رأى خراد بن برزين ذلك استفظعه واستقبحه، ودخل على الكاتب الكبير وقال : إنه ليس مع بهرام من العقل ما يوازن جناح بعوضة، وإنه لا يبالى به أحد بعد أن صدر منه هذا الفعل . فينبغى أن تنكر عليه وتشير



(١) طا، طر : شاهدنا .

عليه بإطلاق ابن الخاقان و إنفاذه الى حضرة الملك . فركبا ودخلا على بهرام، وأوسعاه لوما وتعنيفا على حركته القبيحة، وفعلته الشنيعة . فاعترف بإساءته وندم على عثرته، وأمر ففك القيد عنه . ونفذ إليه مركوبا بآلة الذهب وسيفا محلّى . وركب إلى خدمته معتذرا ومستقيلا ومستغفرا، ووقف فى خدمته . فسكت ابن الخاقان حتى شدّ المنطقة على وسطه وركب وبهرام يسايره . ولما أراد أن يودعه سأله ألا يذكر فى حضرة الملك شيئا مما صدر منه . فقال ابن الخاقان : إن شكايتنا من الجد والبخت . وإلا فلست ممن يشكوك ويذكر ذلك فى حضرة الملك . غير أنه إن كان لا ينهى ذلك إليه فلا تليق به السلطنة، ولا تلائمه الشهريارية . إن الفلك هو الذى أساء إلىّ . فكيف أقول : إن عبدا جنى علىّ؟ فآصفرّ وجه بهرام من مقاله وآغتاظ لكنه كظم الغيظ وقال : قد صدق من قال هذه المقالة : لا تزرع الشرّ فإنك تحصد ما تزرع لا محالة . وليت شعرى لم توسطت بين الملك وبينك حتى آمنك ؟ وكنت أظن أن تلك[(١)] زلة تخفى وعثرة تقال وتمحى . والآن فليس تضرنى شكايتك إياى الى الملك . وأى غضاضة تلحقنى منها؟ واذا حضرت أنت بين يدى الملك فقل ما شئت فإن ماء وجهى لا يترنق عنده بذلك . فقال ابن الخاقان : كل ملك يستوى عنده الحسن والقبيح، ويغضى على سوء أدب عبيده فاعلم أنه سكران وإن لم يشرب خمرا، وسنان وإن لم يغمض عينا . وكل من يسمع هذا من عدوّ وصديق وبعيد وقريب يعدك عبدا خفيف الرأس، ويعدّه ملكا رقيق رداء العقل . فتغير بهرام وآصفرّ وجهه وكاد أن يسبق سيفه العذل[(٢)] . فأحس خرّاد بذلك فقال له : اكظم غيظك أيها البهلوان ! فإن الخاقان صادق فيما يقول . فقال بهرام للخاقان : كأنك قد نسيت ما جرى على أبيك حتى أصبحت تدل كذلك، وتجاوز الحدّ فى مقالك . وآنجز بينهما الحديث حتى أقسم خرّاد عليه بحياة الملك أن يثنى عنانه ولا يكثر القال والقيل . فآنصرف بهرام الى مخيمه، وأمر أصحابه بالصعود إلى القلعة وضبط ما فيها من الذخائر والجواهر التى كانت زبدة الحقب . فصعدت إليها الثقات والكتّاب مبكرين، ولم يزالوا فى حساب وكتاب الى الثلث الأخير من الليل، ولم يأتوا مع ذلك على الجميع، من[(٣)] كثرة ما آجتمع فيها من الأموال والكنوز من عهد أفراسياب ومن بعده . وكان فيها من متاع سياوخش منطقته وقرطاه اللذان لم يحصل مثلهما لأحد من الأولين والآخرين (ا) . ثم أمر بجمع الغنائم التى غنمت فى المعترك فجمعوا وعرضوا ثبّت الكل عليه، وفى الجملة القرطان، وخفان

(ا) فى الشاه : واللذان سلمهما كيخسرو الى لهراسب، وسلمهما لهراسب الى كشتاسب، ووضعهما أرجاسب فى القلعة .

(١) صل، طا، طر : أن تلك الزلة تخفى وما تمحى . والتصحيح من كو . (٢) طا، طر، كو : العذل سيفه .

(٣) صل : مع كثرة . والتصحيح من طا، طر، كو .

مرصعان، وثوبان منسوجان من الذهب وزن كل واحد سبعة أمنان . فاستصفى بهرام الثوبين والخفين، وأسقط اسمهما من الجريدة المنفذة الى الملك .

ثم أمر إيزد كشّسب (أ) أحد أصحابه أن يركب ويستصحب مقدار ألف فارس ويسير بالغنائم والسبي الى حضرة الملك ففعل ذلك . وسار الخاقان الى أن قرب من حضرة الملك فاستقبله وترجل كل واحد منهما للآخر . ثم ركب الملك ودخل الى إيوانه وركب الخاقان ليرجع الى مخيمه فأخذ "البرده دار" بعنانه فنزل ودخل الى الايوان . فأجلسه على تخته بجنبه وأكرمه واحترمه. ثم زينوا له إيوانا شاهيا بجميع ما يحتاج إليه الملوك من الآلات والأسباب . ورتب له ديوانا وكتابا . وأمر بأن تترك الأحمال فى الميدان عند "الساربان" . فلما كان بعد أسبوع عمل دعوة عظيمة واستحضر الأكابر والأشراف ثم أمر بأن يمر بأحمال الأثقال عليه . فاشتغل بنقلها ثلاثة آلاف أجير طول ذلك النهار . وجلس فى اليوم الثانى فى مجلس الأنس فأدخلوا إليه خمسين ألف "فردة" فكثروا منها مائة كنز. ثم أمر بأن يحضر بين يديه تخت من تلك الثياب المنسوجة بالذهب عنده. فتعجب الحاضرون فيها، وتعجب الملك وقال ! لآيين كشسب وزيره ودستوره : كيف ترى صنيع جوبين وآثار سيفه وسنانه ؟ فأجابه الوزير بكلمة فيها تخوين جوبين . فعظم ذلك على الملك، وامتلأ قلبه فكرا فيما قال . فبينا هو فى ذلك الفكر إذ وصل نجاب من الكاتب الكبير الذى كان مع بهرام، بكتاب مضمونه، بعد الدعاء، إعلام الملك بأن بهرام أخذ قرط سياوخش والثوبين والخفين. فاستشهد شاهك(ب) وكان أحد الحاضرين عند بهرام فى ذلك اليوم فشهد بذلك . فقال : (ج) إن جوبين يريد الشهريارية بما صدر منه من ضرب الخاقان، واستصفاء زبد المغنم. والآن قد تغير عليه رأينا وضاع سعيه عندنا . ثم استحضر الخاقان واندفع معه فى الشرب . ولما دخل الليل خاض مع الخاقان فى الحديث ثم قال له : إنك إن نقضت عهدنا لم تجتن ثمرة عنايتنا . فجدد الآن معنا العهد . فحلف بالأيمان المغلظة أنه لا يخرج رأسه عن ربقة طاعة هرمزد، ولا يخالف أمره، ولا ينكث أبدا الدهر عهده . فانفض المجلس وعاود الخاقان إيوانه .

(١٩٧)

ولما أصبح هرمزد أعد له خلعة رائعة رائقة تليق بجلالة قدره وفخامة أمره . ثم أذن له فى الانصراف، وركب وسار معه مترلين . ثم ودعه وعاد الى دار الملك. وسار الخاقان فلما قرب من

(أ) ينبغى التميز بين ايزد كشسب الكاتب الذى قتله الملك هرمزد، كما تقدم، وبين إيزد كشسب صاحب بهرام .

(ب) ترجم ورتر، مول "شاهك" بالملك الصغير . حسباها وصفا أريد به ابن الخاقان . ورأى المترجم هنا أنه اسم رجل . وجملة : «وكان أحد الحاضرين الخ» ليست فى الشاه .

(ج) القائل هنا الملك .

مخيم بهرام تلقاه بمن كان معه من أكابر إيران ، ورتب له العلوفة والأنزال فى طريقه . ولما لقيه تملق إليه متودّدا ، وتبصبص متقربا فلم يلتفت اليه الخاقان ، وأعرض عنه ولم يقبل منه شيئا . وسار بهرام فى موكبه ثلاثة أيام . ولما كان اليوم الرابع نفذ إليه وأشار عليه بالانصراف . فعاد بهرام الى بلخ ، وأقام بها أياما قارعا سن الندم ممتلئ القلب من الهم والحزن ، وصاحبه غير راض عنه لما صدر منه من الاستخفاف بالخاقان أوّلا والاستبداد بصفايا المغنم ثانيا .

وأما هُرمُزد فانه كتب إليه كتابا يوبخه فيه ويعنفه ويقول : إنك خلعت ربقة الطاعة ، وعدلت عن طريق العبودية ، وأصبحت لا تعرف قدر نفسك ، وتظهر الاستغناء عن مالك أمرك . فقد جاءتك الآن خلعة تليق بك وتصلح لك . وأمر بإحضار قميص من الشعر ، وسراويل أحمر ، ومعجر أصفر ، ووعاء فيه قطن ومغزل الى غيرهما مما يصلح للنساء . ثم أمر بعض أصحابه بأن يحملها الى بهرام ويقول له : أيها الشيطان الخبيث ! أبلغ بك الأمر الى أن تقيد ملك الصين ، وتعمل عمل السلاطين ؟ سأنكسنك (ا) من التخت الذى استويت عليه ، ولا أعدك إلا ممن لا يلتفت إليه . فسار الرسول بالكتاب والخلعة . فلما وصل الى بهرام أدّى اليه الرسالة ، وسلم اليه الخلعة . فاختار الصمت ، وحالف الصبر وقال : ما كان ظنى أن يكون هذا جزائى من الملك ، وأن يصغى الى حسادى ويسمع كلامهم فىّ بعد أن فعلت ما فعلت . وأما الآن فا(١) أشكوا بثى وحزنى إلا الى الله عز وجل . فلبس تلك الخلعة الملونة ، ووضع بين يديه ذلك المغزل والقطن . وأمر بإحضار الأمراء والقوّاد وسائر وجوه الأجناد . فلما حضروا بين يديه ورأوا ما لبسه(٢) بهرام عمهم السكوت والإطراق . فأقبل عليهم وقال : إن هرمزد هو الملك ، ونحن العبيد المطيعون لأوامره ، المتصفون بعبوديته . وقد أمر لنا بهذه الخلعة فماذا ترون ، وأى شىء تقولون ؟ فقالوا : ما باله لا يعرف قدرك ، ولا يقابل بالإحسان سعيك ؟ اذكر قول أردشير فى الرى حين ضاق صدره من أردوان حيث قال : " اذا لم يحفظ الملك حرمتى فأنا برىء منه ومن تخته وتاجه " . فقال بهرام لذلك القائل : لا تذكر مثل هذا الكلام فإن رونق المماليك إنما يكون بعناية الملوك . ونحن عبيد هرمزد الذى طاول الأفلاك . وأى شىء فعل بنا فأهلا ومرحبا بذلك . فغضب الأمراء وقالوا : نحن لا نرضى بهرمزد ، بعد ما صنع ، سلطانا ؛ ولا بك بهلوانا . ووثبوا وخرجوا من إيوان بهرام . فأخذ بهرام يعظهم ويزجرهم زجرا مشعرا بالإغراء ، ويترّحسوا فى الارتغاء .

(ا) كذلك فى النسخ الأخرى . والتأكيد هنا غير جائز لغة .

(١) صل : ما أشكو . والتصحيح من طر . (٢) طر : ألبسه .

ثم إنه بعد أسبوعين خرج الى الصيد من مدينة بلخ . ولما صار الى الصحراء رأى حمار وحش فركض خلفه . فطار وهو يقفو أثره وخلفه يلان وايزد كشسب، وهما من أعيان قواده . فاجتره اليعفور الى برّية واسعة فسنح له قصر رفيع فيها فأتاه فاذا بباب عال فنزل وسلم عنان فرسه الى أحد صاحبيه ودخل القصر، و بقى صاحباه على الباب . فأبطأ بهرام فقال ايزد كشسب ليلان : ادخل وأبصر ما حال البهلوان . فدخل فرأى إيوانا رفيعا قد نصب فيه تخت من الذهب ، وعليه امرأة كأحسن مايكون، وقد اصطفت على رأسها الوصائف سماطين . فلما أحست بدخول يلان أمرت بعض الجوارى أن تردّه وتمنعه من الدخول، عن لسان بهرام، وتقول له : هأنذا خارج اليكم . فانصرف يلان . ثم فتح باب بستان فأمر بالدخول اليه . فدخلا و إذا بسماط عظيم وألوان من الأطعمة كثيرة . فطعما وخرجا . قال : وقالت المرأة لبهرام لا زال تاجك يطاول الجوزاء، وقدرك يساجل السماء ، ولا زلت مسرور القلب منشرح الصدر . فخرج بهرام وكأنه غير الذى دخل ، وكأنما أبدل طبعا آخر وخلقا آخر، وجهه يكاد يقطر دما، وكأنه صار شهريارا معظما واذا بذلك اليعفور أمامه . فتبعوا أثره الى أن خرجوا من تلك البرّية ، وعادوا الى الموضع الذى كانوا فيه . ثم دخل الى المدينة فتلقاه خرّاد بن برزين وقال له : أيها السيد الصادق ! ما تلك العجائب التى رأيتها فى المتصيد ؟ فسكت ولم يردّ عليه جوابا ودخل الى إيوانه متنمرا . ولما أصبح أمر فرتبوا له إيوانا شاهيا ، ووضعوا فيه كراسى الذهب ، ونصبوا برسمه مقعدا فوق الكرسى ودون التخت اللائق بالملوك، وبسطوا الفرش الرفيعة . فجاء بهرام وقعد فرآه الكاتب الكبير فتعجب من ذلك . ولما انفض المجلس اجتمع الكاتب بخراد بن برزين، وحكى له ماشاهد من بهرام وايوانه . فقال له خراد : إن الأمر قد خرج من أيدينا وليس من المصلحة مقامنا ها هنا . والرأى أن نهرب ونتصل بالملك . ولما جن الليل[1] ركبا وسارا تحت خوافى الليل بقوادم الركض . ولما أصبح بهرام أعلم بالحال فنفذ



يلان فى مائة فارس فلحق الكاتب الكبير فأخذه، وفاته خراد فعاد بالكاتب الى بهرام فقال له : لم خرجت من غير جواز؟ فقال : إن خراد بن برزين أشار علىّ بذلك، وقال : "إن العسكر، بعد أن صدر منهم ما صدر من الجسارة فى ذلك المجلس حين قالوا : إنا لا نرضى بهرمزد سلطانا، ولا ببهرام بهلوانا، يقصدوننا فى أرواحنا . والرأى أن نخرج من بينهم" . فهربنا . فصدقه بهرام وأطلقه وأعطاه عوض ما أخذ منه ، وقال له : الزم الشغل الذى أنت فيه متلبس ، واحفظ جاهك وحرمتك .

---

(١) كلمة "الليل" من طا، طر.

وأما خرّاد بن برزين فانه سار الى أن وصل الى هرمزد فأعلمه بحال بهرام، وقصة المتصيد ، وما ظهر عليه من آثار الطغيان والعصيان . فاستحضر موبذ الموبذان وذكر قوله في مبدأ الأمر حين نفذ بهرام الى قتال الترك . ثم سأل الموبذ وقال : فهمني معنى ما ظهر له في الصحراء من حمار الوحش[1] والقصر والملكة فإن هذا كنوع من المنامات . فقال : اعلم أن حمار الوحش هو الشيطان الذى ملك قياده ، والمرأة القاعدة على التخت هى النفس الساحرة التى خدعته ومنّته السلطنة وأفسدت دماغه . والآن فلا تطمع فى طاعة بهرام بعدها ، ودبر فى استرداد ذلك العسكر . فندم الملك على إنفاذ القطن والمغزل وتلك الخلعة اليه، ولات حين مندم . ثم أتاه رسول بهرام بسلة مملوءة خناجر يشعر بأنه حرب له . فأمر الملك فكسرت تلك الخناجر وردت اليه فى تلك السلة . فاستحضر بهرام أمراءه وقوّاده وقال لهم : انظروا الى صنيع هرمزد . إنه أشار بكسر هذه الخناجر الى أن نيته فيكم قطع الحناجر. ولا سبيل بعد هذا الى أن أطأ ترابه أو أقرب بابه . فدبروا أنتم لأرواحكم . فعظم عليهم ذلك ونفرت قلوبهم . ثم إنه خلا بوجوه إصبهبذيه وقوّاده، وهم همذان كَشسب، وبهرام بن سياوُش ، ويلان وغيره، وفاوضهم فى تغير الملك عليه مع غنائه وإبلائه فى خدمته . وقال لهم : ما التدبير حتى نتخلص من يده ، ونسلم بأرواحنا من معرّته وعاديته ؟ وكانت له خلف الستور أخت كان تزوّج بها ، وهى من أعقل أهل زمانها . فخرجت الى ذلك الندىّ وقالت : يا وجوه العسكر ! أنتم سادات إيران وأكابرها . فما بالكم سكوتا لا تنطقون بالحق ؟ فقال ايزدكشسب : نحن تبع بهرام : إن[2] صالح صالحنا وإن حارب حاربنا . فوافق قوله هوى بهرام وقال ليلان : ماذا عندك ؟ فقال : قد أعطاك الله السلطنة فاقبلها ، وولاك التخت والتاج فلا تكفر نعمته وتولّها . ثم أقبل على بهرام بن بهرام وقال : فما قولك؟ فتبسم وخلع خاتمه ورمى به فى الهواء وقال : إن الله تعالى قادر ما بين ترقى هذا الخاتم وانحداره، على أن يمدّ بضبع عبد فيجعله ملكا كبيرا وشهريارا جليلا . ومن يسّر له ذلك فلا ينبغى أن يعدّه أمرا صغيرا . ثم التفت الى بنداكشسب[3] واستنطقه ، وقال له : هل تليق بنا السلطنة أم لا ؟ فقال : قد قال حكيم الرى لأن تعيش يوما واحدا وأنت ملك خير لك من أن تعيش ألفا وعليك لغيرك أمر . ثم أقبل على الكاتب الكبير وقال : ما عندك ؟ فقال : إن الأمر لله بين الكاف والنون (أ) ، وإنه

(أ) هذه العبارة ليست من الشاه . وجواب الكاتب الكبير فيها : « كل من أمل ما يليق به ناله . فان يد الزمان طائلة . وليس يرد الجهد ما أتم الله به » .

(١) صل : حمار وحش . والتصحيح من طا ، طر . (٢) طا ، طر ، كو : فان صالح .

(٣) فى الشاه : مول ، ورنر : گندا كشسب .

اذا قدّر شيئا فهو لا محالة يكون . ثم قال لهمذان كشسب : ما رأيك فيما نحن بصــدده ؟ فقال : توكل على الله، واشرع فى الأمر، ولا يصـدّنك عن التمر شوك النخل ولا عن الشهد إبر النحل . قال : وأخته ساكتة لا تتكلم . فقال لهـا بهرام : ما رأيك فيما نحن بصدده ؟ فسكتت ولم تجبه، وأقبلت على الكاتب الكبير وقالت : أيها الذئب الطاعن فى السن ! أتحسب أن تمنى التاج والتخت ما دار فى رأس أحد قبــل بهرام ؟ ألم تعلم كم بقى التخت معطلا فى الزمان الأوّل حين كان كيكاوُس محبوسا فى هماوران فلم يتجاسر على التقدّم اليــه مثل جوذرز و رُستَم وغيرهما، ولم يخرج أحد منهما رأســه عن ربقة التبعية بل كشفوا عن ساق العبودية، وقرعوا ظنابيب الجدّ حتى خلصوه وأعادوه الى مستقره ودار ملكه (ا) وما بلغنا أن أحدا ممن لا ينتسب(١) الى الشجرة الكيانية تصدّى لطاب السلطنة وإن كان عالى النسب كريم العنصر . وقــد غرك يا بهرام ! أن هلك ساوه شـاه على يدك بسعادة الملك، وقوة طالعه . فأصبحت تخلع ربقة طاعته وتمنى تخت ملكه، بعد أن جذب بضبعك ونوه بذكرك، على ما هو دأب الملوك ومقتضى هممهم العالية، فتضيع سعيك وسعى آبائك وتخرب بيتك . استيقظ من سنة غفلتك، ولا تسلط الهوى على عقلك . فإن يلان لا يقدر أن يعمل منك شهريارا جديدا . فسكت بهرام حين عرف صدقها و إصابتها . فقال يلان : أيتها المرأة الجليــلة ! إن هرمزد سيموت عن قريب . ولا يتمتع بالملك غير أخيك . و إن هذه الدولة قد آذنت بالانصرام وطال عليها تعاقب الشهور والأعوام . فاذا اختُرم هرمزد فلا مبالاة بپرويز . فإن جميع من على بابه كلهم مريدون لأخيك، ومفتخرون بخدمته، ومطيعون لأوامره . فقالت : إن الشيطان هو الذى نصب لكم هــذه الحبائل ، وأرصدكم الغوائل . فإنا من أولاد مرازبة الرى، ولا يليق بنا التعرّض للتاج الكيانى، والسرير الخسروانى . ولكنّك تغرر ببهرام وتمنيه هــذه الأمنية . فقامت باكية وهى غضبى على أخيها، ودخلت الى ما وراء الحجــاب . فتعجب الحاضرون من ثقوب رأيها وكمال عقلها حتى قالوا : كأنها أعلم من جاماسب الحكيم . فاطرق بهرام واجمـا لمـا قرع سمعه من كلامها لكن كان قد غمرته أمنية الملك حتى لم يكن يرى فى نومه سوى التاج والتخت .

ثم أمر بمد السماط فطعموا ، وجلس فى مجلس الأنس فأحضر(٢) المغانى، واقترح أن يغنوه بقصة إسفنديار فى هفتخوان (ب) فشربوا على ذلك الى أن ثملوا فانفضّ المجلس وعادوا الى منازلهم . ولمـا

(ا) ذكرت أخت بهرام أيضا ما كان أيام قباد من نصر سابور الرازى، و إطلاق زرمهر إياه كما تقدّم .

(ب) انظر وقائع هفتخوان ص ٣٤١ ج ١ .

(١) طا، طر، كو : ينسب . (٢) طا، طر، كو : وأحضر .

أصبح استحضر الكاتب وكتب الى الخاقان كتابا مشحونا بأنواع الاعتذار والاستغفار يستقيله العثرة التى بدرت منه، ويسأله الرضى عنه، ويعـده أنه بعد وقته ذلك يسلك سبيل خدمته، ويتوفر على إقامة شرائط طاعته، والمحافظة على تمهيد قواعد حرمته وحشمته، والذب عن ساحة ملكه وحوزته. ثم فتح أبواب خزانتـه[١] وأطلق أرزاق عسكره. وقلد بلاد خراسان أحد أمرائه، وارتحـل من بلخ متوجها نحو الرى. فلما وصل اليها أخذ فى المكر والاحتيال، وأمر بضرب الدراهم على اسم كسرى (أ) برويز بن هرمزد، وأن يمحى اسم أبيه عن السكة. فضرب منهـا كثيرا واستحضر التجار الذين يسافرون الى بغداد فاشترى[٢] أمتعتهم وأقمشتهم ودفع اليهم من تلك الدراهم، يريد بذلك أن تحمل الدراهم الى المدائن فيراه[٣] هرمزد فيتغير على ولده. ثم كتب الى هرمزد كتابا يذكر فيه حسن بلائه وصدق غنائه فى الذب عن دولته، والدفاع عن حوزته، ويشكو مجازاته بتلك الخلعة المستنكرة. وقال فيه: إنك بعد هـذا لا ترانى فى المنام فضلا عن العيان. فاقطع رجاءك منى. ولكنى مهما استقر كسرى برويز على التخت اتبعت أمره، وزعزعت فى طاعتـه الجبال، وأرسلت من دماء أعاديه[٤] البحار. وختم الكتاب ونفـذه على يد بعض أصحابه[٥] وقال: إنى اذا هتكت ستر الحشـمة استأصلت جرثومة الساسانية. وما كتب الله لهم أن تكون الأرض تحت أيديهم[٦] وحكمهم الى يوم القيامة. والآن قد دنا انصرام حبلهم، وانقضاء أمدهم. فلمـا وصل الكتاب الى هرمزد اصفر وجهه وعظم عليه ذلك. فأنهى اليـه أيضا أنه ضرب الدراهم على اسم برويز. فتضاعف الداء وكأنمـا ضاقت عليـه الأرض والسماء. فتغير رأيه على ولده، واستحضر إصبهبذا كان صاحب سره يسمى آذين[٧] كشسب، وفاوضه فيما أتاه من ذلك الخبر المزعج، والنبأ المقيم المقعد. وسأله أن يدبر فى الاحتيال لاغتيال كسرى ولده. فخدعوا بعض خواصه بمـال وواضعوه على أن يسقيه سما[٨] يقتله. فاطلع بعض الحجاب على هذا السر فسارع الى إعلام برويز بذلك. فركب تحت جناح الليل وخرج من بغداد يسوق طردا وركضا الى أن وصل الى آذربيجان. فلما انتهى الخبر الى أكابر فارس بأن برويز فارق حضرة أبيه وظهر فى بلاد آذربيجان أقبلوا اليه فاجتمع عنده خلق كثير منهم. وفيهم باذان وفيروز وشيرزيل وبيورد صاحب كرمان، وسام بن إسفنديار صاحب شـيراز. وقالوا: أنت وارث التـاج والتخت، وأنت مالك الأمر والنهى، ونحن بين يديك. ولو قصـدك ثلاثمائة ألف فارس منعناهم عنك وحفظنا ملكك

(أ) الذى يرويه التاريخ أن بهرام چوبينه ضرب السكة باسمه هو لا باسم برويز.

(١) طا، طر: خزائنه. (٢) طا، طر، كو: واشترى. (٣) كذا فى نسخ الترجمة. (٤) طر: أعدائه. (٥) طر، طا: أصحابه اليه. (٦) طر: أقدامهم. (٧) فى الشاه: آئين كشسب.
(٨) طا، طر، كو: ويقتله.

فانبسط واركب الى الصيد والقنص، واشتغل بإقامة ناموس السلطنة . فقال لهم برويز : إنى خائف من الملك . وأنتم اذا حالفتمونى على أنكم تكونون معى يدا واحدة حربا لمن يحاربنى وسلما لمن سالمنى أمنت اليكم . فحالفوه عند بيت النار المسمى آذركشسب . فوثق بهم كسرى ، وفرّق الجواسيس وأصحاب الأخبار فى جميع الأقطار ليعلموه بأحوال الملوك عامة وبأخبار أبيه وما هو فيه خاصة .

وأما هُرمُزد فانه لما وقف على خبر ولده[1] أمر بالقبض على كُستَهم وبندويَه وهما من أخوال برويز . وكانا من الآساد المذكورين والشجعان المشهورين . فقبضوا عليهما وعلى جميع خواصه وأصحابه ، وقيدوهم وسلسلوهم ورموهم فى المحابس . ثم خلا بآذين كشسب وشاوره فى أمر بهرام، وسأله عن وجه التدبير فى استمالته واستعطافه. فقال : أيها الملك! إن بهرام يعلم أنى أعدى عدوّله . وهو لا يريد فى الدنيا غير سفك دمى، ولا يشتفى إلا بقتلى . والصواب أن تقيدنى وتنفذنى اليه . فعساه يرجع بهذا الى طاعتك . فقال : هذا أمر مستحيل. ولكنى أجعلك سالار العسكر، وأنفذك اليه . وأرسل اليه أوّلا فإن رضى بالصلح ولِيناه بعض الأقاليم واسترحنا من جهته، وإن لم يفعل ذلك نهضتَ اليه وحسمتَ مادة شره . قال : وكان لآذين كشسب هذا بلدىّ فى حبس الملك، وكان من جيرانه فى بلدته[2] . فكتب اليه من الحبس يتضرع اليه ويقول: إن سألت الملك أن يطلقنى ويخلصنى لازمت خدمتك فى السفر والحضر، وشهدت معك هذه الحرب التى أنت خارج اليها ثم ترى حسن بلائى بين يديك وصدق غنائى معك . فكتب الى الملك فى حقه فقال : إن هذا رجل مفسد، وهو لا يصلح لخدمتك، ولكنى لا أدفع فى نحر مرادك . فأطلق الرجل وانضم الى آذين كشسب ، واتصل به . ولما خرج إلى قتال بهرام فى عساكر هُرمُزد ووصل إلى همذان أعلِم بامرأة منجمة كانت هناك تخبر عن الأحوال الكائنة . فاستحضرها وخلا بها وأخذ يسألها عن أحوال الملك والعدو، وما تقتضيه أحكام النجوم . فبينا هما فى هذا الكلام إذ مر بهما ذاك الرجل الذى خلصه من الحبس . فلما رأته المرأة قالت : من هذا الخبيث الذى يجب أن يبكى عليك من يده؟ فإنه سيسفك دمك . فأطرق الإصبهبذ، وتذكر أن بعض المنجمين كان قال له فى صباه : إن بعض الأرذال من جيرانك يقتلك فى طريق أنت سالكه . فكتب الى هرمزد كتابا يذكر فيه أن خلاص هذا الرجل كان بعيدا من الصواب . فإذا وصل اليك بكتابى هذا فمر بضرب رقبته فى الحال . وختم الكتاب واستدعى الرجل ، وأحسن اليه، وأعطاه الكتاب، وأمره أن يطير بجناح العجلة الى الملك، ويأتى بجوابه . فإن فيه بعض المهام . فأخذ الكتاب ورجع قاصدا قصد الملك .

---

(١) طر، طا : هرب ولده . كو : خبر هروب . (٢) صل : فى جيرانه . والتصحيح من طا، طر .

فلما توسط الطريق قال فى نفسه : إنه قد طالت مدّة غيبتى عن بيتى واهلى وولدى ، والرأى أن أرمى بهذا[1] الكتاب ، وأعاود وطنى . فصمم عزمه على ذلك ففتح الكتاب وقرأه وإذا[2] هو كصحيفة المتلمس . فالتهب من الغيظ وتمر ورجع من طريقه ، وعاد الى مخيم الإصبهبذ فصادفه وحده فى مضربه وليس عنده أحد ، ولا معه سلاح . فدخل عليه بدالّة قربته . فلما وقعت عينه عليه أحس بالموت وعلم بالحال فتضرع اليه . فلم يلتفت إليه واستل سيفه وضرب رقبته وحمل رأسه ، وخرج على غرة من القوم . وسار نحو بهرام فدخل عليه وقال : هذا رأس عدوك الذى خرج لقتالك . فأنكر بهرام فعله ولم يستحسنه وقال : إنه لم يكن قد خرج إلا لإصلاح الحال بينى وبين الملك . فأمر به فصلب فى الحال . قال الفردوسى : الملك وذووه لا ينبغى أن يفارقهم السلاح أو حاملوه .

قال : وأما العساكر الذين كانوا معه فإنهم لما قتل الإصبهبذ تبدّد شملهم ، وتفرق جمعهم . فاستأمن طائفة الى بهرام ، وتوجه طائفة نحو مخيم برويز بآذر بيجان ، ورجع الباقون الى حضرة هرمزد . فلما علم بذلك عظم عليه ، وقعد فى مصابه بصاحب حربه ، وأغلق أبوابه ، وأطال حجابه حتى وقعت الأراجيف فى المدينة . وبلغ الخبر الى المحبوسين فكسروا الأقياد ، وخرجوا . وخرج كُستَهم وبندويَه ، وتبعهما عوام البلد وأوباشهم ، ونادوا بشعار برويز ، وهجموا على هرمزد ، ودخلوا عليه ، ونكسوه من التخت ثم كحلوا عينيه وبخعوه بكريمتيه وحبسوه . وأنهى الخبر بذلك الى برويز فطار بجناح الركض وخرج من طريق أرمينية موجع القلب بما جرى على أبيه حتى قرب من بغداد . فسكن الناس وفرحوا بمقدمه فاستقبله أكابر البلد ، ودخلوا به الى دار الملك ، وزينوا له إيوان السلطنة ، ونصبوا التخت ، وعلقوا التاج .

٤٢ — ذكر نوبه كسرى برويز بن هرمز[3] بن كسرى أنو شروان . وكانت مدّة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة §

وكان من أشدّ ملوكهم بطشا ، وأثقبهم زندا ، وأبعدهم غورا . وبلغ ، فيما ذكر ، من البأس والنجدة والنصرة والظفر وجمع الأموال والكنوز ومساعدة القدر إياه ما لم يتهيأ لغيره من ملوكهم .

---

§ كسرى الثانى الملقب برويز ملك ثمانيا وثلاثين سنة (٥٩٠ — ٦٢٨ م) . وهو آخر ملوك الفرس الكبار ، وعهده فى الشاهنامه من أطول العهود ، ملئ بالقصص الممتعة ، والعبر العظيمة ذات الأثر البليغ فى الأدب الفارسى . وقد بلغ من سعة السلطان ما لم يبلغه ملك فارسى منذ دارا الأول ؛ =

---

(١) طر ، طا : هذا الكتاب . (٢) طا ، طر : فاذا . (٣) طر ، كو : هرمزد .

ولذلك سمى برويز . وتفسيره المظفّر . قال : فتسنم برويز تخت السلطنة ، واحتفل له الناس، على ما جرت به عادتهم . فوعظهم ونصحهم ووعدهم من نفســه بكل خير ، وأنه يسير فيهم بسيرتى كرم وعدل . فدعا له الحاضرون وأثنوا عليه وقاموا مسرورين، وله حامدين وشاكرين .

وكان برويز موجع القلب متألما لما جرى على أبيه . ولما أمسى من يومه ذلك دخل عليه فسجد[1] له وكفر بين يديه، وقال : أيها الملك ! إنك تعلم أنى لو كنت فى خدمتك لم يتجاسر أحد على أن يغرز إبرة فى إصبعك فضلا عما جرى عليك . لكنى من خوف القتل فارقت حضرتك . والآن إن رسمت[2] لم أحُم حول التـاج والتخت، وقمت على رأسك ما عشت . فصدّقه أبوه وقال : إن لى اليك ثلاث حاجات : إحداها أن تسمعنى صوتك كل صباح . والثـانية[3] أن تنفذ الىّ رجلا عالما بالحروب والتواريخ حتى يلازمنى و يؤنسنى بالقصص والحكايات . والثالثة أن تنتقم[4] ممن أقدم على خلعى وسمل عينىّ . فسمح له بالحاجتين . وأما الثالثـة فقال : أيهـا الملك ! لا يخفى عليـك أن بهـرام قد أطل علينـا ، وله من الشوكة والقـوّة ما تعرفه . وأنا إن مددت يدى الآن الى كُستَهم

= فقداستولى على مصر والشام وسائر ما كان يملكه الروم فى آسيا وعسكرت جنوده على شاطئ البسفور . ولكن بسطة السلطان هــذه انقبضت فى آخر حياته . وقد عاصر ثلاثة من ملوك الروم ، بجدّه أنوشروان . وسيأتى بيان هذا .

وفى أيام پرويز كانت وقعة ذى قار، ولكن الشاهنامه تغفلها .

وكان پرويز، كأبيه وجدّه، محسنا الى النصارى، بل بذّهما فى هذه السبيل . وسيأتى فى حواشى هذا الباب أنه كان يرسل الهدايا الى كنيسة القدّيس سرجيوس بالرصافة .

وقد اضطرّ فى أوائل عهده البطريق الهرم سبريشو الى مصاحبة جيشه ليباركه . وكان لشيرين، وهى نصرانية، عليه سلطان عظيم ، وقد بنت كنائس وديورا . ولكن هذا العطف على النصرانية انقلب الى ضدّه حين ثارت الحرب الطاحنة بين پرويز والرومان[5] — كما يأتى

وعهده فى الشاهنامه ٤٢٠٠ بيت . ويمكن تقسيمه هذه الأقسام :

(١) كسرى پرويز و بهرام چوبينه، وقيصر . (٢) بهرام والخاقان . (٣) كسرى وكُرديه أخت بهرام . (٤) شيروى بن كسرى . (٥) كسرى وشيرين . (٦) حوادث شتى .

وفى كل قسم عنوانات ستذكر فى ثنايا الباب . =

(١) صل : سجد . والتصحيح من طا ، طر، كو . (٢) طر : رسمت لى . (٣) فى النسخ كلها : والثانى .
(٤) طا، طر، كو : تنتقم لى . (٥) سيكس ج ١ : پيدنه .

انقلبت علينا الأرض ظهرا لبطن . ولا أقدر على ذلك فى مثل ذا الوقت . وأنت فصبّر نفسك ، واعلم أن ذلك حكم إلهى، وقضاء سماوى جرى به قلم التقدير فى الأزل . فقام والدموع تجرى على خديه، وخرج من عنده مستترا بحيث لم يطلع على دخوله عليه أحد .

وأما بهرام فإنه لما سمع بأن هُرمُزد كحل وخلع، وأن برويز رجع وقعد مقعده من سرير السلطنة خرج من الرى وساق العساكر فلم يحَس به إلا وهو نازل بالنهروان . فخرج برويز من طَيسفون فى جموعه وجنوده . وقال : الرأى أن أقرب منه وأكلمه وأستعطفه وأستميله . فلعله يجنح معنا الى السلم فنوليه بعض الأقاليم ونستريح من حمل أوزار الحرب . فسار الى شط النهروان فى قواده وخواصه . وتبدى بهرام فى[1] ذلك الجانب[2] فى أمرائه ورجاله . وكان معه ثلاثة من الأتراك الشداد الخاقانية . وقد وعدوه بأنهم يقتلون برويز . قال : فوقف برويز من هذا الجانب ، وبهرام من ذلك الجانب، وبينهما الماء . فقال بهرام لأصحابه : انظروا الى ابن الفاعلة كيف ترعرع وعبلت أكتافه، وبسقت أطرافه، وتوشح بالعذار خدّه! فسأل برويز أصحابه عن بهرام . فقال له أخ لبهرام يسمى كُردويَه، وكان يخدم برويز ويختص به : إنه صاحب الفرس الأبلق. فناداه وقال: يابهرام!

= وفى القسم الأول هذه العنوانات فى الشاه، وما بين القوسين محذوف فى الترجمة :

(١) الفاتحة . (٢) جلوس پرويز على العرش واعتذاره الى أبيه . (٣) علم بهرام چوبينه بسمل عينى هرمزد، وقوده الجيش لحرب خسرو پرويز . (٤) تلاقى خسرو پرويز وبهرام چوبينه . (٥) [نصح كرديه أخاها بهرام] . (٦) تشاور خسرو پرويز والقواد والموابذة. (٧) تبييت بهرام چوبينه جيش خسرو، وهرب خسرو. (٨) هرب پرويز وقتل أبيه هرمزد. (٩) ذهاب خسرو الى الروم . (١٠) بهرام بن سياوُس يحمل بندوى الى بهرام چوبينه . (١١) تشاور بهرام والايرانيين فى أمر الملك وإجلاسه على العرش . (١٢) جلوس بهرام چوبينه على العرش . (١٣) هرب بندوى من سجن بهرام . (١٤) ذهاب خسرو الى الروم بطريق الصحراء ، وإخبار الراهب إياه بالمستقبل . (١٥) دخول خسرو پرويز بلاد الروم . (١٦) [إخبار الراهب خسرو ببعض الكائنات مرة أخرى] . (١٧) رسالة خسرو پرويز الى قيصر الروم . (١٨) جواب قيصر . (١٩) رسالة قيصر الثانية الى خسرو پرويز . (٢٠) كتابة خسرو پرويز عهدا و إرساله الى قيصر. (٢١) عمل الروم طلسما واختبار الايرانيين. (٢٢) خرّاد ييبن دين الهند . (٢٣) إرسال قيصر الجيش وبنته الى خسرو پرويز . =

(١) كو : من ذلك . (٢) صل : من أمرائه . والتصحيح من طا ، طر، كو .

إنك عماد دولتنا، وسند بيتنا . ونحن نستظهر بك ونريد أن نوليك سالارية عساكرنا، ونهدمك على جميع أمرائنا وإصبهبذينا . فأجابه بهرام بالسفه وقال : لكنى أريد أن أصلبك . فعظم ذلك على[1] برويز حتى اصفر وجهه . وكظم الغيظ، وعاود مداراته ومراعاته وملاطفته فى الخطاب والجواب. وبهرام مستمر فى غلوائه لا يزيد على الخنا والهجر شيئا — وأطال صاحب الكتاب نفسه فى حكاية ما تخاطبا به وأفاضا فيه — قال : فرجع برويز الى مخيمه، وعزم على أن يبيّت بهرام. فاجتمع بوجوه أصحابه وشاورهم فى البيات . فقال له گُستَهم : اعلم أيها الملك ! أن عساكرك كلهم فى الباطن مع عسكر العدو . لأنهم أولادهم وإخوتهم . وهم معك بمنزلة القميص من البدن ؛ متصلون بك ومنفصلون عنك . وكان الرأى ألا[2] يظهر حديث البيات فإنه قد شاع فى العسكر . وكأنك ببهرام قد علم بذلك. فهو يسبقنا اليه لا محالة . فقال كُردويَه : المحذور قد وقع . وهذا الخبر قد استفاض بين العسكر . وليس من المصلحة مقام الملك فى هذا المكان . فليركب مع رجاله، وليترك المخيم بما فيه من أثقاله ورحاله. فركب برويز مع أمرائه وقواده، وصعد الى تل وأقام عليه ينظر الى المعسكر. وأما بهرام فإنه جلس فى سرادقه، وقال لأصحابه : كل من كان له منكم أخ أو أب أو قريب فليكتب اليه وليأمره بالانقياد لأمرنا والانحياز الى جملتنا . ففعلوا فأجابوهم وقالوا : إنا لانقدر أن نتحاز اليكم إلا عند اللقاء. فأعلم بهرام بذلك فانتخب ستة آلاف فارس، وجعل عليهم الأتراك الثلاثة المذكورين. فساروا وهجموا على مخيم برويز، وانقضّوا عليهم . فارتفع صليل الأسياف على الأعناق وطنين البَيض تحت البِيض الرقاق . وكان برويز واقفا على التل ينظر اليهم . فلما أضاء النهار رأى ذلك الفضاء مملوءا بجثث أصحابه مغرقين فى الدماء، مجتلين بالعراء . فقال لأمرائه : خوضوا غمرة الهيجاء ، وأعينونى بالوقوف ساعة . وخاض بنفسه الحرب، وركض الى أن قرب من الأتراك الثلاثة فرفع أحدهم سيفه ليضرب رأس برويز . فرفع المجن على رأسه وضربه من تحته ضربة أبانت رأسه . وصاح على

(٢٠١)

=(٢٤) خسرو يقود الجيش الى آذرآبادَكان . (٢٥) اطلاع بهرام على رجوع خسرو، وكتابته الى رءوس الإيرانيين . (٢٦) سوق بهرام الجيش لحرب پرويز، وهزيمة الروم . (٢٧) قتال أبطال خسرو، وبهرام چوبينه . (٢٨) حرب پرويز وبهرام وهزيمة بهرام . (٢٩) فرار بهرام من خسرو ولحاقه بخاقان الصين. (٣٠) رسالة خسرو الى قيصر يخبره بالانتصار، وجواب قيصر . (٣١) غضب نياطوس على بندوى، وإصلاح مريم بينهما . (٣٢) رجوع نياطوس والروم من ايران الى قيصر الروم . (٣٣) [بكاء الفردوسى على ابنه] .

(١) طر : فعظم عليه ذلك . (٢) طر : أنك لا تظهر .

أصحابه وأمرهم بالوقوف . فلم يلتفت اليــه منهم أحد، وولوا ظهورهم وتركوه وحيدا (أ) . فثنى عنانه ورجع وراءه وإذا ببهرام قد لحقــه . فالتقيا وأخذا يتضاربان ويتصاولان الى أن زالت الشمس . فالتفت الى گُستَهم وقال : الانهزام خير فى هذا المقام . فإنا عشرة أنفس ، ولا نقدر أن نصابر هــذا الجمع الكثير . فرجع قاصــدا للعبور على جسر النهروان . فلما توسط الجسر رأى بهرام خلفه كالأسد الثائر . فوقف وأخذ القوس ورماه بسهام عدّة حتى أصاب نحر فرسه فترجل . وتقدّم يلان فرمى برويز فرسه أيضا فترجل . وانصرف بهرام عن[1] الجسر فأمر برويز فقطع الجسر، وعاد الى هذا الجانب .

ورجع مهموما محزونا حتى دخل طَيســفون، وأمر بترتيب أســباب الحصار وحفظ الأبواب والأسوار . ودخل على أبيه وسجد له ثم أعلمه بالحال وما جرى بينه وبين بهرام . وذكر أن أصحــابه انهــزموا ، وأن العدوّ قد جاء خلفــه الى جسر النهروان . وقال : إن[2] أذن الملك التجأت الى العرب واستعنت بهم عليه . فقال : "إن هذا بعيد من الصواب . فإن العرب مالهم عدّة ولا خزانة . وإن كان ولا بد من الالتجاء والاعتصار فالأولى أن تقصد قيصر ملك الروم فتدخل عليــه وتستجير به . فإنه من الشجرة الفريذونية فهو[3] نسيبك . وعند الشدائد تذهب الأحقاد وترق الأكباد . وهو من أهل الدين، وذوى المــآل[4] الجم ، ومن بيت الملك وأهــل الحفاظ ولا بد من أن ينصرك ويعينك" . فقبــل الأرض وخرج واجتمع بكستهم وبنــدويه، وقال لهما : لا بد لنــا من الخروج . فاخرجوا بالأثقال والدواب حتى نتوجه الى بلاد الروم . فبينا هو فى هــذا الحديث إذ ارتفعت الأصوات من أبراج المدينــة بطلوع عسكر العدو . فركب وخرج وخلفه خالاه . فتأخرا عنــه قليلا فالتفت اليهما واستعجلهما فقالا : أيها الملك! اعلم أن بهرام يدخل الساعة الى البلد فيخرج أباك ويقعده على سرير السلطنة ، ويحمله مِلواحا، ويشير عليه بأن يكتب الى قيصر بالقبض عليك وإنفاذك مقيدا مسلسلا اليه . يلوّحان بذلك الى إهلاكه . فسكت برويز وساق آخذا فى طريقه . فرجع الخائنان الغادران، ودخلا على هُرمُزد وخنقاه بوترقوس ، وخرجا وسارا خلف برويز حتى لحقاه . فلمــا رآهما أحس بالحال فاصــفرّ وجهه لكنه سكت . فقالا : إن الطلب وراءنا فاعدل عن الطريق . فعدلوا عن

(أ) انظر فى مروج الذهب (عهــد برويز) وصف معركة النهروان ، وإعطاء حسان بن حنظلة الطائى فرسه الضيب الى برويز بعد أن أبى النعمان أن يعطيه فرسه اليحموم، وما قال حسان فى هذا من الشعر .

(١) صل : بهرام أيضا . والتصحيح من طا، طر، كو. (٢) طا، طر: قال. (٣) طا، كو: وهونسيبك.

(٤) صل : الأموال . والتصحيح من طا، طر، كو .

الجادّة، وأخذوا فى طريق البرّية، وساروا الى أن انتهوا الى دير عظيم (ا) . فدخلوه واستطعموا الراهب فأطعمهم خبزا فطيرا، وبقلا، وسقاهم شرابا . فنام برويز ساعة، وحط رأسه فى حجر بندويه ليستريح ويريح ثم يركب ويروح .

وأما بهرام فانه لما وصل الى باب المدينة لم يمنعه أحد فدخل . ولما تمكن من دار الملك اختار ثلاثة آلاف فارس وسلمهم الى بهرام بن سياوش فركب بهرام أثرهم وسار خلفه.[1] قال : فنظر الراهب من سور الدير فرأى عجاجا ساطعا من الطريق فأنذرهم . فأيقظ بندويه برويز وقال : قد جاءنا الطلب . وأنا أفديك بنفسى . فسلم تاجك وثيابك، وخذ فى طريق الجبل . وعليك بالسير الحثيث الى أن تأمن . فإنى أردّ عنك العدوّ، وأجعل نفسى وقاية لك . فسلم ثيابه وتاجه اليه، وركب فيمن معه ولحق بالجبال، ونجا برأسه . ولبس بندويه ثيابه، واعتصب بتاجه، وصعد الى قبة عالية كانت فى الدير، وقعد ساعة حتى شاهده ذلك العسكر فلم يشكوا فى أنه برويز، وأنه قد حصل فى قبضتهم . فنزل الى الدير، وخلع ثياب الملك، ولبس ثياب نفسه، وصعد الى السطح فناداهم وقال : إن الملك يقول : إنه لا منجى منكم الآن. ولكن أمهلونى الليلة فانى أخرج اليكم غدا، وأضع يدى فى أيديكم، وأصير معكم الى بهرام . فلما سمع ابن سياوش هذا المقال أجابه الى ذلك . ولما أصبح من اليوم الثانى صعد أيضا الى سطح الدير وقال لبهرام : إن الملك لم يخرج بعد من الصلاة، وبات البارحة بين يدى ربه ساجدا وراكعا . وقد ارتفع النهار واشتدّ الحرّ . فإن رأيتم تركه اليوم أيضا فعلتم(ب) . فقال بهرام لأصحابه : الرأى نسعفه بهذا . فانا إن لم نفعل قاتلنا وربما قتل فى الوقعة فيؤاخذنا بهرام . ثم سمح بذلك . وعاد بندويه الى مكانه . ولما أصبح أشرف عليهم وقال : اعلموا أن برويز، أوّل أمس حين ظهر سوادكم، ركب ونجا بنفسه . وهو لا يكون الآن إلا فى أمنع معقل من بلاد الروم . وأنا احتلت هذه الحيلة حتى ينجو ويسلم . وهأنذا بين أيديكم . فان أعطيتمونى الأمان خرجت اليكم، وحضرت بين يدى بهرام معكم فأجيبه عما يسأل . وإن لم تفعلوا ذلك ركبت وقاتلتكم الى أن أقتل . فأعطوه الأمان ونزل وركب معهم . ولما وصل الى حضرة بهرام هدّده وأوعده فقال : أيها البهلوان ! إن أنصفت علمت أنه كان واجبا علىّ أن أفدى الملك بنفسى، وأجعلها وقاية له . وهأنا بين يديك فافعل ما شئت . فقال بهرام : ما أنا بقاتلك

(ا) فى الأخبار الطوال . أن هذا الدير عند مدينة هيت .

(ب) فى الأخبار الطوال، والغرر : أنهم أمهلوا الى العشاء ثم الى الصباح ثم أخبرهم بندويه بكنه الأمر، وفى الطبرى : أنهم انتظروا الى الصباح كذلك . وهذا أقرب مما فى الشاه .

(١) هكذا فى صل، طا، طر . وفى كو : وأمرهم باتباع برويز فركب بهرام أثره وسار خلفه .

ولكنه سيقتلك برويز . وستعلم أنى صادق ولو بعد حين . فأمر به فقيد[1] وسلسل ، وسلم الى بهرام ابن سياوخش[2] .

ثم إن جوبين بات تلك الليلة غائصا فى بحر الفكر . ولما أصبح استحضر جميع الأكابر والأماثل واحتفلوا فى إيوان دار الملك . فحضر وقعد فى صدر الإيوان شامخ الأنف طامح الطرف . فقال لهم بصوت رفيع : اعلموا أنه ما وطئ سرير المملكة أظلم من الضحاك الذى قتل أباه واستولى على ملك إيران، ثم برويز صاحبكم الذى أراق دم أبيه وهرب الى الروم . والآن فلا بدّ من ملك يتولى أموركم الى أن يظهر ملك من الشجرة الكيانية يصلح للتاج والتخت . فمن ترونه يصلح لذلك فيشدّ على خصره نطاق السلطنة ، ويقوم بمراسم الملك فعينوه . فإنى، وحق خالق الشمس، لكم معاضد وعلى ذلك مساعد . فلم ينكر عليه أحد قوله . وكان فيهم رجل من عظمائهم يسمى شهران، طاعن فى السن غير أنه كان ذا طيش وعجلة . فتقدم وقال : أيها الشهريار ! ما أظل إيران محنة مثل محنة ساوه ملك الترك حين قصد هذه الممالك فى مائة ألف مقاتل ليستعبد أحرارها ويخرب ديارها فكنت الذى[3] شددت منطقة الرجولية على وسطك، وتلقيته ببأسك وبطشك . فكفيتنا بنشابة واحدة شره، ودفعت عاديته وضره . فالآن نراك بهذا التخت جديرا . وكفى بسعادتك على ذلك شهيدا . ثم من صعّر بعد ذلك خده أقمنا أوده[4] حتى يتقوم ويتبع الشهريار الأعظم . فجلس .

وقام شيخ آخر يسمى خراسان فقال : إنما تكلم هذا الشيخ بهذا المقال ليسر قلوب الحاضرين . ومعى مثل حقيق بأن يصغى اليه : إن زردشت قال فى كتابه : من عصا الله وخرج على مالك رقه وسلطانه فعظوه سنة ، فإن استمر على عصيانه ففرقوا بين رأسه وجثمانه . ولما فرغ من كلامه هذا عاد الى مكانه وجلس . فقام آخر وتكلم بما ليس فيه فائدة وقعد . ثم قام رجل آخر يسمى خزوران[5] وقال : بعد هذا القال والقيل أيها البهلوان ! إن كنت مفكرا فى العواقب فأرسل الى برويز واعتذر اليه عما صدر منك ، ولا تقدم رجلك مسترسلا الى تخته . فإنه ما دام الملك فى قيد الحياة فغير لائق بالبهلوان أن يجلس على سريره ويعتصب بتاجه . وإن كنت لا تأمنه فاترك بلاد فارس وارجع الى خراسان وأقم فيها مستريحا . ثم واصل الكتب اليه معتذرا حتى يرضى عنك . قال : ثم قام رجل يسمى سنباذ[6] وبيده السيف فقال : إن هذا البهلوان الكبير القدر، الموصوف بسيرة العدل يقعد على سرير الملك الى أن يظهر واحد من شجرة الكيان . فانه أولى بالجلوس عليه من فلانة وفلانة .

(١) صل : وقيد . والتصحيح من طا ، طر ، كو . (٢) طا ، طر : شهاوش . (٣) طا ، طر : أنت الذى .
(٤) فى النسخ : داره . (٥) طر : خزوران . (٦) فى الشاه : سهناو .

فوثب بابويه الأرمنى، وسلّ سيفه مع آخرين وقالوا : إن بهرام هو الملك المطاع، ونحن له الأتباع والأشياع. ومن خالف أمره فلا نخاطبه إلا بالسيوف القواصل والرماح العواسل. فخاف بهرام أن تبدر منهم حركة فاستعمل الرأى والعقل، وقال : كل من يتحرك من مكانه ولا يرد سيفه الى غلافه أمرت بقطع يده، وفرقت بين رأسه وجسده. فارتدعوا، وقام من المجلس مغضبا وتفرق الحاضرون.

ولما أمسى استحضر الكاتب وأمر أن يكتب كتابا مضمونه أن بهرام هو السلطان المستحق للتاج والتخت، السالك سبيل الرأفة والعدل. فكتب. ولما أصبح أمر فنصب فى إيوانه التخت الشاهنشهى، وعلق التاج الخسروى، ووضعت كراسى الذهب، كما جرت به عادتهم فى مجلس السلطنة. فحضرت الأعيان والأكابر والأمراء والأماثل والعلماء والأفاضل، وحضر بهرام وتسنم التخت ولبس التاج. وجاء الكاتب بالعهد فأمر الحاضرين أن يكتبوا فيه خطوطهم ففعلوا فأمر به فختم. ولما فرغ من ذلك قال : إن السلطنة قد تقررت علينا وتمهدت لنا. وقد رضيتم بذلك وأشهدتم الله عليكم. فدامت كذا ألفا يتوارثها من أعقابنا وأخلافنا كابر عن كابر (أ)، وباق عن غابر. ثم قال: قد ارتفع القتل والقتال من البين ؛ كل من ليس راضيا بسلطاننا فليخرج من هذه الممالك، ولا يقيمن أكثر من ثلاثة أيام، وليلحق بكسرى فى بلاد الروم. فدعا له الحاضرون عن قلوب غير مخلصة، وأثنوا عليه عن ضمائر غير صافية. فقاموا من المجلس، وتوجه الى بلاد الروم كل من كان من المتصلين بپرويز، مفارقا دياره ومهاجرا أوطانه.

وأما بندويه خال پرويز فانه بقى فى حبس بهرام بن سياوش سبعين يوما ثم أخذ يخدع ابن سياوش ويمنيه ويعده عن پرويز، وأن الله سوف يرزقه النصر العزيز. وما زال يفتل منه فى الذروة والغارب حتى انخدع له ففك عنه القيد، وواطأه على أنه يهتبل غرة من جوبين ويقتله. فجاءه ذات ليلة وقال: إنى واطأت خمسة من غلمانى على أن يعاونونى غدا على قتل جوبين فى الميدان. ولما أصبح لبس الزرد تحت القباء مع رفقائه الخمسة، وركب الى الميدان. قال : وكان له امرأة لا تحبه (ب) فأحست بأنه لبس الدرع فأنهت ذلك الى بهرام جوبين وقالت : إن زوجى ابن سياوخش اليوم قد لبس الدرع تحت القباء. فاحفظ نفسك منه. فانى لا أعلم ما فى نفسه. فلما حضر جوبين وتشمر أصحابه للعب بالكرة أخذ يمس ظهر واحد واحد منهم[1] حتى انتهت النوبة الى ابن سياوش فرأى

(أ) هذا ترجمة البيت :

چنين هم بماناد سال هزار | كه أزتخمهٔ من بود شهريار

(ب) فى الأخبار الطوال : أنها بنت أخت بهرام شوبين.

(١) طا : كل واحد واحد. طر : كل واحد منهم.

الدرع تحت قبائه فأنكر عليـه وقال : متى جرت العادة بلبس الزرد فى الميدان ؟ فأمر به فتناوشته السيوف حتى طارت أشـلاؤه ، وتفرقت أعضاؤه . وعلم[1] بندويه بالحال فلبس السـلاح وركب من ساعته وأفلت فى خِفّ من أصحابه ، وأسرع فى الهرب وسلك طريق آذَرْبَيجان حتى اتصـل بموسـيل (ا) صاحب الأرمن . ولمـا عاد جوبين الى إيوانه أمر بعض أصحابه بأن يحرس بندويه ويحفظه . فقيل إنه هرب[2] . فعض على يده حيث لم يقتله فى الأوّل قارعا من النـدم على معاجلة ابن سياوش بالقتل . وقال متمثلا : لأن تَرَكب السفينة المنكسرة فى البحر خير[3] من أن تعجل فى أمر . ثم قال أيضا : من أمسك الثعبان فى يده هلك ، وأفلت الثعبان ولا يدرى أى سبيل سلك .

عاد الحديث الى ذكر برويز . قال : ولمـا خرج برويز من الدير أخذ طريق البرّية التى لا ماء فيها ولا مرعى[4] ، وأرخى عنان فرسه ، وسار بمن معه من أصحابه الى أن وصل الى مدينة (ب) فتلقاه أهلها واحترموه ، وأعزوا مقدمه وأكرموه . فنزل برويز . ووصل فى الحال فارس الى رئيس المدينة بكتاب من جوبين يقول[5] له فيه : اذا وصل اليك برويز ومن معه فأنزلهم واشغلهم عن الارتحال فإن غدا كرى واصلون فى الحال . فلما وقف على الكتاب عرض ما تضمنه على برويز فركب وسار طردا وركضا الى أن قرب من الفرات . فوجدوا غيضة كثيرة المـاء والشجر فنزلوا هناك وقد نال منهـم الجوع والعطش . فركب كُستَهم وركض يمينا وشمالا فى طلب الصيد فلم يجد شيئا وعاد مخفقا . فتراءى لهم عير من بعيد ، يقدمهم شاب على هجين . فلما قرب ورأى برويز نزل وخدم . فسأله عن اسمه فقال : أنا من أحرار العرب ، واسمى قيس بن حارث (ج) فقال : إن كان معك شيء من الطعام فأحضره فإنا جياع . قال : فأحضر العربى فى الحال سهرا ، أى ناقة (د) بنت ثلاث سنين ، فنحرها وأوقد نارا . فجعلوا يضهّبون من لحمها ويأكلون الى أن شبعوا . فسألوا العربى عن الطريق . فقال : بينكم وبين العمارة سبعون



(ا) موسيل من أسرة ميجون الأرمينية . وهو أمير موش من ناحية خلاط غربى بحيرة وان (ورنر ، ج ٧ ص ١٨٨ ، معجم البلدان : موش) .

(ب) فى ورنر : بابل . وفى مول : باهلة . وفى نسخة تبريز : بابله .

(ج) فى الشاه : وقد جئت من مصر . ومنزلى على شاطئ الفرات . وفى الأخبار الطوال أن الذى لقيهم إياس بن قبيصة الطائى ، وأنه دلهم الى بالس على شاطئ الفرات ثم انصرف فسار كسرى الى اليرموك حيث نائبه خالد بن جبلة الغسانى فوجّه معه خيلا الى قيصر .

(د) فى مول ، ورنر : بقرة . وفى فرهنگ شعورى : سهر = بقرة . واستشهد بكلام الفردوسى هنا .

(١) طا ، طر : فعلم .　(٢) طا ، طر ، كو : قد هرب .　(٣) طا ، طر ، كو : خير لك .

(٤) كلمة «ولا مرعى» من طا ، طر ، كو .　(٥) طر ، كو : يقول فيه .

فرسخا . وإن رأيتم تقدمتكم وكنت لكم دليلا الى أن أوصلكم . فقال برويز : هذا هو الرأى . فركبوا وتقدمهم قيس، وأخذ بهم فى الطريق فرأوا فى البرية قافلة فيها رجل من أردشير خره فأحضر الطعام والشراب بين يدى برويز . فشكره وأمر فكتبوا اسمه . وسار فى طريقه الى أن وصل الى مدينة من مدن الروم تسمى كارستان (١). فلما رأى أهل المدينة سواد العسكر من بعيد أغلقوا بابها فى وجهه . فنزل برويز، وبقى ثلاثة أيام لا يخرج اليه منهم أحد . ولما كان اليوم الرابع أرسل اليهم وسألهم أن يخرجوا (٢) طعاما وعلفا فاستهانوا بأمره، ولم يجيبوه الى ذلك . فأرسل الله تعالى عليهم سحابة ذات رعد وبرق، وريحا عاصفا . فلما انتصف الليل انقضت حيطان البلد من عصفات الرياح الزعازع . فشملهم البكاء والجزع، وفتحوا الأبواب ، وأخرجوا مشايخهم ورهبانهم بالأطعمة والعلف، وسائر المبار والتحف . وكان فى المدينة قصر لقيصر فأنزلوه فيه . ثم ركب منها وسار الى أن وصل الى مدينة المانوى فتلقاه الناس وأعظموا قدره، وأجلوا مقدمه، ورتبوا له الأنزال، وقدموا اليه التحف والمبار . فأقام فيها ثلاثة أيام . وركب فى اليوم الرابع قاصدا قصد حضرة قيصر . فانتهى فى طريقه الى دير فيه راهب فقرب برويز من الدير وقال : أيها الراهب المتنسك! إنى رجل من أهل إيران أقصد حضرة قيصر فى رسالة . فأخبرنى بما يصير اليه حالى، ويؤول اليه عاقبة أمرى . فقال الراهب : أنت كسرى أبرويز، وقد هربت من يد بعض عبيدك، وسيزوجك قيصر بعض بناته، ويمدك برجاله وأمواله فتعود ويهرب عدوك الى بلاد بعيدة ثم يقتل بأمرك هناك . فقال : لا كان غير ما ذكرت أيها الراهب! ولكن متى يكون هذا ؟ فقال : بعد سنة أخرى ، اذا مضت خمسة عشر يوما من السنة الثانية صرت ملك ايران ، وتسنمت التخت ولبست التاج . فقال : هل يسمى أحد من هذه الجماعة فى إيحاش قلبى؟ فقال : نعم . رجل اسمه بسطام، وهو خالك . وسوف يخرج عليك ثم يقتل بالآخرة بحكك . ففزع كستهم (١) من مقاله، وقال: لا يدخلن قلبك من كلام هذا النصرانى شىء فإنى وحق خالق القمر لا أهم بمساءتك ما عشت، ولا أغضى لك على محذور ما بقيت . فقال برويز: إنى لم أر منك سوءا قط ولكن لا آمن تصاريف الزمن أن يخرج عن يدك زمام العقل، ويضلك فى ظلام الغواية والجهل .

---

(١) هو اسم بسطام أيضا؛ أمه سمته بسطام ، وسمى نفسه كستهم ، كما فى الشاه . وبسطام محول عن كستهم مثل كشتاسب وبشتاسب .

(١) فى الشاه : كارسان . (٢) طر : يخرجوا اليه .

ثم انطلق سائرا فى طريقه الى أن وصل الى مدينة تسمى وريغ § فاستقبلته[1] أكابر المدينة وتلقوا مقدمه بالإعظام والإجلال . ولما نزل وصل رسول قيصر يقول : إن هذه المدينة مدينتك، وأهلها تحت حكمك وطاعتك . فالتمس منها كل ما اشتهيت ، وتحكم فيها كما أردت . فإن ممالك الروم لك وتحت حكمك، وجميع من فيها من الأكابر من جملة عبيدك وخدمك. وإنى لا أقر فى نهار ولا أسكن فى ليل حتى أعِدّ لك كل ماتحتاج اليه من سلاح وخيل[2] فأردّك الى بيتك مسرورا، وعلى عدوّك منصورا. فسرّ برويز بذلك، وقال لمن معه من الأكابر، وهم كستهم و بالويه وأنديان وخرّاذ وسابور : إذا أصبحتم فالبسوا الملابس الفاخرة، واركبوا الى حضرة قيصر فقولوا واسمعوا، واخضعوا له وتملقوا اليه. وقال لخرّاذ : أحضر المسك والحرير، واكتب الى قيصر كتابا عباراته معسولة، وألفاظه مشمولة، ومعانيه كثيرة، وكلماته قليلة بحيث تعلق بالطباع، وتثبت فى الخواطر، وتسلم من الحشو حتى لايعيبه عليك من عنده من فضلاء الفلاسفة . واحمل الكتاب الى قيصر . واذا فرغ قيصر من قراءة الكتاب فأطلق لسانك فى مضمار البيان . فإنك تحوى قصب السباق، وتحرز خَصل الرهان. وقال لبالويه: كن لساننا وترجماننا بين يدى قيصر اذا أفاض فى ذكر العهود والمواثيق، وأجبه الى مايلتمس، والتزم له عنا ما يريد من الشروط إلا شيئا يورثنا غضاضة فى السلطنة. فإن ذلك مما لايغضى عليه ولا نرضى به.

---

§ فى الأخبار الطوال أن كسرى نزل بالرها وراسل قيصر . وفى الطبرى وفارس نامه أنه صار الى أنطاكية . والذى يرويه التاريخ أنه لما فرّ من المدائن اجتاز الفرات وسار الى الأنبار . ثم ساير النهر حتى عبره مرة أخرى عند قِرقيسيا، على الحدود الرومانية . ثم دعاه الامبراطور موريس الى النزول فى هيروبوليس فأقام بها .

ويظهر مما فى ترجمة الطبرى الفارسية أن وريغ هى الرقة، على ضفة الفرات الشرقية. وهى خربة الآن . وكان الى الجنوب والغرب منها مدينة الرصافة وكان بها كنيسة القديس سرجيوس الذى قتله الامبراطور مكسميان . ولهذا سميت المدينة باسم القديس (Sergiopolis) . وكان برويز وهو لاجئ الى الروم يظهر الميل الى النصرانية، ويتخذ سرجيوس وليا . ولما انتصر وعاد الى عرشه بقى يعوذ بالقديس، ويرسل اليه الهدايا . وفى الطبرى أن قائد جيش الروم كان سرجس . وفى فارس نامه: سرجيس . وفى الشاه : سركس. ولعل الرواة سمعوا بسرجيوس وانتصار برويز ببركته فتوهموه قائدا فى الجيش الرومى . ومن أجل ذلك يختلفون فيه منهم؛ من يسميه قائدا ومنهم من يعدّه من كبراء الروم الذين ناصروا برويز.[3]

---

(١) طا، طر : استقبله . (٢) طر : وخيل وعدة . (٣) وزنر ج، ٨ ص ١٨٨، معجم البلدان : الرقة . مول Mohl ج ٦ ص XII.

قال : فبادروا الامتثال وتوجهوا مصبحين الى حضرة قيصر . فلما قربوا منها أمر جماعة من الأمراء الكبار باستقبالهم فاستقبلوهم وأدخلوهم بأتم إجلال وأبلغ إكرام . وجلس قيصر فى إيوان منجّد ، متسنما على تخت من العاج، معتصبا بالتاج . وأمر فرفعت الحجب فدخلوا وعليهم الملابس الخسروانية، والتيجان الرفيعة . فلما قربوا من قيصر قبلوا بين يديه الأرض ودعوا له ونثروا بين يدى تختـه جواهر حملوها برسم النثار . فوضعوا لهم كراسى من الذهب، فأمرهم(١) بالجلوس عليها . فجلسوا سوى خرّاذ بن برزين فانه قال : كيف أتجاسر على القعود بين يدى ملك مثل قيصر مع أنى متحمل اليه رسالة ملك مثل برويز؟ فأشار عليه بأداء الرسالة . فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن برويز يواصل بالدعاء، ويقول : لا يخفى على علمك المحيط أن تخت مملكة إيران، من عهد أفريذون الى يومنا هـذا، لم يبرح كان مصونا من أن تمتدّ اليه أيدى النوائب أو ترمقه عين الحوادث . وقد خرج الآن علينا عبد من عبيدنا فتسنمه، وسلمه اليه أعداؤنا فتسلمه . وقد اعتصمت الآن(٢) بحبلك متظلما منه، ومستعديا عليه . فأجيبوا نداء الصارخ، وانصرونا على هذا الغادر . فقد أخجلتنا هذه الأحدوثة بين الأصاغر والأكابر . فلما قرع هـذا الاستصراخ سمعه اصفرّ وجهـه ، واضطرب قلبـه . ثم ناوله الكتاب . ولما فض ختمه، وعرف مضمونه ضاعف داءه وهمه . ثم قال لخرّاذ : إن برويز أعز علينا من أرواحنا ، ونحن لا نبخل عليـه بشىء من خيلنا ورجالنا وكنوزنا وأموالنا . ثم أمر الكاتب فكتب جواب كتاب برويز، وشحنه بالإلطاف، مقابلا مطلوبه بالإسعاف . واختار من أصحابه رجلا موصوفا بكمال العقل، ووفور الفضل، وأنفذه به اليه، وأمره بأن يقوّى قلبه، ويبسط أمله، ويضمن له عنه أنه ينصره ويردّه الى دار ملكه ومستقر تخته . فسار الرسول .

وخلا قيصر بوزيره وصاحب سره وقال له : إن هذا قد استجار بنا واعتصم بحبلنا فكيف التدبير فى أن نبلغ مراده، وننتقم له من جوبين الخارج عليه ؟ فقال الوزير : استحضر جماعة من الفلاسفة حتى نشاورهم فى ذلك . فأحضروا أربعة أنفس من أعيانهم وساداتهم ففاوضهم فى ذلك . فقالوا : أيها الملك ! إنا من عهد الاسكندر لم نسترح يوما من شر الايرانيين لكثرة ركضاتهم الى بلادنا، وشنهم الغارات علينا وسفكهم وفتكهم . والآن قد أحاط الله بهـم ، وأذاقهم جزاء(٣) فعلهم . فآثر السكوت فقـد قرب انقضاض(٤) أساس الدولة الساسانية . واعلم أن برويز هـذا إن عاد الى مستقره واعتصب بتاجه عاد الى خلقه المذموم، وطلب فى الحال خراج الروم . فلما سمع قيصر ذلك كتب

(٢٠٤)

---

(١) طا، طر : وأمرهم . كو : وأمروا . (٢) طا، طر : الآن (لا) . (٣) طر : خزى .
(٤) طر : انقضاض .

كتابا الى برويز، وأرسل اليه رسولا، وأعلمه بما جرى بينه و بين علماء الروم . فلما وصل الرسول الى برويز عظم عليه ذلك فقال : إنا ما قاتلناكم قط ابتداء، ولم نحاربكم ظلما واعتداء . وحقيق أن تسأل عالم الروم حتى تعلم أن الشر ظهر من الزاغ أو البوم (ا) . ثم إن كنتم لا تعرفون حق وفادتنا اليكم، ولا تصرخون المستجير بكم فإنا اذا عاد أصحابنا خرجنا من بلادكم، وقصدنا الخاقان واستنجدناه. فردّ الرسول بهذا الجواب .

ولما وصل الى قيصر ووقف على كلام برويز خلا بوزيره وقال : انظروا فى أحكام النجوم الثواقب، واستشفّوا أستار العواقب، فإن كان برويز قوى الطالع منصورا على هذا العدوّ أعنّاه وأمددناه حتى لا نزرع العداوة فى قلبه . وإن كان الأمر على خلاف ذلك فأعلمونا حتى نخلى سبيله، ونرمى بحبله على غاربه ليقصد الخاقان أو من أراد . فأشار الوزير عند ذلك باستحضار المنجمين . فلما حضروا أمرهم بالنظر فى طالع برويز ففعلوا، ثم قالوا: إنه، على اختيار أفلاطون، عن قريب يعود إليه ملكه ويتقرّر عليه تاجه وتخته، ثم يتمادى ملكه الى ثمان وثلاثين سنة . فقال الوزير عند ذلك لقيصر: إن الرجل مسعود منصور . وإن لم تمدّه أنت التجأ الى الخاقان فأمدّه[1] بالعساكر والأموال الى أن يتمكن من الملك . وعند ذلك لا يقصد إلا قصدك، ولا يروم غير بلاد الروم . فقال قيصر: الأولى أن نداريه وننصره ولا نخذله . فكتب اليه بخطه كتابا وقال : إنا قد فتحنا أبواب الكنوز العتيقة حتى تنفقها فى رضاك . ونفذنا الى بلاد الممالك فى جمع العساكر . وسيتثالون على حضرتك أفواجا بعد أفواج كالبحر يتبع أمواجا بأمواج . ولم يكن هذا التوانى إلا من أجل تذكرنا ما تم علينا من الملوك الماضين، من ركضاتهم الى بلادنا وفتكاتهم برجالنا . والآن قد استحضرنا الذين كانوا متألمين من آثار سطواتكم فانتزعنا ما كان فى قلوبهم من غل، وطهرنا بواطنهم من كل حقد، وقررنا ألا يذكروا ما مضى فى الزمان الأوّل، ويكونوا ممتثلين لأوامرك، داخلين تحت طاعتك، ويحالفوك وتحالفهم على أنك ما دمت على تختك لا تطالب الروم بخراج، وأن ترد عليهم ما أخذ[2] منهم من البلاد(ب) وأن تترك الحقد القديم، ولا تذكر سلما وأفريدون، وتخطب الينا بعض كرائمنا حتى تلتحم بيننا أواصر الرحم، ويتسق شمل العقد المنتظم، ثم تلزم بعد ذلك الوفاء بالعهد فإن التخت والتاج يلعنان من ينقض مبرمات الأيمان . وكتبت كتابى[3] هذا بخطى حتى لا يقف

(ا) إشارة الى قصة البوم والغربان فى كليلة ودمنة .

(ب) كان مما تعاهد عليه الامبراطور موريس وكسرى برويز أن يعطى الروم أرمينية الفارسية، ويرد اليهم دارا وبعض المدن الأخرى (سيكس، ج ١ : برويز - وورنج ٨ ص ١٨٨).

(١) طا، طر، كو : وأمده . (٢) طا، طر: ما أخذت. (٣) طا، طر: كتبت اليك. كو: كتابى هذا اليك.

عليه الكاتب ، ولا يعلم به الدستور والصاحب . فتدبر معانيه واحفظ ما فيه . ثم اكتب جوابه، وثق منى بكل خير، وأخرج من قلبك كل هم وفكر . ثم ختم الكتاب ونفذه اليه .

فلما وقف برويز عليه خلا بنفسه، واستحضر الدواة والقلم، وكتب بخطه جواب ذلك الكتاب وقال : إنى قد جعلت لله علىّ أنى ما دمت على تخت إيران لا أطلب خراج الروم ولا أقصد بلادهم بوجه من الوجوه . وقد قبلت نكاح ولده، وأشهدت الله تعالى على نفسى أنى لا أخالفه ولا أخالف من يلى ملك الروم بعده . ثم سأله أن ينفذ اليه العساكر مع أصحابه الذين كان نفذهم الى حضرته . وأنفذ الكتاب على يد خورشيد بن خراذ اليه[1] . فلما قرأه قيصر استحضر أصحابه وعرض عليهم كتاب برويز ومعاهدته . فقالوا : نحن عبيدك المطيعون لأوامرك ، السالكون سبيل طاعتك، لا نحيد عن أمرك ولا نخرج عن حكمك . فأثنى عليهم قيصر وقام .

قال : ثم إن قيصر أراد أن يجرب وجوه الايرانيين الذين نفذهم برويز[2]، ويعرف مقادير عقولهم وفطنتهم وذكائهم . فاستحضر من على بابه من السحرة فأمرهم أن يعملوا تمثالا فى صورة جارية حسناء، جميلة المنظر: خلابة للعيون، سحارة للقلوب، يقعدونها على تخت، ويصطف على رأسها الجوارى والخدم ، ويهيئون الجارية بهيئة محزونة كأنها فى مأتم المسيح تبكى وتسقط عبراتها وهى تكفكفها وتمسح عينها . فاستحضر الايرانيين وقال فى أثناء كلامه لكُستَهم وبالويَه : إن لى بنتا حزينة واجمة لا تزال دموعها ساجمة . وقد نغصت علىّ العيش من فرط جزعها وحزنها . وليست تقصر عما هى فيه ، على كثرة توبيخى لها وتعنيفى إياها . فأريد أن تدخلا عليها وتعظاها فلعلها تقصر عن[3] هذا الجزع . فقالا : سمعا وطاعة . فقاما ورفعت دونهما الحجب فدخلا الى ايوانها فخدما بين يدى تختها ، وأخذا ينصحانها ويعظانها ، وهى على حالها تذرى دمعها وترفع يدها وتمسح عينها لا تزيد على ذلك . فضجرا وخرجا وقالا لقيصر : إن سكرات الحزن والجزع قد غمرت هذه البنت فلا تسمع خطابا ولا تحير جوابا . فأقبل على خراذ بن برزين وقال له : ادخل عليها أنت ، فإن كلامك بالقلوب أعلق ، ونصحك فى النفوس أنجع، فلعلها تقبل منك . فقام ودخل عليها وخدم وكلمها فلم تجبه . فنظر اليها فرأى دمعها يسقط على نمط واحد فى هيئة واحدة فقال فى نفسه : إن هذه صورة معمولة . ولو كانت ذات روح لتساقطت عبراتها مختلفة، ولتحرك منها عضو آخر سوى يديها . وليس هذا إلا طلسما فيلسوفيا . فقام ودخل على قيصر وقال : إن هذا طلسم خيلتموه، وتمثال صورتموه . ولم يقف على السر فيه كُستَهم ولا بالويَه . وكأنك تريد أيها الملك ! أن تضحك من

(١) صل : عليه . والتصحيح من طا، طر . (٢) طا، طر، كو : برويز اليه . (٣) طا، طر : من .

عقولنا وتخبط عيوننا . فضحك قيصر وقال : أبقاك الله . فمثلك يصلح للملوك دستورا وصاحبا ووزيرا . ومدحه وقرظه . ثم قال له : وإن عندنا أعجوبة أخرى لو شاهدتها لشككت أنها مجبولة أو مجبولة . فأمره فقام ودخل الى بيت آخر ورأى فارسا واقفا فى الهواء لا يمسكه شئ . فوقف ساعة ثم خرج وقال : قد عمل هذا الفارس من الحديد والبيت الذى هو فيه مبنى من حجارة المغناطيس . ولا تخفى خاصيتها فى جذب الحديد . وهذا من صنعة الهنود، وإن لهم لعجائب . ومن وقف على كتبهم ارتاح قلبه وانشرح صدره . فسأله الملك عن دين الهنود وما يذهبون[1] اليه فى أمر المعبود . فقال : إنهم لا يعرفون سوى النار، وهم يرمون بأنفسهم فيها حتى يحترقوا . ويقولون : إذا التقت الناران حصلت طهارة الإنسان، يعنى إذا التقت هذه النار والنار المسماة بالأثير . وباطل ما يظنون، وهباء ما يعملون (١). ثم قال لقيصر : وأنتم أيضا فلستم على بينة من أمركم، ولا على محجة بيضاء من دينكم . فإنكم عمدتم الى رجل فقير كان يأكل من كسب يده ويجتزئ[2] بالثوم والبصل فى مطعمه، وتسلطت عليه اليهود حتى قتلوه وصلبوه، وفى الكنيسة يبكى عليه أبوه — هكذا قال — فجعلتموه ابنا لله الأحد، المنزه عن الوالد والولد . ولعمرى إن العاقل ليضحك من مثل هذا . فما بالك أيها الملك! ترغب عن الدين الجيومرثى، والطريق الطهمورثى — طريق من يقول : إن الله سبحانه واحد أحد ليس لأحد دونه ملتحد، وتصد عن قبلتهم التى هى أشرف الجواهر، وأعلى العناصر ؟ بل غرتكم كنوزكم وأموالكم، ونسيتم قول عيسى صلوات الله عليه حيث يقول : اجتز "بسوتام" من المأكول، ولا تتكلف فى الملبوس والمفروش (ب) . قال : فاستحسن قيصر كلامه ومدحه وأثنى عليه وخلع عليه خلعة تشتمل على تاج مرصع بالجواهر مقرونة بأنواع من زبد الذخائر الأخاير .

عاد الحديث الى ذكر ما دبره قيصر فى أمر برويز . قال : ولما اجتمعت العساكر عند قيصر اختار مائة ألف فارس من الأبطال المذكورين والفرسان المشهورين ، وفرق عليهم الأموال والخيل والأسلحة . وكانت له بنت متحلية بالخلال الحميدة والخصال المرضية تسمى مريم (ج) فرتب لها جهازا مشتملا ، من الذهب والفضة والجوهر، على ما حسرت عنه الحوامل، وعجزت عن ضبطه الأنامل . فضلا عما سواها من الملابس الفاخرة والمفارش الرائقة . وأخرجوا أربع عماريات مموهة

(١) اختصر المترجم حديث خراد عن دين الهند .

(ب) اختصر المترجم الكلام عن المسيحية والزردشتية .

(ج) لا يذكر مؤرخو أوربا هذا الزواج . ويرى نلدكه أن مكانة شيرويه بن برويز عند أبيه ترجح أن أمه من الأميرات . (نلدكه، ج ٨ ص ١٨٨) .

(١) صل : يدينون . والتصحيح من طا، طر، كو . (٢) صل : يده يجتزئ . والواو من طا، طر، كو .

من الذهب، على كل واحدة منها صليب مرصع بالجوهر، وأربعين عمارية أخر مخروطات من الأبنوس مكللات بالجواهر، ومعها ثلاثمائة وصيف بمناطق الذهب، على مراكب بعُدد الفضة، وأربعين خادما بيض الوجوه كالأقمار الطلّع . وأصحبهم أربعة من علماء الفلاسفة . وخلع على أمراء برويز . ثم استحضر أخاه نياطوس (أ) وسلم العسكر والبنت اليه ، وأمره بالارتحال نحو برويز . فارتحل بذلك العسكر الرجراج سائرين كالبحر المتلاطم الأمواج، يخال معها الجبال سائرة، والبحار ثائرة، والأرض مائرة . فلما علم برويز بإقبالهم ركب وتلقاهم . فلما رأى نياطوس بادره وآعتنقه . ثم ثنى عنانه وقصد عمارية مريم . فلما قرب منها رفع دونها الحجاب فرآها كالشمس قد انكشف عنها السحاب . نخدمها وقبّل يد نفسه[1] . ثم عطف عنانه ورجع بهم إلى مخيمه فنزلوا. وخلا بها برويز ثلاثة أيام . وفى اليوم الرابع آستحضر نياطوس وسرگِس وكوتا ، وكان هذا الرجل يلقب بهزاره لكونه معدودا بألف فارس . فسألهم برويز عن مقدّمى العسكر فعدّوا سبعين نفسا من الأمراء الكبار تحت راية كل واحد منهم ألف فارس . فشكرهم برويز وأثنى عليهم ووعدهم ومنّاهم . وأقام إلى تمام الأسبوع . ولما كان اليوم الثامن ركب فى رجاله الإيرانيين وتوجه نحو آذربيجان ، وسار إلى أن نزل فى أرض تعرف بارض الخلفاء أو أرض المغازل (ب) . فخيم هناك ، وآتصلت عساكر الروم بعد أسبوعين. ثم فوّض أمرهم إلى نياطوس، وألقى مقاليدهم اليه. وركب فى رجاله وسار على طريق خنجست[2] . فسمع موسيل ملك الأرمن وبندويه خاله بإقبال راياته فركبا يستقبلانه . فلما تدانى ما بين المُقبل والمستقبل عرف كُستَهُم أخاه من بعيد فقال لبرويز : إن هذا خالك وعبدك . فقال هيهات هيهات ! إنه لا يكون الآن إلا مودعا فى بطون الصفائح وأطباق الضرائح . فلما قرب اذا هو به فترجل وقبل الأرض لحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم حكى له ما جرى عليه وعلى بهرام بن سياوُش . ثم قال : أيها الملك! أقبل على موسيل صاحب الأرمن . فإنه منذ خرج الملك من أرض إيران لم يبرح فى عساكره مخيما على الصحراء منتظرا وصول الموكب الميمون ، ومعه عساكر كثيرة وكنوز وافرة . فقال لموسيل : سيثمر لك سعيك، ويعلو ذكر الملوك ذكرك . فقال له موسيل : أيها الشهريار ! إنى أريد أن تنوه بذكرى وترفع قدرى وتمكننى من تقبيل ركابك . فأخرج إحدى

(أ) فى الطبرى : ثياذوس . وفى فارس‌نامه : بنيادوس . وثيودسيوس (Theodosius) هو ابن الامبراطور موريس . وكانت سنه إذ ذاك سبع سنين ، وقد توجه أبوه من قبل . وكان قائد جيش الروم رجلا فارسيا اسمه نرسى (ودنر، ج ٨ ص ١٨٩) .

(ب) فى الطبرى : أنه نزل فى صحراء تدعى الداق . وفى الشاه : صحراء دوك . أى صحراء المغزل .

(١) فى الشاه : قبل يدها . (٢) صل : خنجشت . والتصحيح من طا ، طر كو .

رجليه من الركاب فبادر[1] موسيل وقبلها مرتعدة فرائصه مضطربا قلبه من هيبته . ثم أمره بالركوب فركب . وركض برويز سائرا الى بيت نار آذربيجان الذى يسمى آذركشسب فترجل متواضعا ودخل اليه خاشعا صاغرا[2] ، فحل المنطقة عن خصره ونثر جملة من الجواهر على النار . ثم جعل يبكى ويتضرع ويدعو الله تعالى ويسأله أن يرزقه الظفر على عدوه الخارج عليه . ولما فرغ من ذلك شد المنطقة وركب وتوجه نحو مخيمه بأرض الخلفاء ونزل فيها . وتناهت الأخبار الى بلاد نيم روز بخروج برويز فاعدوا واستعدوا واجتمعوا واحتشدوا وأقبلوا اليه بخيولهم وفيولهم .

§ ذكر الواقعة التى جرت بين برويز وبين جوبين

قال : ولما سمع جوبين بانتعاش برويز، وتجدد أسباب سلطانه ، وإقباله فى أنصاره وأعوانه استحضر رجلا كان من خواصه ونصحائه يسمى داناستاه[3] . واستدعى كاتبه وأمره فكتب الى كل واحد من أركان دولة برويز، مثل خاليه وسائر الأعيان الذين كانوا حواليه، كتابا يستدرجه فيه ويخدعه فى مطاويه ، ويذكر أن عيانكم قد بذ الخبر، وعلمتم أن الشجرة الساسانية كشجرة السَّخبر ؛ فهم لا يعرفون لذى حق قدرا ، ولا يجزون المحسن الوافى إلا إساءة وغدرا . ولا يخفى ما عامل به قباذ سوفزاى بالأمس وكيف عجله مع حسن بلائه الى الرمس . فلا تأمنوا من برويز ضيره، ولا ترجوا خيره . فإن شجرة الصفصاف لا تكون مثمرة للجوهر الشفاف . فاذا وقفتم على كتابى هذا فاعلموا

---

§ لما ظفر برويز بنجدة الروم سار فى ربيع سنة ٥٩١ فباغت أحد قواد بهرام وأسره ثم عبر دجلة وسار الى الجنوب حتى اتصل بالأمداد الآتية من آذربيجان مع خاليه وغيرهما ، على حين سارت فرقة من الجيش الرومانى فاستولت على المدائن . ثم كانت وقعة عند الزاب الأصغر اخترق فيها الروم قلب جيش بهرام فأسند فى جبال زجرُس وكر على متعقبيه فردهم خاسرين . ولكنه سار فى الليل الى جبال كردستان وعسكر قرب شيز، وجاءته أمداد . ثم كانت الموقعة الثانية، على خلاف رأى نرسى قائد الروم، وكاد بهرام يخترق قلب الجيش لولا إنجاد نرسى . وكأن هذا ما عبر عنه الشاه وغيرها بمطاردة بهرام برويز ونجاة برويز بالملك سُروش أو غيره . ثم اخترق قلب جيش بهرام فتقهقر ليحمى طريقه الى الرى وشرقى إيران ولكن أنصار برويز أتبعوه وحاربوه فهزموه فسار مشرقا حيث سار دارا الثالث فارا من الاسكندر . ثم التجأ الى خاقان الترك[4] .

---

(١) طا، طر، كو : فبادرها . (٢) طا، كو : ضارعا . (٣) فى الشاه دارا بناه .

(٤) سيكس، ج ١ : برويز، نُلدكه، ج ٨ ص ١٨٩ .

أن مكانكم عندى عامر، وأن سحاب عنايتى عليكم هامٍ هامر . فانحـازوا إلىّ وأقدموا علىّ . فإنى أستظهر بكم، ولا أحفل بقيصر و رجاله ، وسأستولى بوطأة القهر على تخته وتاجه .

(٢٠٦) ثم دفع الكتب الى داناستاه، وأمره أن يخرج فى زىّ التجار . وأصحبه أحمالا من مُلَح الطُّرَف ونخب التُّحف ، برسمهم لينفذها مع الكتب إليهم . فخرج الرجل[1] سائرا فى هيئة التجار إلى أن قدم آذرَبيجان . فلما وصل إليها ورأى مخيم برويز، ورونق سلطانه، وعظم شانه، وكثرة أنصاره وأعوانه، وبسطة جاهه، ورفعة مكانه بدا له فقـال[2] : مالى أهلك نفسى وأوثر جوبين على ملك مثل برويز ؟ فقلب ظهر المجنّ ، وحمل الكتب مع هدية سـنية إلى برويز، وخلا به ودفع إليـه الكتب . فسر برويز بذلك فأكرم[3] الرجل وأحسن إليه، وأفاض سحاب أياديه عليه . وأحضر كاتبه وأمره أن يجيب عن تلك الكتب عن[4] لسان كل واحد من المكتوب إليهـم، ويقول : إنا وقفنا على كتابك وخلونا برسولك وسمعنا كلامه . ونحن وإن كنا فى الظاهر مع برويز فإنا بالقلوب معك . ومعاذ الله أن ندعك ونختار عليك غيرك . ومهما وصلت إلى هذه البلاد تركنا برويز وانحزنا إليك . وحينئذ نضع سيوفنا فى أعدائك الصُّهب السبال (أ) ونبدّد شملهم ببيض النصول وزرق النصال . وحينئذ يهرب منك برويز لا محالة هرب الثعلب من الأسد الأغلب . ولمـا كتب الكتب سلمها إلى الرسول، ووعده ومنّاه وأعطاه حتى أرضاه، وأمره بأن يحمل الكتب إلى بهرام . فحملها وعاد على أعقابه إلى أن وصـل إلى بابه . ولمـا وقف جوبين على تلك الكتب أجاب هوى النفس ، وخالف مقتضى العقـل ، وعزم على ملاقاة برويز معتمـدا على الكتب . وكثر عاذلوه وقـل عاذروه على ترك دار الملك . فلم يسمع مقالة أحد وخرج فى عساكره من طيسفون، وسار قاصدا قصد آذرَبيجان إلى أن وصـل إليها فخيم على القرب من مخيم برويز .

ثم إنه ركب فى عساكره لا على قصد اللقاء ، ولكن ليقف على كميـة عساكر برويز وأحوالهم . فركبت فرسان الروم واسـتأذنوا برويز فى قتاله فزحفوا كالبحر اللجىّ والليل الدجوجىّ . ولمـا رآهم جوبين سل سيفه وتقدّم وقال لأصحابه : اصطفوا على فضاء أرض الحلفاء ، فإن نار الروم سريعـة الانطفاء . ورتب يلان فى قلب عسكره، وأخذ، مثل الأسد الهصور، يطوف على صفوفه . وصعد برويز فى أصحابه الايرانيين تلا . فلما رأى جوبين وعساكره ارتعدت فرائصه، واضطرب قلبه . فحمل

(أ) يريد الروم .

(١) صل : الرسل . والتصحيح من طا ، اطر .   (٢) طا ، طر ، كو : وقال .   (٣) طر : وأكرم .

(٤) طا ، طر ، كو : على لسان .

يدعو الله تعالى ويسأله أن ينصره . فبينا هو كذلك إذ جاءه كوت الرومى مزمجرا برجوليتـه ، ومدلّا بشجاعته، وقال : أيها الملك ! أرنى هذا العبد الذى هربت منه، وانظر مبارزتى له . فعظم على برويز قوله :"هربت منه". فسكت. ثم قال له : عليك بصاحب الفرس الأبلق، فإنه هو . ولا تلو عنانك عنه . فعاد وخرج من الصـف فى درعه الفضفاض يليح برمح كالحيـة النضناض . فلما رآه يلان قال لجوبين : كن على حذر من هذا الفيل القطم . فأقبل جوبين اليه بسيفه. فلما وضع الرومى الرمح[1] فى نحره لم ينفذ فيه[2] . ورفع المجن على رأسه وضربه بسيفه ضربة نزلت من عاتقه الى صدره . فلما سمع برويز صليل صمصامة جوبين ضحك . وكان نياطوس أخو قيصر قريبا منه ، فأطرق واجما من ضحك برويز . ثم قال له : أيها الملك! لايحسن الضحك فى مثل هذا المقام . أما علمت أن هزاره كان فارسا لم يعل مثـله ظهر فرس على وجه الأرض ؟ فقال برويز : إنى لم أضحك من قتـله، ولكن ضحكت من قوله حين قال[3] : "هربت من عبدك". والفرار من مثل هذا العبد ليس بعار . ثم أمر جوبين فشد المقتول على ظهر فرسه، وطرد الى أن عاد الى أصحابه . فعظم ذلك على برويز وانكسرت قلوب الروم . ثم إن الفرسان من الجـانبين تشمروا للضراب والطعان فصافحت الصـفاح أشاجع الشجعان، وقتـل خلق كثير من الروم . فقطع برويز رجاءه منهم، وعلم أنه لا يجىء منهـم شىء . فقال لسركس: استريحوا أنتم غدا حتى أقاتلهم بأصحابى . ولمـا أمسوا عادوا الى مضاربهم .

ولمـا أصبحوا ركب برويز فى الايرانيين ، وصفّهم أمام جوبين، فجعـل كُردويَه على الميمنة ، وجعـل موميل صاحب الأرمن على الميسرة ، وأمر سابور وأنديان أن يتقدّما الصفوف للبارزة . ووقف كُستَهم محافظا للملك . فلما رأى جوبين أن عساكر الروم لم يتقدّموا للقاء ركب فيلا أبيض وتقـدّم[4] حتى قرب من سابور، وقال : أيها الفارس! بغير هذا أتانى كتابك . فقال له سابور : أيها الشيطان! أيش الكتاب؟ وما هـذا الخطاب؟ فضحك برويز، ونادى جوبين، وقال : قد غلطت فى ذلك الكتاب وسأخبرك بحديثه . فعلم جوبين بمـا تم عليه من الحيلة فالتهب كالنار، وحمل على برويز . فأمر برويز فرشق فيـله بالسهام . فنزل وركب فرسا فرشقوه أيضا حتى ترجل . وركب فرسا وحمـل[5] على صف برويز فمـزقه ، وعاد الى الميسرة فرأى أخاه كُردويَه فتعلق أحدهما بالآخر، وأخذا يتضاربان ويتقاتلان زمانا . ثم قال له جوبين : مرن رأى أخا يقصد إراقة دم أخيـه؟

(١) طا ، طر، كو: وجهه . (٢) صل منه : والتصحيح من طا ، طر، كو . (٣) كلمة «قال» من طا ، طر، كو .
(٤) طا ، طر : فتقدّم . (٥) طا ، طر، كو : لحمل .

فقال : يا عدّو نفسـه ! است البائن أعلم . والبادئ أظلم (١) فتركه جو بين وعاد الى صفه . فركض كُردويَه نحو الملك، ووجهــه مسودّ من أثر المغفر، وغرته مبيضة من السرور والظفر . فذكر له ما جرى بينه وبين أخيه . فشكره برويز وأثنى عليه ودعا له .

ثم إنه قال لأصحابه : إنى لا أريد مقاتلة الروم فإنهم إن كسروا جو بين أو قتلوه شمخوا بآنافهم . وقد جربتهم وعرفت غناءهم . وما هم فى مأزق الحرب إلا مثــل قطيع الغنم فى اليوم الشديد البرد . والأولى أن أبارز جو بين بنفسى، والنصر بيد الله، فاما مُلك وإما هُلك . فلم يستصوب ذلك كُستَهم وقال : أشفق على نفســك، ولا تلق بيدك الى التهلـكة . وإن كان ولا بدّ من المبارزة فالرأى أن تستصحب رجالا تستظهر بهم وتثق بمعاضدتهم فيقفون وراءك ويحفظونك . فأمره أن ينتخب له أربعة عشر نفسا من آساد الضراب والطعان وأعيان الشجعان . فكتب أسامى القوم وجعل نفسه أوّل الجريدة، وأحضرها بين يدى برويز . فاستحضرهم الملك واستحلفهم على أن يلازموه ولا يفارقوه فحلفوا له . فسلم العساكر الى إصبهبذ له يسمى بهرام، وساق فى أصحابه الأربعة عشر، وهم كُستَهم وبندويَه وأنديان وبالويَه وسابور وكُردويَه وثمانية آخرون من أعيان العسكر . فلما خرجوا وأصحروا أعلم جو بين باقبال جماعة من الفرسان فوثب[1] الى أعراف الأبلق مثل الفلق اراكب أعجاز الفسق . فلما رآهم قال ليلان : هذا ابن الفاعلة قد خرج يريد المبارزة (ومعه أربعة عشر فارسا)[2] . ويكفيهم منا أربعة . فاستصحب يلان وآذركَشسب وشجاعا آخر، وسلم عساكره الى أمير يسمى جان فروز[3] فلقى برويز . ولما رآه أصحابه تفرقوا عنه تفرّق النقَد من صولة الأسد فنكصوا على أعقابهم . ولم يبق مع برويز غير خاليه فأشارا بالإحجام عليه . فثنى عنانه، وتبعــه جو بين . فالتفت وراءه فرأى جو بين أقرب الأربعة إليه وقد انفرد عن خاليه . فسنح له طريق فى الجبل فدخل بفرسه[4] فى الشعب خافق القلب منصدع الشعب، وجو بين فى أثره مع رفقائه كالسيل والليل، وإذا بالطريق ما له منفذ . فترجل وتوقل فى الجبل فتعذر عليــه الصعود ولم يكن له سبيل الى النزول . فبقى متحيرا، أمامه الجبل، ووراءه الأجل، وقد ضاقت به الحيل . فلما علم أنه لم يبق له معتصر ولا معتصم التجأ بصدق الجأ الى كاشف الضرّ ومجيب المضطر فإذا هو بفارس قد تراءى له فى الهــواء على فرس أشهب فى ثياب خضر فأخذه[5] بيــده ورفعه إليه بمرأى من

(٢٠٧)

(أ) هذه العبارة من عند المترجم . وفى الشاه أن كردويه قال له : يا ذئب الغاب ! أما سمعت هذه الكلمة الحكيمة : من كان أخوه صديقه فطوبى له . فان صار عدوّا فخير له أن يهلك .

(١) صل، طا، طر : وثب . والتصحيح من كو . (٢) ما بين القوسين من طا، طر . (٣) صل : خان فروز، طا، طر : حاز فروز . والتصحيح من الشاه . (٤) طا، طر : بفرسه الشعب . كو : الى ذلك الشعب .
(٥) طا، طر : فأخذ بيده .

عدوّه ثم حطه الى السهل، على ما زعم صاحب الكتاب § فوقع البكاء على برويز متعجبا من صنع الله القوىّ العزيز . فقال للفارس : من أنت وما اسمك؟ فأخبره بأنه ملك من الملائكة، وبشره بأنه بعد نجاته[1] من هذه، يملك الأرض،ويتمادى ملكه الى ثمان وثلاثين سنة — على مازعمه — وأوصاه ثم غاب عن عينه . فلما رأى جوبين ذلك قضى العجب وقال : قدكنت أقاتله حتى أعانتــه الشياطين . فالآن لا سبيل اليه ورجع .

وأما نياطوس وعساكر الروم فإنهم كانوا واقفين على الجبل . فلما رأوا ماتم على برويز قامت عليهم القيامة، ووقع فيهم الخوف والفزع ، وشملهم بفقده الهمّ والجزع . فخمشت مريم خدّها ، ونتفت شعرها، وهموا بالانسلال والانحلال . فلمــا عاد اليهم برويز عاد المأتم سورا، وآستحال الحزن سرورا فحكى لهم ما أنعم الله به عليــه ، وأنه ما رأى أحد من الملوك من عهــد كيخسرو الى عهــد قُباذ ما كوشف به فى يومه ذلك . ثم أمر عساكره بالزحف الى صفوف العــدو . فتزاحفــوا وتداعت أركان الصفوف وتلاطمت أمواج الحتوف . وتقابل جوبين وبرويز فرمى برويزَ بنشابة فعلقت بقزّ خَفتانه فانتزعها بعض غلمانه . فأقبل عليــه مشرعا لرمحه فطعنه طعنة انكسر فيهــا رمحه . فتضاربا بالعمد والسيوف حتى تشظت البيض على رءوسهما ، وتلطّت البيض من دمائهما . وظهــرت آثار غلبة برويز(أ) وكثر القتل فى أصحاب جوبين . وهجم الليــل فافترق الفريقان، وعادوا الى مضاربهم من الجانبين . وجاء بندويه برويزوقال : إن الناس فى هذه المعركة أكثر من عدد الرمل . والأولى أن تكفف عنهم يد القتل ، وننادى فيهــم بالأمان حتى يأمنوا فيستأمنوا . فقال الملك : كل من آثر ترك قتالنا، وآعتصم بحبــل أماننا فهو آمن من عصفات سيفنا وسناننا . فركب بندويه فى الليــل،

---

§ فى الشاه أن برويز حين ضاق به الأمر لجأ الى الله وتضرّع اليــه فظهر له المَلَك سُروش ، فى ملابس سندسـية راكبا فرسا أبيض، فأخذ بيــده ونجاه من هــذا المأزق . فسأله برويز باكيا : ما اسمك ؟ فقال سروش . وهدّأ روعه، وبشره بالملك وأوصاه بالتقوى . ثم اختفى .

وفى الأخبار الطوال : " فجمع كسرى نفسه فساعدته القوّة على تسنم الجبل . فلمــا نظر بهرام الى كسرى قد علا ذروة الجبل علم أنه قد نصر عليه فآنصرف خاسئا . وهبط كسرى من جانب آخر. وفى الطبرى : أن المجوس تزعم أنه " رفعه الى الجبل شىء لا يوقف عليه " .

(أ) فى الطبرى والغرر أن برويز اختطف رمح بهرام وما زال يضرب به على رأســه حتى تقصف فانهزم بهرام (طبرى ج ٢، ص ١٣٩ والغرر، ص ٦٦٩) .

(١) طا، طر، كو : نجاته هذه .

وأستصحب مناديا، وسار الى أن قـرب من مخيم جوبين فأمره فنادى وقال : من كان ذنبه أعظم وأفظع فليكن لعفونا أرجى وفى فضلنا أطمع . فإنا قد وهبنا المذنبين لله تعالى، وعفونا عنهم أجمعين. فلما سمع أصحاب جوبين ذلك النداء انحازوا بأسرهم الى معسكر برويز .

ولـما طلع النهار لم ير جوبين معـه غير خواصه (أ) فقال : الإحجام خير من الإقدام فى هـذا المقـام . فأوقر ثلاثة آلاف جمل من نخب الأموال وزبد الأثقال ، وولى ظهراً لم يكن[1] رئى فى حال من الأحوال ، وأخذ فى بعض عوادل الطرق . فلـما علم برويز بذلك أمر نستور فركب فى ثلاثة آلاف فارس، وسار فى أثره . وكان جوبين يسوق مع يلان وايزدكشسب فى ناحية ممن معه من الفل . فانتهوا الى ضيعة وقد نال منهم العطش فرأوا عجوزا فاستسقوها . فسقتهم ماء، وقدمت إليهم غربالا مقطعا عليه أقراص شعير . فجلسوا عليها فأكلوها[2] . ثم طلبوا منها شرابا فجاءتهم بيقطينة فشرب منها جوبين حتى طابت نفسه . فقال للعجوز : ما الخبر عندكم اليوم؟ فقالت : قد استفاضت الأخبار بانهزام جوبين وغلبـة برويز . فقال لهـا : هل كان جوبين فى قتال برويز مصيبا أم لا ؟ فضحكت[3] وقالت : كأن الشيطان خاط عينك . أما تعـلم أن ابن كشسب اذا قاتل ابن هُرمُزد يُضحك منه ويُبكى عليـه ؟ فقال جوبين : اختيـاره لذلك هو الذى أحوجه الى شرب الراح من اليقطين ، والقعود الى خوان الغربال على أقراص الشـعير(ب) . فبـات فى تلك الضيعة على تلك الهيئـة .

ولـما أصبح لحقه أصحابه وأُعلم بأن برويز قد نفـذ خلفه العسكر فركب فى أصحابه . وقد لحقه الطلب فى أرض قصباء فأمر برمى النار فيها فاشتعلت . ولـما رأى نستور[4] بادره بنفسه ورماه بوهقه فاختطفه عن ظهر فرسـه . فتضرع اليه نستور وطلب منـه الأمان فقال : أنت أحقر من أن أمدّ يدى اليك لقتلك . فأطلقه وسار متوجها الى الرى عازما على قصد حضرة الخاقان (ج) .

وأما برويز فانه دخل الى معسكر بهرام جوبين فنزل فى مخيّمه ، وأطلق يد النهب فى مخلّفـه شاكرا لله على نعمه . ثم استحضر الكاتب وأمره فكتب كتاب الفتح الى قيصر ذاكرا فيـه جميع

(أ) فى الأخبار الطوال أنه بقى معه أربعة آلاف رجل .

(ب) فى الأخبار الطوال : « فمن أجل ذلك يشرب فى القرع ويتنقل فى المنسف » .

(ج) فى الأخبار : أنه سار الى قومس وحارب والى خراسان قارن النهاوندى وهزمه .

(١) طا، طر : كأن لم يكن . (٢) طا، طر، كو : وأكلوها . (٣) طا، طر، كو : فضحكت العجوز .

(٤) الشاه : نستوه .

ماجرى عليه فى تلك الوقعة ، ونفذ به بعض أصحابه . ولما[1] وصل المبشر الى قيصر نزل من تخته ، وكشف عن رأسه ، وحمد الله تعالى وشكره[2] على ما يسر له من النصر السنىّ والفتح الهنىّ . ثم كتب جواب الكتاب يعظه فيه وينصحه ويعرفه نعم الله عنده . وأخرج تاجا قيصريا وطوقا وقرطين ومائة وستين ثوبا منسوجا بالذهب ، وثلاثين حلا من الذهب والجوهر ، وصليبا مفرقا فى الياقوت والزبرجد ، وحقة مملوءة من حبات اللؤلؤ . واستحضر أربعة من الفلاسفة ونفذهم بتلك الهدايا الى برويز . فلما وصلوا اليه استحسن تلك الهدايا والتحف السنايا ثم قال لوزيره : إن هذه الثياب لم تنسج على منوال ديننا ، وإن لبس الثياب المصلّبة رسم النصارى وليس من آيين شرعنا . ولو لم ألبس لاستوحش قيصر وظن الظنون . وإن لبست قال الحاضرون : إنه تنصر واتبع ملة قيصر . فقال الوزير : أيها الملك[3] ! إن أمر الدين لا يتعلق بالملابس فانك على ملة زردُشت وإن كنت متصلا بقيصر . فلبس الملك خلع صهره ، وعلق التاج فوق رأسه ، وأذن للناس فدخلوا عليه . فلما رأوه فى ملابس الروم زعم الجهال منهم أنه قد صبأ من دينه . وأما العقلاء فقد علموا أنه اختار رضى قيصر فيما اجتاب . (٢٠٨)

قال : وفى اليوم الثانى استحضر نياطوس فمدّ السماط وحضر برويز فى الخلع القيصرية . ولما جلس على الطعام والشراب أعطاه خاله البرسم فأخذه بيده وزمزم . فلما رأى نياطوس ذلك تنحى عن السماط وقال : كيف يجتمع البرسم والصليب؟ فإنه ليلحق المسيح من ذلك الظلمُ الصريح . فلما رأى بندوَيه ذلك لطم صاحب الصليب أو حامله بظهر يده . فغضب برويز واصفر وجهه . ولما رأى نياطوس ذلك وثب قائما وركب وعاد الى مخيمه فثارت أصحابه ولبسوا السلاح وركبوا وأقبلوا على سرادق برويز . فنفذ نياطوس إليه فارسا يسومه إنفاذ بندويه اليه ، ويوعده بأنه إن لم يفعل ذلك يلى منه بأشدّ مما بلى به من جوبين . فامتنع برويز من ذلك وكاد يثور من ذلك فتنة عظيمة . فقالت مريم له ، وكانت ذات رأى وعقل : سلم إلىّ بندويه فإنى أحمله الى نياطوس حتى يراه الناس فتخمد جمرتهم ، وتسكن فورتهم ، وأعود به الى حضرتك . فأجابها الى ما قالت ، ونفذ بندويه فى عشرة من غلمانه مع مريم إلى عمها ، وحملها رسالة له اليه . فركبت مريم . ولما دخلت على نياطوس ، ووقعت عينه على بندويه قام وتلقاه واعتنقه وأعزه وأكرمه ، وقال : إن ذاك خطب يسهل تلافيه ، وإن بساط السكر مطوىّ بما فيه . فخلع عليه وركب معه وعاد به الى حضرة برويز . ثم خلا بنياطوس واعتذر اليه وقال له فيما قال : إن هذا رجل لئيم بعيد عن الخير . وانه لم يرد بفعله ذلك غير الشر والضير . فاعمل أنت بمقتضى عقلك ، ولا تكدر علينا أمرنا ، ولا تقلع غرس الحسنى

(١) طا ، طو ، كو : فلما ؛ (٢) طو : بما أثنى عليه وشكره . (٣) طا ، طو : فقال الوزير : إن أمر الخ ؛

الذى غرسه قيصر بيننا . وأنا موغر الصدر على هذا الرجل بسبب قتله لوالدنا " . وجرت بينهما مفاوضات ومسارّات طويلة . ثم قام نياطوس وعاد الى مخيمه .

وأمر الملك خرّاذ بن برزين أن يحضر كاتب جيش الروم ، ويخلع منهم على كل من يستحق الخلع السلطانية ففعل . وأعطى نياطوس من الجواهر الثمينة والخيل والأسلحة والملابس والمفارش ما ضاق عنه نطاق الإحصاء والحصر. وكتب له عهدا على جميع بلاد الروم التى أخذها(١) قباذ وكسرى وهرمزد منهم. ثم جهزه وركب فى عشرة من أصحابه قاصدا قصد بيت النار (١) فلما رأى قبته من بعيد ترجل ومشى خاشعا صاغرا إلى أن دخل اليه فاعتكف فيه أسبوعين يطوف حول سقط الزند ويزمزم بقراءة الزند . ووفى بما نذره من تفريق الأموال على كل عاف ومعتر ، وذى مسكنة وفقر . ثم عاد إلى مخيمه .

وارتحل من آذربيجان وسار إلى أنديو من أرض سورستان فتسنم فى دار السلطنة تخت جدّه أنوشروان معتصبا بتاج الكيان. ثم تفرغ لترتيب أسباب الإيرانيين بمشورة فعقد لكُستهم على خراسان، وكتب له منشورا بذلك . وعقد لسابور على دارا بجرد واصطخر . وعقد لكُردويه على إقليم آخر . وخص كل واحد منهم بمكرمة سنية ونعمة هنية . وأمر الجميع بأن يوردوا ويصدروا عن رأى خرّاد ابن برزين، وفوّض اليه دواوين المملكة التى دونها أنوشروان . ثم إنه شمل بإنعامه أصحابه الذين كانوا معه فى الوقعة، على اختلاف مراتبهم وتفاوت طبقاتهم، وجاوز الحدّ فى أعطياتهم وصلاتهم. وأمر مناديا فنادى فى رعيته بالالتجاء إلى ظل عنايته ، واستمطار سحائب نعمته ، والترفه فى كنف رحمته، والاستظهار على نوائب الزمان بقوّة سعادته .

[بكاء(٢) الفردوس على ولده

إلام أؤمل فى العيش رفدا وجاوزت خمسا وستين عدّا؟

تعلمنى الحادثات الرَّشد حزينا معنًّى بفقد الولد

وكانت نواى فولى الفتى وخلفنى جسدا ميتا

أعجّل علّى أحظى به فإن أحظ لم آل فى عتبه:

لماذا تُولّى وتقسو علىّ وكان الردى نوبتى يا بنى؟

لماذا تركت الرفيق الهرم وكنت له آسيًا ، لم ترِم

(١) كان دأب الساسانيين أن يفتتحوا حكمهم بزيارة بيت النار فى شيز .

(١) طر : كانت قد أخذها . (٢) أبيات نظمها الفردوسى فى رثاء ابنه وحذفها المترجم فترجمتها وأثبتها هنا .

ألاقيت أتراب عمر نضير | فوليت عنى تحتّ المسير؟
مضى حين لم يُلف فى العيش نفعا | ولم يعدُ بعد الثلاثين سبعا
وكان مدى دهره قاسيا | ففاجأنى قاطعا زاريا
مضى، وثوى الحزن لى مسقما، | وأفعم عينى وقلبى دما
هو اليوم فى النور أرفع شانا | سيختار للأب فيه مكانا
تمادى الزمان وطال الأمد | وما عاد من ذى الرفاق أحد
تؤملنى عينه راقبا | ويشوى لطول النوى عاتبا
ثلاثين عاش وسبع سنين | وخمس وستون عمرى الحزين
وما سال ، حين مضى وحده، | عن الشيخ ما خطبه بعده
وبطّأت حين طواه الأجل | لأنظر ما ذا يردّ الأمل
أضاء لك الروح رب العباد | وحصّنها بالهدى والرشاد
سألت لك العادل المفضلا | وخالقنا الرازق المسبلا
ليمحو بالفضل كل الأثام | ويملأ نورا عليك الظلام]

§ ذكر اتصال جوبين بالخاقان وما جرى[1] فى بلاده إلى آخر أمره

قال : وسار جوبين من الرى قاصدا قصد الخاقان(ا) . ولما قرب منه أمر فتلقاه عشرة آلاف نفس من أعيان التورانيين ، وأدخلوه إلى بلادهم بأتم إعظام وأوفر إكرام . ولما مثل بين

---

§ تتضمن هذه القصة العنوانات الآتية فى الشاهنامه :

(١) قصة بهرام وخاقان الصين . (٢) قتل بهرام مقاتوره . (٣) قتل السبع بنت الخاقان . (٤) قتل بهرام الأسد القردى . (٥) اطلاع خسرو على حال بهرام عند الخاقان، وكتابته الى الخاقان . (٦) تعبئة خاقان الصين الجيش . (٧) إرسال خسرو خرّاد بن برزين الى الخاقان واحتياله لقتل بهرام چوبينه . (٨) إرسال خراد بن برزين قلون الى بهرام . (٩) قتل قلون بهرام . (١٠) اطلاع خاقان الصين على قتل بهرام ، وتخريبه بيت قلون وقتل أولاده، وإثابة خسرو پرويز — خرّاد . (١١) كتابة الخاقان الى كُرديه أخت بهرام ، وجوابها . (١٢) تشاور كرديه وأبطالها، والفرار من مرو . (١٣) إرسال الخاقان طُورك فى أثر كُرديه، وقتل كرديه إياه .

(ا) فى الغرر: أنه خاقان ابن برموذه . (١) طا، طر، كو : جرى عليه .

يدى تخت الخاقان قام اليه واعتنقه وقبل وجهه وأجلسه على تخته معه . فقال له جو بين : أيها الملك! إنى دخلت عليك معتصرا اليك ومعتصما بحبلك، فإن كنت تقبلنى فأعلمنى حتى ألازم حضرتك، وأتدرع ملابس عبوديتك . وإن لم تقبلنى تجاوزت بلادك ودخلت إلى بلاد الهند . فقال الخاقان: معاذ الله أن أحوجك إلى ذلك! وحلف بالأيمان المغلظة أنه ما عاش يواسيه، ويسعى في[1] تحصيل مطالبه وتنجيز أمانيه، ويكون له معاضدا ومساعدا فى جميع ما يريده ويبغيه . فأمر فزينوا له إيوانين ورتبوا له فيهما جميع ما يحتاج اليه من الذهبيات والفضيات والخيل والأسلحة والجوارى والغلمان . واعتنى بأمره وشغف به فكان لا يصبر عنه ساعة ولا يفارقه لحظة .

قال : وكان فى خدمة الخاقان رجل شجاع يسمى مغاتوره (ا) لم يكن له فى جميع عساكره فى الشجاعة ثان، ولا له عن الاستيلاء على قصب السبق فى مضمار الرجولية ثان . وكان من عادته أن يدخل كل صبيحة على الخاقان فيخدم ويقف، ويقدم إليه من الخزانة ألف دينار . وكان بهرام يرى ذلك ويتعجب منه الى أن مضى على ذلك زمان . فضحك ذات يوم وقال لخاقان : ما بال هذا التركى يدخل كل يوم و يأخذ ألف دينار؟ أيأخذ ذلك أيها الملك! كما تؤخذ الأرزاق والعشرينيات(ب) أم هو جار مجرى الصلات والهبات؟ فقال: إن هذا رسمنا فيمن كان من أصحابنا أشجع، وفى مستنقع الموت أثبت . وهذا الرجل إن لم نعامله بما ترى كل يوم لم نأمن شره ومعرته . فقال : أنت سلطت هذا العبد على نفسك حتى طمع كذلك فيك . فما رأيك فى أن أخلصك منه؟ فقال : إن فعلت ذلك فقد أرحتنى . فقال : غدا اذا دخل عليك فلا ترفع به رأسا، ولا ترد له جوابا . قال : فلما أصبح الخاقان ودخل عليه الناس حضر مغاتوره، وخدم . فلم يلتفت اليه الخاقان، ولم يبال به . فامتعض والتهب، وقال : أيها الملك ! مالى أرى اليوم ذلك القرب قد صار ازورارا، وطويل الكلام اختصارا (ج) . ولست أشك أن هذا الفارسى الذى اتصل بك فى ثلاثين فارسا يريد أن يبدد شمل جنودك، ويفسد عليك قلوب رجالك . فقال له جو بين : خفض عليك أيها الفارس المقدام !

(٢٠٩)

(ا) فى الشاه : مغاتوره . وفى الأخبار الطوال : أنه أخو الخاقان وأن اسمه بغاوير . وفى الطبرى : الفارسى أن اسمه يغو . (أخبار، ص ٩٥، وزر، ج ٨ ص ١٩٠) .

(ب) العشرينيات ترجمة بيستكانى، ويراد بها الوظيفة . وفى فرهنك شعورى أن الفرس كانوا يعطون الوظائف لعمالهم كل عشرين يوما . فسميت الوظيفة عشرينية .

(ج) هذا من قول المتنبى لسيف الدولة .

أرى ذلك القرب صار ازورارا وصار طويل السلام اختصارا

(١) طو : الى تحصيل .

فان الأمر لو كان بيدى لم أتركك تدخل كل يوم وتنهب خزانة الملك. فإنك وإن[1] كنت فى قوة ثلاثمائة فارس فلا يساوى شغلك أن تكلف الملك كل يوم بحمل ذهب . فتنمر التركى وانتزع نشابة من تركشه، وقال : إن هذه ترجمانى . وغدا تعرف فى "الناورد" قدرى وشانى . وخرج مغضبا. ولما أصبح التركى من الغد لبس خفتانه، واستل صمصامه، وحضر الميدان . ولما علم جوبين بذلك لبس سلاحه وخرج . وركب الخاقان . فاختارا موضعا للبارزة والمقاتلة فصارا اليه . ولما تقابلا قال التركى : بماذا نفتتح فى قتالنا ؟ فألقى قرنه اليه زمام الاختيار . فأخذ القوس ورشقه بالنبال . فلم يتأثر بهرام[2] بشىء من ذلك غير أنه أظهر له أنه أثخنه بالجراح . فظن التركى أنه قد تلف أو كاد فثنى عنانه . فناداه جوبين وقال : لم تفرغ منى بعد فلا تعاود الخركاه . وانتزع نشابة وألقمها الوتر، وسدّدها نحوه . فلم يحس التركى إلا بها خائضة جوفه صارمة عمره . وكان التركى لما ركب للبارزة شدّ رجله على فرسه . فبقى كذلك على سرجه ميتا . فركض جوبين وجاء الخاقان وأعلمه بذلك فسر فى الباطن بذلك . وعاد إلى إيوانه وقد خلص من مقاساته . وأعدّ لبهرام خلعة سنية مع تحف وتُحف، وبعثها اليه .

قال: وكان إذ ذاك فى جبال الصين ثعبان عظيم — أطال صاحب الكتاب نفسه فى وصفه — (أ) وكان الناس منه فى تعب وعناء وشدّة وبلاء. وكان لخاقان بنت من الخاتون فى غاية الحسن والجمال، وكان أبوها يرى الدنيا بعينها . فاتفق أنها خرجت ذات يوم مع الخاقان الى بعض المروج . فركب هو للصيد، وبقيت هى فى ذلك المرج . فنزل الثعبان من الجبل وابتلعها . فلما سمع الخاقان بذلك اسودّ[3] وجهه جزعا، وكاد أن يهلك أسفا . ثم إنه لما فعل جوبين ما فعل من قتل مغاتوره التركى سألته الخاتون أن ينتقم لها من ذلك الثعبان ويقتله . فتلقى جوبين أمرها بالسمع والطاعة . ولما أصبح من الغد ركب ولبس سلاحه وجاء الى ذلك الجبل فانفرد عن أصحابه وسار حتى قرب من الثعبان . وكان يدعى السبع الكبّى (ب). وكان إذا ابتل بالماء لم يؤثر فيه شىء . فلما رآه الثعبان خاض عينا هناك فخرج وتمرغ فى التراب . ثم زأر زأرة عظيمة وضرب بيده على الحجارة فقدحت نارا . فسح جوبين معاطف قوسه ورشقه حتى أثخنه بسبع نشابات وضعهن فى مقاتله . ثم طعنه طعنة جائفة ثم استل سيفه ووسطه به، وتركه ونزل من الجبل . ولما رآه الناس قد عاد منصورا

(أ) فى الشاه: أنه حيوان أكبر من الفرس له ذؤابتان على رأسه كالرسن . أصفر الجسد، أسود الأذن والفم، له مخالب كمخالب الأسد، يجاوز صوته عنان السماء. وفى الطبرى الفارسى أن دبا اختطف البنت فخلصها بهرام (وورنر ج٨ ص ١٩٠) .

(ب) معناه : السبع القردى .

(١) طر: ولو . (٢) ط، ط، طر: به بهرام . (٣) طا، طر: سود .

كادوا يطيرون فرحا وسرورا . فجاءت الخاتون وقبلت يده ، وحضر الخاقان واعتنقه ثم عاد به الى إيوانه . وكان بعد ذلك يسميه الشهريار . ثم أنفذ اليه أموالا كثيرة، وزوّجه بنتا له . فارتفع بذلك شأنه وطاول الكيوان إيوانه . فبقى فى تلك البلاد عالى اللواء، راكبا صهوة العلياء، مرموقا من ملوك الترك بعين الإجلال، مبسوطا عليه من الخاقان ظل الإنعام والإفضال، لا يشتغل إلا بالعيش والطرب والصيد والطرد، على رسم الملوك وآيين السلاطين .

ولما تناهت الأخبار الى برويز بجلالة قدره عند الخاقان عظم ذلك عليه ، وتخوّف صرف الزمان . فأرسل الى الخاقان رسولا، ونفذ اليه كتابا حمد الله تعالى فيه وأثنى عليه ثم قال له[1] : جوبين كان لنا عبدا خامل الذكر فنوه به أبونا هرمزد ثم خرج علينا وجرى ما جرى . ولما طردناه من عندنا لم يتجاسر أحد على قبوله سواك فأخذت بيده، وجذبت من ضبعه . وأنا لا أرضى بذلك فإما أن تنفذه الىّ مكبلا مقيدا وإما أن تتشمر لقتال يبكى فيه الحديد دما ، ولا تورثك عاقبتها إلا حسرة وندما . فلما وصل اليه الرسول ووقف على الكتاب أجاب عنه وقال : قد وقفت على كتابك . وغير لائق ببيتك القديم وأصلك الكريم أن تخاطبنى بمثل هذا الخطاب، وألا تعرف الرءوس من الأذناب وأنا الذى تملك رقاب ملوك توران وملوك الهياطلة قاطبة . وقد مسحت بيدى يد بهرام، ولست ممن يخفر الذمام . فلا تُمَنِّى ذلك فمالى سوى الله ناه ولا آمر . ولو فعلته لم أكن ذا أصل طاهر . وما أحوجك الى مزيد عقل تورد عنه وتصدر ! والسلام . فعاد الرسول بجوابه هذا إلى حضرة برويز فى شهر واحد .

ولما وقف على كتابه استشعر الخوف، واستحضر أصحابه، وعرض عليهم كتاب الخاقان ، وفاوضهم فى الأمر . فقالوا : أيها الملك ! لاتستصغرن هذا الأمر، ولا تغطّ بالرماد الجمر، وأرسل إلى الخاقان رجلا ألمعيا لا ترى فى رأيه خللا، ولا فى لسانه عيّا حتى يدخل عليه من باب المداراة واللطف، ويتباعد معه عن الخشونة والعنف، فيفهمه بطريق العقل الرزين والرأى الرصين أوليّة بهرام، وقماءة قدره على الجملة والتفصيل . فيقيم عنده شهرا، وإن احتاج لحوْلا حتى يبرم الأمر، ويخمد هذا الجمر .

قال : وعلم بهرام بمراسلة برويز للخاقان فقام ودخل عليه وقال : أيها الملك! بلغنى أن ذلك الخبيث الجاهل يواصلك بمكاتباته . جهز العساكر حتى آخذ لك بلاد الفرس وممالك الروم، وأقطع رأس هذا الخبيث . فأنا[2] إذا شدّدت بين يديك نطاق العبودية استأصلت جرثومة الساسانية . فدخل

(١) طا ، طر : قال إن جوبين . كو : إن بهرام .
(٢) طا ، طر : وأنا ، كو : فانى .

رأس الخاقان من كلامه خُنزُوانة فاستحضر أصحاب رأيه ومشايخ دولته، وفاوضهم فيما ذكره بهرام. فقالوا : أيها الملك ! إن قلع الساسانيـة أمر صعب ولكنه سيتيسر بسعادتك . وبهرام إذا دخـل الى تلك البلاد انحاز اليه أكثر الإيرانيين لحبتهم له وميلهم اليه . والرأى ما يرى بهرام . فليتبع فقـد سهل المرام . فوافق كلامهم هوى الخاقان فافتر ضاحكا، واستدعى أميرين من أمرائه : أحدهما يسمى جنويَه . والآخر زنكويَه[(١)]، وكانا أكثر قواده أتباعا وأشياعا، وجعل[(٢)] تحت راياتهما عساكر عظيمة وأمرهما باتباع بهرام والانقياد له فيما يورد ويصدر . وأشار على بهرام بالارتحال فشدّت الكوسات على أكتاف الأفيال، وارتحل بهرام متوجها نحو إيران بعساكر كالجبال فى كثرة الرمال .

قال : ولمـا أتى الخبر بروبز بأن ذئب الفتنة قد أصحر من غيضته ثانيا استحضر خرّاذ بن برزين (ا) وقال : أنت عالم إيران وخطيبهم المصقع وأريبهم الأروع . فانهض لكفاية هـذا الأمر فإن المحـذور قد وقع . ثم فتح أبواب خزائنـه وأخرج من الجواهر والمنـاطق والأطواق والأقراط وغيرها ما بهر خراذ . وأمره بأن يحملها إلى الخـاقان . فأخذ خراذ فى طريق بلاد الترك وسار وقطع جيحون فى مخاضة مجهوله كان يعرفها هو . فلما وصل إلى باب الخاقان أعلم بقدوم رسول صاحب إيران فأمر بإدخاله عليـه . فلما مثل بين يديه خدم واستأذنه فى الكلام فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : أيها الملك ! إن بروبز قريبك وحميمك . فإن جدّه من قبل الأم هو الخاقان جدّك . فعليك أن تبّل رحمه وتصل قرابته . وجرى فى مضمار الكلام حتى راقه بألفاظه الموشعة وعباراته المنمقة . فمدحه الخاقان وأثنى عليـه وأقعده معه على تختـه . فعرض عند ذلك ما استصحبه من الهدايا والتحف . وحضر الخازن فتسلمها . وأمر الملك فأخلوا لخراذ بهوا بهيّا وقصرا عليّا، ورتبوا له جميع ما كان[(٣)] يحتاج اليه من الملابس والمفارش . فبقى عند الخـاقان يلازم خدمته فى الايوان والميدان . فوجده ذات يوم خاليا فانتهز الفرصة وقال : أيها الملك ! اعلم أن جوبين رجل لئيم لا يعرف قـدر من ينعم عليه . وقد كان فى الأول متطامنا فى أطمار الخمور لا يعرف اسمه أحد . فاعتنى بأمره هرمزد ونعشـه فرفعه من الثرى إلى الثريا . فعامله بمـا رأيت . وها هو يعامل ولده بمـا ترى وأنت وإن بلغت معه فى الشفقة والعناية الى أقصى الغاية نقض عهدك بالآخرة أنكاثا، وطلق الوفاء لك ثلاثا . وكان خراذ يستعمل الفكر فى الاحتيال لإهلاك جوبين . فحصل بينه وبين رجل كان متولى أستاذ دارية

(ا) هو رسول هرمزد إلى الخـاقان حينا أرسل بهرام لحربه . واسمه فى الأخبار الطوال : هرمزد جرابزين .

(١) طا، طر : والآخر يسمى زنكويه . (٢) طا، طر، كو : بجعل .

(٣) طر، كو : جميع ما يحتاج .

الخاتون صداقة فكان[1] يجتمع كل واحد منهما بصاحبه . فاتفق أن أستاذ الدار قال يوما لخراذ : لو حصلت علم الطب كما حصّلت علوم الكتابة لكنت آية بين الخلق . فقال خرّاذ : لست تعدم فيّ ذلك أيضا . فانى قد صرفت طرفا من أوقاتى الى تحصيل ذلك العلم . ففرح أستاذ الدار بذلك، ودخل على الخاتون وقال : إن هاهنا طبيبا حاذقا . وكانت ابنتها مريضة . فأمرت بإحضاره فجاء أستاذ الدار وأدخل خرّاذ فى زى طبيب على بنت الخاتون . وكانت بها حمى محرقة فعالجها حتى لبست فضفاض العافية بعد أسبوعين . فسرّت به الخاتون، وأحضرت له هدايا كثيرة . فلم يقبلها وقال : إذا سنحت لى حاجة عرضتها عليك .

قال : وسار بهرام الى مرو، وكاتب الخاقان بالا يترك أحدا يعبر جيحون حتى لا ينتهى الخبر بالحال الى برويز . فأمر الخاقان فنادى مناديه بالا يمكن أحد من عبور جيحون إلا بطابع ختمه . وأقام خرّاذ شهرين فى تلك البلاد . فاختدع شيخا طاعنا فى السنّ يسمى قلوا (ا) . وقال[2] له، بعد أن عاهده على أن يطيعه فيما يأمره به : إن لى اليك حاجة إن قضيتها لم يخل أمرك من حالتين : إما مُلك أو هُلك، أسلم اليك سكينا فتخفيه، تحت فروة تلبسها، فى كمك، وتسير الى مرو فتقصد باب بهرام فى يوم بهرام . وهو يوم من الأيام المسترقة (ب) . فإنه يتطير من هذا اليوم ويتشاءم به . ثم تقول : إنى جئت فى[3] رسالة من عند الخاتون . فانه يحضرك بين يديه ويسألك أن تؤدى الرسالة اليه . فتقول : أمرت أن أناجيك بها . فاذا قربت منه فاهتك بهذا السكين حجاب قلبه . واذا فعلت ذلك اشتغل[4] غلمانه وأصحابه بنهب خزائنه وأمواله فيمكنك أن تنجو . فاذا[5] خلصت فكأنك اشتريت بذلك الدنيا وأديت ثمنها ، وذلك أنى آخذ لك من برويز مدينة تكون فيها سلطانا نافذ الأمر عالى القدر . وإن تكن الأخرى وقتلت فقد طال مكثك فى الدنيا، وعالجت فيها العسرى . فخلاصك منها غنيمة . فأجابه الشيخ الى ذلك وقال : إنى قد شارفت المائة . ومن بلغها فقد بلغ الغاية . وقد جعلت نفسى فداءك فاحكم فيها بما ترى .

قال : فخرج خرّاذ ودخل على الخاتون، وقال : إن لى جماعة وراء جيحون . فإن حصّلت لى علامة الملك حتى أنفذ اليهم من أصحابى من يعلمهم بحالى عندكم قلدتنى منة عظيمة . فأخذت

(ا) اسمه فى الشاه : قلون .

(ب) بهرام اسم اليوم العشرين من كل شهر . والأيام المسترقة، وتسمى بالفارسية « پنجهٔ دزديده » ، خمسة أيام النسىء التى تكمل السنة ولا تعدّ فى شهورها .

(١) طا، طر، كو : وكان . (٢) طا : طر، كو : فقال . (٣) طر : برسالة .

(٤) طر، كو : اشتغلت . (٥) طا، طر، كو : فان .

طينة، ودخلت الى الملك وهو سكران فوضعتها على خاتمه فانطبعت، وخرجت بها ودفعتها الى خراد. فأخذها وخرج ودفعها الى الشيخ المذكور، وأمره بالمسير وانتهاز الفرصة فى اليوم المعلوم . فأخذها وسار لا بسا فروة سوداء حتى أتى باب بهرام فى ذلك اليوم . وكان من خوفه من شؤمه قد خلا مع غلام له فى دار . فلما أتى الباب قال للبوّاب : إنى أتيت من حضرة الخاتون الى بهرام برسالة . فأُعلم بهرام بذلك . ولما سمع باسم الخاتون خرج الى باب الدار فدنا منه الشيخ ليؤدّى الرسالة ويناجيه بها فضربه بالسكين فى جوفه . فأنّ أنة وقال : آه قد هلكت . خذوا هذا الرجل واستنطقوه حتى يخبركم بالذى أمره بهذا الفعل . فأخذوه وأحدقوا به يضربونه ويستخبرونه عن الذى أشار عليه بذلك فلا يزيدهم الشيخ الطالح إلا سكوتا . ولم يزالوا يضربونه كذلك الى نصف الليل حتى أثخنوه بالضرب، وكسروا يديه ورجليه، وتركوه مرميا فى صحن الدار (١) . وعادوا نحو بهرام وهو غريق فى الدم مضرج به من الرأس الى القدم . وحضرت أخته ووضعت رأسه فى حجرها تذرى دمعها، وتنتف شعرها، وتلطم خدها، وتندبه وتقول : لهفى عليك أيها الضرغام ! لهفى عليك أيها الفارس المقدام! من ذا الذى زعزع طودك الشامخ؟ ومن هدّ ركنك الباذخ؟ كم نُصحتك[1] وقلت : لا تحُم حول الجفاء ، ولا تقلع دوحة الوفاء فإن الساسانية لو لم يبق منهم سوى بنت واحدة كانت هى المعتصبة بالتاج المتسنمة سرير العاج . لكنك لم تسمع مقالاتى النافعة ، ولم تكن مواعظى فيك ناجعة» . فقال : أيها الأخت الطاهرة ! إن الذى تحذرين قد وقع، فأقل الجزع . واعلمى أن هذا كان مكتوبا علىّ فى الأزل فأية فائدة الآن فى هذا اللوم والعذل؟ إن الشيطان أضلنى كما أضل جمشيذ وكيكاوس من قبل ، وهيهات أن تعود على أفواقها النبل . فكفّى هذا المقال فقد حان لى[2] حين الارتحال .

وقال ليلان : إنى قد سلمت اليك هذه العساكر فتولهم . وعليك بملازمة هذه الأخت الطاهرة فلا يفارقن أحدكما صاحبه . ولا تمكثوا فى هذه الأرض وتوجهوا نحو برويز، واستأمنوا اليه . على أنى ما أشك أن هذا الذى جرى علىّ من غوائل الإيرانيين ومكائدهم . ثم أوصى الى أخته وصايا كثيرة ثم وضع خدّه على خدّها وقضى نحبه . فعملوا له تابوتا مركبا من ألواح الفضة، وبطنوه بالقصب والحرير، وتوموه فيه . وأفرغوا عليه الكافور حتى غمره .

(١) فى الأخبار الطوال والطبرى والغرر أن الخاتون هى التى أمرت بقتل بهرام، وفى الطبرى والأخبار أنه قتل ببلاد الترك .

(١) طا، طر، كو : كم قد نصحتك . (٢) طا، طر، كو : حان حين .

قلت : وقال غير صاحب الكتاب أن خرّاد خدع الخاتون بجوهر نفيس دفعه اليها فدست الى بهرام من قتله ، كما ذكر .

قال : ولما انتهى الخبر الى الخاقان بذلك تفجرت محاجره بينابيع الدماء، وتحطمت أضالعه بتلظى الزفرة الصعداء ، وأظلم فى عينه النهار الشامس حتى كأنما كرّت عليه الحنادس . فاستحضر أركان دولته وأعيان حضرته، وفاوضهم فيما جرى على بهرام . ولم يزالوا يبحثون وينقبون حتى وقفوا على الأمر . فأحضر ابنين لذلك الشيخ فأحرقهما . وأمر بجزّ الخاتون بقرونها ، وانتهبت خزائنها ودورها . وفرّق جماعة فى طلب خرّاد، وكان قد هرب، فما عثروا عليه . ثم قعد فى عزاء بهرام، وأمر جميع مماليكه وأصحابه فلبسوا ثياب السواد، وتسلّبوا على ذلك البهلوان الجواد .

ثم إنه بعد ذلك أرسل رسولا الى مخيم بهرام إلى أخته وأصحابه ليعزيهم عن بهرام ، ويذكر أنه معهم على العهد الذى كان بذله[1] لبهرام، وأنه سيبلغ فى الاعتناء بهم الى أقصى الغاية ومنتهاها . وكتب اليها كتابا يقول فيه : إنى تفكرت أيتها المرأة الطاهرة ! فى أمرك ظاهرا و باطنا واذا أنت لا يصلح لك غيرى بعلا وصاحبا . فاجمعى أصحابك ورجالك ، وشاوريهم فى ذلك ثم أعلميني بما يخطر ببالك . ونفذ الرسول بهذا الكتاب . فلما وصل الى مرو احتفل له أكابر إيران الذين كانوا مع بهرام . فعزاهم الرسول عن لسان الخاقان ثم دفع ذلك الكتاب الى أخت بهرام فى السرّ ، وأدّى اليها رسالة حمله إياها فى معنى الخِطبة . ثم إنها لما وقفت على الكتاب أجابت عنه بكتاب تدعو فيه للخاقان وتشكره وتقول فيه : إنى بعدُ فى المأتم، وليس هذا الوقت وقت هذا الكلام . وإن شرعت فيه عابنى الناس بقلة الحياء . ولعل ذلك لا يقترن من الخاقان أيضا بالارتضاء . واذا انتهى العزاء بعد أربعة أشهر أنفذ الى خدمة الملك رسولا ، وأطالعه بما فى نفسى جملة وتفصيلا . ثم لا أحيد عن أمره ولا أخرج عن حكمه. وخلعت على الرسول وردّته الى الخاقان . فخلت[2] بأصحابها ورجالها وأطلعتهم على ما طالعها به الخاقان . وقالت : إنه لاعار علىّ فى الاتصال بمثل هذا الملك ، ولكنى أعلم أنه لا يتولد من مصاهرتنا للترك غير الشر والهُلك . واستشهدت بقصة سياوخش وما جرى عليه فى تلك البلاد . ثم قالت : والرأى أن نستعدّ ونعود الى إيران . وقد كتبت الى أخى كُردويه فى هذا المعنى كتابا ليصلح بيننا وبين الملك برويز . وهو لا يخالفه فيما يقترح عليه لنا من الاعتناء بشأننا . فمدحها الحاضرون وأثنوا عليها بالعقل الكامل والرأى الصائب ، وقالوا : نحن عبيدك المطيعون لأوامرك ، المذعنون لحكمك . وأنت أعلم فافعلى ما رأيت . فلما سمعت ذلك أمرت

---

(١) مل : كان له . والتصحيح من طا، طر : كو . (٢) طر : قال فخلت .

بوضع ديوان العرض فأعطتهم الأرزاق، وأجزلت لهم الصلات . ثم انتخبت منهم ألفا ومائة وستين فارسا كل واحد منهم عند الحاجة يقابل بعشرة . ثم قالت لهم : نحن قوم غرباء فى بلاد توران ما لنا معتصَم ولا منتصَر . ولا طاقة لنا بتحمل المذلة والاستكانة فى دار الغير . وقد عزمت على المسير عند دخول الليل فاستعدّوا لذلك ، فركب يلان، وايزدكشَسب، ومهرآذر ، واستحضروا ثلاثة آلاف جمل وحملوا الأثقال . ولما جن الليل ركبت اللبؤة شاكية السلاح ، وانطلقت تحت سجف الظلام طردا وركضا لا تُجِمّ الخيل، وتواصل بالإسآد والتأويب السير .

فانتهى الخبر بذلك الى طُبُرك[1] أخى الخاقان فقام ودخل على أخيه وأعلمه بالحال . فعظم عليه ذلك ، وأشار عليه بأن يستصحب عسكرا ويتبع الهاربين . واذا وصل اليهم دخل عليهم من باب المداراة؛فان قبلوا وعادوا الى الحضرة فهو المراد . وإن أبوا فضع فيهم السيف حتى تحصدهم حصدا . فركب طُبُرك فى ستة آلاف فارس، وتبعهم فوصل اليهم بعد أربعة أيام . فلما رأت المرأة ذلك لم تحفل بهم، وجعلت الأثقال خلف ظهرها، ولبست سلاح أخيها، وصفت صفوفها . ولما تقابل الجمعان تقدّم طبرك وقرب منها، وكان لا يعرفها، فسأل عنها وقال : معى اليها رسالة، وأريد أن أبلغها اليها . فقالت : ها هى أنا بين يديك كاللبؤة الضارية . فتعجب منها ثم قال لها : إن الخاقان قد اختارك ليستظهر بك، ويتسلى عن أخيك بمكانك . وهو يقول : إن كان ما قلته غير موافق لرأيك فاحسبى أنى لم أتلفظ بذلك ، وأنا راجع عنه . وأما أنت فرواحك من ها هنا بعيد من الصواب . والأصلح لك ألا تفارقى هذه البلاد . فإن[2] لم تقبلى هذا فقد أمرنى أن أقيدك وأحملك اليه . فقالت له : تعال حتى نتنحى عن هذا المعترك لأجاوبك عن كلامك . فانتقلا الى ناحية فنحت المغفر عن وجهها، وقالت له : هل رأيت بهرام وعرفت رجوليته؟ فقال نعم . فقالت : اعلم أنى وإياه من أب واحد وأم واحدة . فلنتبارز أنا وأنت الآن . فان رأيتنى أهلا للزواج أطعتُ أمرك . فركلت فرسها وأشرعت رمحها، واتبعها ايزدِكشَسب . فطعنت طبرك فى خاصرته طعنة نفذت فيه ومات منها . فزحف يلان الى صفوفهم فمزقها كل ممزق ، وقتل منهم قوم وجرح قوم . وانهزم الباقون فتبعوهم مقدار فرسخين فلم ينج منهم إلا قليل . ثم إنها ارتحلت بهم متوجهة نحو إيران الى أن وصلت الى آمل طبرستان . وخيمت بها وأراحت واستراحت . وكتبت الى أخيها وأعلمته باقبالها، وما جرى لها من قتال من تبعها من الترك . ثم قالت : ومعى جماعة من أكابر إيران . فكلم الملك فى حقهم حتى يعفو عنهم، ولا يعاتبهم فى شىء، وأنا منتظرة لجواب هذا الكتاب[3]. والسلام .

(١) هو فى الشاه : طُورِك . وفى الطبرى : نطر .   (٢) طا ، طر : وإن .   (٣) طا ، طر : المكتوب .

§ وأما برويز فانه لما فرغ سره من جهة بهرام استدعى دستوره ذات يوم وقال : حتام أخفى سرى ولا أبوح به ؟ كيف أتهنأ بالعيش وقاتل أبى أراه يتردّد بين يدىّ؟ بجلس فى مجلس الشرب ولما انتشى أمر بخاله بندويّه فقيدوه ثم أمر فقطعوا يديه ورجليه ومات فى الحال . وكتب كتابا الى خاله الآخر المسمى گُستَهم يقول فيه : اذا وقفت على هذا المثال فسارع الى الخدمة . فلما وصل اليه الرسول بادر الامتثال وأقبل الى الحضرة . فلما وصل الى جرجان بلغه ما فعل الملك بأخيه فعض على يديه، ومزق ثيابه، ووضع التراب على رأسه، وعلم أن الملك يريد أن يقتله أيضا بأبيه، كصنيعه بأخيه، فثنى عنانه وعاد الى ما زندران . وأخذ يشن الغارة على تلك النواحى ومن بها من نوّاب برويز(١) . ثم إنه سمع بنزول أخت بهرام فى أرض آمل فركب وسار اليها . فلما رآها ركض اليها،وعزاها عن أخيها، وشرح لها ما جرى على بندويه . وقال لها ولمن معها من الأمراء والأكابر: ماذا ترجون من هذا الغادر؟ اعلموا أنه متى تمكن منكم فعل بكم مثل ما فعل بخاله . فإياكم أن تغتروا به وتعودوا اليه . وما زال بهم حتى صرف أخت بهرام عن رأيها ذلك . وخطبها الى يلان فخاطبها يلان فى ذلك فرضيت . فتزوّج(١) بها گستهم فاشتدّ بها ظهره، وأفرخ روعه . واجتمعوا وصاروا يدا واحدة فعظم خطبهم على برويز . وكان كلما أنهض اليهم عسكرا كسروه ونهبوه، حتى أعجزوه . فالتجأ إلى الحيلة وخلا بگرديه أخى بهرام وقال : إن گستهم قد تقوّى بأختك . وإنى أريد أن تكتب اليها كتابا فى السر وتسألها أن تحتال فى اغتياله على أنى مهما فعلت ذلك تزوجت بها ، ولم أتعرض لها ولمن معها . فقال كرديه :لا بدّ من مكتوب بخط الملك مشتمل على هذا المنى حتى أنفذه اليها ، وأحرضها على قتل زوجها . فكتب له الملك خطه بذلك . فأخذه كرديه وجعله فى طىّ كتابه ،

---

§ هـذا هو القسم الثالث من أقسام قصص خسرو پرويز، كما تقدّم أول الباب . وفيه هـذه العنوانات فى الشاه :

(١) قتل خسرو بندوىَ بثار أبيه هُرمُزد. (٢) گُستَهم يعصى خسرَو پرويز، ويتزوج گُرديه . (٣) گرديه تقتل گستهم باغراء خسرو وگُردوىَ . (٤) رسالة گرديه الى خسرو وخطبة خسرو إياها . (٥) گرديه تبين عن فروسيتها فى حضرة خسرو. (٦) سبب خراب مدينة الرى . (٧) تقسيم خسرو مملكته وبعثه الجيوش الى حدود إيران .

---

(١) انظر فى الاخبار الطوال تفصيل قتل بندويه وثورة بسطام وعاقبة أمره . وفى ودرز (ج ٨ ص ١٩١) أن بندويه قتل سنة ٥٩١ م . وأن ثورة بسطام أطبت ذلك واستمرت حتى قتل سنة ٥٩٥ م .

(١) طا، طر، كو : وتزوّج .

وأعطاه لأخت له (١) ونفذها اليه لتخدعها . فسارت وهى تظهر أنها تروح اليها لتعزيها عن بهرام وتجدد عهدها بها .

فلما وصلت اليها فاتحتها بحديث بهرام وحادثته و بكت ساعة . ثم إنها خلت بها وأعطتها كتاب أخيها . فلما قرأته وقرأت كتاب الملك[1] انخدعت وأخذت فى التدبر والتفكر . فأطلعت خمسة أنفس من أصحابها على ذلك السر . ثم إنها صادفت گُستهم ليلة سكران فقتلته خنقا . ولما أصبح شاع الخبر وجاش الخلق فأظهرت كتاب الملك فسكنت فورتهم وخمدت جمرتهم .

ثم إنها كاتبت الملك بما جرى فأتاها الجواب يستقدمها و يستعجلها . فقدمت عليه فأعظم الملك مقدمها وأركب جميع الأكابر لاستقبالها . فلما رآها الملك دهش لما رأى من جمالها وكمالها فخطبها الى أخيها وجرى بينهما عقد النكاح، على رسمهم وآيينهم . فخلع الملك على جميع أصحابها، وأكرمهم بالخدم الوافرة والهدايا الكثيرة . ثم بنى عليها وخلا بها أسبوعين .

ثم قال لها : أشتهى أن ترينى كيف بارزت أخا الخاقان وكيف[2] كان جولانك معه فى المعترك . فقالت : ليحضرنى الملك فرسا وسلاحا . فأمر باحضار ذلك فى بستان له . وحضرت شيرين زوجة برويز كالشمس المشرقة[3]، ووراءها ألف ومائتان من الجوار الحسان كالكواكب الدرّية . فلبست الدرع، وشدّت عليها المنطقة، ووضعت على رأسها المغفر ، وأخذت الرمح فاستأذنت الملك وسعت نحو فرس أدهم قرّب لها فوضعت زج الرمح فى الأرض وقفزت على ظهر الفرس ، وأخذت فى الجولان فى ذلك الميدان . وكان الملك قاعدا على تخت من الذهب ينظر اليها . فقالت له شيرين: أيها الملك ! كيف تأمنها وأنت قاتل أخيها، وهى فى السلاح وأنت قاعد هاهنا فى ثياب البذلة ؟ فضحك الملك وقال لها : لا تظنى بها فى محبتها لنا إلا الحسنى. قال: ثم قال لأخت بهرام إن فى حُجَرنا اثنى عشر ألف جارية . وقد[4] جعلتهن كلهنّ تحت أمرك وحكمك . فسجدت له وقبلت الأرض بين يديه ودعت له[5] .

وصار الملك فارغ البال من كل عدوّ وكاشح فتفرّغ للشرب والطرب واللهو واللعب . قال : فبينا هو يشرب يوما إذ دفع اليه الساقى قدحا فرأى عليه اسم جوبين فذكره ورمى بالقدح، وأخذ يلعنه و يلعن بلده . ثم أمر بتخريب الرى ودوسها بأخفاف الفيلة لأنها كانت مسقط رأس جوبين.

(أ) فى الشاهنامه أن المرسلة امرأة كردويه لا أخته . وكذلك فى الأخبار الطوال .

(١) صل : فلما قرأت كتاب الملك . والتصحيح من طا ، طر، كو. (٢) صل : فكيف . والتصحيح من طا ، طر.

(٣) طر : الطالعة . (٤) طا : جارية قد . (٥) صل : لها .

وجزم القول بذلك. فقال له الوزير: أيها الملك! إن الرى مدينة كبيرة فيها خلق كثير. وكيف يحل لك أن تخربها وتبدد شمل ساكنيها؟ قال: فإنى أريد رجلا خبيثا حتى أوليه إياها الآن، وأجعله مرزبانها ليخربها بالشوم وفعله المذموم. فقال: ليذكر الملك صفات هذا الرجل حتى يطلب ويولى المكان. فقال: اطلبوا رجلا كثير الكلام، قد ولد على أنحس طالع، أشقر اللون، ضعيف البدن، أقنى الأنف، أصفر الوجه، قصير القامة، أحول العينين أزرقهما، كبير الأسنان، سيء الفكر، دغل القلب، يجمع بين الجبن والكذب والدناءة والقبح. فتعجب الموابذة من استقصاء الملك الأوصاف الدالة على الشر والخبث. فأخذوا فى طلب رجل على هذه الصفة الى أن عثروا على واحد. فجاءوا به الى حضرة الملك. فلما رآه ضحك من ذلك المنظر القبيح فقال له: أى شىء تحسن من خصال الشر؟ فقال: إنى رجل فارغ الكيس من العقل، لا أعرف الراحة، ورأس مالى الكذب، و الى سبيل الى الصدق. فأمر بجعلوه مرزبان الرى، وكتبوا له منشورا بذلك، وضموا اليه جماعة من الأجناد المتفرّقة فسار اليها. ولما تمكن منها(١) أمر بقلع المآزيب من الدور والقصور، وقتل ما يوجد فيها من السنانير. وقال: من أعاد ميزابا الى داره أو وجدت قطة فى بيته فدمه حلال، وماله مباح. ثم إنه أغرى بكل من له شىء بجعل يصادرهم ويعاقبهم ويعصبهم عصب السلم حتى أتى على جميع أموالهم. فلما جاء الشتاء وتتابعت الأمطار خربت الدور، وكثرت الجرذان فى البيوت فخلت من الناس وجلوا عنها. وبقى يسير بهذه السيرة الى أن خربت الرى. وكان الخلق بها يتظلمون فلا يرون مغيثا، ويصرخون ولا يجدون مجيبا. قال: ولما دخل فصل الربيع وزينت الأزاهير وجه الأرض، وتصندل الماء، وتمسك الهواء، وخرجت النظارة للفُرَج، وظفرت أسرى البيوت بالفَرَج، وعزم برويز على البروز الى الصحراء والنزول بين الخضرة والماء عمدت زوجته أخت بهرام الى سنور كبير لها فشنفته بأقراط، وزينته بأنواط، وأركبته فرسا، وأمرت بأن يعدّى الفرس بين يدى برويز. فلما رآه قهقه ضاحكا فقال لها: سلينى حاجتك. فقالت: حاجتى أن تهب لى السنور فلا تقتله (ا) وأن تصرف عن الرى عامل الشوم الذى قتل سنانيرها وقلع مآزيبها حتى خربت دورها وتداعت قصورها. فأمر الملك حينئذ باسترجاع مخرَّب الرباع من تلك البقاع، وخلص الناس من شؤمه. ولله الحمد.

(ا) ليس فى الشاهنامه سؤالها أن يهب لها السنور فلا يقتله. بل أوّل سؤالها عزل عامل الرى. وسياق الكلام هنا لا يلائم سؤالها ألا يقتل السنور.

(١) طاء طرء فيها.

قال : ولما استتبت أمور برويز وانتظمت أسباب سلطانه ، وأذعنت الملوك طوعا وكرها لأوامره وأحكامه، وأظلت على العالمين سحائب عدله و إحسانه اختار من الايرانيين ثمانية وأربعين[1] ألف فارس كلهم ممن مارسوا الأمور وكابدوا تصاريف الدهر حتى صاروا أفراد الزمان ، وآساد الضراب والطعان . فقسم الأرض أربعة أقسام : فنفذ اثنى عشر ألف فارس منهم الى حدود بلاد الروم، ونفذ اثنى عشر ألفا الى بلاد زابُل، واثنى عشر ألفا الى اللان وحدود الخزر، واثنى عشر ألفا الى خراسان وحدود بلاد الترك . وأوصى الكل بالتيقظ والتحفظ وحفظ الممالك وضبط المسالك . ثم فتح أبواب الخزائن، وأخرج كل درهم ودينار وجد من ضرب أبيه هُرمُزد فتصدّق بها على الفقراء والمحتاجين . ونقب عن كل من كان معاضدا ومعاونا لخاليه على خلع هرمزد وقتله فقتلهم حتى أهلك كل من أظهر بذلك شماتة وسرورا . ثم قسم ساعاته وأيامه وشهوره على مصالح الملك والدين ومناجح العالمين، فقسم شهوره أربعة أقسام : قسم للميدان ومبارزة الأقران وما يتعلق بها ، وقسم للصيد والطرد ، وقسم للعب بالشطرنج والنرد وغيرهما ، وقسم لإحضار الرسل والإجابة عما صحبهم من الكتب والرسائل ، ومن يرى إقطاعه والتوقيع لهم على المناشير والعهود . وقسم ساعات ليله ونهاره على أربعة أقسام[2] أيضا : فقسم منها للحضور مع موبذ الموبذان والاستماع الى كلامه فى مصالح الملك وأحوال الأجناد وما يتعلق بذلك ، وقسم للإصغاء الى الظلامات وقضاء الحاجات ، وقسم للعبادة والطاعة ، وقسم للنظر فى علم النجوم وغيره والاستماع لأصحابه . وفى هذا القسم كان يجلس فى مجلس الأنس ، و يشتغل باللهو واللعب والعيش والطرب ، وذلك نصف الليل . ثم جعل يدبر الأمور، و يسوس الجمهور على هذه الطريقة . وكان كل سنة يكتز كنزا من آثار العدل والعمارة .

§ ولما أتت على ملكه ست سنين رزق من بنت قيصر ابنا كالقمر . وكان من عادتهم اذا ولد لهم مولود حضر أبوه وناجاه فى أذنه بالاسم الذى يريد أن يسميه به بحيث لا يطلع عليه أحد ، ويسميه باسم آخر على رءوس الملأ فيشتهر به . فحضر برويز وناجى المولود باسم قُباذ، ودعاه بين

§ هنا يبدأ القسم الرابع من أقسام قصص خسرو برويز، كما تقدّم أول الباب . وفيه العنوانات الآتية فى الشاه :

(١) ولادة شيّرويه بن خسرّو فى طالع نحس . (٢) رسالة خسرو الى قيصر وجواب قيصر وطلبه صليب المسيح . (٣) جواب خسرو برويز الى قيصر .

(١) صل : ثمانية وثلاثين . والصواب ثمانية وأربعين، كما فى الشاه . (٢) طا ، طر : على أربعة أيضا .

فقرأه على رءوس الاشهاد . وكان مشحونا بدعاء[1] برويز، ووصف طهارة أصله ، وكبر قدره ، وقدم بيته، ومآثر آبائه، ومفاخر أسلافه . ثم قال فى آخر كتابه : ولنا الى الملك حاجة واحدة يسهل إنجاحها عليه . وهى أن ينفذ الينا صليب المسيح . فإن له فى خزانتكم مدّة . ونحن نرجو أن يمنّ الملك به علينا، ويردّه الينا . فانه اذا فعل ذلك فكأنه أنعم على جميع سكان بلاد الروم صغيرهم وكبيرهم . لأنهم قوم أصيبوا فى المسيح، وفجعوا به . وفى ذلك ما يقلّل[2] جزعهم، ويشفى غللهم . ومتى ما رددتم ذلك الينا صح بين الناس أنكم أخرجتم العداوة من قلوبكم، وحصل الصفاء بيننا و بينكم . (أ) فلما وقف برويز على كتابه استبشر، وازداد سروره ، ثم أثنى على مقدم الرسل وحمده وشكره . ثم أمر بإنزالهم و إدرار الأنزال عليهم . فأقام الرسول عنده شهرا . ثم كتب جواب الكتاب ، وأجاب عن جميع فصوله بأبلغ إجلال وأتم إعظام . وأجاب عن استدعاء الصليب بأن قال : إنه ليُضحَك منا اذا تصدّينا لإنفاذ خشبة بالية من إيران الى أرض الروم . ونحن نخاف لو أظهرنا أمرها، ونحترز من أن يضع الناس فينا ألسنتهم فيوسعوا قِداحنا بريا، وجلودنا فريا، ويقولوا[3] : صبأ برويز عن ملته، وانتقل الى دين زوجته . ثم مهما سنحت لكم حاجة أخرى سواها فاعرضوها فهى لكم مبذولة، وأوامركم فيها مسموعة . ثم ختم الكتاب . وأمر فملئوا مائة وستين درجا أو كيسا بالجواهر الثمينة، وأوقروا ثلاثمائة جمل من طرائف الصين والهند ومصر وغيرها . وأفاض الخلع على الرسل وأجزل لهم الصلات والأعطيات، وردّهم بذلك كله الى قيصر .

قلت : وسبب حصول خشبة الصليب فى خزانة كسرى أنه نفذ بعض قوّاده فى واقعة الى بلاد الشام فدوّخها حتى انتهى الى أرض فلسطين، ووصل الى مدينة بيت المقدس فقبض على أسقفها ومن كان بها من القسيسين، وطالبهم بهذه الخشبة وألحّ عليهم حتى دلوه عليها . وكانوا وضعوها فى تابوت من الذهب، ودفنوه فى أرض فى بستان جعلوه مبقلة . فحفر عنها بيده وأخرجها وبعث بها الى كسرى . والله أعلم .

(أ) هذه السفارة بين الروم والفرس كانت، كما تصف الشاه، بعد ست سنين من ملك برويز أى سنة ٥٩٦ م . والذى يعرفه التاريخ أن الصليب أخذ من بيت المقدس سنة ٦١٤ م . ثم استردّه هرقل بعد وفاة برويز سنة ٥٢٨ م كما يأتى .

(١) كو : بالدعاء لبرويز .

(٢) صل : مما يقلل . والتصحيح من طا ، طو ، كو .

(٣) صل : يقولون .

§ ذكر قصة شيرين مع كسرى برويز، وحكاية بهربذ المطرب (أ)

قال صاحب الكتاب : كان برويز، فى مقتبل عمره وريعان شبابه فى حياة أبيه، لا يميل من نسائه وجواريه إلا الى شيرين . وكانت عنده بمثابة العين الباصرة، لا يثنى على غيرها خناصره. فلما ملك اشتغل عنها بسبب ما بلى به من وقائع بهرام جوبين. فلم تكن تخطر بباله لاشتغاله فى حاله . فلما انتهت تلك النوبة ، وتصرمت تلك النبوة ، وقتل بهرام ، وارتفعت العوائق والموانع، وتفرغ الملك، ودار على ما يريده الفلك استمر على إعراضه عنها واطّراحه لها . فجعلت تبكى وتجزع ، وعلى بعاده تتوجع . فاتفق أنه عزم على الخروج للصيد . وكان من عادته اذا ركب للصيد أن يقاد له ثلاثمائة جنيبة بعدة الذهب، ويسعى بين يديه ألف وستة وستون راجلا بأيديهم المزاريق، وألف وأربعون بأيديهم السيوف والعصىّ، ويخرج معه سبعمائة من "البازدارية"، وثلاثمائة من الفهّادين، وسبعون أسدا ونمرا معلمة ، مجللة بالديباج، مشدودة الأفواه بسلاسل الذهب، ويستصحب ألف عوّاد على رءوسهم أكاليل الذهب ، ومائتى غلام على يد كل واحد منهم مجمر يوقد فيه العود والعنبر

---

§ يختلف الرواة فى شيرين أهى فارسية أم أرمنية أم رومية؛ الشاهنامه تجعلها فارسية، ويقول صاحب تاريخ كزيده[1] أنها بنت ملك الأرمن . عشقها برويز حين فر من أبيه هرمزد، كما تقدّم. وبعض الرواة يظنها رومية ، ومن هؤلاء من يقول أنها بنت قيصر التى تذكر فى الشاهنامه باسم مريم، وأن شيرين محرّفة عن "إيرينى" أو "سيرا"[2] .

وفى ميرخوند أن شيرين كانت فى خدمة أحد أشراف الفرس،وكان خسرو برويز فى صباه ينتاب دار هذا الشريف فأحب شيرين وأعطاها خاتما . فلما علم رب الدار أمر أحد خدامه أن يغرقها ولكنها نجت ولجأت الى دير . ولما تولى برويز أرسلت اليه الخاتم فذكرها وأخذها الى قصره[3] .

وقصة شيرين وخسرو معروفة يرى القارئ بعض حادثاتها فى الشاه . ولشيرين قصة أخرى مع عاشق اسمه فرهاد؛ زعموا أنه أحبها فلما سمع برويز بذلك كلفه أن يشق طريقا فى جبل بيستون من جبال كردستان، ووعده أن يهبه شيرين حين يتم عمله . فلما شق فرهاد الطريق أرسل اليه برويز من يخبره كذبا أن شيرين ماتت . وقد ذهب فرهاد مثلا فى العشق كمجنون ليلى . =

(أ) قصة بهربذ ستأتى بعد قصة طاق الديس . وليس فى الشاه ذكر بهربذ فى هذا العنوان .

(١) تاريخ كزيده ص ١٢٠ (٢) مول (mohl) ج ٧ ص XII ، قاموس الأعلام : شيرين .

(٣) ورنر، ج ٨ ص ١٩٢

فى الموكب ، ومائتى نفس من الشبان معهم النرجس والزعفران يتقدّمون الموكب حتى ترد الريح ريحها الى مشام الملك . وقدّام هؤلاء مائة سقاء معهم قرب المـاء يرشون الطريق حتى لو هب هواء لم يحمل غبارا من الأرض فيمسه به . وحواليه ثلاثمـائة فارس من شـباب أولاد الملوك فى ملابس الوشى ، وعلى رأسه الدرفش الكابيانى يخفق .

فخرج برويز على هذه الهيئة . وسمعت به شيرين فظاهرت بين حَلْيها وحُلَلها ، وتبرجت فى وشائعها ورفارفها ، وصعدت الى سطحها . ولمـا قرب موكب الملك أشرفت عليه ، ووقفت بمرأى ومسمع منه وبكت ، وقالت بصوت رخيم : أيها الملك الهمام ! أين ذاك الحب والغرام ؟ أين تلك الليالى التى كنت لا تذوق فيها طعم المنام ؟ أين تلك المواثيق والعهود ؟ ترى تلك الأيام تعود ؟ .

لا رأى السوء من يراك يد الدهر م وأحيـا الإله من حيـاكا

أى نـــور لنـاظرىّ اذا ما مرّ يوم وناظـــرى لا يراكا

وطفقت تشكو اليه بثها وحزنها ، وتذرى دمعها ، وتمرى جفنها . فلما سمع الملك ذلك اصفر وجهه ، واغرورقت بالدموع عينه فنفذ اليها أربعين خادما ، ومركبا من المراكب الخاصة ، وأمر بأن تحمل الى حجرته المذهبة المرصعة . وسار فى طريقه الى متصيده . ولمـا قضى وطره من الصيد والقنص

= وقد نظمت قصة شيرين كثيرا بالفارسية والتركية ؛ نظم " خسرو وشيرين " من شعراء الفارسية نظامى الكنجوىّ وخسرو الدهلوىّ ، ومن شـعراء التركية شيخى وعطائى وآهى . ونظم "فرهاد وشيرين " من شعراء الفارسية وحشى ، ومن شعراء التركية نوائى . ونظمها غير هؤلاء . وأشار اليها الشعراء فى شعرهم كثيرا . كقول كمال الخُجَندى :

لعل شـيرين نصيب خسرو شد سنك بيهوده مى كند فرهاد

أى : صار عقيق شيرين (شفتاها) نصيب خسرو ، وعبثا ينحت فرهاد الأحجار .

وقول فضولى :

هر كسك حالنجه واردر بر تجليكاه عشق بيستون فرهاده كوه طورشكان كوستري

أى : لكل انسان ، على قدره ، متجلى عشق ؛ فجبل بيستون يلوح لفرهاد كطور سيناء .

ويحتمل أن فرهاد كان المهندس الذى بنى لخسرو برويز طاق خسرو فى تخت البستان قرب كرمانشاه ، والقصر الذى فى مشيطة على خمسة وعشرين ميلا الى الشرق من المنتهى الشمالى للبحر الميت . ولا تزال بقية منه فى متحف القيصر فردريك ببرلين[1] . =

(١) وزن ، ج ٨ ص ١٩٢

وطاف فى السهل والجبل ثنى عنانه نحو البلد فى تلك المواكب الرائقة، والكواكب المونقة . والأرض تطن بأغاريد القيان ، ونغمات المسمعات الحسان . فلما دخل الى الايوان خرجت شيرين وخرّت تقبل الأرض تحت قدمه . فدعا الملك موبذ الموبذان وأمره أن يزوّجه شيرين على رسمهم وآيينهم ففعل . واستفاضت الأخبار فى المدينة بتحوّل شيرين الى قصر الملك . فعظم ذلك على أكابر الدولة وأعيان الحضرة، وسائر الموابذة والعلماء فلم يدخلوا ثلاثة أيام على برويز . فقعد فى اليوم الرابع واستحضرهم واستدعاهم . فلما حضروا سألهم عن غيبتهم واستوحش لانقطاعهم . فلم يتكلم منهم أحد وأومَوا الى موبذ الموبذان ليجيب الملك عنهم . فقام الموبذ وتكلم بفصل ثم قال : أيها الملك ! انما ضاقت صدورنا منك لأنك أعدت شيرين الى بيتك . وذكر فصلا فى مساويها . فسكت الملك ولم يحر جوابا . فقال الموبذ : غدا يجيبنا الملك عن كلامنا . فقاموا . ولما أصبحوا عادوا الى إيوان الملك فأمر برويز باحضار طست من الذهب الأحمر فيه دم عبيط . فوضع بين الناس فرأوا ذلك فتعجبوا[1] . ثم أمر فرفعوا الطست وأراقوا الدم ، وغسلوه ونظّفوه وطيّبوه ثم صقلوه حتى صار كأنه

= وقد حذف المترجم فاتحة قصة شيرين فى الشاه . ولا بد من إثباتها هنا لأنها تتضمن ، فيما أعلم، أول شكاة للفردوسى من حظه عند السلطان محمود . وهذه ترجمتها :

"تقادم العهد على هذا الكتاب — كتاب الغابرين المبين عن أقوال المصلحين وأعمالهم . وهأنا أجد كتابا يبقى ذكرا خالدا من هؤلاء الأبطال ، يتضمن ست عشرات من ألوف الأبيات ، كلاما يجلو الأحزان ويذهب بالهموم . وما يرى أحد كتابا فارسيا يحوى ثلاثة آلاف بيت (ثلاثين مائة مرة) واذا حذفت الأبيات الركيكة لم يبق خمسمائة .

إن هذا الملك العظيم الوهاب الذى يتلألأ نوره بين ملوك الأرض لم ينظر الى هذه القصص . وإنما أُتيتُ من سعاة السوء ومن الجد العاثر . فقد حسدنى المفسدون فكسدت عند الملك سوق . ولكن الملك رب الجيوش العظيمة اذا نظر فى هذا الكلم البليغ قدره عقله المنير حق قدره، فأسعدنى بهباته . وقاه الله سوء الأشرار . سيذكرنى الملك فيشمركذى — خلد الله عرشه وتاجه، وجعل جدّه أضوأ من الشمس .

وقصة خسرو وشيرين تتضمن فى الشاه هذه العنوانات :

(١) فاتحة القصة . (٢) خروج خُسرَو للصيد، ورؤية شيرين ، وإرسالها الى حرمه . (٣) الأكابر ينصحون خسرو . (٤) قتل شيرين مريم وحبس خسرو شيروىَ .

---

(١) طا، طر، كر : وتعجبوا .

ضرة الشمس الطالعة، وأعادوه الى المحفل . فقال الملك : هذا مثل شيرين . وأنها[1] لما تحولت الى بيتنا عادت طاهرة وان كانت من قبلُ مساويها ظاهرة . فرضوا عن الملك ودعوا له ، وانفض المجلس وعادوا الى منازلهم . قال : وكان الملك ليلا ونهارا مع مريم بنت قيصر فغارت منها شيرين حتى سقتها سما فماتت[2] . ثم جعل الملك بعد سنة مكانها لشيرين .

وأما ولده شيرويّه فانه لما بلغ ست عشرة سنة طاول بقدّه أبناء الثلاثين فأحضره الملك المؤدبين والمعلمين . وكان الموبذ المعلم يرقبه ويضبط حركاته وسكناته، على مقتضى أمر الملك . فدخل عليه يوما ورآه وبيده كف ذئب وقرن جاموس يضرب أحدهما بالآخر، ويلعب لعب الصبي العارم (أ) . فتطير المعلم من كف الذئب وذلك القرن ، وتفرّس فيه الشر . فدخل على موبذ الموبذان وشكا اليه سوء أدب شيرويه ووقاحته . فحكى موبذ الموبذان ذلك للملك فعظم عليه وتذكر قول المنجمين وما رأوه فى طالعه فبقى من ذلك وقيذ القلب . فلما بلغ الشاب ثلاثا وعشرين سنة ضاق منه صدر أبيه، لما كان يصدر منه من حركاته الموحشة، فألزمه إيوانه، وجعله سجنا له لا يمكن من الخروج منه . وأحصوا رضعاءه وغلمانه فبلغوا ثلاثة آلاف نفس من صغير وكبير . فنفوا البعض، وأثبتوا البعض، بعد أن كانوا يدرّون عليهم أرزاقهم . وخرقوا القصور بعضها الى بعض حتى كان شيرويه يتردّد فيها . ووكلوا به وبمن معه أربعين نفسا يحفظونهم ليلا ونهارا (ب) . وسيأتى تمام ذكره بعد إن شاء الله تعالى .

ذكر طاق الديس الذى أعاده برويز

قال صاحب الكتاب : كان فى عهد أفريذون رجل مهندس يدعى جهن بن برزين ، وكان مشهورا[3] مذكورا فى الآفاق . فعمل لأفريذون تختا مرصعا قد أبدع فى وضعه . فتعجب منه أفريذون فأعطاه ثلاثين ألف دينار وتاجا وقرطين، وأقطعه آمُل وساوه[4] . وأعطى التخت لولده إيرَج .

قال : وخلف أفريذون بعده ثلاثة أشياء مذكورة : أحدها هذا التخت ، والثانى الحرز المعمول على صورة رأس الثور، والجوهرة المعروفة بذات العيون السبع، ولما اخترم انتقلت

(أ) فى الشاه : رأى أمامه كتاب كليلة ودمنة ورأى بيده كف ذئب الخ . وفى الغرر : أنه كان بيده اليمنى مخلب ذئب وبيده اليسرى قرن وعل ، وهو يضرب أحدهما بالآخر، ويقرأ باب الأسد والثور من كتاب كليلة ودمنة .

(ب) كانت شيرين تود أن يكون الملك بعد برويز لابنها مردانشاه، وكان برويز أطاع هواها فأبعد شيرويه وسجنه .

(١) كو : فانها . (٢) صل، طا، طر : ثم ماتت . والتصحيح من كو . (٣) طا، طر، كو : مذكورا مشهورا . (٤) طا، طر، كو : ساريه .

الأشياء الثلاثة الى منوجهر . وكان كلما ملك ملِك زاد فى هذا التخت شيئا . فلما انتهت النوبة الى كيخُسرو زاد فى طوله كثيرا . وبعده زاد فيه لُهراسب . ولما ملك كُشتاسب قال لجاماسب الحكيم : اعمل فى هذا التخت شيئا يبقى ذكره أبد الدهر ، ويخبر الخلق بعلمك وحذقك . فنقش جاماسب عليه البروج الاثنى عشر، والكواكب السبعة السيارة ، وغيرها من الساعات وما يتعلق بالنجوم . وزاد أيضا فيه من بعده الى أن انتهت النوبة الى الاسكندر . فخالف الكل ، ونقضه وفرّق أجزاءه ومزّقه كل ممزق . فتفرّقت ألواحه فى الأيدى السالبة . وكانوا يحتفظون بها . فلما ملك أردشير تتبع فوجد من ذلك التخت ألواحا مكسرة فجمعها وأعاد منه رسما (أ) . ولما انتهت النوبة الى برويز حشر صناع جميع بلاده حتى اجتمع عنده ألف ومائة وعشرون أستاذا كانوا يعرفون وضع ذلك التخت على ما وضعه جاماسب . وكان مع كل أستاذ ثلاثون تلميذا . فاشتغلوا بعمله سنتين . وجعلوا طوله مائة وسبعين ذراعا، وعرضه مائة وعشرين[1] ذراعا، وسمكه مائة وخمسين ذراعا بالذراع الشاهى، ومقداره ثلاثة أذرع بذراع اليد . وكان من اثنى عشر لوحا، وفيه مائة ألف وسبعون ألف ضبة من ذهب مرصع ، ومسامير الضبات من الفضة وزن كل مسمار مائة وستة وستون مثقالا . وكان اذا حلّت الشمس فى برج الحمل يكون وجه هذا التخت الى البساتين وظهره الى الصحراء، واذا حلت الشمس الأسد[2] كان ظهره اليها ووجهه الى البساتين، وعند فصل الخريف وإيناع الثمار يكون وجهه الى البساتين حتى تصل روائح الفواكه الطيبة الى مشام القاعدين عليه، وفى فصل الشتاء تشدّ طاقاته بأُزُر الخز والحرير، ويحضرون بين يدى الحاضرين ألف كرة محماة من الذهب والفضة، وزن كل واحدة خمسمائة مثقال . وعملوا على التخت صور البروج والسيارة وأفلاكها ومنازل القمر ومقياس ساعات الليل والنهار حتى كأنما وضعت فيه السماء بما فيها . وكانت تلك التخوت بعضها من الذهب وبعضها من الفضة، مرصعة بجواهر أصغرها فى وزن سبعين مثقالا، وأكبرها فى وزن سبعمائة مثقال . وكان تحتها تخت يسمى " ميش سر" أى رأس الضأن، وفوقه تخت آخر يسمى اللازوردى، والذى فوق هذا يسمى الفيروزجى . وكان يرتقى من كل واحد الى الذى فوقه بأربع درجات من ذهب . فكان رأس الضأن مجلس الدهاقنة والرعية ، واللازوردى مجلس الأمراء والقوّاد ، والفيروزجى مجلس الدستور والوزير، ومن عند الدستور يرتقى الى مجلس برويز . وهو قاعد على بساط طوله سبع وخمسون ذراعا فى عرض مثله ، منسوج من الذهب والجوهر، قد صوّرت فيه صور البروج والكواكب مع صور

(أ) تحطيم الاسكندر هذا التخت ، وإعادة أردشير إياه مثال مما ينسبه الفرس الى الاسكندر مخرب ملكهم، وأردشير الذى ردّ اليهم مجدهم الغابر .

(١) كلمة "ذراعا" من طا، طر . (٢) طا، طر، كو : فى الأسد .

جميع من ملك الأرض الى عهد برويز . وكان هذا البساط قد جاء به صانعه من بلاد الصين ، وأهداه يوم النيروز الى برويز، وكان قد بقى عمله[1] سبع سنين، فاستحسنه . ولما بسطه فى مجلسه استحضر الندماء واشتغل بالعيش والطرب . وكانوا يسمونه البساط الكبير .

(أ) قال : وشملت أيادى برويز كل ذى أدب وصاحب صناعة حتى توفرت حظوظهم وسعدت جدودهم سوى بهربذ العوّاد ذى الذكر الشهير والعلم الغزير فى صناعة الغناء ، وصاحب الأصوات المعروفة § . وكان قد قيل له : إن الملك استصفى من المغنين[2] رجلا اسمه سركس(ب) ، وجعله ملك المطربين . ولو رآك وعلم بذكائك وحسن صنعتك لعزله ،لا محالة،وولاك . فقصد باب برويز، وكان يغشى المغنين[2] . فلما وقف سركس على جودة صناعته خاف أن يكون السبب لكساد سُوقه ، ونضوب مائه . فصار الى حاجب الباب، ورشاه بدراهم كثيرة ودنانير وافرة ، وقال: اعلم أنه قدم مغنّ هو أحسن منى غناء، وأوفر غَناء . ولو رآه الملك لاختاره علىّ ملتذا بحذّته، ومائلا الى جودته ، فيخمد جرى ويتراجع أمرى . وسأله أن يحول بينه وبين الدخول على برويز . فضمن له الحاجب ذلك[3] . فكان كلما حضر الباب منعه، واذا سأله أن ينهى حاله دفعه . فبقى هذا الأستاذ الحاذق (٢١٦)

---

§ يذكر هذا المغنى فى الكتب العربية والفارسية باسم بهلبد وبلهبد وبهلبند وباربد وبربد وبهربذ وفهلبذ وفهربذ . وقد جاء فى شعر خالد الفياض فى قصة خسرو برويز، وجواده شبديز :

ورنّم البهلبند الوتر فالتهبت | من سحر راحته اليمنى شآبيب
لولا البهلبند والأوتار تندبه | لم يستطع نعى شبديز المرازيب

وأصله الفارسى پهلبت . واختلاف صيغ الاسم على هذه الشاكلة يدل على أن قصته نقلت عن الفهلوية . فان اللام والراء لهما صورة واحدة فى الكتابة الفهلوية وكذلك الألف والهاء .

ويروى أن بهربذ من مدينة مرو، وأنه ألف ٣٦٠ لحنا لبرويز فكان يغنى كل يوم من أيام السنة لحنا . وصارت ألحانه حجة أساتذة الموسيق . ويقول الثعالبى فى الغرر : " وهو صاحب الخسروانيات التى يتداولها المطربون الى اليوم فى مجالس الملوك وغيرهم[4] " .

(أ) فى الشاه : هنا عنوان " قصة باربد المطرب " .

(ب) فى الشاه : سركش، وفى الطبرى الفارسى سرجيوس . وورنر، ج ٨ ص ١٩٣ .

(١) طا، طر : فى عمله . (٢) صل : المغنيين . (٣) طا، طر : بذلك . (٤) أنظر الأغانى ج ٥ ص ٥٥، البلدان ص ١٥٨، نزهة القلوب ص ١٥٧، الغرر ص ٦٩٤ و ٦٩٨، تاريخ كزيده ص ١٢٢، براون (Browne) ج ١ ص ١٥، معجم البلدان : شبديز .

ليس له على باب الملك مصادق ولا مماذق . فتحير فى أمره . وكان للملك بستان يخرج اليـه كل سنة يوم النيروز، ويقبل فيه[1] على الشرب والطرب أسبوعين، وكان لهذا الباغ "باغبان" اسمه مردويه . فقصده بهربذ واختلف اليه حتى حصلت بينهما صداقة . فقال له ذات يوم : إن لى اليـك حاجة يسهل قضاؤها عليـك؛ وهى أن تمكننى، اذا صار الملك الى هذا الباغ، من النظر الى مجلسه حتى أراه فى حال أنسه . فأجابه الى ذلك، وتقبل له بقضاء حاجته . ولمـا قرب وقت خروجه الى ذلك البستان أتاه وأعلمه بذلك . فرتب بهربذ لنفسه دست ثوب أخضر، وعمل عودا أخضر، وحمله وسار الى البستان فلبس تلك الثياب ، وحمل العود، وصعد الى أعلى شجرة سرو كان الملك يجلس تحتهـا ، وتوارى فى أغصانها المتشابكة. فحضر الملك وقعد تحت تلك الشجرة، وحضرت المغانى، وسعت الغلمان الصباح بمصابيح الراح متقدة فى زجاجات الأقداح. فسكت الى أن صارت الشمس كعين الأحول، وتوارت[2] فى حجـاب الطَفَل . وعنـد ذلك رفع صـوته ، وجسّ وتره، وغنى بصوت يسـمى الآن "داذ آفَريد"[3] فتحير جميع الحاضرين، ودهشوا أجمعين. وأمر الملك بتطلب صاحب الصوت فلم يهتدوا الى مكانه . فقالوا : لا بعد فى سعادة الملك ولا غرو أن تغنيه فى مجلس أنسه أغصان السرو(ا) . فطاب وقته ، وأمر الغلام أن يناوله جاما من المدام . فلما وضعه على كفه عاد ورفع صوته من أعلى الشجرة وغناه بصوت آخر يسـمى الآن "بَى كارگُرد" (ب) فشرب برويز على ذلك الصـوت[4] ذلك الجام، وطرب طربا عظيما . وأمر بتتبع صاحب الصوت فطلبوه تحت الأشجار بالشموع والمشاعل فلم يعثروا عليـه . فاستدعى الملك جاما آخر. فلمـا وضعه الساقى على يده رفع صـوته ثالثا ، ونقر مزهره، وغنى بصوت آخر يسمى "سبزدرَ سبز"[5] فلما سمع برويز ذلك الصوت وثب من فرط الطرب، وأخذ رطليّة وشربها وقال : ليس هذا بصوت ملَك ولا جنّى . اطلبوا صاحبه حتى نملأ فاه دررا، وحجره جوهرا، ونجعـله على العوادين أميرا ، ونفيض عليـه خيرا غزيرا . فنزل بهربذ عند ذلك من أعلى الشجرة ، ووضع خدّه على التراب بين يدى برويز، وانتصب قائمـا ودعا له . فسأله الملك عن حاله . فشرحه له من أوّله الى آخره . فنظر الى سركس نظـر عاتب وقال : يا سيئ الأدب ! أنت كالحنظل ، وهذا كالسكر . لمـاذا حسدته وحلت بينه وبين مجلسى؟ وأقبل[6] على بهربذ، وأمره

(ا) هذا كلام المغنى الآخر سركس ، كما فى الشاه . وقد عرف صوت باربد فأراد أن يصرف الملك عن تطلبه .

(ب) فى الشاه : "پيكار گُرد" ومعناه : حرب البطل . وفى الغرر : پرنوفرخار .

(١) طا ، طر : ويقبل على الشرب . (٢) طا ، طر: فتوارت . (٣) فى الغرر : يزدان آفريد .

(٤) صل : الطرب . والتصحيح من طا ، طر ، كو . (٥) فى الغرر : سبز أندرسبز .

(٦) طا ، طر : فأقبل .

فاندفع فى الغناء، واندفع هو فى الشرب وأكثر حتى ثمل . وأمر فحشوا فاه، وجعلوه ملك المطربين، وقدّموه على أقرانه من أهل زمانه .

§ ذكر بناء برويز إيوان المدائن

قال صاحب الكتاب : ونفـذ برويز إلى أقطار ممالكه ، وحشر الصناع والبنائين حتى آجتمع على بابه من بلاد الهند والروم وفارس ثلاثة آلاف نفس . فاختاروا منهم مائة، ومن المـائة ثلاثة : فارسـيا وروميين . فحضروا عند برويز فأفاضوا[1] فى حديث البناء فظهر أحد الروميين على الفارسى . فاسـتدناه الملك وقال : إنى أريد أن تبنى لى إيوانا يدوم حتى يجلس فيه ولدى ومن يليه من أعقابى الى مائتى سـنة، لا يخرب ولا يتأثر بالثلج والمطر وغيرهما . فتقبل بذلك وخرج وشرع فى الأمر ، وأمر فحفروا الأرض مقدار خمسين ذراعا بذراع اليـد . ووضع أساس البناء، وأخذ يبنى بالحجـارة والجص إلى أن صـعد البناء، وبلغ حدّه المعلوم ، ولم يبق غير ضرب طاقه عليه . فحضر عند الملك وسأله أن ينفذ معه جماعة من الموابذة حتى يمسحوه ويذرعوه . فنفذ معه جماعة فأخذوا خيطا من الإبريسم مفتولا، ووقفوا على مقدار سمك البناء من أعلاه إلى أسفله . ثم ختموا على الخيط وسلموه الى خازن الملك. ثم حضر عند الملك وقال : قد فرغت من بناء أركان الإيوان . والصواب أن نصبر أربعين يوما حتى تتراصّ أجزاؤه،ويتهندم بناؤه ثم نعقد عليه الطاق حتى لا يتطرق اليه خلل . فاستطال الملك المدة ثم أمر له بثلاثين ألف درهم حتى يبسط ذلك فى أمله ، ولا يفتر نشاطه فى عمله .

---

§ إيوان المـدائن أو طاق كسرى، كما يسمى الآن ، ينسبه أكثر مؤرخى العـرب والفرس الى كسرى پرويز، وبعضهم ينسبه إلى كسرى أنوشروان[2]، وبعضهم يقول: تعاون على بنائه عدّة ملوك. وكأن اختلاف الرواة كان من وحدة الاسم؛ فكلا الملكين يسمى "خسرو" . والمرجح أن الذى بناه كسرى أنوشروان . فإن كسرى پرويز أقام فى دستكرد لا فى المدائن معظم عهده منذ سـنة ٦٠٣ الى أواخر عمره .

ولا تزال بقية الحادثات من الايوان قائمة شرقى دجلة على ٢٥ ميلا من بغداد. وكانت القبة وجدارا القصر عن يمينها وشمالها قائمة الى عهد قريب. ثم انقضّ الجدار الذى إلى شمال الإيوان . وترى اليوم الإيوان وقد انهدمت عالية جداره الخلفى، وسقط معظم قبته . وإن الناظر اليه لتروعه هذه المعجزة الخالدة: قبة ترتفع زهاء ١٠٠ متر محلقة على إيوان طوله زهاء ٨٠ مترا وعرضه زهاء أربعين. والبناء كله =

---

(١) طا، كو : وأفاضوا (٢) نزهة القلوب : ص ٤٤ ، والغرر : ص ٦٩٨

فلما جن الليل توارى وهرب بحيث لم يعرف به أحد . ولما علم الملك بذهابه عظم عليه ، وأمر بحبس جميع صناع الروم، وأمر جماعة من الصناع بإتمام البناء فعجزوا . وبقى على ذلك الى تمام ثلاث سنين . فظهر الأستاذ الرومى فى السنة الرابعة . فأخبر الملك بذلك وأحضر عنده ، وسأله عن عذره فيما فعل . فقال : إن نفذ الملك معى بعض ثقاته حتى ينهى اليه ما يشاهده عذرنى وغفر لى ذنبى . فنفذ الملك معه بعض أمنائه . وأخذ الخيط الذى قدر به البناء، وعاود تقديره فنقص ثمانية أذرع بذراعهم . فرجع الى حضرة الملك وقد أعلم بذلك فقال : أيها الملك ! لو عقد[1] الطاق عليه قبل اليوم لم يثبت إلا قليلا، ولم يجد عملى فتيلا . فصدق الملك قوله، واستصوب حزمه . واشتغل الرومى بإتمام العمل، وبقى يعمل فيه الى تمام سبع سنين . ولما فرغ منه أنعم عليه بأموال وأراض وأمواه .

قال : وكان من عادة الملك أن يجلس فى هذا الايوان يوم النيروز . وكان فى طاقه حلقة كبيرة من الذهب فيها سلسلة متدلية من الذهب الأحمر مرصعة باللؤلؤ والجوهر . فاذا جلس الملك فى الأيوان علق تاجه من هذه السلسلة فيجلس تحت التاج على تخت العاج (ا) . وكان الى جانب هذا الايوان مجلس أصحاب الدواوين والوزراء والكتاب ، ودونهم الأسواق المشتملة على النفائس والأعلاق ، ودونها موضع فقراء الناس وأوساطهم ، وتحت الكل موضع إقامة الحدود وإجراء السياسات . ومنادى الملك ينادى فى الجميع يعذر وينذر، ويردع ويزجر . وكان الملك فى هذا اليوم يتفقد الفقراء والمحتاجين فيفرق فيهم أموالا كثيرة .

(٢١٧)

= مشيد بالآجر والجص . وقد أعجب به القدماء أيما إعجاب ، ووصفه الشعراء ، ووصفه البحترى فى سينيته المعروفة، وكانت لا تزال نقوشه وتصاويره رائعة ، ووصفه غير البحترى[2]، وأمه من شعراء الفرس الخاقانى فى القرن السادس ، ولكن قصيدته رثاء وبكاء لا تبين عن الإيوان إبانة قصيدة البحترى .

وقد زرته فى بعثة كلية الآداب من الجامعة المصرية يوم الاثنين ٢٢ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ . فشهدت جلاد الزمان والإنسان.وتخيلت الإيوان وقد تهدمت قبته وجداره الخلفى وانهدم القصر الذى كان على جانبيه إلا الجدار الأمامى من الجناح الأيمن — تخيلته نسرا هرما أنحى الزمان عليه فحص ريشه وهاض جناحيه ولكنه بقى متجلدا مستكبرا شامخ الرأس يقلب عينيه فى لوح الجو محاولا أن ينهض الى مجاله القديم فى عنان السماء .

فهو يبدى تجلدا وعليه ... كلكل من كلاكل الدهر مرسى

(ا) انظر، فى وصف تاج كسرى، ابن هشام ج ١ ص ٦١ .

(١) طا، طر، كو : عقدت . (٢) معجم البلدان : الايوان، والبلدان ص ١٥٨ و ٢١٣

قلت : وهذا الايوان هو الذى انشق طاقه بالمعجزة الصادعة الساطعة النبوية فإن الله تعالى لما بعث نبيه صلعم انفصم طاق هذا الايوان على برويز فعظم ذلك عليه ثم أمر بإعادته فأعيد . ولما جلس انشق عليه ثانيا ثم أمر فأعيد . ولما تسنم تخته ولبس تاجه تحته انفصم ثالثا عليه . وكان ذلك منذرا بزوال ملكه ، وخروج الأمر من يده وأيدى ولده من بعده . ولله الحمد على ذلك .

ذكر الخبر عن عظم سلطان برويز ، وانتظام أسبابه ، وما تعقب ذلك من زوال ملكه

قال صاحب الكتاب : ينبغى لمن يطالع أحوال برويز ويقرأ أخباره أن ينفض ذيله من الدنيا الغرارة الغدّارة فلا يسترسل اليها ، فإن سمها يغلب ترياقها ، وآمال بنيها تنتج إخفاقها ، ولا يمدّ اليها يد الحرص والأمل . وقبيح بالعاقل أن ينوى الاقامة فى المراحل . ألا إنها دار بنيت على المجىء والذهاب ، فواحد يدخل من ذا الباب وآخر خارج من ذلك الباب . ولو أمكن صرف صرف الزمان ، ودفع طارق الحدثان بالملك والسلطان ، والتمكين[1] والإمكان ، والأنصار والأعوان لكان خليقا بذلك برويز الذى عم أمره طلاع الأرض ، وأطاعته ملوك الشرق والغرب ، وكان يحمل اليه خراج الهند والروم والترك والصين . فلم تكن تدخل تحت يدى الإحصاء كنوزه ، ويستعصى على العادّين مدّخره ومخزونه . وكان أول كنز كنزه كنز العروس الذى ملأه من خراج الهند والروم والروس . وكان له كنز آخر يسمى الخضراء طوله مقدار غلوة سهم ، وكان مملوءا من اللآلئ ، وكنز آخر يسمى "باذآورد" . وإنما سمى بذلك ، على ما قال غير صاحب الكتاب ، لأنه وجد ذات يوم على بعض السواحل سفائن مملوءة من الذهب والفضة والجوهر والمسك والكافور والعنبر ما معهن أحد ، وقد حملتهن الريح الى ذلك الساحل . فحملت الى خزانة برويز فكنز منها هذا الكنز وسماه " باذ آورد " أى محمول الريح . وكان له كنز آخر يسمى كنز أفراسياب ، وكنز آخر يسمى المحترق ، وكنز آخر يسمى الشاذَوَرد الكبير . وللمغنين صوت معروف باسمه . وكان له اثنا عشر ألف جارية ، ومائتا[2] فيل ، وستة عشر ألف فرس مذكور ، واثنا عشر ألف بغل لأثقاله الى غير ذلك مما لم تر العيون مثله (أ) . فاذ صار هو فى الهالكين ، وحاله ما وصفناه من الروعة والمهابة والبسطة والجلالة ، فلا تطمعن أنت فى البقاء . واذا أردت الذكر الجميل والثناء الحسن فعامل رعيتك بالعدل والإحسان ، وتجنب فيهم طريق الظلم والعصيان .

(أ) انظر ، فى وصف أبهة برويز وثروته ، الطبرى ، والمروج ، وحمزه ، وتاريخ كزيده ، والغرر .

(١) طر : التمكن . (٢) فى الشاه : ألفان ومائتا فيل . طا ، طر : ألف ومائتا .

قال : ولما استتبت أمور برويز، كما ذكر، آثر العتو والطغيان، ولازم الظلم والعدوان فسلط على رعيته علجا ظالما كان على حرس بابه يسمى زاذ فرّخ فبسط يده فى مصادرتهم واستنزاف أموالهم وقلعهم واستئصالهم . وصار لا مقصد له غير جمع الرغائب وكنز الحرائب . وتأذت منه الأجناد ، ووجدت عليه الأمراء والقواد فكبا من سعادته الزناد (أ) . وكان له إصبهبذ يسمى جُرازا (ب) ، وكان قائد قواده وزعيم أجناده، وإليه حفظ ثغور الروم . فلوى رأسه عن طاعته وقطع مكاتبة صاحبه . ومالأه زاذ فرخ المذكور وصار معه يدا واحدة لكنه لم يفارق حضرة برويز، ولم يظهر العداوة . وكان يواصل كتبه الى جراز ويعلمه بجميع أسرار برويز . وكاتب جراز قيصر وحرضه على قصد بلاد إيران § .

وكان، على ما قال غير صاحب الكتاب، قد وقع بين برويز وبين الروم لأنهم قتلوا حماه أبا زوجته، وولّوا الأمر غيره . وكان للمقتول ابن فالتجأ الى برويز فأمدّه وجهز معه جنودا كثيرة الى الروم حتى خرب بلادهم وقتل رجالهم وقرّر الأمر عليه . فلما استقرّ فى مكانه قتل أو مات فولى مكانه هرقل . وهو الذى كتب إليه سيدنا رسول الله صلعم يدعوه الى الاسلام . وكان عالما فعلم بصحة نبوّته صلعم

---

§ أغفلت الشاهنامه الحرب المتمادية بين الفرس والروم أيام پرويز، فلا نجد فيها مما يتصل بهذه الحرب إلا طلب قيصر الصليب وإباء پرويز إرساله، كما تقدّم، وإلا ما يذكر من تعاون بعض قواد پرويز والروم وإيقاع پرويز بينهما .

وهذه من أعظم الحروب التى كانت بين الأمتين إن لم تكن أعظمها، دامت خمسة وعشرين عاما، واستولى فيها الفرس على مصر وكل ولايات الروم فى آسيا، وعسكر جيشهم على ضفاف البسفور، ثم ارتدّ الميزان ودارت على الفرس الدوائر .

وخلاصة وقائع هذه الحرب :

(١) أن الأمبراطور موريس[١] الذى أنجد پرويز وأمدّه حتى استردّ عرشه خلع وقتل سنة ٦٠٢م وخلفه فوكاس[٢] . فصمم پرويز على أن يثأر لحليفه، وأطمعه فى ذلك عصيان القائد نرسى الذى قاد الجيش الرومى لمعاونة پرويز من قبل . بدأ الفرس الحرب واستمرت الوقعات تقضى لهم بالظفر=

(أ) انظر أسباب الثورة على برويز فى الطبرى ج ٢ ص ١٥٨

(ب) فى ورنرج ٨ ص ١٩١ أن جراز هو شهر براز أحد قواد الفرس فى حرب الروم . وفى الطبرى ج ٢ ص ١٤٠ أن شهر براز اسم رتبة القائد، وأن اسمه فرهان .

(١) Maurice. (٢) Phocas.

فدعا عظماء الروم إلى متابعته ومشايعته فأبوا عليـه . فخافهم على نفسه وآثر الملك واتبع هواه وتنكب سبيل هداه لكنه أحسن الجواب وقارب الخطاب . لا جرم ثبت ملكه وملك بنيه . وأما برويز فانه جرى فى سنن الغواية واستولى على أمد الجهالة . فلما أتاه كتاب النبى صلعم مزقه فمزق الله ملكه وملك ولده ، كما يأتى ذكره .

قال صاحب الكتاب : ولما[1] كاتب جُراز قيصر جدّ واجتهد ، وجمع عساكره ، وخرج ليتصل به ويقصد بلاد برويز . فعلم برويز بذلك ، وكان قد أيس من جُراز أن يعود الى طاعته . فاحتال عليه وكتب اليه كتابا يشكره فيه ويحمده ويصف غناءه وعقله ودهاءه ومكره ، ويقول فيه : إنك بعد أن اجتررت قيصر ، واستخرجته من بلاده فالزم مكانك . فإنى واصل على الأثر . واذا وصلتُ بعساكرى نهضتَ من ذلك الجانب فيصير قيصر بيننا فنحيط به وبمن معه فلا يفلت منهم أحد . واستدعى بعض ثقاته وشـدّ ذلك الكتاب على عضـده وقال له : " سر بهـذا الكتاب ، واجعل طريقك الى جراز ، وارم بنفسك بين أصحاب قيصر حتى يأخذوك ويأخذوا الكتاب الذى معك ويحملوك اليه . فيفتح الكتاب ويقرؤه ويسألك عن حالك فتقول : أنا رسول برويز الى جراز" يريد بذلك أن يفرق بينهما ويشتت شملهما . (٢١٨)

= فأخذوا مدن الجزيرة ، واجتازوا الفرات ، واستولوا على حلب وغيرها ، وغزوا أرمينية ، وتوغلوا فى آسيا الصغرى حتى رأى أهل القسطنطينية النيران التى أضرمها الفرس فى قرى الروم .

ثم ثار النـاس على الامبراطور فوكاس ، وقدم هرقل من أفريقيـة فتولى الملك . وعاود برويز الحرب سنة ٦١١ م فاستولى الفرس على أنطاكية وغيرها حتى أخذوا دمشق سنة ٦١٤م . واصطبغت الحرب بصبغة الدين فدعا قوادُ الفرس إلى استئصال النصارى . وعاونهم اليهود فاستولوا على بيت المقدس وأخذوا الصليب الذى صلب عليه المسيح ، بزعم النصارى ، وهو أعز شىء لديهم . ويرى فى كتاب برويز الى هرقل إذ ذاك كيف بلغ به الكبر وازدراء الروم . ثم تقدّم الفرس فأخذوا مصر سنة ٦١٦ بعد تسعة قرون ونصف من خروجهم منها أيام الاسكندر . وسـنة ٦١٧ استولى القائد الفارسى شاهين على خلكدونيا إزاء القسطنطينية . وقابله هرقل فأشار عليه القائد أن يرسل سـفيرا إلى برويز يدعوه إلى السلم فأخفقت السفارة وسجن برويز السفراء ، وأرسـل إلى قائده يوعده بالموت على أنه لم يأته بهرقل مقيدا . =

---

(١) صل : كلما . والتصحيح من طا ، طر .

فخرج الرجل بالكتاب وفعل ما أمره برويز فوقع الكتاب الى قيصر، ولما وقف عليه انخدع وظن أن بين برويز وبين صاحبه مواطأة عليه، وأن جُراز قد احتال عليه ومكر به (أ). فارتحل بخيله ورجله ونكصوا على أعقابهم، وعادوا الى بلادهم راضين من الغنيمة بإيابهم وكتب الى جراز يعيره ويوبخه ويقول: إنك قصدت أن تسلم الى برويز تاجى وتختى. وكنت فى مكاتبتى مماذقا غير مصادق[1]، ومكاشحا غير موافق. فكتب اليه يبرئ نفسه من ذلك، ويستعطفه ويستميله ويسأله الرجوع والعود. فكان من جواب قيصر له[2]: كيف أعود وهذا أثرفاسك؟ وأنّى آمن وقد عرفت ربوضك لافتراسك؟ فلم يرجع قلبه له. وكأنما وافق قول الشاعر قوله حيث قال، وهو النعمان بن المنذر ملك العرب:

قد قيل ذلك إن حقا وإن كذبا   فما اعتـذارك من شيء اذا قيلا

وأما برويز فإنه كتب الى جراز كتابا يقول فيه: أيها الخبيث الغادر! كم أكاتبك وأستدعيك وأنت مصرّ على المخالفة؟ وقد بلغنى أن العساكر الذين جعلناهم تحت رايتك يكاتبون قيصر، ويصادقونه. فإذا وقفت على كتابى هذا فنفذ إلى من تتهمه منهم بذلك. فلما قرأ كتابه نفذ اليه ممن معه من العساكر اثنى عشر ألف فارس. وأمرهم بالتظاهر والتوافق. فساروا الى أن وصلوا الى أردشير خُرّة فنزلوا جميعا فى مكان واحد ينتظرون أمر برويز. فنفذ اليهم برويز ذاد فرّخ، وأمره أن يقول

= ورأت قبائل الأوار فرصة للإغارة على عاصمة الروم فأغاروا. وضاق هرقل ذرعا بهذه الخطوب فعزم على الفرار إلى قرطاجه، ووضع ذخائره فى السفن ولكن الناس نذروا بذلك فثاروا. وانتهى الأمر بأن حلف هرقل فى كنيسة صوفيا ألا يترك القسطنطينية.

وبعد سنين جمع هرقل أمره وأعانه القسيسون وغضب معه الناس حمية لدينهم الذى استباح برويز حرمته بالاستيلاء على بيت المقدس وازدراء المسيح فى كتابه إلى هرقل. وكانت وقائع من سنة ٦٢٢ الى ٦٢٧ م جزر فيها سلطان الفرس شيئا فشيئا، وانتصر هرقل فى مواقع عدّة حتى أحس برويز الخطر فأعدّ ما استطاع من قوة، وحالف الأوار سنة ٦٢٦ وأرسل جيشا لمقابلة هرقل وآخر لمشاركة الأوار فى حصار القسطنطينية، ولكن الروم استطاعوا أن يدفعوا الأوار عن المدنية ويهزموا القائد شاهين الذى لم يستطع عبور البسفور لمعاونة الحلفاء. وقد غضب برويز على قائده وشتمه وأوعده ثم مثل بجثته حين مات. =

(أ) يظهر أن هذه واقعة محرّفة والصحيح أن برويز أرسل يأمر بقتل قائده فأسر الروم الرسول وأطلعوا القائد بأمر برويز فادعى القائد أن الملك أمر بقتله وقتل ٤ رئيسا فثار الجند وصالحوا الروم وأخلوا خلكدنيا ورجعوا. (وبر، ج ٨ ص ١٩١).

(١) صل: صادق. والتصحيح من طا، طر. (٢) طا، طر: له (لا)

لهم : لم فتحتم طريق قيصر حتى جاوز طوره ، ووطئ بلادنا؟ فسار زاذ فرّخ وأدى رسالة برويز . فعمهم الوجوم وارتعدت فرائصهم من الفزع . فلما رأى زاذ فرخ خورهم وضعفهم خلا بهم وأظهر أنه مع جُراز وقال لهم : لا تخافوا برويز، وأغلظوا له فى الجواب ، وأطلقوا ألسنتكم بشتمه وشتمى، واطردونى . فان برويز لا يقدر على مقاومتكم . ولم يبق على بابه أحد يميل إليه . وقد استوحش منه أخو رستم وهو فى عشرة آلاف فارس . وأراه لم يبق من ملكه إلا قدر مصّ نواة . فحرشهم به وأغراهم، ومن جلباب الحشمة عرّاهم . ففعلوا ما أمرهم من السفه والإجهار والإفحاش . فعاد زاذ فرخ وأعلم برويز بتردهم عليه وطغيانهم . فعلم من أين أُتى ، وأن زاذ فرخ هو الذى أغراهم بذلك . فسكت ولم يتجاسر على البطش به لخوفه من رستم أخيه . فقعد زاذ فرخ على باب الملك وقال : قد حان حين خلعه، ونقل الملك عنه الى بعض أولاده . وكان يصحبه شيخ طاعن فى السن فعزم عليه بما فى نفسه واستعجله فيه . فبيناهما فى ذلك الحديث إذ جاء الخبر بقدوم قائد من قواد برويز يسمى تخوار فوافق زاذ فرخ على رأيه، فتم الباب وشرعوا فى خلع برويز وإخراج ولده شيرويّه من الحبس، وتقرير الأمر عليه (١) .

= ثم سار هرقل ميمما دستكرد مُقام الملك پرويز ، على ٧٠ ميلا شمالى المدائن، وهزم الفرس فى موقعة نينوى ١٢ ديسمبر سنة ٦٢٧ ثم قصد المدينة ففر پرويز شطر المدائن وعبر دجلة الى بِه أردشير آخذا معه شيرين وابنين منها وثلاثة أزواج من بناته . وهناك أرسل حرسه الخاص لمعاونة الجيش الفارسى المنهزم . فاجتمعت قوى الفرس وفيها مائتا فيل على النهروان قرب المدائن . وفى يناير سنة٦٢٨ تقدّم هرقل من دستكرد حتى عسكر على ١٢ ميلا من النهر. فلما عرف قوة الفرس آثر الرجوع فأمضى الشتاء قرب بحيرة أُرمية . وما وهن پرويز ولا رجع عن غلوائه فما زال هرقل يدعوه الى السلام فيأبى . ولكن ثار الفرس عليه فخلعوه وقتلوه . وسيأتى بيان ما كان بين الفرس والروم بعد پرويز (١) .

وظاهر أن هذه الحرب هى التى أهمت العرب ونزلت فيها الآية : ﴿ غلبت الروم فى أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ .

(١) يروى أن برويز حينما فر من دستكرد كان مريضا ، وأنه أراد أن يعهد الى ابنه من شيرين — مرداشاه . فائتمر الرؤساء ليملكوا شيرويه أكبر أبناء پرويز . وكان بين المؤتمرين ابنان لجراز (شهر براز) . وقد تم ذلك فى ٢٥ فبراير سنة ٦٢٨ (ودنر، ج ٨ ص ١٩٦) و يقول الطبرى فى يوم آذر من شهر آذر .

(١) سيكس (Sykes) ج ١ : پرويز ، ودنر ، ج ٨ ص ١٩٠ وما بعدها . وانظر الطبرى ، والأخبار الطوال ، والمروج ، والتنبيه والإشراف .

وكان شيرويه محبوسا فى عقر بابل، وحارسه إصبهبذ فى ستة آلاف فارس . فسار تخوار الى محبس شيرويه فالتقى مع الإصبهبذ وجرت بينهما واقعة فقتله تخوار، ودخل الى الحبس فى سلاحه لإخراج شيرويه . فلما رآه على تلك الهيئة كاد تنشق مرارته من الفزع وبكى وقال : ما الذى حل بالملك حتى جئتم فى طلبى؟ وخاف على أبيه من القتل . فقال له تخوار : إن لأبيك خمسة عشر ابنا سواك . فان سكت وخرجت وليناك وإلا قتلناك وولينا بعض إخوتك . فأجابه عند ذلك الى الخروج، وجاء معه الى المدائن .

وأما زاذ فرّخ فانه كان ملازما لباب برويز لا يخلى أحدا يدخل عليه . وأمر حراس الليل أن يرفعوا أصواتهم فى الليل بالدعاء لقُباذ، وهو شيرويه، وينادوا بذلك كما كانوا يرفعون أصواتهم بالدعاء لبرويز . فلما جنّ الليل رفع الحراس أصواتهم وذكروا قباذ، ولم يذكروا برويز . وكانت شيرين عند رأس برويز . فلما سمعت ذلك أيقظت برويز وقالت : أيها الملك ! قد حدث حادث عظيم فإنى أسمع الحراس يدعون لقباذ، ولا يذكرون الملك . فقام برويز وتنفس الصعداء وقال : الآن قد ظهر صدق قول المنجمين ؛ إن قباذ هو شيرويه . وأنا سميته بهذا الاسم ولم أطلع عليه أحدا . والرأى أن أخرج متلفا هاربا الى ملك الصين وأستعين به على هؤلاء البغاة . فاستدعى بسلاحه فلبسه، واستصحب غلاما، وخرج من دار السلطنة، ودخل الى باغ له قريب من قصره يدعى باغ المُنْدُوان، فاختفى فى شجراته . ولما طلع النهار هجم الهمج الرعاع على مستقره، وأخذوا فى نهب خزائنه، ثم طلبوه فلم يجدوه .

قال : واحتاج برويز ضحوة النهار الى الطعام فقطع علاقة من علائق منطقته المرصعة، ودفعها الى غلامه، وأمره فأعطاها "باغبانا" هناك ليشترى له بها طعاما . فلما عرضه فى السوق أُخذ وقيل: من أين سرقت هذه العلاقة المرصعة؟ فحملوه الى زاذ فرخ فأدخله على شيرويه، وكان قد وصل مع تخوار، فأُعلم بما عثر عليه على يده . وهو العلاقة المرصعة . فأوعده بالقتل وهدّده وسأله عن الذى أعطاه تلك العلاقة . فقال : الذى أعطانى هذه هو فى "الباغ". وهو رجل شاكى السلاح، فى قدّ السرو، كأنه أنت بالشمائل والشكل، ومعه ترس من الذهب قد علقه ببعض الأشجار، وجلس تحته، وبيده قوس، وتحت ركبته سيف . فعلم أنه أبوه برويز . فنفذ ثلاثمائة فارس ليقبضوا عليه . فلما قربوا من الباغ منعتهم هيبته من القرب منه فرجعوا . فركب[1] زاذ فرّخ فى جماعة من الفرسان، ودخل الباغ وقرب منه وجرت بينه وبين برويز مقالات . ثم إنه قال له : هب أنك قتلت ألف فارس . فما الذى

(١) طا، طر : وركب .

يكون بعد ذلك ؟ إن جميع أهل هذا الاقليم قد خرجوا عليك، ولا يمكنك أن تنجو منهم . فقال : لقد صدق قول المنجم حين قال: "انا رأيت سماءك من ذهب، وأرضك من حديد فقد قرب انتهاء أمدك" . وعنى بذلك ترسه الذى علق من الشجر فوق رأسه، وسيفه الذى كان تحت ركبته . ثم جاءوا بفيل عظيم فركبه برويز . وأمر شيرويه أن يدخلوا به الى طيسفون ويحبسوه فيها، ويوكلوا به كلينوس مع ألف فارس . فحبسوه على هذه الصفة . وكان ذلك اليوم تمام ثمان وثلاثين سنة من ملكه .

٤٣ — ذكر نوبة قُباذ بن برويز بن هُرمُز بن كسرى . وهو الملقب شيرويه وكانت ولايته سبعة أشهر §

قال صاحب الكتاب : فلبس شيرويه تاج أبيه، وتسنم تخته. وحضره الايرانيون فتكلم عليهم، ودعا له الحاضرون وأثنوا عليه . فقال : أول ما نبدأ به مراسلة برويز ثم نشرع فى أمر السلطنة وترتيب قواعد المملكة . فقال : أريد شيخين طاعنين فى السن عارفين بأحوال الملوك حتى أرسلهما اليه . فأشاروا عليه بخراد بن برزين ورجل آخر من مشايخ الدولة يسمى أسفاذ كشسب (١)

---

§ قباذ بن برويز أو قباذ الثانى، ويسميه الفرس المشئوم[(١)]، ملك من فبراير الى سبتمبر سنة ٦٢٨م وفى فارس نامه أن أمه مريم بنت قيصر . وقد ورث ملكا مضطربا وأمرا مريجا فرضى بقتل أبيه، وقتل إخوته وكانوا، فيما يقال، ثمانية عشر[(٢)] . وفى تاريخ حمزة أنه قتل اثنين وأربعين من إخوته وبنيهم .

وقد بدأ عهده بمسالمة الروم فوضعت الحرب أوزارها، بعد أن استمرت ستة وعشرين عاما، على أن تطلق الأسرى وترد الأرض المفتوحة من الجانبين ، وأن يرد الصليب — وقد احتفل هرقل برده الى بيت المقدس فى سبتمبر سنة ٦٢٩ — ولكن شهر براز لم يطع أمر قباذ بتخلية الأرض الرومية الخ .

وهلك قباذ بالطاعون وعمره اثنتان وعشرون سنة[(٣)] . وهلك فى هذا الطاعون مائتا ألف ، وقيل هلك نصف الناس أو ثلثهم[(٤)] . =

---

(١) فى الطبرى : أسفاذ جُشنَس رئيس الكتبة . وفى الأخبار : يزدان جشنس رئيس كتاب الرسائل . وفى الغرر : أسفاذ كشنسب . وفى الشاه : أشتاد كشسب .

(١) مروج الذهب . (٢) فارس نامه ص ١٠٨ (٣) فارس نامه وتاريخ كزيده .

(٤) مروج الذهب .

فقال لهما : نريد أن تركبا إلى طيسفون ، وتقولا لأبينا : اعلم أن الذى جرى عليك ما كان لى فيه ذنب ، ولا لأحد من الإيرانيين بل كان ذلك جزاءك على سيرك القبيحة ، وأفعالك الذميمة التى منها سعيك فى دم أبيك ، و بسطك يد الظلم فى رعيتك ، و إجحافك بمن تحت أمرك (ا) . ومنها إساءتك إلى جميع أجنادك بتفريقك بينهم و بين أولادهم وإخوتهم ، فجهزت البعض الى الروم والبعض إلى الصين . ومنها إساءتك أيضا إلى الروم ، مع ما عملوا معك من الجميل حين ردوك إلى ملكك وسلطانك ، ولما استقام أمرك أرسلوا اليك يطلبون منك خشبة بالية لاتضر ولا تنفع فلم تسعفهم بها (ب) . ومنها أنه كان لك ستة عشر ابنا فحبستهم أجمعين فشددت وثاقهم وضيقت خناقهم . فكانوا معذبين فى يدك ليلا ونهارا يشكونك سرا وجهارا . وينبغى لك الآن ألا تحيل ما ألم بك إلا على أمر الله فتقلع عما كنت عليه وتتوب اليه . فلعل الله يأخذ بيدك ، ويختم بالخير عمرك .

فلما سمع خرّاذ وأسفاذ هذه الرسالة توجها نحو طَيسفون . فلما قربا من المحبس صادفا كلينوس (حـ) الموكل به قاعدا على بابه مع رجاله فى عددهم وأسلحتهم . فقام وتلقاهما وأكرمهما وأجلسهما ثم سألهما عن مجيئهما . فقال خراذ : إن شيرويَه حملنا رسالة الى برويز ، وجئنا لأدائها اليه . فقال كلينوس : إن شيرويه أمرنى ألا أمكن أحدا يكلم برويز إلا بما لا يخفى علىّ . فقال أسفاذ : الرسالة التى معنا ليست برسالة سر . فاستأذن على برويز ، واسمع ما نخاطبه به " . فقام ودخل على الملك ، وكفر فى خدمته . فقال : أيها الملك ! إن على الباب خرّاذ وأسفاذ . وقد نفذا من تلك الحضرة برسالة اليك ، وهما يستأذنان فى الدخول . فتبسم وقال : لست بملك حتى يحتاج الى استئذانى فى الدخول علىّ . فخرج ورفع دونهما الحجاب فتلثما بمنديلين إما من الحياء أو من الهيبة (ء) ، ودخلا عليه فسجدا له ثم مثلا قائمين بين يديه ، وهو قاعد على بساط كبير منسوج من الذهب ، مرصع باللؤلؤ والجوهر ، وتحته لحاف

= وسيرته فى الشاه ٦٠٤ بيت فيها العنوانات الآتية ، فى الشاه :

(١) فاتحة القصة وفيها رسالة قباذ الى پرويز . (٢) جواب خسرو پرويز الى قباذ .
(٣) ندب باربد خسرو . (٤) طلب الكبراء من شيروى قتل خسرو ، وقتله على يد مهر هرمزد .
(٥) قصة شيرويه وشيرين امرأة خسرو پرويز ، وقتل شيرويه .

(ا) هذه التهمة ، كما فى الشاه ، تتضمن ظلم الرعية والشدة عليهم فى أمر الخراج فهى تطابق جواب برويز الآتى .

(ب) فى الشاه ، بعد هذه التهمة ، اتهام برويز بالطمع فى أموال الفقراء .

(حـ) فى الطبرى : جليوس ، وفى وزنر : كليوس . وهو الذى يذكر فى وقائع الفتح الاسلامى .

(ء) «إما من الحياء أو من الهيبة» من عند المترجم .

من الديباج الأصفر، وفى يده سفرجلة، وهو محزون منكبّ على وسادة عنده . فاستوى لهما ووضع السفرجلة على الوسادة فزلقت وسقطت على اللحاف وتدحرجت حتى نزلت من البساط إلى الأرض . فبادرها أسفاذ، وأخذها من الأرض، ومسح التراب عنها، ووضعها على رأسه ثم حطها بين يديه . فأعرض برويز وتطير من تدحرج السفرجلة، وامتلأ همّا ثم رفع رأسه الى السماء وقال : إلّهى : لارافع لمن وضعت ، ولا جابر لمن كسرت . ثم قال لأسفاذ : إن هذه السفرجلة أخبرتنا بخروج الملك من يدنا وأيدى أولادنا ومصيره الى غيرنا (أ) . ثم قال : فهات ما معك من عند ذلك الصبى الخبيث الدخلة القصير العمر". فاندفعا فى أداء الرسالة . فلما فرغا منها تنفس الصعداء وقال : احفظا الجواب وبلغاه إلى شهريار كم الجديد، وقولا : العاقل من شغله عيبه عن عيوب غيره . أما قولك : سعيتَ فى دم أبيك فاعلم أنه لا يخفى على العالمين أن المفسدين سعوا بيننا وبينه حتى خفنا على أنفسنا فآثرنا ترك الوطن ، وخرجنا من دار الملك الى أن جرى ما جرى . ولما رجعنا دهمنا قتال بهرام وتتابعت محنه الى أن جلونا الى الروم . ثم لما رزقنا الظفر وعدنا الى مستقرنا افتتحنا بالانتقام لأبينا فقطعنا أطراف بندويه وقتلناه، وتتبعنا كُستَهم حتى فرغنا منه — كما ذكر — وهما اللذان لا يخفى غناؤهما، وما ثبت لهما من الحقوق حيث جعلا أرواحهما وقاية لنا، وخاضا غمرات المهالك دوننا . فلم نبال بذلك حتى أهلكناهما طلبا للتشفى والانتقام . وأما قضية حبسك وإخوتك فإنا فعلنا ذلك خوفا من الذى حصلنا فيه اليوم . ولم يكن عليكم من الحبس إلا الاسم . فإنا [1] جعلناكم فى قصور منخرقة مفتّح بعضها الى بعض، وفى بساتين تمكنتم فيها من الطرد والصيد واللعب واللهو . وقد كنت أخبرت بما قد [2] شاهدته منك فى كتاب عالم الهند (ب) فلم أبطش بك مع كونك حقيقا بذلك . والمكتوب مودع عند شيرين . فان أردت الوقوف عليه فأحضره . وأما الذين حبسناهم فإنا لم نتعوّد إراقة الدماء فاقتصرنا لذلك فى المذنبين ومن يستحق القتل على الحبس ، كما جرت [3] به عادة الملوك . وأما ما ذكرت من ظلمنا للرعية فإنا لم نطالبهم قط إلا بواجب الخراج، وما طالبناهم بذلك إلا ليشتدّ [4] ظهر ملكنا بالكنوز التى كنزناها . وهى الآن كلها بين يديك ، ومفاتيحها ملقاة إليك (حـ) . وأما ما ذكرت من أمر الروم وسعيهم فى إعادة الملك إلينا فاعلم أنا لما ظفرنا فى تلك الوقعة لم نعرف ذلك

(أ) فى الطبرى : "إن السفرجلة التى تأويلها الخير سقطت من علو الى سفل" . وفى الغرر : "وكفاك بتدحرج هذه الثمرة، التى معناها الخيرية، الى التراب طيرة" . وتفسير هذا أن السفرجلة باللغة الفارسية "بهى" . وهى كلمة معناها الخير أيضا .

(ب) فى الشاه : ملك الهند . واسمه فى الطبرى فرميشا . وفى الأخبار الطوال : فرميسيا .

(حـ) حذف المترجم هنا جواب برويز عن اتهامه بتجمير الجند وتفريقهم فى الأقطار، كما فى الشاه .

(١) طا، طر : فانما . (٢) طا، طر : بما شاهدته . (٣) طا، طر : جرت بذلك .

(٤) طا، طر : لتشتد .

إلا من فضل الله وقوته . ومع قلة غنائهم فى تلك الوقعة فقد عرف واشتهر ما أفضناه على نياطوس وحبوناه به من الجواهر والذهب والفضة والخيل والأسلحة . وأما امتناعنا من إنفاذ خشبة الصليب (٢٣٠) اليهم فان ذلك لأنا استحيينا من إهداء عود بال من إقليم الى إقليم . فانا لو فعلنا ذلك لصرنا ضحكة بين الخلق، ونسبنا الى الجهل وقلة العقل (أ) .

ثم أمرهما بتبليغ جوابه الى شيرويه ، وودعهما وكلمهما بما فاضت منه العيون، واضطرمت منه القلوب . وقاما من عنده يلطمان وجوههما، وخرجا وقد شقا من الأسف والجزع جيوبهما . وعادا الى شيرويه، وبلغاه جواب أبيه فأخذ يبكي ويتوجع . ولما خلا المجلس من الذين خلعوا أباه نزل من التخت، وأخذ فى البكاء والعويل . ثم أمر صاحب طعامه بأن ينفذ الأطعمة اليه، ولا يمنعه شيئا مما يريد . فكان لا يأكل شيئا مما يحملونه اليه، وإنما كان يأكل مما تصلحه شيرين .

قال : وبلغ الخبر بما جرى عليه الى بهربذ العوّاد الذى سبق ذكره ، وكان بجهرم، فخرج باكيا مهموما مصفر الوجه محترق القلب ، وسار حتى قدم طيسفون . فدخل على برويز ورآه فى محبسه فكاد يهلك من الأسف والجزع . ثم خرج وهو يندبه بالغناء الفهلوى ويقول : لهفى عليك أيها الملك الهمام ! لهفى عليك أيها الشهريار المقدام ! أين روعتك وجلالتك ؟ أين بسطتك ومهابتك ؟ أين ذاك الطاق؟ أين ذاك الرواق ؟ أين تلك المجالس ؟ أين تلك الأوانس؟ أين تلك الرايات والأعلام؟ أين تلك السيوف والأقلام ؟ أين شبديزك الذى كان تحتك يقمص ، ومن فرط المراح فى الميدان يرقص ؟ أين تلك الجواشن المضيئة ؟ أين تلك المغافر الفضية ؟ أين آساد فرسانك ؟ أين رجالك الآخذون بركابك وعنانك ؟ أين تلك الخيول الطوامح ؟ أين تلك الفيول الجوامح ؟ مالك جالسا وحيدا ، وعن ندمائك وجلاسك فريدا ؟ طلبت الولد حتى يشدّ أزرك ، ولم يخطر ببالك أنه يريد أسرك . لقد نقص بدرك حين نشأ هلالك، وتقصّد رمحك لما انبرى خلالك . من رأى أكثر من عساكرك الجرارة، وأطمى من بحارك الزخارة ؟ ما أكثر[1] ما كانوا يوم الطمع ، وما أقل ما وجدوا عند الفزع !

(أ) يرى القارئ أن إجابة برويز ليست على ترتيب رسالة قباذ . ثم يزيد الطبرى على هذه التهم إكثاره من النساء فى قصره والاضرار بهن ، وتزيد الأخبار الطوال أمره بقتل ٣٠ ألفا بدعوى انهزامهم من الروم ، وقتل النعمان بن المنذر . ورسالتا قباذ وبرويز مفصلتان فى الطبرى مسهبتان .

(١) صل : وما أكثر . والتصحيح من طا ، طر .

قال : فبكى الحرس من غنائه هذا . ثم إنه نذر أنه[١] لا يمس بعده مزهرا، ولا يجس وترا (أ) وقطع أربعة من أصابعه، وقبض عليهن، وجعل يفيض عليهـا من مدامعه . ودخل دارا، وأوقد نارا . وأحرق ما كان له من ملاهيـه (ب) . وعاش[٢] بعـد برويز ما عاش حليف الهم والحزن، نديم الويل والحَرَب .

ثم إن زاد فُرّخ وأقرانه وأعوانه الذين كانوا السبب فى خلع برويز خافوا من اتفاق الوالد والولد فاجتمعوا ودخلوا على شيرويَه وقالوا : متى اجتمع سيفان فى غمـد ، وملكان فى مكان واحد؟ وقد خاطبناك مرارا فيما نحن بصدده» . يلوّحون بذلك الى قتـل برويز، والفراغ منه، مع إيعاد منهم له وتهـديد إن لم يفعل . وكان قد صار فى أيديهم أسـيرا . فخافهم على نفسـه وقال : ارجعوا اليوم إلى منازلكم، وآنظروا من يباشر هذا الخطب الجسيم والأمر العظيم بحيث يكفيكم هذا المهم فى السر . فانصرفوا ولم يجدوا أحدا يقدم على ذلك ويتجاسر عليه . وعلموا أن من تعرّض لذلك الأمر الجليل فكأنما يعلق من عنقـه ركنا من جبل . وما زالوا يتطلبون من يقوم بذلك حتى صادفوا رجلا مارا فى الطريق قبيح الصورة حافيا حاسرا جائعا . فعرضوا عليـه ذلك . فقال : أنا لكم بهـذا الأمر ، ولكن بعد أن تشبعونى . فقال له زاد فرخ : افرغ من هـذا وعجل فإنى أعطيك كيسا من ذهب . فدخل إلى محبس برويز . فلما رآه بكى وأحس بالأمر وقال : من أنت وما اسمك ؟ ثكلتك أمك . «فقال : أنا رجل غريب أدعى مِهر هُرمُزد (ح) . وكان[٣] عنـده وصيفة أو وصيف قائم على رأسه فقال له : هات الطست والإبريق، وهات ثوبا جديدا . فلما أتاه الغلام بذلك زمزم وتاب وغطى وجهه بذلك الإزار حتى لا يرى وجه قاتله . فبادره العلج الفاجر بخنجره، وهتك عن قلبه حجـاب صدره فانصرم حبل عمره . وتلك عادة الزمان يتقلب بأهله حتى يصير العزيز ذليلا، والعظيم ضئيلا. والعاقل من الملوك يعتبر ببرويز، ويحذر فى سلطانه القوى العزيز. فلا يتنكب طريق العدل والسداد، ولا يقدم إلا على ما فيه صلاح البلاد والعباد :

(أ) فى الشاه : أقسم بيزدان وباسمك أيها الملك ! وبالنوروز والمهرجان والربيع السعيد الخ .

(ب) يعنى آلات اللهو ، كما فى الشاه : همه آلت خويش يكسر بسوخت .

(ح) هو فى الطبرى : مهر هرمز بن مردانشاه والى نيمروز الذى قطع برويز يده (طبرى، ج ٢ ص ١٦٥) .

(١) طر : ألا يمس . (٢) طا، طر : فعاش . (٣) طا، طر : كانت .

هى الدنيـا تقول بمـلء فيها : حذار حذار من بطشى وفتكى
ولا يغـرركم حسـن ابتسامى فقولى مضحك والفعل مبكى (١)
بكسرى برِوز اعتـبروا فإنى أخذت الملك منه بسيف هلك
وكان قـد استطال على البرايا ونظم جمعهـم فى سـلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما لقـال لهـا عتوا : أف منـك!
ولو زهر النجوم أتت رضـاه تأبى أن يقول : رضيت عنك
فامسى بعـد ما ملك الـبرايا أسـير الموت فى ضيق وضنك

قال : ولمـا شاع خبر قتله بادر الطغاة الملاعين ، والبغاة الشياطين الى محابس أولاده ، وكانوا خمسة عشر نفسا ذكورا ، فقتلوهم جميعا ، ولم يكن شـيرويَه لدفعهم مستطيعا . لأنه كان فى أيديهم اسـيرا ولأوامرهم مطيعا . فبكى كثيرا ثم نفـذ جماعة من الحرس الى حجر نساء أبيـه ليحفظوا أستارهن .

و بعد ثلاث وخمسين يوما من مقتله أرسل الى شيرين، وأوعدها وهدّدها، وخاطبها بالساحرة الفاجرة، واستدعاها الى حضرته . فلمـا أتاها الرسول خلت ، واستحضرت كاتبا ، وأوصت اليـه وأطلعته على جميع أحوالهـا وأسرارها . ثم ردّت جواب شيرويَه ، وقالت للرسول : قل لشيرويه تسربل الحياء، ولا تخاطبنى بمثل هذا المقال، وحاشا أن أنسب الى شيء ممـا ذكرت من قبيح الفعال . إن أباك لمـا توسم اليمن فى ناصيتى ، وتفـرّس البركة فى عقبى اجتبانى ، ومن بين نسـائه اصطفانى . فخف الله واحذر عقابه، ولا تنسبنى الى القبيح . فلما أتاه هذا الجواب اغتاظ، وردّ (٢٢١) اليها الرسول وقال : لابد لك من الحضور . فعظم ذلك على شيرين ، وردّت اليـه فى الجواب أنى لا أحضر عنـدك إلا اذا كان بين يديك خمسون من مشائخ الدولة وأعيان الحضرة . فأحضرهم وأرسل اليها فاستحضرها (٢) . فلبست شيرين ثياب الحـداد ، وظاهرت بين البياض والسواد (١) ،

(١) فى الشاه : مول، وورنر، تبريز : لبست السواد والزرقة :
چوشيرين شنيد آن، كبود وسياه بپوشيـد وآمد بنزديك شاه

(١) طا، طر : فوجهى مضحك . (٢) طا، طر : واستحضرها .

واستصحبت قطعة سم . وحضرت فى مجلس "شاذكان" عند شيرويه، وقعدت من وراء الستار . فأرسل اليها شيرويه وقال : قد مضى اليوم شهران من عزاء الملك . وإنى أريد أن أتزوج بك ثم أعمل معك من الجميل فوق ما عمل برويز، وأعتنى بأمرك، وأحسن اليك . فقالت : أنصفنى فى ثلاثة أشياء، ثم هأنا بين يديك فاحكم فىّ بما تشاء . فرضى شيرويه بما قالت، وسألها عن الأشياء الثلاثة . فقالت من وراء الحجاب : أيها الملك ! إنك رميتنى بالفجور والسحر، وزعمت أنى بعيدة من الطهارة والعفة . فقال شيرويه : قد صدر منى ذلك عن رأس الحدة والفترة. والشباب لا يؤاخذون بمثل ذلك . فلما سمعت ذلك قالت للحاضرين : إنى كنت ست إيران ثلاثين سنة . فان كنتم سمعتم فى هذه المدة المديدة أنى قرفت يوما بريبة أو رأيتموها علىّ فاذكروا ذلك . فرفعوا أصواتهم ببراءتها وتزكيتها، وشهدوا لها بطهارة الذيل ونقاء الجيب . فقالت : اعلموا أن النساء يحمدن بثلاثة أشياء : أحدها يمن الأثر مع الحياء وموافقة الزوج، والثانى النجابة فى الولد، والثالث وفور الجمال والحسن. وقد عرف واشتهر حال الملك لما قدم من بلاد الروم . وقد رأيتم ما صار اليه من الجلالة والبهاء بيمن نقيبتى فى آخر الأمر . وأما النجابة فقد رزقت منه أربعة من البنين لم يولد أمثالهم من جمشيذ ولا أفريذون . وأما الجمال فهو معلوم، وإن لم تصدّقونى فانظروا إلىّ . وكشفت الحجاب، وحطّت النقاب . فدهشوا لما رأوا من وجه كالنهار الشامس، وشعر كالليل الدامس . فلما رآها شيرويه كادت تزهق روحه شغفا بها، وقال[1] : اذا كنت لى فلا أريد من الدنيا غيرك . وقد اجتزيت من ملك إيران بك . فقالت : أريد من الملك إسعافى بالحاجات الثلاث . فضمن لها إنجاحها، وسألها عنها . فقالت : إحداها أن ترد إلىّ جميع ما كان لى من صامت وناطق . والثانية أن تكتب خطك فى هذا المكتوب بإمضاء جميع ما فيه . فأسعفها بالحاجتين . فعادت الى دارها، وأعتقت مماليكها، وأعطتهم بعض تلك الأموال، وفرقت الباقى على الفقراء والمساكين والمحتاجين صدقة عن برويز . قال : وسألها عن الحاجة الثالثة . فقالت : أن تمكننى من الدخول الى ناووس أبيك حتى أجدّد به العهد . فأمر ففتحوا باب الناووس . فدخلته وهى تبكى وتندب فوضعت خدّها على خدّ برويز ثم تناولت السم الذى كان معها فماتت من ساعتها . فانتهى[2] الخبر بذلك الى شيرويه فعظم عليه، وأخذ فى البكاء والعويل حتى مرض من فرط الجزع . ثم إنهم سموه بعد سبعة أشهر ومات . وانتقل الأمر إلى ولده من بعده .

---

(١) طا، طر : فقال .

(٢) طا، طر : وانتهى .

و إذا كان ذلك[(١)] فقد ملكت . فان أفريذون كان ابن آبتين ، ولم يرث منه التاج والتخت ، و إنما ملك بالمال والعسكر(١) . فطاب قلبه بهذا الكلام ، وأمر بوضع ديوان الجيش ، واستحضر الأجناد ، وبذّر فى الإعطاء ، وأفاض الخلع على من لم يستحقها من الأجناد فأفرغ خزائن أردشير فى أسبوعين حتى لم يبق فيها ولا ريشة نشابة . ثم أقبل على الأكل والشرب والإسراف فيهما (٣٣٢) وفى الإنفاق والإتلاف بسببهما . فتغيرت عليه القلوب . فقال بعض أمراء اصطخر لقوّاد إيران : إن أمر هذا الرجل قد ثقل على قلوبنا ، فانه يستخف بالأكابر ولا يلتفت الى الأماثل ، فلا تسكتوا عنه . فقالوا : إنه لما تبذلت السلطنة لم يبق فى قلب أحد غيرة حتى يقتل هذا الدعىّ الخبيث الأصل . فقال جُراز : إن وافقتمونى فى الأمر ولا تمدّوا إلىّ يد الشر ، ولا تجنبوا طريق الحرية نكسته اليوم من التخت . فقالوا : نحن كلنا معك . وحاشا أن نمسك بسوء ، ونقصدك بمكروه .

= (١) كراز، وهو شهر بَراز . (٢) بوران دُخت بنت پرويز . (٣) آزرمى دخت بنت پرويز . (٤) فرُّخزاد[(٢)] بن پرويز . (٥) يزدجرد بن شهريار بن پرويز .

والأسماء الأخرى التى تختلف عليها الكتب كثيرا هى :

(١) كسرى بن قباذ أو ابن مهرجُشنَس . (٢) فيروز جشنس بنده . (٣) خرداذ خسرو ابن پرويز (ويظهر أنه فرخزاذ) . (٤) كسرى خُرّهان بن أرسلان . وقد انفرد بذكره ابن البلخى . وغريبٌ التسمية بهذا الاسم التركى "أرسلان" .

فأما فرائين فيسمى فى الشاه : فرائين كُراز . فهو القائد الذى دبر قتل أردشير بيد فيروز ، كما تقدّم . وهو أحد القوّاد العظام الذين قادوا جيش الفرس فى الحرب المتمادية بينهم و بين الروم . ويسمى فى الطبرى والغرر : شهر براز . و"براز" هى "كراز" التى يذكرها الفردوسى اختصارا . وقد تقدّم أن "شهر براز" اسم الرتبة . واسم القائد فرُّخان ماه اسفندار . والظاهر أن فرائين تحريف فرخان فى الفهلوية . ففرائين كراز هو اذا فرخان شهر براز . و بذلك يفهم اختلاف الكتب فى تسمية الرجل الذى ولى الملك بعد أردشير بن قباذ . ويذكر فى الأخبار باسم شهريار . وقد أغفله حمزة ، وذكر بوران دخت بعد أردشير . =

---

(١) فى الشاه أن ابنه الأكبر حذره عاقبة الأمر لأنه ليس من عنصر الملك وأن ابنه الأصغر قال : إن الملك بالمال والجند و إن أفريدون لم يكن ابن ملك الخ . وفى الغرر نحو هذا (ص ٧٣٤) .

(١) طا ، طر : لك ذاك . (٢) الغرر الطبرى .

فأخرج نشابة عليها نصل من الفولاذ، وقد حضروا مع الملك فى الميدان ، فأخذ ينزع فى قوسه تارة من اليمين وتارة من الشمال . فسدّد فى أثناء ذلك يده نحو الملك فوضعها فى وسط ظهره حتى خرج نصلها مع روحه من صدره . فثار الأجناد فى الميدان ، وسلوا الأسياف يضرب بعضهم بعضا إلى أن تفرّقوا .

٤٦ — ثم ملّكوا بوران بنت كسرى أبرويز . وكانت ولايتها ستة أشهر

قال : فطلبوا من يملكونه[1] فلم يجدوا أحدا . وكانت لبرويز بنت تسمى بوران فملكوها . ولما لبست التاج وتسنمت التخت وعدت الحاضرين بأنها تسير فيهم بأحسن سيرة وأعدل طريقة .

= ومدّته فى الشاه ٥٠ يوما . وفى الطبرى والإشراف ٤٠ يوما . وفى الآثار الباقية شهر . والمرجح أنه حكم ٤٠ يوما (٢٧ أبريل — ٩ يونيه سنة ٦٣٠ م) .

ثم قصته فى الشاه ٦٨ بيتا فيها عنوانان :

(١) كُراز يغتصب السرير . (٢) قتل فرائين بيد شهران كُراز .

وينبغى التنبيه هنا الى أمرين : الأوّل أن جراز القاتل يذكر فى الشاه باسم هُرمُزد شهران كُراز، وأن جراز الذى يذكر منذ أيام پرويز هو شهر براز القائد العظيم الذى تولى الملك باسم فرائين . والثانى أن الأمير الذى سماه المترجم "بعض أمراء اصطخر" هو جراز نفسه الذى انتدب لقتل فرائين، يفهم هذا من الشاه .

وفى الطبرى أن الاصطخرى اسمه فسفروخ، وأنه ائتمر هو وأخواه، وكانوا فى حرس الملك، فلما مر شهر براز بين سماطين من الجند، كدأ به اذا ركب، طعنه فسفروخ ثم طعنه أخواه فسقط عن دابته ميتا فشدّوا فى رجله حبلا وجروه إقبالا وإدبارا . وفى فارس نامه : أن بوران بنت كسرى حرضت عليه بسفّرخ فقتله .

وأما بوران[2] دُخت ففى الآثار أنها لقبت "السعيدة" وأنها بنت مريم بنت قيصر . وفى الغرر: أنها تشبهت بخُمانى بنت بهمن، وحكمت الناس من وراء حجاب، وأمرت بقتل خسره فيروز قاتل أردشير[3]. وفى الطبرى: أنها صيرت مرتبة "شهر براز" لفسفرخ (قاتل شهر براز) وقلدته وزارتها .

وكان ملكها ثمانية عشر شهرا أو ستة عشر (من صيف سنة ٦٣٠ — خريف ٦٣١ م) .

وقصتها فى الشاه ٢٣ بيتا .

(١) طا، طر : من يملكونه من أولاد الملوك . (٢) آثار ص ١٢٢ (٣) الغرر: ص ٧٣٥

فنثروا عليها الجواهر، وأظهروا البشائر . ثم إنها تتبعت فيروز قاتل أردشير، وأرصدت له حتى قبضت عليه . فأمرت به فكتف وربط بمهر ريض، وأمرت غلمانها فعدّوا المهر فى الميدان حتى تطايرت أشلاؤه ، وتفرّقت أجزاؤه . وبقيت ترعى الرعية وتحسن السيرة . فلما انقضت من ولايتها ستة أشهر مرضت وماتت .

وقال غير صاحب الكتاب أنها ردّت خشبة الصليب على ملك الروم (ا) .

وكان ملكها سنة وأربعة أشهر .

٤٧ — ثم ملكوا آزَرم دُخت بنت كسرى أبرويز أيضا . وكانت ولايتها أربعة أشهر(ب)

قال صاحب الكتاب : فملكت بعد أختها . ولما لبست التاج وجلست على التخت قالت : إنا نضع أمورنا على قواعد العدل، ونبنى أحوالنا على قوانين السداد . وكل من أحبنا أحسنا اليه، وكل من لوى رأسه عن طاعتنا قتلناه كائنا من كان . فبقيت تنهى وتأمر إلى تمام أربعة أشهر من ولايتها فقضت نحبها ولحقت صحبها .

وقال غير صاحب الكتاب : إنه ملك بعد بوران رجل من بنى عم برويز الأبعدين، وكان ملكه أقل من شهر، ثم ملكت آزرم دخت ، وكانت من أجمل النساء . وكان عظيم فارس يومئذ رجل يسمى فلانا، وكان إصبهبذ خراسان ، فأرسل اليها يسألها أن تزوّجه نفسها . فأجابت وقالت : إن التزوّج بالملكة غير جائز . وقد علمت أن غرضك قضاء شهوتك . فصر إلىّ فى ليلة كذا وكذا . ففعل وركب اليها فى تلك الليلة . وكانت الملكة تقدّمت إلى صاحب حرسها أن يترصده فى الليلة التى تواعدا الالتقاء فيها فيقتله ففعل . ولما قتله جر برجله وطرح فى رحبة دار المملكة . فلما أصبحوا وجدوه قتيلا فأمرت فغيبت جثته . وعلم أنه لم يقتل إلا لعظيمة . وكان لهذا الاصبهبذ ابن يسمى رُستَم، وهو الذى وجهه يزدجرد بن شهريار لقتال المسلمين، وكان خليفة أبيه بخراسان . فلما سمع بما جرى على أبيه أقبل فى جند عظيم حتى نزل على المدائن فحاصرها وأخذها . وقبض على آزرم دخت وسمل عينيها ثم قتلها .

(ا) فى الطبرى : أنها ردّت خشبة الصليب على ملك الروم مع جاثليق اسمه إيشوعهب .

(ب) فى الطبرى : ستة أشهر . وكان حكمها أواخر سنة ٦٣١ وأوائل سنة ٦٣٢م . وقصتها فى الشاه ١٤ بيتا .

٤٨ — ثم ملك فرّخ زاد . وكانت ولايته شهرا

وهو من ولد برويز . وكان عند مقتله هرب إلى حصن بناحية نصيبين يقال له حصن الحجارة (أ) فجاءوا به وتوجوه . فملك[1] بعد آرزم دُخت، واعتصب بتاج الملك . وبقى شهرا من الزمان ثم سقى سما فعاش سبعة أيام ومات (ب) .

وقال غير صاحب الكتاب أنهم ملكوا بعد آرزم دخت رجلا ولد من بعض بنات كسرى أنوشروان (حـ) وكان عظيم الرأس فلما توجوه قال : ما أضيق هذا التاج ! فتطيروا من كلامه وقتلوه فى الحال . ثم جاؤا بفرخ زاد فملكوه .

٤٩ — ذكر نوبة يزدِجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز . وهو آخر ملوك العجم . وكانت مدّة ولايته عشرين سنة §

قال غير صاحب الكتاب : كان لبرويز ابن هو أكبر أولاده يسمى شهريار . وكانت شيرين قد تبنته فكانت تشفق عليه وتحبه . قال : وكان المنجمون قد قالوا لكسرى برويز : سيلد بعض بنيك ولدا يكون خراب هذا البيت وانقضاء دولتهم على يديه . وعلامته نقص يكون فى بعض جسده . فحصر أولاده عن النساء . فغلبت شهوة الجماع شهريار حتى سلبته النوم والقرار . فبعث الى شيرين يشكو اليها ما به من الشبق، ويسألها أن تدخل عليه امرأة كائنة من كانت ، وإن لم تفعل قتل

§ يزدجرد بن شهريار بن برويز كان ممن نجا من سيف عمه شيرويه حين قتل إخوته وبنيهم؛ هرب به ظئره الى بعض الأطراف[2] . وكان تمليكه بعد ظفر أنصاره على أنصار عمته آزميدخت أو أنصار فرخزاد[3] . وكانت سنه إذ ذاك خمس عشرة أو ست عشرة سنة[4] . وقد عاش بعد تمليكه عشرين سنة أمضى منها زهاء سبع سنين بالمدائن ثم خرج منها حين قاربها العرب وظل يطوف فى أرجاء إيران حتى قتل فى خراسان حوالى سنة ثلاثين من الهجرة فى خلافة عثمان[5] . =

(أ) قوله "وهو من ولد برويز — الحجارة" ليس فى الشاه بل فى الطبرى .

(ب) فى الشاه : أن عبدا من عبيده أحب جارية فى القصر فأرسل اليها فشكت إلى فرخ زاد فسجنه . ثم أطلقه بشفاعة بعض الناس وقرّبه فوضع له السم فى الخمر .

(حـ) اسمه فى الطبرى : فيروز بن مهران جُشنس .

(١) طا، طر : قال : فملك . (٢) حمزة، ص ٤٣ (٣) الأخبار، ص ١١٩، وفارس نامه ١١٢

(٤) الأخبار، ص ١١٩، وفارس نامه ص ١١١، والآثار، ص ١٢٢ (٥) الغرر، والأشراف، والأخبار، وحمزة .

نفسه . فأدخلت جارية كانت استعملتها فى الحجامة . فوثب عليها شهريار فحملت . فحجبتها شيرين حتى ولدت يزدجرد فكتمت أمره خمس سنين . ثم إنها قالت ذات يوم لبرويز : أيسرك أن ترى لبعض بنيك ولدا ؟ فقال نعم . فأمرت بإحضار يزدجرد عنده فى الملابس الرائقة . فلما رآه أحبه بحيث لا يكاد يصبر عنه . فبينا هو يلعب بين يديه إذ ذكر قول المنجمين . فعرّاه ونظر الى ما أقبل منه وما أدبر فرأى فى أحد وركيه نقصا . فاستشاط وحمله ليضرب به الأرض فتعلقت به شيرين وقالت : إن كان قد قدّر شىء فلا مردّ له . فقال : أخرجيه عنى حتى لا أنظر اليه . فأخرج مع ظئورته الى بعض النواحى فبقى فيها . وجرى ما جرى من تقلب الأحوال، وتعاقب الأدوار الى أن ملك فرُّخ زاذ . فوجده أهل اصطخر عندهم فى بيت نار يدعى نار أردشير . فتوجوه هنالك وقدموا به المدائن فسمُّوا فرخ زاذ، وأقعدوه مكانه وهو حدث . فكان وزراؤه هم الذين يدبرون أمره .

قال صاحب الكتاب : ولما تسنم يزدجرد سرير الملك، ولبس تاج السلطنة، وحضرته الأمراء والأكابر والأعيان والأماثل قال : أنا الولد الطاهر الذى ورث هذا الملك كابرا عن كابر . وسأجذب بأعضاد الأصاغر، وأزيد فى مراتب الأكابر، وأتجنب فيكم العتو والطغيان، ولا أوثر إلا العدل والإحسان . فانه لا يبقى للملوك سوى ذكر جميل هو للانسان عمر ثان . وما أحسن حلية العدل والدين على نحور السلاطين ! ورأيى فيكم أن أفرغ وسعى فى قلع شأفة الشر، وأقصر جهدى على إحياء معالم الحق .

قال : فبقى ينهى ويأمر، ويبرم وينقض، ويورد ويصدر حتى أتت على ملكه ستة عشر عاما فآذن بناء الدولة الساسانية بالانقضاض، وتسلطت من المسلمين على قواعد ملكهم أيدى الانتقاض

= وكان ملكه من سنة ٦٣٢ أو ٦٣٤ الى سنة ٦٥٢ م . واتخذ ملكه مبدأ التاريخ اليزدجردى الذى يبتدئ ١٦ يونيه سنة ٦٣٢م . ولا يزال مؤرّخا به بين البارسيين . ولا يزالون يعيّدون بجلوسه على العرش كل سنة . وقصة يزدجرد فى الشاه ٨٨٦ بيت . وفيها العناوين الآتية :

(١) ملك يزدكرد . (٢) إغارة سعد بن أبى وقاص على إيران وإرسال يزدكرد رستم لحربه . (٣) رسالة رستم الى سعد . (٤) جواب سعد . (٥) مبارزة رستم وسعد وقتل رستم . (٦) مشاورة يزدكرد الايرانيين، وذهابه الى خرسان . (٧) كتاب يزدكرد الى ماهوى السورى ومرازبة خراسان . (٨) ذهاب يزدكرد الى طوس، واستقبال ماهوى السورى إياه . (٩) تحريض ماهوى السورى بيزن على حرب يزدكرد، والتجاء الملك الى طاحون . (١٠) قتل يزدكرد بيد خسرو الطحان . (١١) جلوس ماهوى السورى على العرش . (١٢) سوق بيزن الجيش لحرب ماهوى السورى . (١٣) قتال بيزن وماهوى، وقتل ماهوى .

وحينئذ امتـلا صاع ملوك العجم واستعلت[(١)] الأنوار الإسلامية فزحزحت تلك الظـلَم . فنفـذ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لقتالهم . فلما بلغ ذلك يزدجرد جمع عساكر كثيرة خذلهم التوفيق، بجعلهم تحت راية رستم الذى سبق ذكره، وكان بهلوانا شجاعا وفارسا مقداما ، بجهزه بهم الى القادسية حين وصلت اليها عساكر الإسلام . فالتقوا هنالك وجرت بينهم وقعة عظيمة . وكانت الحرب بينهم[(٢)] أولا سجالا فقتل من الجانبين خلق كثير . ثم ظهرت الغلبة الاسلامية . وكان رستم منجما فرأى طالع الفرس منحوسا ، وعلم أن نعيمهم عاد بوسا . فكتب كتابا الى أخيه مشحونا بالأسف والحزن، يذكر فيه أنى نظرت فى أسرار الكواكب، واستشففت أستار العواقب فرأيت بيت ملك الساسانية خاليا ، ورسم سلطانهم عافيا ، واتفقت الشمس والقمر والزهرة فى طالع العرب . فلن يروا سوى الخير والعلاء . وأما من جانبنا فقـد صار الميزان خاليا فلسنا نرى غير العناء والشقاء . ولقد أمعنت النظر، وبين أيدينا أمر عظيم وخطب جسيم . والأولى أن أوثر السكوت وأفوض الأمر الى مالك الملك والملكوت (ا) . وقال فى كتابه : وإن الرسل تختلف بيننا وبينهم . وهم يلتمسون أن نقاسمهم[(٣)] الأرض فيكون لهم ما وراء الفرات، ويكون لنا ما دونه على أن نفتح لهم الطريق الى السوق حتى يدخلوا إليها ويتسوقوا §

§ فى الشاه : نقتسم مع الملك الأرض من القادسية الى شاطئ النهر، ويفتح لنا وراء النهر طريق الى مدينة ذات سوق لنبيع ونشترى. ولا نبغى وراء ذلك . ونؤدى الجزية ولا نطمع فى تاج العظماء، ونطيع الملك، ونبذل له الرهائن إن شاء .

وقد ترجم مول وورنر الجملة الأولى : "نترك للملك الأرض من القادسية الى شاطئ النهر" . وهذا لا يستقيم فى القصـة ولا يلائم طلبهم أن تفتح لهم وراء النهر طريق السوق . وقـد أصاب المترجم العربى وأخطأ مول وورنر . وظاهر أنهما أخطأا فى ترجمة هذا البيت :

كه أز قادسى تالب رودبار زمينرا ببخشيم باشهريار

ترجما "ببخشيم" نعطى . وهى هنا بمعنى نقسم . وبذلك اضطرا الى حذف ترجمة كلمة "وزآنسو" من البيت التالى :

وزآنسو يكى بركشايند راه بشهرى بجاهست بازاركاه

لأنها تدل على طلب العرب طريقا وراء الفرات .

(ا) فى الشاه : وستمضى أربعمائة سنة دون أن يملك واحد من هذه الذرية .

(١) طر، كو : اشتعلت . (٢) طا ، طر، كو . أولا بينهم . (٣) صل : نقاسم بهم .

هذا قولهم، و ياليته وافقه فعلهم . ثم إنه يجرى كل يوم وقعة يهلك فيها خلق من الايرانيين . والذين معى منهم قوم مغترون بشجاعتهم ورجوليتهم ووفورة عددهم وعُددهم ، ومستصغرون أمر العدو القادر ، ولا يدرون سر الفلك الدائر . فاذا وقفت على كتابى هـذا فاجمع أموالك وخزائنك ، وخيلك ورجلك، وانهض الى آذَر بيجان، واعتصم بتلك البلاد . واشرح لأمى حالى وسلها الدعاء . فانى وأصحابى فى عناء وتعب وهمّ وأسف . وأنا أعلم أنى لا أسلم بالآخرة من هذه الوقعة . ثم عليك بحفظ المَلك فانه لم يبق من هذه الشجرة أحد سواه . فالله[1] يحفظه ويتولاه . ثم أطال ذيل الكتاب فى هذا المعنى (أ) . ولمـا ختمه نفذه الى أخيه . وكتب كتابا الى سـعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، على الحرير الأبيض . وشحنه بالوعد والوعيد، وجعل[2] عنوانه من رُستَم بن هُرمُزد الى سعد بن أبى وقاص . وافتتح كتابه بحمـد الله والثناء عليه ثم الدعاء[3] ليزدجرد صاحب التاج والتخت . ثم قال : أعلمنى بمـا أنت عليه من دينك ، ورسمك وآيينـك . وأخبرنى مَن سلطانك وبمن اعتضادك واعتصامك . فقد جئت فى عسا كر حفاة عراة بلا ثقل ولا رحل ولا فيل ولا تخت . ثم بلغ بكم الأمر من شربكم ألبان الإبل وأ كلكم أضباب[4] القيعان إلى تمنى أسرّة الملوك العجم أرباب التخوت والتيجان . فأقبل الى خدمة الملك حتى ترى من اذا تبسم وهب أثمـان جميع رءوس العرب ، ولا ينقص ذلك كنزه شيئا . وهو الذى على بابه من السباع الضوارى المعلمة والجوارح اثنا عشر ألفا بأطواق الذهب وأقراطه، وتزيد نفقاتهم لسنتهم الواحدة على جميع حاصل بلاد العرب .

وأخذ فى كتابه يرفع أمر العجم بالملابس والمفارش، و يضع قـدر العرب بالمطاعم والمكاسب، ولا يعرف أن المجد وراء ذلك . ثم إنه التمس فى كتابه أن يرسل اليه رسولا يطلعه على مقصوده من قتال العجم حتى ينفذه الى حضرة يزدجرد، و يعرض عليه ما تحمله[5] .

نفّذ الكتاب وبعثه الى سعد رضى الله عنـه على يدى فيروز بن سابور أحد أمرائه ، فى جماعة من أماثل الفرس، فى الملابس الخسروانية، والمناطق المرصعة، والأسلحة المحلاة بالذهب. فاستقبلهم سعد وأكرمهم ثم أنزلهم فى منزله ،وطرح رداءه تحت فيروز،واعتذر اليه عن رثاثة الملبوس والمبسوط ، وقال : إنا قوم لا نعوّل إلا على الصفاح والرماح، ولا نقول بالديباج والحرير والمسك والعبير، ولا نفتخر بالمطعم والمشرب . ثم سمع رسالته وقرأ كتابه . فكتب الجواب، وافتتح الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم

(أ) أطال الفردوسى ، على لسان رستم ، بيان الفوضى والشر والشقاء الذى يصيب الناس بعد الساسانيين .

(١) طر، كو : والله . (٢) طا، طر : بجعل (٣) طا، طر : ثم بالدعاء .

(٤) طا، طر : لضباب . (٥) طا : يحمله .

والصلاة على محمد خاتم الرسل والهادى الى أقوم السبل، الذى هو خيرة الخلق، والصادع بالصدق والحق، النبي الهاشمىّ المبعوث الى الجنى والآدمى . وشحنه بالوعد والوعيد، ومواعظ القرآن المجيد، وسائر ما يرجع بالتعظيم لله والتمجيد ، والتقديس والتوحيد . ووصف الجنة ونعيمها ، وذكر بعض ما فيها من الحور العين، والماء المعين، وشجرة طوبى، وجنات الفردوس الأعلى . ثم وصف السعير والعذاب والزمهير . ثم قال : وإن تبع ملككم هذا النبي الطاهر، وزين بقبول رسالته الباطن والظاهر، فملك الدارين له مسلّم، وهو على التاج والتخت مقرر محكّم. وكان رسول لله صلى الله عليه وسلم له شافعا مشفعا . ثم قال : ما باله يستعظم هكذا أمر تاجه وتخته، ويُعجب بسواره وطوقه، ويزهى بمجالسه وملابسه ؟ ألا يعلم أن شعرة واحدة من حورية خير من جميع ذلك ؟ ولمّ يربط قلبه بدنيا لا تساوى عند العاقل شربة ماء ؟ فان أنتم تبعتم الأمر وأسلمتم فالجنة مأواكم، وإن أبيتم وحاربتم فالجحيم مثواكم . فأعلمونى بما يسفر عنه آراؤكم . والسلام .

(٢٢٤)

ختم الكتاب ونفذه مع شُعبة — هكذا قال (أ) . فأقبل متقلدا سيفه حتى قرب من مخيم رستم فأعلم بوصول رسول سعد(١) . فاحتفل وجلس فى سرادق من الديباج ، وحضر عنده ستون نفسا من أكابر إيران فى الأطواق والأقراط، والمداسات الذهبية . فأذن لشعبة بالدخول فدخل حاملا سيفه، وعليه ثوب ممزق الأذيال . فما وطئ تلك البسط، ولا داسها برجله ، بل سار على التراب رهوا رهوا لا يلتفت الى أحد حتى قرب من رستم . فقال : إن قبلت الدين فعليك السلام (ب) . فعظم تحيته على رستم فأعرض بوجهه ، وتلوى على نفسه . ثم تناول منه الكتاب . ولما قرأه قال : ما أقول لسعد وشكايتى من طالع لى نحس؟ (ح) . ولكن الموت تحت ظلال السيوف أحب الىّ من حياة فى ذل .

فردّ شعبةَ، وعزم على القتال، وأمر بدق الكوسات، والنفخ فى البوقات والنايات . وعند ذلك ثار المسلمون الى أعراف الخيول، واعتقال الرماح ، واخترط السيوف . وتدانى الفريقان ، والتقى الجمعان، ونشبت الحرب بينهم ثلاثة أيام . وثقلت على الإيرانيين أسلحتهم حتى كادت تحترق أجسادهم

(أ) فى الشاه : شعبة بن المغيرة . والمراد المغيرة بن شعبة .

(ب) فى الشاه أن المغيرة قال هذا ردّا لتحية رستم : « سعدت نفسك، وعمر بالمعرفة روحك وجسمك » .

(ح) فى الشاه هنا بيتان يقول فيهما رستم : « إن يصر محمد إماى ، وأستبدل الدين الجديد بالدين القديم فسيبق كذلك معوجّا أمر هذا الفلك الأحدب، وسيظل قاسيا علينا » .

(١) طر : رضى الله عنه .

تحت الدروع، وتذوب أفئدتهم بين أحناء الضلوع . وغلبهم العطش حتى عصبت أشداقهم، وغارت أحداقهم . و بلغ بهم و بدوابهم الأمر الى أن أكلوا الطين والتراب المبلول . فلما رأى رستم ذلك بارز سعدا فغلبه سعد، وضرب على رأسه ضربة تشظت منه بيضته، وانفلقت هامته فضربه ضربة ثانية نزلت من عاتقه الى صدره (أ) . والله يختص من يشاء بنصره . فهلك رستم وانهزم الفرس فتبعهم المسلمون فقتلوا بعضهم ، ومات من العطش بعضهم . فباخ جمرهم وصاروا رمادا تذروه الرياح . فركب المسلمون صهوات النصر راكضين ليلا ونهارا فى عساكر كالسيل والليل حتى نزلوا على بغداد — هكذا قال — (ب)وفيها يزدجرد. فعبر فرخ زاذ أخو رستم المقتول دجلة وتبعته عساكر المدينة. فلقيهم المسلمون فى الكرخ، وجرت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الفرس، وجرح منهم خلق آخرون . فانصرف فرخ زاذ ودخل على يزدجرد وقال : لا تقم بهذه المدينة فقد أصبحت هاهنا وحيدا، وحواليك من العدو مائة ألف . فاخرج الى خراسان حتى تجتمع عليك العساكر هناك . فخلا يزدجرد بأصحابه ، وفاوضهم فيما أشار عليه فرخ زاذ فاستصوبوا رأيه . فتردّد فى ذلك ثم صمم العزم على المسير، وقال : الأصوب أن نسير الى خراسان فان لنا فيها جماعة من المماليك . واذا حصلتُ هناك، لا محالة ، يأتينا رسل الخاقان ، وأكابر الصين فتجرى بيننا و بينه مصاهرة ونعتضد به ثم نشتغل بكفاية العدو . وأيضا[1] فان صاحب مرو المسمى ماهويه يمدّنا و يؤثر معاضدتنا ومظاهرتنا . فإنه كان راعيا من رعاة خيلنا، ونحن جذبنا بضبعه، ونوهنا بذكره . و إنه و إن كان لئيم الأصل فهو لا ينكر أنه من إنشاء نعمتنا وصنائع دولتنا . وقد قيل : احترز ممن أسأت اليه وآذيته، وارجُ من أحسنت اليه وربيته.ونحن لم نؤذ ماهويه فلعله لا ينسى أيادينا . فصفق فرخ زاذ بيديه، وقال : أيها الملك ! لا تأمن خبيث الأصل فانه يكون مجبولا على الشر . ولا يخفى على العاقل أن الطباع تأبى على الناقل. فقال : أيها البهلوان ! نحن نجربه، ولا يضرنا منه شيء .

ولما أصبح من الغد ركب وخرج من بغداد، وأخذ فى طريق خراسان فتبعه أهل المدينة يبكون و يضجون . فوقف ساعة وودعهم ، وكان ذلك آخر عهده بهم . وسار يصل السير بالسرى الى أن وصل الى الرىّ فأقام بها أياما حتى استراح وأراح . فارتحل منها وسار الى بُست وكتب كتابا الى

(أ) فى الشاه أن رستم ضرب بسيفه حصان سعد فقتله وهم أن يقطع رأس سعد فلم يره فى ظلمة العثير. ثم نزل ليضرب سعدا فحجب النقع بصره فلم يره وأقبل سعد فضربه الخ . وهذه المبارزة ينكرها التاريخ .

(ب) كان المترجم ينكر أن تذكر بغداد فى حوادث ذلك العصر . ولكن اسم بغداد كان معروفا قبل الاسلام، فى أمكنة على شاطئ دجلة الغربى شملتها بغداد الاسلامية من بعد .

(١) صل : بكفاية العدو أيضا . وزيادة الواو من طا، طر .

ماهويه يذكر فيه ما جرى عليه وعلى عساكره فى قتال المسلمين ، ويقول له : إنى اذا وصلت الى نيسابور لا أقيم فيها أكثر من أسبوع . وسأقدم مرو . فأعدّ واستعدّ . وطير بهذا الكتاب راكبا الى مرو . وكتب أيضا الى والى طوس، والى سائر ولاة البلاد المتاخمة لها يعلمهم بحاله ، ويأمرهم بالاجتماع والاحتشاد . ثم[1] إنه ارتحل من بُست (١) وسار الى نيسابور، وسار من نيسابور نحو طوس. فلما سمع ماهويه بذلك تلقاه . ولما وقعت عينه على طلعة الملك ترجل ، وعفر وجهه فى التراب بين يديه، وأخذ يمشى فى موكبه وهو يبكى ويتوجع لما حزب الملك حتى اضطر الى مفارقة الوطن . ولما رآه فرّخ زاد على تلك الهيئة ونظر الى عساكره الكثيفة سر بذلك فوعظه ونصحه وبالغ وقال له : أيها البهلوان ! إنى قد سلمت اليك هذا الملك . فينبغى لك أن تجدّ وتجتهد وتكشف دونه عن ساق جدّك حتى لا يمسه سوء ولا يصيبه مكروه . فانى لا بدّ لى من الانصراف الى الرى، ولست أدرى هل أرى هذا التاج مرة أخرى أم لا فقد قتل كثير من أمثالى فى هذه الوقائع . وإنما أذهب لأجمع عساكر الرى وأصبهان، وأقدم بهم على الملك. فقال ماهويه : إن الملك أعز علىّ من هذه العين الباصرة، ونصحك مقبول، وقولك مسموع . فثنى فرخ زاد عنانه، وتوجه نحو الرى باذن الملك.

قال : وانتهى الخبر الى مرو بأن عساكر سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أخذوا المدائن وسائر ما تاخمها من بلاد المملكة فعظم ذلك على يزدجرد . ولما علم ماهويه بأن أمره قد أشفى على الزوال دار فى رأسه هوى السلطنة فقلب ليزدجرد ظهر المجن فتمارض أياما، وصار لا يواظب على إقامة شرائط خدمته ، كما كان يواظب عليها من قبل § وكان لسمرقند ملك من ملوك الترك يسمى بيژن . وكان شجاعا بطلا مشهورا بالرجولية والبسالة . فكتب الخائن اليه كتابا يعلمه فيه

---

§ يرى القارئ أن موقف ملك الترك فى هذه الحوادث ليس بيّنا . وذلك أن المترجم اقتضب الكلام . وفى الشاه ما يبين كيف انقلب ملك الترك على ماهويه بعد أن نصره . وخلاصة ما فيها أن بيژن سمع أن ماهويه تملك فسأل كيف أمكنه الملك . فقال برسام : إنى حينما قدت الجيوش اليه وعد أن يعطينا سرير الملك المذهّب،وتاجه وفرسه وكنزه.فقاتلت فى مرو ثلاثة أيام ثم صدقت القتال فى اليوم الرابع فولى ماهويه ظهره . فنادى ملك إيران أعوانه وقتل من رجالنا كثيرا ثم ولى مدبرا حين قتل أصدقاؤه . فلما استولى ماهويه على الكنوز تغافل عنا ولبث بمرو شهرين لا ينظر الينا . وقد أنبأنى الربيئة أن جيشه مقبل الينا » .

---

(١) عجيب ذكر بُست هنا الا أن يكون بلدا آخر غير المدينة المعروفة فى سجستان .

[1] طا، طر : ثم ارتحل .

بحصول ملك إيران فى مرو ، ويشير عليه بأن ينهض اليه وينتهز الفرصة ويقبض عليه . فلما أتاه الكتاب شاور وزيره فى ذلك . فقال : الرأى أن تندب لهذا الأمر ولدك برسام ، ولا تفارق أرضك . فإنك إن فعلت ذلك نسبوك الى النزق والطيش . فانتخب عشرة آلاف فارس وجهزهم تحت راية ولده الى مرو . فوصل العسكر من بخارا الى مرو فى أسبوع فدقوا الكوسات فى جنح الليل، والملك فى شغل شاغل عن ذلك . ولما أصبح ماهويه أتاه فارس وقال له فى السر : إن العسكر قد وصل فافعل ما ترى . فردّه وركب[1] فى عساكره مظهرا لمنابذتهم . ولبس الملك سلاحه . وتلقوا العدو . فلما اصطف الفريقان وتقابل الجمعان وقف الملك فى القلب فتتابعت عليه حملات الأتراك فخاض بنفسه غمرة الحرب، وردّ فى وجوههم بعض تلك الحملات . فتهازم ماهويه عند ذلك فى جنوده، على مواطأة كانت بينه وبين الترك ، فالتفت يزدجرد، ولما رأى صنيع ماهويه أحس بالحال فولى ظهره للفرار، وتبعه الأتراك كالماء والنار[2] . فرأى طاحونة على ماء الزرق فنزل عن الفرس وتركه ، ومشى حتى دخل الى الطاحونة واختفى فيها . وكانت فرسان الأتراك فى أثره فرأوا فرسا عائرا مغمورا فى الذهب فأحدقوا به وأخذوا فى قسمة عدّته، واشتغلوا بذلك حتى أمسوا فانصرفوا . وبقى يزدجرد فى الطاحونة حليف الحَرَب والويل باكيا طول الليل .

ولما أصبح جاء الطحان فدخلها فرأى رجلا كالسرو الباسق، على رأسه تاج مرصع، وعليه قباء من الديباج الصينى مذهب ، وفى رجله مداس ذهبى، وهو قاعد هناك على الحشيش والتراب ،

= فقاد بيزن جنوده حتى قارب بخارا ثم أمر جنوده أن يبطئوا حتى يعبر جيش العدوّ النهر اليهم . وقال لهم : لعلى أنتقم للملك منه . ثم سأل أبقى للملك أخ أو ابن أو بنت فنحضره الينا ونعينه على ماهويه ؟ فقال ابنه برسام : قد انقضى عهد هذه السلالة وقد استولى العرب على ديارهم فما بقى ملك ولا عابد نار . ثم أقبل جيش ماهويه ووقعت الحرب كما وصف المترجم .

ويتبين من هذا أن الترك نصروا ماهويه ثم سخطوا عليه حين لم ينالوا ما أملوا، وأن كلا من ماهويه وملك الترك، كما تصف الشاه، جعل الانتقام ليزدجرد ذريعة الى بلوغ مآربه .

وفى الطبرى أن الأحنف بن قيس غزا خراسان سنة ٢٢ من الهجرة فاستنجد يزدجرد خاقان الترك فلم يستطع إنجاده حتى عبر اليه النهر (جيحون) منهزما . فأنجده الخاقان وحشر أهل فرغانة والصغد وسار معه لحرب المسلمين، ثم رجع الترك الى بلادهم بعد أن رأوا بأس العرب . ثم تبعهم يزدجرد=

(١) طا، طر : وخرج فى عساكره . (٢) طا، طر : كالماء أو النار .

يظهر عليه أثر الحزن والاكتئاب . فقال[(١)] : أيها الشهريار! من أنت؟ وما الذى ألجأك الى الدخول الى هذا الموضع الخراب، والجلوس على فرش الحصى والتراب؟ فقال : أنا رجل من الفرس هربت من الترك[(٢)] الى هذا المكان، واختفيت منهم فيه . فقال : أى شيء أصنع لضيف مثلك و إنما عندى أقراص شعير لا غير ؟ فقال يزدجرد : أحضر ما عندك . فجاء بطبق خلاف عليه قرص شعير، وباقة بقل . فطلب يزدجرد منه البرسم . فخرج الرجل يطلبه له فجاء إلى بيت زعيم الزرق لطلب البرسم . فقال له : لمن تريد ذلك ؟ فذكر أنه وجد فى الطاحونة[(٣)] رجلا من صفته كيت وكيت . وقد قدمت اليه شيئا يأكله فطلب البرسم . فعلم الزعيم أنه الملك . فأمره بأن يقصد باب ماهويه، ويقول له ذلك . ووكل[(٤)] به رجلا، وأنفذه اليه . فدخل عليه وسأله (أ) عن الحال فجعل العلج يصف له شكل الملك وشمائله وحليته[(٥)] . فعلم الخائن الغادر أنه هو فقال : ارجع الساعة واقطع رأسه . و إن لم تفعل قطعت رأسك . فأنكر عليه ذلك[(٦)] جماعة من الموابذة كانوا عنده حاضرين، وقالوا : لا تغمس يدك فى دم مولاك، ولا تأمن دوائر الأفلاك . واعلم أن الملك والنبوّة فصان فى خاتم . ومهما كسرت أحدهما فقد كسرت الخاتم، وأقمت بذلك على الدين والدنيا المآتم . واذكر

= بعد أن هزمه المسلمون. ولبث فى الترك الى أن انتقض أهل خراسان فى عهد عثمان فأقبل يزدجرد حتى نزل بمرو . " فلما اختلف هو ومن معه وأهل خراسان آوى الى طاحونة فأتوا عليه يأكل من كرد حول الرحى فقتلوه ثم رموا به فى النهر" . ثم سار الأحنف الى الخاقان وهو ببلخ فعبر الخاقان النهر ونزل الأحنف بها[(٧)] .

وفى الأخبار : " وهرب يزدجرد نحو خراسان فأتى مرو فأخذ عامله بها، وكان اسمه ماهويه، بالأموال . وقد كان ماهويه صاهر خاقان ملك الأتراك . فلما تشدّد عليه أرسل الى خاقان يعلمه ذلك . فأقبل خاقان فى جنوده حتى عبر النهر مما يلى آمويه . ثم ركب المفازة حتى أتى مرو ففتح له ماهويه أبوابها وهرب يزدجرد على رجليه وحده الخ[(٨)]" .

وخلاصة ما فى الغرر أن يزدجرد طالب ماهويه بالأموال فراسل الخاقان فى إرسال جيش الى مرو للقبض على يزدجرد فأرسل خاقان نيزك طرخان فى جيش فلما ورد كُشمَيهن مشت السفراء بينهما =

(أ) أى دخل الطحان على ماهويه فسأله ماهويه عن الحال .

(١) صل . وقال : والتصحيح من طا، طر، كو . (٢) طا، طر، كو : من الأتراك .

(٣) طا، طر، كو : طاحونه . (٤) طا، طر، كو : فوكل . (٥) طا، طر، كو : وحليه وهيئته .

(٦) طا، طر : عليه جماعة . (٧) الطبرى، ج ٤ ص ٢٦٦ (٨) الأخبار، ص ١٤١

مبدأ أمرك إذ كنت راعيا من رعاة البَهم بجعلك هذا الملك حاميا من حماة الدّهم . ولم يزل يمدّ بضبعك حتى صيرك صاحب جيش خراسان ، وقائد قواد آل ساسان . فلا تقابل حق نعمته بالكفران ، ولا تلق قيادك الى يد الشيطان " . واتفقوا[1] على لومه وتعنيفه ومنعه وتوبيخه — وأطال صاحب الكتاب نفَسه فى حكاية خطابهم له فى ذلك — فكان كلامهم عنده كالماء يجرى على الصخرة الصماء . وكان هوى السلطنة قد تمكن من دماغه وقلبه، وغطى على بصر بصيرته فصار لا يفرق بين رشده وغيه . فقال لهم : انصرفوا الآن حتى نفكر الليلة فى أمره . فقاموا فاستحضر[2] جماعة من جهلة أصحابه، وخلا بهم وقال : قد ظهر الآن هذا السر، وعلم به الناس وشاع بينهم . وإن تركنا يزدجرد ولم ننزع منه رداء الحياة لم نأمن شره ومعرته . فإن العساكر يجتمعون عليه ، لا محالة . وعند ذلك يقوى عضده ويشتدّ ساعده فلا يبقى منا عينا ولا أثرا ، ولا يترك فى بلادنا نجما ولا شجرا . فقال له بعض الحاضرين : إن هذا كان خطأ من الابتداء . ولا شك أنك

= بجاء نيزك الى مرو مسالما وسجد ليزدجرد. وأفضل عليه يزدجرد وأكرمه ونادمه. وأراد ماهويه أن يوقع بينهما فأشار على نيزك أن يخطب الى يزدجرد بنته . فلما فعل أنحى يزدجرد عليه بالسوط وثارت الفتنة بينهما . وبرز الفريقان للحرب. فلما التقى الجمعان انحاز ماهويه الى الترك فانهزم يزدجرد وألجأه الهرب الى طاحونة لماهويه ... الخ[3] " .

فالروايات تجتمع على أمرين :

(١) أنه وقع بين يزدجرد وبين قومه فى خراسان .

(٢) وأن الترك شاقوا يزدجرد فى النهاية، على اختلاف الروايات فى أنهم قدموا لحربه أو لنصرته . وليس بعيدا أن يكون الترك آنسوا اضطراب الحبل فى إيران فأغاروا وداراهم الايرانيون وبذلوا لهم من أموالهم أو وعودهم . ولا يبعد كذلك أن يكون يزدجرد استنجد الترك حين ضاق ذرعا بالعرب وأنهم نكصوا حين رأوا شدّة العرب فى الحرب . وليس يتسع المجال هنا لتمحيص هذه المسألة .

وأما الحرب بين ماهويه والترك، وانتقام الترك ليزدجرد فأحسبه اختراع القصاص ليشفوا غلة الناس من ماهويه، كما ختموا حياة ملك الترك بالجنون والانتحار جزاء إعانته على يزدجرد. وفى الأخبار : أن ماهويه، بعد أن قتل يزدجرد، هرب من أهل مرو الى أبرشهر فمات بها[4] . وفى تاريخ حمزة : "وأولاد ماهويه الى الساعة يسمون بمرو ونواحيها خُداكُشان[5]". ومعنى "خداكشان" قاتلو المولى .

---

(١) طا، طر، كو : فاتفقوا. (٢) طا، طر، كو : واستحضر. (٣) غرر : ص ٧٤٦

(٤) الأخبار، ص ٤٢ ١ (٥) حمزة، ص ٤٣

إن قتلت ملك إيران لم ترخيرا، وإن تركته لاقيت شرا وضيرا . ولا يخفى ما فى قتله من المكاره، فان الله هو الطالب بثاره . فقال له بعض بنيه : اعلم أيها البهلوان ! أن يزدجرد لو سلم اجتمعت عليه عساكر الصين فضيقوا علينا الأرض . وقد قدرت فافعل فعل الرجال وافرغ منه . فإن الايرانيين لو رفعوا شقة من ذيل قميصه على رأس رمح لقلعوك، واستأصلوا شأفتك . فأقبل الغادر الفاجر عند ذلك على الطحان وقال : قم واستصحب جماعة من الفرسان ، وانهض بكفاية هذا الأمر وإخماد ذلك الجمر . فخرج يبكى ويتوجع، وسار الى الطاحونة . ونفذ الغادر خلفه جماعة أمرهم أن يحفظوا تاج يزدجرد وقرطه وثيابه حتى لا تضرج[1] بدمه . فدخل الطحان على الملك ومشى نحوه وقرب منه فعل من يريد مسارّته فضرب جوفه بخنجر معه . فتأوّه وخرجت روحه ، وخر صريعا . فلما علم غلمان الغادر قتله دخلوا عليه ونزعوا ثيابه وحملوا تاجه وطوقه وخاتمه ومداسه، وتركوه مطروحا على التراب . وتوجهوا نحو صاحبهم يلعنونه ويدعون عليه . فلما أتوه وأعلموه بما عملوه أمر بطرح جثته فى الماء . فجاؤا وجرّوه ورموه فى ماء الزرق فحمله الماء .

ولما طلع النهار رأى بعض الرهبان، من دير كان على شط الماء، جثة يزدجرد فنزل اليه مع جماعة من أصحابه فخاضوا الماء وأخرجوه منه ، وأخذوا يبكون وينوحون عليه (أ) . ثم كفنوه وعملوا له ناووسا ووضعوه فيه . فبلغ الخبر بذلك الى ذلك الغادر فأنكر ما فعله الرهبان فنفذ اليهم جماعة من أصحابه، وقتلهم وخرب ديرهم .

ثم إنه خلا بأصحابه وفاوضهم فيما جرى على يده من قتل يزدجرد فعض على يديه بعد أن زلت به القدم، وندم ولات حين مندم . وقال لوزيره : كيف يمكننى الجلوس على تخت يزدجرد وجميع أهل إيران عبيده ؟ ومتى أتهنأ بذلك ؟ فقال الوزير : إن الايرانيين ما حضروا هذه الوقعة[2] . ومن الذى شاهد قتلك ليزدجرد؟ والرأى أن تحضر وجوه الايرانيين، وتدّعى أن يزدجرد لما ضاق به الأمر من أيدى الترك أوصى اليك ، وسلم تاجه وخاتمه اليك ، ونص فى ولاية عهده والقيام بالأمر من بعده عليك، وأنه زوّجك بنتا له صغيرة، وأمرك بالدفاع عنها والقيام بالأمر دونها . فإن هذا كذب يشبه الصدق، وباطل يحاكى الحق . ثم اقعد عند ذلك على سرير السلطنة ، ومشّ أمرك . فضحك[3]



(أ) ينظر فى الشاه ما قيل من المراثى قبل دفن يزدجرد، وخاتمة الفصل للفردوسى .

(١) صل : يضرج . (٢) طا : الواقعة . (٣) طا : فاستصوب .

واستصوب ما أشار به الوزير، واعتمد عليه ، وعمل بمقتضاه . وأطاعه ولاة تلك البلاد وتيسر له ملك جميع خراسان .

فجمع العساكر وعبر جيحون، وقصد بيزن الذى كان استعان به على إهلاك يزدجرد (أ) . فلما انتهى اليه الخبر ركب فى عساكر الترك وتلقاه . فلما تدانى ما بين الفريقين عبّى جنوده . فقابله ماهويه بمثل ذلك فألقى الله الرعب فى قلبه فولى الأتراك ظهره من غير قتال . فنفذ بيزن ولده برسام خلفه ، وهو الذى باشر وقعة يزدجرد، فلحقه فمكنه الله حتى قبض عليه وكتفه وقيده وانصرف به عائدا الى أبيه . فلما قرب منه شب به فرسه فوقع، واندقت رقبته (ب) . وحُمل ماهويه اليه فلما وقعت عينه عليه قال : أيها الكلب الغادر والعبد الكافر ! أبسطت يدك الى قتل مالك رقك ، وتجاسرت على إهلاك صاحب أمرك؟ فقال الخائن الحائن : إن جزاء ذلك أن تضرب هذه الرقبة . وقصد بذلك أن يعجل ضرب رقبته خوفا من أن يمثل به . ففطن لذلك فأمر أن يقطعوا[1] يديه ، ثم أمر فقطعوا رجليه (حـ) ، ثم أمر فسلّوا سيرا من مفرق رأسه الى فقار ظهره ، وسيرا آخر من جبهته الى سرته، واجتروه وطرحوه فى الرمضاء حين حمى وطيس الهاجرة ثم ضربوا رقبته . وكان قد قبض له على بنين ثلاثة فأحرقهم مع جثة أبيهم . وأمر مناديا فنادى : ألا إن هذا جزاء من قتل مولاه، وكفر نعماه . والسلام .

وكان على بيزن هذا كِفل من دم يزدجرد على ما سبق . فقيل إنه جنّ فى آخر عمره، وقتل نفسه بيده، ولحق بمن مضى من صحبه .

وكان (د) فى انتهاء أمر يزدجرد انتهاء أمر ملوك العجم، وإصحار أسود العرب من الأجم. فملك ديارهم أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب ، رضوان الله عليه، واستأثر بعقيلة مُلكهم مع كثرة الخطّاب . وانتهت النوبة اليه، واتفقت الألسن عليه . واستحالت السلطنة خلافة، وآض التخت منبرا، وعاد الحق عيانا، والباطل خبرا . ولله الحمد والفضل والثناء الحسن .

(أ) فى الشاه : أن ماهويه ادّعى أنه يريد أن ينتقم من ملك الترك، كما أمره الملك يزدجرد .

(ب) لم أجد هذه الجملة فى الشاه .

(حـ) فى الشاه : مول، ورزر، تبريز أنهم قطعوا أذنيه وأنفه أيضا .

(د) هذا الكلام الى آخر الفصل ليس فى الشاه . وهناك بيت واحد معناه : وبعد هذا كان دور عمر؛ جاء بالدين فصار السرير منبرا .

(1) طا، طر، كو : فأمر فقطعوا .

§ قال الفردوسى صاحب الكتاب الذى كتابنا هـذا ترجمته[١] : لم أترك مما طالعت من أخبار ملوك العجم حديثا الا نظمته، وفى سلك البيان رصفته . وكأنى قد نشرت بهذا الكتاب السلاطين الماضين والملوك الأقدمين، بعد ماطالت عليهم أدوار الزمان، وطُوى ذكرهم فى تضاعيف النسيان . وهأنا، بعد خمس وستين سنة أنفقتها من عمرى، قاعد حزينا كئيبا لا أرى سوى « أحسنت » من

---

§ فى ترجمة الخاتمة هنا نقص ومخالفة لنسخ الشاه التى عندى . ولذا ترجمتها من نسختى مول وتبريز، وعارضتها على ترجمة ورنر، وأثبتها هنا :

حينما مضى علىّ خمس وستون سنة زدت همى ونصبى، وشقيت بتاريخ الملوك ونُحس كوكبى . والكبراء والأحرار أولو العلم كتبوه جميعه مجانا وهم ينظرون إلىّ من بعيد كأنى كنت أجيرهم . ولم يكن حظى منهم إلا "أحسنت" . لقد تحطمت قوتى تحت قولهم أحسنت . زمّوا رءوس البدر العتيقة، فانقبض صدرى المنور . ولكن لعلى الديلمى[٢]، بين أكابر المدينـة ، نصيب موفور . ذلك الرجل ذو البصيرة يسّر عملى وسنّى نجاحى . وأبو نصر الوراق[٣] كذلك نال بهـذا الكتاب من الكبراء شـيئا كثيرا . وحسين بن قتيب[٤] ذلك الحـر الذى لم يبغ منى الكلم بغير جزاء، كان منه الطعام واللباس والفضـة والذهب ، وبه تحركت يدى وقدمى ، مستريحا من الخراج أصـله وفرعه متقلبا فى رغد ورفاهية .

ولما بلغت السنين إحدى وسبعين علا على الفلك شِعرى . خمسا وثلاثين عاما فى هـذه الدار الحائلة قضيتها أحمل النصب من أجل الذهب . فلما ذَروا نصبى على الريح ذهبت الخمس والثلاثون سدى . والآن يناهز عمرى الثمـانين وقد ذهبت كل آمالى أدراج الرياح .

انتهت الآن قصة يزدجرد فى يوم أرد من شهر سـفَندارمُذ[٥]، وختمت هذا الكتاب الملكى حين مضى من الهجرة أربعمائة عام .

عمر الله سرير محمود، وأدام شـبابه وسرور قلبه . له الرأى والعلم والنسب، وهو سراج العجم وشمس العرب . مدحته والكلام يبقى على مر الزمان ظاهرا وخفيا . وسيحمدنى الكبراء فيزيد=

---

(١) طر، طا : رحمه الله .   (٢) فى نسخة مول : على الديلمى أبو دلف ، وفى جهار مقالة : على الديلمى وأبو دلف .

(٣) أبو نصر غير مذكور فى نسخة تبريز وورنر ولا فى الأبيات التى فى جهار مقالة .   (٤) فى جهار مقالة : حيى .

(٥) أرد هو اليوم الخامس والعشرون من كل شهر . واسفندارمذ الشهر الثانى عشر من السنة . وذلك ٢٥ فبراير سنة ١٠١٠م .

أبناء الزمان نصيبا؛ ربقوا على الحقيقة أعناق البدر العتيقة . فعيل صبرى وضاق صدرى . وكم تعب تحملت ، وكم غصص تجرعت حتى تسنى لى نظم هـذا الكتاب فى مدّة ثلاثين سـنة آخرها سـنة أربع وثمـانين وثلثمائة . وهو يشتمل على ستين ألف بيت . وجعلته تذكرة للسلطان أبى القاسم محمود بن سُبُكتِكين . لا زال نافذ الأمر عالى القدر . وصلى الله على محمد وآله[1] وصحبه أجمعين .

= مدحه بكرة وعشيا . يدعون أن يخلد الرجل الحكيم وأن يجرى على تأميله كل عمل عظيم . وقد تركت له هذا الكتاب ذكرا تبلغ أبياته ست عشرات من الألوف عدّا . وقد سار فى السهل والحزن كلامى حين ختمت فى هذا الكتاب نظامى . لا أموت من بعدُ فإنى مخلَّد بمـا نثرت بذر الكلام المجوّد . وكل ذى رأى وعقل ودين سيحمدنى بعد الموت فى الآخِرين . آلاف[2] التحية وآلاف الثناء على المصطفى (خاتم الأنبياء) . وأرتل الثناء على أهل بيته تقربا واحتسابا .

تمت شاهنامة الفردوسى الطوسى

---

(١) كو ، طر ، طا : محمد وأهل بيته الطاهرين .

(٢) الثناء على الرسول وأهل بيته ليس فى نسخة تبريز ولا ترجمة ورنر .

خاتمـــــــة

قال مترجم الكتاب المملوك الأصغر فتح بن علي[١] الأصبهاني : قد أعان الله وله الحمد على امتثال مراسم مولانا السلطان "الملك المعظم" ملك ملوك العرب والعجم، ضاعف الله اقتداره، وأعز أنصاره، في ترجمة هذا الكتاب البارع المشتمل على بحار لآلئ الحكم، ومعادن جواهر الكلم. فنزعت عن أعطافه أسمال اللسان العجمي، وكسوت معانيه أفواف البيان العربي، بألفاظ رشيقة، وعبارات أنيقة، وأسلوب يسلب القلوب، ويسحر العقول. ووشحته بقلائد مناقب الحضرة المعظمة السلطانية سالكا سبيل عبوديتها عن خلوص الطوية، وصفاء النية. وخلدت بها ذكره مثبتا على صفحات الأيام، مجددا على تعاقب الشهور والأعوام، مطبقا طلاع الخافقين، سائرا في أكناف بلاد المشرقين. فإن هذا الكتاب ليس كسائر الكتب التي لاتفارق رباع المؤلفين، ولا تجاوز ديار المصنفين. لكونه مما ترتاح القلوب بمطالعة غرائبه، وتهتز النفوس الى استماع قصصه وعجائبه. وليس قولي هذا إدلالا بما أتيت، وإعجابا بما ألفت. فإنه لولا روائح سعادات هذه الحضرة التي لا تزال تهب علي وعلى العالمين جنوبا وشمالا، وميامنها التي تكتنفني وإياهم يمينا وشمالا لاستصعبت حوشيات ألفاظه النافرة من أن تخزم، وفي سلك البيان تنظم، واستعصت ريضات معانيه الجامحة أن تلجم[٢] بشكائم التقييد وتسطر. وقد كنت، في مقتبل تعرضي له ناقلا، وجدتني وكأني خلقت في العي باقلا. فأنطقتني أياديه حتى صرت أساجل الإيادي فأملأ الدلو الى عقد الكرب. وحلت مساعيه عقدة العي عن لسان قلمي حتى كأنه مصقع أخضر الجلدة من بيت العرب (أ). وليس بدعا من سعادته أن تزيل عن المفحمين العي والحصر، وتهدي الى المحجوبين البصيرة والبصر.

هذا. ولئن تشاكى الفردوسي في خاتمة كتابه حين لم يبلغ من سلطانه ما تمناه، ولم تصدقه مخيلة يمناه فلقد وجدت في هذا الجناب ما فقده من ضالة الكرم، وبلغت مالم يتمنه من الفواضل والنعم. وصادفت مع "أحسنت" إحسانا وإفضالا، وقبولا وإقبالا. وحصلت من الانتماء الى عبوديته مفاخر وشحت بها مساعي الآباء والأسلاف، ورفعت بها على تعاقب الأحقاب أسامي الأعقاب

(أ) في هاتين الجملتين إشارة الى البيت :

أخضر الجلدة من بيت العرب * يملأ الدلو الى عقد الكرب

(١) "علي" ساقطة من الأصل. والتصحيح من طا، طر. (٢) طا : عن أن تلجم.

والأخلاف، إذ فزت بسلطان لو رآه أفريذون عاقد التاج ، وأنوشروان فارع سرير العاج لتضاءلا لرفيع قدره، وتصاغرا لعظيم أمره، واغترفا من بحار فضله و إفضاله ، وخفضا طوامح أبصارهما دون مراقى سنائه وجلاله . ولو أدركه محمود لاقتبس من أنوار علومه، واهتدى بأضواء نجومه، وأسس مبانى ملكه على قواعد عدله و إحسانه ، ورأى العجب العجاب من آثار سيفه وسنانه ، فلم يفتخر فى نوادى المآثر بسود الأصابع ، وتطامن لمن يباهى ببيض الأيادى وغرّ الصنائع . فإن شكا الفردوسى سوء حظه فى عهده[1] فإنى شاكر فى هذا العهد وفور الحظ وسعادة الجد حتى لو بلغت درجة الطائيين نظما، ونلت منزلة الصادين نثرا (١)، وملأت صحائف الزمان حمدا وشكرا لم أقم بحق رشحة من بحار عواطفه الزاخرة ، ولم أف بوصف قطرة من ديم فواضله الهامرة . فالله[2] تعالى يديم ملكه وسلطانه ، ويعز أنصاره وأعوانه ، ويرفع فوق معارج السناء مكانه، ويمتعه بأولاده وإخوته الملوك والسلاطين ، ويخلد ملك المشارق والمغارب فى أعقابه وأعقابهم الى يوم الدين[3] .

آخر[4] الكتاب ولله الحمد

نقله من خط مترجمه، المعتمد على ربه يوسف بن سعيد الهروى
فى سنة خمس وسبعين وستمائة

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمى وآله وصحبه وسلم

(١) فى نسخ الترجمة : الطايين والصادين وأحسب الأولى الطائيين أى أبا تمام والبحترى ، وأظنه يريد بالصادين الصابى والصاحب ابن عباد .

(١) كلمة «فى عهده» من طا ، طر . (٢) طا : والله . (٣) فى حاشية الأصل هنا : بلغت المقابلة بالأصل المكتوب بخط معربه . (٤) طا ، طر ، كو : وهذا آخر .

المراجع التى ذكرت فى حواشى الكتاب والمدخل

الآثار الباقية (أو الآثار) — كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبى الريحان البيرونى المؤرخ الفلكى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ طبعة لبسك سنة ١٩٢٣ .

الأبستاق — انظر أفستا .

ابن اسفنديار — انظر تاريخ طبرستان .

ابن حوقل — كتاب المسالك والممالك لأبى القاسم بن حوقل من رجال القرن الرابع الهجرى طبعة ليدن سنة ١٨٧٢ م .

ابن هشام — السيرة النبوية لأبى محمد عبد الملك بن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ ، طبعة القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ .

الأخبار الطوال (أو الأخبار) — كتاب الأخبار الطوال لأبى حنيفة الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ، طبعة القاهرة سنة ١٣٣٠ هـ .

الإشراف والتنبيه — انظر التنبيه والأشراف .

الاصطخرى — كتاب مسالك الممالك لأبى اسحاق محمد بن ابراهيم الاصطخرى من رجال القرن الرابع، طبعة ليدن سنة ١٨٧٠ م .

أفِستا — The Zend - Avesta, translated by Darmesteter. — الجزء الأول الطبعة الثانية فى أكسفورد سنة ١٨٩٥ م . والجزء الثانى الطبعة الأولى فى أكسفورد سنة ١٨٨٣ م وهما المجلدان الرابع والثالث والعشرون من سلسلة (كتب الشرق المقدسة) The Sacred Books of the East.

أوراق أسيوية — "Asiatic Papers"; papers read before the Bombay Branch of the Royal Asiatie Society by Jivanji Jamshedji.
طبعة بمباى سنة ١٩٠٥ م .

براون — كتاب تاريخ الآداب الفارسية لبراون
A Literary History of Persia by Edward G. Browne.

الجزء الأول	الطبعة الثالثة	سنة	١٩١٩ م	
» الثانى	»	»	»	١٩٢٠ م
» الثالث	» الأولى	»	»	
» الرابع	»	»	»	١٩٢٤ م

البلدان — كتاب البلدان لأبى بكر أحمد بن محمد الهمذانى المعروف بابن الفقيه
طبعة ليدن سنة ١٣٠٢ هـ ، ١٨٨٥ م .

البيرونى — انظر الآثار الباقية .

تاريخ طبرستان — تاريخ طبرستان لمحمد بن الحسن بن اسفنديار . ألفه حوالى سنة ٦١٣هـ
"Abridged translation by Edward G. Browne"
طبعة ليدن ولندن سنة ١٩٠٥ م .

تاريخ كُزيده — لحمد الله المستوفى القزوينى . ألفه نحو سنة ٧٣٠ هـ ، نشره Edward G. Browne
طبعة لندن سنة ١٣٢٨ هـ ، ١٩١٠ م (Fac - simile)

التنبيه والإشراف — كتاب التنبيه والإشراف لعلى بن الحسين المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ
طبعة ليدن سنة ١٨٩٤ م .

الحماسة الإيرانية — "Das Iransche Nationalepos" ألفه بالألمانية الأستاذ نلدكه Nöldeke
وترجمه الى الانكليزية L. Bongdanov . ونشره K. R. Gama Oriental Institute بمباى
سنة ١٩٣٠ م .

حمزة الأصفهانى — تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء لحمزة بن الحسن الأصفهانى ، من
مؤرخى القرن الرابع الهجرى ، طبع بمطبعة كاويانى ببرلين سنة ١٣٤٠ هـ .

جهار مقاله — كتاب جهار مقاله لأحمد بن عمر بن على النظامى العروضى السمرقندى . ألفه فى حدود سنة ٥٥٠ هـ . طبعة ليدن ١٣٢٧ هـ .

سيكس — A History of Persia by Sir Percy Sykees. الطبعة الثانية سنة ١٩٢١ .

الطبرى — تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ . طبعة القاهرة المطبعة الحسينية (ما لم ينص على غيرها) .

الطبرى الفارسى — ترجمة تاريخ الطبرى الى الفارسية . ترجمة الوزير أبى على البلعمى من وزراء الدولة السامانية .

العتبى (أو تاريخ العتبى) — الكتاب اليمينى لأبى نصر محمد بن عبد الجبار العتبى المتوفى سنة ٤٣١ هـ . طبعة القاهرة (على حاشية الشرح) سنة ١٢٨٦ هـ .

الغرر — غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ . نشره زوتنبرج، طبعة باريس سنة ١٩٠٠ م .

فارس نامه — تاريخ ولاية فارس وجغرافيتها لابن البلخى، ألفه فى أوائل القرن السادس الهجرى . طبعة كمبردج سنة ١٣٣٩ هـ ، و ١٩٢١ م .

الفهرست — كتاب الفهرست لابن النديم المتوفى فى حدود سنة ٤٠٠ هـ . طبعة ليبسك سنة ١٨٨٢م .

معجم البلدان — كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ .

معجم شمس قيس — المعجم فى معايير أشعار العجم لشمس الدين محمد بن قيس الرازى، ألفه فى أوائل القرن السابع الهجرى . نشره الأستاذ براون Edward G. Browne، وطبع بمطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٣٢٧ هـ .

مول — الشاهنامه والترجمة الفرنسية للأستاذ M. Jules Mohl . طبع بباريس على نفقة الحكومة الفرنسية وانتهى طبعه سنة ١٨٧٨ م .

مروج الذهب — كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى. طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ.

نزهة القلوب — المقالة الثالثة من كتاب نزهة القلوب لحمد الله المستوفى القزوينى من رجال القرن الثامن الهجرى طبعة ليدن سنة ١٣٣١ هـ .

ورنر — الترجمة الانكليزية للشاهنامه by Arthur George Warner and Edward Warner الطبعة الأولى . لندن سنة ١٩٠٥ — ١٩٢٥ م .

ياقوت — انظر معجم البلدان .

يتيمة الدهر — كتاب يتيمة الدهر فى شعراء أهل العصر . لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ . طبعة دمشق سنة ١٣٠٣ هـ .

كشاف [1]

هذا الكشاف يبين الأسماء فى المدخل ومتن الكتاب وحواشيه . وقد رمزت للمدخل بالحرف (م) وللحواشى بالحرفين (حا) ووضعت أعداد كل قسم فى أسطر على حدة . ووضعت هذه العلامة + قبل صفحات الجزء الثانى من المتن والحاشية . واكتفيت بأعداد الآحاد بين كل عقدين . مثلا لبيان الصفحات ١٠، ١١، ١٥، ١٧، ١٩ يكتفى بالأعداد : ١٠، ١، ٥، ٧، ٩ ؛ ولبيان الصفحات ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ يكتفى بالأعداد ٣٤٠، ٤، ٦ . وهكذا . وعلامة = تدل على أن العلَم الذى قبلها ذكر بالاسم الذى بعدها فى موضع آخر من الكشاف .

(١) اخترت هذه الكلمة للدلالة على هذا الضرب من الفهارس . وأود أن يشيع استعمالها فى الكتب .

(ب)

(چ)

(ح)

(د)

(ش)

(ص)

(ع)

(ڤ)

(ك)

(گ)

(ل)

الكلمات الفارسية والتركية التى جاءت فى أثناء الكتاب

آذينات : جمع آذين وهو الزينة .

آيين : المذهب والطريقة والسيرة .

أستاذ دار : يُتوهم أنها "أستاذ الدار". ولكن يظهر أن أصلها سِتبدار أى متولى الأخذ . ومعناه قيم الدار .

باج : الجزية .

باد آورد : باد = الريح . آورد = أحضر . أى جَلَبُ الريح .

باز دار : باز = البازى، دار تدل على القيم على الشىء . فمعناه الموكل بزاة الصيد .

باغبان : البستانى .

برده دار : الموكل بالستر أى الحاجب .

بزه كار : الأثيم .

بهلوان : البطل .

بهلوانية : الكلمة التى قبلها بعد إلحاق ياء المصدرية .

تذاريج : جمع تَذَرج وهو معرب تذَرْو أى الدرّاج .

تركش : جعبة السهام .

جرخ : العجلة والفلك .

جُرز : المقمعة أو الدبوس الذى كان يستعمل فى الحرب .

جنك : الرباب .

جنكية : ضاربة على الرباب .

جوبان : الراعى .

جوبانية : نسبة الى جوبان فمعناه الرعى . وأراد بها المترجم الرعاة .

جوشن : الدرع .

خاتون : السيدة .

خركاه : الخيمة الكبيرة .

خفتان : جبة تلبس فى الحرب (قفطان) .

خوان : المائدة .

خوانسلار : قيم المائدة .

دِرَفش : اللواء .

دركاه : العتبة والفناء ، ويطلق على منازل الملوك والعظماء .

دست : المنصة ومقدار كامل من الثياب ونحوها .

دستور : القانون والوزير والمقدّم فى دين زردشت .

دهخداء : رئيس القرية .

دِهقان : معرّب دهكان أى صاحب القرية .

ديدبان : أصله ديده بان ومعناه الحارس .

رسول دار : الموكّل بالرُسُل .

زندبيل : أصله زنده پيل ومعناه الفيل العظيم .

زِهْ : حسن وجميل وبمعنى مرحى .

زهان : جمع ما قبله .

سار بان : جمّال أى قائد الإبل .

سالار : رئيس وقائد .

سالاريّة : رياسة، قيادة .

سمند : الحصان الأكهب أو الكميت .

سهر : بقرة .

سور : وليمة . وفى الحديث عن غزوة الخندق " إن جابرا صنع سورا " .

سوتام : قليل .

شادآورد : كذلك فى الكتاب . وأحسب صوابه شادورد . ومن معانيه سرير الملك . وهو اسم كنز من كنوز برويز .

شاذكان : يحتمل أنه جمع شاذه أى مسرور .

شاهنشاه : مخفف من شاهان شاه أى ملك الملوك .

شاهنشاهية : الكلمة التى قبلها بعد الحاق ياء النسبة أو ياء المصدر .

شهرستان : مدينة محصنة .

شهريار : ملك .

فرجار : معرّب پرگار .
فرده : عدل، رزمة . ويحتمل أن الكلمة عربية .
فرزان : حكيم، عالم .
قُهُندز : معرّب كُهُن دِژ أي قلعة عتيقة .
كپى : قرد .
كوس : طبل كبير .
ماهى خوران : ماهى = سمكة . خوران = آكل
مردانه : شجاع .
مرزبان : صاحب الثغر، ويطلق على الحاكم .
موبذ : لقب صنف من رؤساء الزردشتيين . انظر المدخل ص ٧٧
ميش سر : ميش = شاة . سر = رأس، أي رأسه كرأس الشاة .
ناورد : حرب .
نيرنج : معرّب نيرنگ ، أي الشعوذة .
نيكوكار : نيكو = حسن . كار = فعل . أي حسن الفعال .
هربذ : لقب صنف من رؤساء الزردشتيين . وهم الموكلون ببيوت النار .
يزَك : طليعة الجيش، حارس .

وكان تمام طبع الجزء الثاني من كتاب الشاهنامه بمطبعة دار الكتب المصرية في يوم الأربعاء ٢٦ محرّم سنة ١٣٥١ (أوّل يونيه سنة ١٩٣٢) م

محمد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٨٩٧/١٩٣٠/١٢٠٠)

هذا هو الجزء الثانى من ملحمة الشاعر الفارسى القديم الفردوسى ، الشاهنامة أو كتاب الملوك الذى وضعه منذ نحو ألف عام تقريبا ، وهو ملحمة تروى تاريخ ملوك فارس القدماء قبل الفتح العربى فى ثوب أدبى تمتزج فيه الحقيقة مع الاسطورة مما جعل لهذا الكتاب مكانة فريدة فى تاريخ الأدب العالمى ومنبعا ومصدرا للإلهام الأدبى ومتعة للقراءة عند الكبار والصغار .

